T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 129

RAĞIP P.
Ka. Nu. 181

٧٨٢

وقف هذا الكتاب المسمى بروح
البيان المرحوم المغفور مصطفى
فوزى سر خليفه قلم داخليه
فى دار الكتب لراغب محمد
پاشا بشرط ان لا يخرج
١٢٥٨

سورة البقرة ١٩ — سورة آل عمران ٢٠٥ — سورة النساء ٤٠٩
سورة المائدة ٥٢٦ — سورة الانعام ٦١٧ — سورة الاعراف ٧٠٠
سورة الانفال ٨٢٢ — سورة التوبة ٨٦٧

الاول
من روح البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اظهر من نسخة حقائقه الذاتية الكمالية نقوش العوالم والاعلام واخرج من نون الجمع الذاتى انواع الحروف والكلمات والكلام انزل من مقام الجمع والتنزيه قرءآنا عربيا غير ذى عوج وجعله معجزة باقية على وجه كل زمان ساطعة البراهين والحجج والصلاة والسلام على من هو فاتح باب الحضرة فى العلم والعين واليقين سيدنا محمد الذى كان نبيا وآدم بين الماء والطين وعلى آله واصحابه المتخلقين بخلق القرءآن ومن تبعهم باحسان الى آخر الزمان (وبعد) فيقول العبد الفقير سمى الذبيح الشيخ اسماعيل حقى الناصح المهاجر كلاه الله من فتن الغدايا والعشايا والهواجر لما اشار الى شيخى الامام العلامه واستاذى الجهبذ الفهامه سلطان وقته ونادرة زمانه حجة الله على الخلق بعلمه وعرفانه مطلع انوار العناية والتوفيق وارث اسرار الخليفى على التحقيق المشهود له بسر التجديد فى رأس العقد الثانى من الالف الثانى معدن الالهام الربانى السيد الثانى الشيخ الحسيب النسيب سمى ابن عفان نزيل قسطنطينيه امده الله وامدنا به فى السر والعلانيه بالنقل الى برج الاولياء مدينة بروسا صينت عن تطاول يد الضراء والبوسا فى العشر السادس من العشر العاشر من العقد الاول من الالف الثانى ولم اجد بدا من الوعظ والتذكير فى الجامع الكبير والمعبد المنير الشهير وقد كان منى حين انتواء الاقامة ببعض ديار الروم بعض صحائف ملتقطة من صفحات التفاسير وادوات العلوم مشتملة على ما يزيد على آل عمران من سور القرءآن لكنها مع الاطناب الواقع فيها كانت متفرقة كايادى سبا جزؤ منها حوته الدبور وجزؤ منها حوته الصبا اردت ان الخص ما فرط من الالتقاط واخلص الاوراق المتفرقة من مسامحات الالفاظ والحروف والنقاط واضم اليها نبذا مما سنح لى من المعارف واجعله فى سمط ما انظمه من اللطائف واسرد بانملة البراعه وان كنت قليل البضاعة قصير الباعه ما يليه الى آخر النظم الكريم ان امهلنى الله العظيم الى قضاء هذا الوطر الجسيم وابيض للناس قدر ما حررته بين الاسابيع والشهور وافرزته بالتسويد اثناء السطور ليكون ذخرا للآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون وشفيعا لى حين لا يجدى نفعا غير الصاد والنون واسأل الله تعالى ان يجعله من صالحات الاعمال وخالصات الآثار وباقيات الحسنات الى آخر الاعمار فانه اذا اراد بعبد خيرا حسن عمله فى الناس واهله لخيرات هى بمنزلة العين من الراس وهو الفياض (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) اعلم ان الحكمة فى التعوذ الاستيذان وقرع الباب لان من اتى باب ملك من الملوك لا يدخل الا باذنه كذلك

من

من اراد قرآءة القرءآن انما يريد الدخول فى المناجاة مع الحبيب فيحتاج الى طهارة اللسان لانه قد تنجس بفضول الكلام والبهتان فيطهره بالتعوذ قال اهل المعرفة هذه الكلمة وسيلة المتقربين واعتصام الخائفين وعتبى المجرمين ورجعى الهالكين ومباسطة المحبين وهو امتثال قول رب العالمين فى سورة النحل فاذا قرأت القرءآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فالاستعاذة مقدمة على القرآءة عند عامة المسلمين وقولهم الجزآء متأخر عن الشرط فيلزم ان يؤخر الاستعاذة قلنا المعنى اذا اردت القرآءة وهو تأويل شائع جار مجرى الحقيقة العرفية ثم المختار قول الجمهور وهو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو اثبت رواية وفى الحديث هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ وان كان استعيذ بالله اوفق دراية لمطابقته المأمور به فى قوله فاستعذ واول ما نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الاستعاذة والبسملة وقوله تعالى اقرأ باسم ربك (اعوذ) بمعنى التجئ بناه ميخواهم اواستعصم نكاه داشت ميخواهم اواستجير امان ميخواهم اواستعين يارى ميخواهم اواستغيث فرياد مدد ميخواهم والعوذ والعياذ مصدران كاللوذ واللياذ والصوم والصيام وقول القائل اعوذ اخبار عن فعله وهو فى التقدير سؤال الله عز وجل من فضله اى اعذنى يا رب وفى العدول الى لفظ الخبر فائدة التفاؤل بالوقوع كانه وقع الاعاذة فيخبر عن مطاوعه وسره ما فى التفسير الكبير ان بين الرب وعبده عهدا قال الله اوفوا بعهدى اوف بعهدكم فكانه يقول انا مع نقص البشرية وفيت بعهد عبوديتى وقلت اعوذ بالله اواستغفر الله فانت مع كمال الكرم والفضل اولى ان تفى بعهد الربوبية وتعيذنى (بالله) مذهب اهل الحقائق فيه عدم الاشتقاق لانه لا سبيل الى كنه معرفته ولذا قال السعد التفتازانى فى حواشى الكشاف اعلم انه كما تحيرت الاوهام فى ذاته وصفاته فكذا فى اللفظ الدال عليه من انه اسم اوصفة مشتق اوغير مشتق علم اوغير علم الى غير ذلك قال مولانا جلال الدين قدس سره * ذات اورا درتصور كنج كو * تادر آيد درتصور مثل او * واعلم ان كلمات الاستعاذة ثلاث صفاتية وافعالية وذاتية كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك فاختير اسم الجلالة الجامع لتتناول عبارة الاستعاذة انواع الاستعاذة قال فى التفسير الكبير الشرور اما من الاعتقاديات ويدخل فيها جميع المذاهب الباطلة وعقائد فرق الضلال الاثنين والسبعين فرقة واما من الاعمال البدنية فمنها ما يضر فى الدين وهو منهيات التكاليف وضبطها كالمتعذر ومنها ما ضرره لا فى الدين كالامراض والآلام والحرق والغرق والفقر والعمى والزمانة وغيرها من البلايا والنوازل ويقرب ان لا يتناهى فاعوذ بالله يتناول الاستعاذة من كلها فعلى العاقل اذا اراد الاستعاذة ان يستحضر هذه الاجناس الثلاثة وانواعها المتناولة فاذا عرف عدم تناهيها عرف ان قدرة الخلق لا تفى بدفعها فحمله عقله ان يقول اعوذ بالله القادر على كل المقدورات من جميع المخاوف والآفات قيل كل العلوم فى الكتب الاربعة وعلومها فى القرءآن وعلومه فى الفاتحة وعلومها فى البسملة وعلومها فى الباء ففى التفسير الكبير لان المقصود من العلوم وصول العبد الى الرب فباء الالصاق فى بالله تلصقه اليه وسيجئ اسرار الباء فى البسملة ان شاء الله تعالى (من الشيطان) اى المبعد من رحمة الله تعالى عن ابن عباس رضى الله عنه لما عصى لعن وصار شيطانا فدل على انه انما سمى بهذا الاسم بعد لعن الله له واما قبله فاسمه عزازيل اونائل وانما لم يقيد المستعاذ منه بشئ من قبائحه ومضاره كالهمز واللمز واللمس والوسوسة والنزغة وغيرها لتذهب الهمة كل مذهب ليستعاذ من شره عموما قال فى روضة الاخيار الشياطين ذكور واناث يتوالدون ولا يموتون بل يخلدون والجن ذكور واناث يتوالدون ويموتون والملائكة ليسوا بذكور ولا اناث ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون فثبت بهذا ان للشيطان والجن حقيقة ووجودا ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة والاطباء ونحوهم (حكى) ان الامام الغزالى محيى السنة كان مفتى الثقلين فسألهم يوما عن الحوادث قالوا ان الزمخشرى صنف كتابا فى التفسير وبلغ الى النصف فطلب منهم ان يأتوا به فاتوه فكتب جميع ما الفه ثم وضعوا النسخة فى مكانها فلما جاء الزمخشرى اليه اراه اياه فتعجب الزمخشرى وتحير وقال ان قلت هو لى وانا خبأته وما اطلع عليه احد غيرى فمن اين جاء هذا وان هو لغيرى فالتوارد فى اللفظ والمعنى والوضع والترتيب فى هذا القدر من الكتاب لا يقبله العقل قال الامام هو لك وقد وصل الينا من ايدى الجن وكان الزمخشرى ينكر الجن فاعترف فى مجلسه ولا يلزم من هذا علم الجن بالغيب كما لا يخفى قال تعالى تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ثم حقيقتهم

عندمن لم يقل بالمجردات هى اجسام هوآئية وقيل نارية قادرة على التشكل باشكال مختلفة كصور الحيات والعقارب والكلاب والابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير والطير وبنى آدم لها عقول وافهام تقدر على الاعمال الشاقة كما كانوا يعملون لسليمان عليه السلام المحاريب والتماثيل والجفان والقدور وعندمن قال بها مجردات ارضية سفلية وذلك لان المجردات اعنى الموجودات الغير المتحيزة ولا الحالة فى المتحيز اما عالية مقدسة عن تدبير الاجسام وهم الملائكة المقربون ويسميها المشائيون عقولا والاشراقيون انوارا عالية قاهرة اومتعلقة بتدبيرها ويسميها المشائيون نفوسا سماوية والاشراقيون انوارا مدبرة واشرفها حملة العرش وهم الآن اربعة ويوم القيامة ثمانية ثم الحافون حوله ثم ملائكة الكرسى ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم ملائكة كرة الاثير والهوآء الذى فى طبع النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم ملائكة البحار ثم الجبال ثم الارواح السفلية المتصرفة فى الاجسام النباتية والحيوانية وهذه قد تكون مشرقة الهية خيرة وهى المسماة بصالحى الجن وقد تكون كدرة شريرة وهى الشياطين كذا فى تفسير الفاتحة للفنارى والظاهر ان المراد بالشيطان ابليس واعوانه وقيل عام فى كل متمردعات مضل عن الجادة المستقيمة من جن وانس كما قال الله تعالى شياطين الانس والجن (الرجيم) اى المرمى من السموات بالقاء الملائكة حين لعن اوالمرمى بشهب السماء اذا قصدها وهذه صفة مذمومة للشيطان وله فى القرءآن اسماء مشئومة وصفات مذمومة فاجمع مساويه هو الرجيم لانه جامع لجميع مايقع عليه من العقوبات فلذلك خص به الابتدآء من بين تلك الاسماء والصفات يقال ظهور حقيقة الاستعاذة لايمكن بمجرد القول بل لابد من حضور القلب وموافقة القول بالحال والفعل وان لايقول لسانك اعوذ بالله وفعلك وحالك اعوذ بالشيطان وذلك بمشاركة النفس مع الشيطان فى ارتكاب المعاصى والطغيان واستعاذة العارف من رؤية غير الله تعالى وحجاب الكثرة فان الشيطان يهرب من نور العارف (حكى) ان اباسعيد الخراز قدس سره رأى ابليس فى المنام فاراد ان يضربه بالعصا فقال يا اباسعيد انا لااخاف من العصا وانما اخاف من شعاع شمس المعرفة اذا طلعت من سماء قلب العارف قالوا فى الاستعاذة من الشيطان اظهار الخوف من غير الله وهو يخل بالعبودية قلنا اتخاذ العدو عدوا تحقيق للمحبة والفرار من غير الله الى الله تتميم للعبودية والامتثال لامر الله تقديم للطاعة والخوف ممن لايخاف الله اظهار للمسكنة كما قيل اخاف من الله اى من عذابه وغضبه واخاف ممن يخاف الله اى من سوء دعائه واخاف ممن لايخاف اى من سوء افعاله قال المولى جلال الدين قدس سره ✻ آدمى را دشمن پنهان بسيست ✻ آدمى باحذر عاقل كسيست ✻ وفى التفسير الكبير ان اعوذ بالله رجوع من الخلق الى الخالق ومن الحاجة التامة لنفسه الى الغنى التام بالحق فى تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات ففيه سر ففروا الى الله وان فيه دلالة ان لاوسيلة الى القرب من حضرة الرب الا بالعجز والعجز منتهى المقامات قال الحسن من استعاذ بالله على وجه الحقيقة وهو مايكون بحضور القلب جعل الله بينه وبين الشيطان ثلثمائة حجاب كل حجاب كما بين السماء والارض وعن ابن عباس رضى الله عنه قال خرج النبى عليه الصلوة والسلام ذات يوم من المسجد فاذا هو بابليس فقال له النبى ما الذى جاءبك الى باب مسجدى قال يا محمد جاءبى الله قال فلم ذا قال لتسألنى عما شئت فقال ابن عباس رضى الله عنه فكان اول شئ سأله الصلاة فقال له ياملعون لم تمنع امتى عن الصلاة بالجماعة قال يا محمد اذا خرجت امتك الى الصلاة تأخذنى الحمى الحارة فلا تندفع حتى يتفرقوا وقال عليه السلام لم تمنع امتى عن العلم والدعاء قال عند دعائهم يأخذنى الصمم والعمى فلا يندفع حتى يتفرقوا وقال عليه السلام لم تمنع امتى عن القرءآن قال عند قرآءتهم اذوب كالرصاص قال لم تمنع امتى عن الجهاد قال اذا خرجوا الى الجهاد يوضع على قدمى قيد حتى يرجعوا واذا خرجوا الى الحج اسلسل واغلغل حتى يرجعوا واذا هموا بالصدقة توضع على رأسى المناشير فتنشرنى كما ينشر الخشب والشيطان مسلط على طبيعة بنى آدم بالاكل والشرب فاذا تركهما الانسان فقد اجتهد فى قطع شهوة البطن وشهوة الفرج فلا يكون اذا مداخلة للشيطان اصلا واما النفس فسبب اصلاحها هو الصلوات الخمس لان فرضيتها لاصلاح النفس لان فيها تذللا لابشلاث طبقات بعقد اليدين بين يدى الملك الاعظم وبالركوع له وبالسجود فالنفس تصلح بالخضوع والخشوع والتذلل قال وهب بن منبه لما خرج نوح من السفينة جاء ابليس عليه اللعنة فقال نوح ياعدو الله اى اخلاق بنى آدم اعون لك ولجنودك على ضلالتهم وهلاكهم

قال

قال ابليس اذا وجدنا من بنى آدم شحيحا حريصا حسودا جبارا عجولا تلقفناه تلقف الاكرة فان اجتمعت فيه هذه الاخلاق سميناه شيطانا مريدا لان هذه الاخلاق من اخلاق رؤس الشياطين وفى الخبر ان ابليس عليه اللعنة يرفع الدنيا كل يوم فى يديه فيقول من يشترى مايضره ولا ينفعه ويهمه ولا يسره فتقول اصحاب الدنيا نحن فيقول لاتعجلوا فانها معيوبة فيقولون لابأس به فيقول ثمنها ليس بدراهم ولادنانير ثمنها نصيبكم من الجنة وانى اشتريتها باربعة اشياء بلعنة الله وغضبه وعذابه وقطيعته وبعت الجنة بها فيقولون يجوز لنا ذلك فيقول اريد ان تربحونى على ذلك وهو بان توطنوا قلوبكم على ان لاتدعوها ابدا فيقولون نعم فيأخذونها فيقول الشيطان بئست التجارة (قال الحافظ) مجودرستى عهد از جهان سست نهاد ✻ كه اين عجوزه عروس هزار دامادست (قال الشيخ سعدى) برمرد هشيار دنيا خسست ✻ كه هر مدتى جاى ديكر كسست ✻ منه برجهان دل كه بيكانه ايست ✻ كه مطرب كه هر روز در خانه ايست ✻ نه لايق بود عشق با دلبرى ✻ كه هر بامدادش بود شوهرى ✻ وسئل النبى عليه السلام عن وسوسة الشيطان فقال عليه السلام السارق لايدخل بيتا ليس فيه شئ فذلك من محض الايمان وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه الفرق بين صلاتنا وصلاة اهل الكتاب وسوسة الشيطان لانه فرغ من عمل الكفار لانهم وافقوه والمؤمنون يخالفونه ويحاربونه والمحاربة تكون مع المخالفة حكى ان رجلا من اهل خراسان خرج نحو العراق وكان يتردد الى عالم من علمائها حتى علمه اربعة آلاف حديث من الحكمة فلما اراد الانصراف الى وطنه استأذن من استاذه فقال له الاستاذ اعلمك كلمة خير لك من احاديثك قال وماهى قال هل يكون فى خراسان ابليس قال نعم قال وهل يوسوسكم قال نعم قال وما تصنعون فى وسوسته قال نرده قال ان وسوس ثانيا قال نرده قال اذا اذا كم عدوالله وشغلكم عن الطاعة فلا تشتغلوا برد وسوسته ولكن كونوا معه كالغريب مع كلب الراعى واستعيذوا بالله وانه كلب من الكلاب عصمنا الله واياكم من كيده وشره (بسم الله الرحمن الرحيم) الاصح المقبول عند متأخرى الحنفية ان البسملة آية فذة ليست جزأ من سورة انزلت للفصل والتبرك بالابتدآء كما بدئ بذكرها فى كل امر ذى بال وهى مفتاح القرءآن واول ماجرى به القلم فى اللوح المحفوظ واول مانزل على آدم عليه السلام وحكمة تأخرها عن الاستعاذة تقدم التخلية بالمعجمة على التحلية والاعراض عما سوى الله على الاقبال والتوجه اليه (بسم الله) كانت الكفار يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات والعزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتدآء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل فلذلك قدر المحذوف متأخرا اى باسم الله اقرأ اواتلو وغير ذلك مما جعلت التسمية مبدأ له قالوا اودع جميع العلوم فى الباء اى بى كان ماكان وبى يكون مايكون فوجود العوالم بى وليس لغيرى وجود حقيقى الا بالاسم والمجاز هو معنى قولهم مانظرت شيأ الا ورأيت الله فيه اوقبله ومعنى قوله عليه السلام لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله فان قلت ما الحكمة والسر فى ان الله تعالى جعل افتتاح كتابه بحرف الباء واختارها على سائر الحروف لاسيما على الالف فانه اسقط الالف من الاسم واثبت مكانه الباء فى بسم فالجواب الحكمة فى افتتاح الله بالباء عشرة معان احدها ان فى الالف ترفعا وتكبرا وتطاولا وفى الباء انكسارا وتواضعا وتساقطا فمن تواضع لله رفعه الله وثانيها ان الباء مخصوصة بالالصاق بخلاف اكثر الحروف خصوصا الالف من حروف القطع وثالثها ان الباء مكسورة ابدا فلما كانت فيها كسرة وانكسار فى الصورة والمعنى وجدت شرف العندية من الله تعالى كما قال الله تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى ورابعها ان فى الباء تساقطا وتكسرا فى الظاهر ولكن رفعة درجة وعلو همة فى الحقيقة وهى من صفات الصديقين وفى الالف ضدها اما رفعة درجتها فبانها اعطيت نقطة وليست للالف هذه الدرجة واما علو الهمة فانه لما عرضت عليها النقط ماقبلت الا واحدة ليكون حالها كحال محب لايقبل الامحبوبا واحدا وخامسها ان فى الباء صدقا فى طلب قربة الحق لانها لما وجدت درجة حصول النقطة وضعتها تحت قدمها وماتفاخرت بها ولايناقضه الجيم والياء لان نقطهما فى وضع الحروف ليست تحتهما بل فى وسطهما وانما وضع النقطة تحتهما عند اتصالهما بحرف آخر لئلا يشتبها بالخاء والثاء بخلاف الباء فان نقطتها موضوعة تحتها سوآء كانت مفردة اومتصلة بحرف آخر وسادسها ان الالف حرف علة بخلاف الباء وسابعها ان الباء حرف تام متبوع فى المعنى وان كان تابعا صورة من حيث ان موضعه بعد الالف فى وضع الحروف وذلك لان الالف فى لفظ الباء يتبعه بخلاف لفظ الالف فان الباء لايتبعه والمتبوع

فى المعنى اقوى وثامنها الباء حرف عامل ومتصرف فى غيره فظهر لها من هذا الوجه قدر وقدرة فصلحت للابتداء بخلاف الالف فانه ليس بعامل وتاسعها ان الباء حرف كامل فى صفات نفسه بانه للالصاق والاستعانة والاضافة مكمل لغيره بان يخفض الاسم التابع له ويجعله مكسورا متصفا بصفات نفسه وله علو وقدرة فى تكميل الغير بالتوحيد والارشاد كما اشار سيدنا على رضى الله عنه بقوله انا النقطة تحت الباء فالباء له مرتبة الارشاد والدلالة على التوحيد وعاشرها ان الباء حرف شفوى تنفتح الشفة به ما لم تنفتح بغيره من الحروف الشفوية ولذلك كان اول انفتاح فم الذرة الانسانية فى عهد ألست بربكم بالباء فى جواب بلى فلما كان الباء اول حرف نطق به الانسان وفتح به فمه وكان مخصوصا بهذه المعانى اقتضت الحكمة الالهية اختيارها من سائر الحروف فاختارها ورفع قدرها واظهر برهانها وجعلها مفتاح كتابه ومبدأ كلامه وخطابه تعالى وتقدس كذا فى التأويلات النجمية واسم الله ما يصح ان يطلق عليه بالنظر الى ذاته او باعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس او الثبوتية كالعليم او باعتبار فعل من افعاله كالخالق ولكنها توقيفية عند بعض العلماء كما فى شرح المشارق لابن الملك ثم المختار ان كلمة الله هو الاسم الاعظم فان سأل سائل ان من شرط الاسم الاعظم ان من دعا الله به اجاب واذا سئل به اعطى فنحن ندعو به ونسأل فلم نر الاجابة فى اكثر الاوقات قلنا ان للدعاء آدابا وشرائط لا يستجاب الدعاء الا بها كما ان للصلاة كذلك فاول شرائطه اصلاح الباطن باللقمة الحلال وقد قيل الدعاء مفتاح السماء واسنانه لقمة الحلال وآخر شرائطه الاخلاص وحضور القلب كما قال الله تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين فان حركة الانسان باللسان وصياحه من غير حضور القلب ولولة الواقف على الباب وصوت الحارس على السطح اما اذا كان حاضرا فالقلب الحاضر فى الحضرة شفيع له قال الشيخ مؤيد الدين الجندى قدس سره ان للاسم الاعظم الذى اشتهر ذكره وطاب خبره ووجب طيه وحرم نشره من عالم الحقائق والمعانى حقيقة ومعنى ومن عالم الصور والالفاظ صورة ولفظا اما حقيقته فهى احدية جمع جميع الحقائق الجمعية الكمالية كلها واما معناه فهو الانسان الكامل فى كل عصر وهو قطب الاقطاب حامل الامانة الالهية خليفة الله واما صورته فهى صورة كامل ذلك العصر وعلمه كان محرما على سائر الامم لما لم تكن الحقيقة الانسانية ظهرت بعد فى اكمل صورته بل كانت فى ظهورها بحسب قابلية كامل ذلك العصر فحسب فلما وجد معنى الاسم الاعظم وصورته بوجود الرسول صلى الله عليه وسلم اباح الله العلم به كرامة له (الرحمن) الرحمة فى اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا هو التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب فان اسماء الله تؤخذ باعتبار الغايات التى هى افعال دون المبادى التى هى انفعالات فالمعنى العاطف على خلقه بالرزق لهم ودفع الآفات عنهم لا يزيد فى رزق المتقى لقبل تقواه ولا ينقص من رزق الفاجر لقبل فجوره بل يرزق الكل بما يشاء (الرحيم) المترحم اذا سئل اعطى واذا لم يسأل غضب وبنى آدم حين يسأل يغضب واعلم ان الرحمة من صفات الذات وهو ارادته ايصال الخير ودفع الشر والارادة صفة الذات لان الله تعالى لو لم يكن موصوفا بهذه الصفة لما خلق الموجودات فلما خلق الخلق علمنا ان رحمته صفة ذاتية لان الخلق ايصال خير الوجود الى المخلوق ودفع شر العدم عنهم فان الوجود خير كله قال الشيخ القيصرى اعلم ان الرحمة صفة من الصفات الالهية وهى حقيقة واحدة لكنها تنقسم بالذاتية والصفاتية اى تقتضيها اسماء الذات واسماء الصفات وكل منهما عامة وخاصة فصارت اربعا وتتفرع منها الى ان يصير المجموع مائة رحمة واليها اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله مائة رحمة اعطى واحدة منها لاهل الدنيا كلها وادخر تسعا وتسعين الى الاخرة يرحم بها عباده فالرحمة العامة والخاصة الذاتيتان ما جاء فى البسملة من الرحمن الرحيم والرحمة الرحمانية عامة لشمول الذات جميع الاشياء علما وعينا والرحيمية خاصة لانها تفصيل تلك الرحمة العامة الموجب لتعيين كل من الاعيان بالاستعداد الخاص بالفيض الاقدس والصفاتية ما ذكره فى الفاتحة من الرحمن الرحيم الاولى عامة الحكم لترتبها على ما افاض الوجود العام العلمى من الرحمة العامة الذاتية والثانية تخصيصها وتخصيصها بحسب الاستعداد الاصلى الذى لكل عين من الاعيان وهما نتيجتان للرحمتين الذاتيتين العامة والخاصة انتهى كلامه قالوا لله تعالى ثلاثة آلاف اسم الف عرفها الملائكة لا غير والف عرفها الانبياء لا غير وثلاثمائة فى التوراة وثلاثمائة فى الانجيل وثلاثمائة فى الزبور وتسعة

وتسعون فى القرآن وواحد استأثر الله به ثم معنى هذه الثلاثة آلاف اسم فى هذه الاسماء الثلاثة فمن علمها وقالها فكأنما ذكر الله تعالى بكل اسمائه وفى الخبر ان النبى عليه السلام قال ليلة اسرى بى الى السماء عرض على جميع الجنان فرأيت فيها اربعة انهار نهرا من ماء ونهرا من لبن ونهرا من خمر ونهرا من عسل فقلت يا جبريل من اين تجيء هذه الانهار والى اين تذهب قال تذهب الى حوض الكوثر اما انا لا ادرى من اين تجيء فادع الله تعالى ليعلمك او يريك فدعا ربه فجاء ملك فسلم على النبى عليه السلام ثم قال يا محمد غمض عينيك قال فغمضت عينى ثم قال افتح عينيك ففتحت فاذا انا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء ولها باب من ذهب احمر وقفل لو ان جميع ما فى الدنيا من الجن والانس وضعوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل فرأيت هذه الانهار الاربعة تخرج من تحت هذه القبة فلما اردت ان ارجع قال لى ذلك الملك لم لا تدخل القبة قلت كيف ادخل وعلى بابها قفل لا مفتاح له عندى قال مفتاحه بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت من القفل وقلت بسم الله الرحمن الرحيم انفتح القفل فدخلت فى القبة فرأيت هذه الانهار تجرى من اربعة اركان القبة ورأيت مكتوبا على اربعة اركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ورأيت نهر اللبن يخرج من هاء الله ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن ونهر العسل من ميم الرحيم فعلمت ان اصل هذه الانهار الاربعة من التسمية فقال الله عز وجل يا محمد من ذكرنى بهذه الاسماء من امتك بقلب خالص من رياء وقال بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الانهار وفى الحديث لا يرد دعاء اوله بسم الله الرحمن الرحيم وفى الحديث ايضا من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه باسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن ان يدنس كان عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا مشركين وذكر الشيخ احمد البونى فى لطائف الاشارات ان شجرة الوجود تفرعت عن بسم الله الرحمن الرحيم وان العالم كله قائم بها جملا وتفصيلا فلذلك من اكثر من ذكرها رزق الهيبة عند العالم العلوى والسفلى وكتب قيصر ملك الروم الى عمر رضى الله عنه ان بى صداعا لا يسكن فابعث لى دواء ان كان عندك فان الاطباء عجزوا عن المعالجة فبعث عمر رضى الله عنه قلنسوة فكان اذا وضعها على رأسه سكن صداعه واذا رفعها عن رأسه عاد صداعه فتعجب منه ففتش فى القلنسوة فاذا فيها كاغد مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الاكبر فى الفتوحات اذا قرأت فاتحة الكتاب فصل بسملتها معها فى نفس واحد من غير قطع وعن محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم حالفا عن جبريل عليه السلام حالفا عن ميكائيل عليه السلام حالفا عن اسرافيل عليه السلام قال الله تعالى يا اسرافيل بعزتى وجلالى وجودى وكرمى من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا على انى قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عنه السيئات ولا احرق لسانه بالنار واجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب يوم القيامة والفزع الاكبر وتلقانى قبل الانبياء والاولياء اجمعين

(سورة فاتحة الكتاب)

وجه التسمية بفاتحة الكتاب اما لافتتاح المصاحف والتعليم وقراءة القرآن والصلاة بها واما لان الحمد فاتحة كل كلام واما لانها اول سورة نزلت واما لانها اول ما كتب فى اللوح المحفوظ واما لانها فاتحة ابواب المقاصد فى الدنيا وابواب الجنان فى العقبى واما لان انفتاح ابواب خزائن اسرار الكتاب بها لانها مفتاح كنوز لطائف الخطاب بانجلائها ينكشف جميع القرآن لاهل البيان لان من عرف معانيها يفتح بها اقفال المتشابهات ويقتبس بسناها انوار الايات وسميت بام القرآن وام الشئ اصله لان المقصود من كل القرآن تقرير امور اربعة اقرار بالالوهية والنبوة واثبات القضاء والقدر لله تعالى قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم يدل على الالوهية وقوله مالك يوم الدين يدل على المعاد وقوله اياك نعبد واياك نستعين على نفى الجبر والقدر وعلى اثبات ان الكل بقضاء الله تعالى وسميت بالسبع المثانى لانها سبع آيات او لان كل آية منها تقوم مقام سبع من القرآن فمن قرأها اعطى ثواب قراءة الكل او لان من فتح فاه بقراءة آياتها السبع غلقت عنه ابواب النيران السبعة هذه وجوه التسمية بالسبع واما بالمثانى فلانها تثنى فى كل صلاة او فى كل ركعة بالنسبة الى الاخرى او المراد تشفع فى كل ركعة سورة حقيقة او حكما او لان نزولها مرتين مرة فى مكة ومرة فى المدينة وسميت بسورة الصلاة وسورة الشفاء والشافية واساس القرآن والكافية والوافية وسورة الحمد وسورة السؤال وسورة الشكر وسورة الدعاء

لاشتمالها عليها وسورة الكنز لما يروى ان الله تعالى قال فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشى (الحمد لله) لامه
للعهد اى الحمد الكامل وهو حمد الله لله او حمد الرسل او كمل اهل الولاء او للعموم والاستغراق اى جميع المحامد
والاثنية للمحمود اصلا والممدوح عدلا والمعبود حقا عينية كانت تلك المحامد او عرضية من الملك او من البشر
او من غيرهما كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده والحمد عند الصوفية اظهار كمال المحمود وكماله تعالى صفاته
وافعاله وآثاره قال الشيخ داود القيصرى الحمد قولى وفعلى وحالى اما القولى فحمد اللسان وثناؤه عليه بما اثنى به
الحق نفسه على لسان انبيائه عليهم السلام واما الفعلى فهو الاتيان بالاعمال البدنية من العبادات والخيرات
ابتغاء لوجه الله تعالى وتوجها الى جنابه الكريم لان الحمد كما يجب على الانسان باللسان كذلك يجب عليه
بحسب كل عضو بل على كل عضو كالشكر وعند كل حال من الاحوال كما قال النبى عليه السلام الحمد لله على كل
حال وذلك لا يمكن الا باستعمال كل عضو فيما خلق لاجله على الوجه المشروع عبادة للحق تعالى وانقيادا لامره
لا طلبا لحظوظ النفس ومرضاتها واما الحالى فهو الذى يكون بحسب الروح والقلب كالاتصاف بالكمالات
العلمية والعملية والتخلق بالاخلاق الالهية لان الناس مأمورون بالتخلق باخلاق الله تعالى بلسان الانبياء
عليهم السلام لتصير الكمالات ملكة نفوسهم وذواتهم وفى الحقيقة هذا حمد الحق ايضا نفسه فى مقامه
التفصيلى المسمى بالمظاهر من حيث عدم مغايرتها له واما حمده ذاته فى مقامه الجمعى الالهى قولا فهو ما نطق به
فى كتبه وصحفه من تعريفاته نفسه بالصفات الكمالية وفعلا فهو اظهار كمالاته الجمالية والجلالية
من غيبه الى شهادته ومن باطنه الى ظاهره ومن علمه الى عينه فى مجالى صفاته ومحال ولاية اسمائه وحالا
فهو تجلياته فى ذاته بالفيض الاقدس الاولى وظهور النور الازلى فهو الحامد والمحمود جمعا وتفصيلا كما قيل

لقد كنت دهرا قبل ان يكشف الغطا ❊ اخالك انى ذاكر لك شاكر
فلما اضاء الليل اصبحت شاهدا ❊ بانك مذكور وذكر وذاكر

وكل حامد بالحمد القولى يعرف محموده باسناد صفات الكمال اليه فهو يستلزم التعريف انتهى كلامه والحمد
شامل للثناء والشكر والمدح ولذلك صدر كتابه بان حمد نفسه بالثناء فى لله والشكر فى رب العالمين والمدح
فى الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ثم ليس للعبد ان يحمده بهذه الوجوه الثلاثة حقيقة بل تقليدا ومجازا
اما الاول فلان الثناء والمدح بوجه يليق بذاته او بصفاته فرع معرفة كنههما وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به
علما وما قدروا الله حق قدره واما الثانى فكما ان النبى عليه السلام لما خوطب ليلة المعراج بان اثن على قال
لا احصى ثناء عليك وعلم ان لا بد من امتثال الامر واظهار العبودية فقال انت كما اثنيت على نفسك فهو ثناء
بالتقليد وقد امرنا ايضا ان نحمده بالتقليد بقوله قل الحمد لله كما قال فاتقوا الله ما استطعتم كذا فى التأويلات
النجمية (قال السعدى رحمه الله) عطا يست هرموى ازو برتنم ❊ چگونه بهر موى شكرى كنم ❊
وذكر الشيخ الامام حجة الاسلام الغزالى رحمه الله فى منهاج العابدين ان الحمد والشكر آخر العقبات السبع
التى لا بد للسالك من عبورها ليظفر بمبتغاه فاول ما يتحرك العبد لسلوك طريق العبادة يكون بخطرة سماوية
وتوفيق خاص الهى هو الذى اشار اليه صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم بقوله ان النور اذا دخل قلب العبد
انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها فقال التجافى عن دار الغرور والانابة الى
دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فاذا خطر بقلب العبد اول كل شئ ان له منعما بضروب من النعم
وقال انه يطالبنى بشكره وخدمته فلعله ان غفلت يزيل نعمته ويذيقنى نقمته وقد بعث الى رسولا
بالمعجزات واخبرنى بان لى ربا عالما قادرا على ان يثيب بطاعته ويعاقب بمعصيته وقد امر ونهى فيخاف على نفسه
عنده فلم يجد فى طريق الخلاص عن هذا النزاع سبيلا سوى الاستدلال بالصنعة على الصانع فيحصل له اليقين
بوجود ربه الموصوف بما ذكر فهذه عقبة العلم والمعرفة استقبلته فى اول الطريق ليكون فى قطعه على
بصيرة بالتعلم والسؤال من علماء الآخرة فاذا حصل له اليقين بوجود ربه بعثته المعرفة على التشمر للخدمة
ولكنه لا يدرى كيف يعبده فيتعلم ما يلزمه من الفرائض الشرعية ظاهرا وباطنا فلما استكمل العلم والمعرفة
بالفرائض انبعث للعبادة فنظر فاذا هو صاحب ذنوب كما هو حال اكثر الناس فيقول كيف اقبل على الطاعة
وانا مصر متلطخ بالمعاصى فيجب ان اتوب اليه ليخلصنى من اسرها واتطهر من اقذارها فاصلح للخدمة فيستقبله

ههنا عقبة التوبة فلما حصلت له اقامة التوبة الصادقة بحقوقها وشرائطها نظر للسلوك فاذا حوله عوائق من
العبادة محدقة به فتأمل فاذا هى اربع الدنيا والخلق والشيطان والنفس فاستقبلته عقبة العوائق فيحتاج الى
قطعها باربعة امور التجرد عن الدنيا والتفرد عن الخلق والمحاربة مع الشيطان والنفس وهى اشدها اذ لا يمكنه
التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة كالشيطان اذ هى المطية والآلة ولا مطمع ايضا فى موافقتها على الاقبال
على العبادة اذ هى مجبولة على ضد الخير كالهوى واتباعه اله ❊ نمى تازد اين نفس سركش چنان ❊
كه عقلش تواند كرفتن عنان ❊ كه بانفس وشيطان برآيد بزور ❊ مصاف پلنكان نيايد زمور ❊
فاحتاج ان يلجمها بلجام التقوى لتنقاد فيستعملها فى المراشد ويمنعها عن المفاسد فلما فرغ من قطعها
فاذا عوارض تعترضه وتشغله عن الاقبال على العبادة فنظر فاذا هى اربعة رزق تطلبه النفس ولا بد واخطار
من كل شئ يخافه او يرجوه او يريده او يكرهه ولا يدرى اصلاحه فى ذلك ام فساده والثالث الشدائد والمصائب
تنصب عليه من كل جانب لا سيما وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضارة النفس والرابع انواع
القضاء فاستقبلته ههنا عقبة العوارض الاربعة فاحتاج الى قطعها باربعة بالتوكل على الله فى الرزق
والتفويض اليه فى موضع الخطر والصبر عند الشدائد والرضى بالقضاء فاذا قطعها نظر فاذا النفس فاترة كسلى
لا تنشط ولا تنبعث لخير كما يحق وينبغى وانما ميلها الى غفلة ودعة وبطالة بل الى سرف وفضول فاحتاج الى سائق
يسوقها الى الطاعة وزاجر يزجرها عند المعصية وهما الرجاء والخوف فالرجاء فى حسن ما وعد من الكرامات
والخوف من صعوبة ما اوعد من العقوبات والاهانات فهذه عقبة البواعث استقبلته فاحتاج الى قطعها بهذين
الذكرين فلما فرغ منها ولم ير عائقا ولا شاغلا ووجد باعثا وداعيا فعانق العبادة بلزام الشوق فنظر فاذا بدو
بعد كل ذلك آفتان عظيمتان هما الرياء والعجب فتارة يرائى بطاعته الناس وتارة يستعظم ذلك ويكرم نفسه
فاستقبلته ههنا عقبة القوادح فاحتاج الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة فاذا قطعها بحسن عصمة الجبار
وتأييده حصلت العبادة له كما يحق وينبغى ولكنه نظر فاذا هو غريق فى بحور نعم الله من امداد التوفيق والعصمة
فخاف ان يكون منه اغفال للشكر فيقع فى الكفران وينحط عن تلك المرتبة الرفيعة التى هى مرتبة اغذية
الخالصين فاستقبلته ههنا عقبة الحمد والشكر فقطعها بتكثيرهما فلما فرغ منها فاذا هو بمقصوده ومبتغاه
فيتنعم فى طيب هذه الحالة بقية عمره بشخص فى الدنيا وقلب فى العقبى ينتظر البريد يوما فيوما ويستقذر الدنيا
واستكمل الشوق الى الملأ الاعلى فاذا هو برسول رب العالمين يبشره بالرضوان من عند رب غير غضبان فينقلونه
فى طيبة النفس وتمام البشر والانس من هذه الدنيا الفانية الى الحضرة الالهية ومستقر رياض الجنة فيرى
لنفسه الفقيرة نعيما وملكا عظيما (قال الشيخ سعدى قدس سره) عروسى بود نوبت ماتمت ❊ كرت نيك
روزى بود خاتمت (قال خسرو عند وفاته) زدنيا ميرود خسرو بزاب همى كويد ❊ دلم بكرفت
ازغربت تمناى وطن دارم (رب العالمين) لما نبه على استحقاقه الذاتى بجميع المحامد بمقابلة الحمد باسم
الذات اردفه باسماء الصفات جمعا بين الاستحقاقين وهو اى رب العالمين كالبرهان على استحقاقه جميع المحامد
الذاتى والصفاتى والدنيوى والاخروى والرب بمعنى التربية والاصلاح اما فى حق العالمين فيربيهم باغذيتهم وسائر
اسباب بقاء وجودهم وفى حق الانسان فيربى الظواهر بالنعمة وهى النفس ويربى البواطن بالرحمة وهى
القلوب ويربى نفوس العابدين باحكام الشريعة ويربى قلوب المشتاقين باداب الطريقة ويربى اسرار المحبين بانوار
الحقيقة ويربى الانسان تارة باطواره وفيض قوى انواره فى اعضائه فسبحان من اسمع بعظم وبصر بشحم وانطق
بلحم واخرى بترتيب غذائه فى النبات بحبوبه وثماره وفى الحيوان بلحومه وشحومه وفى الاراضى باشجاره
وانهاره وفى الافلاك بكواكبه وانواره وفى الزمان بسكونك وتسكين الحشرات والحركات المؤذية فى الليالى
وحفظك وتمكينك من ابتغاء فضله بالنهار فيا هذا يربيك كانه ليس له عبد سواك وانت لا تخدمه او تخدمه كان لك
ربا غيره والعالمين جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه قال وهب لله ثمانية عشر الف عالم الدنيا عالم منها
وما العمران فى الخراب الا كفسطاط فى صحراء وقال الضحاك ثلاثمائة وستون ثلاثمائة منهم حفاة عراة
لا يعرفون خالقهم وهم حشو جهنم وستون عالما يلبسون الثياب مر بهم ذو القرنين وكلمهم وقال كعب الاحبار
لا يحصى لقوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان الله تعالى خلق الخلق اربعة

اصناف الملائكة والشياطين والجن والانس ثم جعل هؤلاء عشرة اجزآء تسعة منهم الملائكة وواحد الثلاثة الباقية ثم جعل هذه الثلاثة عشرة اجزآء تسعة منهم الشياطين وجزؤ واحد الجن والانس ثم جعلهما عشرة اجزاء فتسعة منهم الجن ووا حدالانس ثم جعل الانس مائة وخمسة وعشرين جزأ فجعل مائة جزء فى بلاد الهند منهم ساطوح وهم اناس رؤسهم مثل رؤس الكلاب ومالوخ وهم اناس اعينهم على صدورهم وماسوخ وهم اناس آذانهم كاذان الفيلة ومالوف وهم اناس لايطاوعهم ارجلهم يسمون دوال پاى ومصيركلهم الى النار وجعل اثنى عشر جزأ منهم فى بلاد الروم النسطورية والملكانية والاسرآئيلية كل من الثلاث اربع طوآئف ومصيرهم الى النار جميعا وجعل ستة اجزآء منهم فى المشرق يأجوج ومأجوج وترك وخاقان وترك حدخلج وترك خزر وترك جرجير وجعل ستة اجزآء فى المغرب الزنج والزط والحبشة والنوبة و بربر وسائر كفار العرب ومصيرهم الى النار وبقى من الانس من اهل التوحيد جزؤ واحد فجزأهم ثلاثا وسبعين فرقة اثنتان وسبعون على خطر وهم اهل البدع والضلالات وفرقة ناجية وهم اهل السنة والجماعة وحسابهم على الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وفى الحديث ان بنى اسرآئيل تفرقت على ثنتين وسبعين فرقة وتفرق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار الافرقة واحدة قالوا من هى يارسول الله قال من هم على ما انا عليه واصحابى يعنى ما انا عليه واصحابى من الاعتقاد والفعل والقول فهو حق وطريق موصل الى الجنة والفوز والفلاح وما عداه باطل وطريق الى النار ان كانوا اباحيين فهم خلود والافلا (الرحمن الرحيم) فى التكرار وجوه احدها ما سبق من ان رحمتى البسملة ذاتيتان ورحمتى الفاتحة صفاتيتان كماليتان والثانى ليعلم ان التسمية ليست من الفاتحة ولو كانت منها لما ادعاهما لخلو الاعادة عن الفائدة والثالث انه ندب العباد الى كثرة الذكر فان من علامة حب الله حب ذكر الله وفى الحديث من احب شيأ اكثر ذكره والرابع انه ذكر رب العالمين فبين ان رب العالمين هو الرحمن الذى يرزقهم فى الدنيا الرحيم الذى يغفر لهم فى العقبى ولذلك ذكر بعده مالك يوم الدين يعنى ان الربوبية اما بالرحمانية وهى رزق الدنيا واما بالرحيمية وهى المغفرة فى العقبى والخامس انه ذكر الحمد وبالحمد تنال الرحمة فان اول من حمد الله تعالى من البشر آدم عطس فقال الحمد لله واجيب للحال يرحمك ربك ولذلك خلقك فعلم خلقه الحمد وبين انهم ينالون رحمته بالحمد والسادس ان التكرار للتعليل لان ترتيب الحمد على هذه الاوصاف امارة علية مأخذها بالرحمانية والرحيمية من جملتها الدلالتهما على انه مختار فى الاحسان لا موجب وفى ذلك استيفاء اسباب استحقاق الحمد من فيض الذات برب العالمين وفيض الكمالات بالرحمان الرحيم ولا خارج عنهما فى الدنيا وفيض الاثوبة لطفا والاجزية عدلا فى الاخرة ومن هذا يفهم وجه ترتيب الاوصاف الثلاثة والفرق بين الرحمن الرحيم اما باختصاص الحق بالاول او بعمومه او بجلائل النعم فعلى الاول هو الرحمن بما لا يصدر جنسه من العباد والرحيم بما يتصور صدوره منهم فذا كما روى عن ذى النون قدس سره وقعت ولولة فى قلبى فخرجت الى شط النيل فرأيت عقربا يعدو فتبعته فوصل الى ضفدع على الشط فركب ظهره وعبربه النيل فركبت السفينة واتبعته فنزل وعدا الى شاب نائم واذا افعى بقربه تقصده فتواثبا وتلادغا وماتا وسلم النائم (ويحكى) ان ولد الغراب اذا خرج من القشر يكون كلحم احمر ويفر الغراب منه فيجتمع عليه البعوض فيلقمه الى ان ينبت ريشه فعند ذلك تعود الام اليه ولهذا قيل يارزاق النعاب فى عشه واما على ان الرحمن عام فقيل كيف ذلك وقلما يخلو احد بل حالة له عن نوع بلوى قلنا الحوادث منها ما يظن انه رحمة ويكون نقمة وبالعكس قال الله تعالى فعسى ان تكرهوا شيأ الآية فالاول كما قال

ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء اى مفسده

وكل منها فى الظاهر نعمة والثانى كحبس الولد فى المكتب وحمله على التعلم بالضرب وكقطع اليد المتأكلة فالابله يعتبر بالظواهر والعاقل ينظر الى السرآئر فما من بلية ومحنة الا وتحتها رحمة ومنحة وترك الخير الكثير للشر القليل شر كبير فالتكاليف لتطهير الارواح عن العلائق الجسدانية وخلق النار لصرف الاشرار الى اعمال الابرار وخلق الشيطان لتمييز المخلصين من العباد فشأن المحقق ان يبنى على الحقائق كالخضر عليه السلام فى قصة موسى عليه السلام معه فكل ما يكره الطبع فتحته اسرار خفية وحكمة بالغة فلولا الرحمة وسبقها للغضب لم يكن وجود الكون ولما ظهر للاسم المنعم عين واما على ان الرحمن لجلائل النعم فانما اتبعه بالرحيم لدفع

توهم ان يكون طلب العبد الشئ اليسير سوء ادب كما قيل لبعضهم جئتك لحاجة يسيرة قال اطلب لها رجلا يسيرا فكأن الله يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت عنى ولكنى رحيم فاطلب منى حتى شراك نعلك وملح قدرك (قال الشيخ السعدى قدس سره العزيز) محالست اگر سر برين درنهى * كه بازايدت دست حاجت تهى * قال اهل الحقيقة الحضرات الكلية المختصة بالرحمن ثلاث حضرة الظهور وحضرة البطون وحضرة الجمع وكل موجود فله هذه المراتب ولا يخلو عن حكمها وعلى هذه المراتب تنقسم احكام الرحمة فى السعدآء والاشقياء والمتنعمين بنفوسهم دون ابدانهم كالارواح المجردة وبالعكس والجامعين بين الامرين وكذا من اهل الجنة من هم سعدآء من حيث نفوسهم بعلومهم دون صورهم لكونهم لم يقدموا فى جنة الاعمال ما يستوجبون به النعيم الصورى وان كان فنزر يسير بالنسبة الى من سواهم وعكس ذلك كالزهاد والعباد الذين لا علم لهم فان ارواحهم قليلة الحظ من النعيم الروحانى لعدم المناسبة بينهم وبين الحضرات العلمية الالهية ولهذا لم تتعلق هممهم زمان العمل بما ورآء العمل بل ظنوه الغاية فوقفوا عنده واقتصروا عليه رغبة فيما وعدوا به ورهبة مما حذروا منه واما الجامعون بين النعيمين تماما فهم الفائزون بالحظ الكامل فى العلم والعمل كالرسل عليهم الصلاة والسلام ومن كملت وراثته منهم اعنى الكمل من الاولياء (قال المولى جلال الدين قدس سره) هر كبوترمى پردد رمذهبى * وين كبوتر جانب بى جانبى (مالك يوم الدين) اليوم فى العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفى الشرع عما بين طلوع الفجر الثانى وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت لعدم الشمس ثم اى مالك الامر كله فى يوم الجزآء فاضافة اليوم الى الدين لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب ويوم الفتح وتخصيصه اما لتعظيمه وتهويله او لبيان تفرده باجرآء الامر فيه وانقطاع العلائق بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية ففى ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاض ولا مجاز غيره واصل المالك والملك الربط والشد والقوة فلله فى الحقيقة القوة الكاملة والولاية النافذة والحكم الجارى والتصرف الماضى وهو للعباد مجاز اذ لملكهم بداية ونهاية وعلى البعض لا الكل وعلى الجسم لا العرض وعلى النفس لا النفس وعلى الظاهر لا الباطن وعلى الحى لا الميت بخلاف المعبود الحق اذ ليس لملكه زوال ولا لملكه انتقال وقرآءة مالك بالالف اكثر ثوابا من ملك لزيادة حرف فيه (يحكى) عن ابى عبد الله محمد بن شجاع الثلجى رحمه الله تعالى انه قال كان من عادتى قرآءة مالك فسمعت بعض الادباء ان ملك ابلغ فتركت عادتى وقرأت ملك فرأيت فى المنام ان قائلا يقول لم نقصت من حسناتك عشرا اما سمعت قول النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ القرءآن كتب له بكل حرف عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات فانتبهت فلم اترك عادتى حتى رأيت ثانيا فى المنام انه قيل لى لم لا تترك هذه العادة اما سمعت قول النبى صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرءآن فخما مفخما اى عظيما معظما فاتيت قطربا وكان اماما فى اللغة فسألته بين المالك والملك فقال بينهما فرق كثير اما المالك فهو الذى ملك شيأ من الدنيا واما الملك فهو الذى يملك الملوك قال فى تفسير الارشاد قرأ اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذى هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلى فى امور العامة بالامر والنهى وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين انتهى ولكل وجوه ترجيح ذكرت فى التفاسير فليطالع ثمة والوجه فى سرد الصفات الخمس كأنه يقول خلقتك فانا اله ثم ربيتك بالنعم فانا رب ثم عصيت فسترت عليك فانا رحمن ثم تبت فغفرت فانا رحيم ثم لابد من الجزآء فانا مالك يوم الدين وفى التأويلات النجمية الاشارة فى مالك يوم الدين ان الدين فى الحقيقة الاسلام يدل عليه قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام والاسلام على نوعين اسلام بالظاهر واسلام بالباطن فاسلام الظاهر باقرار اللسان وعمل الاركان فهذا الاسلام جسدانى والجسدانى ظلمانى ويعبر عن الليل بالظلمة واما اسلام الباطن فبانشراح القلب والصدر بنور الله تعالى فهذا الاسلام الروحانى نورانى ويعبر عن اليوم بالنور فالاسلام الجسدانى يقتضى اسلام الجسد لاوامر الله ونواهيه والاسلام الروحانى يقتضى استسلام القلوب والروح لاحكام الازلى وقضائه وقدره فمن كان موقوفا عند الاسلام الجسدانى ولم يبلغ مرتبة الاسلام الروحانى وهو بعد فى سبر ليلة الدين متردد ومتحير فيرى ملوكا وملاكا كثيرة كما كان حال الخليل عليه السلام فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ومن تنفس صبح

سعادته وطلعت شمس الاسلام الروحانى من وراء حجب نفسه عن مشرق القلب فهو على نور من ربه واضح فى كشف يوم الدين فيكون ورد وقته اصبحنا واصبح الملك لله فيشاهد بعين اليقين بل يكاشف حق اليقين ان الملك لله ولا مالك الا مالك يوم الدين فاذا تجلى له النهار وكشف بالمالك جهارا يخاطبه وجاها ويناجيه شفاها اياك نعبد واياك نستعين ومن لطائف مالك يوم الدين ان مخالفة الملك تؤول الى خراب العالم وفناء الخلق فكيف مخالفة ملك الملوك كما قال الله تعالى فى سورة مريم تكاد السموات يتفطرن منه والطاعة سبب المصالح كما قال تعالى نحن نرزقك والعاقبة للتقوى فعلى الرعية مطاوعة الملوك وعلى الملوك مطاوعة ملك الملوك لينتظم مصالح العالم ومن لطائفه ايضا ان مالك يوم الدين يبين ان كمال ملكه بعدله حيث قال ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ فالملك المجازى ان عدل كان حقا قد درت الضروع ونمت الزروع وان كان جائرا كان باطلا فارتفع الخير (يحكى) ان انوشروان انقطع فى الصيد عن القوم فانتهى الى بستان فقال لصبى فيه اعطنى رمانة فاعطاه فاستخرج من حبها ماء كثيرا سكن به عطشه فاعجبه واضمر اخذ البستان من مالكه فسأله اخرى فكانت عفصة قليلة الماء فسأل الصبى عنه فقال لعل الملك عزم على الظلم فتاب قلبه وسأله اخرى فوجدها اطيب من الاولى فقال الصبى لعل الملك تاب فتنبه انوشروان وتاب بالكلية عن الظلم فبقى اسمه مخلدا بالعدل حتى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تفاخر فقال ولدت فى زمن الملك العادل قال الفنارى فى تفسير الفاتحة بل لعله تفاخر بزمنه النورانى حتى ولد فيه مثله وذكر انوشروان دليلا على نورانية زمانه حيث لا يتصور فى الكافر المسلط احسن حالا من العدل انتهى قال الامام السخاوى فى المقاصد الحسنة حديث ولدت فى زمن الملك العادل لا اصل له ولا صحة وان صح فاطلاق العادل عليه لتعريفه بالاسم الذى كان يدعى به لا الوصفية بالعدل والشهادة له بذلك اووصفه بذلك على اعتقاد المعتقدين فيه انه كان عدلا كما قال الله تعالى وما اغنت عنهم آلهتهم اى ما كان عندهم آلهة ولا يجوز ان يسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحكم بغير حكم الله عادلا انتهى كلام المقاصد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل الازال عن مكانه فان كان مطيعا لله فى عمله مضى فيه وان كان عاصيا لله انخرق به الجسر فيهوى فى جهنم مقدار خمسين عاما كذا فى تذكرة الموتى للامام القرطبى (قال السعدى)

مها زورمندى مكن بركهان * كه بريك نمط مى نماند جهان * نماند ستمكار بد روزكار * بماند بروى لعنت پايدار

(اياك نعبد) بنى الله سبحانه اول الكلام على ما هو مبادى حال العارف من الذكر والفكر والتأمل فى اسمائه والنظر فى آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه وتأثير سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر وفيه اشارة ايضا الى ان العابد ينبغى ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت منه بل من حيث انها نسبة شريفة ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسب اليه ولذلك فضل ما حكى عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معى ربى سيهدين وتقديم المفعول لقصد الاختصاص اى نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك والعبادة غاية الخضوع والتذلل وعن عكرمة جميع ما ذكر فى القرءآن من العبادة التوحيد ومن التسبيح الصلاة ومن القنوت الطاعة وعن ابن عباس رضى الله عنه ان جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اياك نعبد اى اياك نؤمل ونرجو ربنا لا غيرك والضمير المستكن فى نعبد وكذا فى نستعين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضرى صلاة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته فى تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة قال الشيخ الاكبر والمسك الاذفر قدسنا الله بسره الاظهر فى كتاب العظمة اذا كنى العبد عن نفسه بنون نفعل فليست بنون التعظيم واذا كنى عن الحق تعالى بضمير الافراد فان ذلك لغلبة سلطان التوحيد فى قلب هذا العبد وتحققه به حتى سرى فى كليته فظهر ذلك فى نطقه لفظا كما كان عقدا او علما ومشاهدة وعينا وهذه النون نون الجمع فان العبد وان كان فردا فى اللطيفة وحدانى الحقيقة فانه غير وحدانى ولا فردانى من حيث لطيفته ومركبها

وهيكلها

وهيكلها وقالبها وما من جزء فى الانسان الا والحق تعالى قد طالب الحقيقة الربانية التى فيه ان تلقى على هذه الاجزاء ما يليق بها من العبادات وهى فى الجملة وان كانت المدبرة فلها تكاليف يخصها ويناسب ذاتها فلهذه الجمعية يقول العبد لله تعالى نصلى ونسجد واليك نسعى ونحفد واياك نعبد وامثال هذا الخطاب وقد سألنى سائل من علماء الرسوم عن هذه المسئلة وكان قد حار فيها فاجبته باجوبة منها هذا فشفى غليله والحمد لله اه كلام الشيخ قدس سره وانما خص العبادة به تعالى لان العبادة نهاية التعظيم فلا تليق الا بالمنعم فى الغاية وهو المنعم بخلق المنتفع وباعطاء الحياة الممكنة من الانتفاع كما قال تعالى وكنتم امواتا فاحياكم الاية وخلق لكم ما فى الارض جميعا ولان احوال العبد ماض وحاضر ومستقبل ففى الماضى نقله من العدم والموت والعجز والجهل الى الوجود والحياة والقدرة والعلم بقدرته الازلية وفى الحاضر انفتحت عليه ابواب الحاجات ولزمته اسباب الضروريات فهو الرب الرحمن الرحيم وفى المستقبل مالك يوم الدين يجازيه باعماله فصالحه فى الاحوال الثلاثة لا تستتب الا بالله فلا مستحق للعبادة الا الله تعالى ثم قوله نعبد يحتمل ان يكون من العبادة ومن العبودة والعبادة هى العابدية والعبودة هى العبدية فمن العبادة الصلاة بلا غفلة والصوم بلا غيبة والصدقة بلا منة والحج بلا اراءة والغزو بلا سمعة والعتق بلا اذية والذكر بلا ملالة وسائر الطاعات بلا آفة ومن العبودة الرضى بلا خصومة والصبر بلا شكاية واليقين بلا شبهة والشهود بلا غيبة والاقبال بلا رجعة والايصال بلا قطيعة واقسام العبادة على ما ذكره حجة الاسلام فى كتابه المسمى بالاربعين عشرة كما ان الاعتقادات التى قبلها عشرة فالمعتقدات الذات الازلية الابدية المنعوتة بصفات الجلال والاكرام الذى هو الاول والآخر والظاهر والباطن اى الاول بوجوده والآخر بصفاته وافعاله والظاهر بشهادته ومكوناته والباطن بغيبه ومعلوماته ثم التقديس عما لا يليق بكماله اويشين بجماله من النقائص والرذائل ثم القدرة الشاملة للممكنات ثم العلم المحيط بجميع المعلومات حتى بدبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء وما هو اخفى منه كهواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر ثم الارادة بجميع الكائنات فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل او كثير الا بقضائه ومشيئته مريد فى الازل لوجود الاشياء فى اوقاتها المعينة فوجدت كما اراد ثم السمع والبصر لا يحجب سمعه بعد ولا رؤيته ظلام فيسمع من غير اصمخة وآذان ويبصر من غير حدقة واجفان ثم الكلام الازلى القائم بذاته لا بصوت كلام الخلق وان القرءآن مقروء ومكتوب ومحفوظ ومع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى وان موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله من غير شكل ولا لون ثم الافعال الموصوفة بالعدل المحض فلا موجود الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله اذ لا تصادف لغيره ملكا ليكون تصرفه فيه ظلما فلا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه فعل فكل نعمة من فضله وكل نقمة من عدله ثم اليوم الآخر والعاشر النبوة المشتملة على ارسال الملائكة وانزال الكتب واما العبادات العشرة فالصلاة والزكاة والصوم والحج وقراءة القرءآن وذكر الله فى كل حال وطلب الحلال والقيام بحقوق المسلمين وحقوق الصحبة والتاسع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والعاشر اتباع السنة وهو مفتاح السعادة وامارة محبة الله كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله قال المولى الجامى يا نبى الله السلام عليك انما الفوز والفلاح لديك

كر برفتم طريق سنت تو * هستم از عاصيان امت تو * مانده ام زير بار عصيان پست * افتم از پاى اكر نكيرى دست *

وجاء فى بيان مراتب العباد المتوجهين الى الله ان الانسان اذا فعل برا ان قصد به امرا ما غير الحق كان من الاحرار لا من العبيد وان لم يقصد امرا بعينه بل يفعله لكونه خيرا فقط او لكونه مأمورا به لا مطلقا بل من حيث الحضور منه مع الآمر فهو الرجل فان ارتقى بحيث لا يقصد بعمله غير الحق كان تاما فى الرجولية فان تأدى بحيث لا يفعل شيأ الا بالحق كما ورد فى قرب النوافل صار تاما فى المعرفة والرجولية وان انضم الى ما سبق حضوره مع الحق فى فعله بحيث يشهد بعين الحق لا بنفسه من حيث اضافة الشهود الى الله والفعل والاضافة اليه لا الى نفسه فهو العبد المخلص المخلص عمله فان ظهرت عليه غلبة احكام هذا المقام والذى قبله وهو مقام فى يسمع غير متقيد بشئ منها ولا بمجموعها مع سريان حكم شهوده الاحدى فى كل مرتبة ونسبة دون الثبات على امر بعينه بل ثباته فى سعته وقبوله كل وصف وحكم عن علم صحيح منه بما اتصف به وما انسلخ عنه فى كل وقت وحال دون غفلة وحجاب فهو الكامل فى العبودية والخلافة والاحاطة والاطلاق كذا

فى تفسير الفاتحة للصدر القنوى قدس سره قال فى التأويلات النجمية فى قوله اياك نعبد رجع الى الخطاب من الغيبة لانه ليس بين المملوك ومالكه الاحجاب ملك نفس المملوك فاذا عبر عن حجاب ملك النفس وصل الى مشاهدة مالك النفس كما قال ابو يزيد فى بعض مكاشفاته الهى كيف السبيل اليك قال له ربه دع نفسك وتعال فللنفس اربع صفات امارية ولوامية وملهمية ومطمئنة فامر العبد المملوك بان يذكر مالكه باربع صفات بالصفة الالهية والربوبية والرحمانية والرحيمية فيعبر بعد مدح الالهية وشكر الربوبية وثناء الرحمانية وتمجيد الرحيمية وقوة جذبات هذه الصفات الاربع عن حجاب ممالك الصفات الاربع للنفس فيتخلص عن ظلمات ليلة دين نفسه بطلوع صبح صادق مالك يوم الدين فيبقى العبد عبدا مملوكا لا يقدر على شئ فيرحمه مالكه ويذكره بلسان كرمه على قضية وعده فاذكرونى اذكركم ويناديه ويخاطب نفسه يا ايتها النفس المطمئنة ثم يجذبه عن غيبة نفسه الى شهود مالكية ربه بجذبة ارجعى الى ربك فيشاهد جمال مالكه ويناديه نداء عبد خاضع خاشع ذليل عاجز كما قرأ بعضهم مالك يوم الدين نصبا على نداء اياك نعبد واعلم ان النفس دنيوية تعبد هواها الدنيوى لقوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه والقلب اخروى يعبد الجنة لقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والروح قربى يعبد القربة والعندية لقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر والسر حضرتى يعبد الحق تبارك لقوله تعالى على لسان نبيه عليه السلام الاخلاص سر بينى وبين عبدى لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل فلما انعم الله على عبده بنعمة الصلاة قسمها بينه وبين عبده كما قال تعالى على لسان نبيه عليه السلام قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها الى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فتقرب العبد بنصفه الى حضرة كماله بالحمد والثناء والشكر على صفات جماله وجلاله وتقرب الرب على مقتضى كرمه وانعامه كما قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا بنصفه الى خلاص عبده من رق عبودية الاغيار باخراجه عن ظلمات بعضها فوق بعض من هوى النفس ومراد القلب وتعلق الروح بغير الحق الى نور وحدانيته وشهود فردانيته فاشرقت ارض النفس وسموات القلب وعرش الروح وكرسى السر بنور ربها فامنوا كلهم اجمعون بالله الذى خلقهم وهو مالكهم ومليكهم وكفروا بطواغيتهم التى يعبدونها واستمسكوا بالعروة الوثقى وجعلوا كلهم واحدا وقالوا اياك نعبد واياك نستعين كرر اياك للتنصيص على اختصاصه تعالى بالاستعانة ايضا والاستعانة طلب العون وتعدى بالباء وبنفسه اى نطلب العون على عبادتك اوعلى ما لا طاقة لنا به اوعلى محاربة الشيطان المانع من عبادتك اوفى امورنا بما يصلحنا فى دنيانا وديننا والجامع للاقاويل نسألك ان تعيننا على اداء الحق اقامة الفروض وتحمل المكاره وطلب المصالح وتقديم العبادة على الاستعانة ليوافق رؤس الآى وليعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واياك نعبد لما اورثه العجب اردف اياك نستعين ازالة له وافناء للنخوة ففى الجمع بينهما افتخار وافتقار فالافتخار بكونه عبدا عابدا والافتقار الى معونته وتوفيقه وعصمته وفيه ايضا تحقيق لمذهب اهل السنة والجماعة اذ فيه اثبات الفعل من العبد والتوفيق من الله كالخلق ففيه رد الجبرية النافين للفعل من العبد بقوله اياك نعبد ورد المعتزلة النافين للتوفيق والخلق من الله بقوله اياك نستعين ثم تحقيقهما من العبد ان لا يخدم غير الله ويسأل عن الله (حكى) عن سفيان الثورى رحمه الله انه ام قوما فى صلاة المغرب فلما قال اياك نعبد واياك نستعين خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له فى ذلك فقال خفت ان يقال فلم تذهب الى ابواب الاطباء والسلاطين وفى تخصيص الاستعانة بالتقديم اقتداء بالخليل عليه السلام فى قيد النمرود حيث قال له جبريل عليه السلام هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا فقال سله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى بل زد عليه وقل الخليل قيد رجلاه ويداه لاغير اما انا فقيدت الرجلين فلا اسير واليدين فلا احركهما وعينى فلا انظر بهما واذنى فلا اسمع بهما ولسانى فلا اتكلم به وانا مشرف على نار جهنم فكما لم يرض الخليل بغيرك معينا الا اريد الا عونك فاياك نستعين وكانه تعالى يقول فنحن ايضا نزيد حيث قلنا ثمة يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم واما انت فقد نجيناك عن النار واوصلناك الى الجنة وزدنا سماع الكلام القديم وامرنا نار جهنم تقول لك جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى (قال المولى جلال الدين قدس سره) آتش عاشق ازين روای صفى * مى‌شود دوزخ ضعيف ومنطفى * كويدش بكذر سبك اى محتشم * ورنه ز آتشهاى تو مرد آتشم * اهدنا الصراط المستقيم بيان المعونة المطلوبة كانه قيل كيف اعينك فقالوا اهدنا الصراط

المستقيم وايضا ان التعقيب بالدعاء بعد تمام العبادة قاعدة شرعية قال فى التيسير اياك نعبد اظهار التوحيد (واياك نستعين) طلب العون عليه وقوله اهدنا السؤال الثبات على دينه وهو تحقيق عبادته واستعانته وذلك لان الثبات على الهداية اهم الحاجات اذ هو الذى سأله الانبياء والاولياء كما قال يوسف عليه السلام توفنى مسلما وسحرة فرعون توفنا مسلمين والصحابة وتوفنا مع الابرار وذلك لانه لا ينبغى ان يعتمد على ظاهر الحال فقد يتغير فى المآل كالابليس وبرصيصا وبلعم باعور (قال المولى جلال الدين قدس سره) صد هزار ابليس وبلعم درجهان * همچنين بودست پيدا ونهان * اين دورا مشهور كردانيد اله * تا كه باشند اين دو بر باقى كواه * اين دو دزد آويخت بردار بلند * ورنه اندر قهر بس دزدان بدند * وفى تفسير القاضى اذا قاله العارف الواصل الى الله اعنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشى ابداننا لنستضئ بنور قدسك فنراك بنورك قال المولى الفنارى ومبناه ان السير فى الله غير متناه كما قال قطب المحققين ولا نهاية للمعلومات والمقدورات فما دام معلوم اومقدور فالشوق للعبد لا يسكن ولا يزول واصل الهداية ان يعدى باللام اوالى فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى واختار موسى قومه والصراط المستقيم استعارة عن ملة الاسلام والدين الحق تشبيها الوسيلة المقصود بوسيلة المقصد اولمحل التوجه الروحانى بمحل التوجه الجسمانى وانما سمى الدين صراطا لان الله سبحانه وان كان متعاليا عن الامكنة لكن العبد الطالب لا بد له من قطع المسافات ومس الآفات وتحمل المجافاة ليكرم بالوصول والموافاة ثم فى قوله اهدنا الصراط المستقيم مع انه مهتد وجوه الاول ان لا بد بعد معرفة الله تعالى والاهتداء بها من معرفة الخط المتوسط بين الافراط والتفريط فى الاعمال الشهوية والغضبية وانفاق المال والمطلوب ان يهديه الى الوسط والثانى انه وان عرف الله بدليل فهنا ادلة اخرى فعنى اهدنا عرفنا ما فى كل شئ من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وافعالك والثالث ان معناه بموجب قوله تعالى وان هذا صراطى مستقيما طلب الاعراض عما سوى الله وان كان نفسه والاقبال بالكلية عليه حتى لو امر بذبح ولده كابراهيم عليه السلام اوبان ينقاد للذبح كاسمعيل عليه السلام اوبان يرمى نفسه فى البحر كيونس عليه السلام اوبان يتلمذ مع بلوغه اعلى درجات الغايات كموسى عليه السلام اوبان يصبر فى الامر بالمعروف على القتل والشق بنصفين كيحيى وزكريا عليهما السلام فعل وهذا مقام هائل الان فى قوله صراط الذين انعمت عليهم دون ان يقول صراط الذين ضربوا وقتلوا تيسيرا ما وترغيبا الى مقام الانبياء والاولياء من حيث انعامهم ثم الاستقامة الاعتدالية ثم الثبات عليها امر صعب ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود واخواتها حيث ورد فيها فاستقم كما امرت فان الانسان من حيث نشأته وقواه الظاهرة والباطنة مشتمل على صفات واخلاق طبيعية وروحانية ولكل منها طرفا افراط وتفريط والواجب معرفة الوسط من كل ذلك والبقاء عليه وبذلك وردت الاوامر ونطقت الايات كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الخ حرضه على الوسط بين البخل والاسراف وكقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله مستبشرا فى الترهب وصيام الدهر وقيام الليل كله بعد زجره اياه ان لنفسك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا فصم وافطر وقم ونم وهكذا فى الاحوال كلها نحو قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ولم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ومازاغ البصر وما طغى ولما رأى صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه يقرأ رافعا صوته فسأله فقال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال عليه السلام اخفض من صوتك قليلا واتى ابا بكر رضى الله عنه فوجده يقرأ خافضا صوته فسأله فقال قد اسمعت من ناجيت فقال عليه السلام ارفع من صوتك قليلا وهكذا الامر فى باقى الاخلاق فان الشجاعة صفة متوسطة بين الهور والجبن والبلاغة بين الايجاز المجحف والاطناب المفرط وشر يعتنا قد تكلفت ببيان ميزان الاعتدال فى كل ترغيب وترهيب وحال وحكم وصفة وخلق حتى عينت للمذمومة مصارف اذا استعملت فيها كانت محمودة كالمنع لله والبغض لله والمستقيم على اقسام منها مستقيم بقوله وفعله وقلبه ومستقيم بقلبه وفعله دون قوله اى لم يعلم احدا اولهذين الفوز والاول اعلى ومستقيم بفعله وقوله دون قلبه وهذا يرجى له النفع بغيره ومنهم مستقيم بقوله وقلبه دون فعله ومستقيم بقوله دون فعله وقلبه ومستقيم بقلبه دون قوله وفعله ومستقيم بفعله دون قوله وقلبه وهؤلاء الاربعة عليهم لا لهم وان كان بعضهم فوق بعض وليس المراد بالاستقامة بالقول ترك الغيبة والنميمة وشبههما فان الفعل يشمل ذلك انما المراد بها

ارشاد الغير الى الصراط المستقيم وقد يكون عريا عما يرشد اليه مثال اجتماعهما رجل تفقه فى امر صلاته وحققها
ثم علمها غيره فهذا مستقيم فى قوله ثم حضر وقتها فاداها على ما علمها محافظا على اركانها الظاهرة فهذا مستقيم
فى فعله ثم علم ان مراد الله منه من تلك الصلاة حضور قلبه معه فاحضره فهذا مستقيم بقلبه وقس على ذلك
بقية الاقسام وفى التأويلات النجمية ان اقسام الهداية ثلاثة الاولى هداية العامة اى عامة الحيوانات الى جلب
منافعها وسلب مضارها واليه اشار بقوله تعالى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله وهديناه النجدين والثانية
هداية الخاصة اى للمؤمنين الى الجنة واليه الاشارة بقوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم الاية والثالثة هداية
الاخص وهى هداية الحقيقة الى الله بالله واليه الاشارة بقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وقوله انى
ذاهب الى ربى سيهدين وقوله الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب وقوله ووجدك ضالا فهدى اى
كنت ضالا فى تيه وجودك فطلبتك بجودى ووجدتك بفضلى ولطفى وهديتك بجذبات عنايتى ونور هدايتى
الى وجعلتك نورا فاهدى بك الى من اشاء من عبادى فمن اتبعك وطلب رضاك فنخرجهم من ظلمات الوجود
البشرى الى نور الروحانى ونهديهم الى صراط مستقيم كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به
الله والصراط المستقيم هو الدين القويم وهو ما يدل عليه القرءآن العظيم وهو خلق سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم فيما قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ثم هو اما الى الجنة وذلك لاصحاب اليمين كما قال تعالى والله
يدعو الى دار السلام الاية واما الى الله تعالى وهذا للسابقين المتقربين كما قال تعالى الى صراط مستقيم
صراط الله وكل ما يكون لاصحاب اليمين يحصل للسابقين وهم سابقون على اصحاب اليمين بما لهم من شهود
الجمال وكشف الجلال وهذا خاصة لسيد المرسلين ومتابعيه كما قال تعالى قل هذه سبيلى ادعو الى الله على
بصيرة انا ومن اتبعنى (قال الشيخ قدس سره) براه تش فشانند سجادهات ❋ اكر جز بحق ميرود جادهات ❋
صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل والانعام ايصال النعمة وهى فى الاصل الحالة التى
يستلذها الانسان فاطلقت على ما يستلذه من نعمة الدين الحق قال ابو العباس ابن عطاء هؤلاء المنعم عليهم هم
طبقات فالعارفون انعم الله عليهم بالمعرفة والاولياء انعم الله عليهم بالصدق والرضى واليقين والصفوة والابرار
انعم الله عليهم بالحلم والرأفة والمريدون انعم الله عليهم بحلاوة الطاعة والمؤمنون انعم الله عليهم بالاستقامة
وقيل هم الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون كما قال تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين واضيف الصراط هنا الى العباد وفى قوله وان هذا صراطى مستقيما الى ذاته
تعالى كما اضيف الدين والهدى تارة الى الله تعالى نحو افغير دين الله وان الهدى هدى الله وتارة الى العباد
نحو اليوم اكملت لكم دينكم وبهداهم اقتده وسره من وجوه الاول بيان ان ذلك كله له شرعا ولنا نفعا كما قال
تعالى شرع لكم من الدين والثانى انه له ارتضاء واختيارا ولنا سلوكا وائتمارا والثالث انه اضافه الى نفسه
قطعا لعجب العبد والى العبد تسلية لقلبه والرابع انه اضافه الى العبد تشريفا له وتقريبا والى نفسه قطعا لطمع
ابليس عنه كما قيل لما نزل قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين قال الشيطان ان لم اقدر على سلب عزة الله
ورسوله اسلب عزة المؤمنين فقال الله تعالى فلله العزة جميعا فقطع طمعه كذا فى التيسير وتكرار الصراط
اشارة الى ان الصراط الحقيقى صراطان من العبد الى الرب ومن الرب الى العبد فالذى من العبد الى الرب
طريق مخوف كم قطع فيه القوافل وانقطع به الرواحل ونادى منادى العزة لاهل العزة الطلب رد والسبيل سد
وقاطع الطريق يقطع على هذا الفريق لاقعدن لهم صراطك المستقيم الاية والذى من الرب الى العبد طريق
آمن وبالامان كائن قد سلم فيه القوافل وبالنعم محفوف المنازل يسير فيه سيارته ويقاد بالدلائل قادته
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الاية اى انعم الله على اسرارهم بانوار العناية وعلى ارواحهم باسرار الهداية
وعلى قلوبهم باثار الولاية وعلى نفوسهم فى قمع الهوى وقهر الطبع وحفظ الشرع بالتوفيق والرعاية وعن مكايد
الشيطان بالمراقبة والكلاية والنعم اما ظاهرة كارسال الرسل وانزال الكتب وتوفيق قبول دعوة الرسل
واتباع السنة واجتناب البدعة وانقياد النفس للاوامر والنواهى والثبات على قدم الصدق ولزوم العبودية
واما باطنة وهى ما انعم على ارواحهم فى بداية الفطرة باصابة رشاش نوره كما قال عليه السلام ان الله خلق الخلق
فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطأه فقد ضل فكان فتح باب صراط الله

الى العبد من رشاش ذلك النور واول الغيث رش ثم ينسكب فالمؤمنون ينظرون بذلك النور المرشوش
الى مشاهدة المغيث وينتظرون الغيث ويستعينون (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم)
بجذبات الطافك وفتحت عليهم ابواب فضلك ليهتدوا بك اليك فاصابوا بما اصابهم بك منك كذا فى التأويلات
النجمية قال الشيخ صدر الدين القنوى قدس سره فى الفكوك فى تأويل الحديث المذكور لاشك ان الوجود
المحض يتعقل فى مقابلته العدم المضاد له فان للعدم تعينا فى التعقل لا محالة وله الظلمة كما ان الوجود له النورانية
ولهذا يوصف الممكن بالظلمة فانه يتنور بالوجود فيظهر فظلمته من احد وجهيه الذى يلى العدم وكل نقص
يلحق الممكن ويوصف به انما ذلك من احكام النسبة العدمية واليه الاشارة بقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليه من نوره فظهر وخلق ههنا بمعنى التقدير فان التقدير سابق على الايجاد
ورش النور كناية عن افاضة الوجود على الممكنات فاعلم ذلك انتهى كلام الشيخ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)
بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال وكلمة غير على ثلاثة اوجه الاول
بمعنى المغايرة وفارسيته جز قال الله تعالى لتفترى علينا غيره والثانى بمعنى لا وفارسيته نا قال تعالى فمن اضطر غير
باغ ولا عاد والثالث بمعنى الا وفارسيته مكر قال تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وصرفها ههنا على هذه
الوجوه محتمل غير ان معنى الاستثناء مخصوص بقراءة النصب والغضب ثوران النفس عند ارادة الانتقام يعنى
انه حالة نفسانية تحصل عند غليان النفس ودم القلب لشهوة الانتقام وهنا نقيض الرضى او ارادة الانتقام
او تحقيق الوعيد او الاخذ الاليم او البطش الشديد او هتك الاستار والتعذيب بالنار لان القاعدة التفسيرية
ان الافعال التى لها اوائل بدايات واواخر غايات اذا لم يمكن اسنادها الى الله باعتبار البدايات يراد بها حين
الاسناد غاياتها كالغضب والحياء والتكبر والاستهزاء والغم والفرح والضحك والتبشيش وغيرها والضلال
العدول عن الطريق السوى عمدا او خطأ والمراد بالمغضوب عليهم العصاة وبالضالين الجاهلون بالله لان المنعم
عليهم هم الجامعون بين العلم والعمل فكان المقابل لهم من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل
فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى فى القاتل عمدا وغضب الله عليه ولعنه والمخل بالعلم جاهل ضال كقوله تعالى
فماذا بعد الحق الا الضلال او المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى فى حقهم من لعنه الله وغضب عليه والضالون
النصارى لقوله تعالى فى حقهم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وليس المراد تخصيص نسبة الغضب باليهود
ونسبة الضلال بالنصارى لان الغضب قد نسب ايضا الى النصارى وكذا الضلال قد نسب الى اليهود
فى القرءآن بل المراد انهما اذا تقابلا فالتعبير بالغضب الذى هو ارادة الانتقام لا محالة باليهود اليق لغاية تمردهم
فى كفرهم من اعتداءاتهم وقتلهم الانبياء وقولهم ان الله فقير ونحن اغنياء وغير ذلك فان قلت من المعلوم ان المنعم
عليهم غير الفريقين فما الفائدة فى ذكرهما بعدهم قلت فائدته وصف ايمانهم بكمال الخوف من حال الطائفتين
بعد وصفه بكمال الرجاء فى قوله الذين انعمت عليهم قال عليه السلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا واعلم
ان حكم الغضب الالهى تكميل مرتبة قبضة الشمال فانه وان كانتا يديه المقدستين يمينا مباركة لكن
حكم كل واحدة يخالف الاخرى فالارض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه فلليد الواحدة المضاف اليها
عموم السعداء الرحمة والجنان وللاخرى القهر والغضب ولوازمهما فسر حكم الغضب هو التكميل المشار اليه
فى الجمع بين حكم اليدين والوقاية واصاحب الاكلة اذا ظهرت فى عضو واحد وقدر ان يكون الطبيب والده
او صديقه او شقيقه فانه مع فرط محبته يبادر لقطع العضو المعتل لما لم يكن فيه قابلية الصلاح والسر الثالث
التطهير كالذهب الممزوج بالرصاص والنحاس اذا قصد تمييزه لابد وان يجعل فى النار الشديدة والضلال هو
الحيرة فمنها ما هى مذمومة ومنها ما هى محمودة ولها ثلاث مراتب حيرة اهل البدايات وحيرة المتوسطين من اهل
الكشف والحجاب وحيرة اكابر المحققين واول مزيل للحيرة الاولى تعين المطلب المرجح كرضى الله والتقرب اليه
والشهود الذاتى ثم معرفة الطريق الموصل كملازمة شريعة الكمل ثم السبب المحصل كالمرشد ثم ما يمكن
الاستعانة به فى تحصيل الغرض من الذكر والفكر وغيرهما ثم معرفة العوائق وكيفية ازالتها كالنفس
والشيطان فاذا تعينت هذه الامور الخمسة حينئذ تزول هذه الحيرة وحيرة الاكابر محمودة لا تظنن ان هذه الحيرة
سببها قصور فى الادراك ونقص مانع من كمال الجلاء هنا والاستجلاء لما هنالك بل هذه حيرة يظهر حكمها بعد كمال

التحقق بالمعرفة والشهود ومعاينة سر كل وجود والاطلاع التام على احدية الوجود وفى تفسير النجم غير المغضوب عليهم ولا الضالين هم الذين اخطأهم ذلك النور فضلوا فى تيه هوى النفس وتاهوا فى ظلمات الطبع والتقليد فغضب الله عليهم مثل اليهود ولعنهم بالطرد والتبعيد حتى لم يهتدوا الى الشرع القويم ووقعوا عن الصراط المستقيم اى عن المرتبة الانسانية التى خلق فيها الانسان فى احسن تقويم ومسخوا قردة وخنازير صورة اومعنى اولما وقعوا عن الصراط المستقيم فى سد البشرية نسوا الطاف الربوبية وضلوا عن صراط التوحيد فاخذهم الشيطان بشرك الشرك كالنصارى فاتخذوا الهوى آلها والدنيا الها وقالوا ثالث ثلاثة نسوا الله فنسيهم هذا بحسب اول الحال وفيه وجه آخر معتبر فيه عارض المآل وهو ان يراد غير المغضوب عليهم بالغيبة بعد الحضور والمحنة بعد السرور والظلمة عقب النور نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من الرجوع الى النقصان بعد الزيادة ولا الضالين بغلبة الفسق والفجور وانقلاب السرور بالشرور ووجه ثالث يعبر فى السلوك الى ملك الملوك وهو غير المغضوب عليهم بالاحتباس فى المنازل والانقطاع عن القوافل ولا الضالين بالصدود عن المقصود (آمين) اسم فعل بمعنى استجب معناه يا الله استجب دعاءنا اوافعل يارب بنى على الفتح كاين وكيف لالتقاء الساكنين وليست من القرءآن اتفاقا لانها لم تكتب فى الامام ولم ينقل احد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم رضى الله تعالى عنهم انها قرءآن لكن يسن ان يقول القارئ بعد الفاتحة آمين مفصولة عنها لقوله عليه السلام علمنى جبريل آمين عند فراغى من قرآءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وزاده على رضى الله عنه توضيحا فقال آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده فسره ان الخاتم كما يمنع من المختوم الاطلاع عليه والتصرف فيه يمنع آمين من دعاء العبد الخيبة وقال وهب يخلق بكل حرف منه ملك يقول اللهم اغفر لمن قال آمين وفى الحديث الداعى والمؤمن شريكان يعنى به قوله تعالى قد اجيبت دعوتكما قال عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقولها فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وسره ما مر فى كلام وهب اما الموافقة فقيل فى الزمان وقيل فى الاخلاص والتوجه الاحدى واختلف فى هؤلاء الملائكة قيل هم الحفظة وقيل غيرهم ويعضده ماروى انه عليه السلام قال فان من وافق قوله قول اهل السماء ويمكن ان يجمع بين القولين بان يقولها الحفظة واهل السماء ايضا قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة ان الفاتحة نسخة الكمال ممن اخرج للاستكمال من ظلمة العدم والاستهلاك فى نور القدم الى انوار الروحانية ثم بواسطة النفخ الى عالم الجسمانية ليكمل مرتبة الانسانية التى لجمعيتها مظنة الانانية فاحتاج الى طلب الهداية الى منهاج العناية التى منها جاء ليرجع من الوجود الى العدم بل من الحدوث الى القدم فيفقد الموجود فقدانا لا يجده ليجد المفقود وجدانا لا يفقده ولما حصل لهم رتبة الكمال بقبول هذا السؤال كما قال ولعبدى ما سأل فاضاف الى نفسه بلام التمليك ثم ختم اكرم الاكرمين نسخة حالهم بخاتم آمين اشارة الى ان عباده المخلصين ليس لاحد من العالمين ان يتصرف فيهم بان يفك خاتم رب العالمين ولهذا ايس ابليس فقال الا عبادك منهم المخلصين وعدد آيات سورة الفاتحة سبع فى قول الجمهور على ان احداها ما آخرها انعمت عليهم لا التسمية اوبالعكس وعدد كلماتها فى التيسير انها خمس وعشرون وحروفها مائة وثلاثة وعشرون وفى عين المعانى كلماتها سبع وعشرون وحروفها مائة واثنان واربعون وسبب الاختلاف بعد عدم اعتبار البسملة اعتبار الكلمات المنفصلة كتابة اوالمستقلة تلفظا واعتبار الحروف الملفوظة اوالمكتوبة اوغيرهما وسئل عطاء اى وقت انزلت فاتحة الكتاب قال انزلت بمكة يوم الجمعة كرامة اكرم الله بها محمدا عليه السلام وكان معها سبعة الاف ملك حين نزل بها جبريل على محمد عليهما السلام روى ان عيرا قدمت من الشام لابى جهل بمال عظيم وهى سبع قوافل ورسول الله واصحابه ينظرون اليها واكثر الصحابة بهم جوع وعرى فخطر ببال النبى صلى الله عليه وسلم شئ لحاجة اصحابه فنزل قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى اى مكان سبع قوافل لابى جهل لا ينظر الى ما اعطينا السبع جلالة هذه العطية فلم تنظر الى ما اعطيته من متاع الدنيا الدنية ولما علم اللطان تمنيه لم يكن لنفسه بل لاصحابه قال ولا تحزن عليهم وامره بما يزيد نفعه على نفع المال واخفض جناحك للمؤمنين فان تواضعك اطيب لقلوبهم من ظفرهم بمحبوبهم ومن فضائلها ايضا قوله عليه السلام لو كانت فى التوراة لما تهود قوم موسى ولو كانت فى الانجيل لما تنصر قوم عيسى ولو كانت فى الزبور لما مسخ قوم داود عليهم السلام وايما مسلم قرأها اعطاه الله من الاجر كانما قرأ القرءآن

كله وكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ومن فضائلها ايضا ان الحروف المعجمة فيها اثنان وعشرون واعوان النبى صلى الله عليه وسلم بعد الوحى اثنان وعشرون وان ليست فيها سبعة احرف ثاء الثبور وجيم الجحيم وخاء الخوف وزاى الزقوم وشين الشقاوة وظاء الظلمة وفاء الفراق فمعتقد هذه السورة قارئها على التعظيم والحرمة آمن من هذه الاشياء السبعة وعن حذيفة رضى الله عنه انه عليه السلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى المكتب الحمد لله رب العالمين فيسمعه ويرفع عنهم بسببه العذاب اربعين سنة وقد مر ماروى من ايداع علوم جميع الكتب فى القرءآن ثم فى الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير الكل ومن قرأها فكانما قرأ الكل قال فى التفسير الكبير والسبب ان المقصود من جميع الكتب علم الاصول والفروع والمكاشفات وقد علم اشتمالها عليها قال الفنارى وذلك لما علم ان اولها الى قوله تعالى مالك يوم الدين اشارة الى العقائد المبدئية المتعلقة بالالهيات ذاتا وصفة وفعلا لان حصر الحمد يقتضى حصر الكمالات الذاتية والوصفية والفعلية ثم بالنبوات والولايات لانهما اجلاء النعم اواخصاؤها ثم الى العقائد المعادية الكونية مالكا للامر كله يوم المعاد واوسطها من قوله اياك نعبد واياك نستعين الى اقسام الاحكام الرابطة بين الحق والعبد من العبادات وذلك ظاهر ومن المعاملات والمزاجر لان الاستعانة الشرعية اما لجلب المنافع اولدفع المضار واخرها الى طلب المؤمنين وجوه الهداية المرتبة على الايمان المشار اليه فى القسم الاول والاسلام المشار اليه فى القسم الثانى وهى وجوه الاحسان اعنى المراتب الثلاث من الاخلاق الروحانية المحمودة ثم المراقبات المعهودة فى قوله عليه السلام ان تعبد الله كانك تراه ثم الكمالات المشهودة عند الاستغراق فى مطالع الجلال الرافع لكاف التشبيه الذى فى ذلك الخبر والدافع لغضب تنزيه الجبر وضلال نسبة القدر وهذه هى المسماة بعلوم المكاشفات والله اعلم باسرار كلية المبطنات

سورة البقرة مدنية وآياتها مائتان وسبع وثمانون

ان قلت اى سورة اطول وايها اقصر واى آية اطول وايها اقصر قلت قال اهل التفسير اطول سورة فى القرءآن البقرة واقصرها الكوثر واطول آية آية الدين واقصرها آية والضحى والفجر واطول كلمة فيه كلمة فاسقيناكموه فان قلت ما الحكمة فى ان سورة البقرة اعظم السور ماعدا الفاتحة الجواب لانها فصلت فيها الاحكام وضربت الامثال واقيمت الحجج اذلم تشتمل سورة على ما اشتملت عليه ولذلك سميت فسطاط القرءآن قال ابن العربى فى احكام القرءآن سمعت بعض اشياخى يقول فيها الف امر والف نهى والف حكم والف خبر ولعظم فقهها اقام ابن عمر رضى الله عنه ثمانى سنين على تعلمها كذا فى اسئلة الحكم قال الامام فى التفسير الكبير اعلم انه مر على لسانى فى بعض الاوقات ان هذه السورة الكريمة يمكن ان يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسئلة فاستبعد هذا بعض الحساد وقوم من اهل الجهل والغى والعناد وحملوا ذلك على ما الفوه من انفسهم من التعلقات الفارغة عن المعانى والكلمات الخالية عن تحقيق المعاقد والمبانى فلما شرعت فى تصنيف هذا الكتاب قدمت هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على ان ماذكرنا امر ممكن الحصول قريب الوصول انتهى وانما سورت السور طوالا واوساطا وقصارا تنبيها على ان الطول ليس من شرط الاعجاز فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهى معجزة اعجاز سورة البقرة ثم ظهرت لذلك التسوير حكمة فى التعليم وتدريج الاطفال من السور القصار الى ما فوقها تيسيرا من الله تعالى على عباده وفى ذلك ايضا ترغيب وتوسيع فى الفضيلة فى الصلاة وغيرها كسورة الاخلاص من القصار تعدل ثلث القرءآن لمن فهم ذلك فاز بسر التسوير فان قلت ما الحكمة فى تعدد مواطن نزول القرءآن وتكرر مشاهده مكيا مدنيا ليليا نهاريا سفريا حضريا صيفيا شتائيا نوميا برزخيا يعنى بين الليل والنهار ارضيا سمائيا غاريا ما نزل فى الغار يعنى تحت الارض برزخيا ما نزل بين مكة والمدينة عرشيا معراجيا ما نزل ليلة المعراج آخر سورة البقرة الجواب الحكمة فى ذلك تشريف مواطن الكون كلها بنزول الوحى الالهى فيها وحضور الحضرة المحمدية عندها كما قيل سر المعراج والاسراء به وسير المصطفى فى مواطن الكون كلها كان الكون والعرش والجنان يسأل كل موطن بلسان الحال ان يشرفه الله تعالى بقدوم قدم حبيبه وتكحل اعين الاعيان والكبار بغبار نعال قدم سيد السادات ومفخر موجودات الولاة ماشم الكون رائحة الوجود وما بدئ من حضرة الكمون لمعة الشهود كما ورد بلسان القدس لولاك لولاك لما خلقت الافلاك

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) ان قلت ما الحكمة فى ابتدآء البقرة بالم والفاتحة بالحرف الظاهر المحكم الجواب قال السيوطى رحمه الله
فى الاتقان اقول فى مناسبة ابتدآء البقرة بالم انه لما ابتدئت الفاتحة بالحرف المحكم الظاهر لكل احد بحيث لا يعذر
فى فهمه ابتدئت البقرة بمقابله وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل ليعلم مراتبه للعقلاء والحكماء ليعجزهم
بذلك ليعتبروا ويدبروا آياته كذا فى خواتم الحكم وحل الرموز وكشف الكنوز للعارف بالله الشيخ المعروف بعلى
دده واعلم انهم تكلموا فى شأن هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة
اى من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وهى سر القرءآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى
وفائدة ذكرها طلب الايمان بها او الالف الله واللام لطيف والميم مجيد اى انا الله اللطيف المجيد كما ان قوله تعالى
الر انا الله ارى وكهيعص انا الله الكريم الهادى الحكيم العليم الصادق وكذا قوله تعالى ق اشارة الى انه القادر
القاهر ون اشارة الى انه النور الناصر فهى حروف مقطعة كل منها مأخوذ من اسم من اسمائه تعالى والاكتفاء
ببعض الكلمة معهود فى العربية كما قال الشاعر قلت لها قفى فقالت ق اى وقفت وقيل ان هذه الحروف
ذكرت فى اوآئل بعض السور لتدل على ان القرءآن مؤلف من الحروف التى هى ا ب ت ث فجاء بعضها مقطعا
وبعضها مؤلفا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرءآن وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينتظمون منه كلامهم
فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لاتوا بمثله هذا ما جنح اليه اهل التحقيق
ولكن فيه نظر لانه يفهم من هذا القول ان لا يكون لتلك الحروف معان واسرار والنبى عليه السلام اوتى علم
الاولين والآخرين فيحتمل ان يكون الم وسائر الحروف المقطعة من قبيل المواضعات المعميات بالحروف بين
المحبين لا يطلع عليها غيرهما وقد واضعها الله تعالى مع نبيه عليه السلام فى وقت لا يسعه فيه ملك مقرب
ولا نبى مرسل ليتكلم بها معه على لسان جبريل عليه السلام باسرار وحقائق لا يطلع عليها جبريل ولا غيره
يدل على هذا ما روى فى الاخبار ان جبريل عليه السلام لما نزل بقوله تعالى كهيعص فلما قال كاف فقال
النبى عليه السلام علمت فقال ها فقال علمت فقال يا فقال علمت فقال عين فقال علمت فقال صاد فقال علمت
فقال جبريل عليه السلام كيف علمت مالم اعلم وقال الشيخ الاكبر قدس سره فى اول تفسير الم ذلك الكتاب
واما الحروف المجهولة التى انزلها الله تعالى فى اوآئل السور فسبب ذلك من اجل لغو العرب عند نزول القرءآن
فانزلها سبحانه حكمة منه حتى تتوفر دواعيهم لما انزل الله اذا سمعوا مثل هذا الذى ما عهدوه والنفوس من
طبعها ان تميل الى كل امر غريب غير معتاد فينصتون عن اللغو ويقبلون عليها ويصغون اليها فيحصل المقصود فيما
يسمعونه مما يأتى بعد هذه الحروف النازلة من عند الله تعالى وتتوفر دواعيهم للنظر فى الامر المناسب بين حروف
الهجاء التى جاء بها مقطعة وبين ما يجاورها من الكلام وابهم الامر عليهم من عدم اطلاعهم عليها فرد الله بذلك
شرا كبيرا من عنادهم وعتوهم ولغوهم كان يظهر منهم فهذا رحمة للمؤمنين وحكمة منه سبحانه انتهى كلامه
قال بعض العارفين كل ما قيل فى شرحها بطريق النظر والاعتبار فتخمين النظر من قائله لا حقيقة الا من
كشف الله له عن قصده تعالى بها يقول الفقير جامع هذه المعارف واللطائف شكر الله مساعيه وبسط اليه
من عنده اياديه قال شيخى الاكمل فى هامش كتاب اللائحات البرقيات له بعد ما ذكر بعض خواص الم على طريق
الحقيقة زلق فى امثال هذا المتشابه اقدام الزآئغين عن العلم وتحير عقول الراسخين فى العلم وبعضهم توقف تأدبا
مع الله تعالى ولم يتعرض بل قالوا آمنا به كل من عند ربنا وبعضهم تأولوا لكن بوجوه بعيدة عن المرام والمقام بعدا
بعيدا الا انها مستحسنة شرعا ومقبولة دينا وعقلا وما يذكر اى بالمقصود والمرام على ما هو عليه فى نفسه
فى الواقع الا اولوا الالباب لكن بتذكير الله تعالى والهامه واطلاعه تخصيصا لهم وتمييزا لهم عما عداهم
اختصاصا الهيا ازليا لهم من عند الله لا بتفكر انفسهم ونظر عقولهم بل بمحض فيض الله والهامه انتهى كلامه
الشريف قدس سره اللطيف وقال عبد الرحمن البسطامى قدس سره مؤلف الفوآئح المسكية فى بحر الوقوف
ثم ان بعض الانبياء علموا اسرار الحروف بالوحى الربانى والالقاء الصمدانى وبعض الاولياء بالكشف الجلى النورانى
والفيض العلى الروحانى وبعض العلماء بالنقل الصحيح والعقل الرجيح وكل منهم قد اخبر اصحابه ببعض اسرارها
اما بطريق الكشف والشهود او بطريق الرسم والحدود والصحيح ان الله تعالى طوى علم اسرار الحروف عن اكثر

هذه الامة لما فيها من الحكم الالهية والمصالح الربانية ولم يأذن للاكابر ان يعرفوا منه الا بعض اسراره التى
يشتمل عليها تركيبها الخاص المنتج انواع التسخيرات والتأثيرات فى العوالم العلويات والسفليات الى غير ذلك انتهى
كلام بحر الوقوف وفى التأويلات النجمية هيئة الصلاة التى ذكرت فى القرءآن ثلاث القيام لقوله تعالى وقوموا
لله قانتين والركوع لقوله تعالى واركعوا مع الراكعين والسجود لقوله تعالى واسجد واقترب فالالف فى الم
اشارة الى القيام واللام اشارة الى الركوع والميم اشارة الى السجود يعنى من قرأ سورة الفاتحة التى هى مناجاة
العبد مع الله فى الصلاة التى هى معراج المؤمنين يجيبه الله تعالى بالهداية التى طلب منه بقوله اهدنا ثم اعلم
ان المتشابه كالمحكم من جهة اجر التلاوة لما ورد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف الف حرف ولام حرف
وميم حرف ففى الم تسع حسنات (ذلك الكتاب) الم مبتدأ على انه اسم القرءآن على احد الوجوه وذلك خبره
اشارة الى الكتاب فيكون الكتاب صفة والمراد به الكتاب الكامل الموعود انزاله فى الكتب المتقدمة وانما
اشار بذلك الى ما ليس ببعيد لان الكتاب من حيث كونه موعودا فى حكم البعيد قالوا لما انزل الله تعالى على
موسى التوراة وهى الف سورة كل سورة الف آية قال موسى عليه السلام يا رب ومن يطيق قرآءة هذا الكتاب
وحفظه فقال تعالى انى انزل كتابا اعظم من هذا قال على من يا رب قال على خاتم النبيين قال وكيف تقرأ امته
ولهم اعمار قصيرة قال انى ايسره عليهم حتى يقرأه صبيانهم قال يا رب وكيف تفعل قال انى انزلت من السماء الى
الارض مائة وثلاثة كتب خمسين على شيث وثلاثين على ادريس وعشرين على ابراهيم والتوراة عليك والزبور
على داود والانجيل على عيسى وذكرت الكائنات فى هذه الكتب فاذكر جميع معانى هذه الكتب فى كتاب محمد
صلى الله عليه وسلم واجمع ذلك كله فى مائة واربع عشرة سورة واجعل هذه السور فى ثلاثين جزأ والاجزآء
فى سبعة اسباع ومعنى هذه الاسباع فى سبع آيات الفاتحة ثم معانيها فى سبعة احرف وهى بسم الله ثم ذلك كله
فى الالف من الم ثم افتتح سورة البقرة فاقول الم ولما وعد الله ذلك فى التوراة وانزله على محمد عليه السلام جحدت
اليهود لعنهم الله ان يكون هذا ذلك فقال تعالى ذلك الكتاب كما فى تفسير التيسير ولهذه الاية وجوه اخر من
الاعراب ذكرت فى التفاسير فلتطلب ثمة (لا ريب) كائن (فيه) فقوله ريب اسم لا وفيه خبره وهو فى الاصل
من رابنى الشئ اذا حصل فيك الريبة وهى قلق النفس واضطرابها سمى به الشك لانه يقلق النفس ويزيل
الطمأنينة وفى الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان
لنوآئبه وفى التفسير المسمى بالتيسير الريب شك فيه خوف وهو اخص من الشك فكل ريب شك وليس كل شك
ريبا والشك هو التردد بين النقيضين لا ترجيح لاحدهما على الآخر عند الشاك ولم يقدم الظرف على الريب لئلا
يذهب الفهم الى ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه فان قلت الكفار شكوا فيه فلم يقروا بكتاب الله تعالى والمبتدعون
من اهل القبلة شكوا فى معانى متشابهه فاجروها على ظاهرها وضلوا بها والعلماء شكوا فى وجوهه فلم يقطعوا
القول على وجه منها والعوام شكوا فيه فلم يفهموا معانيه فما معنى نفى الريب عنه فالجواب ان هذا نفى الريب عن
الكتاب لا عن الناس والكتاب موصوف بانه لا يتمكن فيه ريب فهو حق صدق معلوم ومفهوم شك فيه
الناس او لم يشكوا كالصدق صدق فى نفسه وان وصفه الناس بالكذب والكذب كذب وان وصفه الناس
بالصدق فكذا الكتاب ليس ما يلحقه ريب او يتمكن فيه عيب ويجوز ان يكون خبرا فى معنى الامر ومعناه
لا ترتابوا كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج والمعنى لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا
كما فى الوسيط والعيون (هدى) اى هو رشد وبيان (للمتقين) اى للضالين المشارفين التقوى الصائرين
اليه ومثله حديث من قتل قتيلا فله سلبه وفى تفسير الارشاد اى المتصفين بالتقوى حالا اوما لا وتخصيص
الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون بآثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن وكافر
وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس اى كلهم بيانا وهدى للمتقين على الخصوص ارشادا قال فى التيسير
وكذلك يقال فى كل من انتفع بشئ دون غيره انه لك على الخصوص اى انت المنتفع به وحدك وليس فى ان الناس
لم يهتدوا ما يخرجه من ان يكون هدى فالشمس شمس وان لم يرها الضرير والعسل عسل وان لم يجد طعمه
الممرور والمسك مسك وان لم يدرك طيبه المأنوف فالخيبة كل الخيبة لمن عطش والبحر زاخر وبقى فى الظلمة والبدر

زاهر وخبث والطيب حاضر وذوى والروض ناضر والحسرة كل الحسرة لمن عصى وفسق والقرءآن بناءه آمر وفارق الرغبة والرهبة والوعد متواتر والوعيد متظاهر ولذلك قال تعالى وانه لحسرة على الكافرين والمتقى اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة قال البغوى هو مأخوذ من الاتقاء واصله الحاجز بين الشيئين ومنه يقال اتقى بترسه اى جعله حاجزا بين نفسه وبين ما يقصده وفى الحديث كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اى اذا اشتد الحرب جعلناه حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقى يجعل امتثال امر الله والاجتناب عما نهاه حاجزا بينه وبين العذاب والتقوى فى عرف الشرع عبارة عن كمال التوقى عما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقية المأمور بها فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته واقصى مراتب هذا النوع من التقوى ما انتهى اليه هم الانبياء عليهم السلام حيث جمعوا رياستى النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى معالم الارواح ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق والاستغراق فى شؤن الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين فهداية العام بالاسلام وهداية الخاص بالايقان والاحسان وهداية الاخص بكشف الحجب ومشاهدة العيان وفى التأويلات النجمية المتقون هم الذين اوفوا بعهد الله من بعد ميثاقه ووصلوا بها ما امر الله ان يوصل به من مأمورات الشرع ظاهرا وباطنا يدل على هذا قوله تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم الى قوله واياى فاتقون اذا انتم اقررتم بربوبيتى بقولكم بلى يوم الميثاق اوفوا بعهدى الذى عاهدتمونى عليه وهو العبودية الخالصة لى اوف بعهدكم الذى عاهدتكم عليه وهو الهداية الى ‌ وفى الرسالة القشيرية والمتقى مثل ابن سيرين كان له اربعون حبا سمنا فاخرج غلامه فارة من حب فسأله من اى حب اخرجتها فقال لا ادرى فصبها كلها او مثل ابى يزيد البسطامى اشترى بهمذان حب القرطم ففضل منه شىء فلما رجع الى بسطام رأى فيه نملتين فرجع الى همذان ووضع النملتين (وحكى) ان ابا حنيفة رحمه الله كان لا يجلس فى ظل شجرة غريمه ويقول فى الخبر كل قرض جر نفعا فهو ربا وقيل ان ابا يزيد غسل ثوبه فى الصحرآء مع صاحب له فقال له نعلق الثوب فى جدار الكروم فقال لا نضرب الوتد فى جدار الناس فقال نعلقه فى الشجر فقال انه يكسر الاغصان فقال نبسطه على الارض فقال انه علف الدواب لا نستره عنها فولى ظهره حتى جف جانب ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر (الذين يؤمنون بالغيب) الجملة صفة مقيدة للمتقين ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغى مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل وموضحة ان فسر بمايعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصى غالبا الا يرى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام والايمان هو التصديق بالقلب لان المصدق يؤمن المصدق اى يجعله امينا من التكذيب او يؤمن نفسه من العذاب بفعله والله تعالى مؤمن لانه يؤمن عباده من عذابه بفضله واستعماله بالباء ههنا لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمأنينة قال فى الكواشى الايمان فى الشريعة هو الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان والاسلام الخضوع والانقياد فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه تصديق فقد يكون الرجل مستسلما ظاهرا غير مصدق باطنا ولا يكون مصدقا باطنا غير منقاد ظاهرا قال المولى ابو السعود رحمه الله فى تفسيره هو فى الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزآء ونظائرها وهل هو كاف فى ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للتمكين منه والاول رأى الشيخ الاشعرى ومن شايعه والثانى مذهب ابى حنيفة رحمه الله ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد

وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل فى الكفر عند المعتزلة والغيب مصدر سمى به الغائب توسعا كقولهم للزائر زور وهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتدآء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذى اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الاحكام والشرآئع واليوم الآخر واحواله من البعث والنشور والحساب والجزآء وهو المراد ههنا فالباء صلة الايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا من الوثوق وهو واقع موقع المفعول به وان جعلت الغيب مصدرا على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل اى يؤمنون ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اى غائبين عن النبى صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة ويدل عليه انه قال حارث بن نفير لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه نحن نحتسب لكم يا اصحاب محمد ما سبقتمونا به من رؤية محمد صلى الله عليه وسلم وصحبته فقال عبد الله ونحن نحتسب ايمانكم به ولم تروه وان افضل الايمان ايمان بالغيب ثم قرأ عبد الله الذين يؤمنون بالغيب كذا فى تفسير ابى الليث واما عن الناس اى غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم فالباء حينئذ للآلة وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه احد منا فاقبل حتى جلس بين يدى رسول الله عليه السلام وركبته تمس ركبته فقال يا محمد اخبرنى عن الاسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا فقال صدقت فتعجبنا من سؤاله وتصديقه ثم قال فما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره فقال صدقت ثم قال فما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت ثم قال فاخبرنى عن الساعة فقال ما المسئول عنها باعلم من السائل قال صدقت قال فاخبرنى عن اماراتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى العراة الحفاة رعاء الشاء يتطاولون فى بنيان المدر قال صدقت ثم انطلق فلما كان بعد ثالثة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر هل تدرى من الرجل قلت الله ورسوله اعلم قال ذاك جبريل اتاكم يعلمكم امر دينكم وما اتانى فى صورة الا عرفته فيها الا فى صورته هذه وفى التأويلات النجمية يؤمنون بالغيب اى بنور غيبى من الله فى قلوبهم نظروا فى قول محمد صلى الله عليه وسلم فشاهدوا واصدق قوله فامنوا به كما قال عليه السلام المؤمن ينظر بنور الله واعلم ان الغيب غيبان غيب غاب عنك وغيب غبت عنه فالذى غاب عنك عالم الارواح فانه قد كان حاضرا حين كنت فيه بالروح وكذرة وجودك فى عهد ألست بربكم واستماع خطاب الحق ومطالعة آثار الربوبية وشهود الملائكة وتعارف الارواح من الانبياء والاولياء وغيرهم فغاب عنك اذا تعلقت بالقالب ونظرت بالحواس الخمس اى بالمحسوسات من عالم الاجسام واما الغيب الذى غبت عنه فغيب الغيب وهو حضرة الربوبية قد غبت عنه بالوجود وما غاب عنك بالوجود وهو معكم اينما كنتم انت بعيد منه وهو قريب منك كما قال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد انتهى كلام الشيخ نجم الدين قدس سره (قال الشيخ سعدى)

دوست نزديكتر از من بمنست * وين عجبتر كه من ازوى دورم
چكنم با كه توان كفت كه او * دركنار من ومن مهجورم

(ويقيمون الصلاة) الصلاة اسم للدعاء كما فى قوله تعالى وصل عليهم اى ادع لهم والثناء كما فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون والقرآءة كما فى قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك اى بقرآءتك والرحمة كما فى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم والصلاة المشروعة المخصوصة بافعال واذكار سميت بها لما فى قيامها من القرآءة وفى قعودها من الثناء والدعاء ولفاعلها من الرحمة والصلاة فى هذه الآية اسم جنس اريد بها الصلوات الخمس واقامتها عبارة عن المواظبة عليها من قامت السوق اذا انفقت او عن التشمر لادآئها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او عن ادآئها فان قول المؤذن قد قامت الصلاة معناه اخذوا فى ادآئها عبر عن ادآئها بالاقامة

لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح اوعن تعديل اركانها وحفظها
من ان يقع فى شئ من فرآئضها وسننها وادآئها زيغ من اقام العود اذا قومه وعدله وهو الاظهر لانه اشهر
والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرآئض والسنن
وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذينهم عن صلاتهم ساهون
قال ابراهيم النخعى اذا رأيت رجلا يخفف الركوع والسجود فارحم على عياله يعنى من ضيق المعيشة
وذكران حاتم الزاهد دخل على عاصم بن يوسف فقال له عاصم يا حاتم هل تحسن ان تصلى فقال نعم قال كيف
تصلى قال اذا تقارب وقت الصلاة اسبغ الوضوء ثم استوى فى الموضع الذى اصلى فيه حتى يستقر كل عضو منى
وارى الكعبة بين حاجبى والمقام بحيال صدرى والله فوقى يعلم ما فى قلبى وكان قدمى على الصراط والجنة
عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت خلفى واظن انها آخر الصلاة ثم اكبر تكبيرا باحسان واقرأ قرآءة بتفكر
واركع ركوعا بالتواضع واسجد سجودا بالتضرع ثم اجلس على التمام واتشهد على الرجاء واسلم على السنة
ثم اسلمها للاخلاص واقوم بين الخوف والرجاء ثم اتعاهد على الصبر قال عاصم يا حاتم هكذا صلاتك قال كذا
صلاتى منذ ثلاثين سنة فبكى عاصم وقال ما صليت من صلاتى مثل هذا قط كذا فى تنبيه الغافلين (قال السعدى)
كه داند چو در بند حق نيستى * اكر بى وضو در نماز ايستى * قال فى تفسير التيسير المذكور فى الاية
اقامة الصلاة والله تعالى امر فى الصلاة باشياء باقامتها بقوله واقيموا الصلاة وبالمحافظة عليها وادامتها بقوله
الذينهم على صلاتهم دآئمون وبادآئها فى اوقاتها بقوله كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وبادآئها فى جماعة بقوله
واركعوا مع الراكعين وبالخشوع فيها بقوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون وبعد هذه الاوامر صارت الناس
على طبقات طبقة لم يقبلوها ورأسهم ابو جهل لعنه الله قال الله تعالى فى حقه فلا صدق ولا صلى وذكر مصيرهم
فقال ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين وطبقة قبلوها ولم يؤدوها
وهم اهل الكتاب قال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف وهم اهل الكتاب اضاعوا الصلاة وذكر مصيرهم فقال
فسوف يلقون غيا وهى دركة فى جهنم هى اهيب موضع فيها تستغيث الناس منها كل يوم كذا وكذا مرة
ثم قال الله الا من تاب اى من اليهودية والنصرانية وآمن اى بمحمد وعمل صالحا اى حافظ على الصلاة وطبقة
ادوا بعضا ولم يؤدوا بعضا متكاسلين وهم المنافقون قال الله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وذكران مصيرهم ويل وهو واد فى جهنم لو جعلت فيه جبال الدنيا لماعت
اى سالت قال النبى صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة حتى مضى وقتها عذب فى النار حقبا والحقب ثمانون سنة
كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة مما تعدون قالوا وتأخير الصلاة عن وقتها كبيرة واصغر الكبيرة
ما قيل انه يكون كانه زنى بامه سبعين كما فى روضة العلماء وطبقة قبلوها وهم يراعونها فى مواقيتها بشرآئطها
ورأسهم المصطفى صلى الله عليه وسلم قال تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل وقال تعالى ان صلاتى
ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين الاية واصحابه كذلك فذكرهم الله تعالى بقوله قد افلح المؤمنون الذينهم
فى صلاتهم خاشعون وذكر مصيرهم فقال اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وهو ارفع موضع فى الجنة
وابهاه ينال المؤمن فيه مناه وينظر الى مولاه قال الحكماء كن نجما فان لم تستطع فكن قمرا فان لم تستطع فكن
شمسا اى مصليا جميع الليل كالنجم يشرق جميع الليل او كالقمر يضئ بعض الليل او كالشمس يضئ بالنهار
معناه فصل بالنهار ان لم تستطع بالليل كذا فى زهرة الرياض واعلم ان الجماعة من فروض الكفاية وفيها فضل
وليست بفرض عند عامة العلماء حتى اذا صلى وحده جاز وفاته فضل الجماعة وقال احمد بن حنبل ان الجماعة
فرض وليست بنافلة حتى اذا صلى وحده لم تجز صلاته غيرانها وان لم تكن فريضة عندنا فالواجب على المسلم
ان يتعاهد ويحفظها قال تعالى يا قومنا اجيبوا داعى الله قال بعضهم المراد من الداعى المؤذنون الذين يدعون
الى الجماعة فى الصلوات الخمس وتارك الجماعة شر من شارب الخمر وقاتل النفس بغير حق ومن القتات ومن
العاق لوالديه ومن الكاهن والساحر ومن المغتاب وهو ملعون فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان وهو
ملعون على لسان الملائكة لا يعاد اذا مرض ولا تشهد جنازته اذا مات قال النبى عليه السلام تارك
الجماعة ليس منى ولا انا منه ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا اى نافلة وفريضة فان ماتوا على حالهم فالنار

اولى بهم كذا فى روضة العلماء وقال فى نصاب الاحتساب قال عليه السلام لقد هممت ان آمر رجلا
يصلى بالناس وانظر الى اقوام يتخلفون عن الجماعة فاحرق بيوتهم وهذا يدل على جواز احراق بيت الذى
يتخلف عن الجماعة لان الهم بالمعصية لا يجوز من الرسول عليه السلام لانه معصية فاذا علم جواز احراق البيت
على ترك السنة المؤكدة فما ظنك فى احراق البيت على ترك الواجب والفرض وما ظنك فى احراق آلات المعصية
انتهى كلام النصاب هذا وعن ابن عباس رضى الله عنه بعث الله نبيه عليه السلام بشهادة ان لا اله الا الله
فلما صدق زاد الصلاة فلما صدق زاد الزكاة فلما صدق زاد الصيام فلما صدق زاد الحج ثم الجهاد ثم اكمل لهم الدين
قال مقاتل كان النبى عليه السلام يصلى بمكة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشاء فلما عرج به الى السماء امر
بالصلوات الخمس كما فى روضة الاخيار وانما فرضت الصلاة ليلة المعراج لان المعراج افضل الاوقات واشرف
الحالات واعز المناجاة والصلاة بعد الايمان افضل الطاعات وفى التعبد احسن الهيئات ففرض افضل العبادات
فى افضل الاوقات وهو وصول العبد الى ربه وقربه منه واما الحكمة فى فرضيتها فلانه صلى الله عليه وسلم لما
اسرى به شاهد ملكوت السموات باسرها وعبادات سكانها من الملائكة فاستكثر عليه السلام غبطة ذلك لامته
فجمع الله له فى الصلوات الخمس عبادات الملائكة كلها لان منهم من هو قائم ومنهم من هو راكع ومنهم من هو
ساجد وحامد ومسبح الى غير ذلك فاعطى الله تعالى اجور عبادات اهل السموات لامته اذا اقاموا الصلوات الخمس
واما الحكمة فى ان جعلها الله تعالى مثنى وثلاث ورباع فلانه عليه السلام شاهد هياكل الملائكة تلك الليلة اى
ليلة الاسرآء اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع فجمع الله ذلك فى صور انوار الصلوات عند عروج ملائكة الاعمال
بارواح العبادات لان كل عبادة تتمثل فى الهياكل النورانية وصورها كما وردت الاشارات فى ذلك بل يخلق
الملائكة من الاعمال الصالحة كما ورد فى الاحاديث الصحيحة وكذلك جعل الله اجنحة الملائكة على ثلاث مراتب
فجعل اجنحتك التى تطير بها الى الله موافقة لاجنحتهم ليستغفروا لك واما الحكمة فى كونها خمس صلوات فلانه
عليه السلام بعد سؤاله التخفيف ومراجعته قال له الله تعالى يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة
عشر حسنات فتلك خمسون صلاة وكانت خمسين على من قبلنا فحطت ليلة المعراج الى خمس تخفيفا وثبت جزآء
الخمسين تضعيفا وحكمة اخرى فى كونها خمس صلوات انها كانت متفرقة فى الامم السالفة فجمعها سبحانه لنبيه
وامته لانه عليه السلام مجمع الفضائل كلها دنيا وآخرة وامته بين الامم كذلك فاول من صلى الفجر آدم والظهر
ابراهيم والعصر يونس والمغرب عيسى والعشاء موسى عليهم السلام فهذا سر القرار على خمس صلوات وقيل صلى
آدم عليه السلام الصلوات الخمس كلها ثم تفرقت بعده بين الانبياء عليهم السلام واول من صلى الوتر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لذلك قال زادنى ربى صلاة اى الوتر على الخمس او صلاة الليل فافهم واول من بادر
الى السجود جبريل عليه السلام ولذلك صار رفيق الانبياء وخادمهم واول من قال سبحان الله جبريل والحمد لله
آدم ولا اله الا الله نوح والله اكبر ابراهيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم كل ذلك فى كشف الكنوز وحل الرموز وذكر فى الحكم الشاذلية وشرحها انه لما علم الحق منك وجود الملل
لون لك الطاعات لتستريح من نوع الى نوع وعلم ما فيك من وجود الشره المؤدى الى الملل القاطع عن بلوغ
الامل فحجرها عليك فى الاوقات اذ جعل فى اليوم خمسا وفى السنة شهرا وفى المأتين خمسة وفى العمر زورة
ولكل واحدة فى تفاصيلها وقت لا تصح فى غيره كل ذلك رحمة بك وتيسيرا للعبودية عليك وقد قيد الله الطاعات
باعيان الاوقات كيلا ينفك عنها وجود التسويف ووسع الوقت عليك كى تبقى صفة الاختيار (قال المولى
جلال الدين) كر نباشد فعل خلق اندر ميان * پس مكو كس را چرا كردى چنان * يك مثال اى دل
پى فرقى بيار * تا بدانى جبر را از اختيار * دست كان لرزان بود از ارتعاش * وانكه دستى را
تو لرزانى ز جاش * هر دو جنبش آفريده حق شناس * ليك نتوان كردن اين با آن قياس *
وفى التأويلات النجمية بداية الصلاة اقامة ثم ادامة فاقامتها بالمحافظة عليها بمواقيتها واتمام ركوعها وسجودها
وحدودها ظاهرا وباطنا وادامتها بدوام المراقبة وجمع الهمة فى التعرض لنفحات الطاف الربوبية التى هى
مودعة فيها لقوله عليه السلام ان لله فى ايام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها فصورة الصلاة صورة التعرض
والامر بها صورة جذبة الحق بان يجذب صورتك عن الاستعمال لغير العبودية وسر الصلاة حقيقة التعرض

ففى كل شرط من شرآئط صورتها وركن من اركانها وسنة من سننها وادب من آدابها وهيئة من هيئاتها سر يشير الى حقيقة التعرض لها ومن شرآئط الصلاة الوضوء ففى كل ادب وسنة وفرض منه سر يشير الى طهارة يستعد بها لاقامة الصلاة ففى غسل اليدين اشارة الى تطهير نفسك عن تلوث المعاصى وتطهير قلبك عن تلطخ الصفات الذميمة الحيوانية والسبعية والشيطانية كما قال تعالى لحبيبه عليه السلام وثيابك فطهر جاء فى التفسير اى قلبك فطهر وغسل الوجه اشارة الى نضارة وجه همتك عن دنس ظلمة حب الدنيا فانه رأس كل خطيئة ومن شرآئط الصلاة استقبال القبلة وفيه اشارة الى الاعراض عما سوى طلب الحق والتوجه الى حضرة الربوبية لطلب القربة والمناجاة ورفع اليدين اشارة الى رفع يد الهمة عن الدنيا والآخرة والتكبير تعظيم الحق بانه اعظم من كل شئ فى قلب العبد طلبا ومحبة وعظما وعزة ومقارنة النية مع التكبير اشارة الى ان صدق النية فى الطلب ينبغى ان يكون مقرونا بتكبير الحق وتعظيمه فى الطلب عن غيره فلا تطلب منه الا هو فان من طلب غيره فقد كبر وعظم ذلك المطلوب لا الله تعالى فلا تجوز صلاته حقيقة كما لا تجوز صلاته صورة الا بتكبير الله فان قال الدنيا اكبر او العقبى اكبر لا يجوز حتى يقول الله اكبر فكذلك فى الحقيقة وفى وضع اليمنى على اليسرى ووضعهما على الصدر اشارة الى اقامة رسم العبودية بين يدى مالكه وحفظ القلب عن محبة ماسواه وفى افتتاح القرآءة بوجهت اشارة الى توجهه للحق خالصا عن شرك طلبه غير الحق وفى وجوب الفاتحة وقرآءتها وعدم جواز الصلاة بدونها اشارة الى حقيقة تعرض العبد فى الطلب لنفحات الطاف الربوبية بالحمد والثناء والشكر لرب العالمين وطلب الهداية وهى الجذبة الالهية التى توازى جذبة منها عمل الثقلين وتقرب العبد بنصف الصلاة المقسومة بين العبد والرب نصفين والقيام والركوع والسجود اشارة الى رجوعه الى عالم الارواح ومسكن الغيب كما جاء منه فاوّل تعلقه بهذا العالم كان بالنباتية ثم بالحيوانية ثم بالانسانية فالقيام من خصائص الانسان والركوع من خصائص الحيوان والسجود من خصائص النبات كما قال تعالى والنجم والشجر يسجدان فللعبد فى كل مرتبة من هذه المراتب ربح وخسران والحكمة فى تعلق الروح العلوى النورانى بالجسد السفلى الظلمانى كان هذا الربح لقوله تعالى على لسان نبيه عليه السلام خلقت الخلق ليربحوا علىّ لا لاربح عليهم ليربح الروح فى كل مرتبة من مراتب السفليات فائدة لم توجد فى مراتب العلويات وان كان قد ابتلى اولا ببلاء الخسران كما قال تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا الآية فبنور الايمان والعمل الصالح يتخلص العبد من بلاء خسران المراتب السفلية ويفوز بربحها فبالقيام فى الصلاة بالتذلل وتواضع العبودية يتخلص من خسران التكبر والتجبر الذى من خاصيته ان يتكامل فى الانسان ويظهر منه انا ربكم الاعلى ويفوز بربح علو الهمة الانسانية التى اذا كملت فى الانسان لا يلتفت الى الكون فى طلب المكوّن كما كان حال النبى عليه السلام اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى فاذا تخلص من التكبر الانسانى يرجع من القيام الانسانى الى الركوع الحيوانى بالانكسار والخضوع فبالركوع يتخلص من خسران الصفة الحيوانية ويفوز بربح تحمل الاذى والحلم ثم يرجع من الركوع الحيوانى الى السجود النباتى فبالسجود يتخلص من خسران الذلة النباتية والدناءة السفلية ويفوز بربح الخشوع الذى يتضمن الفلاح الابدى والفوز العظيم السرمدى كما قال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فالخشوع اكمل آلة العروج فى العبودية وقد حصل فى تعلقه بالجسد النيرانى وليس لاحد من العالمين هذا الخشوع وبهذا السر ابت الملائكة وغيرهم ان يحملن الامانة فاشفقن منها لان الاباء ضد الخشوع وحملها الانسان باستعداد الخشوع وكمل خشوعه بالسجود اذ هو غاية التذلل فى صورة الانسان وهيئة الصلاة ونهاية تقطع تعلق الروح من العالم السفلى وعروجه الى العالم الروحانى العلوى برجوعه من مراتب الانسانية والحيوانية والنباتية وكمال التعرض لنفحات الطاف الحق وبذل المجهود وانفاق الموجود من انانية الوجود الذى هو من شرط المصلين كقوله تعالى ويقيمون الصلاة (ومما رزقناهم ينفقون) الرزق فى اللغة العطاء وفى العرف ما ينتفع به الحيوان وهو تناول الحلال والحرام عند اهل السنة والقرينة تخصصه ههنا بالحلال لان المقام مقام المدح وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهى عنه وصيغة الجمع فى رزقنا مع انه تعالى واحد لا شريك له لانه خطاب الملوك والله تعالى مالك الملك وملك الملوك والمعهود من كلام الملوك اربعة اوجه

الاخبار على لفظ الواحد نحو فعلت كذا وعلى لفظ الجمع فعلنا كذا وعلى ما لم يسم فاعله رسم لكم كذا واضافة الفعل الى اسمه على وجه المغايبة امركم سلطانكم بكذا والقرءآن نزل بلغة العرب فجمع الله فيه هذه الوجوه كلها فيما اخبر به عن نفسه فقال تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا على صيغة الواحد وقال تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر على صيغة الجمع وقال فيما لم يسم فاعله كتب عليكم الصيام وامثاله وقال فى المغايبة الله الذى خلقكم وامثاله كذا فى التيسير ويقول الفقير جامع هذه اللطائف سمعت من شيخى العلامة ابقاه الله بالسلامة ان الافراد بالنظر الى الذات والجمع بالنظر الى الاسماء والصفات ولا ينافى كثرة الاسماء والصفات وحدة الذات اذ كل منها راجع اليها والانفاق والانفاد اخوان خلا ان فى الثانى معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكاة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هى شقيقتها واختها وهى الصلاة وقد جوّز ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التى منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال فى تفسير الآية ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون والاظهر ان يقال المراد من النفقة هى الزكاة وزكاة كل شئ من جنسه كما روى عن انس بن مالك زكاة الدار ان يتخذ فيها بيت للضيافة كما فى الرسالة القشيرية قالوا انفاق اهل الشريعة من حيث الاموال وانفاق ارباب الحقيقة من حيث الاحوال (قال المولى جلال الدين قدس سره) آن درم دادن سخى را لايق است * جان سپردن خود سخاى عاشق است * وانفاق الاغنياء من اموالهم لا يدخرونها عن اهل الحاجة وانفاق العابدين من نفوسهم لا يدخرونها عن وظائف الخدمة وانفاق العارفين من قلوبهم لا يدخرونها عن حقائق المراقبة وانفاق المحبين من ارواحهم لا يدخرونها عن مجارى الاقضية والاقصران يقال انفاق الاغنياء اخراج المال من الجيب وانفاق الفقرآء اخراج الاغيار من القلب ثم ذكر فى الآية الايمان وهو بالقلب ثم الصلاة وهى بالبدن ثم الانفاق وهو بالمال وهو مجموع كل العبادات ففى الايمان النجاة وفى الصلاة المناجاة وفى الانفاق الدرجات وفى الايمان البشارة وفى الصلاة الكفارة وفى الانفاق الطهارة وفى الايمان العزة وفى الصلاة القربة وفى الانفاق الزيادة وقيل ذكر فى هذه الآية اربعة اشياء التقوى والايمان بالغيب واقامة الصلاة والانفاق وهى صفة الخلفاء الراشدين الاربعة ففى الآية بيان فضلهم التقوى لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى والايمان بالغيب لعمر الفاروق رضى الله عنه قال الله تعالى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين واقامة الصلاة لعثمان ذى النورين رضى الله تعالى عنه قال الله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الآية والانفاق لعلى المرتضى رضى الله تعالى عنه قال الله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الآية وعند القوم اى الصوفية السخاء هو الرتبة الاولى ثم الجود بعده ثم الايثار فمن اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيأ فهو صاحب جود والذى قاسى الضرورة وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار وبالجملة فى الانفاق فضائل كثيرة وروى عن ابى عبد الله الحارث الرازى يقول اوحى الله الى بعض انبيائه انى قضيت عمر فلان نصفه بالفقر ونصفه بالغنى فخيره حتى اقدم له ايهما شاء فدعا نبى الله عليه السلام الرجل فاخبره وقال حتى اشاور زوجتى فقالت زوجته اختر الغنى حتى يكون هو الاول فقال لها ان الفقر بعد الغنى صعب شديد والغنى بعد الفقر اطيب لذيذ فقالت لا بل اطعنى فى هذا فرجع الى النبى عليه السلام فقال اختار نصف عمرى الذى قضى لى فيه بالغنى ان يقدم فوسع الله عليه الدنيا وفتح عليه باب الغنى فقالت له امرأته ان اردت ان تبقى هذه النعمة فاستعمل السخاء مع خلق ربك فكان اذا اتخذ لنفسه ثوبا اتخذ لفقير ثوبا مثله فلما تم نصف عمره الذى قضى له فيه بالغنى اوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان انى كنت قضيت نصف عمره بالفقر ونصفه بالغنى لكنى وجدته شاكرا لنعمائى والشكر يستوجب المزيد فبشره انى قضيت باقى عمره بالغنى (قال المولى جلال الدين قدس سره) هركه كاردكرد انبارش تهى * ليكش اندر مزرعه باشد بهى * وانكه در انبار ماند وصرفه كرد * اسپش وموش حوادثهاش خورد (قال الحافظ) احوال كنج قارون كايام داد برباد * با غنچه باز كوييد تا زر نهان ندارد * وفى التأويلات النجمية ومما رزقناهم ينفقون اى من اوصاف الوجود يبذلون بحق النصف المقسوم من الصلاة بين العبد والرب فاذا بلغ السيل

زباه والتعرض منتهاه ادركته العناية الازلية بنفحات الطافه وهداه الى درجات قرباته فكما كان جذبة الحق للنبى عليه السلام فى صورة خطاب ادن فجذبة الحق للمؤمن تكون فى صورة خطاب واسجد واقترب ففى التشهد بعد السجود الى الخلاص من حجب الانانية والوصول الى شهود جمال الحق بجذبات الربانية ثم بالتحيات يراقب رسوم العباد فى الرجوع الى حضرة الملوك بمراسم تحفة الثناء والتحنن الى اللقاء وفى التسليم عن اليمين وعن الشمال اشارة الى الاسلام على الدارين وعلى كل داع جاهل يدعوه عن اليمين الى نعيم الجنات وعن الشمال الى اللذات والشهوات وهو فى مقامات الاجابات والمناجاة ودرجات القربات مستغرقا فى بحر الكرامات مقيدا بقيد الجذبات كما قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فاهل الصورة بالسلام يخرجون من اقامة الصلاة واهل الحقيقة بالسلام يدخلون فى ادامة الصلاة كقوله والذين هم على صلاتهم دائمون فقوم يقيمون الصلاة والصلاة تحفظهم كما قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى فهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون بما لهم فى الغيب معد بقوله اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فعلموا ان ما هو المعد لهم لا تدركه الابصار ولا الاذان ولا القلوب التى رزقهم الله وليس بينهم وبين ما هو المعد لهم حجاب الا وجودهم وهم اوصاف وجودهم فاشتاقوا الى نار تحرق عليهم حجاب وجودهم فآنسوا من جانب طور صلاتهم نارا لان صلاتهم بمثابة الطور لهم للمناجاة فلما اتاها نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين فجعلوا ما رزقهم الله من اوصاف الوجود حطب نار الصلاة ينفقون عليها ويقيمون الصلاة حتى نودوا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ومن لم يكن له نار تحرق على نار جهنم الصلاة حطب وجوده ووجود كل من يعبد من دون الله فلا بد له من الحرقة بنار جهنم الاخرة فالفرق بين النارين ان نار الصلاة تحرق لب وجودهم الذى هم به محجوبون عن الله تعالى ويبقى جلد وجودهم وهو الصورة والحجاب من لب الوجود لا من جلده وهذا سر عظيم لا يطلع عليه الا اولوا الالباب المحترقة ونار جهنم تحرق جلودهم ويبقى لب وجودهم لا جرم لا ترفع الحجب عنهم كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لان اللب باق والجلد وان احترق بقى اللب كما قال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها فمن انفق لب الوجود وما تبرأ منه له الوجود من المال والجاه فى سبيل نار الصلاة والقربة الى الله فينفق الله عليه وجود نار الصلاة كما قال لحبيبه عليه السلام انفق عليك فبقى بنار الصلاة بلا انانية الوجود فتكون صلاته دائمة بنور نار الصلاة يؤمن بما انزل على الانبياء عليهم الصلاة والسلام (والذين يؤمنون) نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب وما قبله الى قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون نزلت فى مؤمنى العرب (بما انزل اليك) هو القرآن باسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضى مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر اولتنزيل ما فى شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما فى قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا وفى الكواشى لان القرآن شئ واحد فى الحكم ولان المؤمن ببعضه مؤمن بكله انتهى ثم معنى ما انزل اليك هو القرآن الذى يتلى والوحى الذى لا يتلى فالمتلو هو هذه السور والايات وغير المتلو ما بين النبى عليه السلام من اعداد الركعات ونصب الزكوات وحدود الجنايات قال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى والانزال فى هذه الاية بمعنى الوحى ويكون بمعنى الاعلاء وهو النقل من الاسفل الى الاعلى وان حمل على الانزال الذى هو من العلو الى السفل فمعناه انزال جبريل لتبليغه كما قال تعالى نزل به الروح الامين يعنى ان الانزال نقل الشئ من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها فتنزل ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم (وما انزل من قبلك) التوراة والانجيل وسائر الكتب السالفة والايمان بالكل جملة فرض عين وبالقرآن تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان فى وجوبه على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش قال فى التيسير الايمان بكل الكتب مع تنافى احكامها على وجهين احدهما التصديق ان كلها من عند الله والثانى الايمان بما لم ينسخ من احكامها (وبالاخرة) تأنيث الآخر الذى يقابل الاول وهو فى المعدودات اسم للفرد اللاحق وهى صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة وهى من الصفات الغالبة وكذا الدنيا والاخر

بفتح

بفتح الخاء الذى يلى الاول وسميت الدنيا دنيا لدنوها من الاخرة وسميت الاخرة آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا (هم يوقنون) الايقان اتقان العلم بالشئ بنفى الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا وكذا العلوم الضرورية اى يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التى من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم فى ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا اولا وهل هو دائم اولا فقال فرقة منهم يجرى حالهم فى التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها فى الدنيا وقال آخرون ان ذلك انما احتيج اليه فى هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته فان اعتقادهم فى امور الاخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين فدل التقديم على التخصيص بان ايقان من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك مقصور على الاخرة الحقيقية لا يتجاوز الى ما اثبته الكفار بالاقرار من اهل الكتاب قال ابو الليث رحمه الله فى تفسيره اليقين على ثلاثة اوجه يقين عيان ويقين خبر ويقين دلالة فاما يقين العيان فهو انه اذا رأى شيأ زال الشك عنه فى ذلك الشئ واما يقين الدلالة فهو ان يرى الرجل دخانا ارتفع من موضع يعلم باليقين ان هناك نارا وان لم يرها واما يقين الخبر فهو ان الرجل يعلم باليقين ان فى الدنيا مدينة يقال لها بغداد وان لم ينته اليها فههنا يقين خبر ويقين دلالة لان الاخرة حق ولان الخبر يصير معاينة عند الرؤية انتهى كلامه ويقال علم اليقين ظاهر الشريعة وعين اليقين الاخلاص فيها وحق اليقين المشاهدة فيها والعلم اليقين هو العلم الحاصل بالادراك الباطنى بالفكر الصائب والاستدلال وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية الا بمناسبة الارواح القدسية فاذا يكون العلم عينا ولا مرتبة للعين الا اليقين الحاصل من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة الا بزوال حجاب الاثنينية فاذا يكون العين حقا وزيادة هذه المرتبة اى حق اليقين عدم ورود الحجاب بعده وعينه للاولياء وحقه للانبياء وهذه الدرجات والمراتب لا تحصل الا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الاكل والذكر والسكوت بالفكر فى ملكوت السموات والارض واداء السنن والفرائض وترك ما سوى الحق والغرض وتقليل المنام والغرض واكل الحلال وصدق المقال والمراقبة بقلبه الى الله تعالى فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة كذا فى شرح النصوص المسمى باسرار السرور وبالوصول الى عين النور ثم ثمرة اليقين بالاخرة الاستعداد لها فقد قيل عشرة من المغرورين من ايقن ان الله خالقه ولا يعبده ومن ايقن ان الله رازقه ولا يطمئن به ومن ايقن ان الدنيا زائلة ويعتمد عليها ومن ايقن ان الورثة اعداؤه ويجمع لهم

توباخود ببر توشه خويشتن * كه شفقت نيايد زفرزند وزن *

ومن ايقن ان الموت آت فلا يستعد له ومن ايقن ان القبر منزله فلا يعمره ومن ايقن ان الديان يحاسبه فلا يصحح حجته ومن ايقن ان الصراط ممره فلا يخفف ثقله ومن ايقن ان النار دار الفجار فلا يهرب منها ومن ايقن ان الجنة دار الابرار فلا يعمل لها كما فى التيسير قال ذو النون المصرى اليقين داع الى قصر الامل وقصر الامل يدعو الى الزهد والزهد يورث الحكمة والحكمة تورث النظر فى العواقب قال ابو على الدقاق رحمه الله فى قول النبى عليه السلام فى عيسى بن مريم عليهما السلام لو ازداد يقينا لمشى فى الهواء اشار بهذا الحديث الى حال نفسه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لان فى لطائف المعراج انه قال رأيت البراق قد بقى ومشيت وقال ابو تراب رأيت غلاما فى البادية يمشى بلا زاد فقلت ان لم يكن معه يقين فقد هلك فقلت يا غلام فى مثل هذا الموضع بلا زاد فقال يا شيخ ارفع رأسك هل ترى غير الله تعالى فقلت الآن فاذهب حيث شئت قال ابراهيم الخواص طلبت المعاش لاكل الحلال فاصطدت السمك فيوما وقع فى الشبكة سمكة فاخرجتها وطرحت الشبكة فى الماء فوقعت اخرى فيها ثم عدت فهتف بى هاتف لم تجد معاشا الا ان تأتى الى من يذكر الله فتقتلهم فكسرت القصبة وتركت كذا فى الرسالة القشيرية وذكر فى التأويلات النجمية ان من تخلص عن ذل الحجاب الوجودى بجذبة الايقان بالامور الاخروية وكان مؤمنا بها من وراء الحجاب صار موقنا بها بعد رفع الحجاب كما قال امير المؤمنين على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لانه قد كشف عنه غطاء الوجود فلا يحجب غطاء المحسوسات الدنيوية عن الامور الاخروية فبكشف الحجب يتخلصون عن مرتبة

الايمان الى مرتبة الايقان كما قال تعالى وبالاخرة هم يوقنون ولكن هذا خاص اى يوقنون بالاخرة دون ما انزل على الانبياء من الكتب فانهم لا يتخلصون عن مرتبة الايمان بالله وكتبه ابدا وهذا سر عظيم وما رأيت احدا افرق بين هاتين المرتبتين وذلك لانه لا يمكن للانسان ان يشاهد الامور الاخروية كلها اما بطريق الكشف فى الدنيا واما بطريق المشاهدة فى العقبى فيصير موقنا بها بعد ما كان مؤمنا كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فاما ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته فلا يمكن لاحد ان يشاهده بالكلية لانه منزه عن الكل والجزء فارباب المشاهدة وان فازوا بشهادة شهود صفات جماله وجلاله عين اليقين بل حق اليقين ولكن لم يتخلصوا عن مرتبة الايمان بما لم يشاهدوا ابدا ولا يحيطون به علما الى ابد الاباد بل ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء (اولئك) الجملة فى محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له وكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك اجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الايات والا فاستئناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام السابقة والصفات المتقدمة او جواب لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا اولاء جمع لا واحد له من لفظه بنى على الكسر وكافه للخطاب كالكاف فى ذلك اى المذكورون قبله وهم المتقون الموصوفون بالايمان بالغيب وسائر الاوصاف المذكورة بعده وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وجل (على هدى) خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على اى هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم فى ملابستهم بالهدى بحال من يقبل الشئ ويستولى عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس فى العمل يعنى اكرمهم الله فى الدنيا حيث هداهم وبين لهم طريق الفلاح قبل الموت (من ربهم) متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اى على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ثم فى هذه الاية ذكر الهدى للموصوفين بكل هذه الصفات وفى قوله قولوا آمنا بالله وما انزل الينا الى قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ذكر لهم الهداية بالاقرار والاعتقاد دون سائر الطاعات بيانا لشرف الايمان وجلال قدره وعلو امره فانه اذا قوى لم يبطله نفس المخالفات بل هو الذى يغلب فيرد الى التوبة بعد التمادى فى الايمان البطالات وكما هدى اليوم الى الايمان يهدى غدا الى الجنان قال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم وذلك ان المطيعين يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وهم على مراكب طاعاتهم والملائكة تتلقاهم قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وتتلقاهم الملائكة وتبقى العصاة منفردين منقطعين فى متاهات القيمة ليس لهم نور الطاعات ولا فى حقهم استقبال الملائكة فلا يهتدون السبيل ولا يهديهم دليل فيقول الله لهم عبادى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ان اهل الجنة من حسن الثواب لا يتفرغون لكم واهل النار من شدة العقاب لا يرحمونكم معاشر المساكين سلام عليكم كيف انتم ان كان اشكالكم سبقوكم ولم يهدوكم فانا هاديكم ان عاملتكم بما تستوجبون فاين الكرم كذا فى التيسير (قال السعدى) نه يوسف كه چندان بلا ديد وبند * چو حكمش روان كشت وقدرش بلند * كنه عفو كرد آل يعقوب را * كه معنى بود صورت خوب را * بكردار بدشان مقيد نكرد * بضاعات مزجاتشان رد نكرد * ز لطفت همى چشم داريم نيز * برين بى بضاعت ببخش اى عزيز * بضاعت نياوردم الا اميد * خدايا ز عفوم مكن نااميد (واولئك هم المفلحون) تكرير اولئك للدلالة على ان كل واحد من الحكمين مستبد فى تميزهم به عن غيرهم فكيف بهما وتوسط العطف بينهما تنبيه على تغايرهما فى الحقيقة وفائدة الفصل بين المبتدأ والخبر الدلالة على ان ما بعده خبر لا صفة وان المسند ثابت للمسند اليه دون غيره فصفة الفلاح مقصورة عليهم لا تتجاوز الى من عداهم من اليهود والنصارى ولا يلزم من هذا ان لا يكون للمتقين صفة اخرى غير الفلاح فالقصر قصر الصفة على الموصوف لا العكس حتى يلزم ذلك والمفلح الفائز بالبغية كانه الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والتركيب دال على معنى الشق والفتح والقطع ومنه سمى الزارع فلاحا لانه يشق الارض

وفى المثل الحديد بالحديد يفلح اى يقطع والمعنى هم الفائزون بالجنة والناجون من النار يوم القيمة والمقطوع لهم بالخير فى الدنيا والاخرة وحاصل الفلاح يرجع الى ثلاثة اشياء احدها الظفر على النفس فلم يتابعوا هواها والدنيا فلم يطغوا بزخارفها والشيطان فلم يفتنوا بوساوسه وقرناء السوء فلم يبتلوا بمكروهاتهم والثانى النجاة من الكفر والضلالة والبدعة والجهالة وغرور النفس ووسوسة الشيطان وزوال الايمان وفقد الامان ووحشة القبور واهوال النشور وزلة الصراط وتسليط الزبانية الشداد الغلاظ وحرمان الجنان ونداء القطيعة والهجران والثالث البقاء فى الملك الابدى والنعيم السرمدى ووجدان ملك لا زوال له ونعيم لا انتقال له وسرور لا حزن معه وشباب لا هرم معه وراحة لا شدة معها وصحة لا علة معها ونيل نعيم لا حساب معه ولقاء لا حجاب له كذا فى تفسير التيسير وقد تشبثت الوعيدية بالاية فى خلود الفساق من اهل القبلة فى العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون فى الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح لهم رأسا كما فى تفسير البيضاوى قال الشيخ نجم الدين دايه قدس سره ذكر هدى بالنكرة اى على كشف من كشوف ربهم ونور من انواره وسر من اسراره ولطف من الطافه وحقيقة من حقائقه فان جميع ما انعم الله به على انبيائه واوليائه بالنسبة الى ما عنده من كمال ذاته وصفاته وانعامه واحسانه قطرة من بحر محيط لا يعتريه القصور من الانفاق ابدا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم يمين الله ملأى لا ينقصها نفقة سحاء الليل والنهار وفيه اشارة لطيفة وهى انهم بذلك الهدى آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون واولئك هم المفلحون الذين تخلصوا عن حجب الوجود بنور نار الصلاة وشاهدوا الاخرة وجذبتهم العناية بالهداية الى مقامات القربة وسرادقات العزة فما نزلوا بمنزل دون لقائه وما حطوا رحالهم الا بفنائه فازوا بالسعادة العظمى والمملكة الكبرى ونالوا الدرجة العليا وحققوا قول الحق وان الى ربك الرجعى انتهى كلام الشيخ فى تأويلاته (قال المولى جلال الدين قدس سره) كر همى خواهى كه بفروزى چو روز * هستئ همچون شب خود را بسوز * هستيت در هست آن هستى نواز * همچو مس در كيميا اندر كداز (ان الذين كفروا) لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التى اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يغنى عنهم الايات والنذر وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابى لهب وابى جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوى بعده وغيرهم تخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة الستر والتغطية وفى الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم به وانما عد لباس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من صدق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ لا داعى اليه كالزنى وشرب الخمر لا لانه كفر فى نفسه والكافر فى القرآن على اربعة اوجه احدها نقيض المؤمن قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والثانى الجاحد قال تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين اى جحد وجوب الحج والثالث نقيض الشاكر قال تعالى واشكروا لى ولا تكفرون والرابع المتبرى قال تعالى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض اى يتبرأ بعضكم من بعض كذا فى التيسير وقال فى البغوى الكفر على اربعة اوجه كفر الانكار وهو ان لا يعرف الله اصلا ولا يعترف به وكفر الجحود وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكفر العناد وهو ان يعرف بقلبه ولا يعترف بلسانه ولا يدين به ككفر ابى طالب حيث يقول

ولقد علمت بان دين محمد * من خير اديان البرية دينا

لولا الملامة او حذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

وكفر النفاق فهو ان يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الانواع سواء فى ان من لقى الله بواحد منها لا يغفر له انتهى كلام البغوى لكن فى ابى طالب سيجئ عند قوله تعالى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم (سواء عليهم) اى عندهم وهو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر مبالغة قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى (أأنذرتهم) يا محمد (ام لم تنذرهم) مرتفع على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق معنى الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهى لذلك عن معنييهما فى قوله عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء فى قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة

عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كأنه قيل ان الذين كفروا مستوعليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه واصل الانذار الاعلام بامر مخوف وكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا كما فى تفسير ابى الليث والمراد ههنا التخويف من عذاب الله وعقابه على المعاصى وانما اقتصر عليه لما انهم ليسوا باهل للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع فى القلوب واشد تأثيرا فى النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم يتأثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة رأسا اولى وانما لم يقل سوآء عليك كما قال لعبدة الاصنام سوآء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون لان انذارك وترك انذارك ليسا سوآء فى حقك لانك تثاب على الانذار وان لم يؤمنوا فاما فى حقهم فهما سوآء لانهم لا يؤمنون فى الحالين وهو نظير الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فانه يثاب به الآمر وان لم يعمل به المأمور وكان هؤلاء القوم كقوم هود الذين قالوا لهود عليه السلام سوآء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين وقال تعالى فى حق هؤلاء سوآء عليهم الخ ويقال لهم فى القيامة اصلوها فاصبروا اولا تصبروا سوآء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون واخبر عنهم انهم يقولون سوآء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص فلما كان الوعظ وتركه سوآء كان صبرهم فى النار وتركه سوآء وجزعهم فيها وتركه سوآء وانت اذا كان عصيانك فى الشباب والشيب سوآء وتماديك فى الصحة والمرض سوآء واعراضك فى النعمة والمحنة سوآء وقسوتك على القريب والبعيد سوآء وزيغك فى السر والعلانية سوآء اما تخشى ان تكون توبتك عند الموت واصرارك عند النزع وسكوتك سوآء وزيارة الصالحين لك وامتناعهم سوآء وقيام الشفعاء بامرك وتركهم سوآء كذا فى تفسير التيسير (لا يؤمنون) جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه الاستوآء فلا محل لها من الاعراب ثم هذا تخفيف للنبى عليه السلام وتفريغ لقلبه حيث اخبره عن هؤلاء بما اخبر به نوحا صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء فى الانتهاء فانه قال تعالى لنوح عليه السلام بعد طول الزمان ومقاساة الشدآئد والاحزان انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فدعا بهلاكهم بعد ذلك وكذلك سائر الانبياء وفى الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهى من المعجزات الباهرة وفى الآية اثبات فعل العباد فانه قال لا يؤمنون وفيه اثبات الاختيار ونفى الاكراه والاجبار فانه لم يقل لا يستطيعون بل قال لا يؤمنون فان قلت لما علم الله انهم لا يؤمنون فلم امر النبى عليه السلام بدعائهم قلت فائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة كما ان الله تعالى بعث موسى الى فرعون ليدعوه الى الاسلام وعلم انه لا يؤمن قال الله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك فان قلت لما اخبر الله رسوله انهم لا يؤمنون فهلا اهلكهم كما اهلك قوم نوح بعد ما اخبر انهم لا يؤمنون قلت لان النبى عليه السلام كان رحمة للعالمين كما ورد به الكتاب وقد قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم ان الاخبار بوقوع الشئ او عدمه لا ينفى القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره فلا يلزم جواز تكليف ما لا يطاق قال الامام القشيرى من كان فى غطاء صفته محجوبا عن شهود حقه فسيان عنده قول من دله على الحق وقول من اعانه على استجلاب الحظ بل هو الى داعى الغفلة اميل وفى الاصغاء اليه ارغب وكان الكافر لا يرعوى عن ضلالته لما سبق من شقاوته فكذلك المربوط باغلال نفسه محجوب عن شهود غيبه وحقه فهو لا يبصر رشده ولا يسلك قصده وقال ايضا ان الذى بقى فى ظلمات دعاويه سوآء عنده نصح الراشدين وتسويلات المبطلين لان الله تعالى نزع عن احواله بركات الانصاف فلا يصغى الى داعى الرشاد كما قيل

وعلى النصوح نصيحتى * وعلى عصيان النصوح

وفى التأويلات النجمية ان الذين كفروا اى جحدوا ربوبيتى بعد اقرارهم فى عهد الست بربكم باجابة بلى وستروا صفاء قلوبهم برين ما كسبوا من اعمالهم الطبيعية النفسانية وافسدوا حسن استعدادهم من فطرة الله التى فطر الناس عليها باكتساب الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وذلك بان ارواحهم النفيسة لما نظروا بروزنة الحواس الخمس الى عالم الصورة الخسيسة حجبت عن مألوفاتها ومحابها ثم ابتليت بصحبة النفوس الحيوانية واستأنست بها ولهذا يسمى الانسان انسانا لانه انيس فبمجاورة النفس الخسيسة صار الروح النفيس خسيسا فاستحسن ما استحسنت النفس واستلذ ما استلذ به النفس واستمتع من المراتع الحيوانية فانقطع عنه الاغذية

الروحانية ونسى حظائر القدس وجوار الحق فى رياض الانس ولهذا سمى الناس ناسا لانه ناس فتاه فى اودية الخسران واستهوته الشياطين فى الارض حيران ولما نسوا الله بالكفران نسيهم بالخذلان حتى غلب عليهم الهوى واوقعهم فى مهالك الردى فاصبحوا بنفوس احياء وقلوب موتى سوآء عليهم أأنذرتهم بالوعد والوعيد وخوفتهم بالعذاب الشديد ام لم تنذرهم لا يؤمنون بما اخبرتهم ودعوتهم اليه وانذرتهم عليه لان روزنة قلوبهم الى عالم الغيب منسدة بقساوة حلاوة الدنيا وقلوبهم مغلوقة بحب الدنيا وشهواتها مقفول عليها بمتابعة الهوى كما قال تعالى افلا يتدبرون القرءآن ام على قلوب اقفالها فما تنسموا روآئح الانس من رياض القدس بل هب عليهم صرصر الشقاوة من مهب حكم السابقة وادركهم بالختم على اقفالها كما قال تعالى ختم الله الآية انتهى ما فى التأويلات ومن امثال الانجيل قلوبكم كالحصاة لا تنضجها النار ولا يلينها الماء ولا تنسفها الريح (قال السعدى) چون بود اصل جوهرى قابل * تربيت را در واثر باشد * هيچ صيقل نكو نداند كرد * آهنى را كه بدكهر باشد (ختم الله على قلوبهم) لما ذكر هؤلاء الكفار بصفاتهم وحالاتهم الحق به ذكر عقوباتهم فهو تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمى به الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه لانه كتم له وبلوغ آخره ومنه ختم القرءآن نظرا الى انه آخر فعل يفعل فى احرازه ولا ختم على الحقيقة وانما المراد به ان يحدث فى نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم فى التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا وسمى هذه الهيئة على الاستعارة ختما وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع فى قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم وبالاغفال فى قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء فى قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهى من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه تعالى ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية الكريمة ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم فالختم مجازاة لكفرهم والله تعالى قد يسر عليهم السبل فلو جاهدوا لوفقهم فسقط الاعتراض بانه اذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم فمنعهم عن الهدى فكيف يستحقون العقوبة قال الشيخ فى تفسيره واسناد الختم الى الله للتنبيه على ان اباءهم عن قبول الحق كالشئ الخلقى غير العرضى انتهى وقال فى التيسير حاصل الختم عند اهل الحق عقوبة من الله تعالى لا تمنع العبد من الايمان جبرا ولا تحمله على الكفر كرها بل هى زيادة عقوبة له على سوء اختياره وتماديه فى الكفر واصراره يحرم بها من اللطف الذى يسهل به فعل الايمان وترك العصيان يدل عليه انهم بقوا مخاطبين بالايمان بقوله تعالى آمنوا بالله ورسوله وملومين على الامتناع عنه لقوله تعالى فما لهم لا يؤمنون ولو صاروا مجبورين وعن الايمان عاجزين لزال الخطاب وسقط اللوم والعتاب كما فى الختم على الافواه يوم الحساب لما عجزوا به حقيقة عن الكلام لم يبق الخطاب بالكلام وتحقيق المذهب اثبات فعل العبد وتخليق الله تعالى والقلوب جمع قلب وهو الفؤاد سمى قلبا لتقلبه فى الامور ولتصرفه فى الاعضاء وفى تفسير الشيخ القلب قطعة لحم مشكل بالشكل الصنوبرى معلق بالوتين مقلوبا والوتين عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه ويقال له الابهر وفى تفسير الكواشى القلب قطعة سودآء فى الفؤاد وزعم بعضهم انه الشكل الصنوبرى المعلق بالوتين مقلوبا وفى تعريفات السيد القلب لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسمانى الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الايسر من الصدر تعلق وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان (قال المولى الجامى) نيست اين پيكر مخروطى دل * بلكه هست اين قفص طوطى دل * كر تو طوطى ز قفس نشناسى * بخدا ناس نه نسناسى * والمراد بالقلب فى الآية محل القوة العاقلة من الفؤاد وقد يطلق ويراد به المعرفة والعقل كما قال ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب (و) ختم الله (على سمعهم) اى على آذانهم فجعلها بحيث تعاف استماع الحق ولا تصغى الى خير ولا تعيه ولا تقبله كانها مستوثق منها بالختم عقوبة لهم على سوء اختيارهم وميلهم الى الباطل وايثارهم والسمع هو ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها او على العضو الحامل لها وهو المراد ههنا لانه اشد مناسبة للختم وهو المختوم عليه اصالة وفى توحيد السمع وجوه احدها انه فى الاصل مصدر والمصادر لا تجمع لصلاحيتها للواحد والاثنين والجماعة قال تعالى انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فان قالوا فلم جمع

الابصار والواحد بصر وهو كالسمع قلنا انه اسم للعين فكان اسما لا مصدرا فجمع لذلك والثانى ان فيه اضمارا اى على مواضع سمعهم وحواسه كما فى قوله تعالى واسأل القرية اى اهلها وثبت هذا الاضمار دلالة ان السمع فعل ولا يختم على الفعل وانما يختم على محله والثالث انه اراد سمع كل واحد منهم والاضافة الى الجماعة تغنى عن الجماعة وفى التوحيد امن اللبس كما فى قوله كلوا فى بعض بطنكم اى بطونكم اذ البطن لا يشترك فيه والرابع قول سيبويه انه توسط جمعين فدل على الجمع وان وحد كما فى قوله يخرجهم من الظلمات الى النور دل على الانوار ذكر الظلمات وتقديم ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل فى عدم الايمان وتقديم حال السمع على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم فى تلك الحال قالوا السمع افضل من البصر لانه تعالى حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التى تتلقف من اصحابها (وعلى ابصارهم) جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضوين وهو المراد ههنا لانه اشد مناسبة للتغطية (غشاوة) اى غطاء ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بها احداث حالة تجعل ابصارهم بسبب كفرهم لا تجتلى الايات المنصوبة فى الانفس والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين وتصير كانها غطى عليها وحيل بينها وبين الابصار ومعنى التنكير ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهى غشاوة التعامى عن الآيات قوله غشاوة مبتدأ مؤخر خبره المقدم قوله وعلى ابصارهم ولما اشترك السمع والقلب فى الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذى يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار مما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة قال فى التيسير انما ذكر فى الاية القلوب والسمع والابصار لان الخطاب كان باستعمال هذه الثلاثة فى الحق كما قال تعالى افلا تعقلون افلا تبصرون افلا تسمعون (ولهم عذاب عظيم) اى عقوبة شديدة القوة ومنه العظم والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشئ اذا امسك عنه وسمى العذاب عذابا لانه يمنع عن الجناية اذا تامل فيها العاقل ومنه الماء العذب لما انه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اى يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب يعنى الفرات وهو الماء العذب مأخوذ من الرفت وهو قلبه وقيل انما سمى به لانه جزآء ما استعذبه المرء بطبعه اى استطابه ولذلك قال فذوقوا عذابى وانما ذاق الطيب على معنى انه جزآء ما استطابه واستحلاه بهواه فى الدنيا والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير قال فى التيسير عظيم اى كبير او كثير او دائم وهو التعذيب بالنار ابدا ثم عظمه باهواله وبشدة احواله وكثرة سلاسله واغلاله فتكون هذه الاية وعيدا وبيانا لما يستحقونه فى الاخرة وقيل هو القتل والاسر فى الدنيا والتحريق بالنار فى العقبى ومعنى التوصيف بالعظيم انه اذا قيس سائر ما يجانسه قصر عنه جميعه ومعنى التنكير ان لهم من الالام نوعا عظيما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل فعلى العاقل ان يجتنب عما يؤدى الى العذاب الاليم والعقاب العظيم وهو الاصرار على الذنوب والاكباب على اقتراف الخطيات والعيوب قيل فى سبب الحفظ عن هذه العقوبة التى هى الختم على الكيس فلا يمنعه عن حق ووضع الختم على اللسان فلا يطلقه فى باطل (قال السعدى) بكمراه كفتن نكو ميروى * كناه بزركست وجور قوى * مكو شهد شيرين شكر فايقست * كسى را كه سقمونيا لايقست * قال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل وما جلاؤها قال تلاوة القرآن وكثرة ذكر الله وذكر الموت وامهات الخطايا ثلاث الحرص والحسد والكبر فحصل من هؤلاء ست فصارت تسعا الشبع والنوم والراحة وحب المال وحب الجاه وحب الرياسة فحب المال والرياسة من اعظم ما يجر صاحبه الى الكفر والهلاك (حكى) ان ملكا شابا قال انى لا اجد فى الملك لذة فلا ادرى كذلك يجده الناس ام انا اجده وقالوا له كذلك يجده الناس قال فما ذا يقيمه قالوا يقيمه لك ان تطيع الله فلا تعصيه فدعا من كان فى بلده من العلماء والصلحاء فقال لهم كونوا بحضرتى ومجلسى فما رأيتم من طاعة الله فامرونى وما رأيتم من المعصية فازجرونى عنها ففعل ذلك فاستقام له الملك اربعمائة سنة ثم ان ابليس اتاه يوما على صورة رجل وقال له من انت قال الملك رجل من بنى آدم قال لو كنت من بنى آدم لمت كما تموت بنو آدم ولكنك اله فادع الناس الى عبادتك فدخل فى قلبه شئ ثم صعد المنبر فقال ايها الناس انى اخفيت عليكم امرا حان اظهاره

وهو انى ملككم منذ كذا سنة ولو كنت من بنى آدم لمت ولكنى اله فاعبدونى فاوحى الله الى نبى زمانه وقال اخبره انى استقمت له ما استقام لى فتحول من طاعتى الى معصيتى فبعزتى وجلالى لاسلطن عليه بخت نصر ولم يتحول عن ذلك فسلطه عليه فضرب عنقه واوقر من خزينته سبعين سفينة من ذهب (قال المولى جلال الدين قدس سره) جز عنايت كى كشايد چشم را * جز محبت كى نشاند خشم را * جهد بى توفيق خود كس را مباد * درجهان والله اعلم بالرشاد * وفى التأويلات النجمية فى الختم اشارة الى بداية سوابق احكام القدر بالسعادة والشقاوة على وفق الحكمة والارادة الازلية للخليقة كما قال تعالى فمنهم شقى وسعيد مع حسن استعداد جميعهم بقبول الايمان والكفر ولهذا لما خاطب الحق ذراتهم بخطاب ألست بربكم قالوا بلى جميعا ثم اودع الله الذرات فى القلوب والقلوب فى الاجساد والاجساد فى الدنيا فى ظلمات ثلاث وكانت روزنة القلوب كلها مفتوحة الى عالم الغيب بواسطة الذرات المودعات التى سمعت خطاب الحق وشاهدت كمال الحق الى وقت ولادة كل انسان كما قال عليه السلام كل مولود يولد على فطرة الاسلام فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وفيه اشارة الى ان الله يكل الاشقياء الى تربية الوالدين فى معنى الدين حتى يلقنوهم تقليد ما الفوا عليه اباءهم من الضلالة فيضلونهم كما قال تعالى انتم وآباؤكم فى ضلال مبين فكانت تلك الشقاوة المقدرة مضمرة فى ضلالة التقليد والصفات النفسانية الظلمانية والهوى والطبيعة ثم جعل تأثيرها وظلمتها ورينها يندرج الى القلوب فيقسيها ويسودها ويغطيها ويسد روزنتها الى الذرات فيعميها ويصمها حتى لا يبصر اهل الشقاوة ببصر الذرات من الحق ما كانوا يبصرون ولا يسمع بسمع الذرات من الحق ما كانوا يسمعون فينكرون على الانبياء ويكفرون بهم ويبايدعونهم اليه فيختم الله شقاوتهم بكفرهم هذا ويطبع به على قلوبهم كقوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فسر القدر مستور لا يطلع عليه احد الا الله فيظهر آثار السعادة باقرار السعداء ويظهر آثار الشقاوة بانكار الاشقياء وكفرهم من القدر كالبذر فى الارض مستور فتظهر الشجرة منه وهو فى الشجرة مستور فيخرج مع الاغصان من الشجرة وهو فى الاغصان مستور حتى يخرج مع الثمرة من الاغصان وهو فى الثمرة مستور حتى يظهر من الثمرة فيختم ظهور البذر بالثمرة فكذلك سر القدر وهو بذر السعادة او الشقاوة مستور فى علم الله تعالى فتظهر شجرة وجود الانسان منه والسعادة والشقاوة مستورة فيها فتخرج مع اغصان الاخلاق وهى مستورة فيها فتخرج مع ثمرة الاعمال وهى الاقرار والانكار والايمان والكفر فيختم ظهور سر القدر وهو السعادة او الشقاوة بثمرة الايمان او الكفر فيظهر سر القدر عند الختم بالسعادة او الشقاوة فالذين ختم الله على قلوبهم انما ختم بخاتم كفرهم وان كان نقش خاتمهم هو الاحكام الازلية وسر القدر حتى حرموا عن دولة الوصال وبه ختم على سمعهم حتى لم يسمعوا خطاب الملك ذى الجلال وعلى ابصارهم غشاوة من العمى والضلال فلم يشاهدوا ذلك الجمال والكمال فلهم حرمان مقيم ولهم عذاب عظيم لانهم منعوا من مرادهم وهو العلى العظيم فعظم العذاب يكون على قدر عظمة المراد الممنوع منه انتهى ما فى التأويلات (ومن الناس) لما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بشرح حاله وساق لبيانه ذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اى المنافقون اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزآء ولذلك طول فى بيان خبثهم قال القاشانى الاقتصار فى وصف الكفار المصرين المطبوع على قلوبهم على آيتين والاطناب فى وصف المنافقين فى ثلاث عشرة آية للاضراب عن اولئك صفحا اذ لا ينجع فيهم الكلام ولا يجدى عليهم الخطاب واما المنافقون فقد ينجع فيهم التوبيخ والتعيير وعسى ان يرتدعوا بالتشنيع عليهم وتفظيع شأنهم وسيرتهم وتهجير عادتهم وخبث نيتهم وسريرتهم وينتهوا بتقبيح صورة حالهم وتفضيحهم بالتمثيل بهم وبطريقتهم فتلين قلوبهم وتنقاد نفوسهم وتزكى بواطنهم وتضمحل رذائلهم فيرجعون عما هم عليه ويصيرون من المستثنى فى قوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين اجرا عظيما والناس اسم جمع للانسان يسمى به لانه عهد اليه فنسى قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ولذلك جاء فى تفسير قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اى نساء للنعم ذكار للمحن وقيل لظهوره من آنس اى ابصر لانهم

ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمى الجن جنا لاجتنانهم اى استتارهم عن اعين الناس وقيل
هو من الانس الذى هو ضد الوحشة لانهم يستأنسون بامثالهم او يستأنس ارواحهم بابدانهم وابدانهم
بارواحهم واللام فيه للجنس ومن فى قوله (من يقول) موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون
اى يقرون باللسان والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور فى النفس المعبر عنه باللفظ
وللرأى وللمذهب مجازا ووحد الضمير فى يقول باعتبار لفظة من وجمعه فى قوله آمنا وقوله وماهم باعتبار
معناها لان كلمة من تصلح للواحد والجمع او اللام فيه للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مرادبها
عبد الله بن ابى بن سلول واصحابه ونظراؤه من المنافقين حيث اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا من النبى عليه السلام
واصحابه واعتقدوا خلافها واكثرهم من اليهود فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا فى عداد الكفار
المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس
انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الاية تقسيما للقسم الثانى (آمنا بالله) اى صدقنا بالله
(وباليوم الآخر) والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى مالا يتناهى اى الوقت الدائم الذى هو آخر الاوقات
المنقضية والمراد به البعث او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الايام المحدوده اذ لا حد
وراءه وسمى بالآخر لتأخره عن الدنيا وتخصيصهم للايمان بهما بالذكر له ادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه
واحاطوا به من طرفيه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا
وكانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وحكاية عبارتهم لبيان كمال
خبثهم فان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم
يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم فكان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر (وماهم بمؤمنين) ما نائبة عن ليس
ولهذا اعقب بالباء اى ليسوا بمصدقين لانهم يضمرون خلاف ما يظهرون بل هم منافقون وفى الحكم عليهم بانهم
ليسوا بمؤمنين نفى ما ادعوه على سبيل البت والقطع لانه نفى اصل الايمان منهم بادخال الباء فى خبر ما ولذا لم يقل
وماهم من المؤمنين فان الاول ابلغ من الثانى دلت الاية على ان الدعوى مردودة اذا لم يقم عليها دلائل الصحة
قال قائلهم من تحلى بغير ما فيه فضح الامتحان ما يدعيه فان من مدح نفسه ذم ومن ذم نفسه مدح قال فرعون
عليه لعائن الله وانا من المسلمين فقيل وكنت من المفسدين وقال يونس عليه السلام انى كنت من الظالمين
فقيل له فلولا انه كان من المسبحين (قال الحافظ) خوش بود كر محك تجربه آمد بميان * تا سيه روى شود
هر كه در وغش باشد * حكى ان شيخا كان له تلميذ يدعى انه امين والشيخ يعلم منه خلاف ذلك وهو يرد على
الشيخ فى ذلك ويدعى الامانة ويطلب منه ان يكشف له سرا من اسرار الله تعالى فاخذ الشيخ يوما تلميذا من اصحابه
وخبأه فى بيت وعمد الى كبش فذبحه والقاه فى عدل ودخل ذلك التلميذ المدعى فرأى الشيخ ملطخا بالدماء والعدل
امامه والسكين فى يده فقال له يا سيدى ما شأنك فقال له غاظنى فلان يعنى ذلك التلميذ فقتلته يعنى التلميذ يعنى
بقتله مخالفة هواه حتى لا يكذب الشيخ فتخيل التلميذ انه فى العدل فقال الشيخ هذه امانة فاستر على وادفن معى
هذا المذبوح الذى فى هذا العدل فدفنه معه فى الدار وقصد الشيخ نكاية ذلك التلميذ وان يفعل معه ما يخرجه
وجاء ابو ذلك المخبوء يطلب ابنه فقال له الشيخ هو عندى فمضى الرجل فلما كبر على الرجل نكاية الشيخ مشى
الى والد ذلك المخبوء واخبره ان الشيخ قتله ودفنه معه ورفع ذلك الى السلطان فتوقف السلطان فى ذلك الامر
لما يعرفه من جلالة الشيخ وبعث اليه بالقاضى والفقهاء واخذ ذلك التلميذ يسب الشيخ ووقف الشهود
حتى حضر الى العدل فعاينوا الكبش وخرج التلميذ المخبوء وافتضح وندم حيث لا ينفعه الندم كذا فى الرسالة
المسماة بالامر المحكم المربوط فيما يلزم اهل طريق الله من الشروط للشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فظهر
من هذا ان الاسرار لا توهب الا للامناء والانوار لا تفيض الا على الادباء (قال الحافظ) حديث دوست
نكويم مكر بحضرت دوست * كه آشنا سخن آشنا نكه دارد * وفى التأويلات النجمية ومن الناس
هم الذين نسوا الله ومعاهدته يوم الميثاق فمنهم من يقول آمنا بالله يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم
فان الايمان الحقيقى ما يكون من نور الله الذى يقذفه الله فى قلوب خواصه وباليوم الآخر اى بنور الله يشاهد

الآخرة فيؤمن به فمن لم ينظر بنور الله فلا يكون مشاهدا لعالم الغيب فلا يعلم الغيب فلا يكون مؤمنا بالله
وباليوم الآخر ولهذا قال وماهم بمؤمنين اى بالذين يؤمنون من نور الله تعالى وفيه معنى آخر وماهم بمستعدين
للهداية الى الايمان الحقيقى لانهم فى غاية الغفلة والخذلان انتهى (يخادعون الله) بيان ليقول فى الاية السابقة
وتوبيخ لما هو غرضهم مما يقولون او استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل مالهم يقولون
ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ اى يخدعون وانما اخرج فى زنة فاعل للمبالغة وخداعهم مع الله
سبحانه ليس على ظاهره لانه لا تخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على
حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته فى ارضه والناطق عنه باوامره
ونواهيه مع عباده ففيه رفع درجة النبى صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعه واما ان صورة صنعهم
مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم من اجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده تعالى
اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله تعالى فى اخفاء
حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المتخادعين فتكون المخادعة بين الاثنين
والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على
ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذى اذا امر الحارش يده على باب
جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا
ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى منابذيهم اى يشيعوها الى مخالفيهم واعدائهم وان يدفعوا عن
انفسهم ما يصيب سائر الكفرة من القتل والنهب والاسر وان ينالوا به نظم مصالح الدنيا جميعا كأن يفعل بهم
ما يفعل بالمؤمنين من الاعطاء (والذين آمنوا) اى يخادعون المؤمنين بقولهم اذا رأوهم آمنا وهم غير مؤمنين
وهو عطف على الاول ويجوز حمله على الحقيقة فى حقهم فانه وسعهم كذا فى التيسير (وما يخدعون الا انفسهم)
النفس ذات الشىء وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحى به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان
قوامها به وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد هنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع
اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم اى يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم
مقصورة عليهم ومن حافظ على الصيغة قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم
لان ضررها لا يحيق الا بهم ووبال خداعهم راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم
فيفتضحون فى الدنيا ويستوجبون العقاب فى العقبى (قال المولى جلال الدين) بازئى ديدى تو اى شطرنج باز *
بازئ خصمت ببين پهن ودراز * وقيل يعاملهم على وفق ما عاملوا وذلك فيما جاء انهم اذا القوا فى النيران
وعذبوا فيها طويلا من الزمان استغاثوا بالرحمن قيل لهم هذه الابواب قد فتحت فاخرجوا فيتبادرون الى الابواب
فاذا انتهوا اليها اغلقت دونهم واعيدوا الى الآبار والتوابيت مع الشياطين والطواغيت قال تعالى انهم يكيدون
كيدا واكيد كيدا وفى الحديث يؤمر بنفر من الناس يوم القيامة الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها
ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله تعالى لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة
وندامة ما رجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريتنا ما اريتنا من ثواب
ما اعددت لاوليائك فيقول ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بى بارزتمونى بالعظائم فاذا لقيتم الناس لقيتموهم
مخبتين تراءون الناس خلاف ما تنطوى قلوبكم عليه هبتم الدنيا ولم تهابونى اجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس
ولم تتركوا لى يعنى لاجل الناس فاليوم اذيقكم اليم عذابى مع ما حرمتكم يعنى من جزيل ثوابى كذا فى روضة
العلماء وتنبيه الغافلين (وما يشعرون) حال من ضمير ما يخدعون اى يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم
ما يحسون بذلك لتماديهم فى الغفلة والغواية جعل طوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم فى الظهور كالمحسوس
الذى لا يخفى الا على مؤوف الحواس وهذا تنزيل لهم منزلة الجمادات وحط من مرتبة البهائم حيث سلب
منهم الحس الحيوانى فهم ممن قيل فى حقهم بل هم اضل فلا يشعرون ابلغ وانسب من لا يعلمون والشعور
الاحساس اى علم الشىء علم حس ومشاعر الانسان حواسه سميت به لكون كل حاسة محلا للشعور والعظة فيه
ان المنافق عمل ما عمل وهو لا يعلم بوبال ما عمل والمؤمن يعلم به فاعذره عند ربه ثم فى هذه الاية نفى العلم عنهم وفى قوله

وتكتمون الحق وانتم تعلمون اثبات العلم لهم والتوفيق بينهما انهم علموا به حقيقة ولكن لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا وهو كقوله عزوجل صم بكم عمى فكانوا ناطقين سامعين ناظرين حقيقة لكن لم ينتفعوا بذلك فكانوا كانهم صم بكم عمى فذو الآلة اذا لم ينتفع بها فهو وعادم الالة سوآء والعالم الذى لا يعمل بعلمه فهو والجاهل سوآء والغنى الذى لا ينتفع بماله فهو والفقير سوآء فاثبات العلم للكفار الزام الحجة وذكر الجهل اثبات المنقصة بخلاف المؤمنين فان اثبات العلم لهم اثبات الكرامة وذكر الجهل تلقين عذر المعصية كذا فى التيسير فعلى المؤمن ان يتحلى بالعلم والعمل ويجتنب عن الخطأ والزلل ويطيع ربه خالصا لوجهه الكريم ويعبده بقلب سليم وفى الحديث ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم يجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون لهم فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيرا وانما يقال لهم ذلك لان عملهم فى الدنيا كان على وجه الخداع فيعاملون فى الآخرة على وجه الخداع كذا فى تنبيه الغافلين (قال السعدى) چه قدر آورد بنده خوررديس * كه زير قبا دارد اندام پيس * وفى التأويلات النجمية الاشارة ان الله تعالى لما قدر لبعض الناس الشقاوة فى الازل اعمر بذر سر القدر المستور فى اعماله ثمرة مخادعة الله فى الظاهر ولا يشعر ان المخادعة نتيجة بذر سر القدر بطريق تزيين الدنيا فى نظره وحب شهواتها فى قلبه كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات الآية فانخدع بزينة الدنيا وطلب شهواتها عن الله وطلب السعادة الاخروية فعلى الحقيقة هو المخادع المكور كما قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم فعلى هذا وما يخدعون الا انفسهم حقيقة فى صورة مخادعتهم الله والذين آمنوا لانهم كانوا قبل مخادعتهم الله مستوجبين النار بكفرهم مع امكان ظهور الايمان عنهم فلما شرعوا فى اظهار النفاق بطريق المخادعة نزلوا بقدم النفاق الدرك الاسفل من النار فابطلوا استعداد قبول الايمان وامكانه عن انفسهم فكانت مفسدة خداعهم ومكرهم راجعة الى انفسهم وما يشعرون اى ليس لهم الشعور بسر القدر الازلى وان معاملتهم فى المكر والخداع من نتايجه لان فى قلوبهم مرضا ومرض القلب ما يفهم من شعور سر القدر (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) زاد يجئ متعديا كما فى هذه الآية ولازما كما فى قوله تعالى فارسلناه الى مائة الف او يزيدون والمرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل فى افاعيله ويؤدى الى الموت ومجاز فى الاعراض النفسانية التى تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصى وغير ذلك من فنون الكفر المؤدى الى الهلاك الروحانى لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والآية الكريمة تحتملها فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول عليه السلام واستعلاء شأنه يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد فى اعلاء امره ورفع قدره وان نفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبى عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار وبازدياد التكاليف الشرعية وتكرير الوحى وتضاعف النصر لانهم كلما ازداد التكاليف بنزول الوحى يزدادون كفرا وقد كان يشق عليهم التكلم بالشهادة فكيف وقد لحقتهم الزيادات وهى وظائف الطاعات ثم العقوبة على الجنايات فازدادوا بذلك اضطرابا على اضطراب وارتيابا على ارتياب ويزدادون بذلك فى الآخرة عذابا على عذاب قال تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب والمؤمنون لهم فى الدنيا ما قال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وفى العقبى ما قال ويزيدهم من فضله قال القطب العلامة امراض القلب اما متعلقة بالدين وهو سوء الاعتقاد والكفر او بالاخلاق وهى اما رذائل فعلية كالغل والحسد واما رذائل انفعالية كالضعف والجبن فحمل المرض اولا على الكفر ثم على الهيئات الفعلية ثم على الهيئات الانفعالية ويحتمل ان يكون قوله تعالى فزادهم الله دعاء عليهم فان قلت فكيف يحمل على الدعاء والدعاء للعاجز عرفا والله تعالى منزه عن العجز قلت هذا تعليم من الله عباده انه يجوز الدعاء على المنافقين والطرد لهم لانهم شر خلق الله لانه اعد لهم يوم القيمة الدرك الاسفل من النار وهذا كقوله تعالى قاتلهم الله ولعنهم الله (ولهم) فى الآخرة (عذاب اليم) يصل المه الى القلوب وهو بمعنى المؤلم بفتح اللام على انه اسم مفعول من الايلام وصف به العذاب للمبالغة وهو فى الحقيقة صفة المعذب بفتح الذال المعجمة كما ان الجد للجاد فى قولهم جد جده ووجه المبالغة افادة ان الالم بلغ الغاية حتى سرى من المعذب الى العذاب المتعلق به

(بما كانوا يكذبون) الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة فى الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده اى بسبب كذبهم المتجدد المستمر الذى هو قولهم آمنا الخ وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم نظرا الى ظاهر العبارة المتخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه والكذب الاخبار بالشئ على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما روى ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض لكن لما شابه الكذب فى صورته سمى به واحدى الكذبات قوله انى سقيم اى ذاهب الى السقم او الى الموت او سيسقم لما يجد من الغيظ فى اتخاذهم النجوم آلهة قاله ليتركوه عن الذهاب معهم الى عيدهم حتى يخلوا سبيله فيكسر اصنامهم والثانية قوله بل فعله كبيرهم هذا على الفرض والتقدير على سبيل الالزام كانه قال لو كان الها معبودا وجب ان يكون قادرا على ان يفعله فاذا لم يكن قادرا عليه يكون عاجزا والعاجز بمعزل عن الالوهية واستحقاق العبادة فكيف حالكم فى العكوف عليه فهذا القول تهكم بعقولهم وثالثتها قوله فى حق زوجته سارة رضى الله عنها هذه اختى والمراد منه الاخوة فى الدين وغرضه منه تخليصها من يد الظالم لان من دين ذلك الملك الذى يتدين به فى الاحكام المتعلقة بالسياسة لا يتعرض الا لذوات الازواج لان من دينه ان المرأة اذا اختارت الزوج فالسلطان احق بها من زوجها واما اللاتى لا ازواج لهن فلا سبيل عليهن الا اذا رضين واما قوله هذا ربى فهو من باب الاستدراج وهو ارخاء العنان مع الخصم وهو نوع من التعريض لان الغرض منه حكاية قولهم كذا فى حواشى ابن تمجيد واعلم ان الكذب من قبايح الذنوب وفواحش العيوب ورأس كل معصية بهايتكدر القلوب وابغض الاخلاق انه مجانب للايمان يعنى الايمان فى جانب والكذب فى جانب آخر مقابل له وهذا كناية عن كمال البعد بينهما وفى الحديث مالى اراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل فى الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امرأته ليرضيها مثل ان يقول لا احد احب الى منك وكذا من جانب المرأة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفى معناها ما اداهما اذا ارتبط بمقصود صحيح له او لغيره كما قيل بالفارسية دروغ مصلحت آميز به از راست فتنه انگيز * لكن هذا فى حق الغير واما فى حق نفسه فالصدق اولى وان لزم الضرر (كما قال السعدى) تا نيك ندانى كه سخن عين صوابست * بايد كه بگفتن دهن از هم نگشايى * گر راست سخن گويى ودر بند بمانى * به زانكه دروغت دهد از بند رهايى * واعلم ان المراد بالكذب فى الحقيقة الكذب فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية كما للمنافقين ومن يحذو حذوهم ولا يصح الاقتداء بارباب الكذب مطلقا ولا يعتمد عليهم فانهم يجرون الى الهلاك والفراق عن مالك الاملاك (قال فى المثنوى) صبح كاذب كاروانها را زدست * كه بيوى روز بيرون آمدست * صبح كاذب خلق را رهبر مباد * كو دهد بس كاروانها را بباد * قال القاشانى فى تأويل الآية فى قلوبهم حجاب من حجب الرذائل النفسانية الشيطانية والصفات البشرية عن تجليات الصفات الحقانية وفى التأويلات النجمية فى قلوبهم مرض وهو الالتفات الى غير الله فزادهم الله مرضا اى زاد مرض الالتفات على مرض خداعهم فحرموا من الوصول والوصال ولهم عذاب اليم من حرمان الوصول الى الله تعالى بما كانوا يكذبون بقولهم انا آمنا بالله فانهم ليسوا بمؤمنين حقيقة والايمان الحقيقى نور اذا دخل القلب يظهر على المؤمن حقيقته كما كان لحارثة لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا حارثة قال اصبحت مؤمنا حقا قال يا حارثة ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال اعرضت نفسى عن الدنيا اى زهدت وانصرفت فاظمأت نهارها واسهرت ليلها واستوى عندى حجرها وذهبها وكأنى انظر الى اهل الجنة يتزاورون والى اهل النار يتضاعون وكأنى انظر الى عرش ربى بارزا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبت فالزم (قال فى المثنوى) اهل صيقل رسته اند از بو ورنگ * هر دمى بينند خوبى بى درنگ * نقش وقشر علم را بگذاشتند * رأيت عين اليقين افراشتند * برترند از عرش وكرسى وخلا * ساكنان مقعد صدق خدا * علم كان نبود ز هو بى واسطه * آن نپايد همچو رنگ ماشطه * (واذا قيل لهم) اى قال المسلمون لهؤلاء المنافقين (لا تفسدوا فى الارض) اسناد قيل الى لا تفسدوا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول كقولك

الف ضرب من ثلاثة احرف والفساد خروج الشئ عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع
والفساد فى الارض تهييج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش
والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدى الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرآئهم عليه وغير ذلك
من فنون الشرور فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لا تفسدوا كما يقول الرجل لا تقتل نفسك
بيدك ولا تلق نفسك فى النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وكانت الارض قبل البعثة يعلن فيها بالمعاصى
فلما بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم ارتفع الفساد وصلحت الارض فاذا اعلنوا بالمعاصى فقد افسدوا
فى الارض بعد اصلاحها كما فى تفسير ابى الليث (قالوا انما نحن مصلحون) جواب لاذا ورد للناصح على سبيل
المبالغة والمعنى انه لا يصلح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوآئب الفساد
وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له
سوء عمله فرآه حسنا فانكروا كون ذلك فسادا وادعوا كونه اصلاحا محضا وهو من قصر الموصوف على الصفة
مثل انما زيد منطلق قال ابن التمجيد ان المسلمين لما قالوا لهم لا تفسدوا توهموا ان المسلمين ارادوا بذلك
انهم يخلطون الافساد بالاصلاح فاجابوا بانهم مقصورون على الاصلاح لا يتجاوزون منه الى صفة الافساد
فيلزم منه عدم الخلط فهو من باب قصر الافراد حيث توهموا ان المؤمنين اعتقدوا الشركة فاجابهم الله تعالى
بعد ذلك بما يدل على القصر القلبى وهو قوله تعالى (الا) ايها المؤمنون اعلموا (انهم هم المفسدون) فانهم لما اثبتوا
لانفسهم احدى الصفتين ونفوا الاخرى واعتقدوا ذلك قلب الله اعتقادهم هذا بان اثبت لهم ما نفوه ونفى عنهم
ما اثبتوا والمعنى هم مقصورون على افساد انفسهم بالكفر والناس بالتعويق عن الايمان لا يتخطون منه الى صفة
الاصلاح من باب قصر الشئ على الحكم فهم لا يعدون صفة الفساد والافساد ولا يلزم منه ان لا يكون غيرهم
مفسدين ثم استدرك بقوله تعالى (ولكن لا يشعرون) انهم مفسدون للايذان بان كونهم مفسدين من الامور
المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه قال الشيخ فى تفسيره ذكر الشعور بازآء الفساد اوفق لانه كالمحسوس
عادة ثم فيه بيان شرف المؤمنين حيث تولى الله جواب المنافقين عما قالوه للمؤمنين كما كان فى حق المصطفى
صلى الله تعالى عليه وسلم فان الوليد بن المغيرة قال له انه مجنون فنفاه الله عنه بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون
ثم قال فى ذم ذلك اللعين ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم
اى حلاف حقير عياب يمشى بين الناس بالنميمة بخيل للمال ظالم فاجر غليظ القلب جاف ومع ذلك الوصف
المذكور هو ولد الزنى وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اتخذ ربه وكيلا على اموره بمقتضى قوله فاتخذوه وكيلا فهو
تعالى يكفى مؤنته كما قال اهل الحقائق ان خوارق العادات قلما تصدر من الاقطاب والخلفاء بل من
وزرآئهم وخلفائهم لقيامهم بالعبودية التامة واتصافهم بالفقر الكلى فلا يتصرفون لانفسهم فى شئ ومن جملة
كمالات الاقطاب ومن الله عليهم ان لا يبتليهم بصحبة الجهلاء بل يرزقهم صحبة العلماء الادباء الامناء يحملون
عنهم اثقالهم وينفذون احكامهم واقوالهم وذلك كما كان الكامل آصف بن برخيا وزير سليمان عليه
السلام الذى كان قطب وقته ومتصرفا وخليفة على العالم فظهر عنه ما ظهر من اتيان عرش بلقيس كما حكاه
الله تعالى فى القرءآن وفى التأويلات النجمية واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض الاشارة فى تحقيق الآيتين
ان الانسان وان خلق مستعد الخلافة الارض ولكنه فى بداية الخلقة مغلوب الهوى والصفات النفسانية
فيكون مائلا الى الفساد كما اخبرت عنه الملائكة وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الاية فبأوامر الشريعة
ونواهيها يتخلص جوهر الخلافة عن معدن نفس الانسان فاهل السعادة وهم المؤمنون ينقادون للداعى
الى الحق ويقبلون الاوامر والنواهى واهل الشقاوة وهم الكافرون المنافقون يمرقون من الدين ويتبعون الهوى
واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض اى لا تسعوا فى افساد حسن استعدادكم وصلاحيتكم للخلافة فى الارض
باتباعكم الهوى وحرصكم على الدنيا قالوا انما نحن مصلحون لا يقبلون النصيحة غافلين عن حقيقتها
(كما قال السعدى) كسى را كه پندار در سر بود * مپندار هرگز كه حق بشنود * ز علمش ملال
آيد از وعظ ننگ * شقايق بباران نرويد ز سنگ * فكذبهم الله تعالى بقوله الا انهم هم المفسدون يفسدون
صلاح آخرتهم باصلاح دنياهم ولكن لا يشعرون اى لا شعور لهم بافساد حالهم وسوء اعمالهم وعظم وبالهم

من خسار حسن صنيعهم وادعائهم بالصلاح على انفسهم كما قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الاية
(قال المولى جلال الدين قدس سره) اى كه خود را شير يزدان خوانده * سالها شد با سگى درمانده * چون
كند اين سگ براى تو شكار * چون شكار سگ شدستى آشكار * (واذا قيل لهم) من طرف المؤمنين
بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين
الاعراض عما لا ينبغى وهو المقصود بقوله تعالى لا تفسدوا فى الارض والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله
تعالى (آمنوا) حذف المؤمن به لظهوره اى آمنوا بالله وباليوم الاخر او اريد افعلوا الايمان (كما آمن الناس)
الكاف فى محل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف اى آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية
او كافة اى حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام فى الناس للجنس والمراد به الكاملون فى الانسانية العاملون
بقضية العقل او للعهد والمراد به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل بلدتهم اى من
اهل ضيعتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا من شوآئب النفاق مماثلا
لايمانهم (قالوا) مقابلين للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان
(انؤمن كما آمن السفهاء) الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس الكاملين او المعهودين او الى الجنس
باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة عقل وسخافة رأى يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم
والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم فى الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم فى السفاهة
وتماديهم فى الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمى الهدى
لا محالة ضلالا او لتحقير شأنهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقرآء ومنهم موالى كصهيب وبلال او للتجلد وعدم
المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله فان قيل كيف يصح النفاق
مع المجاهرة بقوله انؤمن كما آمن السفهاء قلنا فيه اقوال الاول ان المنافقين لعنهم الله كانوا يتكلمون بهذا
الكلام فى انفسهم دون ان ينطقوا به بالسنتهم لكن هتك الله تعالى استارهم واظهر اسرارهم عقوبة على
عداوتهم وهذا كما اظهر ما اضمره اهل الاخلاص من الكلام الحسن وان لم يتكلموا به بالالسن تحقيقا ولا بتهم
قال الله تعالى يوفون بالنذر الى ان قال انما نطعمكم لوجه الله وكان هذا فى قلوبهم فاظهره الله تعالى تشريفا
لهم وتشهيرا لحالهم هذا قول صاحب التيسير والثانى ان المنافقين كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند
المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك هذا قول البغوى والثالث قول ابى السعود
فى الارشاد حيث قال هذا القول وان صدر عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم لكن
لا يقتضى كونهم مجاهرين لا منافقين فانه ضرب من الكفر انيق وفن فى النفاق عريق لانه محتمل للشر كما ذكر
فى تفسيره وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى انؤمن
كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كايمان الناس حتى تأمرون بذلك قد خاطبوا به
الناصحين استهزآء بهم مرآئين لارادة المعنى الاخير وهم يقولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز وجل
(الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) انهم هم السفهاء ولا يحيطون بما عليهم من دآء السفه والمؤمنون بايمانهم
واخلاصهم هربوا من السفه ورغبوا فى العلم والحق وهم العلماء على الحقيقة والمستقيمون على الطريقة وهذا رد
ومبالغة فى تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف
المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر واعلم ان قوله تعالى وما يشعرون فى الاية الاولى نفى
الاحساس عنهم وفى الثانية نفى الفطنة لان معرفة الصلاح والفساد يدرك بالفطنة وفى الاية الثالثة نفى العلم
وفى نفيها على هذه الوجوه تنبيه لطيف ومعنى دقيق وذلك انه بين فى الاول ان فى استعمالهم الخديعة نهاية
الجهل الدال على عدم الحس وفى الثانى انهم لا يفطنون تنبيها على ان ذلك لازم لهم لان من لا حس له لا فطنة له
وفى الثالث انهم لا يعلمون تنبيها على ان ذلك ايضا لازم لهم لان من لا فطنة له لا علم له فان العلم تابع للعقل كما
(حكى) ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام اتى اليه جبرآئيل بثلاث تحف العلم والحياء والعقل فقال يا آدم
اختر من هذه الثلاث ما تريد فاختار العقل فاشار جبريل الى العلم والحياء بالرجوع الى مقرهما فقالا انا كنا فى عالم
الارواح مجتمعين فلا نرضى ان يفترق بعضنا عن بعض فى الاشباح ايضا فنتبع العقل حيث كان فقال جبريل

استقرافاستقر العقل فى الدماغ والعلم فى القلب والحياء فى العين (قال المولى جلال الدين قدس سره * جمله حيوانرا بى انسان بكش * جمله انسانرا بكش ازبهر هش * هش چه باشد عقل كل هوشمند * هوش جزئى هش بود امانزند * لطف اوعاقل كند مرنيل را * قهر اوابله كند قابيل را * فليسارع العاقل الى تحصيل العلم والمعرفة حتى يصل الى توحيد الفعل والصفة قال الامام القشيرى رحمه الله للعقل نجوم وهى للشيطان رجوم وللعلوم اقمار وهى للقلوب انوار واستبصار وللمعارف شموس ولها على اسرار العارفين طلوع والعلم اللدنى هو الذى ينفتح فى بيت القلب من غير سبب مألوف من الخارج وللقلب بابان الى الخارج يأخذ العلم من الحواس وباب الى الداخل يأخذ العلم بالالهام فمثل القلب كمثل الحوض الذى يجرى فيه انهار خمسة فلا يخلو ماؤه عن كدرة مادام يحصل ماؤه من الانهار الخمسة بخلاف ما اذا خرج ماؤه من قعره حيث يكون ماؤه اصفى واجلى فكذا القلب اذا حصل له العلم من طريق الحواس الخمس الظاهرة لايخلو عن كدرة وشك وشبهة بخلاف ما اذا ظهر من صميم القلب بطريق الفيض فانه اصفى واولى وقال الشيخ زين الدين الحافى رحمه الله والعجب ممن دخل فى هذه الطريقة واراد ان يصل الى الحقيقة وقد حصل من الاصطلاحات ما يستخرج بها المعانى من كتاب الله واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ثم لا يشتغل بذكر الله وبمراقبته والاعراض عما سواه لتنصب الى قلبه العلوم اللدنية التى لو عاش الف سنة فى تدريس الاصطلاحات وتصنيفها لايشم منها رايحة ولايشاهد من آثارها وانوارها لمعة فالعلم بلا عمل عقيم والعمل بلا علم سقيم والعمل بالعلم صراط مستقيم (قال فى المثنوى) آنكه بى همت چه باهمت شده * وآنكه باهمت چه بانعمت شده * وفى التأويلات النجمية واذا قيل لهم اى لاهل الغفلة والنسيان آمنوا كما آمن الناس اى بعض الناسين منكم الذين تفكروا فى آلاء الله تعالى وتدبروا آياته بعد نسيان عهد ألست بربكم ومعاهدة الله تعالى على التوحيد والعبودية فتذكروا تلك العهود والمواثيق فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به قالوا اى اهل الشقاوة منهم انؤمن كما آمن السفهاء فكذلك احوال اصحاب الغفلات مدعى الاسلام اذا دعوا من الايمان التقليدى الذى وجدوه بالميراث الى الايمان الحقيقى المكتسب بصدق الطلب وترك محبة الدنيا واتباع الهوى والرجوع الى الخلق والتمادى فى الباطل ينسبون ارباب القلوب واصحاب الكرامات العالية الى السفه والجنون وينظرون اليهم بنظر العجز والذلة والقلة والمسكنة ويقولون انترك الدنيا كما ترك هؤلاء السفهاء من الفقراء لنكون محتاجين الى الخلق كما هم محتاجون ولا يعلمون انهم هم السفهاء لقوله تعالى ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون فهم السفهاء بمعنيين احدهما لانهم يبيعون الدين بالدنيا والباقى بالفانى لسفاهتهم وعدم رشدهم والثانى لانهم سفهوا انفسهم ولم يعرفوا حسن استعدادهم للدرجات العلى والقربة والزلفى فرضوا بالحياة الدنيا ورغبوا عن مراتب اهل التقى ومشارب اهل النهى كما قال الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه فانه من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن عرف ربه ترك غيره وعرف اهل الله وخاصته فلا يرغب عنهم ولا ينسبهم الى السفه وينظر اليهم بالعزة فان الفقراء الكبراء هم الملوك تحت الاطمار ووجوههم المصفرة عند الله كالشموس والاقمار ولكن تحت قباب العزة مستورون وعن نظر الاغيار محجوبون (قال فى المثنوى) مهر پاكان درميان جان نشان * دل مده الا بمهر دلخوشان * كر توسنك صخره ومرمر شوى * چون بصاحب دل رسى جوهر شوى * انهم تحت قبابى آمنون * جز كه يزدانشان نداند آزمون * (واذا لقوا الذين آمنوا) بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير اى هؤلاء المنافقون اذا عاينوا وصادفوا واستقبلوا الذين آمنوا بالحق وهم المهاجرون والانصار (قالوا) كذبا (آمنا) كايمانكم وتصديقكم روى ان عبد الله بن ابى المنافق واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضى الله عنهم فقال ابن ابى انظروا كيف ارد هذه السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابى بكر رضى الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد على رضى الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له

على رضى الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله فقال له مهلا يا ابا الحسن انى تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابى لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت الآية (واذا خلوا) اى مضوا واجتمعوا على الخلوة والى بمعنى مع او انفردوا والى بمعنى الباء او مع تقول خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه (الى شياطينهم) اصحابهم المماثلين للشيطان فى التمرد والعناد المظهرين لكفرهم واضافتهم اليه للمشاركة فى الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وكل عات متمرد فهو شيطان وقال الضحاك المراد بشياطينهم كهنتهم وهم فى بنى قريظة كعب بن الاشرف وفى بنى اسلم ابو بردة وفى جهينة عبد الدار وفى بنى اسد عوف بن عامر وفى الشام عبد الله بن سوداء وكانت العرب تعتقد فيهم انهم مطلعون على الغيب ويعرفون الاسرار ويداوون المرضى وليس من كاهن الا وعند العرب ان معه شيطانا يلقى اليه كهانته وسموا شياطين لبعدهم عن الحق فان الشطون هو البعد كذا فى التيسير (قالوا انا معكم) انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم واعتقادكم لا نفارقكم فى حال من الاحوال وكانه قيل لهم عند قوله انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين فى الاتيان بكلمة الشهادة وتشهدون مشاهدهم وتدخلون مساجدهم وتحجون وتغزون معهم فقالوا (انما نحن) اى فى اظهار الايمان عند المؤمنين (مستهزؤن) بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة فنريهم انا نوافقهم على دينهم ظاهرا وباطنا وانما نكون معهم ظاهرا لنشاركهم فى غنائمهم وننكح بناتهم ونطلع على اسرارهم ونحفظ اموالنا واولادنا ونساءنا من ايديهم والاستهزاء التجهيل والسخرية والاستخفاف والمعنى انا نجهل محمدا واصحابه ونسخر بهم باظهارنا الاسلام فرد الله عليهم بقوله (الله يستهزئ بهم) اى يجازيهم على استهزائهم او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان واما فى الآخرة فما يروى انه يفتح لهم باب الى الجنة وهم فى جهنم فيسرعون نحوه فاذا وصلوا اليه سد عليهم الباب وردوا الى جهنم والمؤمنون على الارائك فى الجنة ينظرون اليهم فيضحكون منهم كما ضحكوا من المؤمنين فى الدنيا فذلك بمقابلة هذا او يفعل بهم ذلك مرة بعد مرة (ويمدهم) اى يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه لا من المد فى العمر فانه يعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم (فى طغيانهم) متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد فى كل امر والمراد افراطهم فى العتو وغلوهم فى الكفر وفى اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتأييد لما اشير اليه من ترتب المد على سوء اختيارهم (يعمهون) اى يترددون فى الضلالة متحيرين عقوبة لهم فى الدنيا لاستهزائهم حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدرى اين يتوجه وفى الآيتين اشارات الاولى فى قوله تعالى انا معكم وهى ان من رام ان يجمع بين طريق الارادة وما عليه اهل العادة لا يلتئم له ذلك والضدان لا يجتمعان ومن كان له من كل ناحية خليط ومن كل زاوية من قلبه ربيط كان نهبا للطوارق ومنقسما بين العلائق فهذا حال المنافق يذبذب بين ذلك وذلك يعنى ان المنافقين لما ارادوا ان يجمعوا بين عبرة الكفار وصحبة المسلمين وان يجمعوا بين مفاسد الكفر ومصالح الايمان وكان الجمع بين الضدين غير جائز فبقوا بين الباب والدار كقوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وكذلك حال المتمنين الذين يدعون الارادة ولا يخرجون عن العادة ويريدون الجمع بين مقاصد الدارين يتمنون اعلى مراتب الدين ويرتعون فى اسفل مراتع الدنيا فلا يلتئم لهم ذلك قال عليه السلام ليس الدين بالتمنى وقال بعثت لرفع العادات ودفع الشهوات وقال الدنيا والآخرة ضرتان فمن يدع الجمع بينهما فممكور ومغرور فمن رام مع متابعة الهوى البلوغ الى الدرجات العلى فهو كالمستهزئ بطريق هذا الفريق فكم فى هذا البحر من امثاله غريق فالله تعالى يمهلهم فى طغيان النفس بالحرص على الدنيا حتى يتجاوزون فى طلبها حد الاحتياج اليها ويفتح ابواب المقاصد الدنيوية عليهم ليستغنوا بها وبقدر الاستغناء يزيد طغيانهم كما قال الله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فكان جزاء سيئة تلونهم فى الطلب الاستهزاء وجزاء سيئة الاستهزاء الخذلان والامهال الى ان طغوا وجزاء سيئة الطغيان العمه فيترددون فى الضلال متحيرين لا سبيل لهم الى

الخروج من الباطل والرجوع الى الحق والاشارة الثانية فى قوله تعالى الله يستهزئ بهم وهى ان ذلك يدل على شرف المؤمنين ومنزلتهم عند الله حيث ان الله هو الذى يتولى الاستهزآء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزآء مثله فناب الله عنهم واستهزأبهم الاستهزآء الابلغ الذى ليس استهزآؤهم عنده من باب الاستهزآء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان مالا يوصف به ودلت الاية على قبح الاستهزآء بالناس وقد قال لا يسخر قوم من قوم وقال فى قصة موسى عليه السلام قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فاخبر انه فعل الجاهلين واذا كان الاستهزآء بالناس قبيحا فما جزآء الاستهزآء بالله وهو فيما قال النبى صلى الله عليه وسلم المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه والاشارة الثالثة فى قوله تعالى ويمدهم فى طغيانهم يعمهون وهى ان العبد ينبغى له ان لا يغتر بطول العمر وامتداده ولا بكثرة امواله واولاده والله تعالى يقول فى اعدآئه فى حق المعمر ويمدهم وفى حق المال والبنين يحسبون انما نمدهم به من مال وبنين وكان طول العمر لهم خذلانا وكثرة الاموال والاولاد لهم حرمانا ولهم فى مقابلة هذا المدمد قال الله تعالى ونمد لهم من العذاب مدا وقد جعل الله لعدوه فى الدنيا مالا ممدودا ولوليه فى الآخرة ظلا ممدودا وقال الله جل جلاله لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ان من نعمتى على امتك انى قصرت اعمارهم كيلا تكثر ذنوبهم واقللت اموالهم كيلا يشتد فى القيامة حسابهم واخرت زمانهم كيلا يطول فى القبور حبسهم وروى ان الله تعالى قال لحبيبه ليلة المعراج يا احمد لا تتزين بلين اللباس وطيب الطعام ولين الوطاء فان النفس مأوى كل شر وهى رفيق سوء كلما تجرها الى طاعة تجرك الى المعصية وتخالفك فى الطاعة وتطيع لك فى المعصية وتطغى اذا شبعت وتتكبر اذا استغنت وتنسى اذا ذكرت وتغفل اذا امنت وهى قرينة للشيطان كذا فى مشكاة الانوار (اولئك) المنافقون المتصفون بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا كأنهم حضار مشاهدون على ماهم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتدآء وخبره قوله (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اصل الاشترآء بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان ثم استعير للاعراض عما فى يده محصلا به غيره ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشئ طمعا فى غيره وهو ههنا عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية واشتروا الضلالة وهى الكفر والعدول عن الحق والصواب بالهدى وهو الايمان والسلوك فى الطريق المستقيم والاستقامة عليه مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه اى اختاروها عليه واستبدلوها به واخذوها مكانه وجعل الهدى كانه فى ايديهم لتمكنهم منه وهو الاستعداد به فيميلهم الى الضلالة عطلوه وتركوه والباء تصحب المتروك فى باب المعاوضة وهذا دليل على ان الحكم يثبت بالتعاطى من غير تكلم بالايجاب والقبول فان هؤلاء سموا مشترين بترك الهدى واخذ الضلال من غير التكلم بهذه المبادلة كما فى التيسير (فما ربحت تجارتهم) ترشيح للمجاز اى ما ربحوا فيها فان الربح مسند الى ارباب التجارة فى الحقيقة فاسناده الى التجارة نفسها على الاتساع لتلبسها بالفاعل اولمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران ودخلت الفاء لتضمن الكلام معنى الشرط تقديره واذا اشتروا فما ربحوا كما فى الكواشى والتجارة صناعة التجار وهو التصدى بالبيع والشرآء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال (وما كانوا مهتدين) اى الى طريق التجارة فان المقصد منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح فى صفقة فربما يتدارك فى صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين الاصل نائين عن طريق التجارة بالف منزل واعلم ان المهتدى هو الذى ترك الدنيا والعادة ثم اشتغل بوظائف الطاعة والعبادة لا من اتبع كل ما يهواه وخلط هواه بهداه (حكى) انه كان للشيخ الاستاذ ابى على الدقاق رضى الله عنه مريد تاجر متمول فمرض يوما فعاده الشيخ وسأل منه سبب علته فقال التاجر قمت هذه الليلة لمصلحة التهجد فلما اردت الوضوء بدا لى من ظهرى حرارة فاشتد امرى حتى صرت محموما فقال الشيخ لا تفعل فعلا فضوليا ولا ينفعك التهجد مادمت لم تجرد دنياك وتخرج محبتها من قلبك فالاليق لك اولا هو ذاك الاشتغال بوظائف النوافل فمن كان به اذى من رأسه من صداع لا يسكن

المه بالطلاء على الرجل ومن تنجست يده لا يجد الطهارة بغسل ذيله وكمه قال بعض المشايخ من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات وهذا غالب الخلق الا من عصمه الله ترى الواحد منهم يقوم بالاوراد الكثيرة والنوافل العديدة الثقيلة ولا يقوم بفرض واحد على وجهه فعلى العاقل تحصيل رأس المال ثم تحصيل الربح المترتب عليه وذلك بالاختيار لا بالاضطرار وقد اوجب الله على العباد وجود طاعته لما علم من قلة نهوضهم الى معاملته اذ ليس لهم ما يردهم اليه بلا علة وهذا حال اكثر الخلق بخلاف اهل المروءة والصفاء (قال فى المثنوى) اختيار آمد عبادت را نمك * ورنه ميكردد بنا خواه اين فلك * كردش اورا نه اجر ونه عقاب * كه اختيار آمد هنر وقت حساب * انبيا كرهامم ارعاقلان * انبيا طوعا بهار عاشقان * اين محب دايه ليك از بهر شير * وان دكر دل داده بهر آن ستير * فاوجب الله عليك وجود طاعته وما اوجب عليك بالحقيقة الا دخول جنته اذ الامر آيل اليها والاسباب عدمية فان تعللت النفس عن التشمير بما هى عليه من الاستغراق فى كل دنى وحقير فاعلم ان من استغرب ان ينقذه الله من شهوته التى اعتقلته عن الخيرات وان يخرجه من وجود غفلته التى شملته فى جميع الحالات فقد استعجز قدرة الالهية وقد قال الله تعالى وكان الله على كل شئ مقتدرا فابان سبحانه ان قدرته شاملة صالحة لكل شئ وهذا من الاشياء وان اردت الاستعانة على تقوية رجائك فى ذلك فانظر لحال من كان مثلك ثم انقذه الله وخصه بعنايته كابراهيم بن ادهم وفضيل ابن عياض وابن المبارك وذى النون المصرى ومالك بن دينار وغيرهم من مجرمى البداية كذا فى شرح الحكم العطائية (قال الحافظ) عاشق كه شد كه يار بحالش نظر نكرد * اى خواجه درد نيست وكرنه طبيب هست * قال القاشانى فى تأويل الاية الهدى النور الثانى فى قوله تعالى نور على نور وهو النور الفطرى الازلى المراد من قول المحققين هو الاستعداد من فيضه الاقدس والضلالة ظلمة النشأة الحاجبة له بسلوك طريق المطالب الطبيعية الفاسدة والمقاصد الهيولانية الفاسقة بهوى النفس وتتبع خطوات الشيطان والربح هو النور الاول المقدس الكمالى المكتسب بالتوجه الى الحق والاتصال بعالم القدس والانقطاع والتبتل الى الله من الغير والتبرى بحوله وقوته من كل حول وقوة حتى يخلص روح المشاهدة من اعباء المكابدة بطلوع الوجه الباقى واحراق سبحانه كل ما فى بقعة الامكان من الرسم الفانى وخسرانهم باضاعة الامرين هو الحجاب الكلى عن الحق بالرين كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وفى التأويلات النجمية الاشارة فى الاية ان من نتيجة طغيانهم وعمههم ان رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها واشربوا فى قلوبهم الضلالة وتمكنت فكانت هذه الحال من نتيجة معاملتهم فلهذا اضاف الفعل اليهم وقال اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وانما قال بلفظ الاشترآء لانهم اخرجوا استعداد قبول الهداية عن قدرتهم وتصرفهم فلا يملكون الرجوع اليه فما ربحت تجارتهم لان خسران من رضى بالدنيا عن العقبى ظاهر ومن آثر الدنيا والعقبى على المولى فهو اشد خسرانا واعظم حرمانا فاذا كان المصاب بفوات النعيم ممتحنا بنار الجحيم فما ظنك بالمصاب بفقد المطلوب وبعد المحبوب ضاعت عنه الاوقات وبقى فى اسر الشهوات لا الى قلبه رسول ولا لروحه وصول لا من الحبيب اليه وفود ولا لسره معه شهود فهذا هو المصاب الحقيقى وما كانوا مهتدين لابطالهم حسن استعداد قبول الهداية (مثلهم) المثل فى الاصل بمعنى النظير ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده اى المضروب كما ورد من غير تغيير ولا يضرب الا بما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شأن عجيب وفيها غرابة كقوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى اى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلال ولما جاء الله بحقيقة حال المنافقين عقبها بضرب المثل زيادة فى التوضيح والتقرير فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبى وقمع سورة الجامح الابى كيف لا يلطف وهو ابدآء للمنكر فى صورة المعروف واظهار للوحشى فى هيئة المألوف وارآءة للمخيل محققا والمعقول محسوسا وتصوير للمعانى بصورة الاشخاص ومن ثمة كان الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلى والغائب بالشاهد ولامر ما اكثر الله فى كتبه الامثال وفى الانجيل سورة تسمى سورة الامثال وفى القرآن الف آية من الامثال والعبر وهى فى كلام الانبياء عليهم السلام والعلماء والحكماء كثيرة لا تحصى ذكر السيوطى فى الاتقان من اعظم علم

القرآن امثاله والناس فى غفلة عنه والمعنى حالهم العجيبة الشان (كمثل الذى) اى كحال الذين من باب وضع واحد الموصول موضع الجمع منه تخفيفا لكونه مستطالا بصلته كقوله وخضتم كالذى خاضوا والقرينة ماقبله ومابعده خلا انه وحد الضمير فى قوله تعالى (استوقد نارا) نظرا الى الصورة وجمع فى الافعال الاتية نظرا الى المعنى والاستيقاد طلب الوقود والسعى فى تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها والنار جوهر لطيف مضئ محرق حار والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة اى اوقد فى مفازة فى ليلة مظلمة نارا عظيمة خوفا من السباع وغيرها (فلما اضاءت) الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا اى انارت النار (ما حوله) اى ما حول المستوقد من الاماكن والاشياء على ان ما مفعول اضاءت ان جعلته متعديا وحول نصب على الظرفية وان جعلته لازما فهو مسند الى ما والتأنيث لان ما حوله اشياء واماكن واصل الحول الدوران ومنه الحول للعام لانه يدور وجواب لما قوله تعالى (ذهب الله بنورهم) اى اذهبه بالكلية واطفأ نارهم التى هى مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفى او امر سماوى كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله تعالى فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذى هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع مع بقاء النور فى الجملة لعدم استلزام عدم القوى لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى (وتركهم فى ظلمات لايبصرون) فان الظلمة هى عدم النور وانطماسه بالمرة لاسيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمى ومابعده من قوله لايبصرون لا يتحقق الا بعد ان لايبقى من النور عين ولا اثر وترك فى الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب اى صيرهم فى ظلمات لايبصرون ما حولهم فعلى هذا يكون قوله فى ظلمات وقوله لايبصرون مفعولين اصير بعد المفعول الاول على سنن الاخبار المتتابعة للمخبر عنه الواحد وان حمل معناه على الاصل يكونان حالين من المفعول مترادفين او متداخلين والمعنى ان حالهم العجيبة التى هى اشتراؤهم الضلالة التى هى عبارة عن ظلمتى الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدى بالهدى الذى هو الفطرى النورى المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفأها الله تعالى وتركه فى ظلمات هائلة لايتسنى فيها الابصار وفى التيسير والعيون ان المنافقين اظهروا كلمة الايمان فاستناروا بنورها واستعزوا بعزها واستنوا بسببها فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وامنوا على اموالهم واولادهم فاذا بلغوا الى آخر العمر كل لسانهم عنها وبقوا فى ظلمة كفرهم ابد الابد وعادوا الى الخوف والظلمة (صم) اى هم صم عن الحق لايقبلونه واذا لم يقبلوا فكانهم لم يسمعوا والصمم انسداد خروق المسامع بحيث لايكاد هواء يحصل الصوت بتموجه (بكم) خرس عن الحق لايقولونه لما ابطنوا خلاف ما اظهروا فكانهم لم ينطقوا وهو آفة فى اللسان لا يتمكن فيها ان يعتمد مواضع الحروف (عمى) اى فاقدوا الابصار عن النظر الموصل الى العبرة التى تؤديهم الى الهدى وفاقدوا البصيرة ايضا لان من لابصيرة له كمن لا بصر له فالعمى مستعمل ههنا فى عدم البصر والبصيرة جميعا وهذه صفاتهم فى الدنيا ولذلك عوقبوا فى الاخرة بجنسها قال تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما فلا يسمعون سلام الله ولا يخاطبون الله ولا يرونه والمسلمون كانوا سامعين للحق قائلين بالحق ناظرين الى الحق فيكرمون يوم القيمة بخطابه ولقائه وسلامه (فهم لايرجعون) اى هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لايعودون عن الضلالة الى الهدى الذى تركوه والاية فذلكة التمثيل ونتيجته وافادت انهم كانوا يستطيعون الرجوع باستطاعة سلامة الآلات حيث استحقوا الذم بتركه وان قوله تعالى صم بكم عمى ليس بنفى الآلات بل هو نفى تركهم استعمالها (قال السعدى) زبان آمد از بهر شكر وسپاس * بغيبت نكرداندش حق شناس * كذركاه قرآن وپندست كوش * به بهتان باطل شنيدن مكوش * دو چشم از پى صنع بارى نكوست * ز عيب برادر فرو كير و دوست * ثم ان الله تعالى ندب الخلق الى الرجوع بالائتمار

بامره

بامره والانتهاء بنهيه بقوله تعالى وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون فمن لم يرجع اليه اختيارا رجعوا اليه بالموت والبعث كما قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون ومن رجع اليه فى الدنيا بفعله وحقق ذلك بقوله انا لله وانا اليه راجعون كان رجوعه اليه بالكرامة ويخاطب بقوله يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية (حكى) ان جبارا عاتيا فى الزمن الاول بنى قصرا وشيده وزخرفه ثم آلى بيمينه ان لايدنو من قصره هذا احد فمن وقع بصره عليه قتله فكان يفعل ذلك ويقتل حتى جاء رجل من اهل قريته فوعظه فى ذلك فلم يلتفت الى تحذيره ولم يعبأ بقوله فخرج ذلك الرجل الصالح من قريته وبنى كوخا وهو بيت من قصب بلا كوة وجعل يعبد الله فيه فبينما هذا الجبار فى قصره واصحابه قيام بين يديه اذ تمثل له ملك الموت على صورة رجل شاب حسن الهيئة فجعل يطوف حول هذا القصر ورفع رأسه اليه فقال بعض ندمائه ايها الملك انا نرى رجلا يطوف حول القصر وينظر اليه فتعالى الملك على منظر له فابصره فقال هذا مجنون او غريب عابر سبيل ولكن انزل اليه فارحه من نفسه فنزل اليه الرجل فلما اراد ان يرفع اليه السيف قبض روحه فخر ميتا فقيل للملك ان هذا قد قتل صاحبك فقال للآخر انزل اليه فاقتله فلما نزل واراد ان يقتله قبض روحه فخر ميتا فرفع ذلك الى الملك فامتلأ غضبا واخذ السيف ونزل اليه بنفسه فقال له من انت اما رضيت ان دنوت من قصرى حتى قتلت رجلين من اصحابى فقال او ما تعرفنى انا ملك الموت فارتعد الملك من هيبته حتى سقط السيف من يده قال فعرفتك الآن واراد ان ينصرف فقال له ملك الموت الى اين انى امرت بقبض روحك فقال حتى اوصى اهلى واودعهم فقال لم لم تفعل فى طول عمرك قبل هذا فقبض روحه فخر الملك ميتا ثم جاء ملك الموت الى ذلك الرجل الصالح فى كوخه فقال له ايها الرجل الصالح ابشر فانى ملك الموت وقد قبضت روح الملك الجبار فاعلم ذلك واراد ان يرجع فاوحى الله تعالى الى ملك الموت ان اقبض روح الرجل الصالح فقال له ملك الموت انى امرت بقبض روحك قال فهل لك يا ملك الموت ان ادخل القرية فاحدث باهلى عهدا واودعهم فاوحى الله تعالى اليه ان امهله يا ملك الموت فقال ان شئت فرفع الرجل الصالح قدميه ليدخل القرية فتفكر ثم ندم فقال يا ملك الموت انى اخاف ان رأيت اهلى ان يتغير قلبى فاقبض روحى فالله تعالى خير لهم منى فقبض روحه على المكان قال بعض العارفين والعجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له منه وهو مولاه الذى من عليه بكل خير واولاه ويطلب ما لابقاء له معه وهو ما يوافق النفس من شهوته وهواه وآخرته ودنياه فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور واسباب عمى البصيرة ثلاثة ارسال الجوارح فى معاصى الله والتصنع بطاعة الله والطمع فى خلق الله فعند عماها يتوجه العبد للخلق ويعرض عن الحق وفى التأويلات النجمية الاشارة فى تحقيق الايتين ان مثل المريد الذى له بداية جميلة يسلك طريق الارادة مدة ويتعنى بمقاساة شدائد الصحبة برهة حتى تنور بنور الارادة فاستوقد نار الطلب فاضاءت ما حوله فرأى اسباب السعادة والشقاوة فتمسك بحبل الصحبة فلازم الخدمة والخلوة وعزفت نفسه عن الدنيا واقبل على قمع الهوى فشبرقت له من صفاء القلب شوارق الشوق وبرقت له من انوار الروح بوارق الذوق فامن مكر الله وانخدع بخداع النفس فطرقته الهواجس وازعجته الوساوس ثم يرجع قهقرى الى ما كان من حضيض الدنيا فغابت شمسه واظلمت نفسه وانقطع حبل وصاله قبل وصوله واخرج من جنة نواله بعد دخوله فبقدمى سآمته وملاله عاد الى اسوء حاله كما قال تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون صم يعنى باذان قلوبهم التى سمعوا بها خطاب الله تعالى يوم الميثاق بكم بتلك الالسنة التى اجابوا ربهم بقولهم بلى عمى بالابصار التى شاهدوا جمال ربوبيته فعرفوه فهم لا يرجعون الى منازل حظائر القدس بل الى ما كانوا فيه من رياض الانس وذلك لانهم سدوا روزنة قلوبهم التى كانت مفتوحة الى عالم الغيب يوم الميثاق بتتبع الشهوات واستيفاء اللذات والخدعة والنفاق فما هبت عليهم من جناب القدس الرياح وما تنسموا نفحات الارواح فمرضت قلوبهم ثم ارسل اليهم الطبيب الذى انزل الداء فانزل معه الدواء كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين الذين يصدقون الاطباء ويقبلون الدواء فلم يصدقوهم ولم يقبلوا الدواء ظلما على انفسهم فصار الدواء داء والشفاء وباء كما قال تعالى ولا يزيد الظالمين الا خسارا فلما لم يكونوا اهل الرحمة ادركتهم اللعنة الموجبة للصمم والعمى لقوله تعالى أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم (او) مثل المنافقين (كصيب) اى كحال اصحاب صيب اى مطر يصوب اى ينزل ويقع من الصوب

وهو النزول اصله صيوب والكاف مرفوع المحل عطف على الكاف فى قوله كمثل الذى وأو للتخيير والتساوى اى كيفية قصة المنافقين مشبهة بكيفية هاتين القصتين والقصتان سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك (من السماء) متعلق بصيب والسماء سقف الدنيا وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها اى كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بآفاق السماء وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه يأخذه من البحر قال الامام من الناس من قال المطر انما يحصل من ارتفاع ابخرة رطبة من الارض الى الهواء فينعقد هناك من شدة برد الهواء ثم ينزل مرة اخرى وابطل الله ذلك المذهب هنا بان بين ان ذلك الصيب نزل من السماء وعن ابن عباس رضى الله عنه ان تحت العرش بحرا ينزل منه ارزاق الحيوانات يوحى اليه فيمطر ما شاء من سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا ويوحى الى السحاب ان غربله فيغربله فليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة الا بكيل معلوم ووزن معلوم الا ما كان من يوم الطوفان من ماء فانه نزل بلا كيل ولا وزن كذا فى تفسير التيسير (فيه) اى فى الصيب (ظلمات) انواع منها وهى ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وليس فى الآية ما يدل على ظلمة الليل لكن يمكن ان يؤخذ ظلمة الليل من سياق الآية حيث قال تعالى بعد هذه الآية يكاد البرق يخطف ابصارهم وبعده واذا اظلم عليهم قاموا فان خطف البرق البصر انما يكون غالبا فى ظلمة الليالى وكذا وقوف الماشى عن المشى انما يكون اذا اشتد ظلمة الليل بحيث يحجب الابصار عن ابصار ما هو امام الماشى من الطريق وغيره وظلمة سحمة السحاب وتكاثفه فى النهار لا يوجب وقوف الماشى عن المشى كذا فى حواشى ابن التمجيد وجعل المطر محلا للظلمات مع ان بعضها لغيره كظلمة الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة فى شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام ورفع ظلمات بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف لان الجملة فى محل الجر صفة لصيب على وجه (ورعد) هو صوت قاصف يسمع من السحاب (وبرق) هو ما يلمع من السحاب اذا تحاكت اجزاؤه وكونهما فى الصيب مع ان مكانهما السحاب باعتبار كونهما فى اعلاه ومصبه وملتبسين فى الجملة به ووصول اثرهما اليه فهما فيه والمشهور بين الحكماء ان الرعد يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض او من اقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياها سوقا عنيفا والصحيح الذى عليه التعويل ما روى عن الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال اقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن الرعد ما هو قال عليه السلام ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقها بها حيث شاء الله فقالوا فما هذا الصوت الذى يسمع قال زجره حتى تنتهى حيث امرت فقالوا صدقت فالمراد بالرعد فى الآية صوت ذلك الملك لا عينه كما فى بعض الروايات من ان الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وانه يحوز الماء فى نقرة ابهامه وانه يسبح الله فاذا سبح الله لا يبقى ملك فى السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل القطر انتهى والمراد بالبرق ضربه السحاب بتلك المخاريق وهى جمع مخراق وهو فى الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا اريد انها آلة تزجر بها الملائكة السحاب قال مرجع الطريقة الجلوتية بالجيم الشيخ الشهير بافتاده افندى البروسوى التوفيق بين قول الحكماء وبين قوله صلى الله عليه وسلم ان الرعد صوت ملك على شكل النحل هو انه يصيح من خارج هذا العالم ولكن يدخل فيه ويؤثر فى داخله فنحن نسمع من داخله كان واحدا اذا كلم شيأ نفاخا يحصل فى داخله رياح ذات اصوات فمنشأها من الخارج وظهورها فى الداخل فكلام النبى صلى الله عليه وسلم ناظر الى مبداها وكلام الحكماء ناظر الى مظهرها (يجعلون اصابعهم فى آذانهم) الضمائر للمضاف المحذوف لان التقدير او كاصحاب صيب كما سبق ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال كيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم فى آذانهم والمراد اناملهم وفيه من المبالغة ما ليس فى ذكر الانامل كانهم يدخلون من شدة الحيرة اصابعهم كلها فى آذانهم لا اناملها فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على النهج المعتاد

وكذا الحال فى عدم تعيين الاصبع المعتاد اعنى السبابة وقيل لرعاية الادب لانها فعالة من السب فكان اجتنابها اولى باداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والمهللة وغيرهما ولم يذكر من امثال هذه الكنايات لانها الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس فى ذلك العهد (من الصواعق) متعلق بيجعلون اى من اجل خوف الصواعق المقارنة للرعد وهى جمع صاعقة وهى قصفة رعد هائل تنقض معها شعلة نار لا تمر بشئ الا اتت عليه لكنها مع حدتها سريعة الخمود للطافتها (حكى) انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت قالوا بين السماء وبين الكلة الرقيقة التى لا يرى اديم السماء الا من ورائها نار منها يكون الصواعق يخرج النار فتفتق الكلة ويكون الصوت منها كما فى روضة العلماء وقيل تتقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه او جرم ثقيل مذاب مفرغ من الاجزاء اللطيفة الارضية الصاعدة المسماة دخانا والمائية المسماة بخارا حار حاد فى غاية الحدة والحرارة لا يقع على شئ الا ثقب واحرق ونفذ فى الارض حتى يبلغ الماء فانطفى ووقف قالوا اذا اشرقت الشمس على ارض يابسة تحللت منها اجزاء نارية يخالطها اجزاء ارضية يسمى المركب منهما دخانا ويختلط بالبخار ويتصاعدان معا الى الطبقة الباردة فينعقد البخار سحابا وينحبس الدخان فيه ويطلب الصعود ان بقى على طبيعته والنزول ان ثقل وكيف كان يمزق السحاب تمزيقا عنيفا فيحدث منه الرعد ثم قد يحدث شدة حركة ومحاكة فيحدث منه البرق ان كان لطيفا والصاعقة ان كان غليظا قال ابن عباس رضى الله عنه من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شئ قدير فان اصابته صاعقة فعلى ديته وكان صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمع الرعد وصواعقه اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك كذا فى تفسير الشيخ وشرح الشرعة (حذر الموت) منصوب بيجعلون على العلة اى لاجل مخافة الهلاك والموت فساد بنية الحيوان (والله محيط) اصل الاحاطة الاحداق بالشئ من جميع جهاته وهو مجاز فى حقه تعالى اى محدق بعلمه وقدرته (بالكافرين) اى لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط حقيقة فيحشرهم يوم القيامة ويعذبهم والجملة اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا من سد الاذان بالاصابع لا يغنى عنهم شيأ فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم (يكاد البرق) اى يقرب استئناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك (يخطف ابصارهم) اى يختلسها ويستلبها بسرعة من شدة ضوئه (كلما اضاء لهم) كلما ظرف والعامل فيه جوابها وهو مشوا واضاء متعد اى انار البرق الطريق فى الليلة المظلمة وهو استئناف ثالث كانه قيل كيف يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفيته ايفعلون بابصارهم ما يفعلون باذانهم ام لا فقيل كلما نور البرق لهم ممشى ومسلكا (مشوا فيه) اى فى ذلك المسلك اى فى مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشى على ما فوقه من السعى والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما لكمال دهشتهم (واذا اظلم عليهم) اى خفى البرق واستتر فصار الطريق مظلما (قاموا) اى وقفوا فى اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لحظة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء الى ملجأ يعصمهم (ولو شاء الله) مفعوله محذوف اى لو اراد ان يذهب الاسماع التى فى الرأس والابصار التى فى العين كما ذهب بسمع قلوبهم وابصارها (لذهب بسمعهم وابصارهم) بصوت الرعد ونور البرق عقوبة لهم لانه لا يعجز عن ذلك (ان الله على كل شئ) اى على كل موجود بالامكان والله تعالى وان كان يطلق عليه الشئ لكنه موجود بالوجوب دون الامكان فلا يشك العاقل ان المراد من الشئ فى امثال هذا ما سواه تعالى فالله تعالى مستثنى فى الآية مما يتناوله لفظ الشئ بدلالة العقل فالمعنى على كل شئ سواه قدير كما يقال فلان امين على معنى امين على من سواه من الناس ولا يدخل فيه نفسه وان كان من جملتهم كما فى حواشى ابن التمجيد (قدير) اى فاعل له على قدر ما تقتضيه حكمته لا ناقصا ولا زائدا ثم ان هذا التمثيل كشف بعد كشف وايضاح بعد ايضاح ابلغ من الاول شبه الله حال المنافقين فى حيرتهم وما خبطوا فيه من الضلالة وشدة الامر عليهم وخزيهم وافتضاحهم بحال من اخذته السماء فى ليلة مظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والموت هذا اذا كان التمثيل مركبا وهو الذى يقتضيه جزالة التنزيل فانك تتصور فى المركب الهيئة الحاصلة من تفاوت تلك الصور وكيفياتها

المتضامة فيحصل فى النفس منه مالا يحصل من المفردات كما اذا تصورت من مجموع الآية مكابدة من ادركه
الوبل الهطل مع تكاثف ظلمة الليل وهيئة انتساج السحاب بتتابع القطر وصوت الرعد الهائل والبرق
الخاطف والصاعقة المحرقة وابهم من خوف هذه الشدآئد حركات من تحذر الموت حصل لك منه امر عجيب
وخطب هائل بخلاف ما اذا تكلفت لواحد واحد مشبها به يعنى ان حمل التمثيل على التشبيه المفرق فشبه
القرءآن ومافيه من العلوم والمعارف التى هى مدار الحياة الابدية بالصيب الذى هو سبب الحياة الارضية
وماعرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان وانكساف البال بالظلمات ومافيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق
وتصامهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه ولا خلاص له
منها واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه اورفد يحرزونه بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم
فى امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم عليهم فهذه حال المنافقين قصارى عمرهم الحيرة والدهشة فعلى
العاقل ان يتمسك بحبل الشرع القويم والصراط المستقيم كى يتخلص عن الغوآئل والقيود ومهالك الوجود
وغاية الامر خفية لايدرى بم يختم قال رجل للحسن البصرى كيف اصبحت قال بخير قال كيف حالك
فتبسم الحسن ثم قال لاتسأل عن حالى ماظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق
كل انسان منهم بخشبة على اى حال هم قال الرجل على حال شديد قال الحسن حالى اشد من حالهم فالموت بحرى
والحياة سفينتى والذنوب خشبتى فكيف يكون حال من وصفه هذا يابنى فلابد من ترك الذنوب والفرار الى علام
الغيوب وفى الحديث من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن هجرته الى دنيا يصيبها
اوامرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه تأمل كيف جزاء كل مؤمل ماامل واعتبر كيف لم يكرر ذكر الدنيا
اشعارا بعدم اعتبارها لخساستها ولان وجودها لعب ولهو فكانه كلا وجود كما قيل * برمرد هشيار
دنيا خسست * كه هرمدتى جاى ديكر كسست * وانظر الى قوله عليه السلام فهجرته الى ماهاجر
اليه وماتضمن من ابعاد ماسواه تعالى وتدبر ذكر الدنيا والمرأة مع انهما منها يشعر بان المراد كل شئ فى الدنيا
من شهوة اومال واليه يرجع الاكوان وان المراد بالحديث الخروج عن الدنيا بل وعن كل شئ لله تعالى
(قال الحافظ) غلام همت آنم كه زير چرخ كبود * زهرچه رنك تعلق پذير د آزادست *
يعنى عن كل شئ يقبل التعلق من المال والمنال والاولاد والعيال فلابد من التعلق بمحبة الملك المتعال
وفى التاويلات النجمية اوكصيب من السماء الاشارة فى تحقيق الايتين ان الله تعالى شبه حال متمنى هذا الحديث
واشتغالهم بالذكر وتتبع القرءآن فى البداية وتجلدهم فى الطلب ومايفتح لهم من الغيب الى ان تظهر النفس
الملالة وتقع فى آفة الفترة والوقفة بحال من يكون فى المفازة سائرا فى ظلمة الليل والمطر وشبه الذكر والقرءآن بالمطر
لانه ينبت الايمان والحكمة فى القلب كما ينبت الماء البقلة فيه ظلمات اى مشكلات ومتشابهات تظهر لسالك
الذكر فى اثناء السلوك ومعان دقيقة لايمكن حلها وفهمها والخروج عن عهدة آفاتها الالمن كان له عقل منور
بنور الايمان مؤيد بتأييد الرحمن كما قال تعالى الرحمن علم القرءآن فكما ان السير لايمكن فى الظلمات الابنور السراج
كذلك لايمكن السير فى حقائق القرءآن ودقائقه ولافى ظلمات البشرية الابنور هداية الربوبية ولهذا قال تعالى
كلما اضاء لهم مشوا فيه يعنى نور الهداية واذا اظلم عليهم قاموا يعنى ظلمة البشرية ورعد اى خوف وخشية
ورهبة تتطرق الى القلوب من هيبة جلال الذكر والقرءآن كما قال تعالى لوانزلنا هذا القرءآن على جبل لرأيته
خاشعا متصدعا من خشية الله وبرق وهو تلألؤ انوار الذكر والقرءآن يهتدى الى القلوب فتلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله فيظهر فيها حقيقة القرءآن والدين فيعرفها القلوب لقوله تعالى واذا سمعوا ماانزل
الى الرسول الاية ولما لاح لهم انوار السعادة خرجوا من ظلمات الطبيعة وتمسكوا بحبل الارادة لينالوا درجات
الفائزين ولكن يجعلون اصابعهم اى اصابع آمالهم الفاسدة واما نيهم الباطلة فى آذانهم الواعية من الصواعق
ودواعى الحق حذر من الموت موت النفس لان النفس سمكة حياتها بحر الدنيا وماء الهوى لواخرجت لماتت
فى الحال وهذا تحقيق قوله عليه السلام موتوا قبل ان تموتوا والله محيط بالكافرين فيه اشارة الى ان الكافر
الذى له حياة طبيعية حيوانية لومات بالارادة من مألوفات الطبيعة لكان احياه الله تعالى بانوار الشريعة
كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه فلما لم يمت بالارادة فالله محيط بالكافرين اى مهلكهم ومميتهم فى الدنيا

يموت الصورة وموت القلب وفى الآخرة يموت العذاب فلا يموت فيها ولايحيى يكاد البرق اى نور الذكر والقرءآن
يخطف ابصارهم اى ابصار نفوسهم الامارة بالسوء كلما اضاء لهم نور الهدى مشوا فيه سلكوا طريق الحق
بقدم الصدق واذا اظلم عليهم ظلمات صفات النفس وغلب عليهم الهوى ومالوا الى الدنيا قاموا اى وقفوا
عن السير وتحيروا وترددوا وتطرقت اليهم الآفات واعترتهم الفترات واستولى عليهم الشيطان وسولت لهم
انفسهم الشهوات حتى وقعوا فى ورطة الهلاك ولوشاء الله اى لوكانت ارادته ان يهديهم لذهب بسمعهم اى
بسمع نفوسهم التى تصغى الى وساوس الشيطان وغروره وابصارهم اى ابصار نفوسهم التى بها تنظر الى زينة الدنيا
وزخارفها كقوله تعالى ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها ان الله على كل شئ قدير اى قادر على سلب اسماعهم
وابصارهم حتى لايسمعوا الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ولايبصروا المزخرفات الدنيوية
والمستلذات الحيوانية لكيلا يغتروا بها ويبيعوا الدين بالدنيا ولكن الله يفعل بحكمته مايشاء ويحكم بعزته
مايريد انتهى (ياايها الناس) الاية مسوقة لاثبات التوحيد وتحقيق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام الذين هما
اصل الايمان والناس يصلح اسما للمؤمنين والكافرين والمنافقين والندآء تنبيه الغافلين اواحضار الغائبين
وتحريك الساكنين وتعريف الجاهلين وتفريغ المشغولين وتوجيه المعرضين وتهييج المحبين وتشويق المريدين
قال بعض العارفين اقبل عليهم بالخطاب جبرا لما فى العبادة من الكلفة بلذة الخطاب اى يامؤنس لاتنس انسك
بى قبل الولادة اويا بن النسيان تنبه ولاتنس حيث كنت نسيا منسيا ولم تك شيأ مذكورا فخلقتك وخمرتك طينا
ثم نطفة ثم دما ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ولحوما وعروقا وجلودا واعصابا ثم جنينا ثم طفلا ثم صبيا ثم شابا ثم كهلا
ثم شيخا وانت فيما بين ذلك تتمرغ فى نعمتى وتسعى فى خدمة غيرى تعبد النفس والهوى وتبيع الدين بالدنيا
لاتنس من خلقك وجعلك من لاشئ شيأ مذكورا كريما مشكورا اعلمك وقوالك واكرمك واعطاك ما اعطاك فهذا
خطاب للنفس والبدن قال فى التيسير واذا كان الانسان من النسيان ففيه عتاب وتلقين اما العتاب فكانه
يقول ايها الناس قابلتم نعمنا بالكفران واوامرنا بالعصيان واما التلقين للعذر فكانه يقول ايها المخالف لنا ناسيا
لاعامدا اوساهيا لاقاصدا اعذرناك لنسيانك وعفونا عنك لانك (اعبدوا ربكم) يقول للكفار وحدوا ربكم
ويقول للعاصين اطيعوا ربكم ويقول للمنافقين اخلصوا بالتوحيد معرفة ربكم ويقول للمطيعين اثبتوا على
طاعة ربكم واللفظ يحتمل لهذه الوجوه كلها وهو من جوامع الكلم كما فى تفسير ابى الليث والعبادة استفراغ
الطاقة فى استكمال الطاعة واستشعار الخشية فى استبعاد المعصية (الذى خلقكم) صفة جرت عنه للتعظيم
والتعليل معناه اطيعوا ربكم الذى خلقكم لخلقكم ولم تكونوا شيأ والخلق اختراع الشئ على غير مثال سبق
(و) خلق (الذين) كانوا (من قبلكم) اى من زمن قبل زمانكم من الامم فمن ابتدائية متعلقة بمحذوف وفى
الوصف به ايماء الى سبب وجوب عبادته تعالى فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم وفيه دلالة
على شمول القدرة وتنبيه عن سنة الغفلة انهم كانوا فمضوا وجاؤوا وانقضوا فلا تنسوا مصيركم ولاتستحيروا تقصيركم
(لعلكم تتقون) حال من ضمير اعبدوا اى راجين ان تدخلوا فى سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح
المستوجبين لجوار الله تعالى ولعل للترجى والاطماع وهى من الله تعالى واجب لان الكريم لايطمع
الافيما يفعل والاولون والاخرون مخاطبون بالامر بالتقوى وخص المخاطبين بالذكر تغليبا لهم على الغائبين
كما فى الكواشى وفيه تنبيه على ان التقوى منتهى درجة السالكين وهو التبرى من كل شئ سوى الله تعالى
وان العابد ينبغى ان لايغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ويرجون
رحمته (قال السعدى) اكرمردى ازمردئ خود مكوى * نه هرشهسوارى بدر برد كوى * يعنى
ليس كل عابد يخلص ايمانه بسبب عبادته (الذى جعل لكم الارض) صفة ثانية لربكم قال اهل اللغة الارض
بساط العالم وبسيطها من حيث يحيط بها البحر الذى هو البحر المحيط اربعة وعشرون الف فرسخ كل فرسخ
ثلاثة اميال وهو اثنا عشر الف ذراع بالذراع المرسلة وكل ذراع ست وثلاثون اصبعا كل اصبع ست حبات
شعير مصفوفة بطون بعضها الى بعض فللسودان اثنا عشر الف فرسخ وللبيضان ثمانية وللفرس ثلاثة وللعرب
الف كذا فى كتاب الملكوت وسمت وسط الارض المسكونة حضرة الكعبة واما وسط الارض كلها عامرها
وخرابها فهو الموضع الذى يسمى قبة الارض وهو مكان يعتدل فيه الازمان فى الحر والبرد ويستوى الليل

والنهار ابدا لا يزيد احدهما على الآخر كما فى الملكوت وروى عن على كرم الله وجهه انه قال انما سميت الارض ارضا لانها تتأرض ما فى بطنها يعنى تأكل ما فيها وقال بعضهم لانها تتأرض بالحوافر والاقدام (فراشا) ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا وهو الذى له طول وعرض فان كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها (و) جعل (السماء) وهو ما علاك واظلك (بناء) قبة مضروبة عليكم وكل سماء مطبقة على الاخرى مثل القبة والسماء الدنيا ملتزقة اطرافها على الارض كما فى تفسير ابى الليث (وانزل من السماء ماء) اى مطرا ينحدر منها على السحاب ومنه على الارض وهو رد لزعم انه يأخذه من البحر (فاخرج به) اى انبت الله بسبب الماء الذى انزل من السماء (من الثمرات) هى ههنا المأكولات كلها من الحبوبات والفواكه وغيرها مما يخرج من الارض والشجر كما فى التيسير (رزقا لكم) وذلك بان اودع فى الماء قوة فاعلية وفى الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار فبين المظلة والمقلة شبه عقد النكاح بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبنى آدم ومن للبيان ورزقا اى طعاما وعلفا لكم ولدوابكم المعنى ان الله تعالى انعم عليكم بذلك كله لتعرفوه بالخالقية والرازقية فتوحدوه (فلا تجعلوا لله اندادا) جمع ند وهو المثل اى امثالا تعبدونهم كعبادة الله يعنى لا تقولوا له شركاء تعبد معه وعن ابن عباس رضى الله عنه لا تقولوا لولا فلان لاصابنى كذا ولولا كلبنا يصيح على الباب لسرق متاعنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم ولو فانه من كلام المنافقين قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا (قال السعدى) اكر عز وجاهست اكر ذل وقيد * من از حق شناسم نه از عمرو وزيد (وانتم تعلمون) ان الله هو الذى خلقكم ومن قبلكم وخلق السماء والارض وخلق الارزاق دون الاصنام فانها لا تضر ولا تنفع والوعظ الكلى انه قال فى الآية جعل لكم وقال رزقا لكم فلو قال لك فى القيامة فعلت كذا كله لكم فما فعلتم لى فما تقول وعن الشبلى رحمه الله انه وعظ يوما الناس فابكاهم لما ذكر من القيامة واهوالها فرآهم ابو الحسين النورى قال لا تفزعهم فان حساب يومئذ ليس بهذا الطول انما هو كلمتان من تر ابودم تو كرا بودى وافادت الآية انه ينبغى الاخلاص فى العبادة بترك ملاحظة الاغيار وبشهود خالق الليل والنهار (قال السعدى) كرت بيخ اخلاص در بوم نيست * درين در كسى چون تو محروم نيست * وفى توصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ انى محدثك بحديث ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته انقطعت حجتك عند الله تعالى يا معاذ ان الله تبارك وتعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا فيصعد عليه الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى حين امسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الملائكة الى السماء الدنيا زكته وكثرته فيقول الملك الموكل للحفظة قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرنى ربى ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يتجاوزنى انه كان يغتاب الناس زبان آمد از بهر شكر وسپاس * بغيبت نكرداندش حق شناس * قال عليه السلام ثم يأتى الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الفخر انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرنى ربى ان لا ادع عمله يتجاوز الى غيرى انه كان يفتخر على الناس فى مجالسهم * چه زنار مغ در ميانت چه دلق * كه در پوشى از بهر پندار خلق * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد اعجب الحفظة فيتجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى انه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم * فروتن بود هوشمند كزين * نهد شاخ پر ميوه سر بر زمين * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد يزهر كما يزهر الكوكب الدرى من صلاة وتسبيح وحج وعمرة حتى يجاوزون به الى الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب العجب امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب فيه * چو روبى بخدمت نهد بر زمين * خدا را ثنا كوى خود را مبين * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد حتى يجاوزون به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول

لهم

لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الحسد انه كان يحسد من يتعلم العلم ويعمل لله وكل من يأخذ منه فضلا من العبادة كان يحسدهم ويعيبهم امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى عقبهٔ زين صعبتر در راه نيست * اى خنك آنكس حسد همراه نيست * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد من صيام وصلاة وزكاة وحج وعمرة فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا من عباد الله قط واذا اصابهم بلاء وضر كان يشمت فيهم انا ملك موكل بالرحمة امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى * اكر خواهى رحم كن بر اشك يار * رحم خواهى بر ضعيفان رحم آر * قال عليه السلام ويصعد الحفظة الى السماء السابعة بعمل عبد من صلاة وصوم وفقه واجتهاد وورع لها دوى كدوى النحل وضوء كضوء الشمس معها ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون بها الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واقفلوا على قلبه انا احجب عن ربى كل عمل لم يرد به ربى انه يعمل لغير الله انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا فى المدائن امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى الى غيرى وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء * بروى ريا خرقه سهلست دوخت * كرش با خدا در توانى فروخت * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد من زكاة وصوم وصلاة وحج وعمرة وخلق حسن وذكر الله ويشيعه ملائكة السموات حتى يقطعون الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه ليشهدوا له بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله عز وجل انتم الحفظة على عمل عبدى وانا الرقيب على قلبه انه لم يردنى بهذا العمل واراد به غيرى فعليه لعنتى فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا فتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله كيف لى بالنجاة والخلوص قال اقتد بى وعليك باليقين وان كان فى عملك تقصير وحافظ على لسانك من الوقيعة اى الغيبة فى اخوانك من حملة القرآن ولا تزك نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا بعمل الآخرة ولا تمزق الناس فيمزقك كلاب النار يوم القيامة فى النار ولا تراء بعملك الناس (قال السعدى) اى هنرها نهاده بر كف دست * عيبها بر كرفته زير بغل * تا چه خواهى خريدن اى مغرور * روز درماندكى بسيم دغل * وعن ابى يزيد البسطامى قدس سره قال كابدت العبادة اى اتعبت نفسى فيها ثلاثين سنة فرأيت قائلا يقول يا ابا يزيد خزائنه مملوءة بالعبادة ان اردت الوصول اليه فعليك بالذلة والاحتقار والاخلاص فى العمل (قال ابو يزيد قدس سره) چار چيز آورده ام شاها كه در كنج تو نيست * نيستى وحاجت وجرم وكناه آورده ام * قاله لما طلب منه الهدية حين طلع بمشرات الحقيقة فلما عرض تلك الهدية قيل ادخل جئت بهدية عظمى وحصل الاستحقاق للدخول وفى التأويلات النجمية يا ايها الناس الاشارة فى تحقيق الآيتين انه تعالى خاطب ناسى عهود يوم الميثاق والاقرار بربوبيته ومعاهدته ان لا تعبدوا الا اياه فخالفوه ونقضوا عهده وعبدوا الطواغيت من الاصنام والدنيا والنفس والهوى والشيطان فزل قدمهم عن جادة التوحيد ووقعوا فى ورطة الشرك والهلاك فبعث اليهم الرسول وكتب اليه الكتاب واخبرهم عن النسيان والشرك ودعاهم الى التوحيد والعبودية وقال اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم يعنى ذراتكم وذرات من قبلكم يوم الميثاق واخذ مواثيقكم بالربوبية والتوحيد والعبادة فاوفوا بعهد العبودية بتوحيد اللسان وتجريد القلب وتفريد السر وتزكية النفس بترك المحظورات واقامة الطاعات المأمورات لعلكم تتقون عن شرك عبادة غير الله فيوفى الله بعهد الربوبية بالنجاة من الدركات ورفع الدرجات بالجنان والاكرام بالقربات والكرامات فى الآخرة كما اكرمكم فى الدنيا الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء فيه اشارة الى تعريفه بالقدرة الكاملة ومنته على عباده عنده وفضيلتهم على جميع المخلوقات اما تعريف نفسه بالقدرة الكاملة فقوله تعالى الذى جعل واما منته على عباده فقوله تعالى لكم الارض فراشا والسماء بناء اى خلق هذه الاشياء لكم خاصة واما فضيلتهم على جميع المخلوقات بان خلق السموات والارض وما فيهما لاجلهم وسخره لهم لقوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فكان وجود السموات والارض تبعا لوجودهم وما كان وجودهم تبعا لوجود شىء لا يكون مقصودا الا وجوده ولهذا السر امر الله تعالى ملائكته بسجود آدم عليه السلام وحرم على آدم واولاده سجود غير الله ليظهر ان الملائكة وان كانوا قبل وجود آدم افضل الموجود فلما خلق آدم وجعله مسجودا يكون هو افضل المخلوقات واكرمهم

على الله تعالى ومتبوع كل شئ والكل تابع له وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تحقيقه ان الماء هو القرءآن وثمراته الهدى والتقى والنور والرحمة والشفاء والبركة واليمن والسعادة والقربة والحق اليقين والنجاة والرفعة والصلاح والفلاح والحكمة والحلم والعلم والاداب والاخلاق والعزة والغنى والتمسك بالعروة الوثقى والاعتصام بحبل الله المتين وجماع كل خير وختام كل سعادة وزهوق باطل الوجود الانسانى عند مجئ تجليات حقيقة الصفات الربانية كقوله تعالى قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فاخرج بماء القرءآن هذه الثمرات من ارض قلوب عباده فكان الله تعالى منّ على عباده باخراج الثمرات رزقا لكم وكان للحيوانات فيها رزق ولكن بتبعية الانسان وهذا مما لا تدركه العقول المشوبة بالوهم والخيال بل تدركه العقول المؤيدة بتأييد الفضل والنوال فلا تجعلوا لله اندادا فيه ثلاثة معان اولها ان هذا الذى جعلت لكم من خلق انفسكم وخلق السموات والارض ومافيها الكم ليس من شأن احد غيرى وانتم تعلمون فلا تجعلوا الى اندادا فى العبودية وثانيها انى جعلت السموات والارض والشمس والقمر كلها بواسطة ارزاقكم واسبابها وانا الرزاق فلا تجعلوا الوسائط اندادا لى فلا تسجدوا للشمس ولا للقمر الآية وثالثها انى خلقت الموجودات وجعلت لكل شئ حظا فى شئ آخر وجعلت حظ الانسان فى محبتى ومعرفتى وكل محظوظ لو انقطع عنه حظه لهلك فلا تنقطعوا عن حظوظكم من محبتى ومعرفتى بان تجعلوا الى اندادا تحبونهم كحبى فتهلكوا فى اودية الشر لئيدل عليه قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله فالانداد هى الاحباب غير الله ثم وصف الذين لم ينقطعوا عن حظ محبته بالايمان وقال والذين آمنوا اشد حبا لله يعنى الذين اتخذوا من دون الله آلهة فى المحبة ما آمنوا حقيقة وان زعموا انا آمنا فافهم جدا ولا تغتر بالايمان التقليدى الموروث حتى يصح على هذا المحك (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا) اى فى شك من القرءآن الذى نزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم فى كونه وحيا منزلا من عند الله تعالى والتنزيل النزول على سبيل التدريج وانزل القرءآن جملة واحدة الى السماء الدنيا الى بيت العزة ثم منه على النبى صلى الله عليه وسلم مفرقا منجما فى ثلاث وعشرين سنة ليحفظ فانه عليه السلام كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ففرق عليه ليثبت عنده حفظه بخلاف غيره من الانبياء فانه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع من الكتاب ولذا قالوا ان سائر الكتب الالهية انزلت جملة (فأتوا) جواب الشرط وهو امر تعجيز (بسورة) وحد السورة قطعة من القرءآن معلومة الاول والاخر اقلها ثلاث آيات وانما سميت سورة لكونها اقوى من الاية من سورة الاسد والشراب اى قوته هذا ان كانت واوها اصلية وان كانت منقلبة عن همزة فهى مأخوذة من السؤرة التى هى البقية من الشئ فالسورة قطعة من القرءآن مفرزة باقية من غيرها (من مثله) اى سورة كائنة من مثل القرءآن فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم فالضمير لما نزلنا اى ائتوا انتم بمثل ما اتى هو ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر اذ انتم وهو سواء فى الجوهر والخلقة واللسان وليس هو اولى بالاختلاف منكم ثم القرءآن وان كان لا مثل له لانه صفة الله وكلام الله ووحى الله ولا مثل لصفاته كما لا مثل لذاته لكن معناه من مثله على زعمكم فقد كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا كما فى التيسير (وادعوا شهداءكم) جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر (من دون الله) اما متعلقة بادعوا فالمعنى ادعوا متجاوزين الله من حضركم كائنا من كان للاستظهار فى معارضة القرءآن او الحاضرين فى مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم فى الملمات وتعولون عليهم فى المهمات او القائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة او القائمين بنصركم حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم واما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين والعامل مادل عليه شهداءكم اى ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق متجاوزين الله فى اتخاذها كذلك ودلت الاية على ان الاستعانة بالخلق لا تغنى شيأ وما يغنى رجوع العاجز عن العاجز فلا ترفع حوائجك الا الى من لا يشق عليه قضاؤها ولا تسأل الا من لا تفنى خزائنه ولا تعتمد الا على من لا يعجز عن شئ ينصرك من غير معين ويحفظك من كل جانب ومن غير صاحب ويغنيك من غير مال فيقل اعداد الاعداء الكثيرة اذا حماك ويكثر عدد المال القليل اذا كفاك (ان كنتم صادقين)

فى ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه وان آلهتكم تشهد لكم وهو شرط جوابه محذوف تقديره فافعلوا اى فأتوا بسورة من مثله (فان لم تفعلوا) اى ما امرتم من الاتيان بالمثل بعد ما بذلتم فى السعى نهاية المجهود (ولن تفعلوا) فيما يستقبل ابدا وذلك لظهور اعجاز القرءآن فانه معجزة النبى عليه السلام اعتراض بين الشرط وجوابه وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشئ يدانيه فى الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف (فاتقوا النار) اى ولما عجزتم عن معارضة القرءآن ومثله لزمتكم الحجة ان محمدا رسولى والقرءآن كتابى ولزمكم تصديقه والايمان به ولما لم تؤمنوا صرتم من اهل النار فاتقوها وفى الكشاف اصيق اتقاء النار وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة فوضع فاتقوا النار موضع فاتركوا العناد (التى وقودها) اى حطبها وهو ما يوقد به النار (الناس) اى العصاة (والحجارة) اى حجارة الكبريت وانما جعل حطبها منها لسرعة وقودها اى التهابها وبطئ خمودها وشدة حرها وقبح رائحتها ولصوقها بالبدن او الحجارة هى الاصنام التى عبدوها وانما جعل التعذيب بها ليتحققوا انهم عذبوا بعبادتها اولير واذلها وهوانها بعد اعتقادهم عزها وعظمتها والكافر عبد الصنم واعتمده ورجاه فعذب به اظهارا لجهله وقطعا لامله كاتباع الكبراء خدموهم ورجوهم وفى النار يسحبون معهم ليكون اشق عليهم واقطع لرجائهم فان قلت أنار الجحيم كلها توقد بالناس والحجارة ام هى نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هى نار شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها فى قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن ولشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب (اعدت للكافرين) اى هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الآن خلافا للمعتزلة وفى الاية اشارة الى ان ثمرة الاخذ بالقرءآن والاقرار به وبمحمد صلى الله عليه وسلم هو النجاة من النار التى وقودها الناس والحجارة وفيه زيادة فضل القرءآن واهله قال البغوى عند قوله تعالى فأتوا بسورة قيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة وسميت سورة لان القارئ ينال بقراءتها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرءآن وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال يرجع اتباع ابليس كل عشية الى سيدهم فيقول كل واحد منهم بين يديه فعلت كذا وغررت فلانا الزاهد حتى يقول اصغرهم انا منعت صبيا من الكتاب فيقوم ابليس بين يديه ويقعده الى جنبه فرحا لما فعل وقالت الحكماء حق الولد على ابويه ثلاثة ان يسمياه باسم حسن عند الولادة وان يعلماه القرءآن والادب والعلم وان يختناه ثم ان المقصد الاصلى هو العمل بالقرءآن والتخلق بادابه كما قيل

مراد از نزول قرءآن تحصيل سيرت خوبست * نه ترتيل سورهٔ مكتوب *

وللقرءآن ظهر وبطن ولبطنه بطن الى سبعة ابطن (قال فى المثنوى)

تو ز قرءآن اى پسر ظاهر مبين * ديو آدم را نبيند جز كه طين *

ظاهر قرءآن چو شخص آدميست * كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست *

قال الشيخ نجم الدين فظاهره يدل على ما فسره العلماء وباطنه يدل على ما حققه اهل التحقيق بشرط ان يكون موافقا للكتاب والسنة ويشهد اعلينه بالحق فان كل حقيقة لا يشهد عليها الكتاب والسنة فهى الحاد وزندقة لقوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقال ايضا فى تأويل الاية وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا جعل الله اعراض المعرضين حجاب غيرته لحبيبه المرسل لئلا يشاهدوا من الله حبيبه وجعل اعتراض المعترضين سرادقات عزته لئلا يطلعوا على الله كتابه وسماه عليه السلام بالعبد المطلق ولم يسم غيره الا بالعبد المقيد باسمه كما قال واذكر عبدنا ايوب واذكر عبدنا داود وغيرهما وذلك لان كمال العبودية ما تهيأ لاحد من العالمين الا لحبيبه عليه السلام وكمال العبودية فى كمال الحرية عما سوى الله وهو مختص بهذه الكرامة كما اثنى عليه بقوله ما زاغ البصر وما طغى فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله اى الحاضرين معكم يوم الميثاق لانكم وانهم ومحمدا كنتم جميعا مستمعين خطاب الست بربكم مجتمعين فى جواب بلى فلو كان محمد قادرا على اتيان القرءآن من تلقاء نفسه فهو وانتم فى الاستعداد الانسانى الفطرى سواء فأتوا بالقرءآن من تلقاء انفسكم ايضا ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى هى القهر وصورة غضب الحق كما قال الله للنار انما انت عذابى اعذب بك من اشاء من عبادى وقودها الناس انانية الانسان التى نسيان الله من خصوصيته والحجارة اى الذهب لانه به يحصل مرادات النفس وشهواتها وما يميل

اليه الهوى فعبر عما يعبده انانية الانسان بالحجارة لان اكثر الاصنام كان من الحجارة وعن انانية الانسان
بالناس لانها انما طلبت غير الله وعبدته لنسيان الحق ومعاهد يوم الميثاق ثم جعلها وقود النار لقوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم اعدت للكافرين خاصة ولكن يطهر المذنبون بها بتبعية
الكافرين كما ان الجنة خلقت واعدت للمتقين ولكن يدخلها المذنبون من اهل الايمان بعد تطهيرهم بورود
النار والعبور عليها بتبعية المتقين يدل عليه قول النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله خلقت الجنة
وخلقت لها اهلها وبعمل اهل الجنة يعملون وخلقت النار وخلقت لها اهلها وبعمل اهل النار يعملون
(وبشر الذين آمنوا) البشارة الخبر السار الذى يظهر به اثر السرور فى البشرة اى فرح يا محمد قلوب الذين
آمنوا بان القرءآن منزل من عند الله تعالى فالخطاب للنبى عليه السلام وقيل لكل من يتأتى منه التبشير
كما فى قوله عليه السلام بشر المشائين الى المساجد فى ظلم الليالى بالنور التام يوم القيامة فانه عليه السلام
لم يأمر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتأتى منه ذلك (وعملوا الصالحات) اى فعلوا الفعلات الصالحات
وهى كل ما كان لله تعالى وفى عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق
البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باساس لا بناء به وطلب
الجنة بلا عمل حال السفهاء لان الله تعالى جعل العمل سببا لدخول الجنة والعبد وان كان يدخله الله الجنة
بمجرد الايمان لكن العمل يزيد نور الايمان وبه يتنور قلب المؤمن وكم من عقبة كؤود تستقبل العبد الى ان يصل
الى الجنة واول تلك العقبات عقبة الايمان انه هل يسلم من السلب ام لا فلزم العمل لتسهيل العقبات (ان لهم)
اى بان لهم (جنات) بساتين فيها اشجار مثمرة والجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم كذا قال
الفراء ولفرط التفاف اغصان اشجارها وتسترها بالاشجار سميت جنة كانها سترة واحدة لان الجنة بناء مرة
وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها
فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة
مراتب على استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنة من تلك الجنان ثم الجنان ثمان دار الجلال كلها
من نور مدآئنها وقصورها وبيوتها واوانيها وشرفها وابوابها ودرجها وغرفها واعاليها واسافلها وخيامها
وحليها وكل ما فيها ودار القرار كلها من المرجان ودار السلام كلها من الياقوت الاحمر وجنة عدن من الزبرجد
كلها وهى قصبة الجنة وهى مشرفة على الجنان كلها وباب جنة عدن مصراعان من زمرد وياقوت ما بين
المصراعين كما بين المشرق والمغرب وجنة المأوى من الذهب الاحمر كلها وجنة الخلد من الفضة كلها وجنة
الفردوس من اللؤلؤ كلها وحيطانها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد
وملاطها وهو ما يجعل بين اللبنتين مكان الطين المسك وقصورها الياقوت وغرفها اللؤلؤ ومصاريعها
الذهب وارضها الفضة وحصباؤها المرجان وترابها المسك ونباتها الزعفران والعنبر وجنة النعيم من الزمرد
كلها وفى الخبر ان المؤمن اذا دخل الجنة رأى سبعين الف حديقة فى كل حديقة سبعون الف شجرة على كل
شجرة سبعون الف ورقة وعلى كل ورقة لا اله الا الله محمد رسول الله امة مذنبة ورب غفور كل ورقة عرضها
من مشرق الشمس الى مغربها (تجرى من تحتها الانهار) الجملة صفة لجنات والانهار جمع نهر بفتح الهاء
وسكونها وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل نهر مصر والمراد بها ماؤها فان قلت كيف جرى
الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجرى
فى غير اخدود وهو الشق من الارض بالاستطالة وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار
فى خلالها مطردة ولولا ان الماء الجارى من النعمة العظمى وان الرياض وان كانت احسن شئ لا تجلب النشاط
حتى يجرى فيها الماء والا كان السرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح لها وصور لا حياة لها لما جاء الله
بذكر الجنات البتة مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها والانهار هى الخمر واللبن والعسل والماء فاذا شربوا
من نهر الماء يجدون حياة ثم انهم لا يموتون واذا شربوا من اللبن يحصل فى ابدانهم تربية ثم انهم لا ينقصون
واذا شربوا من نهر العسل يجدون شفاء وصحة ثم انهم لا يسقمون واذا شربوا من نهر الخمر يجدون طربا وفرحا
ثم انهم لا يحزنون (قال فى المثنوى) آب صبرت جوى آب خلد شد * جوى شير خلد مهر تست وود *

ذوق طاعت كشت جوى انكبين * مستى وشوقى تو جوى خمر بين * اين سببها چون بفرمان تو بود *
چار جوهم مر ترا فرمان نمود * وروى انه كتب عرضا بسم الله الرحمن الرحيم على ساق العرش فعين الماء
تنبع من ميم بسم وعين اللبن تنبع من هاء الله وعين الخمر تنبع من ميم الرحمن وعين العسل تنبع من ميم الرحيم
هذا منبعها واما مصبها فكلها تصب فى الكوثر وهو حوض النبى عليه السلام وهو فى الجنة اليوم وينتقل
يوم القيامة الى العرصات لسقى المؤمنين ثم ينقل الى الجنة ويسقى اهل الجنة ايضا من عين الكافور وعين
الزنجبيل وعين السلسبيل وعين الرحيق ومزاجه من تسنيم بواسطة الملائكة ويسقيهم الله الشراب الطهور
بلا واسطة كما قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا (كلما) متى (رزقوا منها) اى اطعموا من الجنة (من ثمرة)
ليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة وانما المراد نوع من انواع الثمار ومن الاولى والثانية كلتاهما
لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة (رزقا) مفعول رزقوا
وهو ما ينتفع به الحيوان طعاما (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) اى هذا مثل الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا
ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمر الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان
الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غير المعروف وليتبين لها مزيته اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون
الا كذلك وان كان فائقا فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها فى الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد
البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة وهى تشبع السكن اى اهل الدار كان ذلك ابين للفضل واجلب للسرور
وازيد فى التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان من غير عهد سابق بجنسه وعموم كلما يدل على ترديدهم هذه المقالة
كل مرة رزقوا فيما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من
حيث اللذة مع اتحادهما فى الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه فى الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة
والطيب ولا يقدح فيه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه ليس فى الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك
لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق
الاسماء منوط بالاتحاد النوعى قطعا (واتوا به) اى جيئوا بذلك الرزق او المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا
فالضمير الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا فى الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما
اى بجنس الغنى والفقير (متشابها) فى اللون والجودة فاذا اكلوا وجدوا طعمه غير ذلك اجود والذى يعنى
لا يكون فيها ردى وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها اى منضود بعضها على بعض اى متراكب
ومجتمع ليس كاشجار الدنيا متفرقة اغصانها وثمرتها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى والعنقود
اثنا عشر ذراعا ولو اجتمع الخلائق على عنقود لاشبعهم وجاء رجل من اهل الكتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابا القاسم تزعم ان اهل الجنة يأكلون ويشربون فقال نعم والذى نفس محمد بيده ان احدهم ليعطى قوة
مائة رجل فى الاكل والشرب والجماع قال فان الذى يأكل له حاجة والجنة طيبة ليس فيها اذى قال عليه السلام
حاجة احدهم عرق كريح المسك (ولهم فيها) اى فى الجنة (ازواج) اى نساء وحور (مطهرة) مهذبة
من الاحوال المستقذرة كالحيض والنفاس والبول والغائط والمنى والمخاط والبلغم والورم والدرن والصداع
وسائر الاوجاع والولادة ودنس الطبع وسوء الخلق وميل الطبع الى غير الازواج وغير ذلك ومطهرة ابلغ من طاهرة
ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه وتعالى قال الحسن هن عجائزكم العمص العمش
طهرن من قاذورات الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنه خلق الحور العين من اصابع رجلها الى ركبتيها
من الزعفران ومن ركبتيها الى ثدييها من المسك الاذفر ومن ثدييها الى عنقها من العنبر الاشهب اى الابيض
ومن عنقها الى رأسها من الكافور واذا اقبلت يتلألأ نور وجهها كما يتلألأ نور الشمس لاهل الدنيا (وهم فيها
خالدون) اى دائمون احياء لا يموتون ولا يخرجون منها قال عكرمة اهل الجنة ولد ثلاث وثلاثين سنة رجالهم
ونساؤهم وقامتهم ستون ذراعا على قامة ابيهم آدم شباب جرد مرد مكحلون عليهم سبعون حلة يتلون كل حلة
فى كل ساعة سبعين لونا لا يبزقون ولا يتمخطون وما كان فوق ذلك من الاذى فهو ابعد يزدادون كل يوم جمالا
وحسنا كما يزداد اهل الدنيا هرما وضعفا لا يفنى شبابهم ولا يبلى ثيابهم واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان
مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضى به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات

اذ كل نعمة وان جلت بحيث كانت فى شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوآئب الالم بشر المؤمنون بها وبدوامها تحميلا للبهجة والسرور وفى التأويلات النجمية وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار اى يحصل لهم جنات القربة مجلة من بذر الايمان الحقيق واعمالهم القلبية الصالحة والروحية والسرية بالتوحيد والتجريد والتفريد من اشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة والفتوة والمجاهدة والمكابدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والخوف والخشية والرجاء والصفاء والوفاء والطلب والارادة والمحبة والحياء والكرم والسخاوة والشجاعة والعلم والمعرفة والعزة والرفعة والقدرة والحلم والعفو والرحمة والهمة العالية وغيرها من المقامات والاخلاق تجرى من تحتها مياه العناية والتوفيق والرأفة والعطفة والفضل كلما رزقوا منها من هذه الاشجار من ثمرة من ثمرات المشاهدات والمكاشفات والمعاينات رزقا اى عطفا وصحة وعطية قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وذلك لان اصحاب المشاهدات يشاهدون انحاء الاشى فى صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيظن بعضهم من المتوسطين ان هذا المشاهد هو الذى يشاهده قبل هذا فتكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى هو حقيقة اخرى مثاله يشاهد السالك نورا فى صورة نار كما شاهد موسى عليه السلام نور الهداية فى صورة نار كما قال انى آنست نارا فتكون تارة تلك النار صفة غضب كما كان لموسى عليه السلام اذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا وتارة يشاهد النار وهى صفة الشيطنة وتارة تكون نار المحبة تقع فى محبوبات النفس فتحرقها وتارة تكون نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فالصورة النارية المشاهدة مشابهة بعضها ببعض كما قال تعالى واتوا به متشابها ولكن السالك الواصل يجد من كل نار منها ذوقا وصفة اخرى ولهم فيها ازواج اى لارباب الشهود فى جنات القربات ازواج من ابكار الغيب مطهرة من ملابسة الاغيار وهم فيها فى اقتضاضها خالدون كما قال عليه السلام ان من العلوم كهيئة المكنون لا يعلمها الا العلماء بالله فاذا نطقوا بها لا ينكرها الا اهل العزة بالله واعلم ان كل شئ يشاهد فى الشهادة كان له صورة فى الدنيا له معنى حقيقى فى الغيب ولهذا كان النبى عليه السلام يسأل الله تعالى بقوله اللهم ارنا الاشياء كما هى فيكون فى الاخرة صورة الاشياء وحقائقها حاصلة ولكن الحقائق والمعانى على الصور غالبة فيرى فى الاخرة صورة شئ بعينه فيعرفه فيقول هذا الذى رزقنا من قبل فيكون الاسم والصورة كما كانت ولكنها فى ذوق آخر غير ما كنت تعرفه ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنه ليس شئ فى الجنة مما فى الدنيا غير الاسماء وهذا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلمة يكلمها المسلم فى سبيل الله تكون بعد القيامة كهيئتها يوم طعنت انفجرت دما اللون لون الدم والعرف عرف المسك فالآن لون ذلك الدم حاصل فى الشهادة ولكن عرفه فى الغيب لا يشاهد ههنا فنى الاخرة يشاهد الصورة الدنيوية والمعانى الغيبية فافهم جدا واغتنم (ان الله لا يستحى ان يضرب مثلا ما بعوضة) عن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الاية والحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم وهو جار على سبيل التمثيل اى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحى ان يمثل بها لحقارتها فمحل ان يضرب اى يذكر على المفعولية وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كانه قيل مثلا ما من الامثال اى مثل كان فهى صفة لما قبلها وبعوضة بدل من مثلا والبعوضة صغار البق سميت بعوضة لانها كانها بعض البق (فما فوقها) اى فيذكر الذى هو ازيد منها كالذباب والعنكبوت او فما دونها فى الصغر قيل انه من الاضداد ويطلق على الاعلى والادنى وهو دابة يسترها السكون ويظهرها التحرك يعنى لا تلوح للبصر الحاد الا بتحركها فان قات مثل الله آلهتهم ببيت العنكبوت وبالذباب فاين تمثيلها بالبعوضة فما دونها قلت فى هذه الاية كانه قال ان الله لا يستحى ان يضرب مثل آلهتكم بالبعوضة فما دونها فما ظنكم بالعنكبوت والذباب قال الربيع بن انس ضرب المثل بالبعوضة عبرة لاهل الدنيا فان البعوضة تحيى ما جاعت وتموت اذا شبعت فكذا صاحب الدنيا اذا استغنى طغى واحاط به الردى وقال الامام ابو منصور الاعجوبة فى الدلالة على وحدانية الله تعالى وفى الخلق الصغير الجثة والجسم اكثر من الكبار منها والعظام لان الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من نحو البعوض والذباب وتركيب ما يحتاج من الفم والانف والعين والرجل

واليد والمدخل والمخرج ما قدروا عليه ولعلهم يقدرون على تصوير العظام من الاجسام الكبار منها فالبعوضة اعطيت على قدر جسمها الحقير كل آلة وعضو اعطيت الفيل الكبير القوى وفيه اشارة الى حال الانسان وكمال استعداده كما قال عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته اى على صفته فعلى قدر ضعف الانسان اعطاه الله تعالى من كل صفة من صفات جماله وجلاله انموذجا ليشاهد فى مرآة صفات نفسه كمال صفات ربه كما قال من عرف نفسه فقد عرف ربه وليس لشئ من المخلوقات هذه الكرامة المختصة بالانسان كما قال تعالى ولقد كرمنا بنى آدم (قال فى المثنوى)

آدم خاكى زحق آموخت علم * تا بهفتم آسمان افروخت علم *
نام وناموس ملك را در شكست * كورئ آنكس كه درحق درشكست *
قطرهٔ دل را يكى كوهر فتاد * كان بدريا ها وكردونها نداد *
جند صورت آخر اى صورت برست * جان بى معنيت از صورت نرست *
كر بصورت آدمى انسان بدى * احمد وبوجهل خود يكسان بدى *

قال بعضهم ان الله تعالى قوى قلوب ضعفاء الناس بذكر ضعفاء الاجناس وعرف الخلق قدرته فى خلق الضعفاء على هيئات الاقوياء فان البعوض على صغره بهيئة الفيل على كبره وفى البعوض زيادة جناحين فلا يستبعد من كرمه ان يعطى على قليل العمل ما يعطى على كثير العمل من الخلقة كما اعطى صغير الجثة ما اعطى كبير الجثة من الخلقة ومن العجيب ان هذا الصغير يؤذى هذا الكبير فلا يمتنع منه ومن لطف الله تعالى انه خلق الاسد بغاية القوة والبعوض والذباب بغاية الضعف ثم اعطى البعوض والذباب جرأة اظهرها فى طيرانهما فى وجوه الناس وتماديهما فى ذلك مع مبالغة الناس فى ذبهما بالمذبة وركب الجبن فى الاسد واظهر ذلك بتباعده عن مساكن الناس وطرقهم ولو تجاسر الاسد تجاسر الذباب والبعوض لهلك الناس فمن الله تعالى وجعل فى الضعيف التجاسر وفى القوى الجبن ومن العجب عجزك عن هذا الضعيف وقدرتك على ذلك الكبير (وحكى) انه خطب المأمون فوقع ذباب على عينه فطرده فعاد مرارا حتى قطع عليه الخطبة فلما صلى احضر ابا هذيل شيخ البصريين فى الاعتزال فقال له لم خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت واجازه بمال كذا فى روضة الاخيار وفى خلق مثل الذباب حكم ومصالح قال وكيع لولا الريح والذباب لانتنت الدنيا ومن الاعاجيب ان هذا الضعيف اذا طار فى وجهك ضاق به قلبك ونغص به عيشك وفسد عليك بستانك وكرمك واعجب منه جرأتك مع ضعفك على ما يورثك العار ويوردك النار فاذا كان جزعك هذا من البعوض فى الدنيا فكيف حالك اذا تسلطت عليك الحيات والعقارب فى لظى قال القشيرى رحمه الله الخلق فى التحقيق بالاضافة الى قدرة الخالق اقل من ذرة من الهباء فى الهواء وسيان فى قدرته العرش والبعوض فلا خلق العرش عليه اعسر ولا خلق البعوضة عليه ايسر سبحانه متقدس عن لحوق العسر واليسر واعلم انه يمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل فى الانجيل غل الصدر بالنخالة قال لا تكونوا كمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم وتبقون الغل فى صدوركم ومثل مخاطبة السفهاء باثارة الزنابير قال لا تثيروا الزنابير فتلدغكم فكذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتموكم وقال فيه ايضا لا تدخروا ذخائركم حيث السوس والارضة فتفسدها ولا فى البرية حيث اللصوص والسموم فيسرقها اللصوص ويحرقها السموم ولكن ادخروا ذخائركم عند الله تعالى وجاء فى الانجيل ايضا مثل ملكوت السماء كمثل رجل زرع فى قريته حنطة جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان وهو بفتح الزاى وضمها حب مر يخالط البر فقال عبيد الزراع يا سيدنا اليس حنطة جيدة زرعت فى قريتك قال بلى قالوا فمن اين هذا الزوان قال اعلكم ان ذهبتم ان تلقطوا الزوان تقلعوا معه حنطة دعوهما يتربيان جميعا حتى الحصاد فآمر الحصادين ان يلقطوا الزوان من الحنطة وان يربطوه حزما ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة الى الجرين والتفسير الزراع ابو البشر والقرية العالم والحنطة الطاعة وزراع الزوان ابليس والزوان المعاصى والحصادون الملائكة يتوفون بنى آدم وللعرب امثال مثل قولهم هو اجمع من ذرة يزعمون انها تدخر قوت سبع سنين واجرأ من الذباب لانه يقع على انف الملك وجفن الاسد فاذا ذيد اى منع آب اى رجع واسمع من قراد يزعم العرب ان القراد يسمع الهمس الخفى من مناسم الابل اى اخفافها على مسيرة سبع ليال او سبعة اميال وفلان اعمر من القراد وذلك انها تعيش سبعمائة سنة وقيل اعمر من حية لانها لا تموت الا قتلا ويقال اعمر من النسر لانه يعيش ثلثمائة سنة

وفلان اصرد من جرادة اى ابرد لانها لا تظهر فى الشتاء ابدا لقلة صبرها على البرد واطيش من فراشة اى اخف منها وهى بالفارسية پروانه واعز من مخ البعوض يقال لما لا يوجد ويقال كلفتنى مخ البعوض فى تكليف ما لا يطاق واضعف من بعوضة وآكل من السوس وهو القمل الذى يأكل الحنطة والشعير والدويبة التى تقع على الصوف والجوخ وغيرهما فتأكلها وبالجملة ان الله تعالى يضرب الامثال للناس ولا يستحيى من الحق وله فى امثاله مطلقا حكم ومصالح وما يتذكر الا اولوا الالباب (قال المولى جلال الدين قدس سره) بيت من بيت نيست اقليمست * هزل من هزل نيست تعليمست * (فاما الذين آمنوا) بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضرب به فاما الذين آمنوا (فيعلمون انه) اى المثل بالبعوضة والذباب (الحق) اى الثابت الذى لا يسوغ انكاره (من ربهم) حال من الضمير المستكن فى الحق او من الضمير العائد الى المثل اى كائنا منه تعالى فيتفكرون فى هذا المثل الحق ويوقنون ان الله هو خالق الكبير والصغير وكل ذلك فى قدرته سواء فيؤمنون به (واما الذين كفروا) وهم اليهود والمشركون (فيقولون ماذا) اى ما الذى او اى شئ (اراد الله بهذا) اى بالمثل الخسيس وفى كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له (مثلا) اى بهذا المثل فلما حذف الالف واللام نصب على الحال اى ممثلا او على التمييز فاجابهم الله تعالى بقوله (يضل به) اى يخذل بهذا المثل والاضلال هو الصرف عن الحق الى الباطل واسناد الاضلال اى خلق الضلال اليه سبحانه مبنى على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كان افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم (كثيرا) من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون ضلالة (ويهدى به) اى يوفق بهذا المثل (كثيرا) من المؤمنين لتصديقهم به فيزدادون هداية يعنى يضل به من علم منهم انه يختار الضلالة ويهدى به من علم انه يختار الهدى فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم قلت اهل الهدى كثير فى انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة لان هؤلاء على الحق وهم على الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه السواد الاعظم هو الواحد على الحق (وما يضل به) اى لا يخذل بالمثل وتكذيبه (الا الفاسقين) اى الكافرين بالله الخارجين عن امره والفسق فى اللغة الخروج وفى الشريعة الخروج عن طاعة الله بارتكاب الكبيرة التى من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الاولى التغابى وهو ارتكابها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك فى تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذى عليه يدور الايمان (الذين ينقضون عهد الله) اى يخالفون ويتركون امر الله تعالى والنقض الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض فى ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين قيل عهد الله ثلاثة الاول ما اخذه على ذرية آدم عليه السلام بان يقروا على ربوبيته تعالى والثانى ما اخذه على الانبياء عليهم السلام بان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه (من بعد ميثاقه) اى بعد توثيق ذلك العهد وتوكيده بالقبول فالضمير للعهد او بعد توثيق الله ذلك بانزال الكتب وارسال الرسل فالضمير الى الله فالمراد بالميثاق هنا نفس المصدر لا نفس العهد (يحكى) عن مالك بن دينار رحمه الله انه كان له ابن عم عامل سلطان فى زمانهم وكان ظالما جائرا فمرض ذلك الرجل ونذر وعهد على نفسه وقال لو عافانى الله تعالى مما انا فيه لا ادخل فى عمل السلطان ابدا قال فابرأه الله من ذلك المرض فدخل فى عمل السلطان ثانيا فظلم الناس اكثر مما ظلمهم فى المرة الاولى فمرض مرضا ثانيا فنذر ثانيا بعد رجوعه الى عمل السلطان فبرأ ونقض العهد ودخل فيه وظلم اكثر مما ظلم فى المرتين فظهرت به علة شديدة فاخبر بذلك مالك بن دينار فزاره وقال يا بنى اوجب على نفسك شيأ وعاهد مع الله عهد العلك تنجو من هذه العلة فقال المريض عاهدت الله ان لو قمت من فراشى ان لا اعود الى عمل السلطان ابدا فهتف هاتف يا مالك انا قد جربناه مرارا فوجدناه كذوبا فلا ينفعه نذره اى جربناه بنفسه فاكذب نفسه فمات الفتى على هذه الحالة كذا فى روضة العلماء (قال المثنوى) نقض ميثاق وشكست توبها * موجب لعنت شود در انتها * (ويقطعون ما امر الله به ان يوصل) محل ان يوصل النصب على انه بدل من ضمير الموصول اى ما امر الله به ان يوصل وهو يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين

والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطى شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التى هى المقصودة بالذات من كل وصل وفصل وفى الحديث اذا اظهر الناس العلم وضيعوا العمل به وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة فى ظل عرش الله يوم القيامة امرأة مات عنها زوجها وترك عليها يتامى صغارا فخطبت فلم تتزوج قالت اقوم على ايتامى حتى يغنيهم الله او يموت يعنى اليتيم او هى ورجل له مال صنع طعاما فاطاب صنيعته واحسن نفقته فدعا عليه اليتيم والمسكين وواصل الرحم يوسع له فى رزقه ويمد له فى اجله ويكون تحت ظل عرش ربه (ويفسدون فى الارض) بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى عليها يدور فلاك نظام العالم وصلاحه (اولئك هم الخاسرون) اى المغبونون بالعقوبة فى الآخرة مكان المثوبة فى الجنة لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها قيل ليس من مؤمن ولا كافر الا وله منزل واهل وخدم فى الجنة فان اطاعه تعالى اتى اهله وخدمه ومنزله فى الجنة وان عصاه ورثه الله المؤمنين فقد غبن عن اهله وخدمه ومنزله وفى التأويلات النجمية ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا بنور الايمان يشاهدون الحقائق والمعانى فى صورة الامثلة فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون انكروا الحق بجعل ظلمة انكارهم غشاوة فى ابصارهم فما شاهدوا الحقائق فى كسوة الامثلة كما ان العجم لا يشاهدون المعانى فى كسوة اللغة العربية فكذلك الكفار والجهال عند تحيرهم فى ادراك حقائق الامثال قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا فبجهلهم زاد انكارهم على انكار فتاهوا فى اودية الضلالة بقدم الجهالة يضل به كثيرا عن اخطأ رشاش النور فى بدء الخلق كما قال عليه السلام ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطأه فقد ضل فمن اخطأه ذلك النور فى عالم الارواح فقد اخطأ نور الايمان ههنا ومن اخطأه نور الايمان فقد اخطأه نور القرآن فلا يهتدى ومن اصابه ذلك هنالك اصابه ههنا نور الايمان ومن اصابه نور الايمان فقد اصابه نور القرآن ومن اصابه نور القرآن فهو ممن قال ويهدى به كثيرا وكان القرآن لقوم شفاء ورحمة ولقوم شقاء ونقمة لانه كلامه وصفته شاملة اللطف والقهر فبلطفه هدى الصادقين وبقهره اضل الفاسقين لقوله وما يضل به الا الفاسقين الخارجين من اصابة رشاش النور فى بدء الخلقة ثم اخبر عن نتائج ذكر الخروج ونقض العهود كما قال الله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه اى الذين ينقضون عهد الله الذى عاهدوه يوم الميثاق على التوحيد والعبودية بالاخلاص من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من اسباب السلوك الموصل الى الحق واسباب التبتل والانقطاع عن الخلق كما قال تعالى وتبتل اليه تبتيلا اى انقطع اليه انقطاعا كليا عن غيره ويفسدون فى الارض اى يفسدون بذر التوحيد الفطرى فى ارض طينتهم بالشرك والاعراض عن قبول دعوة الانبياء وسقى بذر التوحيد بالايمان والعمل الصالح اولئك هم الخاسرون خسروا استعداد كمالية الانسان المودعة فيهم كما تخسر النواة فى الارض استعداد النخلية المودعة فيها عند عدم الماء لقوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات (كيف تكفرون) كيف نصب حالا من الضمير فى تكفرون اى معاندين تكفرون وتجحدون (بالله) اى بوحدانيته ومعكم ما يصرفكم عن الكفر الى الايمان من الدلائل الانفسية والافاقية والاستفهام انكارى لا بمعنى انكار الوقوع بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه لان التعجب من الله يكون على وجه التعجيب والتعجيب هو ان يدعو الى التعجب وكانه يقول الا تتعجبون انهم يكفرون بالله كما فى تفسير ابى الليث وقال القاضى هو استخبار والمعنى اخبرونى على اى حال تكفرون (وكنتم امواتا) جمع ميت كاقوال جمع قيل اى والحال انكم كنتم امواتا اى اجساما لا حياة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة قال فى الكشاف فان قلت كيف قيل لهم اموات فى حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما تصح منه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة لقوله تعالى بلدة ميتا (فاحياكم) بخلق الارواح ونفخها فيكم فى ارحام امهاتكم ثم فى دنياكم وهذا الزام لهم بالبعث والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم فى تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه آنفا ثم لما كان المقام فى الدنيا قد يطول جاء بثم حرف التراخى فقال

(ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحياة الثانية التي هي الحيوان الابدى والنعمة العظمى (ثم يحييكم) للسؤال فى القبور فيحيي حتى يسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال من ربك ومن نبيك وما دينك ودل ثم التى للتعقيب على سبيل التراخى على انه لم يرد به حياة البعث فان الحياة يومئذ يقارنها الرجوع الى الله بالحساب والجزاء واتصل به من غير تراخ فلا يناسب ثم اليه ترجعون ودلت الاية على اثبات عذاب القبر وراحة القبر كما فى التيسير (ثم اليه ترجعون) بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر واليه تنشرون من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فلئن قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر سيما وفى الاية تنبيه على مايدل به على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدأ الخلق ليس باهون عليه من اعادته (هو الذى خلق لكم) هذا بيان نعمة اخرى اى قدر خلقها لاجلكم ولانتفاعكم بها فى دنياكم ودينكم لان الاشياء كلها لم تخلق فى ذلك الوقت (ما فى الارض) اى الذى فيها من الاشياء (جميعا) نصب حالا من الموصول الثانى وقد يستدل بهذا على ان الاصل فى الاشياء الاباحة كما فى الكواشى وقال فى التيسير اهل الاباحة من المتصوفة الجهلة جعلوا اللام فى لكم فى قوله تعالى هو الذى خلق لكم على الاطلاق والاباحة على الاطلاق وقالوا لاحظر ولا نهى ولا امر فاذا تحققت المعرفة وتأكدت المحبة سقطت الخدمة وزالت الحرمة فالحبيب لا يكلف حبيبه ما يتعبه ولا يمنعه ما يريده ويطلبه وهذا منهم كفر صريح وقد نهى الله تعالى وامر واباح وحظر ووعد واوعد وبشر وهدد والنصوص ظاهرة والدلائل متظاهرة فمن حمل هذه الاية على الاباحة المطلقة فقد انسلخ من الدين بالكلية انتهى كلام التيسير (ثم استوى الى السماء) قصد اليها اى الى خلقها بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة شئ آخر فى تضاعيف خلقها او غير ذلك ولا تناقض بين هذا وبين قوله والارض بعد ذلك دحاها لان الدحو البسط وعن الحسن خلق الله الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر اى الحجر ملاء الكف عليها دخان يلتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعه ثم بسط منه الارض كذا فى الكواشى وقال ابن عباس رضى الله عنه اول ما خلق الله جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد ارضا والدخان سماء قالوا فالسماء من دخان خلقت وبريح ارتفعت وباشارة تفرقت وبلا عماد قامت وبنفخة تكسرت (فسواهن) اى اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لانه سواهن بعد ان لم يكن كذلك والضمير فيه مبهم فسر بقوله تعالى (سبع سموات) فهو نصب على انه تمييز نحو ربه رجلا قال سلمان هى سبع اسم الاولى رقيع وهى من زمردة خضراء واسم الثانية ارفلون وهى من فضة بيضاء والثالثة قيدوم وهى من ياقوتة حمراء والرابعة ماعون وهى من درة بيضاء والخامسة دبقاء وهى من ذهب احمر والسادسة وفناء وهى من ياقوتة صفراء والسابعة عريبا وهى من نور يتلألأ (وهو بكل شئ عليم) فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج فى صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتكسرت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف يجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شئ منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان وفى هذه الاية اشارة الى مراتب الروحانيات فالاول عالم الملكوت الارضية والقوى النفسانية والثانى عالم النفس والثالث عالم القلب والرابع عالم العقل والخامس عالم السر والسادس عالم الروح والسابع عالم الخفى الذى هو السر الروحى والى هذا اشار امير المؤمنين على رضى الله عنه بقوله سلونى عن طرق السماء فانى اعلم بها من طرق الارض وطرقها الاحوال والمقامات كالزهد والتقوى والتوكل والرضى وامثالها واعلم ان المراتب اثنتا عشرة على عدد السموات والعروش الخمسة وكان الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره يقول للتوحيد اثنا عشر بابا فالجلوتية يقطعونها بالتوحيد لان سرهم فى اليقين والخلوتية يقطعونها بالاسماء لان سرهم فى البرزخ وهم يقولون جنة

الافعال وجنة الصفات وجنة الذات وذلك لان الجنات على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه سبع فاذا كان اربع منها لاهل اليقين اعنى الجلوتية فالثلاث لاهل البرزخ اعنى الخلوتية وهى الافعال والصفات والذات وفى التأويلات النجمية كيف تكفرون بالله خطاب توحيد للمؤمنين اى لا تكفرون بالله وبانبيائه لانكم كنتم امواتا ذرات فى صلب آدم فاحياكم باخراجكم عن صلبه واسمعكم لذيذ خطاب الست بربكم واذاقكم لذات الخطاب ووفقكم للجواب بالصواب حتى قلتم بلى رغبة لا رهبة ثم يميتكم بالرجعة الى اصلاب ابائكم والى عالم الطبيعة الانسانية ثم يحييكم ببعثة الانبياء وقبول دعوتهم ثم اليه ترجعون بدلالة الانبياء وقدم التوحيد على جادة الشريعة الى درجات الجنات واما خطاب التشريف للانبياء والاولياء اى لا تكفرون وكنتم امواتا فى كتم العدم فاحياكم بالتكوين فى عالم الارواح ورشاش النور وتخمير طينة ارواحكم بماء نور العناية وتخمير يد المحبة باربعين صباح الوصال ثم يميتكم بالمفارقة عن شهود الجمال الى مقبرة الحس والخيال ثم يحييكم اما الانبياء فبنور نور الوحى واما الاولياء فبروح روح نور الايمان ثم اليه ترجعون اما الانبياء فبالعروج واما الاولياء فبالرجوع بجذبات الحق كما قال تعالى ارجعى الى ربك فلما اثبت ان الرجوع اليه امر ضرورى اما بالاختيار كقراءة يعقوب ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم واما بالاضطرار كقراءة الباقين اشار الى ان الذى ترجعون اليه هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا اى ما خلقكم لشئ وخلق كل شئ لكم بل خلقكم لنفسه كما قال تعالى واصطنعتك لنفسى معناه لا يكن لشئ غيرى فانى لست لشئ غيرك فبقدر ما تكون لى اكون لك كما قال عليه السلام من كان لله كان الله له وليس لشئ من الموجودات هذا الاستعداد ان يكون هو الله على التحقيق وان يكون له وفى هذا سر عظيم وافشاء سر الربوبية كفر فلا تشتغل بما لك عمن انت له فتبقى بلا هو ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات فيه اشارة الى ان وجود السموات والارض كان تبعا لوجود الانسان وهو بكل شئ عليم اى عالم فى خلق كل شئ خلقه ولاى شئ خلقه فكل ذرة من مخلوقاته يسبح بحمد ذاته وصفاته ويشهد على احديته وصمديته ويقول ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك (قال المولى الجامى قدس سره)

دوجهان جلوكاه وحدت تو ✻ شهد الله كواه وحدت تو

(واذ) مفعول اذكر مقدرة اى اذكر لهم واخبر وقت (قال ربك) وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا (للملائكة) اللام للتبليغ وتقديم الجار والمجرور فى هذا الباب مطرد لما فى المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر والملائكة جمع ملك والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة وسموا بها لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسله لان اصل ملك ملأك مقلوب مألك من الالوكة وهى الرسالة والملائكة عند اكثر المسلمين اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة والدليل ان الرسل كانوا يرونهم كذلك وروى فى شرح كثرتهم ان بنى آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اولئك فى مقابلة الكرسى نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التى عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء فى مقابلة الذين يحومون حول العرش كالقطرة فى البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم العليم الخبير على ما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وروى انه صلى الله عليه وسلم حين عرج به الى السماء رأى ملائكة فى موضع بمنزلة شرف يمشى بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله جبريل عليهما السلام الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادرى الا انى اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سألا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادرى غير ان الله تعالى يخلق فى كل اربعة آلاف سنة كوكبا وقد خلق منذ ما خلقنى اربعمائة الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم قدره وما اوسع ملكوته واراديهم

الملائكة الذين كانوا فى الارض وذلك ان الله خلق السماء والارض وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة السماء واسكن الجن الارض والجن هم بنوا الجان والجان ابو الجن كآدم ابو البشر وخلق الله الجان من لهب من نار لادخان لها بين السماء والارض والصواعق تنزل منها ثم لما سكنوا فيها كثر نسلهم وذلك قبل آدم بستين الف سنة فعمروا دهرا طويلا فى الارض مقدار سبعة آلاف سنة ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فافسدوا وقتلوا فبعث الله اليهم ملائكة سماء الدنيا وامر عليهم ابليس وكان اسمه عزازيل وكان اكثرهم علما فهبطوا الى الارض حتى هزموا الجن واخرجوهم من الارض الى جزآئر البحور وشعوب الجبال وسكنوا الارض وصار امر العبادة عليهم اخف لان كل صنف من الملائكة يكون ارفع فى السموات يكون خوفهم اشد وملائكة السماء الدنيا يكون امرهم ايسر من الذين فوقهم واعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان له جناحان من زمرد اخضر وكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله العجب فقال فى نفسه ما اعطانى الله هذا الملك الا لانى اكرم الملائكة عليه وايضا كل من اطمأن الى الدنيا امر بالتحول عنها فقال الله تعالى له ولجنوده (انى جاعل) اى مصير (فى الارض) دون السماء لان التباغى والتظالم كان فى الارض (خليفة) وهو آدم عليه السلام لانه خلف الجن وجاء بعدهم ولانه خليفة الله فى ارضه اى اريد ان اخلق فى الارض بدلا منكم ورافعكم الى فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملائكة عبادة واعلم ان الله تعالى يحفظ العالم بالخليفة كما يحفظ الخزآئن بالختم وهو القطب الذى لا يكون فى كل عصر الا واحدا فالبدء كان بادم عليه السلام والختام يكون بعيسى عليه السلام والحكمة فى الاستخلاف قصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى امره بغير واسطة لان المفيض تعالى فى غاية التنزه والتقدس والمستفيض منغمس غالبا فى العلائق الدنية كالاكل والشرب وغيرهما والعوآئق الطبيعية كالاوصاف الذميمة فالاستفاضة منه انما تحصل بواسطة ذى جهتين اى ذى جهة التجرد وجهة التعلق وهو الخليفة ايا كان ولذا لم يستنبئ الله ملكا فان البشر لا يقدر على الاستفادة منه لكونه خلاف جنسه الا يرى ان العظم لما عجز عن اخذ الغذآء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الله تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من اللحم ويعطى العظم وجعل السلطان الوزير بينه وبين رعيته اذهم اقرب الى قبولهم منه وجعل المستوقد الحطب اليابس بين النار وبين الحطب الرطب وفائدة قوله تعالى للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة اربعة امور الاول تعليم المشاورة فى امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة (قال فى المثنوى) مشورت ادراك وهشيارى دهد * عقلها مر عقل رايارى دهد * كفت پيغمبر بكن اى راى زن * مشورت كالمستشار مؤتمن * ويقال اعقل الرجال لا يستغنى عن مشاورة اولى الالباب وافره الدواب لا يستغنى عن السوط واورع النساء لا تستغنى عن الزوج والثانى تعظيم شأن المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه والثالث اظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وهو قوله اتجعل الخ وجوابه وهو قوله انى اعلم ما لا تعلمون الخ والرابع بيان ان الحكمة تقتضى ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير كقطع العضو الذى فيه اكلة شر قليل وسلامة جميع البدن خير كثير فلو لم يقطع ذلك العضو سرت تلك الافة الى جميع البدن وادت الى الهلاك الذى هو شر كثير (قالوا) استئناف كانه قيل فماذا قالت الملائكة حينئذ فقيل قالوا (اتجعل فيها) اى الارض (من يفسد فيها) كما افسدت الجن وفائدة تكرار الظرف تأكيد الاستبعاد (ويسفك الدماء) اى يصبها ظلما كما يسفك بنوا الجان والتعبير عن القتل بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل قال بعض العارفين الملائكة الذين نازعوا فى آدم ليست من اهل الجبروت ولا من اهل الملكوت السماوية فانهم لغلبة النورية عليهم واحاطتهم بالمراتب يعرفون شرف الانسان الكامل ورتبته عند الله وان لم يعرفوا حقيقته كما هى بل نازعت ملائكة الارض والجن والشياطين الذين غلبت عليهم الظلمة والنشأة الموجبة للحجاب وفى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة بتخصيص الارض بالذكر وان كان خليفة فى العالم كله فى الحقيقة هو ايماء ايضا بان ملائكة الارض هم الطاعنون اذ الظن لا يصدر الا ممن هو فى معرض ذلك المنصب واهل السموات مدبرات للعالم العلوى فما قالت الملائكة الارضية الا بمقتضى نشأتهم التى هم عليها من غبطة منصب الخلافة فى الارض

والغيرة على منصب ملكهم وتعبدهم بما هم عليه من التسبيح والتقديس فكل اناء يترشح بما فيه واما الاعتراض على فعل الحكيم والنزاع فى صنعه عند حضرته فعفو عنه لكمال حكمته واتقان صنعته (قال فى المثنوى) زانكه اين دمها چه كر نالايق است * رحمت من بر غضب هم سابقست * از پى اظهار اين سبق اى ملك * در تو بنهم داعيه اشكال وشك * تا بكويى ونكيرم بر تو من * منكر حلم نيارد دم زدن * صد پدر صد مادر اندر حلم ما * هر نفس زايد در افتد در فنا * حلم ايشان كف بحر حلم ماست * كف رود آيد ولى دريا بجاست * وفى الفتوحات ان هاروت وماروت من الملائكة الذين نازعوا آدم ولاجل هذا ابتلاهما الله تعالى باظهار الفساد وسفك الدماء فافهم سر قوله عليه السلام دع الشماتة عن اخيك فيعافيه الله تعالى ويبتليك وايضا من تلك الملائكة الطاعنين بسفك الدماء الملائكة التى ارسلها الله تعالى نصرة للمجاهدين وسفك الدماء غيرة على دين الله وشرعه كذا فى حل الرموز وكشف الكنوز (ونحن) اى والحال انا (نسبح) اى ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين (بحمدك) على ما انعمت علينا من فنون النعم التى من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام (ونقدس) تقديسا (لك) اى نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك فاللام للبيان كما فى سقيا لك متعلقة بمصدر محذوف ويجوز ان تكون مزيدة اى نقدسك قال فى التيسير التسبيح نفى ما لا يليق به والتقديس اثبات ما يليق به وقال الشيخ داود القيصرى قدس سره التسبيح اعم من التقديس لانه تنزيه الحق عن نقائص الامكان والحدوث والتقديس تنزيهه عنها وعن الكمالات اللازمة للاكوان لانها من حيث اضافتها الى الاكوان تخرج عن اطلاقها وتقع فى نقائص التقييد انتهى وكانه قيل اتستخلف من من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة والاستفسار عما رجح بنى آدم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الفساد وكانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل (قال) الله (انى اعلم ما لا تعلمون) من الحكمة والمصلحة باستخلاف آدم عليه السلام وان من ذريته الطائع والعاصى فيظهر الفضل والعدل فلا تعترضوا على حكمى وتقديرى ولا تستكشفوا عن غيبة تدبيرى فليس كل مخلوق يطلع على غيب الخالق ولا كل احد من الرعية يقف على سر الملك وفى الاية تنبيه للسالك بان يتأدب بين يدى الحق تعالى وخلفائه والمشايخ والعلماء لئلا يظهر بالانانية واظهار العلم عندهم لانه سالك طريق الفناء والفانى لا يكون كطاووس تعشق بنفسه واعجب بذاته بل لا يرى وجوده اصلا فقد وعظنا الله تعالى بزجره للملائكة بقوله انى اعلم ما لا تعلمون (قال السعدى) نرود مرغ سوى دانه فراز * چون دكر مرغ بيند اندر بند * پند كير از مصائب دكران * تا نكيرند ديكران ز تو پند * وفى التأويلات النجمية واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة انما قال جاعل وما قال خالق لمعنيين احدهما ان الجاعلية اعم من الخالقية فان الجاعلية هى الخالقية وشىء آخر وهو ان يخلقه موصوفا بصفة الخلافة اذ ليس لكل احد هذا الاختصاص كما قال تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض اى خلقناك مستعد الخلافة فاعطيناكها والثانى ان للجعلية اختصاصا بعالم الامور وهو الملكوت وهو ضد عالم الخلق لانه هو عالم الاجسام والمحسوسات كما قال تعالى ألا له الخلق والامر اى الملك والملكوت فانه تعالى حيث ذكر ما هو مخصوص بعالم الامر ذكر بالجعلية لامتياز الامر عن الخلق كما قال تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور فالسموات والارض لما كانتا من الاجسام المحسوسات ذكرهما بالخلقية والظلمات والنور لما كانتا من الملكوتيات غير المحسوسات ذكرهما بالجعلية وانما قلنا الظلمات والنور من الملكوتيات لقوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانما هى من الملكوتيات لا من المحسوسات والظلمات والنور التى من المحسوسات فانها داخلة فى السموات والارض فافهم جدا فكذلك لما اخبر الله تعالى عن آدم بما يتعلق بجسمانيته ذكره بالخلقية كما قال انى خالق بشرا من طين ولما اخبر عما يتعلق بروحانيته ذكره بالجعلية وقال انى جاعل فى الارض خليفة وفى انى جاعل اشارة اخرى وهو اظهار عزة آدم عليه السلام على الملائكة لينظروا اليه بنظر التعظيم ولا ينكروا عليه بما يظهر منه ومن اولاده من اوصاف البشرية فانه تعالى يقول ولذلك خلقهم وسماه خليفة وما شرف شيأ من الموجودات بهذه الخلقة والكرامة وانما سمى خليفة لمعنيين احدهما انه يخلف

عن جميع المخلوقات ولا يخالفه المكونات بامرها وذلك لان الله جمع فيه ما فى العوالم كلها من الروحانيات والجسمانيات والسماويات والارضيات والدنيويات والاخرويات والجماديات والنباتيات والحيوانيات والملكوتيات فهو بالحقيقة خليفة كل واكرمه باختصاص كرامة ونفخت فيه من روحى فما اكرم بها احدا من العالمين واشار الى هذا المعنى بقوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم فلهذا الاختصاص ماصلح الموجودات كلها ان تكون خليفة لادم ولا للحق تعالى والثانى انه يخلف وينوب عن الله صورة ومعنى اما صورة موجودة فى الظاهر يخلف عن وجود الحق فى الحقيقة لان وجود الانسان يدل على وجود موجده كالبناء يدل على وجود البانى ويخلف وحدانية الانسان وحدانية الحق وذاته عن ذاته وصفاته عن صفاته فيخلف حياته عن حياته وقدرته عن قدرته وارادته عن ارادته وسمعه عن سمعه وبصره عن بصره وكلامه عن كلامه وعلمه عن علمه ولامكانية روحه عن لامكانيته ولاجهتيته عن لاجهتيته فافهم ان شاء الله تعالى وليس لنوع من المخلوقات ان يخلف عنه كما يخلف آدم وان كان فيهم بعض هذه لانه لا يجتمع صفات الحق فى احد كما يجتمع فى الانسان ولا يتجلى صفة من صفاته لشئ كما يتجلى لمرآة قلب الانسان وصفاته واما الحيوانات فانه وان كان لها بعض هذه الصفات ولكن ليس لها علم بوجود موجدها واما الملائكة فانهم وان كانوا عالمين بوجود موجدهم ولكن لا يبلغ حد علمهم الى ان يعرفوا انفسهم بجميع صفاتها ولا الحق بجميع صفاته ولذا قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وكان الانسان مخصوصا بمعرفة نفسه بالخلافة وبمعرفة جميع اسماء الله تعالى واما معنى فليس فى العالم مصباح يستضئ بنار نور الله فيظهر انوار صفاته فى الارض خلافة عنه الا مصباح الانسان فانه مستعد لقبول فيض نور الله لانه اعطى مصباح السر فى زجاجة القلب والزجاجة فى مشكاة الجسد وفى زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها يضئ من صفات العقل ولو لم تمسسه نار النور وفى مصباح السر فتيلة الخفى فاذا اراد الله ان يجعل فى الارض خليفة يتجلى بنور جماله لمصباح السر الانسانى فيهدى لنوره فتيلة خفى من يشاء فيستنير مصباحه بنار نور الله فهو على نور من ربه فيكون خليفة الله فى ارضه فيظهر انوار صفاته فى هذا العالم بالعدل والاحسان والرأفة والرحمة لمستحقيها وبالعزة والقهر والغضب والانتقام لمستحقيها كما قال تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال لحبيبه عليه السلام بالمؤمنين رؤف رحيم وقال فى حقه وحق المؤمنين محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ولا يظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك وناهيك عن هذا حال هاروت وماروت لما انكرا على ذرية آدم من اتباع الهوى والقتل والظلم والفساد وقالا لو كنا بدلا منهم خلفاء الارض ما كنا نفعل مثل ما يفعلون فالله تعالى انزلهما الى الارض والبسهما لباس البشرية وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير حق والزنى وشرب الخمر قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا فشربا الخمر وسفكا الدم وزنيا وقتلا وسجدا للصنم فثبت ان الانسان مخصوص بالخلافة وقبول فيضان نور الله فلو كان للملائكة هذه الخصوصية لم يفتتنا بهذه الاوصاف المذمومة الحيوانية والسبعية كما كان الانبياء عليهم السلام معصومين عن مثل هذه الآفات والاخلاق وان كانت لازمة لصفاتهم البشرية ولكن بنور التجلى تنور مصباح قلوبهم واستنار بنور قلوبهم جميع مشكاة جسدهم ظاهرا وباطنا واشرقت الارض بنور ربها فلم يبق لظلمات هذه الصفات مجال الظهور مع استعلاء النور فالملائكة من بدو الامر لما نظروا الى جسد آدم شاهدوا ظلمات البشرية والحيوانية والسبعية فى ملكوت الجسد بالنظر الملكوتى الملكى ولم تكن تلك الصفات غائبة عن نظرهم قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقولهم هذا يدل على معان مختلفة منها ان الله انطقهم بهذا القول ليتحقق لنا ان هذه الصفات الذميمة فى طينتنا مودعة وجبلتنا مركبة فلا نأمن من مكر انفسنا الامارة بالسوء ولا نعتمد عليها ولا نبرئها كما قال تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ومنها لنعلم ان كل عمل صالح نعمله هو بتوفيق الله ايانا وفضله ورحمته وكل فساد وظلم نعمله هو من شؤم طبيعتنا وخاصية طينتنا كما قال تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وكل فساد وظلم لا يجرى علينا ولا يصدر منا فذلك من حفظ الحق وعصمة الرب لقوله الا ما رحم ربى ومنها لنعلم ان الله تعالى من كمال فضله وكرمه قد قبلنا بالعبودية والخلافة وقال من

حسن

حسن عنايته فى حقنا مع الملائكة المقربين انى اعلم ما لا تعلمون لكيلا نقنط من رحمته وننقطع عن خدمته ومنها لنعلم ان فساد الاستعداد امر عظيم وبناء جسيم ومبنى الخلافة على الاستعداد والقابلية وليس للملائكة هذا الاستعداد والقابلية فلا نتغافل عن هذه السعادة ونسعى فى طلبها حق السعاية ومنها ان الملائكة انما قالوا اتجعل فيها الخ لانهم نظروا الى جسد آدم قبل نفخ الروح فشاهدوا بالنظر الملكى فى ملكوت جسده المخلوق من العناصر الاربعة المتضادة صفات البشرية والبهيمية والسبعية التى تتولد من تركيب اضداد العناصر كما شاهدوها فى اجساد الحيوانات والسباع الضاريات بل عاينوها فانها خلقت قبل آدم فقاسوا عليها احواله بعد ان شاهدوها وحققوها وهذا لا يكون غيبا فى حقهم وانما يكون غيبا لنا لانا ننظر بالحس والملكوت يكون لاهل الحس غيبا ومنا من ينظر بالنظر الملكوتى فيشاهد الملائكة والملكوتيات بالنظر الروحانى كما قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض فحينئذ لا يكون غيبا فالغيب ما غاب عنك وما شاهدته فهو شهادة فالملكوت للملائكة شهادة والحضرة الالهية لهم غيب وليس لهم الترقى الى تلك الحضرة وان فى الانسان صورة من عالم الشهادة المحسوسة وروحا من عالم الغيب الملكوتى غير المحسوس وسرا مستعد القبول فيض الانوار الالهية فبالتربية يترقى من عالم الشهادة الى عالم الغيب وهو الملكوت وبسر المتابعة وخصوصيتها يترقى من عالم الملكوت الى عالم الجبروت والعظموت وهو غيب الغيب ويشاهد بنور الله المستفاد من سر المتابعة انوار الجمال والجلال فيكون فى خلافة الحق عالم الغيب والشهادة كما ان الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه اى الغيب المخصوص به وهو غيب الغيب احدا يعنى من الملائكة الا من ارتضى من رسول يعنى من الانسان فهذا هو السر المكتوب المركوز فى استعداد الانسان الذى كان الله يعلم منه والملائكة لا يعلمونه كما قال تعالى انى اعلم ما لا تعلمون ومنها ان الملائكة لما نظروا الى كثرة طاعتهم واستعداد عصمتهم ونظروا الى نتايج الصفات النفسانية استعظموا انفسهم واستصغروا آدم وذريته فقالوا اتجعل فيها يعنى فى الارض خليفة مع انه يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك يعنى نحن لهذه الاوصاف احق بالخلافة منه كما قال بنو اسرائيل حين بعث الله لهم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال فاجابهم الله تعالى بان استحقاق الملك ليس بالمال انما هو بالاصطفاء وبسطة فى العلم والجسم وقال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء فكذلك هنا اجابهم الله تعالى بقوله انى اعلم ما لا تعلمون اجمالا ثم فصله بقوله ان الله اصطفى آدم وبقوله وعلم آدم الاسماء كلها وبقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى ليعلموا ان استعداد ملك الخلافة واستحقاقها ليس بكثرة الطاعات ولكنه مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء فلما تفاخر الملائكة بطاعتهم على آدم من الله تعالى على آدم بعلم الاسماء ليعلموا انهم ولو كانوا اهل الطاعة والخدمة فانه اهل العقل والمنة واين اهل الخدمة من اهل المنة فبتفاخرهم على آدم صاروا ساجدين له ليعلموا ان الحق تعالى مستغن عن طاعتهم وبمنته على آدم صار مسجدا لهم ليعلموا ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وفى قوله انى اعلم ما لا تعلمون اشارة اخرى الى انه كما يدل على ان لادم فضائل لا يعلمها الملائكة فكذلك له رذائل واوصاف مذمومة لا يعلمها الملائكة لانهم لا يعلمون منه اوصافا مذمومة هى من نتايج قالبه مشتركة مع الحيوانات مودعة فى ملكوته بغير اوصاف مذمومة تكون من نتايج النفس الامارة عند تتابع نظر الروح الى النفس حالة استعمال الشرع من العجب والرياء والسمعة والحسبان واشتراء الحياة الدنيا بالاخرة والابتداع والزيغوغة واعتقاد السوء وغير ذلك مما لا يشاركه الحيوانات فيه انتهى ما فى التأويلات (وعلم آدم الاسماء كلها) قال وهب ابن منبه لما اراد الله ان يخلق آدم اوحى الى الارض اى افهمها والهمها انى جاعل منك خليفة فمنهم من يطيعنى فادخله الجنة ومنهم من يعصينى فادخله النار فقالت الارض منى تخلق خلقا يكون للنار قال نعم فبكت فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة وبعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من زواياها الاربع من اسودها وابيضها واحمرها واطيبها واخبثها وسهلها وصعبها وجبلها فلما اتاها جبريل ليقبض منها قالت الارض بالله الذى ارسلك لا تأخذ منى شيأ فان منافع التقرب الى السلطان كثير ولكن فيه خطر عظيم كما قيل بدريا در منافع بيشمارست ✱ اكر خواهى سلامت دركنارست ✱ فرجع جبريل عليه السلام الى مكانه

ولم يأخذ منها شيأ فقال يارب حلفتنى الارض باسمك العظيم فكرهت ان اقدم عليها فارسل الله ميكائيل عليه السلام فلما انتهى اليها قالت الارض له كما قالت لجبريل فرجع ميكائيل فقال كما قال جبريل فارسل الله اسرافيل عليه السلام وجاء ولم يأخذ منها شيأ وقال مثل ما قال جبريل وميكائيل فارسل الله ملك الموت فلما انتهى قالت الارض اعوذ بعزة الله الذى ارسلك ان تقبض منى اليوم قبضة يكون للنار فيها نصيب غدا فقال ملك الموت وانا اعوذ بعزته ان اعصى له امرا فقبض قبضة من وجه الارض مقدار اربعين ذراعا من زواياها الاربع سهلها وحزنها فلذلك يأتى بنوه اخيافا اى مختلفين على حسب اختلاف الوان الارض واوصافها فنهم الابيض والاسود والاحمر واللين والغليظ فصار كل ذرة من تلك القبضة اصل بدن للانسان فاذامات يدفن فى الموضع الذى اخذت منه ثم صعد الى السماء فقال الله له اما رحمت الارض حين تضرعت اليك فقال رأيت امرك اوجب من قولها فقال انت تصلح لقبض ارواح ولده قال فى روضة العلماء فشكت الارض الى الله تعالى وقالت يارب نقص منى قال الله على ان ارد اليك احسن واطيب ما كان فمن ثم يحنط الميت بالمسك والغالية انتهى فامر الله تعالى عزرائيل فوضع ما اخذ من الارض فى وادى نعمان بين مكة والطائف بعد ما جعل نصف تلك القبضة فى النار ونصفها فى الجنة فتركها الى ماشاء الله ثم اخرجها ثم امطر عليها من سحاب الكرم فجعلها طينا لازبا وصور منه جسد آدم واختلفوا فى خلقة آدم عليه السلام فقيل خلق فى سماء الدنيا وقيل فى جنة من جنات الارض بغربيها كالجنة التى يخرج منها النيل وغيره من الانهار واكثر المفسرين انه خلق فى جنة عدن ومنها اخرج كما فى كشف الكنوز وفى الحديث القدسى خمرت طينة آدم بيدى اربعين صباحا يعنى اربعين يوما كل يوم منه الف عام من اعوام الدنيا فتركه اربعين سنة حتى يبس وصار صلصالا وهو الطين المصوت من غاية يبسه كالفخار فامطر عليه مطر الحزن تسعا وثلاثين سنة ثم امطر عليه مطر السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم فى بنى آدم ولكن يصير عاقبتها الى الفرح كما قيل ان لكل بداية نهاية وان مع العسر يسرا * ان مع العسر چو يسرش قفاست * شاد برانم كه كلام خداست * وكانت الملائكة يمرون عليه ويتعجبون من حسن صورته وطول قامته لان طوله كان خمسمائة ذراع الله اعلم باى ذراع وكان رأسه يمس السماء ولم يكونوا رأوا قبل ذلك صورة تشابهها فمر به ابليس فرآه ثم قال لامر ما خلقت ثم ضرب بيده فاذا هو اجوف فدخل فيه وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق اجوف لايثبت ولا يتماسك ثم قال لهم أرأيتم ان فضل هذا عليكم ما انتم فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال ابليس فى نفسه والله لا اطيعه ان فضل على وان فضلت عليه لاهلكنه * عاقبت گرگ زاده گرگ شود * وجمع بزاقه فى فمه والقى عليه فوقع بزاق اللعين على موضع سرة آدم عليه السلام فامر الله جبريل فقور بزاق اللعين من بطن آدم فحفرة السرة من تقوير جبريل وخلق الله من تلك القوارة كلبا وللكلب ثلاث خصال فانسه بادم لكونه من طينه وطول سهره فى الليالى من اثر مس جبريل عليه السلام وعضه الانسان وغيره واذاه من غير خيانة من اثر بزاق اللعين وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة وسمى بادم لكونه من اديم الارض لانه مؤلف من انواع ترابها ولما اراد الله ان ينفخ فيه الروح امره ان يدخل فيه فقال الروح موضع بعيد القعر مظلم المدخل فقال له ثانيا ادخل فقال كذلك فقال له ثالثا فقال كذلك فقال ادخل كرها اى بلارضى واخرج كرها ولذا لايخرج الروح عن البدن الا كرها فلما نفخه فيه مار فى رأس آدم وجبينه واذنيه ولسانه ثم مار فى جسده كله حتى بلغ قدميه فلم يجد منفذا فرجع منخريه فعطس فقال له ربه قل الحمد لله رب العالمين فقالها ادم فقال يرحمك الله ولذلك خلقتك يا آدم فلما انتهى الى ركبتيه اراد الوثوب فلم يقدر فلما بلغ قدميه وثب فقال تعالى وخلق الانسان عجولا فصار بشرا لحما ودما وعظاما وعصبا واحشاء ثم كساه لباسا من ظفر يزداد جسده فى كل يوم وهو فى ذلك منطق متوج وجعل فى جسده تسعة ابواب سبعة فى رأسه اذنين يسمع بهما وعينين يبصر بهما ومنخرين يجد بهما كل رائحة وفما فيه لسان يتكلم به وحنك يجد به طعم كل شئ وبابين فى جسده وهما قبله ودبره يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل عقله فى دماغه وشرهه فى كليتيه وغضبه فى كبده وشجاعته فى قلبه ورغبته فى رئته وضحكه فى طحاله وفرحه وحزنه فى وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم فلما سواه ونفخ فيه من روحه علمه اسماء الاشياء كلها اى الهمه فوقع فى قلبه فجرى على لسانه بما فى قلبه بتسمية الاشياء من عنده فعلمه جميع

اسماء المسميات بكل اللغات بان اراه الاجناس التى خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية وعلمه اسماء الملائكة واسماء ذريته كلهم واسماء الحيوانات والجمادات وصنعة كل شئ واسماء المدن والقرى واسماء الطير والشجر وما يكون وكل نسمة يخلقها الى يوم القيامة واسماء المطعومات والمشروبات وكل نعيم فى الجنة واسماء كل شئ حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب قال فى كشف الكنوز اتفق جم غفير من اهل العلم ان الاسماء كلها توقيفية من الله تعالى بمعنى ان الله تعالى خلق لادم علما ضروريا بمعرفة الالفاظ والمعانى وان هذه الالفاظ موضوعة لتلك المعانى وفى الخبر لما خلق الله آدم بث فيه اسرار الاحرف ولم يبث فى احد من الملائكة فخرجت الاحرف على لسان آدم بفنون اللغات فجعلها الله صوراله ومثلت له بانواع الاشكال وفى الخبر علمه سبعمائة الف لغة فلما وقع فى اكل الشجرة سلب اللغات الا العربية فلما اصطفاه بالنبوة رد الله عليه جميع اللغات فكان من معجزاته تكلمه بجميع اللغات المختلفة التى يتكلم بها اولاده الى يوم القيامة من العربية والفارسية والرومية والسريانية واليونانية والعبرانية والزنجية وغيرها قال بعض المفسرين علم الله آدم الف حرفة من المكاسب ثم قال قل لاولادك ان اردتم الدنيا فاطلبوها بهذه الحرف ولا تطلبوها بالدين واحكام الشرائع وكان آدم حراثا اى زراعا ونوح نجارا وادريس خياطا وصالح تاجرا وداود زرادا وسليمان كان يعمل الزنبيل فى سلطنته ويأكل من ثمنه ولا يأكل من بيت المال وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة وكان اكثر عمله صلى الله تعالى عليه وسلم فى البيت الخياطة وفى الحديث عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل كذا فى روضة الاخيار وقال العلماء الاسماء فى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء تقتضى الاستغراق واقتران قوله كلها يوجب الشمول فكما علمه اسماء المخلوقات علمه اسماء الحق تعالى فاذا كان تخصيصه بمعرفة اسماء المخلوقات يقتضى ان يصح سجود الملائكة له فما الظن بتخصيصه بمعرفة اسماء الحق وما الذى يوجب له (ثم عرضهم على الملائكة) اى عرضها اى المسميات وانما ذكر الضمير لان فى المسميات العقلاء فغلبهم والعرض اظهار الشئ للغير ليعرف العارض منه حاله وفى الحديث انه عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها والحكمة فى التعليم والعرض تشريف آدم واصطفاؤه واظهار الاسرار والعلوم المكنونة فى غيب علمه تعالى على لسان من يشاء من عباده وهو المعلم المكرم آدم الصفى كيلا يحتجب الملك وغيره بعلمه ومعرفته وذلك رحمة الله التى وسعت كل شئ (فقال) الله عز وجل تبكيتا وتعجيزا للملائكة وخطاب التعجيز جائز وهو الامر باتيان الشئ ولم يكن اتيانه مرادا ليظهر عجز المخاطب وان كان ذلك محالا كالامر باحياء الصورة التى يفعلها المصورون يوم القيامة ليظهر عجزهم ويحصل لهم الندم ولا ينفعهم الندم (انبئونى) اى اخبرونى (باسماء هؤلاء) الموجودات (ان كنتم صادقين) فى زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم ويقال هذه الاية دليل على ان اولى الاشياء بعد علم التوحيد تعلم علم اللغة لانه تعالى اراهم فضل آدم بعلم اللغة ودلت ايضا ان المدعى يطالب بالحجة فان الملائكة ادعوا الفضل فطولبوا بالبرهان وبحثوا عن الغيب فقرعوا بالعيان اى لا تعلمون اسماء ما تعاينون فكيف تتكلمون فى فساد من لا تعاينون فيا ارباب الدعاوى اين المعانى ويا ارباب المعرفة اين المحبة ويا ارباب المحبة اين الطاعة قال ابو بكر الواسطى من المحال ان يعرفه العبد ثم لا يحبه ومن المحال ان يحبه ثم لا يذكره ومن المحال ان يذكره ثم لا يجد حلاوة ذكره ومن المحال ان يجد حلاوة ذكره ثم يشتغل بغيره (قالوا) استئناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا حينئذ هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه اولا فقيل قالوا (سبحانك) اى نسبحك عما لا يليق بشأنك الاقدس من الامور التى من جملتها خلو افعالك من الحكم والمصالح وهى كلمة تقدم على التوبة قال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك انى كنت من الظالمين وسبحان اسم واقع موقع المصدر لا يكاد يستعمل الا مضافا فاذا افرد عن الاضافة كان اسما علما للتسبيح لا ينصرف للتعريف والالف والنون فى آخره (لا علم لنا الا ما علمتنا) اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتنا بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة لنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا

مستعدين لذلك لافضته علينا وما مصدرية اى الا علما علمتناه ومحله رفع بدل من موضع لاعلم كقولك
لا اله الا الله (انك انت) ضمير فصل لا محل له من الاعراب (العليم) الذى لا يخفى عليه خافية وهذه اشارة
الى تحقيقهم لقوله تعالى انى اعلم مالا تعلمون (الحكيم) المحكم لمبتدعاته والذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة
وافادت الاية ان العبد ما ينبغى له ان يغفل عن نقصانه وعن فضل الله واحسانه ولا يأنف ان يقول لا اعلم
فيما لا يعلم ولا يكتم فيما يعلم وقالوا لا ادرى نصف العلم وسئل ابو يوسف القاضى عن مسئلة فقال لا ادرى فقالوا له
ترتزق من بيت المال كل يوم كذا وكذا ثم تقول لا ادرى فقال انما ارتزق بقدر علمى ولو اعطيت بقدر جهلى
لم يسعنى مال الدنيا (وحكى) ان عالما سئل عن مسئلة وهو فوق المنبر فقال لا ادرى فقيل له ليس المنبر موضع
الجهال فقال انما علوت بقدر علمى ولو علوت بقدر جهلى لبلغت السماء (قال) استئناف ايضا (يا آدم انبئهم)
اى اعلمهم (باسمائهم) التى عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصير همهم عن بلوغ مرتبتها (فلما انبأهم باسمائهم)
روى انه رفع على منبر وامر ان ينبئ الملائكة بالاسماء فلما انبأهم بها وهم جلوس بين يديه وذكر منفعة كل شئ
(قال) الله تعالى (الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض) والاستفهام للتقرير اى قد قلت لكم انى اعلم
ما غاب فيهما ولا دليل عليه ولا طريق اليه (واعلم ما تبدون) تظهرون من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها الاية
(وما كنتم تكتمون) تسرون من قولكم لن يخلق الله خلقا اكرم عليه منا وهو استحضار لقوله تعالى انى اعلم
مالا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفى عليهم من امور السموات
والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم مالا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى
من السؤال وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وهذه الايات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله
على العبادة لان الملائكة اكثر عبادة من آدم ومع ذلك لم يستحقوا الخلافة وتدل على ان العلم شرط فى الخلافة
بل العمدة فيها وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى قل هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون فالعلم اشرف جوهرا ولكن لا بد للعباد من العبادة مع العلم فان العلم بمنزلة الشجرة
والعبادة بمنزلة الثمرة فالشرف للشجرة وهو الاصل لكن الانتفاع بثمرته وفى حديث ابى ذر رضى الله عنه حضور
مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قرآءة
القرآن قال وهل ينفع القرآن الا بالعلم (قال فى المثنوى) خاتم ملك سليمانست علم * جمله عالم صورت
وجانست علم * وفى الحديث النظر الى وجه الوالد عبادة والنظر الى الكعبة المكرمة عبادة والنظر فى المصحف
عبادة والنظر فى وجه العالم عبادة من زار عالما فكانما زارنى ومن صافح عالما فكانما صافحنى ومن جالس عالما
فكانما جالسنى ومن جالسنى فى الدنيا اجلسه الله معى يوم القيامة وفى الحديث من اراد ان ينظر الى عتقاء الله
من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذى نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف اى يذهب ويجئ الى باب العالم الا كتب
الله له بكل قدم عبادة سنة ويبنى بكل قدم مدينة فى الجنة ويمشى على الارض والارض تستغفر له ويمسى ويصبح
مغفورا له وفى التأويلات النجمية وعلم آدم الاسماء كلها الاسماء على ثلاثة اقسام قسم منها اسماء الروحانيات
والملكوتيات وهى مقام الملائكة ومرتبتهم فلهم علم ببعضها واستعداد ايضا لان ينبئوا مالا علم لهم بها
فان الروحانيات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا والقسم الثانى منها اسماء الجسمانيات وهى مرتبة
دون مرتبتهم فيمكن انباؤهم لان الجسمانيات لهم كالحيوانيات بالنسبة الينا فانها مرتبة دون مرتبة الانسان
فيمكن للانسان الانباء باحوالها والقسم الثالث منها الالهيات وهى مرتبة فوق مرتبة الملائكة كما قال تعالى
يخافون ربهم من فوقهم فلا يمكن للانسان ان ينبئهم بها ولا يمكن لهم الانباء فوق ما علمهم الله منها لانها غيبهم
وليس لهم الترقى الى عالم الغيب وهو عالم الجبروت وهم اهل الملكوت ولهم مقام معلوم لا يتجاوزون عنه كما قال
جبريل عند سدرة المنتهى لو دنوت انملة لاحرقت وانما كان آدم مخصوصا بعلم الاسماء لانه خلاصة العالم وكان
روحه بذر شجرة العالم وشخصه ثمرة شجرة العالم ولهذا اخلق شخصه بعد تمام ما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة
كما ان الثمرة تعبر عن اجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على اعلى الشجرة كذلك آدم عبر على اجزاء شجرة الموجودات
علوها وسفلها وكان فى كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فسمى كل شئ منها باسم يلائم تلك
المنفعة والمضرة بعلم علمه الله تعالى وهذا من جملة ما كان الله يعلم من آدم والملائكة لا يعلمون وكان من كمال حال

آدم ان اسماء الله تعالى جاءت على منفعته ومضرته فضلا عن اسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا
ولما كان مرزوقا كان الله رازقا ولما كان عبدا كان الله معبودا ولما كان معيوبا كان الله ستارا ولما كان مذنبا
كان الله غفارا ولما كان تائبا كان الله توابا ولما كان منتفعا كان الله نافعا ولما كان متضررا كان ضارا ولما كان
ظالما كان الله عدلا ولما كان مظلوما كان الله منتقما فعلى هذا قس الباقى (واذ قلنا) اى اذكر يا محمد وقت قولنا
(للملائكة) اى لجميعهم لقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون (اسجدوا لادم) اى اخروا له والسجود
فى الاصل تذلل مع تطامن وفى الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعى فالمسجود له
فى الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه واما المعنى اللغوى وهو التواضع لادم تحية
وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له وكان سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين
اراد ان يسجد له لا ينبغى لمخلوق ان يسجد لاحد الا الله تعالى ولو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة
ان تسجد لزوجها فتحية هذه الامة هى السلام لكن يكره الانحناء لانه يشبه فعل اليهود كما فى الدرر وكان هذا
القول الكريم بعد انبائهم بالاسماء قيل لما خلق آدم اشكل عليهم ان آدم اعلم ام هم فلما سألهم عن الاسماء
فلم يعرفوا وسأل آدم فاخبر بها ظهر لهم ان آدم اعلم منهم ثم اشكل عليهم انه افضل ام هم فلما امرهم بالسجود
ظهر لهم فضله ومن لطف الله تعالى بنا ان امر الملائكة بالسجود لابينا ونهانا عن السجود لغيره فقال لا تسجدوا
للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن نقل الملائكة المقربين الى آدم وسجدته ونقلنا الى سجدته وخدمته
وفى التأويلات النجمية فى قوله اسجدوا ثلاثة معان احدها انكم تسجدون لله بالطبيعة الملكية والروحانية
اسجدوا لادم خلافا للطبيعة بل اعبدوا رقا وانقيادا للامر وامتثالا للحكم والثانى اسجدوا لادم تعظيما لشأن
خلافته وتكريما لفضيلته المخصوصة به وذلك لان الله تعالى يتجلى فيه فمن سجد له فقد سجد لله كما قال تعالى
فى حق حبيبه عليه السلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله والثالث اسجدوا لادم اى لاجل آدم وذلك
لان طاعتهم وعبادتهم ليست بموجبة لثوابهم وترقى درجاتهم وفائدتها راجعة الى الانسان لمعنيين احدهما
ان الانسان يقتدى بهم فى الطاعة ويتأدب بادابهم فى امتثال الاوامر وينزجر عن الاباء والاستكبار كيلا
يلحقه اللعن والطرد كما لحق بابليس ويكون مقبولا محمودا مكرما كما كان الملائكة فى امتثال الامر لقوله تعالى
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون والثانى ان الله تعالى من كمال فضله ورحمته مع الانسان جعل
همة الملائكة فى الطاعة والتسبيح والتحميد مقصورة على استعداد المغفرة للانسان كما قال تعالى والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض فلذلك امرهم بالسجود لاجلهم وليستغفروا لهم (فسجدوا)
اى سجد الملائكة لانهم خلقوا من نور كما قال عليه السلام خلقت الملائكة من نور والنور من شانه الانقياد
والطاعة واول من سجد جبرائيل فاكرم بانزال الوحى على النبيين وخصوصا على سيد المرسلين ثم ميكائيل
ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة وقيل اول من سجد اسرافيل فرفع رأسه وقد ظهر كل القرآن مكتوبا
على جبهته كرامة له على سبقه الى الائتمار والفاء فى قوله فسجدوا لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم
فى ذلك (الا ابليس) اى ما سجد لانه خلق من النار والنار من شأنها الاستكبار وطلب العلو طبعا وللعلماء
فى هذا الاستثناء قولان الاول انه استثناء متصل لان ابليس كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة
مغمورا بهم متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه فى قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم واكثر المفسرين
على ان ابليس من الملائكة لان خطاب السجود كان مع الملائكة قال البغوى وهو اصح قال فى التيسير
اما وصف الملائكة بانهم لا يعصون ولا يستكبرون فذلك دليل تصور العصيان منهم ولولا التصور
لما مدحوا به لكن طاعتهم طبع وعصيانهم تكلف وطاعة البشر تكلف ومتابعة الهوى منهم طبع
ولا يستنكر من الملائكة تصور العصيان فقد ذكر من هاروت وماروت ما ذكر (قال فى المثنوى)
امتحانى كردشان زيروزبر * كى بود سرمست را زينها خبر * والقول الثانى انه منقطع لانه لم يكن
من الملائكة بل كان من الجن بالنص قال تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه وعن الحافظ ان الجن والملائكة
جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن (ابى) اى امتنع
عما امر به من السجود والاباء امتناع باختيار (واستكبر) اى تعظم واظهر كبره ولم يتخذه وصلة فى عبادة ربه

اوتعظيمه وتلقيه بالتحية والتكبراى ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اى بالتزين بالباطل وبما ليس له وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره (قال فى المثنوى)

اين تكبر جيست غفلت ازلباب * منجمد جون غفلت يخ زآفتاب

جون خبر شد زآفتابش يخ نماند * نرم كشت وكرم كشت وتيز راند

قالوا ما سجد الملائكة امتنع ابليس ولم يتوجه الى آدم بل ولاه ظهره وانتصب هكذا الى ان يسجدوا وبقوا فى السجود مائة سنة وقيل خمسمائة سنة ورفعوا رؤسهم وهو قائم معرض لم يندم من الامتناع ولم يعزم على الاتباع فلما رأوه عدل ولم يسجد وهم وفقوا للسجود فسجدوا لله تعالى ثانيا فصار لهم سجدتان سجدة لآدم وسجدة لله تعالى وابليس يرى ما فعلوه وهنا اباؤه فغير الله تعالى صفته وحالته وصورته وهيئته ونعمته فصار اقبح من كل قبيح قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم قال بعضهم جعل ممسوخا على مثال جسد الخنازير ووجهه كالقردة وللشيطان نسل وذرية والممسوخ وان كان لا يكون له نسل لكن لما سأل النظرة وانظر صار له نسل وفى الخبر قيل له من قبل الحق اسجد لقبر آدم اقبل توبتك واغفر معصيتك فقال ما سجدت لقالبه وجثته فكيف اسجد لقبره وميتته وفى الخبر ان الله تعالى يخرجه على رأس مائة الف سنة من النار ويخرج آدم من الجنة ويأمره بالسجود لآدم فيأبى ثم يرد الى النار (وكان من الكافرين) اى فى علم الله تعالى او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوصل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده ومذهب اهل السنة ان الشقى قد يسعد والسعيد قد يشقى فالكافر اذا اسلم كان كافرا الى وقت سلامه وانما صار مسلما باسلامه الا انه غفر له ما سلف والمسلم اذا كفر والعياذ بالله كان مسلما الى ذلك الوقت الا انه حبط عمله ثم انما قال من الكافرين ولم يكن حينئذ كافر غيره لانه كان فى علم الله ان يكون بعده كافرا فذكر انه كان من الكافرين اى من الذين يكفرون بعده وهذا كما فى قوله فتكونا من الظالمين ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضى بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض فى سره وان الامر للوجوب وان الذى علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهى مسئلة الموافاة اى اعتبار تمام العمر الذى هو وقت الوفاة فاذا كان العبرة بالخاتمة فليسارع العبد الى الطاعات فكل ميسر لما خلق له خصوصا فى آخر السنة وخاتمتها كى يختم له الدفتر بالعمل الصالح قالت رابعة العدوية لسفيان الثورى رحمهما الله انما انت ايام معدودة فاذا ذهب يوم ذهب بعضك ويوشك اذا ذهب البعض ان يذهب الكل وانت تعلم فاعمل فاعتبر ولا تقل ذهب لى درهم ودينار وسقط لى مال وجاه بل قل ذهب يومى ماذا عملت فيه فان باليوم ينقضى العمر واحتضر عابد فقال ما تأسفى على دار الاحزان وانما تأسفى على ليلة نمتها او يوم افطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى وعن العلاء بن زياد قال ليس يوم يأتى من ايام الدنيا الا يتكلم ويقول يا ايها الناس انى يوم جديد وانا على ما يعمل فىّ شهيد وانى لو آبت شمسى لم ارجع اليكم الى يوم القيامة قيل يا رسول الله من خير الناس قال من طال عمره وحسن عمله قيل فاى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وخيف شره ولم يرج خيره قال الحسن لجلسائه يا معشر الشيوخ ما ينتظر بالزرع اذا بلغ قالوا الحصاد قال يا معشر الشباب فان الزرع قد تدركه الآفة قبل ان يبلغ وانشد بعضهم

الا مهد لنفسك قبل موت * فان الشيب تمهيد الحمام

وقد جد الرحيل فكن مجدا * لحط الرحل فى دار المقام

وعن الحسن قال ابن آدم لا تحمل هم سنة على يوم كفى يومك بما فيه فان تكن السنة من عمرك يأتك الله فيها برزقك والا تكن من عمرك فار تطلب ما ليس لك وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال ما طلعت شمس الا وبجنبتيها ملكان يناديان انهما ليسمعان من على ظهر الارض غير الثقلين يا ايها الناس هلموا الى ربكم ان ما قل وكفى خير مما كثر والهى وما غربت شمس قط الا وبجنبتيها ملكان يناديان انهما ليسمعان من على ظهر الارض غير الثقلين اللهم عجل لمنفق خلفا وعجل لممسك تلفا (قال فى المثنوى)

نان دهى ازبهر حق نانت دهند * جان دهى ازبهر حق جانت دهند

(وقلنا يا آدم اسكن انت) قال القرطبى فى تفسيره لا خلاف ان الله تعالى

اخرج ابليس عند كفره وابعده عن الجنة وبعد اخراجه قال يا آدم اسكن اى لازم الاقامة واتخذها مسكنا وهو محل السكون وليس المراد به ضد الحركة بل اللبث والاستقرار (وزوجك) حوآء يقال للمرأة الزوج والزوجة والزوج افصح كما فى تفسير ابى الليث وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له (الجنة) هى دار الثواب باجماع المفسرين خلافا لبعض المعتزلة والقدرية حيث قالوا المراد بالجنة بستان كان فى ارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم واولوا الهبوط بالانتقال منه الى ارض الهند كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا وفيه نظر لان الهبوط قد يستعار للانتقال اذا ظهر امتناع حقيقة واستبعادها وهنالك ليس كذلك واختلفوا فى خلقة حوآء هل كانت قبل دخول الجنة او بعده ويدل على الاول ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحوآء على سرير من الذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ والزمرد وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخلوهما الجنة ويدل على الثانى ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه لما خلق الله الجنة واسكن فيها آدم بقى فيها وحده فالقى الله عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من الجانب الايسر ووضع مكانه لحما فخلق منه حوآء ومن الناس من قال لا يجوز ان يقال خلقت حوآء من ضلع آدم لانه يكون نقصانا منه ولا يجوز القول بنقص الانبياء قلنا هذا نقص منه صورة تكميل له معنى لانه جعلها سكنه وازال بها وحشته وحزنه فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدة فسألها من انت قالت انى امرأة فقال ولم خلقت قالت لتسكن الى واسكن اليك فقال الملائكة يا آدم ما اسمها قال حوآء قالوا ولم قال لانها خلقت من حى اولانها اصل كل حى اولانها كانت فى ذقنها حوة اى حمرة مائلة الى السواد وقيل فى شفتها وسميت مرأة لانها خلقت من المرء كما ان آدم سمى بآدم لانه خلق من اديم الارض وعاشت بعد آدم سبع سنين وسبعة اشهر وعمرها تسعمائة سنة وسبع وتسعون سنة واعلم ان الله تعالى خلق واحدا من اب دون ام وهو حواء وآخر من ام دون اب وهو عيسى وآخر من اب وام اى اولاد آدم وآخر من غير اب وام اى آدم فسبحان من اظهر من عجائب صنعه ما يتحير فيه العقول ثم اعلم ان الله تعالى خلق حوآء لامر تقتضيه الحكمة ليدفع آدم وحشته بها لكونها من جنسه وليبقى الذرية على ممر الازمان والايام الى ساعة القيام فان بقاءها سبب لبعثة الانبياء وتشريع الشرائع والاحكام ونتيجة لامر معرفة الله فان الله خلق الخلق لاجلها وفى الزوجية منافع كثيرة دينية ودنيوية واخروية ولم يذكر الله تعالى فى كتابه من الانبياء الا المتزوجين وقالوا ان يحيى عليه السلام قد تزوج لنيل الفضل واقامة السنة ولكن لم يجامع لكون ذلك عزيمة فى تلك الشريعة ولذلك مدحه الله بكونه حصورا وفى الاشباه ليس لنا عبادة شرعت من عهد آدم الى الان ثم تلك العبادة تستمر فى الجنة الا الايمان والنكاح قيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من المتأهل افضل من سبعين ركعة من عزب هذا كله لكون التزوج سببا لبقاء النسل والحفاظا عن الزنى والترغيب فى النكاح يجرى الى ما يجاوز المائة الاولى من الالف الثانى كما قال عليه السلام اذا اتى على امتى مائة وثمانون سنة فقد حلت العزوبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وذلك لان الخلق فى المائتين اهل الحرب والقتل فتربية جرو حينئذ خير من تربية ولد وان تلد المرأة حية خير من ان تلد الولد (كما قال السعدى)

زنان باردار اى مرد هشيار * اكر وقت ولادت مار زايند

ازان بهتر بنزديك خردمند * كه فرزندان ناهموار زايند

(وكلا منها) اى من ثمار الجنة وجه الخطاب اليهما ايذانا بتساويهما فى مباشرة المأمور به فان حوآء اسوة له فى الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيها ثم معنى الامر بهذا والشغل به مع انه اختصه واصطفاه وللخلافة ابداه انه مخلوق والذى يليق بالخلق هو السكون بالخلق والقيام باستجلاب الحظ (رغدا) اى اكلا واسعا رافها بلا تقدير وتقتير (حيث شئتما) اى مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر فى التناول من الشجرة المنهى عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر (ولا تقربا) بالاكل ولو كان النهى عن الدنو لاضمت الراء (هذه الشجرة) الشجرة نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتأويلها بمشتق اى هذه الحاضرة من الشجرة اى لا تأكلا منها وانما علق النهى بالقربان منها مبالغة فى تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها البر والسنبلة وهو الاشهر والاجمع والانسب عند الصوفية لان النوع الانسانى ظهر فى دور السنبلة وعليها من كل كون وثمرها احلى من العسل والين من الزبد واشد

بياضا من الثلج كل حبة من حنطتها مثل كلية البقر وقد جعلها الله رزقا لاولاده فى الدنيا ولذلك قيل تناول سنبلة فابتلى بحرث السنبلة او المراد الكرم ولذلك حرمت علينا او التين ولهذا ابتلاه الحق بلباس ورقها كما ابتلاه بثمرها وهو البلاء الحسن وقيل غير ذلك والاولى عدم تعيينها لعدم النص القاطع (فتكونا من الظالمين) مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهى والمعنى على الاول لا يكن منكما قربان الشجرة وكونكما من الظالمين وعلى الثانى ان تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين واياما كان فالقرب اى الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية اونقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم اوتعدوا حدود الله قال القرطبى قال بعض ارباب المعانى فى قوله ولا تقربا اشعار بالوقوع فى الخطيئة والخروج من الجنة وان سكناه فيها لا يدوم لان المخلد لا يحظر عليه شئ ولا يؤمر ولا ينهى والدليل على هذا قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة فدل على خروجه منها قال الشيخ نجم الدين قدس سره ان آدم خاطبه مولاه خطاب الابتلاء والامتحان والنهى نهى تعزز ودلال كانه قال يا آدم ابحت لك الجنة وما فيها الا هذه الشجرة فانها شجرة المحبة والمعرفة والمحبة مطية المحنة وان منعه منها كان تحريضا على تناولها فان الانسان حريص لما منع فسكنت نفس ادم الى حوآء والى الجنة وما فيها الا الى الشجرة المنهى عنها لانها كانت مشتهى القلب وكان للنفس فيها حظ ولا يزال يزداد توقانه اليها فيقصدها حتى تناول منها فظهر سر الخلافة والمحبة والمحنة والتحقق بمظاهر الجمال والجلال كالتواب والغفور والعفو والقهار والستار والحاصل انه لما علم الله تعالى انه يأكل من الشجرة نهاه ليكون اكله عصيانا يوجب توبة ومحبة وطهارة عن تلوث الذنب كما قال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاورثه ذلك النهى عن اكل الشجرة عصيانا بسبب النسيان ثم توبة بسبب العصيان ثم محبة بسبب التوبة ثم طهارة بسبب المحبة كما ورد فى الخبر اذا احب الله عبدا لم يضره الذنب اى حفظه من الذنب واذا وقع فيه وفقه على التوبة والندامة وكل زلة عاقبتها التوبة والتشريف والاجتباء فقيل هى زلة تنزيه واستحقاق آدم اللوم بالنهى التنزيهى من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين قال مرجع طريقتنا الجلوتية الشيخ الشهير بالهدائى قدس سره المراد بالدعوة الى الجنة الدعوة الى مقام الروح فى وجود بنى آدم كانه قال لقلب الانسان يا آدم القلب اسكن انت وزوجك وهى النفس الانسانية فى الروح بالطاعات والعبادات وكلا منها رغدا اى كلا من المعارف الالهية لان الروح مقام المعرفة التى تحصل بسبب الطاعات والعبادات حيث شئتما اى عمل احببتما من الخيرات والصالحات ولا تقربا هذه الشجرة اى شجرة المخالفة فان هذا الخطاب موجود كما كان يشمل عامة العباد الى يوم القيامة لا ينحصر الى آدم وحوآء عليهما السلام فينبغى للمؤمن ان يترقى الى الله تعالى بسبب الطاعات والعبادات ويجتنب عن المخالفات حتى لا يقع فى المهالك والدركات (قال فى المثنوى) داروى مرى بخور اندر عمل * تا شوى خورشيد گرم اندر حمل * جهد كن تا نور تو رخشان شود * تا سلوك وخدمتت آسان شود * تا جلا باشد مرين آيينه را * كه صفا آيد ز طاعت سينه را * (فازلهما الشيطان عنها) اى اذهب آدم وحوآء وابعدهما عن الجنة يقال زل عنى كذا اذا ذهب والازلال الازلاق والزلة بالفتح الخطأ وهو الزوال عن الصواب من غير قصد والمقصود حملهما على الزلة بطريق التسبب وهو بالوسوسة وبالغرور والدعاء فان قلت ابليس كافر والكافر لا يدخل الجنة فكيف دخل هو قلت منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لادم وحوآء (فاخرجهما مما كانا فيه) من النعيم والكرامة ولم يقصد ابليس اخراج آدم من الجنة وانما قصد اسقاطه من مرتبته وابعاده كما ابعد فلم يبلغ مقصده قال الله تعالى فتاب عليه وهدى قال الشيخ صدر الدين قدس سره فى الفكوك لما سمع آدم قول ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين صدقه هو وزوجته وهذه القضية تشتمل على امرين مشكلين لم ار احدا تنبه لهما ولا اجابنى احد من اهل العلم الظاهر والباطن عنهما وهو انه عليه السلام بعد سجود الملائكة باجمعهم ومشاهدة رجحانه عليهم بذلك وبعلم الاسماء والخلافة ووصية الحق له كيف اقدم على المخالفة وتسوف بقول ابليس الا ان تكونا ملكين وكيف لم يعلم ايضا ان من دخل الجنة المعرفة بلسان الشريعة لم يخرج منها وان النشأة الجنانية لا تقبل الكون والفساد فهى لذاتها تقتضى الخلود وكان هذه الحال تدل دلالة واضحة

على ان الجنة التى كان فيها ليست الجنة التى عرضها السموات والارض والتى ارضها الكرسى الذى هو الفلك الثامن وسقفها عرش الرحمن فان تلك الجنة لا يخفى على من دخلها انها ليست محل الكون والفساد ولا ان يكون نعيمها موقتا ممكن الانقطاع فان ذلك المقام يعطى بذاته معرفة ما يقتضيه حقيقته وهو عدم انقطاع نعيمها بموت اوغيره كما قال الله تعالى عطاء غير مجذوذ اى غير منقطع ولا ممتنا فانهم حال آدم وحوآء فى هذه القضية كحال بنى اسرآئيل الذين قال الله فى حقهم اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم الاية ولهذه المناسبة والمشاركة اردف الحق قصة آدم فى سورة البقرة بقصة موسى وبنى اسرآئيل مع ما بينهما من طول المدة فراعى سبحانه فى ذلك المضاهاة فى الفعل والحال دون الزمان فهذا من اسرار القرآن انتهى كلام الشيخ فان قلت ما الحكمة فى ان الله تعالى لم يخلق الانسان فى الجنة ابتدآء ولم ابتلاه بالخروج الى الدنيا قلت تعظيم النعم على العباد واجب فلو لم يخلق فى الدنيا ابتداء ما عرفوا قدر الجنة وقيل ليكونوا فى الجنة على الجزآء لا على الابتدآء وليأمنوا الزوال وقيل خلقنا فى الدنيا ليميز الله الخبيث من الطيب والمطيع من المخالف لاقتضاء الصفات الجلالية لان الجنان ليست من مظاهر الجلال ولو خلقنا وبقينا فى الجنة لما ظهر فينا صفات الجلال كما لم تظهر فى الملك فالحكمة الالهية اقتضت خلق الانسان فى الدنيا وظهور المخالفة منه ليظهر فيه الرحمة والغفران فلو بقى آدم فى الجنة لفاته نصف الكمال الذى هو التجليات القهرية فخرج ليتحقق بمظاهر اسماء الجمال والجلال ثم يرد الى عالم الجنان كاملا مكملا بانواع الفضائل والكمالات والمقصود ايضا كما سبق تميز الخبيث من الطيب وقد قدر الله تعالى ان يخرج من صلبه سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم واخوانه من الانبياء والاولياء والمؤمنين وخمر فى طينته بتراب كل مؤمن وعدو فاخرجه الى الدنيا ليخرج من ظهره الذين لا نصيب لهم فى الجنة قال الشيخ الكامل المكمل على ردّه فى هامش كشف الكنوز وحل الرموز وهو كتاب فريد فى فنه وجدت تذكرة السؤال من بعض الملاحدة على كرسى سيدى ابن نور الدين فى مجلس وعظ بجامع آيا صوفيه (من كلام خواجه حافظ شيرازى) من ملك بودم وفردوس برين جايم بود * آدم آورد درين دير خراب آبادم * فاجاب الشيخ بديهة وفهم مراد الملحد عن السؤال فقال انت اخرجت آدم من الجنة حيث هجت فى صلبه باستعداد الفساد والالحاد ولو لم يخرج ابونا آدم لبقيت الملاحدة والفجرة فى الجنة فاقتضت غيرة الحق خروجه وسئل ابو مدين قدس سره عن خروج آدم من الجنة على وجه الارض ولم تعدى فى اكل الشجرة بعد النهى فقال لو كان ابونا يعلم انه يخرج من صلبه مثل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لصار يأكل عرق الشجرة فكيف ثمرها ليسارع فى الخروج على وجه الارض ليظهر الكمال المحمدى والجمال الاحمدى وسئل خليل الرحمن صلوات الله على نبينا وعليه فقال يا رب لم اخرجت آدم فقال اما علمت ان جفاء الحبيب شديد وقال مرجع طريقتنا الجلوتية الشيخ الشهير بافتاده افندى سر خروج آدم من الجنة انه رأى مرتبة من مراتب التوحيد اعلى من مرتبته التى هو فيها فسألها من الله تعالى فقيل له لا تصل اليها الا بالبكاء فاحب آدم ان يبكى فقيل ان الجنة ليست موضع البكاء بل هى موضع السرور فطاب ان ينزل الى الدنيا فيكون ما صدر عنه ذنبا بالنسبة اليه باعتبار قصور مرتبته عن المرتبة المطلوبة على نهج حسنات الابرار سيئات المقربين كذا فى واقعات الهدائى قال الشيخ نجم الدين قدس سره والاشارة ان آدم عليه السلام اصبح محمول العناية مسجود الملائكة متوجا بتاج الكرامة ملبسا بلباس السعادة فى وسطه نطاق القربة وفى جيده طوق الزلفة لا احد فوقه فى الرتبة ولا شخص معه فى الرتبة يتوالى عليه النداء كل لحظة يا آدم فلما جاء القضاء ضاق الفضاء وانقلب العصا (قال فى المثنوى) چون قضا آيد رود دانش بخواب * مه سيه كردد بگيرد آفتاب * فلم يمس حتى نزع لباسه وسلب استئناسه تدفعه الملائكة بعنف ان اخرج بغير مكث ولا بحث فازلهما يد التقدير بحسن التدبير عنها اى عن تلك العزة والغراقة وكان الشيطان المسكين فى هذا الامر كذئب يوسف لما اخذ بالجناية ولطخ فمه بدم كذب واخوته قد القوه فى غيابة الجب فاخذ الشيطان لعدم العناية ولطخ خرطومه بدم نصح كذب فاخرجهما من اخرجهما مما كانا فيه من السلامة الى الملامة ومن الفرح الى الترح ومن النعمة الى النقمة ومن المحبة الى المحنة ومن القربة الى الغربة ومن الالفة الى الكلفة ومن الوصلة الى الفرقة وكان قبل اكل الشجرة مستأنسا بكل شئ ومؤانسا مع كل احد ولذلك سمى انسانا

فلما ذاق شجرة المحبة استوحش من كل شئ واتخذ كل احد عدوا وهكذا شرط صحة المحبة عداوة ما سوى المحبوب فكما ان ذات المحبوب لا يقبل الشركة فى التعدد كذا لا يقبل الشركة فى المحبة ولهذا قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو وكذا كان حال الخليل فى البداية يتعلق بالكوكب والقمر والشمس ويقول هذا ربى فلما ذاق شجرة الخلة قال لا احب الآفلين انى برىء مما تشركون فانهم عدو لى الا رب العالمين (وقلنا اهبطوا) خطاب لآدم وحوآء وجمع الضمير لانهما اصلا الجنس فكانهما الجنس كلهم وقيل هو لخمسة وخامسهم الطاووس وهذا الامر وان انتظمهم فى كلمة فما كان هبوطهم جملة بل هبط ابليس حين لعن وهبوط آدم وحوآء كان بعده بكثير الا ان يحمل على ان ابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة ودلت كلمة اهبطوا انهما كانا فى جنة الخلد حيث امر بالانحدار وهو النزول من علو الى سفل وقد سبق فى الايات السابقة ما سبق قال القرطبى فى تفسيره ان الصحيح فى اهباطه وسكناه فى الارض ما قد ظهر من الحكمة الازلية فى ذلك نشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الاخروى اذ الجنة والنار ليست بدار تكليف فكانت تلك الاكلة سبب اهباطه من الجنة فاخرجهما الا انهما خلقا منها وليكون آدم خليفة الله فى الارض ولله ان يفعل ما يشاء وقد قال انى جاعل فى الارض خليفة وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة شريفة انتهى كلام القرطبى فهبوطه من الجنة هبوط التشريف والامتحان والتمييز بين قبضتى السعادة والشقاوة لان ذلك من مقتضيات الخلافة الالهية على ما فى كشف الكنوز واكثر المفسرين على ان المعنى انزلوا استخفافا بكم لكن القول ما قالت حذام قال المولى الشهير بابن الكمال فى رسالة القضاء والقدر عتاب آدم عليه السلام فى قوله تعالى ألم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب تلطيف لا عتاب تعنيف وتعذيب وتنزيله من السماء الى الارض بقوله اهبطوا (منها جميعا) تكميل وتبعيد تقريب كما فى قول الشاعر سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها عن الواو بالضمير اى متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله والعدو يصلح للواحد والجمع ولهذا لم يقل اعدآء فابليس عدو لهما وهما لابليس والحية عدو لبنى آدم وهم عدوها هى تلسعهم وهم يدمغونها وابليس يفتنهم وهم يلعنونه وكذا العداوة بين ذرية آدم وحوآء بالتحاسد فى الدنيا والاختلاف فى الدين والعداوة مع ابليس دينية فلا ترتفع ما بقى الدين والعداوة مع الحية طبيعية فلا ترتفع ما بقى الطبع ثم هذه عداوة تأكدت بيننا وبينهم لكن حزبا يكون الله معهم كان الظفر لهم ثم قوله بعضكم لبعض عدو اخبار عن كونه اى التعادى لا امر بتحصيله ولما قال بعضكم لبعض عدو قال آدم الحمد لله حيث لم يقل انا لكم عدو والعدو هو المجاوز حده فى مكروه صاحبه (ولكم فى الارض مستقر) اى موضع قرار على وجهها او فى القبور ثم المستقر ثلاثة رحم الام قال تعالى فمستقر ومستودع اودع فى صلب الاب واستقر فى رحم الام والثانى الدنيا قال تعالى ولكم فى الارض مستقر والثالث العقبى اما فى الجنة قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واما فى النار قال تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما الاية (ومتاع) اى تمتع بالعيش وانتفاع به (الى حين) الى آخر اعماركم وهو حين الموت او الى القيامة قال بعض العلماء فى قوله تعالى الى حين فائدة لآدم عليه السلام ليعلم انه غير باق فيها ومنتقل الى الجنة التى وعد بالرجوع اليها وهى لغير آدم دالة على المعاد فحسب ولما هبطوا وقع آدم بارض الهند على جبل سرنديب لذلك طابت رآئحة اشجار تلك الاودية لما معه من ريح الجنة وكان السحاب يمسح رأسه فاصلع فاورث اولاده الصلع ووقعت حوآء بجدة وبينهما سبعمائة فرسخ والطاووس بمرج الهند والحية بسجستان او باصفهان وابليس بسد يأجوج ومأجوج وسجستان اكثر بلاد الله حيات ولولا العربة تأكلها وتفنى كثيرا منها لاخليت سجستان من اجل الحيات وكانوا فى احسن حال فابتلى آدم بالحرث والكسب وحوآء بالحيض والحبل والطلق ونقصان العقل والميراث وجعل الله قوآئم الحية فى جوفها وجعل قوتها التراب وقبح رجلى الطاووس وجعل ابليس باقبح صورة وافضح حالة وكان مكث آدم وحوآء فى الجنة من وقت الظهر الى وقت العصر من يوم من ايام الاخرة وكل يوم من ايامها كالف سنة من ايام الدنيا يذكر ان الحية كانت خادم آدم عليه السلام فى الجنة فخانته بان مكنت عدو الله من نفسها واظهرت العداوة له هناك فلما اهبطوا تأكدت العداوة فقيل لها انت عدو بنى آدم وهم اعدآؤك وحيث لقيك منهم احد شدخ رأسك قال عليه السلام اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفيتين والابتر فانهما يخطفان البصر

ويسقطان الحبل فخصهما بالذكر مع انهما داخلان فى العموم ونبه على ذلك لسبب عظيم ضررهما وما لم يتحقق ضرره فما كان منها فى غير البيوت قتل ايضا لظاهر الامر العام وما كان فى البيوت لا تقتل حتى تؤذن ثلاثة ايام لقوله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رأيتم منها شيأ فآذنوه ثلاثة ايام قال ابن الملك فى شرح المشارق وللجن لكونه جسما لطيفا يتشكل بشكل الحية والجان من الحيات التى نهى عن قتلها وهى حية بيضاء صغيرة تمشى ولا تلتوى والصحيح ان النهى عن قتل الحية ليس مختصا بالمدينة بل نهى عن قتل حيات البيوت فى جميع البلاد لان الله تعالى قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الاية والابتر وذو الطفيتين تقتلان من غير ايذان سوآء كانتا من حيات المدينة او لا واذا رأى شيأ من الحيات فى المساكن يقول انشدكم بالعهد الذى اخذ عليكم نوح عليه السلام وانشدكم بالعهد الذى اخذ عليكم سليمان عليه السلام ان لا تؤذينا فاذا رأى منها شيأ بعد فليقتله ومن خاف من مضرة الحية والعقرب فليقرأ سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين فانه يسلم باذن الله تعالى واعلم ان ما كان من الحيوان اصله الاذاية فانه يقتل ابتدآء لاجل اذايته من غير خلاف كالحية والعقرب والفار والوزغ وشبهها وفى حواشى الخبازى على الهداية قتل الحيوان اما لدفع المضرة او لجلب المنفعة قال الفقير جامع هذه المجالس الانيقة يدخل فيه قتل نحلة العسل ودود القز ونحوهما اذا لم يمكن جلب منفعتها بدون القتل فالحية ابدت جوهرها الخبيث حيث خانت آدم بان ادخلت ابليس بين فكيها ولو كانت تنذره ما تركها تدخل به وقال ابليس انت فى ذمتى فامر صلى الله عليه وسلم بقتلها وقال اقتلوها وان كنتم فى الصلاة يعنى الحية والعقرب والوزغة نفخت على نار ابراهيم عليه السلام من بين سائر الدواب فلعنت وفى الحديث من قتل وزغة فكانما قتل كافرا والوزغة من ذوات السموم وتفسد الطعام خصوصا الملح واذا لم تجد طريقا الى افساده ارتقت السقف والقت خرءها فيه من موضع يحاذيه فجبلتها على الخبث والافساد والفارة ابدت جوهرها بان عمدت الى حبال سفينة نوح عليه السلام فقطعتها والغراب ابدى جوهره حيث بعثه نبى الله نوح عليه السلام من السفينة ليأتيه بخبر الارض فاقبل على جيفة ونزل وكذا الحدأة والسبع العادى والكلب العقور كله فى معنى الحية والامر بقتل المضر من باب الارشاد الى دفع المضرة (قال السعدى) سنك بردست ومار برسر سنك ✻ خيره رأيى بود قياس درنك ✻ وقال ايضا ترحم بر پلنك تيز دندان ✻ ستمكارى بود بر كوسفندان ✻ وفى التأويلات النجمية انه لما استقر حبة المحبة كالبذر فى قلب آدم جعل الله شخص آدم مستقر قلبه وجعل الارض مستقر شخصه وقال ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين اى التمتع والانتفاع لبذر المحبة بماء الطاعة والعبودية الى حين ادراك ثمرة المعرفة كقوله تعالى تؤتى اكلها كل حين باذن ربها وعلى التحقيق ما كانت ثمرة شجرة المخلوقات الا المعرفة لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون وثمرة المعرفة وان ظهرت على اغصان العبادة ولكن لا تنبت الا من حبة المحبة كما اخبر النبى عليه السلام ان داود عليه السلام قال يا رب لماذا خلقت الخلق قال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف فثبت ان بذر المعرفة هو المحبة (قال فى المثنوى) آفتاب معرفت را نقل نيست ✻ مشرق او غير جان وعقل نيست ✻ (فتلقى آدم من ربه كلمات) الفاء للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المأمور به ومن ثمة قال القرطبى ان آدم تاب ثم هبط واليه الاشارة بقوله تعالى اهبطوا ثانيا ومنه تعرف ان الامر بالهبوط ليس للاستخفاف ومشوبا بنوع سخط اذ لا سخط بعد التوبة فآدم اهبط بان تاب الله عليه ومعنى تلقى الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها فان قلت ما هن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية (قال الحافظ) زاهد غرور داشت سلامت نبرد راه ✻ رند از ره نياز بدار السلام رفت ✻ وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان احب الكلام الى الله تعالى ما قال ابونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان آدم قال بحق محمد ان تغفر لى قال وكيف عرفت محمدا قال لما خلقتنى ونفخت فى الروح فتحت عينى فرأيت على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه اكرم الخلق عليك حتى قرنت اسمه باسمك فقال نعم وغفر له بشفاعته او الكلمات هى قول آدم عند هبوطه من الجنة يا رب ألم تخلقنى بيدك من غير واسطة قال بلى قال يا رب ألم تسكنى جنتك

قال بلى قال يارب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يارب ارأيت ان اصلحت ورجعت وتبت اراجعى انت الى الجنة قال نعم فالكلمات هى العهود الانسانية والمواثيق الآدمية والمناجاة الربانية من الخليفة الى حضرة الحق تعالى فتاب آدم الى الله بالرجوع عن المعصية والاعتراف بذنبه والاعتذار لخطاه وسهوه (فتاب عليه) اى فرجع الرب عليه بالرحمة وقبول التوبة واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية الى الطاعة واذا وصف به البارى تعالى اريد به الرجوع عن العقوبة الى المغفرة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقى الكلمات المتضمن لمعنى التوبة وتمام التوبة من العبد بالندم على ما كان وبترك الذنب الان وبالعزم على ان لا يعود اليه فى مستأنف الزمان وفى مظالم العباد بهذه الاشياء وبارضاء الخصم بايصال حقه اليه باليد والاعتذار منه باللسان واكتفى بذكر آدم عليه السلام لان حوآء كانت تابعة له فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء فى اكثر القرءآن والسنن (انه هو التواب) الرجاع على عباده بالمغفرة او الذى يكثر اعانتهم على التوبة (الرحيم) المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه (قال فى المثنوى) مركب توبه عجايب مركبست * برفلك تازد بيك لحظه زپست * چون برارند از پشيمانى انين * عرش لرزد از انين المذنبين * قال ابن عباس رضى الله عنه بكى آدم وحوآء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا اربعين يوما ولم يقرب آدم حوآء مائة سنة وقال شهر ابن حوشب بلغنى ان آدم لما هبط الى الارض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى قالوا ولو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع داود اكثر حيث اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت دموع آدم اكثر حيث اخرجه الله من الجنة (قال فى المثنوى) چون خدا خواهد كه مايارى كند * ميل ما را جانب زارى كند * اى خنك چشمى كه آن كريان اوست * وى همايون دل كه آن بريان اوست * آخر هر كريه آخر خنده ايست * مرد آخربين مبارك بنده ايست * باش چون دولاب نالان چشم تر * تاز صحن جان بررويد خضر * فاذا كان حال من اقترف خطيئة دون صغيرة هذا فكيف حال من انغمس فى بحر العصيان والتوبة بمنزلة الصابون فكما ان الصابون يزيل الاوساخ الظاهرة فكذا التوبة تزيل الاوساخ الباطنة والعبد اذا رجع عن السيئة واصلح عمله اصلح الله شأنه واعاد عليه نعمته الفائتة عن ابن ادهم بلغنى ان رجلا من بنى اسرآئيل ذبح عجلا بين يدى امه فيبس يده فبينما هو جالس اذ سقط فرخ من وكره وهو يتبصبص فاخذه ورده الى وكره فرحمه الله لذلك ورد عليه يده بما صنع ولا ريب ان العمل الصالح يمحو الخطيئات وفى التأويلات النجمية ان اول نبت انبتت امطار الالهامات الربانية من حبة المحبة فى قلب آدم وطينة الانسانية كان نبات ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين لانه ابصر بنور الايمان انه ظالم لنفسه اذا كل حبة المحبة ووقع فى شبكة المحنة والمذلة وان لم يعنه ربه بمغفرته ويقه برحمته لم يتخلص من حضيض بشريته الذى اهبط اليه ويخسر رأس مال استعداد السعادة الازلية ولم يمكنه الرجوع الى ذروة مقام القربة فاستغاث الى ربه وقال ربنا مضطرا وكانت الحكمة فى ابعاده بالهبوط هذا الاضطرار والدعاء فانه يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء فبسابقة العناية اخذ بيده وافاض عليه سجال رحمته فتاب عليه انه هو التواب الرحيم للتائبين فاخرج من نبات الكلمات شجرة الاجتباء واظهر على دوحتها زهرة التوبة واثمر منها ثمرة الهداية وهى المعرفة كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (قلنا) استئناف مبنى على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فاذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا (اهبطوا منها) اى من الجنة (جميعا) نصب على الحال من ضمير الجمع تأكيد فى المعنى للجماعة من آدم وحوآء وابليس والحية والطاووس كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعى اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد وكرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع فى امنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك ولان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثانى اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فاختلف المقصود وكان يصح لو قرن المعنيان بذكر الهبوط مرة لكن اعترض بينهما كلام وهو تلقيه الكلمات ونيله قبل التوبة فاعاد الاول ليتصل المعنى الثانى به وهو الابتلاء بالعبادة والثواب على الطاعة والعقاب على المعصية قال فى الارشاد والثانى مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدى الى النجاة والنجاح وما فيه من وعيد

العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دآئر على سوء اختيار المكلفين ثم ان فى الاية دليلا على ان المعصية تزيل النعمة عن صاحبها الان آدم قد اخرج من الجنة بمعصية واحدة وهذا كما قال القائل

اذا تم امر دنا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم

اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم

قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم (فاما يأتينكم منى) اى ان يأتينكم والفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر به (هدى) اى رشد وبيان شريعة برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم والخطاب فى قوله يأتينكم لآدم والمراد ذريته وابليس وذريته لم يأتهم كتاب ولا رسول ولا يكون منهم اتباع وجواب الشرط هو الشرط الثانى مع جوابه وهو قوله تعالى (فمن تبع هداى) اى اقتدى شريعتى وكرر لفظ الهدى ولم يضمر بان يقال فمن تبعه لانه اراد بالثانى اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل من الاعتقاديات والعمليات واقتضاه العقل اى فمن تبع ما اتاه من قبل الشرع مراعيا فيه ما يشهد به العقل من الادلة الافاقية والانفسية (فلا خوف عليهم) فى الدارين من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات مطلوب فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لانه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولانه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله وهيبته واستقصارا للجد والسعى فى اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين (والذين كفروا) عطف على من تبع الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه الخ وانما اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة اى والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم (وكذبوا بآياتنا) المنزلة عليهم او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا (اولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الكفر والتكذيب (اصحاب النار) ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها وفى الصحبة معنى الوصلة فسموا اصحابها لاتصالهم بها وبقائهم فيها فكانهم ملكوها فصاروا اصحابها (هم فيها) اى فى النار (خالدون) دآئمون والجملة فى حيز النصب على الحالية ففى هاتين الايتين دلالة على ان الجنة فى جهة عالية دل عليه قوله تعالى اهبطوا منها وان متبع الهدى مأمون العاقبة لقوله تعالى فلا خوف الخ وان عذاب النار دآئم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون فانه يفيد الحصر واعلم ان الشرف فى اتباع الهدى كما قيل سك اصحاب كهف روزى چند * پى نيكان كرفت ومردم شد * فالمؤمن بين ان يطيع الله فيثيبه بالنعيم وبين ان يعصيه فيعاقب بالجحيم ومن العجب ان الجمادات وغير المكلفين من العباد يخافون عذاب الله ويقومون بحقوق الله ولا يخافون المكلفون كما روى عن مالك بن دينار رحمه الله انه مر يوما على صبى وهو يلعب بالتراب يضحك تارة ويبكى اخرى قال فهممت ان اسلم عليه فامتنعت نفسى تكبرا فقلت يا نفس كان النبى صلى الله عليه وسلم يسلم على الصغار والكبار فسلمت عليه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا مالك بن دينار فقلت من اين عرفتنى ولم تكن رأيتنى فقال التقت روحى بروحك فى عالم الملكوت عرف بينى وبينك الحى الذى لا يموت فقلت ما الفرق بين العقل والنفس قال نفسك التى منعتك عن السلام وعقلك الذى بعثك عليه فقلت ما بالك تلعب بهذا التراب فقال لانا منها خلقنا واليها نعود فقلت اراك تضحك تارة وتبكى اخرى قال نعم اذا ذكرت عذاب ربى بكيت واذا ذكرت رحمته ضحكت فقلت يا ولدى اى ذنب لك حتى تبكى فقال يا مالك لا تقل هذا فانى رأيت امى لا توقد الحطب الكبار الا ومعه الحطب الصغار (قال فى المثنوى) طفل يك روزه همى داند طريق * كه بگريم تا رسد دايه شفيق * تو نمى دانى كه دايۀ دايكان * كم دهد بى كريه شير او رايكان * كفت فليبكوا كثير كوش دار * تا بريزد شير فضل كردكار * والاشارة فى تحقيق الايتين ان الله تعالى لما ابتلى آدم بالهبوط الى الارض بشره بان الهامه ووحيه لا ينقطع عنه ولا ينقطع عن ذريته هداه بواسطة انبيائه ووحيه وانزال كتبه فاما يأتينكم منى هدى فمن اتاه منهم هدى من الهامى ووحيى ورسولى وكتابى فمن تبع هداى كما اتبعت آدم بالتوبة والنوح والبكاء والاستغفار وتربية بذر المحبة بالطاعة والعبودية حتى تثمر التوحيد والمعرفة فلا خوف عليهم فى المستقبل من وبال افساد بذر المحبة من طينة الصفات الحيوانية والسبعية وابطال

استعداد السعادة الابدية باستيفاء التمتعات الدنيوية ولاهم يحزنون على هبوطهم الى الارض لتربية بذر المحبة اذ هم رجعوا بتبع الهداية وجذبات العناية الى اعلى ذروة حظائر القدس كما قال تعالى وان الى ربك الرجعى ثم ذكر من كفر بهداه وجعل النار مثوله وقال والذين كفروا اى ستروا بذر المحبة بتعلقات الشهوات النفسانية وظلموا على انفسهم بتكذيب الايات البينات من الجهالة الانسانية حتى افسدوا الاستعداد الفطرى وكذبوا باياتنا اى معجزات انبيائنا وكتبنا وما انزلنا على الانبياء بالوحى والالهام والرشد فى تربية بذر المحبة وتثمير الشجرة الانسانية بثمار التوحيد والمعرفة والبلوغ الى درجات القربات ونعيم الجنات والغرفات اولئك اصحاب النار نار جهنم ونار القطيعة هم فيها خالدون لانهم خلدوا فى ارض الطبيعة واتبعوا اهواءهم فما انبت بذر محبتهم بماء الشريعة فبقوا بافساد استعدادهم فى دركات الجحيم وخسران النعيم خالدين مخلدين (يا بنى اسرائيل) البنون اسم للذكور والاناث اذا اجتمعوا واسرائيل اسم يعقوب عليه السلام ومعناه عبد الله لان اسرا بلغة العبرانية وهى لغة اليهود بمعنى العبد وايل هو الله اى يا اولاد يعقوب والخطاب لليهود المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم الذين كانوا حوالى المدينة من بنى قريظة والنضير وكانوا من اولاد يعقوب وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها (اذكروا نعمتى) الذكر بضم الذال بالقلب خاصة بمعنى الحفظ الذى يضاد النسيان والذكر بكسر الذال يقع على الذكر باللسان والذكر بالقلب يكون امرا بشكر النعمة باللسان وحفظها بالجنان اى احفظوا بالجنان واشكروا باللسان نعمتى لان النعمة اسم جنس بمعنى الجمع قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (التى انعمت) بها (عليكم) وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط وتقييد النعمة بكونها عليهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط ولذا قيل لا تنظر الى من هو فوقك فى الدنيا لئلا تزدرى بنعمة الله عليك وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر قال ارباب المعانى ربط سبحانه وتعالى بنى اسرائيل بذكر النعمة واسقطه عن امة محمد صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى ذكره فقال اذكرونى اذكركم ليكون نظر الامم من النعمة الى المنعم ونظر امة محمد من المنعم الى النعمة والنعمة ما لم يحجبك عن المنعم (واوفوا) اتموا ولا تتركوا (بعهدى) الذى قبلتم يوم الميثاق وهو عام فى جميع اوامره من الايمان والطاعة ونواهيه ووصاياه فيدخل فى ذلك عهده تعالى اليهم فى التوراة من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والعهد حفظ الشئ ومراعاته حالا فحالا والمراد منه الموثق والوصية والعهد هنا مضاف الى الفاعل (اوف بعهدكم) اتمم جزاءكم بحسن الاثابة والقبول ودخول الجنة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد وهو هنا مضاف الى المفعول فان الله عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدلهم بالثواب على حسناتهم واول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله حقن المال والدم وآخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله الفوز باللقاء الدائم كما قال القشيرى اوفوا بعهدى فى دار الغيبة اوف بعهدكم فى دار القربة على بساط الوصلة بادامة الانس والرؤية واوفوا بعهدى بقولكم ابدا ربى ربى اوف بعهدكم بجوابكم ابدا عبدى عبدى (واياى) نصب بمحذوف تقديره واياى ارهبوا (فارهبون) فيما تأتون وتذرون وخصوصا فى نقض العهد لا بارهبون لان ارهبون قد اخذ مفعوله والاصل ارهبونى لكن حذفت الياء تخفيفا لموافقة رؤس الآى والفاء الجزائية دالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيأ فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد لقوله اوف والوعيد لقوله واياى فارهبون دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغى ان لا يخاف احدا الا الله للحصر المستفاد من تقديم اياى (وآمنوا) يا بنى اسرائيل (بما انزلت) افراد الايمان بالقرآن بالامر به بعد اندراجه تحت العهد لما انه العمدة القصوى فى شأن الوفاء بالعهد اى صدقوا بهذا القرآن الذى انزلته على محمد (مصدقا لما معكم) اى حال كون القرآن مصدقا للتوراة لانه نازل حسبما نعت فيها وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضى الايمان بما يصدقه قطعا (ولا تكونوا اول) فريق (كافر به) اى بالقرآن فان وزر المقتدى يكون على المبتدى كما يكون على المقتدى

(قال فى المثنوى) هركه بنهد سنت بداى فتا * تا درافتد بعد او خلق از عما * جمع كردد بروى آن جمله بزه * كو سرى بودست وايشان دم غزه * اى لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون شأنه وحقيقته بطريق التلقى مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به ودلت الاية على انه عليه السلام قدم المدينة فكذبه يهود المدينة ثم بنو قريظة وبنوا النضير ثم خيبر ثم تتابعت على ذلك سائر اليهود (ولا تشتروا باياتى) اى لا تأخذوا لانفسكم بدلا منها (ثمنا قليلا) هى الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا فلما كان لهم رياسة عندهم ومآكل منهم خافوا ان يذهب ذلك منهم اى من الاحبار لو آمنوا بمحمد واتبعوه وهم عارفون صفته وصدقه فلم يزالوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويغيرون نعت محمد صلى الله عليه وسلم كما حكى ان كعب بن الاشرف قال لاحبار اليهود ما تقولون فى محمد قالوا انه نبى قال لهم كان لكم عندى صلة وعطية لو قلتم غير هذا قالوا اجبنا الآن من غير تفكر فامهلنا نتفكر وننظر فى التوراة فخرجوا وبدلوا نعت المصطفى بنعت الدجال ثم رجعوا وقالوا ذلك فاعطى كل واحد منهم صاعا من شعير واربعة اذرع من الكرباس فهو القليل الذى ذكره الله فى هذه الاية الكريمة (قال فى المثنوى) بود در انجيل نام مصطفى * آن سر پيغمبران بحر صفا * بود ذكر حليها وشكل او * بود ذكر غزو وصوم واكل او * (واياى فاتقون) بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا واعاده لان معنى الاول اخشوا فى نقض العهد وهذا معناه فى كتمان نعت محمد ولان الخطاب بالاية الاولى لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التى هى مبدأ السلوك وبالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذى هو منتهاه (ولا تلبسوا الحق بالباطل) عطف على ما قبله واللبس بالفتح الخلط اى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبونه فى خلاله او تذكرونه فى تأويله (و) لا (تكتموا الحق) باضمار لا او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه فقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل هو نهى عن التغيير وقوله وتكتموا الحق هو نهى عن الكتمان لانهم كانوا يقولون لا نجد فى التوراة صفة محمد صلى الله عليه وسلم فاللبس غير الكتمان (وانتم تعلمون) اى حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه حق نبى مرسل وليس ايراد الحال لتقييد المنتهى به بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل قد يعذر وفى التيسير يجوز صرف الخطاب الى المسلمين والى كل صنف منهم وبيانه ايها السلاطين لا تخلطوا العدل بالجور ايها القضاة لا تخلطوا الحكم بالرشوة وكذا كل فريق فهذه الاية وان كانت خاصة ببنى اسرائيل فهى تتناول من فعل فعلهم فمن اخذ رشوة على تغيير حق وابطاله او امتنع من تعليم ما وجب عليه او اداء ما علمه وقد تعين عليه حتى يأخذ عليه اجرا فقد دخل فى مقتضى الاية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تعلم علما لا يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة اى ريحها فمن رهب وصاحب التقوى لا يأخذ على علمه عوضا ولا على وصيته ونصيحته صفدا بل يبين الحق ويصدع به ولا يلحقه فى ذلك خوف ولا فزع قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يمنعن احدكم هيبة احد ان يقول او يقوم بالحق حيث كان وفى التنزيل يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم (حكى) ان سليمان بن عبد الملك مر بالمدينة وهو يريد مكة فاقام بها اياما فقال هل بالمدينة احد ادرك احدا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا له ابو حازم فارسل اليه فلما دخل عليه قال له يا ابا حازم ما هذا الجفاء قال له ابو حازم يا امير المؤمنين واى جفاء رأيت منى قال اتانى وجوه اهل المدينة ولم تأتنى قال يا امير المؤمنين اعيذك بالله ان تقول ما لم يكن ما عرفتنى قبل هذا اليوم ولا انا رأيتك قال فالتفت الى محمد بن شهاب الزهرى فقال اصاب الشيخ واخطأت قال سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت فقال لانكم خربتم الآخرة وعمرتم الدنيا فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب قال اصدقت يا ابا حازم فكيف القدوم غدا على الله تعالى قال اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء

فكالابق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ياليت شعرى مالنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله قال
واى مكان اجده قال ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان فاين رحمة الله يا اباحازم قال ان رحمة الله
قريب من المحسنين قال له سليمان يا اباحازم فاى عباد الله اكرم قال اولوا المروءة والنهى قال له سليمان فاى الاعمال
افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال سليمان فاى الدعاء اسمع قال دعاء المحسن اليه للمحسن
فقال اى الصدقة افضل قال السائل البائس وجهد المقل ليس فيهما من ولا اذى قال فاى القول اعدل قال قول
الحق عند من تخافه او ترجوه قال فاى المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليها قال
فاى المؤمنين احمق قال رجل انحط فى هوى اخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان اصبت فما تقول
فيما نحن فيه قال ياامير المؤمنين او تعفى قال له سليمان لا ولكن نصيحة تلقيها الى قال ياامير المؤمنين ان آباءك قهروا
الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة على غير مشورة من المسلمين ولا رضاهم حتى قتلوا منهم مقتلة
عظيمة فقد ارتحلوا عنها فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم فقال رجل من جلسائه بئس ما قلت يا اباحازم قال
ابوحازم كذبت ان الله اخذ ميثاق العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه قال سليمان فكيف لنا ان نصلح قال تدعون
الصلف وتمسكون بالمروءة وتقسمون بالسوية قال له سليمان كيف لنا بالمأخذ به قال تأخذه من حله وتضعه
فى اهله قال له سليمان هل لك يا اباحازم ان تصحبنا وتصيب منك قال اعوذ بالله قال ولم ذاك قال اخشى ان اركن
اليكم شيأ قليلا فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات قال له ارفع الينا حوائجك قال تنجينى من
النار وتدخلنى الجنة قال له سليمان ليس ذاك الى قال ابوحازم فمالى اليك حاجة غيرها قال فادع لى قال ابوحازم
اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى قال له
سليمان عظ قال ابوحازم قد اوجزت واكثرت ان كنت من اهله وان لم تكن من اهله فما ينبغى ان ارمى عن قوس
ليس لها وتر قال له سليمان اوص قال سأوصيك واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك اويفقدك
من حيث امرك فلما خرج من عنده بعث اليه بمائة دينار وكتب ان انفقها ولك عندى مثلها كثير قال فردها
عليه وكتب اليه ياامير المؤمنين اعيذك بالله ان يكون سؤالك اياى هزلا اوردى عليك بذلا ما ارضاها لك
فكيف لنفسى ان موسى بن عمران لما ورد ماء مدين وجد عليه رعاء يسقون ووجد من دونهم جاريتين تذودان
فسق لهما فقالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما فلما تولى الى الظل قال رب انى لما انزلت الى
من خير فقير وذلك انه كان جائعا خائفا لا يأمن فسأل ربه ولم يسأل الناس فلم يفطن الرعاء وفطنت الجاريتان
فلما رجعتا الى ابيهما اخبرتاه بالقصة وبقوله فقال ابوهما وهو شعيب عليه السلام هذا رجل جائع قال
لاحداهما اذهبى فادعيه فلما اتته عظمته وغطت وجهها وقالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فشق
على موسى حين ذكرت اجر ما سقيت انا فلم يجد بدا من ان يتبعها لانه كان بين الجبال جائعا مستوحشا فلما تبعها
هبت الريح فجعلت تصفق ثيابها على ظهرها فتصف له عجزها وكانت ذات عجز وجعل موسى يعرض مرة
ويغض اخرى فلما عيل صبره ناداها يا امة الله كونى خلفى وارينى بقولك فلما دخل على شعيب اذا هو بالعشاء مهيأ
فقال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى اعوذ بالله فقال شعيب لم اما انت جائع قال بلى ولكنى اخاف
ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نبيع شيأ من ديننا بملئ الارض ذهبا فقال له شعيب
لا يا شاب ولكنها عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فاكل فان كانت هذه المائة دينارا
عوضا لما حدثت ونصحت فالميتة والدم ولحم الخنزير فى حال الاضطرار احل من هذه وان كانت لحق لى فى بيت
المال فلى فيها نظراء فان ساويت بيننا والا فليس لى فيها حاجة قال القرطبى فى تفسيره بعد ايراد هذه الحكاية
قلت هكذا يكون الاقتداء بالكتاب والانبياء انتهى وقد اختلف العلماء فى اخذ الاجرة على تعليم القرآن والعلم
لهذه الآية ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا والفتوى فى هذا الزمان على جواز الاستيجار لتعليم القرآن والفقه وغيره
لئلا يضيع قال صلى الله عليه وسلم ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله والآية فى حق من تعين عليه التعليم
فابى حتى يأخذ عليه اجرا فاما اذا لم يتعين فيجوز له اخذ الاجرة بدليل السنة فى ذلك كما اذا كان الغسال فى موضع
لا يوجد من يغسل الميت غيره كما فى القرى والنواحى فلا اجر له لتعينه لذلك واما اذا كان ثمة ناس غيره
كما فى الامصار والمدن فله الاجر حيث لم يتعين له فلا يأثم بالترك وقد يتعين عليه الا انه ليس عنده ما ينفقه على

نفسه ولا على عياله فلا يجب عليه التعليم وله ان يقبل على صنعته وحرفته ويجب على الامام ان يعين له شيأ
والا فعلى المسلمين لان الصديق رضى الله عنه لما ولى الخلافة وعين لها لم يكن عنده ما يقيم به اهله فاخذ ثيابا
وخرج الى السوق فقيل له فى ذلك فقال ومن اين انفق على عيالى فردوه وفرضوا له كفايته وكذا يجوز للامام
والمؤذن وامثالهما اخذ الاجرة وبيع المصحف ليس بيع القرآن بل هو بيع الورق وعمل ايدى الكاتب وقالوا
فى زماننا تغير الجواب فى بعض المسائل لتغير الزمان وخوف اندراس العلم والدين منها ملازمة العلماء ابواب
السلاطين ومنها خروجهم الى القرى لطلب المعيشة ومنها اخذ الاجرة لتعليم القرآن والاذان والامامة ومنها
العزل عن الحرة بغير اذنها ومنها السلام على شربة الخمور ونحوها فافتى بالجواز فيها خشية الوقوع فيما هو اشد
منها واضر كذا فى نصاب الاحتساب وغيره (قال فى المثنوى) عاشقانرا شادمانى وغم اوست ✳
دست مزد واجرت خدمت هم اوست ✳ غير معشوق ارتماشايى بود ✳ عشق نبود هرزه سودايى بود ✳
عشق آن شعله است كوچون برفروخت ✳ هركه جز معشوق باقى جمله سوخت (واقيموا الصلاة)
خطاب لبنى اسرائيل اى اقبلوها واعتقدوا فرضيتها وادوها بشرآئطها وحدودها كصلاة المسلمين
فان غيرها كلا صلاة (وآتوا الزكاة) كزكاة المؤمنين فان غيرها كلا زكاة والزكاة من زكى الزرع اذا نما فان
اخراجها يستجلب بركة فى المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من
الخبث والنفس من البخل واعلم ان الكفار لا يخاطبون باداء ما يحتمل السقوط من العبادات كالصلاة والصوم
ولا يعاقبون بتركها عند الحنفية فالتكليف عندهم راجع الى الاعتقاد والقبول (واركعوا مع الراكعين)
اى فى جماعاتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس فان
الصلاة كالغزو والمحراب كمحل الحرب ولابد للقتال من صفوف الجماعة فالجماعة قوة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اجتمع من المسلمين فى جماعة اربعون رجلا الا وفيهم رجل مغفور له فالله تعالى اكرم من ان
يغفر له ويرد الباقى خائبين خاسرين وانما فضلت صلاة الجماعة على الفذ بسبع وعشرين لان الجماعة مأخوذة
من الجمع والجمع اقله ثلاثة وصلاة الانسان وحده بعشر حسنات وعشر حسنات فيها واحدة اصل والتسعة
تضعيف بفضل الله تعالى فاذا اجتمعت التضعيفات كانت سبعا وعشرين قال القرطبى فى تفسيره وتجب على
من ادمن التخلف عن الجماعة من غير عذر العقوبة قال ابوسليمان الدارانى اقمت عشرين سنة لم احتلم فدخلت
مكة فاحدثت بها حدثا فما اصبحت الا احتلمت وكان الحدث ان فاتته صلاة العشاء بجماعة وفى الحديث ما افترض
الله على خلقه بعد التوحيد احب اليه من الصلاة ولو كان شئ احب اليه من الصلاة تعبد به ملائكته فمنهم
راكع وساجد وقائم وقاعد وينبغى للمصلى ان يبالغ فى الحضور فكان السلف لو شغلهم ذكر مال يتصدقون به
تكفيرا فالاصل عمل الباطن قال تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى اى من حب الدنيا او كثرة الهموم ولا ينظر
الله تعالى الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه فلابد من دفع الخواطر (قال فى المثنوى) اول اى جان
دفع شر موش كن ✳ وانكهان در جمع كندم كوش كن ✳ بشنو از اخبار آن صدر صدور ✳
لا صلاة تم الا بالحضور ✳ قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى فى وصاياه للعارف الهدائى قدس الله
سرهما اذا شرعت فى الصلاة لا تتفكر فى غير اظهار العبودية وتتميمها فانه اذا تم العبودية يحصل المقصود واما فى
غير الصلاة فليكن فكرك وملاحظتك نفى نفسك واثبات وحدانيته تعالى فانه المقصود بالتوحيد ولا شئ افضل
من التوحيد ولذلك كان اول التكاليف فبعد قبول العبد التوحيد كلف بالصلاة ثم كلف بالصوم لان فيها
اصلاح الطبيعة وبعدها بالزكاة وفيها اصلاح النفس بازالة شحها ثم بالحج وفيه نفع للطبيعة من جهة وللنفس
من جهة بذل المال وقدم الثلاث الاول لعمومها للاغنياء والفقرآء واما الاخيران فالفقرآء سالمون عنهما
ثم قال اذا كان بيت الاغنياء من الجواهر يكون بيت الفقرآء من النور حتى يتمنون ان يكونوا فقرآء
(قال فى المثنوى) مكرها در كسب دنيا باردست ✳ مكرها در ترك دنيا واردست ✳ جيست دنيا
از خدا غافل بدن ✳ نى قماش ونقره وميزان وزن ✳ كوزهٔ سر بسته اندر آب زفت ✳ از دل پرباد
فوق آب رفت ✳ باد درويشى جو در باطن بود ✳ بر سر آب جهان ساكن بود ✳ وفى التأويلات النجمية
واقيموا الصلاة بمراقبة القلوب وملازمة الخضوع والخشوع وآتوا الزكاة اى بالغوا فى تزكية النفس عن الحرص

على الامور الدنيوية والاخلاق الذميمة وتطهير القلب عن رؤية الاعمال السيئة وترك مطالبة ماسوى الله فانه مع طلب الحق زيادة والزيادة على الكمال نقصان واركعوا مع الراكعين اى اقتدوا فى الانكسار ونفى الوجود بالمنكسرين المبتذلين الوجود لنيل الموجود (أتأمرون الناس) الخطاب لليهود والامر القول لمن دونك افعل والمراد بالناس سفلتهم (بالبر) اى الاعتراف بالنبى واتباع الادلة وهو التوسع فى الخير من البر الذى هو الفضاء الواسع والهمزة تقرير مع توبيخ وتعجيب (وتنسون انفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات لان اصل السهو والنسيان الترك الا ان السهو يكون لما علمه الانسان ولما لم يعلمه والنسيان ماعزب بعد حضوره كانوا يقولون الفقراء هم الذين لامطمع لهم فيهم بالسر آمنوا بمحمد فانه حق وكانوا يقولون للاغنياء نرى فيه بعض علامات نبى آخر الزمان دون بعض فانتظروا الاستيفاء لما ينالون منهم ويؤخرون امور انفسهم فلا يتبعونه فى الحال مع عزيمتهم ان يتبعوه يوما وكذا حال من تمادى فى العصيان وهو يقول اتوب عند الكبر والشيب وربما يفجؤه الموت فيبقى فى حسرة الفوت (قال الحافظ) ديدى آن قهقهۀ كبك خرامان حافظ * كه زسر پنجه شاهين قضا غافل بود (وانتم تتلون الكتاب) اى والحال انكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته صلى الله تعالى عليه وسلم الآمرة بالايمان به (افلا تعقلون) اى ليس لكم عقل تعرفون به انه قبيح منكم اصلاح انفسكم والاشتغال بغيركم والعقل فى الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذى يشد به وظيف البعير الى ذراعيه لحبسه عن الحراك سمى به النور الروحانى الذى به يدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبس عن تعاطى مايقبح ويعقل على مايحسن ومحله الدماغ لان الدماغ محل الحس وعند البعض محله القلب لان القلب معدن الحياة ومادة الحواس وعند البعض هو نور فى بدن الادمى ثم هذا التوبيخ ليس على امر الناس بالبر بل لترك العمل به فمدار الانكار والتوبيخ هى الجملة المعطوفة وهى جملة تنسون انفسكم دون ماعطفت هى عليه وهى أتأمرون الناس بالبر ولا يستقيم قول من لا يجوز الامر بالمعروف لمن لا يعمل به لهذه الاية بل يجب العمل به ويجب الامر به وقد قال عليه السلام مروا بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه وهذا لانه اذا امر به مع انه لا يعمل به فقد ترك واجبا واذا لم يأمر به فقد ترك واجبين فالامر بالحسن حسن وان لم يعمل به ولكن قلما نفعت موعظة من لم يعظ نفسه ومن امر بخير فليكن اشد الناس شارعا اليه ومن نهى عن شئ فليكن اشد الناس انتهاء عنه وهذه الاية كما ترى ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق وتقيم غيرها لامنع الفاسق من الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر روى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف فى القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد واثنان من شدة تأثير وعظه وكان فى بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ماوقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما فى الطريق فقالت

اتهدى الانام ولا تهتدى * الا ان ذلك لا ينفع

فيا حجر الشحذ حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع

فلما سمعها الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفى الى رحمة الله تعالى (قال الحافظ) واعظان كين جلوه در محراب ومنبر ميكنند * چون بخلوت ميروند آن كار ديكر ميكنند * مشكلى دارم زدانشمند مجلس بازپرس * توبه فرمايان چرا خود توبه كمتر ميكنند * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى بى مررت على ناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الخطباء من امتك يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم يجزون نصيبهم فى نار جهنم فيقال لهم من انتم فيقولون نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير وننسى انفسنا قال الاوزاعى شكت النواويس الى الله تعالى ما تجده من جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون العلماء السوء انتن مما انتم فيه وفى الحديث مامن عبد يخطب خطبة الا والله تعالى سائله عنها يوم القيامة ما اراد بها قال الشيخ افتاده افندى لو ان واعظا يرى نفسه خيرا من المستمعين يشكل الامر كذا اذا لم يكن من يصغى الى كلامه مساويا لمن يلطم على قفاه يشكل الامر فلذلك قال عليه السلام كم من واعظ

يلعب

يلعب به الشيطان اللهم الا ان يقول ينتفع منى المسلمون وان كنت معذبا فى النار فهو نوع فناء لكن يخاف ان يجد حظه فى ضمنه وقال ايضا من كان يعظ الناس اما ان يعتقد انهم يعرفون مايعرفه او يعتقد انهم لا يعرفون مايعرفه فعلى الاول لا يحتاج الى وعظه وعلى الثانى قد اثبت لهم جهلا ولنفسه فضلا عليهم فهو محض كبر وبالجملة حيل النفس كثيرة لا يتيسر النجاة عنها الا بمحض لطف الله تعالى وادنى الحال ان يلاحظ قوله عليه السلام ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاسق فمادام لم يصل السالك الى الحقيقة لا يتخلص عن الورطة قال عليه السلام الناس كلهم سكارى الا العالمون الحديث والمخلصون على خطر عظيم وانما الامن للمخلص بالفتح وهو الواصل الى التوحيد الحقيقى الفانى عن القهر والكرم الخارج عن حد الوجود والعدم وهو البهت الكل وهم الذين اريدوا بقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ولا بد من رعاية الشريعة فى جميع المراتب فان الكمال فيها والا فهو ناقص ولذلك ان المجاذيب لا يخلون عن النقصان الا يرى ان الانبياء عليهم السلام لم يسمع عن واحد منهم عروض السفه والجنون فالكامل فى مرتبة الكمال يكون كامل العقل حتى يحس صرير الباب فى حال استغراقه اللهم ارزقنا وصلنا الى الكمال (واستعينوا) يا بنى اسرائيل على قضاء حوائجكم (بالصبر) اى بانتظار الظفر والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس (والصلاة) اى التوسل بالصلاة والالتجاء اليها حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب كأنهم اى بنى اسرائيل لما امروا بما شق عليهم لما فيه من ترك الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك روى انه عليه السلام اذا حزنه امر فزع الى الصلاة وروى ان ابن عباس رضى الله عنه نعى له بنت وهو فى سفر فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله واجر ساقه الله ثم تنحى عن الطريق وصلى ثم انصرف الى راحلته وهو يقرأ واستعينوا بالصبر والصلاة (وانها) اى الاستعانة بهما (لكبيرة) لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ماتدعوهم اليه (الا على الخاشعين) اى المخبتين الخائفين والخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب او الخشوع بالبصر والخضوع بسائر الاعضاء وانما لم يثقل عليهم لانهم يستغرقون فى مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجرى عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم وقرة عينى فى الصلاة لان اشتغاله عليه السلام بالصلاة كان راحة له وكان يعد غيرها من الاعمال الدنيوية تعبا (الذين يظنون) اى يوقنون لان الظن يكون يقينا ويكون شكا من الاضداد كالرجاء يكون امنا وخوفا كما فى تفسير الكواشى (انهم ملاقوا ربهم) معاينوه وهو كناية عن شهود مشهد العرض والسؤال يوم القيامة وهو الوجه فيما يروى فى الاخبار لقى الله وهو عليه غضبان ومايجرى مجراه وقيل اى يعلمون انهم يموتون قال النبى عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه واراد به الموت (وانهم اليه راجعون) اى ويعلمون انهم راجعون يوم القيامة الى الله تعالى اى الى جزائه اياهم على اعمالهم واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين فالصبر على الاذى والطاعات من باب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها ومنعها من تطاولها وهو من اخلاق الانبياء والصالحين قال يحيى بن اليمان الصبر ان لا تتمنى حالة سوى مارزقك الله والرضى بما قضى الله من امر دنياك وآخرتك وهو بمنزلة الرأس من الجسد (قال الحافظ) كويند سنك لعل شود در مقام صبر * آرى شود وليك بخون جكر شود * ثم ان الله تعالى وصف جزاء الاعمال وجعل لها نهاية وحدا فقال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وجعل جزاء الصدقة فى سبيل الله فوق هذا فقال مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة الاية وجعل اجر الصابرين بغير حساب ومدح اهله فقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقد وصف الله نفسه بالصبر كما فى الحديث ليس شئ اصبر على اذى سمعه من الله تعالى انهم ليدعون له ولدا وانه ليعافيهم ويرزقهم ووصف الله بالصبر انما هو بمعنى الحلم وهو تأخير العقوبة عن المستحقين لها والفرق بين الحليم والصبور ان المذنب لا يأمن العقوبة فى صفة الصبور كما يأمنها فى صفة الحليم وقيل فى الخشوع اتريد ان تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع باكل الخشن ولبس الخشن لكن الخشوع ان ترى الشريف والدنى فى الحق سواء وتخشع لله فى كل فرض افترض عليك فمن اظهر خشوعا فوق ما فى قلبه فانما اظهر نفاقا على نفاق قال سهل بن عبد الله لا تكون خاشعا حتى تخشع كل شعرة

على جسدك وهذا هو الخشوع المحمود لان الخوف اذا سكن القلب اوجب خشوع الظاهر فلا يملك صاحبه
دفعه فتراه مطرقا متأدبا متذللا وقد كان السلف يجتهدون فى ستر ما يظهر من ذلك واما المذموم فتكلفه
والتباكى ومطأطأة الرأس كما يفعله الجهال ليروا بعين البر والاجلال وذلك خدع من الشيطان وتسويل من
نفس الانسان وكان عمر رضى الله عنه اذا تكلم اسمع واذا مشى اسرع واذا ضرب اوجع وكان ناسكا
صدقا وخاشعا حقا كما فى تفسير القرطبى وقال فى التأويلات النجمية واستعينوا بالصبر عن شهوات النفس
ومتابعة هواها والصلاة اى دوام الوقوف والتزام العكوف على باب الغيب وحضرة الرب وانها اى الاستعانة
بهما لكبيرة امر عظيم وشأن صعب الا على الخاشعين وهم الذين تجلى الحق لاسرارهم فخشعت له انفسهم
كما قال عليه السلام اذا تجلى الله لشىء خضع له وقال وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا فالتجلى
يورث الالفة مع الحق ويسقط الكلفة عن الخلق الذين يظنون اى يوقنون بنور التجلى انهم ملاقوا ربهم انهم
يشاهدون جمال الحق وانهم اليه راجعون بجذبات الحق التى كل جذبة منها توازى عمل الثقلين (يا بنى اسرائيل
اذكروا) اشكروا (نعمتى التى انعمت) بها (عليكم) بانزال المن والسلوى وتظليل الغمام وتفجير الماء
من الحجر وغيرها وذكر النعم على الآباء الزام الشكر على الابناء فانهم يشرفون بشرفهم ولذلك خاطبهم فقال تعالى
فضلتكم ولم يقل فضلت آباءكم لان فى فضل آبائهم فضلهم (و) اذكروا (انى فضلتكم على العالمين) من
عطف الخاص على العام للتشريف اى فضلت آباءكم على عالمى زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل
الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم آباؤهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه السلام وبعده قبل
ان يغيروا وهذا كما قال فى حق مريم واصطفاك على نساء العالمين اى نساء زمانك فان خديجة وعائشة وفاطمة
افضل منها فلم يكن لهم فضل على امة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى فى حقهم كنتم خير امة اخرجت للناس
كما فى التيسير فالاستغراق فى العالمين عرفى لا حقيقى قال بعضهم من آمن من اهل الكتاب بمحمد صلى الله عليه
وسلم كانت له فضيلة على غيره وكان له اجران اجر ايمانه بنبيه واجر اتباعه لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يعطيهم الله الاجر مرتين من اشترى جارية فاحسن تأديبها فاعتقها
وتزوجها وعبد اطاع سيده واطاع الله ورجل من اهل الكتاب ادرك النبى صلى الله عليه وسلم فآمن به
قال القشيرى اشهد الله بنى اسرائيل فضل انفسهم فقال فضلتكم على العالمين واشهد محمدا صلى الله عليه وسلم
فضل ربه فقال قل بفضل الله وبرحمته وشتان بين من مشهوده فضل نفسه وبين من مشهوده فضل ربه وشهوده
فضل نفسه قد يورث الاعجاب وشهوده فضل ربه يورث الايجاب ثم ان اليهود كانوا يقولون نحن من اولاد ابراهيم
خليل الرحمن ومن اولاد اسحق ذبيح الله والله تعالى يقبل شفاعتهم فينا فرد الله عليهم فانزل هذه الآية وقال
(واتقوا) اى واخشوا يا بنى اسرائيل (يوما) يوم القيامة اى حساب يوم او عذاب يوم فهو من ذكر المحل
وارادة الحال (لا تجزى) اى لا تقضى فيه ولا تؤدى ولا تغنى فالعائد محذوف والجملة صفة يوم (نفس) مؤمنة
(عن نفس) كافرة (شيأ) ما من الحقوق التى لزمت عليها وهو نصب على المفعول به وايراده منكرا مع تنكير النفس
للتعميم والاقناط الكلى قال تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم وكيف ينفع وقد قال يوم يفر المرء من اخيه
الآية (قال فى المثنوى) چون يفر المرء آيد من اخيه ✱ يهرب المولود يوما من ابيه ✱ زان شود هر دوست
آن ساعت عدو ✱ كه بت تو بود و از ره مانع او ✱ وهذا فى حق الكفار فاما المؤمن فقد استثناه فقال يوم
لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اى خال عن الشرك (ولا يقبل منها) اى من النفس الاولى المؤمنة
(شفاعة) اى شفعت للنفس الثانية الكافرة عند الله لتخليصها من عذابه والشفاعة مصدر الشافع والشفيع
وهو طالب قضاء حاجة غيره مأخوذ من الشفع لانه يشفع نفسه لمن يشفع له فى طلب مراده ولا شفاعة فى حق
الكافر بخلاف المؤمن قال النبى عليه السلام شفاعتى لاهل الكبائر من امتى فمن كذب بها لم ينلها والآيات
الواردة فى نفى الشفاعة خاصة بالكفار (ولا يؤخذ منها) اى من المشفوع لها وهى النفس الثانية العاصية
(عدل) اى فداء من مال او رجل مكانها او توبة تنجو بها من النار والعدل بالفتح مثل الشئ من خلاف جنسه
وبالكسر مثله من جنسه وسمى به الفدية لانه تساويه الفدية وتماثله وتجرى مجراه (ولاهم ينصرون)
اى يمنعون من عذاب الله تعالى ومن ايدى المعذبين فلا نافع ولا شافع ولا دافع لهم والضمير لما دلت عليه النفس

الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسى والنصرة
ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر ثم هذه الآية فى غاية البلاغة فانها جمعت ذكر الوجوه التى بها
يتخلص المرء عن النكبة التى اصابته فى الدنيا وهى اربع ينوب عنه غيره فى تحمل ما عليه او يفتدى بمال
فيخلص منها او يشفع فيوهب له او ينصره ناصر فيمنعه فقطع الله عنهم جميعا وعن عكرمة انه قال ان الوالد ليتعلق
بولده يوم القيامة فيقول يا بنى انى اب لك فى الدنيا وقد احتجت الى مثقال حبة من حسناتك لعلى انجو بها
مما ترى فيقول له ولده انى اتخوف مثل الذى تخوفت انت فلا اطيق ان اعطيك شيأ ثم يتعلق بزوجته فيقول لها
فلانة انى زوج كنت لك فى الدنيا فتثنى عليه خيرا فيقول لها انى اطلب منك حسنة واحدة تهبينها لى لعلى انجو
مما ترين قالت لا اطيق ذلك انى اتخوف مثل الذى تخوفت منه فيقول الله وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل
منه شئ ولو كان ذا قربى يعنى من اثقلته الذنوب لا يحمل احد من ذنبه شيأ (قال السعدى) برفتند هركس
درود آنچه كشت ✱ نماند بجز نام نيكو وزشت ✱ بر آن خورد سعدى كه بيخى نشاند ✱ كسى برد
خرمن كه تخمى فشاند ✱ وفى التأويلات النجمية يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم ظاهره
عام وباطنه خاص مع قوم منهم قد علم الله فيهم خيرا فاسمعهم خطابه فى السر اذكروا نعمته التى انعم الله عليهم
وهى استعداد قبول رشاش نوره يوم خلق الله الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فآمنوا بمحمد عليه السلام
من خاصية قبول ذلك الرشاش كما قال عليه السلام فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطأه فقد ضل
وانى فضلتكم على العالمين اى بهذه النعمة فضلتكم مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين بهذه النعمة عند رش النور على من لم يصبهم ذلك النور من العالمين واتقوا يوما اى عذاب يوم يخوف
الله العام بافعاله كما قال واتقوا النار الخ ويخوف الخاص بصفاته كقوله انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وقوله
ليسأل الصادقين عن صدقهم ويخوف خاص الخاص بذاته ويحذركم الله نفسه وقوله واتقوا الله حق تقاته
لا تجزى نفس عن نفس شيأ والامر يومئذ لله ولا يقبل منها شفاعة فى حق نفسها ولا فى حق غيرها بغير الاذن
كقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ولا يؤخذ منها عدل اى فداء لانه ليس للانسان الا ما سعى وان
سعيه سوف يرى والسعى المشكور ما يكون ههنا ولاهم ينصرون لانهم ما نصروا الحق ههنا وقد قال الله تعالى
ان تنصروا الله ينصركم (واذ نجيناكم) خطاب لبنى اسرائيل اى اذكروا وقت تنجيتنا اياكم اى آباءكم فان تنجيتهم
تنجية لاعقابهم ومن عادة العرب يقولون قتلناكم يوم عكاظ اى قتل آباؤنا آباءكم والنجو المكان العالى من الارض
لان من صار اليها يخلص ثم سمى كل فائز ناجيا لخروجه من ضيق الى سعة اى جعلنا آباءكم بمكان حريز ورفعناكم
عن الاذى (من آل فرعون) واتباعه واهل دينه وفرعون لقب من ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس
وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك والنجاشى للحبشة وتبع لاهل اليمن والعمالقة الجبابرة وهم اولاد عمليق
ابن لاود بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام سكان الشام منهم سموا بالجبابرة وملوك مصر منهم سموا بالفراعنة
ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد فليس المراد الاستغراق بل الذين كانوا بمصر وفرعون موسى
هو الوليد بن مصعب بن الريان وكان من القبط وعمر اكثر من اربعمائة سنة وقيل انه كان عطارا اصفهانيا
ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام فدخل مصر فرأى فى ظاهرها حملا
من البطيخ بدرهم وفى نفسه بطيخة بدرهم فقال فى نفسه ان تيسر لى اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد
فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اى العشارين اخذ بطيخة فدخل البلد
وما معه الا بطيخة فباعها بدرهم ومضى بوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم
وكان قد وقع به وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم
تدفنونه حتى تعطونى خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع فى مقدار ثلاثة اشهر مالا عظيما
ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا
من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون اى الى ملك المدينة فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام
قال لم يقمنى احد وانما فعلت ما فعلت ليحضرنى احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت
بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولنى امورك ترنى امينا كافيا فولاه اياها

فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره فى العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وبينهما اكثر من اربعمائة سنة (يسومونكم) اى يبغونكم (سوء العذاب) واقبحه بالنسبة الى سائره ويريدونكم عليه ويكلفونكم الاعمال الشاقة ويذيقونكم ويديمون عليكم ذلك من سام السلعة اذا طلبها والسوم بمعنى البغاء وبغى يتعدى الى مفعولين بلا واسطة فلذلك كان سوء العذاب منصوبا على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من ضمير المفعول فى نجيناكم والمعنى نجيناكم مسومين منهم اقبح العذاب كقولك رأيت زيدا يضربه عمرو اى رأيته حال كونه مضروبا لعمرو وذلك ان فرعون جعل بنى اسرآئيل خدما وخولا وصنفهم فى الاعمال فصنف يبنون وصنف يحرثون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن منهم فى عمل وضع عليهم الجزية وقال وهب كانوا اصنافا فى اعمال فرعون فذووا القوة ينحتون السوارى من الجبال حتى قرحت اعناقهم وايديهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وطائفة ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة منهم يضربون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يؤدى ضريبته غلت يمينه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان وينسجن وقيل تفسير قوله يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله تعالى (يذبحون ابناءكم) كانه قيل ما حقيقة سوء العذاب الذى يبغونه لنا فاجيب بانهم يذبحون ابناءكم اى يقتلونهم والتشديد للتكثير كما يقال فتحت الابواب والمراد من الابناء هم الذكور خاصة وان كان الاسم يقع على الذكور والاناث فى غير هذا الموضع كالبنين فى قوله تعالى يا بنى اسرآئيل فانهم كانوا يذبحون الغلمان لا غير وكذا اريد به الصغار دون الكبار لانهم كانوا يذبحون الصغار (ويستحيون نساءكم) اى يستبقون بناتكم ويتركونهن حيات وذكر النساء وان كانوا يفعلون هذا بالصغار لانه سماهن باسم المآل لانهن اذا استبقوهن صرن نساء بعد البلوغ ولانهم كانوا يستبقون البنات مع امهاتهن والاسم يقع على الكبيرات والصغيرات عند الاختلاط وذلك ان فرعون رأى فى منامه كأن نارا اقبلت من بيت المقدس فاحاطت بمصر واخرجت كل قبطى بها ولم تتعرض لبنى اسرآئيل فهاله ذلك وسأل الكهنة والسحرة عن رؤياه فقالوا يولد فى بنى اسرآئيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرآئيل وجمع القوابل فقال لهن لا يسقط على ايديكن غلام يولد فى بنى اسرآئيل الا قتل ولا جارية الا تركت ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قيل انه قتل فى طلب موسى اثنى عشر الف صبى او تسعين الف وليدة وقد اعطى الله نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة ثم اسرع الموت فى مشيخة بنى اسرآئيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا ان الموت وقع فى بنى اسرآئيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون عليه السلام فى السنة التى لا يذبح فيها وولد موسى فى السنة التى يذبحون فيها فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله شيأ وشمر فرعون عن ساق الاجتهاد وحسر عن ذراع العناد فاراد ان يسبق القضاء ظهوره ويأبى الله الا ان يتم نوره (وفى ذلكم) اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء (بلاء) اى محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اى استبقائهن على الحياة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاسترقاق والاستعمال فى الاعمال الشاقة ولان بقاء البنات مما يشق على الاباء ولا سيما بعد ذبح البنين (من ربكم) من جهته تعالى بتسليطهم عليكم (عظيم) صفة للبلاء وتنكيرهما للتفخيم ويجوز ان يشار بذلكم الى الانجاء من فرعون ومعنى البلاء حينئذ النعمة لان اصل البلاء الاختبار والله تعالى يختبر عباده تارة بالمنافع ليشكروا فيكون ذلك الاختبار منحة اى عطاء ونعمة واخرى بالمضار ليصبروا فيكون محنة فلفظ الاختبار يستعمل فى الخير والشر قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير ومعنى من ربكم اى ببعث موسى وبتوفيقه لتخليصكم منهم والاشارة ان النجاة من آل فرعون النفس الامارة وهى صفاتها الذميمة واخلاقها الرديئة فى يوم سوء العذاب للروح الشريف بذبح ابناء الصفات الروحانية الحميدة واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن فى اعمال القدرة الحيوانية لا يمكن الا بتنجية الله كما قال عليه السلام ان ينجى احدكم عمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بفضله وفى ذلكم اى فى استيلاء

صفات النفس على القلب والروح بلاء عظيم امتحان عظيم فى الخير والشر فمن يهده الله ويصلح باله يرجع الى الله فى طلب النجاة فينجيه الله ويهلك عدوه ومن يضلله ويخذله اخلد الى الارض واتبع هواه وكان امره فرطا ثم فى الاية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السرآء والضرآء من قبيل الاختبار فعليه الشكر فى المسار والصبر على المضار (كما قال الحافظ) اكر بلطف بخوانى مزيد الطافست ✻ وكر بقهر برانى درون ما صافست ✻ وسنته تعالى استدعاء العباد لعبادته بسعة الارزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسرآء والضرآء لعلهم يرجعون لان مراده تعالى رجوع العباد اليه طوعا وكرها فالاول حال الاحرار والثانى حال الاغيار قال داود بن رشيد من اصحاب محمد بن الحسن قمت ليلة فاخذنى البرد فبكيت من العرى فنمت فرأيت قائلا يقول يا داود انمناهم واقمناك فتبكى علينا فما نام داود بعد تلك الليلة كذا فى روضة الاخيار (قال فى المثنوى) درد بشتم داد حق تا من زخواب ✻ برجهم در نيم شب با سوز وتاب ✻ دردها بخشيد حق از لطف خويش ✻ تا نخسبم جمله شب چون كاوميش ✻ روى ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انزلت بعبدى بلائى فدعانى فماطلته بالاجابة فشكانى فقلت عبدى كيف ارحمك من شئ به ارحمك ومن ظن انفكاك لطفه تعالى فذلك لقصور نظره فى العقليات والعاديات والشرعيات اما العقليات فما من بلاء الا والعقل قاض بامكان اعظم منه حتى لو قدرنا اجتماع بلايا الدنيا كلها على كافر وعوقب فى الاخرة باعظم عذاب اهل النار لكان ملطوفا به اذ الله قادر على ان يعذبه باكثر من ذلك واما العاديات فما وجدت قط بلية الا فى طيها خير وحفها الطف باعتبار قصرها على نوعها اذ المبتلى مثلا بالجذام والعياذ بالله ليس كالاعمى وهما مع الغنى ليسا كهما مع الفقر واجتماع كل ذلك مع سلامة الدين امر يسير واما الشرعيات فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضى اصطفاه وليخفف الم البلاء عنك علمك بان الله هو المبتلى اما اعتبارا بان كل افعاله جميل او لانه عودك بالفعل الجميل والعطاء الجزيل (و) اذكروا يا بنى اسرآئيل (اذ فرقنا) فصلنا (بكم) اى بسبب انجائكم فالباء للسببية وهو اولى لان الكلام مسوق لتعداد النعم والامتنان وفى السببية دلالة على تعظيمهم وهو ايضا من النعم وقيل الباء بمعنى اللام كقوله تعالى ذلك بان الله هو الحق اى لان الله (البحر) وهو بحر القلزم بحر من بحار فارس او بحر من ورآئهم يقال له اساف حتى حصل اثنا عشر مسلكا بعدد اسباط بنى اسرآئيل والسبط ولد الولد والاسباط من بنى اسرآئيل كالقبائل من العرب وهم اولاد يعقوب (فانجيناكم) اى من الغرق باخراجكم الى الساحل (واغرقنا) الغرق الرسوب فى الشئ المائع ورسب الشئ فى الماء رسوبا اى سفل فيه والاغراق الاهلاك فى الماء (آل فرعون) يريد فرعون وقومه للعلم بدخوله فيهم وكونه اولى به منهم (وانتم تنظرون) بابصاركم انفراق البحر حين سلكتم فيه وانطباقه على آل فرعون بعد سلامتكم منه وايضا تنظرون اليهم غرقى موتى حين رماهم البحر الى الساحل قال القرطبى ان الله تعالى لما انجاهم واغرق فرعون قالوا يا موسى ان قلوبنا لا تطمئن أن فرعون قد غرق حتى امر الله البحر فلفظه فنظروا اليه روى انه لما دنا هلاك فرعون امر الله موسى عليه السلام ان يسرى ببنى اسرآئيل من مصر ليلا فامرهم ان يخرجوا وان يستعيروا الحلى من القبط وامر ان لا ينادى احد منهم صاحبه وان يسرجوا فى بيوتهم الى الصبح ومن خرج لطخ بابه بكف من دم ليعلم انه قد خرج فخرجوا ليلا وهم ستمائة الف وعشرون الف مقاتل لا يعدون فيهم ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره والقبط لا يعلمون ووقع فى القبط موت فجعلوا يدفنونهم وشغلوا عن طلبهم فلما ارادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى مشيخة بنى اسرآئيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد عليهم الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلمه احد غير عجوز قالت لو دللت على قبره اتعطينى كل ما سألتك فابى عليها وقال حتى اسأل ربى فامر الله باعطاء سؤلها فقالت انى عجوز كبيرة لا استطيع المشى فاحملنى واخرجنى من مصر هذا فى الدنيا واما فى الاخرة فاسألك ان لا تنزل فى غرفة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه فى جوف الماء فى النيل فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله ان يؤخر طلوع الفجر الى ان يفرغ من امر يوسف فحفر موسى ذلك الموضع واستخرجه فى صندوق من صنوبر قالوا ان موسى استخرج تابوت يوسف

من قعر النيل بالوفق وهو اول علم اوجده الله بنفسه وعلمه آدم عليه السلام فتوارثه الانبياء آخرا عن اول
ثم انه حمله حتى دفنه بالشأم ففتح لهم الطريق فساروا فكان هارون امام بنى اسرآئيل وموسى على ساقتهم
فلما علم بذلك فرعون جمع قومه فخرج فى طلب بنى اسرآئيل وعلى مقدمته هامان فى الف الف وسبعمائة
الف جواد ذكر ليس فيها رمكة على رأس كل واحد منهم بيضة وفى يده حربة فسارت بنوا اسرآئيل حتى وصلوا
الى البحر والماء فى غاية الزيادة فادركهم فرعون حين اشرقت الشمس فقال فرعون فى اصحاب موسى ان هؤلاء
لشرذمة قليلون فلما نظر اصحاب موسى اليهم بقوا متحيرين فقالوا لموسى انا لمدركون يا موسى اوذينا
من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا اليوم نهلك فان البحر امامنا ان دخلناه غرقنا وفرعون خلفنا ان ادركنا
قتلنا يا موسى كيف نصنع واين ما وعدتنا قال موسى كلا ان معى ربى سيهدين فاوحى الله الى موسى ان اضرب
بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق يا ابا خالد فانفلق فصار فيه اثنا عشر
طريقا كل طريق كالجبل العظيم فكان لكل سبط طريق يأخذون فيه وارسل الله الريح والشمس على
قعر البحر حتى صار يبسا فخاضت بنوا اسرائيل البحر وعن جانبهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا
فقالوا ما لنا لا نرى اخواننا وقال كل سبط قد قتل اخواننا قالوا سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا
لا نرضى حتى نراهم فقال موسى اللهم اعنى على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا وهكذا
يمنة ويسرة فصار فيها كوى ينظر بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض فساروا حتى خرجوا من البحر فلما جاز
آخر قوم موسى هجم فرعون على البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر انفلق من هيبتى حتى ادرك
عبيدى الذين ابقوا فهاب قومه ان يدخلوه وقيل له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان موسى
على حصان ادهم اى ذكر اسود من الخيل ولم يكن فى قوم فرعون فرس انثى فجاء جبريل على انثى وديق وهى
التى تشتهى الفحل وتقدمه الى البحر فشم ادهم فرعون ريحها فاقتحم خلفها البحر اى هجم على البحر بالدخول
وهم لا يرونه ولم يملك فرعون من امره شيأ وهو لا يرى فرس جبريل وتبعته الخيول وجاء ميكائيل على فرس
خلف القوم يعجلهم ويسوقهم حتى لا يشذ رجل منهم حتى خاضوا كلهم البحر ودخل آخر قوم فرعون وجاز آخر
قوم موسى وهم اوائلهم بالخروج فامر الله البحر ان يأخذهم فانطبق على فرعون وقومه فاغرقوا فنادى
فرعون لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرآئيل وانا من المسلمين القصة وقالت بنوا اسرآئيل الآن يدركنا فيقتلنا
فلفظ البحر ستمائة وعشرين الفا عليهم الحديد فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك فلفظ فرعون وهو كانه
نور احمر فلم يقبل البحر بعد ذلك غريقا الا لفظه على وجه الماء واعلم ان هذه الوقعة كما انها لموسى عليه السلام
معجزة عظيمة لاوآئل بنى اسرآئيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هى عليه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد بها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم
ان يتلقوها بالاذعان لانه عليه السلام اخبرهم بذلك مع انه كان اميا لم يقرأ كتابا وهذا غيب لم يكن له علم العرب
فاخباره به دل على انه اوحى اليه ذلك وذلك علامة لنبوته فلا تأثرت اوآئلهم بمشاهدتها ورؤيتها حيث اتخذوا
العجل الها بعد الانجاء ثم صار امرهم الى ان قتلوا انبياءهم ورسلهم فهذه معاملتهم مع ربهم وسيرتهم فى دينهم
وسوء اخلاقهم ولا تذكرت اواخرهم بتذكيرها وروايتها حيث بدلوا التوراة وافتروا على الله وكتبوا بايديهم
واشتروا به عرضا وكفروا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها
وفى الاية تهديد للكافرين ليؤمنوا وتنبيه للمؤمنين ليتعظوا وينتهوا عن المعاصى فى جميع الاوقات خصوصا
فى الزمان الذى انجى الله فيه موسى مع بنى اسرآئيل من الغرق وهو اليوم العاشر من المحرم وعن ابن عباس
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشورآء فقال لهم
ما هذا اليوم الذى تصومونه فقالوا هذا يوم عظيم انجى الله فيه موسى وقومه واغرق فيه فرعون وقومه فصامه
موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول صلى الله عليه وسلم فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامر بصيامه رواه مسلم وهذا يدل بظاهره على ان النبى عليه السلام انما صام عاشورآء
وامر بصيامه اقتدآء بموسى عليه السلام على ما اخبره اليهود وليس كذلك لما روته عائشة رضى الله عنها قالت
كان يوم عاشورآء يوما تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فى الجاهلية

فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك صيام يوم عاشورآء فمن شاء صامه ومن شاء تركه
(يحكى) انه هرب اسير من الكفار يوم عاشورآء فركبوا فى طلبه فلما رأى الفرسان خلفه وعلم انه مأخوذ
رفع رأسه الى السماء وقال اللهم بحق هذا اليوم المبارك اسألك ان تنجينى منهم فاعمى الله ابصارهم جميعا فنجا
الاسير فصام فى ذلك اليوم فلم يجد ما يفطر عليه ويتعشى فنام فاطعم وسقى فى المنام فعاش بعد ذلك عشرين
سنة لم يكن له حاجة الى الطعام والشراب قال النبى عليه السلام التمسوا فضله فانه يوم مبارك اختاره الله
من الايام من صام ذلك اليوم جعل الله له نصيبا من عبادة جميع من عبده من الملائكة والانبياء والمرسلين
والشهدآء والصالحين هذا فى الصوم واما الصلاة الواردة فى يوم عاشورآء فقد ذكرها الشيخ عبد القادر قدس سره
عن ابن عباس رضى الله عنه فى حديث طويل فيه ومن صلى اربع ركعات فى يوم عاشورآء يقرأ فى كل ركعة
فاتحة الكتاب مرة وخمسين مرة قل هو الله احد غفر الله له ذنوب خمسين عاما مستقبلا وبنى له فى الملأ الاعلى
الف منبر من نور ويستحب احياء ليلة عاشورآء ففى الحديث من احيى ليلة عاشورآء فكانما عبد الله بعبادة
ملائكته المقربين والاشارة ان البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى هو القلب وقومه صفات القلب
وفرعون هو النفس الامارة وقومه صفات النفس وهم اعدآء موسى وقومه يطلبونهم ليقتلوهم وهم سائرون
الى الله تعالى والعدو من خلفهم وبحر الدنيا امامهم ولا بد لهم فى السير الى الله من العبور على البحر ولا يخوضون
البحر بلا ضرب عصا لا اله الا الله على البحر بيد موسى القلب فان له يدا بيضاء فى هذا الشأن والا لغرقوا كما غرق
فرعون وقومه ولو كانت هذه العصا فى يد فرعون النفس لم يكن لها معجزة انفلاق البحر فاذا ضرب بيد موسى
القلب بعصا الذكر ينفلق بحر الدنيا وماء شهواتها يمينا وشمالا ويرسل الله ريح العناية وشمس الهداية على قعر
بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب وصفاته فيجاوزونه وتنجيهم عناية الله الى الساحل
وأن الى ربك المنتهى وقيل لفرعون النفس وقومه اغرقوا فادخلوا نارا كذا فى التأويلات النجمية قدس الله
تعالى نفسه الزكية (و) اذكروا يا بنى اسرآئيل (اذ واعدنا) وقت وعدنا وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثى
او على اصلها فان الوعد وان كان من الله فقبوله كان من موسى وقبول الوعد شبه الوعد او ان الله تعالى وعده
الوحى وهو وعده المجئ للميقات الى الطور (موسى) مفعول اول لواعدنا مو بالعبرانية الماء وشى بمعنى الشجر
فقلب الشين المعجمة سينا فى العربية وانما سمى به لان امه جعلته فى التابوت حين خافت عليه من فرعون والقته
فى البحر فدفعته امواج البحر حتى ادخلته بين اشجار عند بيت فرعون فخرجت جوارى آسية امرأة فرعون
يغسلن فوجدن التابوت فاخذنه فسمى عليه السلام باسم المكان الذى اصيب به وهو الماء والشجر ونسبه
عليه السلام موسى بن عمران بن يصهر بن قاهت بن لاوى بن يعقوب اسرآئيل الله بن اسحق بن ابراهيم
عليه السلام (اربعين ليلة) اى تمام اربعين ليلة على حذف المضاف مفعول ثان امره الله تعالى بصوم ثلاثين
وهو ذو القعدة ثم زاد عليه عشرا من ذى الحجة وعبر عنها بالليالى لانها غرر الشهور وشهور العرب وضعت
على سير القمر ولذلك وقع بها التاريخ فالليالى اولى الشهور والايام تبع لها اولان الظلمة اقدم من الضوء
(ثم اتخذتم العجل) وهو ولد البقرة بتسويل السامرى الها ومعبودا (من بعده) اى من بعد مضيه الى الميقات
وانما ذكر لفظة ثم لانه تعالى لما وعد موسى حضور الميقات لانزال التوراة عليه وفضيلة بنى اسرآئل
ليكون ذلك تنبيها للحاضرين على علو درجتهم وتعريفا للغائبين وتكملة للدين كان ذلك من اعظم النعم
فلما اتوا عقب ذلك باقبح انواع الكفر والجهل كان ذلك فى محل التعجب فهو كمن يقول انى احسنت اليك وفعلت
كذا وكذا ثم انك تقصدنى بالسوء والاذى (وانتم ظالمون) باشراككم ووضعكم للشئ فى غير موضعه اى وضع
عبادة الله تعالى فى غير موضعها بعبادة العجل وهو حال من ضمير اتخذتم (ثم عفونا عنكم) اى محونا جريمتكم
حين تبتم (من بعد ذلك) اى من بعد الاتخاذ الذى هو متناهى فى القبح فلم نعاجلكم بالاهلاك بل امهلناكم الى مجئ
موسى فنبهكم واخبركم بكفارة ذنوبكم (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة
فان الانعام يوجب الشكر واصل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته العجز عن الشكر (قال السعدى)
خردمند طبعان منت شناس * بدوزند نعمت بميخ سپاس (واذ آتينا) اعطينا (موسى الكتاب والفرقان)
اى التوراة الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل كقولك لقيت الغيث والليث تريد الجامع

بين الجود والجراءة فالمراد بالفرقان والكتاب واحد (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه وهذا بيان الحكمة دون العلة اى الحكمة فى انزاله ان يتدبروا فيه فيعلموا ان الله تعالى لم يفعل ذلك به الا للدلالة على صحة نبوته فيجتهدوا بذلك على اتباع الرشد واذا فعلتم ذلك آمنتم بمحمد لانه قد اتى من المعجزات بما يدلكم اذا تدبرتم على صحة دعواه النبوة روى ان بنى اسرآئيل لما امنوا من عدوهم باغراق الله آل فرعون ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها فوعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه انى ذاهب لميقات ربى آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وتذرون وواعدهم اربعين ليلة واستخلف عليهم اخاه هارون فلما اتى الوعد جاءه جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيأ الا حيى ليذهب بموسى الى ربه فلما رآه السامرى وكان رجلا صائغا من اهل باجرمى واسمه ميخا ورأى مواضع الفرس تخضر من ذلك وكان منافقا اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رآى جبريل على ذلك الفرس قال ان لهذا شأنا واخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل وقيل انه عرف جبريل لان امه حين خافت عليه ان يذبح سنة ذبح فرعون ابناء بنى اسرآئيل خلفته فى غابة وكان جبريل يأتيه فيغذوه باصابعه فكان السامرى يمص من ابهام يمينه عسلا ومن ابهام شماله سمنا فلما رآه حين عبر البحر عرفه فقبض قبضة من اثر فرسه فلم تزل القبضة فى يده حتى انطلق موسى الى الطور وكان السامرى سمعهم حين خرجوا من البحر واتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ووقع فى نفسه ان يفتنهم من هذا الوجه وكان بنوا اسرآئيل استعاروا حليا كثيرة من قوم فرعون حين ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فاهلك الله تعالى فرعون وبقيت تلك الحلى فى ايدى بنى اسرآئيل فلما ذهب موسى الى المناجاة عد بنوا اسرآئيل اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما قالوا قد تم اربعون ولم يرجع موسى الينا فخالفنا فقال السامرى هاتوا الحلى التى استعرتموها وان موسى امرهم ان يلقوها فى حفرة حتى يرجع ويفعل ما يرى فيها فلما اجتمعت الحلى صاغها السامرى عجلا فى ثلاثة ايام ثم القى فيها القبضة التى اخذها من تراب سنبك فرس جبريل فخرجت عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر كاحسن ما يكون فصار جسدا له خوار اى صوت كصوت العجل وله لحم ودم وشعر وقيل دخل الريح فى جوفه من خلفه وخرج من فيه كهيئة الخوار فقال للقوم هذا الهكم واله موسى فنسى اى اخطأ موسى الطريق وربه هنا وهو ذهب يطلبه فاقبلوا كلهم على عبادة العجل الا هارون مع اثنى عشر الفا وهم اتبعوا هارون ولم يتبع غيرهم وهارون قد نصحهم ونهاهم وقال يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة وكانت فتنتهم فى تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى وظنوا انه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامرى عكفوا على العجل يعبدونه قال ابو الليث فى تفسيره وهذا الطريق اصح فلما رجع موسى ووجدهم على ذلك القى الالواح فرفع من جملتها ستة اجزآء وبقى جزؤ واحد وهو الحلال والحرام وما يحتاجون واحرق العجل وذراه فى البحر فشربوا من مائه حبا للعجل فظهرت على شفاههم صفرة وورمت بطونهم فتابوا ولم تقبل توبتهم دون ان يقتلوا انفسهم هذه حالهم واما هذه الامة فلا يحتاجون الى قتل النفس فى الصورة وتوبتهم الحقيقية انما هى الرجوع الى الله بقتل النفس الامارة التى تعبد عجل الهوى (قال فى المثنوى) اى شهان كشتيم ما خصم برون * ماند خصمى زو بتر در اندرون * كشتن اين كار عقل وهوش نيست * شير باطن سخرهٔ خركوش نيست * نفس اژدرهاست او كى مرده است * از غم وبى آلتى افسرده است * كر بيابد آلت فرعون او * كه بامر او همى رفت آب جو * آنكه او بنياد فرعونى كند * راه صد موسى وصد هارون زند * واعلم ان تعيين عدد الاربعين فى الميعاد لاختصاصه فى الكمالية وذلك لان مراتب الاعداد اربع الاحاد والعشرات والمئات والالوف والعشرة عدد فى نفسها كاملة كقوله تعالى تلك عشرة كاملة واذا ضعفت العشرة اربع مرات وهو كمال مراتب الاعداد يكون اربعين وهو كمال الكمال وهو اعداد ايام تخمير طينة ادم عليه السلام كقوله تعالى خمرت طينة آدم بيدى اربعين صباحا فللاربعين خاصية وتأثير لم توجد فى غيره من الاعداد كما قال صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك

الحديث كما ان انعقاد الطلسم الجسمانى على وجه الكنز الروحانى كان مخصوصا بالاربعين كذلك انحلاله يكون باختصاص الاربعين سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا واما اختصاص الليل بالذكر فى قوله اربعين ليلة فلمعنيين احدهما ان لليل خصوصية فى التعبد والتقرب كقوله عليه السلام ان اقرب ما يكون العبد من الرب فى جوف الليل وهكذا قوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة الى السماء الدنيا الحديث ولهذا المعنى قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ومن الليل فتهجد به نافلة لك الاية وقال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام والاخر انه لو ذكر اليوم دون الليل يظن انه موعود بالتعبد فى النهار دون الليل وانما الليل جعل للاستراحة والسكون كقوله تعالى هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا فلما خص الليل بالذكر علم موسى عليه السلام ان التعبد فى الليل واليوم جميعا كذا فى التأويلات النجمية قال الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره ان النبى عليه السلام لم يعين الاربعين بل اعتكف فى العشر الاخير ثم فعل موسى عليه السلام قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر والخلوتية اخذوا من ذلك كذا فى واقعات الشيخ الهدآئى قدس الله نفسه الزاكية قال فى التأويلات النجمية ايضا الشكر على ثلاثة اوجه شكر بالاقوال وشكر بالاعمال وشكر بالاحوال فشكر الاقوال ان يتحدث بالنعم مع نفسه اسرارا ومع غيره اظهارا ومع ربه افتقارا كما قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقوله صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعم شكر وشكر الاعمال ان يصرف نعمة الله فى طاعته ولا يعصيه بها ويتدارك ما فاته من الطاعات ويادره من المعاصى كقوله تعالى اعملوا آل داود شكرا وشكر الاحوال ان يتجلى المنعم بصفة الشكورية على سر العبد فلا يرى الا المنعم فى النعمة والشكور فى الشكر ويرى المنعم فى النعم والنعمة من المنعم والشكور فى الشكر والشكر من الشكور ويرى وجوده وشكره نعمتين من نعم المنعم ورؤية النعمة فيكون نعمة وجوده مرءآة جمال المنعم ويكون شكره مرءآة جمال الشكور ورؤية المنعم والنعمة نعمة اخرى الى غير نهاية فيعلم ان لا يقوم باداء شكره ولا يشكره الا الشكور ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور (و) اذكروا يا بنى اسرآئيل هذا هو الانعام الخامس (اذ قال موسى) وقت قوله (لقومه) الذين عبدوا العجل (يا قوم) اى يا قومى والاضافة للشفقة (انكم ظلمتم انفسكم) اى ضررتم انفسكم بايجاب العقوبة عليها ونقصتم الثواب الواجب بالاقامة على عهد موسى (باتخاذكم العجل) اى معبودا قالوا اى شئ نصنع قال (فتوبوا) اى فاعزموا على التوبة والفاء للسببية لان الظلم سبب للتوبة (الى بارئكم) اى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة والتعرض لعنوان البارئية للارشاد بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذى خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذى هو مثل فى الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان تسترد هى منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب قالوا كيف نتوب قال (فاقتلوا انفسكم) اى ليقتل البرئ منكم المجرم وانما قال انفسكم لان المؤمنين اخوة واخو الرجل كانه نفسه قال تعالى ولا تلمزوا انفسكم يعنى ذكر قتل الانفس واراد به قتل الاخوان وهذا كما قال ولا تلمزوا انفسكم اى ولا تغتابوا اخوانكم من المسلمين كذا فى التيسير وتفسير ابى الليث والفاء للتعقيب وتوبتهم هى قتلهم اى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم كذا فى الكشاف وقال فى التفسير الكبير وليس المراد تفسير التوبة بقتل النفس بل بيان ان توبتهم لا تتم ولا تحصل الا بقتل النفس وانما كان كذلك لان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل (ذلكم) اى التوبة والقتل (خير لكم عند بارئكم) انفع لكم عند الله من الامتناع الذى هو اصرار وفيه عذاب لما ان القتل طهرة عن الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية (فتاب عليكم) خطاب منه تعالى اى ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم اى قبل توبتكم وتجاوز عنكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم فان قلت انه تعالى امر بالقتل والقتل لا يكون نعمة قلت ان الله نبههم على عظيم ذنبهم ثم نبههم على ما به يتخلصون عن ذلك العظيم وذلك من النعم فى الدين (انه) الله تعالى (هو التواب) اى الذى يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ فى قبولها منهم (الرحيم) كثير الرحمة للمطيعين امره حيث جعل القتل كفارة لذنوبهم (قال السعدى) فرو ماند كانرا برحمت قريب * تضرع كنانرا بدعوت مجيب * روى انهم

لما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله فجلسوا بالافنية محتبين ظهورهم مذعنين وقيل لهم من حل حبوته اومد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو ملعون مردود توبته واصلت القوم عليهم الخناجر اى حملوا عليهم الخناجر ورفعوا او ضربوهم بها وكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضى لامر الله قالوا ياموسى كيف نفعل فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لايبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون وبكيا وتضرعا وقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة ونزلت التوبة وامرهم ان يكفوا عن القتل فقتل منهم سبعون الفا فكان من قتل شهيدا ومن بقى مغفورة ذنوبه واوحى الى موسى عليه السلام انى ادخل القاتل والمقتول الجنة هذا على رواية ان القاتل من المجردين على ان معنى قوله فاقتلوا انفسكم ليقتل بعض المجرمين بعضا فالقاتل هو الذى بقى من المجرمين بعد نزول امر الكف عن القتال والا فالقاتل على الرواية الاخرى هو البرئ كما سبق فى تفسير الاية روى ان الامر بالقتل من الاغلال التى كانت عليهم وهى المواثيق اللازمة لزوم الغل ومن الاصر وهو الاعمال الشاقة كقطع الاعضاء الخاطئة وعدم جواز صلاتهم فى غير المسجد وعدم التطهير بغير الماء وحرمة اكل الصائم بعد النوم ومنع الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع مالهم وكتابة ذنب الليل على الباب بالصبح وكما روى ان بنى اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما يثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية ويحبس نفسه على العبادة فهذه الامور رفعت عن هذه الامة تكريما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فالتوبة نعمة من الله انعم بها على هذه الامة دون غيرها ولها اربع مراتب فالاولى مختصة باسم التوبة وهى اول منزل من منازل السالكين وهى للنفس الامارة وهذه مرتبة عوام المؤمنين وهى ترك المنهيات والقيام بالمأمورات وقضاء الفوائت ورد الحقوق والاستحلال من المظالم والندم على ماجرى والعزم على ان لايعودوا والمرتبة الثانية الانابة وهى للنفس اللوامة وهذه مرتبة خواص المؤمنين من الاولياء والانابة الى الله بترك الدنيا والزهد فى ملاذها وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس بمخالفة هواها والمداومة على جهادها فالنفس اذا تحلت بالانابة دخلت فى مقام القلب واتصفت بصفته لان الانابة من صفات القلب قال تعالى وجاء بقلب منيب والمرتبة الثالثة الاوبة وهى للنفس الملهمة وهذه مرتبة خواص الاولياء والاوبة الى الله من آثار الشوق الى لقائه فالنفس اذا تحلت بالاوبة دخلت فى مقام الروح ومن امارات الاواب المشتاق ان يستبدل المخالطة بالعزلة ومنادمة الاخدان بالخلوة واستوحش عن الخلق واستأنس بالحق وجاهد نفسه فى الله حق جهاده ساعيا فى قطع تعلقاتها عن الكونين والمرتبة الرابعة وهى للنفس المطمئنة وهذه مرتبة الانبياء واخص الاولياء قال تعالى ارجعى الى ربك وهى صورة جذبة العناية الربوبية نفوس الانبياء والاولياء تجذبها من انانيتها الى هوية ربوبيته راضية اى طائعة تلك النفوس شوقا الى لقاء ربها مرضية اى على طريقة مرضية فى السير لربها باذلة نفسها فى مشاهدة اللقاء طامعة لرفع الاثنينية ودوام الالتقاء قيل لما قدم الحلاج ليقطع يده قطعت اليد اليمنى اولا فضحك ثم قطعت اليد اليسرى فضحك ضحكا بليغا فخاف ان يصفر وجهه من نزف الدم فكب بوجهه على الدم السائل ولطخ وجهه بدمه وانشأ يقول

الله يعلم ان الروح قد تلفت * شوقا اليك ولكنى امنيها
ونظرة منك ياسؤلى ويا املى * اشهى الى من الدنيا ومافيها
ياقوم انى غريب فى دياركمو * سلمت روحى اليكم فاحكموا فيها
ما اسلم النفس للاسقام تتلفها * الا لعلمى بان الوصل يحييها
نفس المحب على الآلام صابرة * لعل مسقمها يوما يداويها

ثم رفع رأسه الى السماء وقال يامولاى انى غريب فى عبادك وذكرك اغرب منى والغريب يألف الغريب ثم ناداه رجل وقال ياشيخ ما العشق قال ظاهره ماترى وباطنه دق عن الورى وفى التأويلات النجمية ان لكل قوم عجلا يعبدونه من دون الله قوم يعبدون عجل الدراهم والدنانير وقوم يعبدون عجل الشهوات وقوم يعبدون عجل الجاه وقوم يعبدون عجل الهوى وهذا ابغضها على الله فالله تعالى يلهم موسى قلب كل سعيد ليقول ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم اى ارجعوا الى الله بالخروج عما سواه ولا يمكنكم الا بقتل النفس

فاقتلوا انفسكم بقمع الهوى لان الهوى هو حياة النفس وبالهوى ادعى فرعون الربوبية وعبد بنوا اسرائيل العجل وبالهوى ابى واستكبر ابليس اوارجعوا بالاستنصار على قتل النفس بنهيها عن هواها فاقتلوا انفسكم بنصر الله وعونه فان قتل النفس فى الظاهر يتيسر للمؤمن والكافر فاما قتل النفس فى الباطن وقهرها فامر صعب لايتيسر الا لخواص الحق بسيف الصدق وبنصر الحق ولهذا جعل مرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رجع من غزو يقول رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وذلك لان المجاهد اذا قتل بسيف الكفار يستريح من التعب بمرة واحدة واذا قتل بسيف الصدق فى يوم الف مرة تحيى كل مرة نفس على بصيرة اخرى وتزداد فى مكرها فلا يستريح المجاهد طرفة عين عن جهادها ولا يأمن مكرها وبالحقيقة النفس هى صورة مكر الحق ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ذلكم خير لكم عند بارئكم يعنى قتل النفس بسيف الصدق خير لكم لان بكل قتلة رفعة ودرجة لكم عند بارئكم فانتم تتقربون الى الله بقتل النفس وقمع الهوى وهو يتقرب اليكم بالتوفيق للتوبة والرحمة عليكم كما قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وذلك قوله فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم (قال فى المثنوى) عمر اگر بگذشت بيخش اين دم است * آب توبيش ده اگر او بى نم است * بيخ عمرت را بده آب حيات * تا درخت عمر گردد با نبات (واذ قلتم) هذا هو الانعام السادس اى واذكروا يابنى اسرائيل وقت قول السبعين من اسلافكم الذين اختارهم موسى حين ذهبوا معه الى الطور للاعتذار عن عبادة العجل وهم غير السبعين الذين اختارهم موسى اول مرة حين اراد الانطلاق الى الطور بعد غرق فرعون لاتيان التوراة (ياموسى لن نؤمن لك) لن نصدقك لاجل قولك ودعوتك على ان هذا كتاب الله وانك سمعت كلامه وان الله تعالى امرنا بقبوله والعمل به (حتى نرى الله جهرة) اى عيانا لاساتر بيننا وبينه كالجهر فى الوضوح والانكشاف لان الجهر فى المسموعات والمعاينة فى المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية فكانها مصدر الفعل الناصب او حال من الفاعل والمعنى حتى نرى الله مجاهرين او من المفعول والمعنى حتى نرى الله مجاهرا بفتح الهاء (فاخذتكم الصاعقة) هى نار محرقة فيها صوت نازلة من السماء وهى كل امر مهول مميت او مزيل للعقل والفهم وتكون صوتا وتكون نارا وتكون غير ذلك وانما احرقتهم الصاعقة لسؤالهم ما هو مستحيل على الله فى الدنيا ولفرط العناد والتعنت وانما الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الاخرة وللافراد من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا (وانتم تنظرون) الى الصاعقة النازلة فان كانت نارا فقد عاينوها وان كانت صوتا هائلا فقد مات بعضهم اولا ورأى الباقون انهم ماتوا ويسمى هذا رؤية الموت مجازا (ثم بعثناكم) اى احييناكم (من بعد موتكم) بتلك الصاعقة وقيد البعث بقوله من بعد موتكم مع انه يكون بعد الموت لما انه قد يكون من الاغماء او من النوم قال قتادة احياهم ليستوفوا بقية آجالهم وارزاقهم وكان ذلك الموت بلا اجل وكانت تلك الموتة لهم كالسكتة لغيرهم قبل انقضاء آجالهم ولو ماتوا باجالهم لم يبعثوا الى يوم القيامة فان قلت كيف يجوز ان يكلفهم وقد اماتهم ولو جاز ذلك فلم لايجوز ان يكلف اهل الاخرة اذا بعثوا بعد الموت قلنا الذى يمنع من تكليفهم فى الاخرة هو الاماتة ثم الاحياء وانما يمنع من ذلك لانه قد اضطرهم يوم القيامة الى معرفته والى معرفة ما فى الجنة من اللذات وما فى النار من الالام وبعد العلم الضرورى لاتكليف فاذا كان المانع هو هذا لم يمتنع فى هؤلاء الذين اماتهم الله بالصعقة ان لايكون قد اضطرهم واذا كان كذلك صح ان يكلفوا من بعد ويكون موتهم ثم الاحياء بمنزلة النوم او بمنزلة الاغماء (لعلكم تشكرون) نعمة الحياة بالتوحيد والطاعة او لعلكم تشكرون وقت مشاهدتكم بأس الله بالصاعقة نعمة الايمان التى كفرتموها بقولكم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فان ترك النعمة لاجل طلب الزيادة كفران لها اى لعلكم تشكرون نعمة الايمان فلا تعودون الى اقتراح شئ بعد ظهور المعجزة واصل القصة ان موسى عليه السلام لما رجع من الطور الى قومه فرأى ماهم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه والسامرى ماقال واحرق العجل والقاه فى البحر وندم القوم على مافعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى ان يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين من قومه من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربنا حتى يسمعنا كلامه فسأل موسى عليه السلام ذلك فاجابه الله ولما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام

وتغشى الجبل كله ودنا من موسى ذلك الغمام حتى دخل فيه وقال للقوم ادخلوا فكلم الله موسى يامره وينهاه وكلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل لا تفعل فعند ذلك طمعوا فى الرؤية وقالوا ما قالوا فاخذتهم الصاعقة فخروا صعقين ميتين يوما وليلة فلما ماتوا جميعا جعل موسى يبكى ويتضرع رافعا يديه الى السماء يدعو ويقول يا الهى اخترت من بنى اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودى بقبول توبتهم وماذا اقول لهم اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم لو شئت اهلكتهم قبل هذا اليوم مع اصحاب العجل اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم الله ورد اليهم ارواحهم وطلب توبة بنى اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم قالوا ان موسى عليه السلام سأل الرؤية فى المرة الاولى فى الطور ولم يمت لان صعقته لم تكن موتا ولكن غشية بدليل قوله تعالى فلما افاق وسأل قومه فى المرة الثانية حين خرجوا للاعتذار وماتوا وذلك لان سؤال موسى كان اشتياقا وافتقارا وسؤال قومه كان تكذيبا واجتراء ولم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى الجهات والاحياز المقابلة للرائى وهى محال وليس فى الاية دليل على نفى الرؤية بل فيها اثباتها وذلك ان موسى عليه السلام لما سأله السبعون لم ينههم عن ذلك وكذلك سأل هو ربه الرؤية فلم ينهه عن ذلك بل قال فان استقر مكانه فسوف ترانى وهذا تعليق بما يتصور قال بعض العلماء الحكماء الحكمة فى ان الله تعالى لا يرى فى الدنيا وجوه الاول ان الدنيا دار اعدائه لان الدنيا جنة الكافر الثانى لو رآه المؤمن لقال الكافر لو رأيته لعبدته ولو رأوه جميعا لم يكن لاحدهما مزية على الآخر الثالث ان المحبة على غيب ليست كالمحبة على عين الرابع ان الدنيا محل المعيشة ولو رآه الخلق لاشتغلوا عن معايشهم فتعطلت الخامس انه جعلها بالبصيرة دون البصر ليرى الملائكة صفاء قلوب المؤمنين السادس ليقدر قدرها اذ كل ممنوع عزيز السابع انما منعها رحمة بالعباد لما جبلوا عليه فى هذه الدار من الغيرة اذ لو رآه احد تصدع قلبه من رؤية غيره اياه كما تصدع الجبل غيرة من ان يراه موسى والاشارة فى الاية ان مطالبة الرؤية جهرة هى تعرض مطالعة الذات غفلة فيوجب سوء الادب وترك الحرمة وذلك من امارات البعد والشقاوة فمن سطوات العظمة والعزة اخذتهم الرجفة والصعقة اظهارا للعدل ثم افاض عليهم سجال النعم اسبالا للستر على هيئات العبيد والخدم وقال ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون اظهارا للفضل ومن علامات الوصلة ودلالات السعادة التولى بمكاشفات العزة مقرونا بملاطفات القربة فمن اصلح حاله لم يطلق لسان الجهل بل اتى البيت من بابه ويتأدب فى سؤاله وجوابه (قال فى المثنوى) پيش شاهان ميكنى ترك ادب * نارشهوت را ازان كشتى حطب * چون ندارى فطنت ونورهدى * بهر كوران روى را ميزن جلا * ولا بد من قتل النفس الامارة حتى تحكم فى عالم الحقيقة بما شئت قال القشيرى التوبة بقتل النفوس غير منسوخة فى هذه الامة الا ان بنى اسرائيل كان لهم قتل انفسهم جهرا وهذه الامة توبتهم بقتل انفسهم فى انفسهم سرا واول قدم هو القصد الى الله والخروج من النفس لله قال ولقد توهم الناس ان توبة بنى اسرائيل كانت اشق وليس كما توهموا فان ذلك كان مرة واحدة واهل الخصوص من هذه الامة قتلهم انفسهم فى كل لحظة كما قيل

ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

(وفى المثنوى) قوت از حق خواهم وتوفيق ولاف * تا بسوزن بركنم اين كوه قاف * سهل شيرى دانكه صفها بشكند * شير آنست انكه خودرا بشكند (وظللنا عليكم الغمام) هذا هو الانعام السابع اى جعلنا الغمام ظلة عليكم يا بنى اسرائيل وهذا جرى فى التيه بين مصر والشام حين خرجوا من مصر وجاوزوا البحر وقعوا فى صحراء لا ابنية فيها امرهم الله تعالى بدخول مدينة الجبارين وقتالهم فقبلوا فلما قربوا منها سمعوا بان اهلها جبارون اشداء قامة احدهم سبعمائة ذراع ونحوها فامتنعوا وقالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فعاقبهم الله بان يتيهوا فى الارض اربعين سنة وكانت المفازة يعنى التيه اثنى عشر فرسخا فاصابهم حر شديد وجوع مفرط فشكوا الى موسى فرحمهم الله فانزل عليهم عمودا من نور يدلى لهم من السماء فيسير معهم بالليل يضئ لهم مكان القمر اذا لم يكن قمر وارسل غماما ابيض رقيقا اطيب من غمام المطر يظللهم من حر الشمس فى النهار وسمى السحاب غماما لانه يغم السماء اى يسترها والغم حزن

يستر القلب ثم سألوا موسى الطعام فدعا ربه فاستجاب له وهو قوله تعالى (وانزلنا عليكم المن) اى الترنجبين بتشديد الراء وتسكين النون كان ابيض مثل الثلج كالشهد المعجون بالسمن او المن جميع ما من الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ومنه قوله عليه السلام الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين اى مما من الله على عباده والظاهر ان مجرد مائه شفاء لانه عليه السلام اطلق ولم يذكر الخلط ولما روى عن ابى هريرة انه قال عصرت ثلاثة اكمؤ وجعلت ماءها فى قارورة فكحلت منه جارية لى فبرئت باذن الله تعالى وقال النووى رأينا فى زماننا اعمى كحل عينه بمائها مجردا فشفى وعاد اليه بصره ثم لما طال عليهم اكله قالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فانزل الله عليهم السلوى وذلك قوله (والسلوى) هو السمانى كانت تحشره عليهم الريح الجنوب وكانت الريح تقطع حلوقها وتشق بطونها وتمعط شعورها وكانت الشمس تنضجها فكانوا يأكلونها مع المن واكثر المفسرين على انهم يأخذونها فيذبحونها فكان ينزل عليهم المن نزول الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وتأتيهم السلوى فيأخذ كل انسان منهم كفايته الى الغد الا يوم الجمعة يأخذ ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت لانه كان يوم عبادة فان اخذ اكثر من ذلك دود وفسد (كلوا) اى قلنا لهم كلوا (من طيبات) حلالات (ما رزقناكم) من المن والسلوى ولا ترفعوا منه شيأ ادخارا ولا تعصوا امرى فرفعوا وجعلوا اللحم قديدا مخافة ان ينفد ولولم يرفعوا لدام عليهم ذلك والطيب ما لا تعافه طبعا ولا تكرهه شرعا (وما ظلمونا) اى فظلموا بان كفروا تلك النعمة الجليلة وادخروا بعد ما نهوا عنه وما ظلمونا اى ما بخسوا بحقنا (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) باستيجابهم عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مؤنة فى الدنيا ولا حساب فى العقبى فرفعنا ذلك عنهم لعدم توكلهم علينا (قال فى المثنوى) سالها خوردى وكم نامد زخور * ترك مستقبل كن وماضى نكر * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولا يخنز اللحم ولولا خيانة حواء لم تخن انثى زوجها الدهر واستمر النتن من ذلك الوقت لان البادئ للشئ كالحامل للغير على الاتيان به وكذلك استمرت الخيانة من النساء لان ام النساء خانت بان اغواها ابليس قبل آدم حتى اكلت من الشجرة ثم اتت آدم فزينت له ذلك حتى حملته على ان اكل منها فاستمرت تلك الخيانة من بناتها لازواجها (قال السعدى) كرا خانه آباد وهمخوابه دوست * خدا را برحمت نظر سوى اوست * قال فى الاشباه والنظائر الطعام اذا تغير واشتد تغيره تنجس وحرم واللبن والزيت والسمن اذا انتن لا يحرم اكله انتهى والاشارة فى الاية انه تعالى لما ادبهم بسوط الغربة ادركهم بالرحمة فى وسط الكربة فاكرمهم بالانعام وظللهم بالغمام ومن عليهم بالمن وسلاهم بالسلوى فلا شعورهم كانت تطول ولا اظفارهم كانت تنبت ولا ثيابهم كانت تخلق او تتسخ وتدرن بل كانت تنمو صغارها حسب نمو الصغار والصبيان ولا شعاع الشمس كان ينبسط وكذلك سنته بمن حال بينه وبين اختياره يكون ما اختاره خيرا له مما يختاره العبد لنفسه فما ازدادوا بشؤم الطبيعة الا فى البلوى كما قيل كلوا من طيبات ما رزقناكم بامر الشرع وما ظلمونا اذ تصرفوا فيها بالطبع ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالحرص على الدنيا ومتابعة الهوى قال فى التنوير وما ادخلك الله فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه فلا تكفر نعمة الله عليك فيما تولاك به من ذلك كان بعضهم يسير فى البادية وقد اصابه العطش فانتهى الى بئر فارتفع الماء الى رأس البئر فرفع رأسه الى السماء وقال اعلم انك قادر ولكن لا اطيق هذا فلو قيضت لى بعض الاعراب يصفعنى صفعات ويسقينى شربة ماء كان خيرا لى ثم انى اعلم ان ذلك الرفق من جهته فقد عرفت ان مكر الله خفى فلا تغرنك النعم الظاهرة والباطنة وليكن عزمك على الشكر والاقامة فى حد اقامك الله فيه والافتضل وتشقى وقد قال الشيخ ابو عبد الله القرشى من لم يكن كارها لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصى فهى حجاب فى حقه وسترها عنه رحمة فالنعمة كما انها سبب للسعادة كذلك هى سبب للشقاوة استدراجا (قال فى المثنوى) بنده مى نالد بحق از درد ونيش * صد شكايت ميكند از رنج خويش * حق همى كويد كه آخر رنج ودرد * مر ترا لابه كنان اوست كرد * اين كله زان نعمتى كن كت زند * از در ما دور ومطرودت كند * فلا بد للمؤمن السالك من الفناء عن الذات والصفات والافعال والدور مع الامر الالهى فى كل حال حتى يكون من الصديقين واهل اليقين اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك واجعلنا من الذين معك فى تقلباتهم وكل معاملاتهم آمين آمين آمين بجاه النبى الامين (واذ قلنا) هذا

هو الانعام الثامن لانه تعالى اباح لهم دخول البلدة وازال عنهم التيه اى اذكروا يا بنى اسرآئيل وقت قولنا لا بائكم اثر ما انقذتم من التيه (ادخلوا هذه القرية) منصوب على الظرفية اى مدينة بيت المقدس والقرية بفتح القاف وكسرها ما يجتمع فيه الانسان اخذ من القرء (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) اى اكلا واسعا هنيئا على ان النصب على المصدرية او هو حال من الواو فى كلوا اى راغدين متوسعين وفيه دلالة على ان المأمور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى قال فى التيسير اى ابحنا لكم ووسعنا عليكم فتعيشوا فيها انى شئتم بلا تضييق ولا منع وهو تمليك لهم بطريق الغنيمة وذكر الاكل لانه معظم المقصود (وادخلوا الباب) اى بابا من ابواب القرية وكان لها سبعة ابواب والمراد الباب الثانى من بيت المقدس ويعرف اليوم بباب حطة او باب القبة التى كان يتعبد فيها موسى وهارون ويصليان مع بنى اسرآئيل اليها (سجدا) اى ركعا منحنين ناكسى رؤسكم بالتواضع على ان يكون المراد به معناه الحقيقى او ساجدين لله تعالى شكرا على اخراجكم من التيه على ان يكون المراد به معناه الشرعى (وقولوا حطة) رفع بخبرية المبتدأ المحذوف اى مسئلتنا من الله ان يحط عنا ذنوبنا او نصب اى حط عنا ذنوبنا حطة وقيل اريد بها كلمة الشهادة اى قولوا كلمة الشهادة الحاطة للذنوب (نغفر لكم) مجزوم على انه جواب الامر من الغفر وهو الستر اى نستر عليكم (خطاياكم) جمع خطيئة ضد الصواب اى ذنوبكم فلا نجازيكم بها لما تفعلون من السجود والدعاء وهم الذين عبدوا العجل ثم تابوا (وسنزيد المحسنين) ثوابا من فضلنا وهم الذين لم يعبدوا العجل والمحسن من احسن فى فعله والى نفسه وغيره وقيل المحسن من صحح عقد توحيده واحسن سياسة نفسه واقبل على اداء فرآئضه وكف شره وقيل هو الفاعل ما يجمل طبعا ويحمد شرعا واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد زيادة الثواب وان لم يقل حطة فكيف اذا قالها واستغفر وانه يقول ويستغفر لا محالة امرهم بشيئين بعمل يسير وقول صغير فالعمل الانحناء عند الدخول والقول التكلم بالمقول ثم وعد عليهما غفران السيئات والزيادة فى الحسنات (فبدل الذين ظلموا) اى غير الذين ظلموا انفسهم بالمعصية ما قيل لهم من التوبة والاستغفار (قولا) آخر مما الاخير فيه فاحد مفعولى بدلوا محذوف (غير الذى قيل لهم) غير نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه روى انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية وهى لغتهم حطا سمقاثا يعنون حنطة حمرآء استخفافا بامر الله تعالى وقال مجاهد طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فابوا ان يدخلوه سجدا فدخلوا يزحفون على استاههم مخالفة فى الفعل كما بدلوا القول واما المحسنون ففعلوا ما امروا به ولذا لم يقل فبدلوا بل قال الذين ظلموا وظاهره انهم بدلوا القول وحده دون العمل به وبه قال جماعة وقيل بل بدلوا العمل والقول جميعا ومعنى قوله قولا غير الذى قيل لهم اى امرا غير الذى امروا به فان امر الله قول وهو تغيير جميع ما امروا به (فانزلنا) اى عقيب ذلك (على الذين ظلموا) اى غيروا ما امروا به ولم يقل عليهم على الاختصار وقد سبق ذكر الذين ظلموا الاية لانه سبق ذكر المحسنين ايضا فلو اطلق لوقع احتمال دخول الكل فيه ثم هذا ليس بتكرار لان الظلم اعم من الصغائر والكبائر والفسق لا بد وان يكون من الكبائر فالمراد بالظلم ههنا الكبائر بقرينة الفسق والمراد بالظلم المتقدم هو ما كان من الصغائر (رجزا من السماء) اى عذابا مقدرا والتنوين للتهويل والتفخيم (بما) مصدرية (كانوا يفسقون) بسبب خروجهم عن الطاعة والرجز فى الاصل ما يعاف عنه ويستنكره وكذلك الرجس والمراد به الطاعون روى انه مات فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا ودام فيهم حتى بلغ سبعين الفا وفى الحديث الطاعون رجز ارسل على بنى اسرآئيل او على من كان قبلكم فاذا سمعتم الطاعون بارض فلا تدخلوها واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها وفى الحديث ايضا اتانى جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشأم فالطاعون شهادة لامتى ورحمة لهم ورجس على الكافر واعلم ان من مات من الطاعون مات شهيدا او يأمن فتنة القبر وكذا الصابر فى الطاعون اذا مات بغير الطاعون وقى فتنة القبر لانه نظير المرابط فى سبيل الله تعالى فالمطعون شهيد وهو من مات من الطاعون والصابر المحتسب فى حكمه وكذا المبطون وهو الميت من دآء البطن وصاحب الاسهال والاستسقاء داخل فى المبطون لان عقله لا يزال حاضرا وذهنه باقيا الى حين موته ومثل ذلك صاحب السل وكذا الغرق شهيد وهو بكسر الرآء من يموت غريقا فى الماء وكذا صاحب الهدم بفتح الدال ما يهدم وصاحبه من يموت تحته وكذا المقتول فى سبيل الله

وكذا

وكذا صاحب ذات الجنب والحرق والمرأة الجمعاء وهى من تموت حاملا جامعا ولدها وليس موت هؤلاء كموت من يموت فجاة او من يموت بالسام او البرسام والحميات المطبقة او القولنج او الحصاة فتغيب عقولهم لشدة الالم ولورم ادمغتهم وافساد امزجتها واعلم ان الطاعون مرض يكثر فى الناس ويكون نوعا واحدا والوباء هو المرض العام قد يكون بطاعون وقد لا يكون وفى الحديث فناء امتى بالطعن والطاعون قيل يا رسول الله هذا الطعن قد عرفنا فما الطاعون قال وخز اعدآئكم من الجن وفى كل شهادة قال ابن الاثير الطعن القتل بالرمح والوخز طعن بلا انفاذ وهذا لا ينافى قوله عليه السلام فى حديث آخر غدة كغدة البعير تخرج فى مراق البطن وذلك ان الجنى اذا وخز العرق من مراق البطن خرج من وخزه الغدة فيكون وخز الجنى سبب الغدة الخارجة والغدة هى التى تخرج فى اللحم والمراق اسفل البطن وفى الحديث اذا بخس المكيال حبس القطر واذا كثر الزنى كثر القتل واذا كثر الكذب كثر الهرج والحكمة ان الزنى اهلاك النفس لان ولد الزنى هالك حكما فلذلك وقع الجزآء بالموت الذريع اى السريع لان الجزآء من جنس العمل الا يرى ان بخس المكيال يجازى بمنع القطر الذى هو سبب لنقص ارزاقهم وكذا الكذب سبب للتفرق والعداوة بين الناس ولهذا يجازى بالهرج الذى هو الفتنة والاختلاط وانما عمت البلية اينما وقعت لتكون عقوبة على اخوان الشياطين وشهادة ورحمة لعباد الله الصالحين اذ الموت تحفة للمؤمن وحسرة للفاسق ثم يبعثهم الله على قدر اعمالهم ونياتهم فيجازيهم والفرار من الطاعون حرام اذ الفرار نسيان الفاعل المختار كما قال ابن مسعود رضى الله عنه الطاعون فتنة على الفار والمقيم اما الفار فيقول بفراره نجوت واما المقيم فيقول اقمت فمت وفى الحديث الفار من الطاعون كالفار من الزحف والصابر فيه كالصابر فى الزحف والزحف الجيش الذى يرى لكثرته كانه يزحف اى يدب دبيبا والمراد هنا الفرار من الجيش فى الغزو ولكن يجب ان يقيد بالمثل او الضعف فهذا الخبر يدل على ان النهى عن الخروج للتحريم وانه من الكبائر وليس بعيدا ان يجعل الله الفرار منه سببا لقصر العمر كما جعل الله تعالى الفرار من الجهاد سببا لقصر العمر قال تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا واما الخروج بغير طريق الفرار فرخص فيه لكن الرخصة مشروطة بشرآئط صعبة لا يقدر عليها الا الافراد منها حفظ امر الاعتقاد والتحرز من الاسباب العادية للمرض كالهوآء الفاسد وغيره ورخصة لكن مباشرة الحمية لاجل الخلاص عن الموت سفه وعبث لا يشك فى حرمتها عوام المسلمين فضلا عن خواصهم قالوا فى بعض الامراض سراية الى ما يجاوره باذن الله تعالى كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان من القرف التلف والقرف بالتحريك مداناة المرضى واما قوله عليه السلام لا عدوى فانما هو نفى للتعدى طبعا كما هو اعتقاد اهل الجاهلية حيث كانوا يرون التأثير من طبيعة المرض لا نفى للسراية مطلقا والتسبب واجب للعوام والمبتدئين فى السلوك والتوكل افضل للمتوسطين واما الكاملون فليس يمكن حصر احوالهم فالتوكل والتسبب عندهم سيان (قال فى المثنوى) درحذر شوريدن شور وشرست * رو توكل كن توكل بهترست * با قضا پنجه مزن اى تند وتيز * تا نكيرد هم قضا با تو ستيز * مرده بايد بود پيش حكم حق * تا نيايد زخم از رب الفلق * روى ان جالينوس دفع الى اصحابه قرصين مثل البنادق وقال اجعلوا احدهما بعد موتى فوق الحديد الذى يعمل عليه الحدادون والاخر فى جب مملوء من الماء ثم اكسروا الجب ففعلوا كما اوصى فذاب الحديد فى الارض ولم يجدوا منه شيأ وانجمد الماء وقام بلا وعاء قال الحكماء اراد بذلك انى وان قدرت الى اذابة اصلب الاجساد واقامة الماء الذى من طبعه السيلان ما وجدت للموت دوآء ولذا قال بعضهم

الا ايها المغرور تب من غير تأخير * فان الموت قد يأتى ولو صيرت قارونا
بسل مات ارسطاليس بقراط بافلاج * وافلاطون ببرسام وجالينوس مبطونا

قال الشافعى رحمه الله انفس ما يداوى به الطاعون التسبيح ووجهه بان الذكر يرفع العقوبة والعذاب قال تعالى فلولا انه كان من المسبحين وكذا كثرة الصلاة على النبى المحترم صلى الله تعالى عليه وسلم لكن مثل هذا انما يكون مؤثرا اذا اقترن بالشرآئط الظاهرة والباطنة اذ ليس كل ذكر وصلاة شفيعا فى الحضرة الالهية (قال فى المثنوى) كر ندارى تو دم خوش در دعا * رو دعا ميخواه از اخوان صفا * هر كرا دل پاك شد از اعتدال * ان دعايش ميرود تا ذو الجلال * آن دعاى بيخودى خود ديكرست * ان دعا زو نيست كفت داورست *

آن دعا حق ميكند چون او فناست * آن دعا وآن اجابت از خداست * هين بجو اين قوم راای مبتلا * هين غنيمت دار شان پيش از بلا (واذا استسقى موسى) نعمة اخرى كفروها اى اذكروا ايضا يابنى اسرآئيل اذ سأل موسى السقيا (لقومه) لاجل قومه وكان ذلك فى التيه حين استولى عليهم العطش الشديد فاستغاثوا بموسى فدعا ربه ان يسقيهم (فقلنا) له بالوحى ان (اضرب بعصاك) وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا حملها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى (الحجر) اللام اما للعهد والاشارة الى معلوم فقد روى انه كان حجرا طوريا حمله معه وكان خفيفا مربعا كرأس الرجل له اربعة اوجه فى كل وجه ثلاثة اعين اوهو الحجر الذى فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل ان ارفعه فان لله فيه قدرة ولك فيه معجزة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بنوا اسرآئيل ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى يغتسل وحده فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح موسى باثره يقول ثوبى يا حجر حتى نظرت بنوا اسرآئيل الى سوءة موسى فقالوا والله ما بموسى ادرة وهى بالضم نفخة بالخصية واما للجنس اى اضرب الشئ الذى يقال له الحجر وهو الاظهر فى الحجة اى ابين على القدرة فان اخراج الماء بضرب العصا من جنس الحجر اى حجر كان ادل على ثبوت نبوة موسى عليه السلام من اخراجه من حجر معهود معين لاحتمال ان يذهب الوهم الى تلك الخاصية فى ذلك الحجر المعين كخاصية جذب الحديد فى حجر المغناطيس (فانفجرت) اى فضرب فالفاء متعلقة بمحذوف والانفجار الانسكاب والانبجاس الترشح والرش فالرش اول ثم الانسكاب (منه) اى من ذلك الحجر (اثنتا عشرة عينا) ماء عذبا على عدد الاسباط لكل سبط عين وكان يضربه بعصاه اذا نزل فيتفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس (قد علم كل اناس) اى كل سبط من الاسباط الاثنى عشر (مشربهم) اى عينهم الخاصة بهم اوموضع شربهم لا يدخل سبط على غيره فى شربه والمشرب المصدر والمكان والحكمة فى ذلك ان الاسباط كانت بينهم عصبية ومباهاة وكل سبط منهم لا يتزوج من سبط آخر وكل سبط اراد تكثير نفسه فجعل الله لكل سبط منهم نهرا على حدة ليستقوا منها ويسقوا دوابهم لكيلا يقع بينهم جدال ومخاصمة وكان ينبع من كل وجه من الحجر ثلاث اعين تسيل كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثنى عشر ميلا ثم ان الله تعالى قد كان قادرا على تفجير الماء وفلق البحر من غير ضرب لكن اراد ان يربط المسببات بالاسباب حكمة منه للعباد فى وصولهم الى المراد وليترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم فى المعاد ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره فى عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض اولجذب الهوآء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك قال القرطبى فى تفسيره ماورد من انفجار الماء ونبعه من يد نبينا صلى الله عليه وسلم وبين اصابعه اعظم فى المعجزة فانا نشاهد الماء يتفجر من الاحجار اناء الليل واطراف النهار ومعجزة نبينا عليه السلام لم تكن لنبى قبل نبينا يخرج الماء من لحم ودم (كلوا) على ارادة القول اى قلنا لهم اوقيل لهم كلوا (واشربوا من رزق الله) هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء فالاكل يتعلق بالاولين والشرب بالثالث وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام (ولا تعثوا فى الارض) العثى اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا فى الفساد حال كونكم (مفسدين) فالمراد بهذه الحال تعريفهم بانهم على الفساد لا تقييد العامل والا لكان مفهومه مفيدا معنى تمادوا فى الفساد حال كونكم مصلحين وهذا غير جائز اوالاصل فى العثى مطلق التعدى وان غلب فى الفساد فيكون التقييد بالحال تقييدا للعامل بالخاص ودلت الاية على فضيلة امة محمد صلى الله عليه وسلم فان بنى اسرآئيل احتاجوا الى الماء فرجعوا الى موسى ليسأل واحتاجوا الى البقل والقثاء وسائر المأكولات ففعلوا ذلك وهذه الامة اطلق لهم ان يسألوا الله كلما احتاجوه. قال تعالى واسألوا الله من فضله وقال ادعونى استجب لكم وفيها بشارة عظيمة وسأل موسى ربه الماء لقومه بقولهم وسأل عيسى ربه المائدة بقولهم وسأل نبينا عليه السلام المغفرة لنا بامر الله تعالى قال واستغفر لذنبك وللمؤمنين فلما اجاب الله لهما فيما سألاه بطلب القوم فلأن يجيب نبينا فيما سأله بامره اولى وافادت الاية ايضا اباحة الخروج الى الاستسقاء وهو انما يكون اذا دام انقطاع المطر مع الحاجة اليه فالحكم حينئذ اظهار العبودية

والفقر والمسكنة والذلة وقد استسقى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فخرج الى المصلى متواضعا متذللا متخشعا مترسلا متضرعا وجندبة روى ان اعرابيا دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وقال يارسول الله هلكت الكراع والمواشى واجدبت الارض فادع الله ان يسقينا فرفع يديه ودعا قال انس رضى الله عنه والسماء كانها زجاجة ليس بها قزعة فنشأت سحابة ومطرت الى الجمعة القابلة (قال فى المثنوى) تا فرود آيد بلابى دافعى * جون نباشد از تضرع شافعى * تاسقاهم ربهم آيد خطاب * تشنه باش الله اعلم بالصواب * وعدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند اهل الطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كما قال الشيخ المحقق ابن الفارض قدس سره

ويحسن اظهار التجلد للعدى * ويقبح غير العجز عند الاحبة

وفى الحديث لن تخلو الارض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن عليه السلام فبهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله مكانه آخر كرندارى تودم خويش دردعا * زود عا ميخواه از اخوان صفا * وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما عام بامطر من عام ولكنه اذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافى قال الشيخ الشهير بافتاده افندى ترقى الطالب برعاية السنن وذكر انه استسقى الناس مرارا فى زمن الحجاج فلم ينزل لهم قطرة فقيل لهم لو دعا شخص لم يترك سنة العصر والسنة الاولى من العشاء لحصل المقصود والا لا يحصل وان دعوتم اربعين مرة فتفقدوا فلم يجدوا شخصا على الصفة المذكورة فرجع الحجاج الى نفسه فوجدها على ما ذكر فدعا فنزل مطر عظيم فى هذا الحين وحصل المقصود وهذا ببركة رعاية سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه مشهور بالظلم ولا بد فى الاستسقاء من تقديم التوبة والصدقة والصوم وان يجعل صلحاء الناس وسيلة وشفيعا فى ذلك ويستسقى للدواب العاطشة والانعام السائمة والاطفال الضعيفة فلعلهم يسقون ببركتها وليكن الداعى ربه على يقين الاجابة لان ردّ الدعاء اما العجز فى اجابته اولعدم كرم فى المدعوّ اولعدم علم المدعوّ بدعاء الداعى وهذه الاشياء منتفية عن الله تعالى فانه كريم عالم قادر لا مانع له من الاجابة وهو اقرب الى المؤمنين منهم يسمع دعاءهم ويقبل تضرعهم والدعاء مهما كان اعم كان الى الاجابة اقرب فانه لا بد ان يكون فى المسلمين من يستحق الاجابة فاذا اجاب الله دعاء البعض فهو اكرم من ان يرد الباقى وفى الحديث ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك وفى تفسير الفاتحة للفنارى ان استقامة التوجه حال الطلب والندآء عند الدعاء شرط قوى فى الاجابة فمن زعم انه يقصد مناداة زيد وهو يستحضر غيره ثم لم يجد الاجابة فلا يلومن الا نفسه اذ لم يناد القادر على الاجابة وانما توجه الى ما انشأه من صفات تصوراته بالحالة الغالبة عليه اذ ذاك روى ان فرعون قبل دعوى الالهية امر ان يكتب على باب داره بسم الله فلما لم يؤمن بموسى قال الهى ادعوه ولا ارى فيه خيرا قال لعلك تريد اهلاكه انت تنظر الى الغيرة وانا الى ما كتبه على بابه فمن كتبه على سويدآء قلبه ستين سنة اولى بالرحمة فاذا كان حال من كتبه على باب داره هكذا فكيف حال من نقشه على باب قلبه يستجاب دعاؤه لا محالة واول شرآئط الاجابة اصلاح الباطن باللقمة الطيبة وآخرها الاخلاص وحضور القلب يعنى التوجه الاحدى والاشارة فى تحقيق الاية ان الروح الانسانى وصفاته فى عالم القلب بمثابة موسى وقومه وهو يستسقى ربه ليرويها من ماء الحكمة والمعرفة وهو مأمور بضرب عصا لا اله الا الله ولها شعبتان من النفى والاثبات تتقدان نورا عند استيلاء ظلمات صفات النفس وقد حمل من جنة حضرة العزة على حجر القلب الذى كالحجارة اواشد قسوة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة لان كلمة لا اله الا الله اثنا عشر حرفا من كل حرف عين قد علم كل سبط من اسباط الصفات الانسانى وهم اثنا عشر سبطا من الحواس الخمس الظاهرة والحواس الخمس الباطنة والقلب والنفس ولكل واحد منهم مشرب من عين حرف من حروف الكلمة قد علم مشربه ومشرب كل واحد حيث ساقه رآئده وقاده قائده فمشرب عذب فرات ومشرب ملح اجاج فالنفوس ترد مناهل المنى والشهوات والقلوب تشرب من مشارب التقى والطاعات والارواح تشرب من زلال الكشوف والمشاهدات والاسرار تروى من عيون الحقائق بكأس تجلى الصفات عن ساقى وسقاهم ربهم الا ضمحلال فى حقيقة الذات كلوا واشربوا كل واحد من رزق الله بامره ورضاه ولا تعثوا

فى الارض مفسدين بترك الامر واختيار الوزر وبيع الدين بالدنيا وايثار الاخرة على الاولى واختيارهما
على المولى كذا فى التأويلات النجمية (واذ قلتم) تذكير لجناية اخرى لاسلاف بنى اسرآئيل وكفرانهم
لنعمة الله عز وجل خاطبهم تنزيلا لهم مكان آبائهم لما بينهم من الاتحاد وكان هذا القول منهم فى التيه
حين سئموا من اكل المن والسلوى لكونهما غير مبدلين والانسان اذا داوم شيأ واحدا سئمه وتذكروا عيشهم
الاول بمصر لانهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم عكر السوء واشتاقت طباعهم الى ما جرت عليه عادتهم فقالوا
(يا موسى لن نصبر على طعام واحد) الطعام ما يتغذى به وكنوا عن المن والسلوى بطعام واحد وهما اثنان
لانهم كانوا يأكلون احدهما بالآخر فيصيران طعاما واحدا او اريد بالواحد نفى التبدل والاختلاف ولو كان
على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا وفى تفسير البغوى
والعرب تعبر عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقيل
لن نصبر على الغنى فيكون جميعنا اغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض لاستغناء كل واحد بنفسه وكان
فيهم اول من اتخذ العبيد والخدم (فادع لنا ربك) اى سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء
(يخرج لنا) اى يظهر لنا ويوجد شيأ فالمفعول محذوف والجزم لجواب الامر فان دعوته سبب الاجابة
اى ان تدع لنا ربك يخرج لنا (مما تنبت الارض) اسناد مجازى باقامة القابل وهو الارض مقام الفاعل وهو الله
تعالى ومن تبعيضية وما موصولة (من بقلها) من بيانية واقعة موقع الحال من الضمير اى مما تنبته كائنا
من بقلها والبقل ما تنبت الارض من الخضر والمراد اصناف البقول التى تأكلها الناس كالنعناع والكرفس
والكراث واشباهها (وقثائها) اخو القثد وهو شئ يشبه الخيار (وفومها) وهو الحنطة لان ذكر العدس يدل
على انه المراد لانه من جنسه وقيل هو الثوم لان ذكر البصل يدل على انه هو المراد فانه من جنسه قال ابن التمجيد
فى حواشيه وحمله على الثوم اوفق من الحنطة لاقتران ذكره بالبصل والعدس فان العدس يطبخ بالثوم والبصل
(وعدسها) حب معروف يستوى كيله ووزنه (وبصلها) بقل معروف تطيب به القدور (قال) استئناف وقع
جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال الله لهم او موسى عليه السلام فقيل قال انكارا عليهم (أتستبدلون)
اى أتأخذون لانفسكم وتختارون (الذى هو ادنى) اى اقرب منزلة وادون قدرا (بالذى هو خير) اى بمقابلة
ما هو خير فان الباء تصحب الزائل دون الآتى الحاصل وخيرية المن والسلوى فى اللذاذة وسقوط المشقة وغير ذلك
ولا كذلك الفوم والعدس والبصل وامثالها قال بعضهم الحنطة وان كانت اعلى من المن والسلوى لكن
خساستها ههنا بالنسبة الى قيمتها وليس فى الاية ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى وحصول
ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فى صورة المناوبة لانهم ارادوا بقولهم لن نصبر على طعام واحد ان يكون هذا
تارة وذا اخرى (اهبطوا) اى انحدروا وانزلوا من التيه ان كنتم تريدون هذه الاشياء (مصرا) من الامصار
لانكم فى البرية فلا يوجد فيها ما تطلبون وانما يوجد ذلك فى الامصار فالمراد ليس مصر فرعون لقوله تعالى
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم واذا وجب عليهم دخول تلك الارض فكيف يجوز دخول
مصر فرعون وهو الاظهر والمصر البلد العظيم من مصر الشئ يمصره اى قطعه سمى به لانقطاعه عن الفضاء
بالعمارة وقد تسمى القرية مصرا كما تسمى المصر قرية وهو ينصرف ولا ينصرف فصرف ههنا لان المراد غير
معين وقيل اريد به مصر فرعون وانما صرف لسكون وسطه كهند ودعد ونوح اولتأويله بالبلد دون المدينة فلم
يوجد فيه غير العلمية (فان لكم ما سألتم) تعليل للامر بالهبوط اى فان لكم فيه ما سألتموه من بقول الارض
(وضربت عليهم الذلة) اى الذل والهوان (والمسكنة) اى الفقر يسمى الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده
عن الحركة اى جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان
عنهم مجازاة لهم على كفرانهم كما يضرب الطين على الحائط فهو استعارة بالكناية فترى اليهود وان كانوا مياسير
كأنهم فقراء (وباؤا) اى رجعوا (بغضب) عظيم كائن (من الله) اى استحقوا به ولزمهم ذلك ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم ابوء بنعمتك على اى اقربها والزمها نفسى وغضب الله تعالى ذمه اياهم فى الدنيا وعقوبتهم فى الاخرة
(ذلك) اى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم (بانهم) اى بسبب ان اليهود (كانوا يكفرون) على
الاستمرار بآيات الله الباهرة التى هى المعجزات الساطعة الظاهرة على يدى موسى عليه السلام مما عدا ولم يعد

وكذبوا بالقرءآن ومحمد عليه السلام وانكروا صفته فى التوراة وكفروا بعيسى والانجيل (ويقتلون النبيين بغير
الحق) كشعيب وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان يكون بحق الايذان
بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا بحقية قتل احدهم عليهم السلام فان قيل كيف جاز ان
يخلى بين الكافرين وقتل الانبياء قيل ذلك كرامة لهم وزيادة فى منازلهم كمثل من يقتل فى سبيل الله
من المؤمنين وليس ذلك بخذلان لهم قال ابن عباس رضى الله عنه والحسن لم يقتل قط من الانبياء الا من
لم يؤمر بقتال وكل من امر بقتال نصر فظهر ان لا تعارض بين قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق وقوله
انا لننصر رسلنا وقوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون مع انه يجوز ان يراد به
النصرة بالحجة وبيان الحق وكل منهم بهذا المعنى منصور وروى انهم قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا
(قال فى المثنوى) چون سفيهانراست اين كار وكيا * لازم آمد يقتلون الانبيا * انبيارا كفته قوم راه كم *
از سفه انا تطيرنا بكم (ذلك) اى ما ذكر من الكفر بالايات العظام وقتل الانبياء عليهم السلام (بما عصوا وكانوا
يعتدون) يتجاوزون امرى ويرتكبون محارمى اى جر بهم العصيان والتمادى فى العدوان الى المشار اليه
فان صغار الذنوب اذا دووم عليها ادت الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحرى كبارها
وسقم القلب بالغفلة عن الله تعالى منعهم عن ادراك لذاذة الايمان وحلاوته لان المحموم ربما وجد طعم السكر مرا
فالغفلة سم للقلوب مهلك فنفرة قلوب المؤمنين عن مخالفة الله نفرتك عن الطعام المسموم واعلم ان لله مرادا
وللعبد مرادا وما اراد الله خير فقوله اهبطوا اى عن سماء التفويض وحسن التدبير منا لكم الى ارض التدبير
والاختيار منكم لانفسكم موصوفين بالذلة والمسكنة لاختياركم مع الله وتدبيركم لانفسكم مع تدبير الله ولو ان
هذه الامة هى الكائنة فى التيه لما قالت مقالة بنى اسرآئيل لشفوف انوارهم ونفوذ اسرارهم قال تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا اى عدلا خيارا وفى التأويلات كما ان بنى اسرآئيل لم يصبروا على طعام واحد كان
ينزل عليهم من السماء وقالوا لموسى من خساسة طبعهم ما قالوا كذلك نفس الانسان من دناءة همتها لم تصبر
على طعام واحد يطعمها ربها الواحد من واردات الغيب كما كان يصبر نفس النبى عليه السلام ويقول لست
كاحدكم فانى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى بل يقول لموسى القلب فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض
البشرية من بقل الشهوات الحيوانية وقثاء اللذات الجسمانية قال أتستبدلون الفانى بالباقى اهبطوا مصر
القالب السفلى من مقامات الروح العلوى فان لكم ما سألتم من المطالب الدنيئة وضربت عليهم الذلة
والمسكنة كالبهائم والانعام بل هم اضل لانهم باؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بالواردات
الغيبية والمكاشفات الروحانية بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق اى يبطلون ما يفتح الله لهم من انباء الغيب
فى مقام الانبياء وينكرون اسرارهم ذلك يعنى حصول هذه المقامات منهم بما عصوا ربهم فى نقض العهود ببذل
المجهود فى طاعة المعبود وكانوا يعتدون من طلب الحق فى مطالبة ما سواه انتهى باختصار ثم ان فى الاية الكريمة
دليلا على جواز اكل الطيبات والمطاعم المستلذات وكان النبى عليه السلام يحب الحلوى والعسل ويشرب
الماء البارد العذب والعدس والزيت طعام الصالحين وفى الحديث عليكم بالعدس فانه مبارك مقدس وانه يرق
القلب ويكثر الدمعة فانه بارك فيه سبعون نبيا آخرهم عيسى بن مريم وكان عمر بن عبد العزيز يأكل
يوما خبزا بزيت ويوما بعدس ويوما بلحم ولو لم يكن فيه فضيلة الا انه ضيافة ابراهيم عليه السلام فى مدينته
لا يخلو منه لكان فيه كفاية وهو مما يخفف البدن فيخف للعبادة ولا يثور منه الشهوات كما يثور من اللحم
والحنطة واكل البصل والثوم وماله رآئحة كريهة مباح وفى الحديث من اكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن
مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم والمراد بالملائكة الحاضرون مواضع العبادات لا الملازمون
للانسان فى جميع الاوقات ومعنى تأذيهم من هذه الروآئح وانه مخصوص بها او عام لكل الروآئح الخبيثة
مما يفوض علمه الى الشارع وهذا التعليل يدل على انه لا يدخل المسجد وان كان خاليا عن الانسان لانه محل
الملائكة قال عليه السلام ان كنتم لابد من اكلهما فاميتوهما طبخا وقاس قوم على المساجد سائر مجامع
الناس وعلى اكل الثوم ما معه رآئحة كريهة كالبخر وغيره وانما كره النبى صلى الله عليه وسلم اكل البصل
ونحوه لما انه يأتيه الوحى ويناجى الله تعالى ولكن رخص للسائر ويقال كان آخر ما اكله النبى صلى الله عليه وسلم

البصل ابدا الامته باباحته والعزيمة ان يقتدى الرجل فى اقواله وافعاله واحواله برسول الله صلى الله عليه
وسلم (قال المولى الجامى) يانبى الله السلام عليك * انما الفوز والفلاح لديك * كر نرفتم طريق سنت تو *
هستم ازعاصيان امت تو * مانده ام زيربار عصيان بست * افتم از باى اكر نكيرى دست *
(ان الذين آمنوا) بالسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون بقرينة انتظامهم فى سلك الكفرة والتعبير عنهم
بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لاتجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم
من ورطة الكفر قطعا (والذين هادوا) اى تهودوا من هاد اذا دخل فى اليهودية ويهود اما عربى من هاد اذا تاب
سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم
اكبر اولاد يعقوب عليه السلام ويقال انما سمى اليهود يهودا لانهم اذا جاءهم رسول اونبى هادوا الى ملكهم
فدلوه عليه فيقتلونه (والنصارى) جمع نصران كندامى جمع ندمان سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام
اولانهم كانوا معه فى قرية يقال لها ناصرة فسموا باسمها اولاعتزائهم الى نصرة وهى قرية كان ينزلها عيسى
عليه السلام (والصابئين) من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا
الكواكب والملائكة فكانوا كعبدة الاصنام وان كانوا يقرؤن الزبور لاتؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم وجاء
اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لم يسمى الصابئون صابئين فقال عليه السلام لانهم اذا جاءهم رسول
اونبى اخذوه وعمدوا الى قدر عظيم فاغلوه حتى اذا كان محمى نارا صبوه على رأسه حتى يتفسخ كذا فى روضة العلماء
(من) مبتدأ خبره فلهم اجر عظيم والجملة خبران (آمن) من هؤلاء الكفرة (بالله) وبما انزل على جميع النبيين
(واليوم الآخر) وهو يوم البعث اى من احدث منهم ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق ودخل فى ملة
الاسلام دخولا اصيلا (وعمل) عملا (صالحا) مرضيا عند الله (فلهم) بمقابلة تلك والفاء للسببية (اجرهم)
الموعود لهم (عند ربهم) اى مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى
الثبوت اخبران هؤلاء اذا آمنوا وعملوا الصالحات لم يؤاخذوا بتقدم فعلهم ولا بفعل آبائهم ولا ينقصون من
ثوابهم (ولا خوف عليهم) عطف على جملة فلهم اجرهم اى لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب
(ولاهم يحزنون) حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما وتلخيصه
من اخلص ايمانه واصلح عمله دخل الجنة واعلم ان هذا الدين الحق حسنة موجودة فى النفوس وانما يعدل عنه
لآفة من الآفات البشرية والتقليد فكل مولود انما يولد فى مبدأ الخلقة واصل الجبلة على الفطرة السليمة
والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها استمر على لزومها ولم يفارقها الى غيرها كما قال عليه السلام ما من
مولود الا وقد يولد على فطرة الاسلام ثم ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال ابن الملك فى شرح المشارق المراد
بالفطرة قولهم بلى حين قال الله تعالى الست بربكم فلا مخالفة بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام ان الغلام
الذى قتله الخضر طبع كافرا والتحقيق ان الله تعالى لما اخرج ذرية آدم من ظهره وقال الست بربكم آمنوا كلهم
لمشاهدتهم الحق بالمعاينة لكن لم ينفع ايمان الاشقياء لكونهم لم يؤمنوا من قبل فاختلط السعيد والشقى
ولم يفرق بينهما فى هذا العالم ثم انهم اذا نزلوا فى بطون الامهات تميز السعيد من الشقى لان الكاتب لا ينظر الى عالم
الاقرار بل ينظر الى ما فى علم الله تعالى من احوال الممكن من السعادة والشقاوة وغيرهما واذا ولدوا يولدون
على فطرة الاسلام وهى فطرة بلى فههنا اربعة مقامات الاول علم الله وهو البطن المعنوى ويقال له فى اصطلاح
الصوفية بطن الام وام الكتاب والثانى مقام بلى ويقال له مولود معنوى والثالث بطن الام الصورى والرابع
مولود صورى وهو صورة المولود المعنوى لذلك لا يتميز السعيد من الشقى فيه كما لا يتميز فى عالم الست والبطن
الصورى صورة علم الله لذلك يتميز السعيد من الشقى فيها فظهر لك معنى حديث النبى عليه السلام السعيد
سعيد فى بطن امه والشقى شقى فى بطن امه ومعنى الخبر الآخر السعيد قد يشقى والشقى قد يسعد ومعنى الحديث
كل مولود يولد على فطرة الاسلام كذا حققه الشيخ بالى الصوفيوى قدس سره يقول الفقير جامع هذه المجالس
النفيسة قال شيخى العلامة ابقاه الله بالسلامة فى كتابه المسمى باللائحات البرقيات لاح ببالى ان المراد ببطن الام
على مشرب اهل التحقيق وهو باطن الغيب المطلق الذاتى الاحدى يعنى السعيد سعيد فى باطن الغيب المطلق
ازلا وفى ظاهر الشهادة المطلقة ابدا ولم تتداخل الشقاوة فى واحد منهما اصلا والشقى شقى فى باطن الغيب المطلق

ازلا وفى ظاهر الشهادة المطلقة ابدا ولم تتداخل السعادة فى واحد منهما اصلا الا ان السعيد قد تتداخله الشقاوة
والشقى قد تتداخله السعادة فى البرزخ الجامع بينهما فيكون السعيد الشقى سعيدا بالسعادة الذاتية وشقيا
بالشقاوة العارضة والشقى السعيد شقيا بالشقاوة الذاتية وسعيدا بالسعادة العارضية والسبق فى الغاية للذاتى
دون العارضى ويغلب حكم الذاتى على حكم العارضى ويختم به كما بدئ به ويختم آخر نفس الشقى بالشقاوة
العارضية بالسعادة الذاتية وتزول شقاوته العارضية ويدخل فى زمرة السعداء ابدا ويختم آخر نفس السعيد
بالسعادة العارضية بالشقاوة الذاتية وتزول سعادته العارضية ويدخل فى زمرة الاشقياء ابدا والى هذا التداخل
والعروض البرزخى اشار بقوله السعيد قد يشقى والشقى قد يسعد والتبدل فى العارضى لا فى الذاتى والاعتبار
بالذاتى لا العارضى انتهى فمن انشرح قلبه بنور الله فقد آمن بالله لا بالتقليد والرسم والعادة والاقتداء بالآباء
واهل البلد فلا خوف عليهم من حجب الانانية ولاهم يحزنون بالاثنينية لانهم الواصلون الى نور الوحدة والهوية
(واذ اخذنا ميثاقكم) تذكير لجناية اخرى لاسلاف بنى اسرائيل اى اذكروا يا بنى اسرائيل وقت اخذنا
لعهد آبائكم بالعمل على ما فى التوراة وذلك قبل التيه حين خرجوا مع موسى من مصر ونجوا من الغرق
(ورفعنا فوقكم الطور) كانه ظلة حتى قبلتم واعطيتم الميثاق والطور الجبل بالسريانية وذلك ان موسى
عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل
فقلع الطور من اصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القى عليكم فلما رأوا ان لا مهرب لهم منها
قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود لئلا ينزل عليهم فصارت عادة فى اليهود لا يسجدون
الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب ثم رفع الجبل ليقبلوا التوراة لم يكن جبرا
على الاسلام لان الجبر ما يسلب الاختيار وهو جائز كالمحاربة مع الكفار واما قوله تعالى لا اكراه فى الدين وامثاله
فمنسوخ بالقتال قال ابن عطية والذى لا يصح سواه ان الله اخترع وقت سجودهم الايمان لانهم آمنوا كرها
وقلوبهم غير مطمئنة بذلك (خذوا) على ارادة القول اى فقلنا لهم خذوا (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة)
بجد وعزيمة ومواظبة (واذكروا ما فيه) اى احفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه (لعلكم
تتقون) رجاء منكم ان تكونوا متقين (ثم توليتم) اى اعرضتم عن الميثاق والوفاء به والدوام عليه (من بعد ذلك)
الميثاق المؤكد (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) عطفه بالامهال وتأخير العذاب (لكنتم من الخاسرين)
اى من الهالكين ولكن تفضل عليكم حيث رفع الطور فوقكم حتى تبتم فزال الجبل عنكم ولولا ذلك لسقط
عليكم والخسران فى الاصل ذهاب رأس المال وهو ههنا هلاك النفس لانها الاصل وقد من الله تعالى على امة
محمد صلى الله عليه وسلم حيث فرض عليهم الفرائض واحدة بعد واحدة ولم يفرض عليهم جملة فاذا استقرت
الواحدة فى قلوبهم فرض عليهم الاخرى واما بنوا اسرائيل قد فرض عليهم بدفعة واحدة فشق عليهم ذلك
ولذالم يقبلوا حتى رأوا العذاب ثم ان الله تعالى امر بحفظ الاوامر والوعيد وبعدم النسيان والتضييع وقال
واذكروا ما فيه وهو المقصود من الكتب الالهية لان العمدة العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وترتيبها
فان ذلك نبذلها مثاله ان السلطان اذا ارسل منشورا الى واحد من امرائه فى ممالكه وامر له فيه ان يبنى له قصرا
فى تلك الديار فوصل الكتاب اليه وهو لا يبنى ما امر به لكنه يقرأ المنشور كل يوم فلو حضر السلطان ولم يجد
القصر حاضرا فالظاهر انه يستحق العتاب بل العقاب فالقرآن انما هو مثل ذلك المنشور وقد امر الله فيه عبيده
ان يعمروا اركان الدين من الصوم والصلاة وغيرهما فمجرد قراءة القرآن بغير عمل لا يفيد (قال فى المثنوى)
هست قرآن حالهاى انبيا * ماهيان بحر پاك كبريا * وربخوانى ونه قرآن پذير * انبيا واوليارا
ديده كير * روى انه عليه السلام شخص ببصره الى السماء يوما ثم قال هذا اوان يختلس فيه العلم
من الناس حتى لا يقدروا منه على شئ فقال زياد بن لبيد الانصارى كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله
لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وابناءنا فقال صلى الله عليه وسلم ثكلتك امك يا زياد هذه التوراة والانجيل عند اليهود
والنصارى فماذا تغنى عنهم وفى الموطأ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لانسان انك فى زمان كثير
فقهاؤه قليل قراؤه يحفظ فيه حدود القرآن ويضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطى يطولون الصلاة
ويقصرون الخطبة يبدون فيه اعمالهم قبل اهوائهم وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه يحفظ

فيه حروف القرءآن ويضيع حدوده كثير من يسأل قليل من يعطى يطولون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة يبدون فيه اهواءهم قبل اعمالهم والاشارة فى الاية ان اخذ الميثاق كان عاما كما كان فى عهد الست بربكم ولكن قوما اجابوه شوقا وقوما اجابوه خوفا ليتحقق ان الامر بيد الله فى كلتا الحالتين يسمع خطابه من يشاء موجبا للهداية ويسمع من يشاء موجبا للضلالة فانه لا برهان اظهر من رفع الطور فوقهم عيانا فلما اوبقهم الخذلان لم ينفعهم اظهار البرهان وفى قوله خذوا ما آتيناكم بقوة اشارة الى ان اخذ ما يؤتى الله من الاوامر والنواهى والطاعات والعلوم وغير ذلك لا يمكن بقوة الانسانية الا بقوة ربانية وتأييد الهى ۔ واذكروا ما فيه من الرموز والاشارات والدقائق والحقائق لعلكم تتقون بالله عما سواه ثم توليتم من بعد ذلك اى اعرضتم عن طريق الحق واتباع الشريعة باستيلاء قوة الطبيعة وبعد اخذ الميثاق وسلوك طريق الوفاق ابتلاء من الله فلولا فضل الله عليكم ورحمته وهو سبق العناية فى البداية وتوفيق لاخذ الميثاق بالقوة فى الوسط وقبول التوبة وتوفيقها والثبات عليها فى النهاية لكنتم من الخاسرين المصرين على العصيان المغبونين بالعقوبة والخسران والمبتلين بذهاب الدنيا والعقبى ونكال الاخرة والاولى كما كان حال المصرين منكم والمعتدين (ولقد علمتم) خطاب لمعاصرى النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود اى وبالله قد عرفتم يا بنى اسرآئيل (الذين اعتدوا) اى تجاوزوا الحد ظلما (منكم) من اسلافكم محله نصب حال (فى) يوم (السبت) اى جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد واصل السبت القطع لان اليهود امروا بان يسبتوا فيه اى يقطعوا الاعمال ويشتغلوا بعبادة الله ويسمى النوم سباتا لانه يقطع الحركات الاختيارية وفيه تحذير وتهديد فكانه يقول انكم تعلمون ما اصابهم من العقوبة فاحذروا كيلا يصيبكم مثل ما اصابهم والقصة فيه انهم كانوا فى زمن داود عليه السلام بارض يقال لها ايلة بين المدينة والشام على ساحل بحر القلزم حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك اما ابتلاء لاولئك القوم واما لزيارة السمكة التى كان فى بطنها يونس ففى كل سبت يجتمعن لزيارتها ويخرجن خراطيمهن من الماء حتى لا يرى الماء من كثرتها واذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقل البحر فلا يرى شىء منها ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فعمد رجال من اهل تلك القرية فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه اليها الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فاقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا يقدرن على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها فاذا كان يوم الاحد يصطادونها فاخذوا واكلوا وملحوا وباعوا فكثرت اموالهم ففعلوا ذلك زمانا اربعين سنة او سبعين لم تنزل عليهم عقوبة وكانوا يتخوفون العقوبة فلما لم يعاقبوا استبشروا وتجرؤوا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا ثم استن الابناء سنة الآباء فلو انهم فعلوا ذلك مرة او مرتين لم يضرهم فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلاثة اصناف صنف امسك ونهى وصنف امسك ولم ينه وصنف انتهك الحرمة وكان الناهون اثنى عشر الفا فنهوهم عن ذلك وقالوا يا قوم انكم عصيتم ربكم وخالفتم سنة نبيكم فانتهوا عن هذا العمل قبل ان ينزل بكم البلاء فلم يتعظوا وابوا قبول نصحهم فعاقبهم الله بالمسخ وذلك قوله تعالى (فقلنا لهم) قهرا (كونوا قردة) جمع قرد كالديكة جمع ديك بالفارسية بوزينه وهذا امر تحويل لانهم لم يكن لهم قدرة على التحول من صورة الى صورة وهو اشارة الى قوله انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اى لما اردنا ذلك صاروا كما اردنا من غير امتناع ولا لبث (خاسئين) هو وقردة خبران اى كونوا جامعين بين القردية والخسء وهو الصغار والطرد وذلك ان المجرمين لما ابوا قبول النصح قال الناهون والله لا نساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بجدار وعبروا بذلك سنتين فلعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فمسخوا ليلا فلما اصبح الناهون اتوا ابوابها فاذا هى مغلقة لا يسمع منها صوت ولا يعلو منها دخان فتسوروا الحيطان ودخلوا فرأوهم قد صار الشبان قردة والشيوخ خنازير لها اذناب يتعاوون فعرفت القردة انسابهم من الانس ولا يعرفون الانس انسابهم من القردة فجعلت القردة تأتى نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكى فيقول الم ننهكم عن ذلك فكانوا يشيرون برؤسهم اى نعم والدموع تفيض من اعينهم ودل ذلك على انهم لما مسخوا ابقى فيهم الفهم والعقل ثم لم يكن ابتداء القردة من هؤلاء بل كانت قبلهم قردة وهؤلاء حولوا الى صورتها القبيحة جزاء على قبح اعمالهم وافعالهم وماتوا بعد ثلاثة ايام ولم يتوالدوا والقردة التى

فى الدنيا هى نسل قردة كانت قبلهم (فجعلناها) اى صيرنا مسخة تلك الامة وعقوبتها (نكالا) اى عبرة تنكل من اعتبر بها اى تمنعه من ان يقدم على مثل صنيعهم (لما بين يديها وما خلفها) اى لما قبلها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين فاستعير ما بين يديها للزمان الماضى وما خلفها للمستقبل (وموعظة) اى تذكرة (للمتقين) الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم او لكل متق سمعها فاللام للاستغراق العرفى على التقديرين (قال السعدى)

نرود مرغ سوى دانه فراز * چون دكر مرغ بيند اندر بند * پند كير از مصائب دكران * تا نكيرند ديكران زتو پند *

واعلم ان هذا البلاء والخسران جزاء من لم يعرف قدر الاحسان ويكافئ المنعم بالكفران يرد من عزة الوصال الى ذل الهجران وكان عقوبة الامم بالخسف والمسخ على الاجساد وعقوبة هذه الامة على القلوب وعقوبات القلوب اشد من عقوبات النفوس قال الله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم الاية هكذا حال من لم يتأدب فى خدمة الملوك وينخرط فى اثناء السلوك ولم يتخط بساط القربة بقدم الحرمة يستوجب الحرمان ويستجلب الخسران ويبتلى بسياسة السلطان ثم علامة المسخ مثل الخنزير يأكل العذرات ومن اكل الحرام فقلبه ممسوخ ويقال علامة مسخ القلب ثلاثة اشياء لا يجد حلاوة الطاعة ولا يخاف من المعصية ولا يعتبر بموت احد بل يصير راغبا فى الدنيا كل يوم كذا فى زهرة الرياض وروى عن عوف بن عبد الله انه قال كان اهل الخير يكتب بعضهم بثلاث كلمات من عمل لآخرته كفاه الله امر دنياه ومن اصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما بينه وبين الناس ومن اصلح سريرته اصلح الله علانيته قال محمد بن على الترمذى صلاح خمسة اصناف فى خمسة مواطن صلاح الصبيان فى الكتاب وصلاح القطاع فى السجن وصلاح النساء فى البيوت وصلاح الكهول فى المساجد (واذ قال موسى لقومه) توبيخ آخر لاخلاف بنى اسرآئيل بتذكير بعض جنايات صدرت من اسلافهم اى واذكروا قول موسى عليه السلام لاجدادكم (ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) هى الانثى من نوع الثور واحد البقر ذكرا كان او انثى من البقر وهو الشق سميت به لانها تبقر الارض اى تشقها للحراثة وسببه انه كان فى بنى اسرآئيل شيخ موسر فقتله بنو اعمه طمعا فى ميراثه فطرحوه على باب المدينة او حملوه الى قرية اخرى والقوه بفنائهم ثم جاؤا يطالبون بديته وجاؤا بناس يدعون عليهم القتل فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه امر القتيل على موسى وكان ذلك قبل نزول القسامة فى التوراة فسألوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم بدعائه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله (قالوا) كانه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال اولا فقيل قالوا (اتتخذنا هزوا) اى اتجعلنا مكان هزؤ ومسخرية وتستهزئ بنا نسألك عن امر القتيل وتأمرنا بذبح بقرة ولا جامع بينهما قال بعض العلماء كان ذلك هفوة منهم وجهالة فقد انقادوا للطاعة وذبحوها (قال) موسى وهو استئناف كما سبق (اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) لان الهزؤ فى اثناء تبليغ امر الله جهل وسفه ودل ان الاستهزآء بامر الدين كبيرة وكذلك بالمسلمين ومن يجب تعظيمه وان ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد وليس المزاح من الاستهزآء قال امير المؤمنين على رضى الله عنه لا بأس بفكاهة يخرج بها الانسان من حد العبوس روى انه قدم رجل الى عبيد الله بن الحسين وهو قاضى الكوفة فمازحه عبيد الله فقال جبتك هذه من صوف نعجة او من صوف كبش فقال تجهل ايها القاضى فقال له عبيد الله واين وجدت المزاح جهلا فتلا هذه الاية فاعرض عنه عبيد الله لانه رآه جاهلا لا يعرف المزاح من الاستهزاء ثم ان القوم علموا ان ذبح البقرة عزم من الله وجد فاستوصفوها كما يأتى ولو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وكانت تحته حكمة والقصة انه كان فى بنى اسرآئيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة اتى بها الى غيضة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات الرجل فصارت العجلة فى الغيضة عوانا اى نصفا بين المسنة والشابة وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته وكان يقسم الليلة ثلاثة اثلاث يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى به الى السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى والدته ثلثه فقالت له امه يوما ان اباك قد ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسماعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت

تلك البقرة تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها الا ان صفرتها كانت صفرة زين لا صفرة شين فاتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك بالله ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله وقالت ايها الفتى البار لوالدته اركبني فان ذلك اهون عليك فقال الفتى ان امى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله بنى اسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر على ابدا فانطلق فانك ان امرت الجبل ان ينقلع من اصله وينطلق معك لفعل لبرك باتك فسار الفتى بها الى امه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضى والدتى فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى لو اعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضى امى فردها الى امه واخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضى منى فانطلق بها الى السوق فاتى الملك فقال استأمرت امك فقال الفتى انها امرتنى ان لا انقصها من ستة على ان استأمرها فقال الملك انى اعطيك اثنى عشر على ان لا تستأمرها فابى الفتى ورجع الى امه واخبرها بذلك فقالت ان الذى يأتيك ملك يأتيك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا اتى فقل له اتأمران نبيع هذه البقرة ام لا فقعل فقال له الملك اذهب الى امك وقل لها امسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل فلا تبيعوها الا بملئ مسكها دنانير فامسكوها وقدر الله تعالى على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفونها حتى وصف لهم تلك البقرة بعينها مكافاة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة والوجه فى تعيين البقرة دون غيرها من البهائم انهم كانوا يعبدون البقرة والعجاجيل وحبب اليهم كما قال تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل ثم تابوا وعادوا الى طاعة الله وعبادته فاراد الله تعالى ان يمتحنهم بذبح ما حبب اليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة وانقلاع ما كان منهم فى قلوبهم وقيل كان افضل قرابينهم حينئذ البقر فامروا بذبح البقرة ليجعل التقرب لهم بما هو افضل عندهم (قالوا) كانه قيل فماذا قال قوم موسى بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا ياموسى (ادع لنا) سل لاجلنا (ربك يبين لنا) اى يوضح ويعرف (ماهى) ما مبتدأ وهى خبره والجملة فى حيز النصب بيبين اى يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فما هنا سؤال عن الحال والصفة تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم اى ما سنها وما صفتها من الصغر والكبر (قال) اى موسى عليه السلام بعد ما دعا ربه بالبيان واتاه الوحى (انه) اى الله تعالى (يقول انها) اى البقرة المأمور بذبحها (بقرة لا) هى (فارض) اى مسنة من الفرض وهو القطع كانها قطعت سنها وبلغت آخرها (ولا بكر) اى فتية صغيرة ولم يؤنث البكر والفارض لانهما كالحائض فى الاختصاص بالانثى (عوان) اى نصف (بين ذلك) المذكور من الفارض والبكر (فافعلوا) امر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان صفة المأمور به (ماتؤمرون) اى ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من ذبح البقرة وحذف الجار قد شاع فى هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين (قالوا) كانه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الثانى والامر المكرر فقيل قالوا (ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) من الالوان حتى يتبين لنا البقرة المأمور بها واللون عرض مشاهد يتعاقب على بعض الجواهر (قال) موسى عليه السلام بعد المناجاة الى الله تعالى ومجئ البيان (انه) الله تعالى (يقول انها بقرة صفراء) والصفرة لون بين البياض والسواد وهى الصفرة المعروفة وليس المراد بها هنا السواد كما فى قوله تعالى كانه جمالة صفر اى سود والتعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل يعلوه صفرة (فاقع لونها) مبتدأ وخبر والجملة صفة البقرة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها يقال فى التأكيد اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفى اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تأكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما فى جد جده قيل كانت صفراء الكل حتى القرن والظلف (تسر الناظرين) اليها يعجبهم حسنها وصفاء لونها ويفرح قلوبهم لتمام خلقتها ولطافة قرونها واظلافها والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه وعن على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لان الله تعالى يقول تسر الناظرين ونهى ابن الزبير ومحمد بن كثير عن لباس

النعال السود لانها تهم وذكر ان الخف الاحمر خف فرعون والخف الابيض خف وزيره هامان والخف الاسود خف العلماء وروى ان خف النبى عليه السلام كان اسود (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) اسائمة هى ام عاملة وفى الكشاف هذا تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها والاستقصاء شؤم وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطى فلانا شاة سألتنى اضائن ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشئ فلا تراجعنى وفى الحديث اعظم الناس جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم لاجل مسألته (ان البقر تشابه علينا) اى جنس البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح فذكر البقرة لارادة الجنس اولان كل جمع حروفه اقل من واحده جاز تذكيره وتأنيثه (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى البقرة المراد ذبحها وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد (قال) موسى (انه) تعالى (يقول انها بقرة لا ذلول) مذللة ذللها العمل يقال دابة ذلول بينة الذل بالكسر وهو خلاف الصعوبة وهو صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولم يقل ذلولة لان فعولا اذا كان وصفا لم تدخله الهاء كصبور (تثير الارض) اى تقلبها للزراعة وهى صفة ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة (ولا تسقى الحرث) اى ليست بسانية يسقى عليها بالسواقى ولا الاولى للنفى والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقى على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية كذا فى الكشاف قال الامام ابو منصور رحمه الله دلت الآية على ان البقرة كانت ذكرا لان اثارة الارض وسقى الحرث من عمل الثيران واما الكنايات الراجعة اليها على التأنيث فلفظها كما فى قوله وقالت طائفة فالتاء للتوحيد لا للتأنيث خلافا لابى يوسف الا ان يكون اهل ذلك الزمان يحرثون بالانثى كما يحرث اهل هذا الزمان بالذكر (مسلمة) اى سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شئ من الالوان ويؤيده قوله تعالى (لا شية فيها) اى لا لون فيها يخالف لون جلدها فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها والاصل وشية كالعدة والصفة والزنة اصلها وعدة ووصفة ووزنة واشتقاقها من وشى الثوب وهو استعمال الوان الغزل فى نسجه (قالوا) عندما سمعوا هذه النعوت (الآن) اى هذا الوقت بنى لتضمنه معنى الاشارة (جئت بالحق) اى بحقيقة وصف البقرة وما بقى اشكال فى امرها (فذبحوها) الفاء فصيحة اى فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها بان وجدوها مع الفتى فاشتروها بملئ مسكها ذهبا فذبحوها (وما كادوا) اى وما قربوا (يفعلون) والجملة حال من ضمير ذبحوا اى فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه لخيبة ذبحوها بعد توقف وبطئ قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة فعلى العاقل ان يسارع الى الامتثال وترك التفحص عن حقيقة الحال فان قضية التوحيد تستدعى ذلك (قال فى المثنوى) تا خيال دوست در اسرار ماست * چاكرى وجان سپارى كار ماست * وفى الحكم العطائية اخرج من اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا بالاستسلام لقهره وذلك يقتضى وجود الحفظ من الله تعالى حتى لا يلم العبد بمعصية وان الم بها فلا تصدر منه واذا صدرت منه فلا يصر عليها اذ الحفظ الامتناع من الذنب مع جواز الوقوع فيه والعصمة الامتناع من الذنب مع استحالة الوقوع فيه فالعصمة للانبياء والحفظ للاولياء فقوله الآن جئت بالحق يدل على الرجوع من الهفوة وعدم الاصرار وهذا ايمان محض وفى التأويلات النجمية ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اشارة الى ذبح بقرة النفس البهيمية فان فى ذبحها حياة القلب الروحانى وهذا هو الجهاد الاكبر الذى كان النبى عليه السلام يشير اليه بقوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وبقوله المجاهد من جاهد نفسه وقوله عليه السلام موتوا قبل ان تموتوا اشارة الى هذا المعنى قالوا اتتخذنا هزؤا اى اتستهزئ بنا فى ذبح النفس وليس هذا من شأن كل ذى همة دنية قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين الذين يظنون ان ذبح النفس امر هين ويستعد له كل تابع الهوى او عابد الدنيا قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى اى يعين اى بقرة نفس يصلح للذبح بسيف الصدق فاشار الى بقرة نفس لا فارض فى سن الشيخوخة متجز عن سلوك الطريق لضعف المشيب وخلل القوى النفسانية كما قال بعض المشايخ الصوفى بعد الاربعين بارد ولا بكر فى سن شرخ الشباب فانه يستهويه سكره عوان بين ذلك اى عند كمال العقل قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة فافعلوا ما تؤمرون فانكم ان تقربتم الى الله بما امرتم فان الله يتقرب اليكم بما

وعدتم وانه لايضيع اجر من احسن عملا فى الشيب والشباب قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها يعنى مالون بقرة
نفس تصلح للذبح فى الجهاد قال انه يقول انها بقرة صفرآء اشارة الى صفرة وجوه ارباب الرياضات وسيما اصحاب
المجاهدات فى طلب المشاهدات فاقع لونها يعنى صفرة زين لاصفرة شين كما هى سيما الصالحين تسر الناظرين
من نظر اليهم يشاهد فى غرتهم بهاء قد البس من اثر الطاعات ويطالع من طلعتهم آثار شواهد الغيب من خمود
الشهوات حتى امن من احوال البشرية من وجدان آثار الربوبية كقوله تعالى سيماهم فى وجوههم
من اثر السجود ان البقر تشابه علينا اشارة الى كثرة تشبه الباطلين بزى الطالبين وكسوتهم وهيئتهم
وانا ان شاء الله لمهتدون الى الصادق منهم فالاهتدآء اليهم يتعلق بمشيئة الله وبدلالته كما كان حال موسى
والخضر عليهما السلام فلولم يدل الله موسى لما وجده وقوله انها بقرة لاذلول تثير الارض اشارة الى نفس الطالب
الصادق وهى التى لاتحمل الذلة تثير بالة الحرص علو ارض الدنيا الطلب زخارفها وتتبع هوى النفس
وشهواتها كما قال عليه السلام عز من قنع ذل من طمع وقال ليس للمؤمن ان يذل نفسه ولا تسقى الحرث
اى حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الحق فيصرف فى حرث الدنيا فيذهب ماؤه عند الخلق
وعند الحق لقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الاخرة من نصيب مسلمة لاشية فيها اى نفس
مسلمة من آفات صفاتها مستسلمة لاحكام ربها ليس منها طلب غير الله ولا مقصد لها الا الله كما وصفهم الله
تعالى بقوله للفقرآء الذين احصروا فى سبيل الله الى قوله الحافا فذبحوها وما كادوا يفعلون يشير الى ان ذبح
النفس ليس من الطبيعة الانسانية فمن ذبحها من الصادقين بسيف الصدق كان ذلك من فضل الله تعالى
وحسن توفيقه فاما من حيث الطبيعة فما كادوا يفعلون (واذ قتلتم نفسا) هذا مؤخر لفظا مقدم معنى لانه اول
القصة اى واذ قتلتم نفسا واتيتم موسى وسألتموه ان يدعو الله تعالى فقال موسى ان الله يأمركم الايات ولم يقدم
لفظا لان الغرض انما هو ذبح البقرة للكشف عن القاتل واضيف القتل الى اليهود المعاصرين لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لرضاهم بفعل اولئك وخوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم والقتل نقص البنية الذى بوجوده
تنتفى الحياة والمعنى واذكروا يابنى اسرآئيل وقت قتل اسلافكم نفسا محرمة وهى عاميل بن شراحيل
(فادارأتم فيها) اصله تدارأتم من الدرء وهو الدفع اى تدافعتم وتخاصمتم فى شأنها اذ كل واحد من الخصماء
يدافع الاخر اى يدفع الفعل عن نفسه ويحيل على غيره (والله مخرج ما كنتم تكتمون) اى مظهر لامحالة ما كتمتم
وسترتم من امر القتل لايتركه مكتوما مستورا فان قلت كيف اعمل مخرج وهو فى معنى المضى قلت قد حكى
ما كان مستقبلا فى وقت التدارئ كما حكى الحاضر فى قوله باسط ذراعيه (فقلنا) عطف على فادارأتم وما بينهما
اعتراض (اضربوه) اى النفس والتذكير على تأويل الشخص والانسان (ببعضها) اى ببعض البقرة اى بعض
كان او بلسانها لانه آلة الكلام او بعجب الذنب لانه اول ما يخلق وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق او بغير ذلك
من الاعضاء والبعض اقل من النصف والمعنى فضربوه فحيى فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيى الله الموتى
روى انه لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا
ولم يورث قاتل بعد ذلك ثم ان موسى عليه السلام امرهم بضربه ببعضها وما ضربه بنفسه نفيا للتهمة كيلا ينسب
الى السحر او الحيلة (كذلك) على ارادة القول اى فضربوه فحيى وقلنا كذلك فالخطاب فى كذلك للحاضرين
عند حياة القتيل اى مثل ذلك الاحياء العجيب (يحيى الله الموتى) يوم القيامة فان قلت ان بنى اسرآئيل كانوا
مقرين بالبعث فما معنى الزامهم كذلك يحيى الله الموتى قلت كانوا مقرين قولا وتقليدا فاثبته عيانا وايقانا
وهو كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبى ويجوز ان يكون الخطاب لمنكرى البعث فى زمان النبى
عليه السلام والحاضرين عند نزول الاية الكريمة فلا حاجة حينئذ الى تقدير القول بل تنتهى الحكاية عند قوله
تعالى ببعضها (ويريكم آياته) دلائله الدالة على انه تعالى على كل شئ قدير (لعلكم تعقلون) يقال عقلت
نفسى عن كذا اى منعتها منه اى لكى تكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على
احياء الانفس كلها وتمنعوا نفوسكم عن هواها وتطيعوا الله فيما يأمركم به واهل الحكمة فى اشتراط ما اشترط
فى الاحياء من ذبح البقرة وضربه ببعضها مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتدآء بلا واسطة اصلا لاشتماله
على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى

والشفقة

والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالد وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن
ويغالى بثمنه كما يروى عن عمر رضى الله عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى
وانما الاسباب امارات لاتأثير لها لان الموتين الحاصلين فى الجسمين لايعقل ان يتولد منهما حياة وان من رام
ان يعرف اعدى عدوه الساعى فى اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التى هى قوته الشهوية
حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رآئقة المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا مسلمة
عن دنسها لاشية بها من قبايحها بحيث يتصل اثره الى نفسه فيحيى به حياة طيبة ويعرف ما به ينكشف الحال
ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارئ والجدال قال بعض اهل المعرفة فى قوله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك
يحيى الله الموتى انما جعل الله احياء المقتول فى ذبح البقرة تنبيها لعبيده ان من اراد منهم احياء قلب لم يتأت له
الا باماتة نفسه فمن اماتها بانواع الرياضات احيى الله قلبه بانوار المشاهدات فمن مات بالطبيعة يحيى بالحقيقة
وكما ان لسان البقرة بعد ذبحها ضرب على القتيل وقام باذن الله وقال قتلنى فلان فكذلك من ضرب لسان
النفس المذبوح بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر يحيى الله قلبه بنوره فيقول وما ابرئ نفسى ان
النفس لامارة بالسوء (قال السعدى) تميازدا ين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان *
تو بركرة توسنى در كمر * نكرتا نپيچد زحكم تو سر * اكر پالهنك از كفت در كسيخت * تن خويشتن
كشت وخون تو ريخت * فيجب علينا غاية الوجوب ان نتقيد باحياء نفوسنا بالحياة الحقيقية واصلاح قلوبنا
بالاصلاح الحقيقى واخلاص اعمالنا بالاخلاص الحقيقى فان المنظر الالهى انما هو القلوب والاعمال
لا القصور والاموال كما ورد فى الحديث ان الله لاينظر الى صوركم واحوالكم بل الى قلوبكم واعمالكم فالمعتبر
هو الباطن والسرآئر دون السير والظواهر والعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والجاهل من نسى
نفسه واتبع هواه وما يعقل ذلك الا العالمون وما يعلمه الا الكاملون (قال السعدى) شخصم بچشم عالميان
خوب منظرست * وزخبث باطنم سر خجلت فتاده پيش * طاوس را بنقش ونكارى كه هست خلق *
تحسين كنند واو خجل از پاى زشت خويش * وقد سئل بعض المشايخ عن الاسلام فقال ذبح النفس
بسيوف المخالفة ومخالفتها لترك شهواتها قال السرى السقطى ان نفسى تطالبنى مدة ثلاثين سنة او اربعين سنة
ان اغمس جوزة فى دبس فما اطعمتها ورئى رجل جالس فى الهوآء فقيل له بم نلت هذا قال تركت الهوى
فسخر لى الهوآء وقيل لبعضهم انى اريد ان احج على التجريد فقال جرد اولا قلبك من السهو ونفسك عن اللهو
ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت (ثم قست قلوبكم) خطاب لاهل عصر النبى عليه السلام من الاحبار
وثم لاستبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون والقسوة والقساوة عبارة
عن الغلظ والصلابة كما فى الحجر وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لاتؤثر فيها
(من بعد ذلك) اى من بعد سماع ما ذكر من احياء القتيل ومسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وغيرها من الايات
والقوارع التى تميع منها الجبال وتلين بها الصخور (فهى) اى القلوب (كالحجارة) اى مثل الحجارة فى شدتها
وقسوتها والفاء لتفريع مشابهتها لها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه كقولك احمر
خده فهو كالورد (او اشد) منها (قسوة) تمييز او بمعنى بل او للتخيير اى ان شئتم فاجعلوها اشد منها كالحديد
فانتم مصيبون وانما لم تحمل على اصلها وهو الشك والتردد لما ان ذلك محال على علام الغيوب فان قلت لم قيل
اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة
من لفظ اقسى لان دلالته على الشدة بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للزيادة فى معنى الشدة
بخلاف لفظ الاقسى فان دلالته على الشدة والزيادة فى القسوة بالهيئة فقط ووجه حكمة ضرب قلوبهم مثلا
بالحجارة وتشبيهها بها دون غيرها من الاشياء الصلبة من الحديد والصفر وغيرهما لان الحديد تلينه النار وهو
قابل للتليين كما لان لداود عليه السلام وكذا الصفر حتى يضرب منها الاوانى والحجر لايلينه نار ولا شئ فلذلك
شبه قلب الكافر بها وهذا والله اعلم فى حق قوم علم الله انهم لايؤمنون (وان من الحجارة) بيان لفضل قلوبهم
على الحجارة من شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة ومن الحجارة خبر ان والاسم قوله (لما) واللام للتأكيد
اى الحجر (يتفجر) اى يتفتح بكثرة وسعة (منه) راجع الى ما (الانهار) جمع نهر وهو المجرى الواسع من مجارى

الماء والمعنى وان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير اى يتصبب (وان منها) اى من الحجارة (لما يشقق) اصله يتشقق اى يتصدع والصدع جعل الشئ ذا نواحى (فيخرج منه الماء) اى ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض ينبع منه الماء ايضا يعنى العيون دون الانهار (وان منها لما يهبط) اى يتردى وينزل من اعلى الجبل الى اسفله (من خشية الله) وهى الخوف عن العلم وهنا مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء اليهود لا تنقاد ولا تلين ولا تخشع ولا تفعل ما امرت به (وما الله بغافل) بساه (عما تعملون) اى الذى تعملونه وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة فقلب الكافر اشد فى القساوة من الحجارة وانها مع فقد اسباب الفهم والعقل عنها وزوال الخطاب منها تخضع له وتتصدع قال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وقلب الكافر مع وجود اسباب الفهم والعقل وسعة هيئة القبول لا يخضع ولا يلين قالت المعتزلة خشية الحجر على وجه المثل يعنى لو كان له عقل لفعل ذلك ومذهب اهل السنة ان الحجر وان كان جمادا لكن الله يفهمه ويلهمه فيخشى بالهامه فان لله تعالى علما فى الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره وان من شئ الا يسبح بحمده وقال والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويحيل علمه الى الله تعالى روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عنى فانى اخاف ان تؤخذ على فيعاقبنى الله بذلك فقال له جبل حراء الىّ الىّ يا رسول الله وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة من سوارى المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية من فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنت كحنين الناقة حتى سمعها اهل المسجد حتى نزل رسول الله عليه السلام فاعتنقها فسكنت (قال فى المثنوى) آنكه اورا نبود از اسرار داد * كى كند تصديق او ناله جماد * وبينما راع فى غنمه عدا عليه الذئب فاخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى استنقذها منه اى استخلصها فالتفت اليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى فقال الناس سبحان الله ذئب تكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى اومن به وابو بكر وعمر وعلى هذا انطاق الله جلود الكفار يوم القيامة وتسبيح الحصى فى كفه عليه السلام وكلام الشاة المسمومة ومجئ الشجرتين اليه صلى الله عليه وسلم حتى يستتر بهما فى قضاء حاجته ثم رجوعهما الى مكانهما وامثال ذلك كثيرة ذكر الشيخ قطب وقته الهدائى الاسكدارى فى واقعاته انه كان يسمع فى اثناء سلوكه من الماء الجارى ذكر يا دائم (وفى المثنوى)

نطق آب ونطق خاك ونطق كل * هست محسوس حواس اهل دل * فلسفى كو منكر حنانه است *
از حواس اوليا بيكانه است * هركه را در دل شك وپيچانيست * در جهان او فلسفى پنهانيست *

قال بعض الحكماء معنى قوله ثم قست قلوبكم يبست ويبس القلب ان ييبس عن مائين احدهما ماء خشية الله تعالى والثانى ماء شفقة الخلق وكل قلب لا يكون فيه خشية الله ولا شفقة الخلق فهو كالحجارة او اشد قسوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسى وقال ايضا اربعة من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وطول الامل والحرص على الدنيا والاشارة فى تحقيق الاية ان اليهود وان شاهدوا عظيم الايات فحين لم تساعدهم العناية لم يزدهم كثرة الايات الا قسوة على قسوة فان الله اراهم الايات الظاهرة فرأوها بنظر الحس ولم يرهم البرهان الذى يراه القلب فيعجزهم عن التكذيب والانكار يدل عليه قوله تعالى وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وهكذا حال بعض المذكورين حين شرعوا فى الرياضات يلوح لهم من صفاء الروحانية ظهور بعض الايات وخرق العادات فاذا لم يكن مقارنا برؤية البرهان ليكون مؤيدا بالتأييدات الالهية لم يزدهم الا العجب والغرور واكثر ما يقع هذا للرهابين والمتفلسفة الذين استدرجهم الحق بالخذلان من حيث لا يعلمون وانما تشبه قلوبهم بالحجارة لعدم اللين الى الذكر الحقيقى وهو ما يتداركه الحق بذكره كقوله فاذكرونى اذكركم ومراتب القلوب فى القسوة متفاوتة فبعضها بمرتبة الحجارة التى يتفجر منها الانهار وهو قلب يظهر عليه بغلبات انوار الروح لصفائه بعض الاشياء المشبهة لخرق العادات كما يكون لبعض الرهابين والكهنة وبعضها بمرتبة وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وهو قلب يظهر عليه فى بعض الاوقات عند انخراق حجب البشرية انوار الروح فيريه بعض الايات

والمعانى المعقولة كما يكون لبعض الفلاسفة والشعراء وبعضها بمرتبة وان منها لما يهبط من خشية الله وهو قلب فيه بعض الصفاء فيكون بقدر صفائه قابل عكس انوار الروح من وراء الحجب فيقع فيه الخوف والخشية كما يكون لبعض اهل الاديان والملل وهذه المراتب مشتركة بين قلوب المسلمين وغيرهم فالفرق بينهم ان احوال هذه المراتب للمسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيدهم فى قربهم بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلى انوار الحق كما قال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وبعض القلوب بمرتبة الحجر القاسى الذى ما يؤثر فيه القرآن والاخبار والحكمة والموعظة وهذا القلب مخصوص بالكافر والمنافق فانه قلب مختوم عليه وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم عاجلا وآجلا فاما عاجلا بان يجعل انكاركم سبب مزيد قسوة قلوبكم فيقسيها باعمالكم الفاسدة ويطبع عليها بطابع انكاركم قال عليه السلام ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن فان شاء اقامه وان شاء ازاغه واما آجلا فيعاقبكم يوم القيامة على قدر سيآت اعمالكم كذا فى التاويلات النجمية

(افتطمعون) كان عليه السلام شديد الحرص على الدعاء الى الحق وقبولهم الايمان منه وكان يضيق صدره بسبب عنادهم وتمردهم فقص الله عليه اخبار بنى اسرائيل فى العناد العظيم مع مشاهدة الايات الباهرة تسلية لرسوله فيما يظهر من اهل الكتاب فى زمانه من قلة القبول والاستجابة والخطاب للنبى عليه السلام واصحابه والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما فى قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما فى قوله اضرب ابى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شؤنهم المؤيسة عنهم فتطمعون فى (ان يؤمنوا) جميع اليهود وعلماؤهم فانهم متماثلون فى شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يتأتى من اخلاقهم الامثل ما اتى من اسلافهم فلا تحزنوا على تكذيبهم واللام فى (لكم) لتضمين معنى الاستجابة اى فى ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اى فى ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم (و) الحال (قد كان فريق) كائن (منهم) اى طائفة ممن سلف منهم والفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط (يسمعون كلام الله) وهو ما يتلونه من التوراة (ثم يحرفونه) اى يغيرون ما فيها من الاحكام كتغييرهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول فى آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم لا تفعلوا فلا بأس قال فى التيسير الصحيح انهم لم يسمعوا كلام الله بلا واسطة فان ذلك كان لموسى على الخصوص لم يشركه فيه غيره فى الدنيا ومعنى يسمعون كلام الله اى التوراة من موسى بقراءته (من بعد ما عقلوه) اى من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة فى صحته يقول كيف يؤمن هؤلاء وهم يقلدون اولئك الاباء فهم من اصل السوء الذين مضوا بالعناد فلا تطمعوا الايمان منهم (وهم يعلمون) اى يحرفونه والحال انهم يعلمون انهم كاذبون مفترون (واذا لقوا) اى اليهود (الذين آمنوا) من اصحاب النبى عليه السلام (قالوا) اى منافقوهم (آمنا) كايمانكم وان محمدا هو الرسول المبشر به (واذا خلا) مضى ورجع (بعضهم) الذين لم ينافقوا اى اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين (الى بعض) اى الى الذين نافقوا بحيث لم يبق معهم غيرهم (قالوا) اى الساكتون عاتبين لمنافقيهم على ما صنعوا (اتحدثونهم) تخبرونهم والاستفهام بمعنى النهى اى لا تحدثوهم يعنون المؤمنين (بما فتح الله عليكم) اى بينه الله لكم خاصة فى التوراة من نعت النبى عليه السلام والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد (ليحاجوكم به) اللام متعلقة بالتحديث دون الفتح والضمير فى به لما فتح الله اى ليحتجوا عليكم به فيقطعوكم بالحجة ويبكتوكم (عند ربكم) اى فى حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اى فى كتابه وشرعه والمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض وهو المحاجة لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقلهم وركاكة آرائهم (افلا تعقلون) متصل بكلامهم من التوبيخ والعتاب اى الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش وهو ان ذلك حجة لهم عليكم فالمنكر عدم التعقل ابتداء او انفعلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر حينئذ عدم التعقل بعد الفعل (اولا يعلمون) الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اى ايلومونهم على التحديث مخافة المحاجة ولا يعلمون (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) اى جميع ما يسرونه

ومايعلنونه ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان فحينئذ يظهر الله للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحى الى النبى عليه السلام فتحصل المحاجة والتبكيت كما وقع فى آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاى فائدة فى اللوم والعتاب (ومنهم) اى من اليهود (اميون) لايحسنون الكتب ولا يقدرون على القرآءة والامى منسوب الى امة العرب وهى الامة الخالية عن العلم والقرآءة فاستعير لمن لايعرف الكتابة والقرآءة (لا يعلمون الكتاب) اى لايعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا مافيها من دلائل النبوة فيؤمنوا (الا امانى) جمع امنية من التمنى والاستثناء منقطع لانها ليست من جنس الكتب اى لكن الشهوات الباطلة ثابتة عندهم وهى المفتريات من تغيير صفة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانهم لايعذبون فى النار الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وان الله لايؤاخذهم بخطاياهم ويرحمهم ولا حجة لهم فى صحة ذلك (وان هم) اى ماهم (الا يظنون) ظنا من غير تيقن بها اى ماهم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى مرتبة العلم فانى يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين (فويل) كلمة يقولها كل واقع فى هلكة بمعنى الدعاء على النفس بالعذاب اى عقوبة عظيمة وهو مبتدأ خبره ما بعده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب رضى الله عنه انه واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره اى ذابت (للذين يكتبون الكتاب) المحرف (بايديهم) تأكيد لدفع توهم المجاز فقد يقول انسان كتبت الى فلان اذا امر غيره ان يكتب عنه اليه (ثم يقولون) لعوامهم (هذا) اى المحرف (من عند الله) فى التوراة روى ان احبار اليهود خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبى عليه السلام المدينة فاحتالوا فى تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبى عليه السلام فى التوراة وكانت هى فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العين ربعة اى متوسط القامة فغيروها وكتبوا مكانه طوال ازرق سبط الشعر وهو خلاف الجعد واذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه (ليشتروا به) اى يأخذوا لانفسهم بمقابلة المحرف (ثمنا) هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل الزائغ انما عبر عن المشترى الذى هو المقصود بالذات فى عقد المعاوضة بالثمن الذى هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودة بالذات (قليلا) لايعبأ به انما وصفه بالقلة اما لفنائه وعدم ثوابه واما لكونه حراما لان الحرام لابركة فيه ولا يربو عند الله كذا فى تفسير القرطبى (فويل لهم) اى العقوبة العظيمة ثابتة لهم (مما كتبت ايديهم) من اجل كتابتهم اياه (وويل لهم مما يكسبون) من اخذهم الرشوة وعملهم المعاصى واصل الكسب الفعل لجر نفع اودفع ضر ولهذا لا يوصف به سبحانه وفى الايات اشارات الاولى ان علم الرجل ويقينه ومعرفته ومكالمته مع الله لايفيده الايمان الحقيقى الا ان يتداركه الله بفضله ورحمته قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابدا وان الله تعالى كلم ابليس وخاطبه بقوله يا ابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى وما افاده الايمان الحقيقى اذ لم يكن مؤيدا من الله بفضله ورحمته ولم يبق على الايمان بعد العيان فكيف يؤمن بالبرهان (قال فى المثنوى) جز عنايت كه كشايد چشم را * جز محبت كه نشايد خشم را * جهد بى توفيق خود كس رامباد * درجهان والله اعلم بالسداد * جهد فرعونى چوبى توفيق بود * هرچه او مى دوخت آن تفتيق بود * والثانية ان العالم المعاند والعامى المقلد سوآء فى الضلال لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامى ان لايرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم وان الدين ليس بالتمنى فالذين ركنوا الى التقليد المحض واغتروا بظنون فاسدة وتخمينات مبهمة فهم الذين لانصيب لهم من كتبهم الا قرآءتها دون معرفة معانيها وادراك اسرارها وحقائقها وهذا حال اكثر اهل زماننا من مدعى الاسلام فالمدعى والمتمنى عاقبتهما خسران وضلال وحسرة وندامة ووبال (وفى المثنوى) تشنه را كر ذوق آيد از سراب * چون رسد دروى كريزد جويد آب * مفلسان كر خوش شوند از زر قلب * ليك آن رسوا شود در دار ضرب * والثالثة ان من بدل او غير او ابتدع فى دين الله ماليس منه فهو داخل فى الوعيد المذكور وقد حذر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امته لما علم مايكون فى آخر الزمان فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين كلها فى النار

الا واحدة فحذرهم ان يحدثوا من تلقاء انفسهم فى الدين خلاف كتاب الله او سنته او سنة اصحابه فيضلوا به الناس وقد وقع ماحذره وشاع وكثر وذاع فانا لله وانا اليه راجعون (قال السعدى) نخواهى كه نفرين كنند از پست * نكو باش تا بد نكويد كست * نه هر آدمى زاده از دد بهست * كه دد ز آدمى زاده بد بهست * والرابعة ان بعض المتسمين بالصوفية ينضم الى الاولياء وارباب القلوب ظاهرا ثم لايصدق الارادة ويميل الى اهل الغفلة ويصغى الى اقوالهم ويشتهى ارتكاب افعالهم كلما دعته هواتف الحظوظ سارع الى الاجابة طوعا واذا قادته دواعى الحق تكلف كرها ليس له اخلاص فى الصحبة فى طريق الحق فويل لهم مما يكسبون من الالحاد عن الحق واعتقاد السوء واغرآء الخلق واضلالهم فهم الذين ضلوا واضلوا كثيرا (وفى المثنوى) صد هزاران دام ودانه است اى خدا * ما چو مرغان حريص بى نوا * دمبدم ما بستهٔ دام نويم * هر يكى كر باز وسيمرغى شويم * فعلى السالك ان يجتهد فى الوصول الى الوجود الحق ويتخلص عن الموهوم المطلق ولا يغتر بظواهر الحالات غافلا عن بطون الاعتبارات فان طريق الحق ادق من كل دقيق وماء عميق وفج سحيق واجهل الناس من يترك يقين ما عنده من صفات نفسه التى لا شك فيها لظن ما عند الناس من صلاحية حاله قال حارث بن اسد المحاسبى رضى الله عنه الراضى بالمدح بالباطل كمن يهزأ به ويقال ان العذرة التى تخرج من جوفك لها رايحة كرايحة المسك وهو يفرح ويرضى بالسخرية به فالعاقل لايغتر بمثله بل يجتهد الى ان يصل الى الحقيقة فويل للواعظ تكبر وافتخر بتقبيل الناس يده ورأى نفسه خيرا من السامعين ويتقيد بالمدح والذم اللهم الا ان يخرج ذلك من قلبه والمعيار مساواة المقبل واللاطم عنده بل رجحان اللاطم والضارب قال فى مجلس وعظه جنيد البغدادى لولم اسمع قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر لما اجترأت على الوعظ فانا ذلك الرجل الفاجر (وقالوا) اى اليهود زعما منهم (لن تمسنا النار) اى لاتصل الينا النار فى الاخرة (الا اياما معدودة) قليلة محصورة سبعة ايام فانهم يقولون ان ايام الدنيا سبعة آلاف سنة فنعذب مكان كل الف سنة يوما او يراد اربعين يوما مقدار عبادة آبائهم العجل قال ابو منصور رحمه الله تصرف الايام المعدودة الى العمر الذى عصوا فيه وهم لم يروا التعذيب الاعلى قدر وقت العصيان او كانوا لايرون التخليد فى النار كالجهمى اولانهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه فلا نعذب ابدا بل نعذب تعذيب الاب ابنه والحبيب حبيبه فى وقت قليل ثم يرضى وهذا منهم باطل وعقوبة الكفر ابدا وثواب الايمان كذلك لان من اعتقد دينا انما يعتقده للابد فعلى ذلك جزآؤه للابد (قل) يا محمد تبكيتا لهم وتوبيخا (أتخذتم) بقطع الهمزة لانه الف استفهام بمعنى التوبيخ والالف المجتلبة ذهبت بالادراج اى أاتخذتم (عند الله عهدا) خبرا او وعدا بما تزعمون فان ماتدعون لايكون الا بناء على وعد قوى ولذلك عبر عنه بالعهد (فلن) الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف اى ان اتخذتم عند الله عهدا او اما نافلن (يخلف الله) الاخلاف نقض العهد (عهده) الذى عهده اليكم يعنى ينجز وعده البتة قال الامام ابو منصور لهذا وجهان احدهما هل عندكم خبر عن الله تعالى انكم لاتعذبون ابدا لكن اياما معدودة فان كان لكم هذا فهو لايخلف عهده ووعده والثانى الكم عند الله اعمال صالحة ووعدكم بها الجنة فهو لايخلف وعده (ام تقولون) مفترين (على الله مالا تعلمون) وقوعه وام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اى الامرين المتساويين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما تلخيصه ان كان لكم عنده عهد فلا ينقض ولكنكم تتخرصون وتكذبون روى انهم اذا مضت تلك المدة عليهم فى النار يقول لهم خزنة جهنم يا اعدآء الله ذهب الاجل وبقى الابد فايقنوا بالخلود (بلى) اثبات لما بعد النفى فهو جواب النفى ونعم جواب الايجاب اى قلتم لن تمسنا النار سوى الايام المعدودة بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون وبين ذلك بالشرط والجزاء وهما (من) فهو رفع مبتدأ بمعنى الشرط ولذلك دخلت الفاء فى خبره وان كان جوابا للشرط (كسب) الكسب استجلاب النفع واستعماله فى استجلاب الضر كالسيئة على سبيل التهكم (سيئة) من السيئات يعنى كبيرة من الكبائر (واحاطت به خطيئته) تلك واستولت عليه من جميع جوانبه من قلبه ولسانه ويده كما يحيط العدو وهذا انما يتحقق فى الكافر ولذلك فسر السلف السيئة بالكفر (فاولئك) الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات واحاطة خطاياهم بهم اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى فى كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ فى الضمائر الثلاثة (اصحاب النار) اى ملازموها فى الاخرة حسب ملازمتهم فى الدنيا لما يستوجبها

من الاسباب التى من جملتها ماهم عليه من تكذيب آيات الله وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك
وهو خبراولئك والجملة خبر للمبتدأ (هم فيها خالدون) دائمون فانى لهم التفصى عنها بعد سبعة ايام اواربعين
كما زعموا اوالجملة فى حيز النصب على الحالية لورود التصريح به فى قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها ولا حجة
فى الاية على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر (والذين آمنوا) اى صدقوا بالله تعالى
ومحمد عليه السلام بقلوبهم (وعملوا الصالحات) اى ادوا الفرآئض وانتهوا عن المعاصى (اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون) لايموتون ولا يخرجون منها ابدا اجرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه
الحكمة فى ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى فان باللطف والقهر
يترقى الانسان الى الكمال ويفوز بجنة الجمال والجلال (وحكى) انه كان لشيخ مريد فقال له يوما لورأيت ابا يزيد
كان خيرا لك من شغلك فقال كيف يكون هو خيرا وهو مخلوق ويتجلى الخالق كل يوم سبعين مرة ثم بالاخرة
ذهب مع شيخه الى ابى يزيد البسطامى فقالت امرأته لاتطلبوه فهو امرؤ ذهب للحطب فوقفا فى طريقه
فاذا هو حمل الحطب على اسد عظيم وبيده حية يضرب الاسد بها فى بعض الاوقات فلما رأه المريد مات وقال
ابو يزيد لشيخه قد ربيت مريدك باللطف ولم ترشده الى طريق القهر فلم يتحمل لما رأنى فلا تفعل بعد اليوم وأرهم
القهر ايضا قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى ان ابا يزيد برؤية القهر واللطف من الطريق كان مظهرا
لتجلى الذات بخلاف المريد فلما رأه فيه لم يتحمل (قال فى المثنوى) عاشقم برقهر وبر لطفش بجد *
بوالعجب من عاشق اين هردوضد * والله ارزين خاردربستان شوم * همچو بلبل زين سبب نالان شوم *
اين عجب بلبل كه بكشايد دهان * تاخوردا وخاررا باكلستان * اين چه بلبل اين نهنك آتشيست *
جمله ناخوشها ازعشق اوراخوشيست * والاشارة فى الآيات ان بعض المغرورين بالعقل من الفلاسفة
والطبايعية وغيرهم لفرط غفلتهم ظنوا ان قبايح اعمالهم وافعالهم واقوالهم لاتؤثر فى صفاء ارواحهم
فاذا فارقت الارواح الاجساد يرجع كل شئ الى اصله الاجساد ترجع الى العناصر والارواح الى حظائر القدس
ولا يزاحمها شئ من نتايج الاعمال الا اياما معدودة وهذا فاسد لان العاقل يشاهد حسا وعقلا ان تتبع الشهوات
الحيوانية واستيفاء اللذات النفسانية يورث الاخلاق الذميمة من الحرص والامل والحقد والحسد والبغض
والغضب والبخل والكبر والكذب وغير ذلك وهذه من صفات النفس الامارة بالسوء فتصير بالمجاورة والتعود
اخلاق الروح فيتكدر صفاؤه ويتبدل اخلاقه الروحانية من الحلم والكرم والمروءة والصدق والحياء والعفة والصبر
والشكر وغير ذلك بالاخلاق الحيوانية الشيطانية والذى يجتهد فى قمع الهوى والشهوات يورث هذه المعاملات
من مكارم الاخلاق وصفاء القلب وتحننه الى وطنه الاصلى وغير ذلك فلا يساوى الروح المتبع للنفس الامارة
كما للعوام بعد المفارقة مع الروح المتبع لالهامات الحق كما يكون للخواص وبعضهم قالوا وان تدنست الارواح
بقدر تعلقها بمحبوبات طباعها فبعد المفارقة بقيت فى العذاب اياما معدودة على قدر انقطاع التعلقات عنها
وزوال الكدورات ثم تخلص وهذا ايضا خيال فاسد وكذبهم الله بقوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
تظهر على مرآة قلبه بقدر ها رينا فان تاب محى عنه وان اصر على السيئات حتى اذا احاط بمرآة قلبه رين السيئات
بحيث لايبقى فيه الصفاء الفطرى وخرج منه نور الايمان وضوء الطاعات فاحاط به الخطيئات فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون وفيه اشارة ايضا الى بعض ارباب الطلب ممن يركن الى شهوات الدنيا فى اثناء الطلب فيتظفر
عليه الشيطان ويغره بزهده فيوقعه فى ورطة العجب فينظر الى نفسه بنظر التعظيم والى الخلق بنظر التحقير فيهلك
اويغتر بما ظهر فى اثناء السلوك من بعض الوقائع الصادقة والرؤيا الصالحة وشئ من المشاهدات والمكاشفات
الروحانية لاالرحمانية فيظن المغرور ان ليس ورآء عبادته قربة وانه بلغ مبلغ الرجال فيسكن عن الطلب وتعتريه
الآفات حتى احاطت به خطيئته فرجع قهقرى الى اسفل الطبيعة واما الذين آمنوا من اهل الطلب وعملوا على
قانون الشريعة باشارة شيخ الطريقة الصالحات المبلغات الى الحقيقة اولئك اصحاب الوصول الى جنات
الاصول خالدين فيها بالسير الى ابد الاباد فان المنازل والمقاصد وان كانت متناهية لكن السير فى المقصد
غير متناه بخلاف الذين احاطت بهم خطيئتهم فانهم خالدون فى نار القطيعة ولن تنفعهم المجاهدات والنظر
فى المعقولات والاستدلال بالشبهات (واذ اخذنا ميثاق بنى اسرآئيل) فى التوراة والميثاق العهد الشديد

وهو على وجهين عهد خلقة وفطرة وعهد نبوة ورسالة واذ نصب باضمار فعل خوطب به النبى عليه السلام
والمؤمنون ليؤديهم التأمل فى احوالهم الى قطع الطمع عن ايمان اخلافهم لان قبايح اسلافهم مما تؤدى
الى عدم ايمانهم ولا يلد الحية الا الحية ومن ههنا قيل اذا طاب اصل المرء طابت فروعه * اواليهود الموجودون
فى عصر النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اى اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم بان (لاتعبدون الا الله)
اى ان لاتعبدوا فلما اسقط ان رفع تعبدون لزوال الناصب اوعلى ان يكون اخبارا فى معنى النهى كما تقول تذهب
الى فلان تقول له كذا تريد به الامر اى اذهب وهو ابلغ من صريح الامر والنهى لما فيه من ايهام ان المنهى حقه
ان يسارع الى الانتهاء عما نهى عنه فكانه انتهى عنه فيخبر به الناهى اى لاتوحدوا الا الله ولاتجعلوا الالوهية
الا لله وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قيل واحلفناهم وقلنا بالله لاتعبدون الا الله (وبالوالدين
احسانا) اى وتحسنون احسانا على لفظ تعبدون لانه اخبار او واحسنوا على معناه لانه انشاء اى برا كثيرا
وعطفا عليهما ونزولا عند امرهما فيما لايخالف امر الله (وذى القربى) اى وتحسنون الى ذى القرابة ايضا
مصدر كالحسنى (واليتامى) جمع يتيم وهو الصغير الذى مات ابوه قبل البلوغ ومن الحيوانات الصغير الذى ماتت
امه والاحسان بهم بحسن التربية وحفظ حقوقهم عن الضياع (والمساكين) بحسن القبول وايصال الصدقة
اليهم جمع مسكين من السكون كأن الفقر اسكنه عن الحركة اى الحركة واثقله عن التقلب (و) قلنا
(قولوا للناس) قولا (حسنا) سماه حسنا مبالغة لفرط حسنه امر بالاحسان بالمال فى حق اقوام مخصوصين
وهم الوالدان والاقرباء واليتامى والمساكين ولما كان المال لايسع الكل امر بمعاملة الناس كلهم بالقول
الجميل الذى لايعجز عنه العاقل يعنى والينوا لهم القول بحسن المعاشرة وحسن الخلق وأمروهم بالمعروف
وانهوهم عن المنكر اى وقولوا للناس صدقا وحقا فى شأن محمد عليه السلام فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا
صفته ولا تكتموا امره (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) لما فرضا عليهم فى شريعتهم ذكرهما تنصيصا مع دخولهما
فى العبادة المذكورة تقديما وتخصيصا لتخصيصه اخذنا عهدكم يابنى اسرآئيل بجميع المذكور فقبلتم واقبلتم
عليه (ثم توليتم) على طريقة الالتفات اى اعرضتم عن المضى على مقتضى الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم)
وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واحزابه
(وانتم معرضون) جملة تذييلية اى وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق وليس
الواو للحال لاتحاد التولى والاعراض فالجملة اعتراض للتأكيد فى التوبيخ واصل الاعراض الذهاب
عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض واعلم ان فى الآية عدة اشياء منها العبادة فمن شرط العبودية
تفرد العبد لعبادة المعبود وتجرده عن كل مقصود فمن لاحظ خلقا اواستحلى ثناء اواستجلب بطاعته الى نفسه
حظا من حظوظ الدنيا والاخرة اوداخله بوجه من الوجوه مزج اوشوب فهو ساقط عن مرتبة الاخلاص
برؤية نفسه * حجاب راه توئى حافظ ازميان برخيز * خوشا كسى كه ازين راه بى حجاب رود *
ومنها الاحسان الى الوالدين وقد عظم الله حق الوالدين حيث قرن حقه بحقهما فى آيات من القرآن
لان النشأة الاولى من عند الله والنشأة الثانية وهى التربية من جهة الوالدين ويقال ثلاث آيات انزلت مقرونة
بثلاث آيات ولاتقبل احداها بغير قرينتها احداها قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول والثانية
ان اشكر لى ولوالديك والثالثة اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة والاحسان الى الوالدين معاشرتهما بالمعروف
والتواضع لهما والامتثال الى امرهما وصلة اهل ودهما والدعاء بالمغفرة بعد مماتهما (قال السعدى)
سالها برتو بكذرد كه كذر * نكنى سوى تربت بدرت * توبجاى پدرچه كردى خير * تاهمان
چشم دارى از پسرت * وفى التأويلات النجمية ان فى قوله وبالوالدين احسانا اشارة الى ان اعز الخلق
الى العبد كان والديه لاجل انهما سببا وجوده فى الظاهر ولكن ينبغى ان يحسن اليهما بعد خروجه
عن عهدة عبودية ربه اذ هو موجد وجوده ووجود والديه فى الحقيقة ولايختار على اداء عبوديته احسان
والديه فكيف الالتفات لغيرهما ومنها البر الى اليتامى * برحمت بكن آبش ازديده پاك * بشفقت بيفشانش
ازچهره خاك * وفى الحديث ماقعد يتيم مع قوم على قصعتهم فيقرب قصعتهم الشيطان وفى الحديث ايضا
من ضم يتيما من بين مسلمين الى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله عزوجل غفرت له ذنوبه البتة الا ان يعمل عملا

لا يغفر ومن اذهب الله كريمتيه فصبر واحتسب غفرت له ذنوبه قالوا وما كريمتاه قال عيناه ومن كان له ثلاث بنات اوثلاث اخوات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يكبرن اويمتن غفرت له ذنوبه البتة الاان يعمل عملا لا يغفر فناداه رجل من الاعراب ممن هاجر فقال يارسول الله اواثنتان فقال صلى الله عليه وسلم اواثنتان وقال صلى الله عليه وسلم كافل اليتيم اناوهو كهاتين فى الجنة واشار بالسبابة والوسطى والسبابة من الاصابع هى التى تلى الابهام وكانت فى الجاهلية تدعى بالسبابة لانهم كانوا يسبون بها فلما جاء الله بالاسلام كرهوا هذا الاسم فسموها بالمشيرة لانهم كانوا يشيرون بها الى الله بالتوحيد والمشيرة من اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت اطول من الوسطى ثم الوسطى اقصر منها ثم البنصر اقصر من الوسطى فقوله عليه السلام اناوهو كهاتين فى الجنة وقوله فى الحديث الاخر احشر اناوابو بكر وعمر يوم القيامة هكذا واشار باصابعه الثلاث فانما اراد ذكر المنازل والاشراف على الخلق فقال نحشر هكذا ونحن مشرفون وكذلك كافل اليتيم يكون له منزلة رفيعة فمن لم يعرف شأن اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمل تأويل الحديث على الانضمام واقتراب بعضهم من بعض فى محل القربة وهذا معنى بعيد لان منازل الرسل والنبيين والصديقين والشهدآء والصالحين مراتب متباينة ومنازل مختلفة كذا فى تفسير القرطبى ومنها البر الى المساكين وهم الذين اسكنتهم الحاجة وذللتهم وهذا يتضمن الحض على الصدقة والمواساة وتفقد احوال المساكين والضعفاء وفى الحديث الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وكان طاووس يرى السعى على الاخوات افضل من الجهاد فى سبيل الله نخواهى كه باشى پراكنده دل ✻ پراكنده كان را زخاطر مهل ✻ پريشان كن امروز گنجينه چست ✻ كه فردا كليدش نه دردست تست ✻ ومنها القول الحسن والمخرج الطالب عن عهدة حق العبودية وعمت رحمته وشفقته الى الوالدين وغيرهما الزم له ان يقول للناس حسنا يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة الى الله ويهديهم الى طريق الحق ويخالقهم بحسن الخلق وان يكون قوله لينا ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر والسنى والمبتدع من غير مداهنة ومن غير ان يتكلم معه بكلام يظن انه يرضى مذهبه لان الله تعالى قال لموسى وهارون عليهما السلام فقولا له قولا لينا فليس بافضل من موسى وهارون والفاجر ليس باخبث من فرعون وقد امرهما الله باللين معه فدخل فى هذه الاية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفى (قال الحافظ) آسايش دوگيتى تفسير اين دو حرفست ✻ بادوستان تلطف بادشمنان مدارا ✻ (وقال السعدى) درشتى نگيرد خردمند پيش ✻ نه سستى كه ناقص كند قدر خويش ✻ (واذ اخذنا ميثاقكم) اى واذكروا ايها اليهود وقت اخذنا اقراركم وعهدكم فى التوراة وقلنا لكم (لا تسفكون دماءكم) لا يريق بعضكم دم بعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا فلما بينهم من الاتصال القوى نسبا ودينا اجرى كل واحد منهم مجرى انفسهم وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه وهو اخبار فى معنى النهى كانه سورع الى الانتهاء فهو يخبر عنه (ولا تخرجون انفسكم من دياركم) اى لا يخرج بعضكم بعضا من دياره اولا تسيؤا جيرانكم فتلجئوهم الى الخروج وفى اقتران الاخراج من الديار بالقتل ايذان على انه بمنزلة القتل (ثم اقررتم) اى بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وبوجوب المحافظة عليه (وانتم تشهدون) عليها توكيد للاقرار كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها اوانتم اليوم ايها اليهود تشهدون على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق (ثم انتم) مبتدأ (هؤلاء) خبر ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذى خرجت به والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون والناقضون المتناقضون يعنى انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين كانهم قالوا كيف نحن فقيل (تقتلون انفسكم) الجارين مجرى انفسكم فهو بيان لقوله ثم انتم هؤلاء (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) الضمير للفريق وهو الطائفة (تظاهرون عليهم) بحذف احدى التاءين حال من فاعل تخرجون اومن مفعوله مبينة لكيفية الاخراج رافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعنى تقوون ظهوركم للغلبة عليهم بالاثم حال من فاعل تظاهرون اى ملتبسين (بالاثم) وهو الفعل الذى يستحق فاعله الذم واللوم (والعدوان) اى التجاوز فى الظلم ودلت الاية على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه كذا فى التفسير الكبير (وان يأتوكم اسارى) اى جاؤكم حال كونهم مأسورين اى ظهروا لكم على هذه الحالة ولم يرد به الاتيان

الاختيارى والاسارى والاسرى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى المفعول من الاسر بمعنى الشد والايثاق والفرق انهم اذا قيدوا فهم اسارى واذا حصلوا فى اليد من غير قيد فهم اسرى (تفادوهم) اى تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء والمفاداة تجرى بين الفادى وبين قابل الفداء (وهو) مبتدأ اى الشان (محرم عليكم اخراجهم) محرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا من اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان وذلك ان الله تعالى اخذ على بنى اسرآئيل فى التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد اوامة وجدتموه من بنى اسرآئيل فاشتروه واعتقوه وكان قريظة والنضير من اليهود اخوين وكذا الاوس والخزرج وهم اهل شرك يعبدون الاصنام لا يعرفون القيامة والجنة والنار والحلال والحرام فافترقوا فى حرب سمير ووقعت بينهم عداوة فكانت بنوا قريظة معينة للاوس وحلفاءهم اى ناصريهم والنضير معينة للخزرج وحلفاءهم فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قريظة مع الاوس والنضير مع الخزرج يظاهر كل قوم حلفاءه على اخوانهم حتى يتسافكوا الدماء واذا غلبوا اخربوا ديارهم واخرجوهم منها وبايديهم التوراة يعرفون ما فيها ما عليهم وما لهم فاذا وضعت الحرب اوزارها افتدى قريظة ما كان فى ايدى الخزرج منهم وافتدى النضير ما كان فى ايدى الاوس منهم من الاسارى فعيرتهم العرب بذلك وقالوا كيف تقاتلونهم وتفدونهم فقالوا امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم قالوا فلم تقاتلونهم قالوا انا نستحيى ان يستذل حلفاؤنا فذمهم على المناقضة وتلخيصه اعرضتم عن الكل الا الفداء لان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة عليهم مع اعدآئهم وفدآء اسارهم فاعرضوا عن الكل الا الفدآء (افتؤمنون ببعض الكتاب) وهو الفدآء والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اى اتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب (وتكفرون ببعض) هو حرمة القتال والاخراج مع ان قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقى لكون الكل من عند الله داخلا فى الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض (فما جزآء) نفى اى ليس جزآء (من يفعل ذلك) اى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان بالبعض (منكم) يا معشر اليهود حال من فاعل يفعل (الا خزى) استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ اى ذل وهوان مع الفضيحة وهو قتل بنى قريظة واسرهم واجلاء بنى النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل هو اخذ الجزية (فى الحياة الدنيا) صفة خزى ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ماذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا اثر له اصلا مع الكفر بالبعض (ويوم القيامة) يوم تقام فيه الاجزية (يردون) اى يرجعون والرد الرجع بعد الاخذ (الى اشد العذاب) هو التعذيب فى جهنم وهو اشد من خزيهم فى الدنيا واشد من كل عذاب كان قبله فانه ينقطع وهذا لا ينقطع وفى الحديث فضوح الدنيا اهون من فضوح الاخرة وانما كان اشد لما ان معصيتهم كانت اشد المعاصى (وفى المثنوى) هركه ظالم تر چهش باهول تر ✻ عدل فرمودست بدتر را بتر ✻ (وما الله بغافل) بساه (عما تعملون) من القبائح التى من جملتها هذا المنكر اى لا يخفى عليه شئ من اعمالهم فيجازيهم بها يوم البعث تهديد شديد وزجر عظيم عن المعصية وبشارة عظيمة على الطاعة لان الغفلة اذا كانت ممتنعة عليه سبحانه مع انه اقدر القادرين وصلت الحقوق الى مستحقيها (اولئك) الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة (الذين اشتروا الحياة الدنيا) واستبدلوها (بالاخرة) واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ماذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان مراعاة لجانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدينية والدنيوية (فلا يخفف عنهم العذاب) دنيويا كان اواخرويا (ولاهم ينصرون) يمنعون من العذاب بدفعه عنهم بشفاعة اوجبر اعلم ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا ولذات الاخرة ممتنع غير ممكن والله سبحانه مكن المكلف من تحصيل ايهما شاء واراد فاذا اشتغل بتحصيل احداهما فقد فوت الاخرى على نفسه فجعل الله ما اعرض اليهود عنه من الايمان بما فى كتابهم وما حصل فى ايديهم من الكفر ولذات الدنيا كالبيع والشرآء وذلك من الله نهاية الذم لهم لان المغبون فى البيع والشرآء فى الدنيا مذموم فان يذم مشترى الدنيا بالاخرة اولى فعلى العاقل ان يرغب فى تجارة الاخرة ولا يركن الى الدنيا ولا يسفك دمه بامتثال اوامر الشيطان فى استجلاب حظوظ النفس ولا يخرج من ديار دينه التى كان عليها فى اصل الفطرة فانه اذا يضل ويشقى وفى قوله لا تسفكون دماءكم اشارة اخرى الى ان العبد لا يجوز له ان يقتل نفسه من جهد اوبلاء يصيبه اويهيم فى الصحرآء ولا يأتى

البيوت جهلا فى ديانته وسفها فى حلمه فهو عام فى جميع ذلك وقد روى ان بعض الصحابة رضى الله عنهم عزموا
ان يلبسوا المسوح وان يهيموا فى الصحرآء ولا يأووا البيوت ولا يأكلوا اللحم ولا يغشوا النساء فقال عليه
السلام انى اصلى وانام واصوم وافطر واغشى النساء وآوى البيوت وآكل اللحم فمن رغب عن سنتى فليس منى
فرجعوا عما عزموا قال تعالى وآت كل ذى حق حقه فالكمال فى التجاوز عن القيود والوصول الى عالم الشهود
وعين العارف لاترى غير الله فى المرايا والمظاهر فمن اى شئ يهرب والى اين يهرب فاينما تولوا فثم وجه الله ولذا قيل
الذى يطلب العلم لله اذا قيل له غدا تموت لايضيع الكتاب من يده بكونه وفى الحقوق مشتغلا به لله مخلصا له
النية فلم ير افضل مما هو فيه فيحب ان يأتيه الموت على ذلك واعلم ايضا ان الاسارى اصناف شتى فمن اسير فى قيد
الهوى فانقاذه بالدلالة على الهدى ومن اسير بقيد حب الدنيا فخلاصه فى اخلاص ذكر المولى (وفى المثنوى)
ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز ✻ چشم نركس را ازين كركس بدوز ✻ ومن اسير بقى فى قيد الوسواس
فقد استهوته الشياطين فقد آوه برشده الى اليقين بلوآيح البراهين لينقذه من الشكوك والظنون والتخمين
ويخرجه من ظلمات التقليد وما تعود بالتلقين ومن اسير تجده فى اسر هواجس نفسه ربيط زلاته ففك اسره
فى ارشاده الى اقلاعها ومن اسير تجده فى اسر صفاته وحبس وجوده فنجاته فى الدلالة على الحق فيما يحل عنه
وثاق الكون ومن اسير تجده فى قبضة الحق فليس لاسيرهم فدآء ولا لقتيلهم قود ولا لربيطهم خلاص ولا عنهم
بدل ولا معهم جدل ولا اليهم لغيرهم سبيل ولا لديهم الا بهم دليل ولا بهم فرار ولا معهم قرار فهذا مقام الاولياء
الكمل فمن اتخذ هذه الطريقة سبيلا نال الى مراده ووصل الى مقام فؤاده وتخلص من الخزى الذى هو عمى
القلب عن مشاهدة الحق والعمه فى تيه الباطل فى الدنيا والاخرة (قال فى المثنوى) اصل صد يوسف جمال
ذو الجلال ✻ اى كم از زن شو فداى ان جمال ✻ اصل بيند ديده چون اكحل بود ✻ فرع بيند چونكه
مرد احول بود ✻ سرمهٔ توحيد از كحال حال ✻ يافته رسته ز علت واعتلال ✻ ولابد من العشق
فى طريق الحق (وحكى) ان عجوزا احضرت السوق قطعة غزل وقالت اكتبونى من مشترى يوسف حتى
يوجد اسمى فى دفتر العشاق اللهم لاتحجبنا عن جمالك وعنك واجعلنا من الفائزين بنوالك ووصالك منك
(ولقد آتينا) اى بالله لقد اعطينا يا بنى اسرآئيل (موسى) لغة عبرانية قد سبق تفصيله عند قوله تعالى
واذ واعدنا موسى الاية (الكتاب) اى التوراة جملة واحدة (وقفينا من بعده بالرسل) يقال قفاه به اذا اتبعه اياه
اى اتبعنا من بعد موسى رسولا بعد رسول مقتفين اثره وهم يوشع واشمويل وداود وسليمان وشمعون وشعيا
وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام (وآتينا عيسى) بالسريانية
اليسوع ومعناه المبارك والاصح انه لا اشتقاق له ولا امثاله فى العربية (ابن) باثبات الالف ان كان واقعا
بين العلمين لندرة الاضافة الى الام (مريم) بالسريانية بمعنى الخادمة والعابدة قد جعلتها امها محررة لخدمة
المسجد ولكمال عبادتها ربها سماها الحق تعالى فى كتابه الكريم مع الانبياء عليهم السلام سبع مرات وخاطبها
كما خوطب الانبياء كما قال تعالى يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين فشاركها مع الرجال
(البينات) المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابرآء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل
(وايدناه) اى قويناه (بروح القدس) من اضافة الموصوف الى الصفة اى بالروح المقدسة المطهرة وهى روح
عيسى عليه السلام ووصفت بالقدس للكرامة لان القدس هو الله تعالى او الروح جبريل ووصف بالطهارة
لانه لم يقترف ذنبا وسمى روحا لانه كان يأتى الانبياء بما فيه حياة القلوب ومعنى تقويته به انه عصمه من اول حاله
الى كبره فلم يدن منه شيطان عند الولادة ورفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله وتخصيص عيسى من بين
الرسل ووصفه بايتاء البينات والتأييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التوراة وتقريرها واما
عيسى فقد نسخ بشرعه كثير من احكامها وحسم مادة اعتقادهم الباطل فى حقه ببيان حقيقته واظهار
كمال قبح ما فعلوا به وما بين موسى وعيسى اربعة آلاف نبى وقيل سبعون الف نبى (افكلما جاءكم) خاطب
اهل عصر النبى عليه السلام بهذا وقد فعله اسلافهم يعنى لم يوجد منهم القتل ان وجد الاستكبار لانهم يتولونهم
ويرضون بفعلهم والفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اى ألم تطيعوهم فكلما جاءكم (رسول بما لاتهوى)
اى لاتريد (انفسكم) ولا يوافق هواكم من الحق الذى لا انحراف عنه (استكبرتم) اى تعظمتم عن الاتباع له

والايمان بما جاء به من عند الله (ففريقا) منهم (كذبتم) كعيسى ومحمد عليهما السلام (وفريقا تقتلون) كزكريا
ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقدم فريقا فى الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر
ولم يقل قتلتم وان اريد الماضى تعظيما لهذه الحالة فكانها وان مضت حاضرة لشناعتها ولثبوت عارها عليهم
وعلى ذريتهم بعدهم او يراد وفريقا تقتلونهم بعد وانكم على هذه النية لانكم حاولتم قتل محمد عليه السلام
لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة حتى قال عليه السلام عند موته مازالت اكلة خيبر
تعاودنى اى براجعنى اثر سمها فى اوقات معدودة فهذا اوان قطعت ابهرى وهو عرق منبسط فى القلب
اذا انقطع مات صاحبه وقصته انه لما فتحت خيبر وهو موضع بالحجاز اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
شاة فيها سم فقال رسول الله انى سائلكم عن شئ فهل انتم صادقى عنه قالوا نعم يا ابا القاسم قال هل جعلتم فى هذه
الشاة سما قالوا نعم قال فما حملكم على ذلك قالوا اردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت صادقا لم يضرك
واعلم ان اليهود انفوا من ان يكونوا اتباعا وكانت لهم رياسة وكانوا متبوعين فلم يؤمنوا مخافة ان يذهب عنهم
الرياسة فما دام لم يخرج حب الرياسة من القلب لاتكون النفس مؤمنة بالايمان الكامل وللنفس صفات سبع
مذمومة العجب والكبر والرياء والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه ولجهنم ايضا ابواب سبعة فمن زكى
نفسه عن هذه السبع فقد اغلق سبعة ابواب جهنم ودخل الجنة واوصى ابراهيم بن ادهم بعض اصحابه فقال
كن ذنبا ولا تكن رأسا فان الرأس يهلك والذنب يسلم (قال فى المثنوى) تا توانى بنده شو سلطان مباش ✻
زخم كش چون كوى شو چوكان مباش ✻ اشتهار خلق بند محكمست ✻ در ره اين از بند آهن كى كم است ✻
وعن بعض المشايخ النقشبندية انه قال دخلت على الشيخ المعروف بدده عمر الروشنى للعبادة فوجدته متغير
الحال بسبب انه داخله شئ من حب الرياسة لانه كان مشهورا فى بلدة تبريز مرجعا للاكابر والاصاغر
فنعوذ بالله من الحور بعد الكور وفى شرح الحكم ادفن وجودك اى ما يكون سبب ظهور واختصاصك بين الخلق
من علم او عمل او حال فى ارض الخمول التى هى احد ثلاثة امور احدها ان ترى ما جبلت عليه من النقص فلا تعتد
بشئ يظهر منك لعلمك بدسائسك وخبائث نفسك الثانى ان تنظر اليك من حيث انت فلا ترى لائقا بك
الا النقص وتنظر الى مولاك فتراه اهلا لكل كمال فكل ما يصدر لك من احسان نسبته اليه اعتبارا بما انت
عليه من خمول الوصف الثالث ان تظهر لنفسك ما يوجب نفى دعواها من مباح مستبشع او مكروه
لم يمنع دوآء لعلة العجب لا محرما متفقا عليه اذ كما لا يصح دفن الزرع فى ارض رديئة لا يجوز الخمول فى حالة
غير مرضية (وقالوا) اى اليهود الموجودون فى عصر النبى عليه السلام (قلوبنا غلف) جمع اغلف مستعار
من الاغلف الذى لم يختن اى هى مغشاة باغشية جبلية لايكاد يصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه ثم رد الله
ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق واضرب وقال (بل لعنهم
الله بكفرهم) اى خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء
اختيارهم بالمرة (فقليلا ما يؤمنون) ما مزيدة للمبالغة اى فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب
والفاء لسببية اللعن لعدم الايمان (ولما جاءهم كتاب) كائن (من عند الله) وهو القرءان ووصفه بقوله من عند الله
للتشريف (مصدق لما معهم) اى موافق للتوراة فى التوحيد وبعض الشرآئع قال ابن التمجيد المصدق به
ما يختص ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدل عليها من العلامات والصفات لا الشرآئع والاحكام
لان القرءآن نسخ اكثرها (وكانوا من قبل) اى قبل مجئ محمد صلى الله عليه وسلم (يستفتحون على الذين كفروا)
اى يستنصرون به على مشركى العرب وكفار مكة ويقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد
نعته فى التوراة ويقولون لاعدآئهم قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم
(فلما جاءهم ما عرفوا) من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه
للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية (كفروا به) حسدا وحرصا على الرياسة وغيره واصفته وهو جواب
لما الاولى والثانية تكرير للاولى (فلعنة الله على الكافرين) اى عليهم وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة
على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم والفاء للدلالة على ترتيب اللعنة على الكفر واللعنة فى حق الكفار الطرد والابعاد
من الرحمة والكرامة والجنة على الاطلاق وفى حق المذنبين من المؤمنين الابعاد عن الكرامة التى وعد بها

من لا يكون فى ذلك الذنب ومنه قوله عليه السلام من احتكر فهو ملعون اى من ادخر ما يشتريه وقت الغلاء ليبيعه وقت زيادة الغلاء فهو مطرود عن درجة الابرار لا عن رحمة الغفار واعلم ان الصفات المقتضية للعن ثلاث الكفر والبدعة والفسق وله فى كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين او المبتدعة او الفسقة والثانية اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى او على القدرية والخوارج والروافض او على الزناة والظلمة وآكل الربا وكل ذلك جائز والثالثة اللعن على الشخص فان كان ممن ثبت شرعا يجوز لعنه ان لم يكن فيه اذى على مسلم كقولك لعنة الله على فرعون وابى جهل لانه ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا وان كان ممن لم يثبت شرعا كلعنة زيد او عمرو او غيرهما بعينه فهذا فيه خطر لان حال خاتمته غير معلوم وربما يسلم الكافر او يتوب فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا الا يرى ان وحشيا قتل عم النبى عليه السلام اعنى حمزة رضى الله عنه ثم اسلم على يد النبى عليه السلام وبشره الله بالجنة وهذه حجة من لم يلعن يزيد لانه يحتمل ان يتوب ويرجع عنه فمع هذا الاحتمال لا يلعن قال بعضهم لعن يزيد على اشتهار كفره وتواتر فظاعة شره لما انه كفر حين امر بقتل الحسين رضى الله عنه ولما قال فى الخمر (فان حرمت يوما على دين احمد * فخذها على دين المسيح ابن مريم) واتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين رضى الله عنه او امر به او اجازه او رضى به كما قال سعد الملة والدين التفتازانى الحق ان رضى يزيد بقتل الحسين واستبشاره واهانته اهل بيت النبى عليه السلام مما تواتر معناه وان كان تفاصيله آحادا فنحن لا نتوقف فى شأنه بل فى ايمانه لعنة الله عليه وعلى انصاره واعوانه انتهى وكان الصاحب بن عباد يقول اذا شرب ماء بثلج (قعقعة الثلج بماء عذب * تستخرج الحمد من اقصى القلب) ثم يقول اللهم جدد اللعن على يزيد ويكف اللسان عن معاوية تعظيما لمتبوعه وصاحبه عليه السلام لانه خال المؤمنين وكاتب الوحى وذو السابقة والفتوح الكثيرة وعامل الفاروق وذى النورين لكنه اخطأ فى اجتهاده فتجاوز الله عنه ببركة صحبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال الخياط المتكلم ما قطعنى الاعلام قال ما تقول فى معاوية قلت انا اقف فيه قال فما تقول فى ابنه يزيد قلت العنه قال فما تقول فيمن يحبه قلت العنه قال افترى ان معاوية كان لا يحب ابنه كذا فى روضة الاخبار ثم اعلم ان اللعنة ترتد على اللاعن ان لم يكن الملعون اهلا لذلك ولعن المؤمن كقتله فى الاثم وربما يلعن شيأ من ماله فتنزع منه البركة فلا يلعن شيأ من خلق الله لا للجماد ولا للحيوان ولا للانسان قال عليه السلام اذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه فالاولى ان يترك ويشتغل بدله بالذكر والتسبيح اذ فيه ثواب ولا ثواب فى اللعن وان كان يستحق اللعن قال عليه السلام ارأيت النار واكثر اهلها النساء فانهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير فلو احسنت الى احداهن الدهر كله ثم اذا رأت منك شيأ قالت ما رأيت منك خيرا قط قال على كرم الله وجهه من افتى الناس بغير علم لعنته السماء والارض وسألت بنت على البلخى اباها عن القئ اذا خرج الى الحلق فقال يجب اعادة الوضوء فرأى رسول الله عليه السلام يقول لا يا على حتى يكون ملئ الفم فقال علمت ان الفتوى تعرض على رسول الله فاليت على نفسى ان لا افتى ابدا كذا فى الروضة (بئسما) ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اى بئس شيأ (اشتروا) صفة واشترى بمعنى باع وابتاع والمراد ههنا الاول (به) اى بذلك الشئ (انفسهم) المراد الايمان وانما وضع الانفس موضع الايمان ايذانا بانها انما خلقت للعلم والعمل به المعبر عنه بالايمان ولما بدلوا الايمان بالكفر كانوا كانهم بدلوا الانفس به والمخصوص بالذم قوله تعالى (ان يكفروا بما انزل الله) اى بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيقته (بغيا) علة لان يكفروا اى حسدا وطلبا لما ليس لهم كان الحاسد يطلب ما ليس له لنفسه مما للمحسود من جاه او منزلة او خصلة حميدة والباغى هو الظالم الذى يفعل ذلك عن حسده والمعنى بئس شيأ باعوا به ايمانهم كفرهم المعلل بالبغى الكائن لاجل (ان ينزل الله) او حسدا على ان فان الحسد يستعمل بعلى (من فضله) الذى هو الوحى (على من يشاء) اى يشاؤه ويصطفيه (من عباده) المستأهلين لتحمل اعباء الرسالة والمراد ههنا محمد صلى الله عليه وسلم كانت اليهود يعتقدون نبى آخر الزمان ويتمنون خروجه وهم يظنون انه من ولد اسحق فلما ظهر انه من ولد اسمعيل حسدوه وكرهوا ان يخرج الامر من بنى اسرائيل فيكون لغيرهم (فباؤا) اى رجعوا ملتبسين (بغضب) كائن (على غضب) اى صاروا مستحقين لغضب مترادف ولعنة اثر لعنة حسبما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبى الحق وبغوا عليه (وللكافرين) اى لهم والاظهار

فى موضع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم (عذاب مهين) يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله كان مبنيا على الحسد المبنى على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل الله عليه صلى الله عليه وسلم ودل ان عذاب المؤمنين تأديب وتطهير وعذاب الكفار اهانة وتشديد وان المراتب الدنيوية والاخروية كلها من فيض الله تعالى وفضله فليس لاحد ان يعترض عليه ويحسده على الالطاف الالهية فان الكمالات مثل النبوة والولاية ليست من الامور الاكتسابية التى يصل اليها العبد بجهد كثير وكمال اهتمام اما النبوة اى البعثة فاختصاص الهى حاصل لعينه الثابتة من التجلى الموجب للاعيان فى العلم وهو الفيض الاقدس واما الولاية فهو ايضا اختصاص الهى غير كسبى بل جميع المقامات كذلك اختصاصية عطائية غير كسبية حاصلة للعين الثابتة من الفيض الاقدس وظهوره بالتدريج بحصول شرائطه واسبابه يوهم المحجوب فيظن انه كسبى بالتعمل وليس كذلك فى الحقيقة فلا معنى للحسد لكن الجاهلين عن حقيقة الحال يطيلون السنتهم بالقيل والقال ولا ضير فانه رفع لدرجات العبد واقتضت سنة الله ان يشفع اهل الجمال باهل الجلال ليظهر الكمال (قال الحافظ) درين چمن كل بيخار كس نچيد آرى * چراغ مصطفوى باشرار بولهبيست (وحكى) ان المولى جلال الدين لما فقد الشمس التبريزى طاف البلاد بالحرارة فى طلبه فمر يوما امام حانوت ذهبى للشيخ صلاح الدين زركوب فقال له تعال يا مولانا فدخل فى حانوته فقال لاى شئ تجزع وتدور قال الفلك اذا فقد شمسه يدور لاجله ليتخلص عن ظلمة الفراق فقال الشيخ انا شمسك قال مولانا من اين اعرف انك شمسى فاخبره عن المراتب التى اوصله اليها الشيخ شمس الدين فقبل يده واعتذر فقال كان شمسى ارانى اولا بطانته فالآن ارانى وجهه فاشتغل عنده فوصل الى ما وصل ثم لما سمعه بعض اتباع مولانا ارادوا قتله وحسدوا عليه فارسل اليهم مولانا ابنه سلطان ولد فقال الشيخ ان الله تعالى اعطانى قدرة على قلب السماء الى الارض فلو اردت لاهلكتهم بقدرة الله لكن الاولى ان نتحمل وندعو لاصلاح حالهم فدعا الشيخ فامن سلطان ولد فلانت قلوبهم واستغفروا (قال فى المثنوى) چون كنى بر بى حسد مكر وحسد * زان حسد دل راسياهيها رسد * خاك شو مردان حق را زير پا * خاك بر فرق حسد كن همچو ما * وهكذا احوال الانبياء والاولياء الا يرى الى قوله عليه السلام اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون وكان الاصحاب رضى الله عنهم يبكون دما من اخلاق النفس ولا يزالون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عما به يتخلصون عن الاوصاف الذميمة ويتطهرون ظاهرا وباطنا طلبا للنجاة من العذاب المهين واشده الفراق (واذا قيل لهم) اى واذا قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود اهل المدينة ومن حولها ومعنى اللام الانهاء والتبليغ (آمنوا بما انزل الله) من الكتب الالهية جميعا (قالوا نؤمن) اى نستمر على الايمان (بما انزل علينا) يعنون به التوراة وما انزل على انبياء بنى اسرائيل لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم واسندوا الانزال على انفسهم لان المنزل على نبى منزل على امته معنى لانه يلزمهم (و) هم (يكفرون بما وراءه) اى سوى ما انزل (وهو) اى والحال ان ما وراء التوراة (الحق) اى المعروف بالحقيقة الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق (مصدقا لما معهم) من التوراة غير مخالف له حال مؤكدة من الحق والعامل فيها ما فى الحق من معنى الفعل وصاحب الحال ضمير دل عليه الكلام اى احقه مصدقا اى حال كونه موافقا لما معهم وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل نبى بقوله تعالى (قل) يا محمد تبكيتا لهم من جهة الله تعالى ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم (فلم) اصله لما لامه للتعليل دخلت فى ما التى للاستفهام وسقطت الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية (تقتلون انبياء الله من قبل) صيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اى قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلاى شئ تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام واسند فعل الآباء وهو القتل الى الابناء للملابسة بين الآباء والابناء قال ابو الليث فى تفسيره وفى الاية دليل ان من رضى بالمعصية فكانه فاعل لها لان اليهود كانوا راضين بقتل آبائهم فسماهم الله قاتلين حيث قال قل فلم تقتلون الاية (ان كنتم مؤمنين) جواب الشرط محذوف لدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وهو تكرير للاعتراض لتأكيد الالزام وتشديد التهديد (ولقد جاءكم موسى بالبينات) من تمام التبكيت والتوبيخ

داخل تحت الامر واللام للقسم اى بالله قد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة من العصا واليد وفلق البحر
ونحو ذلك (ثم اتخذتم العجل) اى الها (من بعده) اى من بعد مجيئه بها وثم للتراخى فى الرتبة والدلالة على نهاية قبح
ما فعلوا (وانتم ظالمون) حال من ضمير اتخذتم اى عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة فى غير موضعها (واذا اخذنا
ميثاقكم) اى العهد منكم (ورفعنا فوقكم الطور) اى الجبل قائلين لكم (خذوا ما آتيناكم بقوة)
اى بجد واجتهاد (واسمعوا) ما فى التوراة سماع قبول وطاعة (قالوا) كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا (سمعنا)
قولك ولكن لا سماع طاعة (وعصينا) امرك ولولا مخافة الجبل ما قبلنا فى الظاهر فاذا كان حال اسلافهم
هكذا فكيف يتصور من اخلافهم الايمان (قال الفردوسى) زبد كوهران بد نباشد عجب * سياهى نباشد
بريدن زشب * زبد اصل چشم بهى داشتن * بود خاك در ديده انباشتن (واشربوا) اى والحال انهم
قد اشربوا (فى قلوبهم) بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون فى بطونهم نارا (العجل) اى حب العجل
على حذف المضاف واشرب قلبه كذا اى حل محل الشراب او اختلط كما خلط الصبغ بالثوب وحقيقة اشربه
كذا جعله شاربا لذلك فالمعنى جعلوا شاربين حب العجل نافذا فيهم نفوذ الماء فيما يتغلغل فيه قال الراغب
من عاداتهم اذا ارادوا مخامرة حب او بغض فى القلب ان يستعيروا لها اسم الشراب اذ هو ابلغ مساغ فى البدن
ولذلك قالت الاطباء الماء مطية الاغذية والادوية (بكفرهم) اى بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا
مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سول لهم السامرى وجعل حلاوة عبادة العجل
فى قلوبهم مجازاة لكفرهم وفى القصص ان موسى عليه السلام لما خرج الى قومه امر ان يبرد العجل بالمبرد
ثم يذرى فى النهر فلم يبق نهر يجرى يومئذ الا وقع فيه منه شئ ثم قال لهم اشربوا منه فمن بقى فى قلبه شئ من حب
العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه (قل) توبيخا لحاضرى اليهود اثر ما بين احوال رؤسائهم الذين بهم
يقتدون فى كل ما يأتون ويذرون (بئسما) بئس شيأ (يأمركم به) اى بذلك الشئ (ايمانكم) بما انزل عليكم
من التوراة حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اى ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل
وفى اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله
تعالى (ان كنتم مؤمنين) بالتوراة واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا فقد علم
ان من ادعى انه مؤمن ينبغى ان يكون فعله مصدقا لقوله والا لم يكن مؤمنا قال الجنيد قدس سره التوحيد الذى
تفرد به الصوفية هو افراد القدم عن الحدوث والخروج عن الاوطان وقطع المحاب وترك ما علم وما جهل وان
يكون الحق سبحانه مكان الجميع   طالب توحيد را بايد قدم برلا زدن * بعد ازان در عالم وحدت دم الا زدن *
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل على يعقوب النبى عليه السلام مبشر يوسف عليه السلام وبشره
بحياته قال له يعقوب على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال يعقوب عليه السلام الآن قد تمت النعمة
على يعقوب واعلم ان التوحيد اصل الاصول ومناط القبول ومكفر الخطايا ومستجلب العطايا (حكى)
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب اسلام دحية الكلبى لانه كان تحت يده سبعمائة من اهل بيته
وكانوا يسلمون باسلامه وكان يقول اللهم ارزق دحية الكلبى الاسلام فلما اراد دحية الاسلام اوحى
الله الى النبى عليه السلام بعد صلاة الفجر ان يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول ان دحية يدخل عليك الآن
وكان فى قلوب الاصحاب شئ من دحية من وقت الجاهلية فلما سمعوا ذلك كرهوا ان يمكنوا دحية فيما بينهم فلما علم
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ان يقول لهم مكنوا دحية وكره ان يدخل دحية فيوحشوه فيبرد قلبه
عن الاسلام فلما دخل دحية المسجد رفع النبى صلى الله عليه وسلم رداءه عن ظهره وبسطه على الارض بين يديه
فقال دحية ههنا واشار الى ردائه فبكى دحية من كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع رداءه وقبله ووضعه
على رأسه وعينيه وقال ما شرائط الاسلام اعرضها على فقال ان تقول اولا لا اله الا الله محمد رسول الله فقال
دحية ذلك ثم وقع البكاء على دحية فقال عليه السلام ما هذا البكاء وقد رزقت الاسلام فقال انى ارتكبت
خطيئة وفاحشة كبيرة فقل لربك ما كفارته ان امرنى ان اقتل نفسى قتلتها وان امر ان اخرج من جميع مالى
خرجت فقال عليه السلام وما ذلك يا دحية قال كنت رجلا من ملوك العرب واستنكفت ان تكون لى بنات
لهن ازواج فقتلت سبعين من بناتى كلهن بيدى فتحير النبى عليه السلام فى ذلك حتى نزل جبريل قال يا محمد

ان الله يقرئك السلام ويقول قل لدحية وعزتى وجلالى انك لما قلت لا اله الا الله غفرت لك كفر ستين سنة
وسيأتك ستين سنة فكيف لا اغفر لك قتل البنات فبكى عليه السلام واصحابه فقال عليه السلام الهى غفرت
لدحية قتل بناته بشهادة ان لا اله الا الله مرة واحدة فكيف لا تغفر للمؤمنين بشهادات كثيرة وبقول صادق
وبفعل خالص (وفى المثنوى) اذكروا الله كار هر اوباش نيست * ارجعى برپاى هر قلاش نيست *
(قال السعدى) كر بمحشر خطاب قهر كند * انبيارا چه جاى معذرتست * پرده ازروى لطف
كو بردار * كاشقيارا اميد مغفرتست (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) اى الجنة (عند الله) ظرف
للاستقرار فى الخبر اعنى لكم (خالصة) على الحالية من الدار اى سالمة لكم خاصة بكم (من دون الناس) فى محل
النصب بخالصة اى من دون محمد واصحابه فاللام للعهد وتستعمل هذه اللفظة للاختصاص يقال هذا لى
من دون الناس اى انا مختص به والمعنى ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا (فتمنوا الموت)
اى احبوه واسألوه بالقلب واللسان وقولوا اللهم امتنا فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة
الوصول الى النعيم والتخلص من دار البوار وقرارة الاكدار ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوه
بالتمنى (ان كنتم صادقين) فى قولكم ان الجنة خاصة لكم فتمنوه واصل التمنى تقدير شئ فى النفس واكثر ما يستعمل
فيما لا حقيقة له (ولن يتمنوه) اى الموت (ابدا) اى فى جميع الزمان المستقبل لان ابدا اسم لجميع مستقبل
الزمان كقط لماضيه وفيه دليل على ان لن ليس للتأبيد لانهم يتمنون الموت فى الآخرة ولا يتمنونه فى الدنيا
(بما قدمت ايديهم) بسبب ما عملوا من المعاصى الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبى عليه السلام والقرآن
وتحريف التوراة وخص الايدى بالذكر لان الاعمال غالبا تكون بها وهى من بين جوارح الانسان مناط عامة
صنائعه ومدار اكثر منافعه ولذا عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة (والله عليم بالظالمين) بهم وبما صدر
عنهم وهو تهديد لهم روى ان اليهود لو تمنوا الموت لغص كل واحد منهم بريقه اى لامتلأ بريقه فمات من ساعته
ولما بقى على الارض يهودى الا مات فقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله
ولن تفعلوا ولو وقع من احد منهم تمنى موته لنقل واشتهر فان قلت ان التمنى يكون بالقلب فلا يظهر لنا انهم تمنوه
او لا قلت ليس التمنى من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لى كذا وعن نافع جلس الينا يهودى
يخاصمنا فقال ان فى كتابكم فتمنوا الموت وانا اتمنى فمالى لا اموت فسمع ابن عمر رضى الله عنه هذا فدخل بيته
واخذ السيف ثم خرج ففر اليهودى حين رآه فقال ابن عمر اما والله لو ادركته لضربت عنقه توهم هذا الجاهل
انه لليهود فى كل وقت انما هو لاولئك الذين كانوا يعاندونه ويجحدون نبوته بعد ان عرفوه فان قلت ان المؤمنين
اجمعوا على ان الجنة للمؤمنين دون غيرهم ثم ليس احد منهم يتمنى الموت فكيف وجه الاحتجاج على اليهود بذلك
قلت ان المؤمنين لم يجعلوا لانفسهم من الفضل والشرف والمرتبة عند الله ما جعلت اليهود ذلك لانفسهم
لانهم ادعوا انهم ابناء الله واحباؤه وان الجنة خالصة لهم والانسان لا يكره القدوم على حبيبه ولا يخاف
انتقامه بالمصير اليه بل يرجو وصوله الى محابه فقيل لهم تمنوا ذلك فلما لم يتمنوه ظهر كذبهم فى دعاويهم
ولان النبى عليه السلام نهى عن تمنى الموت قال لا يتمنى احدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم احينى
ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى ما كانت الوفاة خيرا لى قال مقاتل لولا بناتى وسيئاتى * لذبت شوقا الى الممات
فلا يلزمهم ما يلزم اليهود قال سهل بن عبد الله التسترى قدس سره لا يتمنى الموت الا ثلاثة رجل جاهل
بما بعد الموت او رجل يفر من اقدار الله عليه او مشتاق يحب لقاء الله (قال فى المثنوى) شد هواى مرك
طوق صادقان * كه جهودانرا بد اين دم امتحان * روى عن صاحب المثنوى انه لما دنت وفاته تمثل له
ملك الموت وقام عند الباب ولما رآه المولى قدس سره قال بيشترآ بيشترآ جان من * پيك درحضرت
سلطان من * قال بعض الملوك لابى حازم كيف القدوم على الله عز وجل فقال ابو حازم اما قدوم الطائع
على الله فكقدوم الغائب على اهله المشتاقين اليه واما قدوم العاصى فكقدوم الآبق على سيده الغضبان
انبيارا تنك آمد اين جهان * چون شهان رفتند اندر لامكان * چون مرا سوى اجل عشق وهواست *
نهى لا تلقوا بايديكم مراست * زانكه نهى از دانهٔ شيرين بود * تلخ را خود نهى حاجت كى شود *
واعلم ان الموت هو المصيبة العظمى والبلية الكبرى واعظم منه الغفلة عنه والاعراض عن ذكره وقلة الفكر

فيه وترك العمل له وان فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر كما قيل كفى بالموت واعظا ومن ذكر الموت حقيقة
ذكره نغص عليه لذته الحاضرة ومنعه عن تمنيها فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ولكن القلوب الغافلة
تحتاج الى تطويل الوعاظ وتزيين الالفاظ والا فى قوله عليه السلام اكثروا ذكر هادم اللذات وقوله تعالى
كل نفس ذائقة الموت ما يكفى السامع له ويشغل الناظر فيه فعلى العاقل ان يسعى للموت بالاختيار قبل الموت
بالاضطرار ويزكى نفسه عن سفساف الاخلاق (قال السعدى قدس سره) اى برادر چو عاقبت خاكست *
خاك شو پيش ازانكه خاك شوى * اللهم يسر لنا الطريق (ولتجدنهم احرص الناس) من الوجدان العقلى
وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها واللام لام القسم اى والله لتجدن اليهود يا محمد
احرص من الناس (على حياة) لا يتمنون الموت والتنكير للنوع وهى الحياة المخصوصة المتطاولة وهى حياتهم
التى هم فيها لانها نوع من مطلق الحياة (ومن الذين اشركوا) عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل احرص
من الناس وافرد المشركون بالذكر وان كانوا من الناس لشدة حرصهم على الحياة وفيه توبيخ عظيم لان الذين
اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم
فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص
المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك
(يود احدهم) بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف اى يريد ويتمنى ويحب احد هؤلاء المشركين
(لو يعمر الف سنة) حكاية لودادهم ولو فيه معنى التمنى كانه قيل ليتنى اعمر وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ
الغيبة لقوله تعالى يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه مفعول يود اجراء له
مجرى القول لانه فعل قلبى والمعنى تمنى احدهم ان يعطى البقاء والعمر الف سنة وهى للمجوس وخص
هذا العدد لانهم يقولون ذلك فيما بينهم عند العطاس والتحية عش الف سنة والف نوروز والف مهرجان
وهى بالعجمية زى هزار سال وصح اطلاق المشركين على المجوس لانهم يقولون بالنور والظلمة (وما) حجازية (هو)
اى احدهم اسم ما (بمزحزحه) خبر ما والباء زائدة والزحزحة التبعيد والانجاء (من العذاب) من النار
(ان يعمر) فاعل مزحزحه اى تعميره (والله بصير بما يعملون) البصير فى كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به
اى عليم بخفيات اعمالهم من الكفر والمعاصى لا يخفى عليه فهو مجازيهم بها لا محالة بالخزى والذل فى الدنيا
والعقوبة فى العقبى وهذه الحياة العاجلة تنقضى سريعة وان عاش المرء الف سنة او ازيد عليها فمن احب طول
العمر للصلاح فقد فاز قال عليه السلام طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ومن احبه للفساد فقد ضل ولا ينجو
عما يخاف فان الموت يجيء البتة واجتمعت الامة على ان الموت ليس له سن معلوم ولا اجل معلوم ولا مرض
معلوم وذلك ليكون المرء على اهبة من ذلك مستعدا لذلك وكان بعض الصالحين ينادى بالليل على سور المدينة
الرحيل الرحيل فلما توفى فقد صوته امير تلك المدينة فسأل عنه فقيل انه مات فقال

مازال يلهج بالرحيل وذكره * حتى اناخ ببابه الجمال * فاصابه متيقظا متشمرا * ذا اهبة لم تلهه الامال
بانك طبلت نمى كند بيدار * تو مگر مرده نه در خوابى * تو چراغى نهاده در ره باد * خانه در ممر
سيلابى * فاصابة الموت حق وان كان العيش طويلا والعمر مديدا وهو ينزل بكل نفس راضية كانت
او كارهة روى شارح الخطب عن وهب بن منبه انه قال مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع يا دانيال قف تر عجبا
فلم ير شيأ ثم نوديت الثانية قال فوقفت فاذا بيت يدعونى الى نفسه فدخلت فاذا سرير مرصع بالدر والياقوت
فاذا النداء من السرير اصعد يا دانيال تر عجبا فارتقيت السرير فاذا فراش من ذهب مشحون بالمسك
والعنبر فاذا عليه شاب ميت كانه نائم واذا عليه من الحلى والحلل ما لا يوصف وفى يده اليسرى خاتم من ذهب
وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف اشد خضرة من البقل فاذا النداء من السرير ان احل
هذا السيف واقرأ ما عليه قال فاذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن ارم
وانى عشت الف عام وسبعمائة سنة وافتضضت اثنى عشر الف جارية وبنيت اربعين الف مدينة وخرجت
بالجور والعنف والحمق عن حد الانصاف وكان يحمل مفاتيح الخزائن اربعمائة بغل وكان يحمل الى خراج
الدنيا فلم ينازعنى احد من اهل الدنيا فادعيت الربوبية فاصابنى الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بالف قفيز

من در فلم اقدر عليه فمت جوعا يا اهل الدنيا اذكروا امواتكم ذكرا كثيرا واعتبروا بى ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى
فان اهلى لم يحملوا من وزرى شيأ انتهى (قال السعدى) چون همه نيك وبد ببايد مرد * خنك آنكس كه
گوى نيكى برد * برگ عيشى بگور خويش فرست * كس نيارد ز پس ز پيش فرست *
عمر برفست وآفتاب تموز * اندكى ماند وخواجه غره هنوز * فعلى اهل القلوب القاسية ان يعالجوا
قلوبهم بامور احدها الاقلاع عما هى عليه بحضور مجالس العلم والوعظ والتذكير والتخويف والترغيب
واخبار الصالحين فان ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها والثانى ذكر الموت فيكثر من ذكر هاذم اللذات ومفرق
الجماعات وميتم البنين والبنات والثالث مشاهدة المحتضرين فان فى النظر الى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته
وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسراتها ويمنع الاجفان من النوم
والراحة من الابدان ويبعث على العمل فيزيد فى الاجتهاد والتعب ويستعد للموت قبل النزول فانه اشد
الشدائد قيل لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت قال هو كشجرة الشوك ادخلت فى جوف ابن آدم
فاخذت كل شوكة بعرق ثم اجتذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وابقى ما ابقى وفى الحديث لوان شعرة من
وجع الميت وضعت على اهل السموات والارضين لماتوا اجمعين وان فى يوم القيامة لسبعين هولا وان ادنى هول
ليضعف على الموت سبعين ضعفا (قل من كان عدوا لجبريل) لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم اتاه عبد الله
ابن صوريا من اليهود بسكن فدك فقال يا محمد كيف نومك فانا اخبرنا عن نوم النبى الذى يجيء فى آخر الزمان فقال
النبى صلى الله عليه وسلم تنام عيناى وقلبى يقظان قال صدقت فاخبرنى عن الولد امن الرجل يكون اومن المرأة
قال اما العظم والعصب والعروق فمن الرجل واما الدم واللحم والظفر والشعر فمن المرأة قال صدقت يا محمد قال
فما بال الولد يشبه اعمامه ليس فيه من شبه اخواله شيء او يشبه اخواله ليس فيه من شبه اعمامه شيء قال ايهما
علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت يا محمد وسأله عن الطعام الذى حرم اسرائيل على نفسه قال ان
يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر ان شفاه الله حرم على نفسه احب الطعام اليه لحم الابل واحب الشراب اليه
البانها قال صدقت يا محمد وسأله عن اول نزل الجنة قال الحوت قال صدقت يا محمد ثم قال بقيت خصلة ان قلتها
آمنت بك واتبعتك اى ملك يأتيك بما تقول من الله تعالى فقال جبريل قال ذاك عدونا لانه ملك العذاب
ينزل بالقتال والعذاب وكسر السفن والشدائد ورسولنا ميكائيل لانه ملك الرحمة ينزل بالغيث والبشر
والرخاء فقال له عمر ما بدأ عداوتكم له فقال عادانا مرارا كثيرة وكان من اشد عداوته لنا ان الله تعالى انزل
على نبينا موسى عليه السلام ان البيت المقدس سيخرب فى زمان رجل يقال له بخت نصر واخبرنا بالحين الذى
يخرب فيه فلما كان الحين الذى يخرب فيه بعثنا رجلا من اقوياء بنى اسرائيل فى طلبه فانطلق حتى لقيه غلاما
مسكينا ببابل ليست له قوة فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال لصاحبنا ان هو امره بهلاككم لا يسلطكم
عليه وان لم يكن هذا فعلى اى حق تقتلونه فصدقه صاحبنا فتركه وكبر بخت نصر وقوى ملكه ثم غزانا فخرب بيت
المقدس وقتلنا وامر جبريل بوضع النبوة فينا فوضعها فى غيرنا فلهذا اتخذناه عدوا وميكائيل عدو جبريل
فقال عمر رضى الله عنه لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما
كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله تعالى وجواب من محذوف اى من عادى جبريل من اهل
الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته (فانه) يعنى جبريل (نزله) اى القرءان اضمره لكمال شهرته
(على قلبك) زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحى فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ اى حفظه اياك فهمكه
وحق الكلام ان يقال على قلبى لكنه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به لما فى النقل بالعبارة من زيادة تقرير
لمضمون المقالة يعنى قل كما تكلمت به من قولى انه نزله على قلبك (باذن الله) بامره وتيسيره (مصدقا لما بين يديه)
اى موافقا لما قبله من الكتب الالهية فى التوحيد وبعض الشرائع حال من مفعول نزله (وهدى) اى هاديا
الى دين الحق (وبشرى) اى مبشرا بالجنة (للمؤمنين) فلا وجه لمعاداته فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه
فى انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ثم عمم الشرط والجزاء ردا عليهم بقوله (من كان عدوا لله) اى مخالفا
لامره عنادا وخارجا عن طاعته مكابرة (وملائكته ورسله وجبريل وميكال) افردهما بالذكر لاظهار
فضلهما كانهما من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الجنس قال عكرمة

جبر وميك واسراف هى العبد بالسريانية وايل وآئيل هو الله ومعناهما عبد الله اوعبد الرحمن (فان الله) جواب الشرط ولم يقل فانه لاحتمال ان يعود الى جبريل وميكائيل (عدو للكافرين) اى لهم جاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب فقال ابن صوريا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماجئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فانزل الله (ولقد انزلنا اليك آيات بينات) واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله (وما يجحد بها) اى بالايات التى توضح الحلال والحرام وتفصل الحدود والاحكام (الا الفاسقون) المتمردون فى الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة لايجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات والاحسن ان يكون اللام اشارة الى اهل الكتاب قال الحسن اذا استعمل الفسق فى نوع من المعاصى وقع على اعظم ذلك النوع من كفر اوغيره واعلم ان القرءآن هو النور الالهى الذى كشف الله به الظلمات واليهود ارادوا ان يطفئوا نور الله والله متم نوره وليس لهم فى ذلك الا الفضاحة والخزى كما اذا دخل الحمام ناس فى ليل مظلم وفيهم الاصحاء واهل العيوب فجاء واحد بسراج مضئ لايسارع الى اطفائه الا اهل العيوب مخافة ان يظهر عيوبهم للاصحاء ويلحق بهم مذمة

شمع رخشنده دران جمع نخواهند كه تا * عيب تودرشب تاريك بماند مستور *
وآى ان وقت كه روشن شود اين راز چو روز * پرده برخيزد واين حال بيايد بظهور

(او) الهمزة للانكار والعطف على مقدر يقتضيه المقام اى أكفروا بالايات البينات وهى فى غاية الوضوح (كلما عاهدوا عهدا) مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه (نبذه فريق منهم) اى رموا بالذمام اى العهد ورفضوه والفريق الطائفة ويكون للقليل والكثير واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه (بل اكثرهم لايؤمنون) بالتوراة وليسوا من الدين فى شئ فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به وهذا رد لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون (ولما جاءهم رسول) هو النبى صلى الله عليه وسلم (من عند الله) متعلق بجاء (مصدق لما معهم) من التوراة (نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب) اى التوراة (كتاب الله) مفعول نبذ اى الذى اوتوه وهو التوراة لانهم لما كفروا بالرسول المصدق لما معهم فقد نبذوا التوراة التى فيها ان محمدا رسول الله وقد علموا انها من الله (وراء ظهورهم) يعنى رموا بالعناد كتاب الله وراء ظهورهم ولم يعملوا به مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه (كأنهم لايعلمون) جملة حالية اى نبذوه وراء ظهورهم متشبهين بمن لايعلمه انه كتاب الله قيل اصل اليهود اربع فرق ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عزوجل بل اكثرهم لايؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله سبحانه نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون وفيه اشارة الى ان من فعل فعل الجاهل وتعمد الخلاف مع علمه يلتحق بالجهال وهو والجاهل سوآء فكما ان الجاهل لايجيئ منه خير فكذا العالم الذى لايعمل ولذا قال النبى عليه السلام واعظ اللسان ضائع كلامه وواعظ القلب نافذ سهامه فالاول هو العالم الغير العامل والثانى هو العالم العامل الذى يؤثر كلامه فى القلوب وتنتج كلمته ثمرات الحكمة والعبرة والفكرة فعلى العاقل ان يسارع الى الامتثال خوفا من بطش ذى الجلال ويقال الندامة اربعة ندامة يوم وهى ان يخرج الرجل من منزله قبل ان يتغدى وندامة سنة وهى ترك الزراعة فى وقتها وندامة عمر وهو ان يتزوج امرأة غير موافقة وندامة الابد وهو ان يترك امر الله ومجرد قرآءة الكتاب بترياق الظاهر لايدفع سم الباطن فلابد من العمل كما ان من كان ينظر الى كتب الطب وكان مريضا فادام لم يباشر العلاج لايفيد نظره بالادوية وكان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم القرءآن يعنى يعمل باوامره وينتهى عن نواهيه واعلم ان العمل بالعلوم الظاهرة لايمكن الابعد معرفة المراتب الاربع مثلا يعرف بالعلم الظاهر ان حكم الزنى الرجم والجلد ولكن فى الوجود الانسانى محل يقتضى الوقاع والسفاح فاهل الارشاد يقمعون المقتضى المذكور عن ذلك المحل وكذا الحال فى الاكل والشرب وغيرهما والمرء وان كان متبحرا فى العلوم ومتفننا فى القوانين والرسوم فان كان لم يصلح حاله بالعمل فى تزكية النفس وتصفية القلب فانه لايعتبر بل جهله اغلب ونعم ما قيل حفظت شيأ وغابت عنك اشياء (حكى) ان نصير الدين الطوسى دخل على ولى من اولياء الله تعالى لاجل الزيارة فقيل له هذا عالم الدنيا نصير

الدين الطوسى قال الولى ما كماله قيل ليس له عديل فى علم النجوم قال الولى الحمار الابيض اعلم منه فانحرف الطوسى وقام من مجلسه فاتفق انه نزل تلك الليلة على باب بيت طاحونة فقال الطحان ادخل البيت فانه سيكون الليلة مطر عظيم حتى لولم يغلق الباب لاخذه السيل فسأل الطحان عن وجهه فقال لى حمار ابيض اذا حرك ذنبه الى جانب السماء ثلاثا لم تمطر السماء واذا حركه الى جانب الارض يقع المطر فلما سمعه اعترف بعجزه وصدق الولى وزال غيظه (وحكى) ان وليا قال لابن سينا افنيت عمرك فى العلوم العقلية فالى اى مرتبة وصلت قال وجدت ساعة من ساعات الايام يكون الحديد فيها كالخمير فقال الولى اخبرنى عن تلك الساعة فلما جاءت الساعة اخبره واخذ بيده حديدا فنفذ فيه اصبعه فبعد مضى الساعة قال الولى هل تقدر على تنفيذ اصبعك ايضا قال لا فانه من خصائص تلك الساعة ولايمكن فاخذه الولى ونفذ اصبعه فيه وقال ينبغى للعاقل ان لايصرف عمره الى الزائل الفانى فكما ان ابن سينا ادعى استقلال العقل فى طريق الوصول فالقوه فى جهنم كذلك اليهود خذلهم الله انفوا من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بما جاء به من عند الله وادعوا الاستقلال فخابوا وخسروا وبقوا فى ظلمة الجهل والكفر (قال فى المثنوى)

اى كه اندر چشمهٔ شور ست جات * تو چه دانى شط وجيحون وفرات *
واى آن زنده كه با مرده نشست * مرده گشت وزندگى ازوى برست *

(واتبعوا ما تتلوا الشياطين) اى نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا كتب السحرة التى تقرؤها وتعمل بها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية (على ملك سليمان) اى على عهد ملكه وفى زمانه فحذف المضاف وعلى بمعنى فى قال السدى كانت الشياطين تصعد الى السماء فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون فى الارض من موت وغيره ويأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا فى كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها فاكتتب الناس ذلك وفشا فى بنى اسرآئيل ان الجن تعلم الغيب وبعث سليمان فى الناس وجمع تلك الكتب وجعلها فى صندوق ودفنه تحت كرسيه وقال لا اسمع احدا يقول ان الشيطان يعلم الغيب الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون امر سليمان ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثل الشيطان على صورة انسان فاتى نفرا من بنى اسرآئيل فقال هل ادلكم على كنز لاتأكلونه ابدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسى وذهب معهم فاراهم المكان وقام ناحية فقالوا ادن قال لا ولكنى ههنا فان لم تجدوه فاقتلونى وذلك انه لم يكن احد من الشياطين يدنو من الكرسى الا احترق فحفروا واخرجوا تلك الكتب قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذه ثم طار الشيطان وفشا فى الناس ان سليمان كان ساحرا واخذ بنوا اسرآئيل تلك الكتب فلذلك اكثر ما يوجد السحر فى اليهود فلما جاء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم برأ الله سليمان عليه السلام من ذلك وانزل فى عذر سليمان واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) بالسحر وعلمه يعنى لم يكن ساحرا لان الساحر كافر والتعرض لكونه كفرا للمبالغة فى اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهتيه بذلك (ولكن الشياطين كفروا) باستعمال السحر وتعليمه وتدوينه (يعلمون الناس السحر) اى كفروا والحال انهم يعلمونه اغوآء واضلالا روى ان السحر من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم ودقة افهامهم (وما) اى يعلمون الناس الذى (انزل على الملكين) اى ما الهماه علما وهو علم السحر انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه كان مؤمنا كما قيل عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه وهذا كما اذا اتى عرافا فسأله عن شئ ليمتحن حاله ويختبر باطن امره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه فهذا جائز قال الامام فخر الدين كان الحكمة فى انزالهما ان السحرة كانوا يسترقون السمع من الشياطين ويلقون ما سمعوا بين الخلق وكان بسبب ذلك يشتبه الوحى النازل على الانبياء فانزلهما الله الى الارض ليعلما الناس كيفية السحر ليظهر بذلك الفرق بين كلام الله وكلام السحرة (ببابل) الباء بمعنى فى وهى متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين وهى بابل العراق او بابل ارض الكوفة ومنع الصرف للعجمة والعلمية واحسن ما قيل فى تسميتها بابل ان نوحا عليه السلام لما هبط الى اسفل الجودى بنى قرية وسماها ثمانين فاصبح ذات يوم وقد تبلبلت السنتهم على ثمانين لغة احداها اللسان العربى وكان لايفهم بعضهم من بعض كذا فى تفسير القرطبى (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين علمان لهما

ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ومارُوِى من قصتهما من انهما شربا الخمر وسفكا الدم وزنيا وقتلا وسجدا للصنم فما لاتعويل عليه لان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التى قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وذلك لان المراد بالملكين العقل النظرى والعقل العملى والمرأة المسماة بالزهرة هى النفس الناطقة الطاهرة فى اصل نشأتها وتعرضهما لها تعليمهما لها ما تستعد به فى النشأة الاخرة وحملها اياهما على المعاصى تحريضها اياهما بحكم الطبيعة المزاجية الى السفليات المدنسة لجوهرهما وصعودها الى السماء بما تعلمت منهما هو عروجها الى الملأ الاعلى ومخالطتها مع القدسيين بسبب انتصافها ونصحها كذا ذكره وجوه القوم من المفسرين يقول الفقير جامع هذه المجالس الشريفة قد تصفحت كتب ارباب الخبر والبيان واصحاب الشهود والعيان فوجدت عامتها مشحونة بذكر ما جرى من قصتهما وكيف يجوز الاتفاق من الجم الغفير على ما مداره رواية اليهود خصوصا فى مثل هذا الامر الهائل فاقول وصف الملائكة بانهم لا يعصون ولا يستكبرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويفعلون ما يؤمرون دليل تصور العصيان منهم ولولا ذلك لما مدحوا به اذ لا يمدح احد على الممتنع لكن طاعتهم طبع وعصيانهم تكلف على عكس حال البشر كما فى التيسير فهذا يقتضى جواز الوقوع مع ان فيما روى فى سبب نزولهما ما يزيل الاشكال قطعيا وهو انهم لما عيروا بنى آدم بقلة الاعمال وكثرة الذنوب فى زمن ادريس عليه السلام قال الله تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا فقالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغى لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم فاهبطا بالتركيب البشرى ففعلا ما فعلا وهذا ليس ببعيد اذ ليس مجرد هبوط الملك مما يقتضى العصيان وذلك ظاهر والا لظهر من جبريل وغيره الا ترى ان ابليس له الشهوة والذرية مع انه كان من الملائكة على احد القولين لانهما حدثت بعد ان محى من ديوانهم فيجوز ان تحدث الشهوة فى هاروت وماروت بعد ان اهبطا الى الارض لاستلزام التركيب البشرى ذلك وقد قال فى آكام المرجان ان الله تعالى باين بين الملائكة والجن والانس فى الصورة والاشكال فان قلب الله الملك الى صورة الانسان ظاهرا وباطنا خرج عن كونه ملكا وكذلك لو قلب الشيطان الى بنية الانسان خرج بذلك عن كونه شيطانا روى انه لما استشفع لهما ادريس عليه السلام خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا لكونه ايسر من عذاب الاخرة فهما فى بئر بابل معلقان فيه بشعورهما الى يوم القيامة قال مجاهد ملئ الجب نارا فجعلا فيه وقيل معلقان بارجلهما ليس بين السنتهما وبين الماء الا اربع اصابع فهما يعذبان بالعطش قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره رائحة الشمع الذى يعمل من الشحم كريهة تتألم منها الملائكة حتى يقال ان هاروت وماروت يعذبان برائحته واما الشمع العسلى فرائحته طيبة كذا فى واقعات الهدائى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الدنيا فوالذى نفسى بيده انها لاسحر من هاروت وماروت قال العلماء انما كانت الدنيا اسحر منهما لانها تدعوك الى التحارص عليها والتنافس فيها والجمع لها والمنع حتى تفرق بينك وبين طاعة الله وتفرق بينك وبين رؤية الحق ورعايته وسحر الدنيا محبتها وتلذذك بشهواتها وتمنيك بامانيها الكاذبة حتى تأخذ بقلبك ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم اراد النبى عليه السلام ان من الحب ما يعمى عن طريق الحق والرشد ويصمك عن استماع الحق وان الرجل اذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع من عقل او دين اصمه حبه عن العذل واعماه عن الرشد او يعمى العين عن النظر الى مساويه ويصم الاذن عن استماع العذل فيه او يعمى ويصم عن الاخرة وفائدته النهى عن حب ما لا ينبغى الاغراق فى حبه (قال خسرو الدهلوى) بهر اين مردار جندت كه زارى كاه زور * جون عليواجى كه شش مه ماده وشش مه نراست * ثم فى هذه القصة اشارة الى انه لا يجوز الاعتماد الا على فضل الله ورحمته فان العصمة من آثار حفظ الله تعالى (كما قال فى المثنوى) همجو هاروت وجو ماروت شهير * از بطر خوردند زهر آلود تير * اعتمادى بودشان بر قدس خويش * جيست بر شير اعتماد كاوميش * كرجه او باشاخ صد جاره كند * شاخ شاخش شير نر پاره كند * كرشود پرشاخ همجون خار پشت * شير خواهد كاو را ناجار كشت * (وما يعلمان من احد) من مزيدة فى المفعول به لافادة تأكيد الاستغراق

الذى يفيده احد والمعنى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال ان الملكين ما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه (حتى) ينصحاه اولا وينهياه عن العمل به والكفر بسببه و (يقولا انما نحن فتنة) وابتلاء من الله تعالى فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقى على الايمان والفتنة الاختبار والامتحان يقال فتنت الذهب بالنار اذا جربته بها لتعلم انه خالص او مشوب وهى من الافعال التى تكون من الله ومن العبد كالبلية والمعصية والقتل والعذاب وغير ذلك من الافعال الكريهة وقد تكون الفتنة فى الدين مثل الارتداد والمعاصى واكراه الغير على المعاصى وافردت الفتنة مع تعدد الملكين لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطأة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها لينصرف الناس عن تعلمه (فلا تكفر) باعتقاد حقيته بمعنى انه ليس بباطل شرعا وجواز العمل به ويقولان ذلك سبع مرات فان ابى الا التعليم علماه (فيتعلمون) عطف على الجملة المنفية فانها فى قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى اى فالناس يتعلمون (منهما) اى من الملكين (ما يفرقون به) اى بسببه واستعماله (بين المرء وزوجه) بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عندما فعلوا من السحر على حسب جرى العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لان السحر هو المؤثر فى ذلك قال السدى كانا يقولان لمن جاءهما انما نحن فتنة فلا تكفر فان ابى ان يرجع قالا له ائت هذا الرماد فبل فيه فاذا بال فيه خرج نور يسطع الى السماء وهو الايمان والمعرفة وينزل شئ اسود شبه الدخان فيدخل فى اذنيه ومسامعه وهو الكفر وغضب الله فاذا اخبرهما بما رآه من ذلك علماه ما يفرق به بين المرء وزوجه ويقدر الساحر على اكثر مما اخبر الله عنه من التفريق لان ذلك خرج على الاغلب قيل يؤخذ الرجل عن المرأة بالسحر حتى لا يقدر على الجماع قال فى نصاب الاحتساب ان الرجل اذا لم يقدر على مجامعة اهله واطاق ما سواها فان المبتلى بذلك يأخذ حزمة قصبات ويطلب فأسا ذا فقارين ويضعه فى وسط تلك الحزمة ثم يؤجج نارا فى تلك الحزمة حتى اذا احمى الفاس استخرجه من النار وبال على حدته يبرأ باذن الله تعالى (وماهم) اى ليس الساحرون (بضارين به) اى بما تعلموه واستعملوه من السحر (من احد) اى احدا (الا باذن الله) الاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها على النفى او الضمير المجرور فى به اى ما يضرون به احدا الا مقرونا بعلم الله وارادته وقضائه لا بامره لانه لا يأمر بالكفر والاضرار والفحشاء ويقضى على الخلق بها فالساحر يسحر والله يكون فقد يحدث عند استعماله السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه وكل ذلك بارادته ولا ينكر ان السحر له تأثير فى القلوب بالحب والبغض وبالقاء الشرور حتى يحول بين المرء وقلبه وذلك بادخال الالام وعظيم الاسقام وكل ذلك مدرك بالحس والمشاهدة وانكاره معاندة وان اردت التفصيل وحقيقة الحال فاستمع لما نتلو عليك من المقال وهو ان السحر اظهار امر خارق للعادة عن نفس شريرة خبيثة بمباشرة اعمال مخصوصة يجرى فيه التعلم والتعليم وبهذين الاعتبارين يفارق المعجزة والكرامة واختلف العلماء فى حقيقة السحر بمعنى ثبوته فى الخارج فذهب الجمهور الى ثبوته فيه قالت المعتزلة لا ثبوت له ولا وجود له فى الخارج بل هو تمويه وتخييل ومجرد اراءة ما لا حقيقة له يرى الحبال حيات بمنزلة الشعوذة التى سببها خفة حركات اليد او اخفاء وجه الحيلة وتمسكوا بقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ولنا وجهان الاول يدل على الجواز والثانى يدل على الوقوع اما الاول فهو امكان الامر فى نفسه وشمول قدرة الله فانه الخالق وانما الساحر فاعل وكاسب واما الثانى فهو قوله تعالى ويتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وفيه اشعار بانه ثابت حقيقة ليس مجرد اراءة وتمويه وبان المؤثر والخالق هو الله تعالى وحده واما الشعوذة وما يجرى مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها مجاز او لما فيها من الدقة لانه فى الاصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفى سببه ولذا يقال سحر حلال واكثر من يتعاطى السحر من الانس النساء وخاصة فى حال حيضهن والارواح الخبيثة ترى غالبا الطبائع المغلوبة والنفوس الرذيلة وان لم يكن لهم رياضة كالنساء والصبيان والمخنثين والانسان اذا فسد نفسه او مزاجه يشتهى ما يضره ويتلذذ به بل يعشق ذلك

عشقا يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله والشيطان خبيث فاذا تقرب صاحب العزآئم والاقسام وكتب
الروحانيات السحرية وامثال ذلك اليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم فيقضون
بعض اغراضهم كمن يعطى رجلا مالا ليقتل من يريد قتله او يعينه على فاحشة او ينال منه فاحشة ولذلك يكتب
السحرة والمعزمون فى كثير من الامور كلام الله تعالى بالنجاسة والدماء ويتقربون بالقرابين من حيوان ناطق
وغير ناطق والبخور وترك الصلاة والصوم واباحات الدماء ونكاح ذوات المحارم والقاء المصحف فى القاذورات وغير
ذلك مما ليس لله فيه رضى فاذا قالوا كفرا او كتبوه او فعلوه اعانتهم الشياطين لاغراضهم او بعضها اما بتغوير ماء
واما بان يحمل فى الهوآء الى بعض الامكنة واما ان يأتيه بمال من اموال الناس كما يسرقه الشياطين من اموال
الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه ويأتى به واما غير ذلك من قتل اعدآئهم او امراضهم او جلب من يهوونه
وكثيرا ما يتصور الشيطان بصورة الساحر ويقف بعرفات ليظن من يحسن به الظن انه وقف بعرفات وقد زين
لهم الشيطان ان هذا كرامات الصالحين وهو من تلبيس الشيطان فان الله تعالى لا يعبد الا بما هو واجب
او مستحب وما فعلوه ليس بواجب ولا مستحب شرعا بل هو منهى حرام ونعوذ بالله من اعتقاد ما هو حرام عبادة
ولاهل الضلال الذين لهم عبادة على غير الوجه الشرعى مكاشفات احيانا وتأثيرات يأوون كثيرا الى مواضع
الشياطين التى نهى عن الصلاة فيها كالحمام والمزبلة واعطان الابل وغير ذلك مما هو من مواضع النجاسات لان
الشياطين تنزل عليهم فيها وتخاطبهم ببعض الامور كما يخاطبون الكفار وكما كانت تدخل فى الاصنام وتكلم
عابدى الاصنام قال العلماء ان كان فى السحر ما يخل شرطا من شرآئط الايمان من قول وفعل كان كفرا والا لم
يكن كفرا وعامة ما بايدى الناس من العزآئم والطلاسم والرقى التى لا تفهم بالعربية فيها ما هو شرك وتعظيم
للجن ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التى لا يفهم بالعربية معناها لانها مظنة الشرك وان لم يعرف الراقى انها
شرك وفى الصحيح عن النبى عليه السلام انه رخص فى الرقى ما لم تكن شركا وقال من استطاع ان ينفع اخاه فليفعل
ولذا نقول انه يجوز ان يكتب للمصاب وغيره من المرضى شئ من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقى
او يعلق عليه وفى اسماء الله تعالى وذكره خاصية قمع الشياطين واذلالهم ولا نفاس اهل الحق تأثيرات عجيبة
لانهم تركوا الشهوات ولزموا العبادات على الوجه الشرعى وظهر لهم حكم قوله تعالى وسخر لكم
ما فى السموات وما فى الارض ولذا يطيعهم الجن والشياطين ويستعبدونهم كما استعبدها سليمان عليه السلام
بتسخير الله تعالى واقداره حكى حضرة الهدآئى قدس سره فى واقعاته عن شيخه حضرة الشيخ الشهير
بافتاده افندى انه ارسل ورقة الى سلطان الجن لاجل مصروع فامتثل امره وعظمه وضرب عنق الصارع
فخلص المصروع (قال فى المثنوى) هم بپيغمبر فرد آمد در جهان * فرد بود وصد جهانش در نهان *
عالم كبرى بقدرت سحر كرد * كرد خود را در كهين نقشى نورد * ابلهانش فرد ديدند وضعيف *
كى ضعيفست انكه باشه شد حريف * واعلم ان حكم الساحر القتل ذكرا كان او انثى اذا كان سعيه بالافساد
والاهلاك فى الارض واذا كان سعيه بالكفر فيقتل الذكر دون الانثى فتضرب وتحبس لان الساحرة كافرة
والكافرة ليست من اهل الحرب فاذا كان الكفر الاصلى يدفع عنها القتل فكيف الكفر العارضى والساحر ان
تاب قبل ان يؤخذ تقبل توبته وان اخذ ثم تاب لا تقبل كما قال فى الاشباه كل كافر تاب فتوبته مقبولة فى الدنيا
والاخرة الا جماعة الكافر بسب نبى وبسب الشيخين او احدهما وبالسحر ولو امرأة وبالزندقة اذا اخذ قبل
توبته والزنديق هو الذى قال بقدم الدهر واسناد الحوادث اليه مع اعتراف النبوة واظهار الشرع هذا واكثر
المنقول الى هنا من كتاب آكام المرجان وهو الذى ينبغى ان يكتب على الاحداق لا على القراطيس والاوراق
(ويتعلمون ما يضرهم) لانهم يقصدون به العمل اولان العلم يجر الى العمل غالبا (ولا ينفعهم) صرح بذلك
ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص
عن الاغترار بأكاذيب من يدعى النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع فى الجملة وفيه
ان الاجتناب عما لا يؤمن غوآئله خير كتعلم الفلسفة التى لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت
الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه وذكر فى التجنيس تعلم النجوم حرام الا ما يحتاج
اليه للقبلة وفىء الزوال ومن احاديث المصابيح من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر واذا لم يكن

فى تعلم مثل هذه العلوم خير فكذا امسالك الكتب التى اشتملت عليها من كتب الفلاسفة وغيرها بل لا يجوز
النظر اليها كما فى نصاب الاحتساب (ولقد علموا) اى هؤلاء اليهود فى التوراة (لمن اشتراه) اى من اختار السحر
واستبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتدآء (ماله فى الاخرة
من خلاق) اى نصيب (ولبئس ما شروا به انفسهم) اى باعوها لان الشرآء من الاضداد واللام جواب قسم
محذوف والمخصوص بالذم محذوف اى والله لبئس ما باعوا به انفسهم السحر او الكفر وعبر عن ايمانهم بانفسهم
لان النفس خلقت للعلم والعمل والايمان (لو كانوا يعلمون) جواب لو محذوف اى لما فعلوا ما فعلوا من تعلم السحر
وعمله اثبت لهم العلم اولا بقوله ولقد علموا ثم نفى عنهم لانهم لما لم يعملوا بعلمهم فكانهم لم يعلموا فهذا فى الحقيقة نفى
الانتفاع بالعلم لا نفى العلم (ولو انهم) اى اليهود (آمنوا) بالقرآن والنبى (واتقوا) السحر والشرك (لمثوبة) مفعلة
من الثواب وثاب يثوب اى رجع وسمى الجزآء ثوابا لانه عوض عمل المحسن يرجع اليه وهو مبتدأ جواب
لو والتنكير للتقليل اى شئ قليل من الثواب كائن (من عند الله خير) خبر المبتدأ واصله لاثيبوا مثوبة
من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على اثبات المثوبة
لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه (لو كانوا يعلمون) ان ثواب الله
خير ومجرد العلم باللسان لا ينفع بدون ان يصل التأثير الى القلب ويظهر ذلك التأثير بالمسارعة الى الاعمال
الصالحة والاتباع بالكتاب والسنة فمن امر السنة على نفسه اخذا وتركا حبا وبغضا نطق بالحكمة ومن امر الهوى
على نفسه نطق بالبدعة قال الشيخ ابو الحسن كل علم يسبق للنفس فيه الخواطر وتتبعها الصور وتميل اليه النفوس
وتلذ به الطبيعة فارم به وان كان حقا وخذ بعلم الله الذى انزله على رسوله واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين
من بعده والائمة المبرئين من الهوى ومتابعته تسلم من الظنون والشكوك والاوهام والدعاوى الكاذبة المضلة
عن الهدى وحقائقه وماذا عليك ان تكون عبدا لله ولا علم ولا عمل بلا اقتدآء وحسبك من العلم العلم بالوحدانية
ومن العمل محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة قال بعض العلماء زيادة العلم فى الرجل
السوء كزيادة الماء فى اصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل
الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بالملعقة من الياقوت فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل اليه والذى يحمل
العبد على تعليم ما لا يليق به وذكر ما يجب صونه انما هو ايثار الدنيا على الاخرة لكن الله تعالى يقول وما عند الله
خير وابقى فان اردت ان تعرف قدرك عند الله فانظر فيما ذا يقيمك وذلك لان الاعمال علامات والاحوال
كرامات والكرامات دليل والعلوم وسائل وقد جاء من سره ان يعرف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله
فى قلبه فان الله ينزل العبد عنده حيث انزله العبد من نفسه والانسان نسخة الهية قابلة للواردات الالهية
فالنصف الاسفل منه بمنزلة الملك والنصف الاعلى بمنزلة الملكوت وبعبارة اخرى الطبيعة والنفس بمنزلة الملك
والروح والسر بمنزلة الملكوت فاذا قطع العلائق بالعبادة الحقانية يتصرف فى عالم الملك والملكوت اللذين
فى ملك وجوده وهو باب الملك والملكوت اللذين فى الخارج واعلم ان وصلة العلماء على قدر علمهم واستدلالهم
ووصلة الكمل على قدر مشاهدتهم وعيانهم لكن لا على وجه مشاهدة سائر الاشياء فانه تعالى منزه عن الكيف
والاين بل هى عبارة عن ظهور الوجود الحقيقى عند اضمحلال وجود الرآئى وفنائه واول ما يتجلى للسالك
الافعال ثم الصفات واما تجلى الذات فلا يتيسر الا للاحاد فهو لا يكون الا بمحو الوجود وافنائه لكن ذلك الفناء
عين البقاء وعن ابى يزيد البسطامى قدس سره كنت اعلم الاخلاص لبعض الفقرآء وهو يعلمنا الفناء
(قال السعدى) تراكى بود چون چراغ التهاب * كه از خود پرى همچو قنديل از آب *
(يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا) لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ارشاد للمؤمنين الى الخير (راعنا) المراعاة
المبالغة فى الرعى وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا القى عليهم شيأ من العلم راعنا يا رسول الله عليه السلام اى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك
وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهى راعنا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه
وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا
بما هو فى معناها ولا يقبل التلبيس فقيل (وقولوا انظرنا) اى انتظرنا من نظره اذا انتظره (واسمعوا) واحسنوا

سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وباقى عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة (وللكافرين) اى ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه (عذاب اليم) وجيع لما اجترؤا عليه من العظيمة وفى هذه الاية دليلان احدهما على تجنب الالفاظ المحتملة التى فيها التعريض واما قولهم لا بأس بالمعاريض وهو ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيأ ومراده شئ آخر فانما اراد وذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده بان لا يتعرض لهم بما حرم من دمائهم واعراضهم وقدم اللسان فى الذكر لان التعرض به اسرع وقوعا واكثر وخص اليد بالذكر لان معظم الافعال يكون بها (قال فى المثنوى) اين زبان چون سنك وهم آهن وش است * وآنچه بجهد از زبان چون آتش است * سنك وآهن رامزن برهم كزاف * كه زروى نقل وكاه از روى لاف * زانكه تاريكست وهر سو پنبه زار * درميان پنبه چون باشد شرار * عالمى رايك سخن ويران كند * روبهان مرده راشيران كند * والثانى التمسك بسد الذرائع وحمايتها والذريعة عبارة عن امر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع فى ممنوع ووجه التمسك بها ان اليهود كانوا يقولون ذلك وهى سب بلغتهم فلما علم الله تعالى ذلك منهم منع من اطلاق ذلك اللفظ لانه ذريعة للسب قال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فمنع من سب آلهتهم مخافة مقابلتهم بمثل ذلك وقال تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الاية فحرم الله عليهم الصيد فى يوم السبت فكان الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا اى ظاهرة فسدوا عليها يوم السبت واخذوها يوم الاحد وكان السد ذريعة للاصطياد فمسخهم الله قردة وخنازير وعن عائشة رضى الله عنها ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله عليه السلام ان اولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله قال العلماء ففعل ذلك اوآئلهم ليستأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا احوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا الله عند قبورهم فمضت لهم بذلك ازمان ثم انهم خلف من بعدهم خلف جهلوا اغراضهم ووسوس لهم الشيطان ان آباءكم واجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها فحذر النبى عليه السلام عن مثل ذلك وشدد النكير والوعيد على من فعل ذلك وسد الذرآئع المؤدية الى ذلك فقال عليه السلام اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد وقال اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد وقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس وقال عليه السلام ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه فجعل التعريض لسب الاباء والامهات كسب الاباء والامهات وقال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه فمنع عليه السلام من الاقدام على الشبهات مخافة الوقوع فى المحرمات وفى الحديث اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه منكم حتى ترجعوا الى دينكم والعينة هو ان يبيع رجل من رجل سلعة بثمن معلوم الى اجل مسمى ثم يشتريها منه باقل من الثمن الذى باعها به وسميت عينة لحصول النقد لصاحب العينة وذلك ان العينة هو الحال الحاضر والمشترى انما يشتريها ليبيعها بعين حاضر يصل اليه من فوره وفى هذا الحديث ذم للزراع اذا كان زراعتهم ذريعة لترك الجهاد قال عليه السلام حين رأى آلة الحراثة فى دار قوم ما دخل هذا بيت قوم الا ذلوا وذلك لان الزراعة عمارة الدنيا واعراض عن الجهاد فيستحق به الذل وعمارة الدنيا اصل فى حق الكفار عارض فى حق المسلمين فان المسلمين يجعلونها وسيلة الى الاخرة واما الكفار فيعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن آخرتهم غافلون وقد قال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن اى بالنسبة الى ما اعدله من ثواب النعيم وجنة الكافر اى بالاضافة الى ما هى له من عذاب الاخرة والقطيعة والهجران (ما يود الذين كفروا) كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم والود حب الشئ مع تمنيه ونفى الود كناية

عن الكراهة اى ما يحب الذين كفروا (من اهل الكتاب ولا المشركين) من للتبيين لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون فكانه قيل ما يود الذين كفروا وهم اهل الكتاب والمشركون فتبين ان الذين كفروا باق على عمومه وان المراد كلا نوعيه جميعا والمعنى ان الكفار اجمع لم يحبوا (ان ينزل عليكم) اى على نبيكم لان المنزل عليه منزل على امته (من خير) هو قائم مقام فاعله ومن مزيدة لاستغراق الخير والخير الوحى والقرءآن والنصرة (من ربكم) من لابتدآء الغاية والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شئ من الوحى اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون فى مهابط الوحى وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذا قالوا لولا نزل هذا القرءآن على رجل من القريتين عظيم وهم كانوا يتمنون ان تكون النبوة فى احد الرجلين نعيم بن مسعود الثقفى بالطائف والوليد بن المغيرة بمكة ثم اجاب عن قول من يقول لم لم ينزل عليهم بقوله (والله يختص برحمته من يشاء) يقال خصه بالشئ واختصه به اذا افرده به دون غيره ومفعول من يشاء محذوف والرحمة النبوة والوحى والحكمة والنصرة والمعنى يفرد برحمته من يشاء افراده بها ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتى الفائض عليه بحسب ارادته عز وجل لا تتعداه الى غيره لا يجب عليه شئ وليس لاحد عليه حق وما وقع فى عبارة مشايخنا فى حق بعض الاشياء انه واجب فى الحكمة يعنون به انه ثابت متحقق لا محالة فى الوجود لا يتصور ان لا يكون لانه يجب ذلك بايجاب موجب (والله ذو الفضل العظيم) اى على من يختاره بالنبوة والوحى لابتدآئه بالاحسان بلا علة وهو حجة لنا على المعتزلة فان المفضل عند الخلق هو الذى يعطى ويبذل ما ليس عليه لان الذى يعطى ما عليه يكون قاضيا لا مفضلا ولو كان يجب عليه فعل الاصلح لكان المناسب ان يكون ذو العدل بدل قوله ذو الفضل ثم فيه اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته فمن تعرض لرد ما من الله به على عباده المؤمنين فقد جهل بحقيقة الامر وعباد الله المخلصون قسمان قوم اقامهم الحق لخدمته وهم العباد والزهاد واهل الاعمال والاوراد وقوم اختصهم بمحبته وهم اهل المحبة والوداد وكل فى خدمته وتحت طاعته اذ كلهم قاصد وجهه ومتوجه اليه والعبودية صفة العبد لا تفارقه ما دام حيا ومن حقائق العبودية اخراج الحسد من القلب قال بعض الحكماء بارز الحاسد ربه من خمسة اوجه اولها ابغض كل نعمة ظهرت على غيره والثانى يتسخط قسمته تعالى ويقول لربه لو قسمت هكذا والثالث ان فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضله والرابع خذل ولى الله لانه يريد خذلانه وزوال النعمة عنه والخامس اعان عدوه يعنى ابليس واعلم ان حسدك لا ينفذ على عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك فى يقظة او منام لرأيت نفسك ايها الحاسد فى صورة من يرمى حجرا الى عدوه ليصيب به مقلته فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود ويرميه اشد من الاولى فيرجع على عينه اليسرى فيعميها فيزداد غضبه ثالثا فيعود ويرميه فيرجع الحجر على رأسه فيشجه وعدوه سالم فى كل حال وهو اليه راجع كرة بعد اخرى واعدآؤه حواليه يفرحون ويضحكون وهذا حال الحسود وسخرية الشياطين وقال بكر بن عبد الله كان رجل يأتى بعض الملوك فيقوم بحذآئه ويقول احسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك وقال ان هذا الرجل يزعم ان الملك ابخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندى قال تدعو به اليك فانظر فانه اذا دنا منك وضع يده على انفه ان لا يشم ريح البخر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده فقام بحذآء الملك فقال على عادته مثل ما قال فقال له الملك ادن منى فدنا منه واضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه ريح الثوم فصدق الملك فى نفسه قول الساعى قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا الجائزة فكتب له كتابا بخطه الى عامل له اذا اتاك الرجل فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فاستوهب منه ذلك الكتاب فاخذه منه بانواع التضرع والامتنان ومضى الى العامل فقال له العامل ان فى كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى الله الله فى امرى حتى اراجع الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل كعادته فتعجب

منه الملك فقال ما فعلت بالكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته قال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر
فقال كلا قال فلم وضعت يدك على انفك قال كان اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال ارجع
الى مكانك فقد كفى المسيء اساءته ونعم ما قيل هركه اونيك ميكند يابد * نيك وبد هرچه ميكند يابد *
اللهم احفظنا من مساوى الاخلاق (ما) شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية اى اى شيء (ننسخ)
ومحل قوله (من آية) نصب تمييز لما والنسخ فى اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر اى ازالته ونسخت
الكتاب اى نقلته من نسخة الى نسخة ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقرآءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا
اما الاول فكآية الرجم كما روى ان مما يتلى عليكم فى كتاب الله الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة
فهو منسوخ التلاوة دون الحكم ومعنى النسخ فى مثلها انتهاء التكليف بقرآءتها عند نسخ تلاوتها واما الثانى
فكآية عدة الوفاة بالحول قال تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول
غير اخراج نسخت باربعة اشهر وعشر لقوله تعالى يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا كمصابرة الواحد لعشرة
فى القتال نسخت بمصابرة الواحد للاثنين فهو منسوخ الحكم دون التلاوة وهو المعروف من النسخ فى القرءآن
فتكون الاية الناسخة والمنسوخة ثابتين فى التلاوة الا ان المنسوخة لا يعمل بها ومعنى النسخ فى مثلها بيان
انتهاء التكليف بالحكم المستفاد منها عند نزول الاية المتأخرة عنها وحسن بقاء التلاوة مع نسخ الحكم ورفعه
ليبقى حصول الثواب بقرآءتها فان القرءآن كما يتلى لحفظ حكمه لتيسير العمل به يتلى ايضا لكونه كلام
الله تعالى فيثاب عليه واما الثالث فكما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كان مما يتلى فى كتاب الله
عشر رضعات يحرمن ثم نسخ بخمس رضعات يحرمن فهو منسوخ الحكم والتلاوة جميعا ومعنى النسخ فى مثلها
بيان انتهاء التكليف بقرآءتها وبالحكم المستفاد منها عند نسخها قال القرطبى الجمهور على ان النسخ
انما هو مختص بالاوامر والنواهى والخبر لا يدخل النسخ لاستحالة الكذب على الله تعالى (او ننسها) انساء الاية
اذهابها من القلوب كما روى ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا البسملة فغدوا الى النبى
عليه السلام واخبروه فقال صلى الله عليه وسلم تلك سورة رفعت بتلاوتها واحكامها روى ان المشركين او اليهود
قالوا الاترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ما يقول الا من تلقاء نفسه يقول اليوم
قولا ويرجع عنه غدا كما امر فى حد الزنى بايذآئهما باللسان حيث قال فآذوهما ثم جعله منسوخا وامر
بامساكهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت ثم جعله منسوخا بقوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة يريدون
بذلك الطعن فى الاسلام ليضعفوا عزيمة من اراد الدخول فيه فبين الله الحكمة فى النسخ بهذه الاية والمعنى ان كل
آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل
(نات بخير) اى باية هى خير (منها) للعباد بحسب الحال فى النفع والثواب من الذاهبة وليس المقصود
ان آية خير من آية لان كلام الله واحد وكله خير فلا يتفاضل بعض الآيات على بعض فى انفسها من حيث
انه كلام الله ووحيه وكتابه بل التفاضل فيها انما هو بحسب ما يحصل منها للعباد (او مثلها) فى المنفعة والثواب
فكل ما نسخ الى الايسر فهو اسهل فى العمل وما نسخ الى الاشق فهو فى الثواب اكثر اما الاول فكنسخ
الاعتداد بحول ونقله الى الاعتداد باربعة اشهر وعشر واما الثانى فكنسخ ترك القتال بايجابه وقد يكون النسخ
بمثل الاول لا اخف ولا اشق كنسخ التوجه الى بيت المقدس بالتوجه الى الكعبة وهذا الحكم غير مختص بنسخ
الاية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب واعلم ان الناسخ على الحقيقة
هو الله تعالى ويسمى الخطاب الشرعى ناسخا تجوزا فى الاسناد بناء على ان النسخ يقع به والمنسوخ هو الحكم
المزال والمنسوخ عنه هو المتعبد بالعبادة المزالة وهو المكلف والحكمة فى النسخ ان الطبيب المباشر لاصلاح
البدن يغير الاغذية والادوية بحسب اختلاف الامزجة والازمنة كذلك الانبياء المباشرون لاصلاح النفوس
يغيرون الاعمال الشرعية والاحكام الخلقية التى هى للنفوس بمنزلة العقاقير والاغذية للابدان فان اغذية
النفوس وادويتها هى الاعمال الشرعية والاخلاق المرضية فيغيرها الشارع على حسب تغير مصالحها فكما ان
الشيء يكون دوآء للبدن فى وقت ثم قد يكون داء فى وقت آخر كذلك الاعمال قد تكون مصلحة فى وقت ومفسدة
فى وقت وقس عليه حال المرشد والمسترشد فان التربية على القاعدة التسليكية بحسب احوال المشارب

ولا يلقاها

ولا يلقاها من المرشدين الا ذو حظ عظيم (قال فى المثنوى) رمز ننسخ آية او ننسها * نأت خيرا در عقب
مى دان مها * هر شريعت راكه حق منسوخ كرد * او گيا برد وعوض آورده ورد *
اندرين شهر حوادث ميراوست * در ممالك مالك تدبير اوست * آنكه داند دوخت اوداند دريد *
هرچه رابفروخت نيكوتر خريد (الم تعلم) الخطاب للنبى عليه السلام ومعنى الاستفهام تقرير اى انك تعلم
(ان الله على كل شيء قدير) فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير (الم تعلم) وخصه عليه السلام
بالخطاب مع ان غيره داخل فى الخطاب ايضا حقيقة بناء على ان المقصود من الخطاب تقرير علم المخاطب
بما ذكر ولا احد من البشر اعلم بذلك منه عليه السلام اذ قد وقف من اسرار ملكوت السموات والارض
على ما لا يطلع عليه غيره وعلم غيره بالنسبة الى علمه عليه السلام ملحق بالعدم لان علم الاولياء من علم الانبياء
بمنزلة قطرة من سبعة ابحر وعلم الانبياء من علم نبينا محمد عليه السلام بهذه المنزلة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه
بهذه المنزلة (ان الله له ملك السموات والارض) فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على
كل شيء قدير والملك تمام القدرة واستحكامها وتخصيص السموات والارض بالذكر وان كان الله تعالى له ملك
الدنيا والآخرة جميعا لكونهما اعظم المصنوعات واعجبها شانا (وما لكم) ايها المؤمنون (من دون الله)
اى سوى الله وهو فى حيز النصب على الحالية من الولى لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا (من)
زآئدة للاستغراق (ولى) قريب وصديق وقيل وال وهو القيم بالامور (ولا نصير) اى معين ومانع والفرق بين
الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور والمقصود التسكين لقلوب
المؤمنين بان الله وليهم وناصرهم دون غيره فلا يجوز الاعتماد الا عليه ولا يصح الالتجاء الا اليه والمعنى ان قضية
العلم بما ذكر من الامور الثلاثة وهو العلم بان الله على كل شيء قدير والعلم بان الله له ملك السموات والارض والعلم
بان ليس لهم من دون الله من ولى ولا نصير هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم فى امر من امور دينهم
اودنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه شيء من الثقة والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء
الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التى من جملتها ما قالوا فى امر النسخ (ام تريدون) ام معادلة للهمزة فى الم تعلم
اى الم تعلموا انه مالك الامور وقادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت
اليهود على موسى عليه السلام والمراد توصية المسلمين بالثقة به وترك الاقتراح عليه وهو المفاجأة بالسؤال من غير
روية وفكر (ان تسألوا) وانتم مؤمنون (رسولكم) وهو فى تلك الرتبة من علو الشأن وتقترحوا عليه ما تشتهون
غير واثقين بامور كم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤنه تعالى قيل لعلهم كانوا يطلبون منه
عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ (كما سئل موسى) مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر مؤكد
محذوف وما مصدرية اى سؤالا مشبها بسؤال موسى عليه السلام حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة
وغير ذلك (من قبل) اى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم متعلق بسئل جيء به للتأكيد (ومن يتبدل الكفر)
اى يختره ويأخذه لنفسه (بالايمان) بمقابلته بدلا منه وحاصله ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب
المصالح التى من جملتها الايات الناسخة التى هى خير محض وحق بحت واقترح غيرها (فقد ضل) اى عدل وجار
من حيث لا يدرى (سوآء السبيل) عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه فى تيه الهوى
وتردى فى مهاوى الردى وسوآء السبيل وسط الطريق السوى الذى هو بين الغلو والتقصير وهو الحق واكثر
المفسرين على ان سبب نزول الاية ان اليهود قالوا يا محمد ائتنا بكتاب الله جملة كما جاء موسى بالتوراة جملة فنزلت
كما قال يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء الى قوله جهرة فالمخاطبون بقوله ام تريدون هم اليهود
واضافة الرسول اليهم فى قوله رسولكم باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان ترك صرف قدرتهم
اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر عليه قال الامام وهذا اصح لان الاية مدنية ولان هذه السورة من اول
قوله يا بنى اسرآئيل اذكروا نعمتى حكاية عنهم ومحاجة معهم وفى الاية اشارة الى حفظ الاداب فمن لم يتأدب
بين يدى مولاه ورسوله وخلفائه فقد تعرض للكفر وحقيقة الادب اجتماع خصال الخير وعن النبى عليه السلام
قال حق الولد على والده ان يحسن اسمه ويحسن مرضعه ويحسن ادبه فانه مسؤل عنه يوم القيامة ومؤاخذ
بالتقصير فيه قال فى بستان العارفين مثل الايمان مثل بلدة لها خمسة من الحصون الاول من ذهب والثانى

من فضة والثالث من حديد والرابع من حبوكل والخامس من لبن فادام اهل الحصن يتعاهدون الحصن الذى من اللبن فالعدو لا يبلغ فيهم فاذا تركوا التعاهد حتى خرب الحصن الاول طمع فى الثانى ثم فى الثالث حتى خرب الحصون كلها فكذلك الايمان فى خمسة من الحصون اولها اليقين ثم الاخلاص ثم اداء الفرآئض ثم اتمام السنن ثم حفظ الادب فادام يحفظ الادب ويتعاهد فان الشيطان لا يطمع فيه فاذا ترك الادب طمع فى السنن ثم فى الفرآئض ثم فى الاخلاص ثم فى اليقين وينبغى ان يحفظ الادب فى جميع اموره من امر الوضوء والصلاة والبيع والشرآء والصحبة وغير ذلك واعلم ان الشريعة هى الاحكام والطريقة هى الادب وانما رد من رد لعدم رعاية الادب كابليس وغيره من المردودين كما قيل بى ادب مردكى شود مهتر * كرچه اورا جلالت نسبست * باادب باش تا بزرك شوى * كه بزركى نتيجهٔ ادبست * وسئل ابن سيرين اى الادب اقرب الى الله فقال معرفة ربوبيته وعمل بطاعته والحمد لله على السرآء والصبر على الضرآء انتهى كلامه

(ود كثير من اهل الكتاب) هم رهط من احبار اليهود وروى ان فنحاص بن عازورآء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضى الله عنهما بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فانى قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما عمار فقد صبأ اى خرج عن ديننا بحيث لا يرجى منه الرجوع اليه ابدا فكيف انت يا حذيفة الا تبايعنا قال حذيفة رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا فقالوا وآله موسى لقد اشرب فى قلوبكما حب محمد ثم اتيا رسول الله عليه السلام واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما والمعنى احب واراد كثير من اليهود (لو يردونكم) اى ان يردوكم فان لو من الحروف المصدرية اذا جاءت بعد فعل يفهم منه معنى التمنى نحو قوله تعالى ودوا لو تدهن اى ان يصرفوكم عن التوحيد (من بعد ايمانكم) يا معشر المؤمنين (كفارا) اى مرتدين حال من ضمير المخاطبين فى يردونكم ويحتمل ان يكون مفعولا ثانيا ليردونكم على تضمينه معنى يصيرونكم (حسدا) علة لقوله ود كانه قيل ود كثير ذلك من اجل الحسد (من عند انفسهم) يجوز ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ارتدادكم من عند انفسهم وقبل شهوتهم وهوآئهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم لانهم ودوا ذلك فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق ويجوز ان يتعلق بحسدا اى حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه (من بعد ما تبين لهم الحق) اى من بعد ما ظهر لهم ان محمدا رسول الله وقوله حق ودينه حق بالمعجزات والنعوت المذكورة فى التوراة (فاعفوا) العفو ترك عقوبة المذنب يقال عفت الريح المنزل درسته وعفا المنزل يعفو درس يتعدى ولا يتعدى ومن ترك المذنب فكانه درس ذنبه من حيث انه ترك المكافأة والمجازاة وذلك لا يستلزم الصفح ولذا قال تعالى (واصفحوا) فانه قد يعفو الانسان ولا يصفح والصفح ترك التقريع باللسان والاستقصاء فى اللوم يقال صفحت عن فلان اذا اعرضت عن ذنبه بالكلية وقد ضربت عنه صفحا اذا اعرضت عنه وتركته وليس المراد بالعفو والصفح المأمور بهما الرضى بما فعلوا لان ذلك كفر والله تعالى لا يأمر به بل المراد بهما ترك المقاتلة والاعراض عن الجواب عن مساوى كلامهم (حتى يأتى الله بامره) اى بحكمه الله بحكمه الذى هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم اوقتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير روى ان الصحابة رضى الله عنهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ان يقتلوا هؤلاء اليهود الذين كفروا بانفسهم ودعوا المسلمين الى الكفر فنزلت الاية بترك القتال والاعراض عن المكافأة الى ان يجيء الاذن من الله تعالى (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على الانتقام منهم وينتقم اذا جاء اوانه (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة واللجأ الى الله تعالى بالعبادة والبر فالمراد الامر بملازمة طاعة الله تعالى من الفرآئض والواجبات والتطوعات بقرينة قوله (وما تقدموا لانفسكم من خير) فان الخير يتناول اعمال البر كلها الا انه تعالى خص من بينها اقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر تنبيها على عظم شأنهما وعلو قدرهما عند الله تعالى فان الصلاة قربة بدنية ليكون عمل كل عضو شكر الما انعم الله عليه فى ذلك والزكاة قربة مالية ليكون شكر اللاغنياء الذين فضلهم الله فى الدنيا بالاستمتاع بلذيذ العيش بسبب سعتهم فى صنوف الاعمال وما تقدموا شرطية اى اى شئ من الخيرات صلاة او صدقة او غيرهما تقدموه وتسلفوه لمصلحة انفسكم (تجدوه) اى ثوابه وجزاءه لا عينه لان

عين تلك الاعمال لا تبقى ولان وجدان عينها لا يرغب فيه (عند الله) اى محفوظا عنده فى الاخرة فتجدوا التمرة واللقمة فيها مثل احد ولفظ التقديم اشارة الى ان المقصود الاصلى والحكمة الكلية فى جميع ما انعم الله تعالى به على المكلفين فى الدنيا ان يقدموه الى معادهم ويدخروه ليومهم الآجل كما جاء فى الحديث ان العبد اذا مات قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم (ان الله بما تعملون بصير) اى عالم لا يخفى عليه القليل ولا الكثير من الاعمال والعمل غير مقيد بالخير او الشر فهو عام شامل للترغيب والترهيب فالترغيب من حيث انه يدل على انه تعالى يجازى على القليل من الخير كما يجازى على الكثير والترهيب من حيث انه يجازى على القليل والكثير من الشر ايضا فلا يضيع عنده عمل عامل وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه مر ببقيع الفرقد فقال السلام عليكم اهل القبور اخبار ما عندنا ان نساءكم قد تزوجن ودوركم قد سكنت واموالكم قد قسمت فاجابه هاتف يا ابن الخطاب اخبار ما عندنا ان ما قدمناه وجدناه وما انفقناه فقد ربحناه وما خلفناه فقد خسرناه ولقد احسن القائل

قدم لنفسك قبل موتك صالحا * واعمل فليس الى الخلود سبيل

(قال السعدى) توغافل در انديشهٔ سود ومال * كه سرمايهٔ عمر شد پايمال * غبار هوا چشم عقلت بدوخت * سموم هوا كشت عمرت بسوخت * بكن سرمهٔ غفلت از چشم پاك * كه فردا شوى سرمه در چشم خاك * اعلم ان الانسان اذا مات انقطع عنه عمله الا ان يبقى بعده واحد من الاولاد الاربعة التى لا ينقطع اجرها الاول ما يتولد من مال الانسان كبناء المساجد والجسور والرباط والاوقاف وغير ذلك من الخيرات (كما قال السعدى فى البستان) ازان كس كه خيرى بماند روان * دمادم رسد رحمتش بر روان * نمرد انكه ماند پس از وى بجاى * پل ومسجد وخان ومهمان سراى * هران كو نماند از پسش يادكار * درخت وجودش نياورد بار * وكر رفت وآثار خيرش نماند * نشايد پس مرك الحمد خواند * والى هذا اشار عليه السلام بقوله من صدقة جارية فى حديث اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاثة والثانى ما يتولد من العقل الراجح كالعلم المنتفع به واليه الاشارة بقوله عليه السلام او علم ينتفع به قيل هو الاحكام المستنبطة من النصوص والظاهر انه عام متناول ما خلفه من تصنيف او تعليم فى العلوم الشرعية وما يحتاج اليه فى تعلمها قيد العلم بالمنتفع به لان ما لا ينتفع به لا يثمر اجرا كما ان كتم ما ينتفع به لا يثمر اجرا بل اثما وعذابا كما ورد فى الحديث من كتم علما يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار قال الامام السخاوى يشمل هذا الوعيد حبس الكتب عمن يطلبها للانتفاع بها والثالث ما يتولد من النفس كالبنين والبنات واليه الاشارة بقوله عليه السلام او ولد صالح يدعو له قيد عليه السلام بالصالح لان الاجر لا يحصل من غيره واما الوزر فلا يلحق بالاب من سيئة ولده اذا كان نيته فى تحصيل الخير وانما ذكر الدعاء له تحريضا للولد على الدعاء لابيه لا لانه قيد لان الاجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلما عمل عملا صالحا سوآء دعا لابيه اولا كمن غرس شجرة يحصل له من اكل ثمرتها ثواب سوآء دعا له من اكلها اولم يدع وكذلك الام فان قلت ما التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام من سن فى الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة وقوله عليه السلام من مات يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة قلنا السنة المسنونة من جملة العلم المنتفع به ومعنى حديث المرابط ان ثواب عمله الذى قدمه فى حياته ينمو له الى يوم القيامة اما الثلاثة المذكورة فى الحديث فانها اعمال تحدث بعد وفاته لا تنقطع عنه لانه سبب لها فيلحقه منها ثواب والرابع ما يتولد من الروح وهى الاولاد المعنوية التى تولدت من التربية كاولاد المشايخ الكاملين من الصوفية المتشرعين المحققين وهذا القسم يمكن ان يندرج فيما قبله فافهم (وقالوا) نزلت فى وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا فى مجلس رسول الله عليه السلام مع اليهود فكذب بعضهم بعضا فقالت اليهود لبنى نجران لن يدخل الجنة الا اليهود وقال بنو نجران لليهود لن يدخلها الا النصارى فقال الله قال اهل الكتاب من اليهود والنصارى (لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى) لم يقل كانوا حملا للاسم على لفظ من وجمع الخبر حملا على معناه والهود جمع هائد اى تائب نحو انا هدنا اليك وكانه كان فى الاصل اسم مدح لمن تاب منهم من عبادة العجل ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازما لجماعتهم كالعلم لهم والنصارى جمع نصران كسكران (تلك) اى ما قالوا بان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى (امانيهم) اى شهواتهم الفاسدة التى تمنوها على الله بغير

الحق لا حقيقة لها جمع امنية وهى ما يتمنى افعولة كالاعجوبة والتمنى التشهى والعرب تسمى الكلام العارى عن
الحجة تمنيا وغرورا وضلالا واحلاما مجازا وجمع الامانى باعتبار صدوره عن الجميع من اليهود والنصارى ثم اومأ
الله الى بطلان اقوالهم بقوله لنبيه عليه السلام (قل هاتوا) اصله آتوا قلبت الهمزة هاء وهو امر تعجيز اى احضروا
(برهانكم) حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ولم يقل براهينكم لان الدعوى كانت واحدة وهى نفى دخول
غيرهم الجنة والحجة على تلك الدعوى واحدة (ان كنتم صادقين) فى دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت
(بلى) اعلم ان قولهم لن يدخل الجنة الخ مشتمل على ايجاب ونفى اما الايجاب فهو ان يدخل الجنة اليهود
والنصارى واما النفى فهو ان لا يدخل الجنة غيرهم فقوله بلى اثبات لما نفوه فى كلامهم فكأنهم قالوا لا يدخل
الجنة غيرنا فاجيبوا بقوله بلى يدخل الجنة غيركم وليس الامر كما تزعمون (من اسلم وجهه لله) اى اخلص نفسه له
تعالى لا يشرك به شيأ فان اسلام شئ لشئ جعله سالما له بان لا يكون لاحد حق فيه لا من حيث التخليق
والمالكية ولا من حيث استحقاق العبادة والتعظيم عبر عنها بالوجه لكونه اشرف الاعضاء من حيث انه معدن
الحواس والفكر والتخيل فهو مجاز من باب ذكر الجزء وارادة الكل ومنه قولهم كرم الله وجهك ويحتمل ان يكون
اخلاص الوجه كناية عن اخلاص الذات لان من جاد بوجهه لا يبخل بشئ من جوارحه ويكون الوجه بمعنى
العضو المخصوص (وهو محسن) حال من ضمير اسلم اى وهو مع اخلاصه وتسليم النفس الى الله بالكلية
بالخضوع والانقياد محسن فى جميع اعماله بان يعملها على وجهة يستصوبها فان اخلاصها لله لا يستلزم كونها
مستحسنة بحسب الشرع وحقيقة الاحسان والاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفى التابع
لحسنه الذاتى وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا المعنى
حقيقة الايمان وظاهره الاحسان واما باطنه فرتبة كنت سمعه وبصره التى هى نتيجة قرب النوافل وهو كون
ذات الحق ووجوده مرآة لصفات العبد ومظهرا لاحواله واما قرب الفرائض فهو المصرح فى قوله قال الله
تعالى على لسان عبده سمع الله لمن حمده وهو كون صفات العبد واحواله مرآة لذات الحق ومظهرا لوجوده
وباعتبار قرب النوافل كان الظاهر والمرئى والمشهود هو العبد وباعتبار قرب الفرائض هو الحق (فله اجره)
ثوابه الذى وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة وتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل
واستحالة نيله بدونه (عند ربه) اى حال كون ذلك الاجر ثابتا عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله لا يضيع
ولا ينقص والعندية للتشريف والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها
معنى الشرط (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فى الآخرة عند دخول الجنة كما قال تعالى خبرا عن اهل الجنة
الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن واما فى الدنيا فانهم يخافون من ان يصيبوا الشدائد والاهوال العظام قدامهم
ويحزنون على ما فاتهم من الاعمال الصالحة والطاعات المؤدية الى الفوز بانواع السعادات فان المؤمن كما لا يقنط
من رحمة الله لا يأمن من غضبه وعقابه كما قيل لا يجتمع خوفان ولا امنان فمن خاف فى الدنيا امن فى الآخرة
حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب فان الخوف انما يكون
مما يتوقع فى المستقبل كما ان الحزن انما يكون على ما وقع سابقا ومن أمن فى الدنيا خاف فى الآخرة (قال فى المثنوى
لا تخافوا هست نزل خائفان * هست درخورد از براى خائف آن * هركه ترسد مر ورا ايمن كنند *
مر دل ترسنده را ساكن كنند * آنكه خوفش نيست چون كويى مترس * درس چه دهى نيست
او محتاج درس) (وقالت اليهود) بيان لتضليل كل فريق من اليهود والنصارى صاحبه بخصوصه اثر بيان
تضليله كل من عداه على وجه العموم (ليست النصارى على شئ) اى على امر يصح ويعتد به (وقالت النصارى
ليست اليهود على شئ وهم) اى قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق منهم (يتلون الكتاب) اللام للجنس اى انهم
من اهل العلم والكتاب والتلاوة للكتب وحق من تلا كتابا من كتب الله تعالى وآمن به ان لا يكفر بالباقى
لان كل واحد من كتب الله يصدق ما عداه (كذلك) اى مثل ذلك القول الذى سمعت به من هؤلاء العلماء الضالة
على ان الكاف فى موضع النصب على انه مفعول قال (قال الذين لا يعلمون) من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم
من الجهلة اى قالوا لاهل كل دين ليسوا على شئ (مثل قولهم) بدل من محل الكاف وفيه توبيخ عظيم حيث
نظموا انفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم اصلا (فالله يحكم بينهم) بين الفريقين (يوم القيامة فيما كانوا فيه)

متعلق بيختلفون قدم للمحافظة على رؤس الآى (يختلفون) من امر الدين فان قلت بم يحكم قلت بما يقسم
لكل فريق مما يليق به من العقاب وفعل الحكم يتعدى بحار بن الباء وفى كما يقال حكم الحاكم فى هذه القضية
بكذا وفى الآية قد ذكر المحكوم فيه دون المحكوم به واعلم ان كل حزب بما لديهم فرحون وليس ذلك فى الفرق
الضالة خاصة بل ذلك يجرى بين صوفى وصوفى وشيخ وشيخ وعالم وعالم فتخطئة كل فريق صاحبه مستمرة والاولى
ان يتبع الهدى قال بعض المشايخ من ادعى انه صاحب قلب وارشاد بدون تزكية النفس ومعرفة المبدأ والمعاد
لاجل الدنيا الدنية كان عذابه اضعاف عذاب النساء اللاتى رآهن النبى عليه السلام ليلة المعراج يقطعن
صدورهن بمقاريض فسأل جبريل فقال انهن الزوانى من النساء اللاتى جئن باولاد من الزنى فالدعوى باطلة
بدون الدليل وصاحبها ضال مضل والمدعى كالزانية والتابع له على هواه كولد الزنى فان ولد الزنى هالك حكما
لعدم المربى والاتباع بمبتدع لا ينتج الا البدعة والالحاد وحكى عن الشيخ صدر الدين التبريزى انه قال كان رجل
مشهور فى تبريز يقال له عارف قدم يوما الى مجلس بعض العارفين فقال له ما اسمك قال محمود ولكن يقال لى عارف
قال له هل عرفت ذاتك حتى قيل لك عارف فقال قرأت كتبا كثيرة من مقالات المشايخ والصوفية قال له ذلك
كلامهم فالك * بپر خويش بايد كرد پرواز * ببال ديكران نتوان پريدن * فمجرد النسخة لا يفيد
بدون العمل بما فيها والتحقق بحقائقها وهذا كما ان تاجرا اذا وصل له كتاب من عبده المأذون فى التجارة انى اشتريت
كذا وكذا واخبر سيده ما وقع تفصيلا فبمجرد هذا الكتاب لا يقدر السيد ان يتجر بدون ان يصل اليه ما اشتراه
العبد من السلعة فلو ادخل جماعة من المشترين فى داره ليبيع متاعه لا يجد الا الخجالة لان المحل الذى يعرض
السلعة فيه على المشترين لا يفيده مجرد النسخة وقرآءتها (قال فى المثنوى) مرغ بر بالا پران وسايه اش *
مى دود بر خاك پران مرغ وش * ابلهى صياد آن سايه شود * مى دود چندانكه بى مايه شود *
بى خبر كان عكس آن مرغ هواست * بى خبر كه اصل آن سايه كجاست * تير اندازى بسوى سايه او *
تركشش خالى شود از جست وجو * تركش عمرش تهى شد عمر رفت * از دويدن در شكار سايه تفت *
سايه يزدان چو باشد دايه اش * وارهاند از خيال وسايه اش (ومن اظلم) سبب النزول ان ططيوس الرومى
ملك النصارى واصحابه غزوا بنى اسرائيل فقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التوراة وخربوا بيت
المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه اهل الاسلام فى ايام عمر بن الخطاب
رضى الله عنه وذلك لما استولى عمر رضى الله عنه على ولاية كسرى وغنم اموالهم عمر بها بيت المقدس ثم صار
فى أيدى النصارى من الافرنج اكثر من مائة سنة حتى فتحه واستخلصه الملك الناصر صلاح الدين من آل ايوب
سنة خمسمائة وخمس وثمانين بعد الهجرة ومن فى الاصل كلمة استفهام وهى ههنا بمعنى النفى اى لا احد اظلم
(ممن منع مساجد الله) المراد بيت المقدس وصيغة الجمع لكون حكم الآية عاما لكل من فعل ذلك فى اى مسجد
كان كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين لانه لا عبرة لخصوص السبب (ان يذكر
فيها اسمه) ثانى مفعولى منع فانه يقتضى ممنوعا وممنوعا عنه فتارة يتعدى اليهما بنفسه كما فى قولك منعته الامر
وتارة يتعدى الى الاول بنفسه والى الثانى بحرف الجر وهو كلمة عن او من مذكورة كانت كما فى قولك منعته
من الامر او محذوفة كما فى الآية اى من ان يسبح ويقدس ويصلى له فيها (وسعى) اى عمل (فى خرابها) بالهدم
والخراب اسم للتخريب كالسلام اسم للتسليم واصله الثلم والتفريق (اولئك) المانعون (ما كان لهم
ان يدخلوها الا خائفين) اى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على
تخريبها (لهم فى الدنيا خزى) اى خزى فظيع لا يوصف كالقتل والسبى فى حق اهل الحرب والاذلال بضرب
الجزية فى حق اهل الذمة او هو فتح مدائنهم قسطنطينية وروميه وعمورية (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم)
وهو عذاب النار الذى لا ينقطع لما ان سببه ايضا وهو ما حكى من ظلمهم كذلك فى العظم وقيل نزلت الآية
فى مشركى العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء الى الله تعالى بمكة والجأوه الى الهجرة
فصاروا بذلك مانعين له عليه السلام ولاصحابه ان يذكروا الله فى المسجد الحرام وايضا انهم صدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه عن المسجد الحرام حين ذهب اليه من المدينة عام الحديبية وهى السنة السادسة
من الهجرة والحديبية موضع على طريق مكة فعلى هذا يكون المسجد الذى نزلت الآية فيه المسجد الحرام

فالمراد بالخراب فى قوله وسعى فى خرابها تعطيلهم المسجد الحرام عن الذكر والعبادة دون تخريبه وهدمه حقيقة وجعل تعطيل المسجد عنهما تخريبا له لان المقصود من بنائه انما هو الذكر والعبادة فيه فما دام لم يترتب عليه هذا المقصود من بنائه صار كانه هدم وخرب او لم يبن من اصله فان عمارة المسجد كما تكون ببنائه واصلاحه تكون ايضا بحضوره ولزومه يقال فلان يعمر مسجد فلان اذا كان يحضره ويلزمه ويقال لسكان السموات من الملائكة عمارها قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وذلك لقوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله فجعل حضور المساجد عمارة لها قال على رضى الله عنه ست من المروءة ثلاث فى الحضر وثلاث فى السفر فاما اللاتى فى الحضر فتلاوة كتاب الله تعالى وعمارة مسجد الله واتخاذ الاخوان فى الله واما اللاتى فى السفر فبذل الزاد وحسن الخلق والمزاح فى غير معاصى الله وعد من علامات الساعة تطويل المنارات وتنقيش المساجد وتزيينها وتخريبها عن ذكر الله تعالى فتعطيل المساجد عن الصلاة والتلاوة واظهار شعائر الاسلام اقبح سيئة لاسيما اذا اقترن بفتح ابواب بيوت الخمر واغلاق ابواب الكتاب وغير ذلك ولقد شوهد هذا فى اكثر البلاد الرومية فى هذا الزمان فلنبك على غربة الدين ايها الاخوان قال القشيرى رحمه الله ومن اظلم ممن خرب بالشهوات اوطان العبادات وهى نفوس العابدين وخرب بالمنى والعلامات اوطان المعرفة وهى قلوب العارفين وخرب بالحظوظ والمساكنات اوطان المحبة وهى ارواح الواجدين وخرب بالالتفات الى القربات اوطان المشاهدات وهى اوطان الموحدين ثم فى الاية اشارة الى شرف بيت المقدس والمسجد الحرام وفى الحديث من زار بيت المقدس محتسبا اعطاه الله ثواب الف شهيد وحرم الله جسده على النار ومن زار عالما فكانما زار بيت المقدس كذا فى مشكاة الانوار وذكر فى القنية ان اعظم المساجد حرمة المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد المحال ثم مساجد الشوارع فانها اخف مرتبة حتى لا يعتكف فيها اذا لم يكن لها امام معلوم ومؤذن ثم مساجد البيوت فانه لا يجوز الاعتكاف فيها الا للنساء انتهى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى لا مقام اشرف من الجامع الكبير ببروسه بعد الكعبة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف وقال كان هو موضع بيت عجوز آمنت بنوح النبى عليه السلام فحفظها الله من الطوفان فى ذلك البيت حين لم تدرك السفينة هكذا ظهر لبعض اهل الله بطريق الكشف ومن اشتغل فيه صانه الله من طوفان الغفلة وقال ايضا الاشتغال فى مكة يوما يقوم مقام الاشتغال فى سائر البلاد سنة بشرط رعاية آدابها قال وفى بلادنا للشغل موضعان احدهما جامع السيد البخارى ببلدة بروسه والاخر مقام ابى ايوب الانصارى بقسطنطينية

عابدان اندر نماز وعارفان اندر نياز * عاشقان از شوق وصل يار در سوز وگداز *

اللهم اجعلنا من المشغولين بك (ولله المشرق والمغرب) يريد بهما ناحيتى الارض اذ لا وجه لارادة موضعى الشروق والغروب بخصوصهما اى له الارض كلها لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم ان تصلوا فى المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا (فاينما تولوا) اى ففى اى مكان فعلتم تولية وجوهكم القبلة قال الامام ولى اذا اقبل وولى اذا ادبر وهو من الاضداد والمراد ههنا الاقبال (فثم وجه الله) اى هناك جهته التى امر بها ورضيها قبلة فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد او مكان دون آخر او فثمة ذاته بمعنى الحضور العلمى فيكون الوجه مجازا من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل والمعنى ففى اى مكان فعلتم التولية فهو موجود فيه يمكنكم الوصول اليه اذ ليس هو جوهرا او عرضا حتى يكون بكونه فى جانب مفرغا جانبا ولا امتنع عليه ان يكون فى مكان اريد ان علمه محيط بما يكون فى جميع الاماكن والنواحى اى فهو عالم بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك وفى الحديث لو انكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله معناه ان علم الله شمل جميع الاقطار فالتقدير لهبط على علم الله والله تعالى منزه عن الحلول فى الاماكن لانه كان قبل ان يحدث الاماكن كذا فى المقاصد الحسنة واعلم ان اين شرط فى الامكنة وهو ههنا منصوب بتولوا وما مزيدة للتأكيد وثم ظرف مكان بمنزلة هنالك تقول لما قرب من المكان هنا ولما بعد ثم وهنالك وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ والجملة فى محل الجزم على انها جواب الشرط (ان الله واسع) باحاطته بالاشياء ملكا وخلقا فيكون تذييلا لقوله ولله المشرق والمغرب وكذا ان فسرت السعة بسعة الرحمة فان قوله ولله المشرق والمغرب لما اشتمل على معنى

قولنا

قولنا لا تختص العبادة والصلاة ببعض المساجد بل الارض كلها مسجد لكم فصلوا فى اى بقعة شئتم من بقاعها فهم منه انه واسع الشريعة بالترخيص والتوسعة على عباده فى دينهم لا يضطرهم الى ما يعجزون عن ادائه والمقصود التوسعة على عباده والتيسير عليهم فى كل ما يحتاجون اليه فيدخل فيه التوسعة فى امر القبلة دخولا اوليا وهذا التعميم مستفاد من اطلاق واسع حيث لم يقيد بشئ دون شئ قال الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى الواسع مشتق من السعة والسعة تضاف مرة الى العلم اذا اتسع واحاط بالمعلومات الكثيرة وتضاف اخرى الى الاحسان وبسط النعم وكيف ما قدر وعلى اى شئ نزل فالواسع المطلق هو الله تعالى لانه ان نظر الى علمه فلا ساحل لبحر معلوماته بل تنفد البحار لو كانت مدادا لكلماته وان نظر الى احسانه ونعمه فلا نهاية لمقدوراته وكل سعة وان عظمت فتنتهى الى طرف والذى لا يتناهى الى طرف فهو احق باسم السعة والله تعالى هو الواسع المطلق لان كل واسع بالاضافة الى ما هو اوسع منه ضيق وكل سعة تنتهى الى طرف فالزيادة عليها متصورة وما لا نهاية له ولا طرف فلا يتصور عليه زيادة سعة العبد فى معارفه واخلاقه فان كثرت علومه فهو واسع بقدر سعة علمه وان اتسعت اخلاقه حتى لم يضيقها خوف الفقر وغيظ الحسود وغلبة الحرص وسائر الصفات المذمومة فهو واسع وكل ذلك فهو الى نهاية وانما الواسع الحق هو الله تعالى (قال فى المثنوى)

اى سگ گرگين زشت از حرص وجوش * پوستين شير را بر خود مپوش * غرهٔ شيرت بخواهد امتحان * نقش شير و آنگه اخلاق سگان

(عليم) بمصالحهم واعمالهم كلها وهذا لا يخلو عن افادة التهديد ليكون المصلى على حذر من التفريط والتساهل كما انه يتضمن الوعد بتوفية ثواب المصلين فى جميع الاماكن فقد ظهر ان هذه الاية مرتبطة بقوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله الاية وان المعنى ان بلاد الله ايها المؤمنون تسعكم فلا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله ان تولوا وجوهكم نحو قبلة الله اينما كنتم من ارضه وقال مجاهد والحسن لما نزل وقال ربكم ادعونى استجب لكم قالوا اين ندعوه فانزل الله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله بلا جهة وتحيز ان قيل ما معنى رفع الايدى الى السماء عند الدعاء مع انه تعالى منزه عن الجهة والمكان قلنا ان الانبياء والاولياء قاطبة فعلوا كذلك لا بمعنى ان الله فى مكان بل بمعنى ان خزائنه تعالى فى السماء كما قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وقال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فالعرش مظهر لاستواء الصفة الرحمانية فرفع الايدى اذا الى السماء والنظر اليه وقت الدعاء بمنزلة ان يشير سائل الى الخزينة السلطانية ثم يطلب من السلطان ان يعطى له عطاء من تلك الخزينة يروى ان امام الحرمين رفع الله درجته فى الدارين نزل ببعض الاكابر ضيفا فاجتمع عنده العلماء والاكابر فقام واحد من اهل المجلس فقال ما الدليل على تنزهه تعالى عن المكان وهو قال الرحمن على العرش استوى فقال الدليل عليه قول يونس عليه السلام فى بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فتعجب منه الناظرون فالتمس صاحب الضيافة بيانه فقال الامام ههنا فقير مديون بالف درهم أدّ عنه دينه حتى ابينه فقبل صاحب الضيافة دينه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذهب فى المعراج الى ما شاء الله من العلى قال لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولما ابتلى يونس عليه السلام بالظلمات فى قعر البحر ببطن الحوت قال لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فكل منهما خاطبه بقوله انت وهو خطاب الحضور فلو كان هو فى مكان لما صح ذلك فدل ذلك على انه ليس فى مكان وفى الحديث لا تفضلونى على يونس بن متى فانه رأى فى بطن الحوت ما رأيته فى اعلى العرش يشير عليه السلام بذلك الى ما وقع له وليونس عليه السلام من تجلى الذات وقيل نزلت الاية لما طعن اليهود فى نسخ القبلة روى انه عليه السلام كان يصلى بمكة مع اصحابه الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة امره الله ان يصلى نحو بيت المقدس ليكون اقرب الى تصديق اليهود فصلى نحوه ستة عشر شهرا وكان يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان كما قال الله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها وذلك فى مسجد بنى سلمة فصلى الظهر ولما صلى الركعتين نزل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام فتحول فى الصلاة فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين فلما تحولت القبلة انكر من انكر فكان هذا ابتلاء من الله تعالى كما قال تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله اللهم اهدنا

وسددنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فللمؤمن حقا ان يعتصم بالله ويدور مع الامر الالهى حيث يدور ويتبع الرسول ولا يتبع عقله العاجز وفهمه القاصر ويتعلم الادب من معدن الرسالة حيث لم يسأل تحويل القبلة بل انتظر الى امر الله فاكرمه الله باعطاء مرامه وفضله على سائر الانبياء عليهم السلام اعلم ان الذين شقت عليهم التحويلة طائفتان المحجوبون بالخلق عن الحق اما الطائفة الاولى فقد عرفت ان التحويلة من الكعبة الى بيت المقدس كانت صورة العروج من مقام المكاشفة اعنى مقام القلب الى مقام المشاهدة اعنى الروح فحسبوا التحويلة من بيت المقدس الى الكعبة بعدا بعد القرب ونزولا بعد العروج وظنوا اضياع السعى الى المقام الاشرف والسقوط عن الرتبة فشق عليهم ولم يعلموا انه صورة الرجوع الى مقام القلب حالة التمكين للدعوة ومشاهدة الجمع فى عين التفصيل والتفصيل فى عين الجمع حتى لا يحتجب العبد بالوحدة عن الكثرة ولا بالكثرة عن الوحدة واما الطائفة الثانية فتقيدوا بصورة عملهم ولم يعرفوا حكمة التحويلة فحسبوا صحة العبادة الثانية دون الاولى فشق عليهم ضياعها على ما توهموا واما الذين سبقت لهم من الله الحسنى فلم يحتجبوا بحجاب واهتدوا الى ما هو الصواب فوصلوا الى التوحيد الذاتى المحمدى اللهم اجعلنا من المهتدين واحشرنا مع الانبياء والمرسلين وقال اهل التأويل ولله المشرق والمغرب اى عالم النور والظهور الذى هو جهة النصارى وقبلتهم بالحقيقة باطنه وعالم الظلمة والاختفاء الذى هو جهة اليهود وقبلتهم بالحقيقة ظاهره فاينما تولوا اى اى جهة توجهوا من الظاهر والباطن فثم وجه الله اى ذاته المتجلية بجميع صفاته الجمالية والجلالية اذ بعد الاشراق على قلوبكم بالظهور فيها والتجلى لها بصفة جماله حالة شهودكم وفنائكم فيه والغروب فيها بتستره واحتجابه بصفة جلاله حالة بقائكم بعد الفناء فاى جهة توجهوا حينئذ فثم وجهه ليس الا هو وحده (قال الحافظ) ميان كعبه وبتخانه هيچ فرقى نيست * بهر طرف كه نظر ميكنى برابر اوست * واعلم ان شهود الحق بالخلق وشهود الخلق بالحق من غير احتجاب باحدهما عن الآخر هو مقام جمع الجمع والبقاء وذلك لا يحصل الا بالتجلى العينى بعد العلمى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره واذا امر بالارشاد يعود لخدمة الحق الا يرى ان موسى عليه السلام لما وصل الى الطور لاقتباس النار لاهله نودى يا موسى انى انا ربك فتجلى الربوبية اولا ثم قيل فاخلع نعليك وهما الطبيعة والنفس امر بتركهما ثم قيل وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى فتجلى الالوهية ثم بعدهما تجلى الذات وامر بارشاد فرعون فترك اهله هنالك ولم يلتفت وجاء الى فرعون وكان دخوله بمصر فى نصف الليل فدق باب فرعون بعصاه امتثالا لامر الله تعالى قيل انه شابت لحية فرعون فى ذلك الوقت بمهابة دقه فقال اكنت وليدا مربى عندنا قال موسى نعم ولذلك دعوتك قبل الكل لتسبق حقك على رعاية له فارادوا قتله فالقى عصاه فصارت ثعبانا مبينا فعزم على ابتلاعهم فاستأمنوا فاعطاهم الامان وكان يريد ان يؤمن ولكنه منعه هامان فبعد دعوة فرعون جاء الى اهله فوجدها قد وضعت الحمل فاحاطتها ذئاب من اطرافها لمحافظتها فلم يقدر ان يمر من هنا مار فانظر الى قدرة الله تعالى وروى ان الامام الاعظم والهمام الاقدم رحمه الله لم يشتغل بالدعوة الى مذهبه الا بالاشارة النبوية فى المنام بعد ما قصد الانزواء فهذا اعدل دليل الى وصوله الى الحقيقة وكان يقوم كل الليل وسمع رحمه الله هاتفا فى الكعبة ان يا ابا حنيفة اخلصت خدمتى واحسنت معرفتى فقد غفرت لك ولمن تبعك الى قيام الساعة كذا فى عين العلم للشيخ محمد البلخى رحمه الله وعن بعض العارفين قبلة البشر الكعبة وقبلة اهل السماء البيت المعمور وقبلة الكروبيين الكرسى وقبلة حملة العرش العرش ومطلوب الكل وجه الله سبحانه وتعالى (وقالوا) نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله فضمير قالوا راجع الى الفرق الثلاث المذكورة سابقا اما اليهود والنصارى فقد ذكروا صريحا واما المشركون فقد ذكروا بقوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اى قال اليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون (اتخذ الله ولدا) الاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اى صير بعض مخلوقاته ولدا وادعى انه ولده لا انه ولده حقيقة وكما يستحيل عليه تعالى ان يلد حقيقة هكذا يستحيل عليه التبنى واتخاذ الولد فنزه الله تعالى نفسه عما قالوا فى حقه فقال (سبحانه) تنزيه والاصل سبحه سبحانا على انه مصدر بمعنى التسبيح وهو التنزيه

اى منزه عن السبب المقتضى للولد وهو الاحتياج الى من يعينه فى حياته ويقوم مقامه بعد مماته وعما يقتضيه الولد وهو التشبيه فان الولد لا يكون الا من جنس والده فكيف يكون للحق سبحانه ولد وهو لا يشبهه شئ (قال فى المثنوى) لم يلد لم يولدست اوازقدم * نى پدر دارد نه فرزند ونه عم (بل له ما فى السموات والارض) رد لما قالوه واستدلال على فساده فان الاضراب عن قول المبطلين معناه الرد والانكار وفى الوسيط بل اى ليس الامر كما زعموا والمعنى انه خالق ما فى السموات والارض جميعا الذى يدخل فيه الملائكة وعزير والمسيح دخولا اوليا فكان المستفاد من الدليل امتناع ان يكون شئ مما فى السموات والارض ولدا سواء كان ذلك ما زعموا انه ولد له اولا (كل) حى اى كل ما فيهما كائنا ما كان من اولى العلم وغيرهم (له) اى لله سبحانه وتعالى (قانتون) منقادون لا يمتنع شئ منهم على مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لانه من حق الولد ان يجانس والده وانما عبر عن جميع الموجودات اولا بما يعبر به عن غير ذوى العلم وعبر عنه آخرا بما يختص بالعقلاء وهو لفظ قانتون تحقيرا لشأن العقلاء الذين جعلوه ولدا لله سبحانه (بديع السموات والارض) اى هو مبدعهما على ان البديع بمعنى المبدع وهو الذى يبدع الاشياء اى يحدثها او ينشئها على غير مثال سبق والابداع اختراع الشئ لا عن شئ دفعة اى من غير مادة ومدة وسمى صاحب الهوى مبتدعا لما لم يسبقه احد من ارباب الشرع فى انشاء مثل ما فعلوه او المعنى بديع سمواته وارضه فعلى الاول من ابدع والاضافة معنوية وعلى الثانى من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق والاضافة لفظية وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله تعالى مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ومن قدر على خلق السموات والارض من غير شئ كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير اب (واذا قضى امرا) اى اراد شيأ واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشئ لايجابها اياه البتة (فانما يقول له كن فيكون) اى يحصل فى الوجود سريعا من غير توقف ولا اباء كلاهما من كان التامة اى احدث فيحدث واعلم ان اهل السنة لا يرون تعلق وجود الاشياء بهذا الامر وهو كن بل وجودها متعلق بخلقه وايجاده وتكوينه وهو صفة ازلية وهذا الكلام عبارة عن سرعة حصول المخلوق بايجاده وكمال قدرته على ذلك لكن لا يتعلق علم احد بكيفية تعلق القدرة بالمعدومات فيجب الامساك عن بحثها وكذا عن بحث كيفية وجود البارى وكيفية العذاب بعد الموت وامثالها فانها من الغوامض ثم اعلم ان السبب فى هذه الضلالة وهى نسبة الولد الى الله والقول بانه اتخذ ولدا ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون على البارى تعالى اسم الاب وعلى الكبير منهم اسم الاله حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر وان الله تعالى هو الاب الاكبر وكانوا يريدون بذلك انه تعالى هو السبب الاول فى وجود الانسان وان الاب هو السبب الاخير فى وجوده فان الاب هو معبود الابن من وجه اى مخدومه ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة الطبيعية فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا اى سواء قصد به معنى السببية او معنى الولادة الطبيعية حسما لمادة الفساد واتخاذ الحبيب او الخليل جائز من الله تعالى لان المحبة تقع على غير جوهر المحب قالوا اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ولدتك وانت نبيى تخفف النصارى التشديد الذى فى ولدتك لانه من التوليد وصحفوا بعض اعجام النبى بتقديم الباء على النون فقالوا ولدتك وانت بنيى تعالى الله عما يقول الظالمون وقال تعالى يا احبارى ويا ابناء رسلى فغيره اليهود وقالوا يا احبائى ويا ابنائى فكذبهم الله بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فالله سبحانه منزه عن الحدود والجهات ومتعال عن الازواج والبنين والبنات ليس كمثله شئ فى الارض ولا فى السموات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كذبنى ابن آدم اى نسبنى الى الكذب ولم يكن له ذلك اى لم يكن التكذيب لائقا به بل كان خطأ وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فزعم ان لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياى فقوله لى ولد فسبحانى ان اتخذ صاحبة او ولدا وانما كان هذا شتما لان التولد هو انفصال الجزء عن الكل بحيث ينمو وهذا انما يكون فى المركب وكل مركب محتاج فان قلت قوله اتخذ الله تكذيب ايضا لانه تعالى اخبر انه لا ولد له وقوله لن يعيد ناشتم ايضا لانه نسبة له الى العجز فلم خص احدهما بالشتم والاخر بالتكذيب قلت نفى الاعادة نفى صفة كمال واتخاذ الولد اثبات صفة نقصان له والشتم افحش من التكذيب والكذب على الله

فوق الكذب على النبي عليه السلام وفى الحديث ان كذبا على ليس ككذب على احد يعنى الكذب على
النبى اعظم انواع الكذب سوى الكذب على الله لان الكذب على النبى يؤدى الى هدم قواعد الاسلام وافساد
الشريعة والاحكام من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فعلى المؤمن ان يجتنب عن الزيغ والضلال
واشنع الفعال واسوء المقال وان يداوم على التوحيد فى الاسحار والاصال الى ان لا يبقى للشرك الخفى ايضا مجال
وفى الحديث لو يعلم الامير ماله فى ذكر الله لترك امارته ولو يعلم التاجر ماله فى ذكر الله لترك تجارته ولوان ثواب
تسبيحة قسم على اهل الارض لاصاب كل واحد منهم عشرة اضعاف الدنيا وفى الحديث للمؤمنين حصون
ثلاثة ذكر الله وقرآءة القرءآن والمسجد والمراد بالمسجد مصلاه سوآء كان فى بيته اوفى الخارج ولابد من الصدق
والاخلاص حتى يظهر اثر التوحيد فى الملك والملكوت (قال فى المثنوى) هست تسبيحت بخار آب وكل ✻
مرغ جنت شد زنفخ صدق دل ✻ اللهم اوصلنا الى اليقين وهى لنا مقاما من مقامات التمكين آمين (وقال الذين
لا يعلمون) اى مشركوا العرب الجاهلون حقيقة اواهل الكتاب المتجاهلون ونفى عنهم العلم لعدم انتفاعهم
بعلمهم لان المقصود هو العمل (لولا يكلمنا الله) لولا هنا للتحضيض وحروف التحضيض اذا دخلت على المضى
كان معناها التوبيخ واللوم على ترك الفعل بمعنى لم يفعله ومعناها فى المضارع تحضيض الفاعل على الفعل
والطلب له فى المضارع بمعنى الامر والمعنى هلا يكلمنا الله عيانا بانك رسوله كما يكلم الملائكة بلا واسطة اويرسل
الينا ملكا ويكلمنا بواسطة ذلك الملك انك رسوله كما كلم الانبياء عليهم السلام على هذا الوجه وهذا القول
من الجهلة استكبار يعنون به نحن عظماء كالملائكة والنبيين فلم اختصوا به دوننا (او) للتخيير (تأتينا آية) حجة
تدل على صدقك وهذا جحود منهم لان يكون ما اتاهم من القرءآن وسائر المعجزات آيات والجحود هو الانكار
مع العلم والعجب انهم عظموا انفسهم وهى احقر الاشياء واستهانوا بآيات الله وهى اعظمها (كذلك قال الذين
من قبلهم) من الامم الماضية (مثل قولهم) فقال اليهود لموسى عليه السلام ارنا الله جهرة ولن نصبر على طعام
واحد ونحوه وقال النصارى لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ونحوه
وقوله كذلك قال مع قوله مثل قولهم على تشبيهين تشبيه المقول بالمقول فى المؤدى والمحصول وتشبيه القول
بالقول فى الصدور بلا روية بل بمجرد التشهى واتباع الهوى والاقتراح على سبيل التعنت والعناد لا على سبيل
الارشاد وقصد الجدوى والكاف فى كذلك منصوب المحل على انه مفعول قال وقوله مثل قولهم مفعول مطلق
اى قال كفار الامم الماضية مثل ذلك القول الذى قالوه قولا مثل قولهم فبما ذكر فظهر ان احد التشبيهين
لا يغنى عن الآخر (تشابهت قلوبهم) اى تماثلت قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والقسوة والعناد
وهو استئناف على وجه تعليل تشابه مقالتهم بمقالة من قبلهم فان الالسنة ترجمان القلوب والقلب ان استحكم
فيه الكفر والقسوة والعمى والسفه والعناد لا يجرى على اللسان الا ما ينبئ عن التعلل والتباعد عن الايمان
كما قيل هر دينهان بود بر زبان ✻ چون بگويد سخن بدانندش ✻ خوب گو يد لبيب گو يندش ✻
زشت گويد سفيه خوانندش ✻ (قد بينا الآيات) اى نزلناها بينة بان جعلناها كذلك فى انفسها
كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة (لقوم يوقنون) اى يطلبون
اليقين واليقين ابلغ العلم واوكده بان يكون جازما اى غير محتمل للنقيض وثابتا اى غير زائل بالتشكيك بعد
ان يكون مطابقا للواقع فالايقان هنا مجاز عن طلب اليقين على طريق ذكر المسبب وارادة السبب ولا بعد
فى نصب الدلائل لطلاب اليقين ليحصلوه بها وانما حمل على المجاز لان الموقن بالمعنى المذكور لا يحتاج الى نصب
الدلائل وبيان الآيات وبيان الآيات له طلب لتحصيل الحاصل (انا ارسلناك) حال كونك ملتبسا (بالحق)
مؤيدا به والمراد الحجج والآيات وسميت به لتأديتها الى الحق (بشيرا) حال كونك مبشرا لمن اتبعك بما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد (ونذيرا) اى منذرا ومخوفا لمن كفر بك وعصاك والمعنى ان شأنك
بعد اظهار صدقك فى دعوى الرسالة بالدلائل والمعجزات ليس الا الدعوة والابلاغ بالتبشير والانذار
لا ان تجبرهم على القبول والايمان فلا عليك ان اصروا على الكفر والعناد فان الاحوال اوصاف لذى الحال
والاوصاف مقيدة للموصوف (ولا تسأل عن اصحاب الجحيم) مالهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت والجحيم المكان
الشديد الحر وقرئ ولا تسأل بفتح التاء وجزم اللام على انه نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن السؤال

عن حال ابويه على ما روى انه عليه السلام قال ليت شعرى ما فعل ابواى اى ما فعل بهما والى اى حال انتهى
امرهما فنزلت واعلم ان السلف اختلفوا فى ان ابوى النبى صلى الله عليه وسلم هل ماتا على الكفر اولا ذهب
الى الثانى جماعة متمسكين بالادلة على طهارة نسبه عليه السلام من دنس الشرك وشين الكفر وعبادة قريش
صنما وان كانت مشهورة بين الناس لكن الصواب خلافه لقول ابراهيم عليه السلام واجنبنى وبنى ان نعبد
الاصنام وقوله تعالى فى حق ابراهيم وجعلها كلمة باقية فى عقبه وذهب الى الاول جمع منهم صاحب التيسير
حيث قال ولما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبشير المؤمنين وانذار الكافرين كان يذكر عقوبات الكفار
فقام رجل فقال يا رسول الله اين والدى فقال فى النار فحزن الرجل فقال عليه السلام ان والدك ووالدى
ووالدى ابراهيم فى النار فنزل قوله تعالى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم فلم يسألوه شيأ بعد ذلك وهو كقوله
لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وذهب نفر من هذا الجمع بنجاتهما من النار منهم الامام القرطبى حيث قال
فى التذكرة ان عائشة رضى الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون
وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه طفر فنزل فقال يا حميرآء استمسكى اى زمام
الناقة فاستندت الى جنب البعير فمكث عنى طويلا ثم انه عاد الى وهو فرح متبسم فقلت له بابى انت وامى
يا رسول الله نزلت من عندى وانت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك يا رسول الله ثم انك عدت الى وانت فرح
متبسم فعماذا يا رسول الله فقال ذهبت لقبر آمنة امى فسألت الله ربى ان يحييها فاحياها فآمنت
وروى ان الله احيى له اباه وامه وعمه ابا طالب وجده عبد المطلب قال الحافظ شمس الدين الدمشقى

حبا الله النبى مزيد فضل ✻ على فضل وكان به رؤفا
فاحيى امه وكذا اباه ✻ لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم به قدير ✻ وان كان الحديث به ضعيفا

وفى الاشباه والنظائر من مات على الكفر ابيح لعنه الا والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لثبوت ان الله تعالى
احياهما له حتى آمنا كذا فى مناقب الكردرى وذكر ان النبى عليه السلام بكى يوما بكاء شديدا عند قبر ابويه وغرس
شجرة يابسة وقال ان اخضرت فهو علامة امكان ايمانهما فاخضرت ثم خرجا من قبرهما ببركة دعاء النبى
صلى الله عليه وسلم واسلما ثم ارتحلا قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره ومما يدل على ذلك
ان اسم ابيه كان عبد الله والله من الاعلام المختصة بذاته تعالى لم يسم به صنم فى الجاهلية فان اسم بعض
اصنامهم اللات وبعضها العزى انتهى كلامه وليس احياؤهما وايمانهما به ممتنعا عقلا ولا شرعا وقد ورد
فى الكتاب احياء قتيل بنى اسرآئيل واخباره بقاتله وكان عيسى عليه السلام يحيى الموتى وكذلك نبينا
عليه السلام احيى الله على يديه جماعة من الموتى واذا ثبت هذا فما يمنع من ايمانهما بعد احيائهما زيادة فى كرامته
وفضيلته وما روى من انه عليه السلام زار قبر امه فبكى وابكى من حوله فقال استأذنت فى ان استغفر لها فلم يؤذن
لى واستأذنت فى ان ازور قبرها فاذن لى فزوروا القبور فانها تذكركم الموت فهو متقدم على احيائهما لانه كان
فى حجة الوداع ولم يزل عليه السلام راقيا فى المقامات السنية صاعدا فى الدرجات العلية الى ان قبض الله روحه
الطاهرة فمن الجائز ان تكون هذه درجة حصلت له عليه السلام بعد ان لم تكن فان قلت الايمان لا يقبل
عند المعاينة فكيف بعد الاعادة قلت الايمان عند المعاينة ايمان يأس فلا يقبل بخلاف الايمان بعد الاعادة
وقد دل على هذا ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وورد ان اصحاب الكهف يبعثون فى آخر الزمان ويحجون ويكونون
من هذه الامة تشريفا لهم بذلك وورد مرفوعا اصحاب الكهف اعوان المهدى فقد اعتد بما يفعله اصحاب الكهف
بعد احيائهم من الموت ولا بدع ان يكون الله تعالى كتب لابوى النبى عمرا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم اعادهما
لاستيفائه تلك اللحظة الباقية وآمنا فيها فيعتد به وتكون تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الايمان
من جملة ما اكرم الله تعالى به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ان تأخير اصحاب الكهف هذه المدة من جملة
ما اكرموا به ليحوزوا شرف الدخول فى هذه الامة وذهب خاتمة الحفاظ والمحدثين الامام السخاوى فى هذه
المسئلة الى التوقف حيث قال فى المقاصد الحسنة بعد ما اورد الشعر المذكور للحافظ الدمشقى وقد كتبت فيه
جزأ والذى اراه الكف عن التعرض لهذا اثباتا ونفيا انتهى وسئل القاضى ابو بكر العربى احد الائمة المالكية

عن رجل قال ان ابا النبى عليه السلام فى النار فاجاب بانه ملعون لان الله تعالى يقول ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وفى الحديث لاتؤذوا الاحياء بسبب الاموات وسئل الامام الرستغنى عن قول بعض الناس ان آدم عليه السلام لما بدت منه تلك الزلة اسود منه جميع جسده فلما اهبط الى الارض امر بالصيام والصلاة فصام وصلى فابيض جسده ايصح هذا القول قال لايجوز فى الجملة القول فى الانبياء عليهم السلام بشئ يؤدى الى العيب والنقصان فيهم وقد امرنا بحفظ اللسان عنهم لان مرتبتهم ارفع وهم على الله اكرم وقد قال عليه السلام اذا ذكرت اصحابى فامسكوا فلما امرنا ان لانذكر الصحابة رضى الله عنهم بشئ يرجع ذلك الى العيب والنقص فلأن نمسك ونكف عن الانبياء اولى واحق فحق المسلم ان يمسك لسانه عما يخل بشرف نسب نبينا عليه السلام ليست من الاعتقاديات فلاحظ للقلب منها واما اللسان فحقه ان يصان عما يتبادر منه النقصان خصوصا الى وهم العامة لانهم لايقدرون على دفعه وتداركه فهذا هو البيان الشافى فى هذا الباب بطرقه المختلفة التقطته من الكتب النفيسة وقرنت كل نظير الى مثله والحمد لله تعالى وحده (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) اقناط له عليه السلام من طمعه فى اسلامهم حيث علق رضاهم عنه بما لاسبيل اليه وما يستحيل وجوده واذا لم يرضوا عنه فكيف يتبعون ملته اى دينه اى لن ترضى عنك اليهود الا بالتهود والصلاة الى قبلتهم وهى المغرب ولا النصارى الا بالتنصر والصلاة الى قبلتهم وهى المشرق ووحد الملة لان الكفر ملة واحدة وهذه حكاية لمقالتهم بان قالوا لن نرضى عنك حتى تتبع ملتنا وادعوا بتلك المقالة ان ملتهم هى الهدى لاما سواها فامره الله تعالى بقوله (قل) ان يرد عليهم بطريق قصر القلب ويقول (ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) الى الحق لاما تدعون اليه من الملة الزائغة فانها هوى كما يعرب عنه قوله تعالى (ولئن اتبعت اهوآءهم) اى آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهى التى عبر عنها فيما قبل بملتهم اذهى التى ينتمون اليها واما ما شرعه الله من الشريعة على لسان الانبياء عليهم السلام وهو المعنى الحقيقى للملة فقد غيروها تغييرا والاهوآء جمع هوى وهو رأى عن شهوة داع الى الضلال وسمى بذلك لانه يهوى بصاحبه فى الدنيا الى كل واهية وفى الاخرة الى الهاوية وانما قال اهوآءهم بلفظ الجمع ولم يقل هواهم تنبيها على ان لكل واحد هوى غير هوى الاخر ثم هوى كل واحد منهم لايتناهى فلذلك اخبر انه لايرضى الكل الا باتباع اهوآء الكل واعلم ان الطريقة المشروعة تسمى ملة باعتبار ان الانبياء الذين اظهروها قد املوها وكتبوها لامتهم كما انها تسمى دينا باعتبار طاعة العباد لمن سنها وانقيادهم لحكمه وتسمى ايضا شريعة باعتبار كونها موردا للمتعطشين الى زلال ثوابه ورحمته والخطاب فى قوله ولئن اتبعت متوجه الى النبى عليه السلام فى الحقيقة وما قيل من انه تعالى حكم بعصمة الانبياء وعلم منهم انهم لايعصون له ولايخالفون امره ولايرتكبون مانهى عنه فكانت عصمتهم واجبة فلا وجه لتحذيرهم عن اتباع هوى الكفرة فوجب ان يكون التحذير متوجها الى الامة لا الى انفسهم فالجواب عنه ان التكليف والتحذير انما يعتمد على كون المكلف به محتملا ومتصورا فى ذاته من حيث تحقق ما يتوقف عليه وجوده من الالات والقوى والامتناع الحاصل من حكمه تعالى بعصمتهم وعلمه بها امتناع بالغير وهو لاينافى الامكان الذاتى الذى هو شرط التكليف والتحذير (بعد الذى جاءك من العلم) اى القرءآن الموحى اليك وهو حال من ضمير جاءك (مالك من الله) اى من جهته العزيزة وهو جواب لئن (من ولى) اى قريب ينفعك من الولى وهو القرب (ولانصير) يدفع عنك عقابه والفرق بين الولى والنصير العموم والخصوص من وجه لان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور كما يكون من اقرباء المنصور وهو مادة اجتماعهما وقوله من ولى مرفوع على الابتداء ولك خبره ومن صلة وقوله من الله منصوب المحل على انه حال لانه لما كان متقدما على قوله من ولى امتنع ان يكون صفة له ونظيره قوله لعزة موحشا طلل قديم ولما ذكر قبائح المتعنتين الطالبين للرياسة من اليهود والنصارى اتبع ذلك بمدح من ترك طريق التعنت وحب الرياسة منهم وطلب مرضاة الله وحسن ثواب الاخرة وآثره على الحظوظ العاجلة الفانية فقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) يريد مؤمنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه من الذين اسلموا من اليهود وانما خصهم بذكر الايتاء لانهم هم الذين عملوا به فخصوا به والكتاب التوراة (يتلونه حق تلاوته) بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر فى معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة من الضمير المنصوب فى آتيناهم او من الكتاب لانهم لم يكونوا تالين له وقت

الاتيان وقوله حق تلاوته نعت لمصدر محذوف دل عليه الفعل المذكور اى يتلونه تلاوة حق تلاوته واختار الكواشى كونه منصوبا على المصدرية على تقدير تلاوة حقا فان نعت المصدر اذا قدم عليه واضيف اليه نصب نصب المصادر نحو ضربت اشد الضرب بنصب اشد على المصدرية (اولئك) الموصوفون بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وهو مبتدأ ثان خبره قوله تعالى (يؤمنون به) اى بكتابهم دون المحرفين فان بناء الفعل على المبتدأ وان كان اسما ظاهرا يفيد الحصر مثل الله يستهزئ بهم (ومن يكفر به) اى بالكتاب سوآء كان كفره بنفس التحريف او بغيره كالكفر بالكتاب الذى يصدقه (فاولئك هم الخاسرون) اى الهالكون المغبونون حيث اشتروا الكفر بالايمان (يابنى اسرآئيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) ومن جملتها التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبى صلى الله عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به صلى الله عليه وسلم (و) اذكروا (انى فضلتكم على العالمين) اى عالمى زمانكم (واتقوا) ان لم تؤمنوا (يوما) اى عذاب يوم وهو يوم القيامة (لاتجزى) تقول جزى عنى هذا الامر يجزى كما تقول قضى عنى يقضى وزنا ومعنى اى لاتقضى فى ذلك اليوم (نفس) من النفوس (عن نفس) اخرى (شيأ) من الحقوق التى لزمتها اى لاتقضى نفس ليس عليها شئ من الحقوق التى وجبت على نفس اخرى اى لاتؤخذ نفس بذنب اخرى ولاتدفع عنها شيأ واما اذا كان عليها شئ فانها تجزى وتقضى بغير اختيارها بما لها من حسناتها ما عليها من الحقوق كما جاء فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له مظلمة لاخيه من عرض او غيره فليستحلل منه اليوم قبل ان لايكون دينار ولادرهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه (ولايقبل منها) اى من النفس الاولى (عدل) اى فداء وهى بفتح العين الفدية وهى ما يماثل الشئ قيمة وان لم يكن من جنسه والعدل بالكسر ما يساوى الشئ فى الوزن والجرم من جنسه والمعنى لايؤخذ منها فدية تنجو بها من النار ولاتجد ذلك لتفتدى به وسميت الفدية عدلا لانها تعادل ما يقصد انقاذه وتخليصه يقال فداه اذا اعطى فداء فانقذه (ولاتنفعها شفاعة) ان شفعت للنفس الثانية (ولاهم ينصرون) اى يمنعون من عذاب الله تعالى واعلم ان المستوجب للعذاب يخلص عنه فى الدنيا باحد اربعة امور اما بان ينصره ناصر قوى فيخلصه ويدفع العذاب عنه قهرا او بان يفديه اى بان يعطى احد اشيأ غير ما عليه من الحق وذلك الشئ هو الفدية وهو الفداء فانقذه به فالله تعالى بين هول يوم القيامة بان نفى ان يدفع العذاب احد عن احد بشئ من هذه الوجوه المحتملة فى الدنيا (قال السعدى)

قيامت كه نيكان باعلى رسند * زقعر ثرى بر ثريا رسند *
تراخود بماند سرازننك پيش * كه كردت برايد عملهاى خويش *
برادر زكار بدان شرم دار * كه درروى نيكان شوى شرمسار *
دران روز كزفعل پرسند وقول * اولوا العزم راتن بلرزد زهول *
بجايى كه دهشت خورد انبيا * توعذر كنه راچه دارى بيا *

ثم اعلم ان الله تعالى بدأ قصة بنى اسرآئيل بهاتين الآيتين ففى الاية الاولى تذكير النعمة وفى الاخرى تخويف العقوبة وبهما ختم القصة مبالغة فى النصح وايذانا بان المقصود من القصة ذلك ودل قوله تعالى ولئن اتبعت اهوآءهم على قبح الصحبة باهل الهوى والبدع والاتباع بهم فى اقوالهم وافعالهم وفى الحديث من اتبع قوما على اعمالهم حشر فى زمرتهم اى فى جماعتهم وحوسب يوم القيامة بحسابهم وان لم يعمل باعمالهم وربما يكون للانسان شركة اى فى اثم القتل والزنى وغيرهما اذا رضى به من عامل واشتد حرصه على فعله وفى الحديث من حضر معصية فكرهها فكانما غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن حضرها وحضور مجلس المعصية اذا كان لحاجة او لاتفاق جريانها بين يديه ولايمكن دفعها فغير ممنوع واما الحضور قصدا فممنوع ومن سنة السلف الصالحين الانقطاع عن مجالس اهل اللغو واللهو والمجانبة عن اتباع اهل الهوى والبدع وروى ان ابن المبارك رؤى فى المنام فقيل له ما فعل ربك بك فقال عاتبنى واوقفنى ثلاثين سنة بسبب انى نظرت باللطف يوما الى مبتدع فقال انك لم تعاد عدوى فى الدين فكيف حال القاعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين والمتمسك بسنة سيد المرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذاهب والملل كان له مائة اجر شهيد وفى الحديث سيأتى على الناس زمان يخلق فيه سنتى ويتجدد فيه البدعة فمن اتبع سنتى يومئذ صار غريبا وبقى وحيدا ومن اتبع بدع الناس وجد خمسين صاحبا او اكثر وللصحبة تأثير عظيم كما قيل

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

(قال الحافظ) نخست موعظهٔ پیر مجلس این حرفست * كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد *

(واذ ابتلى ابراهيم) قال القرطبى فى تفسيره تفسيره بالسريانية فيما ذكره الماوردى وبالعربية فيما حكى ابن عطية
اب رحيم قال السهيلى وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السريانى والعربى او تقاربه فى اللفظ الا ترى ان ابراهيم تفسيره
اب راحم لرحمته بالاطفال ولذلك جعل هو وسارة زوجته كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا
الى يوم القيامة وقال فى تذكرة الموتى كان اسمه ابرم فزيد فى اسمه هاء والهاء فى السريانية التفخيم والتعظيم
(ربه) الضمير لابراهيم وقدم المفعول لفظا وان كان مؤخرا رتبة ووجه التقديم الاهتمام فان الذهن يتشوق
ويطلب معرفة المبتلى اى واذكر وقت اختبارى ابراهيم والمقصود من ذكر الوقت ذكر ما وقع فيه من الحوادث
لان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا والابتلاء فى الاصل
الاختبار اى تطلب الخبر بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة
ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار
احد الامرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك كما علم
الكفر من ابليس ولم يلعنه بعلمه ما لم يختبره بما يستوجب اللعنة به (بكلمات) جمع كلمة وهى اللفظ الموضوع لمعنى
مفرد فيكون الكلمات عبارة عن الالفاظ المنظومة لكنها قد تطلق على المعانى التى تحتها لما بين الدال
والمدلول من التضايف والمتضايفان متكافئان فى الوجود التعقلى كما فى قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا
اى قضية وحكمة وقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى اى للمعانى التى تبرز بالكلمات (فاتمهن) اى قام
بهن حق القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان ولذا قيل لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله
الا ابراهيم فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذى وفى وفسرت الكلمات بوجوه ذكرت فى التفاسير
ومنها العشر التى هى من السنة كما قال ابن عباس رضى الله عنه هى عشر خصال كانت فرضا فى شرعه وهى
سنة فى شرعنا خمس منها فى الرأس وهى المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس
فى البدن وهى الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء اى غسل مكان الغائط
والبول بالماء ولنذكر منها بعض ما يحتاج الى البيان فنقول فرق شعر الرأس تفريقه وتقسيمه الى نصفين
وكان المشركون يفرقون اشعار رؤسهم واهل الكتاب يسدلون اى يرسلون شعورهم على الجبين ويتخذونها
كالقصة وهى شعر الناصية وكان النبى عليه السلام يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم ينزل فيه حكم لاحتمال
ان يعملوا بما ذكر فى كتابهم ثم نزل جبريل فامره بالفرق واعلم ان اكثر حال النبى عليه السلام كان الارسال
وحلق الرأس منه معدود ولكن الامام الغزالى كره الارسال فى زماننا لانه صار شعار العلوية فاذا لم يكن علويا
كان تلبيسا وذكر فى جنايات الذخيرة امساك الجعد فى الغلام حرام لانهم انما يمسكون الجعد فى الغلام للاطماع
الفاسدة وذكر ان شخصا احضر ولده بمجلس ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقد حلق بعض الشعر من رأسه
وابقى البعض فامر ابو بكر رضى الله تعالى عنه بقتله فتاب واستغفر فعفا عنه قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده
افندى قدس سره ليس هذا امرا بقتله فى الحقيقة بل بيان ان من فعله يستحق القتل ومثله انه ذكر فى مجلس
ابى يوسف ان النبى عليه السلام كان يحب القرع فقال رجل انا لا احبه فافتى ابو يوسف بقتله فتاب ورجع فعفا
عنه واما قص الشارب فهو قطعه بالمقص اى المقراض وكان عليه السلام يقص شاربه كل جمعة قبل ان يخرج
الى صلاة الجمعة قال النووى المختار فيه ان يقص حتى يبدو طرف الشفة ويكون مثل الحاجب وفى الاحياء
ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضى الله تعالى عنه وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى
فيه غمر الطعام وتوفير الشارب كتوفير الاظافير مندوب للمجاهد فى دار الحرب وان كان قطعهما من الفطرة
وذلك ليكون اهيب فى عين العدو والسنة تقصير الشارب فحلقه بدعة كحلق اللحية وفى الحديث جزوا الشوارب
واعفوا اللحى الجز القص والقطع والاعفاء التوفير والترك على حالها وحلق اللحية قبيح بل مثلة وحرام
وكما ان حلق شعر الرأس فى حق المرأة مثلة منهى عنها وتشبه بالرجال وتفويت للزينة كذلك حلق
اللحية مثلة فى حق الرجال وتشبه بالنساء منهى عنه وتفويت للزينة قال الفقهاء اللحية فى وقتها جمال

وفى حلقها تفويته على الكمال ومن تسبيح الملائكة سبحان من زين الرجال باللحى وزين النساء بالذوائب
وفى الكشاف فى مقام مدح الرجال عند قوله تعالى الرجال قوامون على النساء وهم اصحاب اللحى والعمائم
قال فى نصاب الاحتساب ومن الاكساب التى يحتسب على اربابها حلق لحى الرجال ورأس النساء تشبها
بالرجال ولا بأس بأخذ الزائد على القبضة من اللحية لانه عليه السلام كان يأخذ من لحيته طولا وعرضا اذا زاد
على قدر القبضة فان الطول المفرط يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنسبة اليه فلا بأس للاحتراز عنه
على هذه النية ويكره نتف الشيب كما يفعله البعض فى زماننا كرها للشيب وارآءة للشباب (قال الحافظ)
سواد نامهٔ موى سياه چون طى شد * بياض كم نشود كرصد انتخاب رود * يسود اعلاها ويبيض اصلها
ولا خير فى الاعلى اذا فسد الاصل * واما الختان فهو قطع الجلدة الزائدة من الذكر وجمهور العلماء على
ان ذلك من مؤكدات السنن ومن فطرة الاسلام التى لا يسع تركها فى الرجال الا ان يولد الصبى مختونا
وقد ولد الانبياء كلهم مختونين مسرورين اى مقطوعى السرة كرامة لهم الا ابراهيم خليل الله فانه ختن نفسه
ببلدة قدوم بالتخفيف والتشديد وهو ابن مائة وعشرين او ثمانين ليستن بسنته بعده واختلفوا فى الختان قيل
لا يختن حتى يبلغ لانه للطهارة ولا طهارة عليه حتى يبلغ وقيل اذا بلغ عشرا وقيل تسعا وقيل فيما بين سبع سنين
الى عشر قال الحدادى المستحب فى وقت الختان من اليوم السابع من ولادته الى عشر سنين ويكره الترك الى
وقت البلوغ وتوقف ابو حنيفة فى وقته واستحب العلماء فى الرجل الكبير يسلم ان يختتن وان بلغ ثمانين وعن الحسن
انه كان يرخص للشيخ الذى يسلم ان لا يختتن ولا يرى به بأسا ولا يرد شهادته وذبيحته وحجه وصلاته قال ابن
عبد البر وعامة اهل العلم على هذا واما تقليم الاظفار فهو قصها والقلامة بالضم ما يزال منها وندب قص الاظفار
لانه ربما يجنب ولا يصل الماء الى البشرة من اجل الوسخ ولا يزال جنبا ومن اجنب فبقى موضع ابرة من جسده
بعد الغسل غير مغسول فهو جنب على حاله حتى يعم الغسل جسده كله وفى الحديث من قلم اظفاره يوم الجمعة
اعاذه الله تعالى من البلايا الى الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام وفى الحديث الاخر من اراد ان يأمن من الفقر
وشكاية العين فليقلم اظفاره يوم الخميس بعد العصر قال فى المقاصد الحسنة قص الاظفار لم يثبت فى كيفيته
ولا فى تعيين يوم له عن النبى عليه السلام شئ وما يعزى من النظم فى ذلك لعلى رضى الله تعالى عنه وهو

وقلموا الاظفار فيه سنة وادب * يمينها خوابس يسارها اوخسب

فباطل عنه وقال فى محل آخر حديث من قص اظفاره مخالفا لم يرفى عينيه رمدا هو فى كلام غير واحد من الائمة
ولم اجده لكن كان الحافظ الشرف الدمياطى يأثر ذلك عن بعض مشايخه ونص الامام احمد على استحبابه
انتهى كلامه وذكر الامام النووى ان المستحب منه ان يبدأ باليدين قبل الرجلين فيبتدئ بمسبحة يده
اليمنى ثم الوسطى ثم البنصر ثم الخنصر ثم الابهام ثم يعود الى اليسرى فيبدأ بخنصرها ثم ببنصرها الى آخرها
ثم يعود الى الرجل اليمنى فيبدأ بخنصرها ويختم بخنصر الرجل اليسرى وهكذا قرره الامام فى الاحياء
وفى الحديث نقوا براجمكم وهى مفاصل الاصابع والعقد التى على ظهرها يجتمع فيهما من الوسخ واحدها برجمة
بضمتى الباء والجيم وسكون الراء بينهما وهو ظهر عقدة كل مفصل فظهر العقدة يسمى برجمة وما بين العقدتين
يسمى راجبة وجمعها رواجب وذلك مما يلى ظهرها وهو قصة الاصابع فلكل اصبع برجمتان وثلاث رواجب
الا الابهام فان له برجمة وراجبتين فامر بالتنقية لئلا يدرن فيبقى فيه الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة
كذا فى تفسير القرطبى وعن مجاهد قال ابطأ جبرائيل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى
عليه السلام ما حبسك يا جبريل قال وكيف آتيكم وانتم لا تقصرون اظفاركم ولا تأخذون من شواربكم
ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ وما نتنزل الا بامر ربك قال كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات
فقيل (قال انى جاعلك للناس) اى لاجل الناس (اماما) يأتمون بك فى هذه الخصال ويقتدى بك الصالحون
فهو نبى فى عصره ومقتدى لكافة الناس الى قيام الساعة وقد انجز الله وعده فقال لمحمد صلى الله عليه وسلم
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم ونحو ذلك فلذلك اجتمعت اهل الاديان كلهم على تعظيمه وجميع امة محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون فى آخر صلاتهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد قيل فى سببه انا لما قلنا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد قيل لنا ان ابراهيم هو الذى

طلب من الله تعالى ان يرسل اليكم مثل هذا الرسول الذى هو رحمة للعالمين حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاهديتكم فحينئذ تقول كما صليت على ابراهيم الخ ثم تلاحظ ان هذه الخيرات كلها من الله تعالى فتقول شكر الاحسانه ربنا انك حميد مجيد وفى الخبر ان ابراهيم عليه السلام رأى فى المنام جنة عريضة مكتوب على اشجارها لا اله الا الله محمد رسول الله فسأل جبريل عنها فاخبره بالقصة فقال يارب اجر على لسان امة محمد ذكرى فاستجاب الله دعاءه وضمه فى الصلاة مع محمد صلى الله عليه وسلم قال كانه قيل فماذا قال ابراهيم عليه السلام عنده فقيل (قال ومن ذريتى) عطف على الكاف فى جاعلك ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اى وجاعل بعض ذريتى اماما يقتدى به اى اجعل لكنه راعى الادب بالاحتراز عن صورة الامر وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق والذرية نسل الرجل وقد تطلق على الاباء والابناء من الذكور والاناث والصغار والكبار ومنه قوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم اراد آباءهم الذين حملوا فى السفينة وتقع الذرية على الواحد كما فى قوله تعالى رب هب لى من لدنك ذرية طيبة يعنى ولدا صالحا (قال) الله استئناف ايضا (لا ينال) لا يصيب (عهدى الظالمين) يعنى ان من اولادك اولاد مسلمون وكافرون فلا تصل الامامة والاستخلاف بالنبوة الذى عهدت اليك من كان ظالما من اولادك وغيرهم وانما ينال عهدى من كان بريئا من الظلم لان الامام انما هو لمنع الظلم فكيف يجوز ان يكون ظالما وان جاز فقد جاز المثل السائر من استرعى الذئب الغنم ظلم قال المعتزلة وفيه دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة ولا يقدم للصلاة قلنا الظالم اريد به الكافر والصبر على طاعة الامام الجائر اولى من الخروج عليه لان فى منازعته والخروج عليه استبدال الامن بالخوف واراقة الدماء واطلاق ايدى السفهاء وشن الغارات على المسلمين والفساد فى الارض وفى الاية دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر قبل البعثة وبعدها قال ابن الشيخ فى حواشيه فيه بحث لان مدلول الاية ان الظالم مادام ظالما لا يناله الامامة لان من كان ظالما فى وقت ما من الاوقات ثم تاب عنه لا ينال الامامة والفرق بينهما ان الظلم الحالى يخل بالمقصود من نصب الامام وهو اخلاء وجه الارض عن الظلم والفساد وحماية اموال الناس واعراضهم عن تعرض الظلمة المفسدين بخلاف الظلم القديم الذى تاب عنه الظالم فانه ليس بمخل للمقصود فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له قال حضرة الشيخ افتاده افندى قدس سره لا تعطى الولاية لولد الزنى قال واشكر الله تعالى على ان جعلنى اول ولد ولدته امى فانه ابعد من ان يصدر الفاظ الكفر من احد ابوى قال المولى الهدائى قدس سره قلت والفقير ايضا كذلك وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة حديث لا يدخل الجنة ولد زنية ان صح فمعناه اذا عمل بمثل عمل ابويه واتفقوا على انه لا يحمل على ظاهره وقيل فى تأويله ايضا ان المراد به من يواظب الزنى كما يقال للشهود بنو الصحف وللشجعان بنوا الحرب ولاولاد المسلمين بنوا الاسلام انتهى كلامه ثم فى الاية اشارة الى ان من اراد ان يبلغ درجة الاخيار ليقتدى به فليلازم التعب وجهد النفس فى طاعة الله تعالى (قال السعدى) چو يوسف كسى درصلاح وتميز ❊ بسى سال بايد كه كردد عزيز (واذ جعلنا البيت) اى واذكر يا محمد وقت تصييرنا الكعبة المعظمة (مثابة) كائنة (للناس) اى مباءة ومرجعا للحجاج والمعتمرين يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اى يرجع اليه اعيان الذين يزورونه بان يحجوه مرة بعد اخرى او يرجع امثالهم واشباههم فى كونهم وفد الله وزواريته فانهم لما كانوا اشباها للزائرين اولا كان ما وقع منهم من الزيارة ابتداء بمنزلة عود الاولين فتعريف الناس للعهد الذهنى (وامنا) موضع امن فان المشركين كانوا لا يتعرضون لسكان الحرم ويقولون البيت بيت الله وسكانه اهل الله يعنى اهل بيته وكان الرجل يرى قاتل ابيه فى الحرم فلا يتعرض له ويتعرضون لمن حوله وهذا شئ توارثوه من دين اسماعيل عليه السلام فبقوا عليه الى ايام النبى عليه السلام اويأمن حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ماقبله اى يقطع ويمحو ما وجب قبله من حقوق الله تعالى الغير المالية مثل كفارة اليمين وحقوق العباد فلا يجبها الحج كذا فى حواشى ابن الشيخ ولكن روى ان الله تعالى استجاب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة فى الدماء والمظالم كذا فى الكافى وتفسير الفاتحة للفنارى وغيرهما (واتخذوا) اى وقلنا اتخذوا على ارادة القول لئلا يلزم عطف الانشاء على الاخبار (من مقام ابراهيم مصلى) اى موضع الصلاة ومن للتبعيض ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه اثر قدميه او الموضع الذى كان فيه حين قام عليه ودعا الناس

الى الحج او حين رفع بناء البيت والذى يسمى اليوم مقام ابراهيم هو موضع ذلك الحجر روى انه لما اتى ابراهيم باسماعيل وهاجر ووضعهما بمكة واتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسماعيل منهم امرأة وماتت هاجر استأذن ابراهيم سارة ان يأتى هاجر فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فقدم ابراهيم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وكان اسماعيل يخرج من الحرم فيصيد فقال لها ابراهيم هل عندك ضيافة قالت ليست عندى وسألها عن عيشهم فقالت نحن فى ضيق وشدة فشكت اليه فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه وقولى له فليغير عتبة بابه والمراد ليطلقك فانك لا تصلح له امرأة وذهب ابراهيم فجاء اسماعيل فوجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت جاءنى شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه وقال فما قال لك قالت اقرئ زوجك السلام وقولى له فليغير عتبة بابه قال ذلك ابى وقد امرنى ان افارقك الحقى باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث ابراهيم ماشاء الله ان يلبث ثم استأذن سارة ان يزور اسماعيل فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى باب اسماعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجئ الآن ان شاء الله فانزل يرحمك الله قال هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم وسألها عن عيشهم قالت نحن فى خير وسعة فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز بر او شعير او تمر لكانت اكثر ارض الله برا او شعيرا او تمرا وقالت له انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءت بالمقام فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه وهو راكب فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقى اثر قدميه عليه وقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسماعيل وجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت نعم جاء شيخ احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لى كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه فقال ذاك ابراهيم وانت عتبة بابى امرنى ان امسكك ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا تحت دوحة قريبة من زمزم فلما رآه قام اليه فصنع كما يصنع الولد بالوالد ثم قال يا اسماعيل ان الله امرنى بامر تعيننى عليه قال اعينك عليه قال امرنى ابنى ههنا بيتا فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى فلما ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم على حجر المقام وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجر وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ثم لما فرغ من بناء الكعبة قيل له اذن فى الناس بالحج فقال كيف انادى وانا بين الجبال ولم يحضرنى احد فقال الله عليك النداء وعلى البلاغ فصعد ابا قبيس وصعد هذا الحجر وكان قد جئ فى ابى قبيس ايام الطوفان فارتفع هذا الحجر حتى علا كل حجر فى الدنيا وجمع الله له الارض كالسفرة فنادى يامعشر المسلمين ان ربكم بنى لكم بيتا وامركم ان تحجوه فاجابه الناس من اصلاب الاباء وارحام الامهات فمن اجابه مرة حج مرة ومن اجابه عشرا حج عشرا وفى الحديث ان الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا مماسة ايدى المشركين لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب والمراد منهما الحجر الاسود والحجر الذى قام عليه ابراهيم عند بناء البيت (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل) اى امرناهما امرا مؤكدا او وصينا اليهما فان العهد قد يكون بمعنى الامر والوصية يقال عهد اليه اى امره واوصاه ومنه قوله تعالى الم اعهد اليكم وانما سمى اسماعيل لان ابراهيم كان يدعو الى الله ان يرزقه ولدا ويقول اسمع يا ايل وايل هو الله فلما رزق سماه به (ان طهرا بيتى) اى بان طهراه من الاوثان والانجاس ومالا يليق به والمراد احفظاه من ان ينصب حوله شئ منها او اقراه على طهارته كما فى قوله تعالى ولهم فيها ازواج مطهرة فانهن لم يطهرن من نجس بل خلقهن طاهرات كقولك للخياط وسع كم القميص فانك لا تريد ان تقول ازل ما فيه من الضيق بل المراد اصنعه ابتداء واسع الكم (للطائفين) الزائرين حوله (والعاكفين) المجاورين الذين عكفوا عنده اى اقاموا لا يرجعون وهذا فى اهل الحرم والاول فى الغرباء القادمين الى مكة للزيارة والطواف وان كان لا يختص بهم الا ان له مزيد اختصاص بهم من حيث ان مجاوزة الميقات لا تصح لهم الا بالاحرام (والركع السجود) اى المصلين جمع راكع وساجد لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلى ولتقارب الركوع والسجود ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما والجلوس فى المسجد الحرام ناظرا الى الكعبة من جملة العبادات الشريفة المرضية كما قال عليه السلام ان لله تعالى فى كل يوم عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين واعلم انه تعالى لما قال ان طهرا بيتى دخل فيه بالمعنى جميع

بيوته تعالى فيكون حكمها حكمه فى التطهير والنظافة وانما خص الكعبة بالذكر لانه لم يكن هنالك غيرها وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه سمع صوت رجل فى المسجد فقال ما هذا اتدرى اين انت وفى الحديث ان الله اوحى الى يا اخا المنذرين يا اخا المرسلين انذر قومك ان لا يدخلوا بيتا من بيوتى الا بقلوب سليمة والسنة صادقة وايدى تقية وفروج طاهرة ولا يدخلوا بيتا من بيوتى مادام لاحد عندهم مظلمة فانى العنه مادام قائما بين يدى حتى يرد تلك الظلامة الى اهلها فاكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويكون من اوليائى واصفيائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين انتهى ثم اعلم ان البيت الذى شرفه الله باضافته الى نفسه وهو بيت القلب فى الحقيقة يأمر الله تعالى بتطهيره من دنس الالتفات الى ماسواه فانه منظر الله كما قيل دل بدست آور كه حج اكبرست * ازهزاران كعبه يك دل بهترست * كعبه بنياد خليل آزرست * دل نظرگاه جليل اكبرست * فلا بد من تصفيته حتى تعكف عنده الانوار الالهية والاسرار الرحمانية وتنزل السكينة والوقار فعند وصول العبد الى هذه الرتبة فقد سجد لربه حقيقة وركع وناجى مع الله بسره (واذ قال ابراهيم) اى واذكر يا محمد اذ دعا ابراهيم فقال يا (رب اجعل هذا) المكان وهو الحرم (بلدا آمنا) ذا امن يأمن فيه اهله من القحط والجدب والخسف والمسخ والزلازل والجنون والجذام والبرص ونحو ذلك من المثلات التى تحل بالبلاد فهو من باب النسب اى بلدا منسوبا الى الامن كلابن وتامر فانهما النسبة موصوفهما الى مأخذهما كانه قيل لبنى وتمرى فالاسناد حقيقى اوالمعنى بلدا آمنا اهله فيكون من قبيل الاسناد المجازى لان الامن الذى هو صفة لاهل البلد حقيقة قد اسند الى مكانهم للملابسة بينهما وكان هذا الدعاء فى اول ما قدم ابراهيم عليه السلام مكة لانه لما اسكن اسماعيل وهاجر هنالك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا فى هذا البلقع اى المكان الخالى من الماء والنبات وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادى فقال رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع الى آخر الاية (وارزق اهله من الثمرات) جمع ثمرة وهى المأكولات مما يخرج من الارض والشجر فهو سؤال الطعام والفواكه وقيل هى الفواكه وانما خص هذا بالسؤال لان الطعام المعهود مما يكون فى كل موضع واما الفواكه فقد تندر فسأل لاهله الأمن والسعة مما يطيب العيش ويقوم فاستجاب له فى ذلك لما روى انه لما دعا هذا الدعاء امر الله جبريل بنقل قرية من قرى فلسطين كثيرة الثمار اليها فاتى فقلعها وجاء بها وطاف بها حول البيت سبعا ثم وضعها على ثلاث مراحل من مكة وهى الطائف ولذلك سميت به ومنها اكثر ثمرات مكة ويجيء اليه ايضا من الاقطار الشاسعة حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من اهله والمعنى وارزق المؤمنين خاصة (قال) الله تعالى (ومن كفر) معطوف على محذوف اى ارزق من آمن ومن كفر قاس ابراهيم عليه السلام الرزق على الامامة حيث سأل الرزق لاجل المؤمنين خاصة كما خص الله تعالى الامامة بهم فى قوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين فلما رد سؤاله الامامة فى حق ذريته على الاطلاق حسب ان يرد سؤاله الرزق فى حق اهل مكة على الاطلاق فلذلك قيد بالايمان تأدبا بالسؤال الاول فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم (فامتعه) اى امده ليتناول من لذات الدنيا اثباتا للحجة عليه (قليلا) اى تمتيعا قليلا فان الدنيا بكليتها قليلة وما يتمتع الكافر به منها قليل من القليل فان نعمته تعالى فى الدنيا وان كانت كثيرة باضافة بعضها الى بعض فانها قليلة باضافتها الى نعمة الاخرة وكيف لا يقل ما يتناهى بالاضافة الى مالا يتناهى فقليلا صفة مصدر محذوف ويجوز ان يكون صفة ظرف محذوف اى امتعه زمانا قليلا وهو مدة حياته (ثم اضطره الى عذاب النار) الاضطرار فى اللغة حمل الانسان على ما يضره وهو فى المتعارف حمل الانسان بكفره على ان يفعل ما اكره عليه باختياره ترجيحا لكونه اهون الضررين فلا شئ اشد من عذاب النار حتى يكره الكفار به ليختاروا عذاب النار لكونه اهون منه فلا يكون اضطرارهم الى عذاب النار مستعملا فى معناه العرفى فهو مستعار للزهم والصاقهم به بحيث يتعذر عليهم التخلص منه كما قال تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم فانه صريح فى ان لا مدخل لهم فى لحوق عذاب الاخرة بهم ولا اختيار الا انهم سموا مضطرين اليه مختارين اياه على كره تشبيها لهم بالمضطر الذى لا يملك الامتناع عما اضطر اليه فالمعنى

الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعت به من النعم بحيث لا يمكنه الامتناع منه (وبئس المصير) المخصوص بالذم محذوف اى بئس المرجع الذى يرجع اليه للاقامة فيه النار او عذابها فالعبد فى هذه الدنيا الفانية الامهال ابا بادون الاهمال اذ كل نفس تجزى بما كسبت ولا تغرنك الزخارف الدنيوية فان للمطيع والعاصى نصيبا منها وليس ذلك من موجبات الرفعة فى الاخرة (قال الحافظ) بهلى كه سپهرت دهد زراه مرو * تراكه گفت كه آن زال ترك دستان گفت * قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال سهل فى معنى هذه الاية نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابو العباس ابن عطاء يعنى كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة فعلى العاقل ان لا يغتر بالزخارف الدنيوية بل لا يفرح بشئ سوى الله تعالى فان ما خلا الله باطل وزائل والاغترار بالزائل الفانى ليس من قضية كمال العقل والفهم والعرفان فان قلت ما الحكمة فى امهال الله العصاة فى الدنيا قيل ان الله تعالى امهل عباده ولم يأخذهم بغتة فى الدنيا ليرى العباد سبحانه وتعالى ان العفو والاحسان احب اليه من الاخذ والانتقام وليعلموا شفقته وبره وكرمه ولهذا خلق النار كرجل يضيف الناس ويقول من جاء الى ضيافتى اكرمته ومن لم يجئ ليس عليه شئ ويقول مضيف آخر من جاء الى اكرمته ومن لم يجئ ضربته وحبسته ليتبين غاية كرمه وهو اكمل واتم من الكرم الاول والله تعالى دعا الخلق الى دعوته بقوله والله يدعو الى دار السلام ثم دفع السيف الى رسوله فقال من لم يجب ضيافتى فاقتله فعلى العاقل ان يجيب الى دعوة الله ويرجع الى الله بحسن اختياره فانه هو المقصود والكعبة الحقيقية وكل القوافل سائرة اليه واعلم ان البلد هو الصورة الجسمانية والكعبة القلب والطواف الحقيقى هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهو فى عالم الملكوت كما ان الهيكل الانسانى مثال ظاهر فى عالم الشهادة للقلب الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب والذى يقدر من العارفين على الطواف الحقيقى القلبى هو الذى يقال فى حقه ان الكعبة تزوره وفى الخبر ان لله عبادا تطوف بهم الكعبة وفرق بين من يقصد صورة البيت وبين من يقصد رب البيت وروى ان عارفا من اولياء الله تعالى قصد الحج وكان له ابن فقال ابنه الى اين تقصد فقال الى بيت الله فظن الغلام ان من يرى البيت يرى رب البيت قال يا ابى لم لا تحملنى معك فقال انت لا تصلح لذلك فبكى الغلام فحمله معه فلما بلغا الى الميقات احرما ولبيا ودخلا الحرم فلما شوهد البيت تحرم الغلام عند رؤيته فخر ميتا فدهش والده وقال اين ولدى وقطعة كبدى فنودى من زاوية البيت انت طلبت البيت فوجدته وانه طلب رب البيت فوجد رب البيت فرفع الغلام من بينهم فهتف هاتف انه ليس فى حيز ولا فى الارض ولا فى الجنة بل هو فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فمن اعرض سره عن الجهة فى توجهه الى الله صار الحق قبلة له فيكون هو قبلة الجميع كآدم عليه السلام كان قبلة الملائكة لانه وسيلة الحق بينه وبين ملائكته لما عليه من كسوة جماله وجلاله (قال الشيخ العطار قدس سره فى منطق الطير) حق تعالى گفت آدم غير نيست * كور چشمى وتراين سير نيست * شد نفخت فيه من روحى آشكار * سرجانان گشت برخاك استوار (وقال فى محل آخر) از دم حق آمدى آدم توئى * اصل كرمنا بنى آدم توئى * قبلهٔ كل آفرينش آمدى * پاى تا سر عين بينش آمدى * اللهم اوصلنا الى العين وخلصنا من البين (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت) حكاية حال ماضية حيث عبر بلفظ المضارع عن الرفع الواقع فى الزمان المتقدم على زمان نزول الوحى بان يقدر ذلك الرفع السابق واقعا فى الحال كأنك تصوره للمخاطب وتريه على وجه المشاهدة والعيان والقواعد جمع قاعدة وهى فى الاصل صفة بمعنى الثابتة ثم صارت بالغلبة من قبيل الاسماء بحيث لا يذكر لها موصوف ولا يقدر واصل لفظ القعود حقيقة فى الهيئة المقابلة للقيام ومستعار للثبات والاستقرار تشبيها له بها فى ان كلا منهما حالة مباينة للانتقال والنزول وقوله من البيت حال من القواعد وكلمة من ابتدائية لا بيانية لعدم صحة ان يقال التى هى البيت فان قلت رفع الشئ ان يفصل عن الارض ويجعل عاليا مرتفعا والاساس ابدا ثابت على الارض فما معنى رفعه قلت المراد برفع الاساس البناء عليه وعبر عن البناء على الاساس برفعه لان البناء ينقله من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع فيوجد الرفع حقيقة الا ان اساس البيت واحد وعبر عنه بلفظ القواعد باعتبار اجزائه كأن كل جزء من الاساس اساس لما فوقه

والمعنى واذكر يا محمد وقت رفع ابراهيم اساس البيت اى الكعبة (واسماعيل) ولده وكان له اربعة بنين اسماعيل واسحق ومدين ومداين وهو عطف على ابراهيم وتأخيره عن المفعول مع ان حق ما عطف على الفاعل ان يقدم على المفعول للايذان بان الاصل فى الرفع هو ابراهيم واسماعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها واعلم ان رفع الاساس الذى هو البناء عليه يدل على ان البيت كان مؤسسا قبل ابراهيم وانه انما بنى على الاساس واختلف الناس فيمن بنى البيت اولا واسسه فقيل هو الملائكة وذلك ان الله تعالى لما قال انى جاعل فى الارض خليفة قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فغضب عليهم فعاذوا بعرشه وطافوا حوله سبعة اطواف يسترضون ربهم حتى رضى عنهم وقال لهم ابنوا لى بيتا فى الارض يتعوذ به من سخطت عليه من بنى آدم ويطوف حوله كما طفتم حول عرشى فارضى عنهم فبنوا هذا البيت وقيل ان الله بنى فى السماء بيتا وهو البيت المعمور ويسمى ضراحا وامر الملائكة ان يبنوا الكعبة فى الارض بحياله على قدره ومثاله وقيل اول من بنى الكعبة آدم واندرست زمن الطوفان ثم اظهرها الله لابراهيم عليه السلام روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه قال لما اهبط الله تعالى آدم من الجنة الى الارض قال له يا آدم اذهب فابن لى بيتا وطف به واذكرنى عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى فاقبل آدم يتخطى وطويت له الارض وقبضت له المفاوز فلا يقع قدمه على شئ من الارض الا صار عامرا حتى انتهى الى موضع البيت الحرام وان جبرائيل ضرب بجناحه الارض فابرز عن الاس الثابت على الارض السابعة السفلى وقدمت اليه الملائكة بالصخر فما يطيق بالصخرة منها ثلاثون رجلا وانه بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتاء ولبنان وهو جبل بالشام والجودى وهو جبل بالجزيرة وحراء وهو جبل بمكة وكان ربضه من حراء اى الاساس المستدير بالبيت من الصخر فهذا بناء آدم وروى ان الله خلق موضع البيت قبل الارض بالفى عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله تعالى آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله فانزل الله البيت المعمور من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد اخضر له باب شرقى وباب غربى فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم انى اهبطت لك بيتا فطف به كما يطاف حول عرشى وصل عنده كما يصلى عند عرشى وانزل الحجر وكان ابيض فاسود من لمس الحيض فى الجاهلية فتوجه آدم من ارض الهند الى مكة ماشيا وقيض الله له ملكا يدله على البيت قيل لمجاهد لم لم يركب قال واى شئ كان يحمله ان خطوته مسيرة ثلاثة ايام فاتى مكة وحج البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه حج آدم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فبقى البيت يطوف به هو والمؤمنون من ولده الى ايام الطوفان فرفعه الله فى تلك الايام الى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبرائيل حتى خبأ الحجر الاسود فى جبل ابى قبيس صيانة له من الغرق وكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله امر ابراهيم ببناء بيت يذكر فيه فسأل الله تعالى ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهى ريح خجوج لها رأسان شبه الحية وامر ابراهيم ان يبنى حيث استقرت السكينة فتبعها ابراهيم حتى اتيا مكة فتطوت السكينة على موضع البيت اى تحوت وتجمعت واستدارت كتطوى الحجفة ودورانها فقالت لابراهيم ابن على موضعى الاساس فرفع البيت هو واسماعيل حتى انتهى الى موضع الحجر الاسود فقال لابنه يا بنى ائتنى بحجر ابيض حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال ائتنى باحسن من هذا فمضى اسماعيل يطلبه فصاح ابو قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها فاذا هو بحجر ابيض من ياقوت الجنة كان آدم قد نزل به من الجنة كما وجد فى بعض الروايات او انزله الله تعالى حين انزل البيت المعمور كما مر فاخذ ابراهيم ذلك الحجر فوضعه مكانه فلما رفع ابراهيم واسماعيل القواعد من البيت جاءت سحابة مربعة فيها رأس فنادت ان ارفعا على تربيعى فهذا بناء ابراهيم عليه السلام وروى ان ابراهيم واسماعيل لما فرغا من بناء البيت اعطاهما الله تعالى الخيل جزاء معجلا عن رفع قواعد البيت وكانت الخيل وحشية كسائر الوحوش فلما اذن الله لابراهيم واسماعيل برفع القواعد قال الله انى معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم اوحى الى اسماعيل ان اخرج الى اجياد فادع يأتك الكنز فخرج الى اجياد ولا يدرى ما الدعاء ولا الكنز فالهمه الله فدعا فلم يبق على وجه الارض فرس بارض العرب

الاجابة فامكنه من ناصيتها وذللها له فاركبوها واعلفوها فانها ميامين وهى ميراث ابيكم اسماعيل وانما سمى الفرس عربيا لان اسماعيل هو الذى امر بدعائه وهو اتى اليه والعربى نسبة الى عربة بفتحتين وهى باحة العرب لان اباهم اسماعيل نشأ بها قيل كان ابراهيم يتكلم بالسريانية واسماعيل بالعربية وكل واحد منهما يفهم ما يقوله صاحبه ولا يمكنه التفوه به واما بنيان قريش اياه فمشهور وخبر الحية فى ذلك مذكور وكانت تمنعهم من هدمه الى ان اجتمعت قريش فعجوا الى الله تعالى اى رفعوا اصواتهم وقالوا لم نراع وقد اردنا تشريف بيتك وتزيينه فان كنت ترضى بذلك والا فما بدا لك فافعل فاسمعوا خواتا فى السماء والخوات دوى جناح الطير الضخم اى صوته فاذا هم بطائر اعظم من النسر اسود الظهر ابيض البطن والرجلين فغرز مخالبه فى قفا الحية ثم انطلق بها تجر ذنبها اعظم من كذا وكذا حتى انطلق بها الى اجياد فهدمتها قريش وجعلوا يبنونها بحجارة الوادى تحملها قريش على رقابها فرفعوها فى السماء عشرين ذراعا وذكر عن الزهرى انهم بنوها حتى اذا بلغوا موضع الركن اختصمت قريش فى الركن اى القبائل تلى رفعه حتى شجر بينهم فقالوا حتى نحكم اول من يطلع علينا من هذه السكة فاصطلحوا على ذلك فاطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكموه فامر بالركن فوضع فى ثوب ثم امر سيد كل قبيلة فاعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو على البناء فرفعوا اليه الركن فاخذه من الثوب فوضعه فى مكانه قيل ان قريشا وجدوا فى الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود فاذا فيه انا الله ذو مكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفاء لا تزول حتى يزول اخشباها مبارك لاهلها فى الماء واللبن وعن ابى جعفر كان باب الكعبة على عهد العماليق وجرهم وابراهيم بالارض حتى بنته قريش وعن عائشة رضى الله تعالى عنها سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الجدار امن البيت هو قال نعم قلت فلم لم يدخلوه قال ان قومك قصرت بهم النفقة قلت فما شأن بابه مرتفعا قال فعل ذلك قومك ولولا حدثانهم بالجاهلية لهدمت الكعبة فالزقت بابها بالارض وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة اذرع من الحجر فان قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة فهذا بناء قريش ثم لما غزا اهل الشام عبد الله بن الزبير ووهت الكعبة من حريقهم هدمها ابن الزبير وبناها على ما اخبرته عائشة فجعل لها بابين بابا يدخلون منه وبابا يخرجون منه وزاد فيه مما يلى الحجر ست اذرع وكان طولها قبل ذلك ثمانى عشرة ذراعا ولما زاد فى البناء مما يلى الحجر استقصر ما كان من طولها تسع اذرع فلما قتل ابن الزبير امر الحجاج ان يقر ما زاده ابن الزبير فى طولها وان ينقص ما زاده من الحجر ويردها الى ما بناها قريش وان يسد الباب الذى فتحه الى جانب الغرب وروى ان هارون الرشيد ذكر لمالك بن انس انه يريد هدم ما بنى الحجاج من الكعبة وان يردها الى بناء ابن الزبير لما جاء عن النبى وامتثله ابن الزبير فقال له مالك ناشدتك الله يا امير المؤمنين ان لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء احد منهم الا نقض البيت وبناه فتذهب الهيبة من صدور الناس قالوا بنيت الكعبة عشر مرات بناء الملائكة وكان قبل خلق آدم عليه السلام وبناء آدم وبناء بنى آدم وبناء الخليل وبناء العمالقة وبناء جرهم وبناء قصى بن كلاب وبناء قريش وبناء عبد الله بن الزبير وبناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل لجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلى ان بناءها لم يكن فى الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه السلام وروى فى الخبر النبوى هذا البيت خامس خمسة عشر سبعة منها فى السماء الى العرش وسبعة منها الى تخوم الارض السفلى واعلى الذى يلى العرش البيت المعمور لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت لو سقط منها بيت سقط بعضها على بعض الى تخوم الارض السابعة ولكل بيت من اهل السماء ومن اهل الارض من يعمره كما يعمر هذا البيت ذكره المحدث الكازرونى فى مناسكه وعن ابن عباس رضى الله عنه لما كان العرش على الماء قبل خلق السموات والارض بعث الله ريحا فصفقت الماء فابرزت خشبة فى موضع البيت كانها قبة على قدر البيت اليوم فدحا الله سبحانه من تحتها الارض فمادت ثم مادت فاوتدها بالجبال فكان اول جبل وضع فيها ابو قبيس ولذلك سميت مكة بام القرى قال كعب بنى سليمان عليه السلام بيت المقدس على اساس قديم كما بنى ابراهيم الكعبة على اساس قديم وهو اساس الملائكة فى وجه الماء الى ان عملا (ربنا) اى يرفعانها قائلين ربنا (تقبل منا) الدعاء وغيره من القرب والطاعات التى من جلتها ما هما بصدده من البناء وفرق بين القبول والتقبل بان التقبل لكونه

على بناء التكلف انما يطلق حيث يكون العمل ناقصا لايستحق ان يقبل الا على طريق التفضل والكرم ولفظ القبول لادلالة فيه على هذا المعنى فاختيار لفظ التقبل اعتراف منهما بالعجز والانكسار والقصور فى العمل (انك انت السميع) لجميع المسموعات التى من جملتها دعاؤنا وتضرعنا (العليم) بكل المعلومات التى من زمرتها نياتنا فى جميع اعمالنا ودل هذا القول على انه لم يقع منهما تقصير بوجه ما فى اتيان المأمور به بل بذلا فى ذلك غاية ما فى وسعهما فان المقصر المتساهل كيف يتجاسر على ان يقول باطلق لسان وارق جنان انك انت السميع العليم ودلت الاية ايضا على ان الواجب على كل مأمور بعبادة وقربة اذا فرغ منها واداها كما امر بها وبذل فى ذلك ما فى وسعه ان يتضرع الى الله ويبتهل ليتقبل منه وان لا يرد عليه فيضيع سعيه وان لا يقطع القول بان من ادى عبادة وطاعة تقبل منه لا محالة اذ لو كان هكذا لما كان لدعائهما بطريق التضرع ليقبل منهما معنى فالقبول والرد اليه تعالى ولا يجب عليه شئ (ربنا واجعلنا مسلمين لك) اى مخلصين لك فالمراد بالمسلم من يجعل نفسه وذاته خالصا لله تعالى بان يجعل التذلل والتعظيم الواقع منه باللسان والاركان والجنان خالصا له تعالى ولا يعظم معه تعالى غيره ويعتقد بان ذاته وصفاته وافعاله خالصة له تعالى خلقا وملكا لا مدخل فى شئ منها لاحد سواه او المعنى واجعلنا مستسلمين لك منقادين بالرضى بكل ما قدرت وترك المنازعة فى احكامك فان الاسلام اذا وصل باللام الجارة يكون بمعنى الاستسلام والانقياد والرضى بالقضاء فان قلت لا شك انهما كانا مخلصين ومستسلمين فى زمان صدور هذا الدعاء منهما قلت المراد طلب الزيادة فى الاخلاص والاذعان او الثبات عليه فهذا تعليم منهما التماس الدعاء للتثبيت على الايمان فانهما لما سألا ذلك مع امنهما عن زواله عنهما فكيف عن غيرهما مع خوفه وسألا ايضا الثبات على الانقياد فاجيبا الى ذلك حتى اسلم ابراهيم للالقاء فى النار واسماعيل للامر بالذبح (ومن ذريتنا امة مسلمة لك) اى واجعل بعض ذريتنا جماعة مخلصة لك بالعبادة والطاعة وانما خص الذرية بالدعاء مع ان الانسب بحال اصحاب الهمم لا سيما الانبياء ان لا يخصوا ذريتهم بالدعاء لكنهما خصاهم لوجهين الاول كونهم احق بالشفقة كما فى قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فدعوا لاولادهما ليكثر ثوابهما بهم وفى الحديث ما من رجل من المسلمين يخلف من بعده ذرية يعبدون الله تعالى الا جعل الله له مثل اجورهم ما عبد الله منهم عابد حتى تقوم الساعة والثانى انه وان كان تخصيصا صورة الا انه تعميم معنى لان صلاح اولاد الانبياء سبب وطريق لصلاح العامة فكانهما قالا واصلح عامة عبادك باصلاح بعض ذريتنا وخصا البعض من ذريتهما لما علما ان من ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين او طريق علمهما بذلك امر ان تخصيص الله تعالى بذلك بقوله لا ينال عهدى الظالمين والاستدلال بان حكمة الله تعالى تقتضى ان لا يخلو العالم عن افاضل واوساط وارذال فالافاضل هم اهل الله الذين هم اخلصوا انفسهم لله بالاقبال الكلى عليه والاوساط هم اهل الاخرة الذين يجتنبون المنكرات ويواظبون على الطاعات رغبة فى نيل المثوبات والارذال هم اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون جل همتهم عمارة الدنيا وتهيئة اسبابها وقد قيل عمارة الدنيا بثلاثة اشياء احدها الزراعة والغرس والثانى الحماية والحرب والثالث جلب الاشياء من مصر الى مصر ومن اكب على هذه الاشياء ونسى الموت والبعث والحساب وسعى لعمارة الدنيا سعيا بليغا ودقق فى اعمال فكره تدقيقا عجيبا فهو متوغل فى الجهل والحماقة ولهذا قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا (وفى المثنوى) اين جهان ويران شدى اندر زمان * حرصها بيرون شدى أز مردمان * استن اين عالم اى جان غفلتست * هوشيارى اين جهان را آفتست * هوشيارى زان جهانست وجوان * غالب آيد پست كردد اين جهان * هوشيارى افتاب وحرص يخ * هوشيارى اب واين عالم وسخ (وارنا مناسكنا) جمع منسك بفتح السين وكسرها اى بصرنا مواضع نسكنا وعرفنا متقدراتنا اى المواضع التى يتعلق بها النسك اى افعال الحج نحو المواقيت التى يحرم منها والموضع الذى يوقف فيه بعرفة وموضع الطواف والصفا والمروة وما بينهما من المسعى وموضع رمى الجمار ويحتمل ان يراد بالمناسك ههنا افعال الحج نفسها لا مواضعها على ان يكون المنسك مصدرا لا اسم مكان ويكون جمعه لاختلاف انواعه ويكون ارنا بمعنى عرفنا لان نفس الافعال لا تدرك بالبصر بل ترى بعين القلب والنسك كل ما يتعبد به الى الله وشاع فى اعمال الحج لكونها اشق الاعمال بحيث لا تتأتى الا بمزيد سعى واجتهاد (وتب علينا) عما فرط منا سهوا من الصغائر ومن ترك الاولى وتجاوز

عن ذنوب ذريتنا من الكبائر ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما فانهما لما بنيا البيت اراد ان يبينا للناس ويعرفاهم ان ذلك البيت وما يتبعه من المناسك والمواقف امكنة التفصى من الذنوب وطلب التوبة من علام الغيوب (انك انت التواب الرحيم) لمن تاب اصل التوبة الرجوع وتوبة الله على العبد قبوله توبته وان يخلق الانابة والرجوع فى قلب المسئ ويزين جوارحه الظاهرة بالطاعات بعد ما لوثها بالمعاصى والخطيئات وتواب من صيغ المبالغة اطلق عليه تعالى للمبالغة فى صدور الفعل منه وكثرة قبوله توبة المذنبين لكثرة من يتوب اليه (ربنا وابعث فيهم) اى فى جماعة الامة المسلمة من اولادنا (رسولا منهم) اى من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبى صلى الله عليه وسلم فهو الذى اجيب به دعوتهما روى انه قيل له قد استجيب لك وهو فى آخر الزمان وفى الحديث انى عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمجدل فى طينته وسأخبركم باول امرى انى دعوة ابى ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امى التى رأت حين وضعتنى وقد خرج منها نور اضاءت لها منه قصور الشام واراد بدعوة ابراهيم هذا فانه دعا ان يبعث فى بنى اسرائيل رسولا منهم (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويعلمهم) بحسب قوتهم النظرية (الكتاب) اى القرآن (والحكمة) وما يكمل به نفوسهم من المعارف الحقة والاحكام الشرعية قال ابن دريد كل كلمة وعظتك او دعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهى حكمة (ويزكيهم) بحسب قوتهم العملية اى يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصى سواء كانت بترك الواجبات او بفعل المنكرات ثم ان ابراهيم عليه السلام لما ذكر هذه الدعوات الثلاث ختمها بالثناء على الله تعالى فقال (انك انت العزيز) الذى لا يقهر ولا يغلب على ما يريد (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو عزيز حكيم بذاته وكل ما سواه ذليل جاهل فى نفسه قال الامام الغزالى قدس سره فى شرح الاسماء الحسنى العزيز هو الخطير الذى يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فما لم تجتمع هذه المعانى الثلاثة لم يطلق العزيز فكم من شئ يقل وجوده ولكن اذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزا وكم من شئ يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولكن اذا لم يصعب الوصول اليه لم يسم عزيزا كالشمس مثلا فانها لا نظير لها والارض كذلك والنفع عظيم فى كل واحد منهما والحاجة شديدة اليهما ولكن لا يوصفان بالعزة لانه لا يصعب الوصول الى مشاهدتهما فلا بد من اجتماع المعانى الثلاثة ثم فى كل من المعانى الثلاثة كمال ونقصان فالكمال فى قلة الوجود ان يرجع الى واحد اذ لا اقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هذا الا الله تعالى فان الشمس وان كانت واحدة فى الوجود فليست واحدة فى الامكان فيمكن وجود مثلها والكمال فى النفاسة وشدة الحاجة ان يحتاج اليه كل شئ فى كل شئ حتى فى وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك الكمال الا لله تعالى فهو العزيز المطلق الحق الذى لا يوازيه فيه غيره والعزيز من العباد من يحتاج اليه عباد الله فى اهم امورهم وهى الحياة الاخروية والسعادة الابدية وذلك مما يقل لا محالة وجوده ويصعب ادراكه وهذه رتبة الانبياء عليهم السلام ويشاركهم فى العز من يتفرد بالقرب من درجتهم فى عصره كالخلفاء وورثتهم من العلماء وعزة كل واحد بقدر علو رتبته عن سواه فى النيل والمشاركة وبقدر عنائه فى ارشاد الخلق والحق ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة افضل الاشياء باجل العلوم واجل الاشياء هو الله تعالى ولا يعرف كنه معرفته غيره فهو الحكيم الحق لانه يعلم اجل الاشياء باجل العلوم اذ اجل العلوم هو العلم الازلى الدائم الذى لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق اليه خفاء وشبهة ولا يتصف بذلك الا علم الله تعالى وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها حكيما وكمال ذلك ايضا ليس الا لله تعالى فهو الحكيم المطلق ومن عرف جميع الاشياء ولم يعرف الله تعالى لم يستحق ان يسمى حكيما لانه لم يعرف اجل الاشياء وافضلها والحكمة اجل العلوم وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم ولا اجل من الله ومن عرف الله فهو حكيم وان كان ضعيف المنة فى سائر العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها الا ان نسبة حكمة العبد الى حكمة الله تعالى كنسبة معرفته الى معرفته بذاته وشتان بين المعرفتين فشتان بين الحكمتين ولكنه مع بعده عنه فهو انفس المعارف واكثرها خيرا ومن اوتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب نعم من عرف الله كان كلامه مخالفا لكلام غيره فانه قلما يتعرض للجزئيات بل يكون كلامه جمليا ولا يتعرض لمصالح العاجلة بل يتعرض لما ينفع

فى العاقبة ولما كانت الكلمات الكلية اظهر عند الناس من احوال الحكيم من معرفته بالله ربما اطلق الناس اسم الحكمة على مثل تلك الكلمات الكلية ويقال للناطق بها حكيم وذلك مثل قول سيد الانبياء عليه السلام رأس الحكمة مخافة الله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ماقل وكفى خير مما كثر والهى السعيد من وعظ بغيره القناعة مال لا ينفد الصبر نصف الايمان اليقين الايمان كله فهذه الكلمات وامثالها تسمى حكمة وصاحبها يسمى حكيما انتهى كلام الغزالى ثم ان فى الاية اشارة الى ان فى ارسال الرسل حكمة اى مصلحة وعاقبة حميدة لان عمارة الظاهر وانارة الباطن ونظام العالم بهم لا بغيرهم ولورثتهم من الاولياء الكاملين حظ اوفى فى باب التزكية فلابد للعبد من دليل ومرشد يهتدى به الى مقصوده ومن لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان قال الحافظ بكوى عشق منه بى دليل راه قدم * كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد * والمرشد الكامل يزكى نفس السالك باذن الله ويطهرها عن دنس الالتفات الى ماسوى الله ويتلو عليه الايات الانفسية والافاقية ليكون من الموقنين ويغتنم النعيم الروحانى ويدخل فى زمرة الصديقين فقوله تعالى ويزكيهم يشير الى السلوك والتسليك فاحفظ هذا وليكن على ذكر منك اللهم احفظنا عن الموانع فى طريق الوصول اليك فان كل رجاء فى حيز القبول لديك (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) من استفهامية قصد بها الانكار والتقريع ورغب فى الشئ اذا اراده ورغب عنه اذا تركه اى لا يترك دين ابراهيم احد ولا يعرض عن شريعته وطريقته (الا من سفه نفسه) اى اذلها وجعلها مهينا حقيرا فانتصاب نفسه على انه مفعول به روى ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فانزل الله هذه الاية (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) اى وبالله لقد اخترنا ابراهيم فى الدنيا من بين سائر الخلق بالنبوة والحكمة (وانه فى الاخرة) متعلق بقوله (لمن الصالحين) اى من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح فمن كان صفوة العباد فى الدنيا مشهودا له فى الاخرة بالصلاح كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه اى فى اصل خلقته او متسفه يتكلف السفاهة بمباشرة افعال السفهاء باختياره فيذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتأمل فقوله وانه فى الاخرة لمن الصالحين بشارة له فى الدنيا بصلاح الخاتمة ووعد له بذلك وكم من صالح فى اول حاله ذهب صلاحه فى مآله وكان فى الاخرة لعذابه ونكاله كبلعم وبرصيصا وقارون وثعلبة (اذ قال له) ظرف لاصطفيناه وتعليل له اى اخترناه فى وقت قال له (ربه اسلم) اى اخلص دينك لربك واستقم على الاسلام واثبت عليه وذلك حين خرج من الغار ونظر الى الكوكب والقمر والشمس فالهمه الله الاخلاص (قال اسلمت لرب العالمين) اى اخلصت دينى له كقوله انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض الاية وقد امتثل ما امر به من الاخلاص والاستسلام واقام على ما قال فسلم القلب والنفس والولد والمال ولما قال له جبريل حين القى فى النار هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا فقال الا تسأل ربك فقال حسبى بسؤالى علمه بحالى قال اهل التفسير ان ابراهيم ولد فى زمن النمرود بن كنعان وكان النمرود اول من وضع التاج على راسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك فى هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه قالوا فامر بذبح كل غلام يولد فى ناحيته فى تلك السنة فلما دنت ولادة ام ابراهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فولدته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء وهو نبت فى الماء يقال له بالتركى حصيرةشى ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد فى موضع كذا فانطلق ابوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا اى بيتا فى الارض كالمغارة فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه وكان اليوم على ابراهيم فى الشباب والقوة كالشهر فى حق سائر الصبيان والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم فى المغارة الا خمسة عشر شهرا او سبع سنين او اكثر من ذلك فلما شب ابراهيم فى السرب قال لامه من ربى قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابى قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارأيت الغلام الذى كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال فاتى ابوه آزر وقال له ابراهيم يا ابتاه من ربى قال امك قال فمن رب امى قال انا قال فمن ربك قال النمرود قال فمن رب النمرود

فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فرأى السماء وما فيها من الكواكب فتفكر فى خلق السموات والارض فقال ان الذى خلقنى ورزقنى واطعمنى وسقانى ربى الذى مالى اله غيره ثم نظر فى السماء فرأى كوكبا قال هذا ربى ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما افل قال لا احب الآفلين ثم رأى القمر ثم الشمس فقال فيهما كما قال فى حق الكوكب ثم انهم اختلفوا فى قوله ذلك فاجراه بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابراهيم فى ذلك الوقت مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله اليه وارشده فلم يضره ذلك فى الاستدلال وايضا كان ذلك فى حال طفوليته قبل ان يجرى عليه القلم فلم يكن كفرا وانكر الاخرون هذا القول وقال كيف يتصور من مثله ان يرى كوكبا ويقول هذا ربى معتقدا فهذا لا يكون ابدا ثم اولوا قوله ذلك بوجوه مذكورة فى سورة الانعام للامام محيى السنة والحاصل ان ابراهيم مستسلم للرب الكريم وانه على الصراط المستقيم لا يرغب عن طريقته الا من سفه نفسه اى لم يتفكر فيها كما تفكر ابراهيم فى الانفس والافاق قال تعالى وفى انفسكم أفلا تبصرون والسفاهة الجهل وضعف الرأى وكل سفيه جاهل وذلك ان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف الله خالقها وقد جاء فى الحديث من عرف نفسه فقد عرف ربه وفى الاخبار ان الله تعالى اوحى الى داود اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء (وفى المثنوى) چيست تعظيم خدا افراشتن * خويشتن را خاك وخوارى داشتن * چيست توحيد خدا آموختن * خويشتن را پيش واحد سوختن * هستيت در هستى آن هستى نواز * همچو مس در كيميا اندر كداز * جمله معشوقست وعاشق پردهٔ * زنده معشوقست وعاشق مردهٔ * (ووصى) لما كمل ابراهيم عليه السلام فى نفسه كمل غيره بالتوصية وهو تقديم ما فيه خير وصلاح من قول او فعل الى الغير على وجه التفضل والاحسان سوآء كان امرا دينيا او دنياويا (بها) اى بالملة المذكورة فى قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم (ابراهيم بنيه) اى اولاده الذكور الثمانية عند البعض اسماعيل وامه هاجر القبطية واسحاق وامه سارة وستة امهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم بعد وفاة سارة وهم مدين ومداين وزمران ويقشان ويشبق ونوخ (ويعقوب) رفع عطف على ابراهيم اى وصى يعقوب ايضا وهو ابن اسحاق ابن ابراهيم بنيه الاثنى عشر روبيل وشمعون ولاوى ويهودا ويستسوخور وزبولون وزوانا ونفتونا وكوزا واوشير وبنيامين ويوسف وسمى يعقوب لانه مع اخيه عيصو كانا توأمين فتقدم عيصو فى الخروج من بطن امه وخرج يعقوب على اثره آخذا بعقبه وذلك ان ام يعقوب حملت فى بطن واحد بولدين توأمين فلما تكامل عدة اشهر الحمل وجاء وقت الوضع تكلما فى بطنها وهى تسمع فقال احدهما للاخر طرق لى حتى اخرج قبلك وقال الاخر ان خرجت قبلى لاشقن بطنها حتى اخرج من خصرها فقال الاخر اخرج قبلى ولا تقتل امى قال فخرج الاول فسمته عيصو لانه عصاها فى بطنها وخرج الثانى وقد امسك بعقبه فسمته يعقوب فنشأ عيصو بالغلاظة والفظاظة صاحب صيد وقنص ويعقوب بالرحمة واللين صاحب زرع وماشية وروى انهما ماتا فى يوم واحد ودفنا فى قبر واحد قيل عاش يعقوب مائة وسبعا واربعين سنة ومات بمصر واوصى ان يحمل الى الارض المقدسة ويدفن عند ابيه اسحاق فحمله يوسف فدفنه عنده (يا بنى) على اضمار القول عند البصريين تقديره وصى وقال يا بنى وذلك لان يا بنى جملة والجملة لا تقع مفعولا الا لافعال القلوب او فعل القول عندهم (ان الله اصطفى لكم الدين) اى دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان ولا دين عنده غيره (فلا تموتن) اى لا يصادفكم الموت (الا وانتم مسلمون) اى مخلصون بالتوحيد محسنون بربكم الظن وهذا نهى عن الموت فى الظاهر وفى الحقيقة عن ترك الاسلام لان الموت ليس فى ايديهم وذلك حين دخل يعقوب مصر فرأى اهلها يعبدون الاصنام فاوصى بنيه بان يثبتوا على الاسلام فان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتخصيص الابناء بهذه الوصية مع انه معلوم من حال ابراهيم انه كان يدعو الكل ابدا الى الاسلام والدين للدلالة على ان امر الاسلام اولى الامور بالاهتمام حيث وصى به اقرب الناس اليه واحراهم بالشفقة والمحبة وارادة الخير مع ان صلاح ابنائه سبب اصلاح العامة لان المتبوع اذا اصلح فى جميع احواله صلح التابع روى انه لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اقاربه وانذرهم فقال يا بنى كعب بن لوى انقذوا انفسكم من النار يا بنى مرة بن كعب انقذوا انفسكم

من النار يابنى عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يابنى هاشم انقذوا انفسكم من النار يابنى عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة انقذى نفسك من النار فانى لا املك لكم من الله شيأ يعنى لا اقدر على دفع مكروه عنكم فى الآخرة ان اراد الله ان يعذبكم وانما اشفع لمن اذن الله لى فيه وانما يأذن لى اذا لم يرد تعذيبه انما قال عليه السلام فى حقهم هكذا لترغيبهم فى الايمان والعمل ائلا يعتمدوا على قرابته ويتهاونوا ولا بد من الوصية والتحذير فى باب الدين لان الانسان اذا انس باهل الشر يخاف ان يتخلق باخلاقهم ويعمل عملهم فيجره ذلك الهوى الى الهاوية (كما قيل) نفس ازهمنفس بكيرد خوى * برحذر باش ازلقاى خبيث * بادچون برفضاى بد كذرد * بوى بد كيرد ازهواى خبيث * وكتب ابو عبيد الصورى الى بعض اخوانه اما بعد فانك قد اصبحت تأمل الدنيا بطول عمرك وتتمنى على الله الامانى بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا والسلام وحسن الظن بالله تعالى انما يعتبر بعد اصلاح الحال بالاخلاق والاعمال قال الحسن ان قوما الهتهم الامانى حتى خرجوا من الدنيا ومالهم حسنة يقول احدهم انى احسن الظن بربى وكذب لو احسن الظن لاحسن العمل وتلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الاية اللهم وفقنا للعلم والعمل قبل الاجل (ام كنتم شهدآء) لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام وام منقطعة مقدرة ببل والهمزة قال فى التيسير ام اذا لم يتقدمها الف الاستفهام كانت بمنزلة مجرد الاستفهام ومعنى الهمزة فيها الانكار يعنى اكنتم شهدآء جمع شهيد بمعنى الحاضر يريد ما كنتم حاضرين (اذ حضر يعقوب الموت) اى اماراته واسبابه وقرب خروجه من الدنيا نزلت حين قالت اليهود للنبى عليه السلام الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فقال تعالى ما كنتم حاضرين حين احتضر يعقوب وقال لبنيه ما قال والا لما ادعيتم عليه اليهودية ولكان حرضكم على ملة الاسلام (اذ قال لبنيه) بدل من اذ حضر والعامل فيها شهدآء (ما تعبدون من بعدى) اى اى شئ تعبدونه بعد موتى اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما قال الراغب لم يعن بقوله ما تعبدون من بعدى العبادة المشروعة فقط وانما عنى ان يكون مقصودهم فى جميع الاعمال وجه الله تعالى ومرضاته ويتباعدوا عما لا يتوسل به اليها وكانه دعاهم الى ان لا يتحروا فى اعمالهم غير وجه الله تعالى ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الاصنام وانما خاف ان تشغلهم دنياهم ولهذا قيل ما قطعك عن الله فهو طاغوت ولهذا قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام اى ان نخدم ما دون الله (قال فى المثنوى) چيست دنيا ازخدا غافل بدن * نى قماش ونقره وميزان وزن * قال النحرير التفتازانى وما عام اى يصح اطلاقه على ذى العقل وغيره عند الابهام سوآء كان للاستفهام اوغيره واذا علم ان الشئ من ذى العقل والعلم فرق بمن وما فيخص من بذوى العلم وما بغيره وبهذا الاعتبار يقال ان ما لغير العقلاء انتهى كلامه وتم الانكار عليهم عند قوله ما تعبدون من بعدى ثم استأنف وبين ان الامر قد جرى على خلاف ما زعموا فقال (قالوا) كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا (نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق) اى نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وجعل اسماعيل وهو عمه من جملة الاباء تغليبا للاب والجد لان العم اب والخالة ام لانخراطهما فى سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اى لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوى النخلة (الها واحدا) بدل من اله آبائك وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرر المضاف اونصب على الاختصاص كانه قيل نريد ونعنى باله آبائك الها واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد (تلك) اشارة الى الامة المذكورة التى هى ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون (امة) هى فى الاصل المقصود كالعهدة بمعنى المعهود وسمى بها الجماعة لان فرق الناس تؤمها اى يقصدونها ويقتدون بها وهى خبر تلك (قد خلت) اى مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله صارت الى الخلاء وهى الارض التى لا انيس بها والجملة نعت لامة (لها ما كسبت) تقديم المسند لقصره على المسند اليه اى لها كسبها لا كسب غيرها (ولكم ما كسبتم) لا كسب غيركم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) اى لا تؤاخذون بسيئات الامة الماضية كما فى قوله ولا تسألون عما اجرمنا كما لا تثابون بحسناتهم فلكل اجر عمله وذلك لما ادعى اليهود ان يعقوب عليه السلام مات على اليهودية وانه عليه السلام وصى بها بنيه يوم مات وردوا بقوله تعالى ام كنتم شهدآء الاية قالوا هب ان الامر كذلك اليسوا آباءنا واليهم ينتمى نسبنا فلا جرم ننتفع بصلاحهم

ومنزلتهم

ومنزلتهم عند الله تعالى قالوا ذلك مفتخرين بأوآئلهم فردوا بانهم لا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم فى الاعمال فان احدا لا ينفعه كسب غيره كما قال عليه السلام يابنى هاشم لا يأتينى الناس باعمالهم وتأتونى بانسابكم وقال عليه السلام من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه يعنى من اخره فى الآخرة عمله السيئ اوتفريطه فى العمل الصالح لم ينفعه شرف نسبه ولم تنجبر نقيصته به قال الشاعر

اتفخر باتصالك من علىّ * واصل البوسة الماء القراح

وليس بنافع نسب زكى * يدنسه صنائعك القباح

والابناء وان كانوا يتشرفون فى الدنيا بشرف آبائهم الا انه اذا نفخ فى الصور فلا انساب والافتخار بمثل هذا كالافتخار بمتاع غيره وانه من الجنون فلا بد من كسب العمل والاخلاص فيه فانه المنجى بفضل الله تعالى وجاء فى حديث طويل وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من امتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاء بره لوالديه فرده عنه ورأيت رجلا من امتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من امتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلا من امتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من ايديهم ورأيت رجلا من امتى يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وارواه ورأيت رجلا من امتى والنبيون قعود حلقا حلقا كلما دنا الحلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فاخذ بيده واقعده الى جنبى ورأيت رجلا من امتى بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجتاه من الظلمة وادخلتاه فى النور ورأيت رجلا من امتى يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يا معشر المؤمنين كلموه فكلموه ورأيت رجلا من امتى يتقى وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه ورأيت رجلا من امتى قد اخذته الزبانية من كل مكان فجاءه امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من ايديهم وادخلاه مع ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من امتى جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فاخذ بيده فادخله على الله ورأيت رجلا من امتى قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فاخذ صحيفته فجعلها فى يمينه ورأيت رجلا من امتى قد خف ميزانه فجاءته افراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من امتى قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من امتى اهوى فى النار فجاءته دموعه التى بكى من خشية الله فاستخرجته من النار ورأيت رجلا من امتى قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى ورأيت رجلا من امتى على الصراط يزحف احيانا ويحبو احيانا ويتعلق احيانا فجاءته صلاته علىّ فاخذت بيده واقامته ومضى على الصراط ورأيت رجلا من امتى انتهى الى ابواب الجنة فغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة ان لا اله الا الله ففتحت له الابواب وادخلته الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يا رسول الله وما اخلاصها قال ان يحجزه عن محارم الله فعلم من هذا التفصيل ان الخلاص وان كان بفضل الله تعالى لكنه منوط بالاعمال الصالحة فالقرابة لا تغنى شيأ اذا فسد العمل واما قول من قال اذا طاب اصل المرء طابت فروعه فباعتبار الغالب فان من عادته تعالى ان يخرج الحى من الميت والميت من الحى ونعم ما قيل * اصل را اعتبار چندان نيست * روى تركل زخار خندان نيست * مى زغوره شود شكر ازنى * عسل از نحل حاصلست بقى * والعود الذى تفوح رائحته وان كان فى الاصل شجرة كسائر الاشجار الا انه لما كان له استعداد لتلك المرتبة وحصل ذلك بالتربية فاق على الاقران وخرج من جنس الاصل وكذا المسك فان اصله دم وكم من نسيب يعود على اصله بالعكس فيظهر فيه اثر الصلاح الباطن فى ابيه ان كان اى ابوه فاسقا او الفساد الباطن فيه ان كان صالحا وكم من فرع يميل الى اصله على وجه فانظر حال آدم عليه السلام وولديه هابيل وقابيل ومن بعدهم الى قيام الساعة (وقالوا كونوا هودا اونصارى) نزلت فى رؤس يهود المدينة وفى نصارى نجران اى قالت اليهود كونوا هودا فان نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد والقرآن وقالت النصارى كونوا نصارى فان نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وديننا

افضل الاديان وكفروا بموسى والتوراة وبمحمد والقرءآن (تهتدوا) جواب للامر اى ان تكونوا كذلك تجدوا الهداية من الضلالة (قل) يا محمد لهم على سبيل الرد وبيان ماهو الحق لانكون ماتقولون (بل) نكون (ملة ابراهيم) اى اهل ملته ودينه على حذف المضاف اى بل نتبع ملته لان كونوا معناه اتبعوا اليهودية والنصرانية (حنيفا) اى مائلا عن كل دين باطل الى دين الحق ومنحرفا عن اليهودية والنصرانية وهو حال من المضاف اليه وهو ابراهيم كما فى رأيت وجه هند قائمة لان رؤية وجه هند يستلزم رؤيتها فالحال هنا تبين هيئة المفعول اومن المضاف وهو الملة وتذكير حنيفا حينئذ بتأويل الملة بالدين لانهما متحدان ذاتا والتغاير بالاعتبار (وما كان من المشركين) تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباع ابراهيم مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله وفى الاية ارشاد الى الاتباع الى دين ابراهيم وهو الدين الذى عليه نبينا عليه السلام واصحابه واتباعه (قولوا) ايها المؤمنون (آمنا بالله) وحده (وما انزل الينا) اى بالقرءآن الذى انزل على نبينا والانزال اليه انزال الى امته لان حكم المنزل يلزم الكل (وما انزل الى ابراهيم) من صحفه العشر (و) ما انزل الى (اسماعيل واسحاق ويعقوب و) الى (الاسباط) جمع سبط وهو فى الاصل شجرة واحدة لها اغصان كثيرة والمراد هنا اولاد يعقوب وهم اثنا عشر سموا بذلك لانه ولد لكل منهم جماعة وسبط الرجل حافده اى ولد ولده والاسباط من بنى اسرآئيل كالقبائل من العرب والشعوب من العجم وهم جماعة من اب وام وكان فى الاسباط انبياء والصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم لكن من بعده حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرءآن منزلا الينا (وما اوتى موسى وعيسى) من التوراة والانجيل وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى (وما اوتى النبيون) جملة المذكورين منهم وغير المذكورين (من ربهم) فى موضع الحال من العائد المحذوف والتقدير وبما اوتيه النبيون منزلا عليهم من ربهم (لانفرق بين احد منهم) كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض وكيف نفعل ذلك والدليل الذى اوجب علينا ان نؤمن ببعض الانبياء وهو تصديق الله اياه بخلق المعجزات على يديه يوجب الايمان بالباقين فلو آمنا ببعضهم وكفرنا بالبعض لناقضنا انفسنا والجملة حال من الضمير فى آمنا وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين مااوتوه واحد فى معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه (ونحن له مسلمون) اى والحال انا مخلصون لله تعالى ومذعنون (فان آمنوا) اى اليهود والنصارى (بمثل ما) اى بمثل الدين الذى (آمنتم به) هذا من باب التعجيز والتبكيت اى الزام الخصم والجائه الى الاعتراف بالحق بارخاء عنانه وسد طرق المجادلة عليه اوالمثل مقحم والمعنى فان آمنوا بما آمنتم به وهو الله تعالى فانه ليس لله تعالى مثل وكذا الدين الاسلام (فقد اهتدوا) الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق (وان تولوا) اى ان اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشئ من ذلك كأن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو ديدنهم ودينهم (فانما هم فى شقاق) اى مستقرون فى خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون فقوله فى شقاق خبر لقوله هم وجعل الشقاق ظرفا لهم وهم مظروفون له مبالغة فى الاخبار باستيلائه عليهم فانه ابلغ من قولك هم مشاقون والشقاق مأخوذ من الشق وهو الجانب فكأن كل واحد من الفريقين فى شق غير شق صاحبه بسبب العداوة ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدى الى الجدال والقتال لامحالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصرة والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين للتأكيد الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل (فسيكفيكهم الله) الضميران منصوبا المحل على انهما مفعولان ليكفى يقال كفاه مؤنته كفاية وان كثر استعماله معدى الى واحد نحو كفاك الشئ والظاهر ان المفعول الثانى حقيقة فى الاية هو المضاف المقدر اى فسيكفى الله اياك امر اليهود والنصارى ويدفع شرهم عنك وينصرك عليهم فان الكفاية لاتتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز الله وعده الكريم بالقتل والسبى فى بنى قريظة والجلاء والنفى الى الشام وغيره فى بنى النضير والجزية والذلة فى نصارى نجران (وهو السميع العليم) تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ماتدعو به ويعلم ما فى نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك (صبغة الله) الصبغ مايلون به الثياب والصبغ المصدر والصبغة الفعلة التى تبنى للنوع

والحالة من صبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة التى يقع الصبغ عليها وهى اى الصبغة فى الاية مستعارة لفطرة الله التى فطر الناس عليها شبهت الخلقة السليمة التى يستعد بها العبد للايمان وسائر انواع الطاعات بصبغ الثوب من حيث ان كل واحدة منهما حلية لما قامت هى به وزينة له والتقدير صبغنا الله صبغة اى فطرنا وخلقنا على استعداد قبول الحق والايمان فطرته فهذا المصدر مفعول مطلق مؤكد لنفسه لانه مع عامله المقدر بعينه وقع مضمون الجملة المقدمة وهو قوله آمنا بالله لايحتمل لها من المصادر الا ذلك المصدر لان ايمانهم بالله يحصل بخلق الله اياهم على استعداد اتباع الحق والتحلى بحلية الايمان ويحتمل ان يكون التقدير طهرنا الله تطهيره لان الايمان يطهر النفوس عن اوضار الكفر وسماه صبغة للمشاكلة وهى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوع ذلك الشئ فى صحبة الغير اما بحسب المقال المحقق او المقدر بان لايكون ذلك الغير مذكورا حقيقة ويكون فى حكم المذكور لكونه مدلولا عليه بقرينة الحال فهى كما تجرى بين قولين كما فى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك فانه عبر عن ذات الله بلفظ النفس لوقوعه فى صحبة لفظ النفس وعبر عن لفظ الفطرة بلفظ الصبغة لوقوعه فى صحبة صبغة النصارى اذ كانوا يشتغلون بصبغ اولادهم فى سابع الولادة مكان الختان للمسلمين بغمسهم فى الماء الاصفر الذى يسمونه المعمودية على زعم ان ذلك الغمس وان لم يكن مذكورا حقيقة لكنه واقع فعلا من حيث انهم يشتغلون به فكان فى حكم المذكور بدلالة قرينة الحال عليه من حيث اشتغالهم به ومن حيث ان الاية نزلت ردا لزعمهم ببيان ان التطهير المعتبر هو تطهير الله عباده لاتطهير اولادكم بغمسهم فى المعمودية وهى اسم ماء غسل به عيسى عليه السلام فمزجوه بماء آخر وكلما استعملوا منه جعلوا مكانه ماء آخر (ومن احسن) مبتدأ وخبر والاستفهام فى معنى الجحد (من الله صبغة) نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لابين فاعليهما والمعنى اى شخص تكون صبغته احسن من صبغة الله فانه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر وانجاس الشرك فلا صبغة احسن من صبغته (ونحن له) اى لله الذى اولانا تلك النعمة الجليلة (عابدون) شكرا له وسائر نعمه وتقدم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل هو تحت الامر وهو قولوا فاذا كان حرفة العبد العبادة فقد زين نفسه بصبغ حسن يزينه ولا يشينه (وفى المثنوى) كاورا رنك از برون مردرا * ازدرون جورنك سرخ وزردرا * رنكهاى نيك ازخم صفاست * رنك زشتان ازسياهابه جفاست * صبغة الله تام آن رنك لطيف * لعنة الله بوى اين رنك كثيف * وفى قوله تعالى ونحن له عابدون اشارة الى ان العارفين يعبدون ربهم لا لشوق الجنة ولا لخوف النار قال الله تعالى فى الزبور ومن اظلم ممن عبدنى لجنة اونار فلو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن مستحقا لان اعبد واعلم ان العابد هو العامل بحق العبودية فى مرضاة الله تعالى والعبادة دون العبودية وهى دون العبودة لان من لم يبخل بروحه فهو صاحب عبودة فالعبادة ببذل الروح فوق العبادة ببذل النفس قال سهل بن عبد الله لايصح التعبد لاحد حتى لايجزع من اربعة اشياء من الجوع والعرى والفقر والذل قال الشيخ ابو العباس رحمه الله اوقات العبد اربعة لاخامس لها الطاعة والمعصية والنعمة والبلية ولكل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله تعالى ومن كان وقته البلية فسبيله الرضى والصبر فعليك ان تراقب الاوقات الى ان تصل اعلى الدرجات وغاية الغايات (وفى المثنوى) كافرم من كرزيان كردست كس * درره ايمان وطاعت يكنفس * سرشكسته نيست اين سررامبند * يك دوروزه جهد كن باقى بخند * تازه كن ايمان نه از كفت زبان * اى هوارا تازه كرده درنهان * تاهوا تازه ست ايمان تازه نيست * كين هوا جزقفل آن دروازه نيست * روى ان السرى قدس سره قال مكثت عشرين سنة اخرس خلق الله تعالى فلم يقع فى شبكتى الا واحد كنت اتكلم فى المسجد الجامع ببغداد يوم الجمعة وقلت عجبت من ضعيف عصى قويا فلما كان يوم السبت وصليت الغداة اذا انا بشاب قد وافى وخلفه ركبان على دواب بين يديه غلمان وهو راكب على دابته فنزل وقال ايكم السرى السقطى فاومأ جلسائى الى فسلم على وجلس وقال سمعتك تقول عجبت من ضعيف عصى قويا فما اردت به فقلت ماضعيف اضعف من ابن آدم ولا قوى اقوى من الله تعالى وقد تعرض ابن آدم مع ضعفه الى معصية الله تعالى قال فبكى ثم قال ياسرى هل يقبل ربك غريقا مثلى قلت ومن ينقذ الغرقى الا الله تعالى

قال يا سرى ان على مظالم كثيرة كيف اصنع قال اذا صحت الانقطاع الى الله تعالى ارضى عنك الخصوم بلغنا
عن النبى عليه السلام انه قال اذا كان يوم القيامة واجتمع الخصوم على ولى لله وكل لكل منهم ملكا يقول
لا تروعوا ولى الله فان حقكم اليوم على الله تعالى فبكى ثم قال صف لى الطريق الى الله فقلت ان كنت تريد
طريق المقتصدين فعليك بالصيام والقيام وترك الآثام وان كنت تريد طريق الاولياء فاقطع العلائق واتصل
بخدمة الخالق فبكى حتى بل منديلا له ثم انصرف وكان من امره كيت وكيت من ترك الاهل والعيال والسكون
عند المقابر وتغيير الحال حتى توفى ذلك الشاب على الحالة التى اقبل عليها قال السرى فخلمت يوما عيناى فاذا به
يرفل فى السندس والاستبرق ويقول لى جزاك الله خيرا فقلت مافعل الله بك قال ادخلنى الجنة ولم يسألنى
عن ذنب انتهى (قل اتحاجوننا) المحاجة المجادلة ودعوى الحق واقامة الحجة على ذلك من كل واحد والهمزة
للانكار والتوبيخ وسبب نزول هذه الاية ان اليهود والنصارى قالوا ان الانبياء كانوا منا وعلى ديننا وديننا اقدم
فقال الله تعالى قل يا محمد لليهود والنصارى اتجادلوننا وتخاصموننا (فى الله) اى فى دينه وتدعون ان دينه الحق
هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا (وهو ربنا وربكم) اى والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا
لانه تعالى مالك امرنا وامركم (ولنا اعمالنا) الحسنة الموافقة لامره (ولكم اعمالكم) السيئة المخالفة لحكمه
فكيف تدعون انكم اولى بالله (ونحن له) اى لله تعالى (مخلصون) فى تلك الاعمال لا نبتغى بها الا وجهه فانى لكم
المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع فى دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وانتم به مشركون
والاخلاص تصفية العمل عن الشرك والرياء وحقيقته تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين (ام تقولون)
ام معادلة للهمزة فى قوله تعالى اتحاجوننا داخلة فى حيز الامر على معنى اى الامرين تأتون اقامة الحجة وتنوير
البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون
(ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهى حفدة يعقوب وهم اولاد اولاده الاثنى عشر
وعن الزجاج انه قال الاسباط فى ولد اسحق بمنزلة القبائل فى ولد اسماعيل فولد كل واحد من ولد اسحق
وولد اسماعيل (كانوا هودا او نصارى) فنحن مقتدون بهم والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما
اى كيف تحاجون وكيف تقولون فى حق الانبياء الذين بعثوا قبل نزول التوراة والانجيل انهم كانوا هودا
او نصارى ومن المحال ان يقتدى المتقدم بالمتأخر ويستن بسنته (قل) يا محمد (أانتم) الاستفهام للتقرير والتوبيخ
(اعلم) بدينهم (ام الله) اعلم (ومن اظلم) انكار لان يكون احد اظلم فالاستفهام بمعنى النفى (ممن كتم) اى ستر
واخفى عن الناس (شهادة) ثابتة (عنده) اى عندمن كائنة (من الله) قوله عنده ومن الله صفتان لشهادة
حاصلة عنده صادرة من الله تعالى يعنى يا اهل الكتاب قد علمتم بشهادة حصلت عندكم صادرة من الله تعالى
بان ابراهيم وبنيه كانوا حنفاء مسلمين بان اخبركم الله بذلك فى كتابكم ثم انكم تكتمونها وتدعون خلاف ما شهد الله
به فى حقهم فلا احد اظلم منكم حيث اجترأتم على تكذيب الله تعالى فيما اخبر به وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان
للايماء الى ان مرتبة من يردّها ويشهد بخلافها فى الظلم خارجة عن دائرة البيان وعن ابن عباس اكبر الكبائر
الاشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة قال تعالى ومن يكتمها فانه آثم قلبه والمراد مسخ القلب ونعوذ بالله
من ذلك (وما الله بغافل عما تعملون) ما موصولة عامة لجميع ما يكتسب بالجوارح الظاهرة والقوى الباطنة
ويدخل فيه كتمان شهادة الله دخولا اوليا اى هو محيط بجميع ما تأتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب
(تلك امة) اى الانبياء جماعة (قد خلت) اى مضت بالموت (لها ما كسبت) من الاعمال (ولكم ما كسبتم)
منها (ولا تسألون عما كانوا يعملون) اى لا يسأل احد عن عمل غيره بل يسأل عن عمله ويجزى به وهذا تكرير
للاية السابقة بعينها للمبالغة فى الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم قال الله تعالى
فاذا نفخ فى الصور فلا انساب قيل لما انصرف هارون الرشيد من الحج اقام بالكوفة اياما فلما خرج وقف
بهلول المجنون على طريقه وناداه باعلى صوته يا هارون ثلاثا فقال هارون من الذى ينادينى تعجبا فقيل له
بهلول المجنون فوقف هارون وامر برفع الستر وكان يكلم الناس وراء الستر فقال له الم تعرفنى قال بلى اعرفك
فقال من انا قال انت الذى لو ظلم احد فى المشرق وانت فى المغرب سألك الله عن ذلك يوم القيامة فبكى هارون

وقال

وقال كيف ترى حالى قال اعرضه على كتاب الله وهى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وقال اين اعمالنا
قال انما يتقبل الله من المتقين قال واين قرابتنا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاذا نفخ فى الصور
فلا انساب بينهم قال واين شفاعة رسول الله ايانا قال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له
قولا فلابد من الاعمال الصالحة والاخلاص فيها فان الله يتقبلها لا غيرها قال الجنيد الاخلاص سر بين
العبد وبين الله لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله قال الفضيل ترك العمل من اجل الناس
رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك عنهما وفى التتارخانية لو افتتح للصلاة خالصا لله
تعالى ثم دخل فى قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء على انه لو خلا عن الناس لا يصلى ولو كان مع الناس يحسنها
ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب اصل الصلاة دون الاحسان قال بعض الحكماء مثل من يعمل الطاعة للرياء
والسمعة كمثل رجل يخرج الى السوق وقد ملأ كيسه حصى فيقول الناس ما املأ كيس فلان ولا منفعة له
سوى مقالة الناس وفى الحديث اخلصوا اعمالكم لله تعالى فان الله تعالى لا يقبل الا ما خلص له ولا تقولوا هذا الله
وللرحم وليس لله منه شئ ومن احاديث المشارق لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله قال النووى
المراد الذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم او لموسى او غيرهما ذكر الشيخ ابراهيم المراودى ان ما يذبح عند استقبال
السلطان تقربا اليه افتى اهل بخارى بتحريمه لانه مما اهل به لغير الله وقال الرافعى هذا غير محرم لانهم انما يذبحونه
استبشارا بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب التحريم انتهى كلامه وعليه يحمل
افعال المسلمين صيانة لهم عن الكفر وضياع الاعمال فان الموحد مطمح نظره رضى مولاه والتعبد اليه بما تيسر له
من القربات اللهم اعصمنا عن الزلات (سيقول السفهاء) اى الذين ضعفت عقولهم حال كونهم (من الناس)
اى الكفرة يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وانما كانوا سفهاء لانهم راغبون
عن ملة ابراهيم وقد قال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه اى اذلها بالجهل والاعراض
عن النظر وفائدة تقديم الاخبار به قبل وقوعه ليوطنوا عليه انفسهم فلا يضطربوا عند وقوعه لان مفاجأة
المكروه اشد على النفوس واشق وليعلموا الجواب فان المتيد قبل الحاجة اليه اردّ لشغب الخصم الالد
وقبل الرمى يراش السهم وهو مثل يضرب فى تهيئة الالة قبل الحاجة اليها (ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها)
ما استفهامية انكارية مرفوعة المحل على الابتداء وولاهم خبره والجملة فى موضع النصب بالقول يقال تولى عن
ذلك اى انصرف وولى غيره اى صرفه والقبلة فى الاصل الحالة التى عليها الانسان من الاستقبال فنقلت فى عرف
الشرع الى الجهة التى يستقبلها الانسان للصلاة وهى من المقابلة وسميت قبلة لان المصلى يقابلها والمعنى
اى شئ صرفهم وحولهم عن قبلتهم التى كانوا على التوجه اليها وهى بيت المقدس ولم انصرفوا منها الى الكعبة
روى ان النبى عليه السلام صلى الى نحو بيت المقدس بعد مقدمه المدينة نحوا من سبعة عشر شهرا تأليفا لقلوب
اليهود ثم صارت الكعبة قبلة المسلمين الى نفخ الصور (قل) كانه قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل (لله المشرق
والمغرب) اى الامكنة كلها والنواحى باسرها لله تعالى ملكا وتصرفا فلا يستحق شئ منها لذاته ان يكون قبلة
حتى يمتنع اقامة غيره مقامه والشئ من الجهات انما يصير قبلة بمجرد ان الله تعالى امر بالتوجه اليها فله ان يأمر
فى كل وقت بالتوجه الى جهة من تلك الجهات على حسب الوهيته واستيلائه ونفاذ قدرته ومشيئته
فانه لا يسأل عما يفعل بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فاللائق بالمخلوق ان يطيع خالقه ويأتمر بامره من غير
ان يتحرى خصوصية فى المأمور به زائدة على مجرد كونه مأمورا به فان الطاعة له ليس الا بارتسام امره
اى امتثاله لا بتحرى العلل والاغراض الداعية له تعالى الى الامر لان احكام الله تعالى وافعاله ليست معللة
بالدواعى والاغراض واليهود انما استقبلوا جهة المغرب واتخذوها قبلة اتباعا لهوى انفسهم حيث زعموا
ان موسى عليه السلام كان فى جانب المغرب فاكرمه الله بوحيه وكلامه كما قال تعالى وما كنت بجانب الغربى
اذ قضينا الى موسى الامر والنصارى ايضا اتخذوا جهة المشرق قبلة اتباعا لهواهم حيث زعموا ان مريم عليها
السلام حين خرجت من بلدها مالت الى جانب الشرق كما قال الله تعالى واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت
من اهلها مكانا شرقيا والمؤمنون استقبلوا الكعبة طاعة لله تعالى وامتثالا لامره لا ترجيحا لبعض الجهات
المتساوية بمجرد رأيهم واجتهادهم مع انها قبلة خليل الله تعالى ومولد حبيبه صلى الله عليه وسلم (يهدى

من يشاء الى صراط مستقيم) وهو التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى ووجه استقامته كونه مشتملا
على الحكمة والمصلحة موافقا لهما قال بعض ارباب الحقيقة سمى الطاعنين من اليهود والمشركين والمنافقين
سفهاء لاحتجاب عقولهم عن حقيقة دين الاسلام ولو ادركوا الحق مطلقا لاخلصوه كما اخلص المؤمنون
فلم تبق محاجتهم معهم ولو كانت عقولهم رزينة لاستدلت بالايات وانكروا التحويل لانهم كانوا معتدين بالجهة
فلم يعرفوا التوحيد الوافى بالجهات كلها (قال المولى الجامى) جهان مرآت حسن شاهد ماهست *
فشاهد وجهه فى كل ذرات (وكذلك) اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اى كما جعلناكم مهتدين
الى الصراط المستقيم (جعلناكم) توحيد الخطاب فى كذلك مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق
بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين (امة وسطا) اى خيارا لان الاوساط محمية محوطة والاطراف
يتسارع اليها الخلل (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم (ويكون الرسول) اى محمد
صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) ان قلت ان الشاهد اذا اخبر بشهادته عديت الشهادة بكلمة على واذا انفع
بها تعدى باللام فيقال شهد له والرسول عليه السلام لما زكى امته وعدلهم بشهادته فقد انتفعوا بها فالظاهر
ان يقال ويكون الرسول لكم شهيدا بخلاف شهادة الامة على الناس فانها شهادة عليهم حيث استضروا بها
فكلمة على فيها واقعة فى موضعها قلت هذا مبنى على تضمين الشهيد معنى الرقيب والمطلع فعدى تعديته
والوجه فى اعتبار تضمين الشهيد الاشارة الى ان التعديل والتزكية انما يكون عن خبرة ومراقبة بحال الشاهد
فاذا شاهد منه الرشد والصلاح عدله وزكاه واثنى عليه والا يسكت عنه وقدمت صلة الشهادة اى عليكم
لاختصاصهم بشهادته صلى الله عليه وسلم على سبيل التزكية والتعديل وهو لا ينافى شهادته صلى الله عليه وسلم
للانبياء بالتبليغ وعلى منكرى التبليغ بالتكذيب روى ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين فى صعيد واحد
ثم يقول لكفار الامم الم يأتكم نذير فينكرون فيقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير فيسأل الانبياء عن ذلك فيقولون
كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم
انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا وانهم اتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون ارسلت الينا رسولا
وانزلت عليه كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل
عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم فيؤمر بالكفار الى النار قال بعض ارباب الحقيقة معنى شهادتهم
على الناس اطلاعهم بنور التوحيد على حقوق الاديان ومعرفتهم لحق كل دين وحق كل ذى دين من دينه
وباطلهم الذى ليس حقهم الذى هو مخترعات نفوسهم وطريق الحق واحد فمن تحقق بحق دين تحقق بحق سائر
الاديان وخاصة دين الاسلام الذى هو الحق الاعظم ومعنى شهادة الرسول عليهم اطلاعه على رتبة كل متدين
بدينه وحقيقته التى هو عليها من دينه وحجابه الذى هو به محجوب عن كمال دينه فهو يعرف ذنوبهم وحقيقة
ايمانهم واعمالهم وحسناتهم وسيآتهم واخلاصهم ونفاقهم وغير ذلك بنور الحق وامته يعرفون ذلك من سائر
الامم بنوره عليه السلام قال بعضهم جعلنا سبحانه آخر الامم تشريفا لحبيبه وامته لانه لو قدمنا لاحتجنا
ان ننتظر فى قبورنا قدوم الامم الماضية فجعلهم سبحانه فى انتظارنا تشريفا لنا وايضا جعلنا آخر الامم لنكون
يوم القيامة شهداء على جميع الامم الماضية ويكفى شرفا لهذه الامة المرحومة ما قال صلى الله عليه وسلم
فى حق علمائهم علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل وذكر الراغب الاصفهانى فى المحاضرات انه قال الامام الشاذلى
صاحب حزب البحر اضطجعت فى المسجد الاقصى فرأيت فى المنام قد نصب تخت خارج الاقصى فى وسط الحرم
فدخل خلق كثير افواجا افواجا فقلت ما هذا الجمع فقالوا جمع الانبياء والرسل قد حضروا ليشفعوا فى حسين
الحلاج عند محمد عليه افضل الصلاة والسلام لاساءة ادب وقعت منه فنظرت الى التخت فاذا نبينا محمد عليه
السلام جالس عليه بانفراده وجميع الانبياء عليهم السلام على الارض جالسون مثل ابراهيم وموسى وعيسى
ونوح فوقفت انظر واسمع كلامهم فخاطب موسى نبينا عليه السلام وقال له انك قد قلت علماء امتى كانبياء
بنى اسرائيل فارنا منهم واحدا فقال هذا واشار الى الامام الغزالى فسأله موسى سؤالا فاجابه بعشرة اجوبة
فاعترض عليه موسى بان السؤال ينبغى ان يطابق الجواب والسؤال واحد والجواب عشرة فقال الامام هذا
الاعتراض وارد عليك ايضا حين سئلت وما تلك بيمينك يا موسى وكان الجواب عصاى فعددت صفات كثيرة

قال

قال فبينما انا متفكر فى جلالة قدر محمد عليه السلام وكونه جالسا على التخت بانفراده والخليل والكليم والروح
جالسون على الارض اذ رفسنى شخص برجله رفسة مزعجة فانتبهت فاذا بقيم ثم غاب عنى فلم اجده الى يومى هذا
ومن هذا قال

وانسب الى ذاته ماشئت من شرف * وانسب الى قدره ماشئت من عظم

اللهم يسر لنا شفاعته (وما جعلنا القبلة) مفعول اول لجعلنا (التى كنت عليها) مفعول ثانى له بتقدير موصوف
اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة لانه عليه السلام كان مأمورا بان يصلى الى الكعبة وهو بمكة ثم لما هاجر
امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس التى منها يصعد الملائكة الى السماء ثم اعيد الى ما كان عليه اولا والمعنى
ما رددناك الى ما كنت عليه اى على استقباله والتوجه اليه وما جعلنا ذلك لشئ من الاشياء (الا لنعلم من
يتبع الرسول) فى التوجه الى ما امر به (ممن ينقلب) اى ينصرف ويرجع (على عقبيه) العقب مؤخر القدم
والانقلاب على العقبين مستعار للارتداد والرجوع عن الدين الحق الى الباطل ومعنى لنعلم ليظهر علمنا على
مظاهر الرسول والمؤمنين ويتميز عندهم الثابت على الاسلام الصادق فيه من المتردد الذى يرتد بادنى سبب لقلقه
وضعف ايمانه لا انه لم يعلم حالهم فعلم لانه تعالى كان عالما فى الازل بهم وبكل حال من احوالهم التى تقع فى كل
زمان من ازمنة وجودهم مقارنة للزمان الذى يقع فيه تلك الحال وكل من يعلم شيأ فانما يعلم بان يظهر ذلك العلم
فيه ويقرب من هذا ما قيل المعنى ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل
الزلفى عنده هذا هو المعنى الذى اختاره القاشانى فى تأويلاته وزيف ما عداه والعلم فى قوله لنعلم بمعنى المعرفة
اى لنعرف الذى يتبع الرسول فلا يحتاج الى مفعول ثان فان قيل ان الله لا يوصف بالمعرفة فلا يقال الله عارف
فكيف يكون العلم بمعنى المعرفة هنا قلت انما لا يوصف بها اذا كانت بمعناها المشهور وهو الادراك المسبوق
بالعدم واما اذا كانت بمعنى الادراك الذى لا يتعدى الى مفعولين فيجوز ان يوصف الله بها وقوله ممن ينقلب
حال من فاعل يتبع اى متميزا منه (وان كانت) اى القبلة المحولة (لكبيرة) اى شاقة ثقيلة على من يألف التوجه
الى القبلة المنسوخة فان الانسان الوف لما يتعوده يثقل عليه الانتقال منه وان هى المخففة من المثقلة واسمها
محذوف وهو القبلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية كما فى قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا (الا على
الذين هدى الله) اى هداهم الى حكمة الاحكام وارشدهم وعرفهم ان ما كلفه عباده متضمن لحكمة لا محالة
وان لم يهتدوا الى خصوصية تلك الحكمة بعينها فتيقنوا بذلك ان السعيد الفائز من اطاع ربه الحكيم وان الشقى
الخاسر من عصى ربه العليم وتيقنوا انهم مثابون على ذلك الثبات والاتباع وان ذلك غير ضائع عنهم فقال (وما كان
الله) مريدا (ليضيع ايمانكم) اى ثباتكم على التصديق بجميع ما جاء به النبى عليه السلام من غير ان ترتابوا
فى شئ من ذلك (ان الله بالناس) متعلق برؤف (لرؤف) اى ذو رحمة عظيمة لهم حيث نقلهم برحمته عن
ذلك الى هذا وهو اصلح لهم (رحيم) يغفر ذنوبهم بالايمان وايصال الرزق (قال السعدى) فرومانده كان را برحمت
قريب * تضرع كنانرا بدعوت مجيب * روى انه اخذ بعض امراء الكفار وكان جائرا قاتلا فى زمن
داود عليه السلام فصلب فوق الجبل عشاء ورجع الناس الى منازلهم وبقى هذا على الخشبة وحده وتضرع
الى آلهته فلم يغنوا عنه شيأ ثم رجع الى الله وقال انت الله الحق اتيت اليك لتغيثنى فاغثنى برحمتك قال الله
تعالى يا جبريل ان هذا عبد آلهه طويلا فلم ينفع ففزع الى ودعانى فاستجبت له فاهبط الى الارض وضعه
على الارض فى سلامة وعافية ففعل فلما اصبحوا رأوه وهو حى يصلى لله تعالى فاخبروا داود بذلك فدعا الله فيه
مستكشفا امره فاوحى الله اليه يا داود انى ارحم من آمن بى ودعانى فان لم افعل فاى فرق بينى وبين آلهته واعلم
ان جماعة قد ارتدوا عن الاسلام عند تحويل القبلة لتعلقهم بما سوى الله تعالى وعدم فنائهم فى الله ورضاهم
بما يجئ عليهم من القضاء فاخذتهم الكدرة كالسيئ واما الذين سعدوا بسعادة ازلية فلم يتعلقوا فى الحقيقة ببيت
المقدس ولا بالكعبة بل الرب الخالق لهما ولغيرهما وفنوا عن اراداتهم فجاءت ارادة الله لهم كالشهد المصفى
فاخذهم السرور والصفا (قال الصائب) مهياى فنارا از علايق نيست پروايى * نينديشد ز خال انكس كه
دامان بر كمر دارد * ذكر ان ابا القاسم الجنيد البغدادى لما رأوه فى وادى الوله ظنوا انه مرض او جن فجعلوه
فى دار الشفاء فزاره بعض من يدعى حبه فقال لهم من انتم فقالوا نحن احباؤك فرماهم بالاحجار ففروا من عنده

وقالوا قد غلب عليه الجنون فقال تدعون الحب باقوالكم وقد يكذبها افعالكم فالمحب من اسره ما اصابه
من الحبيب فلذلك قد عد اشد البلاء عند الانبياء والاولياء الذ من الحلوى فاكتسوا حلل التسليم والاصطبار
وغاصوا فى لجج المكاشفات والمشاهدات واشتغلوا مع الجنان واللسان بالتوحيد وذكر الملك المنان حتى عدوا
الالتفات الى غيره ولو باكل لقمة من الموانع فلذلك ارتقوا فى الفناء والبقاء الى غاية المبتغى ولما قال موسى عليه
السلام رب ارنى انظر اليك قال ياموسى لن ترانى فى البساط الفانى اصبر حتى اجعله باقيا حتى ترانى ياموسى
رعيت غنم شعيب عشر سنين اتريد ان ترانى بعبادة اربعين يوما ثم اصطفاه واعطاه ما اعطاه فلما رجع الى قومه
رأى فى الطريق الجبل الاعلى فسأل عنه متعجبا فقال الجبل ياموسى كنت ترعى الغنم فى وفى رأسك قلنسوة
وفى يدك عصا فالله الذى اصطفاك برسالاته وبكلامه لقد جعلنى الاعلى بفضله وانعامه اللهم اجعلنا على صراطك
المستقيم واتباع رسولك الكريم واهدنا التوجه الى كعبة ذاتك والانجذاب اليك والوصول الى مشاهدتك
(قد) لفظ قد فى المضارع للتقليل وقد استعمل ههنا للتكثير بطريق الاستعارة للمجانسة بين الضدين
فى الضدية (نرى) مستقبل لفظا ماض معنى ومتأخر تلاوة متقدم معنى لانها رأس القصة والمعنى شاهدنا وعلمنا
(تقلب وجهك) اى تردد وجهك فى تصرف نظرك (فى السماء) اى فى جهتها تطلعا للوحى وكان عليه السلام يقع
فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان
من حيث انها كانت مجزة لهم وامنا ومزارا ومطافا ولمخالفة اليهود فانهم كانوا يقولون انه يخالفنا فى ديننا
ثم الله يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين يستقبل فعند ذلك كره ان يتوجه الى قبلتهم حتى روى انه صلى الله عليه
وسلم قال لجبريل وددت ان الله صرفنى عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل انا عبد مثلك وانت كريم على
ربك فادع ربك وسله ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه
جبريل بالذى سأل ربه فانزل الله هذه الاية واول ما نسخ من المنسوخات هو خمسون صلاة نسخت الى خمسة
للتخفيف ثم تحويل القبلة الى بيت المقدس بمكة امتحانا للمشركين بعد ان كان للمصلى ان يتوجه حيث شاء
لقوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله ثم تحويلها من بيت المقدس الى الكعبة بالمدينة امتحانا لليهود كذا فى تفسير
الفاتحة للمولى الفنارى (فلنولينك قبلة) اى فوالله لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك
وليته كذا اى صيرته واليا له وولى الرجل ولاية اى تمكن منه اوفلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس
من وليه وليا اى قربه ودنا منه واوليته اياه ووليته اى ادنيته منه (ترضاها) مجاز عن المحبة والاشتياق لانه
عليه السلام لم يكن ساخطا للتوجه الى بيت المقدس كارها له غير راض اى تحبها وتتشوق اليها لا لهوى النفس
والشهوة الطبيعية بل لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اى اصرف
وجهك اى اجعل وجهك بحيث تلى شطره ونحوه والمراد بالوجه ههنا جملة البدن لان الواجب على المكلف
ان يستقبل القبلة بجملة بدنه لا بوجهه فقط ولعل تخصيص الوجه بالذكر التنبيه على انه الاصل المتبوع
فى التوجه والاستقبال والمتبادر من لفظ المسجد الحرام هو المسجد الاكبر الذى فيه الكعبة والحرام المحرم
اى محرم فيه القتال اوممنوع من الظلمة ان يتعرضوا له وفى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية
مراعاة جهة الكعبة باتفاق بين الحنفية والشافعية لان استقبال عينها للبعيد متعذر وفيه حرج عظيم بخلاف
القريب (وحيثما كنتم) اى فى اى موضع كنتم من الارض من بحر اوبر شرق اوغرب واردتم الصلاة
(فولوا وجوهكم شطره) فانه القبلة الى نفخ الصور امر بجميع المؤمنين بذلك بعد ما امر به النبى عليه
السلام تصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد حثا للامة على المتابعة (وان الذين اوتوا الكتاب)
من فريقى اليهود والنصارى (ليعلمون انه) اى التحويل الى الكعبة (الحق) اى الثابت كائنا (من ربهم) لما ان
المسطور فى كتبهم انه عليه السلام يصلى الى القبلتين بتحويل القبلة الى الكعبة بعد ما كان يصلى الى بيت
المقدس ومعنى من ربهم اى من قبله تعالى لا شئ ابتدعه الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه فانهم كانوا
يزعمون انه من تلقاء نفسه (وما الله بغافل عما تعملون) خطاب للمسلمين واليهود جميعا على التغليب فيكون
وعدا للمسلمين بالاثابة وجزيل الجزاء ووعيدا وتهديدا لليهود على عنادهم (ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
بكل آية) برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة هو الحق (ما تبعوا قبلتك) عنادا ومكابرة وهذا فى حق قوم

معينين علم الله انهم لا يؤمنون فان منهم من آمن وتبع القبلة (وما انت بتابع قبلتهم) حسم لاطماعهم
اذ كانوا ناجوا فى ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذى ننتظره وطمعوا فى رجوعه
الى قبلتهم (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم
كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل
لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته فى عناده (ولئن اتبعت اهواءهم) جمع هوى وهو الارادة والمحبة اى ولئن وافقتهم
فى مراداتهم بان صليت الى قبلتهم مداراة لهم وحرصا على ايمانهم (من بعد ما جاءك من العلم) اى من بعد ما علمت
بالوحى القاطع ان قبلة الله هى الكعبة (انك اذا) حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير
ما بينهما من النسبة (لمن الظالمين) اى المرتكبين الظلم الفاحش وهذه الجملة الشرطية الفرضية واردة على منهاج
التهييج والالهاب للثبات على الحق وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس من
شانه ذلك اذا نهى عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام فى سلك الراسخين فى الظلم فما ظن من ليس
كذلك (قال فى المثنوى) تازه كن ايمان نه از گفت زبان * اى هوارا تازه كرده در نهان * تا هوا تازه ست
ايمان تازه نيست * كين هوا جز قفل آن دروازه نيست (الذين آتيناهم الكتاب) ايتاء فهم ودراسة وهم
الاحبار (يعرفونه) اى الرسول صلى الله عليه وسلم (كما يعرفون ابناءهم) اى يعرفونه صلى الله عليه وسلم باوصافه
الشريفة المكتوبة فى كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكون
الذكور اشهر واعرف عندهم منهن وهم بصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق فان قيل لم لم يقل كما يعرفون انفسهم
مع ان معرفة الشخص نفسه اقرب اليه من معرفة سائر الاشياء فالجواب ما قال الراغب لان الانسان لا يعرف
نفسه الا بعد انقضاء برهة من دهره ويعرف ولده من حين وجوده (وان فريقا منهم) هم الذين كابروا وعاندوا
الحق (ليكتمون الحق وهم يعلمون) ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الكعبة قبلة الله والباقون
هم الذين آمنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما فى
تضاعيفه فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما كفرهم على وجه التقليد (الحق) الذى انت عليه يا محمد
(من ربك) خبر اوله الحق (فلا تكونن من الممترين) اى الشاكين فى كون الحق من ربك هذا خطاب له صلى
الله عليه وسلم والمقصود خطاب امته ونهيهم عن الامتراء ومعنى نهى الامة عن الامتراء امرهم بضده الذى
هو اليقين وطمأنينة القلب قال القشيرى حملهم مستكنات الحسد وسوء الاختيار على مكابرة ما علموا بالاضطرار
وكذلك المغلوب فى ظلمات نفسه يلقى جلباب الحياء فلا ينجع فيه ملام ولا يرده عن انهماكه كلام قال حضرة
الشيخ الشهير بافتاده افندى عندنا ثلاث مراتب احداها مرتبة التقليد وهى لعامة الناس والثانية مرتبة
التحقيق والايقان وهى للمجتهدين كالائمة الاربعة ومن يحذو حذوهم والثالثة مرتبة المشاهدة والعيان فهى
للكمل من اهل السلوك قال واذا لم تتطهر النفس من الاخلاق الرديئة لا تحصل المعارف الالهية وان كان
كاملا فى العقل والعلوم الا يرى ان الشيطان مع عقله وعلمه كيف استكبر وعصى امر الله تعالى لما فى نفسه
من الكبر والحسد وكذلك حال اهل الكتاب فى امر القبلة وشأن النبى صلى الله عليه وسلم حيث لم ينفع العلم
والمعرفة لخبث باطنهم فلا بد من تزكية النفوس وتصفية القلوب والاستقامة فى باب الحق الى ان يأتى اليقين
حكى ان يونس خدم شيخه طبق امره ثلاثين سنة بالصدق حتى تورم ظهره من نقل الحطب فلم يظهر وكان
شيخه نظرله فثقل ذلك على سائر الطالبين وقالوا انه يخدم الشيخ على محبة بنته حتى تكادوا فى ذلك الشيخ
فلما اتى بالحطب قال شيخه نعم الحطب المستقيم يا يونس فقال لان غير المستقيم لا يليق بهذا الباب وما تكلموا
فى حقه ليس على وجه النفاق بل لما رأوا انهم لا يتحملون لما يتحمل له يونس اشكل عليهم الامر فحملوا على
حب البنت وسؤال الشيخ ايضا وجواب يونس بهذا الوجه انما كان لارشادهم وازالة شبههم والا فالشيخ كان
يعرف احوال يونس ولم يحصل له سوء ظن من كلامهم لان من كان مرشدا لا يعرف حال المريد بكلام الغير
فى المدح والذم ثم زوج الشيخ بنته له وقال حتى لا يكون الاخوان كاذبين ولا يحصل لوم الجهالة وكانت البنت
متى قرأت القرءآن يقف الماء فلم يمسها يونس الى آخر عمره وقال انا لا اليق بها فللسالك فى مرتبة الطبيعة ان يترك
مقتضاها ويقتصر على قدر الكفاية من الاكل والشرب ولا يتقيد بتدارك ما تشتهيه طبيعته فان الخير

فى مخالفتها وفى مرتبة النفس ان يجتنب عن حب الاموال والاولاد فانهما فتنة ومعين لها على كبرها فانه
بكثرتهما واكثر الانفس لاتحب صرفها بل تدخرها ليزداد استكبارها وقد قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون
الامن اتى الله بقلب سليم فادام لم تصلح الطبيعة والنفس لايصل الطالب الى مطلوبه ففى الحج اشارة الى ذلك
فان قاصد البيت المكرم يترك استراحة بدنه ويبذل ماله الى ان يصل الى مشاهدته فكذلك قاصد رب البيت يفنى
عن جميع ماسواه ويكون فى توجهه وحدانيا هيولانيا حتى يشاهد ببصيرته مايشاهد فالصلاة مستقبلا
الى شطر المسجد الحرام عين التوجه الى الذات الاحدية لان الكعبة مثال صورى لحضرته تعالى وان المراد
من الاستقبال اليها الاقبال اليه تعالى مع انه لا يتقيد التوجه حقيقة لكن الاستقبال صورة رعاية للادب
ودور مع الامر الالهى فان الله تعالى فى كل شئ حكمة ومصلحة ومن تخلص عن القيود وانجذب الى الرب
المعبود فقد تجلى له قوله فاينما تولوا فثم وجه الله وظهر له سر الظاهر والمظهر عاشق ديد ازدل پرتاب *
حضرت حق تعالى اندر خواب * دامنش را كرفت آن غمخور * كه ندارم من از تو دست دكر *
چون بر آمد ز خواب خوش درويش * ديد محكم كرفته دامن خويش * فطوبى لمن دار مع الامر
الالهى وسلم عن الاعتراض وتخلص عن الانقباض وفنى عن اضافة الوجود الى نفسه وبقى بربه وبكمالاته اللهم
اجعلنا من المهديين الى هذه الرتبة العظمى والكعبة العليا واصرفنا فى مسالكنا عن الانحراف الى شئ من
الاخرة والدنيا (ولكل) اى لكل امة من الامم اعنى المسلمين واليهود والنصارى (وجهة) اى قبلة وجهة (هو)
راجع الى كل (موليها) اى محول وموجه تلك الجهة وجهه فقبلة كل امة من اهل الاديان المختلفة مغايرة لقبلة
الامة الاخرى (فاستبقوا الخيرات) اى الى الخيرات بنزع الجار والمراد جميع انواع الخيرات من امر القبلة وغيره
مما ينال به سعادة الدارين والمعنى لكل امة قبلة يتصلبون فى التوجه اليها بحيث لا ينصرفون عنها الى القبلة
الحق وان أتيتهم بكل آية دالة على ان القبلة هى الكعبة واذا كان الامر كذلك فاستبقوا انتم وبادروا الى الفعلات
الخيرات وهى ماثبت انه من الله تعالى ولاتقتفوا اثر المكابرين المستكبرين الذين يتبعون اهواءهم ويلقون
الحق وراء ظهورهم فانهم انما يستبقون الى الشر والفساد اذ ليس بعد الحق الا الضلال قال بعض اهل الحقيقة
معناه كل قوم اشتغلوا بغيرنا عنا واقبلوا على غيرنا فكونوا معاشر العارفين لنا واشتغلوا بنا عن غيرنا فان مرجعكم
الينا كما قال تعالى (اينما) اى فى اى موضع (تكونوا) انتم واعداؤكم (يأت بكم الله جميعا) يحشركم الله
الى المحشر للجزاء ويفصل بين المحق والمبطل فهو وعد لاهل الطاعة ووعيد لاهل المعصية (ان الله على كل شئ
قدير) فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع (ومن حيث خرجت) اى من اى مكان وبلد خرجت اليه للسفر
(فول وجهك) عند صلاتك (شطر المسجد الحرام) تلقاءه فان وجوب التوجه الى الكعبة لا يتغير بالسفر والحضر
حالة الاختيار بل الحكم فى الاسفار مثله حالة الاقامة بالمدينة (وانه) اى هذا المأمور به وهو تحويل القبلة
الى الكعبة (للحق من ربك) اى الثابت الموافق للحكمة (وما الله بغافل عما تعملون) فيجازيكم بذلك احسن
جزاء فهو وعد للمؤمنين (ومن حيث خرجت) اليه فى اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة
(فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم) ايها المؤمنون من اقطار الارض مقيمين اومسافرين وصليتم
(فولوا وجوهكم) من محالكم (شطره) كرر هذا الحكم وهو التحويل وتولية الوجه شطر المسجد لما ان القبلة
لها شأن خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة وتسويل الشيطان فبالحرى ان يؤكد امرها مرة غب اخرى
مع انه قد ذكر فى كل مرة حكمة مستقلة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) متعلق بقوله فولوا والمعنى ان التولية
عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التوراة قبلته الكعبة واحتجاج العرب بانه يدعى
ملة ابراهيم ويخالف قبلته وقوله عليكم فى الاصل صفة حجة فلما تقدم عليها امتنع الوصفية لامتناع تقدم الصفة
على الموصوف فانتصب على الحالية (الا الذين ظلموا منهم) استثناء من الناس اى لئلا يكون حجة لاحد من اليهود
الا للمعاندين منهم القائلين ماترك قبلتنا الى الكعبة الاميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم
قبلة الانبياء ولا حد من العرب من اهل مكة الا للمعاندين منهم الذين قالوا بداله فرجع الى قبلة آبائه ويوشك
ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها اخس الاباطيل لانهم كانوا يسوقونها مساقها
ويوردونها سوقها فسميت حجة مجازا تهكما بهم (فلا تخشوهم) فلا تخافوهم فى توجهكم الى الكعبة ومظاهرهم

عليكم

عليكم لسنيه فان مطاعنهم لاتضركم شيأ (واخشونى) بامتثال امرى فلا تخالفوا امرى ومارأيته مصلحة لكم
فانى ناصركم (ولاتم نعمتى عليكم) علة لمحذوف اى امرتكم بتولية الوجوه شطره لاتمامى النعمة عليكم
لما انه نعمة جليلة وما وقع من اوامر الله تعالى وتكاليفه وائتمار المكلف بالتوجه الى حيث وجهه الله تعالى
وان كان نعمة يتوصل به الى الثواب الجزيل الا ان امره تعالى بالتوجه الى قبلة ابراهيم تمام النعمة فى امر القبلة
فان القوم كانوا يفتخرون باتباع ابراهيم فى جميع ما كانوا يفعلونه فلما وجهوا الى قبلته بعد ماصرفوا عنها لمصلحة
حادثة فقد اصابوا تمام النعمة فى امر القبلة فان نعمة الله تعالى على عباده ضربان موهوب ومكتسب
فالموهوب نحو صحة البدن وسلامة الاعضاء وغيرهما والمكتسب نحو الايمان والعمل الصالح بامتثال الاوامر
والاجتناب عن المناهى فان ذلك كله يؤدى الى سعادة الدارين (ولعلكم تهتدون) اى ولارادتى اهتداءكم
الى شعائر الملة الحنيفية وشرآئع الدين القويم (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم) متصل بما قبله اى ولاتم نعمتى
عليكم فى امر القبلة اتماما كائنا كاتمامى لها بارسال رسول كائن منكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم فان ارسال
الرسول لاسيما المجانس لهم نعمة لم تكافئها نعمة قط (يتلو عليكم آياتنا) وهو القرءآن العظيم (ويزكيكم)
اى يحملكم على ماتصيرون به ازكياء طاهرين عن دنس الذنوب المكدرة لجوهر النفس لان شأن الرسل الدعوة
والحث على اعمال يحصل بها طهارة نفوس الامة من الشرك والمعاصى لاتطهيرهم اياهم بمباشرتهم من اول
الامر (ويعلمكم الكتاب) اى ما فى القرءآن من المعانى والاسرار والشرآئع والاحكام التى باعتبارها وصف
القرءآن بكونه هدى ونورا فانه عليه السلام كان يتلوه عليهم ليحفظوا نظمه ولفظه فيبقى على السنة اهل التواتر
مصونا عن التحريف والتصحيف ويكون معجزة باقية الى يوم القيامة ويكون تلاوته فى الصلاة وخارجها نوعا
من العبادة والقربة ومع ذلك كان يعلم مافيه من الحقائق والاسرار ليهتدوا بهداه وانواره (والحكمة) هى
الاصابة فى القول والعمل ولا يسمى حكيما الامن اجتمع له الامران كذا قال الامام من احكمت الشئ اى رددته
عما لايعنيه وكان الحكمة هى التى تردع عن الجهل والخطأ واعلم ان العمل بالقرءان متفرع على معرفة معناه
وهو متفرع على معرفة الفاظه والتزكية غاية اخيرة لانها متفرعة على العمل لكنها قدمت فى الذكر نظرا
الى تقدمها فى التصور (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) قال الراغب ان قيل ما معنى ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون
وهل ذلك الا الكتاب والحكمة قيل عنى بذلك العلوم التى لا طريق الى تحصيلها الا من جهة الوحى على السنة
الانبياء ولا سبيل الى ادراك جزئياتها وكلياتها الا به وعنى بالحكمة والكتاب ما كان للعقل فيه مجال فى معرفة
شئ منه واعاد ذكر ويعلمكم مع قوله مالم تكونوا تعلمون تنبيها على انه مفرد عن العلم المتقدم ذكره (فاذكرونى)
بالطاعة لقوله عليه السلام من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وقرآءته القرءآن ومن عصى الله
فقد نسى الله وان كثرت صلاته وقرآءته القرءآن (اذكركم) بالثواب واللطف والاحسان وافاضة الخير
وفتح ابواب السعادات واطلق على هذا المعنى الذكر الذى هو ادراك مسبوق بالنسيان والله تعالى منزه عن
النسيان بطريق المجاز والمشاكلة لوقوعه فى صحبة ذكر العبد (واشكروالى) على ما انعمت عليكم من النعم
والذكر بالطاعة هو الشكر فقوله واشكروالى امر بتخصيص شكرهم به تعالى لاجل افضاله وانعامه عليهم
وان لايشكروا غيره وجعل صاحب التيسير قوله تعالى فاذكرونى امرا بالقول وقوله واشكروالى امرا بالعمل
قال الراغب ان قيل ما الفرق بين شكرت لزيد وشكرت زيدا قيل شكرت له هو ان تعتبر احسانه الصادر عنه فتثنى
عليه بذلك وشكرته اذا لم تلتفت الى فعله بل تجاوزت الى ذكر ذاته دون اعتبار احواله وافعاله فهو ابلغ
من شكرت له وانما قال واشكروالى ولم يقل واشكرونى علما بقصورهم عن ادراكه بل عن ادراك الائه كما قال تعالى
وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها فامرهم ان يعتبروا بعض افعاله فى الشكر لله (ولا تكفرون) بجحد النعم وعصيان
الامر فان قيل لم قال بعد واشكروالى ولا تكفرون ولم يقتصر على قوله واشكروالى قلنا لواقتصر على قوله
واشكروالى لكان يجوز ان يتوهم ان من شكره مرة او على نعمة ما فقد امتثل ولواقتصر على قوله ولا تكفرون
لكان يجوز ان يتوهم ان ذلك نهى عن تعاطى فعل قبيح دون حث على الفعل الجميل فجمع بينهما لازالة هذا
التوهم ولان فى قوله ولا تكفرون تنبيها على ان ترك الشكر كفران فان قيل لم قال ولا تكفرون ولم يقل ولا تكفروالى
قيل خص الكفر به تعالى بالنهى عنه للتنبيه على انه اعظم قباحة بالنسبة الى كفر نعمه فان كفران النعم قد يعفى

عنه بخلاف الكفر به تعالى كذا فى تفسير الراغب الاصفهانى قال بعض العلماء لما خص الله هذه الامة بفضل قوة وكمال بصيرة بالنسبة الى بنى اسرائيل قال لهم يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم فامرهم بذكر نعمه المنسية المغفول عنها لينظروا منها الى المنعم وقال لهذه الامة فاذكرونى فامرهم ان يذكروه بلا واسطة لقوة بصيرتهم (قال الصائب) درسر هر خام طينت نشأ منصور نيست * هر سفالى را صداى كاسهٔ فغفور نيست * قال الامام الغزالى الذكر قد يكون باللسان وقد يكون بالقلب وقد يكون بالجوارح فذكرهم اياه باللسان ان يحمدوه ويسبحوه ويمجدوه ويقرؤا كتابه وذكرهم اياه بقلوبهم على ثلاثة انواع احدها ان يتفكروا فى الدلائل الدالة على ذاته وصفاته ويتفكروا فى الجواب عن الشبه العارضة فى ملك الله وثانيها ان يتفكروا فى الدلائل الدالة على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده فاذا عرفوا كيفية التكاليف وعرفوا ما فى الفعل من الوعد وفى الترك من الوعيد سهل عليهم الفعل وثالثها ان يتفكروا فى اسرار مخلوقات الله تعالى حتى يصير كل ذرة من ذرات المخلوقات كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم القدس فاذا نظر العبد اليها انعكس شعاع بصره منها الى عالم الجلال وهذا المقام مقام لا نهاية له واما ذكرهم اياه تعالى بجوارحهم فهى ان تكون جوارحهم مستغرقة فى الاعمال التى امروا بها وخالية عن الاعمال التى نهوا عنها وعلى هذا الوجه سمى الله تعالى الصلاة ذكرا بقوله فاسعوا الى ذكر الله فصار الامر بقوله اذكرونى متضمنا لجميع الطاعات ولهذا ذكر عن سعيد بن جبير انه قال اذكرونى بطاعتى فاجمله حتى يدخل فيه جميع انواع الذكر واقسامه انتهى كلام الامام قال لقمان لابنه يا بنى اذا رأيت قوما يذكرون الله تعالى فاجلس معهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك وان تك جاهلا علموك ولعل الله يطلع عليهم برحمته فيصيبك معهم واذا رأيت قوما لا يذكرون فلا تجلس معهم فانك ان تك عالما لا ينفعك علمك وان تك جاهلا يزيدونك جهلا او غيا ولعل الله يطلع عليهم بسخطه فيصيبك معهم اللهم اجعلنا من الذاكرين (يا ايها الذين آمنوا استعينوا) فى كل ما تأتون وما تذرون (بالصبر) على الامور الشاقة على النفس كالصبر عن المعاصى وحظوظ النفس (والصلاة) التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وتلا هذه الاية وانما خص الصبر والصلاة بالذكر لان الصبر اشد الاعمال الباطنة على البدن والصلاة اشد الاعمال الظاهرة عليه لانها مجمع انواع الطاعات من الاركان والسنن والآداب والحضور والخضوع والتوجه والسكون وغير ذلك مما لا يتيسر حفظه الا بتوفيق الله تعالى قال عصام الدين قدم الترك على الفعل لان التخلية قبل التحلية ولهذا قدم النفى فى كلمة التوحيد واكتفى بذكر الصلاة لان الخطاب لكل من المؤمنين والمشترك بين الجميع بعد الايمان الصبر عن المعاصى والصلاة واما الزكاة فمختصة باصحاب النصاب واما الحج فباصحاب الاستطاعة والصوم صبر عن معصية الاكل والشرب وغيره (ان الله مع الصابرين) بالنصرة واجابة الدعوة فمعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة لهما ودخول مع على الصابرين لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية قال عصام الدين فى التفسير الاجل ان الله مع الصابرين لان الصابرين لا يذهلون عن ذكره بخلاف المجتنبين عن الصبر فان قلوبهم لاهية عن ذكر الله والقلب اللاهى عنه ممتلئ من هموم الدنيا وان كانت الدنيا باسرها له انتهى كلامه ان قيل لم قال ان الله مع الصابرين ولم يقل مع المصلين وقال فى الاية الاخرى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة فاعتبر الصلاة دون الصبر قيل لما كان فعل الصلاة اشرف واعلى من الصبر اذ قد ينفك الصبر عن الصلاة ولا ينفك الصلاة عن الصبر ذكر ههنا الصابرين فمعلوم انه تعالى اذا كان مع الصابرين فهو لا محالة يكون مع المصلين بطريق الاولى وقال هناك لكبيرة فذكر الصلاة دون الصبر تنبيها على انها اشرف منزلة من الصبر واعلم ان الصبر الذى هو تحمل المشاق من غير جزع واضطراب ذريعة الى فعل كل خير ومبدأ كل فضل فان اول التوبة الصبر عن المعاصى واول الزهد الصبر عن المباحات واول الارادة الصبر وطلب ترك ما سوى الله تعالى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وقال الصبر خير كله فمن تحلى بحلية الصبر سهل عليه ملابسة الطاعات والاجتناب عن المنكرات وكذا الصلاة قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر صبر كن حافظ بسختى روز وشب * عاقبت روزى بيابى كام را * وفى الحديث اذا جمع الله الخلائق نادى مناد اين اهل الفضل قال فيقوم ناس وهم يسيرون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة

فيقولون

فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فمن انتم قالوا نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم قالوا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيئ الينا عفونا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين ثم ينادى مناد اين اهل الصبر فيقوم ناس يسيرون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فمن انتم فيقولون اهل الصبر فيقولون ما كان صبركم قالوا كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصى الله فيقال لهم ادخلوا الجنة ثم ينادى مناد اين المتحابون فى الله فيقوم ناس يسيرون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون من انتم فيقولون نحن المتحابون فى الله فيقولون وما كان تحابكم فى الله قالوا كنا نتحاب فى الله والجنة كذا فى نزهة القلوب (ولا تقولوا) نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وكان الناس يقولون (لمن يقتل) فى سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فانزل الله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل القتل نقض البنية الحيوانية (فى سبيل الله) وهو الجهاد لانه طريق الى ثواب الله ورحمته (اموات) اى هم اموات (بل احياء) اى كالاحياء فى الحكم لا ينقطع ثواب اعمالهم لانهم قتلوا لنصرة دين الله فما دام الدين ظاهرا فى الدنيا واحد يقاتل فى سبيل الله فلهم ثواب ذلك لانهم سنوا هذه السنة (ولكن لا تشعرون) كيف حالهم فى حياتهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة الجسمانية وانما هى امر روحانى لا يدرك بالعقل بل بالوحى وفى الاية دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه الجمهور فان قلت الحياة الروحانية المستتبعة لادراك اللذة والالم مشتركة فى الجميع فما وجه تخصيص الشهداء بها قلت لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ومن يبلغ منزلتهم لا تكون حياته معتدا بها فكأنه ليس بحى قال تعالى فى حق اهل النار لا يموت فيها ولا يحيى واعلم ان نفس الانسان وذاته الذى هو مخاطب مكلف مأمور منهى باوامر الله ونواهيه جسمانى لطيف سار فى هذا البدن المحسوس سريان النار فى الفحم وماء الورد فى الورد وهو الذى يشير اليه كل احد بقوله انا وهو الانسان حقيقة وهو الولى والنبى والمثاب والمعاقب على اعماله وهو كان فى صلب آدم حين سجد له الملائكة وهو الذى سأله الله بقوله الست بربكم قالوا بلى وهو الذى يتوفى فى المنام فيخرج ويسرح ويرى الرؤيا فيسر بما يرى او يحزن فان امسكه الله ولم يرجع الى جسده تبعه الروح والجسد الكثيف المعبر عنه بالبدن والروح السلطانى محل تعينه هو القلب الصنوبرى والروح الحيوانى محل تعينه هو الدماغ ويقال له القلب والعقل والنفس ايضا يسرى فى جميع اعضاء البدن الا ان سلطنة قوى فى الدماغ فهو اقوى مظاهره وهواء الروح الحيوانى انما حدث بعد تعلق الروح السلطانى بهذا الهيكل فهو من انعكاس انوار الروح السلطانى ليكون مبدأ الافعال لان الحياة امر مغيب مستور فى الحى لا يعلم الا بآثارها كالحس والحركة والعلم والارادة وغيرها وهذا يدور على الروح الحيوانى فما دام هذا البخار باقيا على الوجه الذى يصلح ان يكون علاقة بينهما فالحياة قائمة وعند انتفائه وخروجه عن الصلاحية له تزول الحياة ويخرج الروح عن البدن خروجا اضطراريا وهو الموت الحقيقى وكما يخرج الروح عن البدن خروجا اضطراريا كذلك قد يخرج عنه خروجا اختياريا ويعود اليه متى شاء وهو الذى سماه الصوفية بالانسلاخ فقد عرفت من هذا ان مذهب اهل السنة والجماعة ان الروح جسم لطيف مغاير لهذا الهيكل المحسوس وانكشف لك حال الروح ووقفت على اسرار البرزخ واحوال القبر وما فيه من الالم واللذة الجسمانيين وانحل عندك وجه كونه روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فالشهداء احياء بالحياة البرزخية متنعمون لانهم اجسام لطيفة كالملائكة فانهم موجودون احياء قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة كل نعيم يتنعم به الصديقون والشهداء والصالحون فى البرزخ خيالى وكذا كل عذاب يتألم به الجهنميون ومصداق ذلك انه اذا نفخ فى الصور وبعث الخلق ينسى كل واحد منهم حاله فى البرزخ ويتخيل ان ذلك الذى كان فيه منام كما تخيله المستيقظ وقد كان حين مات وانتقل الى البرزخ كالمستيقظ هنالك وان الحياة الدنيا كانت له كالمنام وفى الآخرة يعتقد فى امر الدنيا والبرزخ انه منام فى منام وان اليقظة الصحيحة هى التى هو عليها فى الدار الآخرة حيث لا نوم فيها ولا نوم بعدها انتهى كلامه قال فى اسئلة الحكم ان امور البرزخ والآخرة على النمط الغير المألوف فى الدنيا والارواح بعد الموت ليس لها نعيم ولا عذاب حسى جسمانى لكن ذلك نعيم او عذاب معنوى حتى تبعث اجسادها فترد اليها فتتنعم عند ذلك حسا ومعنى الا ترى الى بشر الحافى قدس سره لما رؤى فى المنام قيل له ما فعل الله بك قال غفر لى

واباح لى نصف الجنة يعنى روحه متنعمة بالجنة بما يليق بها فى مقامه والنصف الاخر هو الجنة التى يدخلها ببدنه اذا حشر فيكمل النعيم بالنصف الاخر والاكل الذى رآه الميت بعد موته فى البرزخ هو كالاكل الذى يراه النائم فى النوم والنعيم به مثل النعيم به سوآء كما قال عليه السلام انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وكذلك كل شخص غيران الفرق بين الرسول وغيره فى هذه الصورة ان جسم النبى يبيت جائعا ويستيقظ وهو شبعان وغير النبى يأكل فى منامه وهو جيعان ويستيقظ وهو كذلك واذا رأى الولى الوارث ذلك وقد وجد اثر الشبع او الرى فذلك من اجزآء النبوة التى وردت فى الميراث اذ الرؤيا جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وقد رأى ذلك كثير من الاولياء واصبحوا وعليهم رآيحة الطعام الذى اكلوه وشبعوا فهذه وراثة نبوية فقوله عليه السلام انى لست كهيئتكم باعتبار الغالب لا باعتبار الكل فتنعم الشهدآء فى البرزخ بمرتبة تنعم الولى الوارث فى المنام فافهم هذا المقام فان الجسم المبحوث عنه ههنا هو الجسم اللطيف وتنعم بما يليق بمرتبته فى البرزخ سوآء عبرت عنه بالخيالى او بالمعنوى او بالجسمانى اى المنسوب الى الجسم اللطيف لا الكثيف فان اللذة الجسمانية المتعلقة بالجسد الكثيف حال الدنيا لا غير قيل يا رسول الله هل يحشر مع الشهدآء احد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة وفى التأويلات النجمية الاشارة لا تحسبوا من قتل من اهل الجهاد الاكبر بسيف جلال الله فى سبيل الله بالفناء فى الله امواتا وان فنيت اوصاف وجودهم فانهم احياء بشهود موجدهم ومن كان فناؤه فى الله كان بقاؤه بالله فتارة يفنيهم بسطوات تجلى صفات الجلال وتارة يحييهم بنفحات الطاف الجمال فانهم يسرحون فى رياض الجمال ولكن لا تشعرون احوالهم ولا تطلعون عليها قال القشيرى لئن فنيت فى الله اشباحهم لقد بقيت بالله ارواحهم وقال الجنيد من كانت حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كانت حياته بربه فانه ينتقل من حياة الطبع الى حياة الاصل وهو الحياة الحقيقية (وفى المثنوى) مى كند دندان بدر زان طبيب * تا رهد از درد وبيمارى حبيب پس زيادتها درون نقصهاست * مر شهيدانرا حيات اندر فناست * كر بكى سررا ببرد از بدن * صد هزاران سر برارد در زمن * حلق ببريده خورد شربت ولى * خلق از لا رسته مرده در بلى (ولنبلونكم) اللام جواب قسم محذوف اى والله لنعاملنكم معاملة المبتلى هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء ام لا اذ البلاء معيار كالمحك يظهر به جوهر النفس وذلك لنظهر لكم منكم المطيع من العاصى لا لنعلم شيأ لم نكن عالمين به (بشئ من الخوف) اى بقليل من خوف الاعدآء وانما قلله لان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالف مرة (و) شئ من (الجوع) اى القحط والسنة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ويسهل لهم الصبر عليه فان مفاجأة المكروه اشد على النفس من اصابته مع ترقبه (ونقص من الاموال) عطف على شئ اى وبنقص شئ قليل من ذلك بالسرقة والاغارة واخذ السلطان والهلاك والخسران (والانفس) اى بالقتل والموت او بالمرض والشيب (والثمرات) اى وذهاب ثمرات الكروم والاشجار بالبرد والسموم والريح والجراد وغيرها من الآفات وقد يكون نقص الثمرات بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعى رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكاة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وفى الحديث اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد قال بعض اهل المعرفة مطالبات الغيب اما ان تكون بالمال او بالنفس او بالاقارب او بالقلب او بالروح فمن اجاب بالمال فله النجاة ومن اجاب بالنفس فله الدرجات ومن صبر على فقد الاقارب فله الخلف والقربات ومن لم يدخر عنه الروح فله دوام المواصلات (وبشر) الخطاب للرسول او لمن يتأتى منه البشارة لتعظيم الصبر وتفخيمه لانه فضيلة عظيمة الثواب وخصلة من خصال الانبياء والاولياء فيستحق صاحبه ان يبشر كل احد (الصابرين) على البلايا (الذين اذا اصابتهم) الاصابة ضد الخطأ (مصيبة) هى ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شئ يؤذى المؤمن فهو له مصيبة واصلها الوصول من صاب السهم المرمى واصابه وصل اليه (قالوا انا لله) اى نحن عبيد الله والعبد وما فى يده لمولاه فان شاء ابقاه فى ايدينا وان شاء استرده منا فلا نجزع بما هو ملكه بل نصبر فان عشنا فعليه رزقنا وان متنا وانا اليه راجعون فاليه مردنا وعنده ثوابنا ونحن راضون بحكمه فما اعطانا ربنا كان فضلا منه ولا يليق بكرمه الارتجاع فى عطاياه وانما اخذه ليكون ذخيرة لنا

عنده فقولنا انا لله اقرار منا له تعالى بالملك (وانا اليه راجعون) اقرار على انفسنا بالهلك وقيل الرجوع اليه تعالى ليس عبارة عن الانتقال الى مكان وجهة فان ذلك على الله محال بل المراد منه ان نصير الى حيث لا يملك الحكم فيه سواه وذلك هو الدار الاخرة اذ لا حاكم فيها حقيقة وبحسب الظاهر الا الله تعالى بخلاف دار الدنيا فان غير الله قد يملك الحكم فيها بحسب الظاهر وقول المصاب عند مصيبته انا لله وانا اليه راجعون له فوآئد منها الاشتغال بهذه الكلمة عن كلام لا يليق ومنها انها تسلى قلب المصاب وتقلل حزنه ومنها انها تقطع طمع الشيطان فى ان يوافقه فى كلام لا يليق ومنها انه اذا سمعه غيره اقتدى به ومنها انه اذا قال ذلك بلسانه يتذكر بقلبه الاعتقاد الحسن والتسليم لقضاء الله وقدره فان المصاب يدهش عند المصيبة فيحتاج الى ما يذكره التسليم المذكور وفى الحديث ما من مصيبة تصيب عبدا فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرنى من مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا آجره الله فى مصيبته واخلف له خيرا منها قال سعيد بن جبير ما اعطى احد فى المصيبة ما اعطى هذه الامة يعنى الاسترجاع ولو اعطيه احد لاعطى يعقوب الا تسمع الى قوله فى قصة فقد يوسف يا اسفى على يوسف وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وهو الانقياد لله تعالى فى جميع ما كلفه به من التكاليف والتسليم لقضاء الله وقدره فى جميع ما اخذه واعطاه فان من اختص لله تعالى ملكا وملكا كيف ينازعه فى ملكه ولا يرضى بقضائه وملاحظة ان ما فى عالم الملك كله لله تعالى يذكر نعم الله وتذكرها يستلزم العلم بان ما بقى عليه اضعاف ما استرده منه والمبشر به محذوف دل عليه قوله تعالى (اولئك) اى الصابرون الموصوفون بما ذكر (عليهم صلوات) كائنة (من ربهم ورحمة) اى رحمة ووجه الجمع فى الصلوات الدلالة على الكثرة والتكرير واستغنى بتنكير التعظيم فى رحمة عن ايرادها بلفظ الجمع ويندرج فى رحمته تعالى ايصال المسار ودفع المضار فى الدنيا والاخرة وجمع بين الصلاة والرحمة للايذان بان رحمته غير منقطعة فالمعنى عليهم فنون الرحمة المتوالية الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم قال بعضهم الصلاة من الله المدح والثناء والتعظيم والرحمة اللطف والاحسان فلا تكرار (واولئك هم المهتدون) المختصون بالاهتدآء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعن ابن مسعود رضى الله عنه لأن اخر من السماء احب الى من ان اقول فى شئ قضاه الله ليته لم يكن وقال على رضى الله عنه من ضرب بيده على فخذه عند مصيبة فقد حبط اجره اى بطل ثوابه قيل المكاره التى تصيب الانسان اذا اصابته من قبل الله تعالى يجب الصبر عليها لان ما جاء من جهة العدل الحكيم ليس الا مقتضى عدله وحكمته فيجب عليه ان يرضى لعلمه بانه تعالى لا يقضى الا بالحق وان اصابته من جهة الظلمة فلا يجب عليه ان يصبر عليها بل جاز له ان يمانعه بل يحاربه وان قتل بمحاربته يكون شهيدا واعلم ان البلاء سبب للتصفية كما قال عليه السلام ما اوذى نبى مثل ما اوذيت اى ما صفى نبى مثل ما صفيت والوفاء والجفاء سيان عند العشاق (كما قال) صائب شكايت از ستم يار چون كند * هر جا كه عشق هست وفا وجفا يكيست * قال الحسن رضى الله عنه سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا بنى عليك بالقنوع تكن من اغنى الناس واداء الفرآئض تكن من اعبد الناس يا بنى ان فى الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى باهل البلاء يوم القيمة فلا ينشر لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان يصب عليهم الاجر صبا ثم قرأ انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولو لم يكن فى الصبر الا حكاية الطير الذى فى عهد سليمان عليه السلام لكفى وذلك ان طيرا فى عهد سليمان عليه السلام كان له صوت حسن وصورة حسنة اشتراه رجل بالف درهم وجاءه طير آخر فصاح صيحة فوق قفصه وطار فسكت الطير وشكا الرجل الى سليمان عليه السلام فقال احضروه فلما احضروه قال سليمان عليه السلام اصاحبك عليك حق حتى اشتراك بثمن غال فلم سكت فقال يا نبى الله قل له حتى يرفع قلبه عنى انى لا اصيح ابدا ما دمت فى القفص قال لم قال لان صياحى كان من الجزع الى الوطن والاولاد وقال لى ذلك الطير انما حبسك لاجل صوتك فاسكت حتى تنجو فقال سليمان عليه السلام للرجل ما قال الطير فقال الرجل ارسله يا نبى الله فانى كنت احبسه لصوته فاعطاه سليمان عليه السلام الف درهم ثم ارسل الطير ثم طار وصاح سبحان من صورنى وفى الهوآء طيرنى ثم فى القفص صبرنى ثم قال سليمان عليه السلام ان الطير ما دام فى الجزع لم يفرج عنه فلما صبر فرج عنه ومثل هذا فى الحقيقة اشارة الى الفناء عن اوصاف النفس فان المرء ما لم يمت باختياره قبل اضطراره لا يصل الى الحياة الحقيقية (قال فى المثنوى) دانه باشى مرغكانت بر چنند *

غنچه باشی کود کانت بر کنند * هرکه واداد حسن خود را درمزاد * صد قضای بد سوی او رو نهاد *
تن قفص شکلست وتن شد خار جان * در فریب داخلان وخارجان قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده
افندى قدس سره لا بد من نفى الانية واضمحلال الوجود فى بحر الوجود الحقيقى حتى يتم المقصود ويحصل
(قال الصائب) ترك هستى كن كه آسوده ست از تاراج سيل * هركه پيش از سيل رخت خود برون از خانه ريخت
قال حضرة الشيخ افتاده افندى قدس سره العبور عن المراتب محال مرتبة يقال لها وادى الحيرة يعرف
السالك فيها مطلوبه ولكن لا يقدر على الوصول فيدور فى ذلك الوادى بالحيرة والحرارة ويحرق الانية بتلك الحرارة
ويقال له وادى الحيرة لان السالك يتحير ولا يقدر على الذهاب والرجوع وقوله عليه السلام اللهم زدنى حيرة اشارة
الى ذلك وتلك المرتبة لا تتيسر لكثير والعبور عنها لا يمكن الا بارشاد مرشد كامل اللهم هيئنا لتجليات اسمائك
وصفاتك وافض علينا من كاسات مشاهدات كمال ذاتك (ان الصفا) علم لجبل بمكة وسمى الصفا لانه جلس
عليه آدم صفى الله (والمروة) علم لجبل فى مكة ايضا وسمى المروة لانها جلست عليها امرأة آدم حوا عليهما السلام
(من شعائر الله) جمع شعيرة بمعنى العلامة اى من اعلام طاعة الله فان كل واحد من المواقف والمساعى والمنحر
جعله الله تعالى علامة لنا يعرف به العبادة المختصة به روى انه كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له
اساف وصنم على المروة على صورة امرأة يقال لها نائلة يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا فى الكعبة فمسخا
حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا بين الصفا والمروة
مسحوهما تعظيما لهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لانه فعل الجاهلية فاذن الله
تعالى فى الطواف بينهما واخبر انهما من شعائر الله والحكمة فى شرعية السعى بين الصفا والمروة ما حكى ان هاجر
لما ضاق عليها الامر فى عطشها وعطش اسمعيل سعت فى هذا المكان الى ان صعدت الجبل ودعت فانبع الله لها
زمزم واجاب دعاءها فجعلها طاعة لجميع المكلفين الى يوم القيامة وفى الخبر الصفا والمروة بابان من الجنة وموضعان
من مواضع الاجابة ما بينهما قبر سبعين الف نبى وسعيهما يعدل سبعين رقبة (فمن حج البيت او اعتمر) الحج فى اللغة
القصد والعمرة الزيارة وفى الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة (فلا جناح عليه) اى لا اثم عليه واصله من جنح
اى مال عن القصد والخير الى الشر (ان يطوف بهما) اى فى ان يطوف بهما ويدور فازال عنهم الجناح لانهم
توهموا ان يكون فى ذلك جناح عليهم لاجل فعل الجاهلية وهو لا ينافى كون هذا الطواف واجبا كما عند
الحنفية لان قولنا الاثم فى فعل امر كذا يصح اطلاقه على الواجب واصل يطوف يتطوف وفى ايراد التفعل ايذان
بان من حق الطائف ان يتكلف فى الطواف ويبذل فيه جهده (ومن تطوع خيرا) اصل التطوع الفعل طوعا
لا كرها كانه قيل من فعل او اتى ما يتقرب به طائعا فنصب خيرا بتضمين تطوع فعلا يتعدى بنفسه او التطوع
بمعنى التبرع من قولهم طاع يطوع اى تبرع فكانه قيل من تبرع بما لم يفرض عليه من القربات مطلقا فانتصاب
خيرا حينئذ اما على اسقاط حرف الجر اى من تطوع تطوعا خيرا (فان الله شاكر) له اى مجاز بعمله فان الشاكر فى
وصف الله تعالى بمعنى المجازى على الطاعة بالاثابة عليها قال ابن التمجيد فى حواشيه فالشكر من الله بمعنى
الرضى عن العبد والاثابة لازم الرضى والرضى ملزوم الشكر فالشكر مجاز فى معنى الرضى ثم التجوز منه الى معنى
الاثابة مجاز فى المرتبة الثانية (عليم) بطاعة المتطوع ونيته فيها وفى الاية حث على نوافل الطاعات كما على
فرائضها فمن اتى بنافلة واحدة فان الله شاكر عليم فكيف باكثرها فبالصوم تحصيل قهر النفس وبالزكاة تزكيها
وبالصلاة المعراج الروحانى وبالحج الوصول وعن سفيان الثورى قال حججت سنة ومن رأيى ان انصرف من
عرفات ولا احج بعد هذا فنظرت فى القوم فاذا انا بشيخ متكئ على عصاه وهو ينظر الى مليا فقلت السلام عليك
يا شيخ قال وعليك يا سفيان ارجع عما نويت فقلت سبحان الله من اين تعلم نيتى قال الهمنى ربى فوالله لقد حججت
خمسا وثلاثين حجة وكنت واقفا بعرفات ههنا فى الحجة الخامسة والثلاثين انظر الى هذه الزحمة واتفكر فى امرى
وامرهم ان الله هل يقبل حجهم وحجى فبقيت متفكرا حتى غربت الشمس وفاض الناس من عرفات الى مزدلفة
ولم يبق معى احد وجن الليل وتمت تلك الليلة فرأيت فى النوم كان القيامة قد قامت وحشر الناس وتطايرت
الكتب ونصبت الموازين والصراط وفتحت ابواب الجنان والنيران فسمعت النار تنادى وتقول اللهم وحق الحجاج
حرى وبردى فنوديت يا نار سلى غيرهم فانهم ذاقوا عطش البادية وحر عرفات ووقوا عطش القيامة ورزقوا

الشفاعة فانهم طلبوا رضاى بانفسهم واموالهم قال الشيخ فانتبهت وصليت ركعتين ثم نمت ورأيت كذلك فقلت
فى نومى هذا من الرحمة او من الشيطان فقيل لى بل من الله مد يديك فمددت فاذا على كفى مكتوب من وقف بعرفة
وزار البيت شفعته فى سبعين من اهل بيته قال سفيان واراني المكتوب حتى قرأته ثم قال الشيخ فلم تمر على منذ
حينئذ سنة الا وانا حججت حتى تم لى ثلاث وسبعون حجة كذا فى زهرة الرياض قال فى الاشباه والنظائر بناء الرباط
بحيث ينتفع به المسلمون افضل من الحجة الثانية والحج تطوعا افضل من الصدقة النافلة وحج الفرض اولى من طاعة
الوالدين بخلاف النفل وحج الغنى افضل من حج الفقير لان الفقير يؤدى الفرض من مكة وهو متطوع فى ذهابه
وفضيلة الفرض افضل من فضيلة التطوع فعلى العاقل ان يقصد بيت الله ويزوره فان لم يساعده المال فلتساعده
الهمة والحال فان المعتبر هو توجه القلب الى جانب الغيب لا مجرد توجه القالب (قال فى المثنوى) ميل تو
سوى مغيلانست وريك * تا چه كل چينى ز خار مرده ريك * وفى التأويلات القاشانية ان الصفا وجود
القلب والمروة وجود النفس من اعلام دين الله ومناسكه القلبية كاليقين والتوكل والرضى والاخلاص
والنفسية كالصبر والشكر والذكر والفكر فمن حج البيت اى بلغ مقام الوحدة الذاتية ودخل الحضرة الالهية
بالفناء الكلى الذاتى او اعتمر زار الحضرة بالبلوغ الى مقام المشاهدة بتوحيد الصفات والفناء فى انوار تجليات
الجمال والجلال فلا حرج عليه حينئذ فى ان يطوف بهما اى يرجع الى مقامهما ويتردد بينهما لا بوجودهما
التلوينى فانه جناح وذنب بل بالوجود الموهوب الحقانى بعد الفناء عند التمكين ولهذا نفى الجناح فان
فى هذا الوجود سعة بخلاف الاول ومن تطوع خيرا اى ومن تبرع خيرا من باب التكميل والتعليم والارشاد
وشفقة الخلق فى مقام القلب ومن باب الاخلاق وطرف البر والتقوى ومعاونة الضعفاء والمساكين وتحصيل
الهمم فى مقام النفس بعد كمال السلوك حال البقاء بعد الفناء فان الله شاكر شكر عمله بثواب المزيد عليم بانه من باب
التصرف فى الاشياء بالله لا من باب التلوين والابتلاء والفترة انتهى كلام القاشانى

يا خفى الذات محسوس العطاء * انت كالماء ونحن كالرحاء
انت كالريح ونحن كالغبار * يختفى الريح وغبراه جهار

(ان الذين يكتمون) الاية نزلت فى رؤساء اليهود واحبارهم او فى كل من كتم شيأ من احكام الدين وهو الاقرب
لان اللفظ عام وعموم الحكم لا يأبى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشئ قصدا مع الحاجة اليه
وحصول الداعى الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شئ آخر فى موضعه
وهو الذى فعله هؤلاء فى نعوت النبى صلى الله عليه وسلم وغيرها (ما انزلنا) حال كونه (من البينات) اى من
الايات الواضحة الدالة على امر محمد عليه السلام وعلى الرجم وتحويل القبلة والحرام والحلال (والهدى) اى
والايات الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه عليه السلام والايمان به (من) متعلق بيكتمون (بعد ما بيناه) اى
اوضحناه ولخصناه (للناس) جميعا لا الكاتمين فقط (فى الكتاب) اى التوراة وتبيينه لهم ايضاحه بحيث يتلقاه
كل احد من غير ان يكون فيه شبهة قال ابن الشيخ فى حواشيه فالمراد بالبينات ما انزل على الانبياء من الكتب
والوحى دون ادلة العقل وان قوله والهدى يدخل فيه الدلائل العقلية والنقلية وقوله تعالى فى حق الهدى من
بعد ما بيناه وما لخصناه فى الكتاب لا يقتضى اتحادهما وان يكون العطف لتغاير اللفظين لان كون ما بيناه
فى الكتاب كما يجوز ان يكون بطريق كونه من جملة التنزيل يجوز ان يكون بطريق كونه فائدة ملخصة اى
مستفادة منه (اولئك) اى اهل هذه الصفة (يلعنهم الله) اى يطردهم ويبعدهم من رحمته بسبب كتمهم الحق
(ويلعنهم اللاعنون) اى الذين يتأتى منهم اللعن اى الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمنى الثقلين وعن ابن
مسعود رضى الله عنه ما تلاعن اثنان الا ارتفعت اللعنة بينهما فان استحقها احدهما والا رجعت على اليهود
الذين كتموا صفة محمد عليه السلام او اللاعنون البهائم والهوام تلعن العصاة تقول اللهم العن عصاة بنى آدم
فبشؤمهم منع عنا القطر (الا الذين تابوا) من الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه الاستثناء متصل والمستثنى منه
هو الضمير فى يلعنهم (واصلحوا) ما افسدوا بالتدارك فانه لا بد بعد التوبة من اصلاح ما افسده مثلا لو افسد على
غيره دينه بايراد شبهة عليه يلزمه ازالة تلك الشبهة وبعد ذلك لا بد له من ان يفعل ضد الكتمان وهو البيان وهو
المراد بقوله تعالى (وبينوا) اى ما بينه الله فى كتابهم لتتم توبتهم فدلت الاية على ان التوبة لا تحصل الا بترك

بلغ

كل مالا ينبغى ويفعل كل ما ينبغى (فاولئك اتوب عليهم) اى بالقبول وافاضة الرحمة والمغفرة فان التوبة اذا
اسندت اليه تعالى بان قيل تاب الله اويتوب تكون بمعنى القبول وقبول التوبة يتضمن المغفرة اى ازالة عقاب
من تاب (وانا التواب الرحيم) اى المبالغ فى قبول التوبة ونشر الرحمة ولما ذكر لعنتهم احياء ذكر لعنتهم امواتا
فقال (ان الذين كفروا) اى استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة (وماتوا وهم كفار) مصرون على
كفرهم لا يرتدعون عن حالتهم الاولى (اولئك) مستقر (عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) اى هم
المخصوصون باللعنة الابدية احياء وامواتا فمن يعتد بلعنتهم وهم المؤمنون لانهم هم الناس فى الحقيقة لانتفاعهم
بالانسانية واما الكفار فهم كالانعام واضل سبيلا فلا اعتداد بهم عند الله او الناس عام لان الكفار يوم القيامة
يلعن بعضهم بعضا والله تعالى يلعنهم يوم القيامة ثم يلعنهم الملائكة ثم تلعنهم الناس والظالم يلعن الظالمين ومن
لعن الظالمين وهو ظالم فقد لعن نفسه (خالدين فيها) حال من المضمر فى عليهم اى دائمين فى اللعنة لانهم اذا خلدوا
فى النار خلدوا فى الابعاد عن رحمة الله تعالى (لا يخفف عنهم العذاب) استئناف لبيان كثرة عذابهم من حيث
الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم اى لا يرفع عنهم ولا يهون عليهم (ولاهم ينظرون) من الانظار بمعنى
الامهال والتأجيل اى لا يمهلون للرجعة ولا للتوبة ولا للمعذرة او يعذبون على الدوام والاستمرار وان كل وجه
من وجوه عذابهم يتصل بوجه آخر مثله او اشد منه وانهم لا يمهلون ولا يؤجلون ساعة ليستريحوا فيها او من
النظر بمعنى الانتظار اى لا ينتظرون ليعتذروا او بمعنى الرؤية اى لا ينظر اليهم نظر رحمة وانما خلدوا فى النار
لان نيتهم كانت عبادة الاصنام ابدا ان عاشوا فجوزوا بتأبيد النية واما الدركات فى النيران فلتفاوت سوء
الاحوال والتفاوت فى شدة الكفر فيرجع الى شدة العذاب فى الدركات لان النيات متفاوتة كالاعمال والتأديب
فى الحكمة واجب ولما اساء الكفار بسوء الاعتقاد فى حقه تعالى اوجب بالحرمان عن الجنة والخلود فى النار
(ونعم ماقيل) سفيه را بود تأديب نافع * جنون را چو شربت كشت دافع * واغا خل هؤلاء اليهود
على مافعلوا من الكتمان وغيره حب الرياسة والدنيا لانهم خافوا ان يذهب ما كان لهم من السفلة وما يغنى عنهم ذلك
شيأ اذا كان مصيرهم الى النار وفى الخبران مؤمنا وكافرا فى الزمان الاول انطلقا يصيدان السمك فجعل الكافر
يذكر آلهته ويأخذ السمك حتى اخذ سمكا كثيرا وجعل المؤمن يذكر الله كثيرا فلا يجيئ شئ ثم اصاب سمكة عند
الغروب فاضطربت فوقعت فى الماء فرجع المؤمن وليس معه شئ ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته فاسف
ملك المؤمن الموكل عليه فلما صعد الى السماء اراه الله مسكن المؤمن فى الجنة فقال والله مايضره ما اصابه بعد ان
يصير الى هذا واراه مسكن الكافر فى جهنم فقال والله مايغنى عنه ما اصابه من الدنيا بعد ان يصير الى هذا كذا
(فى شرح الخطب) نركس اندر خواب غفلت يافت بلبل صد وصال * خفته نا بينا بود دولت به بيدار ان حسد
* ومرتكب المعاصى لو عرف عذاب الجحيم حق المعرفة لما ارتكبها حتى ان من قوى ظنه ان فى هذه الثقبة حية
لا يدخل يده فيها فما ظنك فى ارتكاب المعاصى بملاحظة عذاب النار واعلم ان احبار اليهود لما لم ينتفعوا بعلمهم
ضلوا فاضلوا فخذلهم الله ولعنهم وذكر فى الخالصة لن يهلك قوم بظلمهم وانما اهلكهم ظلم ولاتهم قال الشيخ الشهير
بافتاده افندى قدس سره وكذا الحال فى الارشاد فان الضلال والفساد فى الطالبين من فساد مرشدهم فادام
المرشد على الصراط المستقيم يحفظ الله تعالى الطالب عن الضلال فان نزول البلاء على قوم من فساد رئيسهم
وحكى ان امنا حواء اكلت اولا من الشجرة فلم يقع شئ فلما اكل منها ابونا آدم عليه السلام وقع الخروج من الجنة
انتهى فويل لارباب الرياسة الذين ظلموا انفسهم وتجاوز ظلمهم الى من عداهم فانهم هم الواقعون فى عذاب
النار نار القطيعة والهجران وجهنم البعد عن الله ورحمته اللهم احفظنا (والهكم) خطاب عام لكافة الناس
اى المستحق منكم للعبادة (اله واحد) فرد فى الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره آلها فلا معبود
الا هو وهو خبر مبتدأ وواحد صفة وهو الخبر فى الحقيقة لانه محط الفائدة الا يرى انه لو اقتصر على ما قبله لم يفد
(لا اله الا هو) تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان فى الوجود آلها ولكن لا يستحق منهم العبادة يعنى بهذا
فاعرفوه ووحدوه فاعبدوه ولا ترجوا غيره ولا تخافوا سواه ولا تعبدوا الا اياه والاستثناء بدل من اسم لا على المحل
اذ محله الرفع على الابتداء والخبر محذوف اى لا اله كائن لنا او موجود فى الوجود الا الله واعلم ان الاسماء على
ضربين اسم ظاهر واسم ضمير وكلمة هو اسم ضمير فكونها ضميرا لاينافى فى كونها اسما وقد حقق الامام فى التفسير

الكبير

الكبير اسمية هذه الكلمة فليراجع وعند اهل الحقيقة كلمة هو اسم بحت لان كل مايدل على الذات الاحدية فهو
اسم محض عندهم سواء كان مظهرا او مضمرا ولذا يقال عالم الهوية باللام فاعرف هذا فانه ينفعك (وفى المثنوى)
از هوا ها كى رهى بى جام هو * اى زهو قانع شده با نام هو * هيچ نامى بى حقيقت ديده * باز كاف
ولام كل كل چيده * اسم خواندى رو مسمارا بجو * مه ببالا دان نه اندر آب جو * كرزنام حرف
خواهى بكذرى * پاك كن خودرا ز خود بين يكسرى * همچو آهن زاهنى بى رنك شو * در رياضت آينه
بى زنك شو * خويش را صافى كن از اوصاف خود * تا ببينى ذات پاك صاف خود * بينى اندر دل علوم انبيا
بى كتاب وبى معيد واوستا * علم كان نبود زهو بى واسطه * ان نپايد همچو رنك ماشطه (الرحمن الرحيم) اى
المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شئ سواه مستحق هذه الصفة فان كل شئ سواه اما نعمة واما منعم عليه
فثبت ان غيره لا يستحق العبادة فلا يكون آلها فقوله الرحمن الرحيم كالحجة على الوحدانية وعن اسماء بنت يزيد
انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فى هاتين الايتين اسم الله الاعظم والهكم اله واحد لا اله
الا هو الرحمن الرحيم والله لا اله الا هو الحى القيوم قيل كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما
سمعوا هذه الاية تعجبوا وقالوا كيف يسع الناس اله واحد فان كان محمد صادقا فى توحيد الاله فليأتنا باية
نعرف بها صدقه فنزل قوله تعالى (ان فى خلق السموات والارض) اى فى ابداعهما على ماهما عليه مع مافيهما من
تعاجيب العبر وبدائع الصنائع التى يعجز عن فهمها عقول البشر وانما جمع السموات وافرد الارض لان كل سماء
ليست من جنس الاخرى بين كل سمائين من البعد مسيرة خمسمائة عام او لان فلك كل واحدة غير فلك الاخرى
والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب قال ابن التمجيد فى حواشيه وعند الحكماء محدب كل سماء مماس
لمقعر مافوقه غير الفلك التاسع المسمى بالعرش فان محدبه غير مماس لشئ من الافلاك لان مافوقه خلاء وبعد غير
متناه عندنا وعند الحكماء لا خلاء فيه ولا ملاء والعلم عند الله (واختلاف الليل والنهار) اى فى تعاقبهما
فى الذهاب والمجيئ يخلف احدهما صاحبه اذا جاء احدهما جاء الاخر خلفه اى بعده وفى الزيادة والنقصان
والظلمة والنور (والفلك التى تجرى فى البحر) لاترسب تحت الماء وهى ثقيلة كثيفة والماء خفيف لطيف وتقبل
وتدبر بريح واحدة والفلك فى الاية جمع وتأنيثه بتأويل الجماعة (بما ينفع الناس) ما اسم موصول والباء
للمصاحبة والجملة فى موضع النصب على الحالية من فاعل تجرى اى تجرى مصحوبة بالاعيان والمعانى
التى تنفع الناس فانهم ينتفعون بركوبها والحمل فيها للتجارة فهى تنفع الحامل لانه يربح والمحمول اليه لانه ينتفع
بما حمل اليه (وما) اى ان فيما (انزل الله من السماء) من لابتداء الغاية اى من جهة السماء (من ماء) بيان للجنس
فان المنزل من السماء يعم الماء وغيره والسماء يحتمل الفلك على ماقيل من ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن
السحاب الى الارض ويحتمل جهة العلو سماء كانت او سحابا فان كل ما علا الانسان يسمى سماء ومنه قيل
للسقف سماء البيت (فاحيى به) عطف على ما انزل اى نضر بالماء النازل (الارض) بانواع النبات والازهار
وما عليها من الاشجار (بعد موتها) اى بعد ذهاب زرعها وتناثر اوراقها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه
طبيعتها قال ابن الشيخ فى حواشيه لما حصل للارض بسبب ما نبت فيها من انواع النبات حسن وكمال شبه ذلك
بحياة الحيوان من حيث ان الجسم اذا صار حيا حصل فيه انواع من الحسن والنضارة والبهاء والنماء فكذلك
الارض اذا تزينت بالقوة المنبتة وما يترتب عليها من انواع النبات (وبث فيها) اى فرق ونشر فى الارض (من كل
دابة) من كل حيوان يدب على وجهها من العقلاء وغيرهم وهو معطوف على فاحيى والمناسبة ان بث الدواب
يكون بعد حياة الارض بالمطر لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالمطر (وتصريف الرياح) عطف على ما انزل
اى فى تقليبها فى مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا وفى كيفيتها حارة وباردة وفى احوالها عاصفة ولينة وفى
آثارها عقما ولواقح وقيل فى اتيانها تارة بالرحمة وتارة بالعذاب قال ابن عباس رضى الله عنه اعظم جنود الله
الريح والماء وسميت الريح ريحا لانها تريح النفوس قال وكيع الجراح لولا الريح والذباب لانتنت الدنيا قال
شريح القاضى ماهبت الريح الا شفاء سقيم او سقم صحيح وقال بكر بن عباس لا تخرج من السحاب قطرة
حتى تعمل فى السحاب هذه الرياح الاربع فالصبا تهيجه والجنوب تقدره والدبور تلقحه والشمال تفرقه
واصول الرياح هذه الاربع فالشمال من ناحية الشام والجنوب تقابلها والصبا هى القبول من المشرق والدبور

تقابلها وكل ريح جاءت بين مهب ريحين فهى نكباء لانها انكبت اى عدلت ورجعت عن مهاب هذه الاربع وقال عبدالله بن عمرو بن العاص الرياح ثمان اربع رحمة واربع عذاب فالرحمة الناشرات وهى الرياح الطيبة والمبشرات وهى الرياح التى تبشر بالغيث واللواقح وهى التى تلقح الاشجار والذاريات وهى التى تذرو التراب وغيره والعذاب الصرصر والعقيم وهما فى البر والعاصف والقاصف وهما فى البحر والعقيم هى التى لم تلقح سحابا ولا شجرا والعاصف الشديدة الهجوم التى تقلع الخيام (والسحاب المسخر) عطف على تصريف اى الغيم المذلل المنقاد الجارى على ما اجراه الله تعالى عليه وهو اسم جنس واحده سحابة وسمى سحابا لانه ينسحب فى الجو اى يسير فى سرعة كانه يسحب اى يجر (بين السماء والارض) صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما فى قوله تعالى سحابا ثقالا اى لا ينزل الارض ولا ينكشف مع ان طبع السحاب يقتضى احد هذين النزول والانكشاف قيل لانه لو كان خفيفا لطيفا ينبغى ان يصعد ولو كثيفا يقتضى ان ينزل (لآيات) اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها ولو كان فى موضعه لما جاز دخول اللام عليه والتنكير للتفخيم كما وكيفا اى آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه (لقوم) فى محل النصب لانه صفة لايات فيتعلق بمحذوف (يعقلون) فى محل الجر على انه صفة لقوم اى يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون العقول والقلوب ويعتبرون بها لانها دلائل على عظم قدرة الله فيها وباهر حكمته فليستدلون بهذه الاشياء على موجدها فيوحدونه وفيه تعريض لجهل المشركين الذين اقترحوا على الرسول آية تصدقه فى قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول اذ لو عقلوه لكفاهم بهذه التصاريف آية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها المج حقيقة قذف الريق ونحوه من الفم عدى بالباء لما فيه من معنى الرمى واستعيرههنا لعدم الاعتبار والاعتداد فان من تفكر فيها فكانه حفظها ولم يلقها من فيه واعلم ان قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو اول آية نزلت فى التوحيد بحسب الرتبة اى اقدم توحيد من جهة الحق لا من جهتنا فان اول رتبة التوحيد من طرفنا توحيد الافعال وهذا هو توحيد الذات ولما بعد هذا التوحيد عن مبالغ افهام الناس نزل الى مقام توحيد الصفات بقوله الرحمن الرحيم ثم الى توحيد الافعال ليستدل به عليه فقال ان فى خلق الاية كذا فى التاويلات القاشانية ومن نتايج صفة الرحمن الرحيم فى حق الانسان ما اشار اليه فى قوله ان فى خلق الخ يعنى ان الحكمة فى خلق هذه الاشياء ان يكون كل شئ مظهر آية من آيات الله ولا فائدة لهذه الاشياء من الايات المودعة فيها فان فائدتها عائدة الى الانسان لانهم قوم يعقلون الايات كما قال سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فالعالم بما فيه خلق بتبعية الانسان لان العالم مظهر آيات الحق والايات المرئيات الانسان والانسان مظهر معرفة الحق ولهذا قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون فلو لم يكن لاجل معرفة الله ما خلق الانسان ولو لم يكن لاجل الانسان ما خلق العالم بما فيه كما قال للنبى عليه السلام لولاك لما خلقت الكون وكان العالم مرءآة يظهر فيه آيات كمال الحق وجلاله والانسان هو المشاهد لايات الجمال والجلال فى مرءآة العالم وهو مرءآة يظهر فيه مرءآة العالم وما يظهر فيه كما قال تعالى وفى انفسكم أفلا تبصرون وهذا تحقيق قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه لان نفسه مرءآة جمال ربه وليس احد غير الانسان يشاهد جمال ربه فى مرءآة العالم ومرءآة نفسه بارآءة الحق كما قال سنريهم آياتنا الخ فاعرف قدرك لتعرف قدر ربك يا مسكين ومما يدل على ان خلق السموات والارض وما بينهما تبع لخلق الانسان قوله عليه السلام لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض الله الله يعنى اذا مات الانسان الذى هو يقول الله الله قامت القيامة فلم تبق السموات والارض لان وجودهما كان تبعا لوجود الانسان فاذا لم يبق المتبوع ما بقى التابع كذا فى التأويلات النجمية فعلى السالك ان يصل بالذكر الحقيقى الى المقصود الاصلى فان التوحيد ينفى الباطل وينفى الاغيار روى عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لابى حصين كم تعبد اليوم من اله فقال اعبد سبعا ستا فى الارض وواحدا فى السماء قال وايهم تعبده لرغبتك ورهبتك فقال الذى فى السماء فقال عليه السلام فيكفيك اله السماء ثم قال يا حصين لو اسلمت علمتك كلمتين تنفعانك فاسلم حصين ثم قال يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علمنى هاتين الكلمتين فقال عليه السلام قل اللهم الهمنى رشدى واعذنى من شر نفسى (ومن الناس من يتخذ من دون الله) من لابتداء الغاية

متعلق بيتخذ ودون فى الاصل ظرف مكان استعمل هنا بمعنى غير مجازا والاتخاذ بمعنى الصنع والعمل متعد الى مفعول واحد وهو هنا قوله (اندادا) هى الاصنام التى بعضها انداد لبعض اى امثال او انها انداد لله تعالى بحسب ظنونهم الفاسدة من حيث انهم كانوا يرجون من عندها النفع والضر ويقصدونها بالمسائل ويقربوا لها القرابين فارجاع ضمير العقلاء اليها فى قوله تعالى يحبونهم مبنى على آرائهم الباطلة فى شأنها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء او هى الرؤساء الذين يطيعونهم قال القاضى ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى فانه قال الصوفية والعارفون كل شئ ان شغلت به قلبك سوى الله تعالى فقد جعلته فى قلبك ندا له تعالى ويدل عليه قوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه (يحبونهم) الجملة صفة لانداد اى يعظمونهم ويخضعون لهم ويطيعونهم تعظيم المحبوب واطاعته (كحب الله) اى حبا كائنا مثل حبهم الله تعالى اى يسوون بينه تعالى وبينهم فى الطاعة والتعظيم والمقصود من التشبيه ما فى الوصف من القوة والضعف والمراد ههنا التسوية وهذه التسوية فى التعظيم لا تنافى اقرارهم بربوبيته تعالى كما يدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولفظ المحبة مأخوذ من الحب بالفتح كحبة الحنطة والشعير شبه حبة القلب اى سويداءه بالحب المعروف فى كون كل منهما منشأ ومبدأ للآثار العجيبة فاستعير اسم الحب لها ثم اشتق من الحب المستعار للقلب الحب بمعنى ميل القلب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته فى اوامره ونواهيه والاعتناء لتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله فى الطاعة وصونه عن المعاصى ثم فضل محبة المؤمنين بقوله (والذين آمنوا اشد حبا لله) من حب الكفرة لاندادهم لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدآئد ويعبدون الصنم زمانا فاذا رأوا صنما يعجبهم اخذوه وطرحوا الاول وروى ان باهلة عملت لها الها من حيس فاكلوه عام المجاعة (ولو يرى الذين ظلموا) اى لو يعلم هؤلاء الذين اشركوا باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود (اذ يرون العذاب) المعد لهم يوم القيامة اى عاينوه فهى من الرؤية بالعين (ان القوة) اى الغلبة والقدرة الالهية (لله جميعا) نصب حال والجملة سادة مسد مفعولى يرى (وان الله شديد العذاب) عطف على ان القوة لله وفائدته المبالغة فى تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف اى لو علم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شئ من الثواب والعقاب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لوقعوا من الحسرة والندامة على عبادة الانداد فيما لا يكاد يوصف (اذ تبرأ الذين اتبعوا) بدل من اذ يرون واصل التبرى التخلص ويستعمل للتفصى والتنصل مما تكره مجاورته والمعنى اذ تبرأ الرؤساء والمتبوعون (من الذين اتبعوا) اى من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه فى الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن (ورأوا العذاب) الواو حالية وقد مضمرة اى تبرؤا حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت بهم الاسباب) عطف على تبرأ وتوسط الحال بينهما للتنبيه على علة التبرى اى انقرضت عنهم الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد والانساب والمحاب والاتباع والاستتباع فالباء فى بهم بمعنى عن كما فى قوله تعالى فاسأل به خبيرا او للسببية اى تقطعت بسبب كفرهم الاسباب التى كانوا يرجون بها النجاة او للتعدية اى قطعتهم الاسباب كما تقول فرقت بهم الطريق اى فرقتهم (وقال الذين اتبعوا) حين عاينوا تبرى الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم فى الدنيا (لو ان لنا كرة) اى ليت لنا رجعة الى الدنيا وعودة (فنتبرأ منهم) هنالك (كما تبرؤا منا) اليوم اى تبرأ مثل تبرئهم فالكاف منصوب المحل على انها صفة مصدر محذوف (كذلك) اى مثل ذلك الاراء الفظيع وهو نزول العذاب عليهم وتبرى بعضهم من بعض (يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم) اى ندمات شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهى تألم القلب وانحساره عما يؤلمه تألما يبقى النادم كالحسير من الدواب وهو الذى انقطعت قوته فصار بحيث لا ينتفع به واصل الحسر الكشف ومن فات عنه ما يهواه وانكشف قلبه عنه يلزمه الندم والتأسف على فواته فلذلك عبر عن الحسرة التى هى انكشاف القلب عما يهواه بلازمه الذى هو الندم والرؤية ان كانت بصرية تكون حسرات حالا من اعمالهم والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون اعمالهم الا حال كونها حسرات وان كانت قلبية فهى ثالث مفاعيل

برى وعليهم يتعلق اما بحسرات والمضاف محذوف اى على تفريطهم او بمحذوف منصوب على انه صفة
لحسرات اى حسرات مستولية عليهم فان ما عملوه من الخيرات محبوطة بالكفر فيتحسرون لم ضيعوها
ويتحسرون على مافعلوه من المعاصى لم عملوها قال السدى ترفع لهم الجنة فينظرون اليها والى بيوتهم فيها
لو اطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين وذلك حين يندمون ويتحسرون
(وماهم بخارجين من النار) لانهم خلقوا لاجلها روى انه يساق اهل النار الى النار لم يبق منهم عضو الا لزمه
عذاب اما حية تنهشه او ملك يضربه فاذا ضربه الملك هوى فى النار مقدار اربعين يوما لا يبلغ قرارها ثم يرفعه
اللهب ويضربه الملك فيهوى فاذا بدا رأسه ضربه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب فاذا عطش احدهم طلب الشراب فيؤتى بالحميم فاذا دنا من وجهه سقط وجهه ثم يدخل فى فيه فتسقط
اضراسه ثم يدخل بطنه فيقطع امعاءه وينضج جلده وهكذا يعذبون فى النار لا يموتون فيها ولا يحيون
ولا يخرجون قال سعيد بن جبير ان الله تعالى يأمر يوم القيامة من احرق نفسه فى الدنيا على رؤية الاصنام
ان يدخلوا جهنم مع اصنامهم فلا يدخلون لعلمهم ان عذاب جهنم على الدوام ثم يقول للمؤمنين بين ايدى الكفار
ان كنتم احبائى فادخلوا جهنم فيقتحمون فيها وينادى مناد من تحت العرش والذين آمنوا اشد حبا لله
لان الله احبهم اولا ثم احبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم قال تعالى يحبهم ويحبونه ومن لم يكن
اهلا لمحبة الله ازلا طردته العزة الى محبة الانداد وهى كل ما يحب سوى الله فن وكل الى المحبة النفسانية تعلقت
محبته بملائم هوى النفس من الاصنام فكان الكفار بعضهم يحبون اللات ويعبدونها وبعضهم يحبون
الاولاد ويعبدونها فمحبة الاولاد والازواج والاموال تمنع عن محبة الله ومن احب الله يرى ما سواه بنظر
العداوة كما قال الخليل عليه السلام فانهم عدو لى الا رب العالمين ومن كان فى الازل اهلا لمحبة الله جذبته
العناية فيتجلى له الحق فانعكست تلك المحبة لمرآة قلبه فلا تتعلق بغير الله لانها من عالم الوحدة فلا تقبل الشركة
والاعداء احبوا الانداد بمحبة فانية نفسانية والاحباء احبوا الله بمحبة باقية ربانية بل احبوه بجميع اجزائهم
الفانية والباقية اللهم اوصلنا الى حقيقة المحبة واليقين والتمكين (يا ايها الناس) نزلت فى قوم حرموا على انفسهم
رفيع الاطعمة والملابس (كلوا مما فى الارض) اى من بعض ما فيها من اصناف المأكولات لان كل ما فيها
لا يؤكل (حلالا) حال من الموصول اى حال كونه حلالا وهو ما انحل عنه عقد الحظر (طيبا) طاهرا من جميع
الشبه صفة حلالا او الحلال ما يستطيبه الشرع والطيب ما يستطيبه الشهوة المستقيمة اى يستلذه الطبع
(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) الخطوة بالفتح المرة من نقل القدم وبالضم بعد ما بين قدمى الماشى يقال اتبع
خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته اى لا تقتدوا بآثاره وطرقه ومذاهبه فى اتباع الهوى
وهى وساوسه فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام (انه لكم عدو مبين) تعليل للنهى اى ظاهر العداوة عند ذوى
البصيرة واما عند متبعى الهوى الذين لا بصيرة لهم فهو كولى حميم حيث يدلهم على مشتهيات نفوسهم ولذائذ
مراداتها المستحسنة فقوله مبين من ابان بمعنى بان وظهر وجعله الواحدى من ابان المتعدى حيث قال
انه عدو مبين قد ابان عداوته لكم باباءه السجود لابيكم آدم وهو الذى اخرجه من الجنة (انما يأمركم)
اى يوسوس لكم شبه تسلطه عليهم بآمر مطاع وشبهوا فى قبولهم للوسوسة وطاعتهم له بالطبع بمأمور مطيع
وفيه رمز الى انهم بمنزلة المأمورين المنقادين له تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم (بالسوء) وهو كل ما ساءك
فى عاقبتك يطلق على جميع المعاصى سواء كانت من اعمال الجوارح او اعمال القلوب لاشتراك كلها فى انها تسوء
صاحبها وتحزنه (والفحشاء) من عطف الخاص على العام اى اقبح انواع المعاصى واعظمها مساءة فالزنى
فاحشة والبخل فاحشة وكل فعلة قبيحة فاحشة واصل الفحش مجاوزة القدر فى كل شئ وجعل البيضاوى
المغايرة بين السوء والفحشاء بحسب المفهوم دون الذات فانه سميت المعصية سوأ لاغتمام العاقل بها وفحشاء
باستقباحه اياها فاطلاق السوء والفحشاء على المعصية من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل رجل عدل
(وان تقولوا) اى يأمركم بان تفتروا (على الله) بانه حرم هذا وذاك (ما لا تعلمون) ان الله تعالى امر به وهو اقبح
ما امر به الشيطان من القبائح لان وصفه تعالى بما لا ينبغى ان يوصف به من اعظم انواع الكبائر كما ان الفحشاء
اقبح انواع السوء فان قيل كيف يأمرنا الشيطان بذلك ونحن لا نراه ولا نسمع كلامه فكيف وسوسته وكيف

وصوله

وصوله الى القلب قلنا هو كلام خفى على ما قيل تميل اليه النفوس والطبع وقد قيل يدخل فى جسد ابن آدم لانه
جسم لطيف ويوسوس وهو انه يحدث النفس بالافكار الرديئة قال تعالى يوسوس فى صدور الناس ومن دعاء
النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اعمر قلبى من وساوس ذكرك واطرد عنى وساوس الشيطان قال فى آكام المرجان
وينحصر ما يدعو الشيطان اليه ابن آدم ويوسوس له فى ست مراتب المرتبة الاولى مرتبة الكفر والشرك
ومعاداة رسوله فاذا ظفر بذلك من ابن آدم برد انينه واستراح من تعبه معه لانه حصل منتهى امنيته
وهذا اول ما يريده من العبد المرتبة الثانية البدعة وهى احب اليه من الفسوق والمعاصى لان المعصية يتاب
منها والبدعة لا يتاب منها الا ان صاحبها يظنها حقيقة صحيحة فلا يتوب فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الثالثة
وهى الكبائر على اختلاف انواعها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الرابعة وهى الصغائر التى اذا اجتمعت
صارت كبيرة والكبائر ربما اهلكت صاحبها كما قال عليه السلام اياكم ومحقرات الذنوب فان مثل ذلك مثل
قوم نزلوا بفلاة من الارض فجاء كل واحد بعود حطب حتى اوقدوا نارا عظيمة وطبخوا وشبعوا فاذا عجز عن ذلك
انتقل الى المرتبة الخامسة وهى اشتغاله بالمباحات التى لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب الذى
فات عليه باشتغاله بها فان عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة السادسة وهى ان يشغله بالعمل المفضول عما هو
افضل منه ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل الفاضل فيجره من الفاضل الى المفضول ومن الافضل الى
الفاضل ليتمكن من ان يجره من الفاضل الى الشرور بما يجره من الفاضل السهل الى الافضل الاشق كمائة ركعة
بالنسبة الى ركعتين ليصير ازدياد المشقة سببا لحصول النفرة عن الطاعة بالكلية وانما خلق الله ابليس ليميز به
الخبيث من الطيب فخلق الله الانبياء لتقتدى بهم السعداء وخلق ابليس لتقتدى به الاشقياء ويظهر الفرق
بينهما فابليس دلال وسمسار على النار والخلاف وبضاعته الدنيا ولما عرضها على الكافرين قيل ما ثمنها قال ترك
الدين فاشتروها بالدين وتركها الزاهدون واعرضوا عنها والراغبون فيها لم يجدوا فى قلوبهم ترك الدين ولا الدنيا
فقالوا والله اعطنا مذاقة منها حتى ننظر ما هى فقال ابليس اعطونى رهنا فاعطوه سمعهم وابصارهم ولذا يحب
ارباب الدنيا استماع اخبارها ومشاهدة زينتها لان سمعهم وبصرهم رهن عند ابليس فاعطاهم المذاقة بعد
قبض الرهن فلم يسمعوا من الزهاد عيب الدنيا ولم يبصروا قبائحها بل استحسنوا زخارفها ومتاعها فلذلك قيل
حبك الشئ يعمى ويصم فعلى العاقل ان يزهد ويرغب عن الدنيا ولا يقبل منها الا الحلال الطيب قال الحسن
البصرى الحلال الطيب ما لا سؤال فيه يوم القيامة وهو ما لا بد منه قال النبى عليه السلام ان الله يؤهب
لابن آدم ما لا بد منه ثوب يوارى به عورته وخبز يرد جوعته وبيت ككعش الطير فقيل يا رسول الله فكيف الملح
فقال الملح مما يحاسب به وفى التأويلات النجمية الحلال ما اباح الله اكله والطيب ما لم يكن مشوبا بشبهة حقوق
الخلق ولا بسرف حظوظ النفس وكل طيب حلال وليس كل حلال طيبا ولهذا قال النبى عليه السلام ان الله
طيب ولا يقبل الا الطيب يعنى غير مشوب بعيب او شبهة قيل ولا يقال ان الله حلال واعلم ان اكل الحلال
الطيب يورث القيام بطاعة الله والاجتناب عن خطوات الشيطان فالعمل الصالح نتيجة اللقمة الطيبة
(وفى المثنوى) علم وحكمت زايد از لقمه حلال * عشق ورقت آيد از لقمه حلال *
چون ز لقمه تو حسد بينى ودام * جهل وغفلت زايد آنرا دان حرام * هيچ كندم كارى وجو بر دهد *
ديده اسپى كه كره خر دهد * لقمه تخمست وبرش انديشها * لقمه بحر وگوهرش انديشها *
زايد از لقمه حلال اندر دهان * ميل خدمت عزم رفتن آن جهان * وطلب الحلال بالكسب المشروع
سنة الانبياء عليهم السلام وفى الكسب فوائد كثيرة منها الزيادة على رأس المال ان عمل للتجارة والزراعة وغرس
الاشجار وفيها صدقة لما اكلته الطيور وغيرها ومنها اشتغال المكتسب بالكسب عن البطالة واللهو
ومنها كسر النفس وصيرورتها قليلة الطغيان ومنها ان الكسب واسطة الامان من الفقر الذى هو اسوداد الوجه
فى الدارين ولا يتحرك فى الكسب لاجل عياله الا قال له حافظاه بارك الله لك فى حركاتك وجعل نفقاتك ذخرا
لك فى الجنة ويؤمن عليهما ملائكة السموات والارض وافضل الكسب الجهاد ثم التجارة ثم الحراثة ثم الصناعة
(واذا قيل لهم) نزلت فى مشركى العرب وكفار قريش امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل تعالى من البينات
الباهرة فجنحوا للتقليد اى واذا قيل للمشركين من الناس على وجه النصيحة والارشاد (اتبعوا ما انزل الله)

كتاب الله الذى انزله فاعملوا بتحليل ما احل الله وتحريم ما حرم الله فى القرءآن ولا تتبعوا خطوات الشيطان (قالوا بل) عاطفة للجملة التى تليها على الجملة المحذوفة قبلها (نتبع ما الفينا) اى وجدنا (عليه آباءنا) من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك لانهم كانوا خيرا منا فقلدوا آباءهم فانظروا ايها العقلاء الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون فقال الله تعالى ردا عليهم بهمزة الانكار والتعجب مع واو الحال بعدها (اولو كان آباؤهم) لما اقتضت الهمزة صدر الكلام والواو وسطه قدر بين الهمزة والواو جملة لتقع الهمزة فى صدرها والمعنى ايتبعونهم ولو كان آباؤهم اى فى حال كون آبائهم (لا يعقلون شيأ) من الدين لانهم كانوا يعقلون امر الدنيا (ولا يهتدون) للصواب والحق يعنى هذا منكر مستبعد جدا لان اتباع من لا عقل له ولا اهتدآء الى طريق الحق لا وجه له اصلا (ومثل) واعظ (الذين كفروا) وداعيهم الى الحق (كمثل) الراعى (الذى ينعق) نعق الراعى والمؤذن بعين مهملة صوت وبالمعجمة نغق للغراب والمعنى يصوت (بما لا يسمع) وهو البهائم اى لا يدرك بالاستماع (الا دعاء) صوتا من الناعق (ونداء) زجرا مجردا من غير فهم شئ آخر وحفظه كما يفهم العاقل ويجيب قيل الفرق بين الدعاء والنداء ان الدعاء للقريب والنداء للبعيد ويحتمل ان يكون الدعاء اعم من النداء والتشبيه المذكور فى الاية من قبيل التشبيه المفرق شبه داعى الكافر بالناعق ونفس الكفرة بالبهائم المنعوق بها ودعاء داعى الكفرة بنعيق الناعق بالبهائم والمعنى مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا فى وعظهم ودعائهم الى الله وعدم اهتدآئهم كمثل الراعى الذى يصيح بالغنم ويكلمها ويقول كلى واشربى وارعى وهى لا تفهم شيأ مما يقول لها كذلك هؤلاء الكفار كالبهائم لا يعقلون عنك ولا عن الله شيأ (صم) اى هم صم يعنى كأنهم يتصامون عن سماع الحق (بكم) بمنزلة الخرس فى ان لم يستجيبوا لما دعوا اليه (عمى) بمنزلة العمى من حيث اعراضهم عن الدلائل كانهم لم يشاهدوها ثم انه تعالى لما شبههم بفاقدى هذه القوى الثلاث التى يتوسل بها الى تمييز الحق من الباطل واختيار الحق فرع على هذا التشبيه قوله (فهم لا يعقلون) اى لا يكتسبون الحق بما جبلوا عليه من العقل الغريزى لان اكتسابه انما يكون بالنظر والاستدلال ومن كان كالاصم والاعمى فى عدم استماع الدلائل ومشاهدتها كيف يستدل على الحق ويعقله ولهذا قيل من فقد حسا فقد فقد علما وليس المراد نفى اصل العقل لان نفيه رأسا لا يصلح طريقا للذم وهكذا لا ينفع الوعظ فى آخر الزمان لان آذان الناس مسدودة عن استماع الحق واذهانهم مصدودة عن قبوله (ونعم ما قال السعدى) فهم سخن چون نكند مستمع ❊ قوت طبع ازمتكلم مجوى ❊ فسحت ميدان ارادت بيار ❊ تا بزند مرد سخن كوى كوى ❊ وفى قوله تعالى اولو كان آباؤهم الاية اشارة الى قطع النظر عن الاسلاف السوء واتباع اهل الاهوآء المختلفة والبدع الذين لا يعقلون شيأ من طريق الحق وضلوا فى تيه محبة الدنيا ويدعون انهم اهل العلم وليسوا من اهله اتخذوا العلم مكسبا للمال والجاه وقطعوا الطريق على اهل الطلب قال تعالى فى بعض الكتب المنزلة لا تسألنى عن عالم قد اسكره حب الدنيا فاولئك قطاع الطريق على عبادى فمن كان على جادة الحق وصراط الشريعة وعنده معرفة سلوك مقامات الطريقة يجوز الاقتدآء به اذ هو من اهل الاهتدآء الى عالم الحقيقة دون مدعى الشيخوخة بطريق الارث من الاباء ولا حظ لهم من طريق الاهتدآء فانهم لا يصلحون للاقتدآء (قال السعدى) چو كنعانرا طبيعت بى هنر بود ❊ پيمبرزادكى قدرش نيفزود ❊ هنر بنماى اكر دارى نه كوهر ❊ كل ازخارست وابراهيم ازآزر ❊ وفى التأويلات النجمية ان مثل الذين كفروا كان فى عالم الارواح عند الميثاق اذ خاطبهم الحق بقوله الست بربكم كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء لانهم كانوا فى الصف الاخير اذ الارواح كانوا جنودا مجندة فى اربعة صفوف فكان فى الصف الاول ارواح الانبياء عليهم السلام وفى الثانى ارواح الاولياء وفى الثالث ارواح المؤمنين وفى الرابع ارواح الكافرين فاحضرت الذرات التى استخرجت من ظهر آدم من ذرياته واقيمت كل ذرة بازآء روحها فخاطبهم الحق الست بربكم فالانبياء سمعوا كلام الحق كفاحا بلا واسطة وشاهدوا انوار جماله بلا حجاب ولهذا استحقوا ههنا النبوة والرسالة والمكالمة والوحى الله اعلم حيث يجعل رسالته والاولياء سمعوا كلام الحق وشاهدوا انوار جماله من انوار حجاب ارواح الانبياء ولهذا ههنا احتاجوا الى المتابعة الانبياء فصاروا عند القيام بادآء حق متابعتهم مستحق الالهام والكلام من ورآء الحجاب والمؤمنون سمعوا خطاب الحق ورآء حجاب الانبياء وحجاب ارواح الاولياء ولهذا آمنوا بالغيب

وقبلوا

وقبلوا دعوة الانبياء وان بلغتهم من ورآء حجاب رسالة جبريل وحجاب رسالة الانبياء فقالوا سمعنا واطعنا ومما يدل على هذه التقريرات قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورآء حجاب يعنى الاولياء او يرسل رسولا يعنى المؤمنين والكفار لما سمعوا من الخطاب ندآء من ورآء الحجب الثلاثة كانوا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء فما شاهدوا من انوار كمال الحق لا قليلا ولا كثيرا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وما فهموا شيأ من كلام الحق الا انهم سمعوا من ذرات المؤمنين من ورآء الحجاب لما قالوا بلى فقالوا بالتقليد ولهذا ههنا قلدوا واما الفوا عليه آباءهم لقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون فلما تعلقت ارواحهم بالاجساد وتكدرت بكدورات الحواس والقوى النفسانية واظلمت بظلمات الصفات الحيوانية وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون من التمتعات البهيمية والاخلاق الشيطانية واللذات الجسمانية اصمهم الله واعمى ابصارهم فهم الان صم عن استماع دعوة الانبياء بسمع القبول بكم عن قول الحق والاقرار بالتوحيد عمى عن رؤية آيات المعجزات فهم لا يعقلون ابدا لانهم ابطلوا بالرين صفاء عقولهم الروحانية وحرموا من فيض الانوار الربانية (قال الصائب) چرا زغير شكايت كنم كه همچو حباب ❊ هميشه خانه خراب هواى خويشتنم (وفى المثنوى) كرچه ناصح را بود صد داعيه ❊ پند را اذنى ببايد واعيه ❊ تو بصد تلطيف پندش ميدهى ❊ او ز پندت ميكند پهلو تهى ❊ يك كس نا مستمع ز استيزورد ❊ صد كس كوينده را عاجز كند ❊ ز انبيا ناصح تر وخوش لهجه تر ❊ كى بود كه رفت دمشان در حجر ❊ زانچه كوه وسنك در كار آمدند ❊ مى نشد بدبخت را بكشاده بند ❊ انچنان دلها كه بدشان ما ومن ❊ نعتشان شد بل اشد قسوة ❊ فعلى العاقل ان يتدارك حاله بسلوك طريق الرضى والندم على ما مضى ويزكى نفسه عن سفساف الاخلاق ويصفى قلبه الى ان تنعكس اليه انوار الملك الخلاق وذلك لا يحصل غالبا الا بتربية كامل من اهل التحقيق لان المرء محجوب عن ربه وحجابه الغفلة وهى وان كانت لا ترفع ولا تزول الا بفضل الله تعالى لكنه باسباب كثيرة ولا اهتدآء الى علاج المرض الا باشارة حكيم حاذق وذلك هو المرشد الكامل فاذا يزول الرين عن القلب وتنفتح روزنة البال الى الغيب فيكون اقرار السالك تحقيقا لا تقليدا وتوحيده تجريدا وتفريدا فحينئذ ينعكس الامر فيكون اصم عن سماع اخبار ما سوى المحبوب الحقيقى ابكم عن افشاء سر الحقيقة اعمى عن رؤية الاغيار فى هذه الدار الفانية اللهم خلصنا من التقليد واوصلنا الى حقيقة التوحيد انك حميد مجيد (يا ايها الذين آمنوا كلوا) رزقكم (من طيبات ما رزقناكم) اى من حلالاته لان ما رزقناكم اعم من الحلال والحرام عند اهل السنة او من لذيذاته لانه اعم ايضا من المستلذ والمستكره قال ابن الشيخ وهذا المعنى هو المناسب لهذا المقام واولى من حمله على الحلال الطاهر من الشبهة لان المقام مقام الامتنان بما رزقه من لذآئذ الاحسان وطلب شكر المنعم المنان والطلب له ثلاثة معان المستلذ طبعا والمباح شرعا والطاهر وضعا وفى الاية اشارة الى انه لا بأس بالتفكه بانواع الفواكه لانها من الطيبات وتركه افضل لئلا ينتقص من درجته ويدخل تحت قوله تعالى اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا والامر باكل الطيبات لفائدتين احداهما ان يكون اكلهم بالامر لا بالطبع فيتمازون عن الحيوانات ويخرجون من حجاب ظلمة الطبع بنور الشرع والثانى ليثيبهم بائتمار امر الاكل (واشكروا لله) الذى رزقكموها واحلها لكم والشكر صرف العبد جميع اعضائه الظاهرة والباطنة الى ما خلقت لاجله وهذا الامر ليس امر اباحة بل هو للايجاب اذ لا شك فى انه يجب على العاقل ان يعتقد بقلبه ان من اوجده وانعم عليه بما لا يحصى من النعم الجليلة مستحق لغاية التعظيم وان يظهر ذلك بلسانه وبسائر جوارحه (ان كنتم اياه تعبدون) اى ان كنتم مؤمنين بالله وتخصصون الله بالعبادة فاشكروا له فان الايمان يوجب ذلك وهو من شرآئطه وهو مشهور فى كلامهم يقول الرجل لصاحبه الذى عرف انه يحبه ان كنت لى محبا فافعل كذا فيدخل حرف الشرط فى كلامه تحريكا له على ما يؤمر به واعلاما انه من شرآئط المحبة وليس المراد ان انتفاء الشرط يستلزم انتفاء المشروط فان من لا يفعل هذه العبادة يجب الشكر عليه ايضا وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انى والانس والجن فى نبأ عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى (قال السعدى) مكن گردن از شكر منعم مپيچ ❊ كه روز پسين سر برارى بهيچ (انما حرم عليكم الميتة) اى ما مات بغير ذكاة مما يذبح والسمك والجراد مستثنيان بالعرف لانه اذا قيل فلان اكل ميتة لم يسبقا الى الفهم

ولا اعتبار للعادة قالوا من حلف لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما فى الحقيقة قال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا والمراد بتحريم الميتة تحريم اكلها وشرب لبنها او الانتفاع بها لان الاحكام الشرعية انما تتعلق بالافعال دون الاعيان (والدم) الجارى والكبد والطحال مستثنيان ايضا بالعرف فهما حلالان (ولحم الخنزير) قد انعقد الاجماع على ان الخنزير حرام لعينه فيكون جميع اجزائه محرما وانما خص الله لحمه بالذكر لانه معظم ما ينتفع به من الحيوان فهو الاصل وما عداه تبع له (وما اهل به لغير الله) اى وحرم ما رفع به الصوت عند ذبحه للصنم واصل الاهلال رفع الصوت وكانوا اذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون اصواتهم بذكرها ويقولون باسم اللات والعزى فجرى ذلك من امرهم حتى قيل لكل ذابح وان لم يجهر بالتسمية مهل قال العلماء لو ذبح مسلم ذبيحة وقصد بها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته ميتة وذبائح اهل الكتاب تحل لنا لقوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الا ان سموا غير الله فانها حينئذ لا تحل لهذه الاية فان قوله تعالى وطعام الذين الخ عام وقوله وما اهل به لغير الله خاص والخاص مقدم على العام (فمن) يحتمل ان تكون شرطية وموصولة (اضطر) اى احوج والجئ الى اكل شئ مما حرم الله بان لا يجد غيرها وجدان الاضطرار ان يخاف على نفسه او على بعض اعضائه التلف (غير) نصب على الحال فانه اذا صلح فى موضع لا فهو حال وان صلح فى موضع الا فهو استثناء والا فهو صفة وذو الحال ههنا فاعل فعل محذوف بعد قوله اضطر تقديره فمن اضطره احد امرين الى تناول شئ من هذه المحرمات احدهما الجوع الشديد مع عدم وجدان مأكول حلال يسد رمقه وثانيهما الاكراه على تناوله فتناول واكل حال كونه غير (باغ) على مضطر آخر بان حصل ذلك المضطر الآخر من الميتة مثلا قدر ما يسد به جوعته فاخذه منه وتفرد باكله وهلك الآخر جوعا وهذا حرام لان موت الآخر جوعا ليس اولى من موته جوعا (ولا عاد) من العدو وهو التعدى والتجاوز فى الامر لما حد له فيه اى غير متجاوز حد الشبع عند الاكل بالضرورة بان يأكل قدر ما يحصل به سد الرمق والجوعة (فلا اثم عليه) فى تناوله عند الضرورة (ان الله غفور) لما اكل فى حال الاضطرار (رحيم) بترخيصه ذلك ولم يذكر فى هذه الاية سائر المحرمات لانها ليست لحصر المحرمات بل هذه الايات سيقت لنهيهم عن استحلال ما حرم الله وهم كانوا يستحلون هذه الاشياء فكانوا يأكلون الميتة ويقولون تأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما اماته الله وكذا يأكلون الدم ولحم الخنزير وذبائح الاصنام فبين انه حرمها فالمراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا وقيل ذكر الميتة يتناول المتردية وهى الساقطة فى بئر او ماء او من علو والمنخنقة وهى ما اختنق بالشبكة او بحبل او خنق خانق والموقوذة وهى المضروبة بالخشب والنطيحة وهى المنطوحة وما اكل السبع ومتروك التسمية عمدا ونحوها ويكره عشرة من الحيوان الغدة والقبل والدبر والذكر والخصيتان والمرارة والمثانة ونخاع الصلب اما الدم فلقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم واما ما سواه فلانها من الخبائث قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى ذكر ان النبى عليه السلام لم يأكل الطحال ولا الكلية ولا الثوم وان لم يمنع عن اكلها فالاولى ان لا تؤكل اقتفاء لاثره ثم قيل فى وجهه ان المنى اذا نزل لم ينزل الا بعد اتصاله بالكلية واما الطحال فلانه من اطعمة اهل النار كذا فى واقعات الهدايى قدس سره ومن امتنع من الميتة حال المخمصة او صام ولم يأكل حتى مات اثم بخلاف من امتنع من التداوى حتى مات فانه لا يأثم لانه لا يقين بان هذا الدواء يشفيه ولعله يصح من غير علاج وذكر فى الاشباه والنظائر انه يرخص للمريض التداوى بالنجاسات وبالخمر على احد القولين واختار قاضى خان عدمه واساغة اللقمة بها اذا غص اتفاقا واباحة النظر للطبيب حتى للعورة والسوأتين انتهى ويحل للعطشان شرب الخمر حالة الاضطرار على ما نص عليه فى الخانية وما قال الصدر الشهيد من ان الاستشفاء بالحرام حرام فهو غير مجرى على اطلاقه لان الاستشفاء بالمحرم انما لا يجوز اذا لم نعلم ان فيه شفاء واما اذا علم ذلك وليس له دواء آخر غيره يجوز له الاستشفاء به ومعنى قول ابن مسعود رضى الله عنه ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم يحتمل ان عبد الله قال ذلك فى داء عرف له دواء غير محرم لانه حينئذ يستغنى بالحلال عن الحرام وفى التهذيب يجوز للعليل شرب البول والدم للتداوى اذا اخبره طبيب مسلم ان شفاءه فيه ولم يجد من المباح ما يقوم مقامه كذا فى شرح الاربعين حديثا للعلامة الروم ابن الكمال والاشارة فى قوله تعالى انما حرم الاية انه كما حرم على الظواهر هذه المعهودات حرم على البواطن شهود غير الله فالميتة هى جيفة الدنيا والدم هى الشهوات النفسانية قال عليه السلام ان الشيطان

ايجرى فى ابن ادم مجرى الدم ولولا ان الشهوات فى الدم مستكنة لما كان للشيطان اليه سبيل ولهذا قال عليه السلام سدوا مجارى الشيطان بالجوع لان الجوع يقطع مادة الشهوات ولحم الخنزير اشارة الى هوى النفس وتشبيه النفس بالخنزير لغاية حرصها وشرهها وخستها وخيانة ظاهرها وباطنها وما اهل به لغير الله هو كل ما يتقرب به الى الله من الطاعات البدنية والخيرات المالية من غير اخلاص لله وفى الله بل للرياء والسمعة فى سبيل الهوى فمن اضطر اما الضرورة الحاجة النفسانية واما الضرورة امر الشرع باقامة احكام الواجبات عليه فليشرع فى شئ مما اضطر اليه غير باغ اى غير حريص على الدنيا وجمعها من الحرام والحلال وغير مولع على الشهوات بالحرام والحلال وغير مقبل الى استيفاء حظوظ النفس فى الحرام والحلال وغير مواظب على الرياء فى الطاعات والخيرات من السنن والبدع ولا عاد اى غير متجاوز من الدنيا حد القناعة وهى ما يسد الجوعة ويستر العورة فلا اثم عليه على من قام بهذه الشرائط ان الله غفور رحيم يغفر للعاملين له باثار الرحمة والقائمين به بانوار الرحمة والماحين فيه باوصاف الرحمة التقطته من التأويلات النجمية والغفور والغفار هو الذى اظهر الجميل وستر القبيح والذنوب من جملة القبائح التى سترها باسبال الستر عليها فى الدنيا والتجاوز عن عقوبتها فى الاخرة وحظ العبد من هذا الاسم ان يستر من غيره ما يجب ان يستر منه وقد قال عليه السلام من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة والمغتاب والمتجسس والمكافئ على الاساءة بمعزل عن هذا الوصف وانما المتصف به من لا يفشى من خلق الله الا احسن ما فيه كما روى عن عيسى عليه السلام انه مر مع الحواريين بكلب قد غلب نتنه فقالوا ما انتن هذه الجيفة فقال عليه السلام ما احسن بياض اسنانها تنبيها على ان الذى ينبغى ان يذكر من كل شئ ما هو احسن كذا فى شرح الاسماء الحسنى للامام الغزالى قدس سره (ان الذين) نزلت فى احبار اليهود فانهم كانوا يرجون ان يكون النبى المنعوت فى التوراة منهم فلما بعث الله نبينا محمدا عليه السلام من غيرهم غيروا نعته حتى اذا نظر اليه السفلة يجدونه مخالفا لصفة محمد عليه السلام فلا يتبعونه فلا تزول رياستهم (يكتمون ما انزل الله من الكتاب) حال من العائد المحذوف اى انزله الله حال كونه من الكتاب وهو التوراة المشتمل على نعت محمد عليه السلام (ويشترون به) اى بدل المنزل المكتوم (ثمنا قليلا) اى يأخذون عوضا حقيرا من الدنيا يعنى المأكل التى يصيبونها من سفلتهم (اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار) اما فى الاخرة فظاهر لانهم لا يأكلون يوم القيامة الا عين النار عقوبة لهم على اكلهم الرشوة فى الدنيا واما فى الدنيا فبا كل سببها فان اكلهم ما اخذوه من اتباعهم سبب مؤد الى ان يعاقبوا بالنار فاطلاق النار عليه من قبيل اطلاق اسم المسبب على السبب ومعنى فى بطونهم ملئ بطونهم يقال اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه يعنى ان المقصود من ذكر بطونهم متعلقا بقوله يأكلون انما هو بيان محل الاكل ومقر المأكول فلما لم يقل يأكلون فى بعض بطونهم على ان محل الاكل هو تمام بطونهم فلزم امتلاؤها ففيه مبالغة كانهم كانوا متمكنين على البطون عند الاكل فلا وابطونهم (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) اى لا يكلمهم الله بطريق الرحمة غضبا عليهم فليس المراد به نفى الكلام حقيقة لئلا يتعارض بقوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه بل هو كناية عن الغضب لان نفى الكلام لازم للغضب عرفا وعادة الملوك عند الغضب انهم يعرضون عن المغضوب عليهم ولا يكلمونهم كما انهم عند الرضى يتوجهون اليهم بالملاطفة (ولا يزكيهم) لا يثنى عليهم ولا يطهرهم من دنس الذنوب يوم يطهر المؤمنين من ذنوبهم بالمغفرة (ولهم عذاب اليم) وجع دائم مؤلم (اولئك) المشترون بكتاب الله ثمنا قليلا ليسوا بمشترين للثمن وان قل بل (الذين اشتروا) بالنسبة الى الدنيا (الضلالة) التى ليست مما يمكن ان يشترى قطعا (بالهدى) الذى ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شئ وان جل (والعذاب) اى اشتروا بالنظر الى الاخرة العذاب الذى لا يتوهم كونه من المشترى (بالمغفرة) التى يتنافس فيها المتنافسون (فما اصبرهم على النار) اى ما اصبرهم على اعمال اهل النار حين تركوا الهدى وسلكوا مسالك الضلال فالمراد بالنار سببها اطلق عليه اسم النار للملابسة بينهما ومعنى التعجب راجع الى العباد فهو تعجب اى ايقاع للمخاطب فى العجب لامتناع التعجب فى شأنه تعالى لان التعجب منشأه الجهل بالسبب فانهم قالوا التعجب انفعال النفس مما خفى سببه وخرج عن نظائره فلا يجوز على الله تعالى (ذلك) العذاب بالنار (بان الله) اى بسبب انه (نزل الكتاب) اى جنس الكتاب (بالحق) اى حال كونه ملتبسا بالحق فلا جرم يكون من يرفضه بالتكذيب والكتمان ويركب متن الجهل

مطلب مأخذ من تفسير نجم الدين الكبرى

والغواية مبتلى بمثل هذا من افانين العذاب (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) اى فى جنس الكتاب الالهى بان آمنوا ببعض كتب الله وكفروا ببعضها اوفى التوراة بان آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالايات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونعوته الكريمة اوفى القرءآن بان قال بعضهم انه شعر وبعض سحر وبعض كهانة (لفى شقاق بعيد) اى خلاف بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب اعلم ان فى هذه الايات وعيدا عظيما لكل من يكتم الحق لغرض فاسد دنيوى فليحذروا اى العلماء ان يكتموا الحق وهم يعلمون وانما يكتمونه عن الملوك والامرآء والوزرآء وارباب الدنيا اما خوفا من ايضاع مرتبتهم ونقصان قدرهم عندهم واما طموح احسانهم اولانهم شركاؤهم فى بعض احوالهم من حب الدنيا وجمعها والحرص فى طلبها اوطلب مناصبها وحب رياستها اوبا لتنعم فى الماكول والمشروب والملبوس والمركوب والمسكن والاوانى وآلات البيت والامتعة والزينة فى كل شئ والخدم والخيول وغيرذلك فعند ذلك يداهنون ويأكلون ثمنا قليلا ولا يأكلون الانار الحرص والشهوة والحسد التى تطلع على الافئدة وتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واعلم ان فى كل عمل وفعل وقول يصدر من العبد على خلاف الشرع شررا يجتنى من نار السعير فيحصل فى قلب العبد تلك النار فى الحال وفى التى تصدر من العبد على وفق الشرع شررا يجتنى من نار المحبة فتظهر فى القلب فتحرق كل محبوب غير الله فى القلب كما ان نار السعير تحرق فى القلب الحسنات والاخلاق الحميدة فيأكلون نارا فى الحال وانما قال ما يأكلون فى بطونهم الا النار لان فسادهم كان فى الباطن فكان عذابهم فى البطون وانما لا يكلمهم الله يوم القيامة لانهم كتموا كلام الله فى الدنيا ولا تكلموه بالصدق فكان جزآء سيئة وانما لا يزكيهم لان تزكية النفس للانسان مقدرة من الايمان والاعمال الصالحة بصدق النية من تهذيب الاخلاق باداب الشرع فاولئك المداهنون من العلماء هم اشتروا حب الدنيا بهدى اظهار الحق وآثروا الخلق على الحق والمداهنة على افضل الجهاد قال عليه السلام ان افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وانما كانت افضل لان الجهاد بالحجة والبرهان جهاد اكبر بخلاف الجهاد بالسيف والسنان فانه جهاد اصغر ومدار كتمان الحق حب الدنيا وحب رأس كل خطيئة قال الحسن ان الزبانية الى فسقة حملة القرءآن اسرع منهم الى عبدة الاوثان فيقولون ربنا ما بالنا يتقدمون الينا فيقول الله ليس من يعلم كمن لا يعلم فمن اشترى الدنيا بالدين فقد وقع فى خسران مبين وكان دآئما فى منازعة الشيطان كما حكى ان رجلا قال للشيخ ابى مدين ما يريد منا الشيطان شكاية منه فقال الشيخ انه جاء قبلك وشكا منك وقال اعلم انه سيشكونى ولكن الله ملكنى الدنيا فمن نازعنى فى ملكى لا اسلى بدون ايمانه فمن كف يده عن الدنيا وزينتها فقد استراح من تعبها ومحنتها وحكى ان ذا القرنين اجتاز على قوم تركوا الدنيا وجعلوا قبور موتاهم على ابوابهم يقتاتون بنبات الارض ويشتغلون بالطاعة فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال مالى حاجة الى صحبة ذى القرنين فجاء ذو القرنين فقال ما سبب قلة الذهب والفضة عندكم قال ليس للدنيا طالب عندنا لانها لا تشبع احدا فجعلنا القبور عندنا حتى لا ننسى الموت ثم اخرج راس انسان وقال هذا رأس ملك من الملوك كان يظلم الرعية ويجمع حطام الدنيا فقبضه الله تعالى وبقى عليه السيئات ثم اخرج رأسا آخر وقال ايضا هذا رأس ملك عادل مشفق فقبضه واسكنه جنته ورفع درجته ثم وضع يده على رأس ذى القرنين وقال من اى الرأسين يكون رأسك فبكى ذو القرنين وقال ان ترغب فى صحبتى شاطرتك مملكتى وسلمت اليك وزارتى فقال هيهات وقال ذو القرنين ولم قال لان الناس اعدآؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم احبابى بسبب القناعة (قال السعدى قدس سره) دركوشهٔ قناعت نان پارهٔ و بينه * درويش اهل معنى بهتر ز صد خزينه (ليس البر) هو كل فعل مرضى يفضى بصاحبه الى الجنة (ان تولوا) اى ان تصرفوا يا اهل الكتابين (وجوهكم) فى الصلاة (قبل المشرق والمغرب) اى مقابله ظرف مكان لقوله تولوا والبر منصوب على انه خبر مقدم وان تولوا اسمها لكونه فى تأويل المصدر والمصدر المؤول اعرف من المحلى باللام وهو يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به فالاولى ان يجعل الاعرف اسما وغير الاعرف خبرا وذلك ان اليهود والنصارى اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر هو التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر (ولكن البر) المعهود الذى ينبغى ان يهتم بشأنه ويجد

بلغ مقابله نجم الدين الكبرى

كتبه ٢ سنه [illegible]

فى تحصيله (من) اى بر من على حذف المضاف لان اسم لكن من اسماء المعانى وخبرها من اسماء الاعيان فامتنع الحمل لذلك (آمن بالله) وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله وقدم الايمان بالله فى الذكر لانه اصل لجميع الكمالات العلمية والعملية (واليوم الآخر) اى بالبعث الذى فيه جزآء الاعمال على انه كائن لا محالة وعلى ما هو عليه لا كما يزعمون من انهم لا تمسهم النار الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء ويشفعون لهم فالبر هو التوجه الى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب فى الحقيقة ولما كان الايمان باليوم الآخر متفرعا على الايمان بالله لانا ما لم نعلم باستحقاقه الالوهية وقدرته على جميع الممكنات لا يمكننا ان نعلم صحة الحشر والنشر وكان الايمان به محركا وداعيا الى الانقياد بالله فى جميع ما امر به ونهى عنه خوفا وطمعا ذكر الايمان به عقيب الايمان بالله (والملائكة) كانهم بانهم عباد الله ليسوا بذكور ولا اناث ولا بشر ولا اولاد الله مكرمون عنده متوسطون بينه وبين انبيائه بالقاء الوحى وانزال الكتب واليهود اخلوا بذلك حيث اظهروا عداوة جبريل (والكتاب) اى بجنس الكتاب الالهى الذى من افراده الفرقان واليهود اخلوا بذلك لانه مع قيام الدليل على ان القرءآن كتاب الله تعالى ردوه ولم يقبلوه (والنبيين) جميعا بانهم المبعوثون الى خلقه والقائمون بحقه والصادقون عنه فى امره ونهيه ووعده ووعيده واخباره من غير تفرقة بين احد منهم واليهود اخلوا بذلك حيث قتلوا الانبياء وطعنوا فى نبوة محمد عليه السلام واعلم ان الايمان بالملائكة والكتاب الا انه قدم الايمان بهما فى الذكر رعاية للترتيب بحسب الوجود الخارجى ولم ينظر الى الترتيب فى العلم فان الملك يوجد اولا ثم يحصل بواسطته نزول الكتاب الى الرسل فيدعو الرسل الى ما فيها من الاحكام وهذا اى الايمان بالامور الخمسة المذكورة اصول الدين وقواعد العقائد (وآتى المال) اى الصدقة من ماله (على حبه) حال من الضمير فى آتى والضمير المجرور للمال اى آتاه كائنا على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اى الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان (قال السعدى) پريشان كن امروز گنجينه چست * كه فردا كليدش نه در دست تست * كنون بر كف دست نه هرچه هست * كه فردا بدندان كزى پشت دست (ذوى القربى) مفعول اول لآتى بدلالة الحال وقدمهم لانهم احق بالصدقة لقوله عليه السلام صدقتك على المسلمين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال ايضا افضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح (واليتامى) الفقرآء منهم لا الاغنياء وقدم اليتامى على سائر المصارف لان الصغير الفقير الذى لا والد له ولا كاسب اشد احتياجا من المساكين ومن ذكر بعدهم (والمساكين) جمع مسكين والمسكين ضربان من يكف عن السؤال وهو المراد ههنا ومن ينبسط ويسأل وهذا القسم داخل فى قوله والسائلين وهو مبالغة الساكن فان المحتاج يزداد سكونه الى الناس على حسب ازدياد حاجته (وابن السبيل) اى المسافر البعيد عن ماله وسمى به لملازمته له كما تقول للص القاطع ابن الطريق وللمعمر ابن الليالى ولطير الماء ابن الماء والضيف لانه جاء من السبيل فكانه ولد منه قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وايضا اكرموا الضيف ولو كان كافرا (والسائلين) الذين الجأتهم الحاجة والضرورة الى السؤال وفى الحديث للسائل حق ولو جاء على ظهر فرسه (قال السعدى) نه خواهنده بر در ديگران * بشكرانه خواهنده از در مران (وفى) تخليص (الرقاب) بمعاونة المكاتبين جمع رقبة وهى مؤخر العنق واشتقاقها من المراقبة لانها مكان مراقبة الرقيب المشرف على القوم واذا قيل اعتق الله رقبته يراد ان الله تعالى خلصه من مراقبة العذاب اياه وقيل المراد بهم ارقاء يشتريهم الاغنياء لاعتاقهم وقيل المراد بهم الاسارى فان الاغنياء يؤتون المال فى تخليصهم فهذا هو البر ببذل الاموال على وفق مراد الله تعالى الى المصارف المذكورة واليهود اخلوا بذلك لانهم اكلوا اموال الناس بالباطل حيث كتموا دلائل حقيقة الاسلام على اتباعهم واشتروا به ثمنا قليلا وعوضا يسيرا وهو ما يعود اليهم من هدايا السفلة (واقام الصلاة) المفروضة عطف على صلة من اى من آمن وآتى واقام واليهود كانوا يمنعون الناس من الصلاة والزكاة (وآتى الزكاة) المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقة قدم على الفريضة مبالغة فى الحث عليه اوالاول لبيان المصارف والثانى لبيان وجوب الادآء (والموفون) عطف على من آمن فانه

فى قوة ان يقال ومن اوفوا (بعهدهم) من الاوامر والنواهى اوالنذور (اذاعاهدوا) فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم
وبين الناس اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا اونذروا اوفوا واذا قالوا صدقوا واذا ائتمنوا ادوا وفى الحديث
من اعطى عهد الله ثم نقضه فالله منتقم منه اى انقطع نظره عنه ومن اعطى ذمة رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ثم غدر فالنبى خصمه يوم القيامة واليهود نقضوا العهد قال الله تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم
(وفى المثنوى) چون درختست آدمى وبيخ عهد * بيخ را تيمارمى بايد بجهد * عهد فاسد بيخ
بوسيده بود * وزثمار ولطف ببريده بود * شاخ وبرك نخل كرچه سبز بود * چون تبه شد بيخ
سبزى نيست سود * ورندارد برك سبز وبيخ هست * عاقبت بيرون كند صد برك دست (والصابرين)
منصوب على المدح اى بتقدير اعنى وهو فى الحقيقة والمعنى عطف على من آمن لكن غير سبكه تنبيها على فضيلة
الصبر ومزيته اى واعنى الذين صبروا (فى البأساء) اى فى الفقر والشدة (والضراء) اى المرض والزمانة (وحين
الباس) منصوب بالصابرين اى وقت الشدة والبأس شدة القتال خاصة وهو فى الاصل مطلق الشدة وزيادة
الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه واهل الكتاب اخلوا بذلك حيث كانوا فى غاية الخوف والجبن
والحاصل انه لما حولت القبلة وكثر خوض اهل الكتاب فى نسخها صار كانهم قالوا مدار البر والطاعة
هو الاستقبال فانزل الله هذه الاية كأنه تعالى قال ماهذا الخوض الشديد فى امر القبلة مع الاعراض
عن كل اركان الدين فصفة البر لاتحصل بمجرد استقبال المشرق والمغرب بل البر لايحصل الا بمجموع الامور
المذكورة (اولئك) اى اهل هذه الصفة (الذين صدقوا) فى الدين واتباع الحق وتحرى البر حيث لم تغيرهم
الاحوال ولم تزلزلهم الاهوال (واولئك هم المتقون) عن الكفر وسائر الرذآئل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه
شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والاية جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها
صريحا اوضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس
وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله
واقام الصلاة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته
للخلق ومعاملته مع الحق واليه يشير قوله عليه السلام من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان قال شيخنا
العلامة ابقاه الله بالسلامة قيل لى فى قلبى احسن اخلاق المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضى واحسن
اخلاقه فى معاملته مع الخلق العفو والسخاء انتهى كلامه وحب المال من اغلب اخلاق النفس وكذا الجملة من
الاخلاق الرديئة ولذلك قيل ان الصبر افضل من الشكر وفى الخبر يؤتى باشكر اهل الارض ليجزيه الله جزآء
الشاكرين ويؤتى بالصابر فيقول الله هذا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر فيعطى اضعاف
جزآء الشاكرين والتحقيق ان تهذيب النفس انما يكون بالتوحيد بطريقه المخصوص كما ان اصل الايمان
انما يحصل بالتوحيد والشهادة (ياايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) الخطاب لائمة المؤمنين
اوجب الله تعالى على الامام وعلى من يجرى مجراه ويقوم مقامه اقامة القصاص والتقدير ياايها الائمة فرض
عليكم استيفاء القصاص ان اراد ولى الدم استيفاءه ويحتمل ان يكون الخطاب متوجها على القاتل والمعنى ياايها
القاتلون عمدا كتب عليكم تسليم انفسكم عند مطالبة الولى بالقصاص وذلك لان القاتل ليس له ان يمتنع عن
القصاص لكونه حق العبد بخلاف الزانى والشارب فان لهما الهرب من الحدود لكون ما عليهما من الحق حق
الله تعالى والقصاص ان يفعل بالانسان مثل مافعل فهو عبارة عن التسوية والمماثلة فى الانفس والاطراف
والجراحات والقتلى جمع قتيل وفى للسبب اى بسبب قتل القتلى كما فى قوله عليه السلام ان امرأة دخلت النار
فى هرة ربطتها اى بسبب ربطها اياها وحسن الوقف فى قوله القتلى (الحر بالحر) مبتدأ وخبر اى الحر مأخوذ
ومقتول بمثله (والعبد بالعبد والانثى بالانثى) سبب النزول انه كان بين حيين من احياء العرب دماء فى الجاهلية
وكان لاحدهما طول على الاخر اى قوة وفضل فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين
بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم الله
ان يتباروا اى يتساووا ويتعادلوا وقوله الحر بالحر لايفيد الحصر البتة بان لايجرى القصاص الا بين الحرين وبين
العبدين وبين الانثيين بل يفيد شرع القصاص فى القتلى بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة على سائر

الاقسام فان قوله تعالى كتب عليكم القصاص فى القتلى جملة مستقلة بنفسها وقوله الحر بالحر تخصيص لبعض
جزئيات تلك الجملة بالذكر وتخصيص بعض جزئيات الجملة المستقلة بالذكر لايمنع ثبوت الحكم لسائر الجزئيات
بل ذلك التخصيص يمكن ان يكون لفائدة سوى نفى الحكم عن سائر الصور وهى ابطال ماكان عليه اهل
الجاهلية من انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل بالعبد المقتول والانثى القاتلة بالانثى المقتولة
وليس فيه نفى جريان القصاص بين الحر والعبد والذكر والانثى بل فيه منع عن التعدى الى غير القاتل انتهى
كلامه والثورى وابو حنيفة يقتلان الحر بالعبد والمؤمن بالكافر ويستدلان بعموم قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها
ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا فى القرآن من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب
على انها شريعة لنا وبما روى المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل فى النفس غير معتبر بدليل قتل الجماعة
بالواحد وبان القصاص يعتمد المساواة فى العصمة وهى بالدين اوبالدار وهما سيان فيهما ومالك والشافعى
لايقتلان الحر بالعبد ولا المؤمن بالكافر كما قال الشافعى رحمه الله

خذوا بدمى هذا الغزال فانه * رمانى بسهمى مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه اننى انا عبده * وفى مذهبى لايقتل الحر بالعبد

(فمن) عبارة عن القاتل شرطية كانت اوموصولة (عفى له من اخيه) الضميران راجعان الى من (شئ) اى شئ
من العفو قليل فارتفاع شئ على انه قائم مقام فاعل عفى بناء على انه فى حكم المصدر اى فى حكم قولك عفى عفو
فان عفا وان كان لازما لايتعدى الى المفعول به الا انه يتعدى الى المفعول المطلق فيصلح ان يقام مصدره مقام
الفاعل كما فى قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور نفخة وقولهم سير بزيد بعض السير وشئ من السير وفائدة قوله شئ
الاشعار بانه اذا عفى له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم اوعفا عنه بعض الورثة تم العفو
وسقط القصاص ولم يجب الا الدية وعفا يتعدى الى الجانى والى الذنب بعن فاذا تعدى الى الذنب بعن
كما فى قوله تعالى عفا الله عنك عدى الى الجانى باللام يقال عفوت لفلان اذا جنى وعليه مافى الاية وعفوا
الجانى عبارة عن اسقاط موجب الجناية عنه وموجبها ههنا القصاص فكانه قيل القاتل الذى عفى له
عن جناية من جهة اخيه الذى هو ولى المقتول سوآء كان العفو الواقع تاما بان اصطلح القاتل مع جميع اولياء
القتيل على مال اوبعض العفو بان وقع الصلح بينه وبين بعض الاولياء فانه على التقديرين يجب المال ويسقط
القصاص فانه قد روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان هذه الاية نزلت فى الصلح عن القصاص على مال وسمى
الله تعالى ولى الجناية اخا للقاتل استعطافا له عليه وتنبيها على ان اخوة الاسلام قائمة بينهما وان القاتل لم يخرج
من الايمان بقتله (فاتباع بالمعروف) خبر مبتدأ محذوف اى واذا حصل شئ من العفو وبطل الدم بعفو البعض
فالامر اتباع بالمعروف اى على ولى المقتول ان يطالب القاتل ببدل الصلح بالمعروف بترك التشديد والتضييق
فى طلبه واذا اخذ الدية لايطلب الا كثر مما وجب عليه (واداء اليه باحسان) حث المعفو عنه وهو القاتل
على تأدية المال بالاحسان اى وعلى القاتل ان يؤدى المال الى العافى باحسان فى الاداء بترك المطل والبخس
والاذى (ذلك) اى الحكم المذكور من العفو والدية (تخفيف من ربكم) اى تيسير وتوسعة لكم (ورحمة) منه
حيث لم يجزم بالعفو واخذ الدية بل خيركم بين الثلاث القصاص والدية والعفو وذلك لان فى شرع موسى عليه
السلام القصاص وهو العدل فقط وفى دين عيسى عليه السلام العفو وهو الفضل فحسب وفى ملتنا للتشفى
القصاص وللترفه الدية وللتكرم العفو (فمن اعتدى) اى تجاوز ماشرع له (بعد ذلك) التخفيف بان قتل غير
القاتل اوقتل القاتل بعد العفو اواخذ الدية فقد كان الولى فى الجاهلية يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر فيقتله
وينبذ ماله الى اوليائه (فله) باعتدائه (عذاب اليم) نوع من العذاب شديد الالم اما فى الدنيا فبالاقتصاص
بما قتله بغير حق واما فى الآخرة فبالنار (ولكم فى القصاص حياة) اى فى هذا الجنس من الحكم الذى هو
القصاص حياة عظيمة لانهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة كما قتل مهلهل بن ربيعة باخيه كليب حتى كاد يفنى
بكر ابن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع فيما بينهم التشاجر والهرج والمرج وارتفاع الامن
فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه اى حياة لانه اذا علم القاتل انه يقتل اذا قتل لايقدم على القتل واذا
قتل فقتل ارتدع غيره فكان القصاص سبب حياة نفسين اواكثر وهو كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة من

حيث جعل الشئ محل ضده فان ضدية شئ لآخر تستلزم ان يكون تحقق احدهما رافعا للآخر والقصاص
لاستلزامه ارتفاع الحياة ضد لها وقد جعل ظرفا لها تشبيها له بالظرف الحقيقى من حيث ان المظروف اذا حواه
الظرف لا يصيبه ما يخل به ويفسده ولاهو يتفرق ويتلاشى بنفسه كذلك القصاص يحمى الحياة من الآفات
فكان من هذا الوجه بمنزلة الظرف لها ولا شك فيه ان جعل الضد حاميا لضده اعتبار لطيف فى غاية الحسن
والغرابة التى هى من زكاة البلاغة وطرقها (يا اولى الالباب) اى ذوى العقول الخالصة عن شوب الاوهام
ناداهم للتأمل فى حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس (لعلكم تتقون) تعملون عمل اهل
التقوى فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان او تتقون عن القتل مخافة القود وفيه تحذير عن القتل
فان من اعظم حقوق العباد الدماء وهى اول ما يحاسب به العبد بالنسبة الى حقوق العباد كما ان الصلاة اول
ما يحاسب به بالنسبة الى حقوق الله تعالى وفى الحديث يأتى المقتول معلقا رأسه باحدى يديه متلبسا قاتله
بيده الاخرى تشخب اوداجه دما حتى يوقفا فيقول المقتول لله سبحانه هذا قتلنى فيقول الله تعالى للقاتل تعست
ويذهب به الى النار واعلم ان الذنوب على ثلاثة اوجه الاول فيما بين العبد وبين الله تعالى كالزنى واللواطة والغيبة
والبهتان ما لم يبلغ الى من بهته واغتابه فاذا بلغه وجعله فى حل وتاب المذنب فنرجو ان الله يغفر له وكذلك
اذا زنى بامرأة ولها زوج فلم يجعله ذلك الرجل فى حل لا يغفر له لان خصمه الآدمى فاذا تاب وجعله فى حل
فانه يغفر له ويكتفى بحل منه ولا يذكر الزنى بان قال كل حق لك علينا فقد جعلته فى حل وعن كل خصومة بينى
وبينك وهذا صلح بالمعلوم على المجهول وذلك جائز كرامة لهذه الامة لان الامم السالفة ما لم يذكر الذنب لا يغفر
لهم والثانى ذنب فيما بينه وبين اعمال الله وهو ان يترك الصلاة والصوم والزكاة والحج فان التوبة لا تكفيه ما لم
يقض الصلاة وغيرها لان شرط التوبة ان يؤدى ما ترك فاذا لم يؤد فكانه لم يتب والثالث فيما بينه وبين عباد
الله وهو ان يغصب اموالهم او يضربهم او يشتمهم او يقتلهم فان التوبة لا تكفيه الا ان يرضى عنه خصمه او يجتهد
فى الاعمال الصالحة حتى يوفق الله بينهما يوم القيامة فانه اذا تاب العبد وكان عليه حقوق العباد فعليه
ان يردها الى اربابها وان عجز عن ايصالها واراد الله مغفرته يقول لخصمه يوم القيامة ارفع رأسك فيرفع فيرى
قصورا عالية فيقول يا رب لمن هذه فيقول الله تعالى انت قادر عليها فان ثمنها عفوك عن اخيك فيقول قد
عفوت فيقول الله تعالى خذ بيد اخيك واذهبا الى الجنة والاشارة فى الآية ان الله تعالى كتب عليكم القصاص
فى قتلاكم كما كتب على نفسه الرحمة فى قتلاه كما قال من احبنى قتلته ومن قتلته فانا ديته (وفى المثنوى)
كر يكى سررا ببرد از بدن * صد هزاران سر برارد در زمن * اقتلونى يا ثقاتى لائما * ان فى قتلى
حياتى دائما * ان فى موتى حياتى يا فتى * كم افارق موطنى حتى متى * شير دنيا جويد اواشكار وبرك *
شير مولى جويد ازادى ومرك * جونكه اندر مرك بيند صد وجود * همجو بروانه بسوزاند وجود *
فعلى العاقل ان يقتل نفسه بالرياضات الشديدة ويحيى قلبه بالحياة الطيبة الباقية اللهم وفقنا لمداواة هذه
القلوب المرضى آمين (كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت) اى حضر اسبابه وظهر اماراته وآثاره
من العلل والامراض اذ لا اقتدار على الوصية عند حضور نفس الموت والعامل فى اذا مدلول كتب لان الكتب
بمعنى الايجاب لا يحدث وقت حضور الموت بل الحادث تعلقه بالمكلف وقت حضور موته فكانه قيل توجه
عليكم ايجاب الله تعالى ومقتضى كتابه اذا حضر فعبر عن توجه الايجاب وتعلقه بكتب للدلالة على ان هذا
المعنى مكتوب فى الازل (ان ترك خيرا) اى مالا قليلا او كثيرا او مالا كثيرا يقال فلان ذو مال ولا يطلق ذلك
لمن له مال قليل وعن عائشة رضى الله عنها ان رجلا اراد ان يوصى قالت كم مالك قال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك
قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك واصل الخير ان يكون لكل ما يرغب
فيه مما هو نافع لانه ضد الشر قال فى اخوان الصفا الخير فعل ما ينبغى فى الوقت الذى ينبغى من اجل ما ينبغى
(الوصية) فاعل كتب اى فرض الايصاء (للوالدين والاقربين) ممن يرث وممن لا يرث (بالمعروف) نصب حال
اى بالعدل لا يزيد على الثلث ولا يوصى لغنى ويدع الفقير وكان السبب فى نزول هذه الآية ان اهل الجاهلية كانوا
يوصون بما لهم للبعدى رياء وسمعة وطلبا للفخر والشرف ويتركون الاقارب فى الفقر والمسكنة فصرف الله
تعالى بهذه الآية فى بدء الاسلام ما كان تصرف الى الابعدين الى الوالدين والاقربين فعمل بها ما كان العمل بها

صلاحا وحكمة ثم نسختها آية المواريث فى سورة النساء فالآن لا يجب على احد ان يوصى لاحد قريب ولا بعيد
واذا اوصى فله ان يوصى لكل من الاقارب والاباعد الا للوارث (حقا) اى احق هذه الوصية حقا (على المتقين)
المجتنبين عن ضياع المال وحرمان القريب يعنى ان كنتم متقين بالله لا تتركوا العمل بهذا قال ابن الشيخ
فى حواشيه فان قيل قوله على المتقين يقتضى ان يكون هذا التكليف مختصا بالمتقين وقد دل الاجماع
على ان الواجبات والتكاليف عامة فى حق المتقين وغيرهم اجيب بان المراد بقوله حقا على المتقين انه لازم لكل
من آثر التقوى وتحراه وجعله طريقا له ومذهبا فيدخل فيه الكل (فمن بدله) الضمير راجع الى الوصية لكونها
فى تأويل الايصاء اى غير الايصاء عن وجهه الشرعى والمشهور ان من غير ايصاء المحتضر هو الوصى او الشاهد
فالوصى يغير الوصية اما فى الكتاب او فى قسمة الحقوق والشاهد يغيرها اما بتغيير وجه الشهادة او بكتمها
ويمكن ان يكون التبديل من سائر الناس بان منعوا من وصول المال الموصى به الى مستحقه فهؤلاء كلهم
داخلون تحت قوله فمن بدله (بعد ما سمعه) اى بعد ما وصل اليه وتحقق لديه (فانما اثمه) اى ما اثم الايصاء المغير
او اثم التبديل الا (على الذين يبدلونه) لانهم خانوا وخالفوا الشرع لا على الموصى وهو الميت فانه برئ من الاثم
(ان الله سميع) بالايصاء وتغييره (عليم) بثوابه وجزاء من غيره وهو يجازى كل واحد منهما بما يستحقه (فمن)
شرطية او موصولة (خاف) اى توقع وعلم فانه اذا علم خاف فهو من اطلاق اسم اللازم على الملزوم (من موص)
اى من الذى اوصى وهو يجوز ان يتعلق بخاف على انها لابتداء الغاية وبمحذوف على انها حال من جنفا قدمت
عليه لانها فى الاصل صفة له فلما تقدمت نصبت حالا (جنفا) اى ميلا عن الحق بالخطأ فى الوصية (او اثما)
اى تعمد الجنف يعنى اذا جهل الموصى موضع الوصية او زاد على مقدار الوصية او اوصى بما لا يجوز ايصاؤه
(فاصلح) الظاهر ان المراد بالمصلح هو الوصى لانه اشد تعلقا بامر الوصية الا انه لا وجه لتخصيصه بالوصى بل ينبغى
ان يدخل تحته كل من يتأتى منه رفع الفساد فى وصية الميت من الوالى والولى والوصى ومن يأمر بالمعروف
والمفتى والقاضى والوارث (بينهم) اى بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون فغير وصيته باجرائها على طريق
الشرع (فلا اثم عليه) اى لا وزر على المغير فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول (ان الله
غفور رحيم) وعد للمصلح بالاثابة وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم لان بعض
التبديل وهو التبديل الى الباطل اثم وهذا من المشاكلة الصورية لا المعنوية لان التبديل الى خير ليس من جنس
الاثم لكن صورته صورة ما يؤثم واعلم ان الوصية مستحبة لحاجة الناس اليها فان الانسان مغرور باملة
اى يرجو الحياة مدة طويلة مقصر فى عمله فاذا عرض له المرض وخاف الهلاك يحتاج الى تدارك تقصيره
بماله على وجه لو مات فيه يتحقق مقصده المآلى ولو انهضه البرء يصرفه الى مطلبه الحالى وفى الحديث ان الله
تصدق عليكم بثلث اموالكم فى آخر اعماركم زيادة لكم من اعمالكم تضعونها حيث شئتم ويوصى بفدية صلاته
وصيامه لكل مكتوبة نصف صاع من الحنطة وكذا الوتر ولكل يوم من صوم رمضان ايضا نصف صاع من
الحنطة وفى صوم النذر كذلك قال فى تفسير الشيخ ومن كان عليه حج او كفارة اى شئ من الواجبات فالوصية
واجبة والا فهو بالخيار وعليه الفتوى ويوصى بارضاء خصمائه وديونه حكى ان الامام الشافعى رحمه الله
لما مرض مرض موته قال مروا فلانا يغسلنى فلما مات بلغ خبر موته اليه فحضر وقال ايتونى بتذكرته فاتى فنظر
فيها فاذا على الشافعى سبعون الف درهم دينا فكتبها على نفسه وقضاها وقال هذا غسلى اياه واياه اراد وفى الخبر
الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يوص لم يؤذن له فى الكلام مع الموتى قيل يا رسول الله وهل
تتكلم الموتى قال نعم ويتزاورون قال الامام نقلا عن بعض الائمة الاعلام الارواح قسمان منعمة ومعذبة
فاما المعذبة فهى محبوسة مشغولة عن التزاور والتلاقى واما المنعمة المرسلة غير المحبوسة فتتلاقى وتتزاور
وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا وما يكون من اهل الدنيا فيكون كل روح مع رفيقه الذى هو على مثل عمله
وهذه المعية ثابتة فى دار البرزخ وفى دار الجزاء والمرء مع من احب فى هذه الدور الثلاث فى كل موطن وموقف
فعلى العاقل ان يختار صحبة الاخيار ويتأهب آناء الليل واطراف النهار ولا يغتر بالمال والمنال ولا ينقطع
عن الله بطول الآمال فان الدنيا فانية وكل من عليها فان فاتقوا الله كل حين وآن (قال الصائب)
در سراين غافلان طول امل دانى كه جيست * آشيان كردست مارى دركبوتر خانة * والاشارة

فى الاية انه كتب على الاغنياء الوصية بالمال وكتب على الاولياء الوصية بالحال فالاغنياء يوصون فى آخر اعمارهم بالثلث والاولياء يخرجون فى مبادى احوالهم عن الكل اذا حضر احدكم الموت اى يحضر قلب احدهم مع الله ويموت بنفسه بالارادة عن الصفات الطبيعية الحيوانية كما قال صلى الله عليه وسلم موتوا قبل ان تموتوا وترك كل خير وشر كان مشربهما من الدنيا والعقبى فعليه ان يوصى للوالدين وهما الروح العلوى والبدن السفلى فان النفس تولدت وحصلت بازدواجهما والاقربين وهم القلب والسر وباقى المتولدات البشرية بتركه وترك كل مشرب يظهر لهم من المشارب الروحانية الباقية والمشارب الجسمانية الفانية بالمعروف اى بالاعتدال من غير اسراف يفضى الى اتلاف محترزا فى الاحوال من الركون الى شهوة من الشهوات وفى الاعمال مجتنبا عن الرسوم والعادات كما قال النبى عليه السلام بعثت لرفع العادات وترك الشهوات وقال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق بان يجعل المشارب مشربا واحدا والحبايب محبوبا واحدا والمذاهب مذهبا واحدا حقا على المتقين يعنى ماذكرنا من الوصية بجملتها حق واجب على متقى الشرك الخفى ولهذا قال على المتقين وما قال على المسلمين والمؤمنين لانهم اهل الظواهر والمتقون هم اهل البواطن كما قال عليه السلام التقوى ههنا واشار الى صدره واعلم ان القرآن انزل لاهل البواطن كما انزل لاهل الظواهر لقوله عليه السلام ان للقرآن ظهرا وبطنا فظاهره الاحكام لاهل الظواهر والاحكام تحتمل النسخ كما نسخت هذه الاية فى الوصية الظاهرة وباطنه الحكم والحقائق فهى لاتحتمل النسخ ابدا ولهذا قال اهل المعانى ليس شئ من القرآن منسوخا يعنى وان كان دخل النسخ فى احكام ظاهره فلا يدخل فى احكام باطنه فيكون ابدا معمولا بالمواعظ والاسرار والحقائق حقا على المتقين لانه مخصوص بهداية المتقين كقوله تعالى هدى للمتقين فحكم الوصية فى حقهم غير منسوخ ابدا كذا فى التأويلات النجمية قدس الله نفسه الزكية (يا ايها الذين آمنوا) قال اصحاب اللسان يا حرف نداء وهو نداء من الحبيب للحبيب وايها تنبيه من الحبيب للحبيب وآمنوا شهادة من الحبيب للحبيب وقال الحسن اذا سمعت الله يقول يا ايها الذين آمنوا فارفع لها سمعك فانه لامر تؤمر به اولنهى تنهى عنه وقال جعفر الصادق لذة فى النداء ازال بها تعب العبادة والعياء يشير الى ان المحب يبادر الى امتثال امر محبوبه حتى لو امره بالقاء نفسه فى النار (كتب عليكم الصيام) اى فرض عليكم صيام شهر رمضان فانه تعالى قال بعده اياما معدودات وقال تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه بعد قوله شهر رمضان والصيام فى الشريعة هو الامساك نهارا مع النية من اهله عن المفطرات المعهودة التى هى معظم ماتشتهيه الانفس وهذا صوم عوام المؤمنين واما صوم الخواص فالامساك عن المنهيات واما صوم اخص الخواص فالامساك عما سوى الله تعالى (كما كتب) محل كما النصب على انه صفة مصدر محذوف اى كتب كتابا كائنا مثل ما كتب وما مصدرية او على انه حال من الصيام وما موصولة اى كتب عليكم الصيام مشبها بالذى كتب (على الذين من قبلكم) من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين فان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عم سهل تحمله ويرغب كل احد فى اتيانه والظاهر ان التشبيه عائد الى اصل ايجاب الصوم لا الى كمية الصوم المكتوب وبيان وقته فكان الصوم على آدم ايام البيض وصوم عاشوراء كان على قوم موسى والتشبيه لا يقتضى التسوية من كل وجه كما يقال فى الدعاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وكما قال عليه السلام انكم سترون ربكم كالقمر ليلة البدر فان هذا تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئى بالمرئى (لعلكم تتقون) المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدؤها كما قال عليه السلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء قوله الشباب جمع الشاب وهو عند اصحابنا من بلغ ولم يجاوز ثلاثين كذا قاله النووى والباءة النكاح والتزوج وهو المباءة فى المنزل لان من تزوج امرأة بوأها منزلا والوجاء نوع من الاخصاء وهو ان يرض عروق الانثيين ويترك الخصيتين كما هما والمعنى على التشبيه اى الصوم يقطع شهوة الجماع ويدفع شر المنى كالخصاء والامر فى الحديث للوجوب لانه محمول على حالة التوقان باشارة قوله يا معشر الشباب فانهم ذوو التوقان على الجبلة السليمة قال العلماء تسكين الشهوة يحصل بالصيام بالنهار والقيام بالليل وحذف الشهوات والتغافل عنها وترك محادثة النفس بذكرها فان قلت ان الرجل يصوم

ويقوم ولا يأكل ويجد من نفسه حركة واضطرابا قلت ذلك من فرط فضل شهوة مقيمة فيه من الاول فليقطع ذلك عن نفسه بالهموم والاحزان الدائمة وذكر الموت وتقريب الاجل وقصر الامل والمداومة على المراقبة والمحافظة على الطاعة (اياما معدودات) اى موقتات ومقدرات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا اى يصب صبا من غير كيل وعد فالله تعالى لم يفرض علينا صيام الدهر ولا صيام اكثره تخفيفا ورحمة وتسهيلا لامر التكليف على جميع الامم وانتصاب اياما بمضمر دل هو اى الصيام عليه اعنى صوموا اما على الظرفية او المفعولية اتساعا (فمن كان منكم مريضا) اى مرضا يضره الصوم او يضر معه (او على سفر) او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر فى اثناء اليوم لم يفطر لعدم استعلائه السفر استعلاء الراكب المركوب بل هو ملابس شيأ من السفر والرخصة انما اثبتت لمن كان على سفر وكلمة على فيها استعارة تبعية شبه تلبسه بالسفر باستعلاء الراكب واستيلائه على المركوب يتصرف فيه كيف يشاء وللدلالة على هذا المعنى عدل عن اسم الفاعل فلم يقل او مسافرا اذ ليس فيه اشارة بالاستيلاء على السفر (فعدة) اى فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر فعدة من العد بمعنى المعدود ومنه يقال للجماعة المعدودة من الناس عدة (من ايام اخر) غير ايام مرضه وسفره ان افطر متتابعا او غير متتابع والمقصود من الآية بيان ان فرض الصوم فى الايام المعدودات انما يلزم الاصحاء المعتبرين واما من كان مريضا او مسافرا فله تأخير الصوم عن هذه الايام الى ايام اخر (وعلى الذين يطيقونه) ذهب اكثر المفسرين الى ان المراد بالذين يطيقونه الاصحاء المقيمون خيرهم فى ابتداء الاسلام بين امرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فالمعنى اى وعلى المطيقين للصيام القادرين عليه ان افطروا (فدية) اى اعطاء فدية وهى (طعام مسكين) وهى نصف صاع من بر او صاع من غيره والفدية فى معنى الجزاء وهو عبارة عن البدل القائم عن الشئ وفى تفسير الشيخ يطيق من اطاق فلان اذا زالت طاقته والهمزة للسلب اى لا يقدرون على الصوم وهم الذين قدروا عليه فى حال الشباب ثم عجزوا عنه فى حال الكبر (فمن تطوع خيرا) اى من تبرع بخير فزاد فى الفدية او تطوع تطوعا خيرا (فهو) اى التطوع (خير له) وذكر فى الخير المتطوع ثلاثة اوجه احدها ان يزيد على مسكين واحد فيطعم مكان كل يوم مسكينين او اكثر وثانيها ان يطعم المسكين الواحد اكثر من القدر الواجب وثالثها ان يصوم مع الفدية فهو خير كله (وان تصوموا) فى تأويل المصدر مرفوع بالابتداء اى صومكم ايها المرضى والمسافرون والذين يطيقونه (خير لكم) من الفدية (ان كنتم تعلمون) ما فى الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة والجواب محذوف ثقة بظهوره اى اخترتموه وفى الاشباه الصوم فى السفر افضل الا اذا خاف على نفسه او كان له رفقة اشتركوا معه فى الزاد واختاروا الفطر انتهى وانما فضل الصوم للمسافر لان الصوم عزيمة له والتأخير رخصة والاخذ بالعزيمة افضل واما ما روى ان النبى عليه السلام قال ليس من البر الصيام فى السفر فمحمول على ما اذا كان الصوم يضعفه حتى يخاف عليه الهلاك كذا فى شرح المجمع لابن الملك والسفر المبيح للفطر مسيرة ثلاثة ايام ولياليها عند ابى حنيفة رحمه الله واعلم ان الله تعالى امرنا بصيام شهر كامل ليوافق عدد السنة فى الاجر الموعود من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فالشهر الكامل ثلاثمائة وستة ايام من شوال ستون يوما فان نقص يوم من عدد الشهر لم ينقص من الثواب روى ان رسول الله عليه السلام صام ثمانية رمضانات خمسة منها كانت تسعة وعشرين يوما والباقى ثلاثين يوما وافترض الصيام بعد خمس عشرة سنة من النبوة بعد الهجرة بثلاث سنين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه بعث الله نبيه عليه السلام بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدق زاد الصلاة فلما صدق زاد الزكاة فلما صدق زاد الصيام فلما صدق زاد الحج ثم الجهاد ثم اكمل لهم الدين واول ما فرض الصوم على الاغنياء لاجل الفقراء فى زمن الملك طهمورث ثالث ملوك بنى آدم وقع القحط فى زمانه فامر الاغنياء بطعام واحد بعد غروب الشمس وبامساكهم بالنهار شفقة على الفقراء وايثارا عليهم بطعام النهار وتعبدا وتواضعا لله تعالى والصوم سبب للولوج فى ملكوت السموات وواسطة الخروج عن رحم مضايق الجسمانيات المعبر عنه بالنشأة الثانية كما اشير اليه بقول عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين بل مجاهدة الصوم رابطة مشاهدة اللقاء واليه يشير الحديث القدسى الصوم لى وانا اجزى به يعنى انا جزاؤه لا حورى ولا قصورى ولهذا علق سبحانه نيل سعادة الرؤية بالجوع حيث

قال فى مخاطبة عيسى عليه السلام تجوع ترانى (قال السعدى) ندارند تن پروران آكهى *
كه پرمعده باشد زحكمت تهى * وانما اضيف الصوم الى الله فى الصوم لى لانه لا رياء فيه بل سر لا يعلمه الا الله
وانما يكون الله سبحانه جزاء صومه اذا امسك قلبه وسره وروحه عما سواه تعالى وهو الصوم الحقيقى عند
الخواص (قال فى المثنوى) هركرا دارد هوسها جان پاك * زود بيند حضرت وايوان پاك * والاشارة
فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ان الصوم كما يكون للظاهر يكون للباطن وباطن الخطاب
يشير الى ان صوم القلب والروح والسر الذين آمنوا شهود انوار الحضور مع الله فصوم القلب صومه عن مشارب
المعقولات وصوم الروح عن ملاحظة الروحانيات وصوم السر صونه عن شهود غير الله فمن امسك عن المفطرات
فنهاية صومه اذا هجم الليل ومن امسك عن الاغيار فنهاية صومه ان يشهد الحق وفى قوله عليه السلام
صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته عند التحقيق انها عائدة الى الحق فينبغى ان يكون صوم العبد ظاهرا وباطنا
لرؤية الحق وافطاره بالرؤية قوله تعالى كتب عليكم الصيام اى على كل عضو فى الظاهر وعلى كل صفة فى الباطن
فصوم اللسان عن الكذب والفحش والغيبة وصوم العين عن النظر فى الغفلة والريبة وصوم السمع عن استماع
المناهى والملاهى وعلى هذا فقس الباقى وصوم النفس عن التمنى والحرص والشهوات وصوم القلب عن حب
الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الاخرة ولذاتها وصوم السر عن رؤية وجود غير الله واثباته كما كتب
على الذين من قبلكم هى اشارة الى ان اجزاء وجود الانسان من الجسمانية والروحانية قبل التركيب كانت صائمة
عن المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت اجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية والروحانية
بقوة امداد الروح وصار الروح بقوة حواس القالب متمتعا من المشارب الروحانية والحيوانية فالان كتب
عليهم الصيام وهم مركبون كما كتب على الذين من قبلكم من المفردات لعلكم تتقون من مشارب المركبات
وتصومون فيها مع حصول استعداد الشراب ليفطروا عن مشارب يشرب بها عباد الله اذا سقاهم ربهم شرابا
طهورا فيطهركم طهورية هذا الشراب عن دنس استدعاء الحظوظ الحيوانية والروحانية كما قال ولكن يريد
ليطهركم فلما افل كوكب استدعاء الحظوظ طلعت شمس استدعاء اللقاء من مطلع الاتقاء فحينئذ يتحقق
انجاز ما وعد سيد الانبياء بقوله للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ثم اخبر عن كمال لطفه
مع العباد بتقليل الاعداد فى قوله اياما معدودات والاشارة فيها هو ان صومكم فى ايام قلائل معدودة متناهية
وثمرات صومكم من ايام غير معدودة ولا متناهية فلا يهولكم سماع ذكره كذا فى التأويلات النجمية
(شهر رمضان) مبتدأ خبره ما بعده فيكون المقصود من ذكر هذه الجملة المنبهة على فضله ومنزلته الاشارة الى وجه
تخصيصه من بين الشهور بان فرض صومه ثم اوجب صومه بقوله فمن شهد منكم الشهر المعهود فليصمه وسمى
الشهر شهرا لشهرته ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل المجموع علما ومنع من الصرف
للتعريف والالف والنون وانما سمى بذلك اما لارتماض الاكباد واحتراقها من الجوع والعطش واما لارتماض
الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه ايام رمض الحر اى شدة وقوعه على الرمل وغيره قيل انهم نقلوا اسماء الشهور
عن اللغة القديمة فسموها بالازمنة التى وقعت هى فيها وقت التسمية فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسمى به
كما يسمى بربيع لموافقته الربيع وجمادى لموافقته جمود الماء او رمضان اسم من اسماء الله تعالى والشهر
مضاف اليه ولذلك روى لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم
من اسماء الله تعالى (الذى انزل فيه القرءآن) جملة الى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما
فى ثلاث وعشرين سنة حسبما تقتضيه المشيئة الربانية وعن النبى عليه السلام نزلت صحف ابراهيم اول ليلة
من رمضان وانزلت التوراة لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والقرءآن لاربع وعشرين والقرءآن
من القرء وهو الجمع لانه مجمع علم الاولين والآخرين (هدى للناس) اى انزل حال كونه هداية للناس الى سواء
الصراط بما فيه من الاعجاز وغيره (وبينات من الهدى والفرقان) اى وحال كونه آيات واضحات مما يهدى
الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فالهدى على قسمين ما يكون بينا جليا وما لا يكون
كذلك والاول افضل القسمين فذكر الجنس اولا ثم اردفه باشرف نوعيه بل بالغ فيه فكانه قيل انه هدى بل هو
بين من الهدى ولا شك انه فى غاية المبالغة لانه فى المرتبة الثالثة فالعطف فى وبينات من باب عطف التشريف

فمن

(فمن) الفاء للتفريع والترتيب (شهد) اى حضر موضع الاقامة من المصر او القرية كائنا ذلك الحاضر
(منكم الشهر) منصوب على الظرف اى فى الشهر دون المفعول به لان المقيم والمسافر يشهدان الشهر
(فليصمه) اى فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا والمراد بالشاهد العاقل البالغ الفصيح
لان كل واحد من الصبى والمجنون يشهد موضع الاقامة فى الشهر مع انه لا يجب عليهما الصوم وهذا اى الحتم
ينسخ التخيير بين الصوم والافطار والفداء (ومن كان مريضا) وان كان مقيما حاضرا فيه (او على سفر)
وان كان صحيحا وعلى بمعنى فيه وحروف الصفات يقام بعضها مقام بعض (فعدة من ايام اخر) اى فعليه
صيام ايام اخر واعاد تخيير المريض والمسافر وترخيصهما فى الافطار لان الله تعالى ذكر فى الاية الاولى تخيير
المقيم المطيق والمسافر والمريض ونسخ فى الثانية تخيير المقيم بقوله فليصمه فلو اقتصر على هذا احتمل ان يعود
النسخ الى تخيير الجميع فاعاد بعض النسخ بترخيص المسافر والمريض ليعلم انه باق على ما كان (يريد الله بكم
اليسر) حيث اباح الفطر بالسفر والمرض واليسر ما تسهل (ولا يريد بكم العسر) اى مشقة بالصوم فى المرض
والسفر لغاية رأفته وسعة رحمته قال محمد بن على الترمذى قدس سره اليسر اسم الجنة لان جميع اليسر
فيها والعسر اسم جهنم لان جميع العسر فيها معناه يريد الله بصومكم ادخال الجنة ولا يريد بكم ادخال النار
قال شيخنا العلامة الفضلى قدس سره فى الاية ان مراده تعالى بان يأمركم بالصوم يسر الدارين لا عسرهما
اما اليسر فى الدنيا فالترقى الى الملكية والروحانية والوصول الى اليقظة والمعرفة واما العسر فيها فالبقاء مع
البشرية والحيوانية والاتصاف بالاوصاف الطبيعية والنفسانية واما اليسر فى الاخرة فهو الجنة والنعمة
والقربة والوصلة والرؤية واما العسر فيها فهو الجحيم وعذابها ودركاتها انتهى كلامه وقال نجم الدين فى تأويلاته
يعنى يريد الله بكم اليسر الذى هو مع العسر فلا تنظر فى امتثال الامر الى العسر ولكن انظر الى اليسر الذى
هو مع العسر فان العاقل اذا سقاه الطبيب شرابا مرا امر من بلاء المرض موجبا للصحة فلا ينظر العاقل الى
مرارة الشراب ولكن ينظر الى حلاوة الصحة ولا يبالى بمرارة الشراب فيشربه بقوة الهمة انتهى (قال السعدى)
وبا لست دادن بزنجور قند * كه داروى تلخش بود سودمند * زعلت مدار اى خردمند بيم *
چو داروى تلخت فرستد حكيم (ولتكملوا العدة) اى وانما امرنا كم بمراعاة العدة بعد ايجاب صوم
رمضان كما قال تعالى فعدة اى فعليكم عدة ما افطرتم لتكملوا عدد ايام الشهر بقضاء ما افطرتم بسبب مرضكم
او سفركم (ولتكبروا الله) اى انما علمنا كم كيفية القضاء وهو المدلول عليه بقوله تعالى من ايام اخر مطلقا
فانه يجوز ان يقضى على سبيل التوالى او التفريق لتعظموا الله حامدين (على ما هداكم) ما مصدرية اى على
هدايته اياكم الى طريق الخروج عن عهدة التكليف (ولعلكم تشكرون) اى انما رخصنا لكم بالافطار
لكى تشكروا الله على هذه النعمة باللسان والقلب والبدن وفى الحديث من حافظ على ثلاث فهو ولى الله حقا
ومن ضيعهن فهو عدو الله حقا الصلاة والصوم والغسل من الجنابة وفى بعض الخبران الجنان يشتقن الى اربعة
نفر صائمى رمضان وتالى القرءآن وحافظى اللسان ومطعمى الجيران وان الله يغفر للعبد المسلم عند افطاره
ما مشت اليه رجلاه وما قبضت عليه يداه وما نظرت اليه عيناه وما سمعته اذناه وما نطق به لسانه وما حدث به
قلبه وفى الحديث اذا كان يوم القيامة وبعث من فى القبور اوحى الله الى رضوان انى اخرجت الصائمين
من قبورهم جائعين عاطشين فاستقبلهم بشهواتهم من الجنان فيصيح ويقول ايها الغلمان والولدان عليكم
باطباق من نور فيجتمع اكثر من عدد الرمل وقطرات الامطار وكواكب السماء واوراق الاشجار بالفاكهة
الكثيرة والاشربة اللذيذة والاطعمة الشهية فيطعم من لقى منهم ويقول كلوا واشربوا هنيأ بما اسلفتم فى الايام
الخالية وعن النبى عليه السلام انه قال رأيت ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ملكا لم ار مثله طولا وعرضا طوله
مسيرة الف الف سنة وله سبعون الف رأس فى كل رأس سبعون الف وجه فى كل وجه سبعون الف لسان
وعلى كل رأس الف ذؤابة من نور وعلى كل ذؤابة الف الف لؤلؤة معلقة بقدرة الله تعالى وفى جوف كل لؤلؤة
بحر من نور وفى ذلك البحر حيتان طول كل حوت مقدار مائتى عام مكتوب على ظهرهن لا اله الا الله محمد
رسول الله وذلك الملك واضع احدى يديه على رأسه والاخرى على ظهره وهو فى حظيرة القدس فاذا سبح اهتز
العرش بحسن صوته فسألت عنه جبريل فقال هذا ملك خلقه الله تعالى قبل آدم بالفى عام فقلت اين كان هذا

الى هذه الغاية فقال ان لله مرجا فى الجنة عن يمين العرش فكان هو فيه فامره الله فى ذلك المكان ان يسبح لك ولامتك بسبب صوم شهر رمضان فرأيت صندوقين بين يديه على كل صندوق الف قفل من نور وسألت جبريل عن الصندوقين فقال سل منه فسألته فقال ان فيهما برآءة الصائمين من امتك من عذاب النار طوبى لك ولامتك اعلم انه لابد من النية فى الاعمال خصوصا فى الصوم وهى ان يعلم بقلبه انه يصوم ولا يخلو مثلا عن هذا فى ليالى شهر رمضان والامساك قد يكون للعادة اولعدم الاشتهاء اوللمرض اوللرياضة اويكون للعبادة فلا يتعين له الا بالنية وهى شرط لكل يوم لان صوم كل يوم عبادة على حدة الايرى انه لوافسد صوم يوم لايمنع صحة الباقى بخلاف التراويح فانه لايلزم النية فى كل شفع لان الكل بمنزلة صلاة واحدة وهو الاصح وتجوز النية الى نصف النهار دفعا للحرج ومايروى من الاحاديث فى نفى الصوم الا بالتبييت فمحمولة على نفى الفضيلة بخلاف القضاء والكفارات والنذر المطلق لان الزمان غير متعين لها فوجب التبييت نفيا للمزاحمة ويعتبر نصف النهار من طلوع الفجر الثانى فيكون الى الضحوة الكبرى فينوى قبلها ليكون الاكثر منويا فيكون له حكم الكل حتى لونوى بعد ذلك لايجوز لخلو الاكثر عن النية تغليبا للاكثر والاحتياط فى النية فى التراويح ان ينوى التراويح اوينوى قيام الليل اوينوى سنة الوقت اوقيام رمضان والتراويح سنة مؤكدة واظب عليها الخلفاء الراشدون قال عليه السلام ان الله فرض عليكم الصيام وسننت قيامه واما قول عمر رضى الله عنه نعمت البدعة هذه يعنى قيام رمضان فمعناه ان النبى صلى الله عليه وسلم وان كان قد صلاها الا انه تركها ولم يحافظ عليها ولاجمع الناس اليها فمحافظة عمر عليها وجمع الناس اليها وندبهم بدعة لكنها بدعة محمودة ممدوحة كذا فى تفسير القرطبى عند قوله تعالى بديع السموات والارض فى الجزء الاول وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان ويقول قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه تفتح فيه ابواب السماء وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين وفيه ليلة خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم قال بعض العلماء هذا الحديث اصل فى تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان قال السخاوى فى المقاصد الحسنة التهنئة بالشهور والاعياد مما اعتاده الناس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه رفعه من لقى اخاه عند الانصراف من الجمعة فليقل تقبل الله منا ومنك ويروى فى جملة حقوق الجار من المرفوع ان اصابه خير هنأه اومصيبة عزاه اومرض عاده ومن آداب الصيام حفظ الجوارح الظاهرة وحراسة الخواطر الباطنة وان يتم التقريب الى الله تعالى الا بترك ما حرم الله قال ابو سليمان الدارانى قدس سره لأن اصوم النهار وافطر الليل على لقمة حلال احب الى من قيام الليل والنهار وحرام على شمس التوحيد ان تحل قلب عبد فى جوفه لقمة حرام ولاسيما فى وقت الصيام فليجتنب الصائم عن اكل الحرام فانه سم مهلك للدين والسنة تعجيل الفطور وتأخير السحور فان صوم الليل بدعة فاذا اخر الافطار فكانه وجد صائما فى الليل فصار متبعا للبدعة كذا فى شرح عيون المذاهب ولنا ثلاثة اعياد عيد الافطار وهو عيد الطبيعة والثانى عيد الموت حين القبض بالايمان الكامل وهو عيد كبير والثالث عيد التجلى فى الاخرة وهو اكبر الاعياد وروى الترمذى وصححه عن زيد بن خالد من فطر صائما كان له مثل اجره من غير ان ينقص من اجر الصائم شئ وكان حماد بن سلمة الامام الحافظ يفطر فى كل ليلة من شهر رمضان خمسين انسانا واذا كانت ليلة الفطر كساهم ثوبا ثوبا وكان يعد من الابدال واخرج السيوطى فى الجامع الصغير والسخاوى فى المقاصد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال عليه السلام خيار امتى فى كل قرن خمسمائة والابدال اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا آخر قالوا يا رسول الله دلنا على اعمالهم قال عليه السلام يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من اساءهم ويتواسون فيما آتاهم الله وفى الحديث من اشبع جائعا اوكسا عاريا اوآوى مسافرا اعاذه الله من اهوال يوم القيامة وكان عبد الله بن المبارك ينفق على الفقرآء وطلبة العلم فى كل سنة مائة الف درهم ويقول للفضيل بن عياض لولاك واصحابك ما اتجرت وكان يقول للفضيل واصحابه لاتشتغلوا بطلب الدنيا اشتغلوا بالعلم وانا اكفيكم المؤنة وكان يحيى البرمكى يجرى على سفيان الثورى كل شهر الف درهم وكان سفيان يدعوله فى سجوده ويقول اللهم ان يحيى كفانى امر الدنيا فاكفه امر آخرته فلما مات يحيى رأه بعض اصحابه فى النوم فقال له ما صنع الله بك قال غفر لى بدعاء سفيان (قال الصائب) تيره روزان جهان را بچراغى درياب *

تا پس از مرگ تراشمع مزارى باشد * جعلنا الله واياكم من العاملين بمقتضى كتابه ومدلول خطابه (واذا سألك عبادى عنى) وجه اتصال هذه الاية بماقبلها ان الله تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم مطلع على ذكرهم وشكرهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه وسبب النزول ماروى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فقال تعالى اعياء الى سرعة اجابته الدعاء منهم اذا سألك عبادى عنى (فانى قريب) اى فقل لهم انى قريب بالعلم والاحاطة فهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم فيكون لفظ قريب استعارة تبعية تمثيلية وانما لم يحمل على القرب الحقيقى وهو القرب المكانى لانه ممتنع فى حقه تعالى لانه لوكان فى مكان لما كان قريبا من الكل فان من كان قريبا من حملة العرش يكون بعيدا من اهل الارض ومن كان قريبا من اهل المشرق يكون بعيدا من اهل المغرب وبالعكس قال ابو موسى الاشعرى لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر اشرف الناس على وادى فرفعوا اصواتهم بالتكبير لا اله الا الله والله اكبر فقال صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم انكم لاتدعون اصم ولاغائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وهذا باعتبار المشارب والمقامات واللائق بحال اهل الغفلات الجهر لقلع الخواطر كما ان المناسب لاهل الحضور الخفاء (قال السعدى) دوست نزديكتر از من بمنست * وين عجبتر كه من ازوى دورم (اجيب دعوة الداع اذا دعان) تقرير للقرب المجازى المراد فى هذا المقام وهو الحالة الشبيهة بالقرب المكانى وقد تقرر ان اثبات ما يلائم المستعار منه للمستعار له ترشيح الاستعارة ويقررها وايضا وعد للداعى بالاجابة فان قلت انا نرى الداعى يبالغ فى الدعوات والتضرع فلا يجاب قلت ان هذه الاية مطلقة والمطلق محمول على المقيد وهو قوله تعالى بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء فالمعنى اجيب دعوة الداع اذا دعان ان شئت اواذا وافق القضاء اواذا لم يسأل محالا اوكانت الاجابة خيراله والاجابة اعطاء ماسئل والله تعالى يقابل مسئلة السائل بالاسعاف ودعاء الداعى بالاجابة وضرورة المضطرين بالكفاية (فليستجيبوا لى) اى فليجيبوا اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم واستجابه واستجاب له واجابه واحد قطع مسئلته بتبليغه مراده واصله من الجوب والقطع (وليؤمنوا بى) امر بالثبات على ماهم عليه قال ابن الشيخ الاستجابة عبارة عن الانقياد والاستسلام والايمان عبارة عن صفة القلب وتقديمها على الايمان يدل على ان العبد لايصل الى نور الايمان وقوته الا بتقديم الطاعات والعبادات ومعنى الفاء فيه انه تعالى قال انا اجيب دعاءك مع انى غنى عنك مطلقا فكن انت ايضا مجيبا لدعائى مع انك محتاج الى من كل الوجوه فما اعظم هذا الكرم (لعلهم يرشدون) راجين لاصابة الرشد وهو الاهتدآء لمصالح الدين والدنيا ومعنى الاية انهم اذا استجابوا وآمنوا اهتدوا لمصالح دينهم ودنياهم لان الرشيد من كان كذلك اعلم ان عدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند اهل الشريعة والطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه (وفى المثنوى) تا فرود آيد بلابى دافعى * چون نباشد از تضرع شافعى * فالتسبب واجب للعوام والمبتدئين فى السلوك والتوكل افضل للمتوسطين واما الكاملون فليس يمكن حصر احوالهم فالتوكل والتسبب عندهم سيان روى ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما القى فى النار لقيه جبريل فى الهوآء فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فاسأل الله الخلاص فقال عليه السلام حسبى من سؤالى علمه بحالى وهذا مقام اهل الحقيقة من المكملين الفانين عن الوجود وما يتعلق به والباقين بالرب عن كل حال فاين انت من هذا فاسأل الله عفوه ومغفرته وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكلم الناس بقدر مراتبهم ولذا قال لاعرابى ارسل ابله توكلا عليه تعالى اعقلها وتوكل على الله امر بعقل الدابة لانه اراد بالتوكل التحرز عن الفوات وحث بعضهم على التوكل كتوكل الطير وذلك لم يسكن الى سابق القضاء ثم اجابة الدعاء وعد صدق من الله لاخلف فيه ومن دعا بحاجة فلم تقض للحال فذلك لوجوه منها ان الاجابة حاصلة لامحالة فان اجابة الدعوة غير قضاء الحاجة وقضاء الحاجة غير اجابة الدعوة فان اجابة الدعوة هو ان يقول العبد يارب فيقول الله تعالى له لبيك عبدى وهذا موعود موجود لكل متوجه راشد وقضاء الحاجة اعطاء المراد وايصال المرتاد وذلك قد يكون للحال وقد يكون بعد مدة وقد يكون فى الاخرة وقد يكون الخيرة له فى غيره ومنها ان الاجابة

ليست بجهة واحدة بل لها جهات وفى الحديث دعوة المسلم لا ترد الا لاحدى ثلاث اما ان يدعو باثم اوقطيعة رحم واما ان يدخرله فى الاخرة واما ان يصرف السوء عنه بقدر مادعا ومنها ان الاجابة مقيدة بالمشيئة كما سبق ومنها انه شرط لهذه الاجابة اجابة العبد اياه فيما دعاه اليه لقوله تعالى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى ومنها ان للدعاء شرآئط وآدابا وهى اسباب الاجابة فمن استكملها كان من اهل الاجابة ومن اخل بها كان من اهل الاعتدآء فلا يستحق الجواب والاسباب منها ما يتعلق باهل العموم ويطول ذكرها ان استوفيت ههنا ومنها ما يتعلق بالخصوص وهى التزكية فالاجابة موقوفة على تزكية الداعى فعليه ان يزكى البدن اولا فيصلحه بلقمة الحلال وقد قيل الدعاء مفتاح باب السماء واسنانه لقمة الحلال وقال عليه السلام الرجل يطيل السفر يمد يده الى السماء اشعث اغبر يقول يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك حكى انه كان بالكوفة اناس يستجاب دعاؤهم كلما دخل عليهم وال كانوا يدعون عليه فيهلك فدبر الحجاج عليهم حين ولى عمل الكوفة من ابن مروان فدعاهم الى مأدبته فلما اكلوا قال امنت من دعائهم ان يستجاب حيث دخل فى بطونهم طعام حرام ويزكى الداعى نفسه ويطهرها عن الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة لانها قاطعات لطريق الدعاء ويزكى قلبه عن رين التعلقات الانسانية من النفسانى والروحانى ويصفيه بالاذكار وينوره بنور الاخلاق فان هذه اسباب القربة بها يرفع الدعاء الى الله كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ويزكى الروح عن دنس الالتفات لغيرالله ليتعرض لنفحات الطافه ويزكى السر عن وصمة الشرك بان يوجهه الى الحق فى الدعاء لطلب الحق لا لطلب غيرالحق من الحق ليستجيب دعاءه ولا يخيب رجاءه كما قال الامن طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى وان الله وعد الاجابة على طلبه بالدعاء فقال اجيب دعوة الداع اذا دعان اى اذا طلبنى (قال السعدى) خلاف طريقت بود كاوليا * تمنا كنند از خدا جز خدا * فمن اخل ببعض هذه الشرآئط لم يلزمه الاجابة كمن اخل بركن من اركان الصلاة لم يلزمه القبول الا ان الجبار يجبر كل خلل وكسر يكون فى اعمال العباد بفضله وكرمه وفى الحقيقة ان افضاله مع العباد مقدم على اعمالهم وانه يعطى قبل السؤال ويحقق مراد العبد بعد سؤاله بجميع النوال والدعاء على قسمين داع بالدعاء وقارئ للدعاء فالداعى يفتح ابواب السموات حتى يبلغ دعاؤه العرش وقارئ الدعاء لا يبلغ الا الاذن قال الفنارى فى تفسير الفاتحة ثم لصحة التصور وجودة الاستحضار اثر عظيم فى الاجابة اعتبره النبى عليه السلام وحرض عليه عليا رضى الله تعالى عنه لما علمه الدعاء وفيه اللهم اهدنى وسددنى فقال له واذكر بهدايتك هداية الطريق وبالسداد سداد السهم فامره باستحضار هذين الامرين وقت الدعاء فهذا هو سر اجابة دعاء الرسل والكمل والامثل فالامثل واستقامة التوجه حال الطلب والندآء عند الدعاء شرط قوى فى الاجابة فمن تصوره تصورا صحيحا من رؤية وعلم سابقين اوحاضرين حال الدعاء ثم دعاه سيما بعد امره له بالدعاء والتزامه الاجابة فانه يجيبه لامحالة اما من زعم انه يقصد مناداة زيد وهو يستحضر غيره ثم لم يجد الاجابة فلا يلومن الا نفسه اذلم يناد القادر على الاجابة وانما توجه الى ما انشأه من صفات تصوراته بالحالة الغالبة عليه اذذاك لكن سؤاله قد يثمر بشفاعة حسن ظنه بربه وشفاعة المعية الالهية وحيطته فالمتوجه بالخطأ مصيب من وجه كالمجتهد المخطئ مأجور غير محروم بالكلية انتهى كلام الفنارى وفى رسالة القشيرى فى الخبر المروى ان العبد يدعو الله سبحانه وهو يحبه فيقول يا جبريل اخر حاجة عبدى فانى احب ان اسمع صوته وان العبد ليدعو وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض حاجة عبدى فانى اكره ان اسمع صوته حكى انه وقع ببغداد قحط فامر الخليفة المسلمين بالخروج للاستسقاء فخرجوا واستسقوا فلم يسقوا فامر اليهود فخرجوا وسقوا فتحير الخليفة ودعا علماء المسلمين وسألهم فلم يفرجوا عنه فجاء سهل بن عبدالله وقال يا امير المؤمنين انا معاشر المسلمين احبنا الله لدين الاسلام وهدانا ويحب دعاءنا وتضرعنا فلهذا لم يعجل اجابتنا وهؤلاء ابغضهم ولعنهم فلهذا عجل اجابتهم وصرفهم عن بابه قال عليه السلام قوام الدنيا باربعة اشياء بعلم العلماء وعدل الامرآء وسخاوة الاغنياء ودعوة الفقرآء وينبغى ان يسأل الله تعالى باسمائه الحسنى العظام والادعية المأثورة عن السلف الكرام وينبغى ان يتوسل الى الله تعالى بالانبياء والاولياء الصالحين وللدعاء اماكن يظن فيها الاجابة مثلا عند رؤية الكعبة والمساجد الثلاثة وبين الجلالتين من سورة الانعام وفى الطواف وعند الملتزم وفى البيت وعند زمزم وعند شرب مائه وعلى الصفا والمروة

وفى السعى وخلف المقام وفى عرفات والمزدلفة ومنى وعند الجمرات الثلاث وعند قبور الانبياء عليهم السلام وقيل لا يصح قبرنبى بعينه سوى قبرنبينا عليه السلام وقبر ابراهيم عليه السلام داخل السور من غير تعيين وجرب استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة عند اهلها اللهم أفض علينا من بركات الصالحين (احل لكم) تقديم الظرف على القائم مقام الفاعل للتشويق فان ماحقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن اى ابيح لكم (ليلة الصيام) اى فى ليلة يوم الصوم وهى الليلة التى يصبح الرجل فى غداتها صائما (الرفث) اصل الرفث قول الفحش والتكلم بالقبح ثم جعل ذلك اسما لما يتكلم به عند النساء من معانى الافضاء ثم جعل كناية عن الجماع لان الجماع لا يخلو عن شئ من التصريح بما يجب ان يكنى عنه من الالفاظ الفاحشة وعن ابن عباس رضى الله عنه الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة كالغمز والتقبيل (الى نسائكم) عدى الرفث بالى وان كان المشهور تعديته بالباء تقول رفثت بالمرأة لتضمنه معنى الافضاء قال تعالى وقد افضى بعضكم الى بعض اراد به الجماع وكان الرجل فى ابتدآء الاسلام اذا امسى فى رمضان حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلى العشاء الاخيرة اويرقد فاذا صلاها اورقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء الاخيرة فلما اغتسل اخذ يبكى ويلوم نفسه فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا رسول الله انى اعتذر الى الله واليك من نفسى هذه الخاطئة انى رجعت الى اهلى بعد العشاء فوجدت رآئحة طيبة فسولت لى نفسى فجامعت اهلى فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزلت الاية وصارت زلته سببا للرحمة فى جميع الامة (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) استئناف مبين لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للاخر لتجردهما عند النوم واعتناقهما واشتمال كل منهما على الاخر اولان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور وعما لا يحل كما جاء فى الحديث من تزوج فقد احرز ثلثى دينه اوالمعنى هن سكن لكم وانتم سكن لهن كما قال تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها ولا يسكن شئ الى شئ كسكون احد الزوجين الى الاخر (علم الله) فى الازل (انكم كنتم تختانون انفسكم) تخونونها وتظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب بمباشرة النساء فى ليالى الصوم والخيانة ضد الامانة وقد ائتمن الله العباد على ما امرهم به ونهاهم عنه فاذا عصوه فى السر فقد خانوه وقد قال الله تعالى لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم (قال الصائب) ترا بكوهر دل كرده اند امانت دار * ز دزد امانت حق را نكاه دار مخسب * (فتاب عليكم) عطف على علم اى قبل توبتكم وتجاوز عنكم لما تبتم مما اقترفتموه (وعفا عنكم) اى محا اثره عنكم (فالآن) اى لما نسخ التحريم ظرف لقوله (باشروهن) اصله فعل بمعنى حان ثم جعل اسما للزمان الحاضر وعرف بالالف واللام وبقى على الفتحة والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى بها عن الجماع الذى يستلزمها وجميع ما يتبعه يدخل فيه وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالكتاب ان كانت حرمة الاكل والشرب والجماع ثابتة بالسنة واما اذا كان ثبوت حرمتها بشريعة من قبلنا فلا على ما ذهب اليه بعضهم (وابتغوا ما كتب الله لكم) اى واطلبوا ما قدره الله تعالى واثبته فى اللوح المحفوظ من الولد وفيه ان المباشر ينبغى ان يكون غرضه الولد والتناسل فانه الحكمة فى خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وحدها وفى الحديث تناكحوا تناسلوا تكثروا فانى اباهى بكم الامم يوم القيامة (وكلوا واشربوا) ليالى الصوم عطف على قوله باشروهن (حتى يتبين) يظهر (لكم الخيط الابيض) هو اول ما يبدو من بياض النهار كالخيط الممدود دقيقا ثم ينتشر (من الخيط الاسود) هو ما يمتد من سواد الليل مع بياض النهار فان الصبح الصادق اذا بدا يبدو كانه خيط ممدود فى عرض الافق ولا شك انه يبقى معه بقية من ظلمة الليل بحيث يكون طرفها الملاصق لما يبدو من الفجر كانه خيط اسود فى جنب خيط ابيض لان نور الصبح انما ينشق فى خلال ظلمة الليل فشبها بخيطين ابيض واسود (من الفجر) اى انشقاق عمود الصبح بيان للخيط الابيض واكتفى ببيانه عن بيان الاسود لدلالته عليه والتقدير حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الفجر من الخيط الاسود من الليل قوله حتى يتبين غاية للامور الثلاثة اى المباشرة والاكل والشرب ففى تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا لان المباشرة اذا كانت مباحة الى انفجار الصبح لم يمكنه الاغتسال الا بعد

الصبح بالضرورة والالكانت المباشرة قبيل آخر الليل بقدر مايسع الاغتسال حراما وهو مخالف لكلمة حتى (ثم اتموا الصيام) اى ادعوا الامساك عن المباشرة والاكل والشرب فى جميع اجزاء النهار (الى) غاية (الليل) وهو دخول الليل وذلك بغروب الشمس والاتمام اداؤه على التمام وفى الحديث اذا اقبل الليل وادبر النهار وغابت الشمس فقد افطر الصائم اى دخل وقت الافطار وانما ذكر الاقبال والادبار وان لم يكونا الا بغروب الشمس لبيان كمال الغروب كيلا يظن احد انه اذا غاب بعض الشمس جاز الافطار اولانه قد يكون فى واد بحيث لايشاهد غروب الشمس فيحتاج الى ان يعمل بهما قالوا فيه دلالة على جواز النية بالنهار فى صوم رمضان وعلى نفى صوم الوصال اما الاول فلان الله تعالى لما اباح المباشرة والاكل والشرب الى الفجر تبين ان ابتداء الصوم يكون بعد الفجر فيكون قوله اتموا ثم ابتدئوا بالصوم واتموه الى الليل فيكون هو امرا بالصوم بعد الفجر والصوم ليس مجرد الامساك بل هو الامساك مع النية فيكون قوله ثم اتموا الصيام امرا بنية الصوم بعد الفجر واما الثانى فكان الله تعالى جعل الليل غاية الصوم وغاية الشئ مقطعه فيكون بعدها الافطار وينتفى الوصال قال بعضهم الليل غاية وجوب الصوم فاذا دخل الليل لايجب الصوم واما ان الصوم لايجوز بعد دخول الليل فلا دلالة للاية عليه ولان مثل هذه الاوامر اى باشروهن وكلوا واشربوا انما يكون للاباحة والرخصة لا للوجوب فلا تدل الاية على نفى صوم الوصال ولما ظن ان حال الاعتكاف كحال الصوم فى ان المباشرة تحرم فيه نهارا لاليلا بين ان المباشرة تحرم على المعتكف نهارا وليلا معا فقال (ولا تباشروهن) اى لاتجامعوهن (وانتم) اى والحال انتم (عاكفون فى المساجد) مقيمون فيها بنية الاعتكاف وهو فى الشرع لزوم المسجد والمكث لطاعة الله فيه والتقرب اليه وهو من الشرآئع القديمة قال تعالى ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين نزلت فيمن كان يعتكف فى المسجد فاذا عرضت له حاجة الى امرأته خرج فجامعها ثم اغتسل فرجع الى المسجد فنهوا عن ذلك فالجماع يحرم على المعتكف ويفسد الاعتكاف ولفظ المساجد يدل على جواز الاعتكاف فى كل مسجد الا ان المسجد الجامع افضل حتى لايحتاج الى الخروج الى الجمعة والاعتكاف من اشرف الاعمال اذا كان عن اخلاص لان فيه تفريغ القلب عماسوى الله تعالى قال عطاء مثل المعتكف كرجل له حاجة الى عظيم فيجلس على بابه ويقول لاابرح حتى يقضى حاجتى فكذلك المعتكف يجلس فى بيت الله ويقول لاابرح حتى يغفرلى وفى الحديث من مشى فى حاجة اخيه فكانما اعتكف عشرين سنة ومن اعتكف يوما جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق ابعد ممابين الخافقين وفى الخلوة والانقطاع عن الناس فوآئد جمة يسلم منه الناس ويسلم هو منهم وفيها خمول النفس والاعراض عن الدنيا وهو اول طريق الصدق والاخلاص وفيها الانس بالله والتوكل والرضى بالكفاف فان المعاشر للناس والمخالط يتكلف فى معيشته البتة فاذا لايفرق غالبا بين الحلال والحرام فيقع فى الهلاك ويسلم المتخلى ايضا من مداهنة الناس وغيرذلك من المعاصى التى يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره التصوف عبارة عن الاجتناب عن اكل مافيه شائبة الحرمة وصون لسانه عن الكلام اللغو والخلوة والاربعون ليست الاهذا فانه وحدة فى الكثرة والمقصود من الخلوة ايضا ذلك ولكن مايكون فى الكثرة على الوجه الذى ذكرنا اثبت واحكم لان مايكون بالخلوة يزول اذا اختلط بين الناس وليس كذلك ماذكر فطريقنا طريق النبى عليه السلام وطريق الاصحاب رضى الله تعالى عنهم والنبى عليه السلام لم يعين الاربعين بل الاعتكاف فى العشر الاخير من رمضان نعم فعل موسى عليه السلام قال تعالى ووعدنا موسى اربعين ليلة واتممناها بعشر والخلوتية اخذوا من ذلك كذا فى واقعات الهدآئى قدس سره (تلك) اى الاحكام التى ذكرت من اول آية الصيام الى هنا (حدود الله) جمع حد وهو الحاجز بين الشيئين وجعل ماشرعه الله تعالى لعباده من الاحكام حدود الهم لكونها امورا حاجزة بين الحق والباطل ولكونها مانعة من مخالفتها والتخطى عنها (فلا تقربوها) اى ان تنتهوا فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ولما بين تعالى احكام الصوم على وجه الاستقصاء فى هذه الالفاظ القليلة بيانا شافيا وافيا قال بعده (كذلك) اى بيانا مثل هذا البيان الوافى الواضح فالكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف (يبين الله آياته للناس)

والايات

والآيات دلائل الدين ونصوص الاحكام والمقصود من تعظيم البيان هدايته ورحمته على عباده فى هذا البيان (لعلهم يتقون) مخالفة اوامره ونواهيه والتقوى اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصى والسيئات ثم بعده اتقاء الشهوات ثم يدع بعده الفضلات وفى الحديث لايبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالاباس به حذرا مما به بأس (قال السعدى) ترا انكه چشم ودهان داد وكوش * اكر عاقلى دوخلافش مكوش * چو باك آفريدت بهش باش وباك * كه ننكست ناباك رفتن بخاك * مروزير بار كنه اى بسر * كه حمال عاجز بود درسفر * مكن عمر ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف * جعلنا الله واياكم من اهل اليقظة واليقين (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) اى لايأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه كالغصب والنهب والسرقة واليمين الكاذبة وكالاكساب الخبيثة كالقمار والرشى وحلوان الكاهن والمغنى والنائحة وكالحيلة ووجوه الخيانة قوله بينكم نصب على الظرفية فيتعلق بقوله تاكلوا ومعنى كون الاكل بينهم وقوع التداول والتناول لاجل الاكل بينهم وليس المراد بالاكل المنهى عنه نفس الاكل خاصة لان جميع التصرفات المتفرعة على الاسباب الباطلة حرام الا انه شاع فى العرف ان يعبر عن انفاق المال باى وجه كان بالاكل لان الاكل معظم المقصود من المال وقوله بالباطل متعلق بالفعل المذكور اى لاتأكلوها بالسبب الباطل نزلت فى رجلين تخاصما فى ارض بينهما فاراد احدهما ان يحلف على ارض اخيه بالكذب فقال النبى عليه السلام انما انا بشر مثلكم يوحى الى وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو مااسمع منه فمن قضيت له شيأ من حق اخيه فانما اقضى له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما انا حل لصاحبى فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه قوله الحن بحجته اى اقوم بها واقدر عليها من صاحبه والتوخى قصد الحق والاستهام الاقتراع وفيه دلالة ظاهرة على ان حكم القاضى لاينفذ باطنا كما عند الشافعى وحمله ابو حنيفة على الاموال والاملاك دون عقود النكاح وفسخها وموضع بيانه مشبعا كتاب القضاء فى الفقه (وتدلوا بها الى الحكام) عطف على المنهى عنه فيكون مجزوما بلا الناهية المذكورة بواسطة العاطف والادلاء الالقاء وضمير بها للاموال بتقدير المضاف والباء فيه مثلها فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والمعنى ولاتلقوا امر الاموال والحكومة فيها الى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم اليهم (فريقا) اى طائفة وبعضا (من اموال الناس بالاثم) الباء سببية متعلقة بقوله لتأكلوا اى بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة والصلح مع العلم بان المقضى له ظالم والمقضى به حق المقضى عليه وقيل ولاتلقوا بعضها الى امرآء الظلم وقضاة السوء على وجه الرشوة (وانتم تعلمون) انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبها احق بالتوبيخ وقال الدنيا ثلاثة اشياء حلال وحرام وشبهة فالحرام يوجب العقاب والشبهة توجب العتاب والحلال يوجب الحساب (قال الحكيم السنايى) اين جهان برمثال مردارست * كركسان اندرون هزار هزار * اين مرانرا همى زند مخلب * وان مراين را همى زند منقار * آخر الامر بكذرند همه * وزهمه بازماند اين مردار * فعلى العاقل ان يجتنب عن حقوق العباد والمظالم حكى انه لما مات انوشروان كان يطاف بتابوته فى جميع مملكته وينادى مناد من له علينا حق فليات فلم يوجد احد فى ولايته له عليه حق من درهم روى ان اباحنيفة كان له على بعض المجوس مال فذهب الى داره ليطالبه به فلما وصل الى باب داره وقع نعله على نجاسة فنفض نعله فانقلعت النجاسة عن نعله ووقعت على حائط دار المجوسى فتحير ابو حنيفة رحمه الله وقال ان تركتها كان ذلك شيأ يقبح جدار ذلك المجوسى وان حككتها انحدر التراب من الحائط فدق الباب فخرجت الجارية فقال لها قولى لمولاك ان اباحنيفة بالباب فخرج اليه وظن انه يطالبه بالمال واخذ يعتذر فقال ابو حنيفة رحمه الله ههنا ماهو اولى بالاعتذار وذكر قصة الجدار وانه كيف السبيل الى التطهير فقال المجوسى فانا ابدأ بتطهير نفسى فاسلم فى الحال والنكتة ان اباحنيفة لما احترز عن ظلم ذلك المجوسى فى ذلك القدر القليل فلاجل بركة ذلك اسلم المجوسى ونجا من شقاوة الابد فمن احترز عن الظلم نال سعادة الدارين والافقد وقع فى الخذلان حكى ان نصرانيا كان يحمل امرأته على حمار فاتى بعض قرى المسلمين فقطع واحد من الزنود ذنب حماره فوثب الحمار وسقطت المرأة وانكسرت يداها والقت حملها ايضا فذهب النصرانى الى قاضى تلك القرية شاكيا فقال القاضى لذلك الزند خذ الحمار وأمسكه حتى ينبت ذنبه والمرأة

حتى تحمل حملا وتصبح عندك يداها فقال النصرانى اهكذا حكم شريعتكم ثم رفع رأسه الى السماء وقال الهى انت حليم ولا صبر لى على هذا فاحكم يا ناظر الملهوفين ويا ناصر المظلومين فمسخ الله ذلك القاضى فصار حجرا من ساعته ففى هذه الحكاية شيئان الاول ان هذا القاضى بظلمه وقع فيما وقع من البلاء العظيم والثانى انه يجب الاحتراز عن الظلم وان كان المظلوم كافرا فان دعاء الكافر يسمع والاشارة فى الاية ان الاموال خلقت لمصالح قوام النفس وان النفس خلقت للقيام بمراسم العبودية لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ليعلموا ان الاموال والانفس لله فلا يتصرفون فيهما الا بامر الله ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اى بهوى النفس والحرص والشهوة والاسراف على الغفلة وكلوا بالحق بالامر والقناعة والتقوية على الطاعة والقيام بالعبودية ولا تدلوا بها الى الحكام وهى النفس الامارة بالسوء لتأكلوا فريقا من الاموال التى خلقت للاستعانة بها على العبودية بالاثم اى بالقطيعة والغفلة مستعينين بها على المعصية كالحيوانات والبهائم فيكون حاصلكم ومرجعكم ومثواكم النار ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وانتم تعلمون حاصل الامر ولا تعملون به كذا فى التأويلات النجمية (يسألونك عن الاهلة) روى ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ اولا ولا يكون على حالة واحدة فانزل الله تعالى يسألونك على الاهلة وهى جمع هلال والهلال اول ما يظهر لك من نور القمر الى ثلاث ليال وسمى هلالا لان الناس يرفعون اصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل الصبى اذا صرخ حين يولد واهل القوم بالحج اذا رفعوا اصواتهم بالتلبية (قل) يا محمد (هى) الاهلة (مواقيت) جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضى والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر (للناس) اى لما يتعلق بهم من امور معاملاتهم ومصالحهم (والحج) وامورة المتعلقة باوقات مخصوصة فان قلت لما كانت الاهلة مواقيت يوقت بها الناس عامة مصالحهم علم منه كونها ميقاتا للحج لانه من جملة المصالح المتوقفة على الوقت فلم خصه بالذكر قلت الخاص قد يذكر بعد العام للتنبيه على مزيته فالحج من حيث انه يراعى فى ادائه وقضائه الوقت المعلوم بخلاف سائر العبادات التى لا يعتبر فى قضائها وقت معين وحاصل الخطاب ان الهلال يبدو دقيقا ثم يتم ويظهر لكم على حسب مصلحتكم لقربه وبعده من الشمس كما بين فى فن الهيئة قال فى التيسير ثم الشمس على حالة واحدة لانها ضياء للعالم وقوام لمصالح الناس والقمر يتغير لان الله علق به ما قلنا من المواقيت وذلك يعرف بهذه الاختلافات ودبر عز وجل هذا التدبير لحاجة الناس الى ذلك انتهى (وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها) كان الانصار اذا احرم الرجل منهم بالحج او العمرة لم يدخل حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته يدخل منه ويخرج او يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل من احرامه ويرون ذلك برا الا ان يكون من الحمس وهم قريش وسببه انهم ظنوا انه لابد فى الاحرام من تغيير جميع العادات فغيروا عاداتهم فى الدخول كما غيروا فى اللباس والتطيب وقالوا لا ندخل بيوتا من الابواب حتى ندخل بيت الله تعالى وكان منهم من لا يستظل بسقف بعد احرامه ولا يأقط الاقط ولا يجز الوبر وهذه اشياء وضعوها من عند نفوسهم من غير شرع فعرفهم الله تعالى ان هذا التشديد ليس ببر ولا قربة (ولكن البر) بر (من اتقى) المحارم والشهوات دون دخول البيت من ظهر وفى الكشاف فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا فى واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر فى شئ وانتم تحسبونها برا (وأتوا البيوت من ابوابها) حال الاحرام اذ ليس فى العدول بر (واتقوا الله) فى تغيير احكامه والاعتراض على افعاله (لعلكم تفلحون) اى لكى تظفروا بالبر والهدى وللاية تأويل آخر قاله الحسن قال كان فى الجاهلية من هم بسفر او امر يصنعه فمنع عن ذلك لم يدخل داره من الباب حتى يحصل له ذلك وكان قريش وقبائل العرب من خرج لسفر او حاجة ثم رجع ولم يظفر بذلك كان ذلك طيرة فنهاهم الله عن ذلك واخبر ان الطيرة ليس ببر والبر بر من لم يخف غيره وتوكل عليه حكى الجاحظ قال تجاورت انا وابراهيم بن سيار

المعروف بالنظام حديث الطيرة فقال اخبرك انى جعت حتى اكلت الطين وما صبرت الى ذلك حتى قلبت قلبى اتذكر هل ثمة رجل اصيب عنده غداء او عشاء فقصدت الاهواز وهى من بلدان فارس وما اعرف بها واحدا وما كان ذلك الا شيأ امر به الضجر فوافيت الفرضة فلم اجد بها سفينة فتطيرت من ذلك ثم انى رأيت سفينة فى صدرها خرق وهشم فتطيرت ايضا فقلت للملاح ما اسمك قال ديوزاد بالفارسى وهو اسم الشيطان فتطيرت وركبت معه فلما قربنا من الفرضة صحت يا حمال ومعى لحاف سمل وبعض ما لا بد لى منه فكان اول حمال اجابنى اعور فازددت طيرة وقلت فى نفسى الرجوع اسلم ثم ذكرت حاجتى الى اكل الطين وقلت من لى بالموت فلما صرت الى الخان وانا حائر ما اصنع اذ سمعت قرع باب البيت الذى انا فيه فقلت من هذا قال رجل يريدك فقلت من انا قال ابراهيم ابن سيار النظام فقلت فى نفسى هذا عدو او رسول سلطان ثم انى تحاملت وفتحت الباب فقال ارسلنى اليك ابراهيم بن عبد العزيز ويقول لك وان كنا اختلفنا فى المقالة فانا نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق والحرية وقد رأيتك حيث مررت على حال كرهتها وينبغى ان يكون برحت بك حاجة فان شئت فاقم مكانك مدة شهر او شهرين فعسى نبعث لك ببعض ما يكفيك زمينا من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون دينارا فخذها وانصرف وانت احق من عذر قال فورد على امور اذهلتنى لما واحدها فانى لم اكن ملكت قط ثلاثة دنانير والثانى انه لم يطل مقامى وغيبتى عن اهلى والثالث ما تبين لى من الطيرة انها باطلة كذا فى شرح رسالة الوزير ابن زيدون فظهر انه قد يكون ما تكرهه النفس خيرا كما حكى انه وقع قحط فى زمن شيخ فعين لكل من طلبته على طريق التفاؤل مكسبا فجاء فى فال واحد منهم قطاع الطريق فانتقل ذلك الرجل فلقى بعض الحرامية واجتمع بهم فنهبوا جماعة من التجار فبعد اخذ اموالهم ربطوا ايديهم وامروا هذا الرجل ان يذبحهم بعيدا عنهم فتفكر الرجل فخطر بباله ان يطلقهم ويعطيهم السلاح ويطهروا الطريق عن القطاع ففعلوا وهم غافلون ثم سألوا عن هذا الرجل فحكى حاله فجاؤا الى شيخه وسلموا الاموال وصاروا من جملة احبائه فعليك بالتسليم والقبول لكى تنال المأمول (قال الصائب) چون سرود ره قمار رضا ايستاده ام * آسوده خاطرم زبهار وخزان خويش * ثم فى قوله وليس البر الاية اشارة الى ان لكل شئ سببا ومدخلا لا يمكن الوصول اليه ولا الدخول الا باتباع ذلك السبب والمدخل كقوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا فسبب الوصول الى حضرة الربوبية والمدخل فيها هى التقوى اسم جامع لكل بر من اعمال الظاهر واحوال الباطن والقيام باتباع الموافقات واجتناب المخالفات وتصفية الضمائر ومراقبة السرائر فبقدر السلوك فى مراتب التقوى يكون الوصول الى حضرة المولى كقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال عليه السلام عليكم بتقوى الله فانه جماع كل خير فقوله وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها اى غير مدخلها بمحافظة ظواهر الاعمال من غير رعاية حقوق بواطنها بتقوى الاحوال ولكن البر من اتقى اى حق التقوى كقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قيل فى معناه ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وأتوا البيوت من ابوابها اى ادخلوا الامور من مداخلها ثم ذكر مدخل الوصول وقال واتقوا الله اى اتقوا بالله عما سواه يقال فلان اتقى بترسه يعنى اجعلوا الله محرزكم ومتقاكم ومفركم ومفزعكم ومرجعكم منه اليه كما كان حال النبى عليه السلام يقول اعوذ بك منك لعلكم تفلحون لكى تنجوا وتتخلصوا من مهالك النفوس باعانة الملك القدوس كذا فى التأويلات النجمية قدس سره (وقاتلوا) جاهدوا (فى) نصرة (سبيل الله) واعزازه والمراد بسبيل الله دينه لانه طريق الى الله ومرضاته (الذين يقاتلونكم) يعنى قريشا وكان ذلك قبل ان امر بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين لان هذه الاية اول آية نزلت فى القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه اى يقاتل من واجهه للقتال وناجزه ويكف عن قتال من لم يناجز وان كان بينه وبينهم محاجزة وممانعة ويؤيده ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان هذه الاية نزلت فى صلح الحديبية وذلك ان النبى عليه السلام خرج مع اصحابه للعمرة فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة وكانوا الفا واربعمائة فنزل الحديبية وهو موضع فى قرب مكة كثير المياه والاشجار وصدهم المشركون عن البيت الحرام فاقام شهرا وصالحه المشركون على ان يرجع ذلك العام ويأتى مكة فى العام المقبل ويعتمر فرضى بما قالوا وان يصدوهم عن البيت وكره الاصحاب قتالهم فى الشهر الحرام وفى الحرم فانزل الله تعالى وقاتلوا الاية (ولا تعتدوا) بابتداء القتال

فى الحرم محرمين (ان الله لايحب المعتدين) اى لايريد بهم الخير (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) اين وجدتموهم فى الحرم والحل وفى الاشهر الحرم وهم الذين هتكوا حرمة الشهر والحرم بالبداية فجازوهم بمثله واصل الثقف الحذق فى ادراك الشئ علما كان اوعملا فهو يتضمن معنى الغلبة (واخرجوهم من حيث اخرجوكم) اى من مكة لانهم اخرجوا المسلمين منها اولا واخرج عليه السلام منها ثانيا من لم يؤمن به منهم يوم الفتح (والفتنة) فى الاصل عرض الذهب على النار لاستخلاصه من الغش ثم صار اسما لكل ما كان سببا للامتحان تشبيها بهذا الاصل اى المحنة التى يفتتن بها الانسان ويمتحن كالاخراج من الوطن (اشد من القتل) اصعب منه لدوام تعبها وتألم النفس بها فتكون هذه الجملة متعلقة بقوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم تذييلا له وحثا على الاخراج والمعنى ان اخراجكم اياهم ليس اهون عليهم من القتل بل هو اشد من قتلكم اياهم فيصلح جزاء على اصرارهم فى الكفر ومناجزتهم لحربكم وقتالكم قيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التى يتمنى عندها الموت ويحتمل ان تكون متعلقة بقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم فيكون المقصود حث المؤمنين على قتلهم اياهم فى الحرم اى لاتبالوا بقتلهم اينما وجدتموهم فان فتنتهم اى تركهم فى الحرم وصدهم اياكم عن الحرم اشد من قتلكم اياهم فيه (ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام) اى لاتفاتحوهم بالقتل هنالك وهتك حرمة المسجد الحرام (حتى يقاتلوكم فيه) حتى يبدؤكم بالقتال فى الحرم وهذا بيان اشرط كيفية قتالهم فى هذه البقعة خاصة فيكون تخصيصا لقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم (فان قاتلوكم) ثمة (فاقتلوهم) فيه ولاتبالوا بقتالهم ثمة لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب (كذلك) اى مثل ذلك الجزآء على ان الكاف فى محل الرفع بالابتدآء (جزآء الكافرين) يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم (فان انتهوا) عن القتال وكذا عن الكفر فان الانتهاء عن مجرد القتال لايوجب استحقاق المغفرة فضلا عن استحقاق الرحمة (فان الله غفور رحيم) يغفر لهم ماقد سلف (وقاتلوهم) اى المشركين (حتى لاتكون) الى ان لاتوجد ولاتبقى (فتنة) اى شرك يعنى قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثنى الا الاسلام فان ابى قتل (ويكون الدين لله) خالصا له ليس للشيطان نصيب فيه (فان انتهوا) بعد مقاتلتكم عن الشرك (فلا عدوان الا على الظالمين) اى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لايحسن ان يظلم الا من ظلم فحذف نفس الجزآء واقيمت علته مقامه والعلة لما كانت مستلزمة للحكم كنى بها عنه كانه قيل فان انتهوا فلا تعدوا عليهم لان العدوان مختص بالظالمين والمنتهون عن الشرك ليسوا بظالمين فلا عدوان عليهم وسمى ما يفعل بالكفار عدوانا وظلما وهو فى نفسه حق وعدل لكونه جزآء الظلم للمشاركة كقوله تعالى فجزآء سيئة سيئة (الشهر الحرام) يقابل (بالشهر الحرام) فى هتك الحرمة صدهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة وكان بين القوم ترامى بسهام وحجارة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه سنة سبع من الهجرة وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فنزلت هذه الاية وقيل لهم هذا الشهر الحرام بذلك الشهر وهتكه بهتكه فلا تبالوا به (والحرمات قصاص) يعنى من هتك حرمة اى حرمة كانت من حرمة الشهر وحرمة الاحرام وحرمة الحرم اقتص منه فان مراعاة هذه الحرمات انما تجب فى حق من راعيها واما من هتكها فانه يقتص منه ويعامل معه بمثل فعله والاوضح ان المراد بالحرمات كل حرمة وهى مايجب المحافظة عليه نفسا كان اوعرضا يجرى فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد وهو عين التعرض للقتال فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة اى قهرا اوغلبة فان منعوكم فى هذه السنة عن قضاء العمرة بالمقاتلة ونحوها فاقتلوهم كما قال تعالى (فمن اعتدى عليكم) اى تجاوز بقتالكم فى الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم) اى بعقوبة مماثلة لجناية اعتدآئه وهذا اعتدآء على سبيل القصاص وهو اعتدآء مأذون فيه لاعلى سبيل الابتدآء فانه ظلم حرام وهو المراد بقوله تعالى فلا تعتدوا (واتقوا الله) اذا انتصرتم ممن ظلمكم فلا تظلموهم باخذ اكثر من حقكم ولاتعتدوا الى مالم يرخص لكم (واعلموا ان الله مع المتقين) والمعية وهو القرب المعنوى تدل على انه تعالى يحرسهم ويصلح شؤونهم بالنصر والتمكين روى انه عليه السلام واصحابه دخلوا ذلك العام مكة وطافوا بالبيت ونحروا الهدى وكان المشركون شرطوا له بعد قضاء العمرة الاقامة بمكة ثلاثا وكان النبى عليه السلام تزوج ميمونة بنت الحارث فاحب المقام بمكة ليولم عليها فطالبوه بالخروج عنها والوفاء بما عاهد ففعل واولم على ميمونة وبنى بها بسرف واعلم ان الله تعالى امرنا بالغزو فى سبيله ليظهر من يدعى بذل

الوجود

الوجود فى سبيل الله وامرنا بالزكاة ببذل المال ليتبين من يدعى محبة الله فالغزو معيار المحبة الالهية لان كل انسان جبل عن حب الحياة والمال فامتحن بالغزو والزكاة فى سبيل الله قطعا لدعوى المدعين لان الكل يدعى محبة الله وهذا هو السر فى الجهاد ولهذا قال سيدنا على رضى الله تعالى عنه خير الغزآء فى الفتى الشجاعة والسخاوة وهما توأمان كل شجيع سخى وعن عبد الله بن عمر عن ابيه رضى الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما الاسلام قال طيب الكلام واطعام الطعام وافشاء السلام قيل فاى المسلمون افضل قال من سلم الناس من لسانه ويده قيل فاى الصلاة افضل قال طول القيام قيل فاى الصدقة افضل قال جهد من مقل قيل فاى الايمان افضل قال الصبر والسماحة قيل فاى الجهاد افضل قال من عقر جواده واهريق دمه قيل فاى الرقاب افضل قال اغلاها ثمنا والجهاد جهادان ظاهر وباطن فالظاهر مع الكفار والباطن مع النفس والشيطان وهذا اصعب لان الكافر بما يرجع اما بالمحاربة اوبالصلح اوببذل النفس والمال بوجه من الوجوه والشيطان لايرجع عنك دون ان يسلب الدين (وفى المثنوى) اى شهان كشتيم ماخصم برون * ماند خصمى زوبتر دراندرون * كشتن اين كار عقل وهوش نيست * شير باطن سخرهٔ خركوش نيست * سهل شيرى دان كه صفها بشكند * شير آنست آن كه خودرا بشكند * قال فى التاويلات القاشانية وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم من الشيطان وقوى النفس الامارة ولاتعتدوا فى قتالها بان تميتوها عن قيامها بحقوقها والوقوف على حدودها حتى تقع فى التفريط والقصور والفتور ان الله لايحب المعتدين لكونهم خارجين عن ظل المحبة والوحدة التى هى العدالة واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى ازيلوا حياتهم وامنعوهم عن افعالهم بهواها الذى هو روحها حيث كانوا واخرجوهم من مكة الصدر عند استيلائهم عليها كما اخرجوكم عنها باستنزالكم الى بقعة النفس واخراجكم عن مقر القلب وفتنتهم التى هى عبادة هواها واصنام لذاتها وشهواتها اشد من قمع هواها واماتتها بالكلية اومحنتكم وبلاؤكم بها عند استيلائها اشد عليكم من القتل الذى هو اماتتها ومحوها بالكلية لزيادة الضرر والالم هنالك ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام الذى هو مقام القلب اى عند الحضور القلبى اذا وافقوكم فى توجهكم فانهم اعوانكم على السلوك حينئذ حتى يقاتلوكم فيه وينازعوكم فى مطالبه ويجروكم عن حياة القلب ودين الحق الى مقام النفس ودينهم الذى هو عبادة العجل وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة من تنازعهم وتجاذب دواعيهم وتعبدهم الهوى ويكون الدين كله لله بتوجه جميعها الى جناب القدس ومشايعها للسر فى التوجه الى الحق الذى ليس للشيطان والهوى فيه نصيب فان انتهوا فلا عدوان عليهم الا على العادين المجاوزين عن حدودهم انتهى ما فى التأويلات وقال الشيخ نجم الدين قدس سره فى قوله تعالى الشهر الحرام الاية الاشارة ان ما يفوتكم من الاوقات والاوراد بتوانى النفس وغلبات صفاتها فتداركوه الشهر بالشهر واليوم باليوم والساعة بالساعة والوقت بالوقت والاوراد بالاوراد واقضوا الفائت والحقوق فكل صفة من صفات النفس اذا استولت عليكم فعالجوها بضدها البخل بالسخاوة والغضب بالحلم والحرص بالترك والشهوة بالرياضة وعلى هذا القياس واتقوا الله فى افراط الاعتدآء احترازا عن هلاك النفس بكثرة المجاهدات واعلموا ان الله مع المتقين بالنصرة على جهاد النفس (وانفقوا فى سبيل الله) الانفاق صرف المال الى وجوه المصالح والمراد بالسبيل الدين المؤدى الى ثواب الله ورحمته فكل ما امر الله به من الانفاق فى اعزاز الدين واقامته فهو داخل فى هذه الاية سوآء كان فى اقامة الحج او العمرة اوجهاد الكفار اوصلة الارحام اوتقوية الضعفاء من الفقرآء والمساكين اورعاية حقوق الاهل والاولاد اوغير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى امر تعالى بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس اى واصرفوا اموالكم فى سبيل الله ولاتمسكوا كل الامساك (ولاتلقوا) الالقاء طرح الشئ حيث تراه ثم صار اسما لكل طرح عرفا وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء (بايديكم) الباء زآئدة فى المفعول به لان القى يتعدى بنفسه قال تعالى فالقى موسى عصاه ولايقال القى بيده الا فى الشر والمراد بالايدى الانفس فان اليد لازم للنفس وتخصيص اليد من بين سائر الجوارح اللازمة لها لان اكثر الاعمال يظهر بالمباشرة باليد والمعنى لاتطرحوا انفسكم (الى التهلكة) اى الهلاك بالاسراف وتضييع وجه المعاش لتكون الاية نظير قوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما اوبالكف عن الغزو والانفاق فى مهماته فان ذلك مما يقوى العدو ويسلطه عليكم ويؤيده

ماروى عن ابى ايوب الانصارى رضى الله تعالى عنه انه قال ان الله تعالى لما اعز دينه ونصر رسوله قلنا فيما بيننا انا قد تركنا اهلنا واموالنا حتى فشا الاسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا الى اهلنا واموالنا فاقمنا فيها واصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اى الى ما يكون سببا لهلاككم من الاقامة فى الاهل والمال وترك الجهاد فما زال ابو ايوب يجاهد فى سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية فى زمن معاوية فتوفى هنالك ودفن فى اصل سور قسطنطينية وهم يستشفون به وفى الحديث من مات ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق (واحسنوا) اى تفضلوا على الفقراء (ان الله يحب المحسنين) اى يريد بهم الخير روى ان الحجاج لما ولى العراق كان يطعم فى كل يوم على الف مائدة يجمع على كل مائدة عشرة انفس وكان يرسل الرسل الى الناس لحضور الطعام فكثر عليه ذلك فقال ايها الناس رسولى اليكم الشمس اذا طلعت فاحضروا للغداء واذا غربت فاحضروا للعشاء فكانوا يفعلون ذلك واستقل الناس يوما فقال ما بال الناس قد قلوا فقال رجل ايها الامير انك اغنيت الناس فى بيوتهم عن الحضور الى مائدتك فاعجبه ذلك وقال اجلس بارك الله عليك هذا كرم الحجاج واحسانه الى الخلق مع كونه اظلم اهل زمانه (قال السعدى) كرم كن كه فردا كه ديوان نهند * منازل بمقدار احسان نهند * وحكى الهدآئى قال اقبل ركب من بنى اسد ومن قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما وهو المشهور بالجود فقالوا انا تركنا قومنا يثنون عليك خيرا وقد ارسلوا اليك رسالة فقال ما هى فانشد الاسديون شعر النابغة فيه فلما انشدوه قالوا انا نستحى ان نسألك شيأ وان لنا لحاجة قال ما هى قالوا صاحب لنا قد ارجل يعنى فقدت راحلته فقال حاتم فرسى هذه فاحملوه عليها فاخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فافلت يتبع امه وتبعته الجارية لترده فصاح حاتم ما يتبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية كذا فى شرح رسالة ابن زيدون الوزير قيل لما عرج النبى عليه السلام اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام ما بال هذا الرجل فى هذه الحظيرة لا تمسه النار فقال جبريل عليه السلام هذا حاتم طى صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده كذا فى انيس الوحدة وجليس الخلوة وفى الاحاديث القدسية ياعيسى اتريد ان تطير على السماء مع الملائكة المقربين كن فى الشفقة كالشمس وفى الستر كالليل وفى التواضع كالارض وفى الحلم كالميت وفى السخاوة كالنهر الجارى قال بعض اهل الحقيقة وهو حسن جدا وانفقوا فى سبيل الله ارواحكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بمنعكم انفسكم عن الشهادة فى سبيل الله التى هى الحياة الابدية فتهلكوا يعنى بفوت هذه الحياة واحسنوا تسليم انفسكم الى الله فقد اشتراها منكم ان الله يحب المحسنين (وفى المثنوى) مرلكى مركى بود مارا حلال * برلكى بركى بود مارا نوال * ظاهرش مرك وبباطن زندكى * ظاهرش ابتر نهان پاينده كى * چون مراسوى اجل عشق وهواست * نهى لا تلقوا بايديكم مراست * زانكه نهى ازدانهٔ شيرين بود * تلخ را خود نهى حاجت كى شود * دانهٔ كش تلخ باشد مغز وپوست * تلخى ومكروهيش خودنهى اوست * دانهٔ مردن مرا شيرين شدست * بل هم احياء پى من آمدست * قال فى التأويلات النجمية وانفقوا فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالامتناع عن تسليم المبيع فتهلكوا بمنع الثمن وهو الجنة وبافراط الاعتدآء وتفريطه فى جهاد النفس بالافراط بان يبرز واحد على رهط وبالتفريط بان يفر واحد من اثنين فى جهاد الكفار واحسنوا مع نفوسكم بوقايتها عن نار الشهوات ومع قلوبكم برعايتها عن رين الغفلات ومع ارواحكم بحمايتها عن حجب التعلقات ومع اسراركم بكلاءتها عن ملاحظة المكونات ومع الخلق بدفع الاذيات واتصال الخيرات ومع الله بالعبودية فى المأمورات والمنهيات والصبر على المضرات والبليات والشكر على النعم والمسرات والتوكل عليه فى جميع الحالات وتفويض الامور اليه فى الجزئيات والكليات والتسليم للاحكام الازليات والرضى بالاقضية الاوليات والفناء عن الارادات المحدثات فى ارادته القديمة بالذات ان الله يحب المحسنين الذين هم فى العبادة بوصف المشاهدة انتهى ما فى التأويلات بانتخاب (واتموا الحج والعمرة) الحج فرض على من استطاع اليه سبيلا بالاتفاق والعمرة سنة عند ابى حنيفة رحمه الله لا تلزم الا بالشروع كنفل الصلاة والمعنى ان من شرع فى اى واحد منهما فليتمه قالوا ومن الجائز ان لا يكون الدخول فى شئ واجبا ابتدآء الا انه بعد الشروع فيه يكون اتمامه واجبا (لله) متعلق باتموا واللام لام المفعول

من اجله وفائدة التخصيص به هنا ان العرب كانت تقصد الحج للاجتماع والتظاهر وحضور الاسواق وكل ذلك ليس لله فيه طاعة ولا قربة فامر الله بالقصد اليه لاداء فرضه وقضاء حقه والمعنى اكملوا اركانهما وشرآئطهما وسائر افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشئ منها واخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشئ من التجارة والاغراض الدنيوية واجعلوا النفقة من الحلال واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعى بين الصفا والمروة وحلق الرأس او التقصير فركن الحج ما لا يحصل التحلل الا بالاتيان به وواجباته هو الذى اذا ترك يجبر بالدم وسننه ما لا يجب بتركه شئ وكذا افعال العمرة تشتمل على هذه الامور الثلاثة فاركانها اربعة الاحرام والطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والحلق وللحج تحللان واسباب التحلل ثلاثة رمى جمرة العقبة يوم النحر وطواف الزيارة والحلق واذا وجد شيأن من هذه الاشياء الثلاثة حصل التحلل وبالثالث حصل التحلل الثانى وبعد التحلل الاول يستبيح جميع المحظورات اى محظورات الاحرام الا النساء وبالثانى يستبيح الكل واتفقت الامة على انه يجوز ادآء الحج والعمرة على ثلاثة اوجه الافراد والتمتع والقران فصورة الافراد ان يحرم بالحج مفردا ثم بعد الفراغ منه يعتمر من الحل اى الذى بين المواقيت وبين الحرم وصورة التمتع ان يبتدئ باحرام العمرة فى اشهر الحج ويأتى بمناسكها ثم يحرم بالحج من مكة فيحج فى هذا العام وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا بان ينويهما بقلبه ويأتى بمناسك الحج وحينئذ يكون قد اتى بالعمرة ايضا لان مناسك العمرة هى مناسك الحج من غير عكس او يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا ولو احرم بالحج ثم ادخل عليه العمرة لم ينعقد احرامه بالعمرة والافضل عندنا من هذه الوجوه هو القران وفى الحديث تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور جزاء الا الجنة (فان احصرتم) اى منعتم وصددتم عن الحج والوصول الى البيت بمرض او عدو او عجز او ذهاب نفقة او راحلة او سائر العوآئق بعد الاحرام باحد النسكين وهذا التعميم عند ابى حنيفة رحمه الله لان الخطاب وان كان للنبى واصحابه وكانوا ممنوعين بالعدو لكن الاعتبار لعموم اللفظ لا لخصوص السبب (فما استيسر) اى فعليكم ما تيسر (من الهدى) من اما تبعيضية او بيانية اى حال كونه بعض الهدى او الكائن من الهدى جمع هدية كتمر وتمرة وهو ما يهدى الى البيت تقربا الى الله من النعم ايسره شاة واوسطه بقرة واعلاه بدنة ويسمى هديا لانه جار مجرى الهدية التى يبعثها العبد الى ربه بان بعثها الى بيته والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر فى اى موضع كان عند الشافعى واما عندنا فيبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث على يده يوم ذبحه امارة اى علامة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى (ولا تحلقوا رؤسكم) اى لا تحللوا بحلق رؤسكم (حتى يبلغ الهدى محله) حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذى وجب ان ينحر فيه والمحل بالكسر من الحلول وهو النزول يطلق على الزمان والمكان فمحل الدين وقت وجوب قضائه ومحل الهدى المكان الذى يحل فيه ذبحه وهو الحرم عندنا لقوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق والمراد الحرم كله لان كله يتبع البيت وهذا الحكم عام لجميع الحاج من المفرد والقارن والمتمتع والمعتمر يعنى لا يجوز له ان يحلق رأسه الا ان يذبح هديه وان لم يحصر يعنى فى منى والحلق افضل من التقصير ولو حلق ربع الرأس يكتفى به لكن حلق كله اولى اقتدآء برسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فى الحج واما فى غيره فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحلق رأسه الا قليلا بل هو معدود ويتركه فى اكثر الازمان وكان على رضى الله عنه يحلق رأسه منذ ما سمع قوله عليه السلام تحت كل شعرة جنابة (فمن) يجوز ان تكون شرطية وموصولة (كان منكم مريضا) مرضا محوجا الى الحلق حال الاحرام ومريضا خبر كان ومنكم حال منه لانه فى الاصل صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالا (او به اذى) اى الم كائن (من رأسه) كجراحة او قمل او صداع او شقيقة والمعنى يثبت على احرامه من غير حلق حتى يذبح هديه الا ان يضطر الى الحلق فان حلق ضرورة (ففدية) اى فعليه فدية (من صيام) اى صيام ثلاثة ايام (او صدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (او نسك) بضمتين جمع نسيكة وهى الذبيحة اعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة واو للتخيير (فاذا امنتم) من خوفكم وبرئتم من مرضكم وكنتم فى حال امن وسعة لا فى حال احصار (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) اى فمن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة

قبل الانتفاع بتقربه بالحج فى اشهره اومن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) اى فعليه دم تيسر عليه بسبب التمتع وهو هدى المتعة وهو نسك عند ابى حنيفة رحمه الله لايذبحه الايوم النحرويأ كل منه كالاضحية (فمن لم يجد) اى الهدى (فصيام ثلاثة ايام) صيام مصدر اضيف الى ظرفه معنى وهو فى اللفظ مفعول به على الاتساع اى فعليه صيام ثلاثة ايام (فى الحج) اى فى وقته واشهره بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج ان شاء متفرقة وان شاء متتابعة والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحروايام التشريق (وسبعة اذا رجعتم) اى نفرتم وفرغتم من اعمال الحج اطلق عليه الرجوع على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب الخاص وهو النفر والفراغ فانه سبب للرجوع (تلك) اى صيام ثلاثة وسبعة (عشرة) فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما فى قوله تعالى مثنى وثلاث ورباع وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلمان خير من علم فان اكثر العرب لايحسنون الحساب فكان الرجل اذا خاطب صاحبه باعداد متفرقة جمعها له ليسرع فهمه اليها وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما (كاملة) صفة مؤكدة لعشرة فان الوصف قد يكون للتأكيد اذا افاد الموصوف معنى ذلك الوصف نحو الهين اثنين والتأكيد انما يصار اليه اذا كان الحكم المؤكد مما يهتم بشأنه والمحافظة عليه والمؤكد ههنا هو رعاية هذا العدد فى هذا الصوم اكده ليبان ان رعايته من المهمات التى لايجوز اهمالها البتة (ذلك) اشارة الى نفس التمتع عندنا والى حكم التمتع عند الشافعى وهو لزوم الهدى لمن يجده من المتمتع ولزوم بدله لمن لايجده (لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام) اى لازم للذى لايسكن مكة واهل الرجل اخص الناس اليه وانما ذكر الاهل لان الغالب ان الانسان يسكن حيث يسكن اهله فعبر بسكون الاهل عن سكون نفسه وحاضروا المسجد الحرام عندنا هم اهل مكة ومن كان منزله داخل المواقيت فلا متعة ولا قران لهم فمن تمتع اوقرن منهم فعليه دم جناية لايأ كل منه وحاضروا المسجد الحرام ينبغى لهم ان يعتمروا فى غير اشهر الحج ويفردوا اشهر الحج للحج والقارن والمتمتع الافاقيان دمهما دم نسك يأ كلان منه وعند الشافعى حاضروا المسجد الحرام اهل الحرم ومن هو على مسافة لاتقصر فيها الصلاة (واتقوا الله) فى المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا فى الحج (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان (قال السعدى) مروزير بار كنه اى پسر * كه حمال عاجز بود در سفر * تو پيش از عقوبت در عفو كوب * كه سودى ندارد فغان زير چوب * اعلم ان اتمام الحج كما يكون عن طريق الظاهر كذلك يكون عن طريق الباطن وعن بعض الصالحين انه حج فلما قضى نسكه قال اصاحبه هلم نتم حجنا الم تسمع قول ذى الرمة

تمام الحج ان تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام

وخرقاء اسم حبيبة الشاعر واضعة اللثام اى مكشوفة الوجه مسفرة جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذى لايتم الا به وحقيقة ما قال هوانه كما قطع البوادى حتى وصل الى بيته وحرمه ينبغى ان يقطع اهوآء النفس ويخرق حجب القلب حتى يصل الى مقام المشاهدة ويبصر آثار كرمه بعد الرجوع عن حرمه قال فى التأويلات النجمية حج العوام قصد البيت وزيارته وحج الخواص قصد رب البيت وشهوده كما قال الخليل عليه السلام انى ذاهب الى ربى سيهدين وكما ان من قصد الله وطلبه وتوجه اليه بالكلية وفدى بنفسه وماله وولده فى الله واتخذ ماسواه عدوا كما قال فانهم عدو لى الارب العالمين كان الخليل عليه السلام وهذا كله من مناسك الحج الحقيقى فلذلك جعله الله اول من بنى بيت الله وطاف وحج واذن فى الناس بالحج وسن المناسك وكان الحج صورة ومعنى مقامه عليه السلام وكما كان له مقام كان لنبينا عليه السلام حال والحال اتم من المقام لان المقامات من المنازل والاحوال من المواهب فيمكن سلوك المقامات بغير المواهب ولا يمكن المواهب بغير سلوك المقامات فلما كان الخليل من اهل المقامات قال انى ذاهب الى ربى سيهدين ولما كان النبى عليه السلام من اهل المواهب قيل سبحان الذى اسرى بعبده فلما كان ذهابه بنفسه فى الحج الحقيقى بقى فى السماء السابعة واحصر فقيل له فان احصرتم فما استيسر من الهدى فاهدى باسمعيل ولما اسرى بالنبى عليه السلام وكان ذهابه بالله مااحصره شئ فقيل له فاتموا الحج والعمرة لله فاتم حجه بان دنا فتدلى فكان قاب قوسين اوادنى ثم اتى عمرته بان تجلى له انوار المقصود عن كشوف التعزز بالشهود وانجلى عنانة المحبة عن شموس الوصلة وجرى بين المحبين

ما جرى فاوحى الى عبده مااوحى ثم نودى من سرادقات الجلال فى اتمام الحج والاكمال يوم الحج الاكبر عند وقوفه بعرفات فى حجة الوداع وهو آخر الحجات اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا انتهى ما فى التأويلات ثم اعلم ان كل قلب لايصلح لمعرفة الرب ولا كل نفس تصلح لخدمة الرب ولا كل نفيس مال يصلح لخزانة الرب فتعجل ايها العبد فى تدارك حالك وكن سخيا بمالك فان لم يكن فبنفسك وان كان لك قدرة على بذلهما فبهما الا يرى ان ابراهيم عليه السلام كيف اعطى ماله للضيفان وبدنه للنيران وولده للقربان وقلبه للرحمان حتى تعجبت الملائكة من سخاوته فاكرمه الله بالخلة قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا قال مالك بن دينار خرجت الى مكة فرأيت فى الطريق شابا اذا جن عليه الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يامن تسره الطاعات ولا تضره المعاصى هب لى مايسرك واغفر لى مالا يضرك فلما احرم الناس ولبوا قلت له لم لاتلبى فقال ياشيخ وما تغنى التلبية عن الذنوب المتقدمة والجرآئم المكتوبة والمعاصى السالفة اخشى ان اقول لبيك فيقال لى لا لبيك ولا سعديك لا اسمع كلامك ولا انظر اليك ثم مضى فما رأيته الا بمنى وهو يقول اللهم اغفر لى اللهم ان الناس قد ذبحوا وتقربوا اليك وليس لى شئ اتقرب به اليك سوى نفسى فتقبلها منى ثم شهق شهقة وخر ميتا اللهم عاملنا بكمال كرمك واوصلنا الى حضرتك العليا وحرمك (الحج) بحذف المضاف اى وقته لان الحج فعل والفعل لايكون اشهرا (اشهر) هى شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة عندنا لايوم وقت ركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة وانما سمى شهران وبعض شهر اشهرا مع ان جمع القلة لايطلق على ماهو اقل من الثلاثة اقامة للبعض مقام الكل اواطلاقا للجمع على مافوق الواحد (معلومات) معروفات بين الناس لانهم توارثوا علمها والشرع جاء مقررا لما عرفوه ولم يغير وقته عما كان قبله وفائدة توقيت الحج بهذه الاشهر ليعلم ان شيأ من افعال الحج لايصح الا فيها والاحرام وان كان ينعقد فى غيرها ايضا عند ابى حنيفة الا انه مكروه ويعنى ان الاحرام عنده من شرآئط الحج فيجوز تقديمه على وقت ادآئه كما يجوز تقديم الطهارة على ادآء الصلاة وقولهم وقت الحج اشهر ليس المراد به انها وقت احرامه بل المراد انها وقت ادآئه بمباشرة اعماله ومناسكه والاشهر كما هى وقت لصحة احرامه لقوله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج ومعلوم ان الاهلة كلها ليست مواقيت لصحة ادآء الحج فتعين ان المراد انها مواقيت لصحة الاحرام حتى من احرم يوم النحر لان يحج فى السنة القابلة يصح احرامه من غير كراهة عند ابى حنيفة كذا فى حواشى ابن الشيخ (فمن فرض فيهن الحج) اى اوجبه على نفسه بالتلبية اوتقليد الهدى وذلك لان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع بمجرد النية كالصلاة فلابد من فعل يشرع به فيه وهو ماذكرنا من التلبية اوتقليد الهدى وهو جعل القلادة فى عنقه وسوقه (فلا رفث) اى فلا جماع ومادونه مما يفضى الى ذلك كالقبلة والغمز وهو محظور الاحرام فقبل الوقوف بعرفة مفسد وبعده موجب البدنة وحرمت دواعيه لئلا يقع فيه والرفث ومايليه من الفسوق والجدال وان كانت على صورة النفى بمعنى ان شيأ منها لايقع فى خلال الحج الا ان المراد بها النهى لان ابقاءها خبرا على ظاهرها يستلزم الخلف فى خبر الله للعلم بان هذه الاشياء كثيرا ماتقع فى خلال الحج وانما اخرجت على صورة الاخبار للمبالغة فى وجوب الانتهاء عنها كان المكلف اذعن كونها منهيا عنها فاجتنب عنها فالله تعالى يخبر بانها لاتوجد فى خلال الحج ولا يأتى بها احد منكم (ولا فسوق) ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات والفسق هو المعاصى بانواعها فيدخل فيه السباب والتنابز بالالقاب وغير ذلك (ولا جدال) اى لامرآء مع الخدم والرفقة والمكارين لانه يفضى الى التضاغن وزوال التأليف فاما الجدال على وجه النظر فى امر من امور الدين فلا بأس به (فى الحج) اى فى ايامه وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب فى كل حال لانه مع الحج اقبح واشنع كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب فى قرآءة القرآن والمنهى عنه التطريب الذى يخرج الحروف به عن هيأتها كما يفعله بعض القرآء من الالحان العجيبة والانغام الموسيقية واما تحسين القرآءة ومدها فهو مندوب اليه قال عليه السلام حسنوا القرآن باصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا والتطريب المقبول سبب للرقة واقبال النفس وبه قال ابو حنيفة رحمه الله وجماعة من السلف (وما) شرطية (تفعلوا من خير يعلمه الله) علم الله تعالى بما يفعله العبد من الخير كناية عن اثابته عليه نهى عن ثلاثة اشياء من المعاصى ورغب فى كل الطاعات فهو حث على فعل الخير

عقيب النهى عن الشر فيدخل فيه استعمال الكلام الحسن مكان القبيح والبر والتقوى مكان الفسوق والوفاق والاخلاق الجميلة مكان الجدال (وتزودوا) اى اجعلوا زادكم لمعادكم وآخرتكم اتقاء القبائح (فان خير الزاد التقوى) لاما يتخذ من الطعام وتحقيق الكلام ان الانسان له سفران سفر فى الدنيا وسفر من الدنيا. فالسفر فى الدنيا لابد له من زاد وهو الطعام والشراب والمركب والمال والسفر من الدنيا لابد له ايضا من زاد وهو معرفة الله ومحبته والاعراض عما سواه بالاشتغال فى طاعته والاجتناب عن مخالفته ومناهيه وهذا الزاد خير من زاد المسافر فى الدنيا لان زاد الدنيا يخلصك من عذاب منقطع وزاد الآخرة يخلصك من عذاب دائم وزاد الدنيا فانى وزاد الآخرة يوصلك الى لذات باقية خالصة وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويخرجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس واذا قدموا مكة سألوا الناس وربما يفضى بهم الحال الى النهب والغصب فقال الله تعالى تزودوا اى ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم من الكعك والزيت والسويق والتمر ونحوها واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى من السؤال والنهب (واتقون يا اولى الالباب) فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شئ سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولى الالباب بالخطاب فان من لم يتقه فكأنه لا لب له فعلى العاقل تخليص العقل عن الشوائب وتهذيب النفس وتكميلها بالوصول الى اعلى المراتب قال الشاعر (ولم ار فى عيوب الناس شيأ كنقص القادرين على التمام) (قال الامام اعلم ان الانسان فيه قوى ثلاث قوة شهوانية بهيمية وقوة غضبية سبعية شيطانية وقوة وهمية عقلية ملكية والمقصود من جميع العبارات قهر القوى الثلاث اعنى الشهوانية والغضبية والوهمية فقوله فلا رفث اشارة الى قهر القوة الشهوانية وقوله ولا فسوق اشارة الى قهر القوة الغضبية التى توجب المعصية والتمرد وقوله ولا جدال اشارة الى قهر القوة الوهمية التى تحمل الانسان على الجدال فى ذات الله وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه وهى الباعثة للانسان على منازعة الناس ومماراتهم والمخاصمة معهم فى كل شئ فلما كان الشر محصورا فى هذه الامور الثلاثة لاجرم قال فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج اى فمن قصد معرفة الله ومحبته والاطلاع على نور جلاله والانخراط فى سلك الخواص من عباده انتهى ما قال الامام قالوا ومن سهل عليه المشى فى طريق الحج فهو الافضل فان كان يضعف ويؤدى ذلك الى سوء خلق وقصور عن عمل فالركوب افضل كما ان الصوم افضل للمسافر والمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق قال ابو جعفر الباقر ما يعبأ من يؤم هذا البيت اذا لم يأت بثلاث ورع يحجزه عن محارم الله وحلم يكف به غضبه وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين فهذه الثلاث يحتاج اليها المسافر خصوصا الى الحج فمن كملها فقد كمل حجه والا فلا (ونعم ما قال السعدى)

ازمن بكوى حاجى مردم كزايرا * كاو پوستين خلق بآزار ميدرد *
حاجى تو نيستى شترست از براى آنك * بيچاره خار ميخورد وبار ميبرد *

فينبغى ان يجتهد الحاج قبل مفارقة رفيقه والجمال فى ان يتحالوا من المظالم ان كانت جرت بينهم مثل غيبة ونميمة او اخذ عرض او تعرض لمال فما سلم من ذلك الا القليل واذا ذكر رفيقه فليثن عليه خيرا وليغض عما سوى ذلك فقد كان السلف بعد قفولهم اى رجوعهم من السفر لا يذكر احدهم صاحبه الا بخير وليحذر من نظفت صحيفة عمله من الذنوب بالغفران ان يرجع الى وسخ المعاصى ثم الاشارة ان قصد القاصدين الى الله تعالى انما يكون فى اشهر معلومات من حياتهم الفانية فى الدنيا فاما بعد انقضاء الآجال فلا يفيد لاحد السعى كما لا ينفع للحاج القصد بعد مضى اشهر الحج قال تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الاية وكما ان للحاج مواقيت معينة يحرمون منها فكذلك للقاصدين الى الله ميقات وهى ايام الشباب من بلاغية الصورة الى بلوغ الاربعين وهو حد بلاغية المعنى قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ولهذا قال المشايخ الصوفى بعد الاربعين نادر يعنى ان كان ظهور ارادته وطلبه يكون بعد الاربعين فوصوله الى المقصد الحقيقى يكون نادرا مع اركانه ولكن من يكون طلبه وصدقه فى الارادة قبل الاربعين وما امكنه الوصلة يقرب الاحتمال ان يكون بعد الاربعين حصول مقصوده بان يبذل غاية مجهوده بشرائطه وحقوقه وحدوده ومن فاته اوان الطلب فى عنفوان شبابه مستبعدة له الوصلة فى حال مشيبه لجرى منه عليه الحيف بان ضيع اللبن فى الصيف ولكن يصلح للعبادة التى

آخرها الجنة ووقف بعض المشايخ على باب الجامع والخلق يخرجون منه فى ازدحام وغلبة وكان ينظر اليهم ويقول هؤلاء حشو الجنة وللمجالسة اقوام آخرون كذا فى التأويلات النجمية وقال القاشانى وقت الحج ازمنة وهو من وقت بلوغ الحلم الى الاربعين ثلاثة اعصر كل عصر بمثابة شهر عصر من سن النمو وعصر من سن الوقوف وبعض من سن الكهولة كما قال تعالى فى وصف البقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك انتهى (قال الحافظ)

عشق وشباب ورندى مجموعهٔ مرادست * چون جمع شد معانى كوى بيان توان زد

(ليس عليكم جناح) اى اثم من الجنوح وهو الميل عن القصد (ان تبتغوا) اى فى ان تقصدوا وتطلبوا (فضلا من ربكم) اى عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة فى ايام الحج فان الاية نزلت ردا على من يقول لا حج للتاجر والجمال لكن الحق ان التجارة وان كانت مباحة فى الحج الا ان الاولى تركها فيه لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص ان لا يكون له حامل على الفعل سوى كونه طاعة وعبادة (فاذا افضتم من عرفات) الهمزة فى افضتم للتعدية والمفعول محذوف اى دفعتم انفسكم منها بكثرة بعد غروب الشمس ورجعتم بعد الوقوف بها وفى التيسير وحقيقة الافاضة هنا هو اجتماع الكثير فى الذهاب والمسير وعرفات علم للموقف وليس بجمع حقيقة بل هو من قبيل ما زيدت حروفه لزيادة معناه فانه للمبالغة فى الانباء عن المعرفة روى انه نعته جبريل لابراهيم عليهما السلام فلما ابصره عرفه فسمى ذلك الموضع عرفات او لان جبريل عليه السلام كان يدور به فى المشاعر اى مواضع المناسك ويقول عرفت فيقول عرفت فلما رآه قال عرفت او لان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا او لغير ذلك كما ذكر فى التفاسير وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفات لان الافاضة مأمور بها وهى موقوفة على الحضور فيها والوقوف بها وما لم يتم الواجب الا به فهو واجب فيكون الوقوف واجبا (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتسبيح والتحميد والثناء والدعوات (عند المشعر الحرام) قزح وهو الجبل الذى يقف عليه الامام وعلى الميقدة وفى المغرب الميقدة هو موضع بالمشعر الحرام على قزح كان اهل الجاهلية يوقدون عليها النار وتقييد محل الذكر والوقوف بقوله عند المشعر الحرام للتنبيه على ان الوقوف فيما يقرب من جبل قزح افضل من الوقوف فى سائر مواضع ارض مزدلفة وذلك لا ينافى صحة الوقوف فى جميع مواضعها كما ان عرفات كلها موضع الوقوف لكن الوقوف بقرب جبل الرحمة افضل واولى والمشعر المعلم اى للعبادة والشعائر العلامات من الشعار وهو العلامة ووصفه بالحرام لحرمته فلا يفعل فيه ما نهى عنه (واذكروه كما هداكم) اى كما علمكم كيف تذكرونه مثل كون الذكر ذكرا كثيرا وعلى وجه التضرع والخيفة والطمع ناشئا عن الرغبة والرهبة ومشاهدة جلال المذكور وجماله كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فالمقصود من الكاف مجرد التقييد لا التشبيه اى اذكروه على الوجه الذى هداكم اليه لا تعدلوا عما هديتم اليه كما تقول افعل كما علمتك وليس هذا تكرارا لقوله فاذكروا الله عند المشعر الحرام لان الاول لبيان محل الذكر والوقوف وتعليم النسك المناسب لذلك المحل واوجب بالثانى ان يكون ذكرنا اياه كهدايته ايانا اى موازيا لها فى الكم والكيف (وان) هى المخففة واللام هى الفارقة (كنتم من قبله) اى من قبل ما ذكر من هدايته اياكم (لمن الضالين) غير العالمين بالايمان والطاعة قال القاشانى ان الله تعالى هدى اولا الى الذكر باللسان فى مقام النفس ثم الى الذكر بالقلب وهو ذكر الافعال اى تصور آلاء الله ونعمائه ثم ذكر السر وهو معاينة الافعال ومكاشفة علوم تجليات الصفات ثم الى ذكر الروح وهو مشاهدة انوار تجليات الصفات مع ملاحظة نور الذات ثم ذكر الخفى وهو مشاهدة جمال الذات مع بقاء الاثنينية ثم ذكر الذات وهو الشهود الذاتى بارتفاع البعد وان كنتم من قبل الهدى الى هذه المقامات لمن الضالين عن طريق هذه الاذكار انتهى ولما امر بذكر الله تعالى اذا فعلت الافاضة امر بان تكون الافاضة من حيث افاض الناس مرتبا الامر الثانى على الاول بكلمة ثم فقال (ثم افيضوا) اى ارجعوا (من حيث افاض الناس) اى من عرفة لا من المزدلفة كانت قريش وحلفاؤها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وسكان حرمه فلا نخرج من الحرم ويستعظمون ان يقفوا مع الناس بعرفات لكونها من الحل وسائر العرب كانوا يقفون بعرفات اتباعا لملة ابراهيم عليه السلام فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فانزل الله هذه الاية فامرهم ان يقفوا بعرفات وان يفيضوا منها كما يفعله سائر الناس والمراد بالناس

العرب كلهم غير الحمس والحمس فى الاصل جمع احمس وهو الرجل الشجاع والاحمس ايضا الشديد الصلب
فى الدين والقتال وسميت قريش وكنانة وجديلة وقيس حمسا لتشددهم فى دينهم وكانوا لا يستظلون ايام منى
ولا يدخلون البيوت من ابوابها وكذلك كان من حالفهم او تزوج منهم (واستغفروا الله) من جاهليتكم فى تغيير
المناسك ومخالفتكم فى الموقف (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فامر النبى عليه السلام
ابابكر رضى الله تعالى عنه ان يخرج بالناس جميعا الى عرفات فيقف بها روى ان الله تعالى يباهى ملائكته
باهل عرفات ويقول انظروا الى عبادى جاؤا من كل فج عميق شعثا غبرا اشهدوا انى غفرت لهم ويروى
ان الشيطان ما رؤى فى يوم هو اصغر واحقر واذل منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله
عن الذنوب العظام اذ يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفى الحديث اعظم الناس ذنبا
من وقف بعرفة فظن ان الله تعالى لا يغفر له والحجة الواحدة افضل من عشرين غزوة فى سبيل الله وقيل ان البعير
اذا حج عليه مرة بورك فى اربعين من امهاته واذا حج عليه سبع مرات كان حقا على الله ان يرعاه فى رياض الجنة
ومصداق ذلك ما قال النهرانى رحمه الله بلغنى ان وقاد تنور حمام اتى بسلسلة عظام جمل ليوقدها قال فالقيتها
فى المستوقد فخرجت منه فالقيتها فعادت فخرجت فعدت فالقيتها الثالثة فعادت فخرجت بشدة حتى وقعت
فى صدرى واذا بصوت هاتف يقول ويحك هذه عظام جمل قد سعى الى مكة عشر مرات كيف تحرقها بالنار
واذا كانت هذه الرأفة والرحمة بمطية الحاج فكيف به ثم ان الفضل على ثلاثة اقسام بالنسبة الى احوال العبد
فان التنوع راجع الى تغيير احوال العباد لا الى تغيير صفة من صفات الحق تعالى فالاول منها ما يتعلق بالمعاش
الانسانى من المال والجاه ونوع يتعلق بالغذاء واللباس الضرورى وهذا الفضل مفسر بالرزق قال الله تعالى
وابتغوا من فضل الله والثانى منها ما يتعلق بالمصالح الاخروية للعبد من الفضل وهو نوعان ما يتعلق باعمال البدن
على وفق الشرع ومتابعة الشارع ومجانبة طريق الشيطان المنازع قال تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا
وما يتعلق باعمال القلب وتزكية النفس قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابدا
والقسم الثالث منها ما يتعلق بالله تعالى وهو نوعان ما يتعلق بمواهب القربة قال تعالى وبشر المؤمنين بان لهم
من الله فضلا كبيرا اى قربا كبيرا فانه اكبر من الدنيا والاخرة وما يتعلق بمواهب الوصلة قال تعالى ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يعنى فضل مواهب الوصلة اعظم من الكل ولكل قسم من هذه
الاقسام الثلاثة مقام فى الابتغاء اما الذى يتعلق بالمصالح الاخروية وهو فضل الرحمة فمقام ابتغائه بترك الموجود
وبذل المجهود وهو فى السير الى عرفات واما الذى يتعلق بالله وهو فضل المواهب فمقام ابتغائه وهو عند
الوقوف بعرفات وعرفات اشارة الى المعرفة وهى معظم اركان الوصلة واما الذى يتعلق بالمصالح الدنيوية وهو
فضل الرزق فمقام ابتغائه بعد استكمال الوقوف بعرفات المعرفة عند الافاضة ففى الاية تقديم وتأخير اى اذا
افضتم من عرفات فليس عليكم الخ وذلك لان حال اهل السلوك فى البداية ترك الدنيا والتجريد عنها وفى الوسط
التوكل والتفريد وفى النهاية المعرفة والتوحيد فلا يسلم الشروع فى المصالح الدنيوية الا لاهل النهاية لقوتهم
فى المعرفة وعلو همتهم بان يطهر الله قلوبهم من دجز حب الدنيا الدنية ويملأها نورا بالالطاف الخفية فلا اعتبار
للدنيا وشهواتها ونعيم الاخرة ودرجاتها عند الهمم العالية فلا يتصرفون فى شئ منها وتصرفهم بالله وفى الله ولله
لا لحظوظ النفس بل لمصالح الدين واصابة الخير الى الغير كذا فى التأويلات النجمية (قال فى المثنوى)
كار پاكانرا قياس از خود مكير * كرچه ماند در نبشتن شير وشير * اللهم اجعل هممنا مقصورة على جنابك
آمين (فاذا قضيتم مناسككم) اى اتممتم عباداتكم التى امرتم بها فى الحج وفرغتم منها (فاذكروا الله
كذكركم آباءكم) يعنى فاتركوا عادة الجاهلية واتبعوا سنن الاسلام واشتغلوا بذكر رب الانام وكانت العرب
اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل ويذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم يريد كل واحد منهم
بذلك حصول الشهرة والترفع له بمآثر سلفه فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بان يجعلوا بدل ذكرهم آباءهم ذكر
الله تعالى وتمجيده والثناء عليه اذ الخير كله من عنده وآباؤهم عبيده ونالوا ما نالوا بافضاله (قال السعدى)
كرازحق نه توفيق خيرى رسد * كى از بنده خيرى بغيرى رسد (او اشد ذكرا) مجرور معطوف على الذكر
بجعله ذاكرا على المجاز اى اذكروه ذكرا كان مثل ذكركم المتعلق بآبائكم او كذكر هو اشد منه وابلغ ذكرا او تحقيقه

ان افعل انما يضاف الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك وجهك احسن وجه اى احسن الوجوه
فاذا نصب ما بعده كان غير الذى قبله كقولك زيد افره عبدا فالفراهة للعبد لا لزيد والمذكور قبل اشد هنا
هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال اشد ذكرا انما قياسه ان يقال للذكر اشد ذكر بجرا اضافة فوجه النصب
انه يجعل الذكر ذاكرا مجازا ويجوز نسبة الذكر الى الذكر بان يسمع انسان الذكر فيذكر فكان الذكر قد ذكر لحدوثه
بسببه (فمن الناس) اى من الذين يشهدون الحج (من يقول) فى ذكره مقتصرا على طلب الدنيا (ربنا آتنا
فى الدنيا) اى ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا خاصة من الجاه والغنى والنصرة على الاعداء وما هو من الحظوظ العاجلة
وهم المشركون لانهم لا يسألون فى حجهم الا الدنيا (وماله فى الاخرة من خلاق) اى نصيب وحظ لان همه
مقصور بالدنيا حيث سال فى اعز المواقف احقر المطالب واعرض عن سؤال النعيم الدائم والملك العظيم
(ومنهم) اى من الذين يشهدون الحج (من يقول) فى ذكره طالبا لخير الدارين (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) هى
الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفى التيسير الحسنة جامعة لكل الخيرات فى الدارين (وفى الاخرة حسنة)
هى الثواب والرحمة قال الشيخ ابو القاسم الحكيم حسنة الدنيا عيش على سعادة وموت على شهادة وحسنة
الاخرة بعث من القبر على بشارة وجواز على الصراط على سلامة (وقنا) اى احفظنا (عذاب النار) بالعفو
والمغفرة وعن على كرم الله وجهه ان الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الاخرة الحوراء وعذاب النار المرأة
السوء (قال السعدى) چو مستور باشد زن خوب روى * بديدار او در بهشتست شوى * وتلخيصه
اكثروا ذكر الله وسلوه سعادتكم فى داريه وترك ذكر من قصر دعاءه على طلب الاخرة فقط لان طالب الاخرة
فقط بحيث لا يحتاج الى طلب حسنة من الدنيا لا يوجد فى الدنيا (اولئك) اشارة الى الفريق الثانى وهم الداعون
بالحسنتين لانه تعالى ذكر حكم الفريق الاول بقوله وماله فى الاخرة من خلاق (لهم نصيب مما كسبوا)
من للتبعيض اى لهم نصيب عظيم كائن من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذى هو المنافع
الحسنة او من اجل ما كسبوا لانهم استحقوا ذلك الثواب الحسن بسبب اعمالهم الحسنة ومن اجلها فيكون
من ابتدائية لان العلة مبدأ الحكم ثم اومى الى قدرته محذرا من الموت وحاثا على اعمال الخير بقوله (والله سريع
الحساب) والحساب يراد به نفس الجزاء على الاعمال فان الحساب سبب للاخذ والعطاء واطلاق اسم السبب
على المسبب جائز شائع اى يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة لعدم احتياجه الى عقد يد
او وعى صدر او نظر وفكر فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شأن قدرته او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب
الناس وفى خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق الا صبابة كصبابة الاناء فليبادر المؤمن الى الطاعات
واكتساب الحسنات والذكر فى كل الحالات قال الحسن البصرى اذكرونى بما يذكر الصغير اباه فانه اول ما يتكلم
يقول يا اب يا اب فعلى كل مسلم ان يقول يا رب يا رب وعن النبى عليه السلام اغبط اوليائى عندى مؤمن خفيف
الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالاصابع
وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نقد بيده فقال هكذا عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكثر ان يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار والاشارة فاذا قضيتم
مناسك وصلتكم وبلغتم مبلغ الرجال البالغين من اهل الكمال فلا تأمنوا مكر الله ولا تهملوا وظائف ذكر الله
فاذكروا الله كما تذكرون فى حال طفوليتكم آباءكم للحاجة والافتقار بالعجز والانكسار وفى حال رجوليتكم
للمحبة والافتخار بالمحبة والاستظهار فاذكروا الله افتقارا او افتخارا او اشد ذكرا واكد فى الافتخار لانه يمكن
للطفل الاستغناء عن الله بولى وكذلك البالغ يحتمل ان يفتخر بغير الله ولكن العباد ليس لهم من دون الله من ولى
ولا واق فمن الناس من اهل الطلب والسلوك من يقول بتسويل النفس وغرورها بحسبان الوصول والكمال
عند النسيان وتغير الاحوال ربنا آتنا فى الدنيا حسنة يعنى تميل نفسه الى الدنيا وتنسى المقصد الاصلى ويظن
الطالب الممكور انه قد استغنى عن الاجتهاد فاهمل وظائف الذكر ورياضة النفس ومخاطرة القلب ومراقبة
السر فاستولت عليه النفس وغلب عليه الهوى واستهوته الشياطين فى الارض حيران حتى اوقعته فى اودية
الهجران والفراق وماله فى الاخرة من خلاق ومنهم اى من اهل الوصول وارباب الفتوة من يقول ربنا آتنا
فى الدنيا حسنة نعمة من النعم الظاهرة كالعافية والصحة والسعة والفراغة والطاعة واستطاعة البدن

والوجاهة والارشاد والاخلاق وفى الاخرة حسنة نعمة من النعم الباطنة هى الكشوف والمشاهدات وانواع القربات والمواصلات وقنا عذاب النار اى نار القطيعة وحرقة الفراق اولئك لهم نصيب اى لهؤلاء البالغين الواصلين نصيب وافر مما كسبوا من المقامات والكرامات ومما سألوا من ايتاء الحسنات والله سريع الحساب لكلا الفريقين فيما سألوه اى يعطيهم بحسب نياتهم على قدر هممهم وطوياتهم كذا فى التأويلات النجمية (واذكروا الله) اى كبروه اعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها (فى ايام معدودات) فى ايام التشريق هى ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها يوم القر وهو الحادى عشر من ذى الحجة يستقر الناس فيه بمنى والثانى يوم النفر الاول لان بعض الناس ينفرون فى هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر الثانى وهذه الايام الثلاثة مع يوم النحر ايام رمى الجمار وايام التكبير ادبار الصلوات وفى الحديث كبر دبر كل صلاة من يوم عرفة الى آخر ايام التشريق وسميت معدودات لقلتهن كقوله تعالى دراهم معدودة اى قليلة والايام المعلومات فى قوله تعالى ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات فى سورة الحج عشر ذى الحجة آخرهن يوم النحر وفى الكواشى معدودات جمع معدودة وايام جمع يوم ولا ينعت المذكر بمؤنث فلا يقال يوم معدودة وقياسه فى ايام معدودة لان الجمع قد ينعت بالمؤنث كقوله تعالى لن تمسنا النار الا اياما معدودة قالوا او وجهه انه اجرى معدودات على لفظ ايام وقابل الجمع بالجمع مجازا انتهى (فمن تعجل) اى استعجل وطلب الخروج من منى (فى يومين) فى تمام يومين بعد يوم النحر واكتفى برمى الجمار فى يومين من هذه الايام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمى فى اليوم الثالث (فلا اثم عليه) بهذا التعجيل وهو مرخص له فعند ابى حنيفة رحمه الله ينفر قبل طلوع الفجر من اليوم الثالث ومحصله ان على الحاج ان يبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ايام التشريق ويرمى كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة عند كل جمرة سبع حصيات ورخص فى ترك البيتوتة لرعاء الابل واهل سقاية الحاج ثم كل من رمى اليوم الثانى من ايام التشريق واراد ان ينفر فيدع البيتوتة الليلة الاولى والثانية من ايام التشريق ويرمى كل يومها فذلك له واسع لقوله تعالى فمن تعجل فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت حتى يرمى اليوم الثالث ثم ينفر (ومن تأخر) عن الخروج حتى رمى فى اليوم الثالث قبل الزوال او بعده ثم يخرج اذا فرغ من رمى الجمار كما يفعل الناس الآن وهو مذهب الشافعى والامامين (فلا اثم عليه) بترك الترخص والمعنى انهم مخيرون بين التعجيل والتأخير فان قلت اليس التأخير بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وانما اورد بنفى الاثم تصريحا بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفى المأثم عنهما جميعا (لمن اتقى) خبر مبتدأ محذوف اى الذى ذكر من التخيير ونفى الاثم عن المتعجل والمتأخر لمن اتقى اى مختص بمن اتقى المناهى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به لانه تعالى قال انما يتقبل الله من المتقين ومن كان ملوثا بالمعاصى قبل حجه وحين اشتغاله به لا ينفعه حجه وان كان قد ادى الفرائض ظاهرا (واتقوا الله) اى حال الاشتغال باعمال الحج وبعده ليعتد باعمالكم فان المعاصى تأكل الحسنات عند الموازنة (واعلموا انكم اليه تحشرون) اى تبعثون وتجمعون للجزاء على اعمالكم وهو تأكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعى الى ملازمة التقوى وكانوا اذا رجعوا من حجهم يجترئون على الله بالمعاصى فشدد فى تحذيرهم قال ابو العالية يجئ الحاج يوم القيامة ولا اثم عليه اذا اتقى فيما بقى من عمره فلم يرتكب ذنبا بعد ما غفر له فى الحج والمذنب المصر اذا حج فلا يقبل منه لعوده الى ما كان عليه فعلامة الحج المبرور ان يرجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الاخرة فاذا رجع من الحج المبرور رجع وذنبه مغفور ودعاؤه مستجاب فلذلك يستحب تلقيه بالسلام وطلب الاستغفار منه والحج المبرور مثل حج ابراهيم بن ادهم مع رفيقه الصالح الذى صحبه من بلخ فرجع من حجه زاهدا فى الدنيا راغبا فى الاخرة وخرج عن ملكه وماله واهله وعشيرته وبلاده واختار بلاد الغربة وقنع بالاكل من عمل يده اما من الحصاد او من نظارة البساتين قال بعضهم الحر الكريم لا ينقض العهد القديم واذا دعتك نفسك الى نقض عهد مولاك فقل لها معاذ الله ان ربى احسن مثواى (وفى المثنوى) نقض ميثاق وشكست توبها ✻ موجب لعنت شود در انتها ✻ چون تراز وى تو كژ بود و دغا ✻ راست چون جوبى ترازوى جزا ✻ وعن بعضهم قدمت من الحج مع قوم فدعتنى نفسى

الى

الى امر سوء فسمعت هاتفا ناحية البيت يقول ويلك الم تحج ويلك الم تحج فعصمنى الله الى الساعة ولا شك ان بعض الاعمال يكون حجابا للمرء اذا استند اليه واعتمد عليه (حكى) ان بعض الاتراك كان يلازم مجلس شيخ الاسلام احمد النامقى الجامى قدس سره ويرى فوق قفاه نورا كالترس فاتفق له ان يحج فلما رجع زالت عنه تلك الحال فسأل الشيخ عن سببه فقال انك كنت قبل الحج صاحب تضرع ومسكنة والآن غرك حجك واعطيت لنفسك قدرا ومنزلة فلذا انزاحت عنك وانتبذ ولم تر النور ومما يجب على الحاج اتقاؤه المحارم وان لا يجعل نفقته من كسب حرام فان الله لا يقبل الا الطيب وحكى عن بعض من حج انه توفى فى الطريق فى رجوعه فدفنه اصحابه ونسوا الفأس فى قبره فنبشوه ليأخذوا الفأس فاذا عنقه ويداه قد جمعتا فى حلقة الفأس فردوا عليه التراب ثم رجعوا الى اهله فسألوهم عن حاله فقالوا صحب رجلا فاخذ ماله فكان يحج منه وفى الحديث من حج بيت الله من كسب الحلال لم يخط خطوة الا كتب الله له بها سبعين حسنة وحط عنه سبعين خطيئة ورفع له سبعين درجة ذكره فى الخالصة واذا اراد ان يحج بمال حلال ليس فيه شبهة فانه يستدين للحج ويقضى دينه من ماله وعن ابى القاسم الحكيم انه كان يأخذ جائزة السلطان فكان يستقرض لجميع حوائجه وما يأخذه من السلطان كان يقضى به ديونه وعن ابى يوسف قال هذا جواب ابيح فى مثل هذا كذا فى خزانة الفتاوى (ومن الناس من يعجبك قوله) اى تستحسن ظاهر قوله وتعده حسنا مقبولا فان الاعجاب استحسان الشئ والميل اليه والتعظيم له قال الراغب التعجب حيرة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشئ وحقيقة اعجبنى كذا ظهر لى ظهورا لم اعرف سببه (فى الحياة الدنيا) متعلق بالقول اى يسرك ما يقوله فى معنى الدنيا وحقها لان دعواه محبتك انما هو لطلب حظ من الدنيا فكلامه اذا فى الدنيا لا فى الاخرة او يعجبك قوله فى الدنيا حلاوته وفصاحته لا فى الاخرة لما انه يظهر هنالك تكذيبه وقبحه (ويشهد الله على ما فى قلبه) اى يقول الله شاهد ان ما فى قلبى من المحبة والاسلام موافق لما فى لسانى (وهو الد الخصام) اى اشد فى العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر كالقتال والجدال واضافة الالد اليه بمعنى فى والالد شديد الخصومة نزلت فى اخنس بن شريق الثقفى وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعى الاسلام ودعوى المحبة والخلوص بدون المواطأة من فعل الملاحدة والزنادقة والمحب لا يفعل الا ما يحب محبوبه (قال الشاعر)

تعصى الاله وانت تظهر حبه ✻ هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ✻ ان المحب لمن احب مطيع

(قال الحافظ) بصدق كوش كه خورشيد زايد از نفست ✻ كه از دروغ سيه روى كشت صبح نخست ✻ (واذا تولى) اى ادبر وانصرف عن مجلسك او اذا غلب وصار واليا (سعى فى الارض) السعى سير سريع بالاقدام وقد يستعار للجد فى العمل والكسب وانما جئ بقوله فى الارض مع ان السعى على كلا المعنيين لا يكون الا فى الارض للدلالة على كثرة فساده فان لفظ الارض عام يتناول جميع اجزائها وعموم الظرف يستلزم عموم المظروف فكأنه قيل اى مكان حل فيه من الارض افسد فيه فيلزم كثرة فساده (ليفسد فيها) علة السعى (ويهلك) الاهلاك الاضاعة (الحرث) اى الزرع (والنسل) ما خرج من كل انثى من اجناس الحيوان يقال نسل ينسل اذا خرج منفصلا والحرث والنسل وان كانا فى الاصل مصدرين فالمراد بهما ههنا معنى المفعول فان الولد نسل ابويه اى يخرج منفصلا منهما وذلك كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم اى اتاهم ليلا واهلك مواشيهم وزرعهم لانه كان بينه وبينهم عداوة او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وفى الحديث لما خلق الله تعالى اسباب المعيشة جعل البركة فى الحرث والنسل فاهلاكهما غاية الافساد وفى الحديث يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل الا زال عن مكانه فان كان مطيعا لله فى عمله مضى وان كان عاصيا انخرق به الجسر فيهوى به فى جهنم مقدار خمسين عاما (والله لا يحب الفساد) اى لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه فان قيل كيف حكم الله تعالى بانه لا يحب الفساد وهو بنفسه مفسد للاشياء قيل الافساد فى الحقيقة اخراج الشئ من حالة محمودة لا لغرض صحيح وذلك غير موجود فى فعل الله تعالى ولا هو آمر به ولا محب له وما نراه من فعله بنظاهره فسادا فهو بالاضافة الينا واعتبارنا له كذلك فاما بالنظر الالهى فكله صلاح (واذا قيل له) اى لهذا

المنافق والمفسد على نهج العظة والنصيحة (اتق الله) خف من الله فى صنعك السوء واترك ما تباشره من الفساد
والنفاق (اخذته العزة بالاثم) اى حملته الانفة التى فيه وحميته الجاهلية على الاثم والذنب الذى نهى عنه
او على رد قول الواعظ لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فالباء للتعدية وصلة الفعل
الذى قبلها (فحسبه جهنم) مبتدأ وخبر اى كافيه دخول النار والخلود فيها على ما عمله وهو وعيد شديد
(ولبئس المهاد) اى والله لبئس الفراش لجهنم قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه من اكبر الذنب عند الله
ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك نفسك وقيل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اتق الله فوضع خده
على الارض تواضعا لله تعالى ثم انه تعالى لما وصف فى الاية المتقدمة حال من يبذل دينه لطلب الدنيا ذكر فى هذه
الاية من يبذل دنياه ونفسه لطلب الدين وما عند الله يوم الدين فقال (ومن الناس من يشرى نفسه) اى يبيعها
ويبذلها فان المكلف لما بذل نفسه فى طاعة الله من الصوم والصلاة والحج والجهاد والزكاة وتوصل بذلك
الى وجدان ثواب الله صار المكلف كانه باع نفسه من الله تعالى بما نال من ثوابه وصار تعالى كانه اشترى منه
نفسه بمقابلة ما اعطاه من ثوابه وفضله (ابتغاء مرضاة الله) اى طلبا لرضاه (والله رؤف بالعباد) ولذلك يكلفهم
التقوى ويعرضهم للثواب ومن جملة رأفته بعباده ان ما اشتراه منهم من انفسهم واموالهم انما هو خالص ملكه
وحقه ثم انه تعالى يشترى منهم ملكه الخالص المحصور بما لا يعد ولا يحصى من فضله ورحمته رحمة واحسانا وفضلا
واكراما وقيل نزلت فى صهيب بن سنان الرومى خرج من مكة يريد الهجرة الى النبى عليه السلام بالمدينة
وهو ابن مائة سنة اتبعه نفر من مشركى قريش وقتلوا نفرا كانوا معه وكان معه كنانة فيها سهامه وكان راميا
مصيبا فقال يا معشر قريش لقد علمتم انى من ارماكم رجلا والله لا اضع سهمى الا فى قلب رجل وايم الله
لا تصلون الى حتى ارمى بكل سهم فى كنانتى ثم اضرب بسيفى ما بقى فى يدى ثم افعلوا ما شئتم ولن ينفعكم كونى
فيكم فانى شيخ كبير ولى مال فى دارى بمكة فارجعوا وخذوه وخلونى وما انا عليه من الاسلام ففعلوا وسار هو
الى المدينة فلما دخلها لقيه ابو بكر فقال له ربح البيع يا صهيب فقال وماذاك يا ابا بكر فاخبره بما نزل فيه ففرح
بذلك صهيب فيشرى حينئذ بمعنى يشترى بجريان الحال على صورة الشراء لانه اشترى نفسه من المشركين
ببذل ماله لهم واعلم ان المؤمنين باعوا باختيارهم انفسهم فكان ثمن نفس المؤمن الجنة اما الاولياء فانهم باعوا
باختيارهم انفسهم فكان ثمن نفس الاولياء مرضاة الله تعالى وبينهما فروق كثيرة فعلى السالك ان يخرج
عن اوطان البشرية ويقترب من ديار الاقران حتى يكون مجاهدا حقيقيا وشهيدا معنويا قال عليه السلام
طوبى للغرباء وقال ايضا من مات غريبا فقد مات شهيدا ايشير بذلك الى الانقطاع من الخلق الى الخالق وذلك
لا يكون الا بمخالفة الجمهور فى العادات والشهوات وفى الحديث يا انس ان استطعت ان تكون ابدا على وضوء
فافعل فان ملك الموت اذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة وذلك لان الوضوء اشارة الى الانفصال
عما سوى الله تعالى كما ان الصلاة اشارة الى الاتصال بالله تعالى وفى الحديث ايضا دم على الطهارة يوسع عليك
الرزق فالطهارة الصورية سبب لتوسيع الرزق الصورى وكذا طهارة الباطن سبب لتوسيع الرزق المعنوى
من المعارف والالهامات والواردات وعند ذلك يحيى القلب بالحياة الطيبة وتموت النفس عن صفاتها وليس
ذلك الا اثر الجهاد الحقيقى فمن تخلص عن قيد النفس ومات بالاختيار فهو حى ابدا (وفى المثنوى) اى بينا نفس
شهيد معتمد * مرده در دنيا وزنده مى رود * ولا بد للعبد من العروج من الخلق الى الخالق ومن الحاجة
التامة لنفسه الى الغنى التام بالحق فى تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات فاذا فر الى الله ووصل الى جماله
وغرق فى مشاهدة جلاله شاهد سر قوله تعالى قل الله ثم ذرهم واول الامر ترك الاموال ثم ترك الاولاد
ثم ترك النفس فعند الاول يتجلى توحيد الافعال وعند الثانى يتجلى توحيد الصفات وعند الثالث يتجلى توحيد
الذات وهو اعلى الدرجات فعلى العاقل اكثار ذكر الله فانه سبب لتصفية الباطن وصقالة القلب قال تعالى
واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ولا فلاح اعظم من ان يصل الطالب الى المطلوب اللهم اجعلنا من المفلحين
(يا ايها الذين آمنوا) بالسنتهم على ان الخطاب للمنافقين (ادخلوا فى السلم كافة) اى استسلموا الله تعالى واطيعوه
جملة ظاهرا وباطنا فالسلم بمعنى الاستسلام والطاعة وكافة حال من ضمير الفاعل فى ادخلوا وهذه حال تؤكد
معنى العموم فى ضمير الجمع فان قولك قام القوم كافة بمنزلة قاموا كلهم وتاء كافة وقاطبة وعامة ليست للتانيث

وان كان

وان كان اصلها ان تدل عليه بل انما دخلت لمجرد كون الكلمة منقولة الى معنى كل وجميع او المعنى ادخلوا
فى الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره فالخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم
القديم كما روى ان عبد الله بن سلام واصحابه كانوا يتمسكون ببعض شرائع التوراة من تعظيم السبت وتحريم
لحم الابل والبانها واشياء كانوا يرون الكف عن ذلك مباحا فى الاسلام وان كان واجبا فى شريعتهم فثبتوا على
ذلك مع اعتقادهم حلها استيحاشا من مفارقة العادة وقالوا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله فدعنا فلنقرأ منها
فى صلاتنا بالليل فقال الله تعالى لا تتمسكوا بشئ مما نسخ ودعوا ما الفتموه ولا تستوحشوا من النزوع عنه
فانه لا وحشة مع الحق وانما هو من تزيين الشيطان (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) جمع خطوة بالضم
والسكون وهو ما بين القدمين اى لا تسلكوا مسالكه ولا تطيعوه فيما دعاكم اليه من السبل الزائغة والوساوس
الباطلة (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة يريد ان يفسد عليكم بهذه الوساوس اسلامكم (فان زللتم) الزلل
فى الاصل عثرة القدم ثم يستعمل فى العدول عن الاعتقاد الحق والعمل الصائب فالمعنى اخطأتم الحق
وتعديتموه علما كان او عملا (من بعد ما جاءتكم البينات) اى الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه
هو الحق (فاعلموا ان الله عزيز) غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم (حكيم) لا ينتقم الا بالحق وفى الاية تهديد
بليغ لاهل الزلل عن الدخول فى السلم فان الوالد اذا قال لولده ان عصيتنى فانت عارف بى وبشدة سطوتى لاهل
المخالفة يكون قوله هذا ابلغ فى الزجر من ذكر الضرب وغيره وكما انها مشتملة على الوعيد منبئة عن الوعد ايضا
من حيث انه تعالى اتبعه بقوله حكيم فان اللائق بالحكمة ان يميز بين المحسن والمسيء فكما يحسن ان ينتظر
من الحكيم تعذيب المسيء فكذلك ينتظر منه اكرام المحسن واثابته بل هذا اليق بالحكمة واقرب الى الرحمة
(هل ينظرون) استفهام فى معنى النفى ونظر بمعنى انتظر اى ينتظر من يترك الدخول فى السلم ويتبع خطوات
الشيطان (الا ان يأتيهم الله) اى الا اتيان الله اى عذابه على حذف المضاف لان الله تعالى منزه عن المجيء
والذهاب المستلزمين للحركة والسكون لان كل ذلك محدث فيكون كل ما يصح عليه المجيء والذهاب محدثا
مخلوقا والاله القديم يستحيل ان يكون كذلك وسئل على رضى الله عنه اين كان تعالى قبل خلق السموات
والارض قال اين سؤال عن المكان وكان الله تعالى ولا مكان وهو اليوم على ما كان ومذهب المتقدمين فى هذه
الاية وما شاكلها ان يؤمن الانسان بظاهرها ويكل علمها الى الله لانه لا يؤمن فى تعيين مراد الله تعالى
عن الخطأ فالاولى السكوت ومذهب جمهور المتكلمين انه لابد من التأويل على سبيل التفصيل (فى ظلل)
كائنة (من الغمام) والظلل جمع ظلة وهى ما اظلك والغمام السحاب الابيض الرقيق سمى غماما لانه يغم اى يستر
ولا يكون السحاب ظلة الا اذا كان مجتمعا متراكما فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة تكون
فى غاية الكثافة والعظم وكل قطعة ظلة (والملائكة) اى ويأتيهم الملائكة فانهم وسائط فى اتيان امره تعالى
بل هم الآتون بأسه على الحقيقة وتلخيصه قد قامت الحجج فلم يبق الا نزول العذاب فان قلت لم يأتيهم العذاب
فى الغمام كما فعل بقوم يونس وقوم عاد وقوم شعيب قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب
كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب
كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها
من حيث يتوقع الخير اى الغيث ومن ثمة اشتد على المتفكرين فى كتاب الله تعالى قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون فان تفسيره على ما قالوا عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هى سيئات وذلك لتجويزهم ان يكون
عملهم كذلك فيجيئهم الشر من حيث يتوقعون الخير فخافوا من ذلك روى ان محمد بن واسع تلا هذه الاية
فقال آه آه الى ان فارق الدنيا (وقضى الامر) اى اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل
فى حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضى دلالة على الحقيقة فكانه قد كان (والى الله) لا الى غيره (ترجع
الامور) اى امور الخلق واعمالهم هو القاضى بينهم يوم القيامة والمثيب والمعاقب فينبغى للمؤمن ان يكون
فى جانب الانقياد ويحترز عن الهوى وخطوات الشيطان وعن النبى عليه السلام انه قال ان الله تعالى
اظهر الشكاية من امتى وقال انى طردت الشيطان لاجلهم فهم يعصوننى ويطيعون الشيطان (قال السعدى
كجا سر برآريم ازين عار ونك * كه با او بصلحيم وبا حق بجنك * نظر دوست نادر كند سوى تو *

چو درروی دشمن بود روی تو * ندانی كه كمتر نهد دوست پای * چو بيند كه دشمن بود در سرای * فمن اعظم الطاعات طرد الشيطان وان يتهم النفس دائما كما روى ان رجلا صام اربعين سنة ثم دعا لحاجة ومع ذلك لم تجب دعوته وذم نفسه وقال يا مأوى الشر ذلك من شرك فاوحى الى نبى ذلك الزمان قل له ان قتلك لنفسك احب الى من صيام اربعين سنة (قال السعدى) خورنده كه خيرى برايد زدست * به از صائم الدهر دنيا پرست * واعلم ان فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم معنى عاما ومعنى خاصا فالعام خطاب عام مع جميع من آمن اى ادخلوا فى شرائط الاسلام فى الباطن كما فى الظاهر ومن شرائطه ما قال النبى عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من امنه الناس واما المعنى الخاص فخطاب خاص مع شخص الانسان وجميع اجزائه الظاهرة والباطنة فينبغى ان يدخل اركانه فى الاسلام بالفعل فالعين بالنظر والاذن بالسمع والفم بالاكل والفرج بالشهوة واليد بالبطش والرجل بالمشى ودخول واحد منها فى الاسلام بان يستسلم لاوامر الحق ويجتنب من نواهيها بل يترك ما لا يعنيه اصلا ويقع على ما لا بد له منه ودخول جميع اجزائه الظاهرة فى شرائع الاسلام ميسر للمنافق فاما ادخال اجزائه الباطنة فمعركة ابطال الدين ومنزلة الرجال البالغين فدخول النفس فى الاسلام بخروجها عن كفر صفاتها الذميمة وترك مألوفاتها واطمئنانها بالعبودية ليستحق بها دخول مقام العباد المخصوصين به بخطابه تعالى اياها كقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة الاية ودخول القلب فى الاسلام بتصفيته عن رذائل اخلاق النفس وتحليته بشمائل اخلاق الروح ودخول الروح فى الاسلام بتخلقه باخلاق الله وتسليم الاحكام الازلية وقطع النظر والتعلق عما سوى الله بتصرف جذبات الالوهية ودخول السر فى الاسلام بفنائه فى الله وبقائه بالله ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تكونوا على سيرته وصفته وهى الاباء والاستكبار فانه ضد الاسلام انه لكم عدو مبين لعداوته الغريزية لكم لاختلاف جبلته وجبلتكم وقصوره عن نور فطرتكم لكونه نارى الخلقة لا يطلب منكم الا ان تكونوا ناريين مثله لا نوريين فهو عدو فى الحقيقة فى صورة المحب فان زللتم اى زلت اقدامكم عن صراط الاسلام الحقيقى من بعد ما جاءتكم البينات دلائل تجليات افعال الصفات فاعلموا ان الله عزيز فلعزته لا يهدى اليه كل ذليل دنى الهمة قصير النظر حكيم يهدى من يشاء الى سرادقات عزته هل ينظرون الا ان يتجلى الله فى ظلل صفات قهرية من جملة تجليات الصفات الساترة لشمس الذات وهو ملائكة القوى السماوية وقضى فى اللوح امر اهلاكهم والى الله ترجع الامور بالفناء كذا فى التأويلات النجمية (سل) امر للرسول عليه السلام بالسؤال او لكل احد يصلح ان يخاطب (بنى اسرائيل) يعنى هؤلاء الموجودين فى عصرك من رؤساء بنى اسرائيل (كم آتيناهم) اى آتينا اباءهم واسلافهم (من آية بينة) اى معجزة ظاهرة على ايدى انبيائهم لا يخفى على المتفكر انها من عند الله كالعصا واليد البيضاء وانزال المن والسلوى وغيرها او المراد آيات كتبهم الشاهدة على صحة دين الاسلام قوله كم آتيناهم محل هذه الجملة النصب او الخفض على انها مفعول ثان للسؤال فانه يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه والى الثانى بحرف الجر اما عن واما الباء نحو سألته عن كذا وبكذا قال الله تعالى فاسأل به خبيرا وقد يحذف حرف الجر فمن ثمة جاز فى محل كم النصب والخفض بحسب التقديرين وتمييز كم من آية بينة والاحسن اذا فصل بين كم ومميزها ان يؤتى بمن وهذا السؤال سؤال تقريع وتبكيت كما يسأل الكفرة يوم القيامة وتقرير لمجيء البينات فكم استفهامية خبرية وليس المراد حقيقة الاستفهام (ومن يبدل) التبديل تصيير الشئ على غير ما كان عليه اى يغير (نعمة الله) التى هى آياته الباهرة فانها سبب للهدى الذى هو اجل النعم وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم فكفروا بها وتركوا الشكر عليها (من بعد ما جاءته) اى من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجيء للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها (فان الله شديد العقاب) تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه شديد العقوبة لمن بدل النعمة فى الدنيا والاخرة وقد عاقبهم فى الدنيا بالقتل وذلك فى بنى قريظة وبالاجلاء وذلك فى بنى النضير ويوم القيامة يعذبون فى السعير قال ابن التمجيد وتبديل النعمة جرم بغير علم ومع العلم اشد جرما ولذلك كان وعيد العلماء المقصرين اشد من الجاهلين بالاحكام لان الجهل قد يعذر به وان كان الاعتذار به غير مقبول فى باب التكاليف (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) اى حسنت فى اعينهم

واشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله تعالى اذ ما من شئ الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما فى الدنيا من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض (ويسخرون من الذين آمنوا) اى يستهزئون بالفقراء من المؤمنين كعبد الله بن مسعود وعمار وصهيب وخبيب وبلال وغيرهم رضى الله تعالى عنهم ويسترذلونهم ويقولون تركوا لذات الدنيا وعذبوا انفسهم بالعبادات وفوتوا الراحات وكراماتها وهو عطف على زين ومن للابتداء فكأنهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم (والذين اتقوا) يعنى اطاعوا الله واختاروا الفقر من المؤمنين وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة لهم وللاشارة الى انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقى (فوقهم يوم القيامة) يعنى فوق المشركين لانهم فى اعلى عليين وهم فى اسفل سافلين فتكون الفوقية حقيقة او لانهم فى اوج الكرامة وهم فى حضيض الذل والمهانة فتكون الفوقية مجازا ويوم منصوب بالاستقرار الذى تعلق به فوقهم (والله يرزق من يشاء) اى فى الدارين (بغير حساب) كثير بلا هنداز لانه تعالى لا يخاف نفاد ما عنده لانه غنى لا نهاية لمقدوراته فالله تعالى يوسع بحسب الحكمة والمشيئة على عباده فمنهم من تكون التوسعة عليه استدراجا كهؤلاء الكفرة وقارون واضرابهم ومنهم من تكون كرامة كاغنياء المؤمنين وسليمان وامثالهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفت على باب الجنة فرأيت اكثر اهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت اكثر اهلها النساء واذا اهل الجد محبوسون الا من كان منهم من اهل النار فقد امر به الى النار (قال الحافظ) ازين رباط دودر چون ضرورتست رحيل * رواق وطاق معيشت چه سربلند وچه پست * بهست ونيست مرنجان ضمير وخوش دلباش * كه نيستيست سرانجام هر كمال كه هست * بيال وپر مرو از ره كه تير پرتابى * هوا كرفت زمانى ولى بخاك نشست (يحكى) ان عيسى عليه السلام سافر ومعه يهودى فكان مع عيسى ثلاثة اقراص فاعطاها اليهودى وقال احفظها ثم بعد ساعة اكل اليهودى واحدا منها فقال عيسى اعط الاقراص الثلاثة فقدم قرصين فقال اين ثالثها فقال اليهودى لم تكن اكثر من هذا فمشيا حتى شاهد من عيسى عجائب فاقسم عليه عيسى لذلك حتى يقر بالقرص الثالث فلم يقر فلحقا ثلاث لبنات من الذهب فقال اليهودى اقسم ذلك فقال عيسى واحدة لى وواحدة لك وواحدة لمن اكل القرص الثالث فقال اليهودى انا اكلت القرص الثالث فقال عيسى ابعد عنى فقد شاهدت قدرة الله ولم تقر به والآن قد اقررت بالدنيا فترك اللبنات عند اليهودى ومشى وجاء ثلاثة من اللصوص وقتلوا اليهودى واخذوا اللبنات ثم بعثوا من جملتهم واحدا ليأتى لهم بطعام فلما غاب عنهما تشاورا فى قتله وقالا اذا رجع قتلناه واخذنا نصيبه فذهب واشترى سما فطرحه فى الطعام الذى اشتراه حتى يأكل ذلك الطعام صاحباه فيموتا ويأخذ اللبنات فلما قدم عليهما قاما وقتلاه ثم اكلا الطعام فماتا فعبر عليهم عيسى فوجد اليهودى وهؤلاء الثلاثة مقتولين فتعجب من ذلك فنزل جبريل واخبره بالقصة فينبغى للعاقل ان لا يغتر بكثرة الدنيا وان لا يهتم فى جمعها بل يزرع فيها بذر العمل كى يحصد فى الآخرة لان الدنيا مزرعة الآخرة ولا ينبغى للاغنياء ان يحقروا الفقراء بالغرور وبكثرة دنياهم ولا يسخروا منهم لان هذه الصفة من صفات الكفرة (قال السعدى) چو منعم كند سفله را روزكار * نهد بر دل تنك درويش بار * چو بام بلندش بود خود پرست * كند بول وخاشاك بر بام پست * والاشارة فى الاية ان الله اذا فتح باب الملكوت على قلب عبد من خواصه يريه آياته فى الملك والملكوت فان تغير باحواله او تعجب بكماله فيقبل على شئ من مرادات النفس ويبدل نعمته بموافقة النفس ورضاها فان الله شديد العقاب بان يغير عليه احواله ويسلب عنه كماله ويشهده قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ومن شدة عقابه انه اذا اذنب عبد ذنبا صغيرا ولم يتب منه واصر عليه ان يعاقبه بالابتداء بكبيرة مثل تبديل النعمة ليعاقبه بزوال النعمة فى الدنيا ودوام النقمة فى العقبى وايضا من شدة عقابه ان يزين للذين كفروا الحياة ويمكر بهم حتى يغلب عليهم حب الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا من فقرائهم وكبرائهم حملهم شدة العقوبة على الوقيعة فى اوليائه واستحقار احبابه وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء من درجات اعلى عليين ودرجات اسفل سافلين بغير حساب بغير نهاية الى ابد الاباد فان ما لا نهاية له لا مدخل له تحت الحساب وفيه معنى آخر بغير حساب يعنى ما يرزق العبد فى الدنيا من الدنيا فلحرامها عذاب ولحلالها

حساب ومايرزق العبد فى الآخرة من النعيم المقيم فبغير حساب كذا فى التأويلات النجمية (كان الناس امة واحدة) اى جماعة واحدة متفقين فى الايمان واتباع الحق من وقت آدم الى مبعث نوح عليهما السلام وكان بينهما عشرة قرون كل قرن ثمانون سنة كما عند الاكثر (فبعث الله النبيين) اى فاختلفوا فبعث الخ بدلالة قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه (مبشرين) بالثواب لمن آمن واطاع (ومنذرين) محذرين بالعقاب لمن كفر وعصا (وانزل معهم الكتاب) اى كتاب اومع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الخاص لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذلم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافى خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام (بالحق) اى حال كون ذلك الكتاب ملتبسا بالحق والعدل والصدق شاهدا به (ليحكم) اى الله تعالى (بين الناس فيما اختلفوا فيه) اى فى الحق الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) اى فى الحق (الا الذين اوتوه) اى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما فى تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اى عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من (بعد ما جاءتهم البينات) اى رسخت فى عقولهم ومن متعلق بما اختلف ولم تمنع الا من ذلك كقولك ما قام الا زيد يوم الجمعة (بغيا بينهم) مفعول له لقوله وما اختلف فالاستثناء متعلق بثلاثة اشياء والتقدير وما اختلف فيه الا الذين الخ وما اختلفوا فيه الا من بعد الخ وما كان الاختلاف الا للبغى والتهالك على الدنيا والحسد والظلم كما فعل قابيل بهابيل وما قتله لاشكال الحق عليه بل حسدا منه على اخيه وهكذا فى كل عصر وهذا فعل الرؤساء ثم العامة اتباعا لهم وفعلهم مضاف اليهم فتبين ان الاختلاف فى الحق امر متقادم فى الاسلام (فهدى الله الذين امنوا) بالكتاب (لما اختلفوا فيه) متعلق بهدى وما موصولة ومعناه هدى الى ما اختلفوا فيه (من الحق) بيان لما (باذنه) اى بامره او تيسيره ولطفه وارادته ورحمته حتى ابصروا الحق بنور التوفيق من الباطل (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) لا يضل سالكه (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) خاطب به النبى عليه السلام والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الايات تشجيعا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة فان عاقبة الامر النصر وام منقطعة فتقدر ببل والهمزة قيل اضراب عن الاخبار المتقدم الى الانكار المدلول عليه بهمزة الاستفهام اى ما كان ينبغى ان تحسبوا ذلك وتظنوا ولم حسبتموه (ولما يأتكم) اى والحال لم يجيئكم (مثل الذين خلوا) اى صفة الذين مضوا (من قبلكم) من الانبياء ومن معهم من المؤمنين ولم تبتلوا بعد بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التى هى مثل فى الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر (مستهم البأساء) بيان له على الاستئناف كأنه قيل كيف كان مثلهم وحالهم العجيبة فقيل مستهم البأساء اى الشدة من الخوف والفاقة (والضراء) اى الآلام والامراض (وزلزلوا) اى ازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) اى انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بانواره (متى) اى يأتى (نصر الله) الذى وعدنا طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناء فان زمان الشدة وان قصر فهو طويل فى عين المبتلى بها فلا محالة يستبطأ النصر فاجابهم الله بقوله (الا ان نصر الله قريب) اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر اى انا ناصر اوليائى لا محالة ونصرى قريب منهم فان كل آت قريب ولما كان الجواب بذكر القرب دل ذلك على ان السؤال كان واقعا عن زمان النصر اقريب هو ام بعيد ولو كان السؤال عن وقوع اصل النصر بمعنى انه هل يوجد ام لا لما كان الجواب مطابقا للسؤال وفى الاية اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات كذا فى تفسير القاضى (ونعم ما قيل)

ذلك مشام كسى خوش كند بيوى مراد * كه خاك معركه باشد عبير وعنبر او *

وعن خباب بن الارت رضى الله تعالى عنه قال لما شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نلقى من المشركين فقال ان من كان قبلكم من الامم كانوا يعذبون بانواع البلاء فلا يصرفهم ذلك عن دينهم حتى ان الرجل كان يوضع على رأسه المنشار فيشق فلقتين ويمشط الرجل بامشاط الحديد بما دون العظم من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه وايم الله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله

والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون قالوا كل نبى بعث الى امته اجهد حتى قال متى نصر الله ووقع ذلك للرسول عليه السلام حين وقع له ضجر شديد قبل فتح مكة فقال فى يوم الاحزاب حيث لم يبق لاصحابه صبر حتى ضجوا وطلبوا النصرة فارسل الله ريحا وجنودا وهزم الكفار بهما ومن شدائده عليه السلام غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وانواع الاذى كما قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر ولو اطلعت على ما اصابهم من عداوة اليهود واسرار النفاق واذى القوم يمينا وشمالا ببذل المجهود حين هاجروا الى المدينة لكفى ذلك عبرة فى هذا الباب فنحن اولى بمقاساة امثال هذه الشدائد خصوصا فى هذا الزمان الذى لا تجد بدا من طعن الناس واذاهم اذ البلاء على الانبياء ثم على الاولياء ثم الامثل فالامثل

غبار لازمهٔ آسيا بود صائب * امان زحادثهٔ آسمان چه ميخواهى *

قال فى التأويلات النجمية عند قوله تعالى كان الناس امة واحدة الاية الخصال الذميمة التى عليها اكثر الناس كلها عارضة لهم فانهم كانوا حين اشهدهم الله على انفسهم امة واحدة وولدوا على الفطرة لقوله عليه السلام كل مولود يولد على فطرة الاسلام فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه وما قال عليه السلام ويسلمانه فلمعنيين احدهما ان الكفر يحصل بالتقليد ولكن الايمان الحقيقى لا يحصل به والثانى ان الابوين الاصليين هم الانجم والعناصر فعلى التقدير بن الولد بتربية الاباء والامهات يضل عن سبيل الحق ويزل قدمه عن الصراط المستقيم التوحيد والمعرفة ولو كان نبيا يحتاج الى هاد يهدى الى الحق كما قال تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى ولكل من السعادة والشقاوة كتاب كما قال عليه السلام ما من نفس الا وقد كتب بكتابها من الجنة او النار والا قد كتب شقية او سعيدة فقالوا افلا نتكل على كتابنا يا رسول الله وندع العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما اهل الشقاوة فييسرون لعمل اهل الشقاوة واما اهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة فلا بد من مقاساة بأساء الترك والتجريد والفقر والافتقار حتى يحصل دخول جنة الجمال ودار القرار فلم يضجروا من طول مدة الحجاب وكثرة الجهاد فى الفراق وعيل صبرهم عن مشاهدة الجمال وذوق الوصال وطلبوا نصر الله بالتجلى على محق صفات النفوس مع قوة مصابرتهم وحسن تحملهم لما يقول المحبوب ويريد بهم حتى جاء نصر الله فرفع الحجاب وظهر انوار الجمال (يسألونك ماذا ينفقون) اى اى شئ يتصدقون من اصناف اموالهم نزلت حين حث النبى عليه السلام على التصدق فى سبيل الله وسأل عمرو بن الجموح وهو شيخ هم اى فان وله مال عظيم فقال ماذا ننفق يا رسول الله من اموالنا واين نضعها (قل ما انفقتم من خير) اى اى شئ انفقتم من اى خير كان وهو بيان للمنفق والمال يسمى خيرا لان حقه ان يصرف الى جهة الخير فصار بذلك كأنه نفس الخير (فللوالدين) فان قلت كيف طابق الجواب السؤال هم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها (والاقربين واليتامى) اى المحتاجين (والمساكين وابن السبيل) ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر فى المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى (وما) اى اى شئ (تفعلوا من خير) فانه شامل لكل خير واقع فى اى مصرف كان (فان الله به عليم) اى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه والمراد بهذه الاية الحث على بر الوالدين وصلة الارحام وقضاء حاجة ذى الحاجة على سبيل التطوع ولا ينافيه ايجاب الزكاة وحصر مصارفها فى الاصناف الثمانية كما ذكر فى قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل (كتب) اى فرض (عليكم القتال) اى قتال الكفرة والجمهور على ان الجهاد فرض على الكفاية مثل صلاة الجنازة ورد السلام (وهو) اى والحال ان القتال (كره لكم) شاق عليكم مكروه فالكره مصدر بمعنى الكراهة نعت به للمبالغة كان القتال فى نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وهذه الكراهة من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح لا انهم كرهوا امر الله تعالى وكراهة الطبع لا توجب الذم بل تحقق معنى العبودية اذا فعل ذلك اتباعا للشرع مع نفرة الطبع فاما كراهة الاعتقاد فهى من صفات المنافقين (وعسى ان تكرهوا شيأ) وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التى من جملتها القتال (وهو خير لكم) لان فى الغزو احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وعسى كلمة تجرى مجرى لعل وهى من العباد للترجى ومن الله للترجية (وعسى ان تحبوا شيأ) وهو جميع ما نهوا عنه من

الامور المستلذة التى من جملتها القعود عن الغزو (وهو شر لكم) لما فيه من فوات الغنيمة والاجر وغلبة الاعداء وتخريب الديار (والله يعلم) ما هو خير لكم دينا ودنيا فلذا يأمركم به (وانتم لا تعلمون) ذلك ولذلك تكرهونه (قال فى المثنوى) ما التصوف قال وجدان الفرح * فى الفؤاد عند اتيان الترح * جمله دروزنجير بيم وابتلا * ميروند اين ره بغير اوليا * يعنى ان المقلد يجرى الى الحضرة بالاضطرار بخلاف الولى قال ذو النون المصرى رحمه الله انما دخل الفساد على الخلق من ستة اشياء الاول ضعف النية بعمل الاخرة والثانى صارت ابدانهم رهينة لشهواتهم والثالث غلب عليهم حلول الامل مع قرب الاجل والرابع آثروا رضى المخلوقين على رضى الخالق والخامس اتبعوا اهواءهم ونبذوا سنة نبيهم وراء ظهورهم والسادس جعلوا قليل زلات السلف حجة لانفسهم ودفنوا كثير مناقبهم فعلى العاقل ان يجاهد مع النفس والطبيعة ليرتفع الهوى والشهوات والبدعة ويتمكن فى القلوب حب العمل بالكتاب والسنة قال ابراهيم الخواص رحمه الله كنت فى جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله لا يخفى عليه شئ فقلت له ارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك ويقيك الاذى من هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يقيك شهوة الرمان فلدغ الرمان يجد الانسان ألمه فى الاخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا فتركته ومشيت (قال السعدى) مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبلهٔ ديكرست * كند مرد را نفس اماره خوار * اكر هوشمندى عزيزش مدار * وفى التأويلات القاشانية كتب عليكم قتال النفس والشيطان وهو مكروه لكم مر امر من طعم العلقم واشد من ضغم الضيغم وحقيقة الجهاد رفع الوجود المجازى فانه الحجاب بين العبد والرب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر وكما قال ابن منصور (بينى وبينك انى يزاحمنى * فارفع بجودك انى من البين) وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم لاحتجابكم بهوى النفس وحب اللذة العاجلة عما فى ضمنه من الخير الكثير واللذة العظيمة الروحانية الذى يستحقر تلك الشدة السريعة الانقضاء بالقياس الى ذلك الخير الباقى واللذات السرمدية وعسى ان تحبوا شيأ من اللذات الجسمانية وتمتعات النفس وهو شر للنفس بحرمانها من اللذات الروحانية والله يعلم ان فى كراهة النفوس ما اودع من راحة القلوب وانتم لا تعلمون ان حياة القلوب فى موت النفوس وفى حياة النفوس موت القلوب كما قال (اقتلونى يا ثقاتى * ان فى قتلى حياتى) (وفى المثنوى) خنجر وشمشير شد ريحان من * مرك من شد بزم ونركسدان من (يسئلونك عن الشهر الحرام) روى ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته صلى الله عليه وسلم اخت ابيه فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد ابن ابى وقاص الزهرى وعكاشة بن محصن الاسدى وعتبة بن غزوان السلمى واباحذيفة ابن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر فى الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقرأه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تأتينا منه بخير فلما نظر فى الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهانى ان اكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع ثم مضى ومضى معه اصحابه لم يتخلف عنه منهم احد حتى كاد يقعد فوق القرع بموضع من الحجاز يقال له بحران اضل سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى بقية اصحابه حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت عير قريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمى والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة واخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا اصحاب رسول الله هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا بأس عليكم فامنوا وكان ذلك فى آخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرونه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا ان تركتموهم الليلة ليدخلن

الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم فى مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله وكان اول قتيل من المشركين وهو اول قتيل فى الهجرة واستأسروا الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله وكانا اول اسيرين فى الاسلام وافلت نوفل على فرس له فاعجزهم واستاق المؤمنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس لمعايشهم اى يتفرقون فى البلاد فسفك فيه الدماء واخذ الحرائب وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال فى الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين اى جعلها موقوفة وما قسمها بين الغانمين وابى ان يأخذ شيأ من ذلك ينتظر الاذن من الله فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقط فى ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمى ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندرى افى رجب اصبناه ام فى جمادى فاكثروا الناس فى ذلك فانزل الله هذه الاية فاخذ رسول الله العير فعزل منها الخمس وكان اول خمس فى الاسلام وقسم الباقى بين اصحاب السرية وكانت اول غنيمة فى الاسلام وبعث اهل مكة فى فداء اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع فى الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث خبيث الجيفة خبيث الدية والمعنى يسألك المسلمون استعلاما اذا الكفار تعنتا عن الشهر الحرام اى رجب سمى به لتحريم القتال فيه (قتال فيه) بدل اشتمال من الشهر لان الشهر مشتمل على القتال (قل) يا محمد فى جوابهم (قتال فيه كبير) اثم عظيم عند الله وقتال مبتدأ خبره كبير وجاز الابتداء بالنكرة لانها وصفت بفيه والاكثر ان هذه الاية منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصد عن سبيل الله) مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعد اى ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى (وكفر به) اى بالله تعالى (والمسجد الحرام) عطف على سبيل الله وحيث الصد عن سبيل الله فرد من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور فى حسن هذا العطف لانه ليس باجنبى محض اى منع المسلمين عن دخول مكة وزيارة بيت الله (واخراج اهله) اى اهل المسجد وهو النبى عليه السلام والمؤمنون (منه) اى من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به وجعل المسلمين اهل المسجد وان كانوا خارجين عن مكة لانهم قائمون بما يجب عليهم من حقه لانهم يصيرون اهلا له فى العاقبة فسماهم باسم العاقبة ولم يسم الكفار اهل المسجد وان كانوا بمكة لان مقامهم بمكة عارض (اكبر عند الله) خبر للاشياء المعدودة اى هذه الاشياء الاربعة اكبر اثما وعقوبة من قتل المسلمين ابن الحضرمى فى الشهر الحرام لان القتال يحل بحال والكفر لا يحل بحال ولانهم كانوا متأولين فى القتال لانهم شكوا فى اليوم ولا تأويل للكفار فى الكفر (والفتنة) اى ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء (اكبر من القتل) اى افظع من قتل الحضرمى فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الاية كتب عبد الله ابن انيس الى مؤمنى مكة اذا عيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج رسول الله من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت (ولا يزالون يقاتلونكم) بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة فى الدين اى لا يزال الكفار عن قتالكم ايها المؤمنون (حتى يردوكم عن دينكم) اى كى يصرفوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل (ان استطاعوا) اشارة الى تصلبهم فى الدين وثبات قدمهم فيه كانه قيل وأنى لهم ذلك وهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بى فلا تبق على ولا ترحمنى وهو واثق بانه لا يظفر به وهو تطييب لقلوب المؤمنين (ومن يرتدد منكم عن دينه) اظهار التضعيف لسكون الدال الثانى وبالفتح والادغام على التحريك لالتقاء الساكنين باخف الحركات والارتداد النكوص وهو تحذير من الارتداد اى من يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم (فيمت وهو كافر) بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب فى الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد الى حين الموت (فاولئك) المصرون على الارتداد الى حين الموت (حبطت) بطلت وتلاشت (اعمالهم) التى كانوا عملوها فى حالة الاسلام حبوطا لا تلافى له قطعا (فى الدنيا) وهو قطع حياته وقتله عند الظفر به لارتداده وفوات موالاة المسلمين

ونصرهم والثناء الحسن وزوال النكاح وحرمانه عن مواريث المسلمين ونحو ذلك مما يجرى على نفس المرتد واهله
وماله (والآخرة) وهو الثواب وحسن المآب لان عباداتهم لم تصح فى الدنيا فلم يجازوا عليها فى الاخرة وليس المراد
من احباط العمل ابطال نفس العمل لان الاعمال اعراض كما توجد تفنى وتزول واعدام المعدوم محال بل المراد به
ما ذكر من ان الردة الحادثة تزيل ثواب الايمان السابق وثواب ما سبق من ثمراته وظاهر الاية يقتضى ان تكون
الوفاة على الردة شرطا لثبوت الاحكام المذكورة وهى حبوط الاعمال فى الدنيا والآخرة وكون صاحبها من
اصحاب النار خالدا فيها وان لا يثبت شئ من هذه الاحكام ان اسلم المرتد بعد ردته ولهذا احتج الشافعى بهذه الاية
على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت صاحبها عليها وعند ابى حنيفة رحمه الله ان الردة تحبط الاعمال مطلقا
اى وان رجع مسلما تمسكا بعموم قوله تعالى ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله ويتفرع عليه مسئلتان الاولى ان جماعة من المتكلمين قالوا شرط صحة الايمان والكفر حصول
الوفاة عليهما فلا يكون الايمان ايمانا الا اذا مات المؤمن عليه وايضا لا يكون الكفر كفرا الا اذا مات الكافر عليه
والمسئلة الثانية ان المسلم اذا صلى ثم ارتد والعياذ بالله ثم اسلم فى الوقت قال الشافعى لا اعادة عليه وقال ابو حنيفة
يلزمه قضاء ما ادى وكذا الكلام فى الحج (واولئك اصحاب النار) ملازموها (هم فيها خالدون) كدأب سائر
الكفرة فلا بد للمؤمن من العمل الصالح ومن الصون عما يبطله وسبب الارتداد عدم اليقين والا فكيف يحوم
حول الموحد الحقيقى شيطان وشرك وهو قد تخلص عن البرازخ والقيود ووصل الى الرب المعبود والعمل
الصالح هو ما اريد به وجه الله فان غيره فاسد لا ينفع صاحبه اصلا (قال الحافظ) فردا كه پيشگاه حقيقت
شود پديد * شرمنده رهروى كه عمل بر مجاز كرد * واحسن الحسنات التوحيد لانه اس الكل ولذلك
لا يوزن قال عليه السلام ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع فى ميزان
لانها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح
من ذلك وجميع الاعمال الصالحة يزيد فى نور الايمان فعليك بالطاعة والحسنات والوصول الى المعارف الالهية
فان العلم بالله افضل الاعمال ولذلك لما قيل يا رسول الله اى الاعمال افضل قال العلم بالله فقيل نسأل عن العمل
وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وذلك انما يحصل بتصفية
الباطن مع صيقل التوحيد وانواع الاذكار ولا يعقلها الا العالمون (قال فى المثنوى) ذكر حق كن بانك غولانرا
بسوز * چشم نركس را ازين كركس بدوز * قال الشيخ الحسن محمد بن السراج سمعت الجنيد
قدس سره يقول رأيت ابليس فى المنام كأنه عريان فقلت الا تستحيى من الناس فقال لو كان هؤلاء من الناس
لما تلاعب بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة فقلت ومن الناس فقال قوم فى المسجد الشونيزى قد انحلوا جسمى
واحرقوا قلبى كلما هممت بهم اشاروا الى الله تعالى فاكاد احرق بنور ذكرهم قال فانتبهت وجئت الى المسجد
الشونيزى بليل فلما دخلت المسجد اذا انا بثلاث انفس جلوس ورؤسهم مغطاة بمرقعاتهم فلما احسوا بى اخرج
واحد رأسه فقال يا ابا القاسم انت كلما قيل بشئ تقبله وتسمعه انظر الى اجتهادهم فى طاعة الله وصفاء اسرارهم
عما سواه تعالى فهم من اهل الاسلام الحقيقى يقول الفقير ناظم هذه الدرر قال لى شيخى العلامة ابقاه الله بالسلامة
فى قوله عليه السلام بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا المراد بالاسلام هو الاسلام الحقيقى وصاحبه لا يرتد ابدا
وكونه غريبا ان لا يوجد له انيس (قال فى المثنوى) بود كبرى در زمان بايزيد * كفت اورا يك مسلمان سعيد *
كه چه باشد كر تو اسلام آورى * تا بيابى صد نجات وسرورى * كفت اين ايمان اكر هست اى مريد *
آنكه دارد شيخ عالم بايزيد * مؤمن ايمان آريم در نهان * كرچه مهرم هست محكم بر دهان * باز ايمان
خود كر ايمان شماست * نى بدان ميلستم ونى مشتهاست * آنكه صد ميلش سوى ايمان بود * چون
شما را ديد زان فاتر شود * زانكه نامى بيند او معنيش نى * چون بيابان را مفازه كفتنى (ان الذين آمنوا)
نزلت فى السرية فان الله تعالى لما فرج عنهم بالاية السابقة ما كانوا فيه من الغم الشديد بقتالهم فى الشهر الحرام
طمعوا فيما عند الله من ثوابه فقالوا يا رسول الله لا عقاب علينا فيما فعلنا فهل نعطى اجرا وثوابا ونطمع ان يكون
سفرنا هذا سفر غزو وطاعة فانزل الله تعالى هذه الاية لانهم كانوا مؤمنين مهاجرين وكانوا بسبب هذه المقاتلة
مجاهدين والمعنى ثبتوا على ايمانهم فلم يرتدوا (والذين هاجروا) اى فارقوا اوطانهم واهلهم (وجاهدوا) المجاهدة

استفراغ ما فى الوسع اى حاربوا المشركين فى سبيل الله فى طاعته لاعلاء دينه (اولئك يرجون) بما لهم من مبادى
الفوز (رحمة الله) اى ثوابه ولا يحبط اعمالهم كاعمال المرتدين اثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم
عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو بطريق التفضل منه تعالى لا لان فى فوزهم اشتباها (والله غفور)
مبالغ فى مغفرة ما فرط من عباده خطأ (رحيم) يجزل لهم الاجر والثواب قال قتادة هؤلاء خيار هذه الامة
ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب روى انه مر ابو عمر البيكندى يوما بسكة
فرأى اقواما ارادوا اخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكى قيل انها امه فرحمها ابو عمر فشفع له اليهم وقال
هبوه منى فى هذه المرة فان عاد الى فساده فشأنكم فوهبوه منه فمضى ابو عمر فلما كان بعد ايام اجتاز بتلك السكة
فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال فى نفسه لعل الشاب عاد الى فساده فنفى من المحلة فدق عليها الباب
وسألها عن حال الشاب فقالت انه مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب اجله قال لا تخبرى الجيران بموتى
فلقد آذيتهم فانهم سيشتمونى ولا يحضرون جنازتى فاذا دفنتنى فهذا خاتم لى مكتوب عليه بسم الله الرحمن
الرحيم فادفنيه معى فاذا فرغت من دفنى فتشفعى لى الى ربى ففعلت وصيته فلما انصرفت عن رأس القبر سمعت
صوته يقول انصرفى يا اماه فقد قدمت على رب كريم ونعم ما قيل بيها نه ميدهد بيها نميدهد قيل ان الحجاج
لما حضرته الوفاة كان يقول اللهم اغفر لى فان الناس يزعمون انك لا تفعل ومات بواسط سنة خمس وتسعين
وهى مدينته التى انشأها وكان يوم موته يسمى عرس العراق ولم يعلم بموته حتى اشرفت جارية من القصر
وهى تبكى وتقول الان مطعم الطعام ومفلق الهام قد مات ثم دفن ووقف رجل من اهل الشام على قبره فقال
اللهم لا تحرمنا شفاعة الحجاج وحلف رجل من اهل العراق بالطلاق ان الحجاج فى النار فاستفتى طاووس
فقال يغفر الله لمن يشاء وما اظنها الا طلقت فيقال انه استفتى الحسن البصرى فقال اذهب الى زوجتك
وكن معها فان لم يكن الحجاج فى النار فما يضركما انكما فى الحرام فقد وقفت من هذا المذكور على ان الله تعالى
غفور رحيم يغفر لعبده وان جاء بمثل زبد البحر ذنبا فاللازم للعباد الرجاء من الله تعالى قال الراغب وهذه المنازل
الثلاثة التى هى الايمان والمهاجرة والجهاد هى المعنية بقوله اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله
ولا سبيل الى المهاجرة الا بعد الايمان ولا الى جهاد الهوى الا بعد هجران الشهوات ومن وصل الى ذلك فحق له
ان يرجو رحمته واعلم ان الهجرة على قسمين صورية وقد انقطع حكمها بفتح مكة كما قال عليه السلام لا هجرة
بعد الفتح ومعنوية وهى السير عن موطن النفس الى الله لفتح كعبة القلب وتخليصها عن اصنام الشرك
والهوى فيجرى حكمها الى يوم القيامة وكذا الجهاد فى سبيل الله على قسمين اصغر وهو الجهاد مع الكفار
واكبر وهو الجهاد مع النفس وانما كان هذا الجهاد اكبر لان غاية الاول اصلاح الظاهر وغاية الثانى اصلاح
الباطن وهو اصعب واقوى وايضا غاية الاول الوصول الى الجنة والرحمة وغاية الثانى الوصول الى مشاهدة الحق
والجمال المطلق وايضا غاية الاول الشهادة وغاية الثانى الصديقية والصديقون اعلى منزلة من الشهداء كما قال
تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء فقدم ذكر الصديقين على ذكر الشهداء
فاذا وصل المرء الى صلاح النفس بالجهاد الاكبر الذى هو اعز من الكبريت الاحمر يرحم العباد ولا يقصد لهم
الضرر (حكى) ان بعضهم جاء الى بعض المشايخ وخدمه وقال له اريد ان تعلمنى الاسم الاعظم فقال له وفيك
اهلية له قال نعم قال اذهب الى باب البلد ثم اخبرنى بما جرى فيه فذهب وجلس على باب البلد فاذا بشيخ حطاب
معه حطب على حمار فضربه جندى واخذ حطبه ظلما فلما رجع الرجل الى الشيخ واخبره بالقصة قال له الشيخ
لو كنت تعلم الاسم الاعظم ما تصنع بالجندى قال كنت ادعو عليه بالهلاك فقال له الشيخ اعلم ان الحطاب
هو الذى علمنى الاسم الاعظم واعلم ان الاسم الاعظم لا يصلح الا لمن يكون على هذه الصفة من الصبر والرحمة
على الخلق والشفقة عليهم (قال السعدى) مكن تا توانى دل خلق ريش * وكر ميكنى ميكنى بيخ خويش *
ثم ان قلة الكلام من انفع الاشياء فى اصلاح النفس كما ان اللقمة الطيبة انفع فى اصلاح الطبيعة وصفاء القلب
(قال فى المثنوى) طفل جان از شير شيطان باز كن * بعد از آنش با ملك انباز كن * تا تو تاريك وملول
وتيرهٔ * دانكه با ديو لعين همشيرهٔ * لقمهٔ كو نور افزود وكمال * آن بود آورده از كسب حلال *
روغنى كايد چراغ ما كشد * آب خوانش چون چراغى را كشد * (يسألونك) قال ابن عباس رضى الله

عنه مارأيت قوما كانوا خيرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسألوه الا عن ثلاث عشرة مسئلة كلها فى القرءآن ما كانوا يسألونه الا عما ينفعهم وينفع المسلمين (عن الخمر) اى عن حكم تعاطيها بقرينة الجواب لان الحل والحرمة والاثم والطاعة انما هى من عوارض افعال المكلفين ولا اثم فى ذوات الاشياء واعيانها ويدخل فى تعاطى الخمر البيع والشراء وغيرهما مما يدخل تحت التصرف على خلاف الشرع والخمر مصدر خمره اى ستره سمى به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كانها نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكرهما اى تحجزهما (و) عن تعاطى (الميسر) مصدر ميمى من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب له ويدخل فيه جميع انواع القمار والشطرنج وغيرهما حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب (قل فيهما) اى فى تعاطى الخمر والميسر واستعمالهما (اثم كبير) لما ان الاول مسلبة للعقول التى هى قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال (ومنافع للناس) من كسب الطرب والمغالاة بثمن الخمر اذا جلبوها من الاطراف وفيها تقوية الضعيف وهضم الطعام والاعانة على الباءة اى الجماع وتسلية المحزون وتشجيع الجبان وتسخية البخيل وتصفية اللون وانطاق الفتى العى وتهييج الهمة ومنافع الميسر اصابة المال من غير كد ولا تعب وانتفاع الفقرآء بلحم الجزور فانهم كانوا يفرقونها على المحتاجين قال الواقدى وربما قمر الواحد منهم فى مجلس مائة بعير فيصيب مالا عظيما بلا نصب ولا ثمن ثم يعطيه المحتاجين فيكتسب المدح والثناء (واثمهما اكبر من نفعهما) وفى الخمر ايقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهى تسفه الحليم ويصير شاربها بحيث يلعب ببوله وعذرته وقيئه كما ذكر ابن ابى الدنيا انه مر على سكران وهو يبول فى يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضى ويقول الحمد لله الذى جعل الاسلام نورا والماء طهورا وفى الميسر انه اذا ذهب ماله من غير عوض ساءه ذلك فعادى صاحبه وقصده بالسوء قال المفسرون تواردت فى الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها وهى لهم حلال يومئذ ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا افتنا يارسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت يسألونك عن الخمر والميسر الاية فشربها قوم وقالوا نأخذ منفعتها ونترك اثمها وتركها آخرون وقالوا لا حاجة لنا فيما فيه اثم كبير ثم ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه دعا ناسا منهم فشربوا وسكروا فام احدهم فقرأ قل ياايها الكافرون اعبد ماتعبدون الى آخر السورة بدون لا فى لا اعبد فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الاية فقل من يشربها وقالوا الاخير فى شئ يحول بيننا وبين الصلاة وشربها قوم فى غير حين الصلاة حتى كان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر ويشرب بعد الصبح فيصحو اذا جاء وقت الظهر ثم اتخذ عتبان بن مالك ضيافة ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد ابن ابى وقاص رضى الله عنه وكان قد شوى لهم رأس بعير فاكلوا منه وشربوا الخمر حتى سكروا منها ثم انهم افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها هجاء الانصار وفخر لقومه فاخذ رجل لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله وشكا اليه الانصارى فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزل انما الخمر والميسر فى المائدة الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب وحرمت الخمر فى السنة الثالثة من الهجرة بعد غزوة الاحزاب بايام قال القفال والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الترتيب انه تعالى علم ان القوم كانوا الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم به كثيرا وعلم انه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم فلا جرم استعمل فى التحريم هذا التدريج وهذا الرفق ثم لما نزل التحريم اريقت الخمر قال ابن عمر رضى الله عنه خرجنا بالحباب الى الطريق فمنا من كسر حبه ومنا من غسله بالماء والطين ولقد غودرت ازقة المدينة بعد ذلك حينا كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها وحرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش اعجب منها وما حرم الله عليهم شيأ اشد من الخمر روى ان جبريل عليه السلام قال للنبى عليه السلام ان الله تعالى شكر لجعفر الطيار رضى الله عنه اربع خصال كان عليها فى الجاهلية وهو عليها فى الاسلام فسأل النبى عليه السلام جعفرا عن ذلك فقال يارسول الله لولا ان الله اطلعك عليها لما اخبرتك بها ما شربت الخمر قط لانى رأيتها تزيل العقل وانا الى ان ازيد فيه احوج منى الى ان ازيله وما عبدت صنما قط لانى رأيته لا يضر ولا ينفع وما زنيت قط لغيرتى على اهلى وما كذبت قط لانى رأيته دناءة قال عمرو

ابن

ابن الادهم من اكابر سادات بنى تميم ذاما الخمر لو كان العقل يشترى ما كان شئ انفس منه فالعجب لمن يشترى الحمق بماله فيدخله فى رأسه فيقيئ فى جيبه ويسلح فى ذيله وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة فى بئر فبنيت فى مكانها منارة لم اوذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف فنبت فيه الكلاء لم ارعه وعن ابن عمر رضى الله عنه لو ادخلت اصبعى فيها لم تتبعنى وهذا هو الايمان والتقى حقا فينبغى للمسلم ان لا يخطر بباله شرب الخمر فضلا عن شربها او يقطع عن شاربها فانه اذا خالط شارب الخمر يخاف عليه ان يصيبه من غباره (قال الحسين الواعظ الكاشفى) ترا رحمان همى كويد كه اى مؤمن مخور باده * ترا ترسا همى كويد كه در صغرا مخور حلوا * نمى مانى زنا يا كى براى كفتهٔ رحمان * بمانى شهد وشكررا براى كفتهٔ ترسا * وعن بعض الصحابة انه قال من زوج ابنته لشارب الخمر فكانما ساقها الى الزنى معناه ان شارب الخمر يقع منه الطلاق وهو لا يشعر فالذى يجب على الولى ان لا يزوج ابنته ولا اخته من فاسق ولا ممن يتعاطى المنكرات واعلم ان خل الخمر حلال ولو بعلاج كالقاء الماء الحار او الملح او الخبز ولا يكره تخليلها وفى الحديث خير خلكم خل خمركم هذا هو البيان فى الخمر واما الميسر فهو القمار والياسر القامر وكان اصل الميسر فى الجزور وذلك ان اهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورا ويضمنون ثمنه ولا يؤدونه ليظهر بالقمار انه على من يجب فينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزآء وقيل ثمانية وعشرين ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام سبعة منها لها انصباء الفذ وله نصيب واحد والتوأم وله نصيبان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله اربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة منها لا انصباء لها وهى المنيح والسفيح والوغد ثم يجعلون القداح فى خريطة تسمى الربابة ويضعونها على يدى عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض ثم يجيلها ويجلجلها اى يحركها باليد ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين له ومن خرج له قدح مما لا نصيب له وهو الثلاثة لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقرآء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وهو اللئيم العديم المروءة والكرم فهذا اصل القمار الذى كانت العرب تفعله فنهى المسلمون عنه واختلف فى الميسر هل هو اسم لذلك القمار المعين او هو اسم لجميع انواع القمار فقال بعض العلماء المراد من الاية جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وروى ان رجلا خاطر رجلا على ان يأكل كذا كذا بيضة على كذا كذا من المال فقال على رضى الله عنه هذا قمار وعن ابن سيرين كل شئ فيه خطر فهو من الميسر وعن النبى عليه السلام اياكم وهاتين الكعبتين المشؤمتين فانهما من مياسر العجم يريد ان النرد والشطرنج ميسر يشير به الى انهما حرام واما السبق فى الخف والحافر والنشاب فخص بدليل (قال السعدى) كهل كشتى وهمچنان طفلى * شيخ بودى وهمچنان شابى * تو بيازى نشسته در چب وراست * ميرسد تير چرخ پرتابى * جاى كريه است برمصيبت پير * كه تو كودك هنوز لعابى * والاشارة فى الاية ان خمر الظاهر كما يتخذ من اجناس مختلفة من العنب والتمر والزبيب والحبوب كالحنطة والشعير والذرة فكذلك خمر الباطن من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذه خمور تسكر منها النفوس والعقول الانسانية وفيها اثم كبير ولهذا كل مسكر حرام وما يسكر كثيره فقليله حرام ومنها ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الواردات فى اقداح المشاهدات من ساقى تجلى الصفات فاذا دارت على النفوس وانخمدت شهواتها وسكرت القلوب بالمواجيد عن المواجيد والارواح بالشهود عن الوجود والاسرار بلحظ الجمال عن ملاحظة الكمال فهذا شراب نافع للناس حلال فالعجب كل العجب ان قوما اسكرهم وجود الشراب وقوم اسكرهم شهود الساقى كقولهم

فاسكر القوم دور كأس * وكان سكرى من المدير

(وفى المثنوى) ما اكر قلاش اكر ديوانه ايم * مست آن ساقى وآن پيمانه ايم * مست مى هشيار نبود در نشور * مست حق نايد بخود تا نفخ صور * جرعهٔ چون ريخت ساقى الست * بر سر اين خاك شد هر ذره مست * جوش كردان خاك مازان جوششيم * جرعهٔ ديكركه بس بى كوششيم * واثم الاعراض عن كؤس الوصال فى النهاية اكبر من نفع الطلب الف سنة فى البداية وكما ان سكران الخمر ممنوع من الصلاة فسكران الغفلة والهوى محجوب عن المواصلات واما اثم الميسر فهو ان آثار القمار هى شعار اكثر الديار فى سلوك طريق الحيل

والخداع بالفعال والكذب والفحش فى المقال وانه كبير عند الاخيار بعيد عن خصال الابرار واما نفعه فعدم الالتفات الى الكونين وبذل نقوش العالمين فى فردانية نقش الكعبتين واثمهما اكبر من نفعهما الان اثمهما للعوام ونفعهما للخواص والعوام اكثر من الخواص وقليل ماهم كذا فى التأويلات النجمية قدست نفسه الزكية (ويسئلونك ماذا ينفقون) هو كما يصلح سؤالا عن جنس المنفق يصلح سؤالا عن كميته وقدره فانه لما نزل قوله تعالى قل ما انفقتم من خير فللوالدين قال عمرو بن الجموح ما انفق فنزل قوله (قل العفو) اى انفقوا العفو وهو نقيض الجهد وهو المشقة ونقيضه اليسر والسهولة فكأنه قيل قل انفق ما سهل وتيسر ولم يشق عليك انفاقه فالعفو من المال ما يسهل انفاقه والجهد من المال ما يعسر انفاقه والقدر المنفق انما يكون انفاقه سهلا اذا كان فاضلا عن حاجة نفسه وعياله ومن عليه مؤنته (كذلك) اى مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد والكاف فى محل النصب صفة لمصدر محذوف اى تبيينا مثل هذا التبيين وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او القوم مما هو مفرد اللفظ ومجموع المعنى (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الاحكام الشرعية لا بيانا ادنى منه وتبيين الايات تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لا انه تبينها بعد ان كانت مشبهة وملتبسة (لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة) اى لكى تتفكروا فى امور الدارين فتأخذوا بما هو اصلح لكم واسهل فى الدنيا وانفع فى العقبى وتجتنبوا عما يضركم فى العقبى قال البغوى يبين الله لكم الايات فى امر الدنيا والاخرة لعلكم تتفكرون فى زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا وفى اقبال الاخرة وبقائها فترغبوا فيها وهذه الاية ترغب فى التصدق لكن بشرط ان يكون ذلك من فضل المال وعفوه وعن النبى عليه السلام ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها فى بعض المغازى فقال يا رسول الله خذها منى صدقة فوالله لقد اصبحت ما املك غيرها فاعرض عنه رسول الله فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها منه فحذفها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى خذها فلا حاجة لنا فيها وفى لفظ العفو اشارة الى ان ما يعطيه المرء ينبغى ان يعفو اثره عن قلبه عند الانفاق يعنى بطيب القلب لان اصل العفو المحو والطمس ثم الاخراج عن فاضل الاموال عن قدر الكفاية طريقة الخواص فاما خاص الخاص فطريقهم الايثار وهو ان يؤثر غيره على نفسه وبه فاقة الى ما يخرج وان كان صاحبه الذى يؤثر به غنيا قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال امرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان نتصدق ووافق ذلك مالا عندى فقلت اليوم اسبق ابابكر رضى الله عنه فجئت بنصف مالى فتصدقت به فقال لى رسول الله ما ابقيت لاهلك يا عمر قلت نصف مالى يا رسول الله ثم قال لابى بكر ما ابقيت لاهلك قال ابقيت لهم الله ورسوله فقلت لا اسابقك بشئ بعدها روى ان النبى عليه السلام قال عند ذلك ما بينكما ما بين كلاميكما ومنه يعرف فضل ابى بكر على عمر لكن الفاضلية من وجه لا تنافى المفضولية من وجه آخر فان الكامل ليس يلزمه ان يكون كاملا فى جميع الامور وانما التقدم والتأخر بالنظر الى العلم بالله قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره كان ابو بكر غالب المعرفة وعمر غالب الشريعة وعثمان غالب الطريقة وعلى غالب الحقيقة وان كانوا كاملين فى المراتب الاربع انتهى كلامه (قال الحسين الواعظ الكاشفى) مايهٔ توفيق كرم كردن است * كنج يقين ترك درم كردن است * زادره مرك زنان دادن است * زندكى عشق زجان دادن است فسخاوة العوام اعطاء المال وسخاوة الخواص بذل الروح وهو قليل * هست جوانمرد درم صد هزار * كار چو با جان فتد آنست كار * وحث النبى عليه السلام اصحابه على الصدقة فجعل الناس يتصدقون وكان ابو امامة الباهلى جالسا بين يديه عليه السلام وهو يحرك شفتيه فقال له النبى عليه السلام ماذا تقول حيث تحرك شفتيك قال انى ارى الناس يتصدقون وليس معى شئ اتصدق به فاقول فى نفسى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هؤلاء الكلمات خير لك من مد ذهبا تتصدق به على المساكين تا زنده ايم ذكر لبش در زبان ماست * يادش انيس ومونس جان وروان ماست * يروى ان اول من قال سبحان الله جبريل عليه السلام وذلك انه لما خلقه الله وقع نظره على العرش وعظمته فقال سبحان الله فمن قالها نال ثواب جبريل واول من قال الحمد لله آدم الصفى عليه السلام حين نفخ فيه الروح فمن قالها نال نصيبا من فضل آدم

واول

واول من قال لا اله الا الله نوح النجى عليه السلام حين مشاهدة الطوفان وشدة البلاء فمن قالها اخذ حظا وافرا من ثواب نوح واول من قال الله اكبر ابراهيم الخليل عليه السلام حين شاهد فداء اسماعيل وهو الكبش فمن قالها نال فيضا من فيض ابراهيم اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين آمين يا رب العالمين (ويسألونك عن اليتامى) اى عن مخالطتهم لان السؤال عن الشئ ينصرف الى ما هو معظم المقصود منه وهو ههنا المخالطة والكفالة وذلك بعد نزول قوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما فتركوا مخالطتهم ومؤاكلتهم حتى لو كان عند رجل يتيم يجعل له بيتا على حدة وطعاما على حدة وعزلوا اموال اليتامى عن اموالهم وكان يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شئ فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد فاشتد ذلك عليهم فقال عبد الله بن رواحه يا رسول الله ما لكلنا منازل يسكنها اليتامى ولا كلنا نجد طعاما وشرابا نفردهما لليتيم فنزلت هذه الاية (قل اصلاح لهم) اى مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم (خير) من مجانبتهم وترك الخلطة والنظر عليهم واصلاح مصدر حذف فاعله تقديره واصلاحكم لهم خير للجانبين اى جانبى المصلح والمصلح له اما الاول فلما فيه من الثواب واما الثانى فلما فيه من توفر اموال اليتامى والتزايد (وان تخالطوهم) وتعاشروهم على وجه ينفعهم (فاخوانكم) اى فهم اخوانكم فى الدين الذى هو اقوى من العلاقة النسبية ومن حق الاخ ان يخالط الاخ بالاصلاح والنفع قال ابن عباس رضى الله عنه المخالطة ان تأكل من ثمره ولبنه وقصعته وهو يأكل من ثمرك ولبنك وقصعتك وهذا اذا اصاب من مال اليتيم بقدر عمله له او دونه فلا يزيد على اجر مثله وقد قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وقد تكون المخالطة بخلط المال وتناول الكل منه وهو منفى شرعا قال ابو عبيد هذه الاية عندى اصل لما يفعله الرفقاء فى الاسفار فانهم يتخارجون النفقات بينهم بالسوية وقد يتفاوتون فى قلة المطعم وكثرته وليس كل من قل مطعمه تطيب نفسه بالتفضل على رفيقه فلما كان هذا فى اموال اليتامى واسعا كان فى غيرهم اوسع ولولا ذلك لخفت ان يضيق فيه الامر على الناس وقد جاءت المخالطة على المصاهرة وهو ان يكون ابنا فيزوجه ابنته او يكون بنتا فيزوجها ابنه فتتأكد الالفة ويخلطه بنفسه وبعشيرته ايناسا لوحشته وازالة لوحدته وهو مروى عن الحسن (والله يعلم) بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد (المفسد) لمال اليتيم (من المصلح) لماله اى لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح وفى تقديم المفسد مزيد تهديد ومن اتضمين العلم معنى التمييز اى يعلم من يفسد فى امورهم عند المخالطة مميزا له ممن يصلح فيها (ولو شاء الله) اعنائكم وهو الحمل على مكروه لا يطيقه (لاعنتكم) لحملكم على العنت وهو المشقة فلم يطلق لكم مداخلتهم يقال عنت فلان اذا وقع فى امر يخاف منه التلف (ان الله عزيز) غالب يقدر على الاعنات (حكيم) يحكم ما تقتضيه الحكمة وتسع له الطاقة وهو دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها واعلم ان مخالطة الايتام من اخلاق الكرام وفى الترحم عليهم فوائد جمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وضع يده على رأس يتيم ترحما عليه كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة وفى الحديث ثلاثة فى ظل عرش الله يوم القيامة امرأة مات عنها زوجها وترك عليها يتامى صغارا فخطبت فلم تتزوج قالت اقيم على اليتامى حتى يغنيهم الله او يموت يعنى اليتيم او هى ورجل له مال صنع طعاما فاطاب صنيعه واحسن نفقته فدعا اليه اليتيم والمسكين وواصل الرحم يوسع له فى رزقه ويمد له فى اجله ويكون تحت ظل عرشه قال الله تعالى يا موسى كن لليتيم كالاب الرحيم وكن للارامل كالزوج الشفيق وكن للغريب كالاخ الرفيق اكن لك كذلك (قال الحافظ) تيمار غريبان سبب ذكر جميلست * جانا مكر اين قاعده در شهر شما نيست * وفى الحديث انا وكافل اليتيم اى القائم بمصالحه سواء كان من مال نفسه او من مال اليتيم وسواء كان اليتيم قريبا اولا كهاتين فى الجنة واشار بالسبابة والوسطى يعنى ان كافل اليتيم يكون فى الجنة مع حضرة النبى عليه السلام لا ان درجته تبلغ درجته (قال الشيخ سعدى قدس سره) چو بينى يتيمى سر افكنده پيش * مده بوسه بر روى فرزند خويش * الا تا نكريد كه عرش عظيم * بلرزد همى چون بكريد يتيم * ويجتنب كل الاجتناب عن اخلال حق من حقوقه واكل حبة من ماله وعن ظلمه وقهره (يحكى) ان رستم بن زال بارز مع اسفنديار فلم يقدر عليه مع زيادة قوته وكان اسفنديار يجرحه فى كل محل دون رستم وكان بدن اسفنديار كجلد السمك لا يعمل فيه شئ ثم ان رستم

تشاور مع ابيه زال فى ذلك فقال له ابوه انك لا تقدر عليه الا ان تعمل سهما ذا فقارين وتصيب به عينى اسفنديار ففعل ذلك فرمى فاصاب فغلب عليه بذلك فيحكى فى سبب ذلك ان اسفنديار كان قد ضرب فى شبيبته يتيما بغصن ففقأ به عينه وابكاه ثم ان اليتيم اخذ ذلك الغصن وغرسه فلما صار شجرا اخذ رستم غصنا من اغصانه ونحت منه سهمه الذى اصاب به عينى اسفنديار ويؤدب اليتيم الذى فى حجره كتأديبه ولده فانه مسئول عنه يوم القيامة ويصلح حاله والتأديب على انواع منها الوعيد ومنها الضرب ومنها حبس المنافع والعطية والبر فان بين النفوس تفاوتا فنفس تخضع بالغلظة والشدة ولو استعملت معها الرفق والبر لافسدها ونفس بالعكس وقد جعل الله الحدود والتعزير لتأديب العباد على قدر ما يأتون من المنكر فادب الاحرار الى السلطان وادب المماليك والاولاد الى السادات والاباء وهو مأجور على التأديب ومسئول عنه قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا وفى الحديث كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وفى قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم اشارة الى ان المرأ ينبغى ان يتعود الاكل مع الناس فان شر الناس من اكل وحده وفى الحديث ان من احب الطعام الى الله ما كثرت عليه الايدى ذكره فى العوارف وذكر فى المصابيح ان اصحاب النبى عليه السلام قالوا يا رسول الله انا نأكل ولا نشبع قال لعلكم تفترقون قالوا نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى ومن اللطائف ما يحكى انه قيل لجحين صاحب النوادر أتغديت عند فلان قال لا ولكن مررت ببابه وهو يتغدى فقيل كيف علمت قال رأيت غلمانه بايديهم قسى البنادق يرمون الطير فى الهواء قيل لبخيل من اشجع الناس فقال من يسمع وقع اضراس الناس فلا تنشق مرارته وفى الحديث من اضاف مؤمنا فكانما اضاف آدم ومن اضاف اثنين فكانما اضاف آدم وحواء كذا فى الرسالة العلية لحسين الواعظ (ولا تنكحوا) بفتح التاء اى لا تتزوجوا (المشركات) اى الحربيات فان الكتابيات وان كانت من المشركات الا انه يجوز تزوجها عند الجمهور استدلالا بقوله تعالى فى سورة المائدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شئ اصلا (حتى يؤمن) اى يصدقن بالله وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم روى انه عليه السلام بعث مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين سرا فاتته عناق وكان يهواها فى الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم ولكن استأمر رسول الله عليه السلام فاستأمره فنزلت (ولامة مؤمنة) مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر (خير) بحسب الدين والدنيا (من مشركة) اى امرأة مشركة مع مالها من شرف الحرية ورفعة الشان (ولو اعجبتكم) تلك المشركة بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادى الاعجاب وموجبات الرغبة والواو للحال ومعنى كونها للحال كونها عاطفة لمدخولها على حال محذوفة قبلها والتقدير خير من مشركة على كل حال ولو فى هذه الحالة والمقصود من مثل هذا التركيب استقصاء الاحوال وفى تفسير الكواشى لو ههنا بمعنى ان وكذا كل موضع وليها الفعل الماضى وكان جوابها مقدما عليها والمعنى وان كانت المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير لكم (ولا تنكحوا) بضم التاء من الانكاح (المشركين) اى الكفار اعم من الوثنى وغيره اى لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر او اماء (حتى يؤمنوا) ويتركوا ما هم عليه من الكفر قال ابن الشيخ فى حواشيه اى لا تزوجوهم الصغيرات من بناتكم ومن فى حكمهن ممن هو تحت ولايتكم ولا تزوج البالغات من المؤمنات منهم انفسهم فقوله ولا تنكحوا من قبيل تغليب الذكور على الاناث ولا خلاف فى هذا الحكم فان المشرك ههنا باق على عمومه ولا يحل تزويج المؤمنة من الكافر البتة على اختلاف انواع الكفر (ولعبد مؤمن) مع ما به من ذل المملوكية (خير من مشرك) مع ما به من عز المالكية (ولو اعجبكم) بماله وجماله وخصاله (اولئك) المذكورون من المشركين والمشركات (يدعون) من يقارنهم ويعاشرهم (الى النار) اى الى ما يؤدى اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم (والله) اى واولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم (يدعو الى الجنة والمغفرة) اى الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة (باذنه) متعلق بيدعو اى يدعو ملتبسا بتوفيقه الذى من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم (ويبين آياته) المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة (للناس لعلهم يتذكرون) اى لكى يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر كما فى الاحكام السابقة

ففى الاية نهى عن مواصلة الكفار وترغيب فى مواصلة المؤمنين ولا ينبغى للمؤمن ان تعجبه المشركة بمالها وجمالها فان من المسلمات من تدفع التعجب وفى المحيط مسلم رأى نصرانية سمينة وتمنى ان يكون هو نصرانيا حتى يتزوجها يكفر وهذا من حماقته فان السمان الحسنة كثيرة فى الملة الحنيفية ولكن علة الضم هى الجنسية كما قال تعالى الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة وميل الطباع القذرة الى الدنيا العذرة قال تعالى الخبيثات للخبيثين والطيبات للطيبين (ونعم ما قيل) همه مرغان كند با جنس پرواز * كبوتر با كبوتر باز با باز * ومن بلاغات الزمخشرى لا ترض لمجالستك الا اهل مجانستك اى لا ترض ان يكون لك جليس من غير جنسك فان العذاب الشديد ليس الا هو قال فى اسئلة الحكم واما اختلاف الاخلاق فمن تعارف الارواح بعضها ببعض فى عالم الارواح قبل تلاقى الاشباح فى عالم الشهادة فمن تعارف روحه بروح صالح صلح بتعارفه الازلى فمن هنا اختلاف الاخلاق صلاحها وفسادها فلابد من مناسبة اما من الجهة الجسمانية او من الجهة الروحانية فالجهة الجسمانية راجعة الى قابلية الطين والطبيعة الروحانية راجعة الى المناسبة الروحانية السابقة انتهى قال الامام السخاوى فى المقاصد الحسنة عند قوله عليه السلام الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف سبب ورود هذا الحديث ما روته عائشة رضى الله عنها ان امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهن فلما هاجرن ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة فدخلت على فقلت لها فلانة ما اقدمك قالت اليكن قلت فاين نزلت قالت على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة قالت عائشة ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فلانة المضحكة عندكم قالت عائشة نعم قال فعلى من نزلت قالت على فلانة المضحكة قال الحمد لله ان الارواح الخ قال بعضهم

بينى وبينك فى المحبة نسبة * مستورة عن سر هذا العالم
نحن اللذان تحابت ارواحنا * من قبل خلق الله طينة آدم

انتهى كلام السخاوى

(قال الحسين الكاشفى) جاذب هر جنس را هم جنس دان * جنس بر جنس است عاشق جاودان * تلخ با تلخان يقين ملحق شود * كى دم باطل قرين حق شود * طيبات آمد بسوى طيبين * الخبيثات للخبيثين آست همين واعلم انه ركز فى العقول الميل الى الخير ومخافة الشر فللعاقل ان يتذكر فان من كان بصيرا بنفسه ومتأملا فى حاله ينقطع عن اخوانه الداعين الى خلاف الحق ويصيخ الى داعى الهوى وقد قال بعض كبار العجم الله ليس باقى هوس قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا والمقربون قد فروا الى الله تعالى من جميع ما فى ارض الوجود ولم يلتفتوا الى شئ سوى وجهه الكريم ولم يريدوا من المولى غير المولى فكانوا احسن نية وعملا وهذا صراط مستقيم اللهم الهمنا رشدنا واعذنا من شر نفسنا انك انت المجيب (ويسألونك) لعل حكاية الاسئلة الثلاثة بالواو وحكاية ما عداها بغير عطف انهم سألوا عن هذه الحوادث فى وقت واحد فكأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وعن كذا بخلاف ما عداها فانهم سألوها فى اوقات متفرقة (عن المحيض) مصدر كالمجيء والمبيت والحيض هو اللوث الخارج من الرحم فى وقت معتاد والسؤال فيه نوع ابهام الا انه تبين بالجواب ان سؤالهم كان عن مخالطة النساء فى حالة الحيض (قل هو اذى) اى الحيض شئ مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه وكراهة له روى ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يؤاكلوهن كدأب المجوس واليهود واستمر الناس على ذلك الى ان سأل عن ذلك ابو الدحداح فى نفر من الصحابة فقال يا رسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن انقربهن ام لا فنزلت (فاعتزلوا النساء فى المحيض) المحيض هنا اسم لمكان ظهور الحيض وهو الفرج اى فاجتنبوا مجامعتهن لما روى ان المسلمين اخذوا بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض (ولا تقربوهن) بالجماع (حتى يطهرن) من المحيض وينقطع دمهن فذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان له ان يقربها اذا كانت ايامها عشرة بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفى اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضى عليها وقت صلاة

(فاذا تطهرن) اى اغتسلن فان التطهر هو الاغتسال (فأتوهن من حيث امركم الله) اى من المأتى الذى حلله
لكم وهو القبل (ان الله يحب التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) المتنزهين عن الفواحش والاقذار
كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى (نساؤكم حرث لكم) اى مواضع حرث لكم شبهن بها لما بين ما يلقى
فى ارحامهن من النطف وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه والفرق بين الحرث
والزرع ان الحرث القاء البذر وتهيئة الارض والزرع مراعاته وانباته ولهذا قال تعالى افرأيتم ما تحرثون
ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون فاثبت لهم الحرث ونفى عنهم الزرع (فأتوا حرثكم) لما عبر عنهن بالحرث عبر
عن مجامعتهن بالاتيان (أنى شئتم) أنى هنا بمعنى كيف اى كيف شئتم ومن اى شق وجهة اردتم بعد ان يكون
المأتى واحدا وهو موضع الحرث لان الدبر ليس موضع الحرث فلم يمكن حمل قوله أنى شئتم على التخيير فى الامكنة
حتى يجوز اتيان النساء فى ادبارهن فيكون محمولا على التخيير فى الكيفيات ويدل على هذا ما روى فى سبب نزول
الاية من ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امرأته فى قبلها من دبرها يأتى ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية ردا عليهم ببيان ان المقصود من عقد النكاح هو اتيان موضع الحراثة
على اى كيفية كانت وفى الحديث ملعون من اتى امرأته فى دبرها وهو اللواطة الصغرى والاتيان فى دبر
الذكر اكبر لواطة منه قال الامام من قبل غلاما بشهوة فكأنما زنى بامه سبعين مرة ومن زنى مع امه مرة
فكأنما زنى بسبعين بكرا ومن زنى مع البكر مرة فكأنما زنى بسبعين الف امرأة وحكم اللواطة التعزير
والحبس فى السجن حتى يتوب وعندهما يحد حد الزنى فيجلد ان لم يكن محصنا ويرجم ان كان محصنا
(وقدموا لانفسكم) من الاعمال الصالحة ما يكون الثواب الموعود له ذخيرة محفوظة لكم عند الله ليوم
احتياجكم اليه ولا تكونوا فى قربانهن على قيد قضاء الشهوة بل كونوا فى قيد تقديم الطاعة مع ملاحظة الحكم
المقصود من شرع النكاح وهو الولد (واتقوا الله) بالاجتناب عن معاصيه التى من جملتها ما عد من الامور
(واعلموا انكم ملاقوه) الهاء راجع الى الله تعالى فلا بد من حذف مضاف اى ملاقوا جزآئه فتزودوا
ما لا تفضحون به (وبشر) يا محمد (المؤمنين) الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهى بحسن القبول
والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم درامان خانهٔ ايمان بنشين ايمن باش *
كرامان بايدت البته مروزين مأمن * فالعلامة فى ذلك ان الذى يكون ايمانه عطاء يمنعه ايمانه من الذنوب
ويرغبه فى الطاعات والذى هو عارية لا يمنعه من الذنوب ولا يرغبه فى الطاعات اى لا يحثه على الطاعات لانه
لا تدبير له فى مكان هو فيه عارية اى لا يستقر الايمان فى مكان هو فيه عارية وفى قوله تعالى واعلموا انكم ملاقوه
اشارة الى ان على المرء ان يتذكر مرجعه ومصيره ويتدارك ما ينتفع به فى معاده من الاعمال الصالحة واقل المرتبة
العمل للاخرة واما اعلى المراتب وافضل المقاصد والمطالب فالله تعالى كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم
يلعبون وذلك لان العمل لله تعالى لا لطلب الجنة ولا لخوف النار وفى التأويلات النجمية كما ان للنساء محيضا
فى الظاهر وهو سبب نقصان ايمانهن لمنعهن عن الصلاة والصوم فكذلك للرجال محيض فى الباطن هو سبب
نقصان ايمانهم لمنعهم عن حقيقة الصلاة وهى المناجاة وعن حقيقة الصوم وهى الامساك عن مشتهيات
النفس وكما ان المحيض هو سيلان الدم من الفرج فكذلك الهوى هو غلبات دواعى الصفات البشرية والحاجات
الانسانية فكلما غلب الهوى تكدر الصفا وحصل الاذى وقد قيل قطرة من الهوى تكدر بحرا من الصفا
فحينئذ منعت النفس عن الصلاة والصوم فى الحقيقة وان كانت مشغولة بهما وطبقات المؤمنين ثلاث العوام
والخواص وخاص الخاص اما العوام فلما كانوا اهل الغيبة عن الحقيقة ابيح لهم السكون الى اشكالهم اذا كان
على وصف الاذن وقيل لهم نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم واما الخواص فلما كانوا بوصف الحضور يلزم
عليهم المساكنة الى امثالهم وقيل لهم قل الله ثم ذرهم فهم سلكوا مسالك التفريد حتى وصلوا الى كعبة التوحيد
واما خاص الخاص فهم الرجال البالغون الواصلون الى عالم الحقيقة المتصرفون فيما سوى الله بخلافة الحق
فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم فقيل لهم نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم فهم الانبياء وخواص
الاولياء فكما ان الدنيا مزرعة الاخرة لقوم فالدنيا والاخرة مزرعتهم ومحرثهم يحرثون فيها انى شاؤا وكيف شاؤا
وما يشاؤن الا ان يشاء الله فقد فنيت مشيئتهم فى مشيئة الله وبقيت قدرة تصرفهم بتقويته فيقدمون لانفسهم

لا بانفسهم بل هو المقدم لما يقدمون وهو المؤخر لما يؤخرون ثم قال واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه يعنى يا خواص
الاولياء المتصرفين فى حرث الدنيا والاخرة اتقوا الله بالله فانكم ملاقوا الله لا يحجبكم عنه شئ وبشر
المؤمنين بانهم ملاقوا الله ايضا ان اتقوا الله بالله يعنى مرتبة خواص الاولياء ميسرة للمؤمنين اذا سعوا
فى طلبها حق سعيها (قال الحافظ) جمال يار ندارد نقاب وپرده ولى * غبار ره بنشان تا نظر توانى كرد *
(ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) روى ان بشير بن نعمان الانصارى كان قد
طلق زوجته التى هى اخت عبد الله بن رواحة واراد ان يتزوجها بعد ذلك وكان عبد الله قد حلف على
ان لا يدخل على بشير ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين اخته فاذا قيل له فى ذلك قال قد حلفت بالله ان لا افعل
ولا يحل لى الا ان احفظ يمينى وابر فيه فانزل الله تعالى هذه الاية والعرضة فعلة بمعنى المعروض جعل اسما
لما يعرض دون الشئ اى يجعل قدامه بحيث يصير حاجزا ومانعا منه من عرض العود على الاناء اى جعل العود
على الاناء وستره به بحيث يكون حاجزا وحائلا بين الاناء وما يتوجه اليه والمعنى لا تجعلوا ذكر الله والحلف به
مانعا لما حلفتم عليه من انواع الخير كالبر والاتقاء والاصلاح فان الحلف بالله لا يمنع ذلك فيكون لفظ الايمان
مجازا مرسلا عن الخيرات المحلوف عليها سمى المحلوف عليه يمينا لتعلق اليمين به واللام فى لايمانكم متعلق بقوله
عرضة تعلق المفعولية لا تعلق العلية لان العرضة ما عرضته دون الشئ فاعترضه اى ما تجعله انت قدام شئ
آخر فيقع قدامه فيكون المعنى لا تجعلوا الحلف بالله شيأ عرض اى وقع قدام المحلوف عليه الذى هو البر والخير
ويصير مانعا من الاتيان به وان تبروا عطف بيان لايمانكم اى للامور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى
والاصلاح (والله سميع) لايمانكم (عليم) بنياتكم حتى ان تركتم الحلف تعظيما لله واجلالا له من ان تستشهدوا
باسمه الكريم فى الاغراض العاجلة يعلم ما فى قلوبكم ونياتكم فحافظوا على ما كلفتموه (وفى المثنوى) ازپى آن گفت
خودرا حق سميع * تا ببندد لب ز گفتار شنيع * ازپى آن گفت خودرا حق بصير * كه بود
ديدويت هردم نذير * ازپى آن گفت خودرا حق عليم * تا نينديشى فسادى تو ز بيم * والاية
عامة فى كل من كان يحلف بالله ان لا يحسن لاحد ولا يتقى من العصيان فيعمل ما اشتهت نفسه وان لا يصلح
بين الناس اذا وقع فيهم العداوة والبغضاء فكأنه قال تعالى كل ذلك خير وطاعة لا يمنعها حلفكم فان حلفتم
عليها فاتكفروا عن حلفكم وافعلوا تلك الخيرات من البر والتقوى والاصلاح بين الناس ولا تقولوا نحن حلفنا
بالله فنخاف من اليمين به ان نفعله فنحنث فى يميننا فالحنث اولى من البر فيما يتعلق بالبر والتقوى والاصلاح
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا فليكفر عن يمينه ثم ليفعل الذى هو خير
والكفارة قبل اليمين غير جائزة وبعد الحنث واجبة اتفاقا ولا تجوز قبل الحنث بعد اليمين عندنا خلافا للشافعى رحمه الله
وفى الشرعة ولا يروج سلعته اى متاعه بالحلف لا صادقا ولا كاذبا لانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس
وهى من الكبائر التى تذر الديار بلاقع وان كان صادقا قد جعل الله عرضة لايمانه واساء فيه اذ الدنيا اخس
من ان يقصد ترويجها بذكر الله من غير ضرورة ومن حلف بالله فى كل قليل وكثير انطلق لسانه بذلك ولا يبقى
اليمين فى قلبه فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة فيختل ما هو الغرض الاصلى من اليمين وفى الخبر ويل للتاجر
من بلى والله ولا والله وفى بستان العارفين ويكره ان يصلى على النبى عليه السلام فى عرض السلعة فيقول صلى
الله على محمد ما اجود هذا وقال عليه السلام التجار هم الفجار قيل ولم يا رسول الله وقد احل الله البيع فقال
لانهم يحلفون ويأثمون ويحدثون فيكذبون ولا يحلف على الله بشئ نحو ان يقول والله ليفعلن الله كذا ولو اقسم
ولى الله مثل القسم المذكور لابره الله ويصدقه فى يمينه كرامة له وكان ابو حفص رحمه الله يمشى ذات يوم
فاستقبله رستاقى مدهوش فقال له ابو حفص ما اصابك قال ضل حمارى ولا املك غيره فوقف ابو حفص وقال
وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد حماره فظهر الحمار فى الوقت كذا فى شرح المشارق (لا يؤاخذكم الله باللغو)
اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار يقال لغا لغوا اذا قال باطلا (فى ايمانكم) جمع يمين وهو الحلف
وسميت بها لمعنيين احدهما انها من اليمين التى هى اليد اليمنى وكانوا اذا تحالفوا فى العهود تصافحوا بالايمان
فسميت بذلك والثانى ان اليمين هى القوة قال تعالى لاخذنا منه باليمين وسميت به لان الحالف يتقوى بيمينه على
حفظ ما حلف عليه من فعل او ترك والمراد باللغو فى الايمان ما لا عقد معه ولا قصد وهو ان يحلف الرجل بالله

على شئ يظن انه صادق فيه وليس كذلك سوآء كان الذى يحلف عليه ماضيا اوغيره فليس له اثم ولا كفارة هذا عند ابى حنيفة واما عند الشافعى فلغو اليمين ماسبق اليه اللسان بلا قصد الحلف نحو لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال ولو قيل لواحد منهم سمعتك تحلف فى المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفى الاية معنيان احدهما لا يعاقبكم الله باللغو فى ايمانكم ظنا انكم صادقون فيه (ولكن يؤاخذكم) المؤاخذة مفاعلة من الاخذ وهى المعاقبة ههنا (بما كسبت قلوبكم) انطوت عليه واقترفت قلوبكم من قصد الاثم بالكذب فى اليمين وهو ان يحلف الرجل على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهى اليمين الغموس وسميت بالغموس لانغماس صاحبها فى الاثم بها وثانيهما لا تلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذى لا قصد معه ولكن تلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت من اليمين لا بكسب اللسان وحده وفى التيسير ان هذه الاية فى مؤاخذة الاخرة فاما المؤاخذة المذكورة فى قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فهى المؤاخذة بالكفارة لكنها فى اليمين المعقودة فالآيتان فى مؤاخذتين مختلفتين (والله غفور) حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا عن قلة المبالاة (حليم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة وفيه ايذان بان المؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هى التى تتعلق بها المغفرة والحلم دونه والفرق بين الحليم والصبور انه الذى لا يشمئز من الامر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله على المسارعة الى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال الله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة وحظ العبد من وصف الحليم ظاهر فالحلم من محاسن خصال العباد وفى الحديث ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم مرتبة الصائم القائم (قال الحسين الواعظ الكاشفى) علم باحلم خال روى بود * علم بى حلم خالك كوى بود * بردبارى جوزينت خردست * هركرا حلم نيست زيور نيست * ثم انه قال قال العلماء اذا حلف بشئ فحنث ان كان مستقبلا فعليه كفارة وهو اليمين المنعقدة وان كان ماضيا فان كان الحالف عالما بالواقع وحلف على خلافه فاليمين كبيرة ولا كفارة عند ابى حنيفة فى الكبائر وعند الشافعى تجب الكفارة فيه وهو اليمين الغموس وان كان الحالف جاهلا بالواقع ويرى انه صادق فيه وليس كذلك فلا كفارة فيه وهو يمين اللغو عند ابى حنيفة واليمين الغموس عند الشافعى ويحكم فيه بالكفارة واليمين بالله او باسم من اسمائه او بصفة من صفاته فاليمين بالله ان يقول والذى اصلى له والذى نفسى بيده واليمين باسمائه كقوله والله والرحمن ونحوه واليمين بصفته كقوله وعزة الله وعظمته وجلال الله وقدرته ونحوها ومن حلف بغير الله مثل ان قال والكعبة وبيت الله ونبى الله او حلف بابيه ونحوه فلا يكون يمينا ولا تجب به الكفارة اذا خالف وهى يمين مكروهة قال الشافعى واخشى ان تكون معصية وفى الحديث من حلف بغير الله فقد اشرك بالله معناه من حلف بغير الله تعالى معتقدا تعظيم ذلك الغير فقد اشرك المحلوف به مع الله فى التعظيم المختص به ولو لم يكن على قصد التعظيم والاعتقاد به فلا بأس به كقوله لا وابى ونحو ذلك كما جرت به العادة قال على الرازى اخاف الكفر على من قال بحياتى وبحياتك وما اشبهه ولولا ان العامة يقولونه ولا يعلمونه لقلت انه الشرك لانه لا يمين الا بالله ولا يحلف بالبراءة من الاسلام فمن فعل ذلك صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما وان كان كاذبا خيف عليه الكفر وفى الحديث من حلف بملة غير الاسلام كاذبا فهو كما قال وظاهر الحديث يدل على ان المسلم ان قال ان افعل كذا فانا يهودى ففعل يكفر وبه عمل الشافعى وقال الحنفية لا يكفر فحملوا الحديث على التهديد واما ان علقه بالماضى كقوله ان فعلت كذا فانا يهودى وقد فعل فقد اختلفت الحنفية والصحيح انه لا يكفر ان كان يعلم انه يمين وان كان عنده انه يكفر بالحلف يكفر لانه رضى بالكفر وهو محمل الحديث عند الاكثر وفى الفتاوى البزازية والفتوى على انه يمين يلزم عليه الكفارة والاشارة فى الاية ان ما يجرى على الظواهر من غير قصد ونية فى البواطن ليس له كثير خطر فى الخير والشر ولا زيادة اثر ولو كان له اثر فى الخير لما عاب على قوم يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم وكذا ما يجرى على اللسان بنية القلب بلا فعل الجوارح لو كان مؤثرا فى القبول لما عاب قوما بقوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ولو كان له اثر فى الشر لما وسع على قوم بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وما عفا عن قوم بقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وذلك لان القلب كالارض للزراعة والجوارح كالالات للحراثة والاعمال والاقوال كالبذر فالبذر ما لم يقع فى الارض المربية للزراعة لا ينبت وان كان فى آلة من آلات الحراثة فافهم جدا واما ان كان ما يجرى

على الظواهر من الخير ادنى آثار فى القلب ولو كان مثقال ذرة فان الله من كمال فضله وكرمه لا يضيعه حتى يكون القليل كثيرا والصغير عظيما وان كان ما يجرى على الظواهر من الشر ادنى اثر فى القلب فان الله تعالى من غاية لطفه واحسانه لا يؤاخذ العبد به بل يحلم عنه ويتوب عليه ويغفر له كما قال والله غفور حليم كذا فى التأويلات النجمية (للذين يؤلون من نسائهم) الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى لكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن اى للذين يبعدون من نسائهم مولين (تربص اربعة اشهر) اى انتظار هذه المدة واضافته الى الظرف على الاتساع فى الظرف بجريه مجرى المفعول به كما يقال بينهما مسيرة يوم اى مسيرة فى يوم اى لهم ان ينتظروا فى هذه المدة من غير مطالبة بفئ او طلاق والايلاء من الزوجة ان يقول الرجل والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولو حلف على ان لا يطأها اقل من اربعة اشهر لا يكون موليا بل هو حالف اذا وطئها قبل مضى تلك المدة يجب عليه كفارة يمين على الاصح وللايلاء حكمان حكم الحنث وحكم البر فحكم الحنث وجوب الكفارة بالوطئ فى مدة الايلاء ان كان اليمين بالله ولزوم الجزآء من نحو الطلاق او العتاق او النذر المسمى ان كان القسم بذلك وحكم البر وقوع طلقة بائنة عند مضى مدة الايلاء وهى اربعة اشهر ان كانت المنكوحة حرة وان كانت المنكوحة امة الغير تبين بمضى شهرين قال قتادة كان الايلاء طلاقا لاهل الجاهلية وقال سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرار اهل الجاهلية كان الرجل لا يحب امرأته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا فى ابتدآء الاسلام يفعلون ذلك ايضا فازال الله ذلك الضرر عنهن وضرب للزوج مدة يتروى فيها ويتأمل فان رأى المصلحة فى ترك هذه المضارة فعله وان رأى المصلحة فى المفارقة فارقها (فان فاؤا) اى ان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك الجماع (فان الله غفور رحيم) يغفر للمولى بفيئته التى هى كتوبته اثم حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المرأة (وان عزموا الطلاق) اصل العزم والعزيمة عقد القلب على امضاء شئ تريد فعله اى حققوه واكدوه بان ثبتوا فى المدة على ترك القربان حتى مضت المدة (فان الله سميع) لطلاقهم (عليم) بغرضهم فيه والاشارة فى تحقيق الايتين ان يعلم العبد ان الله لا يضيع حق احد من عباده لا على نفسه ولا على غيره فلما تقاصر لسان الزوجة لكونها اسيرة فى يد الزوج فالله تعالى تولى الامر بمراعاة حقها فامر الزوج بالرجوع اليها او تسريحها فاذا كان حق صحبة الاشكال محفوظا عليك حتى لو اخللت به اخذك بحكمه فحق الحق احق بان يجب مراعاته وفى تعيين تربص اربعة اشهر فى الفئ اشارة عجيبة وهى انها مدة تعلق الروح بالجنين كما قال عليه السلام ان احدكم يجمع خلقه اى يحرز ويقر مادة خلقه فى بطن امه اى فى رحمها من قبيل ذكر الكل وارادة الجزء اربعين يوما وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان النطفة اذا وقعت فى الرحم فاراد الله ان يخلق منها تنشر فى بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة فتمكث اربعين ليلة ثم تنزل دما فى الرحم فذلك جمعها ثم تكون علقة وهى قطعة دم غليظ جامد مثل ذلك اربعين يوما ثم تكون مضغة وهى قطعة لحم قدر ما تمضغ مثل ذلك ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ فيه الروح وهذا يدل على ان التصوير يكون فى الاربعين الثالثة ويؤمر باربع كلمات يعنى يؤمر الملك بكتابة اربع قضايا معطوف على قوله تكون علقة لان الكتابة فى الاربعين الثانية يكتب رزقه روى على صيغة المجهول والمعلوم واجله وهو يطلق على مدة الحياة كلها وهو المراد هنا وعلى منتهاها ومنه قوله تعالى فاذا جاء اجلهم وعمله وشقى وهو من وجبت له النار او سعيد وهو من وجبت له الجنة قدم ذكر الشقى لانه اكثر الناس كذا قال القاضى المراد بكتبه هذه الاشياء اظهاره للملك والا فقضاؤه تعالى سابق على ذلك فاذا تمهد هذا فمن وقع له من اهل القصد وقفة او فترة فى اثناء السلوك من ملالة النفس او نفرة الطبع فعلى الشيخ وعلى الاصحاب ان لا يفارقوه فى الحقيقة وان يتعاونوا بالهمم العلية لاستجلابه ويتربصوا اربعة اشهر الرجوع فان فاء الى صدق الطلب ورعاية حق الصحبة واستغفر على ما جرى منه ونفخ فيه روح الارادة مرة اخرى اقبلوا عليه وعفوا عما لديه فان هذا ربيع لا يرعاه الا المهزولون وربع لا يسكنه الا المعزولون ومنهل لا يرده الا اللاهون وباب لا يقرعه الا المالكون بل هذا شراب لا يذوقه الا العارفون وغناء لا يطرب عليه الا العاشقون وان عزموا بعد مضى اربعة اشهر طلاق منكوحة المواصلة واصروا على ذنب المفارقة فلهم التمسك بعروة هذا فراق بينى وبينك فان الله سميع بمقالتهم عليم بحالتهم (قال السعدى) نه مارا درميان عهد ووفا بود * جفا كردى

وبدعهدی نمودی ٭ هنوزت ازسر صلحست بازآی ٭ کزان محبوبتر باشی که بودی ٭قال اوحد المشايخ فی وقته ابوعبدالله الشيرازی رأيت رسول الله صلی الله عليه وسلم فی المنام وهو يقول من عرف طريقا الی الله فسلکه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به احدا من العالمين كذا فی لواقح الانوار القدسية فی مناقب العلماء والصوفية (والمطلقات) المراد بها ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لانه لاعدة علی غير المدخول بها وان عدة من لاتحيض لصغر اوكبر اوحمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرءآن اوشهران واصل التطليق رفع القيد ای المخليات من حبال ازواجهن (يتربصن) خبر فی معنی الامر ای ليتربصن وينتظرن (بانفسهن) الباء للتعدية ای يحملن انفسهن علی التربص ويجعلنها متربصة (ثلاثة قروء) نصب علی الظرفية ای مدة ثلاثة قروء فلا تتزوجن الی انقضائها والقروء جمع قرء وهو من الاضداد فی كلام العرب يقع علی الطهر والحيض والمشهور انه حقيقة فيهما كالشفق اسم للحمرة والبياض جميعا ذهب ابوحنيفة واصحابه الی ان القروء هی الحيض لان الله تعالی جعل الاعتداد بالاشهر بدلا من الاعتداد بالقرء كما قال واللائی يئسن من المحيض من نسائكم فعدتهن ثلاثة اشهر فلما شرع ذلك عند ارتفاع الحيض دل ان الاصل كان هو الحيض وتمسك الشافعی بقوله تعالی فطلقوهن لعدتهن علی ان المراد بالقروء الاطهار لان اللام فی لعدتهن للوقت ووقت العدة لايجوز ان يكون وقت الحيض لانه تعالی امر بالطلاق والطلاق فی وقت الحيض منهی عنه وجوابه ان معناه فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وهی الحيض الثلاث فالطلاق يقع ثم تأخذ المرأة وتشرع فی العدة وليس معنی الاية ان الطلاق واقع فی العدة وفائدة الخلاف بين الشافعی وابی حنيفة ان مدة العدة عند الشافعی اقصر وعند ابی حنيفة اطول حتی لو طلقها فی حال الطهر يحسب بقية الطهر قرأ وان حاضت عقيبه فی الحال فاذا شرعت فی الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند ابی حنيفة مالم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان الطلاق فی حال الطهر اومن الحيضة الرابعة ان كان الطلاق فی حال الحيض لايحكم بانقضاء عدتها (ولايحل لهن ان يكتمن) ای يخفين (ماخلق الله فی ارحامهن) من الحبل والحيض بان تقول المرأة لست بحامل اولست بحائض وهی حائض لتبطيل حق الزوج من الولد والرجعة وذلك اذا ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع وربما اسقطت الحمل خوفا ان يعود ولئلا يشفق علی الولد فيترك تسريحها اوكتمت حيضها استعجالا للطلاق لان الطلاق السنی انما يكون فی الطهر وفيه دليل علی قبول قولهن فی ذلك نفيا واثباتا (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) ای فلا يجترئن علی ذلك فان قضية الايمان بالله واليوم الاخر الذی يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وفيه تهديد شديد علی النساء وليس المراد ان ذلك النهی مشروط بكونها مؤمنة لان المؤمنة والكافرة فی هذا الحكم سواء (وبعولتهن) جمع بعل والبعلة المرأة واصل البعل السيد والمالك سمی الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته كانه مالك لها اورب والتاء فی البعولة لتأنيث الجمع فان الجمع لكونه بمعنی الجماعة فی حكم المؤنث والتاء زائدة لتأكيد التأنيث ودلت تسمية الزوج بعلا بعد طلاقها الصريح ان النكاح قائم والحل ثابت والضمير لبعض افراد المطلقات لان هن عام شامل للمطلقة بالطلاق الرجعی والبائن ولا حق لازواج المطلقات البوائن فی النكاح والرجعة (احق بردهن) الی النكاح والرجعة اليهن (فی ذلك) ای فی زمان التربص فان حق الرجعة انما يثبت للزوج مادامت فی العدة واذا انقضی وقت العدة بطل حق الرد والرجعة وافعل ههنا بمعنی الفاعل والمعنی ان ازواجهن حقيقون بردهن اذ لامعنی للتفضيل هنا فان غير الازواج لاحق لهم فيهن البتة ولا حق ايضا للنساء فی ذلك حتی لو ابت من الرجعة لم يعتد بذلك (ان ارادوا) ای الازواج بالرجعة (اصلاحا) لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن كما كانوا يفعلونه فی الجاهلية كان الرجل يطلق امرأته فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح بصحة فان الرجعة صحيحة وان راجعها اضرارا بها بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرار ثم انه تعالی لما بين ان المقصود من الرجعة اصلاح حالها لا ايصال الضرر اليها بين ان لكل واحد من الزوجين حقا علی الاخر فقال (ولهن) عليهم من الحقوق (مثل الذی) لهم (عليهن بالمعروف) قوله بالمعروف متعلق بما تعلق به لهن من الاستقرار ای استقر لهن بالمعروف ای بالوجه الذی لاينكر فی الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهن ماليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه ووجه المماثلة بين الحقين هو الوجوب واستحقاق

المطالبة لا الاتحاد فی جنس الحقوق مثلا اذا استحقت المرأة علی الزوج المهر والنفقة والمسكن لايستحق هو عليها ايضا جنس هذه الحقوق (وللرجال عليهن درجة) ای زيادة فی الحق وفضل فيه وفضل الرجل علی المرأة فی العقل والدين ومايتفرع عليهما مما لاشك فيه وفضله المناسب بهذا المقام امران الاول كون مايستحق هو عليها افضل وازيد مما تستحق هی عليه فانه مالك لها مستحق لنفسها لاتصوم تطوعا الا باذنه ولاتخرج من بيتها الا باذنه وقادر علی الطلاق فاذا طلقها فهو قادر علی مراجعتها شاءت المرأة اوابت واما المرأة فلا تملك شيأ من هذه الامور وانما حقها فيه المهر والكفاف وترك الضرار والثانی مااشار اليه الزجاج بقوله معناه ان المرأة تنال من الرجل من اللذات المتفرعة علی النكاح مثل ماينال الرجل منها وله الفضيلة عليها بنفقته والقيام عليها فالفضيلة علی هذا فضيلة ماالتزمه فی حقها مما يتعلق بالرحمة والاحسان كالتزام المهر والنفقة والمسكن والذب عنها والقيام بمصالحها ومنعها عن مواقع الآفات عن ابی هريرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله عليه وسلم لوكنت آمرا لاحد ان يسجد لاحد غير الله لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لما عظم الله من حقه عليها قال تعالی الرجال قوامون علی النساء بما فضل الله بعضهم علی بعض وبما انفقوا من اموالهم فكان قيام المرأة بخدمة الرجل آكد وجوبا لهذه الحقوق الزائدة (والله عزيز) يقدر علی الانتقام ممن يخالف احكامه (حكيم) تنطوی شرائعه علی الحكم والمصالح واعلم ان مقاصد الزوجية لاتتم الا اذا كان كل واحد من الزوجين مراعيا حق الاخر مصلحا لاحواله مثل طلب النسل وتربية الولد ومعاشرة كل واحد منهما الاخر بالمعروف وحفظ المنزل وتدبير مافيه وسياسة ماتحت ايديهما الی غير ذلك مما يستحسن شرعا ويليق عادة وفی الحديث جهاد المرأة حسن التبعل يقال امرأة حسنة التبعل اذا كانت تحسن عشرة زوجها والقيام بما عليها فی بيت الزوج وفی الحديث ايما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة كما فی رياض الصالحين ومن الحقوق التزين قال ابن عياض رضی الله عنه انی لاتزين لامرأتی كما تتزين لی لقوله تعالی ولهن مثل الذی عليهن بالمعروف ويقال ان المرأة مثل الحمامة اذا نبت لها جناح طارت كذا الرجل اذا زين امرأته بالثياب فلا تجلس بالبيت وقال رجل مادخل داری شر قط فقال حكيم ومن اين دخلت امرأتك (قال السعدی) دلارام باشد زن نيك خواه ٭ ولی از زن بد خدايا پناه (وقال بعضهم) عصمت زن را بمقام جمال ٭ جلوه حرامست مكر با حلال ٭حكی انه كان فی بنی اسرائيل رجل صالح وكان له امرأة يحبها حبا شديدا فبعث الله اليه ان يسأله ثلاث حوائج فقال لامرأته حوائجی كثيرة لاادری مااعمل فقالت امرأته اسأل حاجة لی وحاجتين لك قال ماتريدين قالت اسأل ربك ان يصيرنی فی صورة ماكان صورة احسن منها واجمل فسأل ربه فاضاء البيت من حسنها وجمالها فقامت لتخرج من بيتها فقال زوجها الی اين تذهبين قالت الی بعض السلاطين انا لا اضيع حسنی وجمالی بمثلك ومنع الزوج خروجها ثم بلغ الخبر الی بعض السلاطين فجاء اعوانه واخذوها من زوجها جبرا فقال الرجل اللهم بقی لی عندك حاجتان اجعلها قردة فمسخها الله تعالی قردة فردها الملك من عنده فجاءت الی زوجها ثم قال الرجل اللهم ردها كما كانت اولا وذهبت الحوائج كلها عبثا لاهی افلحت ولاهو والاشارة ان المطلقات لما امرن بالعدة وفاء لحق الصحبة وان كان الانقطاع من الزوج لامن الزوجة امرن ان لايفين غير مقامه بالسرعة ويصبرن حتی يمضی مقدار من المدة الی آخر القصة وكانها دلالات علی وفاء الربوبية فی رعاية العبودية فان الله تعالی من كمال كرمه يرخی زمام الفضل بالاصطناع وان كان من العبد الفصل والانقطاع ويمهل العبد الی انقضاء عدة الجفاء ولايعرض عنه سريعا لاقامة شرط الوفاء لعل العبد فی مدة العدة يتنبه من نوم الغفلة وتتحرك داعيته فی ضمير قلبه من نتايج محبة ربه وان ابتلاه بمحنة الفرقة فيقرع باصبع الندامة باب التوبة ويقوم علی قدم الغرامة فی طلب الرجعة والاوبة فيقال من كمال الفضل والنوال يا قارع الباب دع نفسك وتعال من طلب منا فلا حافيلزم عتبتنا مساء وصباحا (الطلاق) ای التطليق الرجعی المتقدم ذكره الذی قال تعالی فيه وبعولتهن احق بردهن (مرتان) ای دفعتان وذلك لايكون الا علی سبيل التفريق فان من اعطی الی آخر درهمين لم يجز ان يقال اعطاه مرتين حتی يعطيه اياهما دفعتين فالجمع بين الطلقتين والثلاث فی الايقاع حرام عند ابی حنيفة رحمه الله الا انه سنی الوقوع لاسنی الايقاع فالطلاق الذی يثبت فيه للزوج حق المراجعة هو ان يوجد طلقتان فقط واما بعد الطلقتين بان طلق ثلاثا فلا يثبت للزوج حق الرجعة البتة ولاتحل له المرأة

الا بعد زوج آخر ثم قوله الطلاق مرتان وان كان ظاهره الخبر فان معناه الامر لان حمله على ظاهره يؤدى
الى وقوع الخلف فى خبر الله تعالى لانه قد يوجد ايقاع الطلاق على وجه الجمع ولا يجوز الخلف فى خبر الله فكان
المراد منه الامر كانه قيل طلقوهن مرتين اى دفعتين (فامساك) اى فالحكم بعد هاتين الطلقتين امساك لهن
(بمعروف) وهو ان يراجعها الا على قصد المضارة بل على قصد الاصلاح وحسن المعاشرة (او تسريح) اى تخلية
(باحسان) بان يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة ومعنى الاحسان فى التسريح انه اذا تركها ادى اليها
حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وجملة الحكم فى هذا الباب ان الحر اذا طلق
زوجته طلقة او طلقتين بعد الدخول بها يجوز له ان يراجعها من غير رضاها مادامت فى العدة وان لم يراجعها
حتى تنقضى عدتها او طلقها قبل الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها فان طلقها
ثلاثا فلا تحل له مالم تنكح زوجا غيره واما العبد اذا كانت تحته امة فطلقها طلقتين فانها لا تحل له الا بعد نكاح
زوج آخر والاعتبار بالمرأة فى عدد الطلاق عند ابى حنيفة رحمه الله فيملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلقات
ولا يملك الحر على زوجته الامة الا طلقتين (ولا يحل لكم) روى ان جميلة بنت عبد الله بن ابى بن سلول كانت
تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله عليه السلام وقالت لا انا ولا ثابت ولا يجمع رأسى ورأسه شئ
والله ما اعيبه فى دين ولا خلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل
فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها اى سماها
ثابت صداقا لها يعنى لما قالت جميلة ما قالت قال ثابت يارسول الله مرها فلترد على الحديقة التى اعطيتها فقال
عليه السلام لها ما تقولين قالت نعم وازيده فقال عليه السلام لا حديقته فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها
وخل سبيلها ففعل وكان ذلك اول خلع فى الاسلام والخطاب فى لكم مع الحكام ليطابق قوله تعالى فان خفتم
فانه خطاب مع الحكام والحكام وان لم يكونوا آخذين ومؤتين حقيقة الا انهم هم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء
عند الترافع اليهم فكانهم هم الذين يأخذون ويؤتون (ان تأخذوا مما آتيتموهن) اى تاخذوا منهن بمقابلة
الطلاق ما اعطيتموهن من المهور (شيأ) اى نزرا يسيرا فضلا عن استرداد الكثير (الا ان يخافا) اى الزوجان
(الا يقيما حدود الله) اى الا ان لا يراعيا مواجب الزوجية قوله الا ان يخافا استثناء مفرغ وان يخافا محله
النصب على انه مفعول من اجله مستثنى من العام المحذوف تقديره ولا يحل لكم ان تاخذوا بسبب من الاسباب
الا بسبب خوف عدم اقامة حدود الله (فان خفتم) ايها الحكام (الا يقيما حدود الله) اى الحقوق التى اثبتها
النكاح وذلك بمشاهدة بعض الامارات والمخايل (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) اى فيما اعطته المرأة من بدل
الخلع لا على الزوج فى اخذ ما فدت به نفسها ولا عليها فى اعطائه اياه هذا اذا كان النشوز من قبل المرأة لانها
ممنوعة عن اتلاف المال بغير حق اما اذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له ان يأخذ شيأ مما آتاها لقوله تعالى
فلا تأخذوا منه شيأ ولا يضيق عليها ليلجئها الى الافتداء فان ذلك منهى عنه قال تعالى فى سورة النساء
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن وعموم قوله تعالى فيما افتدت به يشعر بجواز المخالعة على قدر المقبوض
من الزوج وعلى الازيد والاقل وعليه جمهور الفقهاء ثم ان ظاهر الاية انه لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف
وجمهور المجتهدين على جوازه فى حالة الخوف وفى غير حالة الخوف فلا بد حينئذ ان يجعل قوله الا ان يخافا
استثناء منقطعا كما فى قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ اى لكن ان قتل خطأ فدية مسلمة الى
اهله قال البغوى ويجوز الخلع فى غير حال النشوز غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق (تلك) اى الاحكام المذكورة (حدود الله) اوامره
ونواهيه (فلا تعتدوها) اى لا تتجاوزوا عنها بالمخالفة والرفض (ومن يتعد حدود الله فاولئك) المتعدون
(هم الظالمون) اى لانفسهم بتعريضها لسخط الله وعقابه اعلم ان المرأة اذا برئت من مواقع الخلل واتصفت
بالعفة فعلى الزوج ان يعاشرها بالمعروف ويصبر على سائر اوضاعها وسوء خلقها ويتأدب باداب النبى صلى الله
عليه وسلم وكان عليه السلام يحسن المعاشرة مع ازواجه المطهرة فحسن معاشرتهن والصبر عليهن مما يحسن
الاخلاق فلا جرم يعد الصابر من المجاهدين فى سبيل الله وروى ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته
الى ان ماتت وعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبى قال فرأيت فى المنام بعد جمعة من وفاتها

كان ابواب السماء قد فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون فى الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما نظر الى واحد منهم
يقول لمن وراءه هذا هو المشئوم فيقول الاخر نعم ويقول الثالث كذلك فخفت ان اسألهم الى ان مر بى آخرهم
فقلت له من هذا المشئوم فقال انت قلت ولم قال كنا نرفع عملك مع اعمال المجاهدين فى سبيل الله تعالى فمنذ جمعة
امرنا ان نضع عملك مع المخالفين فلا ندرى ما احدثت فقال لاخوانه زوجونى فلم يكن يفارقه زوجتان او ثلاث
(قال الكاشفى) مردى كان مبركه بزورست وپردلى * بانفس اكر جهاد كنى مرد كاملى *
ولا يتيسر هذا الا لواحد بعد واحد كما قيل وللحروب رجال وان انت تريد الطلاق فطلق نفسك (كما قيل)
هركه زن نفس شوم راداد طلاق * جفتش نبود بزير اين نيلى طاق * ازمزبلهٔ نفس قدم بيرون نه *
تا روحت كند نسيم وصل استنشاق * ومادام عجوز نفسك تشوش باطنك وتخرب بيت قلبك فالعروس
التى هى تجلى الروح لا تتراءى من وراء نقاب السر ولا تجيء بيت مشاهدتك رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد
طوره والاشارة فى الاية ان اهل الصحبة لا يفارقون بجريمة واحدة صدرت من الرفيق الشفيق والصديق
الصدوق ولا بجريمتين بل يتجاوزون مرة او مرتين وفى الثالثة فامساك بمعروف او تسريح باحسان اما صحبة
جميلة او فرقة جميلة كما تجاوز الخضر عن موسى عليهما السلام مرتين وفى الثالثة قال هذا فراق بينى وبينك
واما الصحبة من غير تعظيم وحرمة وذهاب لذة العمر بالاخلاق الذميمة واضاعة الوقت فى تحصيل المقت فغير
مرضية فى الطريقة ولا محمودة فى الشريعة بل قاطعة طريقة الحق وليس لاهل الصحبة اذا اتفقت المفارقة
ان يستردوا خواطرهم عن الرفقاء بالكلية ويقطعوا رحم الاخوة فى الدين ويأخذوا عنهم قلوبهم بعد ما آتوهم
الهمم العلية فان العائد فى هبته كالعائد فى قيئه الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فى رعاية حقوق الصحبة فان
خفتم الا يقيما حدود الله بان تؤدى الى مداهنة او اهمال فى حق حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به
من الحظوظ لرعاية الحقوق تلك حدود الله من الحظوظ والحقوق فلا تعتدوها بترك الحقوق لنيل الحظوظ كذا
فى التأويلات النجمية قدس الله تعالى نفسه الزاكية القدسية (فان طلقها) اى بعد الطلقتين السابقتين
(فلا تحل) تلك المرأة (له) لزوجها (من بعد) اى من بعد الطلقة الثالثة لا بطريق الرجعة ولا بتجديد العقد
(حتى تنكح) تتزوج تلك المرأة (زوجا غيره) اى غير المطلق ويسمى الاجنبى زوجا لانه بالعقد يصير زوجا فسماه
باسم العاقبة والنكاح هنا العقد دون الوطئ وبه اخذ سعيد بن المسيب واللفظ يشهد له لا يقال حتى تطأ المرأة
الزوج فان المرأة موطوءة لا واطئة فالاية وان كانت مطلقة لانها انما تدل على ان عدم حلها له يمتد الى ان تتزوج
بزوج آخر وينعقد بينهما عقد النكاح من غير تقييد ذلك العقد بكونه مؤديا الى جماع الزوج الثانى لكنها مقيدة
بالسنة فالاجماع على اشتراط الاصابة لما روى ان امرأة رفاعة جاءت النبى عليه السلام فقالت ان رفاعة
طلقنى فبت طلاقى اى قطعه حيث طلقنى ثلاثا وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وان ما معه اى ذكره ليس
باغنى عنى من هذه اى الهدبة واخذت من جلبابها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين
ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم فقال لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك والمراد بالعسيلة الجماع شبه لذة
الجماع بالعسل (فان طلقها) اى الزوج الثانى بعد الدخول بها (فلا جناح عليهما) اى لا اثم على الزوج الاول
والمرأة (ان يتراجعا) اى يرجع كل منهما الى صاحبه بعقد جديد (ان ظنا ان يقيما حدود الله) اى ان كان
فى ظنهما انهما يقيمان حدود الله اى ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية ولم يقل ان علما لان العواقب غير
معلومة والانسان لا يعلم ما فى الغد وانما يظن ظنا (وتلك) اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا (حدود الله)
اى احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة (يبينها) بهذا البيان (لقوم يعلمون) اى يفهمون
ويعملون بمقتضى العلم وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان والجاهل اذا
بين له لا يحفظ ولا يتعاهد * نكته كفتن پيش كر فهمان زحكمت بيكمان * جوهرى چند از جواهر ريختن
پيش خرست * ثم ان الحكمة فى اشتراط اصابة الزوج الثانى فى التحليل وعدم كفاية مجرد العقد فيه الردع
عن المسارعة الى الطلاق فان الغالب ان يستنكر الزوج ان يستفرش زوجته رجل آخر وهذا الردع انما يحصل
بتوقف الحل على الدخول واما مجرد العقد فليس منه زيادة نفرة وتهييج غيرة فلا يصلح توقف الحل عليه رادعا
وزاجرا عن التسرع الى الطلاق والنكاح المعقود بشرط التحليل وهو ان يشترط فى النكاح ان يقتصر على قدر

التحليل ولايستدبم زوجيتها فاسد عند الاكثر وجائز عند ابى حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وفى شرح الزيلعى لوخافت المرأة المطلقة ثلاثا ان لايطلقها المحلل فقالت زوجتك نفسى على ان امرى بيدى اطلق نفسى كلما اردت فقبل جاز النكاح وصار الامر بيدها وفيه ايضا ومن لطائف الحيل فيه ان تزوج المطلقة من عبد صغير تتحرك آلته ثم تملكه بسبب من الاسباب بعد ماوطئها فيفسخ النكاح بينهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له المحلل بكسر اللام والمراد به الزوج الثانى والمحلل له بفتح اللام والمراد به الزوج الاول فان قلت ما معنى لعنهما قلت معنى اللعن على المحلل لانه نكح على قصد الفراق والنكاح شرع للدوام وصار كالتيس المستعار والتيس هو الذكر من الغنم وقد يستعيره الناس لاستيلاد الغنم واللعن على المحلل له لانه صار سببا لمثل هذا النكاح والمتسبب شريك المباشر فى الاثم والثواب او المراد من اللعن اظهار خساستهما اما خساسة المحلل فلمباشرته مثل هذا النكاح بدليل قوله عليه السلام الا انبئكم بالتيس المستعار واما خساسة المحلل له فلمباشرة ماينفر عنه الطبع السليم من عودها اليه بعد مضاجعة غيره اياها واستمتاعه بها لاحقيقة اللعن اذ هو الاليق بمنصب الرسالة فى حق الامة لانه عليه السلام لم يبعث لعانا والاشارة فى الاية ان اهل الصحبة لما تجاوزوا عن زلة الاخوان مرة ومرتين ثم فى الثالثة ان سلكوا طريق الهجران وخرجوا عن مصاحبة الاخوان فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى يصاحب الخائن صديقا مثله فان ندم بعد ذلك على افعاله وسئم عن ذلك الصديق وامثاله وترك صحبته وخرج عن خصاله ورجع الى صحبة اخوانه واشكاله فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما شرائط العبودية والصحبة فى الله وتلك طرق قربات الله والسائرين الى الله يبينها بالتصريح والتعريض والعبارات والاشارات لقوم يعلمون المعاريض ويفهمون الاشارات كذا فى التأويلات النجمية قال احمد بن حضرويه الطريق واضح والدليل لايح والداعى قد اسمع فما التحير بعد هذا الا من العمى (قال الحافظ) وصل خرشيد بشبيرة اعمى نرسد * كه درين آينه صاحب نظران حيرانند (واذا طلقتم النساء) اى نساءكم (فبلغن اجلهن) اى آخر عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد حقيقة انقضاء العدة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها بالمعروف نزلت فى رجل من الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد مضارتها (فامسكوهن بمعروف) اى راجعوهن من غير طلب اضرارهن بالرجعة والمعروف ما الفته العقول واستحسنته النفوس شرعا وعرفا وعادة والمراد به هنا حسن المعاشرة (او سرحوهن بمعروف) او خلوهن حتى تنقضى عدتهن من غير تطويل (ولا تمسكوهن ضرارا) اى ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن بتطويل العدة والحبس على ان يكون انتصاب ضرارا على العلة او مضارين على الحال فان قلت لا فرق بين قوله امسكوهن بمعروف وبين قوله لا تمسكوهن ضرارا لان الامر بالشئ نهى عن ضده فما الفائدة فى التكرار قلت ان الامر لا يفيد التكرار ولا يدل على كون امتثال المأمور به مطلوبا فى كل الاوقات فدل لا تمسكوهن على المبالغة فى التوصية بالامساك بالمعروف لدلالته على ان الامساك المذكور مطلوب منه فى جميع الاوقات (لتعتدوا) متعلق بضرارا اذ المراد تقييده اى لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء (ومن يفعل ذلك) اى ما ذكر من الامساك المؤدى الى الظلم (فقد ظلم نفسه) فى ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب (ولا تتخذوا آيات الله) المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهى داخلة فيها دخولا اوليا (هزؤا) اى مهزوا بها بالاعراض عنها والتهاون فى العمل بما فيها والنهى كناية عن الامر بضده لان المخاطبين مؤمنون ليس من شأنهم الهزؤ بآيات الله اى جدوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها (قال الحكيم السنائى) دانشت هست وكار بستن كو * خنجرت هست وصف شكستن كو * ولما رغبهم فى رعاية التكاليف والعمل بها بالتهديد على اتهاونهما اكد ذلك امر بذكر نعم الله عليهم بان يشكروها ويقوموا بحقوقها فقال (واذكروا نعمة الله) كائنة (عليكم) حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية اى قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها وقيل واذكروا انعام الله عليكم بان خلقكم رجالا وجعل لكم ازواجا تسكنون اليها وجعل النكاح والطلاق والرجعة بايديكم ولم يضيق عليكم كما ضيق على الاولين حين احل لهم امرأة واحدة ولم يجوزوا لهم بعد موت المرأة نكاح اخرى (وما انزل عليكم) عطف على نعمة الله اى وما انزله

الله

الله عليكم (من الكتاب والحكمة) اى القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما (يعظكم به) اى بما انزل عليكم حال من فاعل انزل وهو ضمير انزل اى اذكروا نعمة الله وما انزله عليكم واعظا به لكم ومخوفا (واتقوا الله) فى شأن المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة (واعلموا ان الله بكل شئ عليم) فلا يخفى عليه شئ مما تأتون وما تذرون فيؤاخذكم بافانين العذاب والاشارة فى الاية ان الاذية والمضارة ليست من الاسلام ولا من آثار الايمان ولا من شعار المسلمين عموما كما قال عليه السلام المؤمن من امنه الناس وقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ويتضمن حسن المعاشرة مع الخلق جميعا فاما الزوجان ففيهما خصوصية بالامر بحسن المعاشرة معهن وترك اذيتهن والمغايظة معهن على وجه اللجاج فاما تخلية سبيل من غير جفاء او قيام بحق الصحبة على شرائط الوفاء بلا اعتداء ومن يفعل ذلك اى من الاذية والمضارة والاعتداء بالجفاء فقد ظلم نفسه لان الله تعالى يجازى الظالم والمظلوم يوم القيامة بان يكافئ المظلوم من حسنات الظالم ويجازى الظالم من سيئات المظلوم والظالم اذا اساء الى غيره صارت نفسه مسيئة واذا احسن صارت نفسه محسنة فترجع اساءة الظالم الى نفسه لا الى نفس غيره حقيقة فانه ظلم نفسه لا غيره ولهذا قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها (قال السعدى) مكن تا توانى دل خلق ريش * وكر ميكنى ميكنى بيخ خويش * ولا تتخذوا آيات الله هزؤا اى تلاوة ظاهرها من غير تدبر معانيها وتفهم اشاراتها وتحقق اسرارها وتتبع حقائقها والتنور بانوارها والاتعاظ بمواعظها وحكمها يقال ان الوعظ كالشاهين فانما يقع على الحى لا على الميت فمن مات قلبه ونعوذ بالله من ذلك لم يتأثر بالمواعظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم على بينة من ربكم يعنى على بيان قد بين لكم طريقكم ما لم تظهر فيكم السكرتان سكرة العيش وسكرة الجهل روى انه ضلت راحلة الحسن البصرى فى طريق الحج فلقيه صبى فسأله فعرفها فلما وجد الراحلة سأله الصبى يا شيخ ما تأكل وما تلبس قال آكل خبز الشعير والبس الصوف لاكسر شهوتى بهما قال الصبى كل ما شئت والبس كذلك بعد ان يكونا حلالين قال واين تبيت قال فى الخص وهو بيت من القصب قال لا تظلم وبت حيث شئت فقال الحسن لولا صبائك لكسبت منك ما تكلمت به فتبسم الصبى وقال ارا تغافلا اخبرتك بالدنيا فقبلت واخبرتك بالدين فتأنف من كلامى ارجع الى منزلك فلا حج لك (قال السعدى) مرد بايدكه كيرد اندر كوش * ورنوشته است پند بر ديوار * (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) اى استوفين عدتهن فالبلوغ هنا عبارة عن حقيقة الانتهاء لان المذكور بعده النكاح ولا يكون ذلك الا بعد انقضاء العدة (فلا تعضلوهن) العضل المنع والحبس والتضييق والمخاطب بالخطاب الاول هو الازواج وبالثانى هو الاولياء لما روى ان الاية نزلت فى معقل بن يسار حين منع اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول البداح عبيد الله بن عاصم فانه جاء يخطبها بعد انقضاء العدة وارادت المرأة الرجوع فلما سمع معقل الاية قال ارغم انفى وازوج اختى واطيع ربى فالمعنى اذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء وهذا وان كان مما لا يخفى ركاكته الا ان جملة الخلائق من حيث حضورهم فى علمه تعالى لما كانت بمثابة جماعة واحدة صح توجيه احد الخطابين الواقعين فى كلام واحد الى بعض وتوجيه الخطاب الآخر الى البعض الآخر ولعل التعريض لبلوغ الاجل مع جواز تزوج الاول قبله ايضا لدفع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمرأة ان تزوج نفسها والا لا احتيج الى نهى الاولياء عن العضل لما ان النهى لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة وقيل الخطاب للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن من شئن من الازواج ظلما وقسرا واتباعا لحمية الجاهلية (ان ينكحن) اى لا تمنعوهن من ان يتزوجن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن (ازواجهن) ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فبالاعتبار الاخير على معنى ان ينكحن انفسهن ممن شئن ان يكون ازواجا لهن (اذا تراضوا) اى الخطاب والنساء ظرف لقوله ان ينكحن اى ان ينكحن وقت التراضى (بينهم) ظرف للتراضى مفيد لرسوخه واستحكامه (بالمعروف) حال من فاعل تراضوا اى اذا تراضوا ملتبسين بالمعروف من العقد الصحيح والمهر الجائز والتزام حسن المعاشرة وشهود عدول والمعروف ما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفؤ وبما دون مهر المثل ليس من باب العضل (ذلك) اشارة الى ما مضى ذكره اى الامر الذى تلى عليكم من ترك العضل ايها الاولياء

اوالازواج وتوحيد كاف الخطاب مع كون المخاطب جمعا اما على تأويل القبيل اوكل واحد اولكون الكاف لمجرد توجيه الكلام الى الحاضر مع قطع النظر عن كونه واحدا اوجمعا (يوعظ به) اى ينهى ويؤمر به (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) لانه المتعظ به والمنتفع (ذلكم) اى الاتعاظ به والعمل بمقتضاه (ازكى لكم) انمى لكم وانفع من زكا الزرع اذا نما فيكون اشارة الى استحقاق الثواب (واطهر) من ادناس الآثام واوضار الذنوب والمفضل عليه محذوف للعلم اى من العضل (والله يعلم) مافيه من النفع والصلاح والتفصيل (وانتم لاتعلمون) لقصور علمكم فان المكلف وان كان يعلم وجه الصلاح فى هذه التكاليف على سبيل الاجمال الا ان التفصيل غير معلوم له واما الله تعالى فانه العالم بتفاصيل الحكم فى كل ما امر به ونهى عنه وبينه لعباده بروعلم يك ذره پوشيده نيست * كه پنهان وپيدا بنزدش يكيست قد عوا رأيكم وامتثلوا امره تعالى ونهيه فى كل ماتأتون وماتذرون وذلك كما ان الوالد يحمى ولده عن بعض الاطعمة صونا له عن انحراف مزاجه فذلك محض اصلاح له لما انه يعلم مالايعلمه فقد وعظنا الله تعالى فى الكتاب بكل ماهو خير وصواب ونهانا عن كل مايؤدى الى هلاك وتباب ولكن سماع النصيحة لايتيسر الا لاولى الالباب كما قال الامام الغزالى قدس سره العالى النصيحة سهل والمشكل قبولها لانها فى مذاق متبع الهوى مر اذ المناهى محبوبة فى قلوبهم قالواعظ انما ينفع المؤمن الحقيق وهو ما وصفه الله فى كتابه فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه السعيد من وعظ بغيره ومثالكم فى استماعكم ماقيل ان رجلا اصطاد طيرا فقال له لاتذبحنى فاى فائدة لك بل خلنى واعلمك ثلاث حكم تنفعك كلها الاول لاتترك الفائدة المعلومة بالمظنونة والثانى لاتصدق الشئ المستحيل والثالث لاتمدن يدك الى مالم تبلغه فلما خلاه وطار قال يامدبران فى حوصلتى جوهرة كبيرة لواستخرجتها افزت فاخذ يدنو منه والطير يتباعد عنه فقال يااحمق ما اسرع مانسيت الحكم تركت الفائدة المعلومة بالمظنونة حيث خليتنى والآن تمد يدك الى مالم تنل وصدقتنى فى المستحيل فان حوصلتى لاتسع الاحبة اوحبتين فكيف يحتمل فيها الجوهرة الكبيرة فكذلك انتم فى استماعكم روى ان شقيق البلخى قدس سره كان تاجرا فى اول امره يتجر فى بلاد النصارى فقال له امير النصارى فى اى مدة تجئ وتذهب فقال اجئ فى ثلاثة اشهر واشترى السلع فى ثلاثة واذهب فى ثلاثة وابيع السلع فى ثلاثة فقال الملك فهذه الشهور السنة فما تعبد ربك فتأثر قلبه من هذا الكلام فقام عن التجارة واشتغل بالعبادة فان كان التوفيق رفيق عبد لايزال يقطع المسافات وان مسه الافات الى ان يصل الى المقصود واذا وكل الى نفسه لايفيده ملام ولايؤثر فيه كلام ومن النصائح التى نصح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم امته قوله عليه السلام علامة اعراض الله عن العبد اشتغاله بما لايعنيه وان امرأ ذهبت ساعة من عمره فى غير ماخلق له لجدير ان تطول عليه حسرته ومن جاوز الاربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار وفى هذه النصيحة كفاية لاهل العلم (قال السعدى) بكوى آنچه دانى سخن سودمند * وگر هيچ كس را نيايد پسند * كه فردا پشيمان برارد خروش * كه آوخ چرا حق نكردم بگوش * اللهم اجعلنا من المتعظين بمواعظ كلمك (والوالدات) اى جميع الوالدات مطلقات كن اومزوجات لان اللفظ عام وماقام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه (يرضعن) خبر فى معنى الامر اى ليرضعن والرضع مص الثدى للبن (اولادهن) جمع ولد وهو المولود ذكرا كان اوانثى ومعنى الامر الندب ووجه الندب ان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من سائر الالبان وان شفقة الام اتم من شفقة غيرها ثم ان حكم الندب انما هو على تقدير ان لايضطر الولد الى لبن امه اما اذا بلغ حالة الاضطرار بان لايوجد غير الام اولايرضع الطفل الامنها اوعجز الوالد عن الاستيجار فحينئذ يجب عليها الارضاع عند ذلك كما يجب على كل احد مواساة المضطر فى الطعام واعلم ان حق الارضاع لهن الى ان يتزوجن بغير آباء الاولاد ان كانت مطلقات لانهن يشتغلن بخدمة الازواج فلا يتفرغن لحضانتهم على الوجه الاليق ولان الربيب يتضرر بالراب فانه ينظر اليه شزرا وينفق عليه نزرا (حولين) سنتين اصله من حال الشئ يحول اذا انقلب والحول منقلب من الوقت الاول الى الثانى (كاملين) تامين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه فيقال اقمت عند فلان حولين بمكان كذا وانما اقام فيه حولا وبعض الحول (لمن اراد ان يتم الرضاعة) بيان للذى توجه اليه حكم الارضاع كانه قيل هذا الحكم لمن فقيل لمن اراد ان يتم الرضاعة ومن يحتمل ان يراد بها الوالدات فقط اوهن والاباء معا واعلم ان مدة الرضاع عند ابى حنيفة

حولان ونصف وعندهما حولان فقط استدلالا بهذه الاية ولايباح الارضاع بعد هذا الوقت المخصوص على الخلاف لان اباحته ضرورية لانه جزء الادمى فيتقدر بقدر الضرورة وقال ابو حنيفة هذه الاية محمولة على مدة استحقاق الاجرة فان الاجماع على ان مدة الرضاع فى استحقاق اجر الرضاع على الاب مقدر بحولين حتى ان الاب لايجبر على اعطاء اجرة بعد الحولين قال تعالى فان ارادا فصالا عن تراض الاية ولو حرم الرضاع بعد الحولين لم يكن لقوله عن تراض منهما وتشاور فائدة فالرضاع الذى ثبت به الحرمة هو مايكون فى ثلاثين شهرا عنده ولايحرم مايكون بعدها وعندهما هو مايكون فى الحولين ولايحرم مايكون بعد الحولين وهو مذهب الشافعى ايضا ثم ان اتمام الحولين غير مشروط عند ابى حنيفة للاية اى لان فى قوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة دلالة على جواز النقص ولو ارادت التكميل لها مطالبة النفقة واذا نقصت من غير اضرار لاتجبر على الكمال يعنى اذا فطم قبل مضى العدة واستغنى بالطعام لم تكن رضاعا وان لم يستغن يثبت به الحرمة وهو رواية عن ابى حنيفة وعليه الفتوى ذكره الزيلعى ثم انه تعالى كما وصى الام برعاية جانب الطفل فى قوله والوالدات الخ وصى الاب برعاية جانب الام حتى تتقوى على رعاية مصلحة الطفل فامره بان يرزقها ويكسوها بالمعروف سوآء كان ذلك المعروف محدودا بشرط وعقد وقد يكون غير محدود الامن جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها من طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة فقال (وعلى المولود له) اى وعلى الذى يولد له وهو الوالد وانما لم يقل على الوالد ليعلم ان الاولاد للاباء لان الزوجة انما تلد الولد للزوج ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات روى ان المأمون بن الرشيد لما طلب الخلافة عابه هشام بن على فقال بلغنى انك تريد الخلافة وكيف تصلح لها وانت ابن امة فقال كان اسماعيل عليه السلام ابن امة واسحق ابن حرة فاخرج الله من صلب اسماعيل خير ولد آدم صلى الله عليه وسلم وانشد

لاتزرين بفتى من ان يكون له * ام من الروم اوسوداء دعجاء

فانما امهات الناس اوعية * مستودعات وللابناء آباء

مكن زينهارا اصل عود چوپست * به بين دورش چه مستثنى وخوبست (رزقهن وكسوتهن) اى رزق الامهات اذا ارضعن اولادهم ولباسهن وكذا اجر الرضاع للاظئار لانهن يحتجن الى مايقمن به ابدانهن لان الولد انما يغتذى باللبن وانما يحصل لها ذلك بالاغتذاء وتحتاج هى الى التستر فكان هذا من الحوائج الضرورية (بالمعروف) حسبما يراه الحاكم ويفى به وسعه فان قيل اذا كانت الزوجية باقية فهى مستحقة للنفقة والكسوة بسبب النكاح سوآء ارضعت الولد اولم ترضعه فما وجه تعلق هذا الاستحقاق بالارضاع قلنا النفقة والكسوة تجبان فى مقابلة التمكين فاذا اشتغلت بالحضانة والارضاع لم تتفرغ لخدمة الزوج فربما يتوهم متوهم ان نفقتها وكسوتها تسقطان بالخلل الواقع فى خدمة الزوج فقطع الله ذلك الوهم بايجاب الرزق والكسوة وان اشتغلت المرأة بالارضاع هذا ماقال الواحدى فى البسيط (لاتكلف نفس الا وسعها) التكليف الالزام ومعنى تكلف الامر اى اظهار اثره وقوله وسعها مفعول ثان لان كلف يتعدى الى اثنين كانه قيل لم لم تجب مؤنة الامهات على انفسهن ولم قيدت تلك المؤن بكونها بالمعروف فاجيب بانهن غير قادرات على الكسب لضعف بنيتهن واحتباسهن لمنفعة الازواج فلو اوجب مؤنهن على انفسهن لزم تكليف العاجز وكذا لو اوجب تلك المؤن على الازواج على خلاف المعروف (لاتضار والدة بولدها) نهى اصله لاتضارر بكسر الراء الاولى فتكون المرأة هى الفاعلة او بفتح الراء الاولى فتكون المرأة هى المفعول بها الضرار وعلى الاول يكون المعنى لاتفعل المرأة الضرار بالاب بولدها اى بسبب ايصال الضرر الى الولد وذلك بان تمتنع المرأة من ارضاعه مع ان الاب يوسع عليها فى النفقة والكسوة فتلقى الولد عليه (ولا مولود له بولده) اى لايفعل الاب الضرار بالام بان ينزع الولد عنها مع رغبتها فى امساكه وشدة محبتها له وعلى الوجه الثانى لايفعل الاب الضرار بالام بان ينزع الولد منها ولا مولود له بولده اى ولاتفعل الام الضرار بالاب بان تلقى الولد عليه والمعنيان يرجعان الى شئ واحد وهو ان يغيظ احدهما صاحبه بسبب الولد واضافة الولد الى كل منهما الاستعطافهما اليه لانه ليس باجنبى من كل واحد منهما فالحق ان يشفق عليه كل منهما وللتنبيه على انه جدير بان يتفقا على استصلاحه ولاينبغى ان يضرا به اويتضارا بسببه (وعلى الوارث) وهو الذى لو مات الصبى ورثه اى وارث الصبى عند عدم الاب ممن كان ذا رحم محرم منه بحيث لايجوز النكاح على تقدير ان يكون احدهما ذكرا والآخر انثى لا كل وارث سوآء كان ذا رحم محرم منه اولم يكن وسوآء كان من الرجال او النساء

(مثل ذلك) اى مثل ماوجب على الاب من الرزق والكسوة واجر الرضاع ونفقة المحارم تجب عندنا بهذه الاية
(فان ارادا) اى الوالدان (فصالا) وهو الفطام سمى فصالا لانه انما يكون بفصل الطفل عن الاغتذآء بلبن امه
الى غيره من الاقوات اى فطاما للصغير عن الرضاع قبل تمام الحولين صادرا (عن تراض منهما) اى من الوالدين
لامن احدهما فقط لاحتمال اقدامه على مايضر بالولد بان تمل المرأة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وربما
يضر الفطام بجسمه بقطع غذآئه قبل وقت فصاله (وتشاور) فى شان الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما
على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهى استخراج الرأى من المستشار وانما اعتبر اتفاق الوالدين
لما فى الاب من الولاية وفى الام من الشفقة وهى اعلم بحال الصبى (فلاجناح عليهما) فى ذلك ولاحرج لما ان
تراضيهما انما يكون بعد استقرار رأيهما واجتهادهما فى ان صلاح الولد فى الفطام وقلما يتفقان على الخطأ
فالحاصل سوآء زادا على الحولين الى ثلاثين شهرا اونقصا فلاجناح عليهما فى ذلك بعد انجرار رأيهما الى ماهو
خير للصبى (وان اردتم) ايها الاباء (ان تسترضعوا) المراضع (اولادكم) فالمفعول الاول محذوف واسترضع
يتعدى الى اثنين بنفسه يقال رضع الولد امه وارضعت المرأة ولدها واسترضعتها الولد وقيل يتعدى الى الثانى
بحرف الجر والتقدير لاولادكم اى اذا طلبتم ان تأخذوا ظئرا لارضاع اولادكم (فلاجناح عليكم) اى
لااثم عليكم فى الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد ويمنع الام من الارضاع (اذا سلمتم)
اى الى المراضع (ما آتيتم) اى ما اردتم ايتاءه كما فى قوله تعالى فاذا قرأت القرءآن فاستعذ بالله (بالمعروف)
متعلق بسلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى
ماهو الاليق والاولى فان المراضع اذا اعطين ماقدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل فى اصلاح شؤن الاطفال
وقيل المراد من المعروف ان يكون الاجر من الحلال لان المرضع اذا اكلت الحلال كان اللبن انفع للصبى واقرب
الى صلاحه قالوا العادة جارية ان من ارتضع امرأة فالغالب عليه اخلاقها من خير وشر ولذا قيل انه ترضعه
امرأة صالحة كريمة الاصل فان لبن المرأة الحمقاء يسرى واثر حمقها يظهر يوما ما وفى الحديث الرضاع يغير الطباع
ومن ثمة لما دخل الشيخ ابن محمد الجوينى بيته ووجد ابنه الامام ابا المعالى يرتضع ثدى غير امه اختطفه منها
ثم نكس رأسه ومسح بطنه وادخل اصبعه فى فيه ولم يزل يفعل ذلك حتى خرج ذلك اللبن قائلا يسهل على موته
ولاتفسد طباعه بشرب لبن غير امه ثم لما كبر الامام كان اذا حصلت له كبوة فى المناظرة يقول هذه من بقايا
تلك الرضعة (واتقوا الله) فى شأن مراعاة الاحكام المذكورة فى امر الاطفال والمراضع (واعلموا ان الله
بما تعملون بصير) فيجازيكم بذلك وفيه من الوعيد والتهديد ما لايخفى (قال الحسين الكاشى) كر برهنه بره
برون آيى ✻ زوددر تهمت جنون آيى ✻ جامهٔ ظاهرى كه نيست ببر ✻ توفضيحت شوى ميان
بشر ✻ فكر آن كن كه بى لباس ورع ✻ چه كنى درمقام هول وفزع ✻ خويشتن درلباس تقوى دار ✻
تاشوى درد وكون برخوردار ✻ والاية مشتملة على تمهيد قواعد الصحبة وتعظيم محاسن الاخلاق
فى احكام العشرة بل انها اشتملت على شيوع الرحمة والشفقة على البرية فان من لايرحم لايرحم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لمن ذكر انه لم يقبل اولاده ان الله لاينزع الا من قلب شقى وفى الحديث حب الاولاد ستر
من النار وكرامتهم جواز على الصراط والاكل معهم برآءة من النار وفى الحديث اربع نفقات لايحاسب العبد
بهن يوم القيامة نفقة على ابويه ونفقة على افطاره ونفقة على سحوره ونفقة على عياله واللطف والمرحمة ممدوح
جدا عموما وخصوصا وفى الحديث ان امرأة بغيا رأت كلبا فى يوم حار يطيف ببئر قد ادلع لسانه من العطش
فنزعت له بموقها فغفر لها قال البخارى فنزعت خفها فاوثقته اى احكمته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها
بذلك والحديث يدل على غفران الكبيرة من غير توبة وهو مذهب اهل السنة وعلى ان من اطعم محتاجا الى الغذآء
يستحق المثوبة والجزآء فعلى العاقل العمل بالكتاب والسنة (والذين يتوفون منكم) اى يموتون ويقبض ارواحهم
بالموت وقرئ بفتح الياء اى يستوفون آجالهم واعمارهم واصل التوفى اخذ الشئ وافيا كاملا يقال توفى الشئ
واستوفاه فمن مات فقد اخذ عمره وافيا كاملا واستوفاه (ويذرون ازواجا) اى يتركون نساء من بعدهم وهو
جمع زوج والمنكوحة تسمى زوجا وزوجة والتذكير اغلب قال تعالى اسكن انت وزوجك الجنة ويجمع ازواجا
على لغة التذكير وزوجات على لغة التأنيث (يتربصن بانفسهن) الباء للتعدية اى يجعلنها متربصة منتظرة بعد

موتهم اثلا يبقى المبتدأ بلا عائد (اربعة اشهر وعشرا) اى فى تلك المدة فلا يتزوجن الى انقضاء العدة قوله عشرا
اى عشرة ايام وتأنيث العشر باعتبار الليالى لان التاريخ عند العرب بالليلة بناء على انها اول الشهر واليوم
تبع لها ولعل الحكمة فى تقدير عدة الوفاة باربعة اشهر وعشر ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر
وان كان انثى يتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اى استعانة بتلك الزيادة
على العلم بفراغ الرحم اذ ربما تضعف الحركة فى المبادى فلا يحس بها وكانت عدة الوفاة فى اول الاسلام سنة
فنسخت بهذه الا الحوامل فان عدتها بوضع الحمل قال تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
والا الاماء فان عدة المتوفى عنها زوجها اذا كانت امة شهران وخمسة ايام نصف عدة الحرة باجماع السلف وقوله
تعالى والذين يتوفون منكم خطاب مع المؤمنين فدل على ان الخطاب بهذه الفروع مختص بالمؤمنين فقط
فلا وجه لايجاب العدة المذكورة على الكتابية (فاذا بلغن اجلهن) اى انقضت عدتهن (فلاجناح عليكم)
الخطاب للحكام وصلحاء المسلمين لانهن ان تزوجن فى مدة العدة وجب على كل واحد منعهن عن ذلك ان قدر
عليه وان عجز وجب عليه ان يستعين بالسلطان (فيما فعلن فى انفسهن) من التزين والتعرض للخطاب وسائر
ماحرم على المعتدة (بالمعروف) حال من فاعل فعلن اى فعلن ملتبسات بالوجه الذى لاينكره الشرع
(والله بما تعملون خبير) فيجازيكم عليه فلا تعملون خلاف ما امرتم به ✻ هركه عاصى شود بامر خدا ✻
بيخ اورا بكند قهر خدا ✻ واعلم ان المراد بالتربص هنا الامتناع عن النكاح والامتناع عن الخروج من المنزل
الذى توفى عنها زوجها فيه والامتناع عن التزين وهذا اللفظ كالمجمل لانه ليس فيه بيان انها تتربص فى اى شئ
الا انا نقول الامتناع عن النكاح مجمع عليه واما الامتناع عن الخروج من المنزل فواجب الا عند الضرورة
والحاجة واما ترك التزين فهو واجب لما روى عن عائشة وحفصة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوجها اربعة
اشهر وعشرا وانما وجب الحداد لانه لما حرم عليها النكاح فى العدة امرت بتجنب الزينة حتى لاتكون
بصفة الملتمسة للازواج ولاظهار التأسف على فوت نعمة النكاح الذى كان سبب مؤنتها وكفايتها من النفقة
والسكنى وغير ذلك والحداد على الميت ثلاثة ايام وتمس المرأة الطيب فى الثالث لئلا يزيد الحداد على ثلاثة ايام
فانها لومسته فى الرابع لازداد الحداد من اليوم الرابع وهو حرام ومن السنة ان يتوقى رسوم الجاهلية من شق
الجيوب وضرب الخدود وحلق الشعر كما كان عادة العرب وكذا قطعه كما كان عادة العجم وكذا رفع الصوت بالبكاء
والنوح وقد برئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يفعل شيأ من ذلك لانها عادات الجاهلية واكثر اهالى
هذا الزمان فى اكثر البلدان مبتلون بامثال هذه العادات لاسيما النساء فانهن يلبسن الالبسة السود الى ان تمضى
ايام بل شهور كثيرة وربما ترى رجلا لايلبس لباس الجمع والاعياد فلو سئل فيه لاجاب لك مات ابى اوامى
اوغيرهما وذلك بعد مامضى من زمان الوفاة شهور وكذا الرافضة قد تغالت فى الحزن لمصيبة الحسين رضى الله
عنه واحدثت عليها حيث اتخذوا يوم عاشورآء مأتما اقتله رضى الله عنه فيقيمون فى مثل هذا اليوم العزآء
ويطيلون النوح والبكاء ويظهرون الحزن والكآبة ويفعلون فعل غير اهل الاصابة ويتعدون الى سب بعض
الصحابة وهذا عمل اهل الضلال المستوجبين من الله الخزى والنكال كانهم لم يسمعوا ما ورد فى النهى عن الحداد
ومن الله الرشاد والاشارة فى الاية ان موت المسلم لم يكن فراقا اختياريا للزوج فكانت مدة وفاته اطول فكذا
العبد الطالب فان حال الموت بينه وبين مطلوبه من غير اختياره فالوفاء بحصول مطلوبه فى مدة كرم محبوبه
كما قال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ففى هذا تسلية
قلوب المؤمنين لئلا يقطع عليهم طريق الطلب وساوس الشيطان وهو رجس النفس بان طلب الحق امر عظيم
وشأن خطير وانت ضعيف والعمر قصير فان منادى الكرم من سرادقات الفضل ينادى الا من طلبنى وجدنى
فان الطلاب فى طلبى كذا فى التأويلات النجمية قدس الله تعالى نفسه الزاكية القدسية المرضية (ولاجناح
عليكم) علم الله تعالى ان المرأة اذا مات زوجها قد يكون لها مال اوجمال اومعنى يرغب الناس فيها فاطلق
للراغب ان يعرض بالخطبة فى العدة فقال تعالى ولاجناح عليكم (فيما عرضتم به) التعريض افهام المعنى
بالشئ المحتمل له ولغيره (من خطبة النساء) الخطبة بالكسر التماس النكاح وبالضم الكلام المشتمل على الوعظ

والزجر من الخطاب الذى هو الكلام يقال خطب المرأة اى خاطبها فى امر النكاح والمراد بالنساء المعتدات
للوفاة واما النساء اللاتى لاتكون منكوحة الغير ولا معتدته من طلاق رجعى فان خطبتهن جائزة تصريحا
وتعريضا الا ان يخطبها رجل فيجاب بالرضى صريحا فههنا لا يجوز لغيره ان يخطبها لقوله عليه السلام لا يخطبن
احدكم على خطبة اخيه وان اجيب بالرد صريحا فههنا يحل لغيره ان يخطبها وان لم يوجد صريح الاجابة
ولا صريح الرد ففيه خلاف والتى هى معتدة عن الطلاق الثلاث والبائن باللعان والرضاع ففى جواز التعريض
بخطبتها خلاف واما البائن التى يحل لزوجها نكاحها فى عدتها كالمختلعة والتى انفسخ نكاحها بعيب او عنة
او اعسار نفقة فههنا يجوز لزوجها التعريض والتصريح واما غير الزوج فلا يحل له التصريح والتعريض
لانها معتدة يحل للزوج ان يستبيحها فى عدتها فلا يحل له التعريض بخطبتها كالرجعية ثم التعريض بالخطبة
ان يقول لها فى العدة انك لجميلة صالحة ومن غرضى ان اتزوج او اشتهى امرأة مثلك او انا محتاج الى امرأة صفتها
كذا او يقول انى حسن الخلق كثير الانفاق جميل العشرة محسن الى النساء فيصف نفسه ليرغب فيه او يقول
رب راغب فيك وحريص عليك ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه
ولا يصرح بالنكاح بان يقول انى اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك او غير ذلك فانه كما لا يجوز ان ينكحها
فى عدتها لا يجوز له ان يخطبها صريحا فيها (او اكننتم فى انفسكم) مفعول اكننتم محذوف وهو الضمير الراجع
الى ما الموصولة فى قوله فيما عرضتم اى او اكننتموه فى انفسكم اى اضمرتم فى قلوبكم من نكاحهن فلم تذكروه
صريحا ولا تعريضا الاية الاولى لاباحة التعريض فى الحال وتحريم التصريح فى الحال وهذه الاية اباحة
لان يعقد قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء زمان العدة ثم انه تعالى ذكر الوجه الذى لاجله اباح
ذلك فقال (علم الله انكم ستذكرونهن) لا محالة ولا تنفكوا عن النطق برغبتكم فيهن فالمقصود بيان وجه اباحة
الخطبة بطريق التعريض (ولكن لا تواعدوهن سرا) نصب مفعول ثان لتواعدوهن وهو استدراك عن
محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن واظهروا لهن رغبتكم ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا
بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه الذى هو الوطئ مما يسر به (الا ان تقولوا
قولا معروفا) استثناء مفرغ مما يدل عليه النهى لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا
وهى ما تكون بطريق التعريض والتلويح (ولا تعزموا) العزم عبارة عن عقد القلب على فعل من الافعال
يتعدى بنفسه وبعلى قال الراغب ودواعى الانسان الى الفعل على مراتب السانح ثم الخاطر ثم التفكر فيه ثم الارادة
ثم الهمة ثم العزم فالهمة اجماع من النفس على الامر والعزم هو العقد على امضائه (عقدة النكاح)
اى لا تعزموا عقد عقدة النكاح لان العزم عبارة عن عقد القلب على فعل فلا يتعلق الا بالفعل والاضافة
فى قوله عقدة النكاح بيانية فلا تكون العقدة بمعنى ربط المكلف اجزاء التصرف بل المراد به الحاصل بالمصدر
وهو الارتباط الشرعى الحاصل بعقد العاقدين والمقصود النهى عن تزوج المعتدة فى زمان عدتها الا انه نهى عن
العزم على عقد النكاح للمبالغة فى النهى عن النكاح فى زمان العدة فان العزم على الشئ متقدم عليه والنهى
عن مقدمات الشئ يستلزم النهى عن ذلك الشئ بطريق الاولى (حتى يبلغ الكتاب اجله) الكتاب بمعنى المكتوب
وهو المفروض والمعنى حتى تبلغ العدة المفروضة آخرها (واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم) من العزم على
ما لا يجوز (فاحذروه) بالاجتناب عن العزم ابتداء واقلاعا عنه بعد تحققه (واعلموا ان الله غفور) لمن عزم
ولم يفعل خشية من الله تعالى (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتأخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم
ليس مما يستتبع المؤاخذة فاجتنبوا عن اسباب العقوبة واعملوا بما امركم به ربكم واغتنموا زمان الحياة حتى
لا تتأسفوا كما قال المفرطون المتحسرون * چون توانستم ندانستم چه سود * چون بدانستم توانستم نبود *
وقد وبخ الله تعالى من مال الى شهواته وهوى نفسه فى هذه الايات من غير ان يكون له رخصة شرعية فلابد
للعاقل ان يختار رضى الله تعالى على رضى نفسه ولا يكون له مطلب اعلى من مال او امرأة او غيرهما الا الله تعالى
قال عليه السلام من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها
او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فتأمل كيف جعل جزاء كل مؤمل ما امله وثواب كل قاصد ما قصد
واعتبر كيف لم يكرر ذكر الدنيا اشعارا بعدم اعتبارها لخساستها ولان وجودها لعب ولهو فكانه كلا وجود

وانظر الى قوله عليه السلام فهجرته الى ما هاجر اليه وما تضمن من ابعاد ما سواه تعالى وتدبر هذا الامر اى ذكر
الدنيا والمرأة مع انهما منها يشعر بان المراد كل شئ فى الدنيا من شهوة او مال وان المراد بالحديث الخروج عن
الدنيا بل وعن كل شئ لله قال ابو سليمان الدارانى قدس سره ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا طلب معاش
او تزوج امرأة وكتب الحديث واعلم انه ينبغى لطالب الحق ان يحصل من العلوم الشرعية ما يفرق به بين الحق
والباطل ويشتغل بالعلوم الرسمية والقوانين المتداولة قدر ما يقدر على استخراج الحديث والتفسير من غير
تعمق فى الفلسفيات وغوامض العلوم فانه زائد على قدر الكفاية منهى عنه على اصول اهل الشريعة والطريقة
فهذا اول الامر فى هذا الباب واما امر النهاية وهو ما بعد التحصيل والتكميل فان السالك بقدر اشتغاله
بالعلوم الظاهرة زاد بعدا عن درك الحق لان السلوك يبتنى على التخلى والانقطاع وترك الكلام والاستماع
وتفريغ الباطن من العلائق ولو كانت علوما وطرح المشاغل الخارجية والداخلية عن البين خصوصا
وعموما فقول بعضهم بنفى الاشتغال لاهل السلوك يبتنى على هذا المعنى لا على الترك عن الاصل كما يزعمه جهلة
الصوفية نعوذ بالله من هذا فان العلم مطلقا هو النور وبه يهتدى السالك الى مسالكه واما ارباب النهاية من
اهل السلوك فلا يمكن حصر احوالهم فانهم لا يحتجبون لا بالكثرة عن الوحدة ولا بعكسها اذهم تجاوزوا عن
مقام الاغيار بل شاهدوا اينما قلبوا الاحداق الانوار بل حققوا بالحقيقة فلا اغيار عندهم لا حقيقة ولا اعتبارا
ولذا حبب الى النبى عليه السلام النساء وذلك لان محبته عليه السلام ليست كما يعرفها الناس بل سرها
مستور لا يطلع عليه الا من فاز بالوراثة الكبرى يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة انما بسطت الكلام
فى هذا المقام لئلا يظن احد ان قوله فيما سبق او كتب من خرافات الصوفية بل له محمل على ما اشرت اليه ومن لم
يسلك هذا الطريق لم يعرف قدر حظوات اهل التحقيق والتدقيق (لا جناح عليكم) المراد من الجناح فى هذه
الاية وجوب المهر اى لا تبعة من مهر (ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن) اى غير ماسين لهن ومجامعين قال ابن
الشيخ الظاهر ان كلمة ما مصدرية ظرفية والزمان محذوف تقديره مدة عدم المسيس (او تفرضوا لهن فريضة)
كلمة او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطينى حقى اى الا ان تفرضوا لهن عند العقد مهرا والمعنى انه لا تبعة
على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا فى تسمية المهر فان عليه حينئذ
نصف المسمى وفى حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مثل المهر واما اذا كان بعد المساس فعليه فى صورة
التسمية تمام المسمى وفى صورة عدمها تمام مهر المثل (ومتعوهن) عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن
اى اعطوهن ما يتبلغن وينتفعن به والحكمة فى ايجاب المتعة جبر ايحاش الزوج بالطلاق وهو درع وهو
ما يستر البدن وملحفة وهو ما يستر المرأة عند خروجها من البيت وخمار وهو ما يستر الرأس على حسب الحال
كما يفصح عنه قوله تعالى (على الموسع) يقال اوسع الرجل اذا اتسع حاله فصار ذا سعة وغنى اى الذى له سعة
(قدره) امكانه وطاقته (وعلى المقتر) يقال اقتر الرجل اذا افتقر وصار ذا قترة والقترة الغبار وهو قليل من التراب
اى على المقل الضيق الحال (قدره) فالمتعة معتبرة بحاله لا بحالها الا تنقص عن خمسة دراهم ولا تزاد على نصف
مهر المثل لان المسمى اقوى من مهر المثل والمتعة لا تزاد على نصف المسمى فلان لا تزيد على نصف مهر المثل
اولى والقدر والقدر لغتان وذهب جماعة الى ان الساكن مصدر والمتحرك اسم كالعد والعدد والمد والمدد والقدر
بالتسكين الوسع يقال هو ينفق على قدره اى على وسعه وبالتحريك المقدار (متاعا) اسم لمصدر الفعل المذكور
من قبيل قوله تعالى انبتكم من الارض نباتا اى تمتيعا ملتبسا (بالمعروف) اى بالوجه الذى يستحسنه
الشرع والمروءة (حقا) صفة متاعا اى متاعا واجبا (على المحسنين) اى الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة
الى الامتثال قال ابن التمجيد اعلم ان للمطلقة اربع حالات الاولى ان تكون غير ممسوسة ولم يسم لها مهر والثانية
ان تكون ممسوسة وسمى لها والثالث ان تكون ممسوسة ولم يسم لها والرابعة ان تكون غير ممسوسة وسمى لها
ورفع الجناح بمعنى نفى المهر انما هو فى الصورة الاولى لا فى البواقى من الصور الثلاث فان فيها وجوب المهر
ولم يجب فى الصورة الاولى مهر لا بعضا ولا كلا اما عدم وجوب البعض فلان مهر المثل لا ينصف واما عدم
وجوب الكل فلكونها غير مدخول بها ولكن لها المتعة لقوله تعالى ومتعوهن فانه فى حق من جرى ذكرهن
وهى المطلقات الغير الممسوسة التى لم يفرض لهن فريضة اذ لو فرضت لكان لهن تمام المهر لا المتعة

(وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة) اى وان طلقتموهن من قبل المسيس حال كونكم مسمين لها عند النكاح مهرا (فنصف ما فرضتم) اى فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر وان مات احدهما قبل الدخول فيجب عليه كله لان الموت كالدخول فى تقرير المسمى كذلك فى ايجاب مهر المثل اذا لم يكن فى العقد مسمى (الا ان يعفون) استثناء من اعم الاحوال اى فلهن نصف المفروض معينا فى كل حال الا فى حال عفوهن اى المطلقات فانه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه (او يعفو الذى بيده عقدة النكاح) اى يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذى ساقه اليها كملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة فالمراد بقوله الذى بيده عقدة النكاح الزوج لا الولى والمراد بعفوه ان يعطيها الصداق كاملا النصف الواجب عليه والنصف الساقط العائد اليه بالتنصيف وتسمية الزيادة على الحق عفوا لما كان الغالب عندهم ان يسوق الزوج اليها كل المهر عند التزوج فاذا طلقها قبل الدخول فقد استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها (وان تعفوا اقرب للتقوى) واللام فى التقوى تدل على علة قرب العفو تقديره العفو اقرب من اجل التقوى اذ الاخذ كانه عوض من غير معوض عنه او ترك المروءة عند ذلك ترك للتقوى وفى الحديث كفى بالمرء من الشح ان يقول آخذ حقى لا اترك منه شيأ وفى حديث الاصمعى اتى اعرابى قوما فقال لهم هذا فى الحق او فيما هو خير منه قالوا وما خير من الحق قال التفضل والتغافل افضل من اخذ الحق كله كذا فى المقاصد الحسنة للسخاوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) ليس المراد منه النهى عن النسيان لان ذلك ليس فى الوسع بل المراد منه الترك والمعنى لا تتركوا الفضل والافضال فيما بينكم باعطاء الرجل تمام الصداق وترك المرأة نصيبها حثهما جميعا على الاحسان والافضال وقوله بينكم منصوب بلا تنسوا (قال السعدى) كسى نيك بيند بهر دو سراى * كه نيكى رساند بخلق خداى (ان الله بما تعملون بصير) فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان والبصر فى حقه تعالى عبارة عن الوصف الذى به ينكشف كمال نعوت المبصرات وذلك اوضح واجلى مما يفهم من ادراك البصر القاصر عن ظواهر المرئيات والحظ الدينى للعبد من البصر امران احدهما ان يعلم انه خلق له البصر لينظر الى الايات وعجائب الملكوت والسموات فلا يكون نظره الا عبرة قيل لعيسى عليه السلام هل احد من الخلق مثلك فقال من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكرا فهو مثلى والثانى ان يعلم انه بمرأى من الله ومسمع فلا يستهين بنظره اليه واطلاعه عليه ومن اخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر الله والمراقبة احدى ثمرات الايمان بهذه الصفة فمن قارف معصية وهو يعلم ان الله يراه فما اجسره واخسره ومن ظن انه لا يراه فما اكفره كذا فى شرح الاسماء الحسنى للامام الغزالى ثم الاشارة فى الايات ان مفارقة الاشكال من الاصدقاء والعيال لمصلحة دنيوية لا جناح عليكم فيها فكيف يكون جناح ان فارقتموهم لمصلحة دينية بل انتم مأمورون بمفارقتهم لزيارة بيت الله فكيف لزيارة الله فان الواجب فى زيارة بيت الله مفارقة الاهالى والاوطان وفى زيارة الله مفارقة الارواح والابدان دع نفسك وتعال قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وقوله تعالى ومتعوهن اشارة الى ان من له من الطلاب واهل الارادة مال فليمتع به اقرباءه واحباءه حين فارقهم فى طلب الحق سبحانه ليزيل عنهم بحلاوة المال مرارة الفراق فان الفطام عن المألوف شديد وينفق المال عليهم بقدر قربهم فى القرابة وبعدهم بل يقسم بينهم على فرآئض الله كالميراث فانه قد مات عنهم بالحقيقة وفى قوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى اشارة الى ان الوصول الى تقوى الله حق تقاته انما هو بترك ما سوى الله والتجاوز عنه فان المواصلة الى الخالق على قدر المفارقة عن المخلوق والتقرب الى الله بقدر التبعد عما سواه وفى قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم ههنا فى الدنيا فان حلول الجنة ودخولها هنالك لا يكون الا من فضله كقوله تعالى الذى احلنا دار المقامة من فضله ان الله بما تعملون فى وجدان الفضل وفقدانه بصير كذا فى التأويلات النجمية وانما يوجب للعبد الالتفات للخلائق فقدان النور الكاشف للخلائق والا فلو اشرق نور اليقين الهادى الى العلم بان الاخرة خير من الدنيا وان ما عند الله خير وابقى لرأيت الاخرة اقرب من ان يرحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا وقد ظهرت كسفة الفناء عليها لان الآتى قطعا كالموجود فى الحال لا سيما ومباديه ظاهرة من تغير الاحوال وانتقال الاهلين والاموال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح قيل يا رسول الله وهل لك من علامة يعرف بها قال التجافى عن دار الغرور

والانابة

والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله انتهى اللهم اجعلنا ممن استعد للقائك وتهيأ لنوال وصالك (حافظوا على الصلوات) بالادآء لوقتها والمداومة عليها والمراد بالصلوات المكتوبات الخمس فى كل يوم وليلة ثبت عددها بغيرها من الايات والاحاديث المتواترة وباشارة فى هذه الاية وهو ذكر الوسطى وهى ما اكتنفه عددان متساويان واقل ذلك خمسة لا يقال ان الثلاث بهذه الصفة لانا نقول الثلاث لا يكتنفها عددان فان الذى قبلها واحد والذى بعدها واحد وهو ليس بعدد فان العدد ما اذا اجتمع طرفاه صار ضعفه وليس له طرفان فانه ليس قبله شئ (و) حافظوا على (الصلاة الوسطى) اى المتوسطة بينها على ان تكون الوسطى صفة مشبهة او الفضلى منها على ان تكون افعل تفضيل تأنيث الاوسط واوسط الشئ خيره واعدله وهى صلاة العصر لانها بين صلاتى ليل وصلاتى نهار ولقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله اى ليكن من فوتها حذرا كما يحذر من ذهاب اهله وماله ثم فى حديث يوم الاحزاب حجة على من قال الصلاة الوسطى غير العصر وعلى من قال انها مبهمة ابهمها الله تعالى تحريضا للخلق على محافظتها كساعة الاجابة يوم الجمعة فان قيل ما روت عائشة رضى الله عنها انه عليه السلام قال حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر يدل على ان الوسطى غير العصر قلت يحتمل ان يكون الوسطى لقبا والعصر اسما فذكرها باسمها كذا فى شرح المشارق لابن الملك (وقوموا لله) اى فى الصلاة (قانتين) حال من فاعل قوموا اى ذاكرين له فى القيام لان القنوت هو الذكر فيه او خاشعين روى انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشئ من امور الدنيا الا ناسيا حتى ينصرف (فان خفتم) اى ان كان بكم خوف من عدو او غيره (فرجالا) منصوب على الحال وعامله محذوف تقديره فصلوا راجلين والرجال جمع راجل مثل صحاب وصاحب (او ركبانا) اى راكبين وهو جمع راكب مثل فرسان وفارس ومذهب ابى حنيفة انهم لا يصلون فى حال المشى والمسابقة ما لم يمكن الوقوف وعند امكان الوقوف يصلى واقفا والدليل عليه قوله تعالى فان خفتم الاية (فاذا امنتم) وزال خوفكم (فاذكروا الله) اى فصلوا صلاة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها (كما علمكم) اى ذكرا كائنا كتعليمه اياكم (ما لم تكونوا تعلمون) من كيفية الصلاة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلاة المؤدات موافقة لما علمه الله وايرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله شكرا يوازى تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرآئع والاحكام التى من جملتها كيفية اقامة الصلاة حالتى الخوف والامن واعلم ان الصلاة بمنزلة الضيافة قد هيأها الله للموحدين فى كل يوم خمس مرات فكما فى الضيافة تجتمع الالوان من الاطعمة ولكل طعام لذة ولون فكذلك فيها اركان وافعال مختلفة لكل فعل لذة وتكفر للذنوب وعن كعب الاحبار انه قال قال الله لموسى فى مناجاته يا موسى اربع ركعات يصليها احمد وامته وهى صلاة الظهر اعطيهم فى اول ركعة منها المغفرة وفى الثانية اثقل موازينهم وفى الثالثة اوكل بهم الملائكة يسبحون ويستغفرون لهم لا يبقى ملك فى السماء ولا فى الارض الا ويستغفر لهم ومن استغفرت له الملائكة لم اعذبه ابدا وفى الرابعة افتح لهم ابواب السماء وتنظر اليهم الحور العين يا موسى اربع ركعات يصليها احمد وامته وهى صلاة العصر ما يسألون منى حاجة الا قضيت لهم يا موسى ثلاث ركعات يصليها احمد وامته وهى صلاة المغرب افتح لهم ابواب السماء يا موسى اربع ركعات يصليها احمد وامته وهى صلاة العشاء خير لهم من الدنيا وما فيها ويخرجون من الدنيا كيوم ولدتهم امهاتهم ثم اعلم انه لا يرخص لمن سمع الاذان ترك الجماعة فانها سنة مؤكدة غاية التأكيد بحيث لو تركها اهل ناحية وجب قتالهم بالسلاح لانها من شعائر الاسلام ولو تركها احد منهم بغير عذر شرعى يجب عليه التعزير ولا تقبل شهادته ويأثم الجيران والامام والمؤذن بالسكوت عنه وفى غنية الفتاوى من حضر المسجد الجامع لكثرة جماعة فى الصلاة فمسجد محلته افضل قل اهل مسجده او كثر لان لمسجده حقا عليه لا يعارضه كثرة الجماعة ولا زيادة تقوى غيره او علمه ويبادر الصف الاول على محاذاة الامام وروى عن النبى عليه السلام انه قال يكتب للذى خلف الامام بحذآئه مائة صلاة وللذى فى الجانب الايمن خمس وسبعون صلاة وللذى فى الجانب الايسر خمسون صلاة وللذى فى سائر الصفوف خمس وعشرون صلاة كذا فى القنية

ولا يتخطى رقاب الناس الى الصف الاول اذا وجد فيه فرجة ويتلاصقون بحيث يكونون محاذين بالاعناق والمناكب قال عليه السلام رصوا صفوفكم وقاربوا بينها تقارب اشباحكم وحاذوا بالاعناق فوالذى نفسى بيده انى لارى الشيطان يدخل من خلل الصف كانه الحذف الخلل بفتح الخاء المعجمة الفرجة والحذف بفتحتى الحاء المهملة والذال المعجمة الغنم السود الصغار الحجازية كذا فى التنوير والكلام فى اداء الصلاة بالحضور والتوجه التام (قال بعضهم) محراب ابروى تو اكر قبله ام نبود * كى برفلك برند ملائك نماز من * يحكى ان الشيخ ابا العباس الجوالقى كان فى بداية حاله يعمل الجوالق ويبيع فباع يوما جوالقا بنسيئة ونسى المشترى فلما قام الى الصلاة تفكر فى ذلك ثم لما سلم قال لتلميذه وقعت لى خاطرة فى الصلاة انى الى اى شخص بعت الجوالق الفلانى فقال تلميذه يا استاذ انت فى اداء الصلاة او فى تحصيل الجوالق فاثر هذا القول فى الشيخ فابس جوالقا وترك الدنيا واشتغل بالرياضة الى ان وصل الى ما وصل مردان بسعى ورنج بجايى رسيده اند * تو بى هنر كجا رسى ازنفس پرورى * والاشارة ان الله تعالى اشار فى حفظ الصلاة بصيغة المبالغة التى بين الاثنين وقال حافظوا على الصلوات يعنى محافظة الصلاة بينى وبينكم كما قال قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها العبدى ولعبدى ما سأل فمعناه انى حافظكم بقدرة التوفيق والاجابة والقبول والاثابة عليها فحافظوا انتم على الصلاة بالصدق والاخلاص والحضور والخضوع والمناجاة بالتذلل والانكسار والاستعانة والاستهداء والسكون والوقار والهيبة والتعظيم وحفظ القلوب بدوام الشهود فانما هى الصلاة الوسطى لان القلب هو الذى فى وسط الانسان ما هو واسطة بين الروح والجسد ولهذا يسمى القلب فالاشارة فى تخصيص المحافظة على الصلاة هى صلاة القلب بدوام الشهود فان البدن ساعة يحفظ صورة اركان الصلاة وهيئتها وساعة يخرج منها فلا سبيل الى حفظ صورتها بنعت الدوام ولا الى حفظ معانيها بوصف الحضور والشهود وانما هو من شأن القلب كقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وانه من نعت ارباب القلوب انهم فى صلاتهم دائمون كذا فى التأويلات النجمية فليسارع السالكون الى حرم الحضور قبل الموت والقبور فان الصلاة بالفتور غير مقبولة عند الله الغيور ولا بد من الاعراض عن الكائنات ليتجلى نور الذات والا فمن يستحضر عمرا او ينادى زيدا فلا اجابة له ابدا (قال الشيخ سعدى الشيرازى قدس سره) انكه چون پسته ديديش همه مغز * پوست بر پوست بود همچو پياز * پارسايان روى در مخلوق * پشت بر قبله ميكنند نماز * ومن الله التوفيق (والذين يتوفون منكم) اى يموتون يسمى المشارف الى الوفاة متوفيا تسمية للشئ باسم ما يؤول اليه وقرينة المجاز امتناع الوصية بعد الوفاة (ويذرون ازواجا) اى يدعون نساء من بعدهم (وصية لازواجهم) اى يوصون وصية لهن والجملة خبر الذين (متاعا) اى يوصون متاعا (الى الحول) او يمتعوهن تمتيعا الى الحول (غير اخراج) بدل من قوله متاعا بدل الاشتمال لتحقق الملابسة بين تمتيعهن حولا وبين عدم اخراجهن من بيوتهن كانه قيل يوصون لازواجهن متاعا اى لا يخرجن من مساكنهن حولا او حال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يتمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى نزلت الاية فى رجل من الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى المدينة وله اولاد ومعه ابواه وامرأته ومات فانزل الله هذه الاية فاعطى النبى عليه السلام والديه واولاده من ميراثه ولم يعط امرأته شيأ وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان عدة الوفاة فى ابتداء الاسلام حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة فى مال زوجها تلك ما لم تخرج ولم يكن لها الميراث فان خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها وكان على الرجل ان يوصى بها فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع عند عدم الولد وولد الابن والثمن عند وجودهما وسقطت السكنى ايضا عند ابى حنيفة ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشر فانه وان كان متقدما فى التلاوة متأخر فى النزول (فان خرجن) عن منزل الازواج باختيارهن (فلا جناح عليكم) ايها الائمة والحكام (فيما فعلن فى انفسهن من معروف) لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركه (والله عزيز) غالب على امره يعاقب من خالفه (حكيم) يراعى فى احكامه

مصالح عباده (وللمطلقات) سواء كن مدخولا بهن اولا (متاع) اى مطلق المتعة الشاملة للمستحبة والواجبة فان كانت المطلقة مفوضة غير مدخول بها وجبت لها المتعة وان كانت غيرها يستحب لها فلفظ التمتع المدلول عليه بمتعوهن فى الاية السالفة يحمل على الواجب فلا منافاة بين الايتين (بالمعروف) اى متاع ملتبس بالمعروف شرعا وعادة (حقا على المتقين) اى مما ينبغى على من كان متقيا فليس بواجب ولكن من شروط التقوى التبرع بهذا تطييبا لقلبها وازالة للضغن (كذلك) اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة اى مثل ذلك البيان الواضح (يبين الله لكم آياته) الدالة على احكامه التى شرعها لعباده قال القاضى وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا ما فيها فتستعملوا العقل فيها وتعملوا بموجبها (وفى المثنوى) كشتىء بى لنكر آمد مرد شر * كه زباد كژ نيابد او حذر * لنكر عقلست عاقل را امان * لنكرى دريوزه كن از عاقلان * والاشارة ان المطلقة لما ابتليت بالفراق فالله تعالى جبر كسر قلبها بالمتعة يشير بهذا الى ان المريد الصادق لو ابتلى فى اوان طلبه بفراق الاعزة والاقرباء وهجران الاحبة والاصدقاء والخروج عن مال الدنيا وجاهها والهجرة عن الاوطان وسكانها والتنقل فى البلاد لصحبة خواص العباد ومقاساة الشدائد فى طلب الفوائد فالله تعالى يبذل له احسانه ويزيل عنه احزانه ويجبر كسر قلبه بمتعة انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى فيكون للطالب الملهوف متاعا بالمعروف من نيل المعروف كذلك يظهر الله لكم آياته اصناف الطافه واوصاف اعطافه لعلكم تعقلون بانوار الطافه كمالات اوصافه كذا فى التأويلات النجمية فالعاقل لا يلاحظ الدنيا واعراضها بل يعبر عن منافعها واعراضها ويقاسى الشدائد فى طريق الحق الى ان يصل الى الذات المطلق (يحكى) عن شقيق البلخى انه لم يجد طعاما ثلاثة ايام وكان مشتغلا بالعبادة فلما ضعف عن العبادة رفع يده الى السماء وقال يا رب اطعمنى فلما فرغ من الدعاء التفت فرأى شخصا ينظر اليه فلما التفت اليه سلم عليه وقال يا شيخ تعال معى فقام شقيق وذهب معه فادخله ذلك الرجل فى بيت فرأى فيه الواحا موضوعة عليها الوان الاطعمة وعند الخوان غلمان وجوارى فاكل والرجل قائم فلما فرغ اراد ان يخرج شقيق من ذلك البيت فقال له الرجل الى اين يا شيخ فقال الى المسجد فقال ما اسمك قال شقيق فقال يا شقيق اعلم ان هذه الدار دارك والعبيد عبيدك وانا عبدك كنت عبد الابيك بعثنى الى التجارة فرجعت الآن وقد توفى ابوك فالدار وما فيها لك قال شقيق ان كان العبيد لى فهم احرار لوجه الله وان كانت الاموال لى وهبتها لكم فاقتسموها بينكم فانى لا اريد شيأ يمنعنى عن العبادة (قال السعدى) تعلق حجابست وبى حاصلى * چو پيوندها بكسلى واصلى * والدنيا علاقة خصوصا هذا الزمان زمان الفتنة والشرور فالراقد فيه خير من اليقظان (حكى) ان سليمان عليه السلام اتى بشراب الجنة فقيل له لو شربت هذا لا تموت فتشاور مع حشمه الا القنفذ قالوا باجمعهم اشرب ثم ارسل الفرس والبازى الى القنفذ يدعوانه فلم يجبهما ثم ارسل اليه الكلب فاجابه فقال له سليمان لم لم تجب الفرس والبازى قال انهما جافيان لان الفرس يعدو بالعدو كما يعدو بصاحبه والبازى يطيع غير صاحبه كما يطيع صاحبه واما الكلب فانه ذو وفاء حتى انه لو طرده صاحبه من الدار يرجع اليه ثانيا فقال له ايش ترى هذا الشراب قال لا تشرب لانه يطول عمرك فى السجن فالموت فى العز خير من العيش فى السجن بهمه حال اسيرى كه زبندى برهد * بهترش دان ز اميريكه كرفتار آيد * فقال له سليمان احسنت وامر باهراقه فى البحر فعذب ماء ذلك البحر (شعر)

تزود من الدنيا فانك راحل * وبادر فان الموت لاشك نازل

وان امرأ قد عاش سبعين حجة * ولم يتزود للمعاد لجاهل

ودنيا المظل فاترك الحرص بعدما * علمت فان الظل لا بد زائل

(قال السعدى) كه اندر نعمتى مغرور غافل * كهى ازتنك دستى خسته وريش * چو در سرا وضرا حالت اينست * ندانم كى بحق پردازى از خويش * اللهم احفظنا عن الموانع (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) جمع دار اى منازلهم وهذا الخطاب وان كان بحسب الظاهر متوجها الى النبى عليه السلام الا انه من حيث المعنى متوجه الى جميع من سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ فمقتضى الظاهر ان يقال الم تسمع قصتهم الا انه نزل سماعهم اياها منزلة رؤيتهم تنبيها على ظهورها واشتهارها عندهم نحو طبوا

بالم تروهو تعجيب من حال هؤلاء وتقرير اى حمل على الاقرار بما دخله النفى قال الامام الواحدى ومعنى الرؤية ههنا رؤية القلب وهى بمعنى العلم انتهى فتعدية الرؤية بالى مع انها ادراك قلبى لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى الم ينته علمك اليهم قال العلماء كل ماوقع فى القرءآن الم تر ولم يعاينه النبى عليه السلام فهو بهذا المعنى وفى التيسير وتحقيقه اعلم ذلك وفى الكواشى معناه الوجوب لان همزة الاستفهام اذا دخلت على النفى اوعلى الاستفهام صار تقريرا اوايجابا والمعنى قد علمت خبر الذين خرجوا الآية قال ابن التمجيد فى حواشيه لفظ الم تر قد يخاطب به من تقدم علمه بالقصة وقد يخاطب به من لم يتقدم علمه بها فانه قد يقول الرجل لآخر الم تر الى فلان اى شئ قال يريد تعريفه ابتداء فالمخاطبون به ههنا اما من سمعها وعلمها قبل الخطاب به من اهل التواريخ فذكرهم وعجبهم واما من لم يسمعها فعرفهم وعجبهم وقيل الخطاب عام لكل من يتأتى منه الرؤية دلالة على شيوع القصة وشهرتها بحيث ينبغى لكل احد ان يعلمها او يبصرها ويتعجب منها (وهم الوف) جمع الف الذى هو من جملة اسماء العدد واختلفوا فى عدد مبلغهم والوجه من حيث اللفظ ان يكون عددهم ازيد من عشرة آلاف لان الالوف جمع الكثرة فلا يقال فى عشرة آلاف فما دونها الوف (حذر الموت) مفعول له اى خرجوا من ديارهم خوفا من الموت (فقال لهم الله) على لسان ملك وانما اسند اليه تعالى تخويفا وتهويلا لان قول القادر القهار والملك الجبار له شأن (موتوا) التقدير فماتوا والاقتضاء قوله ثم احياهم ذلك التقدير لان الاحياء يستدعى سبق الموت (ثم احياهم) اى اعادهم احياء ليستوفوا بقية اعمارهم وليعلموا ان لا فرار من القدر قال ابن العربى عقوبة لهم ثم احياهم وميتة العقوبة بعدها حياة للاعتبار وميتة الاجل لا حياة بعدها وعن الحسن ايضا اماتهم الله قبل آجالهم عقوبة لهم ثم بعثهم الى بقية آجالهم وقصة هؤلاء ما ذكره اكثر اهل التفسير انهم كانوا قوما من بنى اسرآئيل بقرية من قرى واسط يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فذهب اشرافهم واغنياؤهم واقام سفلتهم وفقرآؤهم فهلك اكثر من بقى فى القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا اصحابنا كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء بها فوقع الطاعون من العام القابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح بين جبلين فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادى وملك آخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا من غير علة بامر الله ومشيئته وماتت دوابهم كموت رجل واحد فاتت عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم اى انتنت فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فاحدقوا حولهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها فاتت على ذلك مدة وقد بليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم نبى يقال له حزقيل بن بوزى ثالث خلفاء بنى اسرآئيل بعد موسى عليه السلام وذلك ان القيم بعد موسى بامر بنى اسرآئيل كان يوشع بن نون ثم كالب ابن يوحنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله لها وقال الحسن هو ذو الكفل وسمى حزقيل ذا الكفل لانه كفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل وقال لهم اذهبوا فانى ان قتلت كان خيرا لكم من ان تقتلوا جميعا فلما جاء اليهود وسألوا ذا الكفل عن الانبياء السبعين قال انهم ذهبوا ولا ادرى اين هم ومنع الله تعالى ذا الكفل من اليهود بفضله وكرمه فلما مر حزقيل على اولئك الموتى وقف عليهم لكثرة ما يرى فجعل يتفكر فيهم متعجبا فاوحى الله اليه اتريد ان اريك آية قال نعم فقال الله ناد ايتها العظام ان الله يأمرك ان تجتمعى فاجتمعت من اعلى الوادى وادناه حتى التزق بعضها ببعض فصارت اجسادا من عظام لا لحم ولا دم ثم اوحى الله اليه نادايتها الارواح ان الله يأمرك ان تقومى فقاموا وبعثوا احياء يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت فبقيت فيهم بقايا من ريح النتن حتى انه بقى فى اولاد ذلك السبط من اليهود الى اليوم ثم انهم رجعوا الى بلادهم وقومهم وعاشوا دهرا سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التى كتبت لهم وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فاولى ان يكون فى سبيل الله (ان الله لذو فضل) عظيم (على الناس) قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) فضله كما ينبغى لعجز بعضهم وكفر بعضهم (وقاتلوا) الخطاب لهذه الامة وهو معطوف على

مقدر تقديره فاطيعوا وقاتلوا (فى سبيل الله) لاعلاء دينه متيقنين ان الفرار من الموت غير مخلص وان القدر واقع فلا تحرموا من احد الحظين اما النصر والثواب واما الموت فى سبيل الله الملك الوهاب (واعلموا ان الله سميع) يسمع مقالة السابقين الى الجهاد من ترغيب الغير فيه ومقالة المتخلفين عنه من تنفير الغير (عليم) بما يضمرونه فى انفسهم يعلم ان خلف المتخلف لاى غرض وان جهاد المجاهد لاى سبب وانه لاجل الدين او الدنيا وهو من ورآء الجزاء ثم ان قوله تعالى الم تر وارد لتقبيح حال هؤلاء الذين خرجوا وقد جعل الله جزاء خروجهم الموت والخيبة فى رجائهم الخلاص وكل ذلك يدل على كراهية الفرار فثبت بهذه الآية فضيلة القرار وفائدته. وفى الحديث الفار من الطاعون كالفار من الزحف وهذا الحديث يدل على ان النهى عن الخروج للتحريم وانه من الكبائر قيل ان عبد الملك هرب من الطاعون فركب ليلا واخرج غلاما معه فكان ينام على دابته فقال للغلام حدثنى فقال من انا حتى احدثك فقال على كل حال حدث حديثا سمعته فقال بلغنى ان ثعلبا كان يخدم اسدا ليحميه ويمنعه مما يريده فكان يحميه فرأى الثعلب عقابا فلجأ الى الاسد فاقعده على ظهره فانقض العقاب واختلسه فصاح الثعلب يا ابا الحارث اغثنى واذكر عهدك لى فقال انما اقدر على منعك من اهل الارض فاما اهل السماء فلا سبيل اليهم فقال عبد الملك وعظتنى واحسنت انصرف ورضى بالقضاء (قال السعدى) قضا كشتى آنجا كه خواهد برد * وكر ناخدا جامه برتن درد * درابى كه پيدا نباشد كنار * غرور شناور نيايد بكار واعلم ان ما كان من القضاء حتما مقضيا لا ينفعه شئ كما قال عليه السلام الحذر لا ينفع من القدر واما المعلق فتنفعه الصدقة وامثالها كما قال عليه السلام الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار قال بعض المحققين ان المقدرات على ضربين ضرب يختص بالكليات وضرب يختص بالجزئيات التفصيلية فالكليات المختصة بالانسان ما اخبر النبى عليه السلام انها محصورة فى اربعة اشياء العمر والرزق والاجل والسعادة والشقاوة وهى لا تقبل التغير فالدعاء فيها لا يفيد كصلة الرحم الا بطريق الفرض بمعنى ان لصلة الرحم مثلا من الاثر فى الخير ما لو امكن ان يبسط فى رزق الواصل ويؤخر فى اجله بها لكان ذلك ويجوز فرض المحال اذا تعلق بذلك حكمة قال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين واما الجزئيات ولوازمها التفصيلية فقد يكون ظهور بعضها وحصوله للانسان متوقفا على اسباب وشروط ربما كان الدعاء او الكسب والسعى والتعمد من جملتها بمعنى انه لم يقدر حصوله بدون ذلك الشرط حكى ان قصارا مر على عيسى عليه السلام مع جماعة من الحواريين فقال لهم عيسى احضروا جنازة هذا الرجل وقت الظهر فلم يمت فنزل جبريل فقال الم تخبرنى بموت هذا القصار فقال نعم ولكن تصدق بعد ذلك بثلاثة ارغفة فنجا من الموت وقد سبق منا فى الجزء الاول عند قوله تعالى فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ما يتعلق بالطاعون والفرار منه فليرجع اليه قال الامام القشيرى فى قوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الآية يعنى ان مسكم الم فتصاعد منكم انين فاعلموا ان الله سميع بانينكم عليم باحوالكم والآية توجب عليهم تسهيل ما يقاسونه من الالم قال قائلهم

اذا ما تمنى الناس روحا وراحة * تمنيت ان اشكو اليك وتسمع

انتهى كلامه قدس سره اللهم اجعلنا من الذين يفرون الى جنابك ويميلون (من) استفهام للتحريض على التصدق مبتدأ (ذا) اشارة الى المقرض خبر المبتدأ اى من هذا (الذى) صفة ذا او بدل منه (يقرض الله) اصل القرض القطع سمى به لان المعطى يقرضه اى يقطعه من ماله فيدفعه اليه ليرجع اليه مثله من الثواب واقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه (قرضا) مصدر ليقرض بمعنى اقراضا كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا اى اقراضا (حسنا) اى مقرونا بالاخلاص وطيب النفس ويجوز ان يكون القرض بمعنى المقرض اى بمعنى المفعول على انه مفعول ثان ليقرض وحسنه ان يكون حلالا صافيا عن شوب حق الغير به وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله ومن انواع القرض قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر (فيضاعفه له) منصوب باضمار ان عطفا على المصدر المفهوم من يقرض الله فى المعنى فيكون مصدرا معطوفا على مصدر تقديره من ذا الذى يكون منه اقراض فمضاعفة من الله او منصوب على جواب الاستفهام فى المعنى لان الاستفهام وان وقع عن المقرض لفظا فهو عن الاقراض معنى كانه قال ايقرض الله احد فيضاعفه واصل التضعيف ان يزاد على الشئ مثله او امثاله (اضعافا) جمع ضعف

حال من الهاء فى يضاعفه (كثيرة) هذا قطع الاوهاب عن مبلغ الحساب اى لا يعلم قدرها الا الله وقيل الواحد سبعمائة وحكمة تضعيف الحسنات ائلا يفلس العبد اذا اجتمع الخصماء فظالم العباد توفى من التضعيفات لا من اصل حسناته لان التضعيف فضل من الله تعالى واصل الحسنة الواحدة عدل منه واحدة بواحدة وذكر الامام البيهقى ان التضعيفات فضل من الله تعالى لا يتعلق بها العباد كما لا يتعلق بالصوم بل يدخرهما الحق للعبد فضلا منه سبحانه فاذا دخل الجنة اثابه بها (قال السعدى) نكوكارى ازمردم نيك راى * يكى رابده مى نويسد خداى * كرم كن كه فردا كه ديوان نهند * منازل بمقدار احسان دهند ولما حثهم على الاخراج سهل عليهم الاقراض واخبرانهم لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه فقال (والله يقبض) يقتر على بعض (ويبسط) يوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح واذا علم العبد ذلك هان عليه الاعطاء لان الله تعالى هو الرزاق وهو الذى وسع عليه فهو يسأل منه ما اعطاه ولانه مخلفه عليه فى الدنيا و يثيبه عليه فى العقبى فكأن الله تعالى يقول اذا علمتم ان الله هو القابض والباسط وان ما عندكم انما هو من بسطه واعطائه فلا تبخلوا عليه بما قرضوه وانفقوا مما وسع عليكم واعطاكم ولا تعكسوا بان تبخلوا الا يعاملكم مثل معاملتكم فى التعكيس بان يقبض بعد ما بسط ولعل تأخير البسط عن القبض فى الذكر للايماء الى انه يعقبه فى الوجود تسلية للفقرآء قال الامام الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى القابض الباسط هو الذى يقبض الارواح عن الاشباح عند الممات ويبسط الارواح فى الاجساد عند الحياة و يقبض الصدقات من الاغنياء و يبسط الارزاق للضعفاء يبسط الرزق على الاغنياء حتى لا تبقى فاقة ويقبضه عن الفقرآء حتى لا تبقى طاقة و يقبض القلوب فيضيقها بما يكشف لها من قلة مبالاته وتعاليه وجلاله ويبسطها لما يقرب اليها من بره ولطفه وجماله والقابض الباسط من العباد من الهم بدآئع الحكم واوتى جوامع الكلم فتارة يبسط قلوب العباد بما يذكرهم من آلاء الله ونعمائه وتارة يقبضها بما ينذرهم به من جلال الله وكبريائه وفنون عذابه وبلائه وانتقامه من اعدآئه كما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قبض قلوب الصحابة عن الحرص على العبادة حيث ذكرهم ان الله يقول لآدم يوم القيامة ابعث بعث النار فيقول كم فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فانكسرت قلوبهم حتى فتروا عن العبادة فلما اصبح ورآهم على ما هم عليه من القبض والفتور روح قلوبهم وبسطها فذكر انهم فى سائر الامم كشامة سودآء فى مسك ثور ابيض انتهى قال القشيرى فى رسالته القبض والبسط حالتان بقدر ترقى العبد عن حال الخوف والرجاء والقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنف والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف (واليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال خيرا وشرا على الجود بالجنة وعلى البخل بالنار وهو وعد ووعيد وهو تنبيه على ان الغنى لمفارق ماله بالموت فليبادر الانفاق قبل الفوت واجتمع جماعة من الاغنياء والفقرآء فقال غنى ان الله تعالى رفع درجاتنا حتى استقرض منا وقال الفقير بل رفع درجاتنا حتى استقرض لنا والواحد قد يستقرض من غير الحبيب ولك ان لا تستقرض الا لاجل الحبيب وقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه عند يهودى بشعير اخذه لقوت عياله انظر ممن استدان ولمن استدان وفى الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال رب كيف اطعمك وانت رب العزة قال استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى فالقرض لا يقع عند المحتاج فكأنه ذكر نفسه ونزل وصفه منزلة المحتاج كقوله مرضت فلم تعدنى جعت فلم تطعمنى شفقة وتلطيفا للفقير والمريض وهذا من باب التنزلات الرحمانية عند المحققين لتكميل محبة العبد وجذبه الى حضرة اهل الشهود من عباده جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين وذلك اذا شاهد العبد الفقير جلوة جمال الرحمن فى اطوار تنزلاته فى المشاهد الاعيانية (وفى المثنوى) روى خوبان زاينه زيبا شود * روى احسان از كدا پيدا شود * پس ازين فرمود حق دروالضحى * بانك كم زن اى محمد بركدا * چون كدا آيينه جود ست هان * دم بود برروى آيينه زيان * فالله تعالى من كمال فضله وكرمه مع عباده خلق انفسهم وملكهم الاموال ثم اشترى منهم انفسهم واموالهم ثم ردها اليهم بالعارية ثم اكرمهم فيها بالاستقراض منهم ثم بشر باضعاف كثيرة عليها فالعبد الصادق لا يطلب الا على قدر همته ولا يريد العوض مما اعطاه الا ذاته تعالى فيعطيه الله ما هو مطلوبه على قدر همته ويضاعف له مع مطلوبه

ماخفى

ما اخفى لهم من قرة اعين اضعافا كثيرة على قدر كرمه فمن يكون له متاع الدنيا بامره قليلا فانظر ما يكون له كثيرا اللهم متعنا بما الهمت على اوليائك واجعلنا من الذين قصروا اعينهم على استطلاع انوار لقائك (الم تر) اى الم ينته علمك (الى) قصة (الملأ) اى قد علمت خبرهم باعلامى اياك فتعجب الملأ جماعة يجتمعون للتشاور وسموا بذلك لانهم اشراف يملؤن العيون مهابة والمجالس بهاءة لا واحد له من لفظه كالقوم (من بنى اسرآئيل) من للتبعيض حال من الملأ اى كائنين بعض بنى اسرآئيل وهم اولاد يعقوب (من) ابتدآئية متعلقة بما تعلق به الجار الاول (بعد) وفاة (موسى اذ قالوا) منصوب بالمضاف المقدر فى الملأ اى الم تر الى قصة الملأ او حديثهم حين قالوا لان الذوات لا يتعجب منها وانما يتعجب من احوالها (لنبى لهم) اشمويل وهو الاشهر الاظهر (ابعث لنا ملكا) اى اقم وانصب لنا سلطانا يتقدمنا ويحكم علينا فى تدبير الحرب ونطيع لامره (نقاتل) معه وهو بالجزم على الجواب (فى سبيل الله) طلبوا من نبيهم ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التى كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروى انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم (قال) كأنه قيل فماذا قال لهم النبى حينئذ فقيل قال (هل عسيتم) قاربتم (ان كتب عليكم القتال) مع الملك شرط معترض بين عسى وخبره وهو قوله (ان لا تقاتلوا) معه قال فى الكشاف والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعنى هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده وانه صائب فى توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه التقرير (قالوا وما) مبتدأ وهو استفهام انكارى خبره قوله (لنا) فى (ان لا نقاتل فى سبيل الله) اى اى سبب وغرض لنا فى ترك القتال (وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) اى والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب عن الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال قال بعضهم وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا جلاء واسرا ومثله يذكر انباء نحو * وزججن الحواجب والعيونا * وكان سبب مسألتهم نبيهم ذلك انه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده فى بنى اسرآئيل يوشع يقيم فيهم التوراة وامر الله حتى قبضه الله ثم خلف فيهم كالب كذلك حتى قبضه الله ثم عظمت الاحداث فى بنى اسرآئيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله وكانت الانبياء من بنى اسرآئيل بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التوراة ثم خلف بعد الياس اليسع وكان فيهم ما شاء الله حتى قبضه الله وخلف فيهم الخلوف وعظمت الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلثانا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة اولاد عمليق بن عاد فظهروا على بنى اسرآئيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم ولقى بنو اسرآئيل منهم بلاء شديدا ولم يكن لهم نبى يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم الا امرأة حبلى فحبسوها فى بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرآئيل فى ولدها وجعلت المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل تقول سمع الله دعائى وهو بالعبرانية اسماعيل والسين تصير شينا فى لغة عبران فكبر الغلام فاسلموه لتعلم التوراة فى بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جنب الشيخ وكان لا يأتمن عليه احدا فدعاه بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام مسرعا الى الشيخ فقال يا ابتاه دعوتنى فكره الشيخ ان يقول لا لئلا يفزع الغلام فقال يا بنى ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتنى فقال ارجع فنم فان دعوتك الثالثة فلا تجبنى فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تأن لك قالوا ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله اية من نبوتك وانما كان قوام امر بنى اسرآئيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك لانبيائهم فكان الملك هو الذى يسير بالجموع والنبى يقيم امره و يشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من عند ربه (فلما كتب عليهم القتال) بعد سؤال النبى ذلك وبعث الملك (تولوا) اى اعرضوا وتخلفوا عن الجهاد وضيعوا امر الله ولكن لا فى ابتدآء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته وانما ذكر الله ههنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافى والتباين (الا قليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر

(والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بالتولى عن القتال وترك الجهاد وتنافى اقوالهم وافعالهم والاشارة ان القوم لما اظهروا خلاف ما اضمروا وزعموا غير ما كتموا عرض نقد دعواهم على محك معناهم فما افلحوا اعند الامتحان اذ عجزوا عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان (قال الحافظ) خوش بود كر محك تجربه امد بميان * تا سيه روى شود هر كه در وغش باشد * وهذه حال المدعين من اهل السلوك وغيرهم قال اهل الحقيقة علموا القتال بما يرجع الى حظوظهم تخذلوا ولو قالوا كيف لا نقاتل وقد عصوا الله وخربوا بلاد الله وقهروا عباد الله واطفأوا نور الله لنصروا وافادت الآية ان خواص الله فيهم قليلة قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وهذا فى كل زمان لكن الشئ العزيز القليل اعلى بهاء من الكثير الذليل (قال السعدى) خاك مشرق شنيده ام كه كنند * بچهل سال كاسهٔ چينى * صد بروزى كنند در بغداد * لاجرم قيمتش همى بينى * وانما كان اهل الحق اقل مع ان الجن والانس انما خلقوا لاجل العبادة كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان المقصود الاعظم هو الانسان الكامل وقد حصل اولان المهديين وان قلوا بالعدد لكنهم كثيرون بالفضل والشرف كما قيل قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا اى اظهروا الشدة وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه السواد الاعظم هو الواحد على الحق والحكمة لا تقتضى اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلى على الله فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا بل تقتضى ظهور ما اضيف اليه كل من اليدين فللواحدة المضاف اليها عموم السعداء الرحمة والحنان وللاخرى القهر والغضب ولوازمهما فلا بد من الغضب لتكميل مرتبة قبضة الشمال فانه وان كان كلتا يديه يمينا مباركة لكن حكم كل واحدة يخالف الاخرى فعلى العاقل ان يحترز من اسباب الغضب ويجتهد فى نيل كرم الرب قال على كرم الله وجهه من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمن ومن ظن انه ببذل الجهد فهو متعن اللهم افض علينا من سجال فضلك وكرمك واوصلنا اليك بك يا ارحم الراحمين (وقال لهم نبيهم) وذلك ان اشمويل لما سأل الله تعالى ان يبعث لهم ملكا اتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل ونش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فدهن به رأسه وملك عليهم قال وهب ضلت حمر لابى طالوت فارسله وغلاما له فى طلبها فمرا ببيت اشمويل فقال الغلام لو دخلنا على هذا النبى فسألناه عن الحمر ليرشدنا ويدعو لنا بحاجتنا فدخلا عليه فبينماهما عنده يذكران له شأن الحمر اذ نش الدهن الذى فى القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكان على طولها فقال لطالوت قرب رأسك فقربه فدهنه بدهن القدس ثم قال له انت ملك بنى اسرائيل الذى امرنى الله ان املكه عليهم قال باى آية قال بآية انك ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال اشمويل لبنى اسرائيل (ان الله قد بعث لكم طالوت) اسم اعجمى ممتنع من الصرف لتعريفه وعجمته (ملكا) حال منه اى فاطيعوه وقاتلوا عدوكم معه (قالوا) متعجبين من ذلك ومنكرين قيل انهم كفروا بتكذيبهم نبيهم وقيل كانوا مؤمنين لكن تعجبوا وتعرفوا وجه الحكمة فى تمليكه كما قال الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها (انى يكون له الملك علينا) من اين يكون له ذلك ويستأهل (ونحن احق بالملك منه) اولى بالرياسة عليه منه بالرياسة علينا (ولم يؤت سعة من المال) اى لم يعط ثروة وكثرة من المال فيشرف بالمال اذا فاته الحسب يعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال ولا بد للملك من مال يقتصد به وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بنى اسرائيل وهو سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذ بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل هو من ولد بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع الملك والثروة عنهم وكانوا يسمونه سبط الاثم وكان طالوت يتحرف بحرفة دنية كان رجلا دباغا يعمل الادم فقيرا او سقاء او مكاريا (قال) لهم نبيهم ردا عليهم (ان الله اصطفاه عليكم) اى اختاره فان لم يكن له نسب ومال فله فضيلة اخرى وهو قوله (وزاده بسطة) اى سعة وامتدادا (فى العلم) المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضا (والجسم) بطول القامة وعظم التركيب لان الانسان يكون اعظم فى النفوس بالعلم واهيب فى القلوب بالجسم وكان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه

وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة امور السياسة وجسامة البدن ليعظم خطره فى القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر (والله يؤتى ملكه من يشاء) لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده (والله واسع) يوسع على الفقير ويغنيه (عليم) بمن يليق بالملك ممن لا يليق به وفى التأويلات النجمية انما حرم بنو اسرائيل من الملك لانهم كانوا معجبين بانفسهم متكبرين على طالوت ناظرين اليه بنظر الحقارة من عجبهم قالوا ونحن احق بالملك منه ومن تكبرهم عليه قالوا انى يكون له الملك علينا ومن تحقيرهم اياه قالوا ولم يؤت سعة من المال فلما تكبروا وضعهم الله وحرموا من الملك (قال السعدى)

يكى قطره باران زابرى چكيد * خجل شد چو پهناى دريا بديد *
كه جايى كه درياست من كيستم * كر او هست حقا كه من نيستم *
چو خودرا بچشم حقارت بديد * صدف دركنارش بجان پروريد *
سپهرش بجايى رسانيد كار * كه شد نامور لؤلوى شاهوار *
بلندى ازان يافت كو پست شد * در نيستى كوفت تا هست شد *

ومن بلاغات الزمخشرى كم يحدث بين الخبيثين ابن لا يعاب والفرث والدم يخرج من بينهما اللبن يعنى حدوثا كثيرا يحدث بين الزوجين الخبيثين ابن طيب لا يعاب بين الناس ولا يذكر بقبيح وهذا غير مستبعد لان اللبن يخرج من بين السرجين والدم وهما مع كونهما مستقذرين لا يؤثران فى اللبن بشئ من طعمهما ولونهما بل يحدث اللبن من بينهما لطيفا نظيفا سائغا للشاربين قالوا يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغى احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر فى كرشها وهو من الحيوان بمنزلة المعدة من الانسان طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه مادة اللبن واعلاه مادة الدم والكبد مسلطة على هذه الاوصاف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع وتبقى الفرث فى الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تأمل والانسان له استعداد الصلاح والفساد فتارة يظهر فى الاولاد الصلاح المبطون فى الاباء وتارة يكون الامر بالعكس وامر الايجاد يدور على الاظهار والابطان فانظر الى آدم وابنيه قابيل وهابيل ثم وثم الى انتهاء الزمان والحاصل ان طالوت ولو كان اخس عند بنى اسرائيل لكنه عظيم شريف عند الله لما ان النظر الالهى اذا تعلق بحجر يجعله جوهرا او بشوك يجعله وردا وريحانا فلا معترض لحكمه ولا راد لقضائه فالوضيع من وضعه الله وان كان قد رفعه الناس والرفيع من رفعه الله وان كان قد وضعه الناس والعاقل اذا تأمل امثال هذا يجد من نفسه الانصاف والسكوت وتفويض الامر الى الحى الذى لا يموت والله يقول الحق وهو يهدى السبيل (وقال لهم نبيهم) طلبوا علامة من نبيهم على كون طالوت ملكا عليهم فقالوا ما آية ملكه فقال (ان آية ملكه) اى علامة سلطنته (ان يأتيكم التابوت) من التوب وهو الرجوع وسمى تابوتا لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودع فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله بعد وفاة موسى عليه السلام سخطا على بنى اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضى الله عنه وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشار ونحوا من ثلاثة اذرع فى ذراعين فكان عند آدم عليه السلام الى ان توفى فتوارثه اولاده واحد بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقى فى ايدى بنى اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس بنى اسرائيل وكان عنده الى ان توفى ثم تداولته ايدى بنى اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا فى شئ تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا فى التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه فى موضع البول والغائط فلما اراد الله ان يملك طالوت سلط الله عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلى بالبواسير وهلكت من بلادهم

خمس مدآتن فعلم الكفار ان ذلك سبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على عجلة وعلقوها على ثورين فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتيا منزل طالوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت فى داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فالاتيان على هذا مجاز لانه اتى به ولم يأت هو بنفسه فنسب الاتيان اليه توسعا كما يقال ربحت التجارة وعلى الوجه الاول حقيقة (فيه) اى فى اتيان التابوت (سكينة من ربكم) اى سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم او الضمير للتابوت قال بعض المحققين السكينة تطلق على ثلاثة اشياء بالاشتراك اللفظى اولها ما اعطى بنوا اسرآئيل فى التابوت كما قال تعالى ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم قال المفسرون هى ريح ساكنة طيبة تخلع قلب العدو بصوتها رعبا اذا التقى الصفان وهى معجزة لانبيائهم وكرامة لملوكهم والثانية شئ من لطائف صنع الحق يلقى على لسان المحدث الحكمة كما يلقى الملك الوحى على قلوب الانبياء مع ترويح الاسرار وكشف السر والثالثة هى التى انزلت على قلب النبى عليه السلام وقلوب المؤمنين وهى شئ يجمع نورا وقوة وروحا يسكن اليه الخائف ويتسلى به الحزين كما قال تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقال بعضهم التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص وذكر الله الذى تطمئن اليه القلوب واتيانه تصيير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن كذلك (وبقية) كائنة (مما) من للتبعيض (ترك آل موسى وآل هرون) هما رضاض الالواح وعصا موسى من آس الجنة وثيابه ونعلاه وعمامة هرون وشئ من التوراة وخاتم سليمان وقفيز من المن وهو الترنجبين الذى كان ينزل على بنى اسرآئيل ويأكلونه فى ارض التيه وآلهما انفسهما والآل مقحم او ابناؤهما او اتباعهما (تحمله الملائكة) حال من التابوت اى ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة او استئناف كانه قيل كيف يأتى فقيل تحمله الملائكة ثم ان التابوت لم تحمله الملائكة فى الروايتين بل نزل من السماء الى الارض بنفسه والملائكة كانوا يحفظونه فى الرواية الاولى واتى به على العجلة وعلى الثورين بسوق الملائكة على الرواية الاخيرة وانما اضيف الحمل فى القولين جميعا الى الملائكة لان من حفظ شيأ فى الطريق جاز ان يوصف بانه حمل ذلك الشئ وان لم يحمله بل كان الحامل غيره كما يقول القائل حملت الامتعة الى زيد اذا حفظها فى الطريق وان كان الحامل غيره (ان فى ذلك) يحتمل ان يكون من تمام كلام النبى وان يكون ابتداء خطاب من الله اى فى رد التابوت ايها الفريق (لآية) عظيمة (لكم) دالة على ملك طالوت وصدق قول نبيكم فى ان الله جعله ملكا فانه امر مناقض للعادة (ان كنتم مؤمنين) مصدقين بالله فصدقوا بتمليكه عليهم وفى الآية اشارة الى ان آية ملك الخلافة للعبد ان يظفر بتابوت قلب فيه سكينة من ربه وهى الطمأنينة بالايمان والانس مع الله وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وهى عصا الذكر كلمة لا اله الا الله وهى كلمة التقوى وهى الثعبان التى اذا فتحت فاها تلقف سحرة صفات فرعون النفس فعصا ذكر الله فى تابوت القلوب وقد اودعها الله بين اصبعى جماله وجلاله كما قال عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فبصفة الجلال يلهمها فجورها وبصفة الاكرام يلهمها تقواها كما قال تعالى فالهمها فجورها وتقواها ولم يستودعها ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا فشتان بين امة سكينتهم فيما للاعدآء عليه تسلط وبين امة سكينتهم فيما ليس للاولياء ولا للانبياء عليه ولاية وان كان فى ذلك التابوت بعض التوراة موضوعا ففى تابوت قلوب هذه الامة جميع القرءآن محفوظ وان كان فى تابوتهم بيوت فيها صور الانبياء ففى تابوت قلوبهم خلوات ليس فيها معهم غير الله كما قال لا يسعنى ارضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبد المؤمن فاذا تيسر لطالوت روح الانسان ان يؤتى تابوت القلب الربانى فسلم ملك الخلافة وسرير السلطنة واستوثق عليه بجميع اسباط الصفات الانسانى فلا يركن الى الدنيا الغدارة المكارة بل يتهجر منها ويتبرز لقتال جالوت النفس الامارة وهذا لا يتيسر الا بفضل الله واخذ الطريقة والتمسك بالحقيقة ره اينست روى از طريقت متاب * بنه كام وكامى كه خواهى بياب * ومن اراد ان يزداد سكينة فليصل الى المعرفة فان المعرفة الالهية توجب السكينة فى القلب كما ان القلب يوجب السكون وسئل ابو يزيد عن المعرفة فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اى غيروا حالها عما هى عليه وكذلك اذا وردت الواردات الربانية على القلوب الممتلئة اخرجت منها كل صفة رديئة وقيل لابى يزيد بم وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار (قال السعدى) باندازه خور زاد اگر مردمى *

چنين

چنين پر شكم آدمى يا خمى * ندارند تن پروران آگهى * كه پر معده باشد زحكمت تهى * اللهم احفظنا من الموانع فى طريق الوصول اليك آمين آمين (فلما فصل طالوت بالجنود) الاصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة اللازم كانفصل والمعنى انفصل عن بلده مصاحبا لهم لقتال العمالقة والجنود جمع جند وهو الجيش الاشدآء مأخوذ من الجند وهى الارض الشديدة وكل صنف من الخلق جند على حدة روى انهم لما رأوا التابوت لم يشكوا فى النصر فتسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا يخرج معى شيخ ولا مريض ولا رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبن بها ولا ابتغى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا اى شديد الحر وسلكوا مفازة فشكوا قلة الماء وسألوا ان يجرى الله لهم نهرا (قال) اى طالوت باخبار من النبى اشمويل (ان الله مبتليكم بنهر) اى معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه وذلك الاختبار ليظهر عند طالوت من كان مخلصا فى نيته من غيره ليميزهم من العسكر لان من لا يريد القتال اذا خالط عسكرا يدخل الضعف فى العسكر فينهزمون بشؤمه آنكه جنك آرد بخون خويش بازى ميكند * روز ميدان آنكه بگريزد بخون لشكرى * فيز بينهما كالذهب والفضة فيهما الخبث فيميز الخالص من غيره بالنار (فمن شرب منه) اى ابتدأ شربه من ماء النهر بان كرع وهو تناول الماء بفيه من موضعه من غير ان يشرب بكفيه ولا باناء (فليس منى) اى من جملتى واشياعى المؤمنين فمن للتبعيض دخلت على نفس المتكلم للاشعار بان اصحابه لقوة اختصاصهم واتصالهم به كانهم بعضه او ليس بمتحد معى فمن اتصالية كما فى قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى بعضهم متصل بالبعض الاخر ومتحد معه (ومن لم يطعمه) الطعم هنا بمعنى الذوق وهو التناول من الشئ تناولا قليلا يقال طعم الشئ اذا ذاقه مأكولا او مشروبا (فانه منى) اى من اهل دينى (الا من اغترف غرفة بيده) استثناء من قوله فمن شرب منه واعتراض الجملة الثانية وهو ومن لم يطعمه للعناية بها لان عدم الذوق منه رأسا عزيمة والاغتراف رخصة وبيان حال الاخذ بالعزيمة اهم من بيان الاخذ بالرخصة والغرفة بالضم اسم للقدر الحاصل فى الكف بالاغتراف والغرف اخذ الماء بآلة كالكف وهو فى الاصل القطع والغرفة التى هى العلية قطعة من البناء والباء متعلقة باغترف قال ابن عباس رضى الله عنه كانت الغرفة الواحدة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها قال الامام وهذا يحتمل وجهين احدهما انه كان مأذونا له ان يأخذ من الماء ما شاء مرة واحدة بقربة او جرة بحيث كان المأخوذ فى المرة الواحدة يكفيه ودوابه وخدمه ويحمل باقيه وثانيهما انه كان يأخذ القليل فيجعل الله فيه البركة حتى يكفى كل هؤلاء فيكون معجزة لنبى ذلك الزمان كما انه تعالى يروى الخلق الكثير من الماء القليل فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم (فشربوا منه) اى فانتهوا الى النهر وابتلوا به فكرعوا فيه كروعا مثل الدواب ولم يقنعوا بالاغتراف فضلا عن ان لا يذوقوا منه شيأ (الا قليلا منهم) وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا على عدد اهل بدر فانهم اغترفوا فشربوا بالاكف ورووا واما الذين خالفوا فشربوا كرعا فازدادوا عطشا واسودت شفاههم وبقوا على شط النهر فعرف طالوت الموافق من المخالف تخلف الاشدآء نه بى حكم شرع آب خوردن خطاست * وگر خون بفتوى بريزى رواست * ولما ردوا بالخلاف فى صفة شرب ماء اصله حلال لكن على صفة مخصوصة وهلكوا ابعد الرد فما حال من تناول الحرام المحض فى الطعام والشراب كيف يقبل ويسلم ثم انه لا خلاف بين المفسرين فى ان الذين عصوا رجعوا الى بلدهم والصحيح انهم لم يجاوزوا النهر وانما رجعوا قبل المجاوزة لقوله تعالى (فلما جاوزه) اى النهر (هو) اى طالوت (والذين آمنوا) وهم القليل الذين اطاعوه ولم يخالفوه فيما ندبهم اليه وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان (معه) اى مع طالوت متعلق بجاوز لا بآمنوا (قالوا) اى بعض من معه من المؤمنين القليلين لبعض آخر منهم وهم الذين يظنون الاية فالمؤمنون الذين جاوزوا النهر صاروا فريقين فريقا يحب الحياة ويكره الموت وكان الخوف والجزع غالبا على طبعه وفريقا كان شجاعا قوى القلب لا يبالى بالموت فى طاعة الله تعالى فالقسم الاول هم الذين قالوا (لا طاقة) قوة (لنا اليوم بجالوت وجنوده) اى بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم وذلك لما شاهدوا منهم من الكثرة والقوة وكانوا مائة الف مقاتل شاكى السلاح والقسم الثانى هم الذين اجابوهم بقولهم كم من فئة الاية (قال) كانه قيل فماذا قال لهم مخاطبهم فقيل قال (الذين يظنون انهم

ملاقوا) نصر (الله) العزيز وتأييده (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة) اى كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة والفئة اسم للجماعة من الناس قلت اوكثرت (باذن الله) اى بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده (والله مع الصابرين) بالنصرة على العدو وبتوفيق الصبر عند الملاقاة قال الراغب فى القصة ايماء ومثال للدنيا وابنائها وان من يتناول قدر ما يتبلغ به اكتفى واستغنى وسلم منها ونجا ومن تناول منها فوق ذلك ازداد عطشا واهذا قيل الدنيا كالملح من ازداد منها عطش وفى الحديث لو ان لابن آدم واديين من ذهب لابتغى اليهما ثالثا فلا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب يعنى لا يزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره الا من تاب فان الله يقبل التوبة من التائب عن حرصه المذموم وعن غيره من المذمات وههنا نكتة وهى ان فى ذكر بنى آدم دون الانسان تلويحا الى انه مخلوق من تراب ومن طبيعته القبض واليبس وازالته ممكنة بان يمطر الله عليه من غمام توفيقه فالعاقل ان لا يتعب نفسه فى جمع حطام الدنيا فان الرزق مقسوم اوحى الله الى داود يا داود تريد واريد فان رضيت بما اريد كفيتك ما تريد وان لم ترض بما اريد اتعبتك ثم لا يكون الا ما اريد فالناس مبتلون بنهر هو منهل الطبيعة الجسمانية فمن شرب منه مفرطا فى الرى منه بالحرص فليس من اهل الحقيقة لانه اهل الطبيعة وعبدة الشهوات والمشتغل بها عن الله الا من قنع من متاع الدنيا على ما لا بد منه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن ومحبة الخلق على الاضطرار بمقدار القوام فانه من اولياء الله والحاصل ان النهر هو الدنيا وزينتها ومن بقى على شطها واطمأنوا بها كثير ممن جاوزها ولم يلتفت اليها فان اهل الله اقل من القليل واهل الدنيا لا يحصى عددهم رزقنا الله واياكم القوت والقناعة ولم يفصلنا عن اهل السنة والجماعة روى انه عليه السلام قال فى وصيته لابى هريرة رضى الله عنه عليك يا ابا هريرة بطريق اقوام اذا فزع الناس لم يفزعوا واذا طلب الناس الامان من النار لم يخافوا قال ابو هريرة من هم يا رسول الله قال قوم من امتى فى آخر الزمان يحشرون يوم القيامة محشر الانبياء اذا نظر اليهم الناس ظنوهم انبياء مما يرون من حالهم حتى اعرفهم انا فاقول امتى امتى فيعرف الخلائق انهم ليسوا انبياء فيمرون مثل البرق والريح تغشى ابصار اهل الجمع من انوارهم فقلت يا رسول الله مرنى بمثل عملهم لعلى الحق بهم فقال يا ابا هريرة ركب القوم طريقا صعبا آثروا الجوع بعد ما اشبعهم الله والعرى بعد ما كساهم الله والعطش بعد ما ارواهم الله تركوا ذلك رجاء ما عند الله تركوا الحلال مخافة حسابه صحبوا الدنيا بابدانهم ولم يشتغلوا بشئ منها عجبت الملائكة والانبياء من طاعتهم لربهم طوبى لهم وددت ان الله جمع بينى وبينهم ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليهم ثم قال عليه السلام اذا اراد الله باهل الارض عذابا فنظر اليهم صرف العذاب عنهم فعليك يا ابا هريرة بطريقهم (قال الشيخ العطار قدس سره) درراه تومردانند ازخويش نهان مانده * بى جسم وجهت كشته بى نام ونشان مانده * تنشان بشريعت هم دلشان بحقيقت هم * هم دل شده وهم جان نه اين ونه آن مانده * عليهم سلام الله ورحمته وبركاته اللهم اجعلنا من اللاحقين بهم امين امين (ولما برزوا) اى ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز اى فضاء من الارض فى موطن الحرب (لجالوت وجنوده) وشاهدوا ما عليهم من العدد والعدد وايقنوا انهم غير مطيقين لهم عادة (قالوا) اى جميعا عند تقوى قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثانى متضرعين الى الله تعالى مستعينين به (ربنا) فى ندائهم بقولهم ربنا اعتراف منهم بالعبودية وطلب لاصلاحهم لان لفظ الرب يشعر بذلك دون غيره (افرغ علينا) افراغ الاناء اخلاؤه مما فيه اى صب علينا وهو استعارة عن الاكمال والاكثار اتوا بلفظة على طلبا لان يكون الصبر مستعليا عليهم وشاملا لهم كالظرف للمظروف (صبرا) على مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده الضيقة (وثبت اقدامنا) وهب لنا ما نثبت به فى مداحض القتال ومزال النزال من قوة القلوب والقاء الرعب فى قلوب العدو ونحو ذلك من الاسباب فالمراد بثبات القدم كمال القوة والرسوخ عند المقارنة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر فى حيز واحد (وانصرنا على القوم الكافرين) بقهرهم وهزمهم ولقد راعوا فى الدعاء ترتيبا بليغا حيث قدموا سؤال افراغ الصبر فى قلوبهم الذى هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر على العدو الذى هو الغاية القصوى (فهزموهم) اى كسروهم بلا مكث (باذن الله) اى بنصره وتأييده اجابة لدعائهم

وقتل

(وقتل داود جالوت) كان جالوت الجبار رأس العمالقة وملكهم وكان من اولاد عمليق بن عاد وكان من اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلثمائة رطل حديد وكان ظله ميلا لطول قامته وكان ايشى ابو داود عليه السلام فى جملة من عبر النهر مع طالوت وكان معه سبعة من ابنائه وكان داود اصغرهم يرعى الغنم فاوحى الى نبى العسكر وهو اشمويل ان داود بن ايشى هو الذى يقتل جالوت فطلبه من الله فجاء به فقال النبى اشمويل لقد جعل الله تعالى قتل جالوت على يدك فاخرج معنا الى محاربته فخرج معهم فمر داود عليه السلام فى الطريق بحجر فناداه يا داود احملنى فانى حجر هارون الذى قتل بى ملك كذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال له احملنى فانى حجر موسى الذى قتل بى كذا وكذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال له احملنى فانى حجرك الذى تقتل بى جالوت فوضعه فى مخلاته وكان من عادته رمى القذافة وكان لا يرمى بقذافته شيا من الذئب والاسد والنمر الا صرعه واهلكه فلما تصاف العسكران للقتال برز جالوت الجبار الى البراز وسأل من يخرج اليه فلم يخرج احد فقال يا بنى اسرائيل لو كنتم على حق لبارزنى بعضكم فقال داود لاخوته من يخرج الى هذا الاقلف فسكتوا فالتمس منه طالوت ان يخرج اليه ووعده ان يزوجه ابنته ويعطيه نصف ملكه ويجرى له خاتمه فيه فلما توجه داود نحوه اعطاه طالوت فرسا ودرعا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس فسار قريبا ثم انصرف الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على الملك فقال ما شأنك فقال ان الله تعالى ان لم ينصرنى لم يغن عنى هذا السلاح شيأ فدعنى اقاتل كما اريد قال نعم فاخذ داود مخلاته فتقلدها واخذ المقلاع ومضى نحو جالوت روى انه لما نظر جالوت الى داود قذف فى قلبه الرعب فقال يا فتى ارجع فانى ارحمك ان اقتلك قال داود بل انا اقتلك قال اتيتنى بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب قال نعم انت شر من الكلب قال جالوت لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء قال داود او يقسم الله لحمك فقال باسم اله ابراهيم واخرج حجرا ثم اخرج الاخر وقال باسم اله اسحق ثم اخرج الثالث وقال باسم اله يعقوب فوضع الاحجار الثلاثة فى مقلاعه فصارت كلها حجرا واحدا ودور المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى اصاب الحجر انف البيضة وخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وهزم الله الجيش وخر جالوت قتيلا فاخذ داود يجره حتى القاه بين يدى طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة سالمين فزوجه طالوت ابنته واجرى خاتمه فى نصف مملكته فمال الناس الى داود واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد قتله فتنبه له داود وهرب منه فسلط طالوت عليه العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه وانطلق داود الى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه دهرا طويلا فاخذ العلماء والعباد ينهون طالوت فى شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله فاكثر فى قتل العلماء الناصحين فلم يكن يقدر على عالم فى بنى اسرائيل يطيق قتله الا قتله ثم ندم على ما فعله من المعاصى والمنكرات واقبل على البكاء ليلا ونهارا حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكى وينادى رحم الله عبدا يعلم ان لى توبة الا اخبرنى بها فلما اكثر التضرع والالحاح عليهم رق له بعض خواصه فقال له ان دللتك ايها الملك لعلك ان تقتله فقال لا والله بل اكرمه اتم الاكرام وانقاد الى حكمه واخذ مواثيق الملك وعهوده على ذلك فذهب به الى باب امرأة تعلم اسم الله الاعظم فلما لقيها قبل الارض بين يديها وسألها هل له من توبة فقالت لا والله لا اعلم لك توبة ولكن هل تعلم مكان قبر نبى فانطلق بها الى قبر اشمويل فصلت ودعت ثم نادت صاحب القبر فخرج اشمويل من القبر ينفض رأسه من التراب فلما نظر اليهم سألهم قال ما لكم اقامت القيامة قالت لا ولكن طالوت يسأل هل له من توبة قال اشمويل يا طالوت ما فعلت بعدى قال لم ادع من الشر شيأ الا فعلته وجئت لطلب التوبة قال كم لك من الولد قال عشرة رجال قال لا اعلم لك من التوبة الا ان تتخلى من ملكك وتخرج انت وولدك فى سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت فتقتل آخرهم ثم رجع اشمويل الى القبر وسقط ميتا ورجع طالوت ففعل ما امر به حتى قتل فجاء قاتله الى داود ليبشره وقال قتلت عدوك فقال داود ما انت بالذى تحيى بعده فضرب عنقه فكان ملك طالوت الى ان قتل اربعين سنة واتى بنوا اسرائيل بداود واعطوه خزائن طالوت وملكوه على انفسهم وملك داود بعد قتل طالوت سبعين سنة (وآتاه الله الملك) اى ملك بنى اسرائيل فى مشارق الارض المقدسة ومغاربها ولم يجتمعوا قبل داود على ملك (والحكمة) اى النبوة ولم يجتمع فى بنى اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك فى سبط

والنبوة فى سبط آخر وانزل عليه الزبور بعمائة وعشرين سورة وهو اول من تكلم باما بعد وهو فصل الخطاب الذى اوتيه داود عليه السلام (وعلمه مما يشاء) اى مما يشاء الله تعليمه اياه من صنعة الدروع بالانة الحديد وكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الامن عمل يده ومنطق الطير وتسبيح الجبال وكلام الحكل والنمل والصوت الطيب والالحان الطيبة فلم يعط الله احدا مثل صوته وكان اذا اقرأ الزبور تدنو الوحوش حتى تؤخذ باعناقها وتطلبه الطير مصيخة له ويركد الماء الجارى وتسكن الريح (ولولا دفع الله) المصدر مضاف الى فاعله اى صرفه (الناس) مفعول الدفع (بعضهم) الذين يباشرون الشر والفساد وهو بدل من الناس بدل بعض من كل (ببعض) آخر منهم بردهم عماهم عليه بما قدر الله من القتل كما فى القصة المحكية اوغيره وهو متعلق بالمصدر (لفسدت الارض) و بطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها وقيل لولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار لهلكت الارض ومن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ثم ان فيه تنبيها على فضيلة الملك وانه لولاه لما انتظم امر العالم ولهذا قيل الدين والملك توأمان ففى ارتفاع احدهما ارتفاع الآخر لان الدين اساس والملك حارس وما لا أس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع والناس قد لا ينقادون للرسل تحت الرياسة مع ظهور الحجج فاحتيج الى المجاهدة باللسان والسيف وذلك يكون من الانبياء ومن يتابعهم ثم لهم آجال مضروبة عندها فوجب ان يكون لهم خلفاء بعدهم من كل عصر فى اقامة الدين والجهاد فهذا دفع الله الناس بعضهم ببعض وتفصيله ان دفع الله الناس بعضهم ببعض على وجهين دفع ظاهر ودفع خفى فالظاهر ما كان بالسواس الاربعة الانبياء والملوك والحكماء المعنيين بقوله ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا والوعاظ فسلطان الانبياء عليهم السلام على الكافة خاصهم وعامهم ظاهرهم و باطنهم وسلطان الملوك على ظواهر الكافة دون البواطن كما قيل نحن ملوك ابدانهم لا ملوك اديانهم وسلطان الحكماء على الخاصة دون العامة وسلطان الوعاظ بواطن العامة واما الدفع الخفى فسلطان العقل يدفع عن كثير من القبائح وهو السبب فى التزام سلطان الظاهر (ولكن الله ذو فضل) عظيم لا يقادر قدره (على العالمين) كافة يعنى لكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الارض وتنتظم به مصالح العالم وتنصلح احوال الامم ففضله تعالى يعم العوالم كلها اما فى عالم الدنيا فبهداية طريق الرشد والصلاح واما فى الآخرة فبالجنات والدرجات والنجاة والفلاح ومن جملة فضله تعالى على العالمين دفع البليات عن بعض عباده بلا واسطة كالانبياء وكمل الاولياء ومن اقتفى اثرهم من اهل اليقين (تلك) اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت (آيات الله) المنزلة من عنده (نتلوها عليك) اى بواسطة جبريل (بالحق) حال من مفعول نتلوها اى ملتبسة بالوجه المطابق الذى لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما فى كتبهم (وانك لمن المرسلين) اى من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم لما اخبرت بتلك الآيات من غير تعرف ولا استماع والتأكيد لرد قول الكفار لست رسولا قال بعضهم

الاى احمد مرسل شود هر مشكل از تو حل ✻ كنم وصف ترا مجمل توبى سلطان هر مولى
✻ شريعت از تو روشن شد طريقت هم مبرهن شد ✻
حقيقت خود معين شد زهى سلطان بى همتا ✻

والاشارة ان المجاهد مع جالوت النفس الامارة لا يقوم بحوله وقوته حتى يرجع الى ربه مستعينا ربنا افرغ علينا صبرا على الائتمار بطاعتك والانزجار عن معاصيك وثبت اقدامنا فى التسليم عند الشدة والرخاء وهجوم احكام القضاء فى السراء والضراء وانصرنا على القوم الكافرين وهم اعداؤنا فى الدين عموما والنفس الامارة التى هى اعدى عدونا بين جنبينا خصوصا اذا كان الالتجاء عن صدق الرجاء برب الارض والسماء يكون مقرونا باجابة الدعاء والظفر على الاعداء فهزموهم باذن الله بنصرة الله فانه الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وقتل داود القلب جالوت النفس اذا اخذ حجر الحرص على الدنيا وحجر الركون على العقبى وحجر تعلقه الى نفسه بالهوى حتى صارت الثلاثة حجرا واحدا وهو الالتفات الى غير المولى فوضعه فى مقلاع التسليم والرضى فرمى به جالوت النفس وسخر الله له ريح العناية حتى اصاب انف بيضة هواها فاخرج منه الفضول وخرج من قفاها وقتل من ورائها ثلاثين من صفاتها

واخلاقها وهزم الله باقى جيشها وهو الشياطين واحزابها وآتاه الله الملك والحكمة يعنى آتى داود القلب ملك الخلافة وحكمة الالهامات الربانية وعلمه مما يشاء من حقائق القرآن واسراره واشاراته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعنى ارباب الطلب بالمشايخ الواصلين لفسدت الارض ارض استعدادهم المخلوقة فى احسن التقويم لتشمير كمالات الدين القويم عن استيلاء جالوت النفس وجنود صفاتها فى تخريب بلاد الارواح بتبديل اخلاقها وتكدير صفاء ذواتها وترديدها الى جحيم صفات البهائم والانعام واسفل دركاتها ولكن الله ذو فضل على العالمين يعنى من كمال فضله ورحمته يحرك سلسلة طلب الطالبين ويلهم اسرارهم بارادة المشايخ الكاملين ويوفقهم للتمسك بذيول تربيتهم والتسليم تحت تصرفاتهم فى تنقيتهم ويثبتهم بالصبر والسكون على الرياضات والمجاهدات فى حال تزكيتهم ويشير الى المشايخ بقبولهم والاقبال عليهم ويقويهم على شدائد المخالفات فلو لم تكن هذه الالطاف من الله ما تيسر لهم تزكية نفوسهم ابدا فهذه اشارات لا تتحقق الا لاهل الخير ولهذا خص الله حبيبه بتحقيقها وتحققها بقوله تلك آيات الله يعنى فى ضمن هذه الآيات حقائق ودقائق نتلوها عليك اى نجلوها اليك بالحق اى بالحقيقة كما هى وانك لمن المرسلين الذين عبروا على هذه المقامات وشاهدوا هذه الاحوال والكرامات كذا فى التأويلات النجمية (تلك الرسل) اشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبى عليه السلام فاللام فى الرسل للاستغراق (فضلنا بعضهم على بعض) بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره واعلم ان الانبياء كلهم متساوون فى النبوة لان النبوة شئ واحد لا تفاضل فيها وانما التفاضل باعتبار الدرجات بلغ بعضهم منصب الخلة كابراهيم عليه السلام ولم يحصل ذلك لغيره وجمع لداود بين الملك والنبوة وطيب النغمة ولم يحصل هذا لغيره وسخر لسليمان الجن والانس والطير والريح ولم يحصل هذا لابيه داود وخص محمدا عليه وعليهم السلام بكونه مبعوثا الى الجن والانس وبكون شرعه ناسخا لجميع الشرائع المتقدمة ومنهم من دعا امته بالفعل الى توحيد الافعال وبالقوة الى الصفات والذات ومنهم من دعا بالفعل الى الصفات ايضا وبالقوة الى الذات ومنهم من دعا الى الذات ايضا بالفعل وهو ابراهيم عليه السلام فانه قطب التوحيد اذ الانبياء كانوا يدعون الى المبدأ والمعاد والى الذات الاحدية الموصوفة ببعض الصفات الالهية الا ابراهيم عليه السلام فانه دعا الى الذات الالهية الاحدية ولذا امر الله نبينا صلى الله عليه وسلم باتباعه بقوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فهو من اتباع ابراهيم باعتبار الجمع دون التفصيل اذ لا متمم لتفاصيل الصفات الا هو ولذلك لم يكن غيره خاتما فالانبياء وان كانوا متفاوتين فى درجات الدعوة بحسب مشارب الامم الا ان كلهم واصلون فانون فى الله باقون بالله لان الولاية قبل النبوة حيث ان آخر درجات الولاية اول مقامات النبوة فهى تبتنى على الولاية ومعنى الولاية الفناء فى الله والبقاء بالله فالنبى لا يكون الا واصلا محرزا جميع مراتب التوحيد من الافعال والصفات والذات (منهم من كلم الله) اى فضله الله بان كلمه بغير واسطة وهو موسى عليه السلام فهو كليمه بمعنى مكالمه واختلفوا فى الكلام الذى سمعه موسى وغيره من الله تعالى انه هل هو الكلام القديم الازلى الذى ليس من جنس الحروف والاصوات قال الاشعرى واتباعه المسموع هو ذلك الكلام الازلى قالوا كما انه لم تمتنع رؤية ما ليس بمكيف فكذا لا يستبعد سماع ما ليس بمكيف وقيل سماع ذلك الكلام محال وانما المسموع هو الحروف والصوت (ورفع بعضهم درجات) اى على درجات فانتصابه على نزع الخافض وذلك بان فضله على غيره من وجوه متعددة او بمراتب متباعدة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتى ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى ثلاثة آلاف آية واكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتى الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفى الحديث فضلت على الانبياء بست اوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون قال فى التأويلات النجمية اعلم ان فضل كل صاحب فضل يكون على قدر استعلاء ضوء نوره لان الرفعة فى الدرجات على قدر رفعة الاستعلاء كما قال تعالى والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم زادت الدرجة فناهيك عن هذا المعنى قول النبى عليه السلام فيما يخبر عن المعراج انه رأى آدم فى السماء الدنيا ويحيى وعيسى فى السماء الثانية ويوسف فى السماء الثالثة وادريس فى السماء الرابعة وهارون فى السماء الخامسة وموسى فى السماء

السادسة وابراهيم فى السماء السابعة وعبر النبى عليه السلام حتى رفع الى سدرة المنتهى ومن ثم الى قاب قوسين او ادنى فهذه الرفعة فى الدرجة فى القربة الى الحضرة كانت له على قدر قوة ذلك النور فى استعلاء ضوئه وعلى قدر غلبات انوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضهم فوق بعض فلما غلب نور الوحدانية على ظلمة انسانية النبى عليه السلام اضمحلت وتلاشت وفنيت ظلمة وجوده بسطوات تجلى صفات الجمال والجلال فكل نبى بقدر بقية ظلمة وجوده بقى فى مكان من اماكن السموات فانه صلى الله عليه وسلم ما بقى فى مكان ولا فى الامكان لانه كان فانيا عن ظلمة وجوده باقيا بنور وجوده ولهذا سماه الله نورا وقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين فالنور هو محمد عليه السلام والكتاب هو القرءآن فافهم واغتنم فانك لا تجد هذه المعانى الا ههنا انتهى كلام التأويلات النجمية (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وشفاء المرضى وابرآء الاكمه والابرص وخلق الطير من الطين والاخبار بالمغيبات والانجيل وجعل معجزاته سبب تفضيله مع ان ايتاء البينات غير مختص بعيسى عليه السلام لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره وخص عيسى عليه السلام بالتعيين مع انه غير مختص بايتاء البينات تقبيحا لافراط اليهود فى تحقيره حيث انكروا نبوته مع ما ظهر على يده من البينات القاطعة الدالة عليها ولافراط النصارى فى تعظيمه حيث اخرجوه عن مرتبة الرسالة (وايدناه) اى قويناه (بروح القدس) اى الروح المطهرة التى نفخها الله فيه فابانه بها من غيره ممن خلق من اجتماع نطفتى الذكر والانثى لانه عليه السلام لم تضمه اصلاب الفحول ولم يشتمل عليه ارحام الطوامث فالقدس بمعنى المقدس من قبيل رجل صدق او القدس هو الله وروحه جبريل والاضافة للتشريف والمعنى اعانه بجبريل فى اول امره وفى وسطه وفى آخره اما فى الاول من امره فلقوله فنفخنا فيه من روحنا واما فى وسطه فلان جبريل عليه السلام علمه العلوم وحفظه من الاعدآء واما فى آخر الامر فحين ارادت اليهود قتله اعانه جبريل ورفعه الى السماء (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) اى من بعد الرسل من الامم المختلفة اى لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق (من) متعلقة باقتتل (بعد ما جاءتهم) من جهة اولئك الرسل (البينات) المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقيقة الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدى الى القتال (ولكن اختلفوا) اى لكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا (فمنهم من آمن) اى بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به (ومنهم من كفر) بذلك كفرا لا ارعوآء له عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم (ولو شاء الله) عدم اقتتالهم بعد هذه المرة ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة (ما اقتتلوا) وما نبض منهم عرق التطاول والتعاون لما ان الكل تحت ملكوته (ولكن الله يفعل ما يريد) اى من الامور الوجودية والعدمية التى من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم فان الترك ايضا من جملة الافعال اى يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيئته تعالى خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا وهذا نذير على المعتزلة قال الامام الغزالى قدس سره المتعالى فى شرح اسمى الضار والنافع هو الذى يصدر منه الخير والشر والنفع والضر وكل ذلك منسوب الى الله تعالى اما بواسطة الملائكة والانس والجمادات او بغير واسطة فلا تظنن ان السم يقتل و يضر بنفسه وان الطعام يشبع و ينفع بنفسه وان الملك او الانسان او الشيطان او شيأ من المخلوقات من فلك الكواكب او غيرها يقدر على خير او شر بنفسه او نفع او ضر بل كل ذلك اسباب مسخرة لا يصدر منها الا ما سخرت له وجملة ذلك بالاضافة الى القدرة الازلية كالقلم بالاضافة الى الكاتب فى اعتقاد العامى وكما ان السلطان اذا وقع لكرامة او عقوبة لم يرض ذلك ولا نفعه من القلم بل من الذى القلم مسخر له فكذلك سائر الوسائط والاسباب وانما قلنا فى اعتقاد العامى لان الجاهل هو الذى يرى القلم مسخر الكاتب والعارف يعلم انه مسخر فى يده لله تعالى وهو الذى الكاتب مسخر له فانه مهما خلق الكاتب وخلق له القدرة وسلط عليه الداعية الجازمة التى لا تردد فيها صدر منه حركة الاصبع والقلم لا محالة شاء ام ابى بل لا يمكنه ان لا يشاء فاذا الكاتب بقلم الانسان ويده هو الله تعالى واذا عرفت هذا فى الحيوان المختار فهو فى الجمادات اظهر قال صاحب روضة الاخيار المؤثر هو الله تعالى والكواكب اسباب عادية الشمس مظهر اسم الحى والزهرة للمريد وعطارد للمسقط والقمر للقابل

ولذا

ولذا كان بيت العزة فى ملكه والمريخ للقادر والمشترى للعليم وزحل للجواد واصول الاسماء اربعة هى الحياة والعلم والقدرة والارادة واسرافيل مظهر الحياة والاقساط مندرج فيها وجبريل مظهر العلم والقول وباعتبار الاول هو روح القدس وبالثانى الروح الامين ولذا كان حامل الوحى وميكائيل مظهر الارادة والجود مندرج فيها ولذا كان ملك الارزاق وعزرائيل مظهر القدرة ولذا يقهر الجبابرة ويذلهم بالموت والفناء (يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) من تبعيضية اى شيأ مما رزقناكموه والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الانفاق والمراد به الانفاق الواجب اى الزكاة بدلالة ما بعده من الوعيد والاكثر على ان الامر يتناول الواجب والمندوب (من) لابتدآء الغاية (قبل ان يأتى يوم) يوم الحساب والجزآء (لا بيع فيه) يتدارك به المقصر تقصيره وهو فى التقدير جواب هل فيه بيع ولهذا رفع والبيع استبدال المال بالثمن (ولا خلة) حتى يسامحكم اخلاؤكم بما تصنعون والخلة المودة والصداقة فكأنها تتخلل الاعضاء اى تدخل خلالها ووسطها والخليل الصديق لمداخلته اياك والخلة تنقطع يوم القيامة بين الاخلاء الا بين المتقين لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (ولا شفاعة) حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم فى حط ما فى ذممكم والشفاعة المنفية يوم القيامة هى التى يستقل فيها الشفيع ويأتى بها وان لم يؤذن له فيها فان الدلائل قائمة على ثبوت الشفاعة للمؤمنين بعد ان يؤذن لهم فيها وهى لمن مات لا يشرك بالله شيأ (والكافرون) اى والتاركون للزكاة وايثاره عليه للتغليظ والتهديد كما قال فى آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك الزكاة من صفات الكفار قال تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة (هم الظالمون) اى الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه * زكاة اكر ندهى اززرت زداده ءوى * علاج كى كنمت آخر الدواء الكى * قال الراغب حث المؤمنين على الانفاق مما رزقهم من النعماء النفسية والبدنية الجارحية وان كان الظاهر فى التعارف انفاق المال ولكن قد يراد به بذل النفس والبدن فى مجاهدة العدو واليهود وسائر العبادات ولما كانت الدنيا دار اكتساب وابتلاء والآخرة دار ثواب وجزآء بين ان لا سبيل للانسان الى تحصيل ما ينتفع به فى الاخرة فاتى بذكر هذه الثلاثة لانها اسباب اجتلاب المنافع المفضية اليها احدها المعاوضة واعظمها المبايعة والثانى ما تناوله بالمودة وهو المسمى بالصلات والهدايا والثالث ما يصل اليه بمعاونة الغير وذلك هو الشفاعة ولما كانت العدالة بالقول المجمل ثلاثة عدالة بين الانسان ونفسه وعدالة بينه و بين الناس وعدالة بينه وبين الله فكذلك الظلم له مراتب ثلاث واعظم العدالة ما بين العبد وبين الله وهو الايمان واعظم الظلم ما يقابله وهو الكفر ولذلك قال والكافرون هم الظالمون اى هم المستحقون لاطلاق هذا الوصف عليهم بلا مثنوية فليسارع العبد الى تقوية الايمان بالانفاق والاحسان حكى انه كان عابد من الشيوخ فاراده الشيطان فلم يستطع منه شيأ فقال له الشيطان الا تسألنى عما اضل به بنى آدم قال بلى قال فاخبرنى ما اوثق شئ فى نفسك ان تضلهم به قال الشح والحدة والسكر فان الرجل اذا كان شحيحا قللنا ماله فى عينيه ورغبناه فى اموال الناس وان كان حديدا ادرناه بيننا كما تتداور الصبيان الكرة فلو كان يحيى الموتى بدعائه لم نيأس منه واذا سكر اقتدناه الى كل شهوة كما تقاد العنز باذنها كذا فى آكام المرجان وعن محمد بن اسماعيل البخارى يقول بلغنا ان الله اوحى الى جبريل عليه السلام فقال يا جبريل لو انا بعثتك الى الدنيا وجعلتك من اهلها ما الذى عملت من الطاعات فيها فقال جبريل انت اعلم بشأنى منى ولكنى كنت اعمل ثلاثة اشياء اولها كنت اعين صاحب العيال فى النفقة على عياله والثانى كنت استر عيوب الخلق وذنوبهم حتى لا يعلم احد من خلقك عيوب عبادك وذنوبهم غيرك والثالث اسقى العطشان وارويه من الماء كذا فى روضة العلماء (قال السعدى) چو خود را قوى حال بينى وخوش * بشكرانه بار ضعيفان بكش * اكر خود همين صورتى چون طلسم * بميرى واسمت بميرد چو جسم * اكر پرورانى درخت كرم * بر نيك نامى خورى لاجرم * اللهم اجعلنا من المنفقين والمستغفرين (الله) هذا الاسم اعظم الاسماء التسعة والتسعين لانه دال على الذات الجامعة لصفات الالهية كلها حتى لا يشذ منها شئ وسائر الاسماء لا تدل آحادها الا على آحاد المعانى من علم او قدرة او فعل وغيره ولانه اخص الاسماء اذ لا يطلقه احد على غيره لا حقيقة ولا مجازا وسائر الاسماء قد يسمى بها غيره كالقادر والعليم والرحيم وغيرها وينبغى ان يكون حظ العبد من هذا الاسم التأله واعنى به ان يكون مستغرق القلب والهمة فى الله تعالى لا يرى غيره

ولا يلتفت الى سواه ولا يرجو ولا يخاف الا اياه وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم انه الموجود الحقيق الحق وكل ماسواه فان وهالك وباطل الا به فيرى نفسه اول هالك وباطل كما رأه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال اصدق بيت قالته العرب قول لبيد ألا كل شئ ما خلا الله باطل وفي هذه الكلمة فوائد ليست في غيرها فان كل كلمة اذا اسقطت منها حرفا يختل المعنى بخلاف هذه فانك ان حذفت الالف يصير لله قال تعالى لله ما في السموات والارض وان حذفت اللام الاولى ايضا يبقى له قال تعالى له ملك السموات والارض وان حذفت اللام الثانية ايضا يبقى الهاء وهو ضمير راجع الى الله تعالى قال تعالى هو الله الذى لا اله الا هو ولا سماء تأثير بليغ خصوص اللفظة الجلالة قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره لما جاء المولى علاء الدين الخلوتى ببروسة صعد المنبر في الجامع الكبير للوعظ وقد اجتمع جمع كثير منتظرين لكلامه فقال مرة واحدة يا الله فحصل للجماعة حالة رقصوا وكادوا لا يزالون من البكاء والفزع وحكى انه لما مات سلطان العصر عزم جماعة الراجل على قتل الوزير فجاء الى بيت الشيخ وفا في القسطنطينية واستغاث منه فادخله الشيخ الى بيته فهجموا جميعا الى بيت الشيخ فخرج الشيخ وقال مرة واحدة يا الله فهربوا جميعا فانظر انهم اذا ذكروا الله تظهر آثار عجيبة ونحن اذا ذكرنا ذلك الاسم بعينه لا يظهر له اثر وذلك لانهم زكوا انفسهم وبدلوا اخلاقهم واما نحن فليس فينا هذا ولا القابلية لذلك وانما الفيض من الله تعالى (قال الحافظ) فيض روح القدس ار بازمدد فرمايد * ديكران هم بكنند آنجه مسيحا ميكرد (لا اله الا هو) الجملة خبر للمبتدأ وهو الجلالة والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وحكى ان تسبيح قطب الاقطاب يا هو ويا من هو هو ويا من لا اله الا هو فاذا قال ذلك بطريق الحال يقدر على التصرفات وللتوحيد ثلاث مراتب توحيد المبتدئين لا اله الا الله وتوحيد المتوسطين لا اله الا انت لانهم في مقام الشهود فقتضاه الخطاب واما الكمل فيسمعون التوحيد من الموحد وهو لا اله الا انا لانهم في مقام الفناء الكلى فلا يصدر منهم شئ اصلا قال ابن الشيخ في حواشى سورة الاخلاص لفظ هو اشارة الى مقام المقربين وهم الذين نظروا الى ماهيات الاشياء وحقائقها من حيث هى هى فلاجرم ما رأوا موجودا سوى الله لان الحق هو الذى لذاته يجب وجوده واما ما عداه فممكن والممكن اذا نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما فهؤلاء لم يروا موجودا سوى الحق سبحانه وكلمة هو وان كانت للاشارة المطلقة ومفتقرة في تعين المراد بها الى سبق الذكر باحد الوجوه او الى ان يعقبها ما يفسرها الا انهم يشيرون بها الى الحق سبحانه ولا يفتقرون في تلك الاشارة الى ما يميز الذات المرادة عن غيرها لان الافتقار الى المميز انما يحصل حيث وقع الابهام بان يتعدد ما يصلح لان يشار اليه وقد بينا انهم لا يشاهدون بعيون عقولهم الا الواحد فقط فلهذا السبب كان لفظة هو كافية في حصول العرفان التام لهؤلاء انتهى كلامه وانما ذكرته ههنا ليكون حجة على من انكر على جماعة الصوفية في كلمة هو ذاهبا الى انها ضمير ولا فائدة بالذكر به وقد سبق منى عند قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو ما ينفعك في هذا المقام قال شيخى وسندى الذى بمنزلة روحى في جسدى الذكر بلا اله الا الله افضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو عند العلماء بالله لانها جامعة بين النفى والاثبات وحاوية على زيادة العلم والمعرفة فمن نفى بلا آله عين الخلق حكما لا علما فقد اثبت كون الحق حكما وعلما وافادنى ايضا اذا قلت لا آله الا الله فشاهد بالشهود الحقانى فناء افعال الخلق وصفاتهم وذواتهم في افعال الحق وصفاته وذاته وهذا مقتضى الجمع والاحدية وتلك الكلمة في الحقيقة اشارة الى هذه المرتبة واذا قلت محمد رسول الله فشاهد بالشهود الحقانى ايضا بقاء افعالهم وصفاتهم وذواتهم بافعاله تعالى وصفاته وذاته وهذا مقتضى الفرق والواحدية وتلك الكلمة ايضا اشارة الى هذه المرتبة فاذا كان توحيد العبد على هذه المشاهدة فلاجرم ان توحيده يكون توحيدا حقيقيا حقانيا لا رسميا نفسانيا (قال المولى الجامى قدس سره) كرچه لا داشت تيركئ عدم * دارد الا فروغ نور قدم * كرچه لا بود كان كفر وجحود * هست الا كليد كنج شهود * چون كند لا بساط كثرت طى * دهد الا زجام وحدت مى * آن رهاند ز نقش بيش وكمت * وين رساند بوحدت قدمت * تا نسازى حجاب كثرت دور * ندهد آفتاب وحدت نور * دائم آن آفتاب تابانست * از حجاب تو از تو پنهانست * كر برون آيى از حجاب توبى * مرتفع كردد از ميانه دويى * در زمين وزمان وكون ومكان * همه او بينى آشكار ونهان * اللهم اوصلنا الى الجمع والعين واليقين (الحى) خبر ثان وهو

في اللغة من له الحياة وهى صفة تخالف الموت والجمادية وتقتضى الحس والحركة الارادية واشرف ما يوصف به الانسان الحياة الابدية في دار الكرامة واذا وصف البارى عز شأنه بها وقيل انه حى كان معناه الدائم الباقى الذى لا سبيل عليه للموت والفناء فهو الموصوف بالحياة الازلية الابدية قال الامام الغزالى في شرح الاسماء الحسنى الحى هو الفعال الدراك حتى ان من لا فعل له اصلا ولا ادراك فهو ميت واقل درجات الادراك ان يشعر المدرك بنفسه فما لا يشعر بنفسه فهو الجماد والميت فالحى الكامل المطلق هو الذى تندرج جميع المدركات تحت ادراكه وجميع الموجودات تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا عن فعله مفعول وذلك هو الله تعالى فهو الحى المطلق وكل حى سواه فحياته بقدر ادراكه وفعله وكل ذلك محصور في قوله (القيوم) قام بالامر اذا دبره مبالغة القائم فانه تعالى دائم القيام على كل شئ بتدبير امره في انشائه وترزيقه وتبليغه الى كماله اللائق به وحفظه قال الامام الغزالى اعلم ان الاشياء تنقسم الى ما يفتقر الى محل كالاعراض والاوصاف فيقال فيها انها ليست قائمة بنفسها والى ما لا يحتاج الى محل فيقال انه قائم بنفسه كالجواهر الا ان الجوهر وان قام بنفسه مستغنيا عن محل يقوم به فليس مستغنيا عن امور لا بد منها لوجوده وتكون شرطا في وجوده فلا يكون قائما بنفسه لانه محتاج في قوامه الى وجود غيره وان لم يحتج الى محل فان كان في الوجود موجود يكفى ذاته بذاته ولا قوام له بغير ولا شرط في دوام وجوده وجود غيره فهو القائم بنفسه مطلقا فان كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور للاشياء وجود ولا دوام وجود الا به فهو القيوم لان قوامه بذاته وقوام كل شئ به وليس ذلك الا الله تعالى ومدخل العبد في هذا الوصف بقدر استغنائه عما سوى الله تعالى انتهى كلام الغزالى قيل الحى القيوم اسم الله الاعظم وكان عيسى عليه السلام اذا اراد ان يحيى الموتى يدعو بهذا الدعاء يا حى يا قيوم ويقال دعاء اهل البحر اذا خافوا الغرق يا حى يا قيوم وعن على ابن ابى طالب رضى الله عنه لما كان يوم بدر جئت انظر ما يصنع النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد يقول يا حى يا قيوم فترددت مرات وهو على حاله لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له وهذا يدل على عظمة هذا الاسم وفي التأويلات النجمية انما اشير في معنى الاسم الاعظم الى هذين الاسمين وهما الحى والقيوم لان اسمه الحى مشتمل على جميع اسمائه وصفاته فان من لوازم الحى ان يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا واسمه القيوم مشتمل على افتقار جميع المخلوقات اليه فاذا تجلى الله لعبد بهاتين الصفتين فالعبد يكاشف عند تجلى صفة الحى بمعانى جميع اسمائه وصفاته ويشاهد عند تجلى صفة القيوم فناء جميع المخلوقات اذا كان قيامها بقيومية الحق لا بانفسهم فلما جاء الحق زهق الباطل فلا يرى في الوجود الا الحى القيوم اذا سلب الحى جميع اسماء الله وسلب القيوم قيام المخلوقات فترتفع الاثنينية بينهما واذا فنى التعدد وبقيت الوحدة فيصير ان اسما اعظم للمتجلى له فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الانسانية فقد ذكره باسمه الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى فاما الذاكر عند غيبه فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الاعظم بالنسبة الى حال غيبه وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الاعظم كما سئل ابو يزيد البسطامى قدس سره عن الاسم الاعظم فقال الاسم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باى اسم شئت انتهى ما في التأويلات واعلم ان الاسم الاعظم عبارة عن الحقيقة المحمدية فمن عرفها عرفه وهى صورة الاسم الجامع الالهى وهو ربها ومنه الفيض فاعرف تفز بالحظ الاوفى (لا تأخذه سنة ولا نوم) السنة ثقلة من النعاس وفتور يعترى المزاج قبل النوم وليست بداخلة في حد النوم والنعاس اول النوم والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه مع ان قياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود الخارجى فان الموجود منهما اولا هو السنة ثم يعترى بعدها النوم وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفى لكل منهما والمراد بيان انتفاء اعتراء شئ منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه وانما عبر عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الاخذ لمراعاة الواقع اذ عروض السنة والنوم لمعروضهما انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء والجملة نفى للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير والمعنى لا يعتريه ما يعترى المخلوقين من السهو والغفلة والملال والفترة في حفظ ما هو قائم بحفظه ولا يعرض له عوارض التعب المحوجة الى الاستراحة فيستريح بالنوم والسنة لان النوم

اخو الموت والموت ضد الحياة وهو الحى الحقيق فلا يلحقه ضد الحياة فكما انه موصوف بصفات الكمال منزه عن جميع صفات النقصان روى ان موسى عليه السلام سأل الملائكة وكان ذلك فى نومه اينام ربنا فاوحى الله تعالى اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فاخذهما فاخذه النوم فزالتا وانكسرتا ثم اوحى الله اليه انى امسك السموات والارض بقدرتى فلو اخذنى نوم اونعاس لزالتا كذا فى الكشاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغى له ان ينام قال ابن الملك هذا بيان لاستحالة وقوع النوم منه لانه عجز والله تعالى يتعالى عنه انتهى وحظ العبد من هذا الوصف ان يترك النوم فان الله تعالى وان رخص للعباد فى المنام بل هو فضل منه تعالى لكن كثرة المنام بطالة وان الله تعالى لا يحب البطال قال ابو يزيد البسطامى قدس سره لم يفتح لى شئ الا بعد ان جعلت الليالى اياما (قال السعدى) سر آنكه ببالين نهد هوشمند * كه خوابش بقهر آورد دركمند * قيل كان رجل له تلميذان اختلفا فيما بينهما فقال احدهما النوم خير لان الانسان لا يعصى فى تلك الحالة وقال الاخر اليقظة خير لانه يعرف الله فى تلك الحالة فتحا كما الى ذلك الشيخ فقال الشيخ اما انت الذى قلت بتفضيل اليقظة فالحياة خير لك وقيل اشترى رجل مملوكة فلما دخل الليل قال افرشى الفراش فقالت المملوكة يامولاى الك مولى قال نعم قالت ينام مولاك قال لا فقالت الا تستحيى ان تنام ومولاك لم ينم ومن الابيات التى كان يذكرها بلال الحبشى رضى الله عنه وقت السحر (ياذا الذى استغرق فى نومه * مانوم عبد ربه لا ينام * اهل تقول انى مذنب * مشتغل الليل بطيب المنام) (له ما فى السموات وما فى الارض) تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده فى الالوهية لانه تعالى خلقهما بما فيهما والمشاركة انما تقع فيما فيهما ومن يكن له ما فيهما فمحال مشاركته فكل من فيهما وما فيهما ملكه ليس لاحد معه فيه شركة ولا لاحد عليه سلطان فلا يجوز ان يعبد غيره كما ليس لعبد احدكم ان يخدم غيره الا باذنه والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم فهو ابلغ من ان يقال له السموات والارض وما فيهن لان قوله وما فيهن بعد ذكر السموات والارض انما يتناول الامور الخارجة المتمكنة فيهن اذ لو اريد به ما يعم الامور الداخلة فيهما والخارجة عنهما لاغنى ذكره عن ذكرهما (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) من مبتدأ وذا خبره والذى صفة ذا او بدل منه ولفظ من وان كان استفهاما فمعناه النفى ولذلك دخلت الا فى قوله الا باذنه وعنده فيه وجهان احدهما انه متعلق بيشفع والثانى انه متعلق بمحذوف فى موضع الحال من الضمير فى يشفع اى لا احد يشفع مستقرا عنده الا باذنه وقوى هذا الوجه بانه اذا لم يشفع عنده من هو عنده وقريب منه فشفاعة غيره ابعد والا باذنه متعلق بمحذوف لانه حال من فاعل يشفع فهو استثناء مفرغ والباء للمصاحبة والمعنى لا احد يشفع عنده فى حال من الاحوال الا فى حال كونه مأذونا له اولا احد يشفع عنده بامر من الامور الا باذنه والباء للاستعانة كما فى ضرب بسيفه فيكون الجار والمجرور فى موضع المفعول به وكان المشركون يقولون اصنامنا شركاء الله تعالى وهم شفعاؤنا عنده فوحد الله نفسه بالنفى والاثبات ليكون المعنى فى ثبوت التوحيد ونفى الشرك اى ليس لاحد ان يشفع لاحد عنده الا باذنه وقد اخبر انه لا يأذن فى الشفاعة للكفار وهو رد على المعتزلة فى انهم لا يرون الشفاعة اصلا والله تعالى اثبتها للبعض بقوله الا باذنه وفى التأويلات النجمية هذا الاستثناء راجع الى النبى عليه السلام لان الله قد وعد له المقام المحمود وهو الشفاعة فالمعنى من ذا الذى يشفع عنده يوم القيامة الا عبده محمد فانه مأذون موعود وبعينه الانبياء بالشفاعة انتهى غم نخورد انكه شفيعش تو يى * پايه ده قدر رفيعش تو يى * حاصلى از نيست زطاعت مرا * هست اميدى بشفاعت مرا * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى آت من عند ربى نخيرنى بين ان يدخل نصف امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة روى ان الانبياء عليهم السلام يعينون نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة فيأتى الناس اليه فيقول انا لها وهو المقام المحمود الذى وعده الله به يوم القيامة فيأتى ويسجد ويحمد الله بمحامد يلهمه الله تعالى اياها فى ذلك الوقت لم يكن يعلمها قبل ذلك ثم يشفع الى ربه ان يفتح باب الشفاعة للخلق فيفتح الله ذلك الباب فيأذن فى الشفاعة للملائكة والرسل والانبياء والمؤمنين فهذا يكون سيد الناس يوم القيامة فانه شفع عند الله ان يشفع الملائكة والرسل ومع هذا تأدب صلى الله عليه وسلم وقال انا سيد الناس ولم يقل سيد الخلائق فيدخل الملائكة

فى ذلك مع ظهور سلطانه فى ذلك اليوم على الجميع وذلك انه صلى الله عليه وسلم جمع له بين مقامات الانبياء عليهم السلام كلهم ولم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليهم من اختصاصه بعلم الاسماء كلها فاذا كان فى ذلك اليوم افتقر اليه الجميع من الملائكة والناس من آدم فمن دونه فى فتح باب الشفاعة واظهار ماله من الجاه عند الله اذ كان القهر الالهى والجبروت الاعظم قد اخرس الجميع فدل على عظيم قدره عليه السلام حيث اقدم مع هذه الصفة الغضبية الالهية على مناجاة الحق فيما سئل فيه فاجابه الحق سبحانه كذا فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى عليه رحمة البارى واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اول من يفتح باب الشفاعة فيشفع فى الخلق ثم الانبياء ثم الاولياء ثم المؤمنون وآخر من يشفع هو ارحم الراحمين فان الرحمن ما شفع عند المنتقم فى اهل البلاء الا بعد شفاعة الشافعين الذين لم تظهر شفاعتهم الا بعد شفاعة خاتم الرسل اياهم ليشفعوا ومعنى شفاعة الله سبحانه هو انه اذا لم يبق فى النار مؤمن شرعى اصلا يخرج الله منها قوما علموا التوحيد بالادلة العقلية ولم يشركوا بالله شيأ ولا آمنوا ايمانا شرعيا ولم يعملوا خيرا قط من حيث ما اتبعوا فيه نبيا من الانبياء فلم يكن عندهم ذرة من ايمان فيخرجهم ارحم الراحمين هذا فانه من الغرائب افاده لى شيخى العلامة افادة كشفية وصادفته ايضا فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى اللهم اغفر وارحم وانت ارحم الراحمين (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) استئناف آخر لبيان احاطة علمه باحوال خلقه المستلزم لعلمه بمن يستحق الشفاعة ومن لا يستحقها اى يعلم ما كان قبلهم من امور الدنيا وما يكون بعدهم من امر الآخرة او ما بين ايديهم يعنى الآخرة لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم او ما بين ايديهم من السماء الى الارض وما خلفهم يريد ما فى السموات او ما بين ايديهم بعد انقضاء آجالهم وما خلفهم اى ما كان قبل ان يخلقهم او ما فعلوه من خير وشر وقدموه وما يفعلونه بعد ذلك والمقصود بهذا الكلام بيان انه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب والضمير لما فى السموات وما فى الارض لان فيهم العقلاء فغلب من يعقل على غيره او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء فيكون للعقلاء خاصة (ولا يحيطون) اى لا يدركون يعنى من الملائكة والانبياء وغيرهم (بشئ من علمه) اى من معلوماته (الا بما شاء) ان يعلموه وان يطلعهم عليه كاخبار الرسل فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وانما فسرنا العلم بالمعلوم لان علمه تعالى الذى هو صفة قائمة بذاته المقدسة لا يتبعض فجعلناه بمعنى المعلوم ليصح دخول التبعيض والاستثناء عليه وفى التأويلات النجمية يعلم محمد عليه السلام ما بين ايديهم من الامور الاوليات قبل خلق الله الخلائق كقوله اول ما خلق الله نورى وما خلفهم من اهوال القيامة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسى نفسى وحوالة الخلق بعضهم الى بعض حتى بالاضطرار يرجعون الى النبى عليه السلام لاختصاصه بالشفاعة ولا يحيطون بشئ من علمه يحتمل ان تكون الهاء كناية عنه عليه السلام يعنى هو شاهد على احوالهم يعلم ما بين ايديهم من سيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وما خلفهم من امور الاخرة واحوال اهل الجنة والنار وهم لا يعلمون شيأ من معلوماته الا بما شاء ان يخبرهم عن ذلك انتهى قال شيخنا العلامة ابقاه الله بالسلامة فى الرسالة الرحمانية فى بيان الكلمة العرفانية علم الاولياء من علم الانبياء بمنزلة قطرة من سبعة ابحر وعلم الانبياء من علم نبينا محمد عليه السلام بهذه المنزلة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه بهذه المنزلة انتهى وفى القصيدة البردية

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر اورشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم * من نقطة العلم او من شكلة الحكم

حاصله ان علوم الكائنات وان كثرت بالنسبة الى علم الله عز وجل بمنزلة نقطة او شكلة ومشربها بحر روحانية محمد صلى الله عليه وسلم فكل رسول ونبى وولى آخذون بقدر القابلية والاستعداد مما لديه وليس لاحد ان يعدوه او يتقدم عليه قوله النقطة فعلة من نقطت الكتاب نقطا معناها الحاصل والشكلة بالفتح فعلة من شكلت الكتاب قيدته بالاعراب (وسع كرسيه السموات والارض) الكرسى ما يجلس عليه من الشئ المركب من خشبات موضوعة بعضها فوق بعض ولا يفضل على مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس الذى هو الملبد وهو ما يجعل فيه اللبدة اى لم يضق كرسيه عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته

وتمثيل مجرد ولا كرسى فى الحقيقة ولا قاعد وتقريره انه تعالى خاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه فى ملوكهم وعظمائهم كما جعل الكعبة بيتاله يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وامر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر فى الحجر الاسود انه يمين الله تعالى فى ارضه ثم جعله موضعا للتقبيل كما يقبل الناس ايدى ملوكهم وكذلك ماذكر فى محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهدآء فوضع الميزان وعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ثم اثبت لنفسه كرسيا فقال وسع كرسيه السموات والارض والحاصل ان كل ماجاء من الالفاظ الموهمة للتشبيه فى العرش والكرسى فقد ورد مثلها بل اقوى منها فى الكعبة والطواف وتقبيل الحجر ولما توافقت الامة ههنا على ان المقصود تعريف عظمة الله وكبريائه مع القطع بانه تعالى منزه عن ان يكون فى الكعبة ما يوهمه تلك الالفاظ فكذا الكلام فى العرش والكرسى والمعتمد كما قال الامام ان الكرسى جسم بين يدى العرش محيط بالسموات السبع لان الارض كرة والسماء الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة بالبيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالدنيا وهكذا الى ان يكون العرش محيطا بالكل قال صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون السبع من الكرسى الا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وهو المشهور بفلك البروج قال مقاتل كل قائمة من الكرسى طولها مثل السموات السبع والارضين السبع وهو بين يدى العرش ويحمل الكرسى اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم فى الصخرة التى تحت الارض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلام وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو الثور وهو يسأل للانعام الرزق من السنة الى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل وملك على صورة سيد السباع وهو الاسد يسأل للسباع الرزق من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل للطير الرزق من السنة الى السنة وفى التأويلات النجمية اما القول فى معنى الكرسى فاعلم ان مقتضى الدين والديانة ان لا يؤول المسلم شيأ من الاعيان مما نطق به القرءآن والاحاديث بالمعانى الا بصورها كما جاء وفسرها النبى عليه السلام والصحابة وعلماء السلف الصالح اللهم الا ان يكون محققا خصصه الله بكشف الحقائق والمعانى والاسرار واشارات التنزيل وتحقيق التأويل فاذا كوشف بمعنى خاص اواشارة وتحقيق بقدر ذلك المعنى من غير ان يبطل صورة الاعيان مثل الجنة والنار والميزان والصراط وما فى الجنة من الحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها من العرش والكرسى والشمس والقمر والليل والنهار لا يؤول شيأ منها على مجرد المعنى ويبطل صورته بل يثبت تلك الاعيان كما جاء ويفهم منها حقائق معانيها فان الله تعالى ما خلق شيأ فى عالم الصورة الا وله نظير فى عالم المعنى وما خلق شيأ فى عالم المعنى وهو الآخرة الا وله حقيقة فى عالم الحق وهو غيب الغيب فافهم جدا وما خلق فى العالمين شيأ الا وله مثال وانموذج فى عالم الانسان فاذا عرفت هذا فاعلم ان مثال العرش فى عالم الانسان قلبه اذ هو محل استوآء الروح عليه ومثال الكرسى سر الانسان والعجب كل العجب ان العرش مع نسبته الى استوآء الرحمانية قيل هو كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى وسعة قلب المؤمن انتهى ما فى التأويلات (وفى المثنوى) كفت پيغمبر

كه حق فرموده است * من نكنجم هيچ در بالا و پست * در زمين و آسمان و عرش نيز * من نكنجم

اين يقين دان اى عزيز * در دل مؤمن بكنجم اى عجب * كر مرا جويى در ان دلها طلب * خود بزركى

عرش باشد بس مديد * ليك صورت كيست چون معنى رسيد (ولا يؤوده) يقال آده الشئ يؤوده

اذا اثقله ولحقه منه مشقة مأخوذ من الاود بفتح الواو وهو العوج ويعرض ذلك بالثقل اى لا يثقله ولا يشق عليه تعالى (حفظهما) اى حفظ السموات والارض اذ القريب والبعيد عنده سوآء والقليل والكثير سوآء وكيف يتعب فى خلق الذرة وكل الكون عنده سوآء فلا من القليل له تيسر ولا من الكثير عليه تعسر انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لان حفظهما مستتبع لحفظه (وهو العلى) اى المتعالى بذاته عن الاشباه والانداد (العظيم) الذى يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه فالمراد بالعلو علو القدر والمنزلة لا علو المكان لانه تعالى منزه عن التحيز وكذا عظمته انما هى بالمهابة والقهر والكبرياء ويمتنع ان يكون بحسب المقدار والحجم لتعالى شأنه من ان يكون من جنس الجواهر والاجسام والعظيم من العباد

الانبياء والاولياء والعلماء الذين اذا عرف العاقل شيأ من صفاتهم امتلأ بالهيبة صدره وصار متشوقا بالهيبة قلبه حتى لا يبقى فيه متسع فالنبى عليه السلام عظيم فى حق امته والشيخ عظيم فى حق مريده والاستاذ فى حق تلميذه اذ يقصر عقله عن الاحاطة بكنه صفاته فان ساواه او جاوزه لم يكن عظيما بالاضافة اليه وهذه الآية الكريمة منطوية كما ترى على امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعترى النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له فهو العالم وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شأنه ان يملك ويقدر عليه ولا يشق عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما تناله الاوهام عظيم لا تحدق به الافهام ولذلك قال عليه السلام ان اعظم آية فى القرءآن آية الكرسى من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة يعنى انما صارت آية الكرسى اعظم الآيات لعظم مقتضاها فان الشئ انما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته وآية الكرسى اقتضت التوحيد فى خمسين حرفا وسورة الاخلاص فى خمسة عشر حرفا قال الامام فى الاتقان اشتملت آية الكرسى على ما لم تشتمل عليه آية فى اسماء الله تعالى وذلك انها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا فى بعضها ومستكنا فى بعض وهى الله هو الحى القيوم وضمير لا تأخذه وله وعنده وباذنه ويعلم وعلمه وشاء وكرسيه ويؤوده وضمير حفظهما المستتر الذى هو فاعل المصدر وهو العلى العظيم ويكفى فى استحقاقها السيادة ان فيها الحى القيوم وهو الاسم الاعظم كما ورد به الخبر عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وتذاكر الصحابة افضل ما فى القرءآن فقال لهم على اين انتم عن آية الكرسى ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرءآن وسيد القرءآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى وعن على كرم الله وجهه عن النبى عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه الآية فى دار الا اهجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا على علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وعن على ايضا سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة ابدا الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وعن محمد ابن ابى بن كعب عن ابيه ان اباه اخبره انه كان له جرن فيه خضر فكان يتعاهده فوجده ينقص فحرسه ذات ليلة فاذا هو بدابة تشبه الغلام المحتلم قال فسلمت فرددت عليها السلام وقلت من انت جن ام انس قالت جن قلت ناولينى يدك فناولتنى يدها فاذا يد كلب وشعر كلب فقلت هكذا خلقة الجن قالت لقد علمت الجن ما فيهم اشد منى قلت ما حملك على ما صنعت قالت بلغنى انك رجل تحب الصدقة فاحببنا ان نصيب من طعامك فقال لها ابى فما الذى يجيرنا منكم قالت هذه الآية التى فى سورة البقرة الله لا اله الا هو الحى القيوم من قالها حين يصبح اجيرمنا حتى يمسى ومن قالها حين يمسى اجيرمنا حتى يصبح فلما اصبح اتى النبى عليه السلام فاخبره فقال النبى عليه السلام صدق الخبيث وروى ان رجلا اتى شجرة او نخلة فسمع فيها حركة فتكلم فلم يجب فقرأ آية الكرسى فنزل اليه شيطان فقال ان لنا مريضا فبم نداويه قال بالذى انزلتنى به من الشجرة وخرج زيد بن ثابت الى حائط له فسمع فيه جلبة فقال ما هذا قال رجل من الجان اصابتنا السنة فاردنا ان نصيب من ثماركم افتطيبونها قال نعم فقال له زيد بن ثابت الا تخبرنى ما الذى يعيذنا منكم قال آية الكرسى وبالجملة ان آية الكرسى من اعظم ما ينتصر به على الجن فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة ان لها تأثيرا عظيما فى طرد الشياطين عن نفس الانسان وعن المصروع وعمن تعينه الشياطين مثل اهل الشهوة والطرب وارباب سماع المكاء والتصدية واهل الظلم والغضب اذا قرئت عليهم بصدق كما فى آكام المرجان فى احكام الجان * دل پر درد را دوا قرآن *

جان مجروح را شفا قرآن * هرچه جويى ز نص قرآن جو * كه بود كنج علمها قرآن * وانما قال اذا قرئت عليهم بصدق لانه هو العمدة والصادق يبيض وجهه والكاذب يسود الا ترى الى الصبح الصادق

والكاذب كيف اعقب الاول شمس منير دون الثانى (قال فى المثنوى) هست تسبيحت بخار آب وكل * مرغ جنت شدز نفخ صدق دل * وكل ماوقع بطريق الحال وجد عنده التأثير بخلاف ماوقع بطريق القال فقط ولذا ترى اكثر الناس محرومين وان دعوا بالاسم الاعظم اللهم آت نفسى تقواها وزكها انت خير من زكاها امين (لا اكراه فى الدين) قال بعضهم نزلت هذه الاية فى المجوس واهل الكتاب من اليهود والنصارى انه تقبل منهم الجزية ولا يكرهون على الاسلام ليس كمشركى العرب فانه لا يقبل منهم الا السيف او الاسلام ولا تقبل منهم الجزية ان اسلموا فبها والا قتلوا قال الله تعالى فقاتلوهم او يسلمون والمعنى لا اجبار فى الدين لان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم لوضوح الحجة (قد تبين الرشد) هو لفظ جامع لكل خير والمراد ههنا الايمان الذى هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية لتقدم ذكر الدين (من الغى) اى من الكفر الذى هو المؤدى الى الشقاوة السرمدية قال الراغب الغى كالجهل يقال اعتبارا بالاعتقاد والغى اعتبارا بالافعال ولهذا قيل زوال الجهل بالعلم وزوال الغى بالرشد (فمن يكفر بالطاغوت) هو كل ماعبد من دون الله مما هو مذموم فى نفسه ومتمرد كالانس والجن والشياطين وغيرهم فلا يرد عيسى عليه السلام والكفر به عبارة عن الكفر باستحقاقه العبادة (ويؤمن بالله) بالتوحيد وتصديق الرسل لان الكفر بالانبياء والكتب يمنع حقيقة الايمان بالله لان الايمان بالله حقيقة يستلزم الايمان باوامره ونواهيه وشرائعه المعلومة بالدلائل التى اقامها الله لعباده وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية بالمعجمة متقدمة على التحلية بالمهملة (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى بالغ فى التمسك بالحلقة الوكيدة وعروة الجسم الكبير الثقيل الموضع الذى يتعلق به من يأخذ ذلك الجسم ويحمله والوثقى فعلى للتفضيل تأنيث الاوثق كفضلى تأنيث الافضل (لا انفصام لها) اى لا انقطاع وهو استئناف لبيان قوة دلائل الحق بحيث لا يعتريها شئ من الشبه والشكوك فان العروة الوثقى استعارة المحسوس للمعقول لان من اراد امساك هذا الدين تعلق بالدلائل الدالة عليه ولما كانت دلائل الاسلام اقوى الدلائل واوضحها وصفها الله بانها العروة الوثقى قال المولى ابو السعود الكلام تمثيل مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذى لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة فى المفردات (والله سميع) بالاقوال (عليم) بالعزائم والعقائد يعلم غيها ورشدها وباطلها وحقها ويجزى كلا على وفق عمله وقوله وعقده وهو ابلغ وعد ووعيد واعلم ان حقيقة الايمان كونه متعلقا بالله على وجه الشهود والعيان ومجازه كونه متعلقا به على وجه الرسم والبيان او بالطاغوت وحقيقة الكفر كونه متعلقا بالطاغوت ومجازه كونه متعلقا بوحدة الله او بنعمته فان الكفر ثلاثة اقسام كفرا لنعمة وكفرا لوحدة وكفر الطاغوت وافراد الانسان ثلاثة اقسام ايضا اصحاب الميمنة وهم ارباب الجمال ومظاهره واصحاب المشأمة وهم ارباب الجلال ومظاهره والمقربون وهم اصحاب الكمال ومظاهره وقلوب الفريق الاول فى ايدى سدنة الجمال الالهى من الملائكة المقربين وقلوب الفريق الثانى فى ايدى سدنة الجلال الالهى من الشياطين المتمردين يستعملونها فى سبيل الشرور وقلوب الفريق الثالث فى يد الله الملك المتعال يد الله فوق ايدى سدنة الجمال والجلال يقلبها كيف يشاء بين التجليات العاليات والعلوم والمعارف الالهيات ولما تعلق ايمان هذه الفرق بالله على وجه الشهود والعيان وتعلق كفرهم بالطاغوت جليا او خفيا كان ايمانهم وكفرهم حقيقيين وجاوزوا من عالم المجاز الى عالم الحقيقة واما الفريق الثانى فقد تعلق ايمانهم بالطاغوت مطلقا جليا او خفيا وكفرهم بالوحدة والنعمة فكان ايمانهم وكفرهم مجازيين لكن ايمانهم مردود ككفرهم لانه لم يتعلق بالله اصلا بل كان كله مقصورا على الطاغوت ولذا لم يتجاوزوا من عالم المجاز اصلا ولم يصلوا الى قرب عالم الحقيقة جدا فضلا عن وصولهم الى عالم الحقيقة قطعا واما الفريق الاول فلما تعلق ايمانهم بالله على وجه الرسم والبيان لا بالطاغوت الجلى جدا ولم يتعلق ايمانهم به على وجه الشهود ولم يتعلق ايمانهم به على الاخلاص حين تعلق به على وجه الرسم والبيان لتعلقه ايضا بالطاغوت الخفى وتعلق كفرهم بالطاغوت الجلى فقط لا بالطاغوت الخفى كان ايمانهم وكفرهم مجازيين ايضا لكن ايمانهم لم يكن ككفرهم مردودا بل كان مقبولا من وجه لعدم تعلقه بالطاغوت الجلى اصلا فان غلب تعلقه بالله على تعلقه بالطاغوت الخفى عند خاتمته فيدخل فى الفلاح ثم فى الاخرة ان تداركه الفضل الالهى فيها ونعمت

فيغفر

فيغفر والا فيدخل الجحيم ويعذب بكفره الخفى ثم يخرج لعدم كفره بالله جليا ويدخل النعيم لايمانه بالله جليا وكفره بالطاغوت وهم ايضا لم يصلوا الى عالم الحقيقة بل انما وصلوا الى قربه ولذا جاوزوا الجحيم ودخلوا النعيم فى قرب عالم الحقيقة ولذا كانوا بالنسبة الى نفس الحقيقة موطنين فى عالم المجاز والفرقة لا فى عالم الحقيقة والوصلة واما الفريق الثانى فهم مخلدون فى النار ابدا لايمانهم بالطاغوت مطلقا وكفرهم بالله كذلك ثم سعادة الفريق الثالث على ما هو المنصوص فى القرءآن قطعية الثبوت فى آخر النفس وشقاوة الفريق الثانى وسعادة الفريق الاول ليست قطعية الثبوت بل محتملة الثبوت فى آخر النفس بالنظر الى الافراد لجواز التبدل والتغير فى عاقبة الامر الدنيوى بالنظر الى افرادهم هذا ما التقطته من الكتاب المسمى باللايحات البرقيات لشيخى العلامة ابقاه الله بالسلامة (الله ولى الذين آمنوا) اى محبهم ومعينهم او متولى امورهم لا يكلهم الى غيره فالولى قد يكون باعتبار المحبة والنصرة فيقال للمحب ولى لانه يقرب من حبيبه بالنصرة والمعونة لا يفارقه وقد يكون باعتبار التدبير والامر والنهى فيقال لاصحاب الولاية ولى لانهم يقربون القوم بان يدبروا امورهم ويراعوا مصالحهم ومهماتهم والمعنى الله ولى الذين ارادوا ايمانهم وثبت فى علمه انهم يؤمنون فى الجملة مآلا او حالا وانما اخرج عن ظاهره لان اخراج المؤمن بالفعل من الظلمات تحصيل الحاصل (يخرجهم من الظلمات) التى هى اعم من ظلمات الكفر والمعاصى وظلمات الشبه والشكوك بل مما فى بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما فى جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان (الى النور) الذى يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اى يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التى وقع فيها الى ما يقابلها من النور وجمع الظلمات لان فنون الضلالة متعددة والكفر ملل وافرد النور لان الاسلام دين واحد ويسمى الكفر ظلمة لالتباس طريقه ويسمى الاسلام نورا لوضوح طريقه (والذين كفروا) اى الذين ثبت فى علمه كفرهم (اولياؤهم الطاغوت) اى الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق من الكهنة وقادة الشر وان حمل على الاصنام التى هى جمادات فالمعنى لا يكون على الموالاة الحقيقية التى هى المصادقة او تولى الامر بل يكون على ان الكفار يتولونهم اى يعتقدونهم ويتوجهون اليهم والطاغوت تذكر وتؤنث وتوحد وتجمع (يخرجونهم) بالوساوس وغيرها من طريق الاضلال والاغواء (من النور) اى الايمان الفطرى الذى جبلوا عليه كافة (الى الظلمات) اى ظلمات الكفر وفساد الاستعداد والانهماك فى الشهوات او من نور اليقينيات الى ظلمات الشكوك والشبهات واسناد الاخراج الى الطاغوت مجاز لكونها اسبابا له وذلك لا ينافى كون المخرج حقيقة هو الله تعالى فالاية لا تصلح ان تكون متمسكا للمعتزلة فيما ذهبوا اليه من ان الكفر ونحوه مما لا يكون اصلح للعبد ليس من الله تعالى بناء على انه اضاف الكفر الى الطاغوت لا الى نفسه (اولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما يتبعه من القبائح (اصحاب النار) اى ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم (هم فيها خالدون) ماكثون ابدا ولم يقل بعد قوله يخرجهم من الظلمات الى النور اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون تعظيما لشان المؤمنين لان البيان اللفظى لا يفى بما اعدلهم فى دار الثواب واعلم ان مراتب المؤمنين فى الايمان متفاوتة وهم ثلاث طوائف عوام المؤمنين وخواصهم وخواص الخواص فالعوام يخرجهم الله من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان والهداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والخواص يخرجهم من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية الربانية كقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله واطمئنان القلب بالذكر لم يكن الا بعد تصفيته عن الصفات النفسانية وتحليته بالصفات الروحانية وخواص الخواص يخرجهم من ظلمات حدوث الخلقة الروحانية بافنائهم عن وجودهم الى نور تجلى صفة القدم لهم ليبقيهم به كقوله تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى الاية نسبهم الى الفتوة لما خاطروا بارواحهم فى طلب الحق وآمنوا بالله وكفروا بطاغوت دقيانوس فلما تقربوا الى الله بقدم الفتوة تقرب اليهم بمزيد العناية فاخرجهم من ظلمات النفسانية الى نور الروحانية فلما تنورت انفسهم بانوار ارواحهم اطمأنت الى ذكر الله وانست به واستوحشت عن محبة اهل الدنيا وما فيها فاحبوا الخلاء كما كان حال النبى عليه السلام فى بدو الامر قالت عائشة رضى الله عنها اول ما بدئ به عليه السلام كان حبب اليه الخلاء ولعمرى هذا دأب كل طالب محق مريد صادق كذا فى التأويلات النجمية قال الفخر الرازى بطريق الاعتراض ان جمعا

من الصوفية يقولون الاشتغال بغير الله حجاب عن معرفة الله والانبياء عليهم السلام لايدعون الخلق الاالى
الطاعات والتكاليف فهم يشغلون الخلق بغير الله ويمنعونهم عن الاشتغال بالله فوجب ان لا يكون ذلك حقا
وصدقا اه كلامه يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة هذا الاعتراض ليس بشئ فان الطاعات والتكاليف
وسائل الى معرفة الله الملك اللطيف فالدعوة ليست الا الى معرفة الله حقيقة الا يرى الى تفسير ابن عباس
رضى الله عنه قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بقوله ليعرفون وانما عدل عنه الى ليعبدون مع انه
خلاف مقتضى الظاهر حينئذ اشعارا بان المعرفة المقبولة هى التى تحصل بطريق العبادة فالاشتغال بغير الله
وبغير عبادته حجاب اى حجاب ولذلك كان بدو حال السلف الخلاء والانقطاع عن الناس اقتداء برسول الله صلى
الله عليه وسلم واهتماما فى رفع الحجاب الحاصل بالاختلاط (وفى المثنوى) آدمى راهست در هر كار دست ※
ليك ازو مقصود اين خدمت بدست ※ تا جلا باشد مر اين آينه را ※ كه صفا آيد ز طاعت سينه را ※
(الم تر) اى الم ينته علمك الذى يضاهى العيان فى الايقان وحقيقته اعلم باخبارنا فانه مفيد لليقين (الى الذى)
اى الى قصة الملك الذى (حاج) اى جادل وخاصم وقابل بالحجة (ابراهيم) فى معارضة ربوبيته (فى ربه)
وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتأييده فى المحاجة
والذى حاج هو نمرود بن كنعان بن سام بن نوح وهو اول من وضع التاج على رأسه وتجبر وادّعى الربوبية
(ان آتاه الله الملك) اى لان آتاه فهو مفعول له لقوله حاج وله معنيان احدهما انه من باب العكس فى الكلام
بمعنى انه وضع المحاجة موضع الشكر اذ كان من حقه ان يشكر فى مقابلة ايتاء الملك ولكنه عكس عمل ما هو الحق
الواجب عليه كما تقول عادانى فلان لانى احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل
الاحسان والثانى ان ايتاء الملك حمله على ذلك لانه اورثه الكبر والبطر فنشأ عنهما المحاجة والمعنى اعطاه كثرة المال
واتساع الحال وملك جميع الدنيا على الكمال قال مجاهد لم يملك الدنيا باسرها الا اربعة مسلمان وكافران فالمسلمان
سليمان وذو القرنين والكافران نمرود وبخت نصر وهو شداد بن عاد الذى بنى ارم فى بعض صحارى
عدن ثم هو حجة على من منع ايتاء الله الملك للكافر وهم المعتزلة لان مذهبهم وجوب رعاية الاصلح للعبد على الله
وايتاء الله الملك للكافر تسليط له على المؤمنين وذلك ليس باصلح لحال المؤمن قلنا انما ملكه امتحانا له ولعباده
(اذ قال ابراهيم) ظرف لحاج (ربى الذى يحيى ويميت) روى انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه
ليحرقه فقال من ربك الذى تدعونا اليه قال ربى الذى يحيى ويميت اى يخلق الحياة والممات فى الاجساد وجواب
ابراهيم فى غاية الصحة لانه لا سبيل الى معرفة الله الا بمعرفة صفاته وافعاله التى لا يشاركه فيها احد من القادرين
والاحياء والاماتة من هذا القبيل قال كانه قيل كيف حاجه فى هذه المقالة القوية الحقة فقيل (قال انا احيى
واميت) روى انه دعا برجلين قد حبسهما فقتل احدهما واطلق الآخر فقال قد احييت هذا وامت هذا فجعل
ترك القتل احياء وكان هذا تلبيسا منه (قال ابراهيم) كانه قيل فماذا قال ابراهيم لمن فى هذه الرتبة فى المحاجة
وبماذا الخمه فقيل قال (فان الله) جواب شرط مقدر تقديره قال ابراهيم اذا ادعيت الاحياء والاماتة واتيت
بمعارضة مموهة ولم تعلم معنى الاحياء فالحجة ان الله (يأتى بالشمس من المشرق) تحريكا قسريا حسبما تقتضيه
مشيئته والباء للتعدية (فأت بها من المغرب) تسييرا طبيعيا فانه اهون ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى
لم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد
وان التصدى بابطالها من قبيل السعى فى تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس
فهو عدول عن مثال الى مثال آخر لايضاح كلامه وليس انتقالا من دليل الى دليل آخر لان ذلك غير محمود فى باب
المناظرة (فبهت الذى كفر) اى صار مبهوتا ومتحيرا مدهوشا وايراد الكفر فى حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم
والتنصيص على كون المحاجة كفرا قال فى اسئلة الحكم الحكمة فى طلوع الشمس قرب القيامة من مغربها
ان ابراهيم عليه السلام قال للنمرود ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر
وان السحرة والمنجمة عن آخرهم ينكرون ذلك انه غير كائن فيطلعها الحق يوما من المغرب ليرى المنكرين قدرته
وان الشمس فى ملكه ان شاء اطلعها من المشرق او المغرب (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى الذين ظلموا انفسهم
بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال اى عن قبول الدلائل

القطعية الدالة على الحق دلالة واضحة بالغة فى الوضوح والقوة الى حيث جعل الخصم مبهوتا متحيرا فمن ظلم
نفسه بالامتناع عن قبول مثل هذه الدلائل لا يجعله الله مهتديا بها لان المعتبر فى دار التكليف ان يهتدى وقت
اختيارهم الكفر والظلم اى لا يخلق فيهم فعل الهداية وهم يختارون فعل الضلال ويحتمل انه لا يهدى طريق الجنة
فى الآخرة من كفر بالله فى الدنيا روى ان النمرود لما عتا عتوا كبيرا والقى ابراهيم فى النار بعد هذه المحاجة سلط
الله على قومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام والنمرود كما هو لم يصبه شئ فبعث
الله بعوضة فدخلت فى منخره فمكث اربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فعذبه الله اربعمائة سنة كما ملك
اربعمائة سنة وهو الذى بنى صرحا الى السماء ببابل فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم
(قال الشيخ العطار قدس سره) سوى او خصمى كه تير انداخته ※ پشهٔ كارش كفايت ساخته ※
والاشارة ان الله تعالى اعطى النمرود ملكا ما اعطى لاحد قبله ادعى الربوبية ما ادّعى بها احد قبله وذلك ان الله
اعطى الانسان حسن استعداد لطلب الكمال فمن حسن استعداده فى الطلب وغاية لطافته فى الجوهر دائم
الحركة فى طلب الكمال فحيثما توجه الكمال اخذ فى السير فيها الى اقصى مراتبها فى العلوى والسفلى فان وكل الى
نفسه فى طلب الكمال فينظر بنظر الحواس الخمس الى المحسوسات وهى الدنيا فلا يتصور الا الدنيا فلا يتصور
الكمال الا فيها فيأخذ فى السير لطلب الكمال وهذا السير موافق لسيره الطبيعى لانه خلق من تراب والتراب سفلى
الطبع فيميل الى السفليات طبعا والدنيا هى السفل فيسير فيها بقدمى الطبع وطلب الكمال ففى البداية يرى
الكمال فى جمع المال فيجمعه ثم يرى الكمال فى الجاه فيصرف المال فى طلب الجاه ثم يرى الكمال فى المناصب
والحكم ثم يرى فى الامارة والسلطنة فيسير فيها ما لم يكن مانع الى ان يملك الدنيا باسرها كما كان حال النمرود
ثم لا يسكن جوهر الانسان فى طلب الكمال بل كلما ازداد استغناؤه ازداد حرصه وكلما ازداد حرصه ازداد طلبه
الى ان لا يبقى شئ من السفليات دون ان يملكه ثم يقصد العلويات والى الآن كان ينازع ملوك الارض والآن
ينازع ملك الملوك ومالك الملك فى السموات والارض فيدعى الربوبية كالنمرود فانه كان سبب طغيانه استغناؤه قال
تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فاذا كمل استغناؤه كمل طغيانه حتى يكفر بالنعمة فهذا كله عند فساد
جوهره لما وكل الى نفسه واذا اصلح جوهره بالتربية ولم يكله الى نفسه هدى الى جهة الكمال المستعد له كقوله
اهدكم سبيل الرشاد فصاحب التربية وهو النبى او خليفته وهو الشيخ المرشد يربيه وتربيته فى تبرئته عما سوى الله
الى ان بلغ حد كماله فى طلب الكمال وهو افناء الوجود فى وجود الموجود ليكون مفقودا عن وجوده موجودا
بموجده فلما كان يقول عند فساد الجوهر وابطال حسن الاستعداد بالكمال انا احيى واميت فيقول عند صلاح
الجوهر وصرف حسن الاستعداد فى طلب الكمال ما فى الوجود سوى الله فالجديد بمطرقة لا اله الا الله دماغ
نمرود النفس الى ان يؤمن بالله ويكفر بطاغوت وجوده ووجود كل موجود سوى الله والله لا يهدى القوم
المشركين الى عالم التوحيد والشرك ظلم عظيم فبالشرك ضل من ضل فزل عن الصراط المستقيم كذلك
فى التأويلات النجمية فعلى العاقل ان يتخلص عن الشرك الخفى ويزكى نفسه عن سفساف الاخلاق ولا يغتر
بالمال والمنال بل يرجع الى الله الملك المتعال وجدت صخرة عظيمة وعليها اسطر قديمة فرحك بشئ من الدنيا دليل
على بعدك من الله وسكونك الى ما فى يدك دليل على قلة ثقتك الى الله ورجوعك الى الناس فى حال الشدة دليل
على انك لم تعرف الله انتهى (قال السعدى) شنيدم كه جمشيد فرخ سرشت ※ بسر چشمهٔ بر بسنكى نوشت ※
برين چشمه چون ما بسى دم زدند ※ برفتند چون چشم برهم زدند ※ كرفتيم عالم بمردى وزور ※ وليكن نبرديم
با خود بكور ※ برفتند وهركس درود آنچه كشت ※ نماند بجز نام نيكو وزشت ※ اللهم اجعلنا
من الذين طال عمرهم وحسن عملهم وقصر املهم وكمل عقلهم (او كالذى مر على قرية) عطف على قوله الم تر
وتقديره او رأيت مثل الذى فعل كذا اى ما رأيت مثله فتعجب منه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر
للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعى الربوبية والمار هو عزير بن شرخيا والقرية
بيت المقدس على الاشهر الاظهر واشتقاقها من القرى وهو الجمع روى ان بنى اسرائيل لما بالغوا فى تعاطى
الشر والفساد سلط الله عليهم بخت نصر البابلى فسار اليهم فى ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت
المقدس وجعل بنى اسرائيل اثلاثا ثلثا منهم قتلهم وثلثا منهم اقرهم بالشام وثلثا منهم سباهم وكانوا مائة الف

غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك منهم اربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما انجاه الله منهم بعد حين مرّ بحماره على بيت المقدس فرآه على افظع مرأى واوحش منظر وذلك قوله تعالى (وهى خاوية على عروشها) اى خالية عن اهلها اوساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان سقطت عليها من خوت المرأة وخويت خوى اى خلا جوفها عند الولادة وخوت الدار خوآء بالمد وخوى البيت خوى بالقصر اى سقط والعرش سقف البيت ويستعمل فى كل ما هيئ ليستظل به (قال انى يحيى هذه الله بعد موتها) اى يعمر الله تعالى هذه القرية بعد خرابها على هذا الوجه اذ ليس المراد بالقرية اهلها بل نفسها بدليل قوله وهى خاوية على عروشها لم يقله على سبيل الشك فى القدرة بل على سبيل الاستبعاد بحسب العادة (فاماته الله) اى جعله ميتا (مائة عام) روى انه لما دخل القرية نزل تحت ظل شجرة وهو على حمار فربط حماره وطاف فى القرية ولم ير بها احدا فقال ما قال وكانت اشجارها قد اثمرت فتناول من فواكهها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فاماته الله فى منامه وهو شاب وكان معه شئ من التين والعنب والعصير وكانت هذه الاماتة عبرة لا انقضاء مدة كاماتة الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وامات حماره ايضا ثم اعمى الله عن جسده وجسد حماره ابصار الانس والسباع والطير فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل فجعلوا يعمرون واهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرآئيل وردهم الى بيت المقدس وتراجع اليه من تفرق منهم فى الاكناف فعمروه ثلاثين سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا فلما تمت المائة من موت العزير احياه الله تعالى وذلك قوله تعالى (ثم بعثه) من بعثت الناقة اذا اقمتها من مكانها ويوم القيامة يسمى يوم البعث لانهم يبعثون من قبورهم وانما قال ثم بعثه ولم يقل ثم احياه لان قوله ثم بعثه يدل على انه عاد كما كان اولا حيا عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال فى المعارف الالهية ولو قال ثم احياه لم تحصل هذه الفوآئد (قال) كانه قيل فماذا قال بعد بعثه فقيل قال الله تعالى او ملك مأمور من قبله تعالى (كم) يوما او وقتا (لبثت) يا عزير ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشؤنه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه هين فى الجملة بل مدة طويلة وتنحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع فى تضاعيفه على امر آخر من بدآئع آثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذآء المتسارع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما (قال لبثت يوما او بعض يوم) كقول الظان قاله بناء على التقريب والتخمين او استقصارا لمدة لبثه (قال) ما لبثت ذلك المقدار (بل لبثت مائة عام) يعنى كنت ميتا هذه المدة (فانظر) لتعاين امرا آخر من دلائل قدرتنا (الى طعامك وشرابك لم يتسنه) اى لم يتغير فى هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روى انه وجد تينه وعنبه كما جنى وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو من الطعام والشراب لان المضارع المنفى اذا وقع حالا يجوز ان يكون بالواو وبدونها وافراد الضمير مع ان الظاهر ان يقال لم يتسنها او لم يتسنيا لان المذكور قبله شيأن الطعام والشراب لجريانهما مجرى الواحد كالغذآء والهاء فى لم يتسنه ان كانت اصلية فهو من السنة التى اصلها سنهة وان كانت هاء سكت فهو من السنة التى اصلها سنوة واستعمال لم يتسنه فى معنى لم يتغير من قبيل استعمال اللفظ فى لازم معناه لان المعنى الاصلى لقولنا تسنه او تسنى مرت عليه السنون والاعوام ويلزمه التغير (وانظر الى حمارك) كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين لك ماذكر من لبثك المديد وتطمئن به نفسك (ولنجعلك آية) كائنة (للناس) الواو استئنافية واللام متعلقة بمحذوف والتقدير فعلنا ذلك اى احياءك واحياء حمارك وحفظ ما معك من الطعام والشراب لنجعلك آية للناس الموجودين فى هذا القرن بان يشاهدوك وانت من اهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوى عنهم منذ احقاب من علم التوراة (وانظر الى العظام) تكرير الامر مع ان المراد عظام الحمار ايضا لما ان المأمور به اولا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ماذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر اليها من حيث تعتريها الحياة ومباديها اى وانظر الى عظام الحمار لتشاهد كيفية الاحياء فى غيرك بعد ما شاهدت نفسه فى نفسك (كيف ننشزها) يقال انشزته فنشز اى رفعته فارتفع اى نرفع بعضها من الارض الى بعض ونردها الى اماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها والجملة حال من العظام والعامل فيها انظر تقديره انظر الى العظام محياة او بدل من العظام على حذف المضاف والتقدير انظر الى حال العظام

(ثم نكسوها لحما) اى نسترها به كما يستر الجسد باللباس وانما وحد اللحم مع جمع العظام لان العظام متفرقة متعددة صورة واللحم متصل متحد مشاهدة ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا تقتضى الحكمة بيانه روى انه سمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية المتفرقة ان الله يأمرك ان ينضم بعضك الى بعض كما كان وتكتسى لحما وجلدا فالتصق كل عظم بالآخر على الوجه الذى كان عليه اولا وارتبط بعضها ببعض بالاعصاب والعروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق (فلما تبين له) اى ظهر له احياء الميت عيانا (قال اعلم ان الله على كل شئ) من الاشياء التى من جملتها ما شاهده فى نفسه وفى غيره من تعاجيب الآثار (قدير) لا يستعصى عليه امر من الامور روى انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكرى عزير وقد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فانى عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتنى الله مائة عام ثم بعثنى قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لى يرد بصرى حتى اراك فدعا ربه ومسح بين عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال قومى باذن الله فقامت صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بنى اسرآئيل وهم فى انديتهم وكان فى المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثمانى عشرة سنة وبنو ابنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فانى بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابى شامة سودآء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قرآء التوراة اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا احد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا اى ينقص ويقطع فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثنى ابى عن جدى انه دفن التوراة يوم سبينا فى خابية فى كرم فان اريتمونى كرم جدى اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوه فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم عزير عليه السلام عن ظهر القلب فما اختلفا فى حرف واحد فعند ذلك قالوا عزير ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفى القصة تنبيه على ان الداعى اذا راعى آداب الدعاء اجيب سريعا من غير مشقة تلحقه واذا ترك الادب لحقته المشقة وابطأت الاجابة فان ابراهيم عليه السلام لما قال رب ارنى كيف تحيى الموتى وبدأ بالثناء ثم سأل احياء الموتى اراه الله ذلك فى غيره فانه اراه فى طيره وعجل له ذلك على فوره وعزير قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاراه ذلك فى نفسه بعد مائة عام مضت على موته (قال السعدى) نبايد سخن گفت ناساخته * نشايد بريدن نينداخته * والاشارة فى تحقيق الآية ان قوما انكروا حشر الاجساد مع انهم اعتقدوا واقروا بحشر الارواح وقالوا الارواح كان تعلقها بالاجساد لاستكمالها فى عالم المحسوس كالصبى يبعث الى المكتب ليتعلم الادب فلما حصل مقصوده من التعلم بقدر استعداده وخرج من المكتب ودخل محفل اهل الفضل وصاحبهم سنين كثيرة واستفاد منهم انواع العلوم التى لم توجد فى المكتب الا انه استفاد العلوم من الفضلاء بقوة ادبه الذى تعلمه فى المكتب وصار فاضلا فى العلوم فما حاجته بعد ان كبر شأنه وعظم قدره الى ان يرجع الى المكتب وحالة صباه فكذا الارواح لما خرجت من سجن الاشباح واتصلت بالارواح المقدسة بقوة علوم الجزئيات التى حصلتها من عالم الحس واستفادت من الارواح العلوية علم الكليات التى لم توجد فى عالم الحس فما حاجتها الى ان ترجع الى سجن الاجساد فكانت نفوسهم تسوّل لهم هذه التسويلات والشيطان يوسوسهم بمثل هذه الشبهات فالله سبحانه من كمال فضله ورحمته على عباده المخلصين امات عزيرا مائة سنة وحماره معه ثم احياهما جميعا ليستدل به العقلاء على ان الله مهما يحيى عزيرا الروح يحيى معه حمار جسده فلا يشك العاقل بتسويل النفس ووسوسة الشيطان وشبهات الفلسفى فى حشر الاجساد فكما ان عزير الروح يكون فى مقعد صدق عند مليك مقتدر يكون حمار جسده فى الجنة فلعزير الروح مشرب من كؤوس تجلى صفات الجمال والجلال عن ساقى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ولحمار الجسد مشرب من انهار الجنات وحياض رياض ولكم فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقد علم كل اناس مشربهم

شربنا واهرقنا على الارض جرعة * وللارض من كاس الكرام نصيب

كذا فى التأويلات النجمية (واذ قال ابراهيم) اى اذكر وقت قوله وذكر الوقت يوجب ذكر ما وقع فى ذلك الوقت من الحوادث بالطريق البرهانى (رب) كلمة استعطاف قدمت بين الدعاء مبالغة فى استدعاء الاجابة (ارنى كيف تحيى الموتى) اى بصرنى كيفية احيائك للموتى بان تحييها وانا انظر اليها انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقد شرفه الله بعين اليقين بل بحق اليقين الذى هو اعلى المقامات والفرق ان علم اليقين هو المستفاد من الاخبار وعين اليقين هو المعاينة لا مرية فيه قال تعالى فى حق الكفار ثم لترونها عين اليقين فلما دخلوا النار وباشروا عذابها قال تعالى فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين (قال) ربه (اولم تؤمن) اى ألم تعلم يقينا ولم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحياة قاله عز وعلا مع علمه بانه اعرف الناس بالايمان ليظهر ايمانه لكل سامع بقوله بلى فيعلم السامعون غرضه من هذا القول وهو الوصول الى العيان (قال) ابراهيم (بلى) علمت وآمنت بذلك (ولكن) سألت ما سألت (ليطمئن قلبى) اى ليسكن ويحصل طمأنينة بالمعاينة فان عين اليقين يوجب الطمأنينة لا علمه فان قلت ما معنى قول على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا قلت ما ازددت يقينا بالايمان بها وكان اذ رأى الآخرة ابصر بها من الفضائل والهيئات ما لم يحط به قبل ذلك وكذلك ابراهيم لما رأى كيفية الاحياء وقف على ما لم يقف عليه قبل (قال) ربه ان اردت ذلك (فخذ اربعة من الطير) طاووسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان (فصرهن) من صاره يصوره وبكسر الصاد من صاره يصيره والمعنى واحد اى املهن واضممهن واجمعهن (اليك) لتتأملها وتعرف اشكالها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزأ من اجزائها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روى انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ولحومها ويمسك رؤسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى (ثم اجعل على كل جبل) من الجبال التى بحضرتك وكانت سبعة او اربعة فجزأها اربعة اجزاء فقال تعالى ضع على كل جبل (منهن) اى من كل الطيور (جزأ ثم ادعهن) قل لهن تعالين باذن الله تعالى (يأتينك سعيا) اى ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا ففعل كما امره فجعل كل جزء يطير الى آخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضمت كل جثة الى رأسها فعادت كل واحدة الى ما كانت عليه من الهيئة وجعل ابراهيم ينظر ويتعجب (واعلم ان الله عزيز) غالب على امره لا يعجزه شئ عما يريده (حكيم) ذو حكمة بالغة فى افاعيله فليس بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح قال القشيرى طلب ابراهيم عليه السلام بهذه حياة قلبه فاشير اليه بذبح الطيور وفى الطيور الاربعة اربعة معان هى فى النفس فى الطاووس زينة وفى الغراب امل وفى الديك شهوة وفى البط حرص فاشار الى انه ما لم يذبح نفسه بالمجاهدة لم يحى قلبه بالمشاهدة (وفى المثنوى)

حرص بط يكتاست اين پنجاه تاست * حرص شهوت مار ومنصب اژدهاست * حرص بط از شهوت خلقست وفرج * درر ياست بيست چندانست درج * صد خورنده كنجد اندر گرد خوان * درر ياست دو نگنجد در جهان * كاغ كاغ ونعرهٔ زاغ سياه * دائما باشد بدن را عمر خواه * همچو ابليس از خدا وپاك فرد * تا قيامت عمر تن درخواست كرد * عمر ومرگ اين هر دو با حق خوش بود * بى خدا آب حيات آتش بود * عمر خوش در قرب جان پروردنست * عمر زاغ از بهر سركين خوردنست *

قال فى التأويلات النجمية الطير الاربعة هى الصفات الاربع التى تولدت من العناصر الاربعة التى خمرت طينة الانسان منها وهى التراب والماء والنار والهواء فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينه الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان حيث وجد احدهما وجد قرينه ومن النار وقرينها الهواء تولد الغضب والشهوة وهما قرينان يوجدان معا ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها كحواء وآدم ويتولد منها صفات اخرى فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هى كالمعشوقة بين الصفات فيتعلق بها كل صفة واهامنها متولدات يطول شرحها فهى الابواب السبعة للدركات السبع من جهنم منها يدخل الخلق جهنم التى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعنى من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها فيدخل النار بذلك الباب فامر الله خليله بذبح هذه الصفات وهى الطيور الاربعة طاووس البخل فلو لم يزين المال فى نظر البخيل كما زين الطاووس بالوانه ما بخل به

وغراب الحرص وهو من حرصه اكثر فى الطلب وديك الشهوة وهو بها معروف ونسر الغضب ونسبته اليه لتصريفه فى الطيران فوق الطيور وهذه صفة المغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولداتها ما بقى له باب يدخل به النار فلما التى فيها بالمنجنيق قهرا صارت النار عليه بردا وسلاما والاشارة بتقطيعها بالمبالغة ونتف ريشها وتفريق اجزائها وتخليط ريشها ودمائها ولحومها بعضها ببعض اشارة الى محو آثار الصفات الاربع المذكورة وهدم قواعدها على يدى ابراهيم الروح بامر الشرع ونائب الحق وهو الشيخ والامر بتقسيم اجزائها وجعلها على كل جبل جزأ فالجبال الاربعة هى النفوس التى جبل الانسان عليها اولها النفس النامية وتسمى النفس النباتية وثانيها النفس الامارة وتسمى الروح الحيوانى وثالثها قوة الشيطنة وتسمى الروح الطبيعى ورابعها قوة الملكية وهو الروح الانسانى فطيور الصفات لما ذبحت وقطعت وخلطت اجزاء بعضها ببعض ووضع على كل جبل روح ونفس وقوة منها جزأ بامر الشرع تكون بمثابة اشجار وزروع تجعل عليها الترب المخلوطة بالزبل والقاذورات باستصواب دهقان ذى بصارة فى الدهقنة بمقدار معلوم ووقت معلوم ثم يسقيها بالماء ليتقوى الزرع بقوة الترب والزبل وتتصرف النفس النامية النباتية فى الترب المخلوطة الميتة فتحييها باذن الله تعالى كقوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها فكذلك الصفات الاربع وهى الحرص والبخل والشهوة والغضب مهما كانت كل واحدة منها على حالها غالبة على الجوهر الروحانى تكدر صفاءه وتمنعه من الرجوع الى مقامه الاصلى ووطنه الحقيقى فاذا كسرت سطوتها ووهنت قوتها وامتيت شعلتها ومحيت آثار طباعها بامر الشرع وخلطت اجزاؤها المتفرقة بعضها ببعض ثم قسمت باربعة اجزاء وجعل كل جزء منها على جبل قوة او نفس او روح فيتقوى كل واحد من هؤلاء بتقويتها ويتربى بتربيتها فيتصرف فيها الروح الانسانى فيحييها ويبدل تلك الظلمات التى هى من خصائص تلك الصفات المذمومة بنور هو من خصائص الروح الانسانى والملكى فتكون تلك الصفات ميتة عن اوصافها حية باخلاق الروحانيات انتهى كلام التأويلات (مثل) نفقات (الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله) اى فى وجوه الخيرات من الواجب كالزكاة والنفل وقدر فى الكلام حذف لان الذين ينفقون لا يشبهون الحبة لانه لا يشبه الحيوان بالجماد بل نفقاتهم تشبه الحبة (كمثل حبة) لزراع زرعها فى ارض عامرة والحبة واحدة الحب وهو ما يزرع للاقتيات واكثر اطلاقه على البر (انبتت) اى اخرجت واسناد الانبات الى الحبة مجاز (سبع سنابل) اى ساقات تتشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة (فى كل سنبلة مائة حبة) كما يشاهد ذلك فى الذرة والدخن فى الاراضى المغلة بل اكثر من ذلك (والله يضاعف) تلك المضاعفة الى ما شاء الله تعالى (لمن يشاء) ان يضاعف له بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال فى مقادير الثواب (والله واسع) لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه فمثل المتصدق كمثل الزارع اذا كان حاذقا فى عمله وكان البذر جيدا وكانت الارض عامرة يكون الزرع اكثر فكذلك المتصدق اذا كان صالحا والمال طيبا ووضع فى موضعه يكون الثواب اكثر كما روى فى الحديث عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى عليه السلام انه قال من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وانما ذكر النبى عليه السلام التربية فى الصدقة وان كان غيرها من العبادات يزيد ايضا بقبوله اشارة الى ان الصدقة فريضة كانت او نافلة احوج الى تربية الله لثبوت النقيصة فيها بسبب حب الطبع الاموال وفى الحديث صدقة المؤمن تدفع عن صاحبها آفات الدنيا وفتنة القبر وعذاب يوم القيامة وفى الحديث السخاوة شجرة اصلها فى الجنة واغصانها متدليات فى دار الدنيا فمن تعلق بغصن منها يسوقه الى الجنة والبخل شجرة اصلها فى النار واغصانها متدليات فى دار الدنيا فمن تعلق بغصن منها يسوقه الى النار وفى الحديث الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله اى الكاسب لتحصيل مؤنتهما كالمجاهد لان القيام بمصالحهما انما يكون بصبر عظيم وجهاد نفس لئيم فيكون ثوابه عظيما (وفى بستان الشيخ السعدى قدس سره)

يكى از بزرگان اهل تميز * حكايت كند ز ابن عبد العزيز * كه بودش نگينى در انگشترى * فرو مانده از قيمتش مشترى * بشب گفتى آن جرم گيتى فروز * درى بود در روشنايى چو روز * قضا را درآمد يكى خشك سال * كه شد بدر

سیمای مردم هلال * جودرمردم آرام وقوت ندید * خودآسوده بودن مروت ندید * چو بیند کسی زهر درکام خلق * کیش بکذرد آب شیرین بحلق * بفرمود بفروختندش بسیم * کەرحم آمدش برفقیر ویتیم * بیك هفته نقدش بتاراج داد * بدرویش ومسکین ومحتاج داد * فتادند دروی ملامت کنان * کەدیکر بدستت نیاید چنان * شنیدم کەمیکفت وباران دمع * فرومیدویدش بعارض چوشمع * کەزشتست پیرایه برشهریار * دل شهری ازناتوانی فکار * مراشاید انکشتری بی نکین * نشاید دل خلق اندوهکین * خنك انکه آسایش مرد وزن * کزیند برآسایش خویشتن * نکردند رغبت هنرپروران * بشادئ خویش ازغم دیکران *

واعلم ان الاعمال بالنيات فان قلت مامعنى قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله قلت مورد الحديث ان عثمان رضى الله تعالى عنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم انه وعد بثواب عظيم على حفر بئر فنوى ان يحفرها فسبق اليه كافر بحفرها فقال عليه السلام نية المؤمن خير من عمله اى عمل الكافر والجواب الثانى ان النية المجردة من المؤمن خير من عمله المجرد عن النية لانه اذا فعل فعل الخير بغير نية يكون عمله مع النية خيرا من ذلك لكن قال بعضهم ليس فى بعض الاعمال اجر بغير نية كالصلاة لاتجوز بغير نية ولا يحتاج بعض الاعمال الى النية كقرآءة القرءآن والاذكار ثم اعلم ان الانفاق على مراتب انفاق العامة بالمال فاجرهم الجنة وانفاق الخواص اصلاح الحال بتزكية النفس وتصفية القلب فاجرهم يوم القيامة النظر الى وجه الله تعالى فينبغى للمؤمن ان يزكى نفسه ويصفى قلبه من حب المال بالانفاق فى سبيل الله الملك المتعال حتى ينال الشرف فى الجنات ويحترز عن البخل حتى لايكون عند الله تعالى من الخاسرين (الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله) اى يضعونها فى مواضعها (ثم) لاظهار علو رتبة المعطوف (لا يتبعون ما انفقوا) العائد محذوف اى ما انفقوه (منا) وهو ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب بذلك عليه حقا اى لايمنون عليهم بما تصدقوا بان يقول المتصدق المنان اصطنعتك كذا خيرا واحسنت اليك كثيرا (ولا اذى) وهو ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه اى لايؤذيهم بان يقول المتصدق المؤذى انى قد اعطيتك فما شكرت او الى كم تأتينى وتؤذينى اوكم تسأل الاتستحيى اوانت ابدا تجيئنى بالابرام فرج الله عنى منك وباعد ما بينى وبينك (لهم اجرهم عند ربهم) ثوابهم فى الآخرة وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر على ماذكر من الانفاق وترك المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية (ولا خوف عليهم) عما يستقبلهم من العذاب (ولاهم يحزنون) على ما خلفوا من امور الدنيا روى ان الحسن بن على رضى الله عنه اشتهى طعاما فباع قميص فاطمة بستة دراهم فسأله سائل فاعطاها ثم لقى رجلا يبيع ناقة فاشتراها باجل وباعها من آخر فاراد ان يدفع الثمن الى بائعها فلم يجده فحكى القضية الى النبى عليه السلام فقال اما السائل فرضوان واما البائع فميكائيل واما المشترى فجبرآئيل فنزل قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم الاية قال بعض اهل التفسير نزلت هذه الاية والتى قبلها فى عثمان وعبد الرحمن رضى الله عنهما اما عثمان فجهز جيش العسرة فى غزوة تبوك بالف بعير باقتابها والف دينار فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يقول يارب رضيت عنه فارض عنه واما عبد الرحمن بن عوف فتصدق بنصف ماله اربعة الاف دينار فقال عندى ثمانية آلاف فامسكت منها لنفسى وعيالى اربعة آلاف واربعة آلاف اقرضتها ربى فقال عليه السلام بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت فهذه حال عثمان وعبد الرحمن رضى الله عنهما حيث تصدقا ولم يخطر ببالهما شئ من المن والاذى قال بعضهم المن يشبه بالنفاق والاذى يشبه بالرياء ثم قال بعضهم اذا فعل ذلك فلا اجر له وعليه وزر فيما من وآذى على الفقير وقال وهب فلا اجر له ولا وزر له وقال بعضهم له اجر الصدقة ولكن ذهبت مضاعفته وعليه الوزر بالمن واعلم ان الله تعالى نهى عباده ان يمنوا على احد بالمعروف مع انه تعالى قد من على عباده كما قال بل الله يمن عليكم وذلك لان الله تعالى تام الملك والقدرة وملكه وقدرته ليس بغيره والعبد وان كان فيه خصال الخير فتلك خصاله من الله ولم يكن ذلك بقوة العبد فالعبد ناقص والناقص لايجوز له ان يمن على احد او يمدح نفسه والمن ينقص قدر النعمة ويكدرها لان الفقير الآخذ منكسر القلب لاجل حاجته الى صدقة غيره معترف باليد العليا للمعطى فاذا اضاف المعطى الى ذلك اظهار ذلك الانعام زاد ذلك فى انكسار قلبه فيكون فى حكم

المضربه بعد ان نفعه وفى حكم المسيء اليه بعد ان احسن اليه (قال الحسين الكاشفى) آنچه كه بدهى چو دهنده خداست * منت بيهوده نهادن خطاست * هرچه دهى مى ده ومنت منه * وآنچه پشيمان شوى آن هم مده (وقال السعدى) چوانعام كردى مشو خود پرست * كه من سرورم ديكران زيردست * چو بينى دعا كوى دولت هزار * خداوندرا شكر نعمت كذار * كه چشم از تودارند مردم بسى * نه توچشم دارى بدست كسى * قيل ان ابراهيم عليه السلام كان له خمسة آلاف قطيع من الغنم وعليها كلاب المواشى باطواق الذهب فتمثل له ملك فى صورة البشر وهو ينظر اغنامه فى البيدآء فقال الملك سبوح قدوس رب الملائكة والروح فقال ابراهيم عليه السلام كرر ذكر ربى ولك نصف ماترى من اموالى فكرر الملك فنادى ثانيا كرر تسبيح ربى ولك جميع ماترى من مالى فتعجب الملائكة فقالوا جدير ان يتخذك الله خليلا ويجعل لك فى الملل والنحل ذكرا جميلا (وفى المثنوى) قرض ده زين دولت اندر اقرضوا * تاكه صد دولت ببينى پيش رو * اندكى زين شرب كم كن بهر خويش * تاكه حوض كوثرى يابى به پيش * (وفى نوابغ الكلم) صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن واعلم ان الناس على ثلاث طبقات الاولى الاقوياء وهم الذين انفقوا جميع ماملكوا وهؤلاء صدقوا فيما عاهدوا الله عليه من الحب كما فعل ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه والثانية المتوسطون وهم الذين لم يقدروا على اخلاء اليد عن المال دفعة ولكن امسكوه لا للتنعم بل للانفاق عند ظهور محتاج اليه وقنعوا فى حق انفسهم بما يقويهم على العبادة والثالثة الضعفاء وهم المقتصرون على ادآء الزكاة الواجبة اللهم اجعلنا من المتجردين عن غيرك والقانعين بك عما سواك (قول معروف) رد جميل وهو ان يرد السائل بطريق جميل حسن تقبله القلوب والطباع ولا تنكره (ومغفرة) اى ستر لما وقع من السائل من الالحاف فى المسألة وغيره مما يثقل على المسؤل وصفح عنه (خير من صدقة يتبعها اذى) لان من جمع بين نفع الفقير واضراره حرم الثواب فان قالوا اى خير فى الصدقة التى فيها اذى حتى يقال هذا خير منه قلنا يعنى عندكم كذلك وهو كقوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة اى عندكم ذلك خير لكن اعلموا ان هذا خير لكم فى الدنيا والآخرة مما تعدونه انتم خيرا (والله غنى) عما عندكم من الصدقة لا يحوج الفقرآء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى (حليم) لايعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انهم لايستحقونها بسببهما وفيه من السخط والوعيد لهم ما لايخفى قال فى مجالس حضرة الهدائى قدس سره وانما كان الرد الجميل خيرا من صدقة المنان والمؤذى لان القول الحسن وان كان بالرد يفرح قلب السائل ويروح روحه ونفع الصدقة لجسده وسرايته السرور لقلبه بالتبعية من تصور النفع فاذا قارن ما ينفع الجسد بما يؤذى الروح يكدر النفع حينئذ ولا ريب ان ما يروح الروح خير مما ينفع الجسد لان الروحانية اوقع فى النفوس واشرف قال الشعبى من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته وبالغ السلف فى الصدقة والتحرز فيها عن الرياء فانه غالب على النفس وهو مهلك ينقلب فى القلب اذا وضع الانسان فى قبره فى صورة حية اى يؤلم ايلام الحية والبخل ينقلب فى صورة عقرب والمقصود فى كل انفاق الخلاص من رذيلة البخل فاذا امتزج به الرياء كان كانه جعل العقرب غذآء الحية فتخلص من العقرب ولكن زاد فى قوة الحية اذ كل صفة من الصفات المهلكة فى القلب انما غذآؤها وقوتها فى اجابتها الى مقتضاها ثم ان الصدقة لا تنحصر فى المال بل تجرى فى كل معروف فالكلمة الطيبة والشفاعة الحسنة والاعانة فى حاجة واحد وعيادة مريض وتشييع جنازة وتطييب قلب مسلم كل ذلك صدقة * كر خير كنى مراد يابى * در هر دو جهان كشاد يابى * احسان كن وبهر توشه خويش * زادى بفرست تو ين ازپيش * واعلم ان الدنيا وملكها لااعتداد لها حكى عن بعض الملوك انه حبست الريح فى بطنه حتى قرب الى الهلاك فقال كل من يزيل عنى هذا البلاء اعطيته ملكى فسمعه شخص من اهل الله فجاء ومسح يده على بطنه فخرجت منه ريح منتنة وتعافى الملك من ساعته فقال ياسيدى اجلس على سرير المملكة انا عزلت نفسى فقال الرجل لاحاجة الى متاع قيمته ضرطة منتنة ولكن انت اتعظ من هذا الشئ الذى اغتررت به قيمته هذا وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا انه من رغب فى الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقصر امله اعطاه الله تعالى علما بغير تعلم وهدى

بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة
الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر
على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه الله تعالى ثواب خمسين صديقا
(وفى المثنوى) كاسۀ چشم حريصان پر نشد * تا صدف قانع نشد پر در نشد (يا ايها الذين آمنوا
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) فان من فعل ذلك لا اجر له فى صدقته وعليه وزر منه على الفقير ووزر اذاه
وقد سبق معنى المن والاذى والمراد بابطال الصدقة احباط اجرها لان الصدقة لما وقعت وتقدمت لم يمكن
ان يراد بابطالها انفسها بل المراد احباط اجرها وثوابها الا ان الاجر لم يحصل بعد فيصح ابطاله بما يأتيه من المن
والاذى (كالذى) المراد المنافق لان الكافر معلن كفره غير مرآئى والكاف فى محل النصب على انه صفة لمصدر
محذوف اى لا تبطلوها ابطالا كابطال المنافق الذى (ينفق ماله رئاء الناس) اى لاجل رئائهم يعنى ليقال
انه كريم لا يريد بانفاقه رضى الله ولا ثواب الاخرة ورئاء من رآءى نحو قاتل قتالا ومعنى المفاعلة ههنا مبنى على
ان المرآئى فى الانفاق وحالته الحيبة (كمثل صفوان) اى حجر صاف املس وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا
فواحده صفوانة ومن جعله واحدا فجمعه صفى (عليه تراب) اى شئ يسير منه (فاصابه وابل) اى مطر شديد
الوقع كبير القطر (فتركه صلدا) املس ليس عليه شئ من الغبار (لا يقدرون) كانه قيل فماذا يكون حالهم
حينئذ فقيل لا يقدرون (على شئ مما كسبوا) اى لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى
فجعلناه هباء منثورا يقال فلان لا يقدر على درهم اى لا يجده ولا يملكه فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله
كالذى ينفق قلت اراد بالذى ينفق الجنس او الفريق الذى ينفق ولان من والذى يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق
فجمع الضمير باعتبار المعنى ولما ذكر تعالى بطلان امر الصدقة بالمن والاذى ذكر لكيفية ابطال اجرها بهما مثلين
فمثله اولا بمن ينفق ماله رئاء الناس وهو مع ذلك كافر بالله واليوم الاخر فان بطلان اجر ما انفقه هذا الكافر
اظهر من بطلان اجر من يتبعها بالمن والاذى ثم مثله ثانيا بالصفوان الذى وقع عليه تراب وغبار ثم اصابه المطر
فيزيل ذلك الغبار عنه حتى يصير كانه ما كان عليه تراب وغبار اصلا فالكافر كالصفوان والتراب مثل ذلك
الانفاق والوابل كالكفر الذى يحبط عمل الكافر وكالمن والاذى اللذين يحبطان عمل هذا المنفق فكما ان الوابل
ازال التراب الذى وقع على الصفوان فكذا المن والاذى يجب ان يكونا مبطلين لاجر الانفاق بعد حصوله وذلك
صريح فى القول بالاحباط والتكفير كما ذهب اليه المعتزلة القائلون بان الاعمال الصالحة توجب الثواب
وان الكبائر تحبط ذلك الثواب واما اصحابنا القائلون بان الثواب تفضل محض فانهم قالوا ليس المراد بقوله
لا تبطلوا النهى عن ازالة هذا الثواب بعد ثبوته بل المراد النهى عن ان يأتى بهذا العمل باطلا وبيانه ان المن
والاذى يخرجانه من ان يترتب عليه الاجر الموعود لان العمل انما يؤدى الى الاجر الموعود اذا اتى به العامل
تعبدا وطاعة وابتغاء لما عند الله تعالى من الاجر والرضوان وعملا بقوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا وبقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
فمن كان حامله على العمل ابتغاء ما عند الله مما وعده للمخلصين فقد جرى على سنن المبادلة التى وقعت بين العمل
والثواب الذى وعده الله تعالى لمن اخلص عمله لله تعالى فلما كانت معاملته فى الحقيقة مع الله تعالى لم يبق وجه
لان يمن على الفقير الذى تصدق عليه ولا لان يؤذيه بان يقول له مثلا خذه بارك الله لك فيه ومن من عليه او آذاه
فقد اعرض عن جهة المبادلة مع الله ومال الى جهة التبرع على الفقير من غير ابتغاء وجه الله واتى بعمله
من الابتدآء على نعت البطلان فيكون محروما من البدل الذى وعده الله لمن اقرض الله قرضا حسنا اذ لم يقع
عمله على وجه الاقراض (والله لا يهدى القوم الكافرين) الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان كلا من الرياء والمن
والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها روى عن بعض العلماء انه قال مثل من يعمل الطاعة
للرياء والسمعة كمثل رجل خرج الى السوق وملأ كيسه حصى فيقول الناس ما املأ كيس هذا الرجل
ولا منفعة له سوى مقالة الناس فلو اراد ان يشترى به شيأ لا يعطى به شيأ وقد بالغ السلف فى اخفاء صدقتهم عن
اعين الناس حتى طلب بعضهم فقيرا اعمى لئلا يعلم احد من المتصدق وبعضهم ربط فى ثوب الفقير نائما وبعضهم
القى فى طريق الفقير ليأخذها وبذلك يتخلص من الرياء (وفى المثنوى) گفت پيغمبر كه بهر صاحب ريا *

صل انك لم تصل يا فتى * از براى چارۀ اين خوفها * آمد اندر هر نمازى اهدنا * كين نمازم را
ميا ميز اى خدا * با نماز ضالين واهل ريا * قال النبى صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك
الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقول الله لهم يوم يجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذى
كنتم ترآؤن لهم فانظروا هل تجدون عندهم جزآء وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا كان يوم القيامة
ينزل الى العباد ليقضى بينهم وكل امة جاثية فاول من يدعو به رجل جمع القرءآن ورجل قتل فى سبيل الله ورجل
كثير المال فيقول الله للقارئ الم اعلمك ما انزلت على رسولى قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت
اقرأ آناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال
فلان قارئ فقد قيل ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى
يا رب قال فما عملت فيما آتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول
الله بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقول له فيماذا قتلت فيقول
يا رب امرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله
بل اردت ان يقال فلان جرئ فقد قيل ذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك الثلاثة اول خلق الله
تسعر بهم النار يوم القيامة (قال السعدى) طريقت همينست كاهل يقين * نكوكار بودند وتقصير بين *
بروى ريا خرقه سهلست دوخت * گرش با خدا در توانى فروخت * همان به كر آبستن گوهرى *
كه همچون صدف سر بخود در برى * در آوازه خواهى در اقليم فاش * برون حله كن گو درون
حشو باش * اگر مشك خالص ندارى مگوى * وگر هست خود فاش گردد ببوى * چه زنار مغ
در ميانت چه دلق * كه در پوشى از بهر پندار خلق * والاشارة فى الاية ان المعاملات اذا كانت مشوبة
بالاغراض ففيها نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن اقبل على الباطل فقد
ابطل حقوقه فى الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال وقد نهينا عن ابطال اعمال البر بالاعراض عن طلب الحق
والاقبال على الباطل بقوله لا تبطلوا صدقاتكم وهى من اعمال البر بالمن اى اذا مننت بها على الفقير فقد اعرضت
عن طلب الحق لان تصدقك فى الصدقة لو كان طلب الحق لما مننت على الفقير بل كنت رهين منة الفقير حيث
كان سبب وصولك الى الحق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لولا الفقرآء لهلك الاغنياء معناه لم يجدوا وسيلة الى
الحق وقد فسر بعضهم قوله عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى بان اليد العليا هى يد الفقير والسفلى يد
الغنى تعطى السفلى وتأخذ العليا والاذى هو الاقبال على الباطل لان كل شئ غير الحق فهو باطل فمن عمل عملا لله
ثم يشوبه بغرض فى الدارين فقد ابطل عمله بان يكون لله فافهم جدا كذا فى التأويلات النجمية (وفى المثنوى)
عاشقانرا شاد مانى وغم اوست * دست مزد واجرت خدمت هم اوست * غير معشوق ار تماشايى
بود * عشق نبود هرزه سودايى بود * عشق آن شعله ست كو چون برفروخت * هرچه
جز معشوق باقى جمله سوخت * فالعشق الالهى والحب الرحمانى اذا استولى على قلب العبد يقطع عنه عرق
الشركة فى الاموال والاولاد والانفس والخدمة بالاجرة لا تناسب الرجولية فان من علم ان مولاه كريم يقطع
قلبه عن ملاحظة الاجرة وتجيء اجرته اليه من ذلك الكريم على الكمال (قال الحافظ) تو بندگى چو گدايان
بشرط مزد مكن * كه دوست خود روش بنده پرورى داند * اللهم اقطع رجاءنا عن غيرك واجعلنا
من الذين لا يطلبون منك الا ذاتك (ومثل) نفقات (الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله) اى لطلب رضاه
(وتثبيتا من انفسهم) اى جعل بعض انفسهم ثابتا على الايمان والطاعة ليزول عنها رذيلة البخل وحب المال
وامساكه والامتناع عن انفاقه فان النفس وان كانت مجبولة على حب المال واستثقال الطاعات البدنية
الا انها ما عودتها تتعود (قال صاحب البردة)

والنفس كالطفل ان تهمله شب على * حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

فمتى اهملتها فقد تمرنت واعتادت الكسل والبطالة والبخل وامساك المال عن صرفه الى وجوه الطاعات
ومقتضيات الايمان ومتى كلفتها وحملتها على مشاق العبادات البدنية والمالية تنقاد لك وتتزكى عن عاداتها
الجبلية فمن تبعيضية كما فى قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فان قلت كيف يكون المال بعضا من النفس

حتى تكون الطاعة ببذله طاعة لبعض النفس وتثبيتا لها على الثمرة الايمانية قلت ان النفس لشدة تعلقها بالمال كانه بعض منها فالمال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها (وفى المثنوى) دادن نان مر سخى را لايق است * دادن جان خود سخاى عاشق است * جان دهى چون بهر حق جانت دهند * نان دهى چون بهر حق نانت دهند * آن فتوت بخش هر بى علت است * پاكبازى خارج از هر ملت است * در شريعت مال هر كس مال اوست * در طريقت ملك مامملوك دوست * ويجوز ان يكون التثبيت بمعنى جعل الشئ صادقا محققا ثابتا والمعنى تصديقا للاسلام ناشئا من اصل انفسهم وتحقيقا للجزآء فان الانفاق امارة ان الاسلام ناشئ من اصل النفس وصميم القلب فمن لابتدآء الغاية كما فى قوله تعالى حسدا من عند انفسهم ولعل تحقيق الجزآء عبارة عن الايقان بان العمل الصالح مما يثيب الله ويجازى عليه احسن الجزآء (كمثل جنة) بستان كائن (بربوة) مكان مرتفع مأمون من ان يصطلمه البرد اى يفسده للطافة هوآئه بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضى المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوآئها بركود الرياح وقال بعضهم ان البستان اذا وقع فى موضع مرتفع من الارض لا تنفعه الانهار وتضربه الرياح كثيرا فلا يحسن ريعه الا اذا كان على الارض المستوية التى لا تكون ربوة ولا وهدة فالمراد من الربوة حينئذ كون الارض لينة جيدة بحيث اذا نزل المطر عليها انتفخت وربت ونمت فان الارض اذا كانت بهذه الصفة يكثر ريعها وتكمل اشجارها ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت فان المراد من ربوها ما ذكر (اصابها وابل) اى وصل اليها مطر كبير القطر شديد الوقع (فآتت) اى اعطت صاحبها واهلها (اكلها) ثمرتها وغلتها وهو بضمتين الشئ المأكول ويجوز ان يكون آتت بمعنى اخرجت فيتعدى الى مفعول واحد هو اكلها (ضعفين) اى مثلى ما كانت تثمر فى سائر الاوقات وذلك بسبب ما اصابها من الوابل قال ابن عباس حملت فى سنة من الريع ما يحمل غيرها فى سنتين والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد فى قوله تعالى من كل زوجين اثنين ومن فسره باربعة امثال ما كانت تثمر حمل الضعف على اصل معناه وهو مثلا الشئ فيكون ضعفين اربعة امثال (فان لم يصبها وابل فطل) اى فطل وهو المطر الصغير القطر يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوآئها والطل اذا دام عمل عمل الوابل وجاز الابتدآء بالنكرة لوقوعها فى جواب الشرط وهو من جملة المسوغات للابتدآء بالنكرة ومن كلامهم ان ذهب العير فعير فى الرباط والمعنى ان نفقات هؤلاء الذين ينفقون بسبب ما يحملهم عليه من الابتغاء والتثبيت زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تلك النفقات تتفاوت فى زكائها بحسب تفاوت ما ينضم اليها من احوالهم التى هى الابتغاء والتثبيت الناشئ من ينبوع الصدق والاخلاص اليها بحال جنة نامية زاكية بسببى الربوة والوابل او الطل والجامع النمو المترتب على السبب المؤدى اليه ويجوز ان يكون التشبيه من قبيل المفرق بان يشبه زلفاهم من الله تعالى وحسن حالهم عنده بثمرة الجنة ووجه التشبيه الزيادة ويشبه نفقتهم الكثيرة والقليلة بالقوى من المطر والضعيف منه من حيث ان كل واحد منهما سبب لزيادة فى الجملة لان النفقتين تزيدان حسن حالهم كما ان المطرين يزيدان ثمر الجنة (والله بما تعملون بصير) من عمل الاخلاص والرياء لا يخفى عليه شئ وهو ترغيب فى الاخلاص مع تحذير عن الرياء ونحوه فعلى العاقل ان يعبد الله تعالى على الاخلاص ويكون دآئما فى رجاء الخلاص عن الطاغوت الخفى وهو الشرك الخفى فان الخلاص يبتنى على الاخلاص (قال السعدى) همينست بندت اكر بشنوى * كه كر خار كارى سمن ندروى * يعنى من زرع الشوك لم يحصد الازهار والنبات ولا يثمر شجره السم وبالكأس الذى تسقى تشرب عصمنا الله واياكم من ضياع العمل وكساده واختلال الاعتقاد وفساده وخالص الاعمال هو الذى تعمله لله لا تحب ان يحمدك عليه احد واذا قارن العمل بالاخلاص يكون كنحاس طرح فيه الاكسير وجسد نفخ فيه الروح ولذا يضاعف ثوابه وعن على ابن ابى طالب رضى الله عنه عن النبى عليه السلام ان الصدقة اذا خرجت من يد صاحبها قبل ان تدخل فى يد السائل تتكلم بخمس كلمات اولاها تقول كنت قليلة فكثرتنى وكنت صغيرة فكبرتنى وكنت عدوا فاحببتنى وكنت فانيا فابقيتنى وكنت محروسا الآن صرت حارسك وعن مكحول الشامى اذا تصدق المؤمن بصدقة رضى الله عنه ونادت جهنم يارب ائذن لى بالسجود شكرا لك قد اعتقت واحدا من امة محمد من

عذابى لانى استحيى من محمد ان اعذب احدا من امته ولا بدلى من طاعتك ولفظ الصدقة اربعة احرف كل منها اشارة الى معنى اما الصاد فالصد اى الصدقة تصد وتمنع عن صاحبها مكروه الدنيا والاخرة واما الدال فالدليل لانها تدل صاحبها الى الجنة واما القاف فقربة الى الله تعالى واما الهاء فهداية الله تعالى (قال بعضهم) زان پيش كه دست ساقى دهر * در جام مرارت افكند زهر * از سر بنه اين كلاه ودستار * جهدى بكن ودلى بدست آر * كين سر همه سال باكله نيست * وين روى هميشه همچو مه نيست * فمن ساعده المال فلينفق فى سبيل الله الملك المتعال وليشكر على غنى ومدد فلا يقطع رجاء احد وفى الحديث من قطع رجاء من التجأ اليه قطع الله رجاءه روى ان بعض العلماء لما رأى هذا الحديث بكى بكاء شديدا وتحير رعاية لحواه فقام وذهب الى واحد من الصلحاء ليستفسر معنى هذا الحديث ويدفع شبهته فلما دخل عليه رأى ذلك الرجل الصالح يأخذ بيده خبزا ويأكله الكلب من يده فسلم لكن لم يقم له كما كان يفعله قبل فلما اكل الكلب الخبز بالتمام قام ولاطف وقال معتذرا اخذ العذر منى حيث لم اقم امتثالا لقول النبى عليه السلام من قطع رجاء الحديث وهذا الكلب رجانى اكل الخبز ولم اقم حتى انقطع رجاؤه فلما سمع هذا الكلام زاد تحيرا ولم يستفسر فتعجب من كرامته وقوته فى باب الولاية واعلم ان ثمرات الاخلاص فى طلب الحق ومرضاته تكون ضعفين بالنسبة الى من ينفق ويعمل الخيرات والطاعات لاجل الثواب الاخروى ورفعة الدرجات فى الجنان فان حظه يكون من نعيم الجنة فحسب والمخلص فى طلب الحق يكون له ضعف من قربة الحق ودولة الوصال وشهود ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وضعف من نعيم الجنة اوفى واوفر من ضعف طالب الجنة ونعيمها باضعاف مضاعفة اللهم اهدنا اليك (ايود احدكم) الهمزة لانكار الوقوع كما فى قوله اضرب ابى لا لانكار الواقع كما فى قوله اتضرب اباك اى ما كان ينبغى ان يود رجل منكم (ان تكون له جنة) كائنة (من نخيل واعناب) والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة وهو الانسب بقوله تعالى (تجرى من تحتها الانهار) اذ على كونها بمعنى الارض المشتملة على الاشجار الملتفة لا بد من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها (له فيها من كل الثمرات) الظرف الاول خبر والثانى حال والثالث مبتدأ اى صفة للمبتدأ قائمة مقامه اى له رزق من كل الثمرات كما فى قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اى وما منا احد الا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل انما هو التكثير كما فى قوله تعالى واوتيت من كل شئ فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها نفعا خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات (و) الحال انه قد (اصابه الكبر) اى كبر السن الذى هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومئنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش (وله ذرية ضعفاء) اى اصابه الكبر والحال ان له ذرية صغارا لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادى المعاش (فاصابها) اى تلك الجنة (اعصار) اى ريح عاصفة تستدير فى الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود (فيه نار) شديدة (فاحترقت) فصارت نعمها الى الذهاب واصلها الى الخراب فبقى الرجل متحيرا لا يجد ما يعود به عليها ولا قوة له ان يغرس مثلها ولا خير فى ذريته من الاعانة لكونهم ضعفاء عاجزين عن ان يعينوه وهذا كما ترى تمثيل لحال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذآء فى الحسرة والاسف اذا كان يوم القيامة واشتدت حاجته اليها ووجدها محبطة بحال من هذا شأنه واشبههم به من جال بسره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جنات الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا (قال الحافظ) زاهد ايمن مشو از بازئ غيرت زنهار * كه ره از صومعه تا دير مغان اين همه نيست (كذلك) اى مثل ذلك البيان الواضح الذى بين فيما مر من الجهاد والانفاق فى سبيل الله وقصة ابراهيم وعزير وغير ذلك ايها الفريق (يبين الله لكم الايات) اى الدلالات الواضحة فى تحقيق التوحيد وتصديق الدين (لعلكم تتفكرون) كى تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها قال القشيرى هذه آيات ذكرها الله على جهة ضرب المثل للمخلص والمنافق والمنفق فى سبيل الله والمنفق فى الباطل هؤلاء يحصل لهم الخلف والشرف وهؤلاء يحصل لهم السرف والتلف وهؤلاء ضل سعيهم وهؤلاء شكر سعيهم وهؤلاء زكوا اعمالهم وهؤلاء حبطت اعمالهم وخسرت اموالهم وختمت بالسوء احوالهم وتضاعف عليهم وبالهم وثقل ومثل هؤلاء كالذى انبت زرعا زكا اصله ونما فضله وعلا فرعه

وكثرنفعه ومثل هؤلاء كالذى خسرت صفقته وسرقت بضاعته وضاقت على كبرسنه غلته وتواترت من كل وجه محنته هل يستويان مثلا وهل يتقاربان شبها انتهى فلابد من اخلاص الاعمال فان الثمرات تبتنى على الاصل وعن معاذبن جبل رضى الله عنه قال انه قال حين بعث الى اليمن يارسول الله اوصنى قال اخلص دينك يكفك العمل القليل وعلاج الرياء على ضربين احدهما قطع عروقه واستئصال اصوله وذلك بازالة اسبابه وتحصيل ضده واصل اسبابه حب الدنيا واللذة العاجلة وترجيحها على الاخرة والثانى دفع مايخطر من الرياء فى الحال ودفع مايعرض منه فى اثناء العبادة فعليك فى اول كل عبادة ان تفتش قلبك وتخرج منه خواطر الرياء وتقره على الاخلاص وتعزم عليه الى ان تتم لكن الشيطان لايتركك بل يعارضك بخضرات الرياء وهى ثلاث مرتبة العلم باطلاع الخلق اورجاؤه ثم الرغبة فى حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فعليك رد كل منها (قال السعدى) قيامت كسى بينى اندر بهشت ✻
كه معنى طلب كرد ودعوى بهشت ✻ كنهكار انديشناك ازخداى ✻ بسى بهتر ازعابد خودنماى ✻
وفى التاتارخانية لوافتتح الصلاة خالصا لله تعالى ثم دخل فى قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء انه لوخلا عن الناس لا يصلى ولو كان مع الناس يصلى فاما لوصلى مع الناس يحسنها ولوصلى وحده لا يحسن فله ثواب اصل الصلاة دون الاحسان ولايدخل الرياء فى الصوم روى عن ابى ذر الغفارى رضى عنه البارى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اباذر جدد السفينة فان البحر عميق واكثر الزاد فان السفر بعيد واقل من الحمولة فان الطريق مخوف واخلص العمل فان الناقد بصير والمراد من تجديد السفينة تحقيق الايمان وتكرير التوحيد ومن البحر هوجهنم قال تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا والمراد بالسفر سفر الاخرة والقيامة قال تعالى فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وزاد النعيم الطاعات وزاد الجحيم السيئات والمراد بالحمولة الذنوب والخطايا واريد باقلالها انفيهارأسا وانما كان طريق الاخرة مخوفا لان الزبانية يأخذون اصحاب الحمل الثقيل من الطريق وليس هنالك احد يعين على حمل احد وينصره وان كان من اقربائه قال تعالى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذاقربى والمراد بالناقد هو الله تعالى وهو طيب لا يقبل الا الطيب الخالص عن الشرك والرياء قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اى خالصا لوجهه تعالى ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفى الحديث قال الله تعالى انا اغنى عن الشركاء فمن عمل لى واشرك فيه غيرى فانا برئ منه وذكر عن وهب بن منبه انه قال امر الله تعالى ابليس ان يأتى محمدا عليه السلام ويجيبه عن كل مايسأله فجاء على صورة شيخ وبيده عكازة فقال له من انت قال انا ابليس قال لماذا جئت قال امرنى ربى ان آتيك واجيبك واخبرك عن كل ماتسألنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكم اعداؤك من امتى قال خمسة عشر انت اولهم وامام عادل وغنى متواضع وتاجر صدوق وعالم متخشع ومؤمن ناصح ومؤمن رحيم القلب وثابت على التوبة ومتورع عن الحرام ومؤمن مديم على الطهارة ومؤمن كثير الصدقة ومؤمن حسن الخلق مع الناس ومؤمن ينفع الناس وحامل القرآن مديم عليه وقائم الليل والناس نيام قال عليه السلام فكم رفقاؤك من امتى قال عشرة سلطان جائر وغنى متكبر وتاجر خائن وشارب الخمر والقتات وصاحب الرياء وآكل الربا وآكل مال اليتيم ومانع الزكاة والذى يطيل الامل وفى الحديث مامنكم من احد الاسيكلمه ربه ليس بينه وبين الله ترجمان ولاحجاب يحجبه فينظر ايمن منه فلا يرى الا ماقدم وينظر اشأم منه فلا يرى الا ماقدم من عمله وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا الله ولو بشق تمرة قال شيخى العلامة ابقاه الله بالسلامة قيل لى فى قلبى احسن اخلاق المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضى واحسن اخلاقه فى معاملته مع الخلق العفو والسخاء (قال السعدى) غم وشادمان نماند وليك ✻ جزاى عمل ماند ونام نيك ✻ كرم پاى داردنه ديهيم وتخت ✻
بده كز تواين ماند اى نيكبخت ✻ مكن تكيه برملك وجاه وحشم ✻ كه پيش ازتوبودست وبعد ازتوهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمدلله الذى امر المؤمنين بالانفاق ليزكى به نفوسهم عن سفساف الاخلاق وهدى العارفين الى بذل المال والروح ليفتح لهم ابواب الفتوح والصلاة والسلام على المتخلق باخلاق مولاه سيدنا محمد الذى جاء بالشفاعة لمن يهواه وعلى آله واصحابه ممن آثر الله على ماسواه ووثق فى اجر الانفاق بربه الذى اعطاه وبعد فان العبد العليل سمى

الذبيح اسماعيل الناصح البروسى ثم الاسكوبى اوصله الله الى غاية المقام الحبى يقول لما ابتليت بالنصح والعظة اهتممت فى باب الموعظة فكنت التقط من التفاسير وانظم فى سلك التحرير مابه يحل عقد الايات القرآنية والبينات الفرقانية من غير تعرض لوجوه المعانى مما يحتمله المبانى قصدا الى التكلم بقدر عقول الناس وتصديا للاختصار الحامل على الاستئناس واضم الى كل آية ماينا سبها من الترغيب والترهيب وبعض من التأويل الذى لايخفى على كل لبيب حتى انتهيت من سورة البقرة الى ماهنا من آيات الانفاق بعون الله الملك الخلاق فجعلت اول هذه الاية معنونا ليكون هذا النظم مع مايضم اليه مدونا مقطوعا عماقبله من الايات مجموعا بلطائف العظات ومن الله استمد ان يمهلنى الى ان آخذ بهذا المنوال القرآن العظيم واقضى هذا الوطر الجسيم واتضرع ان يجعله منتفعا به وذخرا ليوم المعاد ونعم المسئول والمراد (يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم) اى من حلال ما كسبتم اوجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وفسر صاحب الكشاف الطيبات بالجياد حيث قال من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ذكر بعض الافاضل انما فسر الطيب بالجيد دون الحلال لان الحل استفيد من الامر فان الانفاق من الحرام لايؤمر به ولان قوله تعالى بعده ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون والخبيث هو الردئ المستخبث يدل على ان المعنى انفقوا مما يستطاب من اكسابكم (ومما) اى من طيبات ما (اخرجنا لكم من الارض) من الحبوب والثمار والمعادن (ولا تيمموا) اى لا تقصدوا (الخبيث) اى الردئ الخسيس والخبيث نقيض الطيب ولهما جميعا ثلاثة معان الطيب الحلال والخبيث الحرام والطيب الطاهر والخبيث النجس والطيب مايستطيبه الطبع والخبيث مايستخبثه (منه تنفقون) الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اى لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه والتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لالتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضى الله عنه انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه (ولستم بآخذيه) حال من كل حال من واو تنفقون اى تنفقون والحال انكم لا تأخذون الخبيث فى معاملاتكم فى وقت من الاوقات اوبوجه من الوجوه (الا ان تغمضوا فيه) اى الا وقت اغماضكم فيه اوالا باغماضكم يعنى لوكان لكم على رجل حق فجاء بردئ ماله بدل حقكم الطيب لا تأخذونه الا فى حال الاغماض والتساهل مخافة فوت حقكم اولاحتياجكم اليه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذاغض بصره ويقال للبائع اغمض اى لا تستقص كانك لا تبصر (واعلموا ان الله غنى) عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم وفى الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على مايصنعون من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطى ان الآخذ محتاج الى مايعطيه بل مضطر اليه (حميد) مستحق للحمد على نعمه العظام واعلم ان المتصدق كالزارع والزارع لما كان له اعتقاد بحصول الثمرة يبالغ فى الزراعة وجودة البذر لتحققه ان جودة البذر مؤثرة لجودة الثمرة وكثرتها فكذلك المتصدق كلما ازداد ايمانه بالله والبعث والثواب والعقاب يزيد فى الصدقة وجودتها لتحققه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما والعبد كلما اعطى الله احب ماعنده فان الله يجازيه باحب ماعنده كما قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ودلت الاية على جواز الكسب وان احسن وجوه التعيش هو التجارة والزراعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكله الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وكذلك اطيب الصدقات ما كانت من عمل اليد بقنطار زر بخش كردن ز كنج ✻ نباشد چو قيراط ازدست رنج ✻ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايكسب عبد مالا حراما فيتصدق منه فيقبل منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله تعالى لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث ووجوه الانفاق والصدقة كثيرة قال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يغرس غرسا اويزرع زرعا فيأكل منه انسان اوطير اوبهيمة الا كانت له صدقة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم حث اصحابه على الصدقة فجعل الناس يتصدقون وكان ابوامامة الباهلى جالسا بين يدى النبى عليه السلام وهو يحرك شفتيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحرك شفتيك فماذا تقول قال انى ارى الناس يتصدقون وليس معى شئ اتصدق به فاقول فى نفسى سبحان والحمدلله ولا اله الا الله والله اكبر فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات خير لك من مد ذهبا

تصدق به على المساكين فعلى العاقل ان يواظب على الاذكار فى الليل والنهار ويتصدق على الفقرآء والمساكين بخلوص النية واليقين فى كل حين كرامت جوانمردى ونان دهيست * مقالات بيهوده طبل تهيست * وجلس الاسكندر يوما مجلسا عاما فلم يسئل فيه حاجة فقال والله ما اعد هذا اليوم من ملكى قيل ولم ايها الملك قال لانه لا توجد لذة الملك الا باسعاف الراغبين واغاثة الملهوفين ومكافأة المحسنين قال السرى السقطى قدس سره فى وصف الصوفية اكلهم اكل المرضى ونومهم نوم الغرضى ومن تخليهم عن الاملاك ومفارقتهم اياها سموا فقرآء فالصوفى مالم يبذل ماله وروحه فى طلب الله فهو صاحب دنيا والدنيا مانعة عن الوصول فعليك بالايثار وكمال الافتقار (الشيطان يعدكم الفقر) الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شئ من زمان اوغيره يستعمل فى الشر استعماله فى الخير قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا والمعنى ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك مالك فانك اذا تصدقت به افتقرت (ويأمركم بالفحشاء) اى بالخصلة الفحشاء اى ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغرآء الآمر المأمور على فعل المأمور به والعرب تسمى البخيل فاحشا (والله يعدكم) اى فى الانفاق (مغفرة) لذنوبكم اى مغفرة كائنة (منه) عزوجل (وفضلا) كائنا منه تعالى اى خلفا مما انفقتم زآئدا عليه فى الدنيا وثوابا فى العقبى وفيه تكذيب للشيطان (والله واسع) قدرة وفضلا فيحقق ماوعدكم به من المغفرة واخلاف ماتنفقونه (عليم) مبالغ فى العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم (يؤتى الحكمة) اى مواعظ القرءآن ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها اى يبينها ويوفق للعمل بها (من يشاء) من عباده اى يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه فى ضمن الاى من الحكم البالغة التى عليها يدور فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول ليؤتى قدم عليه الثانى للعناية به (ومن يؤت الحكمة) اى يعظ العلم والعمل (فقد اوتى خيرا كثيرا) اى اى خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين (ومايذكر) اى ومايتعظ بما اوتى من الحكمة (الا اولوا الالباب) اى العقول الخالصة من شوآئب الوهم والركون الى متابعة الهوى فالمراد منهم الحكماء العلماء العمال ولا يتناول كل مكلف وان كان ذا عقل لان من لا يغلب عقله على هواه فلا ينتفع به فكانه لا عقل له قيل من اعطى علم القرءآن ينبغى ان لا يتواضع لاهل الدنيا لاجل دنياهم لان ما اعطيه خير كثير والدنيا متاع قليل ولقوله عليه السلام القرءآن غنى لا غنى بعده والاشارة ان الشيطان فقير يعد بالفقر ظاهرا فهو يأمر بالفحشاء حقيقة والفحشاء اسم جامع لكل سوء لان عدته بالفقر تتضمن معانى الفحشاء وهى البخل والحرص واليأس من الحق والشك فى مواعيد الحق للخلق بالرزق والخلف للمنفق ومضاعفة الحسنات وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه وتكذيب قول الحق ونسيان فضله وكرمه وكفران النعمة والاعراض عن الحق والاقبال على الخلق وانقطاع الرجاء من الله تعالى وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وايثار الحظوظ الدنيوية وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبذر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسته فسوف يبتلى بهذه الآفات ومن سد هذا الباب فان الله يكرمه بانواع الكرامات ورفعة الدرجات والله واسع عليم يؤتى من اجتنب عن وساوسه الحكمة وهى من مواهبه ترد على قلوب الانبياء والاولياء عند تجلى صفات الجلال والجمال وفناء اوصاف الخلقية بشواهد صفات الخالقية فيكاشف الاسرار بحقائق معان اورثتها تلك الانوار سرا بسر واضمارا باضمار فحقيقة الحكمة نور من انوار صفات الحق يؤيد الله به عقل من يشاء من عباده فهذه ليست مما تدرك بالعقول والبراهين العقلية والنقلية واما المعقولات فهى مشتركة بين اهل الدين واهل الكفر فالمعقول ما يحكم العقل عليه ببرهان عقلى وهذا ميسر لكل عاقل بالدراية وعالم بالقرآءة فمن صفى عقله عن شوب الوهم والخيال فيدرك عقله المعقول بالبرهان دراية عقلية ومن لم يصف العقل عن هذه الآفات فهو يدرك المعقول قرآءة بتفهيم استاذ مرشد فاما الحكمة فليست من هذا القبيل ومايذكر الا اولوا الالباب وهم الذين لم يقنعوا بقشور العقول الانسانية بل سعوا فى طلب لبها بمتابعة الانبياء عليهم السلام فاخرجوهم من ظلمات قشور العقول الانسانية الى نور لب المواهب الربانية فتحقق لهم ان من لم يجعل الله له نورا فماله من نور فانتبه يامغرور المفتون بدار الغرور فلا يغرنك بالله الغرور (قال من قال) نكرتا قضا از كجا سير كرد * كه كورى بود تكيه برغير كرد * فغان از بديها كه درنفس ماست * كه ترسم شود ظن ابليس راست * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمين الله ملأى

لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارأيتم ما انفق منذ خلق السماء والارض فانه لم يغض ما فى يمينه قال وعرشه على الماء وبيده الاخرى القبض يرفع ويخفض فالمؤمن يتخلق باخلاق الله ويجود على الفقرآء ويدفع ما وسوس اليه الشيطان من خوف الفقر فان الله بيده مفاتيح الارزاق وهو المعطى على الاطلاق (وما) كلمة شرط وهى للعموم (انفقتم من نفقة) اى اى نفقة كانت فى حق اوباطل فى سر او علانية قليلة او كثيرة (او نذرتم) النذر عقد الضمير على شئ والتزامه وهو فى الشرع التزام بر له نظير فى الشرع ولهذا الوندر سجدة مفردة لا يصح الا ان تكون للتلاوة عند ابى حنيفة واصحابه (من نذر) اى نذر كان فى طاعة اومعصية بشرط اوبغير شرط متعلق بالمال اوبالافعال كالصلاة والصيام ونحوهما (فان الله يعلمه) الضمير عائد الى ما اى فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد (وما للظالمين) بالانفاق والنذر فى المعاصى او بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما يتنظمه معنى الظلم الذى هو عبارة عن وضع الشئ فى غير موضعه الذى يحق ان يوضع فيه (من انصار) اى اعوان ينصرونهم من بأس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اى ومالظالم من الظالمين من نصير من الانصار (ان تبدوا الصدقات فنعماهى) اى ان تظهروا الصدقات فنعم شئ ابدآؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة وهذا فى الصدقات المفروضة واما فى صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهى التى اريد بقوله (وان تخفوها) اى تعطوها خفية (وتؤتوها الفقرآء) ولعل التصريح بايتائها الفقرآء مع انه واجب فى الابدآء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان الغنى ربما يدعى الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس (فهو خير لكم) اى فالاخفاء خير لكم من الابدآء وكل مقبل اذا صلحت النية وهذا فى التطوع ومن لم يعرف بالمال واما فى الواجب فبالعكس ليقتدى به كالصلاة المكتوبة فى الجماعة افضل والنافلة فى البيت ولنفى التهمة وسوء الظن حتى اذا كان المزكى ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل خوف الظلمة عن ابن عباس رضى الله عنه صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا (و) الله (يكفر عنكم من سيئاتكم) من تبعيضية اى شيأ من سيئاتكم لانه يمحو بعض الذنوب بالتصدق فى السر والعلانية او زآئدة على رأى الاخفش فالمعنى يمحو عنكم جميع ذنوبكم (والله بما تعملون) من الاسرار والاعلان (خبير) فهو ترغيب فى الاسرار ذكر الامام فى ان الاسرار والاخفاء فى صدقة التطوع افضل وجوها الاول انها ابعد من الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل من مسمع ولا مرآئى ولا منان ولا متحدث فى صدقة لا شك انه يطلب السمعة والمعطى فى ملأ من الناس يطلب الرياء فالاخفاء والسكوت هو المخلص منهما وقد بالغ قوم فى صدقة الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم احد فكان بعضهم يلقيها فى يد اعمى وبعضهم يلقيها فى طريق الفقير فى موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى وبعضهم كان يشدها فى ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره وثانيها انه اذا اخفى صدقته لم يحصل له من الناس شهرة وتمدح وتعظيم فكان ذلك اشق على النفس فوجب ان يكون اكثر ثوابا وثالثها قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر وقال ايضا ان العبد يعمل عملا فى السر فيكتبه الله تعالى له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فان تحدث نقل من السر والعلانية وكتب فى الرياء وفى الحديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عدل وشاب نشأ بعبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال انى اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب واما الوجه فى جواز اظهار الصدقة فهو ان الانسان اذا علم انه اذا اظهرها صار فى ذلك سببا لاقتدآء الخلق به فالاظهار افضل قال محمد ابن على الحكيم الترمذى ان الانسان اذا اتى بعمله وهو يخفيه عن الخلق وفى نفسه شهوة ان يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع تلك الشهوة فههنا الشيطان يرد عليه رؤية الخلق والقلب ينكر ذلك ويدفعه فهذا الانسان فى محاربة الشيطان فضوعف العمل فى السر سبعين ضعفا على العلانية ثم ان تقرب العبد الى الله انما يكون بفرض اوجبه الله عليه او بنفل اوجبه العبد على نفسه فعلى كلا التقديرين ان الله عليم بهما فيجازى العبد بهما

كما قال فى حديث ربانى لن يتقرب الى المتقربون بمثل ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يبطش ولكن الشأن اخلاص العمل لله من غير شوبه بعلة دنيوية واخروية فانها شرك والشرك ظلم عظيم فلابد من الاجتناب جورو بى بخدمت نهى برزمين * خدا را ثنا كوى وخود را مبين * فاخفاء الصدقة اشارة فى الحقيقة الى تخليصها عن شوب الحظوظ النفسانية لتكون خالصة لله فصاحبها يكون فى ظل الله كما قال عليه السلام المرؤ يكون فى ظل صدقته يوم القيامة يعنى ان كانت صدقته لله فيكون فى ظل الله وان كانت صدقته للجنة فيكون فى ظل الجنة وان كانت صدقته للهوى فيكون فى ظل هاوية فافهم جدا * رطب ناورد چوب خر زهره بار * چه تخم افكنى برهمان چشم دار (ليس عليك هداهم) اى لا يجب عليك يا محمد ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهى عن الشر والردع عنه بما اوحى اليك من الايات والذكر الحكيم والخطاب خاص والمراد عام يتناول كل اهل الاسلام (ولكن الله يهدى) هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما (من يشاء) هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع ويختار الخير فهدى التوفيق على الله وهدى البيان على النبى صلى الله عليه وسلم وقيل لما كثر فقرآء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التصدق على المشركين كى تحملهم الحاجة على الدخول فى الاسلام فنزلت اى ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم فى الاسلام وفيه ايماء الى ان الكفر لا يمنع صدقة التطوع واختلف فى الواجب فجوزه ابو حنيفة واباه غيره (وما تنفقوا من خير) اى اى شئ تتصدقوا كائن من مال (فلانفسكم) اى فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الدينى لكم لا لغيركم من الفقرآء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من فقرآء المشركين وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اى ليست نفقتكم لشئ من الاشياء الا لابتغاء وجه الله او ليست فى حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله (وما تنفقوا) اى اى شئ تنفقوا (من خير) فى اهل الذمة وغيرهم (يوف اليكم) اى يوفر لكم اجره وثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها (وانتم لا تظلمون) اى لا تنقصون شيأ مما وعدتم من الثواب المضاعف (للفقرآء) اى اجعلوا ما تنفقونه للفقرآء (الذين احصروا فى سبيل الله) اى حبسوا نفوسهم فى طاعته من الغزو والجهاد (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا فى الارض) اى ذهابا فيها وسيرا فى البلاد للكسب والتجارة وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم يكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر فكانوا فى صفة المسجد وهى سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس رضى الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن اتى من امتى على النعت الذى انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائى (يحسبهم الجاهل) اى يظنهم الجاهل بحالهم وشأنهم (اغنياء من التعفف) اى من اجل تعففهم عن المسئلة وهو ترك الطلب ومنع النفس عن المراد بالتكلف استحياء (تعرفهم) اى تعرف فقرهم واضطرارهم (بسيماهم) اى بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والسيما والسيمياء العلامة التى تعرف بها الشئ (لا يسألون الناس الحافا) مفعول له ففيه نفى السؤال والالحاف جميعا اى لا يسألون الناس اصلا فيكون الحافا والالحاف الالزام والالحاح وهو ان يلازم السائل المسئول حتى يعطيه ويجوز السؤال عند الحاجة والاثم مرفوع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يأخذ احدكم حبله فيذهب فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيكف بها وجهه خير له من ان يسأل الناس اشياءهم اعطوه او منعوه وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيى الحليم المتعفف ويبغض البذى السائل الملحف (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) فيجازيكم بذلك احسن جزآء فهو ترغيب فى التصدق لا سيما على هؤلاء ثم زاد التحريض عليه بقوله (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير

والصدقة

والصدقة فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت فى شأن الصديق رضى الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة آلاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية (فلهم اجرهم) اى ثوابهم حاضر (عند ربهم ولا خوف عليهم) من مكروه آت (ولا هم يحزنون) من محبوب فات واعلم ان الانفاق على سادة اختاروا الفقر على الغنى محبة لله واقتدآء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرفة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقول لى حرفتان الفقر والجهاد ارلى وهم احق بها والعبد اذا انفق من كل معاملة فيها خير من المال او الجاه او خدمة النفس او اعزاز او اكرام او اعظام او ارادة بها القلب حتى السلام على هؤلاء السادة استحقاقا واجلالا لا استخفافا واذلالا فان الله به عليم فان تقرب اليه فى الانفاق بشبر يتقرب هو اليه فى المجازاة بذراع وان تقرب بذراع يتقرب اليه بباع فلا نهاية لفضله ولا غاية لكرمه فطوبى لمن ترك الدنيا بطيب القلب واختار الله على كل شئ ومن كان لله كان الله له روى ان حسن ستة اشياء فى ستة العلم والعدل والسخاوة والتوبة والصبر والحياء العلم فى العمل والعدل فى السلطان والسخاوة فى الاغنياء والتوبة فى الشباب والصبر فى الفقر والحياء فى النساء العلم بلا عمل كبيت بلا سقف والسلطان بلا عدل كبئر بلا ماء والغنى بلا سخاوة كسحاب بلا مطر والشباب بلا توبة كشجر بلا ثمر والفقر بلا صبر كقنديل بلا ضياء والنساء بلا حياء كطعام بلا ملح فعلى الغنى ان يمطر من سحاب غنى بركات الدين والدنيا ويتسبب لاحياء قلوب ماتت بالفقر والاحتياج فان الله لا يضيع اجر المحسنين * بسنديده رأيى كه بخشيد وخورد * جهان از پى خويشتن كرد كرد * يعنى ان الذى له رأى صائب هو الذى تمتع بماله وانعم وجمع الدنيا لاجله لا لغيره فان من جمع مالا ولم يأكل منه ولم يعط فهو جامع لغيره فى الحقيقة اذ هو لوارثه بعده (الذين يأكلون الربوا) اى يأخذونه وعبر عنه بالاكل لانه معظم المقصود من المال واشيوعه فى المطعومات والربا فضل فى الكيل والوزن خال عن العوض عند ابى حنيفة واصحابه ويجرى فى الاشياء الستة الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح وكتب بالواو تنبيها على اصله لانه من ربا يربو وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع (لا يقومون) اى من قبورهم اذا بعثوا (الا كما يقوم) اى الا قياما مثل قيام (الذى يتخبطه) اى يضربه ويصرعه (الشيطان من المس) اى الجنون متعلق بلا يقومون يعنى لا يقومون من المس الذى بهم الا كقيام المصروع المختل اى فاسد العقل ويكون ذلك سيماهم يعرفون به عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فارباه الله تعالى فى بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض (ذلك) اى العذاب النازل بهم (بانهم قالوا) اى بسبب قولهم (انما البيع مثل الربوا) فنظموا الربا والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين وحق الكلام ان يقال انما الربا مثل البيع الا انه على المبالغة اى اعتقدوه حلا حتى ظنوا انه اصل او قالوا انما البيع مثل الربا فلم لا يحل فان الزيادة فى اوله كما هى فى آخره روى ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا حل ماله على غريمه فطالبه به يقول الغريم لصاحب الاجل زدنى شيأ فى الاجل حتى ازيدك فى المال فيفعلان ذلك ويقولان سوآء علينا الزيادة فى اول البيع بالربح او عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله وقال (واحل الله البيع وحرم الربوا) اى كيف يتماثلان والبيع محلل بتحليل الله والربا محرم بتحريم الله تعالى (فمن جاءه موعظة) اى فمن بلغه وعظ وزجر كالنهى عن الربا (من ربه فانتهى) اى فاتعظ بلا تراخ وتبع النهى (فله ما سلف) اى مضى من ذنبه فلا يؤاخذ به لانه اخذ قبل نزول التحريم وجعل ملكا له ولا يسترد منه (وامره الى الله) يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شأنه يوم القيامة وليس من امره اليكم شئ فلا تطالبوه به (ومن عاد) الى الربا مستحلا بعد النهى كما استحل قبله (فاولئك) اشارة الى من باعتبار المعنى (اصحاب النار) اى ملازموها (هم فيها خالدون) ماكثون ابدا (يمحق الله الربوا) المحق نقصان الشئ حالا بعد حال حتى يذهب كله كما فى محاق الشهر وهو حال آخذ الربا فان الله يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه ولا ينتفع به ولده بعده (ويربى الصدقات) يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذى اخرجت منه الصدقة روى عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربى احدكم مهره وعنه ايضا مانقصت زكاة من مال قط (والله لا يحب) اى لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين (كل كفار) مصر على

تحليل المحرمات (اثيم) منهمك فى ارتكابها (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به
(وعملوا الصالحات) اى الطاعات (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) تخصيصهما بالذكر من اندراجهما
فى الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة (لهم اجرهم) الموعود لهم حال كونه (عند ربهم ولا خوف
عليهم) من مكروه آت (ولاهم يحزنون) من محبوب فات واعلم ان آكل الربا لحرصه على الدنيا مثله كمثل من به
جوع الكلب فيأكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فكلما يقوم يصرعه ثقل بطنه فكذا حال اهل
الربا يوم القيامة (ونعم ماقيل) توان بحلق فروبردن استخوان درشت * ولى شكم بدرد چون بكيرد اندر
ناف * فالعاقل لا يأكل ما لا يتحمله فى الدنيا والاخرة فطوبى لمن يقتصد فى اخذ الدنيا ولا يحمله الحرص على
اخذها بغير حقها فهو ينجو من وبالها وهو مثل التاجر الذى يكسب المال بطريق البيع والشرآء ويؤدى
حقه وان كان له حرص فى الطلب والجمع ولكن لما كان بامر الشرع وطريق الحل ولا يمنع ذا الحق حقه ما اضربه
كما اضربا كل الربا روى ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم وكسب البغى ولعن آكل الربا وموكله
وكاتبه وشاهديه والواشمة والمستوشمة والمصور وقال عليه السلام الربا بضع وسبعون بابا ادناها كاتيان الرجل
امه يعنى كالزنى بامه والعياذ بالله فمن سمع هذا القول العظيم فليبادر بالتوبة الى باب المولى الكريم ذلك لمن كان
له قلب اوالقى السمع وهو شهيد ومن اقرض شيأ بشرط ان يرد عليه افضل فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر
منفعة فهو ربا وكان لابى حنيفة رحمه الله على رجل الف درهم سود فرد عليه الف درهم بيض فقال ابو حنيفة
لا اريد هذا الابيض من درهمى فاخاف ان يكون هذا البياض ربا فرده واخذ مثل دراهمه قال ابو بكر لقيت
ابا حنيفة على باب رجل وكان يقرع الباب ثم يتنحى ويقوم فى الشمس فسألته عنه فقال ان لى على صاحبه دينا
وقد نهى عن قرض جر منفعة فلا انتفع بظل حائطه ومنه يقرب ماروى عن ابى يزيد البسطامى قدس سره من انه
اشترى من همذان حب القرطم ففضل منه شئ فلما رجع الى بسطام رأى فيه نملتين فرجع الى همذان ووضع
النملتين فهذا هو الورع وكمال التقوى ومثل هذا لا يوجد فى هذا الزمان وان وجد فاقل من القليل واكثر
الناس ولو كانوا صوفية لا يفرقون بين الحلال والحرام والشبهات ولذا ترى امر الدين صار مهملا وعاد غريبا
هدانا الله واياكم الى سوآء الطريق انه ولى التوفيق (قال جلال الدين الرومى) اى زخودت بى وقوف لاف
تراو بوف * فضل نخشد تراجبه ودستار وصوف (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) اى قوا انفسكم
عقابه (وذروا ما بقى من الربوا) اى واتركوا تركا كليا ما بقى لكم غير مقبوض من مال الربا على من عاملتموه به
(ان كنتم مؤمنين) على الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة روى انه كان لثقيف مال على
بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت (فان لم تفعلوا) اى ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما
مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها (فأذنوا) اى فاعلموا من اذن بالامر اذا علم به (بحرب) اى بنوع من الحرب
عظيم لا يقادر قدره كائن (من) عند (الله ورسوله) وحرب الله حرب ناره اى بعذاب من عنده وحرب رسوله
نار حربه اى القتال والفتنة فلما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء مع
الايمان بحرمته بعد ما سمعتموه من الوعيد (فلكم رؤس اموالكم) تأخذونها كملا (لاتظلمون) غرماءكم باخذ
الزيادة (ولا تظلمون) انتم من قبلهم بالمطل والنقص عن رأس المال هذا هو الحكم اذا تاب ومن لم يتب من المؤمنين
واصر على عمل الربا فان لم يكن ذا شوكة عزر وحبس الى ان يتوب وان كان ذا شوكة حاربه الامام كما يحارب
الباغية كما حارب ابو بكر رضى الله عنه مانع الزكاة وكذا القول لو اجتمعوا على ترك الاذان او ترك دفن الموتى
(وان كان ذو عسرة) اى وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة وهى بالاعدام او كساد المتاع (فنظرة) اى
فالحكم نظرة وهى من الانظار والامهال (الى ميسرة) اى الى يسار (وان تصدقوا) اى وتصدقكم باسقاط الدين
كله عمن اعسر من الغرماء او بالتأخير والانظار (خير لكم) اى اكثر ثوابا (ان كنتم تعلمون) جوابه محذوف اى ان
كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل
يوم صدقة وقال صلى الله عليه وسلم من انظر معسرا او وضع له انجاه الله من كرب يوم القيامة وفى القرض
والادانة فضائل كثيرة روى ان امامة الباهلى رضى الله عنه رأى فى المنام على باب الجنة مكتوبا القرض بثمانية
عشر امثاله والصدقة بعشر امثالها فقيل ولم هذا فاجيب بان الصدقة ربما وقعت فى يد غنى وان صاحب

القرض لا يأتيك الا وهو محتاج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن يوم القيامة مع ايمان
دخل من اى ابواب الجنة شاء وزوج من حور العين كم شاء من عفا عن قاتل وقرأ دبر كل صلاة مكتوبة قل هو الله
احد عشر مرات ومن ادان دينا لمن يطلب منه فقال ابو بكر الصديق او احداهن يا رسول الله قال او احداهن
واعلم ان الاستدانة فى احوال ثلاث فى ضعف قوته فى سبيل الله وفى تكفين فقير مات عن قلة وفقر
وفى نكاح يطلب به العفة عن فتنة العزوبة فيستدين متوكلا على الله فالله تعالى يفتح ابواب اسباب القضاء قال
صلى الله عليه وسلم من ادان دينا وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان
جماعة السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وعن
النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام الشهادة تكفر كل شئ الا الدين يا محمد ثلاثا فعلى العاقل
ان يقضى ما عليه من الديون ويخاف من وبال سوء نيته يوم يبعثون وهذا حال من ادى القرض فانه يهون عليه
ان يؤدى القرض واما المرتكب وتارك الفرآئض فلا يبالى بالفرآئض فكيف بالديون والاقراض ولذا قيل
وامش مده انكه بى نمازست * ورخود دهنش زفاقه بازست * كو فرض خدا نمى كزارد *
ازقرض تونيز غم ندارد * واحوال هذا الزمان مختلة كاخوانه فطوبى لمن تمسك بالقناعة فى زمانه
ومن شرط المؤمن الحقيقى اتقاؤه بالله فى ترك زيادات لا يحتاج اليها فى امر الدين بل تكون شاغلة له عن الترقى
فى مراتب الدين كما قال عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (واتقوا يوما) نصب ظرفا تقديره
واتقوا عذاب الله يوما او مفعولا به كقوله فكيف تتقون ان كفرتم يوما اى كيف تتقون هذا اليوم الذى هذا
وصفه مع الكفر بالله (ترجعون فيه) على البناء للمفعول من الرجع اى تصيرون فيه (الى الله) لمحاسبة اعمالكم
(ثم توفى كل نفس) من النفوس اى تعطى كملا (ما كسبت) اى جزاء ما عملت من خير او شر (وهم لا يظلمون)
اى لا ينقصون من ثوابهم ولا يزادون على عقابهم وهو حال من كل نفس تفيد ان المعاقبين وان كانت
عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين فى ذلك لما انه من قبل انفسهم وعن ابن عباس رضى الله عنه هذه آخر آية نزلت
ولقى رسول الله ربه بعدها بسبعة اوتسعة ايام او احد وعشرين او احد وثمانين يوما او ثلاث ساعات وقال له
جبريل عليه السلام ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة فجعلت بين آية الدين وآية الربا
تأكيدا للزجر عن الربا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين ودخل المدينة
يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين وكان مريضا ثمانية عشر يوما يعوده الناس وكان آخر ما يقول صلى الله عليه وسلم
الصلاة وما ملكت ايمانكم الصلاة فانا لله وانا اليه راجعون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصيب
بمصيبة فليذكر مصيبته بى فانها اعظم المصائب وقال عليه السلام من كان له فرطان من امتى ادخله الله
بهما الجنة فقالت له عائشة رضى الله عنها فمن كان له فرط من امتك قال ومن كان له فرط يا موفقة قالت فمن لم
يكن له فرط من امتك قال انا فرط لامتى لن يصابوا بمثلى قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت
حياته ومماته رحمة قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بامة رحمة قبض نبيها قبلها فجعله سلفا وفرطا لها ورثاه
صلى الله عليه وسلم بعض الانصار فقال   الصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم
واعلم ان الله تعالى جمع فى هذه الاية خلاصة ما انزله فى القرءآن وجعلها خاتم الوحى والانزال كما انه جمع خلاصة
ما انزل من الكتب على الانبياء فى القرءآن وجعله خاتم الكتب كما ان النبى عليه السلام خاتم الانبياء عليهم السلام
وقد جمع فيه اخلاق الانبياء فاعلم ان خلاصة جميع الكتب المنزلة وفائدتها بالنسبة الى الانسان عائدة
الى معنيين احدهما نجاته من الدركات السفلى وثانيهما فوزه بالدرجات العليا فنجاته فى خروجه عن الدركات
السفلى وهى سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصى والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف وحجاب النفس
وفوزه فى ترقيه على الدرجات العليا وهى ثمانية المعرفة لله والتوحيد لله والعلم والطاعات والاخلاق الحميدة
وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته فهذه الاية تشير الى مجموعها اجمالا قوله تعالى واتقوا هى لفظة
شاملة لما يتعلق بالسعى الانسانى من هذه المعانى لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة
ما يقربك اليه دليله قول النبى عليه السلام جماع التقوى قول الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية
فيندرج تحت التقوى على هذا المعنى الخروج عن الدركات السفلى والترقى على الدرجات العليا فتقوى العوام

الخروج عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصى بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة وههنا ينتهى سير العوام لان نهاية كسب الانسان وغاية جهد المجتهدين فى اقامة شرائط جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن ههنا تقوى الخواص المجذوبين بجذبات لنهدينهم سبلنا فتخرجهم الجذبة من حجب اوصافهم الى درجة تجلى صفات الحق فههنا ينقضى سلوك الخواص فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فينتفعون من مواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى واما تقوى خاص الخواص فبجذبة رفرف العناية بجذب ما زاغ البصر وما طغا من سدرة منتهى الاوصاف الى قاب قوسين نهاية حجب النفس وبداية انوار القدس فهنا لك من عرف نفسه فقد عرف ربه فبالتقوى الحقيقية يجد الايمان الحقيقى فمعنى واتقوا جاهدوا فينا بجهدكم وطاقتكم يوما يعنى اليوم فيه لنهدينكم بجذبات العناية ترجعون الى الله اشار بلفظ الرجوع اليه ليعلم ان الشروع كان منه هدانا الله واياكم الى مقام الجمع واليقين وشرفنا بلطائف التحقيق والتمكين انه نصير ومعين يصيب برحمته من يشاء من عباده الصالحين (يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين) اى اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه الى الحال والمؤجل وانه الباعث على الكتب وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر وهو فاكتبوه (الى اجل) متعلق بتداينتم (مسمى) بالايام او الاشهر او السنة وغيرها مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس وقدوم الحاج مما لا يرفعها (فاكتبوه) اى الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه (وليكتب بينكم كاتب) بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وقوله بينكم للايذان بان الكاتب ينبغى ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلاميهما ولا يكتفى بكلام احدهما (بالعدل) اى كاتب كائن بالعدل اى وليكن المتصدى للكتابة من شأنه ان يكتب بالتسوية من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين يجيء كتابه موثقا به معدلا بالشرع (ولا يأب كاتب) اى لا يمتنع احد من الكتاب (ان يكتب) كتاب الدين (كما علمه الله) على طريقة ما علمه الله من كتب الوثائق (فليكتب) تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهى عن ابائها تأكيدا لها (وليملل الذى عليه الحق) الاملال هو الاملاء وهو القاء المعنى على الكاتب للكتابة اى ليكن المملى اى مورد المعنى على الكاتب من عليه الحق اى الدين لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر (وليتق الله ربه) جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة فى التحذير اى وليتق المملى دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى (ولا يبخس منه) اى من الحق الذى عليه على الكاتب (شيا) فانه هو الذى يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس وانما شدد فى تكليف المملى حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهى عن البخس لما فيه من الدواعى الى المنهى عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما فى ذمته (فان كان الذى عليه الحق سفيها) ناقص العقل مبذرا مجازفا (او ضعيفا) صبيا او شيخا مختلا (او لا يستطيع ان يمل هو) اى غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عى او جهل او غير ذلك من العوارض (فليملل وليه) اى الذى يلى امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم (بالعدل) اى من غير نقص ولا زيادة (واستشهدوا شهيدين) اى اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن (من رجالكم) متعلق باستشهدوا اى من اهل دينكم يعنى من الاحرار البالغين المسلمين اذ الكلام فى معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا (فان لم يكونا) اى الشهيدان جميعا على طريقة نفى الشمول لا شمول النفى (رجلين) اما لاعوازهما او لسبب آخر من الاسباب (فرجل وامرأتان) اى فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال فى الاموال جائزة بالاجماع دون الحدود والقصاص فلا بد فيهما من الرجال (ممن ترضون) متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان اى كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره فى كل شهيد لقلة اتصاف النساء به (من الشهداء) متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول اى ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم به وادراج النساء فى الشهداء بطريق التغليب (ان تضل احداهما) اى احدى المرأتين الشاهدتين (فتذكر احداهما الاخرى) وهذا تعليل لاعتبار العدد

فى النساء والعلة فى الحقيقة هى التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما فى قولك اعتددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه فالاعداد للدفع لا لمجيء العدو ولكن قدم عليه المجيء لانه سببه كانه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيت ثم حث الشهداء على اقامة الشهادة بقوله (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) لاداء الشهادة او لتحملها وما مزيدة (ولا تسأموا) اى لا تملوا من كثرة مداينتكم (ان تكتبوه) اى من ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب (صغيرا او كبيرا) حال من الضمير اى حال كونه صغيرا او كبيرا اى قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا (الى اجله) متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء فى تكتبوه اى مستقرا فى الذمة الى وقت حلوله الذى اقر به المديون (ذلكم) اى كتب الحق الى اجله ايها المؤمنون (اقسط) اى اعدل (عند الله) اى فى حكمه تعالى (واقوم للشهادة) اى اثبت لها واعون على اقامتها (وادنى ان لا ترتابوا) اى اقرب الى انتفاء ريبكم فى جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك (الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم) استثناء منقطع من الامر بالكتابة اى لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيها يدا بيد (فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها) اى فلا بأس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان (واشهدوا اذا تبايعتم) اى هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة فى الاية الكريمة للندب عند الجمهور (ولا يضار) يحتمل البناء على الفاعل وعلى المفعول فعلى الاول نهى للكاتب عن ترك الاجابة الى ما يطلب منه وعن التحريف والزيادة والنقصان اى لا يمتنع (كاتب) عن الكتابة المقصودة (ولا شهيد) اى ولا يمتنع الشاهد عن اقامة الشهادة المعلومة وعلى الثانى النهى عن الضرار بالكاتب والشاهد اى لا يوصل احد مضرة للكاتب والشهيد اذا كانا مشغولين بما يهمهما ويوجد غيرهما فلا يضاران بابطال شغلهما وقد يكون اضرار الكاتب والشهيد بان لا يعطى حقهما من الجعل فيكون النهى عن ذلك (وان تفعلوا) ما نهيتم عنه من الضرار (فانه) اى فعلكم ذلك (فسوق بكم) اى خروج عن الطاعة ملتبس بكم (واتقوا الله) فى مخالفة اوامره ونواهيه التى من جملتها نهيه عن المضارة (ويعلمكم الله) احكامه المتضمنة لصالحكم (والله بكل شئ عليم) فلا يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك ثم هذه الاية اطول آية فى القرآن وابسطها شرحا وابينها وابلغها وجوها يعلم بذلك ان مراعاة حقوق الخلق واجبة والاحتياط على الاموال التى بها امور الدين والدنيا لازم فمن سعى بالحق فقد نجا والا فقد غوى * يكى را كه سعى قدم بيشتر * بدركاه حق منزلش بيشتر * والله تعالى من كمال رحمته على عباده علمهم كيفية معاملاتهم فيما بينهم لئلا يجرى من بعضهم على بعض حيف وائلا يتخاصموا ويتنازعوا فيحقد بعضهم على بعض فامر بتحصين الحقوق بالكتابة والاشهاد وامر الشهود بالتحمل ثم بالاقامة وامر الكاتب ان يكتب كما علمه الله بالعدل وراعى فى ذلك دقائق كثيرة كما ذكرها فيشير بهذه المعانى الى ثلاثة احوال اولها حال الله تعالى مع عباده فيظهر آثار الطافه معهم انه تعالى كيف يرفق بهم ويعلمهم كيفية معاملاتهم الدنيوية حتى لا يكونوا فى خسران من امر دنياهم ولا يكون فيما بينهم عداوة وخصومة تؤدى الى تنغيص عيشهم فى الدنيا وعقوبة فى الاخرة فيستدلوا بها ان تكاليف الشرع التى امروا بها ايضا من كمال مرحمته استعملهم بها ليفيض بها عليهم سجال نعمه كقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم الاية وثانيها حال العباد مع الله ليعلموا برعاية هذه الدقائق للامور الدنيوية الفانية ان للامور الاخروية الباقية فيما بينهم وبين الله ايضا دقائق كثيرة والعباد بها محاسبون وعلى مثقال ذرة من خيرها مثابون وعلى مثقال ذرة من شرها معاقبون وانها بالرعاية اولى واحرى من امور الدنيا وان الله تعالى كما امر العباد ان يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليهم العدول قد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين عباده فى الميثاق فان الله تعالى اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وعلى هذا عاهدهم واشهد الملائكة الكرام عليه ثم رقم فى الكتاب ان ياقوتة من الجنة وديعة وهى الحجر الاسود وثالثها حال العباد فيما بينهم فليعتبر كل واحد منهم من ملاطفات الحق معهم وليتخلق باخلاق الحق فى مخالقتهم وليتوسل الى الله بحسن مرافقتهم وليحفظ حدود الله فى مخالفتهم وموافقتهم وليتمسك بعروة محبتهم فى الله وجذبتهم لله ونصحهم بالله ليحرز فى رفقتهم صراطا مستقيما ويفوز من زمرتهم فوزا عظيما وفى جميع الاحوال كونوا مع الله كما قال واتقوا الله ويعلمكم الله اى اتقوا فى الاحوال الثلاثة كما يعلمكم الله بالعبارات والاشارات والله بكل شئ تعملونه فى جميع

الاحوال من الاقوال والافعال عليم يعلم مضمون ضمائركم ومكنون سرائركم فيجازيكم على حسن معاملاتكم
بقدر خلوصكم وصفاء نياتكم وصدق طوياتكم فطوبى لمن صفى قلبه عن سفساف الاخلاق وعزم الى عالم التنزه
والاطلاق واحسن المعاملة مع الله فى جميع الحالات ووصل الى الدرجات العاليات حقايق سرايست
آراسته * هوا وهوس كرد برخاسته * نه بينى كه جايى كه برخاست كرد * نه بيند نظر كرچه
بيناست مرد * يعنى ان عالم الغيب كالبيت المزين والهوى كالنقع المثار فادام لم يترك المرؤ هواه لا يرى
ما يهواه فان الحجاب اذا توسط بين الرائى والمرئى يمنع عن الرؤية فارفع الموانع من البين وتشرف بوصول العين
(وان كنتم على سفر) اى مسافرين اى متوجهين اليه ومقبلين (ولم تجدوا كاتبا) فى المداينة بان لا يحسن الكتابة
او لا توجد الصحيفة والدواة والقلم ولم يتعرض لحال الشاهد لما انه فى حكم الكاتب توثقا واعوازا (فرهان)
جمع رهن اى فالتوثق رهن (مقبوضة) اى مسلمة الى المرتهن ولا بد من القبض حتى لو رهن ولم يسلم لا يجبر
الراهن على التسليم وانما شرط السفر فى الارتهان مع ان الارتهان لا يختص به سفر دون حضر لان السفر لما كان
مظنة عدم الكتب باعواز الكاتب والشاهد امر بالارتهان ليقوم مقامهما تأكيدا وتوثيقا لحفظ المال
فالكلام خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه فى المدينة
من يهودى بعشرين صاعا من شعير واخذه لاهله (فان امن بعضكم بعضا) اى بعض الدائنين بعض المديونين
لحسن ظنه به واستغنى بامانته عن الارتهان فلم يطلب منه الرهن (فليؤد الذى اؤتمن) وهو المديون
والائتمان الوثوق بامانة الرجل وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام وحمله على الاداء (امانته)
اى فليقض المطلوب الامين ما فى ذمته من الدين من غير رهن منه وسمى الدين امانة لتعلقه بالذمة كتعلق
الامانة (وليتق الله ربه) فى رعاية حقوق الامانة واداء الدين من غير مطل (ولا تكتموا الشهادة) ايها الشهود اذا
دعيتم الى الحاكم لادائها على وجهها (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) فاعل آثم كانه قيل فانه يأثم قلبه فان قلت هلا
اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هى الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان
يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان الاثم مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التى يعمل بها ابلغ
الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عينى ومما سمعته اذنى ومما عرفه قلبى ولان القلب هو
رأس الاعضاء والمضغة التى ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم
فى اصل نفسه وملك اشرف مكان منه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم
ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح
وهى لها كالاصول التى تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال
القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضى الله
عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة (والله بما
تعملون عليم) فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر وكتمان الشهادة وشهادة الزور من الاعمال التى تجر صاحبها
الى النار فانهما من علامات مسخ القلب قال تعالى فانه آثم قلبه والمراد مسخ القلب ونعوذ بالله من ذلك وهما اسهل
وقوعا بين الناس والحوامل عليهما كثيرة كالعداوة وغيرها واعلم ان اهل الدين طائفتان الواقفون والسائرون
فالواقف من لزم عتبة الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى فهو كالفرخ المحبوس فى قشر البيضة فيكون مشربه
من عالم المعاملات البدنية فلا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس فى سجن الجسد وعليه موكلان
من الكرام الكاتبين يكتبان عليه اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير والسائر من لم يقم ولم ينزل فى منزل فهو
مسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان صنف سيار
وصنف طيار فالسائر من يسير بقدم الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحى العشق
والهمة فى فضاء الحقيقة وفى رجله حجلة الشريعة فالاشارة فى قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا الى
السيار الذى تخلص من سجن الجسد وقيد الحواس وزحمة التوكيل فلم يجد له كاتبا يكتب عليه كما قال
بعضهم ما كتب على صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشف لى صاحب اليمين وقال لى امل على
شيأ من معاملات قلبك لاكتبه فانى اريد ان اتقرب به الى الله قال فقلت له حسبك الفرائض فالحبس والقيد

والتوكيل لمن لم يؤد حق صاحب الحق او يكون هاربا منه فيحبس ويقيد ويوكل عليه فاما الذى آناء الليل
واطراف النهار يغدو ويروح فى طلب غريمه ومابرح فى حريمه فلا يحتاج الى التوكيل والتقييد فقوله ولم تجدوا
كاتبا فرهان مقبوضة اشارة الى السيار الذى له قلب فيرهنه عند الله فالرهان هى القلوب التى ليس فيها غير الله
المقبوضة بين اصبعين من اصابع الرحمن فاما الطيار الذى هو عاشق مفقود القلب مسلوب العقل مجذوب
السر فلا يطالب بالرهن فانه مبطوش ببطشه الشديد (مستهام ضاق مذهبه * فى هوى من عز مطلبه
كل امر فى الهوى عجب * وخلاصى منه اعجبه) (فلم يوجد فى السموات والارض ولا فى الدنيا والآخرة امين
يؤتمن لحمل اعباء امانته الا العاشق المسكين (لله ما فى السموات وما فى الارض) من الامور الداخلة فى حقيقتهما
والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولى العلم وغيره اى كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره فى شئ منها
بوجه من الوجوه فلا تعبدوا احدا سواه ولا تعصوه فيما يأمركم وينهاكم (وان تبدوا) اى تظهروا (ما فى انفسكم)
اى فى قلوبكم من السوء والعزم عليه وذلك بالقول او بالفعل (او تخفوه) اى تكتموه عن الناس ولا تظهروه باحد
الوجهين ككتمان الشهادة وموالاة المشركين وغيرهما من المناهى ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من
الوساوس واحاديث النفس التى لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع ودفع ذلك مما ليس فى وسعه
(يحاسبكم به الله) اى يجازيكم به يوم القيامة وهو حجة على منكرى الحساب من المعتزلة والروافض (فيغفر) اى
فهو يغفر بفضله (لمن يشاء) ان يغفر له وان كان ذنبه كبيرا (ويعذب) بعدله (من يشاء) ان يعذبه وان كان ذنبه
حقيرا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ويعذب الكفار لا محالة لانه لا يغفر الشرك وتقديم
المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه (والله على كل شئ قدير) فكمال قدرته تعالى على جميع الاشياء
موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب قال فى التيسير دل ظاهر
قوله او تخفوه على المؤاخذة بما يكون من القلب وجملته ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم مغفورة
وعزم الذنوب اذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما الهم بالسيئة ثم يمتنع عنه بمانع لا باختياره وهو
ثابت على ذلك فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله يعنى بالعزم على الزنى لا يعاقب عقوبة الزنى وهل يعاقب على
الخاطر عقوبة عزم الزنى قيل هو معفو عنه لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله عفا لامتى عما حدثت به انفسها ما لم
يعمل او يتكلم واكثرهم على ان الحديث فى الخطرة دون العزمة وان المؤاخذة فى العزمة ثابتة وكذا قال الامام
ابو منصور رحمه الله انتهى ما فى التيسير وبما يكون للانسان شركة فى الاثم مثل القتل والزنى وغيرهما اذا رضى به
من عامله واشتد حرصه على فعله وفى الحديث من حضر معصية فكرهها فكانما غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها
كان كمن حضرها وفى حديث آخر من احب قوما على اعمالهم حشر فى زمرتهم اى جماعتهم وحوسب يوم
القيامة بحسابهم وان لم يعمل باعمالهم فعلى العاقل ان يرفع عن قلبه الخواطر الفاسدة ولا يجالس الجماعة
الفاسقة كيلا يحشر فى زمرتهم * كر نشيند فرشته با ديو * وحشت آموزد وخيانت وريو * از بد ان نيكويى
نياموزى * نه كند كرك پوستين دوزى * والاشارة فى الآية ان الله يطالب العباد باستدامة المراقبة
واستصحاب المحاسبة لئلا يغفلوا عن حفظ حركات الظاهر وضبط خطرات الباطن فيقعوا فى آفة ترك ادب من
آداب العبودية فيهلكوا بسطوات الالوهية واعلم ان الانسان مركب من عالمى الامر والخلق فله روح نورانى من
عالم الامر وهو الملكوت الاعلى وله نفس ظلمانية سفلية من عالم الخلق ولكل واحدة منهما ميل الى عالمها فقصد
الروح الى جوار رب العالمين وقربه وقصد النفس الى اسفل السافلين وغاية البعد عن الحق فبعث النبى صلى الله
عليه وسلم ليزكى النفوس عن ظلمة اوصافها لتستحق بها جوار رب العالمين فتزكيتها فى اخفاء ظلمة اوصافها
بابداء انوار اخلاق الروح عليها فى تحليتها بها فهذا مقام الاولياء مع الله يخرجهم من الظلمات الى النور وبعث
الشيطان الى اوليائه وهم اعداء الله ليخرج ارواحهم من النور الروحانى الى الظلمات النفسانية باخفاء انوار
اخلاقها فى ابداء ظلمات اخلاق النفس عليها لتستحق بها دركة اسفل السافلين فمعنى الآية فى التحقيق ان تبدوا
ما فى انفسكم مودع من ظلمات الاوصاف النفسانية فى الظاهر بمخالفات الشريعة وفى الباطن بموافقات
الطبيعة او تخفوه بتصرفات الطريقة فى موافقات الشريعة ومخالفات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة
النفس لقبول انوار الروح واخلاقه او بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس واخلاقها فيغفر لمن يشاء فينور نفسه

بانوار الروح وروحه بانوار الحق ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه بنار فرقة العلى الكبير والله على كل شئ من اظهار اللطف والقهر على تركيب عالمى الخلق والامر قدير كذا فى تأويلات الكامل نجم الدين دايه قدس سره (آمن الرسول) اى صدق النبى عليه السلام (بما انزل) اى بكل ما انزل (اليه من ربه) من آيات القرءآن ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرآئع والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى والايمان بحقيقة احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك من فروع الايمان به من الحيثية المذكورة ولم يرد به حدوث الايمان فيه بعد ان لم يكن كذلك لانه كان مؤمنا بالله وبوحدانيته قبل الرسالة منه ولا يجوز ان يوصف بغير ذلك لكن اراد به الايمان بالقرءآن فانه قبل انزال القرءآن اليه لم يكن عليه الايمان به وهو معنى قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى ولا الايمان بالكتاب فانه قال وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب (والمؤمنون) اى الفريق المعروفون بهذا الاسم وهو مبتدأ (كل) مبتدأ ثان (آمن) خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذى ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير فى آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع وتغيير سبك النظم عما قبله لتأكيد الاشعار بما بين ايمانه صلى الله عليه وسلم المبنى على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلى كانهما متخالفان من كل وجه حتى فى الهيئة الدالة عليهما اى كل واحد منهم آمن (بالله) وحده من غير شريك له فى الالوهية والمعبودية هذا ايمان اثبات وتوحيد (وملائكته) اى من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحى وهذا ايمان تصديق انهما من عند الله وتحليل ما احله وتحريم ما حرمه (وكتبه ورسله) اى من الحيثية المذكورة وهذا ايمان اتباع واطاعة ولم يذكر الايمان باليوم الاخر لاندراجه فى الايمان بكتبه وهذا على تقدير ان يوقف على قوله تعالى من ربه ويجعل والمؤمنون كلاما مبتدآئيا واختاره ابو السعود العمادى ويجوز ان يكون قوله والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذى عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كانه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنون آمن بالله خلا انه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشأنه وايذانا باصالته صلى الله عليه وسلم فى الايمان به واختار الكواشى هذا الوجه حيث قال والاختيار الوقف على المؤمنون وهو حسن ليكون المؤمنون داخلين فيما دخل النبى صلى الله عليه وسلم فيه اى الايمان (لا نفرق) اى يقولون يعنى الرسل والمؤمنون لا نميز (بين احد من رسله) بان نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما قال اليهود والنصارى واحد ههنا بمعنى الجمع اى الاحاد فلذلك اضيف اليه بين لانه لا يضاف الا الى المتعدد والاحد وضع لنفى ما يذكر معه من العدد والواحد اسم لمفتتح العدد والواحد الذى لا نظير له والوحيد الذى لا نصير له (وقالوا) عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار المعنى وهو حكاية لامتثالهم الاوامر اثر حكاية ايمانهم (سمعنا) اى فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته (واطعنا) ما فيه من الاوامر والنواهى قيل لما نزلت هذه الاية قال جبرآئيل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم ان الله قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعط فقال الرسول عليه السلام (غفرانك ربنا) اى اغفر لنا غفرانك كما قال فضرب الرقاب اى فاضربوا او نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير فى مراعاة حقوقك وهذا الوجه اولى لئلا يتكرر الدعاء بقوله فى آخر السورة واغفر لنا وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسئول ادعى الى الاجابة والقبول (واليك المصير) اى الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك قال القاشانى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه اى صدقه بقبوله والتخلق به كما قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرءآن ومجرد قرآءة القرءآن بغير عمل لا يفيد قال فى تفسير الحنفى مثاله ان السلطان اذا وهب لاحد من مماليكه امارة واعطى له رياسة او نيابة وكتب له توقيعا ان يطيعه اهل البلد كلها فاذا جاء الى البلد وقعد على المملكة واطاعه الخلق ثم ان السلطان كتب له كتابا وامر له فيه ان يبنى له قصرا اودارا واسعة حتى لو حضر السلطان وجاء الى تلك المدينة ينزل فى تلك الدار والقصر فوصل الكتاب اليه وهو لا يبنى ما امر به فى الكتاب لكنه يقرأه كل يوم فلو حضر السلطان ولم يجد ما امره به حاضرا اهل يستحق ذلك الامير خلعة من السلطان او ثناء اولا بل ظاهره انه يستحق الضرب والشتم

والحبس وكذلك القرءآن انما هو مثل ذلك المنشور قد امر الله فيه لعبده ان يعمروا اركان الدين كما قال لداود عليه السلام فرغ الى بيتا اسكنه وبين لهم بما يكون عمارة الدين فقال الله تعالى اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كتب عليكم الصيام ولله على الناس حج البيت فصارت قرآءة القرءآن كقراءة منشور السلطان ولا تحصل الجنة بمجرد القرءآن لانه قال جزآء بما كانوا يعملون (كما قيل) مراد از نزول قرأن تحصيل سيرت خوبست نه ترتيل سوره بمكتوب بتجويد * ثم فى قوله غفرانك ربنا اشارة الى ان من نتايج الايمان وآثار العبودية ان يرى العبد نفسه اهلا لكل شر ومولاه اهلا لكل خير فينسب كل ما يستحسنه لسيده مستعملا حسن الادب معه فى كل اوقاته وذلك بان يحمده على ما دق وجل ويستغفره من تقصيره فى شكره له عليه ويتبرأ من حوله وقوته له فى ذلك كله وبحسب هذا يكون شعاره الحمد لله استغفر الله لا حول ولا قوة الا بالله فى جميع اوقاته وهو الذكر المنجى من عذاب الله فى الدنيا والاخرة المقرب للفتح لمن لازمه واعلم انك لا تصل الى التحقيق الا بمراقبة الاوقات باحكامها من التوبة والاستغفار عند العصيان وشهود المنة فى الطاعة ووجود الرضى فى النية ووجود الشكر فى النعمة وان تصل الى ذلك الا بتعلق قلبك بصلاح قلبك واتهام نفسك حتى فى خروج نفسك وتصل الى هذا باخذ اربعة اوجه نور يقذفه الله فى قلبك بلا واسطة او علم متسع فى عقل كامل او فكرة سالمة من الشواغل او صحبة شيخ اواخ هذه حاله وقد قال الشيخ ابو مدين قدس سره الشيخ من هذبك باخلاقه وادبك باطراقه وانار باطنك باشراقه الشيخ من جمعك فى حضوره وحفظك فى مغيبه فاعمل ايها العبد على تخليص نفسك من عالم جسمك حتى تخرج عن دآئرة رسمك وتصل الى تحقيق فهمك وعلمك

از هستئ خويش تا تو غافل مشوى *
هر كز بمراد خويش واصل نشوى * از بحر ظهور تا بساحل نشوى * در مذهب اهل عشق كامل نشوى *

(لا يكلف الله نفسا الا وسعها) اخبار من الله تعالى وليس من كلام المؤمنين روى انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الاية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم فأتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا اى رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم فانزل الله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فسؤلهم الغفران المعلق بمشيئته تعالى فى قوله تعالى فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما فى انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التى لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اى سنته ان لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه اما الاول فلانه لو كان وقع لزم الكذب فى كلامه تعالى عن ذلك علوا كبيرا واما الثانى فلانه تعالى نفى مطلقا ولا يلزم منه نفى المقيد الذى هو الامتناع لان العام من حيث هو عام لا يدل على الخاص بوجه من الدلالات (لها) اى للنفس ثواب (ما كسبت) من الخير الذى كلفت فعله لا لغيرها استقلالا واشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزآء مكسوبها (وعليها) لا على غيرها باحد الطريقين المذكورين عقاب (ما اكتسبت) من الشر الذى كلفت تركه وايراد الاكتساب فى جانب الشر لان الشر فيه اعتمال اى اجتهاد فى العمل فانه لما كان مشتهى النفس فيه جد وسعى بخلاف الخير وصيغة الافتعال للتكلف (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا) شروع فى حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف اى يقولون ربنا لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف ودل هذا على جواز المؤاخذة فى النسيان والخطأ فان التحرز عنهما فى الجملة ممكن ولولا جواز المؤاخذة فى النسيان والخطأ لم يكن للسؤال معنى وخفف الله عن هذه الامة فرفع عنها المؤاخذة وقال النبى صلى الله عليه وسلم رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فدل انهم مخصوصون بهما والامم السالفة كانوا مؤاخذين فيهما (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبئ الثقيل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه مكانه والمراد به

التكاليف الشاقة (كما حملته على الذين من قبلنا) اى حملا مثل حملك اياه على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من قتل النفس فى التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقطع موضع النجاسة وعدم التطهير بغير الماء وخمسين صلاة فى يوم وليلة وعدم جواز صلاتهم فى غير المسجد وحرمة اكل الصائم بعد النوم ومنع بعض الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع مالهم وكتابة ذنب الليل على الباب بالصبح وغير ذلك من التشديدات وقد عصم الله عز وجل ورحم هذه الامة عن امثال ذلك وانزل فى شأنهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنفية السهلة السمحة وعن العقوبات التى عوقب بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال صلى الله عليه وسلم رفع عن امتى الخسف والمسخ والغرق (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) عطف على ما قبله واستعفاء من العقوبات التى لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدى اليها من التكاليف الشاقة التى لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا فى المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدى اليها قال فى التيسير اى لا تكلفنا ما يشق علينا الدوام عليه ولم يرد به عدم الطاقة اصلا فانه لا يكون فلا يسأل (واعف عنا) اى آثار ذنوبنا (واغفر لنا) واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد قال فى التيسير وليس بتكرار فان الاول تركه حتى لا يؤاخذ به ومحوه حتى لا يبقى والثانى ستره حتى لا يظهر وقد يتجاوز عن الشئ فلا يؤاخذ بجزائه لكن يذكر ذلك ويظهر والمؤمنون امروا ان يسألوا التجاوز عنها واخفاءها حتى لا يظهر حالهم لاحد فلا يفتضحوا به (وارحمنا) وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية (انت مولانا) سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولى امورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) اى اعنا عليهم وادفع عنا شرهم فان من حق المولى ان ينصر عبيده ومن يتولى امره على الاعداء والنصرة على الكفار تكون بالظفر وتكون بالحجة وتكون بالدفع وهو سؤال العصمة من الشياطين ايضا لانهم منهم روى انه لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة اليها ينتهى ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطى رسول الله عليه السلام ثلاثا اعطى الصلوات الخمس واعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيأ من امته المقحمات قال صلى الله عليه وسلم فى خبر المعراج قربنى الله وادنانى الى سند العرش ثم الهمنى الله ان قلت آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله كما فرقت اليهود والنصارى قال فما قالوا قلت قالوا سمعنا وعصينا والمؤمنون قالوا سمعنا واطعنا فقال صدقت فسل تعط فقلت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال قد رفعت عنك وعن امتك الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فقلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا يعنى اليهود قال لك ذلك ولامتك قلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت قلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت وعنه صلى الله عليه وسلم انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى عام من قرأهما بعد العشاء الاخيرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه اى من قيام الليل او من حساب يوم القيامة وهو حجة على من استكره ان يقول سورة البقرة وقال ينبغى ان يقال السورة التى تذكر فيها البقرة كما قال صلى الله عليه وسلم السورة التى تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن اى مصره الجامع فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة اى لا تستطيع البطلة ان تسحر قاريها ولا تقرأ فى دار ثلاث ليال فيقربها شيطان وكان معاذ اذا ختم سورة البقرة يقول آمين عن ابى الاسلم الديلى قلت لمعاذ بن جبل اخبرنى عن قصة الشيطان حين اخذته فقال جعلنى رسول الله عليه السلام على صدقة المسلمين فجعلت التمر فى غرفة فوجدت فيه نقصانا فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال هذا الشيطان يأخذه فدخلت الغرفة واغلقت الباب فجاءت ظلمة عظيمة فغشيت الباب ثم تصور فى صورة اخرى فدخل من شق الباب فشددت ازارى على فجعل يأكل من التمر فوثبت اليه فقبضته فالتقت يداى عليه فقلت يا عدو الله فقال خل عنى فانى كبير ذو عيال كثير وانا فقير من جن نصيبين وكانت لنا هذه القرية قبل ان يبعث صاحبكم فلما بعث اخرجنا منها فخل عنى

فلن اعود اليك فخليت وجاء جبريل عليه السلام فاخبر رسول الله عليه السلام بما كان فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه ما فعل اسيرك فاخبرته فقال اما انه سيعود فعد قال فدخلت الغرفة واغلقت على الباب فجاء فدخل من شق الباب فجعل يأكل من التمر فصنعت به كما صنعت فى المرة الاولى فقال خل عنى فانى لن اعود اليك فقلت يا عدو الله الم تقل انك لن تعود قال فانى لن اعود وآية ذلك انه لا يقرأ احد منكم خاتم البقرة فيدخل احد منا فى بيته تلك الليلة

(سورة آل عمران مدنية وهى مائتا آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) الالف اشارة الى الله واللام الى اللطيف والميم الى المجيد (الله) مبتدأ (لا اله الا هو) خبره اى هو المستحق للمعبودية لا غير (الحى القيوم) خبر آخر له اى الباقى الذى لا سبيل عليه للموت والفناء والدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه روى عنه صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم فى ثلاث سور فى سورة البقرة الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى آل عمران الم الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روى ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بنى بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه وموّلوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده فى دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابى حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله عليه السلام فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخى قال انه والله النبى الذى كنا ننتظر فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوها منا كلها فوقع ذلك فى قلب كرز واصره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله عليه السلام بعد صلاة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبى عليه السلام ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا ليصلوا فى المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلاثة مع رسول الله عليه السلام فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيى الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله تعالى ولدا قالوا ان لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام ألستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا فقال عليه السلام ألستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى شيأ من ذلك الا ما علم قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وان ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فابوا الا جحودا فانزل الله تعالى من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذى فيه يمترون (نزل عليك الكتاب) اى القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد فى حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان التنزيل للتكثير والقرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وذكر فى آخر الاية الانزال واراد به من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا جملة فى ليلة القدر فى شهر رمضان والمراد هنا هو تنزيله الى الارض ففى القرآن جهتا الانزال والتنزيل (بالحق) ملتبسا ذلك الكتاب بالعدل فى احكامه او بالصدق فى اخباره التى من جملتها خبر التوحيد وما يليه او فى وعده

ووعيده (مصدقا لما بين يديه) اى فى حال كونه مصدقا للكتب قبله والتوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرآئع قبله (وانزل التوراة والانجيل) اسمان اعجميان الاول عبرى والثانى سريانى (من قبل) اى انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة فى البيان (هدى للناس) علة للانزال اى انزلهما لهداية الناس وفيه لف بدون النشر لعدم اللبس لان كون التوراة هدى للناس فى زمان موسى وكون الانجيل هدى لهم فى زمان عيسى معلوم فاختصر لذلك (وانزل الفرقان) اى جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل اوهو القرءآن كرر ذكره تعظيما لشأنه واظهارا لفضله (ان الذين كفروا بايات الله) اى بالقرءآن ومعجزات النبى عليه السلام (لهم) بسبب كفرهم بها (عذاب شديد) لا يقادر قدره (والله عزيز) لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (ذو انتقام) عظيم لا يقدر على مثله منتقم (ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء) اى مدرك الاشياء كلها يعنى هو مطلع على كفر من كفر به وايمان من آمن به وعلى جميع اعمالهم فيجازيهم يوم القيامة (هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء) اى يجعلكم على هيئة مخصوصة فى ارحام امهاتكم من ذكر وانثى واسود وابيض وتام وناقص وطويل وقصير وحسن وقبيح وهو رد على الذين قالوا عيسى الله او ابن الله لان من صور فى الرحم يمتنع ان يكون الها وولدا لله لكونه مركبا وحالا فى المركب وفى عرض الفناء والزوال (لا اله الا هو) نزه نفسه ان يكون عيسى ابناله (العزيز الحكيم) المتناهى فى القدرة والحكمة وبكم يخلقكم على النمط البديع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك باربع كلمات فيكتب رزقه وعمله واجله وشقى اوسعيد قال وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وقال عليه السلام يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر فى الرحم باربعين او بخمس واربعين ليلة فيقول يا رب أشقى ام سعيد فيكتبان فيقول اى رب اذكر ام انثى فيكتبان ويكتب عمله واثره واجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص ثم يقول الملك يا رب ما اصنع بهذا الكتاب فيقول علقه فى عنقه الى قضائى عليه فذلك قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه اى عمله من خير وشر الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كانه طار اليه من وكر الغيب والقدر قال القاضى المراد بكتبه هذه الاشياء اظهارها للملك والا فقضاؤه تعالى سابق على ذلك وكل ميسر لما خلق له فعلى العاقل ان لا يتكاسل عن الاعمال فى جميع الاحوال ولا يفوت ايام الفرصة والليال * خبردارى اى استخوانى قفس * كه جان تومرغيست نامش نفس * چو مرغ ازقفس رفت وبكسست قيد * دكره نكردد بسعى تو صيد * نكه دار فرصت كه عالم دميست * دمى پيش دانا به ازعالميست * والاشارة ان الله تعالى كما يصور الجنين بصورة الانسانية على نطفة سقطت فى الرحم بتدبير الاربعينات فكذلك اذا سقطت من صلب ولاية رجل من رجاله نطفة ارادة فى رحم قلب مريد صادق والمريد يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ وهى بمثابة ملك الارحام ويضبط احوال ظاهره وباطنه على وفق امر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة كيلا يصدر منه حركة عنيفة او يجد رآيحة غريبة يلزم منها سقوط النطفة وفسادها ويقعد بامر الشيخ وتدبيره فالله تعالى يصرف ولاية الشيخ المؤيد بتأييد الحق بمرور كل اربعين عليه بشرآئطها يحولها من حال الى حال وينقلها من مقام الى مقام الى ان يرجع الى حظائر القدس ورياض الانس التى منها صدر الى عالم الانس بقدم الاربعينات الاولى فلما وصل الى مقامه الاول ايضا بقدم الاربعينات كما جاء تم خلق الجنين فى رحم القلب وهو يجعل خليفة الله فى ارضه فيستحق الآن ان ينفخ فيه الروح المخصوص بابناء اوليائه وهو روح القدس الذى هو متولى القائه كقوله تعالى يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده وقال كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ولهذه الفائدة العظيمة والنعمة الجسيمة اهبط الارواح من اعلى عليين القرب الى اسفل سافلين البعد كما قال اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاذا نفخ فيه الروح يكون آدم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم اجمعون تفهم ان شاء الله تعالى كذا فى تأويلات الشيخ الكامل نجم الدين الكبرى افاض الله علينا من سجال معارفه وحقائقه ولطائفه امين (هو الذى انزل عليك

الكتاب

الكتاب) اى القرءآن (منه) اى من الكتاب (آيات محكمات) اى قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه (هن ام الكتاب) اى اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها بالتأويل فالمراد بالكتاب كله والاضافة بمعنى فى (واخر) اى ومنه آيات اخر (متشابهات) اى محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض فى استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتأمل الانيق فالتشابه فى الحقيقة وصف للمعانى وصف به الايات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول واعلم ان اللفظ اما ان لا يحتمل غير معنى واحد او يحتمل والاول هو النص كقوله تعالى والهكم اله واحد والثانى اما ان تكون دلالته على مدلوليه او مدلولاته متساوية اولا والاول هو المجمل كقوله تعالى ثلاثة قروء واما الثانى فهو بالنسبة الى الراجح ظاهر كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وبالنسبة الى المرجوح مؤول كقوله تعالى يد الله فوق ايديهم والنص والظاهر كلاهما محكم والمجمل والمؤول متشابه وهو كقوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله قد رد الى قوله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ثم ان الله تعالى جعل القرءآن كله محكما فى قوله الر كتاب احكمت آياته ومعناه ان كله حق لا يحسب فيه ومتقن لا تناقض فيه ومحفوظ من اعترآء الخلل او من النسخ وجعل كله متشابها فى قوله كتابا متشابها مثانى ومعناه يشبه بعضه بعضا فى صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول وجعل بعضه محكما وبعضه متشابها فى هذه الاية وقد سبق وانما لم يجعل الله القرءآن كله محكما لما فى المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه كابتلاء بنى اسرآئيل بالنهر فى اعتقاد نبيهم ولان النظر فى المتشابه والاستدلال لكشف الحق يوجب عظم الاجر ونيل الدرجات عند الله (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) اى ميل عن الحق الى الاهوآء الباطلة (فيتبعون ما تشابه منه) معرضين عن المحكمات اى يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتأويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل (ابتغاء الفتنة) اى طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه (وابتغاء تأويله) اى طلب ان يؤولوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزآئغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل (وما يعلم تأويله) اى تأويل المتشابه (الا الله والراسخون فى العلم) لا يهتدى الى تأويله الحق الذى يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا فى العلم اى ثبتوا فيه وتمكنوا او فوضوا فيه لنص قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ بقوله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية فى قوله عليها تسعة عشر ومدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة والصوم وعدد الركعات فى الصلوات الخمس والاول هو الوجه فان الله تعالى لم ينزل شيأ من القرءآن الا لينتفع به عباده ويدل به على معنى اراده فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وهل يجوز ان يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه واذا جاز ان يعرفه مع قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله جاز ان يعرفه الربانيون من صحابته وان لم يعرفه النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته والعلماء الراسخون وقالوا علمه عند ربنا لم يكن لهم فضل على الجهال لانهم جميعا يقولون ذلك قالوا ولم يزل المفسرون الى يومنا هذا يفسرون ويؤولون كل آية ولم نرهم وقفوا عن شئ من القرءآن فقالوا هذا متشابه لا يعلمه الا الله بل فسروا نحو حروف التهجى وغيرها (يقولون آمنا به) اى بالمتشابه والجملة على الاول استئناف موضح لحال الراسخين وعلى الثانى خبر لقوله والراسخون (كل) واحد من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) منزل من عنده تعالى لا مخالفة بينهما (وما يذكر) حق التذكر (الا اولوا الالباب) اى العقول الخالصة عن الركون الى الاهوآء الزآئغة وهو مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتدآء الى تأويله من تجرد العقل عن غواشى الحس (ربنا لا تزغ قلوبنا) اى يقولون لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا نرتضيه (بعد اذ هديتنا) الى الحق والتأويل الصحيح او الى الايمان (وهب لنا من لدنك) اى من عندك (رحمة) واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك (انك انت الوهاب) واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى والضلال من قبله وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه شئ (ربنا انك جامع الناس) بعد الموت (ليوم) اى لجزآء يوم وحسابه وهو يوم القيامة (لا ريب فيه) اى فى وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزآء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصد الاسنى عندهم (ان الله لا يخلف

المیعاد) ای الوعد یعنی الالوهیة تنافی خلف الوعد فی البعث واستجابة الدعاء وهذا حال الراسخین فی الدعاء فانظر کیف لا یأمنون سوء الخاتمة واداهم الخوف والخشیة الی الرجاء فایاك والزیغ عن الصراط المستقیم باتباع الهوی والشهوات قال رسول الله صلی الله علیه وسلم مامن قلب الاوهو بین اصبعین من اصابع الرحمن اذاشاء أن یقیمه اقامه واذاشاء ازاغه یعنی قلب المؤمن بین توفیقه وخذلانه وانما قال من اصابع الرحمن ولم یقل من اصابع الله اشعارا بانه هو المتمکن من قلوب العباد والمتصرف فیها کیف یشاء ولم یکلها الی احد من ملائکته رحمة منه وفضلا لئلا یطلع علی سرآئرهم غیره وکان رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول اللهم یامقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا علی دینك والمیزان بید الرحمن یرفع قوما ویضع آخرین الی یوم القیامة وقال صلی الله علیه وسلم مثل القلب کریشة بارض فلاة تقلبها الریاح ظهرا لبطن قال الجنید رحمه الله من اراد ان یسلم له دینه ویستریح فی بدنه وقلبه فلیعتزل الناس فان هذا زمان وحشة والعاقل من اختار الوحدة قال علیه السلام لاصحابه این تنبت الحبة قالوا فی الارض قال فکذلك الحکمة انما تنبت فی قلب مثل الارض فدفن حبة الفؤآد والوجود فی ارض الخمول مما ینتج ویتم نتاجه جدا فانبت مما لم یدفن لم یتم نتاجه وان ظهر نوره وانتاجه کالذی نبت فی حمیل السیل فعلیك بتزکیة النفس واصلاح الوجود کی تدرك نور الشهود وتقبل الی الاستقامة وتخلص من الزیغ والضلال فی جمیع الاحوال وکم من زآئغ قلبه وهو صورة مستقیم وکم من مستقیم فؤآده وهو فی الظاهر غیر مستقیم (کما قیل) بس قامت خاشاك برجاباشد * جون باد برآنها بوزد ناباشد * والقلب هو محل النظر لا الصورة کما قال علیه السلام ان الله لا ینظر الی صورکم بل الی قلوبکم واعمالکم فای فائدة فی القلب الزآئغ عن الحق فنعوذ بالله منه (ان الذین کفروا لن تغنی عنهم) ای لن تنفعهم (اموالهم) التی یبذلونها فی جلب المنافع ودفع المضار قدم الاموال علی الاولاد لانها اول عدة یفزع الیها عند نزول الخطوب (ولا اولادهم) الذین بهم یتناصرون فی الامور المهمة وعلیهم یعولون فی الخطوب الملمة وتوسیط حرف النفی لعراقة الاولاد فی کشف الکروب (من الله) ای عذابه تعالی (شیأ) ای شیأ من الاغناء ومعناه لا یصرف عنهم کثرة الاموال والاولاد والتناصر بهما عذابه وکانوا یقولون نحن اکثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبین قال تعالی فی ردهم وما اموالکم ولا اولادکم بالتی تقربکم عندنا زلفی الا من آمن وعمل صالحا (واولئك) ای اولئك المتصفون بالکفر (هم وقود النار) حطب النار وحصبها الذی تسعر به (کدأب آل فرعون) الدأب مصدر دأب فی العمل اذا کدح فیه وتعب غلب استعماله فی معنی الشان والحال والعادة ومحل الکاف الرفع علی انه خبر لمبتدأ محذوف ای دأب هؤلاء فی الکفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالی وعذابه کدأب آل فرعون (والذین من قبلهم) ای آل فرعون من الامم الکافرة کقوم نوح وثمود وقوم لوط وهو عطف علی ماقبله (کذبوا بآیاتنا) بیان وتفسیر لدأبهم الذی فعلوا علی الاستئناف المبنی علی السؤال کانه قیل کیف کان دأبهم فقیل کذبوا بآیاتنا ای بکتبنا ورسلنا (فاخذهم الله بذنوبهم) تفسیر لدأبهم الذی فعل بهم ای فاخذهم الله تعالی وعاقبهم ولم یجدوا من بأس الله تعالی محیصا فدأب هؤلاء الکفرة ایضا کدأبهم والذنب فی الاصل التلو والتابع وسمیت الجریمة ذنبا لانها تتلو ای یتبع عقابها فاعلها (والله شدید العقاب) لمن کفر بالآیات والرسل (قل للذین کفروا) المراد بهم الیهود لما روی عن ابن عباس رضی الله تعالی عنه ان یهود المدینة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلی الله علیه وسلم علی المشرکین یوم بدر قالوا والله انه النبی الامی الذی بشرنا به موسی وفی التوراة نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتی ننظر الی وقعة له اخری فلما کان یوم احد شکوا وقد کان بینهم وبین رسول الله صلی الله علیه وسلم عهد الی مدة فنقضوه وانطلق کعب بن الاشرف فی ستین راکبا الی اهل مکة فاجمعوا امرهم علی قتال رسول الله صلی الله علیه وسلم فنزلت (ستغلبون) البتة عن قریب فی الدنیا وقد صدق الله وعده بقتل بنی قریظة واجلاء بنی النضیر وفتح خیبر وضرب الجزیة علی من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة (وتحشرون) ای فی الاخرة (الی جهنم) والحشر السوق والجمع ای یغلبون فی الدنیا ویساقون فی الاخرة مجموعین الی جهنم (وبئس المهاد) ای بئس الفراش والمقر جهنم (قد کان لکم) جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المأمور به ای والله قد کان لکم ایها الیهود المغترون بعددهم وعددهم (آیة) عظیمة دالة علی صدق ما اقول لکم انکم ستغلبون (فی فئتین) ای جماعتین فان المغلوبة منهما کانت مدلة بکثرتها معجبة بعزتها وقد لقیها ما لقیها

فسیصیبکم

فسیصیبکم ما یصیبکم (التقتا) ای تلاقیا بالقتال یوم بدر (فئة) خبر مبتدأ محذوف ای احداهما فئة (تقاتل في سبیل الله) وهم لا کثرة فیهم ولا شوکة وهم اصحاب محمد صلی الله علیه وسلم (واخری) ای وفئة اخری (کافرة) بالله ورسوله (یرونهم) ای تری الفئة الاخیرة الکافرة الفئة الاولی المؤمنة والجملة صفة للفئة الاخیرة (مثلیهم) ای مثلی عدد الرآئین قریبا من الف کانوا تسعمائة وخمسین مقاتلا رأسهم عتبة بن ربیعة بن عبد شمس وفیهم ابو سفیان وابو جهل وکان فیهم من الخیل والابل مائة فرس وسبعمائة بعیر ومن اصناف الاسلحة عدد لا یحصی وعن سعد بن اوس انه قال اسر المشرکون رجلا من المسلمین فسألوه کم کنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما کانوا کم الا تضعفون علینا ای مثلی عدد المرئیین ای ستمائة ونیفا وعشرین حیث کانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرین ومائتان وستة وثلاثون من الانصار رضی الله عنهم وکان صاحب رایة النبی صلی الله علیه وسلم والمهاجرین علی بن ابی طالب رضی الله تعالی عنه وصاحب رایة الانصار سعد بن عبادة الخزرجی رضی الله عنه وکان فی العسکر تسعون بعیرا وفرسان احدهما للمقداد ابن عمرو والاخر لمرثد بن ابی مرثد وست ادرع وثمانیة سیوف وجمیع من استشهد یومئذ من المسلمین اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرین وثمانیة من الانصار اراهم الله عزوجل کذلك مع قلتهم لیهابوهم ویتجنبوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه کما امدهم بالملائکة علیهم السلام فان قلت فهذا مناقض لقوله فی سورة الانفال ویقللکم فی اعینهم قلت قللهم اولا فی اعینهم حتی اجترؤا علیهم فلما لاقوهم کثروا فی اعینهم حتی غلبوا فکان التقلیل والتکثیر فی حالین مختلفین وتقلیلهم تارة وتکثیرهم اخری ابلغ فی القدرة واظهار الآیة (رأی العین) نصب علی المصدر یعنی رؤیة ظاهرة مکشوفة لا لبس فیها معاینة کسائر المعاینات (والله یؤید) ای یقوی (بنصره من یشاء) ای یرید من غیر توسیط الاسباب العادیة کما اید الفئة المقاتلة فی سبیله بما ذکر من النصر وهو من تمام القول المأمور به (ان فی ذلك) اشارة الی ما ذکر من رؤیة القلیل کثیرا المستتبعة لغلبة القلیل العدیم العدة علی الکثیر الشاکی السلاح (لعبرة) من العبور کالجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور ای لعبرة عظیمة کائنة (لاولی الابصار) لذوی العقول والبصائر فعلی العاقل ان یعتبر بالایات ولا یغتر بکثرة الاعداد من الاموال والاولاد وعدم اجتهاده لمعاده فان الله یمتعه قلیلا ثم یضطره الی عذاب غلیظ واعلم ان المبتلی بالکفر مغلوب الحکم الازلی بالشقاوة ثم مغلوب الهوی والنفس والشیطان ولذات الدنیا فغلبات الهوی والنفس ترد الی اسفل سافلین الطبیعة فیعیش فیها ثم یموت علی ما عاش فیه ویحشر علی ما مات علیه فی قعر جهنم وبئس المهاد مهاده فانه مهده فی معاشه والنار ناران نار الله ونار الجحیم فاما نار الله فهی نار حسرة القطیعة عن الله فیها یعذب قلوب المحجوبین عن الله کقوله تعالی نار الله الموقدة التی تطلع علی الافئدة واما نار الجحیم فهی نار الشهوات والمعاملات علی الغفلات من المخالفات فهی تحرق قشور الجلود کما قال تعالی کلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غیرها لیذوقوا العذاب بما کانوا یعملون ولا یتخلص من هذه النار الا بـ القلوب وان عذاب حرقة الجلد بالنسبة الی عذاب حرقة القلوب کنسیم الحیاة وسموم الممات فلابد من تزکیة النفس فانها سبب للخلاص من عذاب الفرقة قیل لبعضهم بم یتخلص العبد من نفسه قال بربه انتهی فاذا اراد الله ان ینصر عبده علی ما طلب منه امده بجنود الانوار فکلما اعترته ظلمة قام لها نور فاذهبها وقطع عنه مواد الظلم والاغیار فلم یبق للهوی مجال ولا للشهوة والاخلاق الذمیمة مقال ولا قال فالنور جند القلب کما ان الظلمة جند النفس والمراد بالنور حقائق ما یستفاد من معانی الاسماء والصفات وبالظلمة معانی ما یستفاد من الهوی والعوآئد الردیئة قال تعالی ان الملوك اذا دخلوا قریة افسدوها ای غیروا حالها عما هی علیه وکذلك اذا وردت الواردات الربانیة علی القلوب الممتلئة اخرجت منها کل صفة ردیئة وکستها کل خلق زکیة فهذه الدولة انما تنال بترك الدنیا والعقبی فکیف یمتلئ بالانوار قلب من خالط الاغیار واحب المال والاولاد ولم یخف من رب العباد وقدم علی الاستاذ ابی علی الدقاق رحمه الله فقیر وعلیه مسح وقلنسوة فقال له بعض اصحابه بکم اشتریت هذا المسح علی وجه المطایبة فقال اشتریته بالدنیا فطلب منی بالاخرة فلم ابعه قال ابو بکر الوراق رحمه الله طوبی للفقرآء فی الدنیا والاخرة فسألوه عنه فقال لا یطلب السلطان منه فی الدنیا الخراج ولا الجبار فی الاخرة الحساب قناعت سرافراز دای مرد هوش * سر پر طمع برنیاید زدوش * کر آزاده بر زمین خسب وبس *

مكن بهرمالى زمين بوس كس * حققنا الله واياكم بحقائق التوحيد (زين للناس) اى حسن لهم والمزين
هو الله لقوله تعالى زينا لهم اعمالهم وذلك على جهة الامتحان او هو الشيطان لقوله تعالى وزين لهم الشيطان
اعمالهم وذلك على جهة الوسوسة (حب الشهوات) اى محبة مرادات النفوس والشهوة نزوع النفس الى
ماتريده وهى مصدر اريد به المفعول اى المشتهيات لان الاعيان التى ذكرها كلها مشتهيات وانما عبر عنها
بالمصدر مبالغة فى كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها
شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية قالوا خلق الله الملائكة
عقولا بلا شهوة والبهائم ذات شهوات بلا عقل وجعلهما فى الانسان فمن غلب عقله شهوته فهو افضل من
الملائكة ومن غلب عليه شهوته فهو ارذل من البهائم (من النساء) حال من الشهوات اى حال كونها من طائفة
النساء وانما بدأ بهن لعراقتهن فى معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان (والبنين) والفتنة بهم ان الرجل يحرص
بسببهم على جمع المال من الحلال والحرام ولانهم يمنعونه عن محافظة حدود الله قيل اولادنا فتنة ان عاشوا
فتنونا وان ماتوا احزنونا وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد فى حبهن (والقناطير المقنطرة) جمع قنطار وهو
المال الكثير اى الاموال الكثيرة المجتمعة او هو مائة الف دينار او ملئ مسك ثور او سبعون الفا او اربعون الف
مثقال او ثمانون الفا او مائة رطل او الف ومائتا مثقال او الف دينار او مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة
درهم اودية النفس وفى الكشاف المقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدر مبدرة
(من الذهب والفضة) بيان للقناطير اى من هذين الجنسين وانما سمى الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة
لانها تنفض اى تتفرق (والخيل) عطف على القناطير والخيل جمع لا واحد له من لفظه واحده فرس وهو مشتق
من الخيلاء لاختيالها فى مشيها او من التخيل فانها لم يتخيل فى عين صاحبها اعظم منها لتمكنها من قلبه (المسومة)
اى المعلمة وهى التى جعلت فيها العلامة بالسمة واللون او بالكى او المرعية من سامت السائمة اى رعت (والانعام)
اى الابل والبقر والغنم جمع نعم (والحرث) اى الزرع قيل كل منها فتنة للناس اما النساء والبنون ففتنة للجميع
والذهب والفضة فتنة للتجار والخيل فتنة للملوك والانعام فتنة لاهل البوادى والحرث فتنة لاهل الرساتيق
(ذلك) اى ماذكر من الاشياء المعهودة (متاع الحياة الدنيا) اى مايتمتع به فى الحياة الدنيا اياما قلائل فيفنى
سريعا (والله عنده حسن المآب) اى حسن المرجع وهو الجنة وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد عاقبة حميدة
وهذا تزهيد فى طيبات الدنيا الفانية وترغيب فيما عند الله من النعيم المقيم فعلى العاقل ان ياخذ من الدنيا قدر
البلغة ولا يستكثر بالاستكثار الذى يورط صاحبه فى المحظور ويورثه المحذور (قل) يا محمد (أؤنبئكم بخير
من ذلكم) الهمزة للتقرير اى اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم (للذين) خبر مبتدأه
قوله جنات (اتقوا) والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه كما ينبئ عنه النعوت الآتية
(عند ربهم) نصب على الحالية من قوله (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) حال مقدرة (وازواج
مطهرة) اى زوجات مبرأة من العيوب الظاهرة كالحيض والامتخاط واتيان الخلاء ومن الباطنة كالحسد
والغضب والنظر الى غير ازواجهن روى عن النبى عليه السلام شبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها (ورضوان)
اى رضوان واى رضوان لايقادر قدره كائن (من الله) قال الحكماء والجنات بما فيها اشارة الى الجنة الجسمانية
والرضوان اشارة الى الجنة الروحانية واعلى المقامات الجنة الروحانية وهى عبارة عن تجلى نور جلال الله تعالى
فى روح العبد واستغراق العبد فى معرفة الله ثم يصير فى اول هذه المقامات راضيا عن الله وفى آخرها مرضيا
عنده تعالى واليه الاشارة بقوله راضية مرضية (والله بصير بالعباد) وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها
(الذين) كانه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين (يقولون ربنا اننا آمنا)
اى صدقناك وبنبيك وفى ترتيب الدعاء بقولهم (فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) على مجرد الايمان دلالة
على كفايته فى استحقاق المغفرة والوقاية من النار (الصابرين) نصب على المدح باضمار اعنى والمراد بالصبر
هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس (والصادقين) فى اقوالهم ونياتهم وعزائمهم
(والقانتين) اى المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات (والمنفقين) اموالهم فى سبيل الله
(والمستغفرين بالاسحار) وتوسط الواو بين الصفات المذكورة موذن ان كل صفة مستقلة بالمدح او موذنة

بان منهم صابر ومنهم صادق ثم الصبر حبس النفس من شهواتها المحظورة فى الشرع وجميع اجناس الصبر ثلاثة
الصبر على الطاعة والصبر على المعصية والصبر على المكروه قال النبى صلى الله عليه وسلم من صبر على مصيبة فله
ثلثمائة درجة وبين الدرجتين كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة فله ستمائة درجة ما بين الدرجتين
كما بين السماء والارض ومن صبر على المعصية فله تسعمائة درجة بين الدرجتين كما بين العرش والكرسى
والصدق يجرى فى القول وهو مجانبة الكذب وفى الفعل وهو اتيانه وترك الانصراف عنه قبل تمامه وفى النية
وهو العزم عليه حتى يفعل والانفاق يتناول الانفاق على نفسه واهله واقاربه وصلة رحمه وفى الجهاد وسائر وجوه
البر والاستغفار سؤال المغفرة من الله وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة
اذ العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع لاسيما للمجتهدين قال مجاهد فى قول يعقوب عليه السلام
سأستغفر لكم ربى اخره الى وقت السحر فان الدعاء فيه مستجاب وقال ان الله تعالى لايشغله صوت عن صوت
لكن الدعاء فى السحر دعوة فى الخلوة وهى ابعد من الرياء والسمعة فكانت اقرب الى الاجابة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينزل الله تعالى الى السماء الدنيا كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل فيقول انا الملك من ذا الذى يدعونى
فاستجيب له من ذا الذى يسألنى فاعطيه من ذا الذى يستغفرنى فاغفر له ومعنى ينزل محمول على نزول ملكه
او على الاستعارة فمعناه الاقبال على الداعين باللطف والاجابة ولهذا قال الى السماء الدنيا اى القربى وفى هذا
الكلام توبيخ لهم على غفلتهم فى الدعاء والسؤال عنه والاستغفار قال لقمان لابنه يابنى لاتكونن اعجز من هذا
الديك يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك * دلا برخيز وطاعت كن كه طاعت به زهر كارست *
سعادت آن كسى دارد كه وقت صبح بيدارست * خروسان در سحر كويند كه قم يا ايها الغافل *
تو از مستى نمى دانى كسى داند كه هشيارست * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسرى بى الى
السموات رأيت عجائب من عجائب الله تعالى فمن ذلك ان فى السماء الدنيا ديكا له زغب اخضر وريش ابيض
وبياض ريشه كاشد بياض رأيته قط وزغبه تحت ريشه كاشد خضرة رأيتها قط فاذا رجلاه فى تخوم الارض
السابعة السفلى فاذا رأسه عند عرش الرحمن ثان عنقه تحت العرش له جناحان فى منكبيه اذا نشرهما جاوز
المشرق والمغرب فاذا كان فى بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الملك
القدوس سبحان الكريم او قال الكبير المتعال لا اله الا الله الحى القيوم فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض كلها
وخفقت باجنحتها فاذا سكن ذلك الديك سكنت ديكة الارض كلها ثم اذا كان فى بعض الليل نشر جناحيه
فجاوزبهما المشرق والمغرب وخفق بهما ثم صرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الله العلى العظيم سبحان العزيز
القهار سبحان الله رب العرش الرفيع فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض بمثل قوله وخفقت باجنحتها واخذت
فى الصراخ واذا سكن ذلك الديك سكنت ديكة الارض ثم اذا هاج بنحو فعله فى السماء هاجت الديكة فى الارض
يجاوبونه تسبيحا لله تعالى بنحو قوله والمقصود من هذا ان التسبيح اذا كان من فعل اهل السماء والارض
خصوصا الحيوانات العجم بل النباتات كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فان الانسان اولى بان يشتغل
بالدعاء والتسبيح خصوصا فى الخلوات واوقات الاسحار قال الامام القشيرى رحمه الله الصابرين على ما امر الله
والصادقين فيما عاهدوا الله والقانتين بالاستقامة فى محبة الله والمنفقين فى سبيل الله والمستغفرين من جميع
ما فعلوا لرؤية تقصيرهم (شهد الله انه) بانه (لا اله الا هو) نزلت حين جاء رجلان من احبار الشام فقالا للنبى عليه
السلام انت محمد قال نعم فقالا انت احمد قال انا محمد واحمد قالا اخبرنا عن اعظم الشهادة فى كتاب الله فاخبرهما
اى اثبت الله بالحجة القطعية واعلم بمصنوعاته الدالة على توحيده انه واحد لا شريك له فى خلقه الاشياء
اذ لايقدر واحد ان ينشئ شيأ منها قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف سنة
وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد لنفسه قبل خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا ارض
ولا بر ولا بحر فقال شهد الله الاية (والملائكة) عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازى شامل
للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اى اقرت الملائكة بذلك لما عاينت من عظم قدرته (واولوا العلم) اى آمنوا به
واحتجوا عليه بالادلة التكوينية والتشريعية وهم الانبياء والمؤمنون الذين علموا توحيده واقروا به اعتقادا
صحيحا فشبه دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التى لايقدر عليها غيره تعالى واقرار الملائكة واولى العلم

بذلك بشهادة الشاهد فى البيان والكشف (قائما بالقسط) نصب على الحال المؤكدة من هو دون من ذكر معه لأمن اللبس اذ القيام بالقسط من الصفات الخاصة به تعالى ومثله جاء زيد وهندرا كما جاز لاجل التذكير ولو قلت جاء زيد وعمرورا كبا لم يجز للبس اى مقيما بالعدل فى قسمة الارزاق والآجال والاثابة والمعاقبة وما يأمر به عباده وينهاهم عنه من العدل والتسوية فيما بينهم ودفع الظلم عنهم (لا اله الا هو العزيز الحكيم) كرر المشهود به لتأكيد التوحيد ليوحدوه ولا يشركوا به شيأ لانه ينتقم عمن لا يوحده بما لا يقدر على مثله منتقم ويحكم ما يريد على جميع خلقه لامعقب لحكمه لغلبته عليهم (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اى لادين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذى هو التوحيد والتورع بالشريعة الشريفة وهو الدين الحق منذ بعث الله آدم عليه السلام وما سواه من الاديان فكلها باطل قال شيخنا العلامة فى بعض تحريراته المقصود من انزال الكلام مطلق الدعوة الى دين الحق ودين الحق تعالى من زمن آدم الى نبينا عليهما الصلاة السلام الاسلام كما قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وحقيقة دين الاسلام التوحيد وصورته الشرآئع التى هى الشروط وهذا الدين من ذلك الزمان الى يوم القيام واحد بحسب الحقيقة وسوآء بين الكل ومختلف بحسب الصورة والشروط وهذا الاختلاف الصورى لا ينافى الاتحاد الاصلى والوحدة الحقيقية انتهى وعن قتادة ان الاسلام شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله وعن غالب القطان قال اتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان احدر الى البصرة قام من الليل متهجدا فمر بهذه الاية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا آله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيأ فصليت معه وودعته ثم قلت آية سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا احدثك بها الى سنة فلبثت على بابه ذلك اليوم فاقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة قال حدثنى ابو وآئل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة ويناسب هذا ما يقال عهد نامة عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك بانى اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا اثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع اى ختم عليه بخاتم ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة فلابد من الدعاء فى الصبح والمساء لله الذى هو خالق الارض والسماء ومن الاخلاص الذى هو ملاك الامر كله فى طاعة المرء وعمله * عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست (وما اختلف الذين اوتوا الكتاب) نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذى جاء به النبى عليه السلام وانكروا نبوته (الا من بعد ما جاءهم العلم) استثناء مفرغ من اعم الاحوال واعم الاوقات اى وما اختلفوا فى دين الله الاسلام ونبوة محمد عليه السلام فى حال من الاحوال او فى وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذى لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج والايات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامى حالهم فى الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل (بغيا بينهم) مفعول له لقوله اختلف اى حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء فى الامر وهو تشنيع اثر تشنيع (ومن يكفر بايات الله) الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله الاسلام ولم يعمل بمقتضاها (فان الله سريع الحساب) قائم مقام جواب الشرط علة له اى ومن يكفر باياته تعالى فانه يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب اى يأتى حسابه عن قريب او سريع فى محاسبة جميع الخلائق لانه يحاسبهم فى اقل من لمحة بحيث يظن كل احد منهم انه اى الله يحاسب نفسه فقط (فان حاجوك) اى فى كون الدين عند الله الاسلام (فقل اسلمت وجهى) اى اخلصت نفسى وقلبى وجملتى (لله) وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعنى دين التوحيد وهو القديم الذى

ثبتت

ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وما جئت بشئ بديع حتى تجادلونى فيه (ومن اتبعن) عطف على المتصل فى اسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجارى مجرى التأكيد بالمنفصل اى واسلم من اتبعنى وجوههم ايضا (وقل للذين اوتوا الكتاب) اى من اليهود والنصارى (والاميين) الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (أأسلمتم) متبعين لى كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لامحالة فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها ام انتم بعد على كفركم وهو استفهام بمعنى الامر اى اسلموا وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها (فان اسلموا) اى كما اسلمتم واخلصتم (فقد اهتدوا) اى فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوى الضلال (وان تولوا) اى اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام (فانما عليك البلاغ) قائم مقام الجواب اى لم يضروك شيأ اذ ما عليك الا البلاغ اى التبليغ بالرسالة دون الهداية وقد فعلت على ابلغ وجه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الاية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال صلى الله عليه وسلم للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا (والله بصير بالعباد) عالم بجميع احوالهم وهو وعد ووعيد (ان الذين يكفرون بايات الله) اى آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالايات الناطقة بحقية الاسلام (ويقتلون النبيين بغير حق) هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حاولوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمهم الله وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال قال فى سورة البقرة بغير الحق اى بغير الحد الذى حده الله واذن فيه والنكرة ههنا على معنى ان القتل يكون بوجوه من الحق فمعناه يقتلون بغير حق من تلك الحقوق (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) اى بالعدل (من الناس) عن عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرآئيل ثلاثة واربعين نبيا من اول نهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرآئيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار (فبشرهم بعذاب اليم) اى وجيع دآئم جعل لهم بدل البشارة وهو الاخبار السار الاخبار بالنار وهو كقول القائل تحية بينهم ضرب وجيع (اولئك) المتصفون بتلك الصفات القبيحة (الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة) الذين بطلت اعمالهم التى عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر فى الدارين بل بقى لهم اللعنة والخزى فى الدنيا وعذاب اليم فى الآخرة (وما لهم من ناصرين) ينصرونهم من بأس الله وعذابه فى احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع فى مقابلته لا لنفى تعدد الانصار من كل واحد منهم كما فى قوله تعالى وما للظالمين من انصار وفى الاية ذم لمن قتل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالمعروف والناهين عن المنكر بئس القوم لا يقومون بالقسط بين الناس بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فعليك بالعدل والانصاف واياك الجور والظلم والاعتساف فاصدع باوامر الحق ونواهيه ولا تخف غير الله فيما انت فيه وانما عليك البلاغ * كرچه دانى كه نشنوند بكوى * هرچه مى دانى از نصيحت وپند * زود باشد كه خيره سر بينى * بدو پاى اوفتاده اندر بند * دست بر دست مى زند كه دريغ * نشنيدم حديث دانشمند * ولا يسقط الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ابدا ولكنه لا ينفع الوعظ والزجر فى آخر الزمان حين تشتد القلوب قساوة وتكون الانفس مولعة بلذات الدنيا روى ان يهوديا قال لهرون الرشيد فى سيره مع عسكره اتق الله فلما سمع هرون قول اليهودى نزل عن فرسه وكذا العسكر نزلوا تعظيما لاسم الله العظيم ومن اكبر الذنوب ان يقول الرجل لاخيه اتق الله فيقول فى جوابه عليك نفسك أأنت تأمرنى بهذا ومن الله العظة والتوفيق الى سوآء الطريق (الم تر) تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من تتأتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم اى الم تنظر (الى الذين اوتوا نصيبا) حظا وافرا (من الكتاب) اى التوراة والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التى من جملتها ما علموه من نعوت النبى عليه السلام وحقية الاسلام (يدعون الى كتاب الله) الذى اوتوا نصيبا منه هو التوراة كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله فالجملة استئناف (ليحكم) ذلك الكتاب (بينهم) وفى الكتاب

بيان الحكم فاضيف اليه الحكم كما فى صفة القرءآن بشيرا ونذيرا لان فيه بيان التبشير والانذار وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارس اليهود فدعاهم الى الايمان فقال له رئيسهم نعيم بن عمرو على اى دين انت قال صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم قال ان ابراهيم كان يهوديا قال صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينكم التوراة فهاتوها فابوا وقال الكلبى نزلت الاية فى الرجم فجر رجل وامرأة من اهل خيبر وكانا فى شرف منهم وكان فى كتابهم الرجم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء رخصته عنده فحكم عليهم بالرجم فقالوا جرت علينا ليس عليهما الرجم فقال صلى الله عليه وسلم بينى وبينكم التوراة قالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكم بالتوراة قالوا ابن صوريا فارسلوا اليه فدعاه النبى عليه السلام بشئ من التوراة فيه الرجم دله على ذلك ابن سلام فقال له اقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقام ابن سلام فرفع اصبعه عنها ثم قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص حتى تضع ما فى بطنها وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك ورجعوا كفارا فانزل الله هذه الاية (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه ولم يصف به الكل لانه قال فى هذه السورة من اهل الكتاب امة قائمة وقال تعالى امة يهدون بالحق وبه يعدلون (وهم معرضون) اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اى يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اى وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل (ذلك) اى التولى والاعراض (بانهم) اى حاصل بسبب انهم (قالوا لن تمسنا النار) باقتراف الذنوب وركوب المعاصى (الا اياما معدودات) اربعين يوما وهى مدة الايام التى عبدوا فيها العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب (وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان آباءنا الانبياء يشفعون لنا او ان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا فى تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبايح قال ابن عباس رضى الله عنه زعمت اليهود انهم وجدوا فى التوراة ان ما بين طرفى جهنم اربعون سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانما نعذب حتى نأتى الى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك واصل الجحيم سقر وفيها شجرة الزقوم فاذا اقتحموا من باب جهنم تساد روا فى العذاب حتى انتهوا الى شجرة الزقوم وملؤا البطون قال لهم خازن سقر زعمتم ان النار لن تمسكم الا اياما معدودات قد خلت اربعون سنة وانتم فى الابد (فكيف) اى فكيف يصنعون فكيف يكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة فى دفعه والمخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون (اذا جمعناهم ليوم) اى لجزاء يوم (لا ريب فيه) اى فى وقوعه ووقوع ما فيه روى ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفرة راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار (ووفيت كل نفس ما كسبت) اى جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد فى النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون فى النار ولا قبل دخولها فاذن هى بعد الخلاص منها (وهم) اى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس (لا يظلمون) بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه فالله تعالى ليس من شأنه العظيم ان يظلم عباده ولو مثقال ذرة فيجازى المؤمنين بايمانهم والكافرين بكفرهم فعلى العاقل ان لا يقطع رجاءه من الله تعالى وان كانت ذنوبه مثل زبد البحر فالله تعالى عند حسن ظن العبد به روى انه اذا كان يوم القيامة وسكن اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذا بصوت حزين ينادى من داخل النار يا حنان يا منان يا ذا الجلال والاكرام فيقول الله تعالى يا جبريل اخرج هذا العبد الذى فى النار قال فيخرجه اسود كفرخ الحمام قد تناثر لحمه وذاب جسمه فينادى يا جبريل لا توقفنى بين يدى الله فافزع فيؤتى به الى الله فيقول له عبدى اتذكر ذنب كذا وكذا فى سنة كذا وكذا فيقول نعم يا رب فيقول الله اذهبوا بعبدى الى النار فيكون من العبد التفات فيقول الله ردوا عبدى الى فيرد اليه فيقول له عبدى ما كان التفاتك وهو اعلم فيقول يا رب اذنبت ولم اقطع رجائى منك وحاسبتنى ولم اقطع رجائى منك وادخلتنى النار ولم اقطع رجائى منك واخرجتنى منها اليك ولم اقطع رجائى منك ثم رددتنى اليها ولم اقطع رجائى منك فيقول الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى وارتفاعى فى علو مكانى لاكونن عند ظن عبدى بى ولاحققن رجاءه فى اذهبوا بعبدى الى الجنة * خدايا بعزت كه خوارم مكن * بذل بزه

شر

شرمسارم مكن * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة عند الموت ولا فى قبورهم ولا فى منشرهم كأنى باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم وهم يقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن فالواجب على من كان مؤمنا وليس من اهل البدع ان يحمد الله على ما هداه وجعله مسلما من الامة الشريفة ولذا قيل من علامات سوء العاقبة ان لا يشكر العبد على ما هدى به من الايمان والتوحيد واهل الغرور فى الدنيا مخدوع بهم فى الاخرة فليس لهم عناية رحمانية وانما يقبل رجاء العبد اذا قارنه العمل والكاملون بعدان بالغوا فى تزكية النفس ما زالوا يخافون من سوء العاقبة ويرجون رحمة الله فكيف بنا ونحن متورطون فى آبار الاوزار لا توبة لنا ولا استغفار غير العناد والاصرار قال الامام الهمام محمد الغزالى رحمه الله فى منهاج العابدين مقدمات التوبة ثلاث احداها ذكر غاية قبح الذنوب والثانية ذكر غاية عقوبة الله تعالى واليم سخطه وغضبه الذى لا طاقة لك به الثالثة ذكر ضعفك وقلة حيلتك فى ذلك فان من لا يحتمل حر الشمس ولطمة شرطى وقرص نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار فى دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخطه وعذابه * مرا مى بباید چو طفلان گریست * نه شرم گناهان نه طفلان زیست * نکو گفت لقمان كه نا زیستن * به از سالها برخطا زیستن * هم از بامدادان در کلبه بست * به از سود و سرمایه دادن زدست (قل اللهم) اصله يا الله فالميم عوض من حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل وشددت لقيامها مقام حرفين وقيل اصله يا الله أمنا بخير اى اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته (مالك الملك) اى مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث يتصرف فيه كيف ما يشاء له ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية لانه ليس فى الاسماء الموصوفة شئ على حد اللهم (تؤتى الملك) بيان لبعض وجوه التصرف الذى يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى وكون مالكية الغير بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذى هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة (من تشاء) ايتاءه اياه (وتنزع الملك ممن تشاء) نزعه منه فالملك الاول حقيقى عام ومملوكيته حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية (وتعز من تشاء) ان تعزه فى الدنيا او فى الاخرة او فيهما بالنصر والتوفيق (وتذل من تشاء) ان تذله فى احداهما او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة (بيدك الخير) وتعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اى بقدرتك الخير كله لا بقدرة احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الى المؤمنين وهو الذى انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه او لمراعاة الادب فان فى الخطاب بان الشر منك وبيدك ترك ادب وان كان الكل من الله تعالى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة وجميع من وافى الخندق من القبائل عشرة آلاف اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام واخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها كانه مصباح فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر فى ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى قصور صنعاء واخبرنى جبريل عليه السلام ان امتى ظاهرة على الامم كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت (انك على كل شئ قدير) من الاعزاز والاذلال (تولج) اى تدخل (الليل فى النهار) بنقص الاول وزيادة الثانى حتى يصير النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات (وتولج النهار فى الليل) حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات (وتخرج الحى من الميت) اى تظهر الحيوان من النطفة او الطير من البيضة او العالم من الجاهل او المؤمن من الكافر او النبات من الارض اليابسة (وتخرج الميت من الحى)

وهذا عكس الاول (وترزق من تشاء بغير حساب) قال ابو العباس المقرى ورد لفظ الحساب فى القرآن على ثلاثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين عن على رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل انى حلفت انه لا يقرأ كن احد دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته فى حظيرة القدس ونظرت اليه بعينى كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة اذناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفى بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الىّ اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم معناه ان كنتم من اهل الطاعة يول عليكم اهل الرحمة وان كنتم من اهل المعصية يول عليكم اهل العقوبة وجاء فى الخبر ان موسى عليه السلام قال فى مناجاته يا رب انت فى السماء ونحن فى الارض فما علامة سخطك من رضاك فاوحى الله اليه اذا استعملت على الناس خيارهم فهو علامة رضاى واذا استعملت شرارهم فهو علامة سخطى عليهم قال الحجاج بن يوسف حين قيل له لم لا تعدل مثل عمر رضى الله عنه وانت قد ادركت خلافته افلم تر عدله وصلاحه فقال فى جوابهم تبادروا اتعمر لكم اى كونوا كابى ذر فى الزهد والتقوى اعامل لكم معاملة عمر فى العدل والانصاف وفيه اشارة الى ان الولاة انما يكونون على حسب اعمال الرعايا واحوالهم صلاحا وفسادا فعلى كل واحد من المسلمين التضرع لله تعالى والانابة اليه بالتوبة والاستغفار عند فشو الظلم وشمول الجور ويظهر جور الوالى وعدله فى الضرع والزرع والاشجار والاثمار والمكاسب والحرف يعنى يحبط لبن الضرع وتنزع بركة الزرع وتنقص ثمار الاشجار وتكسد معاملة التجار واهل الحرف فى الامصار التى ملك فيها ذلك الملك الجائر بشؤم ظلمه وسوء فعله ويكون الامر على العكس اذا عدل ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب اليه طاووس ان اردت ان يكون عملك خيرا كله فاستعمل اهل الخير فقال كفى بها موعظة * پندم اكر بشنوى اى پادشاه * در همه دفتر به ازين پند نيست * جز بخرد مند مفرما عمل * كرچه عمل كار خردمند نيست * قال النبى صلى الله عليه وسلم سيأتى زمان لامتى يكون امراؤهم على الجور وعلماؤهم على الطمع وعبادهم على الرياء وتجارهم على اكل الربا ونساؤهم على زينة الدنيا (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية او جوار ونحوها من اسباب المصادقة والمعاشرة حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى او عن الاستعانة بهم فى الغزو وسائر الامور الدينية (من دون المؤمنين) فى موضع الحال اى متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكافرين اى استغناء فلا تؤثروهم عليهم فى الولاية (ومن يفعل ذلك) اى اتخاذهم اولياء (فليس من الله) اى من ولايته تعالى (فى شئ) يصح ان يطلق عليه اسم الولاية يعنى انه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان قال

تود عدوى ثم تزعم اننى * صديقك ليس النوك عنك بعازب

النوك الحمق والعازب البعيد والمعنى الصديق هو من يودك ويبغض عدوك والاعداء ايضا ثلاثة عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك * بشوى اى خردمند از ان دوست دست * كه با دشمنانت بود هم نشست * (الا ان تتقوا) استثناء من اعم الاحوال كأنه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا وباطنا فى حال من الاحوال الا حال اتقائكم (منهم) اى من جهتهم (تقاة) اى اتقاء بان تغلب الكفار او يكون المؤمن بينهم فان اظهار الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من شق العصا واظهار ما فى الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا اى كن فيما بينهم صورة وتجنب عنهم سيرة ولا تخالطهم

مخالطة الاوداء ولا تسير بسيرتهم وهذا رخصة فلو صبر حتى قتل كان اجره عظيما (ويحذركم الله نفسه) اى يخوفكم الله ذاته المقدسة كقوله تعالى فاتقون واخشون اى من سخطى وعقوبتى فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد (والى الله المصير) اى الى جزاء الله مرجع الخلق فيجزى كلا بعمله (قل ان تخفوا ما فى صدوركم) من الضمائر التى من جملتها ولاية الكفرة (او تبدوه) فيما بينكم (يعلمه الله) فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه (ويعلم ما فى السموات وما فى الارض) لا يخفى عليه منه شئ قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تأكيدا له وتقريرا (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه وهذا بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهى ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتى لا يختص بمعلوم دون معلوم فهى متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهى قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة ولاحق به العذاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ فى امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان الله الذى يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترار بسترك كذا فى الكشاف فالعاقل يخاف من الله ويكون حبه وبغضه لله يوالى المؤمنين ويعادى الكافرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة من الكبائر لبس الصوف لطلب الدنيا وادعاء محبة الصالحين وترك فعلهم وذم الاغنياء والاخذ منهم ورجل لا يرى الكسب ويأكل من كسب الناس * كرانها كه من كفتمى كردمى * نكو سيرت وپارسا بودمى * والحب فى الله والبغض فى الله باب عظيم واصل من اصول الايمان وخلق سنى والمحبة الصادقة لا تكون الا عند المصافاة فى الباطن وهى مبنية على اتفاق العقيدة والوجهة لان القلوب تتناسب فتتصافى فان لم يكن بينها التوافق المعنوى واتفق بين اربابها المصالحة والمؤانسة بحسب المماثلة النوعية والالفة النفسية والجنسية الصورية اعدت الرذائل صاحب الفضائل باستغراق النفس فتتشابه تتخالق كما قيل

عن المرء لا تسأل وابصر قرينه * وكل قرين بالمقارن يقتدى

وقال على رضى الله عنه

فلا تصحب اخا الجهل * فاياك واياه * فكم من جاهل اردى * حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء * اذا ما هو ماشاه * وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

واذا كان الرجل مبتلى بصحبة الفجار فى سفره للحج او للغزاء لا يترك الطاعة بصحبتهم ولكن يكره بقلبه ولا يرضى به فلعل الفاسق يتوب ببركة كراهة قلبه حكى ان حاتما وشقيقا خرجا فى سفر فصحبهما شيخ فاسق وكان يضرب بالمعزف فى الطريق ويضطرب ويغنى وكان حاتم ينظر ان ينهاه شقيق فلم يفعل ذلك فلما كان فى آخر الطريق وارادوا ان يتفرقوا قال لهما ذلك الشيخ الفاسق لم ار اثقل منكما قد طربت بين ايديكما كل الطرب فلم تنظرا الى طربى فقال له حاتم يا شيخ اعذرنا فان هذا شقيق وانا حاتم فتاب الرجل وكسر ذلك المعزف وجعل يتلمذ عندهما ويخدمهما فقال شقيق لحاتم رأيت صبر الرجال * نه آنكه بر در دعوى نشيند از خلق * كه كر خلاف كنندش بجنك برخيزد * وكر ز كوه فرو غلطد آسيا سنكى * نه عارفست كه از راه سنك برخيزد * وينبغى ان يعلم ان المؤمن كما يلزم له ان يقطع الموالاة عن الكفار كذلك يقطع ذلك عن الاقرباء الفجار كما قيل * چون نبود خويش را ديانت وتقوى * قطع رحم بهتر از مودت قربى * فان قلت هذا مخالف للقرآن فانه ناطق بصلة الارحام مطلقا قلت موافق كما قال تعالى وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما فمن تسبب بشقاوتك يجب تقاطعك عنه وان كان ذا قرابتك * هزار خويش كه بيكانه از خدا باشد * فداى يك تن بيكانه كآشنا باشد * فعليك بقطع التعلق من الاغيار وتقتدى بهدى الانبياء الاخيار قال خليل الله عليه السلام فانهم عدو لى الا رب العالمين ومن موالاة الكفار المواكلة معهم بغير عذر واقتضائها ومن القول الشنيع ان يقال لهم جلبى كما يقوله لهم سفهاء زماننا فان معنى جلبى منسوب الى جلب وجلب اسم الله تعالى وهم نارى دون نورى فكيف يصح نسبتهم الى الله والعياذ بالله (يوم) منصوب بتود (تجد كل نفس)

اى من النفوس المكلفة (ما عملت من خير محضرا) عندها بامر الله تعالى (وما عملت من سوء) عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر فى الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية (تود) اى تحب وتتمنى يوم تجد صحائف اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة (لو ان بينها وبينه) اى بين النفس وبين ذلك اليوم وهوله او بين العمل السوء (امدا بعيدا) اى مسافة واسعة كما بين المشرق والمغرب ولم تحضر ذلك اليوم او لم تعمل ذلك السوء قط (ويحذركم الله نفسه) اى يقول الله اياكم ونفسى يعنى احذروا من سخطى وهو تكرير لما سبق ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه (والله بصير بالعباد) يعنى ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه فيحذرهم تحذير الوالد المشفق ولده عما يوبقه قال القشيرى رحمه الله هذا للمستأنفين وقوله ويحذركم الله نفسه للعارفين اولئك اصحاب التخفيف والتسهيل وهؤلاء اصحاب التخويف والتهويل ونظيره بشر المذنبين وانذر الصديقين فالله تعالى يمهل ولا يهمل فيجب ان لا يغتر العبد بامهاله بل يتأهب ليوم حسابه وجزائه

درخير بازست وطاعت وليك * نه هر كس توانا ست برفعل نيك *

واعلم ان ما يعمله الانسان او يقوله ينتقش فى صحائف النفوس السماوية واذا تكرر صار ملكة راسخة لكنه مشغول عن تلك الهيئات الثابتة فى نفسه ونقوشها بالشواغل الحسية والوهمية والفكرية فاذا فارقت الجسد وقامت قيامتها وجدت ما عملت من خير وشر محضرا لارتفاع الشواغل المانعة كقوله تعالى احصاه الله ونسوه فان كان شرا تتمنى البعد فيما بينها وما بين ذلك اليوم او ذلك العمل لتعذبها به فتصير تلك الهيئات صورتها ان كانت راسخة والا صورا تعذبها او تعذبت بحسبها ومن الله العصمة (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره)

هر خيالى كاو كند در دل وطن * روز محشر صورتى خواهد بدن *
سيرتى كاندر وجودت غالبست * هم بران تصوير حشرت واجبست *

فعلى العاقل ان يزكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ويطهر قلبه عن لوث العلائق الدنيوية ويجتهد فى تحصيل مرضاة الله بالاعمال الصالحة والاقوال الحقة كى يجدها عند ربه يوم احتياجه ويفوز بالسعادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة اجوع ما كانوا قط واظمأ ما كانوا قط واعرى ما كانوا قط وانصب ما كانوا قط فمن اطعم الله اطعمه ومن سقى الله سقاه ومن كسا الله كساه ومن عمل لله كفاه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا حنان يا منان يا ذا الجلال والاكرام باعد بينى وبين خطيئتى كما باعدت بين المشرق والمغرب ونقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس واغسلنى بماء الثلج والبرد سبحان الله وبحمده استغفر الله العظيم واتوب اليه ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى اصحابه حوله فقال ايها الناس لا تعجبوا بانفسكم وبكثرة اعمالكم وبقلة ذنوبكم ولا تعجبوا بامر حتى تعلموا بم يختم له قال عليه السلام فانما الاعمال بخواتيمها ولو ان احدكم جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لتمنى الزيادة لهول ما يقدم عليه يوم القيامة (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى) اثبت فيه الياء لانه اصل ولم يثبت فى فاتقون واطيعون لانه ختم آية ينوى بها الوقف (يحببكم الله) نزلت حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن الاشرف ومن تابعه الى الايمان فقالوا نحن ابناء الله واحباؤه فقال تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم انى رسول الله ادعوكم اليه فان كنتم تحبونه فاتبعونى على دينه وامتثلوا امرى يحببكم الله ويرض عنكم والمحبة ميل النفس الى الشئ لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى طاعته والحرص على مطاوعته (ويغفر لكم ذنوبكم) اى يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة (والله غفور رحيم) اى لمن كان يتحبب النصارى ويتبع عيسى ابن مريم فنزل قوله تعالى (قل اطيعوا الله والرسول) اى فى جميع الاوامر والنواهى فيدخل فى ذلك الطاعة فى اتباعه صلى الله عليه وسلم دخولا اوليا (فان تولوا) اما من تمام مقول القول فهى صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التاءين اى تتولوا وتعرضوا واما كلام متفرع مسوق من جهته تعالى فهى

صيغة الماضى الغائب وفى ترك ذكر احتمال الاطاعة كما فى قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل عنهم (فان الله لا يحب الكافرين) نفى المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اى لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم ودلت الاية على شرف النبى عليه السلام فانه جعل متابعته متابعة حبيب نفسه وقارن طاعته بطاعته فمن ادعى محبة الله وخالف سنة نبيه فهو كذاب بنص كتاب الله تعالى قيل

تعصى الاله وانت تظهر حبه * هذا محال فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وانما كان من ادعى محبة الله وخالف سنة رسوله كاذبا فى دعواه لان من احب آخر يحب خواصه والمتصلين به من عبيده وغلمانه وبيته وبنيانه ومحله ومكانه وجداره وكلبه وحماره وغير ذلك فهذا هو قانون العشق وقاعدة المحبة والى هذا المعنى اشار المجنون العامرى حيث قال

امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

قال الامام القشيرى رحمه الله قطع الله اطماع الكل ان يسلم لاحدهم نفسه الا ومقتداهم سيد الاولين والآخرين وقال القاشانى محبة النبى عليه السلام انما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولا وعملا وخلقا وحالا وسيرة وعقيدة ولا تتمشى دعوى المحبة الا بهذا فانه قطب المحبة ومظهرها وطريقته صلى الله عليه وسلم المحبة فمن لم يكن له من طريقته نصيب لم يكن له من المحبة نصيب واذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن النبى وسره وقلبه ونفسه وهو مظهر المحبة فلزم بهذه المناسبة ان يكون لهذا التابع قسط من محبة الله بقدر نصيبه من المتابعة فيلقى الله محبته عليه ويسرى من روح النبى نور تلك المحبة ايضا الى قلبه اسرع ما يكون اذ لولا محبة الله لم يكن محبا له ثم نزل عن هذا المقام لانه اعز من الكبريت الاحمر ودعاهم الى ما هو اعم من مقام المحبة وهو مقام الارادة فقال قل اطيعوا الله والرسول اى ان لم تكونوا محبين ولم تستطيعوا متابعة حبيبى فلا اقل من ان تكونوا مريدين مطيعين لما امرتم به فان المريد يلزمه طاعة المراد وامتثال امره فان تولوا اى ان اعرضوا عن ذلك ايضا فهم كفار محجوبون انتهى وروى البخارى عن عبد الله بن هشام انه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال عمر يا رسول الله انت احب الى من كل شئ الا نفسى فقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر فانه الان والله انت احب الى من نفسى فقال عليه السلام الآن يا عمر صار ايمانك كاملا وقال صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يأبى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى وعن جابر بن عبد الله انه يقول جاءت ملائكة الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعى دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا اولوها له يفقهها فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعى محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس فبمتابعة النبى صلى الله عليه وسلم تحصل الجنة والقربة والوصلة روى ان محمودا الغازى دخل على الشيخ الربانى ابى الحسن الخرقانى قدس سره لزيارته وجلس ساعة ثم قال يا شيخ ما تقول فى حق ابى يزيد البسطامى قدس سره فقال الشيخ هو رجل من اتبعه اهتدى واتصل بسعادة لا تخفى فقال محمود وكيف ذلك وابو جهل رأى رسول الله عليه السلام ولم يخلص من الشقاوة فقال الشيخ فى جوابه ان ابا جهل ما رأى رسول الله انما رأى محمد بن عبد الله حتى لو كان رأى رسول الله عليه السلام لخرج من الشقاوة ودخل فى السعادة ثم قال ومصداق ذلك قول الله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فالنظر بعين الرأس لا يوجب هذه السعادة بل النظر بعين السر والقلب والمتابعة التامة يورث ذلك وامته صلى الله عليه وسلم من اتبعه ولا يتبعه الا من اعرض عن الدنيا فانه عليه السلام ما دعا الا الى الله واليوم الاخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عنها واقبلت على الله وصرفت الاوقات لاعمال الاخرة فقد سلكت سبيله الذى يسلكه وبقدر ما اتبعته صرت من

امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله واعرضت عن متابعته ولحقت بالذين قال الله تعالى فيهم
فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى ولو خرجت عن مكمن الغرور وانصفت من نفسك يا رجل
وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تمسى الى حين تصبح لا تسعى الا فى الحظوظ العاجلة ولا تتحرك الا برجل
الدنيا الفانية ثم تطمع فى ان تكون غدا من امته واتباعه ويحك ما ابعد ظنتنا وما افحش طمعنا قال الله تعالى
أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون (ان الله اصطفى آدم) الاصطفاء اخذ ما صفا من الشئ
كالاستصفاء اى اختار آدم بالنفس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة
للرسالة فى نفس المصطفى كما فى كافة الرسل عليهم السلام اوفى من يلابسه وينشأ منه كما فى مريم او اصطفاه بان خلقه
بيده فى احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه واسكانه الجنة (و) اصطفى (نوحا) بما ذكر من الوجه
الاول او اصطفاه بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته
هم الباقين واستجابة دعوته فى حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء (و) اصطفى (آل ابراهيم) وهو اسماعيل
واسحق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبى صلى الله عليه وسلم ويفهم من اصطفائهم اصطفاء ابراهيم
بطريق الاولوية (و) اصطفى (آل عمران) وهو عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العادر بن ابى هود بن
زربابل بن ساليان بن يوحنا بن اوشا بن اوموذر بن ميشك بن خارقا بن يونام بن عزريا بن يوزان بن ساقط
ابن ايشا بن راجقيم بن سليمان بن داود عليهما السلام ابن ايشا بن عويل بن سلمون ابن ياعر بن محشون بن عمياد
ابن دام بن حضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وقيل آل عمران هو موسى وهارون عليهما
السلام ابنا عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة فيكون
اصطفاء عيسى عليه السلام بالاندراج فى آل ابراهيم والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء
موسى وهارون عليهما السلام بالانتظام فى سلك آل ابراهيم انتظاما ظاهرا (على العالمين) جمع عالم وهو اسم
لنوع من المخلوقين فيه علامة يمتاز بها عن خلافه من الانواع كالملك والجن والانس يقال عالم البر والبحر وعالم
الارض وعالم السماء والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اى اصطفى كل واحد منهم على عالمى زمانه (ذرية)
نصب على البدلية من الآلين والذر بفتح الذال البث والتفريق وسمى نسل الثقلين ذرية لان الله تعالى قد بثهم
فى الارض اولان الله اخرج نسل آدم عليه السلام من صلبه كهيئة الذر وهو جمع ذرة وهى اصغر النمل والذرء
ايضا الخلق والله تعالى خلقهم واظهرهم من العدم الى الوجود (بعضها من بعض) فى محل النصب على انه صفة
لذرية يعنى ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض فان آل ابراهيم اعنى اسماعيل واسحق
متشعبان من ابراهيم المتشعب من نوح المتشعب من آدم واولادهما الى آخر انبياء بنى اسرائيل والى خاتم
الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين متشعبون منهما وآل عمران وهو موسى وهارون من ذرية ابراهيم
ونوح وآدم وكذا عيسى وامه مريم عليهما السلام (والله سميع) لاقوال العباد (عليم) باعمالهم البادية
والخافية فيصطفى من بينهم لخدمته من يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل
رسالته ودلت الآية على صحة انكحة الكفار حيث ثبت نسب بعضهم من بعض بها قال صلى الله عليه وسلم ولدت
من نكاح لا من سفاح واعلم ان الاصطفاء اعم من المحبة والخلة فيشمل الانبياء كلهم لانهم خيرة الله وصفوته
وتتفاضل فيه مراتبهم كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فاخص المراتب هو المحبة المشار اليها
بقوله ورفع بعضهم درجات فلذلك كان افضلهم حبيب الله محمدا عليه السلام ثم الخلة التى هى صفة ابراهيم
عليه السلام واعمها الصفاء الذى هو صفة آدم صفى الله عليه السلام ذرية بعضها من بعض فى الدين
والحقيقة اذ الولادة قسمان صورية ومعنوية فكل نبى يتبع بنبى آخر فى التوحيد والمعرفة وما يتعلق بالباطن
من اصول الدين فهو ولده كاولاد المشايخ فى زماننا هذا وكما قيل الاباء ثلاثة اب ولدك واب رباك واب علمك
وكما ان وجود البدن فى الولادة الصورية يتولد فى رحم امه من نطفة ابيه كذلك وجود القلب فى الولادة
الحقيقية يظهر فى رحم استعداد النفس من نفخة الشيخ والمعلم والى هذه الولادة اشار عيسى عليه السلام بقوله
لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين ثم اعلم ان الولادة المعنوية اكثرها تتبع الصورية فى التناسل ولذلك
كان الانبياء فى الظاهر ايضا نسلا واحدا ثمرة شجرة واحدة وسببه ان الروح فى الصفاء والكدورة يناسب المزاج

فى القرب من الاعتدال الحقيقى وعدمه وقت التكون فلكل روح مزاج يناسبه ويخصه اذ الفيض يصل
بحسب المناسبة وتتفاوت الارواح فى الازل بحسب صفوتها ومراتبها فى القرب والبعد عن الحضرة الاحدية
فتتفاوت الامزجة بحسبها فى الابد لتتصل بها والابدان المتناسلة بعضها من بعض متشابهة فى الامزجة على
الاكثر اللهم الا لامور عارضة اتفاقية فكذلك الارواح المتصلة بها متقاربة فى الرتبة متناسبة فى الصفة
وهذا مما يقوى ان المهدى يكون من نسل محمد عليه السلام والاغذية مؤثرة فى البدن فمن كان غذاؤه حلالا
طيبا وهيئات نفسه فاضلة نورانية ونياته صادقة حقانية جاء ولده مؤمنا صديقا او وليا او نبيا ومن كان غذاؤه
حراما وهيئات نفسه خبيثة ظلمانية ونياته فاسدة رديئة جاء ولده فاسقا او كافرا زنديقا اذ النطفة التى يكون
الولد منها متولدة من ذلك الغذاء مرباة بتلك النفس فيناسبها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد
سر ابيه وكان صدق مريم ونبوة عيسى ببركة صدق نيتها (اذ) منصوب باذكر (قالت امرأة عمران) وهى امرأة
عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى عليه السلام وهى حنة بنت فاقوذا فان قلت كانت لعمران
ابن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهارون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا
هو ابو مريم البتول دون عمران ابى مريم التى هى اخت موسى وهارون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه
عمران ابو البتول لان زكريا بن اذن وعمران بن ماثان كانا فى عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت مريم
فكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابنى خالة روى انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هى فى ظل شجرة
بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا شكرا ان رزقتنى ولدا ان
اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهى حامل وذلك قوله تعالى
(رب انى نذرت لك) والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه (ما فى بطنى) عبر عن الولد بما لابهام امره وقصوره
عن درجة العقلاء (محررا) اى معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لى عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشئ او خالصا لله
ولعبادته لا يعمل عمل الدنيا ولا يتزوج فيتفرغ لعمل الآخرة وكان هذا النذر مشروعا عندهم لان الامر فى دينهم
ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من
الانتفاع ويجعلونهم محررين لخدمة المسجد ولم يكن احد من الانبياء الا ومن نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن
يحرر الا الغلمان ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض والاذى فتحتاج الى الخروج ولكن حررت حنة
ما فى بطنها مطلقا اما لانها بنت الامر على تقدير الذكورة او لانها جعلت ذلك النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر
(فتقبل منى) اى ما نذرته والتقبل اخذ الشئ على وجه الرضى وهذا فى الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور
القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى (انك انت السميع) لجميع المسموعات التى من
جملتها تضرعى ودعائى (العليم) لكل المعلومات التى من زمرتها ما فى ضميرى لا غير (فلما وضعتها) اى ولدت
النسمة وهى انثى (قالت) حنة وكانت ترجو ان تكون غلاما (رب انى) التأكيد للرد على اعتقادها الباطل
(وضعتها انثى) تحسرا على ما رأته من خيبة رجائها وعكس تقديرها والضمير المتصل عائد الى النسمة وانثى حال منه
(والله اعلم بما وضعت) تعظيم من جهته تعالى لموضوعها فانها انما تحسرت وتحزنت على ان ولدت انثى قال الله
تعالى انها لا تعلم قدر هذا الموهوب والله هو العالم بالشئ الذى وضعته وما علق به من العجائب وعظائم الامور فانه
تعالى سيجعله وولده آية للعالمين وهى جاهلة بذلك لا تعلم به فلذلك تحسرت وتحزنت (وليس الذكر كالانثى)
مقول الله ايضا مبين لتعظيم موضوعها ورفع منزلته واللام فيهما للعهد اى ليس الذكر الذى كانت تطلبه وتتخيل
فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التى وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط
بما فيها من جلائل الامور فهى افضل من مطلوبها وهى لا تعلم وهاتان الجملتان من مقول الله تعالى اعتراضان
بين قول ام مريم انى وضعتها انثى وقولها وانى سميتها مريم وفائدتهما التسلية لنفس حنة والتعظيم لموضعها
(وانى سميتها مريم) من مقول حنة عطف على قوله انى وضعتها اى انى جعلت اسمها مريم وغرضها من عرضها
على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وخادم الرب واظهار
انها غير راجعة فى نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات
فيه وظاهر هذا الكلام يدل على ان عمران كان قد مات قبل وضع حنة مريم والا لما تولت الام تسمية المولود

لان العادة ان التسمية يتولاها الاباء (وانى اعيذها بك) اى اجيرها بحفظك (وذريتها) عطف على الضمير المنصوب اى اولادها (من الشيطان الرجيم) اى المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغوآء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (فتقبلها) اى اخذ مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر (ربها) مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق (بقبول حسن) بوجه حسن يقبل به النذآئر وهو قبول تلك الانثى مع انوثتها وصغرها فان المعتاد فى تلك الشريعة ان لا يجوز التحرير الا فى حق غلام عاقل قادر على خدمة المسجد وههنا لما علم الله تعالى تضرع حنة قبل بنتها حال صغرها وعدم قدرتها على خدمة المسجد (وانبتها نباتا حسنا) مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلح فى جميع احوالها ثم ان الله تعالى ذكر قبولها امنها وذلك اضعفها وصدق نيتها فى الابتدآء وحيائها فى الانتهاء وكان فى ذلك الزمان اربعة آلاف محرر لم يشتهر خبر احد منهم اشتهار خبرها وفيه تنبيه للعبد على ان يرى من نفسه التقصير بعد جهدها ليقبل الله عملها الا ظهار افلاسها واضمار اخلاصها رزقنا الله واياكم * طريقت همينست كاهل يقين * نكو كاربودند وتقصيربين * واعلم انه سبحانه قطع السائرين له وهم المريدون والواصلين اليه وهم المرادون عن رؤية اعمالهم وشهود احوالهم اما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها فانقطعوا اليه برؤية تقصيرهم واما الواصلون فلانه غيبتهم شهوده عنها لانه الفعال وهم آلة مسخرة ولما دخل الواسطى نيسابور سأل اصحاب الشيخ ابى عثمان المغربى بم يأمركم شيخكم قالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية المحضة هلا امركم بالغيبة عنها بشهود منشئها ومجريها قال القشيرى وانما اراد الواسطى صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجا فى اوطان التقصير او تجويزا للاخلال بادب من الآداب قال النهرجورى من علامة من تولاه الله فى اعماله ان يشهد التقصير فى اخلاصه والغفلة فى اذكاره والنقصان فى صدقه والفتور فى مجاهدته وقلة المراعاة فى فقره فتكون جميع احواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله فى فقره وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه قال الشيخ ابو العباس رضى الله عنه فى اشارة قوله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل يولج المعصية فى الطاعة ويولج الطاعة فى المعصية يطيع العبد الطاعة فيعجب بها ويعتمد عليها ويستصغر من لم يفعلها ويطلب من الله العوض عليها فهذه حسنة احاطت بها سيئات ويذنب الذنب فيلجأ الى الله فيه ويستصغر نفسه ويستعظم من لم يفعله فهذه سيئة احاطت بها حسنات فايتهما الطاعة وايتهما المعصية فعلى السالك ان يجتهد فى الطاعات ولا يغتر بالعبادات لعله يصل الى غاية الغايات فى روضات الجنات * چه زرها بجان سيه در كنند * كه باشد كه روزى مسى زر كنند * يعنى ان المشتغلين بتحصيل صنعة الكيمياء يجعلون دنانير كثيرة تحت التراب اى يبذلونها لتحصيلها ويفرقونها فى اسبابها كى يصير النحاس فى ايديهم ذهبا بحتا ويتشرفوا بوصالها زرازبهر چيزى خريدن نكوست * چه خواهى خريدن به از وصل دوست * فالسعى فى الاعمال انما هو لطلب رضى الله ووصول جنابه وهو الذى يبذل فى طريقه المال والروح لينفتح باب الفتوح قال الشيخ الشاذلى قدس سره فى لطائف المنن واعلموا ان الله اودع انوار الملكوت فى اصناف الطاعات فاى من فاته من الطاعات صنف او اعوزه من الموافقات جنس فقد فقد من النور بمقدار ذلك ولا تهملوا شيأ عن الطاعات ولا تستغنوا من الاوراد بالواردات ولا ترضوا لانفسكم بما رضى به المدعون بحر الحقائق على السنتهم وخلوا انوارها من قلوبهم انتهى فينبغى للعبد ان يواظب على اصناف الطاعات وينساها بعد ما عملها كيلا يبطلها العجب لانه يقال حفظ الطاعة اشد من فعلها لان مثلها كمثل الزجاج يسرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر وكذا الخيرات اذا ازيلت بالمخالفات (وكفلها زكريا) الفعل لله تعالى بمعنى وضمنها الله الى زكريا وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها والكافل هو الذى ينفق على انسان ويهتم باصلاح مصالحه وفى الحديث انا وكافل اليتيم كهاتين وهو زكريا بن اذن بن مسلم بن صدون من اولاد سليمان عليه السلام ابن داود عليه السلام روى ان حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة اى خذوها فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرآئيل وملوكهم

فقال لهم زكريا انا احق بها عندى خالتها فقالوا لا حتى نقرع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر قيل هو نهر الاردن فالقوا فيه اقلامهم التى كانوا يكتبون بها الوحى على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلاث مرات ففى كل مرة يرتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها قال الشيخ فى تفسيره وهو معنى قوله فتقبلها ربها الاية (كلما) اى كل وقت (دخل عليها) اى على مريم (زكريا) فاعل دخل (المحراب) اى فى المحراب قيل بنى لها محرابا فى المسجد اى غرفة تصعد اليها بسلم او المحراب اشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس او كانت مساجدهم تسمى المحاريب روى انه لا يدخل عليها الا هو وحده فاذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكلما دخل (وجد عندها رزقا) اى نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها فى الصيف فاكهة الشتاء وفى الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط (قال) كأنه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الاية فقيل قال (يا مريم انى لك هذا) اى من اين يجيئ لك هذا الذى لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك (قالت) مريم وهى صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب قيل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى وهو فى المهد (هو من عند الله) فلا تعجب ولا تستبعد (ان الله يرزق من يشاء) ان يرزقه (بغير حساب) اى بغير تقدير لكثرته او بلا محاسبة او من حيث لا يحتسب وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون فى محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستأنف وفى الاية دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتأسيسا لرسالته عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وسلم انه جاع فى زمن قحط فاهدت له فاطمة رضى الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة بنى اسرآئيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والحسنين رضى الله عنهم وجمع اهل بيته عليه فاكلوا وشبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت فاطمة رضى الله عنها على جيرانها وقد ظهر على السلف رضى الله عنهم من الصحابة والتابعين ثم على من بعدهم من الكرامات قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اكبر الكرامات ان تبدل خلقا مذموما من اخلاقك قال الشيخ ابو العباس رحمه الله ليس الشان من تطوى له الارض فاذا هو بمكة وغيرها من البلدان انما الشأن من تطوى عنه اوصاف نفسه وقيل لابى يزيد ان فلانا يمشى على الماء قال الحوت اعجب منه اذ هو شأنه فقيل له ان فلانا يمشى فى الهوآء قال الطير اعجب من ذلك اذ هو حاله قيل له كان فلان يمشى الى مكة ويرجع من يومه قال ابليس اعجب من ذلك اذ هو حاله تطوى له الارض كلها فى لحظة وهو فى لعنة الله فالطى الحقيقى ان تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة هى اقرب اليك منك لان الارض تطوى لك فاذا انت حيث شئت من البلاد لان هذا ربما جر الى الاغترار وذلك يؤدى للتعلق بالواحد القهار وحكى عن ابى عنوان الواسطى قال انكسرت السفينة وبقيت انا وامرأتى اياما على لوح وقد ولدت فى تلك الحالة صبية فصاحت بى فقالت يقتلنى العطش فقلت هو ذا ترين حالنا فرفعت رأسى فاذا رجل فى الهوآء جالس وفى يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت احمر وقال هاك اشربا قال فاخذت الكوز وشربنا منه فاذا هو اطيب من المسك واحلى من العسل فقلت من انت يرحمك الله قال انا عبد لمولاك فقلت بم وصلت الى هذا فقال تركت هواى لمرضاته فاجلسنى فى الهوآء ثم غاب عنى فلم اره وحج سفيان الثورى مع شيبان الراعى رضى الله عنهما فعرض لهما سبع فقال سفيان لشيبان اما ترى هذا السبع فقال لا تخف واخذ شيبان اذنيه فعركهما فتبصبص وحرك ذنبه فقال سفيان ما هذه الشهرة فقال لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادى الا على ظهره حتى آتى مكة * توهم كردن از حكم داور مپيچ * كه گردن نه پيچد ز حكم تو هيچ * محالست چون دوست دارد ترا * كه در دست دشمن گذارد ترا * (هنالك) اى حيث كان قاعدا عند مريم فى المحراب ولما رأى زكريا عليه السلام حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب فى ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة فى النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك (دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك) اى اعطنى من محض قدرتك من غير وسط معتاد (ذرية طيبة) اى ولدا صالحا مبارك تقيا رضيا مرضيا

والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد والطيب هو الذى تستطاب افعاله
واخلاقه فلا يكون فيه امر يستخبث ويعاب (انك سميع الدعاء) اى مجيبه كما فى قولهم سمع الله لمن حمده وهذا
الان من لم يجب فكانه لم يسمع فان قيل ان زكريا كان عالما ان فى قدرة الله ذلك قبل رؤية حال مريم فهلا سأل قبل
ذلك قلنا قد يزداد الانسان رغبة فى الشئ اذا عاينه وان كان عالما به قبله (فنادته الملائكة) اى جبرائيل وحكم
الواحد من الجنس قد ينسب الى الجنس نفسه نحو فلان يركب الخيل وانما يركب واحدا من افرادها ولما كان
جبرائيل رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له (وهو) حال من مفعول النداء اى والحال ان زكريا عليه السلام
(قائم يصلى فى المحراب) اى فى المسجد او فى غرفة مريم (ان الله) مفعول ثان لنادته اى باذن الله تعالى (يبشرك
بيحيى) اى بولد اسمه يحيى لانه حى به رحم امه ولانه تحيى به المجالس من وعظه والتقدير بولادة ولد اسمه يحيى
فان التبشير لا يتعلق بالاعيان (مصدقا بكلمة من الله) اى بعيسى عليه السلام وانما سمى كلمة لانه وجد بكلمة
كن من غير اب فشابه البديعيات التى هى عالم الامر وهو اول من آمن بعيسى وصدق بانه كلمة الله وروح منه
ويسمى روحا ايضا لانه تعالى احيى به من الضلالة كما يحيى الانسان بالروح قال السدى لقيت ام يحيى ام عيسى
فقالت يا مريم أشعرت بحبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك
قوله تعالى مصدقا الخ وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر ثم قتل يحيى قبل ان رفع عيسى الى السماء (وسيدا)
عطف على مصدقا اى رئيسا يسود قومه ويفوقهم فى الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم
بمعصية فيالها ما اسناها (وحصورا) اى مبالغا فى حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة روى انه مر
فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت والحصور الممتنع من النساء مع القدرة عليهن وقد تزوج
مع ذلك ليكون اغض لبصره (ونبيا) اى يوحى اليه اذا بلغ هو مبلغه (من الصالحين) اى ناشئا منهم لانه كان
من اصلاب الانبياء عليهم السلام والصلاح صفة تنتظم الخير كله والمراد به هنا ما فوق الصلاح الذى لا بد منه
فى منصب النبوة البتة من اقاصى مراتبه (قال) عند نداء الملائكة اياه وبشارتهم له بالولد بالاستفهام متعجبا
من حيث العادة ومسرورا بالولد (رب انى يكون لى) اى كيف يحصل لى (غلام) وفيه دلالة على انه اخبر بكونه
غلاما عند التبشير (وقد بلغنى الكبر) اى ادركنى كبر السن واثر فى وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث
كونه من طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون
(وامرأتى عاقر) اى ذات عقر وعقيم لا تلد (قال) اى الله (كذلك) اشارة الى مصدر يفعل فى قوله تعالى
(الله يفعل ما يشاء) اى ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدأ ويفعل خبره
والكاف فى محل النصب على انها فى الاصل نعت لمصدر محذوف اى الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك
الفعل العجيب والصنع البديع الذى هو خلق الولد من شيخ فانى وعجوز عاقر (قال رب اجعل لى آية) اى علامة
تدلنى على تحقق المسئول او وقوع الحبل وانما سألها لان العلوق امر خفى لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه
ليتلقى تلك النعمة الجليلة منه حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا (قال آيتك) اى
علامة حدوث الولد (الا تكلم الناس) اى ان لا تقدر على تكليمهم (ثلاثة ايام) اى متوالية مع لياليها فان
ذكر الليالى او الايام يقتضى دخول الاخرى فيها لغة وعرفا وانما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله وشكره
قضاء لحق النعمة (الا رمزا) اى اشارة بيد او رأس او نحوهما وسمى الرمز كلاما لانه يؤدى ما يؤدى الكلام
ويفهم منه ما يفهم من الكلام فلهذا جاز الاستثناء المتصل منه ثم امره تعالى بذكره لعدم منعه عن ذكر الله
فقال (واذكر ربك) اى فى ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام (كثيرا) اى ذكرا كثيرا (وسبح بالعشى)
اى سبحه تعالى اى من الزوال الى الغروب (والابكار) من طلوع الفجر الى الضحى قال الامام فى قوله تعالى واذكر
ربك كثيرا فيه قولان احدهما انه تعالى امر بحبس لسانه عن امور الدنيا الا رمزا فاما فى الذكر والتسبيح فقد كان
لسانه جيدا وكان ذلك من المعجزات الباهرة والقول الثانى ان المراد منه الذكر بالقلب وذلك لان المستغرقين
فى بحار معرفة الله تعالى عادتهم فى اول الامر ان يواظبوا على الذكر اللسانى مدة فاذا امتلأ القلب من نور ذكر
الله سكتوا باللسان وبقى الذكر بالقلب ولذلك قالوا من عرف الله كل لسانه فكان زكريا عليه السلام
امر بالسكوت باللسان وبالاستحضار معانى الذكر والمعرفة واستدامتها انتهى واعلم ان الذكر على مراتب والذكر

اللسانى

اللسانى بالنسبة الى الذكر القلبى تنزل روى ان عيسى عليه السلام حين ترقى الى اعلى مراتب الذكر جاءه
ابليس فقال يا عيسى اذكر الله فتعجب عيسى من امره بالذكر مع ان جبلته على المنع منه ثم ظهر انه اراد
ان يغويه وينزله من مرتبة الذكر القلبى الى مرتبة الذكر اللسانى وذلك كان تنزلا بالنسبة الى مقامه عليه
السلام فعلى العاقل ان يداوم على الاذكار آناء الليل واطراف النهار فان الذكر يدفع هوى النفس فاذا اطرد
ذلك من الباطن فلا سبيل للشيطان ايضا فى الظاهر فتغلق ابواب المنهيات بالكليات ويتصفى القلب ولا يتكدر
يا بى بيفشان آزا يينه كرد * كه صيقل نكير وچوزنكار خورد * قال القشيرى فذكر اللسان به
يصل العبد الى استدامة ذكر القلب والتأثير للذكر فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه
فى حال سلوكه قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ما من يوم الا والجليل سبحانه ينادى عبدى ما انصفتنى
اذكرك وتنسانى وادعوك الى وتذهب الى غيرى واذهب عنك البلايا وانت معتكف على الخطايا يا ابن آدم
ما تقول غدا اذا جئتنى وقال الحسين افتقدوا الحلاوة فى ثلاثة اشياء فى الصلاة والذكر والقرآءة فان وجدتم والا
فاعلموا ان الباب مغلق قيل اذا تمكن الذكر من القلب فان دنا منه الشيطان صرخ كما يصرخ الانسان اذا دنا
منه الشيطان فيجتمع عليه الشياطين فيقولون ما لهذا فيقول قد مسه الانس قال بعضهم وصف لى ذاكر
فى اجمة فاتيته فبينما هو جالس اذا سبع عظيم ضربه ضربة واستلب منه قطعة فغشى عليه وعلى فلما افقت
قلت ما هذا فقال قيض الله هذا السبع لى فكلما داخلتنى فترة عضنى كما رأيت اوصلنا الله واياكم الى مرتبة
اليقين وشرفنا بمقام التمكين واذاقنا حلاوة الذكر فى كل حين وادخلنا الجنة المعنوية مع عباده الصالحين
اجمعين (واذ قالت الملائكة) اى اذكر وقت قول الملائكة وهو جبريل بدلالة قوله تعالى فى سورة مريم فارسلنا
اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا اى سوى الخلق لتستأنس به وانما جمع تعظيما له لانه كان رئيس الملائكة (يا مريم)
وكلام جبريل معها لم يكن وحيا اليها فان الله تعالى يقول وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ولا نبوة
فى النساء بالاجماع فكلمها شفاها كرامة لها وكرامات الاولياء حق او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام
وهو من الرهص بالكسر وهو الصف الاسفل من الجدار وفى الاصطلاح ان يتقدم على دعوى النبوة ما يشبه
المعجزة كاظلال الغمام لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم الحجر والمدر والرمى بالشهب وقصة الفيل وغير
ذلك (ان الله اصطفاك) اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى ورباك فى حجر زكريا
عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية (وطهرك) من الكفر والمعصية ومن الافعال
الذميمة والعادات القبيحة ومن مسيس الرجال ومن الحيض والنفاس قالوا كانت مريم لا تحيض ومن تهمة
اليهود وكذبهم بانطاق الطفل (واصطفاك) آخرا (على نساء العالمين) بانه وهب لك عيسى عليه السلام من
غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما آية للعالمين (يا مريم اقنتى لربك) اى قومى فى الصلاة واطيلى
القيام فيها له تعالى (واسجدى واركعى مع الراكعين) امرت بالصلاة بالجماعة بذكر اركانها القنوت وهو طول
القيام والسجود والركوع مبالغة فى ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على
الركوع اما لكون الترتيب فى شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلاة واقصى مراتب
الخضوع ولا يقتضى ذلك كون الترتيب الخارجى كذلك بل اللائق به الترقى من الادنى الى الاعلى واما ليقترن
اركعى بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع فى صلاتهم ليسوا مصلين قيل لما امرت بذلك قامت فى الصلاة
حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا (ذلك) اى ما ذكرنا فى القصص من حديث حنة ومريم وعيسى وزكريا
ويحيى (من انباء الغيب) اى من اخبار الغيب لا يوقف عليها الا بمشاهدة او قرآءة كتاب او تعلم من عالم او بوحى
من عند الله تعالى وانعدمت الثلاثة الاول فتعينت الرابعة وهو الوحى (نوحيه اليك) اى ننزله عليك دلالة على
صحة نبوتك والزاما على من يحاجونك من الكفار والوحى فى القرآن لمعان للارسال الى الانبياء قال تعالى
نوحى اليهم والالهام قال تعالى واوحينا الى ام موسى والقاء المعنى المراد قال تعالى بان ربك اوحى لها وللاشارة
قال تعالى فاوحى اليهم ان سبحوه بكرة وعشيا واصل ذلك كله الاعلام فى خفاء (وما كنت لديهم) اى عند الذين
اختلفوا وتنازعوا فى تربية مريم وهو تقرير لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه اى انهم عالمون لا يشكون
انك لم تقرأ كتابا ولم تصحب من علم تلك الانباء حتى تسمع منهم فلم يبق الا المشاهدة وهى منتفية بالضرورة فكانهم

ادّعوا هذا المحال لكونه يلزم من انكارهم الوحى اى ان لم يكن بالوحى كما زعموا فلابد من دعوى المشاهدة ولم يمكن قال ابن الشيخ فى حواشيه كانه قيل ايها المنكرون لان اوحى اليه والمتهمون فى دعوى نبوته ليس لكم فى سبب الاتهام سوى احتمال المشاهدة والعيان وانه غاية السفاهة ونهاية الخذلان ومن اضل ممن عدل عن الاحتمال الثابت بالمعجزات الساطعة والبراهين القاطعة الى احتمال لايذهب اليه وهم احد واى حالة ادعى الى الضحك والاستهزآء والسخرية من حال هؤلاء انتهى (اذ يلقون اقلامهم) التى كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها (ايهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ينظرون اوليعلموا ايهم يكفلها (وما كنت لديهم اذ يختصمون) اى فى شأنها تنافسا فى كفالتها وقد ذكر فيما سبق وفى الاية دلالة على فضيلة مريم حيث اصطفاها الله على نساء العالمين فان جميع ماذكر من التربية الجسمانية اللائقة بحال صغرها والتربية الروحانية الشرعية المتعلقة بحال كبرها لم يتفق لغيرها من الاناث وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية حديث حسن يوافق الاية فى الدلالة على ان مريم افضل من جميع نساء العالمين وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليه السلام وآسية امرأة فرعون وهو يدل على ان هؤلاء الاربع افضل من سائر النساء واعلم ان اهل الكمال من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير هذه الاربع ومعنى الكمال التناهى فى الفضائل والبر والتقوى وحسن الخصائل والكمال فى شئ ما يكون حصوله للكامل اولى من غيره والنبوة ليست اولى للنساء لان مبناها على الظهور والدعوة وحالهن الاستتار ولا تكون النبوة فى حقهن كمالا بل الكمال فى حقهن الصديقية وهى قريب من النبوة والصديق من صدق فى جميع اقواله وافعاله واحواله فمن النساء كاملات عارفات واصلات الى مقام الرجال فهن رجال فى المعنى وسئل بعضهم عن الابدال فقال اربعون نفسا فقيل له لم لا تقول اربعون رجلا فقال لان فيهم النساء قال بعضهم

ولو كان النساء كمن ذكرنا * لفضلت النساء على الرجال

فلا التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

ويناسب هذا ما حكى ان ام محمد والدة الشيخ ابى عبد الله ابن الخفيف رحمهما الله تعالى كانت من العابدات القانتات وكان ابنها ابو عبد الله يحيى العشر الاخيرة من رمضان ليدرك ليلة القدر ومن دأبه الملازمة الى الصلاة فوق البيت وكانت والدته متوجهة الى الله فى البيت فليلة اخذ ان تظهر انوار ليلة القدر فنادت لابنها ان يا محمد ان الذى تطلبه هو عندنا فتعال فنزل الشيخ فرأى الانوار فخر على قدم امه وكان يقول علمت قدر والدتى منذ شاهدت فهذه هى حال والدته فانظر كيف ارشدت ابنها وكيف تفوقت عليه فى الفضل والشرف مع كثرة رياضته واجتهاده ايضا فظهر ان من النساء من هى افضل من الرجال وذلك بالوصول الى جناب القدس وليس ذلك الا بحسن الاستعداد والهداية الخاصة من الله تعالى اسعدنا الله واياكم ونعوذ بالله من نساء زماننا حيث لا يرى فيهن من هى من اهل التقوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صنفان من اهل النار لم ارهما) يعنى فى عصره عليه السلام لطهارة ذلك العصر بل حدثا بعده (قوم معهم سياط) يعنى احدهما قوم فى ايديهم سياط جمع سوط (كاذناب البقر يضربون بها الناس) وهم الذين يضربون بها السارقين عراة او الطوافون على ابواب الظلمة كالكلاب يطردون الناس عنها بالضرب والسباب (ونساء) يعنى ثانيهما نساء (كاسيات) فى الحقيقة (عاريات) فى المعنى من لباس التقوى (مميلات) اى قلوب الرجال الى الفساد (مائلات) اى الى الرجال (رؤسهن كاسنمة البخت) يعنى يعظمن رؤسهن بالخمر والقلنسوة حتى تشبه اسنمة البخت (المائلة) من الميل لان اعلى السنام يميل لكثرة شحمه (لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) اى يوجد من مسيرة اربعين عاما (اذ قالت الملائكة) بدل من واذ قالت الملائكة منصوب بناصبه والمراد بالملائكة جبريل وجمع تعظيما له وقدمر (يامريم ان الله يبشرك) اى يفرحك (بكلمة) كائنة (منه) عزوجل واطلق على عيسى لفظ الكلمة بطريق اطلاق السبب على المسبب لان سبب ظهوره وحدوثه هو الكلمة الصادرة منه تعالى وهى كن وحدوث كل مخلوق وان كان بسبب هذه الكلمة لكن السبب المتعارف للحدوث لما كان مفقودا فى حق عيسى عليه السلام كان استناد حدوثه الى الكلمة اتم واكمل فجعل عليه السلام بهذا الاعتبار كانه نفس الكلمة (اسمه)

اى اسم المسمى بالكلمة فالكلمة عبارة عن مذكر (المسيح) لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك (عيسى) بدل من المسيح معرب من ايشوع (ابن مريم) صفة لعيسى وتوجه الخطاب الى مريم يقتضى ان يقال عيسى ابنك الا انه قيل عيسى ابن مريم تنبيها على ان الابناء ينسبون الى الاباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذى يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وفى التيسير اللقب اذا عرف صار كالاسم (وجيها) حال من الكلمة وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف (فى الدنيا) بالنبوة والتقدم على الناس (والآخرة) بالشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة (ومن المقربين) اى عند ربه بارتفاعه الى السماء وصحبة الملائكة فيها (ويكلم الناس فى المهد وكهلا) اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء عليهم السلام من غير تفاوت يعنى ان تكلمه فى حالة الطفولية والكهولة على حد واحد وصفة واحدة من غير تفاوت بان يكون كلامه فى حال الطفولية مثل كلام الانبياء والحكماء لاشك انه من اعظم المعجزات قال مجاهد قالت مريم اذا خلوت انا وعيسى حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان يسبح فى بطنى وانا اسمع وتكلمه معهم دليل على حدوثه لحدوث الاصوات والحروف روى انه لما بلغ عمره ثلاثين سنة ارسله الله الى بنى اسرآئيل فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفع الى السماء اوجاءه الوحى على رأس ثلاثين سنة فمكث فى نبوته ثلاث سنين واشهرا ثم رفع والكهل من تجاوز الثلاثين الى الاربعين وقارب الشيب من اكتهل النبت قارب اليبس فعلى هذا صح ان يقال انه بلغ سن الكهولة وكلم الناس فيه ثم رفع واما على قول من يقول ان اول سن الكهولة اربعون سنة فلابد ان يقال انه رفع شابا ولا يكلم الناس كهلا الا بعد ان ينزل من السماء فى آخر الزمان فانه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال (ومن الصالحين) هذه الاربعة احوال مقدرة من كلمة والمعنى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وذكر قوله ومن الصالحين بعد ذكر الاوصاف المتقدمة دليل على انه لارتبة اعظم من كون المرء صالحا لانه لا يكون المرء كذلك الا بان يكون فى جميع الافعال والتروك مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل ومعلوم ان ذلك يتناول جميع المقامات فى الدين والدنيا فى افعال القلوب وفى افعال الجوارح (قالت) مريم متضرعة الى ربها (رب انى يكون) اى كيف يكون او من اين يكون (لى ولد) على وجه الاستبعاد العادى والتعجب من استعظام قدرة الله فان البشرية تقتضى التعجب مما وقع على خلاف العادة اذ لم تجر عادة بان يولد ولد بلا اب (ولم يمسسنى بشر) آدمى وسمى بشرا لظهوره وهو كناية عن الجماع اى والحال انى على حالة منافية للولد (قال) اى الله عزوجل او جبريل عليه السلام (كذلك) اشارة الى مصدر يخلق فى قوله عزوجل (الله يخلق مايشاء) ان يخلقه اى الله يخلق مايشاء ان يخلقه خلقا مثل ذلك الخلق العجيب والاحداث البديع الذى هو خلق الولد من غير اب فالكاف فى محل النصب على انها فى الاصل نعت لمصدر محذوف (اذا قضى امرا) اى اراد شيأ واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشئ لايجابه اياه البتة (فانما يقول له كن فيكون) من غير ريث وهو تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تأتى المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما علم فيها من اطاعة المأمور المطيع للآمر القوى المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شئ من الاسباب والمواد قال ابن عباس رضى الله عنه ان مريم رضى الله عنها كانت فى غرفة قد ضربت دونها سترا اذا هى برجل عليه ثياب بيض وهو جبريل تمثل لها بشرا سويا اى تام الخلق فلما رأته قالت اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ثم نفخ فى جيب درعها حتى وصلت النفخة الى الرحم فاشتملت قال وهب وكان معها ذو قرابة يقال له يوسف النجار وكان يوسف هذا يستعظم ذلك فاذا اراد ان يتهمها ذكر صلاحها واذا اراد ان يبرئها رأى ما ظهر عليها فكان اول ما كلمها ان قال لها قد دخل فى صدرى شئ اردت كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت الكلام اشفى لصدرى قالت قل قال فحدثينى هل ينبت الزرع من غير بذر قالت نعم قال فهل ينبت شجر من غير اصل قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر يومئذ انما صار من الزرع الذى انبت

الله من غير بذر ألم تعلم ان الله خلق آدم وحوآء من غير انثى ولا ذكر فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه ان الذى بها شئ اكرمها الله به روى ان عيسى عليه السلام حفظ التوراة وهو فى بطن امه وكانت مريم تسمع عيسى وهو يدرس فى بطنها ثم لما شرف عالم الشهود اعطاه الله الزهادة فى الدنيا فانه كان يلبس الشعر ويتوسد الحجر ويستنير القمر وكان له قدح يشرب فيه الماء ويتوضأ فيه فرأى رجلا يشرب بيده فقال لنفسه يا عيسى هذا ازهد منك فرمى القدح وكسره واستظل يوما فى ظل خيمة عجوز فكان قد لحقه حر شديد فخرجت العجوز فطردته فقام وهو يضحك فقال يا امة الله ما انت اقمتنى وانما اقامنى الذى لم يجعل لى نعيما فى الدنيا ولما رفع الى السماء وجد عنده ابرة كان يرقع بها ثوبه فاقتضت الحكمة الالهية نزوله فى السماء الرابعة وفيه اشارة الى ان السالك لا بد وان ينقطع عن كل ما سوى الله ويتجرد عن العوآئق حتى يسير مع الملأ الاعلى ويطير الى مقام قاب قوسين او ادنى وروى ان موسى عليه السلام ناجى ربه فقال اللهم ارنى وليا من اوليائك فاوحى الله تعالى اليه ان اصعد الى جبل كذا وادخل زاوية كذا فى كهف كذا حتى ترى ولي ففعل فرأى فيه رجلا ميتا توسد بلبنة وفوق عورته خرقة وليس فيه شئ غيره فقال اللهم سألتك ان ترينى وليك فاريتنى هذا فقال هذا هو ولي فوعزتى وجلالى لا ادخله الجنة حتى احاسبه باللبنة والخرقة من اين وجدها فخال اولياء الله الافتخار بالفقر وترك الدنيا والصبر على ما قدره الله

صبر باشد مشتهاى زيركان * هست حلوا آرزوى كودكان * هركه صبر آورد كردون بررود * هركه حلوا خورد واپس تررود *

فالقوة الروحانية التى بها يصير الانسان كالملائكة انما تحصل بالصبر عن المشتهيات فانظر الى حال عيسى عليه السلام يكفيك فى هذا اعتبارا ومن الله التوفيق الى الاعراض عن حطام الدنيا وقطع التعلق من الدارين قطعا (ويعلمه) كلام مستأنف اى ويعلم الله عيسى (الكتاب) اى الكتابة والخط بالقلم بالالهام والوحى وكان احسن الناس خطا فى زمانه (والحكمة) اى العلوم العقلية والشرعية وتهذيب الاخلاق لان كمال الانسان فى ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ومجموعهما هو المسمى بالحكمة (والتوراة والانجيل) فيحفظهما عن ظهر القلب وهذا الكلام اعنى يعلمه الخ سيق تطييبا لقلب مريم وازاحة لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زوج (و) يجعله (رسولا الى بنى اسرآئيل) اى يكلمهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين وكان اول انبياء بنى اسرآئيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام (انى قد جئتكم) معمول لرسول لما فيه من معنى النطق اى رسولا ناطقا بانى قد جئتكم ملتبسا (بآية) عظيمة كائنة (من ربكم) وهى ما ذكر بعده من خلق الطير وغيره (انى اخلق) بدل من انى قد جئتكم اى اقدر واشكل لانه قد ثبت ان العبد لا يكون خالقا بمعنى التكوين والابداع فوجب ان يكون بمعنى التقدير والتسوية (لكم) اى لاجلكم بمعنى التحصيل لايمانكم ورفع تكذيبكم اياى (من الطين) شيأ (كهيئة الطير) اى مثل صورة الطير (فانفخ فيه) الضمير للكاف اى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير (فيكون طيرا) حيا طيارا كسائر الطيور (باذن الله) بامره تعالى اشار بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لا منه لان الله هو الذى خلق الموت والحياة فهو يخلق الحياة فى ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى عليه السلام فيه على سبيل اظهار المعجزات روى ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الله قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اعجب من سائر الخلق ومن عجائبه انه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الحيوان من الطيور ويكون له الضرع ويخرج منه اللبن ولا يبصر فى ضوء النهار ولا فى ظلمة الليل وانما يرى فى ساعتين ساعة بعد غروب الشمس وساعة بعد طلوع الفجر قبل ان يسفر جدا ويضحك كما يضحك الانسان وله اسنان ويحيض كما تحيض المرأة ولما دل القرءآن على ان عيسى عليه السلام انما تولد من نفخ جبريل فى مريم وجبريل روح محض وروحانى محض فلا جرم كانت نفخة عيسى سببا للحياة والروح (وابرئ) اى اشفى واصحح (الاكمه) اى الذى ولد اعمى قال الزمخشرى لم يوجد فى هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسى صاحب التفسير (والابرص) وهو الذى به برص اى بياض فى الجلد يتطير به واذا استحكم فلا برء له ولا يزول بالعلاج ولم تكن العرب تنفر من شئ نفرتها منه وانما خصهما بالذكر للشفاء لانهما مما اعيى الاطباء فى تداويهما وكانوا فى غاية

الحذاقة فى زمن عيسى عليه السلام وسألوا الاطباء عنهما فقال جالينوس واصحابه اذا ولد اعمى لا يبرأ بالعلاج وكذا الابرص اذا كان بحال لو غرزت الابرة فيه لا يخرج منه الدم لا يقبل العلاج فرجعوا الى عيسى وجاؤا بالاكمه والابرص فمسح يده بعد الدعاء عليهما فابصر الاعمى وبرئ الابرص فامن به البعض وجحد البعض وقالوا هذا سحر وروى انه ابرأ فى يوم واحد خمسين الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وكان يداويهم بالدعاء وحده على شرط الايمان ثم قال عيسى عليه السلام (واحيى الموتى باذن الله) فسألوا جالينوس عنه فقال الميت لا يحيى بالعلاج فان كان هو يحيى الموتى فهو نبى وليس بطبيب فطلبوا ان يحيى الموتى فاحيى اربعة انفس احيى العازر وكان صديقا له فارسل اخته الى عيسى ان اخاك العازر يموت فأته فكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة ايام فاتاه هو واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو فى صخرة مطبقة فقال عيسى عليه السلام اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك ارسلتنى الى بنى اسرآئيل ادعوهم الى دينك واخبرهم انى احيى الموتى فاحى العازر فقام العازر وودكه يقطر فخرج من قبره وبقى وولد له واحيى ابن عجوز مر به ميتا على عيسى على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله فبقى وولد له واحيى ابنة العاشر الذى يأخذ العشور وقيل له احيها وقد ماتت امس فدعا الله تعالى فعاشت وبقيت وولد لها فقالوا تحيى من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة فاحى لنا سام بن نوح فقال عيسى دلونى على قبره فخرج والقوم معه حتى انتهى الى قبره فدعا الله تعالى بالاسم الاعظم فخرج من قبره وقد شاب رأسه فقال عيسى كيف شاب رأسك ولم يكن فى زمانك شيب قال يا روح الله لما دعوتنى سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان القيامة قد قامت فمن هول ذلك شاب رأسى فسأله عن النزع فقال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتى وقد كان من وقت موته اكثر من اربعة آلاف سنة فقال للقوم صدقوه فانه نبى فامن به بعضهم وكذبه آخرون ثم قال له مت قال بشرط ان يعيذنى الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل ثم طلبوا آية اخرى دالة على صدقه فقال (وانبئكم بما تأكلون) من انواع المآكل (وما تدخرون) اى وما تخبئون للغد (فى بيوتكم) فكان يخبر الرجل بما اكل قبل وبما يأكل بعد ويخبر الصبيان وهو فى المكتب بما يصنع اهلهم وبما يأكلون ويخبئون لهم وكان الصبى ينطلق الى اهله ويبكى عليهم حتى يعطوه ما خبأوا له ثم قالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع هذا الساحر وجمعوهم فى بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا فى هذا البيت فقال فمن فى هذا البيت قالوا خنازير فقال عليه السلام كذلك يكونون فاذا هم خنازير (ان فى ذلك) اى ما ذكر من الخوارق والامور العظام (لآية) عظيمة (لكم) دالة على صحة رسالتى دلالة واضحة (ان كنتم مؤمنين) انتفعتم بها (ومصدقا) اى قد جئتكم ملتبسا بآية الخ ومصدقا (لما بين يدى) اى لما تقدمنى (من التوراة) اى موافقا على ما كان قبلى (و) جئتكم (لاحل لكم) لان ارخص لكم (بعض الذى حرم عليكم) اى فى شريعة موسى عليه السلام من لحوم السمك ولحوم الابل والشحوم والثروب جمع ثرب وهو شحم رقيق يتصل بالامعاء ولحم كل ذى ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا صيصية له وهى شوكة الحائك التى بها يسوى السدا واللحمة (وجئتكم) ملتبسا (بآية من ربكم) ببرهان بين شاهد على صحة رسالتى (فاتقوا الله) فى عدم قبولها ومخالفة مدلولها (واطيعون) فيما آمركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الآية هى قوله (ان الله ربى وربكم فاعبدوه) ولا تعصوه بالشرك (هذا) اى الايمان بالله ورسوله والطاعة (صراط مستقيم) طريق سوى يؤدى صاحبه الى الجنة وهو الحق الصريح الذى اجمع عليه الرسل قاطبة فتكون آية بينة على انه عليه السلام من جملتهم فقوله ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه يلازم الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم قل آمنت ثم استقم فالعلم والعمل من مبادى الاستقامة فعليك بالتمسك بالحجة القوية وسئل الجنيد كيف السبيل الى الانقطاع الى الله فقال بتوبة تزيل الاصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل وذكر الله تعالى على اختلاف الاوقات واهانة النفس بقربها من الاجل وبعدها من الامل قيل له فبماذا يصل العبد

الى هذا فقال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد وقال الحسن البصرى رضى الله عنه ما طلب رجل هذا الخير يعنى
الجنة الا اجتهد ونحل وذبل واستمر واستقام حتى يلقى الله تعالى اما ترى الى قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا واعلم ان الاستقامة لا يطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم
والعادات والقيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن احدكم
كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل قيل ولا يصح رفع الهمة عن الحظوظ جملة
لان ذلك مكابرة مع الربوبية وانما المراد ان لا يطلب بالعمل فعلامة العبد الاديب ان يستمر على الطاعة فى باب
مولاه ولا ينظر الى شئ سواه لا الى الجنة ولا الى النار فاذا جرد عمله وتوحيده عن الاغراض فقد استقام واتخذ
الصراط المستقيم مذهبا والارشاد الى هذا الطريق انما يفيد لمن كان له استعداد ازلى وقابلية اصلية فبالتربية
يصير العبد قابل انوار الصفات الالهية ويخرج من الظلمات البشرية فعليك بخدمة الكاملين والاستقامة
فى طريق اليقين * زخود بهترى جوى وفرصت شمار * كه باچون خودى كم كنى روز كار * وفى الاتباع
شرف عظيم قال تعالى مخاطبا لحبيبه عليه السلام فبهداهم اقتده وطاعة الرسول واتباعه من لوازم تقوى الله
تعالى الا ترى الى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام فاتقوا الله واطيعون فاذا داوم العبد الاتباع يصل
الى الاستقامة فانها ليست مما يحصل فى اول الامر (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره العزيز)
سالها بايد كه اندر آفتاب * لعل يابد رنك ورخشانى وتاب (فلما) الفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع
ما قالته الملائكة وخروجه من القوة الى الفعل كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت
(احس عيسى) احس استعارة للعلم اليقينى الذى لا شبهة فيه كالاحساس وهو وجدان الشئ بالحاسة كانه قيل
فلما علم (منهم الكفر) علما لا شبهة فيه كما يدرك بالحواس من الضروريات منهم الكفر اى من بنى اسرائيل
وارادوا قتله وانهم لا يزدادون على رؤية الآيات الا الاصرار على الجحود (قال) لخاص اصحابه مستنصرا على
الكفار (من انصارى) الانصار جمع نصير (الى الله) متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اى من انصارى متوجها
الى الله ملتجئا اليه ومن اعوانى على اقامة الدين (قال الحواريون) جمع حوارى يقال فلان حوارى فلان
اى صفوته وخاصته وهم اثنا عشر بعضهم من الملوك وبعضهم من صيادى السمك وبعضهم من القصارين
وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام واعوانه والمخلصين
فى محبته وطاعته (نحن انصار الله) اى انصار دينه ورسوله قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم والله ينصر من
ينصر دينه ورسله (آمنا بالله) استئناف جارى مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه
والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه (واشهد بانا مسلمون) مخلصون فى الايمان منقادون لما تريد منا
نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك يوم القيامة يوم تشهد الرسل عليهم السلام لامهم ايذانا بان
مرمى غرضهم السعادة الاخروية (ربنا آمنا بما انزلت) من الانجيل على عيسى وهو تضرع الى الله تعالى وعرض
لهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة فى اظهار امرهم (واتبعنا الرسول) اى عيسى على دينه
فى كل ما يأتى ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع فى النصرة دخولا اوليا (فاكتبنا مع الشاهدين)
اى مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم
فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا وفيه اشارة الى ان كتاب الابرار انما يكون
فى السموات مع الملائكة قال تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين فاذا كتب الله ذكرهم مع الشهداء المؤمنين
كان ذكرهم مشهورا فى الملأ الاعلى وعند الملائكة المقربين (ومكروا) اى الذين علم عيسى كفرهم من اليهود
بان وكلوا به من يقتله غيلة وهو ان يخدعه فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله (ومكر الله) بان رفع
عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل (والله خير الماكرين) اقواهم مكرا وانفذهم كيدا
واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب روى ان ملك بنى اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام امره
ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عليه السلام من تلك الروزنة الى السماء وكساه الله الريش والبسه النور
وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة حول العرش وكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا ثم قال الملك لرجل
خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه السلام عليه فخرج يخبرهم انه ليس

فى البيت فقتلوه وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين
صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم مقاتل عظيم ولما صلب المصلوب جاءت مريم ومعها امرأة
ابرأها الله من الجنون بدعاء عيسى وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله عيسى عليه السلام فجاءهما فقال
على من تبكيان قالتا عليك فقال ان الله رفعنى ولم يصبنى الا خير وان هذا شئ شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام
قال الله لعيسى اهبط الى المجدلانية على موضع فى جبلها فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن احد حزنها
ثم استجمع الحواريين فبثهم اى فاجعلهم متفرقين فى الارض دعاة الى الله فاهبطه الله عليها فاشتعل الجبل
حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم فى الارض دعاة ثم رفعه الله اليه وتلك الليلة هى الليلة التى تدخن فيها
النصارى فلما اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله ومكروا ومكر
الله والله خير الماكرين والمكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة والمكر من الله استدراج العبد واخذه
بغتة من حيث لا يعلم فيا ايها العبد خف من وجود احسان مولاك اليك ودوام اساءتك معه فى دوام لطفه
بك وعطفه عليك ان يكون ذلك استدراجا لك حتى تقف معها وتغتر بها فتفرح بما اوتيت فتؤخذ بغتة
قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال سهل رضى الله عنه فى معنى هذه الاية نمدهم بالنعم
وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابو العباس ابن عطاء يعنى كلما احدثوا
خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ومن جهل المريد بنفسه وبحق ربه ان يسئ
الادب باظهار دعوى او تورط فى بلوى فتؤخر العقوبة عنه امهالا له فيظنه اهمالا فيقول لو كان هذا سوء ادب
لقطع الامداد واوجب الابعاد اعتبارا بالظاهر من الامر من غير تعريج على ما وراء ذلك وما ذاك الا فقد نور
بصيرته او ضعف نورها والا فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر حتى ربما ظن انه متوفر فى عين تقصير
ولو لم يكن من قطع المدد الا منع المزيد لكان قطعا لان من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان قال عليه السلام من
استوى يوماه فهو مغبون ولو لم يكن من الابعاد الا ان يخليك وما تريد فيصرفك عنه بمرادك هذا والعياذ بالله
مكر وخسران وعن ابن حنبل انه كان يوصى بعض اصحابه فقال خف سطوة العدل وارج رقة الفضل ولا تأمن
من مكره تعالى ولو ادخلك الجنة ففى الجنة وقع لابيك آدم ما وقع وقد يقطع باقوام فيها فيقال لهم كلوا واشربوا
هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية فقطعهم بالاكل والشرب عنه واى مكر فوق هذا واى خسران اعظم منه
(اذ قال الله) اى اذكر وقت قول الله (يا عيسى انى متوفيك) اى مستوفى اجلك ومعناه انى عاصمك من ان
يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم (ورافعك) الآن (الى) اى الى
محل كرامتى ومقر ملائكتى وجعل ذلك رفعا اليه للتعظيم ومثله قوله انى ذاهب الى ربى وانما ذهب ابراهيم عليه
السلام من العراق الى الشام وقد يسمى الحاج زوار الله والمجاورون جيران الله وكل ذلك للتفخيم فانه تعالى
يمتنع كونه فى المكان (ومطهرك) اى مبعدك ومنجيك (من الذين كفروا) اى من سوء جوارهم وخبث
صحبتهم ودنس معاشرتهم قيل سينزل عيسى عليه السلام من السماء على عهد الدجال حكما عدلا يكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية فيفيض المال حتى لا يقبله احد ويهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام
ويقتل الدجال ويتزوج بعد قتله امرأة من العرب وتلد منه ثم يموت هو بعد ما يعيش اربعين سنة من نزوله فيصلى
عليه المسلمون لانه سأل ربه ان يجعله من هذه الامة فاستجاب الله دعاءه (وجاعل الذين اتبعوك) وهم المسلمون
لانهم متبعوه فى اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى
(فوق الذين كفروا) وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم
ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة (الى يوم القيامة) غاية للجعل لا على معنى ان الجعل ينتهى حينئذ ويتخلص الكفرة
من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد (ثم الى مرجعكم)
اى رجوعكم بالبعث والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على
الغائب فى ضمن الالتفات فانه ابلغ فى التبشير والانذار (فاحكم بينكم) يومئذ اثر رجوعكم الى (فيما كنتم فيه
تختلفون) من امور الدين (فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا) بالسيف والسبى واخذ الجزية
وايصال الامراض والمصائب فانها من العقوبات فى حق الكافر ومن المثوبات فى حق المؤمن لانها ابتلاء

محض له (والاخرة) بعذاب النار (وما لهم من ناصرين) يخلصونهم من عذاب الله فى الدارين وصيغة الجمع
لمقابلة ضمير الجمع اى ليس لواحد منهم ناصر واحد (واما الذين آمنوا) بما ارسلت به (وعملوا الصالحات) كما هو
ديدن المؤمنين (فيوفيهم اجورهم) اى يعطيهم اجور اعمالهم كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين
مصدرى التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال (والله لا يحب الظالمين) اى يبغضهم
ولا يرضى عنهم (ذلك) اشارة الى ما سلف من نبأ عيسى عليه السلام وغيره (نتلوه عليك) اى نقرأه عليك يا محمد
واسند تلاوته الى نفسه مع ان التالى هو الملك المأمور بها على طريق اسناد الفعل الى السبب الآمر وفيه تعظيم
بليغ وتشريف عظيم للملك وانما حسن ذلك لان تلاوة جبريل لما كان بامره تعالى من غير تفاوت اصلا اضيف
ذلك اليه تعالى (من الآيات) حال من الضمير المنصوب اى من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لانها اخبار
لا يعلمها الا قارئ الكتاب او من يوحى اليه فظاهر انك لا تكتب ولا تقرأ فبقى ان ذلك من الوحى (والذكر)
اى القرآن (الحكيم) اى المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والاشارة ان الله تعالى
قال لعيسى عليه السلام يا عيسى انى متوفيك عن الصفات النفسانية والاوصاف الحيوانية ورافعك الىّ
بجذبات العناية فمن لم يصر فانيا عما سوى الله لا يكون له وصول الى مقام معرفة الله فعيسى لما رفع الى السماء
صارت له حالة كحال الملائكة فى زوال الشهوات والغضب والاخلاق الذميمة فعلى السالك ان ينهى نفسه عن
الهوى ويتبع طريق الهدى ويعتبر بالآيات والذكر الحكيم كى يصل الى النعيم المقيم ويجتنب الظلم فان الله
تعالى قال والله لا يحب الظالمين اى الذين يظلمون على انفسهم بانقضاء العمر فى طلب غير الله * خلاف طريقت
بود كاوليا * تمنا كنند از خدا جز خدا * فاهل الطريقة هم الذين يمحون نقش الغير عن صفحات
القلب ويزكون نفوسهم عن الاوصاف المذمومة فانها مانعة من العروج الى سماء المعرفة وعلو الوصال
(قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره) آن يكى نحوى بكشتى در نشست * رو بكشتيبان نهاد
آن خود پرست * كفت هيچ از نحو خواندى كفت لا * كفت نيم عمر تو شد در فنا * دل شكسته
كشت كشتيبان زتاب * ليك آن دم كرد خامش از جواب * باد كشتى را بكردابى فكند *
كفت كشتيبان بآن نحوى بلند * هيچ دانى آشنا كردن بكو * كفت نى اى خوش جواب خوب رو *
كفت كل عمرت اى نحوى فناست * زانكه كشتى غرق اين كردابهاست * محو مى بايد نه نحو اينجا بدان *
كر تو محوى بى خطر در آب ران * آب دريا مرده را بر سر نهد * ور بود زنده ز دريا كى رهد * چون
بمردى تو ز اوصاف بشر * بحر اسرارت نهد بر فرق سر * فقد ظهر ان الذين يطلبون غير الله هم غرقى فى بحر
الهوى والشهوات لا يقدرون على التصعد الى الاعلى واما الذين تخلصوا عن قشر الوجود ووصلوا بالفناء
عن ذواتهم الى عالم الشهود فهم يطيرون باجنحة انوار حالهم مع الملائكة المقربين لتخلصهم عن الاثقال الدنيوية
والاشغال القالبية والبدنية قال تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اى بالتجرد عن
الهيئات الجسمانية والتعلقات البدنية فانفذوا والتنخرطوا فى سلك الارادة الملكوتية والنفوس الجبروتية وتصلوا
الى الحضرة العلية لا تنفذون الا بسلطان اى بحجة بينة هى التوحيد والتجريد والتفريد بالعلم والعمل والفناء
فى الله تعالى قال عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين والولادة نوعان اضطرارى
بخلق الله تعالى ولا دخل فيه للكسب والاختيار وذلك ظاهر واختيارى يحصل بالكسب وهو الذى اشار اليه
عيسى عليه السلام وفقنا الله واياكم لما يحب ويرضى ويداوى بدواء افضاله هذه النفوس المرضى انه بكل شئ قدير
وبتيسيره يسهل كل امر عسير (ان مثل عيسى) اى شأنه البديع المنتظم لغرابته فى سلك الامثال (عند الله)
اى فى تقديره وحكمه (كمثل آدم) اى كحاله العجيبة التى لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع (خلقه من
تراب) تفسير للمثل لا محل له من الاعراب اى خلق قالب آدم من تراب فان قيل الضمير فى خلقه راجع الى آدم
وحين كان ترابا لم يكن آدم موجودا قلنا لما كان ذلك الهيكل بحيث سيصير آدم عن قريب سماه آدم قبل ذلك
تسمية لما سيقع بالواقع (ثم قال له كن) اى انشأ بشرا (فيكون) والمقتضى ان يقال فكان اى كان كما امره الله
الا انه عدل الى المضارع حكاية للحال التى كان آدم عليها اى تصويرا لذلك الايجاد الكامل بصورة المشاهد
الذى يقع الآن روى ان وفد نجران قدموا المدينة وهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم منهم السيد وهو كبيرهم

واسمه اهيب والعاقب الذى بعده وهو صاحب رأيهم واسمه عبد المسيح والثالث ابو حارثة ابن علقمة الاسقف
وكان فى شرف وخطر عظيم وكان ملك الروم بنى له الكنائس وكان يبعث له بالكرامات فاقبلوا حتى قدموا على
النبى عليه السلام فى مسجد المدينة بعد العصر عليهم ثياب حسان ولهم وجوه جسام فقاموا وصلوا
واستقبلوا قبلتهم واراد اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان يمنعوهم فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم وقد كان
نزل على النبى عليه السلام قبل قدومهم صدر آل عمران لمحاجتهم ثم انتهى ابو حارثة هذا وآخر معه الى النبى
عليه السلام فقال لهما صلى الله عليه وسلم اسلما فقالا اسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم كذبتما يمنعكما
عن الاسلام ثلاث عبادتكما الصليب واكلكما الخنزير وزعمكما ان لله ولدا قالوا يا محمد فلم تشتم صاحبنا عيسى
قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا
هل رأيت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون هو الله فقال صلى الله عليه وسلم
ان آدم عليه السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله تعالى فكذا حال عيسى عليه السلام
فالوجود من غير اب وام اخرق للعادة من الوجود من غير اب فتشبيه الغريب بالاغرب ليكون اقطع لشبهة
الخصم اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه (الحق) اى ما قصصنا عليك من نبأ عيسى وامه هو الحق كائنا
(من ربك) لا قول النصارى انه ابن الله وقولهم ولدت مريم آلها ونحو ذلك (فلا تكن من الممترين) اى من
الشاكين فى ذلك الخطاب للنبى عليه السلام على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت لان النهى عن الشئ
حقيقة يقتضى ان يتصور صدور المنهى عنه من المنهى ولا يتصور كونه عليه السلام شاكا فى صحة ما انزل عليه
والمعنى دم على يقينك وعلى ما انت عليه من الاطمئنان على الحق والتنزه عن الشك فيه قال الامام ابو منصور
رحمه الله العصمة لا تزيل المحنة ولا ترفع النهى (فمن حاجك) اى من النصارى اذهم المتصدون للمحاجة
(فيه) اى فى شأن عيسى عليه السلام وامه زعما منهم انه ليس على الشأن المحكى (من بعد ما جاءك من العلم)
اى ما يوجبه ايجابا قطعيا من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الضلال والغى (فقل)
اى فاقطع الكلام معهم وعاملهم بما يعامل به المعاند وهو ان تدعوهم الى الملاعنة فقل لهم (تعالوا) التعالى
فى الاصل التصاعد كأن الداعى فى علو والمدعو فى سفل فامره ان يتعالى اليه ثم صار ذلك لكل مدعو اين كان
اى هلموا بالرأى والعزيمة لا بالابدان لانهم مقبلون وحاضرون عنده باجسادهم (ندع ابناءنا وابناءكم) اكتفى بهم
عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقهن من جهة اخرى (ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم) اى ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها (ثم نبتهل)
اى نتباهل بان نلعن الكاذب ونقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) عطف
على نبتهل مبين لمعناه روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما خلا بعضهم ببعض قالوا لعبد
المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم
والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة
على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج محتضنا
الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها رضى الله عنه وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال
اسقف نجران اى اعلمهم بامور دينهم وهو ابو حارثة يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو شاء الله تعالى ان يزيل
جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم
رأينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن
لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال فانى اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك
على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفى حلة الف فى صفر والف فى رجب
وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وكتب لهم كتابا بذلك وقال والذى نفسى بيده ان الهلاك
قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران
واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا (ان هذا) اى ما قص من نبأ
عيسى عليه السلام وامه (لهو القصص الحق) دون ما عداه من اكاذيب النصارى (وما من اله) ما اله (الا الله)

صرح فيه بمن الاستغراقية تأكيد للرد على النصارى فى تثليثهم (وان الله لهو العزيز الحكيم) القادر على جميع
المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه فى القدرة والحكمة ليشاركه فى الالوهية (فان تولوا) اى
اعرضوا عن قبول التوحيد والحق الذى قص عليك بعد ما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة (فان الله
عليم بالمفسدين) اى فاقطع كلامك عنهم وفوض امرهم الى الله فان الله عليم بفساد المفسدين مطلع على ما فى
قلوبهم من الاغراض الفاسدة قادر على مجازاتهم واعلم ان لمباهلة الانبياء تأثيرا عظيما سببه اتصال نفوسهم
بروح القدس وتأييد الله اياهم به وهو المؤثر باذن الله فى العالم العنصرى فيكون انفعال العالم العنصرى منه
كانفعال بدننا من روحنا بالهيئات الواردة عليها كالغضب والخوف والسرور والفكر فى احوال المعشوق
وغير ذلك من تحريك الاعضاء عند حدوث الارادات والعزائم وانفعال النفوس الملكية كان تأثيرها فى العالم
عند التوجه الاتصالى تأثيرا ما يتصل به فينفعل اجرام العناصر والنفوس الناقصة الانسانية فيه بما اراد
ألم تر كيف انفعلت نفوس النصارى من نفسه عليه السلام قبل المباهلة بالخوف واحجمت عن المباهلة فطلبت
الموادعة بالجزية كذا فى التأويلات القاشانية وكذا حال الولى اذا دعا على انسان يكون له تأثير بالمرض او الموت
او غير ذلك من البلايا روى ان الشاعر البساطى رأى يوما الشيخ كمال الخجندى فى مجلس الشعراء فقال ازكجايى
از كجايى اى لوند (فقال الشيخ فى جوابه على الفور) از خجندم از خجندم از خجند * ولكنه تأذى من سوء
ادبه ومعاملته معه هكذا وحمله على سكره فقال الغالب ان هذا الشاب سكران فسمعه البساطى وقال بالبداهة
سينه جشميست مردم كش خراب غمزهٔ اويم * ازان در عين هشيارى سخن مستانه ميكويم (ثم قال)
بطريق الهجو له) اى ملحد خجندى ريش بزرك دارى * كزغايت بزركى دهريش ميتوان كفت *
فلما سمعه الشيخ تألم منه تألما شديدا فدعا عليه فى ذلك المجلس فمات من ساعته من تأثير نفسه الشريف فى حقه
فلجانب العاقل اذية الصلحاء فان مكره يعود اليه دونهم قال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله قيل ونعم ما قيل
ناى كند ناله بدين قول راست * از نفس پيرېترس اى جوان * فحفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف
عليهم سبب للترقى الى المطالب العالية وباعث الاحترام والاكرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكرم
شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه قال المشايخ عقوق الاستاذين لا توبة عنه ويحكى عن ابى
الحسن الهمذانى قال كنت ليلة عند جعفر الخالدى وكنت امرت فى بيتى ان يعلق لى طير فى التنور وكان قلبى
معه فقال لى جعفر اقم عندنا الليلة فتعللت بشئ ورجعت الى منزلى فاخرج الطير من التنور ووضع بين يدى
فدخل كلب من الباب وحمل الطير عند تغافل الحاضرين واتى بالجوذاب الذى تحته فتعلق به ذيل الخادمة
فانصب فلما اصبحت دخلت على جعفر فحين وقع بصره على قال من لم يحفظ قلوب المشايخ يسلط عليه كلب
يؤذيه قال الشيخ ابو على الدقاق قدس سره لما نفى اهل بلخ محمد بن الفضل من البلد دعا عليهم وقال اللهم امنعهم
الصدق فلم يخرج من بلخ بعده صديق عصمنا الله واياكم من المخالفة آمين (قل يا اهل الكتاب) اى اليهود
والنصارى (تعالوا) كان عليه السلام حريصا على ايمانهم فامره الله تعالى بان يعدل عن طريق المجادلة
والاحتجاج الى نهج يشهد كل عقل سليم انه كلام مبنى على الانصاف وترك الجدال لا ميل فيه الى جانب حتى يكون
فيه شائبة التعصب فهو كلام ثابت فى المركز نسبته الينا واليكم على سواء واعتدال فقال يا اهل الكتاب تعالوا
اى هلموا والمراد تعيين ما دعوا اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان لان اصل اللفظ
مأخوذ من التعالى وهو الارتفاع من موضع هابط الى مكان عال ثم كثر استعماله حتى صار دالا على طلب التوالى
حيث يدعى اليه (الى كلمة سوآء بيننا وبينكم) لا يختلف فيها الرسل والكتب فيها انصاف من بعضنا لبعض
ولا ميل فيه لاحد على صاحبه وهى (ان لا نعبد الا الله) اى نوحده بالعبادة ونخلص فيها (ولا نشرك به شيأ)
ولا نجعل غيره شريكا فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان نعبده (ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) بان
نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا وبشر
مثلنا وعن الفضيل لا ابالى اطعت مخلوقا فى معصية الخالق او صليت لغير القبلة (فان تولوا) عما دعوتم اليه من
التوحيد وترك الاشراك (فقولوا) اى قل لهم انت والمؤمنون (اشهدوا بانا مسلمون) اى لزمتكم الحجة فاعترفوا
بانا مسلمون دونكم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى قيصر من محمد رسول الله الى هرقل عظيم

الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم اى من السبى فى الدنيا ومن
العذاب فى الآخرة واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى
كلمة سوآء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ الى قوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون وجاء فى الخبر الصحيح
ان هرقل سأل عن حال النبى عليه السلام وعرفها ممن جاء بكتابه فقال لو كنت عنده لقبلت قدميه لمعرفته
صدق النبى عليه السلام لعلاماته المعلومة له من الكتب القديمة لكن خاف من ذهاب الرياسة ثم انه كتب
جواب كتابه عليه السلام انا نشهد انك نبى ولكنا لا نستطيع ان نترك الدين القديم الذى اصطفاه الله لعيسى عليه
السلام فعجب النبى عليه السلام فقال لقد ثبت ملكهم الى يوم القيامة ابدا وكتب الى كسرى ملك فارس فمزق
كتابه ورجع الرسول بعد ما اراد قتله فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مزق الله ملكهم فلا ملك لهم
ابدا فكان كذلك والاشارة فى الآية ان اصول الاديان كلها اخلاص العبودية كما قال تعالى الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيأ يعنى كما لا نعبد الا الله لا نطلب منه غيره ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فى طلب الرزق
ورؤية الامور من الوسائط فان تولوا يعنى من اعرض عن هذا الاصل فقولوا انتم لهم بانا مسلمون مستسلمون
لما دعانا الله اليه من التوحيد والاخلاص فى العبودية ونفى الشرك والسر فى الاشهاد على الاسلام ليشهد الكفار
لهم يوم القيامة على الاسلام والتوحيد كما يشهد لهم المؤمنون كما قال النبى عليه السلام لابى سعيد الخدرى
رضى الله عنه انى اراك تحب الغنم والبادية فاذا كنت فى غنمك وباديتك فاذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء
فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة فيكون شهادة الكفار لهم بالتوحيد
يوم القيامة حجة على انفسهم فالتوحيد هى العروة الوثقى واصل الاصول يهب من جانب الغيب لمن اخلصه
قبول القبول فعلى العاقل ان لا يخالف كتاب الله بالاعراض عن فحاويه وعدم التدبر فى معانيه بل يسلك سبيل
العلم والاعمال ويجتنب الجهل والغى والضلال قبل ان يهال عليه التراب ويلف فى الاكفان من الاثواب
(قال الفاضل عبد الرحمن الجامى قدس سره) پيش كسترى زخردمند حكيمان معرفت * سخن از سخت
ترين موج درين لجهٔ غم * آن يكى كفت كه بيمارى واندوه دراز * وان دكر كفت كه ناداني وپيريست بهم *
سيومين كفت كه قرب اجل وسوء عمل * عاقبت رفت بترجيح سوم حكم حكم * يعنى اجتمع يوما
فى مجلس انوشروان ثلاثة من الحكماء فانجر الكلام الى ان اشد الشدائد ماهو فقال الحكيم الرومى هو
الشيخوخة مع الفقر وقال الحكيم الهندى المرض وعلة البدن مع كثرة الغموم والهموم وقال الحكيم بزرجمهر
هو قرب الاجل وسوء العمل فاتفقوا على قوله رزقنا الله واياكم حلاوة الطاعات وايدنا بتوفيقه قبل قدوم هادم
اللذات آمين (يا اهل الكتاب) من اليهود والنصارى (لم تحاجون) تجادلون (فى) دين (ابراهيم) وشريعته
تنازعت اليهود والنصارى فى ابراهيم عليه السلام وزعم كل واحد منهم انه عليه السلام منهم وترافعوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون انه عليه السلام كان منكم (وما انزلت التوراة) على موسى
عليه السلام (والانجيل) على عيسى عليه السلام (الا من بعده) اى من بعد موته وانتم سميتم باليهودية
والنصرانية بعد نزول الكتاب (افلا تعقلون) اى ألا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم فتجادلون بالجدال
المحال لان بين ابراهيم وموسى الف سنة وبين موسى وعيسى الفى سنة فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث
الا بعد عهده بازمنة متطاولة (ها انتم هؤلاء) جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة
مستأنفة اشعارا بكمال غفلتهم اى انتم هؤلاء الحمقى حيث (حاججتم فيما لكم به علم) من التوراة والانجيل
من نبوة محمد عليه السلام (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) فيما لا ذكر له فى كتابكم ولا علم لكم به من دين ابراهيم
اذ لا ذكر لدينه عليه السلام فى احد الكتابين قطعا (والله يعلم) ما حاججتم فيه فيعلمنا (وانتم لا تعلمون) اى محل
النزاع (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) تصريح بما نطق به البرهان المقرر (ولكن كان حنيفا)
اى مائلا عن العقائد الزائغة كلها (مسلما) اى منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام
والا لاشترك الالزام (وما كان من المشركين) تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله
ورد لادعاء المشركين انهم على ملته عليه السلام (ان اولى الناس بابراهيم) اى ان اخص الناس بدعواه انه على
دين ابراهيم (للذين اتبعوه) فى زمانه (وهذا النبى) اى محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اتبعه

(والذين آمنوا) بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم من هذه الامة لموافقتهم فى اكثر ماشرعه لهم على الاصالة (والله ولى المؤمنين) ينصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم (ودت طائفة من اهل الكتاب) اى احبت (لو) اى ان (يضلونكم) يصرفونكم عن دين الاسلام الى دين الكفر وانما قال طائفة لان من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله (وما يضلون الا انفسهم) جملة حالية جئ بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ماهم عليه من الدين القويم اى وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم (وما يشعرون) اى باختصاص وباله وضرره بهم اعلم انه تعالى لما بين ان من طريقة اهل الكتاب العدول عن الحق والاعراض عن قبول الحجة بين انهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون فى اضلال من آمن بالرسول عليه السلام بالقاء الشبهات فعلى العاقل ان لا يضل عن الطريق القويم بالقاآت كل شيطان رجيم من ضلال الانس والجان اصلحهم الله الملك المنان وماذا بعد الحق الا الضلال قال ابن مسعود رضى الله عنه لما دنا فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعنا فى بيت امنا عائشة رضى الله عنها ثم نظر الينا فدمعت عيناه وقال مرحبا بكم حياكم الله رحمكم الله اوصيكم بتقوى الله وطاعته قد دنا الفراق وحان المنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى يغسلنى رجال اهل بيتى ويكفنوننى فى ثيابى هذه ان شاؤا اوفى حلة يمانية فاذا غسلتمونى وكفنتمونى ضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير لحدى ثم اخرجوا عنى ساعة فاول من يصلى على حبيبى جبريل عليه السلام ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنودهم ثم ادخلوا على فوجا فوجا فصلوا على فلما سمعوا فراقه صاحوا وبكوا وقالوا يا رسول الله انت رسول ربنا وشمع جمعنا وسلطان امرنا اذا ذهبت عنا فالى من نراجع فى امورنا قال تركتكم على المحجة البيضاء اى على الطريق الواسع الواضح ليلها كنهارها فى الوضوح ولا يزيغ بعدها الى غيرها الا هالك وتركت لكم واعظين ناطقا وصامتا فالناطق القرآن والصامت الموت فاذا اشكل عليكم امر فارجعوا الى القرآن والسنة واذا قسا قلبكم فلينوه بالاعتبار فى احوال الاموات * جهان اى بسر ملك جاويد نيست * زدنيا وفادارى اميد نيست * والناس فى الاعتقاد والعمل متفاوتون فمنهم من هو متين كالحصن الحصين لا يزول عما هو عليه وان اتفق الناس فى اضلاله وهو المرتبة القصوى فى باب الدين التى نالها الانبياء والاولياء والافراد من المؤمنين قال على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ولا يطرأ الشك فى المحسوس فكذا ما هو فى حكمه ومنهم من هو ضعيف لا متانة فيه تذروه رياح الهوى حيث شاء بعد ان لم تساعده العناية الازلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كمعادن الذهب والفضة يعنى ان الناس معادن الاعمال والاخلاق والاقوال ولكن يتفاوتون فيها كما تتفاوت معادن الذهب والفضة الى ان تنتهى الى الادنى فالادنى قال فى شرح المصباح وفيه اشارة الى ان ما فى معادن الطباع من جواهر مكارم الاخلاق ينبغى ان تستخرج برياضة النفوس كما يستخرج الجواهر من المعادن بالمقاسات والتعب ولقد اجاد من قال

بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلى سهر الليالى

تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلى

فلابد من الاجتهاد والاستمداد من الابدال والاوتاد لعل الله يسهل سلوك هذا الطريق ويخلص من خطر هذا البحر العميق باری كه آسمان وزمين سر كشيد از آن * مشكل بود بياورئ جسم وجان كشيد * همت قوى كن از مدد رهروان عشق * كان بار را بقوت همت توان كشيد (يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) اى بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وانتم تشهدون) اى والحال انكم تشهدون انها آيات الله (يا اهل الكتاب لم تلبسون) اى تخلطون (الحق بالباطل) المراد بالحق كتاب الله انزله على موسى وعيسى عليهما السلام وبالباطل ما حرفوه وكتبوه بايديهم ويخلط احدهما بالآخر ابراز باطلهم فى صورة الحق بان يقولوا الكل من عند الله تعالى (وتكتمون الحق) اى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (وانتم تعلمون) انه حق ثابت فى كتابكم (وقالت طائفة من اهل الكتاب) وهم رؤساؤهم ومقتدوهم لاعقابهم (آمنوا بالذى) اى اظهروا الايمان بالقرآن الذى (انزل على الذين آمنوا) اى على المسلمين (وجه النهار) اى فى اوله لان اول النهار هو [illegible] كما ان الوجه اول ما يظهر من اعضاء الانسان عند الملاقاة (واكفروا آخره) اى اظهروا ما انتم عليه من الكفر به فى آخر النهار مرائين لهم انكم آمنتم به بادى الرأى

من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الاول فرجعتم عنه (لعلهم) اى المؤمنين (يرجعون) عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك ابن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون (ولا تؤمنوا) اى لا تقروا بتصديق قلبى (الا لمن تبع دينكم) اى لاهل دينكم لا لمن تبع محمدا واسلم لما قالت الطائفة المتقدمة لاتباعهم اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار كان من بقية كلامها لهم انكم لا تصدقوا بحقيقة الاسلام والقرآن بقلوبكم لكن لا تظهروه للمسلمين ولا تقروا بذلك الا لاهل دينكم (قل) يا محمد للرؤساء (ان الهدى هدى الله) يهدى به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه فاذا كانت الهداية والتوفيق من الله فلا يضر كيدكم وحيلكم وهو اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجدى لطائل (ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم) علة بتقدير اللام لفعل محذوف اى قلتم ذلك القول ودبرتم الكيد لان يعطى احد مثل ما اعطيتم من فضل الكتاب والعلم لا لشئ آخر يعنى ما بكم من الحسد صار داعيا لكم الى ان قلتم ما قلتم (او يحاجوكم) عطف على ان يؤتى وضمير الجمع عائد الى احد لانه فى معنى الجمع اى دبرتم ما دبرتم لذلك ولان يحاجوكم عند كفركم بما يؤتى احد من الكتاب مثل كتابكم (عند ربكم) يوم القيامة فيغلبوكم بالحجة فان من آتاه الله الوحى لابد ان يحاج مخالفيه عند ربه (قل ان الفضل) اى الهدى والتوفيق وايتاء العلم والكتاب (بيد الله) اى بقدرته ومشيئته (يؤتيه من يشاء) من عباده (والله واسع) اى كامل القدرة (عليم) اى كامل العلم فلكمال القدرة يصح ان يتفضل على اى عبد يشاء باى تفضل شاء ولكمال علمه لا يكون شئ من افعاله الا على وجه الحكمة والصواب (يختص برحمته) اى يجعل رحمته مقصورة على (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه والاشارة فى تحقيق الآيات ان الحسد وان كان مركوزا فى جبلة الانسان ولكن له اختصاص بعالم يتعلم العلم ليمارى به السفهاء ويباهى به العلماء ويجعله وسيلة لجمع المال وحصول الجاه والقبول عند ارباب الدنيا فيحسد على كل عالم آتاه الله كلمة فهو ينشرها ويفيد الخلق كما قال عليه السلام لا حسد الا فى اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكه فى حق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها اى لا حسد كحسد الحاسد على هذين الرجلين وكان حسد احبار اليهود على النبى عليه السلام من هذا القبيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب قيل يا رسول الله من هم قال الامراء من بعدى بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهل واهل العلم بالحسد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث هن اصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن اياكم والكبر فان ابليس حمله الكبر على ان لا يسجد لآدم (قال المولى الجامى) لاف بى كبرى مزن كان از نشان پاى مور * درشب تاريك برسنك سيه پنهان ترست * وزدرون كردن برون انرا مكبر آسان كزان * كوه را كندن بسوزن از زمين آسان ترست * واياكم والحرص فان آدم حمله الحرص على ان اكل من الشجرة (وقال ايضا) درهر دلى كه عز قناعت نهاد پاى * از هر چه بود حرص وطمع را ببست دست * هرجا كه عرضه كرد قناعت متاع خويش * بازار حرص ومعركه آز را شكست * واياكم والحسد فان ابنى آدم انما قتل احدهما صاحبه حسدا (قال الشيخ السعدى) توانم انكه نيازارم اندرون كسى * حسود را چه كنم كوز خود برنج درست * بمير تا برهى اى حسود كين رنجيست * كه از مشقت آن جز بمرك نتوان رست * وقال الاصمعى رأيت اعرابيا اتى عليه مائة وعشرون سنة فقلت ما طول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وفى بعض الآثار ان فى السماء الخامسة ملكا يمر به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول قف فانا ملك الحسد اضربوا به وجه صاحبه فانه حاسد وقيل من علامات الحاسد ان يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة اذا نزلت وانشدوا) (واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود * لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود) (فالحسد من الاخلاق المذمومة للنفس فلابد من ازالته عنها بكثرة التوحيد والاذكار ورؤية الآثار من الله الجبار فان تباين مقامات افراد الانسان فى العلم والعمل والخلق وسائر الصفات الفاضلة رحمة لهم ولم يكن ذلك الا بتقدير العزيز العليم فى الازل فالحاسد يسفه الحق سبحانه وانه انعم على من لا يستحق تعالى الله عما يقول الظالمون وقد ذم الله الحاسدين فى كتابه قال تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله واما الغبطة فهى محمودة نسأل الله

ان يحلينا بالصفات الشريفة والاخلاق اللطيفة ويخلينا عن الرذائل النفسية آمين يارب العالمين (ومن اهل
الكتاب من ان تأمنه بقنطار) يقال امنته بكذا فالباء للالصاق بالامانة فان من ائتمن على شئ صار ذلك الشئ
فى معنى الملصق به لقربه منه واتصاله بحفظه والمراد بالقنطار ههنا العدد الكثير (يؤده اليك) من غير جحد ونقص
كعبد الله بن سلام استودعه قرشى الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداها اليه فاهل الامانة من اهل الكتاب هم الذين
اسلموا (ومنهم من ان تأمنه بدينار) والمراد بالدينار ههنا العدد القليل (لايؤده اليك) وهو كعب ابن الاشرف
استودعه رجل من قريش دينارا فلم يؤده وجحده فذمه تعالى فاهل الخيانة منهم هم الذين بقوا على اليهودية
والنصرانية والمعنى ان فيهم من هو فى غاية الامانة حتى لو اؤتمن على الاموال الكثيرة ادى الامانة فيها ومنهم
من هو فى غاية الخيانة حتى لو اؤتمن فى الشئ القليل فانه يخون (الا مادمت عليه قائما) استثناء مفرغ من اعم
الاحوال والاوقات اى لايؤديه اليك فى حال من الاحوال اوفى وقت من الاوقات الا فى حال دوام قيامك
اوفى وقت قيامك على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى واقامة البينة (ذلك) اى تركهم اداء الحقوق (بانهم)
اى بسبب انهم (قالوا ليس علينا فى الاميين) اى فى شأن من ليس من اهل الكتاب (سبيل) اى عقاب ومؤاخذة
ونفى السبيل نفى المطالبة فان المطالب لا يتمكن من المطالبة الا اذا وجد السبيل الى المطلوب والامى منسوب
الى الام وسمى النبى عليه السلام اميا لانه كان لايكتب وذلك لان الام اصل الشئ فمن لايكتب فقد بقى على اصل
حاله فى ان لا يكتب وقيل لانه عليه السلام نسب الى مكة وهى ام القرى (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم
ان ذلك فى كتابهم (وهم يعلمون) انهم كاذبون مفترون على الله وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل
فى التوراة فى حقهم حرمة فقد كذبوا فى ذلك على الله فان اداء الامانة واجب فى الاديان كلها وحبس مال الغير
والاضرار به والخيانة اليه حرام (بلى) اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فى الاميين سبيل (من اوفى بعهده) الضمير راجع
الى من اى من اتم بعهد الوافى اوبعهد الله الذى عهده اليهم فى التوراة واخذ ميثاقهم عليه من الايمان بمحمد
واداء الامانة (واتقى) اى الشرك والخيانة وجواب الشرط وهو من قوله (فان الله يحب المتقين) عن الغدر
والخيانة ونقض العهد اى فان الله يحبه فقام عموم المتقين مقام الضمير الراجع من الجزاء الى من يعنى التقوى
تعم وفاء ما عاهدوا الله عليه من الايمان بمحمد عليه السلام وبما جاء به مما يتعلق بتكميل القوة النظرية والعملية
ودلت الاية على تعظيم امر الوفاء بالعهد وذلك لان الطاعات مقصورة على امرين التعظيم لامر الله تعالى
والشفقة على خلق الله فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معا اذ ذلك سبب لمنفعة الخلق فهو شفقة على خلق الله
ولما امر الله به كان الوفاء به تعظيما لامر الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا
خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن اى جعل امينا ووضع
عنده امانة خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر اى ترك الوفاء واذا خاصم فجر اى مال عن الحق قال صاحب
التحفة وليس الغرض ان آية المنافق محصورة فيها بل كل من ابطن خلاف ما اظهر فهو من المنافقين فصدور
العدد من خير الانام يكون باعتبار اقتضاء المقام والوفاء بالعهد كما يمكن ان يكون فى حق الغير يمكن ايضا فى حق
النفس لان الوافى بعهد النفس هو الاتى بالطاعات والتارك للمحرمات لانه عند ذلك تفوز النفس بالثواب وتبعد
عن العقاب فعلى العاقل ان يوفى بعهده فى السراء والضراء ويجتهد فى محافظته حكى ان شابا عقد مع الله عقدا
ان لا ينظر الى شئ من مستحسنات الدنيا فمر يوما بسوق فرأى منطقة مرصعة بالدر والجوهر فنظر اليها فاعجبته
ثم مضى عنها وقد نظر اليه صاحبها فلما ذهب عنه افتقدها فلم يجدها فوثب مسرعا حتى تعلق بالشاب وقال
ياعيار انت سارق منطقتى فحمله الى السلطان فلما نظر اليه قال ليس هذا من اهل السرقات فقال بل هو سارق
منطقتى وصفتها كيت كيت فامر بتفتيشه فوجدوها على وسطه فقال له السلطان يافتى اما تستحى تلبس لباس
الاخيار وتعمل عمل الفجار فنظر الفتى الى المنطقة فقال مولاى الاقالة الاقالة الهى لا اعود الى مثلها فامر
السلطان ان يضرب فجردا ليضربوه فاذاهم بصوت يسمع ولا يرى يقول دعوه ولا تضربوه انما اردنا تأديبه
فوثب السلطان الى الفتى وقبله بين عينيه ثم قال اخبرنى عن قصتك فاخبره فتعجب من ذلك ثم قرأ والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا فقال صاحب المنطقة سألتك بالله الا ما قبلتها منى واجعلنى فى حل فقال اليك عنى ليس هذا
من صنعتك انما الصنع لصاحب الصنع ولا مؤثر فى الوجود غير الحق وليس فى الدار غيره * ديارچه خوش

كفت

كفت بهلول فرخنده خوى * چو بكذشت برعارفى جنك جوى * كراين مدعى دوست بشناختى *
به پيكار دشمن نپرداختى * كر از هستى حق خبر داشتى * همه خلق را نيست پنداشتى * فاذا وقفت على
هذا الخبر فقم فى تربية نفسك الى ان تصل الى الهوية المطلقة بمحيط التام الاثنينية مشاهدا وجود الحق فى كل شئ
رزقنا الله واياكم مشاهدته (ان الذين يشترون) اى يستبدلون ويأخذون (بعهد الله) اى بدل ما عاهدوا عليه
من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات (وايمانهم) وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به
ولننصرنه (ثمنا قليلا) هو حطام الدنيا (اولئك) الموصوفون بتلك الصفات القبيحة (لاخلاق) لانصيب
(لهم فى الاخرة) ولا فى نعيمها (ولا يكلمهم الله) وهو كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله من ذلك (ولا ينظر
اليهم يوم القيامة) وهو مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم (ولا يزكيهم) اى لا يثنى عليهم كما يثنى على اوليائه
مثل ثناء المزكى للشاهد والتزكية من الله تعالى قد تكون على السنة الملائكة كقوله تعالى والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم وقد تكون بغير واسطة اما فى الدنيا فكقوله تعالى التائبون العابدون واما فى الاخرة
فكقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم (ولهم عذاب عظيم) على ما فعلوه من المعاصى والاية نزلت فى اليهود
الذين حرفوا التوراة وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك (وان منهم) اى من اليهود
المحرفين (لفريقا) ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف واحزابهما (يلوون) من اللى وهو الفتل (السنتهم
بالكتاب) اى يفتلونها بقراءته فيميلونها من المنزل الى المحرف (لتحسبوه) اى المحرف المدلول عليه بقوله يلوون
(من الكتاب) اى من جملته (وما هو من الكتاب) حال من الضمير المنصوب اى والحال انه ليس منه فى نفس
الامر وفى اعتقادهم ايضا (ويقولون) مع ما ذكر من اللى والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض
(هو) اى المحرف (من عند الله) اى منزل من عند الله (وما هو من عند الله) اى والحال انه ليس من عنده تعالى
فى اعتقادهم ايضا (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون ومفترون على الله وهو تأكيد وتسجيل
عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضى الله عنه هم اليهود الذين قدموا على كعب
ابن الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة
ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الاشارة فى الايتين ان الذين يشترون بعهد الله الذى عاهدهم الله به يوم الميثاق
فى التوحيد وطلب الوحدة وايمانهم التى يحلفون بها ههنا ثمنا قليلا من متاع الدنيا وزخارفها مما يلائم الحواس
الخمسة والصفات النفسانية لاخلاق لهم فى الاخرة الروحانية من نسيم روايح الاخلاق الربانية ولا يكلمهم الله
تقريبا وتكريما وتفهيما ولا ينظر اليهم بنظر العناية والرحمة فيرحمهم ويزكيهم عن الصفات التى بها يستحقون
دركات جهنم ولا يزكيهم عن الصفات الذميمة التى هى وقود النار بالنار الى الابد ولا يتخلصون منها ابدا ولهم
عذاب اليم فيما لايكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم وان من مدعى اهل المعرفة لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب
اى بكلمات اهل المعرفة لتحسبوه من المعرفة وما هو من الكتاب الذى كتب الله فى قلوب العارفين يقولون
هو من عند الله يعنى من العلم اللدنى وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب باظهار الدعاوى عند فقدان
المعانى وهم يعلمون ولا يعلمون انهم يقولون ما لا يفعلون (قال السعدى) كرا جامه پا كست وسيرت پليد *
در دوزخش را نبايد كليد * يعنى يدخل جهنم من قبل ان يحاسب على ما فعله لان مآله الى النار والمحاسبة
وان كانت نوعا من التعذيب الا ان عذاب جهنم اشد منها * اكر مردى از مردئ خود مكوى *
نه هر شهسوارى بدر برد كوى * يعنى كل عابد لا يخلص ايمانه فى عاقبته بل من المتعيشين بالصلاح
من يموت على الطلاح والعياذ بالله كسى سر بزركى نباشد بچيز * كدو سر بزركست وبى مغز نيز *
ميفراز كردن بدستار وريش * كه دستار پنبه است وسبلت حشيش * اى النبات اليابس فيا ارباب
الدعاوى اين المعانى ويا ارباب المعرفة اين المحبة ويا ارباب المحبة اين الطاعة روى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأى ليلة المعراج نساء بيد كل واحدة منهن مقراض تقرض صدرها وتقطعه قطعة قطعة فسأل جبريل
عليه السلام عنهن فقال هن اللاتى ولدن اولادا من الزنى مع وجود ازواجهن واولادهن (قال الشيخ الصفى
قدس سره) ان الذين يدعون المعرفة ويمكنهم فى مقام الارشاد ويراؤن جلبا لحطام الدنيا عذابهم اشد من عذاب
هؤلاء النساء سبعين مرة فمن جعل القرآن وسيلة لجلب زخارف الدنيا اولى منه من يحليها بالمعارف وآلات

اللهو مثلا اذا كان فى محل رفيع خبز لاتصل اليه اليد وليس هنالك غير مصحف وطنبور فالاولى ان يجعل الطنبور تحت القدم للوصول دون المصحف وهكذا فيما نحن فيه قيل * دين فروشى مايه كردن هست خسران مبين * سودمند انكس كه دنيا صرف كرد ودين خريد * فلو نظرت الى شيوخ الزمان وجدت اكثرهم مدعين مالم يتحققوا به يضلون الناس باكاذيب ويروون اساليب ليس فيها اثر من المعانى والحقيقة فعلى العاقل ان لا يغتر بظاهرهم ولا يخرج عن المنهاج مقتفيا باثارهم بل يجتهد الى ان يميز بين الحق والباطل والعارف والجاهل وماذا بعد الحق الا الضلال عصمنا الله واياكم من الزيغ وسيئات الاعمال آمين يا متعال

(ما كان لبشر) بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران ان عيسى عليه السلام امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وجاء رجل من المسلمين فقال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نأمر بعبادة غير الله اى ما صح وما استقام لاحد سواء كان بشرا اولا وانما قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذى اسنده الكفرة اليهم (ان يؤتيه الله الكتاب) الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهى عن الاشراك كالتوراة والانجيل والقرآن (والحكم) اى الفهم والعلم (والنبوة) وايتاء الكتاب يستلزم ايتاء الحكم وهو الحكمة المعبر عنها باتقان العلم والعمل فلذلك قدم الكتاب على الحكم لان المراد بالحكم هو العلم بالشريعة وفهم مقاصد الكتاب واحكامه فان اهل اللغة والتفسير اتفقوا على ان هذا الحكم هو العلم قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا يعنى العلم والفهم فالكتاب السماوى ينزل اولا ثم انه يحصل فى عقل النبى فهم ذلك الكتاب واسراره وبعدما حصل فهم الكتاب يبلغ النبى ذلك المفهوم الى الخلق وهو النبوة والاخبار فما احسن هذا الترتيب (ثم يقول) ذلك البشر بعدما شرفه تعالى بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية (للناس كونوا عبادا) كائنين (لى من دون الله) من متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل (ولكن) يقول لهم (كونوا ربانيين) الربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى اذا وصف بطول اللحية ففيه الدلالة على الكمال فى هذه الصفة واذا نسب الى اللحية من غير قصد المبالغة يقال لحوى فالربانى هو الكامل فى العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله تعالى ودينه كما يقال رجل الهى اذا كان مقبلا على معرفة الاله وطاعته (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) اى بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اى قراءته وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) بالنصب عطف على ثم يقول ولا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله تعالى ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا كما قال قريش والصابئون الملائكة بنات الله واليهود والنصارى عزير ابن الله والمسيح ابن الله (أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) انكار لما نفى عن البشر والضمير له يعنى ايأمركم بعبادة الملائكة والسجدة للانبياء بعد كونكم مخلصين بالتوحيد لله فانه لو امركم بذلك لكفر ونزع منه النبوة والايمان ومن آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة يكون اعلم الناس وافضلهم فيمنعه ذلك من ادعاء الالوهية فانه تعالى لا يؤتى الوحى والكتاب الا نفوسا طاهرة وارواحا طيبة فلا يجمع بشر بين النبوة وبين دعاء الخلق الى عبادة غير الله واعلم ان العلم والدراسة جعلا سببا للربانية التى هى قوة التمسك بطاعة الله وكفى هو دليلا على خيبة سعى من جهد نفسه وكد روحه فى جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثل من غرس شجرة حسناء تونقه اى تعجبه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها فالعمل بغير العلم والعلم بغير العمل لا يثبت كل منهما بانفراده النسبة الى الرب فعلم ان العالم الذى لا يعمل بعلمه منقطع النسبة بينه وبين ربه كالعامل الجاهل فكل منهما ليس من الله فى شئ حيث لم تثبت النسبة الا للمتمسك بالعمل المبنى على العلم قال على رضى الله عنه قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك لان العالم ينفر الناس عن العلم بتهتكه والجاهل يرغب الناس فى الجهل بتنسكه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع فعلى المعلم والمتعلم ان يطلب بعلمه مرضاة الله وبعمله الربانية فمن اشتغل بالتعليم والتعلم لا لهذا المقصد ضاع سعيه وخاب عمله والاشارة ان من دأب اهل الحقيقة تربية الاتباع والمريدين ليكونوا ربانيين متخلقين باخلاق الربانية العاملين بما يعلمون من الكتاب وبما كانوا يدرسون من العلوم ولا يقنعون على دراستها ولا يغترون بمقالات اخذوها من افواه القوم وبعض مدعى هذا

الشأن الذين غلبت عليهم اهواؤهم وصفات بشريتهم يدعون المشيخوخة من رعونة النفس قبل اوانها ويخدعون الخلق بانواع الحيل ويستتبعون بعض الجهلة ويصيدونهم بكلمات اخذوها من الافواه ويمكرون ببعض اهل الصدق من الطلبة ويقطعون عليهم طريق الحق بان يمنعوهم من صحبة اهل الحق ومشايخ الطريقة ويأمرونهم بالتسليم والرضى فيما يعاملونهم ولا يعرفون غيرهم فيعبدونهم من دون الله كما هو دأب اكثر مشايخ زماننا هذا فانه ليس من دأب من يؤتى الكتاب والحكم والنبوة (قال السعدى فى ذم امثال هؤلاء المشايخ) دمادم بشويند چون گربه روى * طمع كرده در صيد موشان كوى * رياضت كش از بهر نام وغرور * كه طبل تهى را رود بانك دور * يعنى يصل صوت الطبل الى البعيد ويسمع من البعيد لكونه خاليا فكذلك امثالهم يشتهر ذكرهم بين الناس وليس ذلك الا لكونهم خالين عن الحقيقة اذ المرء الصادق فى طلبه والواصل الى ربه يحب الخمول والنفرة عن الخلق فشأنه التجنب من كل شئ سوى الله دون تشهير نفسه وجلب المال من ايدى الناس بل من الناس من يرغب عنه وهو مرغوب * كسى را كه نزديك ظنت بداوست * چه دانى كه صاحب ولايت خود اوست * در معرفت بركسانيست باز * كه درهاست بر روى ايشان فراز

(واذ اخذ الله ميثاق النبيين) قال قوم ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبى ان يؤمن بمن يأتى بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بالايمان به وبنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد عليه السلام واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى اى اذكر يا محمد وقت اخذ الله ميثاق الانبياء واممهم (لما آتيتكم) اللام موطئة لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما مبتدأ موصولة وآتيتكم صلتها والعائد محذوف تقديره للذى آتيناكموه (من كتاب وحكمة) وهى بيان احكام الحلال والحرام والحدود حال من الموصول (ثم جاءكم رسول) عطف على الصلة والمعطوف على الصلة صلة فلا بد من الرابط فالتقدير رسول به (مصدق لما معكم) من الكتاب (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب قسم مقدر وهذا القسم المقدر وجوابه خبر للمبتدأ اى والله لتصدقنه برسالته وتنصرنه على اعدائه لاظهار دين الحق فان قيل ما وجه قوله تعالى ثم جاءكم رسول والرسول لا يجيء الى النبيين وانما يجيء الى الامم والجواب ان حملنا قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين على اخذ ميثاق اممهم فقد اندفع الاشكال وان حملناه على اخذ ميثاق النبيين انفسهم كان معنى قوله ثم جاءكم اى جاء فى زمانكم (قال) اى الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق (أأقررتم) اى بالايمان والنصر له والاستفهام للتقرير والتأكيد عليهم لاستحالة حقيقة الاستفهام فى حقه تعالى (واخذتم على ذلكم) الميثاق (اصرى) اى عهدى الذى عقدته عليكم والاصر الثقل الذى يلحق الانسان لاجل ما يلزمه من العمل والاصر ههنا العهد الثقيل لانه ثقل على صاحبه من حيث انه يمنع عن مخالفته اياه (قالوا اقررنا) بذلك واكتفى به عن ذكر اخذهم الاصر (قال) سبحانه وتعالى (فاشهدوا) ايها الانبياء والامم باقرار بعضكم على بعض (وانا معكم من الشاهدين) اى وانا ايضا شاهد على اقراركم ذلك مصاحبا لكم وادخال مع على المخاطبين لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة والمقصود منه التأكيد والتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض (فمن تولى) اى اعرض عما ذكر (بعد ذلك) الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة (فاولئك هم الفاسقون) المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد قال فى التيسير والتولى لا يقع من الانبياء ولا يوصفون بالفسق لكن له وجهان احدهما ان الميثاق كان على الانبياء واممهم على التبعية والتولى من الامم خاصة والثانى ان العصمة لا تزيل المحنة انتهى وهذا الميثاق لما كان مذكورا فى كتبهم وهم كانوا عارفين بذلك فقد كانوا عالمين بصدق محمد عليه السلام فى النبوة فلم يبق لكفرهم سبب الا مجرد العداوة والحسد فصاروا كابليس الذى دعاه الحسد الى الكفر فاعلمهم الله تعالى انهم متى كانوا كذلك كانوا طالبين دينا غير دين الله ومعبودا سوى الله بقوله تعالى (أفغير دين الله يبغون) عطف على مقدر اى ايتولون فيبغون غير دين الله ويطلبونه (وله اسلم) اى لله اخلص وانقاد (من فى السموات والارض) اى اهلهما (طوعا) وهم الموحدون (وكرها) اى باباء وهم الجاحدون بما فيهم من آثار الصنع ودلائل الحدوث وتصريفهم كيف يشاء الى صحة ومرض وغنى وفقر وسرور وحزن وسائر الاحوال فلا يمكنهم دفع قضائه وقدره (واليه يرجعون) اى من فيهما

والمراد ان من خالفه فى العاجل فسيكون مرجعه اليه الى حيث لا يملك الضر والنفع سواه وهذا وعيد عظيم لمن خالف الدين الحق فعلى العاقل ان يطيع ربه ولا يعصيه بنقض ما عهد اليه يوم الميثاق فعهد الله مع الانبياء والاولياء والمؤمنين التوحيد واقامة الدين وعدم التفرق فيه وتصديق بعضهم بعضا ودعوة الخلق الى الطاعة وتخصيص العبادة بالله فالله تعالى لا يطلب من العبد الا الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية قال الشيخ الشاذلى قدس سره متى رزقك الله الطاعة والفناء به عنها فقد اسبغ عليك نعمه ظاهرة اذ اراح ظاهرك من مخالفة امره وباطنة اذ رزقك الاستسلام لقهره وهذا هو مطلب الحق منك قيل لابراهيم بن ادهم قدس سره لو جلست لنا فى المسجد حتى نسمع منك شيأ فقال انى مشغول عنكم باربعة اشياء فلو تفرغت منها لجلست معكم قيل وما هى يا ابا اسحق قال اولها انى تذكرت حين اخذ الله الميثاق على آدم فقال هؤلاء الى الجنة ولا ابالى وهؤلاء الى النار ولا ابالى فلم ادر من اى الفريقين كنت الثانى انى تذكرت ان الولد اذا قضى الله سبحانه بخلقه فى بطن امه ونفخ فيه الروح فيقول الملك الموكل به يا رب اشقى ام سعيد فلم ادر كيف خرج جوابى فى ذلك الوقت الثالث حين ينزل ملك الموت فاذا اراد ان يقبض الروح فيقول يا رب اقبضها مع الاسلام او مع الكفر فلا ادرى كيف يخرج جوابى فى ذلك الوقت الرابع تفكرت فى قوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلا ادرى من اى الفريقين اكون ففى هذا شغلى شغلنى عن الجلوس لكم والحديث معكم ففى هذا الاشارة الى ان العبد مع كونه مستسلما لقضاء الله لا بد وان يراعى وظيفة التكليف اذ الخير او الشر مقضى فى حقه ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له فليجاهد العاقل فى تزكية نفسه او لاتمام الوصية الى عباد الله ولا يكلف المرء الا بقدر وسعه والناس فى المراتب مختلفون فطوبى لمن وصل الى اعلى المطالب * بقدر حوصلة خويش دانه چيند مرغ * بصعوة نتوان داد طعمة شهباز * وقيل للشيخ الصفى قدس سره اذا قطع الطالب المنازل فهل يبقى بعد ذلك مرتبة لم يصل اليها بعد قال بلى يبقى علم انه هل كان مقبولا للرب تعالى اولا وفى القشيرى ما حاصله ان الولى فى الحال يجوز ان يتغير حاله فى المآل ويجوز ان يكون من جملة كرامات الولى ان يعلم انه مأمون العاقبة عصمنا الله واياكم بحسن الخاتمة * همه عالم همى كويند هر آن * كه يا رب عاقبت محمود كردان (قل آمنا بالله) امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه بالايمان بما ذكر وجمع الضمير فى آمنا لاظهار جلالة قدره صلى الله عليه وسلم ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك (وما انزل علينا) وهو القرءآن والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق (وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) من الصحف والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام (وما اوتى موسى وعيسى) من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى (والنبيون) اى وما اوتى النبيون من المذكورين وغيرهم (من ربهم) من الكتب والمعجزات (لا نفرق بين احد منهم) كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة كل منهم وبحقية ما انزل اليهم فى زمانهم قال الامام فى تفسيره اختلف العلماء فى كيفية الايمان بالانبياء المتقدمين الذين نسخت شرائعهم وحقيقة الخلاف ان شرعه لما صار منسوخا فهل تصير نبوته منسوخة فمن قال ان نبوته منسوخة قال نؤمن بانهم كانوا انبياء ورسلا ولا نؤمن بانهم انبياء ورسل فى الحال ومن قال ان نسخ الشريعة لا يقتضى نسخ النبوة قال نؤمن بانهم انبياء ورسل فى الحال فتنبه لهذا الموضع (ونحن له مسلمون) اى منقادون على ان يكون الاسلام بمعنى الاستسلام وهو الانقياد او مخلصون له تعالى انفسنا لا نجعل له شريكا فيها على ان يكون من السلامة وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل عن ذلك (ومن يبتغ غير الاسلام) اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين (دينا) ينتحل اليه وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال منه لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا (فلن يقبل) ذلك (منه) ابدا بل يرد اشد رد واقبحه (وهو فى الآخرة من الخاسرين) اى الواقعين فى الخسران بحرمان الثواب وحصول العقاب ويدخل فيه ما يلحقه من التأسف والتحسر على ما فاته فى الدنيا من العمل الصالح وعلى ما تحمله من التعب والمشقة فى الدنيا فى تقرير ذلك الدين الباطل والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى

فطر الناس عليها واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غير الاسلام لوجب ان لا يكون الايمان مقبولا لقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره (كيف يهدى الله) الى الحق (قوما كفروا بعد ايمانهم) قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما امنوا ولحقوا بمكة وهو استبعاد لان يهدى قوما هم معاندون للحق مكابرون فيه غير خاضعين له بان يخلق فيهم الاهتدآء ويوفقهم لاكتساب الاهتداء وانما يخلق الاهتدآء ويوفق على كسب ذلك ويقدرهم عليه اذا كانوا خاضعين متواضعين للحق راغبين فيه فالمراد من الهداية خلق الاهتدآء وقد جرت سنة الله فى دار التكليف على ان كل فعل يقصد العبد الى تحصيله فان الله تعالى يخلقه عقيب قصد العبد فكانه تعالى قال كيف يخلق فيهم المعرفة والاهتدآء وهم قصدوا تحصيل الكفر وارادوه (وشهدوا ان الرسول حق) اى صادق فيما يقول (وجاءهم البينات) اى الشواهد من القرءآن على صدقه قوله وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية فانه فى قوة ان يقال بعد ان آمنوا وبعد ان شهدوا وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان ضرورة ان المعطوف مغاير للمعطوف عليه (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه فان قيل ظاهر الآية يقتضى ان من كفر بعد اسلامه لا يهديه الله ومن كان ظالما لا يهديه الله وقد رأينا كثيرا من المرتدين اسلموا وهداهم وكثيرا من الظالمين تابوا عن الظلم فالجواب ان معناه لا يهديهم ماداموا مقيمين على الرغبة بالكفر وفى الثبات عليه ولا يقبلون على الاسلام واما اذا تحروا اصابة الحق والاهتدآء بالادلة المنصوبة فحينئذ يهديهم الله بخلق الاهتدآء فيهم (اولئك) المذكورون باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة (جزاؤهم ان عليهم لعنة الله) وهو ابعاده من الجنة وانزال العقوبة والعذاب (والملائكة) ولعنهم بالقول كالناس (والناس اجمعين) والمراد بالناس المؤمنون لانه لو اريد به جميع الناس لزم ان يلعن كل واحد منهم جميع من يوافقهم ويخالفهم ولا وجه لان يلعن الانسان من يوافقه ويحتمل ان يراد به الجميع بناء على ان جميع الخلق يلعنون المبطل والكافر ولكنه يعتقد فى نفسه انه ليس بمبطل ولا كافر فاذا لعن الكافر وكان هو فى علم الله كافرا فقد لعن نفسه وان كان لا يعلم ذلك (خالدين فيها) حال من الضمير فى عليهم اى فى اللعنة والعقوبة ومعنى الخلود فى اللعن انهم يوم القيامة لا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون ومن معهم فى النار ولا يخلو شئ من احوالهم من اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) الانظار التأخير اى لا يجعل عذابهم اخف ولا يؤخر العقاب من وقت الى وقت فان العذاب الملحق بالكفار مضرة خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة نعوذ بالله من ذلك وما يؤدى اليه (الا الذين تابوا من بعد ذلك) اى من بعد الارتداد (واصلحوا) اى ما افسدوا (فان الله غفور رحيم) فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وعطف قوله واصلحوا على قوله الا الذين تابوا يدل على ان التوبة وحدها وهى الندم على ما مضى من الارتداد والعزم على تركه فى المستقبل لا تكفى حتى ينضاف اليها العمل الصالح اى واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات ومع الخلق بالمعاملات وهذا الندم والتوبة انما يحصل لمن لم ترسخ فيه بعد هيئة استيلاء النفس الامارة على قلبه ولم تصر رينا وبقى فيه من وراء حجاب صفات النفس مسكة من نور استعداده فيتداركه الله برحمته وتوفيقه فيندم ويواظب على الرياضات من باب التزكية والتصفية يحكى عن السرى السقطى قدس سره انه قال قلت يوما عجبت من ضعيف عصى قويا فلما كان الغداة وصليت الغداة اذا انا بشاب قد وافى وخلفه ركبان على دواب بين يديه غلمان وهو راكب على دابته فنزل وقال ايكم السرى السقطى فاومأوا الى فسلم على وجلس وقال سمعتك تقول عجبت من ضعيف عصى قويا فما اردت به فقلت ما ضعيف اضعف من ابن آدم ولا قوى اقوى من الله تعالى وقد تعرض ابن آدم مع ضعفه الى معصية الله قال فبكى ثم قال يا سرى هل يقبل ربك غريقا مثلى قلت ومن ينقذ الغرقى الا الله تعالى قال يا سرى ان على مظالم كثيرة كيف اصنع قال اذا صححت الانقطاع الى الله ارضى عنك الخصوم بلغنا عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة واجتمع الخصوم على ولى الله تقول الملائكة لهم لا تروعون ولى الله فان الحق اليوم على الله فيهب الله لهم مقامات عالية بدل حقوقهم فيتجاوزون عن الولى قال فبكى ثم قال صف لى الطريق الى الله فقلت ان كنت تريد طريق المقتصدين فعليك بالصيام والقيام وترك الآثام وان كنت تريد طريق الاولياء فاقطع العلائق واتصل بخدمة

انه الحق فعلى السالك ان يتوب من جميع الاثام ولا يشغل سره سوى مشاهدة الله العلام * بهشت تن اسانى اتكه
خورى * كه بودوزخ نيستى بكذرى * يعنى لا تصل الى الحضور الباقى والحياة الابدية الا بافناء
وجودك فى وجود الحق وتبديل الاخلاق الذميمة بالاخلاق الحميدة فاذا جاوزت هذا الصراط الادق وصلت
الى الجناب المطلق لهو عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه انه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله كن
فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل اى لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا
بالاعتناء بها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد
الذهاب الى اهله وعد نفسك من اصحاب القبور وفيه اشارة الى الفناء عن اضافة الوجود الى نفسه بل الوجود
كله لله تعالى فالبدن للروح بمنزلة القبر للميت فكما ان الميت فى قبره يسلم لامر مولاه ولا يتعرض الى شئ اصلا
كذلك ينبغى ان لا يتعرض العبد لشئ من الآفات البدنية والقلبية بل يدور حيث اوقفه الله من الفطرة الاصلية
والشهود التام وقل من سلم عن هذه الآفات الا ان العبد بالتوبة يتدارك ما فات فاياك ان ترخص نفسك فى فعل
شر فاذا قد فتحت بابه فاول الشر الخطرة كما ان اول السيل القطرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام
يشرفون المسرفين ويستخفون بالعابدين يعملون بالقرآن ما وافق اهواءهم وما خالف اهواءهم تركوه فعند
ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك من القدر المحتوم والرزق المقسوم والاجل المكتوب
ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعى من الاجر الموفور والسعى المشكور والتجارة التى لا تبور فاذا وقفت على هذا
جعلت سعيك للآخرة لا للدنيا بل لم تطلب من الله الا الله رزقنا الله واياكم ذلك آمين (ان الذين) كاليهود (كفروا)
بعيسى والانجيل (بعد ايمانهم) بموسى والتوراة (ثم ازدادوا كفرا) حيث كفروا بمحمد عليه السلام والقرآن
او كفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن
الايمان ونقض الميثاق (لن تقبل توبتهم) لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم
بعدم قبولها تغليظا فى شأنهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون
الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم تدخل فيه الفاء (واولئك هم الضالون) على سبيل الكمال فهو من
قبيل حصر الكمال والافكل كافر ضال سواء كفر بعد الايمان او كان كافرا فى الاصل ومن جهات كمالهم
فى الضلال ثباتهم عليه وعدم كون الاهتداء متوقعا منهم (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل) لما كان
الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية دخلت الفاء ههنا ايذانا بسببية المبتدأ لخبره (من احدهم) فدية
(ملء الارض ذهبا) تمييز اى ما يملأها من شرقها الى غربها (ولو افتدى به) اى بملء الارض ذهبا فان قيل نفى
قبول الافتداء يوهم ان الكافر يملك يوم القيامة من الذهب ما يفتدى به وهو لا يملك فيه نقيرا ولا قطميرا فضلا
عن ان يملك ملء الارض ذهبا كناية عن كونه فى غاية الكثرة والتقدير لو ان الكافر يوم القيامة قدر على اعز
الاشياء بالغا الى غاية الكثرة وقدر على بذله لنيل اعز المطالب لا يقدر على ان يتوسل بذلك الى تخليص نفسه من
عذاب الله تعالى والمقصود بيان انهم آيسون من تخليص انفسهم من العقاب (اولئك) اشارة الى المذكورين
باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة (لهم عذاب اليم) اى مؤلم (وما لهم من ناصرين) فى دفع العذاب
عنهم او فى تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير اى ليس لواحد منهم ناصر واحد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو ان لك ما فى الارض من شئ
اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وانت فى صلب آدم ان لا تشرك بى شيأ فابيت
الا ان تشرك بى قال الامام اعلم ان الكافر على ثلاثة اقسام احدها الذى يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة
وهو الذى ذكره الله فى قوله الا الذين تابوا واصلحوا فان الله غفور رحيم وثانيها الذى يتوب عن ذلك الكفر توبة
فاسدة وهو الذى ذكره الله تعالى فى الآية المتقدمة وقال لن تقبل توبتهم وثالثها الذى يموت على الكفر من غير توبة
البتة وهو المذكور فى هذه الآية ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية انتهى وهم الذين رسخت هيئة استيلاء
النفوس الامارة على قلوبهم وتمكنت وصارت رينا وتناهوا فى الشر والغى وتمادوا فى العناد والبغى فلن يقبل
من احدهم ملء الارض اذ لا يقبل هناك الا الامور النورانية الباقية لان الآخرة هى عالم النور والبقاء فلا وقع
ولا خطر للامور الظلمانية الفانية فيها وهل كان سبب كفرهم واحتجابهم الا محبة هذه العوائق الفانية فكيف

تكون فداءهم وسبب نجاتهم وقربهم وقبولهم وهى بعينها سبب هلاكهم وبعدهم وخسرانهم وحرمانهم فاياك
من اوصاف الكفر وهى حب الدنيا واتباع الهوى والاقبال على شهوات النفس والاعراض عن الحق
ترا شهوت وكبر وحرص وحسد * چو خون در رگند وچو جان در جسد * يعنى كما ان الدم سارى فى العروق
وجارى فيها وكذا الروح فى الجسد فكذلك هذه الصفات الذميمة محيطة بك * كراين دشمنان تقويت يافتند *
سر از حكم ورأى تو بر تافتند * هوا وهوس را نماند ستيز * چو بينند سر پنجه عقل تيز * يعنى
اذا كان المرء تابعا للشرع وقضية العقل يكون غالبا على هواه فلا تجادله الصفات السبعية الشيطانية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتى اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد
عن الحق واما طول الامل فينسى الآخرة قال ذو النون المصرى مفتاح العبادة الفكر وعلامة الاصابة مخالفة
النفس والهوى ومخالفتها ترك شهواتها قال جعفر بن نصير دفع الى الجنيد درهما فقال اشتر به التين الوزيرى
فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها فى فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف فى قلبى
اما تستحيى شهوة تركتها من اجله ثم تعود اليها قال ابو سليمان الدارانى رحمه الله من احسن فى ليله كوفى فى نهاره
ومن احسن فى نهاره كوفى فى ليله ومن صدق فى ترك شهوة كفى مؤنتها والله اكرم من ان يعذب قلبا ترك شهوة
لاجله واعلم ان النفس عين لطيفة هى معدن الاخلاق الذميمة مودعة بين جنبى الانسان اى جميع جسده
وهى امارة بالسوء وهى مجبولة على ضد الروحانية المخلوقة من الملكوت الاعلى فانهم يأمرون بالخير وينهون
عن الشر وهى مخلوقة من الملكوت السفلى كالشياطين وهم لا يأمرون الا بالشر ومن طبعهم التمرد والاباء
والاستكبار ولهذا تأبى النفس عن قبول الموعظة وتظهر التمرد كما قال الشيخ فى قصيدة البردة

فان امارتى بالسوء ما اتعظت * من جهلها بنذير الشيب والهرم

يعنى ان النفس الامارة بالسوء والعيب ما قبلت الوعظ من نذير الشيب فتمادت فى غواية الجهل بعد الهرم
وما كبحت عنان جماح الشهوة بايدى الندم وقد خلق الله النفس على صورة جهنم وخلق بحسب كل دركة فيها
صفة لها وهى باب من جهنم يدخل فيها من هذا الباب الى دركة من دركاتها السبع وهى سبع صفات الكبر
والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد فمن زكى نفسه من هذه الصفات فقد عبر عن هذه الدركات
السفلية ووصل الى درجات الجنان العلوية كما قال الله تعالى قد افلح من زكاها ومن لم يزك نفسه عن هذه الصفات
بقى فى دركات جهنم خائبا خاسرا كما قال تعالى وقد خاب من دساها عصمنا الله واياكم من كيد النفس الامارة
وشر الشيطان واصلح حالنا ما دامت الارواح فى الابدان آمين يا مستعان (لن تنالوا البر) من ناله نيلا اذا اصابه
اى لن تبلغوا ايها المؤمنون حقيقة البر الذى يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار
او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته (حتى تنفقوا) اى فى سبيل الله رغبة فيما عنده (مما تحبون)
اى بعض ما تهوونه ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم او ما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على
ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى (وما تنفقوا من شئ) اى اى شئ
تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فمحل الجار والمجرور النصب على التمييز (فان الله به عليم) تعليل
لجواب الشرط واقع موقعه اى فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عليم بكل شئ تنفقونه علما كاملا
بحيث لا يخفى عليه شئ من ذاته وصفاته وفيه من الترغيب فى انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردى ما لا يخفى
فالوصول الى المطلوب لا يحصل الا بانفاق المحبوب ولذلك كان السلف اذا احبوا شيأ جعلوه لله ذخيرة ليوم
يحتاجون اليه والانسان لا ينفق محبوبه الا اذا ايقن انه يتوصل بذلك الى وجدان محبوب اشرف من الاول
فالانسان لا ينفق محبوبه فى الدنيا الا اذا تيقن بوجود الصانع العالم القادر وتيقن بالبعث والحساب والجزاء
وان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولزم منه ان الانسان لا يمكنه انفاق محبوبه
فى الدنيا الا اذا كان مستجمعا لجميع الخصال المحمودة فى الدين فلا تقتضى الآية ان من انفق ما احب وصل
الى الثواب العظيم وان لم يأت بسائر الطاعات روى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالى
الى بيرحاء وهو ضيعة له فى المدينة مستقبل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فضعها يا رسول الله حيث اراك الله
فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رايح فانى ارى ان تجعلها فى الاقربين فقسمها فى اقاربه وفيه

دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وروى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كانت لزوجته جارية بادعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولى الخلافة زينتها وارسلتها اليه فقالت وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت ابى عبد الملك ففتش عن تمليكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفى اخذت من تركته ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله فقيل لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست اذن ممن نهى النفس عن الهوى (يحكى) ان الربيع ضربه الفالج فكان السائل يقوم على بابه فيسأل فيقول الربيع اطعميه السكر فان الربيع يحب السكر يتأول قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وطال به وجعه فاشتهى لحم دجاج فكف نفسه اربعين يوما فابت فقال لزوجته قد اشتهيت لحم دجاج منذ اربعين يوما فكففت نفسى رجاء ان تكف فابت فقالت امرأته سبحان الله واى شئ هذا تكف نفسك عنه وقد احله الله تعالى لك فارسلت امرأته الى السوق فاشترت له دجاجة بدرهم ودانقين فذبحتها وشوتها وخبزت له خبزا وجعلت له اصباغا ثم جاءت بالخوان فوضعته بين يديه فقام سائل على الباب فقال تصدقوا على بارك الله فيكم فكف عن الاكل وقال لامرأته خذى هذا وادفعيه اليه فقالت له امرأته سبحان الله قال افعلى ما آمرك به قالت فاصنع ما هو خير له قال وما هو قالت نعطيه ثمن هذا وتأكل انت شهوتك قال قد احسنت ائتنى بثمنه فجاءت بثمنه فقال ضعيه على هذا وخذيه وادفعيه جميعا ففعلت باحسانى آسوده كردن دلى * به از الف ركعت بهر منزلى * وقيل فى هذا المعنى دل بدست آوركه حج اكبرست * از هزاران كعبه يك دل بهترست * كعبه بنياد خليل آزرست * دل نظر كاه جليل اكبرست * ويقال اذا كنت لا تصل الى البر الا بانفاق محبوبك فمتى تصل الى البار وانت تؤثر عليه حظوظك قال القشيرى من اراد البر فلينفق بعض ما يحبه ومن اراد البار تعالى فلينفق جميع ما يحبه قال نجم الدين الكبرى فى قوله تعالى فان الله به عليم فبقدر ما تكونون له يكون لكم كما قال من كان لله كان الله له فان الفراش ما نال من بر الشمع وهو شعلته حتى انفق مما احبه وهو نفسه قال القاشانى كل فعل يقرب صاحبه من الله فهو بر ولا يمكن التقرب اليه الا بالتبرى عما سواه فمن احب من دون الله شيأ فقد حجب به عن الله واشرك شركا خفيا لتعلق محبته بغير الله تا آهر چه مشغول دارد ز دوست * اكر راست خواهى دلارامت اوست * فلا يزول البعد ولا يحصل القرب الا ببذل المال والمهجة وقطع محبة غير الله وافناء النفس بالكلية عن صفاتها الرذيلة اكر يارى از خويشتن دم مزن * كه شرك است با يار وبا خويشتن (كل الطعام) لما نزل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم انكر اليهود وغاظهم ذلك وبرأوا ساحتهم من الظلم وجحدوا ما نطق به القرآن وقالوا لسنا باول من حرمت عليه تلك المطعومات وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده وهلم جرا حتى انتهى التحريم الينا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغى والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربا وما عدد من مساويهم التى كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم فقيل كل المطعومات او كل انواع الطعام والطعام المطلق البر والعرف يشهد لكل ما يطعم حتى الماء (كان حلا لبنى اسرائيل) اى حلالا لهم والمراد اكله اذ لا يوصف بنحو الحل والحرمة الا افعال المكلف لا الاعيان فشرب الخمر حرام بالذات ونفسها حرام بالعرض (الا ما حرم اسرائيل على نفسه) استثناء متصل من اسم كان اى كان كل المطعومات حلالا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اى يعقوب عليه السلام على نفسه وهو الابل والبانها روى ان يعقوب عليه السلام كان نذر ان وهب الله له اثنى عشر ولدا واتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال له يا يعقوب انك رجل قوى فهل لك فى الصراع فعالجه فلم يصرع واحد منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال اما انى لو شئت ان اصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك كنت نذرت ان اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك وجعل الله لك بهذه الغمزة مخرجا عن ذلك الذبح ثم ان يعقوب عليه السلام لما قدم بيت المقدس اراد ذبح ولده ونسى قول الملك فاتاه الملك فقال انما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل لك الى ولدك ثم انه حين ابتلى بذلك المرض لقى من ذلك بلاء

وشدة وكان لا ينام الليل من الوجع فحلف لئن شفاه الله لا يأكل احب الطعام اليه فحرم لحوم الابل والبانها اما حمية الدين او حمية النفس وتحريم الحلال على نفسه جائز لكل وفيه كفارة اليمين (من قبل ان تنزل التوراة) متعلق بقوله كان حلا ولا ضير فى توسيط الاستثناء بينهما المعنى ان المطعومات كانت حلا لهم قبل نزول التوراة ثم حرمت بسبب بغيهم وظلمهم فكيف يكون ذلك حراما على نوح وابراهيم وغيرهما وظاهر الاية يدل على ان الذى حرمه اسرائيل على نفسه قد حرم الله على بنى اسرائيل وهو رد على اليهود فى دعواهم البراءة من الظلم وتبكيت لهم فى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها) امره عليه السلام بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم تحريم حادث مرتب على ظلمهم وبغيهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم (ان كنتم صادقين) فأتوا بالتوراة فاتلوها فان صدقكم بما يدعوكم الى ذلك البتة روى انهم لم يجترئوا على اخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفى ذلك من الحجة النيرة على صدق النبى صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذى يجحدونه ما لا يخفى (فمن افترى على الله الكذب) اى اختلق عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة على بنى اسرائيل ومن تقدمهم من الامم (من بعد ذلك) اى من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والالزام (فاولئك) المصرون على الافتراء بعد ان ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حيلة المحاجة والجدال (هم الظالمون) المفرطون فى الظلم والعدوان المبعدون فيهما (قل صدق الله) اى ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزل فى شان التحريم (فاتبعوا ملة ابراهيم) اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم عليه السلام فانكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون (حنيفا) حال من ابراهيم اى مائلا عن الاديان الزائغة كلها (وما كان من المشركين) اى فى امر من امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبى عليه السلام على دين ابراهيم فى الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى قال نجم الدين فى التأويلات الاشارة فى تحقيق الايات ان الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة اصناف صنف منهم الملك الروحانى العلوى اللطيف النورانى وجعل غذاءهم من جنسهم الذكر وخلقهم للعبادة وصنف منها الحيوان الجسمانى السفلى الكثيف الظلمانى وجعل غذاءهم من جنسهم الطعام وخلقهم للعبرة والخدمة وصنف منها الانسان المركب من الملكى الروحانى والحيوانى الجسمانى وجعل غذاءهم من جنسهم لروحانيهم الذكر ولجسمانيهم الطعام وخلقهم للعبادة والمعرفة والخلافة فمنهم ظالم لنفسه وهو الذى غلبت حيوانيته على روحانيته فبالغ فى غذاء جسمانيته وقصر فى غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت اولئك كالانعام بل هم اضل * مردرا هرچه دل خواهدت * كه تمكين تن نور جان كاهدت * زدوران بسى نامرادى برى * اكر هرچه باشد مرادت خورى * كند مرد را نفس اماره خوار * اكر هوشمندى عزيزش مدار * دريغ آدمى زاده پر محل * كه باشد چو انعام بل هم اضل * ومنهم مقتصد وهو الذى تساوت روحانيته وحيوانيته فغذى كل واحدة منهما غذاءها خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ومنهم سابق بالخيرات وهو الذى غلبت روحانيته على حيوانيته فبالغ فى غذاء روحانيته وهو الذكر وقصر فى غذاء حيوانيته وهو الطعام حتى ماتت نفسه واستوت قوى روحه اولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلالا كما كان حلالا للحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحياة القلب واستيلاء الروح من قبل ان ينزل عليه الوحى والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك بان يهتدى الى الحق من غير جهاد النفس فاولئك هم الظالمون الذين يضعون الشئ فى غير موضعه وقد قال تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده قل صدق الله فيما قال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم القربان وهذه ملة الخلة وما كان من المشركين الذين يتخذون مع الله خليلا آخر ويجعلون الشركة فى الخلة * اكر جز بحق ميرود جاده ات * در آتش فشانند سجاده ات * فالاولياء هم الذين يحبون الله ومن يحبه الله فان محبة اهل الحق محبة الله وليس فيها اشراك قال الفضيل بن عياض قدس سره يقول الله تعالى يوم القيامة يا ابن آدم اما زهدك فى الدنيا

فانما طلبت الراحة لنفسك فى الآخرة واما انقطاعك الى فانما طلبت العز لنفسك ولكن هل عاديت لى عدوا اووالیت لى وليا فى الله فعلامة اتباع ملة ابراهيم هو الاطاعة للحق والتبرى عن كل دين سوى الاسلام ومحبة الاولياء وعداوة الاعداء ولو كان المرؤ آتيا بجميع الطاعات وليس فى قلبه خلوص المحبة فانما يضرب حديدا باردا والله تعالى لا يحب القلب المشترك بمحبة غيره من شهوة اوغيرها قال محمد بن حسان رحمه الله بينما انا ادور فى جبل لبنان اذ خرج على شاب قد احرقته السموم والرياح فلما رآنى ولى هاربا فتبعته وقلت عظنى بكلمة انتفع بها قال احذره تعالى فانه غيور لا يحب ان يرى فى قلب عبد سواه فعلى العاقل ان يجتهد فى سلوك هذا الطريق الى ان يصل الى منزل التحقيق ومن الله التوفيق فى كل امر خفى وجلى ودقيق (ان اول بيت) البيت ما يبيت فيه احد ثم استعمل فى المكان مطلقا (وضع للناس) روى انه لما حولت القبلة الى الكعبة طعن اليهود فى نبوته عليه السلام وقالوا ان بيت المقدس افضل من الكعبة واحق بالاستقبال لانه وضع قبل الكعبة وهو ارض المحشر ومهاجر الانبياء وقبلتهم والارض المقدسة التى بارك الله فيها للعالمين وفيها الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام فتحويل القبلة منه الى الكعبة باطل فنزلت اى ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى (للذى ببكة) خبر لان اى للبيت الذى فى بكة وهو علم للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه ولانها تبك اعناق الجبابرة اى تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله عزوجل وما روى ان الحجاج حبس عبد الله بن الزبير رضى الله عنه فى المسجد الحرام وضرب المنجنيق على ابى قبيس ورمى به داخل المسجد وقتل عبد الله فليس ذلك اضرارا بالبيت وقصدا بالسوء لان مقصود الحجاج كان اخذ عبد الله روى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة روى ان الله وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة ان يطوفوا به ثم امر الملائكة الذين هم سكان الارض ان يبنوا فى الارض بيتا على مثاله فبنوا وامر من فى الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وروى ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالفى عام فلما اهبط آدم الى الارض قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا حوله قبلك بالفى عام فطاف به آدم ومن بعده الى زمن نوح عليه السلام فلما اراد الله الطوفان حمل الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور بحيال الكعبة يطوف به ملائكة السموات وعن ابن عباس رضى الله عنه انه اول بيت بناه آدم فى الارض فنسبة بناء الكعبة الى ابراهيم على هذه الروايات ليس لانه عليه السلام بناها ابتداء بل لرفعه قواعدها واظهاره ما درس منها فان موضع الكعبة اندرس بعد الطوفان وبقى مختفيا الى ان بعث الله جبريل الى ابراهيم عليه السلام ودله على مكان البيت وامره بعمارته ولما كان الآمر بالبناء هو الله والمبلغ والمهندس هو جبريل عليه السلام والبانى هو الخليل والتلميذ المعين له اسماعيل عليهما السلام قيل ليس فى العالم بناء اشرف من الكعبة (مباركا) حال من المستكن فى الظرف لان التقدير للذى ببكة هو اى كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف به وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته وبالغ حكمته كما قال (فيه آيات بينات) واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضوارى السباع الطيور فى الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل (مقام ابراهيم) اثر قدميه عليه السلام فى الصخرة التى كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل رأسه على ما روى انه عليه السلام جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسماعيل عليه السلام انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقى اثر قدميه عليه وهو بدل من آيات بدل البعض من الكل (ومن دخله) اى حرم البيت (كان آمنا) من التعرض له وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل فى الحل بقصاص اوردة او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وهذا فى حق من جنى فى الحل ثم التجأ الى الحرم واما اذا اصاب الحد فى الحرم فيقام عليه فيه فمن سرق فيه قطع ومن قتل فيه قتل قال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام

حتى

حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم اباح لهم القتل عند المسجد الحرام اذا قاتلونا فعلى ذلك يقام الحد اذا اصاب وهو فيه واذا اصاب فى غيره ثم لجأ اليه لم يقم كما لا نقاتل اذا لم يقاتلونا او المعنى ومن دخله كان آمنا من النار وفى الحديث من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضى الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعنه صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام (ولله على الناس) وهم المؤمنون دون الكفار فانهم غير مخاطبين باداء الشرائع عندنا خلافا للشافعى اى استقر لله عليهم (حج البيت) اللام للعهد والحج بالفتح لغة اهل الحجاز والكسر لغة نجد وايا ما كان فهو القصد للزيارة على الوجه المخصوص المعهود يعنى انه حق واجب لله فى ذمم الناس ولا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته (من استطاع اليه سبيلا) فى محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف اى من استطاع منهم وقدر واطاق الى البيت سبيلا اى قدر على الذهاب اليه واراد به قدرة سلامة الالات والاسباب فالزاد والراحلة من اسباب الوصول وهذه القدرة تتقدم على الفعل والاستطاعة التى هى شرط لوجوب الفعل هى الاستطاعة بهذا المعنى لا الاستطاعة التى هى شرط حصول الفعل وهى لا تكون الا مع الفعل لانها علة وجود الفعل وسببه فلا تكون الا معه فالاستطاعة الاولى شرط الوجوب والثانية شرط حصول الفعل (ومن كفر) وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتشديدا لتاركه اى من لم يحج مع القدرة عليه فقد قارب الكفر وعمل ما يعمله من كفر بالحج (فان الله غنى عن العالمين) وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحبسه حاجة ظاهرة او مرض حابس اوسلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وانما خص هذين لان اليهود والنصارى هم الذين لا يرون الحج ولا فضل الكعبة واعلم انه لا يؤثر الا كثار من التردد الى تلك الآثار الا حبيب مختار روى عن على بن الموفق رحمه الله انه حج ستين حجة قال فلما كنت بعد ذلك فى الحجر افكر فى حالى وكثرة ترددى الى ذلك المكان ولا ادرى هل قبل حجى ام لا نمت فرأيت قائلا يقول يا ابن الموفق هل تدعو الى بيتك الا من تحب فاستيقظت وقد سرى عنى ففيه اشارة الى ان من لم يحج مع القدرة عليه فقد ترك عن الدعوة الى ضيافة الله تعالى ولا يترك عنها الا من لا استحقاق له بها وفيه تقبيح لحاله حيث لم يجتهد فى تحصيل الاستعداد بل اقام على البغى والفساد واقتضت حكمة الله تعالى توقان النفس كل عام الى تلك الاماكن النفيسة والمعاهد المقدسة المحروسة لاجابة دعوة ابراهيم عليه السلام حيث قال فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم اى تحن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ايمان بالله ورسوله ثم جهاد فى سبيله ثم حج مبرور قيل مغفرة الذنوب بالحج ودخول الجنة به مترتب على كون الحج مبرورا وانما يكون مبرورا باجتماع امرين فيه الاول الاتيان فيه باعمال البر والبر هو الاحسان للناس واطعام الطعام وافشاء السلام والثانى ما يكمل به الحج وهو اجتناب افعال الاثم فيه من الرفث والفسوق والمعاصى قال ابو جعفر الباقر ما يعبأ من يؤم هذا البيت اذا لم يأت بثلاث ورع يحجره اى يمنعه عن محارم الله وحلم يكف به غضبه وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين فهذه الثلاث يحتاج اليها من يسافر خصوصا الى الحج فمن كملها فقد كمل حجه فعلى السالك ان يخالق الناس بخلق حسن

ازمن بكوى حاجىء مردم كزا را * كاو پوستين خلق بآزار مى درد
حاجى تو نيستى شتراست از براى آنك * بيچاره خار ميخورد و بار ميبرد

قال بعض المشايخ علامة الحج المبرور ان يرجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة قال نجم الدين الكبرى فى تأويلاته والاشارة ان الله تعالى جعل البيت والحج اليه واركان الحج والمناسك كلها اشارات الى اركان السلوك وشرائط السير الى الله وآدابه فمن اركانه الاحرام وهو اشارة الى الخروج عن الرسوم وترك المألوف والتجرد عن الدنيا وما فيها والتطهر عن الاخلاق وعقد احرام العبودية بصحة التوجه ومنها الوقوف بعرفة وهو اشارة الى الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عقبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف وهو

اشارة الى الخروج عن الاطوار البشرية السبعية بالاطواف السبعة حول كعبة الربوبية ومنها السعى وهو اشارة الى السير بين صفا الصفات ومروة الذات ومنها الحلق وهو اشارة الى محو آثار العبودية بموسى انوار الالهية وعلى هذا فقس المناسك كلها والحج يشير الى عين الطلب والقصد الى الله بخلاف سائر اركان الاسلام فان كل ركن منه يشير الى طرف من استعداد الطلب فالله تعالى خاطب العباد بقوله ولله على الناس حج البيت وما قال فى شئ آخر من الاركان والواجبات ولله على الناس وفائدته ان المقصود المشار اليه من الحج هو الله وفى سائر العبادات المقصود هو النجاة والدرجات والقربات والمقامات والكرامات والاستطاعة فى قوله من استطاع اليه سبيلا هى جذبة الحق التى توازى عمل الثقلين ولا يمكن السير الى الله والوصول اليه الا بها ومن كفر اى لا يؤمن بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات الطاف الرب ولا يتقرب بجذبات الالوهية كما يشير اليها اركان الحج فان الله غنى عن العالمين بان يستكمل بهم وانما الاستكمال للعالمين به ولا غنى بهم عنه تعالى جعلنا الله واياكم من الكاملين والواصلين الى كعبة اليقين والتمكين (قل يا اهل الكتاب) هم اليهود والنصارى سموا بذلك فان الكتاب لا يختص بالمنزل فنسبوا الى ما كتبوا سوآء كان من القاء الروح الامين او تلقاء النفس (لم تكفرون بايات الله) توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد باياته تعالى ما يعم الايات القرءآنية التى من جملتها ما تلى فى شأن الحج وغيره وما فى التوراة والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم (والله شهيد على ما تعملون) حال من فاعل تكفرون والمعنى لاى سبب تكفرون باياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ فى الاطلاع على جميع اعمالكم وفى مجازاتكم عليها ولا ريب فى ان ذلك يسد جميع انحاء ما تأتونه ويقطع اسبابه بالكلية (قل يا اهل الكتاب لم تصدون) اى تصرفون (عن سبيل الله) اى دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام (من آمن) مفعول تصدون كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته صلى الله عليه وسلم ليست فى كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم (تبغونها) بحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير اى تبغون لها لان البغى لا يتعدى الا الى مفعول يقال بغيت المال والضمير للسبيل وهو يذكر ويؤنث اى تطلبون سبيل الله التى هى اقوم السبل (عوجا) اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بان تلبسوا على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون والعوج بكسر العين وفتحها الميل والانحراف لكن المكسور يختص بالمعانى والمفتوح بالاعيان تقول فى دينه وكلامه عوج بالكسر وفى الجدار والقناة والشجر عوج بالفتح (وانتم شهدآء) حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى اى والحال انكم شهدآء تشهدون بانها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اخلال (وما الله بغافل عما تعملون) اى من الصد عن سبيله وكتمان الشهادة لنبيه ولما وبخ اهل الكتاب بصد المؤمنين نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين فقال (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا) طائفة وانما خص فريقا لان منهم من آمن (من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) قوله كافرين مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير قال عكرمة نزلت فى شاس بن قيس اليهودى رأى منتدى محتويا على زحام من اوس وخزرج فغاظه الفتهم فارسل شابا ينشدهم اشعار يوم بغاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان المذكوران وكان الظفر فيه للاوس فنعر عرق الدآء الدفين فتشاجروا فاخبر النبى عليه السلام فخرج يصلح ذات بينهم (وكيف تكفرون) انكار وتعجب (وانتم تتلى عليكم آيات الله) اى القرءآن (وفيكم رسوله) والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان القرءآن المعجز يتلى عليكم على لسان الرسول غضا طريا وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم فالعدول عن الايمان والدخول فى الكفر مع تحقق هذه الامور ابعد واعجب (ومن يعتصم بالله) اى ومن يتمسك بدينه الحق الذى بينه باياته على لسان رسوله عليه السلام وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله (فقد هدى) جواب الشرط وقد لافادة معنى التحقق كأن الهدى حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى اى وفق وارشد (الى صراط مستقيم) موصل الى المطلوب واعلم ان ظاهر الخطاب مع اهل الكتاب وباطنه مع العلماء السوء الذين يبيعون

الدين

الدين بالدنيا ولا يعملون بما يعلمون فهم الذين يكفرون بما جاء به القرءآن من الزهد فى الدنيا والورع والتقوى ونهى النفس عن الهوى وايثار ما يبقى على ما يفنى والاعراض عن الخلق والتوجه الى الحق وبذل الوجود لنيل المقصود والله شهيد على ما تعملون حاضر معهم ناظر الى نياتهم فى اعمال الخير والشر فيجازيهم بها وهم يصرفون بحرصهم على الدنيا واتباعهم الهوى المؤمنين الذين يتبعونهم بحسن الظن ويحسبون ان اعمالهم واحوالهم على قاعدة الشريعة ومنهاج الطريقة عن سبيل الله وطريق الحق الذى امر الانبياء بدعوة الحق اليه وهم يطلبون اعوجاج طريق الحق بالسير فى طريق الباطل وقد وصى الله المؤمنين بقوله يا ايها الذين آمنوا الاية حتى لا يرتدوا عن طريق الهداية بعد الايمان بالاتباع بسيرتهم وهواهم قال تعالى ولا تتبعوا اهوآء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سوآء السبيل قال بعض المشايخ خير العلم ما كانت الخشية معه وذلك لان الخشية انما تنشأ عن العلم بصفات الحق فشاهد العلم الذى هو مطلوب الله الخشية وشاهد الخشية موافقة الامر واما العلم الذى تكون معه الرغبة فى الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان الاخرة فما ابعد من هذا العلم عليه من ان يكون من ورثة الانبياء وهل ينتقل الشئ الموروث الى الوارث الا بالصفة التى كان بها عند الموروث وما مثل من هذه الاوصاف اوصافه من العلماء الا كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهى تحرق نفسها * ترك دنيا بمردم آموزند * خويشتن سيم وغله اندوزند * عالمى را كه كفت باشد وبس * جون بكويد نكيرد اندر كس * عالم انكس بود كه بد نكند * نه بكويد بخلق وخود نكند * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا من القرءآن الا رسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة بابدانهم شر من تحت ظل السماء يومئذ علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود وعن فضيل بن عياض بلغنا ان الفسقة من العلماء ومن حملة القرءآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان فعلى العاقل ان لا يغتر بظاهر حالهم بل ينظر الى وهن اعتقادهم وفساد بالهم فيعتبر كل الاعتبار ويتجنب من هذه سيرتهم ويسلك طريق الاخيار ويعتصم بالله بالانقطاع عما سواه ويتمسك بالتوحيد الحقيقى حتى يهتدى الى الصراط المستقيم فمن انقطع اليه بالفناء فى الوحدة كان صراطه صراط الله فلا يصده عنه احد ولا يضره شئ ولا يضله كيد عدوه وشره فان من كان مع الله كان الله معه فهو حافظه وناصره وهذا الاستمساك ليس من شأن كل السلاك لكن الله تعالى قادر على ان يأخذ بيد عبده ويوصله الى مراده واذا صح الطلب من العبد فلا يحرم الاجابة البتة فان من طلب وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج عصمنا الله واياكم من كيد الشيطان ومكر النفس الامارة بالسوء كل آن آمين يا مستعان (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) الاتقاء افتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة (حق تقاته) اى حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم ونحوها فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا فى التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيأ (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) اى مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه فهو فى الصورة نهى عن موتهم على غير هذه الحالة والمراد دوامهم على الاسلام (واعتصموا بحبل الله) اى بدين الاسلام او بكتابه فلفظ الحبل مستعار لاحد هذين المعنيين فان كل واحد منهما يشبه الحبل فى كونه سببا للنجاة عن الردى والوصول الى المطلوب فان من سلك طريقا صعبا يخاف ان يزلق رجله فيه فاذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبى ذلك الطريق امن من الخوف كذلك طريق السعادة الابدية ومرضاة الرب طريق زلق ودواعى الضلال عنها متكثرة زلق رجل اكثر الخلق فيها فمن اعتصم بالقرءآن العظيم وبقوانين الشرع القويم وبينات الرب الكريم فقد هدى الى صراط مستقيم وأمن من الغواية المؤدية الى نار الجحيم كما يأمن المتمسك بالحبل من العذاب الاليم (جميعا) حال من فاعل اعتصموا اى مجتمعين فى الاعتصام (ولا تفرقوا) اى لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب (واذكروا نعمة الله عليكم) متعلق بنعمة (اذ كنتم) ظرف له اى اذكروا انعامه عليكم وقت كونكم (اعدآء) فى الجاهلية بينكم الاحن والعداوة والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانوا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة (فالف بين قلوبكم) بتوفيقكم للاسلام (فاصبحتم) اى فصرتم (بنعمته)

التى هى ذلك التأليف (اخوانا) خبراصبحتم اى اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق (وكنتم على شفا حفرة من النار) شفا الحفرة وشفتها حرفها وجانبها اى كنتم مشرفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها تمثيل لحياتهم التى تتوقع بعدالوقوع فى النار بالقعود على حرفها مشرفين على الوقوع فيها (فانقذكم) اى خلصكم ونجاكم بان هداكم للاسلام (منها) اى الحفرة (كذلك) اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده اى مثل ذلك التبيين الواضح (يبين الله لكم آياته) اى دلائله (لعلكم تهتدون) طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه والاشارة ان اهل الاعتصام طائفتان احداهما اهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال والثانية اهل المعنى وهم المنقطعون عن الاسباب لان مشربهم الاحوال فقال تعالى لهم واعتصموا بالله هو مولاكم اى مقصودكم وقال للمتعلقين بالاسباب واعتصموا بحبل الله جميعا وهو كل سبب يتوسل به الى الله فالمعتصم بحبل الله هو المتقرب الى الله باعمال البر ووسائط القربة واذا وجد الاعتصام وجد عدم التفرق بخلاف عدم الاعتصام فانه سبب للتفرق فى الظاهر والباطن. فاما فى الظاهر فيلزم منه مفارقة الجماعة فاقتلوه كائنا من كان واما فى الباطن فيظهر منه الاهوآء المختلفة التى توجب تفرق الامة كما قال عليه السلام ستفترق امتى اثنتين وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة قالوا يا رسول الله ومن الفرقة الناجية قال من كانوا على ما انا عليه واصحابى واعلم انه تعالى امر المؤمنين اولا بالتقوى وثانيا بالاعتصام وثالثا بتذكر النعمة لان فعل الانسان لابد وان يكون معللا اما بالرهبة واما بالرغبة والرهبة متقدمة على الرغبة لان دفع الضرر مقدم على جلب النفع كما ان التخلية قبل التحلية فقوله اتقوا الله حق تقاته اشارة الى التخويف من عقاب الله ثم جعله سببا للامر بالتمسك بدين الله ثم اردفه بالرغبة وهى قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم فعلى العاقل الانقياد لامر الله والطاعة لحكمه والاعتصام بحبله وعدم التفرق فى الدين والتقوى حق التقى من الله سبحانه قيل ونعم ماقيل متقى را بود چهار نشان * حفظ احكام شرع اول دان * ثانيا انچه دست رس باشد * برفقيران و بيكسان بخشد * عهدراباوفا كند پيوند * هرچه باشد ازان شود خرسند * وهذا معنى قول الشيخ النصرابادى علامة المتقى اربعة حفظ الحدود وبذل المجهود والوفاء بالعهود والقناعة بالموجود قال القشيرى رحمه الله حق التقوى ان يكون على وفق الامر لا يزيد من قبل نفسه ولا ينقص وحق التقوى اولا اجتناب الزلة ثم اجتناب الفضلة ثم التوقى عن كل خلة ثم التنقى عن كل علة فاذا اتقيت عن شهود تقواك بعد اتصافك بتقواك فقد اتقيت حق تقواك انتهى فمن بقى فيه شئ من اثر الوجود فقد اشرك شركا خفيا ولم يصل الى حقيقة الشهود * حضورى كر همى خواهى ازو غائب مشو حافظ * متى ما تلق من تهوى * دع الدنيا واهملها * قال ابو مدين رحمه الله شتان بين من همته الحور والقصور ومن همته رفع الستور ودوام الحضور فطوبى لمن سار اليه بالجذبات الالهية على قدم التحقيق وطار بتجلى الصفات الربانية وجناح التوفيق قال سهل رضى الله عنه ليس للعبد الا مولاه واحسن احواله ان يرجع الى مولاه اذا عصى قال يارب استر على فاذا ستر عليه قال يارب تب على فاذا تاب عليه قال يارب وفقنى حتى اعمل فاذا عمل قال يارب وفقنى حتى اخلص فاذا اخلص قال يارب تقبل منى فعلى العاقل ان يتمسك بهذا الحبل المتين (ولتكن منكم) اى لتوجد منكم (امة يدعون الى الخير) جماعة داعية الى الخير اى الى ما فيه صلاح دينى ودنيوى فالدعاء الى الخير عام فى التكليف من الافعال والتروك ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله فقال (ويأمرون بالمعروف) وهو ما استحسنه الشرع والعقل وهو الموافقة (وينهون عن المنكر) وهو ما استقبحه الشرع والعقل وهو المخالفة (واولئك) الموصوفون بتلك الصفات الكاملة والافراد فى كاف الخطاب لان المخاطب كل من يصلح للخطاب (هم المفلحون) اى هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفيد اختصاص المسند بالمسند اليه ثم ان من فى قوله منكم للتبعيض وتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها ولانها من عظائم الامور وعزائمها التى لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه فنهاه عن منكر وقد يغلظ فى موضع اللين ويلين فى موضع الغلظة وينكر على

من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين وكان ناقصة اى كونوا امة يدعون الاية ولا يقتضى ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطاب للعامة عن النبى عليه السلام انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وقال عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن حذيفة يأتى على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثورى اذا كان الرجل محببا فى جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المداهن فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم فى اسفلها وصار بعضهم فى اعلاها فكان الذى فى اسفلها يمر بالماء على الذين فى اعلاها فتأذوا به فاخذ فاسا فجعل ينقر اسفل السفينة فاتوه فقالوا مالك قال تأذيتم بى ولابد لى من الماء فان اخذوا على يديه انجوه ونجوا انفسهم وان تركوه اهلكوه واهلكوا انفسهم قال صلى الله عليه وسلم ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعذابه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر يوم القيامة ناس من امتى من قبورهم الى الله على صورة القردة والخنازير بما داهنوا اهل المعاصى وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون فلابد من توطين النفس على الصبر وتقليل العلائق وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء عليهم السلام قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ثم الامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهى عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح وطريق الوجوب السمع والعقل وعند البعض السمع وحده وشرط النهى بعد معرفة المنهى عنه ان لا يكون ما ينهى عنه واقعا الا ان الواقع لا يحسن النهى عنه وانما يحسن الذم عليه والنهى عن المعاودة الى مثله وان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبدأ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا والمباشر كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذى بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤمرون بالصلاة ليتمرنوا عليها والعاصى يجب عليه النهى عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه والانكار لا يجب فلا يسقط بترك احدهما وجوب شئ منهما قال النبى عليه السلام ان الله ليؤيد هذا الدين باهل الفسوق والتوبيخ فى قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن بعض الصحابة ان الرجل اذا لم يستطع الانكار على منكر رآه فليقل ثلاث مرات اللهم ان هذا منكر واذا فعل ذلك فقد فعل ما عليه كرت نهى منكر برايد ز دست * نشايد چو بى دست و پايان نشست * چو دست و زبانرا نماند مجال * بهمت نمايند مردى رجال * يعنى اذا لم يستطع ان يغير المنكر بلسانه ويده فلينكره بقلبه فان الرجال يرون الرجولية بالهمة ويتضرعون الى الله فى دفع ما لا يقدرون على دفعه والاشارة فى الاية ان الامة التى يدعون الى الخير بالافعال دون الاقوال هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون من وعيد من يأمر بالمعروف ولا يأتيه والذى يدل عليه ما روى اسامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعته يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه فى النار فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اهل النار عليه فيقولون اى فلان ما شأنك ألست تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه والداعى الى الخير فى الحقيقة شيوخ الطريقة فان من لم يعرف الله لم يعرف الخير اذ الخير المطلق هو الكمال المطلق الذى يكون للانسان بحسب النوع من معرفة الحق والوصول اليه كما كان للنبى عليه السلام والاضافى ما يتوصل به الى المطلق فالخير المدعو اليه اما الحق واما طريق الوصول اليه والمعروف كل ما يقرب اليه والمنكر كل ما يبعد عنه

فمن لم يكن له التوحيد والاستقامة لم يكن له مقام الدعوة فغير المستقيم وان كان موحدا ربما امر بما هو معروف عنده منكر فى نفس الامر وربما نهى عما هو منكر عنده معروف فى نفس الامر كمن بلغ فى مقام الجمع واحتجب بالحق عن الخلق فكثيرا ما يستحل محرما ويحرم حلالا فهم اهل الحجاب واهل الفلاح المطلق هم الذين لم يبق لهم حجاب وهم خلفاء الله فى ارضه اوصلنا الله واياكم الى معرفة حقيقة الحال وشرفنا بالوصول الى جنابه المتعال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا (واختلفوا) باستخراج التأليفات الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية قال الامام تفرقوا بابدانهم بان صار كل واحد من اولئك الاحبار رئيسا فى بلد ثم اختلفوا بان صار كل واحد منهم يدعى انه على الحق وان صاحبه على الباطل واقول انك اذا انصفت علمت ان اكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله العفو والرحمة انتهى (من بعد ما جاءتهم البينات) اى الايات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة (واولئك لهم عذاب عظيم) فى الآخرة بسبب تفرقهم فانه يدوم ولا ينقطع ولما امر الله هذه الامة بان يكونوا آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر وذلك لا يتم الا اذا كان الآمر بالمعروف قادرا على تنفيذ هذا التكليف على الظلمة والمتغلبين ولا تحصل هذه القدرة الا اذا حصلت الالفة والمحبة بين اهل الحق والدين فلا جرم حذرهم الله عن التفرقة والاختلال لكيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف فعلى المؤمنين ان لا يكونوا اناشين بمقتضى طباعهم غير متابعين لامام ولا متفقين على كلمة واحدة باتباع مقدم يجمعهم على طريقة واحدة فان لم يكن لهم مقتدى وامام تتحد عقائدهم وسيرهم وآراؤهم بمتابعته وتتفق كلمتهم فى الآخرة على محسوس اوضح من ظهوره فى الدنيا ممن دعا الى الله على بصيرة كالرسول واتباعه الذين الحقهم الله بدرجات الدنيا فى الدعاء اليه على بصيرة كلماتهم وعاداتهم واهوآئهم لمحبته وطاعته كانوا مهملين متفرقين فرآئس للشيطان كشريدة الغنم تكون للذئب ولهذا قال امير المؤمنين على رضى الله عنه لا بد للناس من امام بار او فاجر ولم يرسل نبى الله رجلين فصاعدا لشأن الا وامر احدهما على الآخر وامر الآخر بمتابعته وطاعته ليتحد الامر وينتظم والا وقع الهرج والمرج واضطرب امر الدين والدنيا واختل نظام المعاش والمعاد قال عليه السلام من فارق الجماعة قيد شبر لم ير بحبوحة الجنة وقال يد الله مع الجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد الا يرى ان الجمعية الانسانية اذا لم تنضبط برياسة القلب وطاعة العقل كيف اختل نظامها وآلت الى الفساد والتفرق الموجب لخسار الدنيا والآخرة ولما نزل قوله تعالى وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه فعلى العاقل ان يسلك الى صراط التوحيد ولوازمه وحقوقه ويجتنب من سبل الشيطان واسباب الدخول فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس الى ان قال وحسابهم على الله اراد بقوله وحسابهم على الله انه لا يعلم انهم قالوها معتقدين لها فالمشرك لا قدم له على صراط التوحيد وله قدم على صراط الوجود والمعطل لا قدم له على صراط الوجود فالمشرك ما وحد الله هنا فهو من الموقف الى النار مع المعطلة ومن هو من اهل النار الا المنافقين فلا بد لهم ان ينظروا الى الجنة وما فيها من النعيم فيطمعون فذلك نصيبهم من الجنان ثم يصرفون الى النار وهذا من عدل الله فقد بلوا باعمالهم فالشرع هنا هو الصراط المستقيم ولا نزال فى كل ركعة من الصلاة نقول اهدنا الصراط المستقيم فهو احد من السيف وادق من الشعر وظهوره على علم وكشف قال على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فمن تمسك بالشرع المتين والقرآن المبين واهتدى الى هذا الصراط المستقيم وتخلص من التفرق الموجب للعذاب الاليم فليس عليه حساب ولا صراط فى الآخرة بل هو مع الانبياء والاولياء فى النعيم المقيم ومن زلت قدمه عن الشرع فى الدنيا بارتكاب المحظورات زلت فى الآخرة ايضا اذ من كان فى الدنيا اعمى محجوبا غير واصل كان فى الآخرة ايضا كذلك والعياذ بالله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزالون على الصراط كثيرا واكثر من يزل عنه النساء وقال رأيت النار واكثر اهلها النساء فانهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير فلو احسنت الى احداهن الدهر كله ثم اذا رأت منك شيأ قالت ما رأيت منك خيرا قط فانظر كيف زلت اقدامهن عن الصراط فى الآخرة وما ذلك الا لكونهن ازالة عن صراط الشرع فى الدنيا

بالاعتقاد والاعمال ونعم ما قال الجامى عقل زن ناقص است ودينش نيز * هر كزش كامل اعتقاد مكن * كر بدست ازوى اعتبار مكير * ور نكو بروى اعتماد مكن * فاذا وقفت على هذا التفصيل فاجتهد ايها العبد الذليل فى طريق المتابعة والموافقة للانبياء والكاملين وتمسك بذيل شيخ واصل الى اليقين لعله يجمع باذن الله شملك بعد ما تبدد وصلك وتفرق حالك فان الطريق المجهول لا بد له من مرشد والا فالهلاك عصمنا الله واياكم من الخلاف والاختلاف واسلكنا طريق الاخيار من الاسلاف وثبتنا فيه الى آخر الآجال وحشرنا باهل الفضل والكمال (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) اى اذكروا ايها المؤمنون يوم تبيض وجوه كثيرة وتسود وجوه كثيرة وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكون الخوف فيه يقال لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه ابيض وجهه اى استبشر ولمن وصل اليه مكروه اغبر لونه وتبدلت صورته فمعنى الآية ان المؤمن يرد يوم القيامة على ما قدمت يداه فان كان ذلك من الحسنات استبشر بنعم الله وفضله واذا رأى الكافر اعماله القبيحة اشتد حزنه وغمه وقيل بياض الوجه وسواده حقيقتان فيوسم اهل الحق ببياض الوجوه والصحيفة واشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك والحكمة فى ظهورهما فى الوجوه حقيقة ان السعيد يفرح بان يعلم قومه انه من اهل السعادة قال تعالى مخبرا عنه ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين والشقى يغتم بعكس ذلك (فاما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (اكفرتم بعد ايمانكم) الهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه عليه السلام او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق (فذوقوا العذاب) المعهود الموصوف بالعظم (بما كنتم تكفرون) بالقرآن ومحمد عليه السلام (واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) اى الجنة والنعيم المقيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى (هم فيها خالدون) كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك) اشارة الى الايات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار وهو مبتدأ (آيات الله) خبره (نتلوها) جملة حالية من الايات (عليك) اى نقرؤها عليك يا محمد بواسطة جبريل (بالحق) حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اى ملتبسين او ملتبسة بالحق والعدل ليس فى حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد (وما الله يريد ظلما) اى شيأ من الظلم (للعالمين) لاحد من خلقه كيف والظلم تصرف فى ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف فى ملك نفسه او انه وضع الشئ فى غير موضعه وذلك قد يكون بمنع حق المستحق عنه وقد يكون بفعل ما منع منه ولا ينبغى له ان يفعله وكل ذلك لا يتصور فى حقه تعالى فيستحيل تصور الظلم من الله فانه لا حق لاحد فيظلم بمنعه ولا يمنع عن شئ فيظلم بفعله بل هو المالك على الاطلاق وافعاله محض حكمة وعدل (ولله ما فى السموات وما فى الارض) اى له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم فى مقام بيان عظمته تعالى (والى الله) اى الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة واستقلالا (ترجع الامور) اى امورهم فيجازى كلا منهم بما وعد له واوعده من غير دخل فى ذلك لاحد قط فان قيل الرجوع اليه يكون بعد الذهاب عنه ولم يكن فلم قال ذلك قلنا كانت كالذاهبة بهلاكها ثم اعادتها لان فى الدنيا يملك بعض الخلق بالتدبير وفى القيامة يكون كل ذلك لله تعالى والاشارة ان الذين تبيض وجوههم يوم القيامة هم الذين ابيضت قلوبهم اليوم بنور الايمان والجمعية والوفاق مع الله والذين تسود وجوههم يومئذ هم الذين اسودت قلوبهم بالكفر والتفرق والاختلاف من الله وذلك لان الوجوه تحشر بلون القلوب كقوله تعالى يوم تبلى السرآئر اى يجعل ما فى الضمائر على الظواهر زراندود كانرا باتش برند * بديد آيد آنكه كه مس يا زرند * فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم وهم ارباب الطلب السائرون الى الله الذين انقطعوا فى بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتدوا على اعقابهم القهقرى فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون تسترون الحق بالباطل وتعرضون عن الحق فى طلب الباطل وكنتم معذبين بنار الهجران والقطيعة فى الدنيا ولكن ما كنتم تذوقون عذابها لان الناس

نيام والنائم لايذوق الم الجراحات حتى ينتبه فاذا ماتوا انتبهوا فيذوقوا الم الجراحات الانقطاع والاعراض عن الله واما الذين ابيضت وجوههم فهم فى رحمة الجمعية والوفاق مع الله فى الدنيا وهم فيها خالدون فى الاخرة لانه يموت المرء على ماعاش فيه ويحشر على ما مات عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على مامات عليه وقال من مات سكران فانه يعاين ملك الموت سكران ويعاين منكرا ونكيرا سكران ويبعث يوم القيامة سكران الى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران فيه عين يجرى ماؤها دما لايكون له طعام ولا شراب الا منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنى جبريل عليه السلام ان لا اله الا الله انس للمسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لوتراهم حين يمرقون من قبورهم وينفضون عن رؤسهم التراب هذا يقول لا اله الا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادى يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله مسودة وجوههم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النياحة على الميت من امر الجاهلية وان النائحة اذا لم تتب قبل ان تموت فانها تبعث يوم القيامة عليها سرابيل من قطران ثم يعلى عليها بدرع من لهب النار وفى التنزيل الذين يأكلوا الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان قال اهل التأويل كلهم يبعث كالمجنون عقوبة لهم وتمقيتا عند اهل الحشر فجعل الله هذه العلامة لاكلة الربا وذلك انه ارباه فى بطونهم فاثقلهم فهم اذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم نسأل الله الستر فى الدنيا والاخرة وهو الموفق للصالحات من الاعمال والافعال (كنتم خير امة) كنتم من كان الناقصة التى تدل على تحقق شئ بصفة فى الزمان الماضى من غير دلالة على عدم سابق اولاحق ويحمل على الدوام اوالانقطاع بحسب معونة المقام ودلالة القرآئن فقولك كان زيد قائما محمول على الانقطاع وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما محمول على الدوام ومنه قوله تعالى كنتم خير امة (اخرجت للناس) صفة لامة اظهرت لاجلهم ومصلحتهم ونفعهم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) جملة مستأنفة بين بها كونهم خير امة كانه قيل السبب فى كونكم خير الامم هذه الخصال الحميدة والمقصود بيان علة تلك الخيرية كقولك زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم لان ذكر الحكم مقرونا بالوصف المناسب له يشعر بالعلية (وتؤمنون بالله) اى ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء (ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم) اى لو آمنوا كايمانكم لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين (منهم المؤمنون) كانه قيل هل منهم من آمن اوكلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه (واكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر الخارجون عن الحدود (لن يضروكم الا اذى) استثناء مفرغ من المصدر العام اى لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضرر اذى لايبالى به من طعن وتهديد لا اثر له (وان يقاتلوكم) اى ان خرجوا الى قتالكم (يولوكم الادبار) مفعول ثان ليولوكم اى يجعلوا ظهورهم مايليكم ويرجعوا الى ادبارهم منهزمين من غير ان ينالوا منكم شيأ من قتل اواسر (ثم لا ينصرون) عطف على الشرطية وثم للتراخى فى المرتبة اى لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واحدا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لايقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرب يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فلا ينهضون بجناح ولا ترجع اليهم قوة ونجاح كما كان من حال بنى قريظة والنضير وقينقاع ويهود خيبر (ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا) اى فى اى مكان واى زمان وجدوا فى دار الاسلام الزموا الذل اى هدر النفس والمال والاهل بحيث صار كشئ يضرب على الشئ فيحيط به (الا بحبل من الله وحبل من الناس) استثناء من اعم الاحوال اى ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هى عليه فى جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله وذمة المسلمين واستعير الحبل للعهد لانه سبب للنجاة والفوز بالمراد وعطف قوله وحبل من الناس على قوله بحبل من الله يقتضى المغايرة قال الامام فى وجهه الامان الحاصل للذمى قسمان احدهما الذى نص الله عليه وهو الامان الحاصل له باعطاء الجزية عن يد وقبوله اياها والثانى الامان الذى فوض الى رأى الامام واجتهاده فيعطيهم الامان مجانا تارة وببدل زآئد اوناقص اخرى على حسب اجتهاده فالاول هو المسمى بحبل الله والثانى هو المسمى بحبل المؤمنين فالامانان واقعان بمباشرة

المسلمين الا انهما متغايران بالاعتبار (وباؤا بغضب من الله) اى رجعوا بغضب كائن منه تعالى مستوجبين له (وضربت عليهم المسكنة) اى زى الافتقار فهى محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود فى غالب الامر فقرآء اما فى نفس الامر واما انهم يظهرون من انفسهم الفقر وان كانوا اغنياء موسرين فى الواقع (ذلك) اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله) اى ذلك الذى ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد عليه السلام وتحريفهم لها ولسائر الآيات القرءآنية (ويقتلون الانبياء بغير حق) اى فى اعتقادهم ايضا وهؤلاء المتأخرون وان لم يصدر عنهم قتل الانبياء لكنهم كانوا راضين بفعل اسلافهم مصوبين لهم فى تلك الافعال القبيحة وطالبين للقتل لوظفروا به فكانوا بذلك كانهم فعلوها بانفسهم فلذا اسند القتل اليهم (ذلك) اشارة الى ماذكر من الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) اى كان بسبب عصيانهم واعتدآئهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضى الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر فان من توغل فى المعاصى والذنوب واستمر عليها الاجرم تتزايد ظلمات المعاصى على قلبه حالا فحالا ويضعف نور الايمان فى قلبه حالا فحالا ولم يزل الامر كذلك الى ان يبطل نور الايمان وتحصل ظلمة الكفر نعوذ بالله من ذلك واليه الاشارة بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فقوله تعالى ذلك بما عصوا اشارة الى علة العلة ولهذا المعنى قال ارباب المعاملات من ابتلى بترك الادب وقع فى ترك السنن ومن ابتلى بترك السنن وقع فى ترك الفريضة ومن ابتلى بترك الفريضة وقع فى استحقار الشريعة ومن ابتلى بذلك وقع فى الكفر فعلى المؤمن ان لا يفتح باب المعصية على نفسه خوفا مما يؤدى اليه بل وبترك ايضا بعض ما ابيح له فى الشرع وذلك هو كمال التقوى قال عليه السلام لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما به البأس وقال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الحديث فمنع من الاقدام على الشبهات مخافة الوقوع فى المحرمات وذلك سد للذريعة والعارف متى قصد مخالفة امره تعالى يجد من قلبه استحياء منه تعالى فينتهى عما نوى وعزم ويجتهد فى عبادة ربه قال الجنيد رحمه الله العبادة على رؤس العارفين كالتيجان على رؤس الملوك ورؤى فى يده سبحة فقيل له انت مع شرفك تأخذ فى يدك سبحة فقال طريق وصلنا به الى ما وصلنا لانتركه ابدا قال الشيخ ابو طالب رحمه الله مداومة الاوراد من اخلاق المؤمنين وطريق العابدين وهى مزيد الايمان وعلامة الايقان قال الشيخ ابو الحسن رحمه الله سألت استاذى عن ورد المحققين فقال اسقاط الهوى ومحبة المولى ابت المحبة ان تستعمل محبا لغير محبوبه وقال الورد رد النفس بالحق عن الباطل فى عموم الاوقات فليواظب العبد على الاوراد والطاعات وليجانب المعاصى والسيئات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيى يا رسول الله والحمد لله قال ليس ذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى وليحفظ البطن وما وعى وليذكر الموت والبلى ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء

مبر طاعت نفس شهوت پرست ✻ كه هر ساعتى قبلهٔ ديكرست ✻

قال بعض المشايخ لو ان رجلا عاش مائتى سنة ولا يعرف هذه الاربعة فليس شئ احق به من النار احدها معرفة الله تعالى فى السر والعلانية ان لا معطى ولا مانع غيره والثانى معرفة عمل الله بان يعرف ان الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لرضى الله تعالى والثالث معرفة نفسه بان يعرف ضعفه انه لا يستطيع ان يرد شيأ مما قضى الله عليه والرابع معرفة عدو الله وعدو نفسه فيحاربه بالمعرفة حتى يكسره فان المعرفة سلاح العارف فمن كان عنده المعرفة الحقيقية كان غالبا على اعدآئه الظاهرة والباطنة ووصل الى مراده والنفس عين العدو فعليك بالاحتراز من شره ومحاربته كل آن بالذكر والفكر والعمل الصالح عصمنا الله واياكم من الشرور (ليسوا سوآء) اى ليس اهل الكتاب جميعا مستوين متعادلين فى المساوى والقبائح والمراد بنفى المساواة نفى المشاركة فى اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لانفى المساواة فى مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة فى اصل الاتصاف بها (من اهل الكتاب امة قائمة) كلام مستأنف لبيان عدم استوآئهم وتمام الكلام يقتضى ان يقال ومنهم امة مذمومة الا انه اضمر بناء على ان ذكر احد الضدين يغنى عن الآخر اى من اهل الكتاب جماعة قائمة اى مستقيمة

عادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وغيره نزلت حين قالت احبار اليهود لعبد الله بن سلام وغيره من الذين اسلموا من اليهود ما آمن بمحمد الا شرارنا فلو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم اونزلت فى قوم يصلون صلاة الاوابين وهى اثنتا عشرة ركعة بعد صلاة المغرب (يتلون آيات الله) اى القرآن صفة اخرى لامة (آناء الليل) ظرف ليتلون اى فى ساعاته جمع انى كعصا (وهم يسجدون) الجملة حال من فاعل يتلون اى يصلون اذ لا تلاوة فى السجود وقال عليه السلام الا انى نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلاة لكونه ادل على كمال الخضوع والمراد بصلاتهم التهجد اذ هو ادخل فى مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها فى المكتوبة وظيفة للامام واعتبار حالهم عند الصلاة على الانفراد يأباه مقام المدح (يؤمنون بالله واليوم الآخر) على الوجه الذى نطق به الشرع تعريض بان ايمان اليهود به مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما فى شئ اصلا (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) تعريض بمداهنتهم فى الاحتساب بل تعكيسهم فى الامر باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهى عن المعروف (ويسارعون فى الخيرات) المسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب فى الامر سارع فى توليه والقيام به وآثر الفور على التراخى اى يبادرون مع كمال الرغبة فى فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية تعريض بتباطئ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى الشر (واولئك) المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها (من الصالحين) اى من جملة من صلحت احوالهم عند الله تعالى واستحقوا رضاه وثناءه (وما يفعلوا من خير) كائنا ما كان مما ذكر اولم يذكر (فلن يكفروه) فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة وسمى منع الثواب ونقصه كفرانا مع انه لا يجوز ان يضاف الكفران الى الله تعالى اذ ليس لاحد عليه تعالى نعمة حتى يكفرها نظرا الى انه تعالى سمى ايصال الجزاء والثواب شكرا حيث قال فان الله شاكر عليم فلما جعل الشكران مجازا عن توفية الثواب جعل الكفران مجازا عن منعه وتعديته الى مفعولين وهما ما قام مقام الفاعل والهاء لتضمنه معنى الحرمان (والله عليم بالمتقين) بشارة لهم بجزيل الثواب واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى والاشارة فى قوله وما تفعلوا من خير اى من خير يقربهم اليه فالله يشكره بتقربه اليهم اكثر من تقربهم اليه كما قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه باعا وقال انا جليس من ذكرنى وانيس من شكرنى ومطيع من اطاعنى اى كما اطعتمونى بتصفية الاستعداد والتوجه نحوى اطعتكم بافاضة الفيض على حسبه والاقبال اليكم والله عليم بالذين اتقوا ما يحجبهم عنه فتجلى لهم بقدر زوال الحجاب قال ابو بكر الكتانى رأيت فى المنام شابا لم ار احسن منه فقلت من انت فقال التقوى قلت فاين تسكن قال فى كل قلب حزين ثم التفت الى فاذا امرأة سوداء اوحش ما يكون فقلت من انت فقالت الضحك فقلت اين تسكنين فقالت فى كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا اضحك الا غلبة فعلى السالك ان يتمسك بحبل التقوى ويأنس به فى الدنيا لعل الله يجعله انيساله فى قبره وحشره فالتقوى من ديدن الصلحاء وهم الذين يسارعون الى الخيرات ماداموا فى الحياة قال الشيخ ابو الحسن رحمه الله افضل ما يسأل العبد من الله خيرات الدين ففى خيرات الدين خيرات الآخرة وفى خيرات الآخرة خيرات الدنيا وفى خيرات الدنيا ظهور خصائص الاولياء وهى اربعة اوصاف العبودية ونعوت الربوبية والاشراف على ما كان ويكون والدخول على الله فى كل يوم سبعين مرة والخروج كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة واستغفاره عليه السلام من نقص ما رقى عنه باعتبار ما ترقى اليه اذ ذلك الاستغفار من مقتضى البشرية التى لا يمكن دفعها ووجه الاستغفار منه عليه السلام التفريق بين حالين كان فيهما بالعبودية اذ لا يلحق النبى نقص بوجه ولا فتور بحال لثبوت عصمته ولكن حسنات الابرار سيئات المقربين فينبغى للانسان ان يأخذ على نفسه ان لا يضيع لحظة حتى يأخذها بالذكر والشكر ومتى رأى خللا رفعه بالاستغفار وذكر الله تعالى علم الايمان وبراءة من النفاق وحصن من الشيطان وحرز من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث الله يحيى بن زكريا عليهما السلام الى بنى اسرائيل امره ان يأمرهم بخمس خصال ويضرب لكل خصلة مثلا امرهم ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ وضرب لهم مثل الشرك كرجل اشترى عبدا من ماله ثم اسكنه دارا وزوجه ودفع اليه مالا وامره ان يتجر فيه ويأكل منه ما يكفيه ويؤدى اليه فضل الربح

فعمد العبد الى فضل الربح فجعل يعطيه اعدى عدو سيده ويعطى لسيده منه شيأ يسيرا فايكم يرضى بفعال هذا العبد وامرهم بالصلاة وضرب لهم مثلا للصلاة كمثل رجل استأذن على ملك من الملوك فاذن له فدخل عليه فاقبل عليه الملك بوجهه ليستمع مقالته ويقضى حاجته فالتفت يمينا وشمالا ولم يهتم لقضاء حاجته فاعرض عنه الملك فلم يقض حاجته وامرهم بالصيام وضرب لهم مثلا فقال مثل الصائم كمثل رجل لبس جبة للقتال واخذ سلاحه فلم يصل اليه عدوه ولم يعمل فيه سلاح عدوه وامرهم بالصدقة وضرب لهم مثلا للمتصدق فقال مثل المتصدق كمثل رجل اسره عدوه فاشترى منهم نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل فى بلادهم ويؤدى اليهم من كسبه القليل والكثير حتى يفتدى منهم نفسه فعتق وفك رقبته وامرهم بذكر الله تعالى وضرب لهم مثلا الذكر فقال مثل الذكر كمثل قوم لهم حصن وتقرب بهم عدوهم فدخلوا حصنهم واغلقوا بابه وحصنوا انفسهم من العدو ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم وانا آمركم بالخصال الخمس التى امر الله بها يحيى عليه السلام وآمركم بخمس اخرى امرنى الله بها عليكم بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد فليسارع العبد الى الخيرات والحسنات وجميع الحالات ولا يتيسر ذلك الا لارباب الارادات واصحاب المجاهدات

نبايد نكوكارى ازبد ركان * محالست دوزندكى ازسكان *
توان پاك كردن زژنك آينه * وليكن نيايد زسنك آينه *
بكوشش نرويد كل ازشاخ بيد * نه زنكى بكرمابه كردد سفيد *

(ان الذين كفروا) اى بما يجب ان يؤمن به (لن تغنى عنهم) اى لن تدفع عنهم (اموالهم ولا اولادهم من الله) اى من عذابه تعالى (شيأ) اى شيأ يسيرا منه اوشيأ من الاغناء رد للكفار كافة حيث فاخروا بالاموال والاولاد قائلين نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وكانوا يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه بالفقر ويقولون لو كان محمد على الحق لما تركه ربه فى الفقر والشدة وخص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد فانفع الجمادات هو المال وانفع الحيوانات هو الولد فالكافر اذا لم ينتفع بهما فى الآخرة البتة دل ذلك على عدم انتفاعه بسائر الاشياء بالطريق الاولى (واولئك اصحاب النار) اى مصاحبوها على الدوام وملازموها (هم فيها خالدون) ابدا ولما بين ان اموال الكفار لا تغنى عنهم شيأ ثم انهم ربما انفقوا اموالهم فى وجوه الخيرات فيخطر ببال الانسان انهم ينتفعون بذلك فازال الله بهذه الآية تلك الشبهة وبين انهم لا ينتفعون بتلك الانفاقات وان كانوا قد قصدوا بها وجه الله فقال (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا) اى حال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة وطلبا لحسن الذكر بين الناس وعداوة لاهل الاسلام كما انفق ابو سفيان واصحابه مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد (كمثل ريح فيها صر) اى برد شديد مهلك فانه فى الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر (اصابت حرث قوم) اى زرع قوم (ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصى فباؤا بغضب من الله وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وافظع (فاهلكته) عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة بوجه من الوجوه فهو من التشبيه المركب (وما ظلمهم الله) بما بين من ضياع ما انفقوا من الاموال (ولكن انفسهم يظلمون) لما انهم اضاعوها بانفاقها لا على ما ينبغى وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص واعلم ان انفاق الكفار اما ان يكون لمنافع الدنيا او لمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق منه اثر البتة فى الآخرة فى حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الآخرة ولعلهم انفقوا اموالهم فى الخيرات ببناء الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والايتام والارامل وكان ذلك المنفق يرجو من ذلك الانفاق خيرا كثيرا فاذا قدم الآخرة رأى كفره مبطلا لآثار الخيرات وكان كمن زرع زرعا وتوقع منه نفعا كثيرا فاصابه ريح فاحرقته ولا يبقى معه الا الحزن والاسف هذا اذا انفقوا الاموال فى وجوه الخيرات اما اذا انفقوها فيما ظنوا انه من الخيرات لكنه كان من المعاصى مثل انفاق الاموال فى ايذاء الرسول وفى قتل المؤمنين وتخريب ديارهم فالذى قلنا فيه اشد واشد ونظير هذه الآية وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ويدخل فيه ما ينفقه بعض صاحب الغرض لنفى رجل صالح من بلده او قتله او ايذائه ونعوذ بالله من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن جسده فيم ابلاه وعن علمه ما عمل فيه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه فليبادر العاقل الى الانفاق من ماله والاخلاص

فی عمله قال علیه السلام یجاء یوم القیامة بصحف مختومة فتنصب بین یدی الله عزوجل فیقول الله تعالی للملائکة القوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائکة وعزتك ما رأینا الا خیرا فیقول وهو اعلم ان هذا کان لغیری ولا اقبل الیوم من العمل الا ما ابتغی به وجهی * زعمرو ای پسر چشم اجرت مدار * چو درخانهٔ زید باشی بکار * چه قدر آورد بندهٔ خوروبس * که زیر قبا دارد اندام پس * قال منصور بن عمار رحمه الله کان لی اخ فی الله یعتقدنی ویزورنی فی شدتی ورخائی وکان کثیر العبادة والتهجد والبکاء ففقدته ایاما فقیل لی هو ضعیف مریض فاتیت بابه فطرقته فخرجت ابنته فدخلت فوجدته فی وسط الدار وهو مضطجع علی فراشه وقد اسود وجهه وازرقت عیناه وغلظت شفتاه فقلت له یا اخی اکثر من قول لا اله الا الله ففتح عینیه ونظر الی شزرا ثم وثم حتی قلت له لئن لم تقلها لا غسلتك ولا کفنتك ولا صلیت علیك فقال یا اخی منصور هذه کلمة قد حیل بینی وبینها فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلی العظیم فاین تلك الصلاة والصیام والتهجد والقیام فقال یا اخی کل ذلك کان لغیر وجه الله انما کنت افعل ذلك لیقال واذکر به واذا خلوت بنفسی غلقت الابواب وارخیت الستور وبارزت ربی بالمعاصی * وراوازه خواهی دراقلیم فاش * برون حله کن کو درون حشو باش * فلا غرور للعاقل بکثرة الاعمال والاولاد والاموال اذا لم تکن نیته صحیحة فیما یجری علیه من الاحوال فاین الذین آثروا العقبی بل المولی علی کل ما سواه فوجدوا الفقر اعز من الغنی والذل الذ من العزة وبذلوا اموالهم وارواحهم فی سبیل الله لعمری قوم عزیز الوجود وقلیل ما هم وقرأ رسول الله صلی الله علیه وسلم الهاکم التکاثر حتی زرتم المقابر ثم قال یقول ابن آدم مالی وهل لك من مالك الا ما اکلت فافنیت او لبست فابلیت او تصدقت فامضیت قال علیه السلام یا عائشة ان اردت اللحوق بی فیکفیك من الدنیا کزاد الراکب وایاك ومجالسة الاغنیاء ولا تستخلقی ثوبا حتی ترقعیه وقال علیه السلام اللهم من احبنی فارزقه العفاف والکفاف ومن ابغضنی فاکثر ماله وولده فقد وقفت ایها العبد علی حقیقة الحال وان المال لا یغنی عن المرء شیأ فعلیك بالقناعة وتقلیل الدنیا ولا تغتر باصحاب الاموال والجاه * ازپی ذکروشوق حق ما را * دردو عالم دل وزبانی بس * وزطعام ولباس اهل جهان * کهنه دلقی ونیم نانی بس (یا ایها الذین آمنوا) نزلت فی قوم من المؤمنین کانوا یواصلون المنافقین فنهاهم الله عن ذلك بقوله (لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل صاحب ولیجته من یعرف اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب التی تلی بطنه کما شبه بالشعار قال علیه السلام الانصار شعار والناس دثار (من دونکم) ای من دون المسلمین متعلق بلا تتخذوا (لا یألونکم خبالا) یقال الا فی الامر اذا قصر فیه ثم استعمل معدی الی مفعولین فی قولهم لا الوك نصحا علی تضمین معنی المنع ای لا امنعك نصحا والخبال الفساد ای لا یقصرون لکم فی الفساد بالمکر والخدیعة ولا یترکون جهدهم فیما یورثکم الشر (ودوا ما عنتم) ای تمنوا عنتکم ای مشقتکم وشدة ضررکم فی دینکم ودنیاکم والفرق بین الجملة الاولی وبین هذه ان معناهما انهم لا یقصرون ضررا فی امور دینکم ودنیاکم فان عجزوا عن ذلك بحب ذلك وتمنیه غیر زائل عن قلوبهم (قد بدت البغضاء من افواههم) البغضاء شدة البغض ای قد ظهرت علامة العداوة فی کلامهم الخارج من افواههم لما انهم لا یتمالکون مع مبالغتهم فی ضبط انفسهم وتحاملهم علیها ان ینفلت من السنتهم ما یعلم به بغضهم للمسلمین (وما تخفی صدورهم اکبر) مما بدا لان بدوه لیس عن رویة واختیار (قد بینا لکم الآیات) الدالة علی وجوب الاخلاص فی الدین وموالاة المؤمنین ومعاداة الکافرین (ان کنتم تعقلون) ما بینا لکم فتعملون به والظاهر ان الجمل من قوله لا یألونکم الی هنا تکون مستأنفات علی وجه التعلیل للنهی عن اتخاذهم بطانة (ها انتم اولاء) ای انتم ایها المؤمنون اولاء المخطئون فی موالاتهم (تحبونهم ولا یحبونکم) لما بینکم من مخالفة الدین (وتؤمنون بالکتاب کله) ای بجنس الکتاب جمیعا وهو حال من الضمیر المفعول فی لا یحبونکم والمعنی لا یحبونکم والحال انکم تؤمنون بکتابهم فما بالکم تحبونهم وهم لا یؤمنون بکتابکم وفیه توبیخ بانهم فی باطلهم اصلب منکم فی حقکم (واذا لقوکم قالوا آمنا) نفاقا (واذا خلوا) فکان بعضهم مکان بعض (عضوا علیکم الانامل من الغیظ) ای من اجله تأسفا وتحسرا حیث لم یجدوا الی التشفی سبیلا والانامل جمع انملة بفتح المیم وهو الطرف الاعلی من الاصبع والغیظ شدة الغضب قال الامام والمعنی انه اذا خلا بعضهم ببعض اظهروا شدة الغیظ علی المؤمنین حتی تبلغ تلك الشدة الی عض الانامل کما یقول ذلك احدنا اذا اشتد غیظه وعظم حزنه علی فوات مطلوبه ولما کثر هذا الفعل من الغضبان صار

ذلك کنایة عن الغضب حتی یقال فی الغضبان انه یعض یده غیظا وان لم یکن هنالك عض وانما حصل لهم هذا الغیظ الشدید لما رأوا من ائتلاف المؤمنین واجتماع کلمتهم وصلاح ذات بینهم (قل موتوا بغیظکم) دعاء علیهم بدوام الغیظ وزیادته بتضاعف قوة الاسلام واهله الی ان یهلکوا به او باشتداده الی ان یهلککم فالمراد اللعن والطرد لا علی وجه الایجاب والا لماتوا من ساعتهم (ان الله علیم بذات الصدور) ای قل لهم ان الله علیم بعداوة الصدور فیعلم ما فی صدورکم من البغضاء والحنق (ان تمسسکم حسنة) ای تصبکم ایها المؤمنون حسنة بظهورکم علی عدوکم وغنیمة تنالونها وتتابع الناس فی الدخول فی دینکم وخصب فی معاشکم (تسؤهم) ای تحزنهم حسدا الی ما نلتم من خیر ومنفعة (وان تصبکم سیئة) مساءة باخفاق سریة لکم او اصابة عدو منکم او اختلاف یکون بینکم او جدب ونکبة (یفرحوا بها) یشمتون مما اصابکم من ضر وشدة وذکر المس مع الحسنة والاصابة مع السیئة للایذان بان مدار مساءتهم ادنی مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السیئة (وان تصبروا) علی عداوتهم او علی مشاق التکالیف (وتتقوا) ما حرم الله علیکم ونهاکم عنه (لا یضرکم کیدهم) مکرهم وحیلتهم التی دبروها لاجلکم والکید حیلة لطیفة تقرب وقوع المکید به فیها (شیأ) نصب علی المصدریة ای لا یضرکم شیأ من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرین والمتقین ولان المجد فی الامر المتدرب بالاتقاء والصبر یکون جریئا علی الخصم (ان الله بما یعملون) فی عداوتکم من الکید (محیط) علما فیعاقبهم علی ذلك والاحاطة ادراك الشیء بکماله فینبغی للمرء ان یجانب اعداء الله ویصبر علی اذاهم فانه امتحان له من الله مع انهم لا یقدرون علی غیر القدح باللسان کما قال تعالی لن یضروکم الا اذی والطعن لم یتخلص منه الانبیاء والاولیاء فکیف انت یا رجل وکلنا ذلك الرجل * تو روی از پرستیدن حق مپیچ * بهل تا نگیرند خلقت بهیچ * رهایی نیابد کس از دست کس * گرفتار را چاره صبرست وبس * وفی قوله تعالی لا تتخذوا بطانة من دونکم اشارة الی ان الحامل لاسرار الرجل ینبغی ان یکون من جنسه معتمدا علیه مؤتمنا وربما یفشی الرجل سره الی من لم یجربه فی کل حاله فیفتضح عند الناس (ان الرجال صنادیق مقفلة * وما مفاتیحها الا التجاریب) فلا تغتر بظاهر انسان حتی تعرف سریرته قال الامام الغزالی ولا تعول علی مودة من لم تختبره حق الخبرة بان تصحبه مدة فی دار او موضع واحد فتجربه فی عزله وولایته وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله فی الدینار والدرهم او تقع فی شدة فتحتاج الیه فان رضیته فی هذه الاحوال فاتخذه اباك ان کان کبیرا او ابنا ان کان صغیرا او اخا ان کان مثلا لك واذا بلغك من الاخوان غیبة او رأیت منهم شرا او اصابك منهم ما یسوءك فکل امرهم الی الله ولا تشغل نفسك بالمکافاة فیزید الضرر ویضیع العمر اشغله ومن بلاغات الزمخشری ما قدع السفیه بمثل الاعراض وما اطلق عنانه بمثل العراض ای المعارضة ونعم ما قیل

اصبر علی مضض الحسو * د فان صبرك قاتله
والنار تأکل نفسها * ان لم تجد ما تأکله

فالمجاملة من سیر الصالحین وکان ابراهیم بن ادهم فی جماعة من اصحابه فکان یعمل بالنهار وینفق علیهم ویجتمعون باللیل فی موضع وهم صیام فکان یبطئ فی الرجوع من العمل فقالوا لیلة تعالوا بنا نجعل فطورنا دونه حتی یعود بعد هذا اسرع فافطروا وناموا فلما رجع ابراهیم وجدهم نیاما فقال مساکین لعلهم لم یکن لهم طعام فعمد الی شیء من الدقیق هنالك فعجنه واوقد النار وطرح الملة فانتبهوا وهو ینفخ فی النار واضعا محاسنه علی التراب فقالوا له فی ذلك فقال قلت لعلکم لم تجدوا فطورا فنمتم فاحببت ان تستیقظوا والملة قد ادرکت فقال بعضهم لبعض ابصروا ای شیء عملنا وما الذی به یعاملنا * بدی را بدی سهل باشد جزا * اگر مردی احسن الی من اساء * قال ذو النون رحمه الله لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشیطان الا بالعداوة فلیسارع العبد الی تحصیل حسن الخلق وتوطین النفس علی الصبر علی المکاره حتی یفوز مع الفائزین قال بعضهم کنت بمکة فرأیت فقیرا طاف بالبیت واخرج من جیبه رقعة ونظر فیها ومر فلما کان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته ایاما وهو یفعل مثله فیوما من الایام طاف ونظر فی الرقعة وتباعد قلیلا وسقط میتا فاخرجت الرقعة من جیبه واذا فیها واصبر لحکم ربك فانك باعیننا قال رسول الله صلی الله علیه وسلم فی وصیته لابن عباس رضی الله

تعالى عنه ان استطعت ان تعمل لله بالرضى فى اليقين فافعل والا فنى الصبر على ما تكره خير كثير ومقاساة
المجاهدات ومخالفة النفس وترك الشهوات واللذات والتزام الفقر والصبر على المكروهات من ديدن السلف
الصالحين واهل النفس الامارة وان كان يبدو من فمه علامات البغض لامثال هؤلاء الاخيار لكنه فى الحقيقة
يعود ضرره الى نفسه والمرء بالصبر على ما جاء من مكاره اعتراضه الفاسد يكون مأجورا ومثابا عند الله تعالى
وتباين الناس بالصلاح والفساد وغير ذلك خير محض يعتبره العاقل ويزكى نفسه به فيا ايها الصلحاء ان الاشرار
متسلطون على الاخيار بالطعن وقصد الاضرار ولكن المتقى فى حصن الله الملك الجبار (واذ غدوت) اى
اذكر لهم يا محمد وقت خروجك غدوة اى اول النهار الى احد ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة
عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة (من اهلك) من منزل عائشة رضى
الله عنها فى المدينة وهذا نص على ان عائشة رضى الله عنها كانت اهلا للنبى صلى الله عليه وسلم قال تعالى
الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فدل هذا على انها كانت مطهرة مبرأة عن كل قبيح الا يرى ان ولد
نوح لما كان كافرا قال انه ليس من اهلك وكذا امرأة لوط (تبوّئ المؤمنين) اى تنزلهم (مقاعد) كائنة
ومهيئة (للقتال) او متعلق بقوله تبوّئ اى لاجل القتال والمقاعد جمع مقعد وهو اسم لمكان القعود عبر
عن تلك الاماكن التى عينت لكل واحد من الصحابة ان يثبت فى ما عين له من تلك الاماكن اما بان يتسع
فى استعمال القعود لمجرد المكان مع قطع النظر عن كونه مكان القعود كما فى قوله تعالى فى مقعد صدق
واما لان كل مكان انما عين لصاحبه لان يقعد وينتظر فيه الى ان يجيء العدو فيقوموا عند الحاجة الى المحاربة
فسميت تلك الاماكن بالمقاعد لهذا الوجه روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابى بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر
الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا
الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم
ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء
الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام انى رأيت فى منامى بقرا مذبحة حولى اى قطيعا منها فاولتها
خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما اى كسرا فاولته هزيمة ورأيت كانى ادخلت يدى فى درع حصينة فاولتها
المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة
يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا طلبا لسعادة الشهادة وطمعا فى الحسنى والزيادة فلم يزالوا به عليه السلام حتى
دخل ولبس لامته اى درعه فلما رأوا ذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحى يأتيه وقالوا
اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد اقام المشركون
باحد يوم الاربعاء والخميس فخرج رسول الله عليه السلام يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة وصلى على رجل من
الانصار مات فيه فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فمشى على
راحلته فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله فى عدوة
الوادى اى طرفه وجانبه وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا
بالنبل اى ادفعوا العدو عنا بالسهم حتى لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فاذا عاينوكم وولوكم الادبار
فلا تطلبوا المدبرين ثم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما خالف رأى عبد الله ابن ابى وكان من قدماء اهل
المدينة ورئيس المنافقين شق عليه ذلك وقال اطاع الولدان وعصانى ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه
بكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم اعداءهم فانهزموا فسيتبعونكم ويصير الامر
على خلاف ما قاله محمد عليه السلام فلما التقى الفريقان انهزم عبد الله بالمنافقين وكان عليه السلام قد
خرج فى الف رجل او تسعمائة وخمسين رجلا فلما بلغوا الشوط رجع ابن ابى بثلثمائة وبقيت سبعمائة فقال
لقومه يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم ابو جابر السلمى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال
عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم وكان الحيان من الانصار بنو اسلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس جناحى
عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقواهم الله تعالى حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام القوم طمعوا ان تكون هذه الواقعة كواقعة
بدر فطلبوا المدبرين فتركوا الموضع الذى امرهم النبى عليه السلام بالثبات فيه ثم اشتغلوا بطلب الغنائم
وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مخالفة الرسول
صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم انما حصل يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم
لم يقوموا لهم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين وكانوا ثلاثة آلاف رجل فحملوا على المؤمنين وتفرق العسكر
عن رسول الله عليه السلام حتى بقى معه سبعة من الانصار ورجلان من قريش فلما قصد الكفار النبى عليه
السلام شجوا رأسه وكسروا رباعيته وثبت معه عليه السلام يومئذ طلحة ووقاه بيده فشلت اصبعاه وصار
مجروحا فى اربعة وعشرين موضعا ولما اصابه عليه السلام ما اصاب من الشجة وكسر الرباعية وغلب عليه
الغشى احتمله طلحة ورجع القهقرى وكلما ادركه واحد من المشركين كان يضعه عليه السلام ويقاتله حتى اوصله
الى الصخرة وكان عليه السلام يقول اوجب طلحة ووقعت الصيحة فى العسكر ان محمدا قد قتل وكان فى جملة
الصحابة رجل من الانصار يكنى ابا سفيان نادى الانصار وقال هذا رسول الله فرجع اليه المهاجرون والانصار
فشمل عز الشهادة اثنين وسبعين من المؤمنين واختص بشرائف نعم الله وجلائل كرمه حمزة سيد الشهداء
وهنيئا له ان مثل به اذ مثل به وكثر فيهم الجراح فقال عليه السلام رحم الله رجلا ذب عن اخوانه وشد على
المشركين بمن معه حتى كشفهم عن القتلى والجرحى واعانهم الله حتى هزموا الكفار ثم ان كل ذلك يؤكد قوله
تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ وان المقبل من اعانه الله والمدبر من خذله الله ومن الله العصمة
(والله سميع عليم) لما شاور النبى عليه السلام اصحابه فى ذلك الحرب وقال بعضهم اقم بالمدينة وقال آخرون
اخرج اليهم وكان لكل احد غرض فى قوله فمن موافق ومن منافق قال تعالى انا سميع لما يقولون عليم بما
يسرون (اذ همت) بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير والهم تعلق الخاطر بما له قدر (طائفتان
منكم) ايها المؤمنون وهما بنو اسلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس (ان تفشلا) اى بان تجبنا وتضعفا وترجعا
لظنهما الصواب فيه والفشل الضعف والظاهر ان همهما ليس بمعنى العزم والقصد المصمم وانما هو خطرات
وحديث نفس كما لا تخلو النفس عند الشدائد من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على
احتمال المكروه (والله وليهما) اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرات والجملة اعتراض (وعلى الله) وحده دون
ما عداه مطلقا استقلالا واشتراكا (فليتوكل المؤمنون) فى جميع امورهم فانه حسبهم وفيه اشعار بان وصف
الايمان من دواعى التوكل وموجباته والتوكل الاعتماد على الغير واظهار العجز قال الامام وفى الاية اشارة الى انه
ينبغى ان يدفع الانسان ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله وان يصرف الجزع عن نفسه بذلك
التوكل قال سهل بن عبد الله التسترى جملة العلوم ادنى باب من التعبد وجملة التعبد ادنى باب من الورع وجملة
الورع ادنى باب من الزهد وجملة الزهد ادنى باب من التوكل وقال ايضا علامة المتوكل ثلاث لا يسأل ولا يرد
ولا يحبس وكان ابراهيم الخواص رحمه الله مجردا فى التوكل وكان لا يفارقه ابرة وخيوط وركون ومقراض
فقيل له يا ابا اسحق لم تحمل هذا وانت تمتنع من كل شئ فقال مثل هذا لا ينقص التوكل لان لله علينا فرائض
والفقير لا يكون عليه غير ثوب واحد فربما يتمزق ثوبه فاذا لم يكن معه ابرة وخيوط تبدو عورته فتفسد
عليه صلاته قال ابو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينما انا امشى فى الطريق اذ وقعت فى بئر فنازعتنى
نفسى ان استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال احدهما
للآخر تعال حتى نسد رأس هذه البئر لئلا يقع فيها احد فاتوا بقصب وطمسوا البئر فهممت ان اصيح ثم قلت
فى نفسى اشكو الى من هو اقرب منهما فسكت فبينما انا بعد ساعة اذا انا بشئ قد جاء وكشف عن رأس البئر
وادخل رجله وكأنه يقول لى تعلق بى فى همهمة له كنت اعرف ذلك منها فتعلقت به فاخرجنى فاذا هو سبع
فمر وهتف بى هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت قال بعضهم من وقع
فى ميدان التفويض يزف اليه المراد كما تزف العروس الى اهلها ولما زج بابراهيم عليه السلام فى المنجنيق واتاه
جبريل فقال الك حاجة قال اما اليك فلا واما الى الله فبلى قال سله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وقد قال
نبينا عليه السلام يقول الله تعالى من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين فعلى السالك

ان يتوكل على الله ويفوض امره اليه فان كل ماقضى وقدر لا يرد البتة وان تعدت نفسك فى ذلك
قضا كشتى آنجا كه خواهد برد * وكر ناخدا جامه برتن برد * يكفيك علم الله بحالك فاقطع نظرك عن
الاسباب والفتح ليس الا من مفتح الابواب مكن سعد ناديده بردست كس * كه بخشنده پرورد كارست
وبس * اكر حق پرستى زدرها بسست * كه كروى براند نخواند كسست (ولقد نصركم الله ببدر)
تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر بئر ماء بين مكة والمدينة حافرها رجل اسمه بدر فسمى به وكانت
وقعة بدر فى السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة (وانتم اذلة) حال من الضمير جمع ذليل
وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل بجمع الكثرة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال
وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد
وماكان معهم الا فرس واحد للمقداد بن الاسود وهو اول من قاتل على فرس فى سبيل الله وتسعون
بعيرا وست ادرع وثمانية سيوف وقلتهم انهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ستة وسبعون من المهاجرين
وبقيتهم من الانصار وكان عدوهم فى حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وكان
صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب رضى الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن
عبادة رضى الله عنه (فاتقوا الله) فى الثبات مع رسوله كما اتقيتم يومئذ (لعلكم تشكرون) اى راجين ان تشكروا
بما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة (اذ تقول) ظرف لنصركم وقت قولك (للمؤمنين) حين اظهروا العجز
عن المقاتلة (ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة) الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد
اعانة الجيش بالجيش والمعنى انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة ان للاشعار بانهم كانوا حينئذ
كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرته (منزلين) اى حال كونهم نازلين من السماء باذنه
تعالى قيل امدهم الله اولا بالف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتتقوى
قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله (بلى) ايجاب لما بعد ان وتحقيق له اى بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم
الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال (ان تصبروا) على لقاء العدو ومناهضتهم
(وتتقوا) معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم (ويأتوكم) اى ان يجيئكم المشركون (من فورهم هذا)
اى من ساعتهم هذه (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يريد
ان الله يعجل نصرتكم ويسهل فتحكم ان صبرتم واتقيتم (مسومين) من التسويم الذى هو اظهار سيما الشئ اى
معلمين انفسهم او خيلهم فى اذنابها ونواصيها بالصوف الابيض قال عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة
قد تسومت روى ان الملائكة كانوا بعمائم بيض الا جبريل عليه السلام فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير
ابن العوام ونزلوا على الخيل البلق موافقة لفرس المقداد اكراما له (وما جعله الله) عطف على مقدر اى
فامدكم به وما جعل الله ذلك الامداد بانزال الملائكة عيانا بشئ من الاشياء (الا بشرى لكم) بانكم تنصرون
(ولتطمئن قلوبكم به) اى بالامداد وتسكن اليه من الخوف كما كانت السكينة لبنى اسرائيل (وما النصر الا)
كائن (من عند الله) لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة فى نصرهم الى مدد وانما امدهم بشارة لهم
وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر فينبغى للمؤمن ان لا يركن الى شئ من ذلك
فان ترتب النصر عليها ليس الا بطريق جرى العادة (العزيز) الذى لا يغالب فى حكمه وقضيته (الحكيم) الذى
يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (ليقطع) متعلق بنصركم اى نصركم الله يوم بدر ليهلك وينقص
(طرفا من الذين كفروا) اى طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون
واسر سبعون (او يكبتهم) اى يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع فى القلب من كبته
بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة واو للتنويع دون الترديد (فينقلبوا خائبين) غير ظافرين بمبتغاهم
وينهزموا منقطعى الآمال والخيبة هو الحرمان من المطلوب والفرق بينها وبين اليأس ان الخيبة لا تكون الا بعد
التوقع واما اليأس فانه قد يكون بعد التوقع وقبله فنقيض اليأس الرجاء ونقيض الخيبة الظفر (ليس لك من
الامر شئ) اعتراض (او يتوب عليهم او يعذبهم) عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم على
الاطلاق فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم تعذيبا شديدا اخرويا ان اصروا وليس

لك

لك من امرهم شئ وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم (فانهم ظالمون) قد استحقوا التعذيب بظلمهم
(ولله ما فى السموات وما فى الارض) من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله
(يغفر لمن يشاء) ان يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح (ويعذب من يشاء) ان يعذبه وقدم المغفرة لسبق
رحمته تعالى غضبه وهذا صريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له (والله غفور رحيم)
لعباده والمقصود بيان انه وان حسن كل ذلك منه الا ان جانب الرحمة والمغفرة غالب لا على سبيل الوجوب بل على
سبيل الفضل والاحسان فليبادر العاقل الى الاعمال التى يستوجب بها رحمة الله تعالى ولا ييأس من روح الله
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود بشر المذنبين وانذر
الصديقين قال يا رب فكيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين قال بشر المذنبين بانى لا يتعاظمنى ذنب الا اغفره وانذر
الصديقين ان لا يعجبوا باعمالهم وانى لا اضع عدلى وحسابى على احد الا اهلكه وروى عن عمر رضى الله تعالى
عنه انه دخل على النبى عليه السلام فوجده يبكى فقال ما يبكيك يا رسول الله قال جاءنى جبريل فقال ان الله
يستحيى ان يعذب احدا قد شاب فى الاسلام فكيف لا يستحيى من شاب فى الاسلام ان يعصى الله فالواجب على
الشيخ ان يعرف هذه الكرامة ويشكر الله ويستحيى منه ومن الكرام الكاتبين ويمتنع من المعاصى ويكون
مقبلا على طاعة ربه فانه فى ساحل بحر المنون روى ان الحجاج لما اقام بالعراق يرهب ويفتك حتى استوثقت له
الامور خرج عليه عبد الرحمن بن الاشعث باهل العراق فامده عبد الملك باهل الشام فكانوا شيعته واستمرت
بينه وبين ابن الاشعث الوقائع حتى هزمه الحجاج بدير الجماجم بعد ثمانين وقعة فى ستة اشهر وكان مع ابن الاشعث
اكثر من مائتى الف فلما هزموا قال الحجاج لاصحابه اتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم ثم نادى مناديه من رجع
فهو آمن ودخل الكوفة وجاء الناس من المنهزمين يبايعونه فكان يقول لمن جاء يبايعه اشهد على نفسك
بالكفر وخروجك عن الجماعة ثم تب فان شهد والا قتله فاتاه رجل من خثعم فقال اشهد على نفسك بالكفر
فقال ان كنت عبدت ربى ثمانين سنة ثم اشهد على نفسى بالكفر لبئس العبد انا والله ما بقى من عمرى الا ظمئ
حمار وانى انتظر الموت صباحا ومساء فامر به فضربت عنقه وقدم بعده شيخ فقال الحجاج ما اظن الشيخ يشهد
على نفسه بالكفر فقال يا حجاج اتخادعنى عن نفسى انا اعرف بها منك وانى لا كفر من فرعون وهامان
فضحك الحجاج وخلى سبيله فانظر الى ضعف ايمانه كيف ارتكب هذا القبح بعد ما جاوز حد الشباب الذى
ليس بعده الا انتظار الموت صباحا ومساء من اقراره بالكفر مع غاية شيبه ومن لم تتداركه العناية الازلية لم يجئ
منه شئ فعلى السالك ان يطمئن قلبه بالايمان ويجتهد الى ان يصل الى قوة اليقين ومن قوة اليقين التوحيد وهو
ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ويرى الوسائط مسخرة لحكمه ولا ريب ان قوة اليقين بتصفية القلب
عن كدورات النفس * چو پاك آفريدت بهش باش وپاك * كه ننكست ناپاك رفتن بخاك * پيابى
بيفشان از آيينه كرد * كه صيقل نكيرد چو زنكار خورد * وجلاء القلب انما يحصل بذكر الله وتلاوة
القرآن والصلاة على النبى عليه السلام وخير الاذكار كلمة التوحيد وهى العروة الوثقى قال ابراهيم الخواص
قدس سره دواء القلب خمسة تلاوة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع الى الله تعالى عند
السحر ومجالسة الصالحين فعليك بالمواظبة لهذه الخصال لعلك تصل الى التزكية ودرجة الكمال بعون الله
الملك العزيز المتعال (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا) والمراد باكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لانه معظم
ما يقصد بالاخذ ولشيوعه فى المأكولات مع ما فيه من زيادة التشنيع (اضعافا مضاعفة) زيادات مكررة كان
الرجل فى الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم الى اجل ولم يكن المديون واجدا لذلك المال قال زدنى
فى المال حتى ازيد فى الاجل فربما جعله مائتين ثم اذا حل الاجل الثانى فعل مثل ذلك ثم الى آجال كثيرة فيأخذ
بسبب تلك المائة اضعافها واضعافا جمع ضعف حال من الربا اى متضاعفا ولما كان جمع قلة والمقصود الكثرة
اتبعه بما يدل على الكثرة حيث وصفه بقوله مضاعفة وهى اسم مفعول لا مصدر وهذه الحال ليست لتقييد
النهى بها حيث تنتفى الحرمة عند انتفائها بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم على ذلك (واتقوا
الله) فيما نهيتم عنه خصوصا الربا وعمله (لعلكم تفلحون) راجين الفلاح (واتقوا النار التى اعدت للكافرين)
بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى ما يتعاطونه وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة وكان

ابو حنيفة رحمه الله يقول هى اخوف آية فى القرءآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه
فى اصناف محارمه (واطيعوا الله) فى كل ما امركم به ونهاكم عنه (والرسول) الذى يبلغكم اوامره ونواهيه
(لعلكم ترحمون) راجين لرحمته ولعل وعسى فى امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبراله قال القاشانى
ولا يخفى على الفطن ما فيه من المبالغة فى التهديد على الربا حيث اتى بلعل فى فلاح من اتقاه واجتنبه لان تعليق
امكان الفلاح ورجاءه بالاجتناب منه يستلزم امتناع الفلاح لهم اذا لم يجتنبوه ويتقوه مع ايمانهم ثم اوعد عليه
بالنار التى اعدت للكافرين مع كونهم مؤمنين فما اعظمها من معصية توجب عقاب الكفار للمؤمنين
وما اشده من تغليظ عليه ثم امد التغليظ بالامر بطاعة الله ورسوله تعريضا بان آكل الربا منهمك فى المعصية
لا طاعة له ثم علق رجاء المؤمنين بطاعة الله ورسوله اشعارا بانه لا رجاء للرحمة مع هذا النوع من العصيان فهو
يوجب اليأس من رحمته للمؤمنين لامتناعها لهم معه فانظر كيف درج التغليظ فى التهديد حتى الحقه
بالكفار فى الجزآء والعقاب انتهى بعبارته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده
وكاتبه والمحلل والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال على الوجه الذى نهى الله عنه وهو قسمان ربا النسيئة
وربا الفضل اما ربا النسيئة فهو ما كان يتعارفه اهل الجاهلية ويتعاملون به وقد سبق آنفا واما ربا الفضل
اى اخذ الفضل عند مقابلة الجنس بالجنس نقدا فهو ان يباع من من الحنطة بمنين منها وما اشبه ذلك وقد اتفق
جمهور العلماء على تحريم الربا فى القسمين واعلم ان الربا يؤدى الى الحرص على طلب الدنيا اضعافا مضاعفة
الى ما لا يتناهى كما قال عليه السلام لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن
آدم الا التراب والحرص دركة من دركات النيران فلذا قال واتقوا النار التى اعدت للكافرين * قناعت كن اى
نفس بد اندكى * كه سلطان ودرويش بينى يكى * فالحرص على الدنيا وسعيها وجمعها مذموم منهى عنه
والبذل والايثار وترك الدنيا والقناعة فيها محمود مأمور به يدل عليه قوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات
فمن اخذ الربا لتكثير المال بلا احتياج كان كمن يقع على امه نعوذ بالله روى عن عبد الله بن سلام للربا اثنان
وسبعون حوبا اصغرها كمن اتى امه فى الاسلام كذا فى تنبيه الغافلين واذا اخذه بوجه شرعى مع الاحتياج
يجوز فى الفتوى ولكن التقوى فوق امر الفتوى والحيلة الشرعية فيه ذكرها قاضى خان حيث قال رجل له
على رجل عشرة دراهم فاراد ان يجعلها ثلاثة عشر قالوا يشترى من المديون شيأ بتلك العشرة ويقبض المبيع
ثم يبيعه من المديون بثلاثة عشر الى سنة فيقع التحرز عن الحرام ومثل هذا مروى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم واذا احتاج الى الاستقراض فاستقرض من رجل فلم يعطه الا بالربا فالاثم على آخذ الربا دون معطيه
لان له فيه ضرورة وهذا اذا كان الآخذ غنيا كما عرفت فالمرء الصالح يتباعد عن مثل هذه المعاملات فان
الربا يضر بايمان المؤمنين وهو وان كان زيادة فى الحال لكنه نقصان فى الحقيقة فان الفقرآء الذين يشاهدون
ان المرابى يأخذ اموالهم بسبب الربا يلعنونه ويدعون عليه وذلك يكون سببا لزوال الخير والبركة عنه فى نفسه
وماله بل عما يتفرع من نقص عرضه وقدره وتوجه مذمة الناس اليه وسقوط عدالته وزوال امانته وفسق
القلب وغلظته وآخذ الربا لا يقبل الله منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلاة وقد ثبت فى الحديث ان الاغنياء
يدخلون الجنة بعد الفقرآء بخمسمائة عام فاذا كان الغنى من الوجه الشرعى الحلال كذلك فاظنك بالغنى من
الوجه الحرام فالانسان مع فقره وحاجته اذا توكل على الله واحسن الى عبيده فالله تعالى لا يتركه ضائعا جائعا
فى الدنيا بل يزيد كل يوم فى جاهه وذكره الجميل ويميل قلوب الناس اليه واما اذا كان بخلاف ذلك فيكون امره
عسيرا فى الدنيا والآخرة والعمل السوء ينزع به الايمان عند الموت فيستحق به صاحبه الخلود فى النار كالكفار
نعوذ بالله من ذلك وروى ابو بكر الوراق عن ابى حنيفة رحمه الله اكثر ما ينزع الايمان لاجل الذنوب من العبد
عند الموت واسرعها نزعا للايمان ظلم العباد فاتق ايها المؤمن من الله ولا تظلم عباد الله باخذ اموالهم من ايديهم
بغير حق فانه حوب كبير عصمنا الله واياكم من سوء الحال (وسارعوا) اى بادروا واقبلوا (الى مغفرة) كائنة
(من ربكم وجنة) الى ما يستحقان به كالاسلام والتوبة والاخلاص واداء الواجبات وترك المنهيات (عرضها
السموات والارض) اى كعرضهما صفة لجنة وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل
فان العرض فى العادة ادنى من الطول (اعدت للمتقين) اى هيئت لهم صفة اخرى لجنة وفيه دليل على ان

الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة عن هذا العالم اما الاول فلدلالة لفظ الماضى واما الثانى فلان ما يكون عرضه
كعرض جميع هذا العالم لا يكون داخلا فيه روى ان رسول هرقل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عليه السلام سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار
والمعنى والله اعلم اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب من العالم والليل فى ضد ذلك الجانب فكذا الجنة فى جهة
العلو والنار فى جهة السفل (الذين ينفقون) كل ما يصلح للانفاق وهو صفة مادحة للمتقين (فى السرآء
والضرآء) اى فى حالتى الرخاء والشدة اى الغنى والفقر واليسر والعسر وفى الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن
مسرة او مضرة اى لا يخلون فى حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير (والكاظمين الغيظ) عطف على
الموصول والكظم الحبس والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب اى الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع
القدرة عليه (والعافين عن الناس) اى التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته (والله يحب المحسنين) الذين عمت
فواضلهم وعمت فضائلهم ولامه يصلح للجنس فيدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم واعلم
ان الاحسان الى الغير اما ان يكون بايصال النفع اليه او بدفع الضرر عنه اما ايصال النفع اليه فهو المراد بقوله
الذين ينفقون فى السرآء والضرآء ويدخل فيه انفاق العلم وذلك بان يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين
ويدخل فيه انفاق المال فى وجوه الخيرات والعبادات قال عليه السلام السخى قريب من الله قريب
من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار واما دفع الضرر
عن الغير فهو اما فى الدنيا وهو ان لا يشتغل بمقابلة تلك الاساءة باساءة اخرى وهو المراد بكظم الغيظ قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا واما فى الاخرة وهو ان
يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات فى الآخرة وهو المراد بقوله والعافين عن الناس وروى انه ينادى مناد يوم
القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء فى امتى
قليل الا من عصمه الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت فهذه الاية دالة على جميع جهات الاحسان الى
الغير ولما كانت هذه الامور الثلاثة مشتركة فى كونها احسانا الى الغير ذكر ثوابها فقال والله يحب المحسنين فان
محبة الله العبد اعظم درجات الثواب قال الفضيل بن عياض الاحسان بعد الاحسان مكافأة والاساءة بعد
الاساءة مجازاة والاحسان بعد الاساءة كرم وجود والاساءة بعد الاحسان لؤم وشؤم (حكى) ان خادما كان قائما
على رأس الحسن بن على رضى الله عنه وهو مع اضيافه فى المائدة فانحرفت قصعة كانت فى يد الخادم فسقط
منها شئ على الحسن فقال والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك فقال والله يحب المحسنين
قال انت حر لوجه الله وقد زوجتك فلانة فتاتى وعلى ما يصلحكما (قال الفاضل الجامى) جوانمردا جوانمردى
بياموز * زمردان جهان مردى بياموز * درون از كين كين جويان نكه دار * زبان از طعن بدكويان
نكه دار * نكويى كن بآن كو با تو بد كرد * كه آن بدرخنه در اقبال خود كرد * جو آيين نكوكارى كنى ساز *
نكردد جز بتو آن نكويى باز * فعلى العاقل ان يسارع الى العمل بالحسنات من الاحسان وانواع الخيرات
سريعا قبل الفوات لان فى التأخير آفات * كنون وقت تخمست اكر پرورى * كر اميد دارى كه
خرمن برى * يعنى ان كنت تأمل الجنة فاعبد ربك بانواع العبادات ما دمت فى الحياة فان الفرصة غنيمة
والمتأخر عن السير الى الله مغبون قيل بيا ساقى كه در تأخير آفات ومن اضاع عمره فى الهوى فلا يلحقه
يوم القيامة الا الحسرة والندامة * بمايه توان اى پسر سود كرد * چه سود آيد آنرا كه سرمايه خورد *
والله تعالى خلق الانسان لدخول الجنة ودرجاتها والنار ودركاتها ثم ارسل المرسلين مبشرين بالجنة
ومنذرين بالنار وحث بالاتقاء والحذر عن النار كما قال واتقوا النار التى اعدت للكافرين وحرض على
المسارعة الى الجنة بقوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم اى سارعوا بقدم التقوى الى مقام من مقامات قرب
ربكم وجنة عرضها السموات والارض يعنى طولها فوق السموات والارض والاشارة فيه ان الوصول اليها
بعد العبور من ملك السموات والارض وهو المحسوسات التى تدركها الحواس الخمس والعبور عنها انما يكون
بقدم التقوى الذى هو تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة كما قال اعدت للمتقين فان قدم التقوى الذى
يولج به فى عالم الملكوت هو التزكية ويدل عليه ما قال عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات

والارض من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هى الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت وهو التحلية بالصفات الروحانية وقوله اعدت للمتقين اى هم مخصوصون بها ومراتبهم فى الدرجات العلى وهو بقدر تقوى النفوس وتزكيتها عصمنا الله واياكم من الشرور والاوزار وشرفنا بمقامات الابرار والاخيار (والذين اذا فعلوا فاحشة) اى فعلة بالغة فى القبح كالزنى (اوظلموا انفسهم) بان اذنبوا اى ذنب كان مما يؤخذ به الانسان او الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك (ذكروا الله) تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده (فاستغفروا الذنوبهم) بان يندموا على ما مضى مع العزم على ترك مثله فى المستقبل واما مجرد الاستغفار باللسان فلا اثر له فى ازالة الذنب وانما هو حظ اللسان من الاستغفار وهو توبة الكذابين (ومن) استفهام انكارى اى لا (يغفر الذنوب) اى جنس الذنوب احد (الا الله) بدل من الضمير المستكن فى يغفر وهو اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه تصويبا للتائبين وتطييبا لقلوبهم وبشارة لهم بوصف ذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة واجلالا لهم واعلاء لقدرهم بانهم علموا ان لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان من كرمه ان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وان العبد اذا التجأ اليه فى الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه عفا عنه وتجاوز عن الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم وتحريضا للعباد على التوبة وبعثا عليها وعلى الرجاء وردعا عن اليأس والقنوط (ولم يصروا) عطف على فاستغفروا اى لم يقيموا (على ما فعلوا) من الذنوب فاحشة كانت او ظلما غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة ولا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار اى الصغيرة مع الاصرار كبيرة (وهم يعلمون) حال من فاعل يصروا اى لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهى عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير فى تحصيل العلم به (اولئك) اى اهل هذه الصفات (جزاؤهم) اى ثوابهم (مغفرة) كائنة (من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) اى لهم ذخر لا يبخس واجر لا يوكس وجنات لا تنقضى ولذات لا تمضى (ونعم اجر العاملين) المخصوص بالمدح محذوف اى ونعم اجر العاملين ذلك اى ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما تستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب فى الطاعات والزجر عن المعاصى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك قال ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ابن آدم انك ان تلقنى بقراب الارض خطايا القيتك بقرابها مغفرة بعد ان لا تشرك بى شيأ ابن آدم انك ان تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرنى اغفر لك قال ثابت البنانى بلغنى ان ابليس بكى حين نزلت هذه الاية وهى قوله والذين الاية وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم ويصلى ثم يستغفر الله الا غفر الله له روى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ما اقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل يا موسى كيف اجود برحمتى على من يبخل بطاعتى وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

قال القشيرى رحمه الله اوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام قل للظلمة حتى لا يذكرونى فانى اوجبت ان اذكر من يذكرنى وذكرى للظلمة باللعنة واعلم ان العمدة هى الايمان وذلك انما يحصل بالتوحيد المنافى للشرك وهو المؤدى الى التوبة والاستغفار ولكونه عمدة عد المؤمن الموحد من المتقين وصار سببا لدخول الجنة فينبغى للعبد ان يصرف اختياره الى جانب الامتثال للامر والاجتناب عن النهى فالله تعالى خالقه وان كان التوفيق الى جانب العمل ايضا من عنايته تعالى * نخست او ارادت بدل در نهاد * پس اين بنده بر آستان سر نهاد * وفقنى الله واياكم الى ما يحب ويرضى ويداوى بلطفه وكرمه هذه القلوب المرضى فان بيده مفاتيح الاصلاح والفوز بالبغية والظفر بالفلاح * شنيدستم كه ابراهيم ادهم * شبى بر تخت دولت خفت خرم * ز سقف خود شنيد آواز پايى * ز جا برجست چون آشفته رايى * بتندى گفت او كين كيست بر بام * كه دارد بر سپهر قصر ما گام * جواب آمد كه اى شاه جهانگير * شترگم كرده مردى مفلسم پير * ز خنده

گشت شه برجاى خود ست * كه بر بام آدمى هرگز شتر جست * دگر بار پاسخ آمد كه اى جوان بخت * خدا جويى كسى كردست بر تخت * خدا جويى و خورد و خواب و آرام * شتر جويى بود بر گوشهٔ بام * چو بشنيد اين پيام از هاتف غيب * فراغت كرد از دنيا بلا ريب * رسيد از راه تجريدى بمنزل * پس از ادبار شد مقبول و مقبل * فالواجب على طالب الحق ان يحفظ الادب حتى يرتقى بذلك الى اعلى الرتب الا ترى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان يستغفر كل يوم سبعين مرة مع ان ذنبه كان مغفورا وبكمال ادبه وصل الى ما وصل حتى صار اتباعه سببا لمحبة الله تعالى كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ومع ذلك كان خوفه واجلاله فى غاية الكمال وهكذا ينبغى لمن اقتدى به ورتبة المحسن وان كانت اولى ولكن التدارك احسن من الاصرار فطوبى لمتدارك وصل الى الاحسان واجير نال الى المحبوبية عند الله الرحمن (قد خلت من قبلكم سنن) اصل الخلو الانفراد والمكان الخالى هو المنفرد عمن يسكن فيه ويستعمل ايضا فى الزمان الماضى لان ما مضى انفرد عن الوجود وخلا عنه وكذا الامم الخالية والسنن الوقائع اى قد مضت من قبل زمانكم وقائع سنها الله فى الامم المكذبة اى وضعها طريقة يسلكها على وفق الحكمة فالمراد بسنن الله تعالى معاملات الله فى الامم المكذبة بالهلاك والاستئصال بدليل قوله تعالى فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (فسيروا فى الارض) اى ان شككتم فى ذلك فسيروا وليس المراد الامر بالمسافرة فى الارض بسير الاقدام لا محالة بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت المعرفة بغير السير حصل المقصود ولعل اختيار لفظ سيروا مبنى على ان اثر المشاهدة اقوى من اثر السماع كما قيل ليس الخبر كالمعاينة وفى هذا المعنى قيل

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

(فانظروا) بنظر العين والمشاهدة (كيف) خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة فى محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار (كان عاقبة المكذبين) رسلى واوليائى (هذا) اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الخ (بيان للناس) وهم المكذبون اى ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا الى عواقب ما قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم والبيان هو الدلالة على الحق فى اى معنى كان بازالة ما فيه من الشبهة (وهدى) اى زيادة بصيرة وهو مختص بالدلالة والارشاد الى طريق الدين القويم والصراط المستقيم ليتدين به ويسلك (وموعظة) وهو الكلام الذى يفيد الزجر عما لا ينبغى فى الدين (للمتقين) اى لكم والاظهار للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم واعلم ان الامم الماضية خالفوا الانبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر وبقى عليهم اللعن فى الدنيا والعقاب فى الآخرة فرغب الله تعالى امة محمد صلى الله عليه وسلم المصدقين فى تأمل احوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك داعيا لهم الى الانابة والاعراض عن الاغترار بالحظوظ الفانية واللذات المنقضية فان الدنيا لا تبقى لا مع المؤمن ولا مع الكافر فالمؤمن يبقى له بعد موته الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى والكافر بخلافه فالاليق ان يجتهد فيما هو خير وابقى ولا ينظر الى زخارف الدنيا ثم فى هذا تسلية للمؤمنين فيما اصابهم يوم احد فان الكفار وان نالوا من المؤمنين بعض النيل لحكمة اقتضته فالعاقبة للمؤمنين قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وان الارض يرثها عبادى الصالحون ولو كانت الغلبة كل مرة للمؤمنين لصار الايمان ضروريا وهو خلاف ما تقتضيه الحكمة الالهية فعلى العاقل ان يفوض الامر الى الله ويعتبر بعين البصيرة فى الامور الخفية والجلية وقد قال الله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار * نرود مرغ سوى دانه فراز * چون دگر مرغ بيند اندر بند * پند گير از مصائب دگران * تا نگيرند ديگران ز تو پند * والخوف من العاقبة من الصفات السنية للصلحاء روى انه يعذب الرجل فى النار الف سنة ثم يخرج منها الى الجنة قال الحسن البصرى رحمه الله يا ليتنى كنت ذلك الرجل وانما قال الحسن ذلك لانه يخاف عاقبة امره وهكذا كان الصالحون يخافون عاقبة امرهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله انك لتكثر القول بهذا الدعاء فهل تخشى قال صلى الله عليه وسلم ما يؤمننى يا عائشة

وقلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن فاذا اراد ان يقلب قلبا قلبه قال السدى انى لانظر فى المرءآة كل يوم مرارا مخافة ان يكون قد اسود وجهى والاشارة فى الآيتين ان الله خص السائرين الى الله بالمهاجرة عن الاوطان والمسافرة الى البلدان بمفارقة الخلان والاخدان ومصاحبة الاخوان غير الخوان ليعتبروا من سنن اهل السنن فقال تعالى قد خلت من قبلكم سنن اى امم لهم سنن فسيروا على سنن اهل السنة فى ارض نفوسكم الحيوانية بالعبور عن اوصافها الدنيئة واخلاقها الرديئة لتبلغوا سماء قلوبكم الروحانية وتتخلقوا بالاخلاق الربانية فانظروا كيف صار حاصل امر النفوس المكذبة بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية عند الوصول اليها هذا بيان للناس اى لاهل الغفلة والغيبة الناسين عهد الميثاق وهدى وموعظة للمتقين اى وعيان لاهل الهداية والشهود الذاكرين للعهود الذين اتعظوا بالتجارب والتقوى عما سوى الله تعالى قال بعض العلماء يا مغرور امسك وقس يومك بامسك واتعظ بمن مضى من ابناء جنسك فانك بك قد حللت فى رمسك اين من اسخط مولاه بنيل ما يهواه اين من افنى عمره فى خطاياه فتذكر انت ايها الغافل مصارعهم وانظر مواضعهم هل نفعهم رفيق رافقوه او منعهم اما خلوا بخلالهم اما انفردوا باعمالهم فستصير فى مصيرهم فتدبر امرك وستسكن فى مثل مساكنهم فاعمر قبرك يا مسرورا بمنزله الرحب الانيق ستفارقه يا مشمئزا من التراب ستعانقه اعتبر بمن سبقك فانت لاحقه واذكر العهد الازلى فزك نفسك حياء من الله لعلك تصل الى ما تهواه من جنات وعيون ومقام كريم ووصال الى رب رحيم قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا فماذا يقعدك عن رفقة الصالحين وهل ترضى لنفسك يا مسكين ان تقف فى مقام الجهال المعتدين اما علمت انك غدا تدان كما تدين اصلح الله احوالنا وصحح اقوالنا وافعالنا واعطانا آمالنا وختمنا بالخير اذا بلغنا آجالنا (ولا تهنوا) من الوهن وهو الضعف اى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم من الجراح يوم احد (ولا تحزنوا) على من قتل منكم وهى صيغة نهى ورد للتسكين والتصبير لا النهى عن الحزن (وانتم الاعلون) اى والحال انكم الاعلون الغالبون دون عدوكم فان مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم فى احوال اسلافهم لان الباطل يكون زهوقا واصله اعليون فكرهوا الجمع بين اخت الكسرة والضمة (ان كنتم مؤمنين) والجواب محذوف دل عليه المذكور اى ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه ولا يتعلق بالنهى المذكور لان الجزاء لا يتقدم على الشرط لكونهما كالكلمة الواحدة (ان يمسسكم) اى يصبكم (قرح) فتحا وضما اى جراحة (فقد مس القوم) اى الكفار يبدر (قرح مثله) قيل قتل المسلمون من الكافرين ببدر سبعين واسروا سبعين وقتل الكافرون من المسلمين باحد سبعين واسروا سبعين والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون (وتلك الايام) اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية كافة لا الى المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هى داخلة فيها دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة (نداولها بين الناس) ونصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقول من قال

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر

والمداولة نقل الشئ من واحد الى واحد وقالوا تداولته الايدى اى تناقلته وليس المراد من هذه المداولة ان الله تعالى تارة ينصر المؤمنين واخرى ينصر الكافرين وذلك لان نصره تعالى منصب شريف فلا يليق بالكافر بل المراد انه تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار واخرى على المؤمنين وانه لو شدد المحنة على الكفار فى جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين فى جميع الاوقات لحصل العلم الضرورى والاضطرارى بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على اهل الايمان واخرى على اهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر فى الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله ولان المؤمن قد يقدم على بعض المعاصى فيكون تشديد المحنة عليه فى الدنيا ادبا له واما تشديد المحنة على الكافر فانه يكون غضبا من الله (وليعلم الله الذين آمنوا) عطف على علة محذوفة اى نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيما فعل غير واحدة وانما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم وهو اما من باب التمثيل اى ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم

المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اى ليميز الثابتين على الايمان من غيرهم او هو على حقيقة معتبرة من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذى يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة فالمعنى ليعلم الله الذى آمنوا علما يتعلق به الجزاء (ويتخذ منكم شهداء) جمع شهيد اى ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد (والله لا يحب الظالمين) ونفى المحبة كناية عن البغض اى يبغض الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين (وليمحص الله الذين آمنوا) عطف على يتخذ اى ليصفيهم ويطهرهم عن الذنوب ان كانت الدولة عليهم (ويمحق الكافرين) ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا قليلا والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا قال القاشانى ومن فوائد الابتلاء خروج ما فى استعداداتهم من الكمالات الى الفعل كالصبر والشجاعة وقوة اليقين وقلة المبالاة بالنفس واستيلاء القلب عليها والتسليم لامر الله وامثالها قال نجم الدين فى الكبرى ولا تهنوا يا سائرين الى الله فى السير اليه ولا تحزنوا على ما فاتكم من التنعمات الدنيوية والكرامات الاخروية وانتم الاعلون من اهل الدنيا والآخرة فى المقام عند ربكم ان كنتم مصدقين بهذه الاخبار تصديق الائتمار به ان يمسسكم قرح فى اثناء السير من المجاهدات وانواع البلاء والابتلاء فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح من المحن مثله وايام المحن والبلاء والابتلاء والامتحان نداولها بين السائرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما منحة ويوما محنة وليخبرهم بالامتحان ويجعلهم مستعدين لمقام الشهادة ويتخذ منكم يا مبتلين بالنعمة والنقمة فى اثناء السير ارباب الشهود والمشاهدة والله لا يحب الذين يصرفون استعدادهم فى طلب غير الحق والسير اليه وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين يعنى ان كل غم وهم ومصيبة تصيب المؤمنين فى الله يكون تكفيرا لذنوبهم وتطهيرا لقلوبهم وتخليصا لارواحهم وتمحيصا لاسرارهم وما يصيب الكافرين من نعمة ودولة وحبور يكون سببا لكفرانهم ومزيد الطغيانهم وعمى لقلوبهم وتمرد النفوسهم ومحقا لارواحهم ومحقا لاسرارهم فاهل المحبة والمعرفة لا يخلون عن الابتلاء بقلة او ذلة او علة فان مقتضى الحكمة ذلك الا ترى الى قوله عليه السلام اشد البلاء على الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل حكى ان عيسى عليه السلام اجتاز جبلا فيه عابد يعبد الله عنده عين من ماء لطهارته وشربه وبستان ينبت له الهندباء لقوته فسلم عليه المسيح فرد السلام عليه فقال له منذ كم انت ههنا تعبد الله قال منذ ثمانين سنة اسأل حاجة من الله فلم يقضها لى فقال عيسى وما هى قال ان يسكن قلبى ذرة من معرفته ومحبته فلا يفعل وانت نبيه فسل لى هذه الحاجة فتوضأ عيسى من العين وصلى ركعتين وسأل حاجته ثم مضى وبقى ما بقى فى سفره فلما رجع الى ذلك المكان رآه خاليا والعين غائرة والبستان خراب فقال يا رب سألتك له المعرفة والمحبة فقبضت روحه فاوحى الله اليه يا عيسى اما علمت ان خراب الدنيا فى محبتى ومعرفتى ومن عرفنى واحبنى لا يسكن الا الى ولا يقر قرارا فان احببت ان تراه فاشرف عليه فى هذا الوادى فاشرف عليه فاذا هو جالس قد ذهل وتحير وخرج لسانه على صدره شاخصا ببصره نحو السماء فناداه عيسى والعابد لا يسمع فناداه وحركه فلم يشعر فاوحى الله الى عيسى فوعزتى وجلالى لو قطعته بالسيف ما شعر به لانى اسكنت قلبه معرفتى ومحبتى وهو اقل من ذرة ولو زدته ادنى شئ لطار بين السماء والارض وطاش فانظر الى اهل الله كيف تكون دنياهم خرابا لا يخلون من البلايا فاجتهد انت ايضا ايها العبد فى تصحيح الدين لعلك تصل الى مقام اليقين والتمكين والمجاهدة تورث المشاهدة * چو يوسف كسى در صلاح وتميز * بسى سال بايد كه كردد عزيز (ام حسبتم) ام منقطعة والهمزة للانكار والاستبعاد والحسبان الظن والخطاب للذين انهزموا يوم احد اى بل أظننتم (ان تدخلوا الجنة) وتفوزوا بنعيمها (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل بعيد عمن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم اى لما تجاهدوا لان وقوع الشئ يستلزم كونه معلوما لله ونفى اللازم يستلزم نفى الملزوم فنزل نفى العلم منزلة نفى الجهاد للتأكيد والمبالغة لان انتفاء اللازم برهان على انتفاء الملزوم وفيه اشعار بان علمه تعالى بالاشياء على ما هى عليه ضرورى يقول الرجل ما علم الله فى فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفى

الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل تقول وعدنى ان يفعل كذا ولما يفعل اى لم يفعل وانا اتوقع فعله (ويعلم الصابرين) نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر على الشدآئد اى الجمع بينهما فلا ينبغى ان تحسبوا دخولها كما دخل الذين قتلوا وبذلوا مهجتهم وثبتوا على الم الجراح والضرب من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم ومن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع عدم اعمال هذه الطاعة (ولقد كنتم تمنون الموت) اى الحرب فانها من مبادى الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما ناله شهدآء بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك (من قبل ان تلقوه) اى من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته (فقد رأيتموه) اى ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه (وانتم تنظرون) معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمنى الشهادة بناء على ان فى تمنيها تمنى غلبة الكافر المسلم لان قصد متمنى الشهادة الى نيل كرامة الشهدآء من غير ان يخطر بباله شئ غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة كما ان من يشرب دوآء الطبيب النصرانى يقصد الى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسانا الى عدو الله وتنفيقا لصناعته واعلم ان حاصل الكلام ان حب الدنيا لا يجتمع مع سعادة الآخرة فبقدر ما يزداد احدهما ينتقص الآخر وذلك لان سعادة الدنيا لا تحصل الا باشتغال القلب بطلب الدنيا وسعادة الآخرة لا تحصل الا بفراغ القلب من كل ما سوى الله وامتلائه من حب الله وهذان الامران مما لا يجتمعان فلهذا السر وقع الاستبعاد الشديد فى هذه الاية من اجتماعهما وايضا حب الله وحب الآخرة لا يتم بالدعوى فليس كل من اقر بدين الله كان صادقا ولكن الفصل فيه تسليط المكروهات والمحرمات فان الحب هو الذى لا ينتقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء فان بقى الحب عند تسلط اسباب البلاء ظهر ان ذلك الحب كان حقيقيا فلهذه الحكمة قال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بمجرد تصديقكم الرسول قبل ان يبتليكم الله بالجهاد وتشديد المحنة قال القشيرى رحمه الله من ظن انه يصل الى محل عظيم دون مقاساة الشدآئد القته امانيه فى مهواة الهلاك وان من عرف قدر مطلوبه سهل عليه بذل مجهوده قال الشاعر

وما جاد دهر بلذاته * على من يضن بخلع العذار

فالدولة العظمى هى سعادة الآخرة فانها باقية ودولة الدنيا فانية كما قيل * جهان مشال جراغيست دركذركه باد * غلام همت آنم كه دل برونتهاد * وسئل الشبلى عن نعت العارف فقال لسانه بذكر الله ناطق وقلبه بحجة الله صادق وسره بوعد الله واثق وروحه الى سبيل الله سابق وهو ابدا على الله عاشق فلابد لان يكون المرء من العارفين من ترك الدعوى والاقبال الى المولى وبذل الروح فى طريقه (حكى) عن حاتم الاصم انه قال لقينا الترك وكان بيننا صولة فرمانى تركى بوهق فاقلبنى عن فرسى ونزل عن دابته وقعد على صدرى واخذ بلحيتى هذه الوافرة واخرج من خفه سكينا ليذبحنى قال فوحق سيدى ما كان قلبى عنده ولا عند سكينه وانا ساكت متحير اقول سيدى اسلمت نفسى اليك ان قضيت على ان يذبحنى هذا فعلى الرأس والعين اما انا لك وملكك فبينا انا اخاطب سيدى وهو قاعد على صدرى اذ رماه بعض المسلمين بسهم فما اخطأ حلقه فسقط عنى فقمت انا اليه فاخذت السكين من يده فذبحته بها فيا هؤلاء لتكن قلوبكم عند السيد حتى ترون من عجائب لطفه ما لا ترون من الآباء والامهات واعلموا ان من صبر واستسلم ظفر ومن فر اتبع فلم يتخلص ونعم العون الصبر عند الشدآئد * تحمل چو زهرت نمايد نخست * ولى شهد كردد چو در طبع رست * زعلت مدار اى خردمند بيم * چو داروى تلخت فرستد حكيم * بثبتنا الله واياكم (وما محمد) هو المستغرق لجميع المحامد لان الحمد لا يستوجبه الا الكامل والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه الا المستولى على الامد فى الكمال واكرم الله نبيه وصفيه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله محمد واحمد (الا رسول) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى الشعب من احد فى سبعمائة رجل جعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين راجلا وقال اقيموا باصل الجبل وادفعوا عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ولا تنتقلوا من مكانكم حتى ارسل اليكم فلا نزال

غالبين ما دمتم فى مكانكم فجاء المشركون ودخلوا فى الحرب مع النبى عليه السلام واصحابه حتى حميت الحرب فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا وقال من يأخذه بحقه فاخذه ابو دجانة فقاتل فى نفر من المسلمين قتالا شديدا وقاتل على بن ابى طالب حتى التوى سيفه وقاتل سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه وكان النبى عليه السلام يقول لسعد ارم فداك ابى وامى فحمل هو واصحابه على المشركين فانزل الله نصره عليهم فهزموا المشركين فلما نظر الرماة الى قوم هاربين اقبلوا على النهب بترك مركزهم فقال لهم عبد الله بن جبير لا تبرحوا مكانكم فقد عهد اليكم نبيكم فلم يلتفتوا الى قوله فجاؤا لاجل الغنيمة فبقى عبد الله بن جبير مع ثمانية نفر فخرج خالد بن الوليد مع خمسين ومائتى فارس من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقى من الرماة ودخلوا خلف اقفية المسلمين فهزموهم ورمى ابن قميئة النبى عليه السلام بحجر فكسر رباعيته وشجه وفيه يقول حسان ابن ثابت

الم تر ان الله ارسل عبده * ببرهانه والله اعلى وامجد

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وتفرق عنه اصحابه وحمل ابن قميئة لقتل النبى عليه السلام فذب عنه مصعب بن عمير صاحب الراية يومئذ فقتله ابن قميئة ورجع فظن انه كان قتل النبى عليه السلام فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل وكان ذلك ابليس فرجع اصحابه منهزمين متحيرين فاقبل انس بن النضر عم انس بن مالك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وطلحة بن عبد الله فى رجال من المهاجرين والانصار فقال لهم ما يحبسكم قالوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعون فى الحياة بعده موتوا كراما على ما مات عليه نبيكم ثم اقبل نحو العدو فقاتل حتى قتل قال كعب ابن مالك انا اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين رأيت عينيه من تحت المغفر تزهران ينادى باعلى صوته الى عباد الله الى عباد الله فاجتمعوا اليه فلامهم رسول الله على هزيمتهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر سوء فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فوبخهم الله تعالى بقوله وما محمد الا رسول كسائر الرسل (قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه (أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه عليه السلام بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به (ومن ينقلب على عقبيه) بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره (فلن يضر الله) بما فعل من الانقلاب (شيأ) اى شيأ من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب والله منزه عن النفع والضرر (وسيجزى الله الشاكرين) اى الثابتين على دين الاسلام الذى هو اجل نعمة واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وايفاء لحقه وفيه ايماء الى كفران المنقلبين ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطرب المسلمون فمنهم من دهش ومنهم من اقعد فلم يطق القيام ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ومنهم من انكر موته بالكلية حتى غفل عمر رضى الله عنه عن هذه الاية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام فى الناس فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون انه عليه السلام توفى ان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاقطعن ايدى رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله مات ولم يزل يكرر ذلك الى ان قام ابو بكر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قال الراوى والله لكأن الناس لم يعلموا ان هذه الاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر رضى الله عنه فاستيقن الناس كلهم بموته صلى الله عليه وسلم وكانت الجمادات تتصدع من الم مفارقة الرسول فكيف بقلوب المؤمنين ولما فقده الجذع الذى يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح كما يصيح الصبى فنزل اليه فاعتنقه فجعل يهدى كما يهدى الصبى الذى يسكن عند بكائه وقال لو لم اعتنقه لحن الى يوم القيامة ما امر عيش من فارق الاحباب خصوصا من كانت رؤيته حياة الالباب ولما ثقل النبى عليه السلام جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة رضى الله عنها واكرب ابتاه فقال لها ليس على ابيك كرب بعد اليوم فلما مات قالت يا ابتاه اجاب ربا دعاه يا ابتاه جنة الفردوس مأواه فلما دفن قالت فاطمة يا انس اطابت انفسكم ان تحثوا على نبيكم التراب وعاشت فاطمة بعد موته صلى الله

عليه وسلم ستة اشهر ثم مات * جهان اى برادر نماند بكس * دل اندر جهان آفرين بندو بس * فعلى
العاقل ان يتدارك حاله قبل منيته حتى لا يفتضح عند رؤس الخلائق يوم القيامة وكيف لا يسارع الى الاعمال
الصالحة من يعلم ان يوم القيامة يوم يفزع فيه الانبياء والاولياء * دران روز كز فعل پرسند وقول * اولوا العزم را
تن بلرزد زهول * بجايى كه وحشت خورد انبيا * تو عذر كنه راچه دارى بيا * يعنى باى عذر
ترتكب الآثام ولا تبالى بمآلك ثم ان الخلاص والفوز بالمرام فى الايمان التحقيقى قال الشيخ نجم الدين الكبرى
الاشارة فى الآية ان الايمان التقليدى لا اعتبار له فينقلب المقلد عن ايمانه عند عدم المقلد به فمن كان ايمانه
بتقليد الوالدين او الاستاذ او اهل البلد ولما يدخل الايمان فى قلبه ولم ينشرح صدره بنور الاسلام فعند انقطاعه
بالموت عن هذه الاسباب المقلدة يعجز عن جواب سؤال الملكين فى قولهما من ربك فيقول هاه لا ادرى واذ
يقولان ما تقول فى هذا الرجل فيقول هاه لا ادرى كنت اقول فيه ما قال الناس فيقولان له لا دريت ولا تليت
زدانندكان بشنوا مرو زقول * كه فردا نكيرت بپرسد بهول * غنيمت شمار اين كرامى نفس * كه
بى مرغ قيمت ندارد قفس * يعنى البدن ليس له قدر بدون الروح فلابد ان يغتنم العاقل انفاسه قبل ان يخرج
الروح من قفصه (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) استثناء مفرغ من اعم الاسباب اى وما كان الموت
حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشيئته تعالى او الا باذنه لملك الموت فى قبض روحها والمعنى
ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال
والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد الرسول بالحفظ وتأخير الاجل ورد على المنافقين
قولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فالمجاهد لا يموت بغير اجله والمتخلف عنه لا يسلم مع حضور اجله * بروز اجل
نيزه جوشن درد * زپيراهن بى اجل نكذرد (كتابا) مصدر مؤكد لما قبله اذ المعنى كتب الموت كتابا
(مؤجلا) موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة وبعد تحقيق ان مدار الموت والحياة على محض مشيئة
الله من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلا اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دائرة على ارادتهم ليصرفوها عن
الاغراض الدنية الى المطالب السنية فقيل (ومن يرد) اى بعمله (ثواب الدنيا نؤته منها) اى من ثوابها ما نشاء
ان نؤتيه اياه وفيه تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) اى من ثوابها ما نشاء
من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم (وسنجزى الشاكرين) نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين
ما آتاهم الله من القوى والقدر الى ما خلقت هى لاجله من طاعة الله لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا ويدخل
فى جنس الشاكرين المجاهدون المعهودون من الشهداء فى احد وغيرهم والآية وان وردت فى الجهاد خاصة
لكنها عامة فى جميع الاعمال وذلك لان المؤثر فى طلب الثواب والعقاب المقصود والدواعى لا ظواهر الاعمال
فان من وضع الجبهة على الارض فى صلاة الظهر والشمس قدامه فان قصد بذلك السجود عبادة الله كان ذلك
من اشرف دعائم الاسلام وان قصد به عبادة الشمس كان ذلك من اعظم دعائم الكفر وروى ابو هريرة عنه عليه
السلام ان الله تعالى يقول يوم القيامة لمن قتل فى سبيل الله فيما ذا قتلت فيقول امرت بالجهاد فى سبيلك
فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان محارب وقد قيل ذلك ثم ان الله تعالى يأمر به
الى النار فالمقاتل فى سبيل الله تحقيقا هو الذى يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا لا للذكر الجميل واراءة المكان
واصابة الغنيمة * عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * بروى ريا خرقه
سهلست دوخت * كرش با خدا در توانى فروخت * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت نيته
طلب الآخرة جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله
الفقر بين عينيه وشتت عليه شمله ولا يأتيه منها الا ما كتب له وقال ايضا انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ
ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة
يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فمن عمل شوقا الى الجنة فقد رأى نعمة الجنة فثوابه فى الآخرة ومن عمل شوقا
الى الحق فقد رأى نعمة وجود المنعم فثوابه فى الدنيا لانه حاضر لا غيبة له قريب لا يبعد وهو معكم اينما كنتم
وقال ألا من طلبنى وجدنى ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا
خليلى هل ابصرتما او سمعتما * باكرم من مولى تمشى الى عبد

اتى زائرا من غير وعد وقال لى * اجلك عن تعذيب قلبك بالوعد
فعلى السالك ان يهاجر الى الله ويجاهد من غير ان يخاف لومة لائم حتى يصل الى الله ويتخلص من الاضطرار
قال القاشانى فى تأويلاته من كان موقنا بسر القدر شاهدا لمعنى قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
كان من اشجع الناس (حكى) عن حاتم الاصم انه شهد مع شقيق البلخى بعض غزوات خراسان قال فلقينى شقيق
وقد حمى الحرب فقال كيف تجد قلبك يا حاتم قلت كليلة الزفاف لا افرق بين الحالتين فوضع سلاحه
وقال اما انا فهكذا ووضع رأسه على ترسه ونام بين المعركة حتى سمع غطيطه وهذا غاية فى سكون القلب الى الله
تعالى ووثوقه به انتهى فاذا صحح العبد باطنه يسهل الله عليه كل عسير ويسخر له كل ما يخاف منه (حكى)
عن ابراهيم الرقى انه قال قصدت ابا الخير الخراسانى مسلما عليه فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستويا
فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدنى السبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدنى
فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لاضيافى فتنحى فتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم
الظواهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد * اوليا محبوب الله ست دان * كس
نيازارد حبيبش در جهان (وكأين) اصله اى دخلت الكاف عليها فحدث فيها معنى التكثير فهى بمعنى
كم الخبرية (من نبى) تمييز لها والغالب فى تمييزها ان يكون مجرورا بمن ولم يجئ فى التنزيل الا كذا وجره ممتنع لان
آخره تنوين وهو لا يثبت مع الاضافة (قاتل معه ربيون كثير) خبر لقوله كأين لانها مبتدأ والفعل مسند
الى ظاهره والربى منسوب الى الرب كالربانى وكسر الراء من تغييرات النسب فان العرب اذا نسبت شيأ الى شئ
غيرت كما قالوا بصرى فى النسبة الى بصرة او منسوب الى الربة وهى الجماعة والمعنى كثير من الانبياء قاتل معه
لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء او جماعات كثيرة (فما وهنوا) عطف على قاتل اى فما فتروا وما انكسرت
همتهم (لما اصابهم) فى اثناء القتال وهو علة للمنفى دون النفى (فى سبيل الله) ان جعل الضمير لجميع الربيين
فما فى ما اصابهم عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره اللاحقة للكل وان جعلا للبعض الباقين بعد
ما قتل الآخرون فهى عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم والخوف والحزن وغير ذلك (وما ضعفوا)
عن العدو او الجهاد او فى الدين (وما استكانوا) اى وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع
يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف لاشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له
وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبى عليه السلام
وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابى المنافق فى طلب
الامان من ابى سفيان (والله يحب الصابرين) اى على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره فى سبيل الله فينصرهم
ويعظم قدرهم (وما كان قولهم) بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها فى قوله تعالى (الا ان قالوا)
والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اى ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحرب واصابة ما اصابهم
من فنون الشدائد والاهوال شئ من الاشياء الا ان قالوا (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) اى صغائرنا (واسرافنا فى امرنا)
اى تجاوزنا الحد فى ارتكاب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط
فى جنب الله هضما لها واستقصارا لهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم
بحسب الحال من الدعاء بقولهم (وثبت اقدامنا) اى فى مواطن الحرب بالتقوية والتأييد من عندك او ثبتنا
على دينك الحق (وانصرنا على القوم الكافرين) تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر
عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم
شائبة الجزع والتزلزل فى مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى (فآتاهم الله)
بسبب دعائهم ذلك (ثواب الدنيا) اى النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل (وحسن ثواب الآخرة) اى وثواب
الآخرة الحسن وهى الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده
تعالى (والله يحب المحسنين) ومحبة الله للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به فهى مبدأ لكل سعادة
والاشارة ان الله تعالى لما اراد لخواص عباده كرامة التخلق باخلاقه ابتلاهم بقتال العدو وثبتهم عند الملاقاة
فاستخرج من معادن ذواتهم جواهر صفاته المكنونة فيها المكرمة بها بنوا آدم والصبر والاحسان من صفات الله

والله تعالى يحب صفاته ويحب من تخلق بصفاته ولهذا قال والله يحب الصابرين والله يحب المحسنين قال الامام في قوله تعالى والله يحب المحسنين فيه لطيفة دقيقة وهي ان هؤلاء اعترفوا بكونهم مسيئين حيث قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا فلما اعترفوا بذلك سماهم الله محسنين كانه تعالى يقول لهم اذا عرفت باساءتك وعجزك فانا اصفك بالاحسان واجعلك حبيبا لنفسي حتى يعلم انه لا سبيل للعبد الى الوصول الى حضرة الله الا باظهار الذلة والمسكنة والعجز كنون بايدت عذر تقصير كفت * نه چون نفس ناطق ز كفتن بخفت * تو پيش از عقوبت در عفو كوب * كه سودى ندارد فغان زير چوب * حكي ان آصف بن برخيا اذنب ذنبا يوما من الايام فاتى سليمان بن داود عليهما السلام فقال له ادع الله ان يغفر لي فدعا فغفر له ثم فعل ثانيا فغفر له بدعائه ثانيا ثم وثم الى ان اوحى الله الى سليمان عليه السلام ان لا اجيب دعوتك في حقه ان عاد بعد فلم يمكث ان فعل مرة اخرى فجاء الى سليمان عليه السلام لكي يدعو فاخبره بان الله لا يغفر له فرفع الرجل العصا وخرج الى الصحراء وضرب العصا الى الارض ورفع يده وقال يا رب انت انت وانا انا انت العائد بالمغفرة وانا العائد بالمعصية انا الضعيف المجرم وانت الغفور الرحيم ان لم تعصمني من الذنوب فلا عودن ثم لاعودن كررها حتى غشي عليه فاوحى الله تعالى الى سليمان عليه السلام ان قل لابن خالتك ان عدت فاغفر لك ثم اغفر لك ثم اغفر لك وانا الغفار * كنون ت كه چشمست اشكى ببار * زبان در دهانست عذرى بيار * فرا شو چو بينى در صلح باز * كه نا كه در توبه كردد فراز * مرو زير بار كنه اى پسر * كه حمال عاجز بود در سفر * فلا يغرنك الشيطان بتزيين الدنيا عليك فانك تعلم فناءها واوحى الله الى داود عليه السلام انى منزلك وذريتك الى دار بنيتها على اربعة اركان احدها ان اخرب ما تعمرون والثاني ان اقطع ما تصلون والثالث ان اميت ما تلدون والرابع ان افرق ما تجمعون ومن الله العصمة والتوفيق الى سواء الطريق (يا ايها الذين آمنوا) نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان نبيا لما غلب وقتل فقال تعالى ايها المؤمنون (ان تطيعوا الذين كفروا) وهم المنافقون وصفوا بالكفر قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم (يردوكم على اعقابكم) يدخلوكم في دينهم اضاف الرد اليهم لدعائهم اليه والارتداد على العقب علم في انتكاس الامر ومثل في الحور بعد الكور (فتنقلبوا خاسرين) كرامة الدنيا وسعادة الاخرة اما الاولى فلان اشق الاشياء على العقلاء في الدنيا الانقياد للعدو والتذلل له واظهار الحاجة اليه واما الثانية فلانه يحرم عن الثواب المؤبد ويقع في العذاب المخلد (بل الله مولاكم) اى ليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم (وهو خير الناصرين) فخصوه بالطاعة والاستعانة (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة والرعب خوف يملأ القلب (بما اشركوا بالله) اى بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم (ما لم ينزل به) اى باشراكه (سلطانا) اى حجة وبرهانا وما مفعول بوقوع اشركوا عليه اى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا واصل السلطان القوة فسلطان الملك قوته وسلطان المدعى حجته وبها يقوى على دفع المبطل وفيه ايذان بان المتبع في الباب هو البرهان السماوى دون الآراء والاهواء الباطلة (ومأواهم) اى ما يأوون اليه في الآخرة (النار) لا ملجأ لهم غيرها (وبئس مثوى الظالمين) والمخصوص بالذم محذوف اى النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما المأوى فهو المكان الذى يأوى اليه الانسان والاشارة ان الله تعالى هو الذى يلقى الرعب والامن والرغبة والرهبة وغير ذلك في قلوب العباد كما قال عليه السلام قلوب العباد بيد الله يقلبها كيف يشاء وقال ما من قلب الا بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه فعلى العبد ان يتضرع الى الله ويسأل منه الغلبة على النفوس الكافرة خصوصا النفس الامارة فانه ان اتبع هواها واطاعها في مشتهاها تردّه الى اسفل سافلين البشرية فينقلب خاسرا نمى تازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * كه با نفس وشيطان بر آيد بزور * مصاف پلنكان نيايد ز مور * قال الشيخ ابو علي الروذبادى قدس سره دخلت الآفة من ثلاثة سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة فقيل له ما سقم الطبيعة قال اكل الحرام قيل وما ملازمة العادة قال النظر والاستماع بالحرام والغيبة فقيل

فما فساد الصحبة قال كلما هاج في النفس شهوة تتبعها ومن لم يصحبه في هذا الباب توفيق من ربه كان متروكا في ظلمة نفسه الا ترى الى قوله تعالى بل الله مولاكم اى يخرجكم من ظلمات البشرية الى انوار الربوبية فمن اتبع هواه وجعله مولى لنفسه فكيف يصاحبه الخروج من الظلمات وانما ينبغى ان ينقطع العبد الى مولاه الحقيق ولا يعبد الا اليه (حكى) عن الاصمعى انه قال ان فتى جميلا خرج في سفر له فوقع في فلاة من الارض وصاحبته امرأة فعشقته فقالت ايها الفتى هل تحسن شيأ من الشعر قال نعم قالت قل فانشد

ولست من النساء ولسن منى * ولا ابغى الفجور الى الممات
فلا لا تطمعى فيها لدينا * ولو قد طال سير في الفلاة
فان الله يبصر فوق عرش * ويغضب للفعال الموبقات

قالت دعنا من شعرك هل تقرأ شيأ من القرآن قال نعم قالت قل فقرأ قول الله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قالت دعني من قرآتك هذه فرجعت وهي خائبة فانظر الى حال الفتى وتوقيه عن شهوته كيف صبر عن المعصية والله يحب الصابرين جوان جست مى بايد كه از شهوت بپرهيزد * كه پير سست رغبت را خود آلت بر نمى خيزد * ولذلك قال بعض المشايخ من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة وذلك لان الزهد بعد الاربعين بارد لا يثمر نفعا كثيرا ولا يغرنك هذا الخبر ويحملك على التكاسل فان المرء لا يصل الى حيث يسقط عنه الامر والنهى والغرض هو العبادة الى ان يأتى اليقين فالشبان والشيوخ في باب التكليف متساوون وربما يتدارك في الشيخوخة ما لا يتدارك في الشباب قال الحافظ الشيرازى * اى دل شباب رفت ونچيدى كلى ز عمر * پيرانه سر بكن هنرى ننك ونام را (ولقد صدقكم الله وعده) نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا او بنزع الجار اى في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم فانا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقون نبلهم والباقون يضربون بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى (اذ تحسونهم) اى تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وذلك يكون بالقتل وهو ظرف لصدقكم (باذنه) ملتبسين بمشيئته وتيسيره وتوفيقه حال من فاعل تحسونهم (حتى) ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية (اذا فشلتم) اى جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب (وتنازعتم في الامر) اى في امر الرسول صلى الله عليه وسلم فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا هذا وقال رئيسهم عبد الله بن جبير لا نخالف امر الرسول عليه السلام فثبت مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى (وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون) اى من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه وقد سبق وقيد العصيان بما بعده تنبيها على عظم المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله تعالى اكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم ان يمتنعوا عن المعصية وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره (منكم من يريد الدنيا) وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب قال ابن مسعود رضى الله عنه ما علمت ان احدا منا يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة (ثم صرفكم عنهم) عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه اى ردكم عن الكفار وكفكم بالهزيمة بعد ان اظفركم عليهم فحالت الريح دبورا بعد ما كانت صبا (ليبتليكم) اى يعاملكم معاملة من يمتحنكم ليظهر ثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة (والله ذو فضل على المؤمنين) اى شأنه ان يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة بحسب اقتضاء احوالهم ذلك (اذ تصعدون) متعلق بصرفكم والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض (ولا تلوون على احد) اى لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم لواحد (والرسول يدعوكم) كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وهو الانهزام وترك قتال الكفار لا استعانة بهم (في اخراكم)

فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى والمعنى انه عليه السلام كان يدعوهم وهو واقف فى آخرهم لان القوم بسبب الهزيمة قد تقدموه (فاثابكم) عطف على صرفكم اى فجازاكم الله بما صنعتم (غما) موصولا (بغم) من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل النبى صلى الله عليه وسلم او غما بمقابلة غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم) اى لتتمرنوا على الصبر فى الشدآئد وتعتادوا تجرع الغموم فلا تحزنوا على نفع فات او ضر آت (والله خبير بما تعملون) اى عالم باعمالكم وبما قصدتم بها واعلم ان الصبر واليقين والتوكل على الله والاتقاء عن ميل الدنيا وزخارفها ومخالفة الرسول مستلزم لامداد النصر والظفر والفشل والتنازع والميل الى الدنيا وعصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم موجب للابتلاء والصرف عن العدو فمن اراد النصرة على الاعدآء الظاهرة والباطنة لا يسلك طريقا غير ما عينه الشارع ويرضى بالابتلاء ولا يغتم لآخرته بل يجد غم طلب الحق الذ من نعيم الدنيا والاخرة ويصبر على مقاساة الشدآئد فى باب الدين * صبر آروار زورانه شاب * صبر كن والله اعلم بالصواب * قال ذو النون قدس سره العزيز ان ادنى منازل المريد ان الله تعالى لو ادخله النار واحاط به عذابه مع هذه الارادة لم يزد د قلبه الا حباله وانسابه وشوقا اليه وكانت الجنة عنده اصغر فى جنب ارادته من خردلة بين السماء والارض فعلى السالك ان يذيق نفسه مرارة الطاعة ويدخلها فى باب التسليم ليكون عند الله بماله قدر وسبق (حكى) عن على كرم الله وجهه انه قال قلت لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى بكر الصديق رضى الله عنه يا خليفة رسول الله بم بلغت هذه المنزلة حتى سبقتنا سبقا فقال بخمسة اشياء اولها وجدت الناس صنفين مريد الدنيا ومريد العقبى فكنت انا مريد المولى والثانى مذ دخلت فى الاسلام ما شبعت من طعام الدنيا لان لذة معرفة الله شغلتنى عن لذآئذ طعام الدنيا والثالث مذ دخلت فى الاسلام ما رويت من شراب الدنيا لان محبة الله شغلتنى عن شراب الدنيا والرابع كما استقبلنى عملان عمل الدنيا والاخرة اخترت عمل الاخرة على عمل الدنيا والخامس صحبت النبى صلى الله عليه وسلم فاحسنت صحبته اقول ولذلك لم ينفك عن ملازمة صحبته ساعة حتى دخل معه فى الغار وقاسى ما قاسى من الشدآئد فى حقه صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم يزغ قلبه عن مواصلته قط ولم يهم بمخالفته اصلا كما وقع ذلك من بعض الصحابة كما فى المنهزمين * كيست دانى صوفىء صافى زرنك تفرقه * آنكه دارد رويك رنكى درين كاخ دورنك * نكسلد سر رشتهٔ مهرش زجانان كربفرض * روبرو كيرد زيك سو شير و ديكر سو پلنك * اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام ان يا ابراهيم انت خليلى وانا خليلك فانظر فى ان لا تشغل سرك بغيرى وانا انظر فى سرك فاراه مشتغلا بغيرى فيقطع خلتى منك لان الصادق فى دعوى خلتى من لو احرق بالنار لم يجعل سره الى غيرى اجلالا لحرمتى لان كل سر انفصل ساعة عن مشاهدتى لا يصلح لمحادثتى ونظرى ثم قال له اسلم قال اسلمت لرب العالمين ثم ابتلاه حين رمى بالمنجنيق فى النار ولم يجزع على ما اصابه بل فوض امره الى الله حتى شرفه الله بالخلة وجعل النار له بردا وسلاما فحسن الرضى على ما جاء من عند الله يوصل العبد الى المقامات العلية والحالات السنية والعمدة هو التوحيد وبه تسهل قوة اليقين والوصول الى مقام الولاية وسئل يحيى ابن معاذ عن صفة الولى فقال الصبر شعاره والشكر دثاره والقرآن معينه والحكمة علمه والتوكل صابونه والفقر منيته والتقوى مطيته والغربة ملازمته والحزن رفيقه والذكر جليسه والله تعالى انيسه * قوت روح اولياذكر حقست * [illegible] ايشان شكر مطلقست * كرخبردارى ز اسرار خدا * روبراه ذكر وطاعت حقيا (ثم انزل عليكم) عطف على قوله فاثابكم وانزل مجاز اى اعطى ووهب لكم ايها المؤمنون (من بعد الغم) المذكور (امنة) اى امنا نصب على المفعولية (نعاسا) بدل منها وهو الوسن قال ابو طلحة رفعت رأسى يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس وكنت ممن القى عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدى فآخذه ثم يسقط السوط فآخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبىء عنه قوله تعالى (يغشى طائفة منكم) وهم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك فى عموم الانزال للكل والجملة فى محل النصب على انها صفة لنعاسا (وطائفة) مبتدأ وهم المنافقون (قد اهمتهم انفسهم) اى اوقعتهم فى الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها (يظنون بالله) حال من ضمير اهمتهم (غير الحق) غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به سبحانه (ظن الجاهلية) بدل منه وهو الظن المختص

بالله

بالملة الجاهلية واهلها (يقولون) بدل من يظنون اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد (هل لنا من الامر) اى من امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر (من شئ) من نصيب قط (قل ان الامر كله لله) اى الغلبة بالاخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون (يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك) حال من ضمير يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب (يقولون) كانه قيل اى شئ يخفون فقيل يحدثون انفسهم او يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية (لو كان لنا من الامر شئ) كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم من ان الغلبة لله ولاوليائه وان الامر كله لله (ما قتلنا ههنا) ما غلبنا او ما قتل من قتل منا فى هذه المعركة على ان النفى راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط او لو كان لنا اختيار فى الخروج وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن ابى وغيره (قل) يا محمد تكذيبا لهم وابطالا لمعاملتهم (لو كنتم فى بيوتكم) اى لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون (لبرز) اى لخرج (الذين كتب عليهم القتل) اى فى اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز (الى مضاجعهم) الى مصارعهم التى قدره الله تعالى فيها وقتلوا هنالك البتة ولم تنفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله لا يرد وحكمه لا يعقب (وليبتلى الله ما فى صدوركم) علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلى اى ليعاملكم معاملة من يبتلى ما فى صدوركم من الاخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرآئر (وليمحص ما فى قلوبكم) من مخفيات الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس (والله عليم بذات الصدور) اى السرآئر والضمائر التى لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها (ان الذين تولوا) اعرضوا (منكم يوم التقى الجمعان) من المسلمين والكافرين وهم الذين انهزموا يوم احد (انما استزلهم الشيطان) اى انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل ودعاهم اليه (ببعض ما كسبوا) من الذنوب والمعاصى التى هى مخالفة امر النبى عليه السلام وترك المركز والحرص على الغنيمة والحياة فحرموا التأييد وقوة القلب (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والنكتة فيه ان الشيطان خلق من النار فبالشيطان ونار وسوسته استخرج من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولى ليجعله مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم وهذا قوله عليه السلام لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ليعلم ان لله تعالى فى كل شئ من الخير والشر اسرارا لا يبلغ كنهها الا هو ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء والشيطان لا يقدر على اغوآء المخلصين من اهل اليقين والنورانيين وما لم يكن فى القلب ظلمة وشوب من الهوى بسبب ارتكاب الذنوب لم يكن له مجال للوسوسة فالسالكون الذين نجوا من ظلمات النفس لا يقدر الشيطان ان يقرب منهم فضلا عن وسوستهم قيل رأى الجنيد ابليس فى منامه عريانا فقال الا تستحيى من الناس فقال هؤلاء ليس الناس الناس اقوام فى مسجد الشونيزية اضنوا جسدى واحرقوا كبدى قال الجنيد فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرأيت جماعة وضعوا رؤسهم على ركبهم متفكرين فلما رأونى قالوا لا يغرنك حديث الخبيث فاذا تنور القلب بنور المعرفة لا يحوم حوله بالوسوسة الشيطان المارد وعن ابى سعيد الخراز قدس سره قال رأيت ابليس فى المنام فاخذت عصاى لاضربه فقيل لى انه لا يفزع من هذا انما يخاف من نور يكون فى القلب قال حجة الاسلام الغزالى فى الاحياء حكى ان ابليس بث جنوده فى وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيأ وقد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم وقد صحبوا نبيهم وشهدوا نزول الوحى ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما رأينا اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشئ بعد الشئ من الذنوب فاذا آن آخر النهار اخذوا فى الاستغفار فيبدل سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيأ لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوآئهم كيف شئتم لا يستغفرون فيغفر لهم فلا يتوبون فيبدل سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الاول فبث فيهم الاهوآء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط ابليس عليهم الاعدآء وقادوهم حيث شاؤا * نه ابليس در حق ما طعنه زد * كزينان نيايد بجز كاربد * فغان از بديها كه درنفس ماست * كه ترسم شود ظن ابليس

راست * چو ملعون پسند آمدش قهرما * خدایش براند اخت ازبهر ما * بكا بر مبراریم ازین عار وتنك * كه با او بصلحیم وبا حق بجنك * من بستان السعدى (يا ايها الذين امنوا لاتكونوا كالذين كفروا) وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا اههنا (وقالوا لاخوانهم) لاجل اخوانهم وفى حقهم ومعنى الاخوة اتفاقهم نسبا اومذهبا اوعقيدة (اذاضربوا فى الارض) اى سافروا فيها وابعدوا للتجارة وسائر المهام فماتوا فى سفرهم (اوكانوا) اى اخوانهم (غزى) جمع غازى كعفى جمع عافى وسجد جمع ساجد اى اذا خرجوا الى الغزو وقتلوا (لو كانوا عندنا) اى مقيمين بالمدينة (ماماتوا) فى سفرهم (وماقتلوا) فى الغزو وليس المقصود بالنهى عدم مماثلتهم فى النطق بهذا القول بل فى الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه (ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة كما فى قوله ربيته ليؤذينى وليست لام العلة والغرض لانهم لم يقولوه لذلك وانما قالوه لتثبيط المؤمنين عن الجهاد والمعنى انهم قالوا ذلك القول واعتقدوه لغرض من اغراضهم فكان عاقبة ذلك القول ومصيره الى الحسرة وهى اشد الندامة التى تقطع القوة والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا ووجه كون تكلم ذلك الكلام حسرة فى قلوبهم زاعمين ان من مات اوقتل منهم انما مات اوقتل بسبب تقصيرهم فى منع هؤلاء القتلى عن السفر والغزو ومن اعتقد ذلك لاشك انه يزداد حسرته وتلهفه واما المسلم الذى يعتقد ان الموت والحياة لا يكون الا بتقدير الله وقضائه لا يحصل فى قلبه هذه الحسرة (والله يحيى ويميت) رد لقولهم الباطل اى هو المؤثر فى الحياة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة اوللسفر مدخل فى ذلك فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة اى بسا اسب تيزرو كه بماند * كه خر لنك جان بمنزل برد * بس كه در خاك تن درستان را * دفن كردند وزخم خورده نمرد (والله بما تعملون بصير) فلا تكونوا مثل هؤلاء المنافقين (ولئن قتلتم فى سبيل الله اومتم) فى سبيله وانتم مؤمنون واللام هى الموطئة للقسم المحذوف وجوابه قوله تعالى (لمغفرة من الله ورحمة) وحذف جواب الشرط لسد جواب القسم مسده لكونه دالا عليه والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك (خير مما يجمعون) اى الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم فان قيل كيف تكون المغفرة موصوفة بانها خير مما يجمعون ولا خير فيما يجمعون اصلا قلنا ان الذى يجمعونه فى الدنيا قد يكون من باب الحلال الذى يعد خيرا وايضا هذا وارد على حسب قولهم ومعتقدهم ان تلك الاموال خيرات فقيل المغفرة خير من هذه الاشياء التى تظنونها خيرات (ولئن متم اوقتلتم) اى على اى وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية (لالى الله) اى الى المعبود بالحق العظيم الشان الواسع الرحمة الجزيل الاحسان (تحشرون) لا الى غيره فيوفى اجوركم ويجزل لكم عطاياكم واعلم ان هذه الآيات على ترتيب انيق فانه قال فى الآية الاولى لمغفرة من الله وهى التجاوز عن السيئات وذلك اشارة الى من يعبد الله خوفا من عقابه ثم قال ورحمة وهى التفضل بالمثوبات وهو اشارة الى من يعبده لطلب ثوابه ثم قال فى آخر الآية لالى الله تحشرون وهو اشارة الى من يعبد الله لمجرد الربوبية والعبودية وهذا اعلى المقامات قال عبد الرحمن الجامى جانا ز درتو دور نتوانم بود * قانع ببهشت وحور نتوانم بود * سر بردر تو بحكم عشقم نه بمزد * زين درجه كنم صبور نتوانم بود * فبين الحشر الى مغفرة الله والحشر الى الله فرق كثير روى ان عيسى ابن مريم عليه السلام مر باقوام نحفت ابدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم آثار العبادة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو اكرم من ان لا يخلصكم من عذابه ثم مر باقوام آخرين فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقالوا هو اكرم من ان يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ثالث ورأى آثار العبودية عليهم اكثر فسألهم فقالوا نعبده لانه آلهنا ونحن عبيده لا لرغبة ولا لرهبة فقال انتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون * كركند جاى بدل عشق جمال ازلت * چشم اميد بحوران بهشتى نتهى * كى مسلم شودت عشق جمال ازلى * تابرآفاق همه تهمت زشتى ننهى (حكى) ان امرأة قالت لجماعة ما السخاء عندكم قالوا بذل المال قالت هو سخاء اهل الدنيا والعوام فما سخاء الخواص قالوا بذل المجهود فى الطاعة قالت ترجون الثواب قالوا نعم قالت تأخذون العشرة بواحد لقوله تعالى فمن جاء بالحسنة فله عشر امثالها

فاين

فاين السخاء قالوا فما عندك قالت العمل لله لا للجنة ولا للنار ولا للثواب وخوف العقاب وذلك لا يمكن الا بالتجريد والتفريد والوصول الى حقيقة الوجود فعلى السالك ان يعرض عن الدنيا والآخرة ويقبل على الله حتى يكشف عن وجهه الحجاب ويصل الى رب الارباب قال الامام فى تفسيره الانسان اذا توجه الى الجهاد اعرض قلبه عن الدنيا واقبل على الآخرة فاذا مات فكانه تخلص من العدو ووصل الى المحبوب واذا جلس فى بيته خائفا من الموت حريصا على جمع الدنيا فاذا مات فكانه حجب عن المعشوق والقى فى دار الغربة ولاشك فى كمال سعادة الاول وكمال شقاوة الثانى انتهى فحشر الغافلين بالحجاب وحشر الواصلين باظهار الجناب فمن كان فى هذه الدنيا اعمى بحب المال والمنال كان فى الآخرة محجوبا عن مشاهدة الجمال (فبما رحمة من الله لنت لهم) ما مزيدة للتأكيد اى فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهى ربطه على جاشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بعدما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو (ولو) لم تكن كذلك بل (كنت فظا) جافيا فى المعاشرة قولا وفعلا (غليظ القلب) قاسيه غير رقيق فالفظ سيئ الخلق وغليظ القلب هو الذى لا يتأثر قلبه من شئ فقد لا يكون الانسان سيئ الخلق ولا يؤذى احدا ولكنه لا يرق لهم ولا يرحمهم فظهر الفرق بينهما (لانفضوا من حولك) اى لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وترددوا فى مهاوى الردى (فاعف عنهم) فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم (واستغفر لهم) فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم (وشاورهم فى الامر) اى استخرج آراءهم واعلم ما عندهم فى امر الحرب اذ هو المعهود اوفيه وفى امثاله مما تجرى فيه المشاورة عادة استظهارا بارآئهم وتطييبا لقلوبهم ورفعا لاقدارهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة (فاذا عزمت) اى عقيب المشاورة على شئ واطمأنت به نفسك (فتوكل على الله) فى امضاء امرك على ما هو ارشد واصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور (ان الله يحب المتوكلين) عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصلاح والتوكل تفويض الامر الى الله والاعتماد على كفايته قال الامام دلت الاية على انه ليس التوكل ان يهمل الانسان نفسه كما يقوله بعض الجهال والا كان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل بل التوكل هو ان يراعى الانسان الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحكمة واعلم ان الله تعالى بين ان اصحاب النبى عليه السلام يتفرقون عنه لو كان فظا غليظا مع ان اتباعه دين وفراقه كفر فكيف يتوقع من يعامل الناس على خشونة اللفظ مع قسوة القلب ان ينقاد الناس كلهم له ويتابعوه ويطاوعوه فاللين فى القول انفذ فى القلوب واسرع الى الاجابة وادعى الى الطاعة ولذلك امر موسى وهرون به فقال فقولا له قولا لينا * بنرمى ز دشمن توان كند پوست * چو با دوست سختى كنى دشمن اوست * چو سندان كسى سخت روبى نبرد * كه خايسك تأديب بر سر نخورد * قال الامام فى تفسيره اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله فاما اذا ادى الى ذلك لم يجز قال الله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال للمؤمنين فى اقامة حد الزنى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله والتحقيق ان طرفى الافراط والتفريط مذمومان والفضيلة فى الوسط فورود الامر بالتغليظ مرة واخرى بالنهى عنه انما كان لاجل ان يتباعد عن الافراط والتفريط فيبقى على الوسط الذى هو الصراط المستقيم ولهذا السر مدح الله تعالى الوسط فقال وكذلك جعلناكم امة وسطا قال عليه السلام لا تكن مرا فتعق ولا حلوا فتسترط چو نرمى كنى خصم كردد دلير * وكر خشم كيرى شوند از تو سير * درشتى ونرمى بهم دربهست * چو رك زن كه جراح ومرهم نهست * واعلم ان المقصود من البعثة ان يبلغ الرسول تكاليف الله الى الخلق وهذا المقصود لا يتم الا اذا مالت قلوبهم اليه وسكنت نفوسهم لديه وهذا لا يتم الا اذا كان كريما رحيما يتجاوز عن ذنبهم ويعفو عن اساءتهم ويخصهم بوجوه البر والمكرمة والشفقة فلهذه الاسباب وجب ان يكون الرسول مبرأ عن سوء الخلق وحيث يكون كذلك وجب ان يكون غير غليظ القلب بل يكون كثير الميل الى اعانة الضعفاء كثير القيام باعانة الفقراء كثير التجاوز عن سيئاتهم كثير الصفح عن زلاتهم فلهذا المعنى قال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولو انفضوا من حولك فات المقصود من البعثة والرسالة وهكذا ينبغى ان يكون علماء الآخرة الوارثون والمشايخ فان الناس على دين متبوعهم فى الظاهر والباطن وقلما يوجد من يتصف بالاخلاق الحسنة من المشايخ والعلماء فى هذا

الزمان الا من عصمه الله وهداه الى التمسك بالشريعة والتحقق بآداب الحقيقة وهذه الحال ليس الا لواحد بعد واحد روى انه خلا باحنف المضروب به المثل فى الحلم رجل فسبه سبا قبيحا فقام الاحنف وهو يتبعه فلما وصل الى قومه وقف وقال يا اخى ان كان قد بقى من قولك فضلة فقل الآن ولا يسمعك قومى فتؤذى فانظر الى خلق الاحنف كيف عامل مع الرجل وجامل وقال له رجل دلنى على المروءة فقال عليك بالخلق الفسيح والكف عن القبيح قال نجم الدين الكبرى فى تأويلاته كل لين يظهر فى قلوب المؤمنين بعضهم على بعض فهو رحمة الله ونتيجة لطفه مع عباده لا من خصوصية انفسهم فان النفس لامارة بالسوء وان كانت نفس الانبياء عليهم السلام انتهى وفى هذا الكلام تنبيه على ان الانبياء وان كان سلوكهم من النفس المطمئنة الى الراضية والمرضية والصافية الى ان بلغوا مبلغ النبوة والرسالة لكن نفوسهم متصفة بالامارية كسائر الناس ولكن الله يعصمهم عن مقتضاها فافهم فانه محل اعتبار وامعان (ان ينصركم الله) النصر نوعان معونة ومنع اى ان يعنكم الله ويمنعكم من عدوكم كما فعل ذلك يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا احد يغلبكم (وان يخذلكم) الخذلان القعود عن النصرة والاسلام للهلكة اى ان يترككم فلم ينصركم كما فعله يوم احد (فمن ذا الذى ينصركم) استفهام انكارى مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة (من بعده) اى من بعد خذلانه وهذا تنبيه على ان الامر كله لله ولذا امر بالتوكل عليه فقال (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وامنوا به من قبل ومن التوكل ان لا تطلب لنفسك ناصرا غير الله تعالى ولا لرزقك خازنا غيره ولا لعملك شاهدا غيره وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل سبعون الفا من امتى الجنة بغير حساب قيل يا رسول الله من هم قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن يا رسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم قال انت منهم ثم قال آخر فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وعن بعضهم قال كنت فى البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامى واحدا فسارعت حتى ادركته فاذا هو امرأة بيدها ركوة وعكازة تمشى على الرعدة فظننت انها اعيت فادخلت يدى فى جيبى فاخرجت عشرين درهما فقلت خذى هذه وامكثى حتى تلحقك القافلة فتكترى بها ثم ائتنى الليلة حتى اصلح امرك فقالت بيدها هكذا فى الهوى فاذا فى كفها دنانير فقالت انت اخذت الدراهم من الجيب وانا اخذت الدنانير من الغيب قال الحافظ الشيرازى پروازخانه كردون بد رونان مطلب * كاين سيه كاسه در آخر بكشد مهمانرا * قال القشيرى حقيقة النصر ان ينصرك على نفسك فانها اعدى عدوك وهى ان يهدم عنك دواعى فتنتها بعواصم رحمته حتى ينفض جنود الشهوات بهجوم وفور المنازلات فتبقى الولاية لله تعالى خالصة من رعونات الدواعى التى هى اوصاف البشرية وشهوات النفوس وان يخذلكم فالخذلان التخلية بينه وبين المعاصى فمن نصره قبض على يده عند الهم بتعاطى المكروه ومن خذله القى حبله على غاربه ووكله الى سوء اختياره فيهيم على وجهه فى فيافى البعد فتارة يشرق غير محتشم وتارة يغرب غير محترم ومن سيبه الحق فلا آخذ ليده ولا جابر لكسره وعلى الله فليتوكل المؤمنون فى وجدان الامان من هذه الاخطار عند صدق الابتهال واسبال ثوب العفو على الاجرام عند خلوص الالتجاء بالتبرى عن الحول والقوة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم جهان آفرين كرنه يارى كند * كجا بنده پرهيز كارى بود (وما كان لنبى) اى وما صح لنبى من الانبياء عليهم السلام وما استقام له (ان يغل) اى يخون فى المغنم فان الغلول هو اخذ شئ من مال الغنيمة خفية والخيانة لكونها سببا للعار فى الدنيا وللنار فى العقبى تنافى منصب النبوة التى هى اعلى المناصب الانسانية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله عليه السلام عما ظن به الرماة يوم احد حتى تركوا المركز وافاضوا فى الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيأ فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امرى فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم بينكم واما المبالغة فى النهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روى انه بعث طلائع فغنم النبى صلى الله عليه وسلم بعدهم فقسمها بين الحاضر ولم يترك للطلائع شيأ فنزلت والمعنى ما كان لنبى ان يعطى قوما من العسكر ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل

بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا وتقبيحا لصورة الامر (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) اى يأت بالذى غل بعينه يحمله على عنقه فيفتضح به على رؤس الاشهاد وهو كقوله عليه السلام من غصب قدر شبر من الارض طوقه الله يوم القيامة من سبع ارضين قال عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقال صلى الله عليه وسلم هدايا الولاة غلول اى قبول الولاة الهدايا غلول لانه فى معنى الرشوة وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ألا لا اعرفن احدكم يأتى ببعير له رغاء وبقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادى يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيأ بلغتك وقيل لابى هريرة رضى الله عنه كيف يأتى بما غل وهو كثير كبير بان غل اموالا جمة فقال ارأيت من كان ضرسه مثل احد وفخذه مثل ودقان وساقه مثل جبل ومجلسه ما بين المدينة وربذة ان يحمل مثل هذا ويجوز ان يراد بما احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) اى تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى (وهم) اى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس (لا يظلمون) بزيادة عقاب او بنقص ثواب (افمن اتبع رضوان الله) الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف والتقدير أمن اتقى فاتبع رضوان الله اى سعى فى تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان يفعل الطاعات ويترك المنكرات كالنبى ومن سير بسيرته (كمن باء) اى رجع (بسخط) غضب عظيم لا يقادر قدره كائن (من الله) بسبب معاصيه كالغال ومن تدين بدينه والمراد انهما لا يستويان (ومأواه) اى مأوى من باء بسخط من الله (جهنم وبئس المصير) والفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع (هم) راجع الى الموصولين باعتبار المعنى (درجات عند الله) اى طبقات مختلفة متفاوتة فى علمه وحكمه تعالى شبهوا فى تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات ومراتب الخلق فى اعمال المعاصى والطاعات متفاوتة فوجب ان تتفاوت مراتبهم فى درجات العقاب والثواب لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والمعنى ذوو درجات (والله بصير بما يعملون) من الاعمال ودرجاتها فمجازيهم بحسبها واعلم ان الغلول من الكبائر والغال خائن ومن حاله ان يكون الغالب عليه النفس وهواها والانبياء منسلخون عن صفات البشرية متصفون بصفات الربوبية معصومون عن الرذائل وصفات النفس ودواعى الشيطان فانهم مأمونون بالله فلا يمكن صدور امثال ذلك منهم فالنبى فى جنة الصفات ومقام الرضوان والغال فى جحيم النفس وهاوية الهوى فلا يساوى حال الغال احوال الانبياء ولذلك قال هم درجات عند الله فعلى العاقل ان يسارع الى تكميل الدرجات والوصول الى احسن الحالات قالوا اهل الجنة اربعة اصناف الرسل والانبياء ثم الاولياء وهم اتباع الرسل على بصيرة وبينة من ربهم ثم المؤمنون وهم المصدقون بهم عليهم السلام ثم العلماء بتوحيد الله انه لا اله الا هو من حيث الادلة العقلية وهم المراد باولى العلم فى قوله تعالى شهد الله وفيهم يقول الله يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وهؤلاء الطوائف الاربع يتميزون فى جنات عدن عند رؤية الحق فى الكثيب الابيض وهم فيه على اربعة مقامات طائفة منهم اصحاب منابر وهى الطبقة العليا الرسل والانبياء والطائفة الثانية هم الاولياء ورثة الانبياء قولا وعملا وحالا وهم اصحاب الاسرة والعرش والطبقة الثالثة العلماء بالله من طريق النظر البرهانى العقلى وهم اصحاب الكرسى والطبقة الرابعة هم المؤمنون المقلدون فى توحيدهم ولهم المراتب وهم فى المحشر مقدمون على اصحاب النظر العقلى وهم فى الكثيب يتقدمون على المقلدين * قيامت كه نيكان باعلى رسند * زقعر ثرا بر ثريا رسند * ترا خود بماند سر از ننك پيش * كه كردت برآيد عملهاى خويش * قيامت كه بازار مينو نهند * منازل باعمال نيكو نهند * والخلق متفاوتون فى الاعمال وتفاضلهم على مراتب فمنها بالسن ولكن فى الطاعة والاسلام فيفضل الكبير السن على الصغير السن اذا كانا على مرتبة واحدة من العمل ومنها بالزمان فان العمل فى رمضان وفى يوم الجمعة وفى ليلة القدر وفى عشر ذى الحجة وفى عاشوراء اعظم من سائر الايام والازمان ومنها بالمكان فالصلاة فى المسجد الحرام افضل منها فى مسجد المدينة وهى من الصلاة فى المسجد الاقصى وهى منها فى سائر المساجد ومنها بالاحوال فان الصلاة بالجماعة افضل من صلاة الشخص وحده ومنها بنفس الاعمال فان الصلاة افضل من اماطة الاذى ومنها فى العمل الواحد فالمتصدق

على رحمه صاحب صلة رحم وصدقة وكذا من اهدى هدية لشريف من اهل البيت افضل من ان يهدى لغيره
واحسن اليه ومن الناس من يجمع فى الزمن الواحد اعمالا كثيرة فيصرف سمعه وبصره ويده فيما ينبغى فى زمان
صومه وصدقته بل فى زمان صلاته فى زمان ذكره فى زمان نيته من فعل وترك فيوجر فى الزمان الواحد
من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس كذلك بضاعت بچند انكه ارى برى ✻ اكر مفلسى شرمسارى
برى ✻ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من يوم يأتى على ابن آدم الا ينادى فيه يا ابن آدم انا خلق
جديد وانا فيما تعمل عليك غدا شهيد فاعمل فى خيرا اشهد لك به غدا فانى لو قد مضيت لم ترنى ابدا ويقول الليل
مثل ذلك فاعمل يا اخى عمل من يعلم انه راجع الى الله وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير والقليل والكثير وقد
قال تعالى والله بصير بما يعملون فينبغى ان لا يغفل الانسان فى كل ساعاته (لقد من الله على المؤمنين) جواب
قسم محذوف اى والله لقد انعم الله على من آمن مع الرسول عليه السلام من قومه وتخصيصهم بالامتنان مع
عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لزيادة انتفاعهم بها (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) اى من نسبهم او من
جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وفى ذلك
شرف عظيم لهم قال الله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اى اشرفهم فانه صلى الله عليه وسلم
كان من اشرف قبائل العرب وبطونها (يتلو عليهم آياته) اى القرءآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى
(ويزكيهم) اى يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال واوضار الاوزار (ويعلمهم الكتاب والحكمة)
اى القرءآن والسنة (وان كانوا من قبل) اى من قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وتزكيته وتعليمه (لفى ضلال
مبين) بين لا ريب فى كونه ضلالا وان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين
النافية واعلم ان الله تعالى ارسل محمدا الى اقوام عتاة اشراس فذلل منهم كل من عتا وعاس ونكس بمولده
الاصنام على الراس وانشق ايوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرافة بعدد من سيملك من الناس وخمدت
نار فارس وبحيرة ساوة غاضت على غير القياس واختاره مولاه وقدمه على الخلق فهو بمنزلة العين من الراس
وايام دولته كايام التشريق وليلات الاعراس فتحجبت قريش من غنى بالفضل بعد فقر الافلاس فرماهم القرءآن
بسهام الجدل لا عن اقواس اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس فهو رحمة عامة للانام وله
خطر جليل عند الخواص والعوام وفيما خطب به ابو طالب فى تزويج خديجة رضى الله عنها وقد حضر معه بنوا
هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا
حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ابن اخى هذا محمد بن
عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وعن عائشة رضى الله
عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل يا محمد قلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم اجد
رجلا افضل من محمد ولم اجد بنى اب افضل من بنى هاشم آدم ومن دونه تحت اللوا ✻ زانكه بهر اوست خلق
ماسوا ✻ وعن ابن عباس رضى الله عنه ان قريشا كانت نورا بين يدى الله قبل ان يخلق آدم بالفى عام يسبح ذلك
النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور فى صلبه نور بهار عالم نو بهار آدم وذكر ان
عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم بينا هو نائم فى الحجر انتبه مذعورا قال العباس فتبعته وانا يومئذ غلام
اعقل ما يقال فاتى كهنة قريش فقال رأيت كان سلسلة من فضة خرجت من ظهرى ولها اربعة اطراف طرف
قد بلغ مشارق الارض وطرف قد بلغ مغاربها وطرف قد بلغ عنان السماء وطرف قد جاوز الثرى فبينا انا انظر
عادت شجرة خضراء لها نور فبينا انا كذلك قام على شيخان فقلت لاحدهما من انت قال انا نوح نبى رب العالمين
وقلت للآخر من انت قال ابراهيم خليل رب العالمين ثم انتبهت قالوا ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك نبى
يؤمن به اهل السموات واهل الارض ودلت السلسلة على كثرة اتباعه وانصاره وقوتهم لتداخل حلق السلسلة
ورجوعها شجرة تدل على ثبات امره وعلو ذكره وسيهلك من لم يؤمن به كما هلك قوم نوح وستظهر به
ملة ابراهيم والى هذا وقعت اشارة النبى عليه السلام يوم حنين حيث قال انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب
كانه يقول انا ابن صاحب تلك الرؤيا مفتخرا بها لما فيها من علم نبوته وعلو كلمته ثم انه لا نهاية لاوصافه الشريفة
واخلاقه الحميدة وانما الكلام فى ان يكون المرء ممتلئا بمحبته مقتفيا باثار سنته حتى يكون من امته حقيقة

والخدمة فى عتبة بابه من جهة الشريعة والطريقة من اقوى الوسائل الى الوصول حكى ان مريدا ادعى انه قال
ان شيخى يعرف مقامى فى هذه الطريقة واستحقاقى للخلافة والنصب فى مقام الارشاد فماله لا يجيزنى بالخلافة
فسمع ذلك شيخه فاستخدمه اياما فاظهر ذلك الصوفى الكسل فى خدمته ولم يخدمه بالشوق والاجتهاد فرأى
حاله الشيخ فقال منكر الما ادعاه من لا يقدر على خدمة الخلق كيف يقدر على خدمة الخالق فانظر كيف
جعل خدمة الخلق من اسباب خدمة الخالق والوصول اليه وهكذا من كان فى قلبه ميل الى وصول الحق
فلا بد له ان يرجع اولا الى خدمة شريعة النبى صلى الله عليه وسلم وسننه حتى يحبه النبى عليه السلام فيحبه الله
محالست سعدى كه راه صفا ✻ توان رفت جز در پى مصطفا ✻ شرفنا الله واياكم برعاية سننه وآدابه
والاقتفاء باثار آله واصحابه انه المنان جزيل الاحسان واسع الغفران فى كل زمان (اولما اصابتكم مصيبة قد
اصبتم مثليها قلتم انى هذا) الواو عاطفة لدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد
اصبتم فى محل الرفع على انه صفة المصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما اصاب
المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مقول قلتم والمعنى احين اصابكم من المشركين
نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا فالهمزة للتقرير والتقريع على قولهم لو كان
رسولا من عند الله لما انهزم عسكره من الكفار يوم احد وادى ذلك الى ان قالوا من اين هذه المغلوبية
للمشركين فكيف صاروا منصورين علينا مع شركهم وكفرهم بالله ونحن ننصر رسول الله ودين الاسلام
وهو استفهام على سبيل الانكار فامر الله تعالى رسوله عليه السلام بان يجيب عن سؤالهم الفاسد (قل هو
من عند انفسكم) اى هذا الانهزام انما حصل بشؤم عصيانكم حيث خالفتم الامر بترك المركز والحرص على
الغنيمة (ان الله على كل شئ قدير) ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن
الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم (وما اصابكم يوم التقى الجمعان) اى جمعكم وجمع المشركين يريد يوم احد
(فبأذن الله) اى فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين
نافقوا) اى وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء (وقيل لهم) عطف على نافقوا داخل معه
فى هذه الصلة وهم عبد الله بن ابى واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم
عبد الله بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى (تعالوا قاتلوا فى سبيل
الله او ادفعوا) عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه (قالوا)
حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) اى لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم
فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء النفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا
واستهزاء (هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان) ومعنى كون قربهم الى الكفر ازيد يومئذ من قربهم الى الايمان
انهم كانوا قبل ذلك الوقت كاتمين للنفاق فكانوا فى الظاهر ابعد من الكفر فلما ظهر منهم ما كانوا يكتمون
صاروا اقرب للكفر فان كل واحد من انخذالهم برجوعهم عن معاونة المسلمين وكلامهم المحكى عنهم يدل على
انهم ليسوا من المسلمين (يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم) يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم
السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير فان الكلام وان كان يطلق على اللسانى والنفسانى
الا ان القول لا يطلق الا على ما يكون باللسان والفم فذكر الافواه بعده تأكيد كقوله تعالى ولا طائر يطير
بجناحيه وتصوير لحقيقة القول بصورة فرده الصادر عن آلته التى هى الفم (والله اعلم بما يكتمون) من النفاق
وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات (الذين قالوا) مرفوع على انه
بدل من واو يكتمون (لاخوانهم) لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم فى النسب
وفى سكنى الدار فيندرج فيهم بعض الشهداء (وقعدوا) حال من ضمير قالوا بتقدير قد اى قالوا وقد قعدوا عن
القتال بالانخذال (لو اطاعونا) اى فيما امرناهم ووافقونا فى ذلك (ما قتلوا) كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم
امروهم بالانخذال حين انخزلوا واغووهم كما غووا (قل) تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم (فادرؤا) اى ادفعوا
(عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله اى ان كنتم صادقين فيما ينبئ
عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذى كتب عليكم

معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت فى امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سوآء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا الا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت * زبيش خطر تا توانى كريز * وليكن مكن با قضا پنجه تيز * كرت زند كانى نبشتست دير * نه مارت كزآيد نه شمشير وتير * واعلم ان الموت ليس له سن معلوم ولا اجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على اهبة من ذلك مستعدا لذلك وكان بعض الصالحين ينادى بالليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفى فقد صوته امير تلك المدينة فسأل عنه فقيل انه مات فقال

مازال يلهج بالرحيل وذكره * حتى اناخ ببابه الجمال

فاصابه متيقظا متشمرا * ذا اهبة لم تلهه الآمال

روى انه مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع مناديا يا دانيال قف ساعة ترعجبا فلم ير شيأ ثم نادى الثانية قال فوقفت فاذا بيت يدعونى الى نفسه فدخلت فاذا سرير مرصع بالدر والياقوت فاذا النداء من السرير اصعد يا دانيال ترعجبا فارتقيت السرير فاذا فراش من ذهب مشحون بالمسك والعنبر فاذا عليه شاب ميت كانه نائم واذا عليه من الحلى والحلل مالا يوصف وفى يده اليسرى خاتم من ذهب وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف اشد خضرة من البقل فاذا النداء من السرير ان احمل هذا السيف واقرأ ما عليه قال فاذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن ارم وانى عشت الف عام وسبعمائة وافتضضت اثنى عشر الف جارية وبنيت اربعين الف مدينة وهزمت سبعين الف جيش وفى كل جيش قائد مع كل قائد اثنا عشر الف مقاتل وباعدت الحكيم وقربت السفيه وخرجت بالجور والعنف والحمق عن حد الانصاف وكان يحمل مفاتيح الخزآئن اربعمائة بغل وكان يحمل الىّ خراج الدنيا فلم ينازعنى احد من اهل الدنيا فادعيت الربوبية فاصابنى الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بالف قفيز من در فلم اقدر عليه فمت جوعا يا اهل الدنيا اذكروا امواتكم ذكرا كثيرا واعتبروا بى ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى فان اهلى لم يحملوا من وزرى شيأ فعلى العاقل ان لا يركن الى الدنيا ويتذكر مرجعه ويتجنب عن المنافقة والظلم والجور ويتصف بالاخلاص والعدل والاحسان فانه هو المفيد قال ابن الكمال

پرده دارى ميكند در طاق كسرى عنكبوت * بوم نوبت ميزند بر قلعهٔ افراسياب * تخم احسان راچه دارى برفشان اى بى خبر * چونكه دانى دانهٔ عمرت خورد اين آسياب * جعلنا الله واياكم من المتيقظين الواصلين الى ذروة اليقين قبل حلول الاجل والحين (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا) المراد بهم شهدآء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمرو وعثمان بن شهاب وعبد الله ابن جحش وباقيهم من الانصار قال القاشانى الافصح الابلغ ان يجعل الخطاب فى ولا تحسبن لكل احد لانه امر خطير يجب ان يبشر به كل واحد لتتوفر دواعيهم الى الجهاد وليتيقنوا بحسن الجزآء وان كان للرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد به نهى الامة وتنبيههم على حالهم والا فرسول الله اجل مرتبة من ذلك الحسبان (بل احياء) اى بل هم احياء (عند ربهم) خبر ثان للمبتدأ المقدر والعندية المكانية مستحيلة فتعين حملها على انهم مقربون منه تعالى قرب التكريم والتعظيم (يرزقون) من ثمار الجنة وتحفها وفيه تأكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والزلفى من الله تعالى والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا (ويستبشرون) معطوف على قوله فرحين عطف الفعل على الاسم لكون الفعل فى تأويل الاسم كانه قيل فرحين ومستبشرين وبناء استفعل ليس للطلب بل هو بمعنى المجرد نحو استغنى الله اى غنى وقد سمع بشر الرجل بكسر العين فيكون استبشر بمعناه وقيل هو مطاوع ابشر نحو اراحه فاستراح فان البشرى حصلت لهم بابشار الله تعالى واليه اشار الزمخشرى فى الكشاف بقوله بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به والبيضاوى بقوله يسرون بالبشارة (بالذين لم يلحقوا بهم) اى باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد فى سبيل الله فيلحقوا بهم (من خلفهم) متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم (ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هى المخففة اى يفرحون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا

يفوزون بحياة ابدية لا يدركها خوف وقوع محذور ولا حزن فوت مطلوب والخوف يكون بسبب توقع المكروه النازل فى المستقبل والحزن يكون بسبب فوت المنافع التى كانت موجودة فى الماضى فبين الله انه لا خوف عليهم مما سيأتيهم من اهوال القيامة واحوالها ولا حزن لهم مما فاتهم من نعم الدنيا ولذاتها (يستبشرون بنعمة) كائنة (من الله) كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهى ثواب اعمالهم (وفضل) اى زيادة عظيمة كما فى قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة (وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) كافة سوآء كانوا شهدآء او غيرهم وهو بفتح ان عطف على فضل منتظم معه فى سلك المستبشر به قال الامام الآية تدل على ان استبشارهم بسعادة اخوانهم من استبشارهم بسعادة انفسهم لان الاستبشار الاول فى الذكر هو باحوال الاخوان وهذا تنبيه من الله على ان فرح الانسان بصلاح حال اخوانه ومتعلقه يجب ان يكون اتم واكمل من فرحه وصلاح احوال نفسه واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان هؤلاء المقتولين وان فارقت ارواحهم من اجسادهم الا انهم احياء فى الحال واختلف القائلون بحياتهم فى الحال انها للروح او للبدن ولا بد ههنا من تقديم مقدمة ليتضح بها المقام وهى ان الانسان المخصوص ليس عبارة عن مجموع هذه البنية المخصوصة بل هو شئ مغاير لها وذلك لان اجزآء هذه البنية فى الذوبان والانحلال والتبدل والتغير بالسمن وضده والصغر وخلافه والانسان المخصوص شئ واحد باق من اول عمره الى آخره والباقى مغاير للمتبدل فثبت ان الانسان مغاير لهذا البدن المخصوص ثم بعد هذا يحتمل ان يكون جسما مخصوصا ساريا فى هذه الجثة سريان النار فى الفحم والدهن فى السمسم وماء الورد فى الورد ويحتمل ان يكون جوهرا قائما بنفسه ليس بجسم ولا حال فى الجسم وعلى كلا المذهبين لا يبعد ان ينفصل ذلك الشئ حيا عند موت البدن فيثاب ويعذب على حسب اعماله والدلائل العقلية والنقلية الدالة على بقاء النفوس بعد موت الاجساد كثيرة متعاضدة فوجب المصير اليه وبه تزول الشبهات الوارده على القول بثواب القبر كما فى هذه الآية وعلى القول بعذاب القبر كما فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا اذا لم تمت النفوس بموت الابدان او قلنا بانه تعالى اماتها ثم اعاد الحياة اليها كما يدل عليها ما روى فى بعض الاخبار قال صلى الله عليه وسلم فى صفة الشهدآء ان ارواحهم فى اجواف طير خضر وانها ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح فى الجنة حيث شاءت وتأوى الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا طيب مطعمهم ومسكنهم ومشربهم قالوا يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم وما صنع الله بنا كى يرغبوا فى الجهاد فقال الله تعالى انا مخبر عنكم ومبلغ اخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا فانزل الله هذه الآية والذين اثبتوا هذه الحياة للاجساد اختلفوا فقال بعضهم انه تعالى يصعد اجساد هؤلاء الشهدآء الى السموات الى قناديل تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال يتركها فى الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها كذا فى تفسير الامام ولابن سينا رسالة فى علم النفس ولعمرى قد بلغ القصوى فى التحقيق فليطلبها من اراد وفضائل الشهدآء لا نهاية لها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهيد لا يجد الم القتل الا كما يجد احدكم الم القرصة وله سبع خصال يغفر له فى اول قطرة قطرت من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويؤمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار لياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج بثلاث وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من اقربائه ويروى انه اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى ادعوا الى خيرتى من خلقى فيقولون يا رب من هم فيقول الشهدآء الذين بذلوا دماءهم واموالهم وانفسهم فيمرون على رب العزة وسيوفهم على اعناقهم فيدخلون مساكنهم فى الجنة وينصب يوم القيامة لوآء الصدق لابى بكر وكل صديق يكون تحت لوآئه ولوآء العدل لعمر وكل عادل يكون تحت لوآئه ولوآء السخاوة لعثمان وكل سخى يكون تحت لوآئه ولوآء الشهدآء لعلى وكل شهيد يكون تحت لوآئه وكل فقيه تحت لوآء معاذ بن جبل وكل زاهد تحت لوآء ابى ذر وكل فقير تحت لوآء ابى الدردآء وكل مقرئ تحت لوآء ابى بن كعب وكل مؤذن تحت لوآء بلال وكل مقتول ظلما تحت لوآء الحسين بن على رضى الله عنهما فذلك قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم قيل ارواح الشهدآء وان كانت فى عليين الا انها تزور قبورها كل جمعة على الدوام ولذلك يستحب زيارة القبور ليلة الجمعة ويوم الجمعة قال عليه السلام ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه قال الجنيد قدس سره من كانت حياته

بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كانت حياته بربه فانه ينتقل من حياة الطبع الى حياة الاصل وهى الحياة الحقيقية واذا كان القتيل بسيف الشريعة حيا مرزوقا فكيف من قتل بسيف الصدق والحقيقة هركز نميرد انكه دلش زنده شد بعشق * ثبت است برجريدهٔ عالم دوام ما * قال القاشانى المقتول فى سبيل الله صنفان مقتول بالجهاد الاصغر وبذل النفس طلب الرضى الله كما هو الظاهر ومقتول بالجهاد الاكبر وكسر النفس وقتلها بسفرة الحب وقمع الهوى كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند رجوعه من بعض الغزو رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكلا الصنفين ليسوا باموات بل احياء عند ربهم بالحياة الحقيقية مجردين من دنس الطبائع مقربين فى حضرة القدس يرزقون فى الجنة المعنوية من الارزاق المعنوية اى المعارف والحقائق واستشراق الانوار ويرزقون فى الجنة الصورية كما يرزق الاحياء او من كليهما فان للجنان مراتب بعضها معنوية وبعضها صورية ولكل منهما درجات على حسب المعارف والعلوم والمكاسب والاعمال فالمعنوية جنة الذات وجنة الصفات وتفاضل درجاتها بحسب تفاضل المعارف والترقى فى الملكوت والجبروت والصورية جنة الافعال وتفاوت درجاتها بحسب تفاوت الاعمال والتدرج فى مراتب عالم الملك من السموات العلى والجنات المحتوية على جميع المنى وماروى من الحديث فى شهداء احد فالطير الخضر فيه اشارة الى الاجرام السماوية والقناديل هى الكواكب اى تعلقت بالنيرات من الاجرام السماوية لنزاهتها وانهار الجنة منابع العلوم ومشارعها ثمارها الاحوال والكشوف والمعارف او الانهار والثمار الصورية على حسب جنتهم المعنوية والصورية فان كل ما وجد فى الدنيا من المطاعم والمشارب والمناكح والملابس وسائر الملاذ والمشتهيات موجود فى الاخرة فى عالم المثال وفى طبقات السماء الذ واصفى مما فى الدنيا يستبشرون بنعمة الامن من العقاب اللازم للنقص والتقصير والنجاة من الحزن على فوات نعمة الدنيا لحصول ما هو اشرف واصفى والذوابقى من جنان الافعال وفضل هو زيادة جنات الصفات المشار اليها بالرضوان او نعمة جنة الصفات وفضل جنة الذات وان اجر ايمانهم من جنة الافعال لا يضيع مع ذلك انتهى كلامه فلابد للسالك من بذل المال والبدن والروح حتى يحصل لهم انواع الفتوح * دلا طمع مبر از لطف بى نهايت دوست * چو لاف عشق زدى سر بياز چابك وجست (الذين استجابوا لله والرسول) اى اجابوا واطاعوا فيما امر وابه ونهوا عنه كما فى قوله تعالى فليستجيبوا (من بعد ما اصابهم القرح) اى الجرح فى غزوة احد (للذين احسنوا منهم) يدخل تحته الاتيان بجميع المأمورات (واتقوا) يدخل تحته الانتهاء عن جميع المنهيات (اجر عظيم) ثواب عظيم وجملة قوله للذين خبر مقدم مبتدأه اجر عظيم والجملة فى محل الرفع خبر الذين استجابوا وكلمة من فى قوله منهم ليست للتبعيض لان الذين استجابوا لله والرسول كلهم قد احسنوا لا بعضهم بل هى لبيان الجنس ومحصل المعنى حينئذ الذين استجابوا لله والرسول لهم اجر عظيم الا انهم وصفوا بوصفى الاحسان والتقوى مدحا لهم وتعليلا لعظم اجرهم بحسن فعالهم لا تقييدا روى ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا من احد فبلغوا الروحاء وهو موضع بين مكة والمدينة ندموا وهموا بالرجوع حتى يستأصلوا ما بقى من المؤمنين فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج فى طلب ابى سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس اى وقعتنا والعرب تسمى الوقائع اياما وذكرهم بايام الله فخرج رسول الله عليه السلام ارآءة من نفسه ومن اصحابه جلدا وقوة ومعه جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم اى حملوا المشقة على انفسهم كيلا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت فهذه هى غزوة حمراء الاسد متصلة بغزوة احد واما غزوة بدر الصغرى فقد وقعت بعدها بسنة واليها الاشارة بقوله تعالى (الذين قال لهم الناس) يعنى الركب استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعى واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد اولانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه (ان الناس) يعنى ابا سفيان واصحابه (قد جمعوا لكم) اى اجتمعوا (فاخشوهم) روى ان ابا سفيان لما عزم على ان ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى لقابل نقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله فى قلبه الرعب وبدا له ان يرجع فمر به ركب من بنى

عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين اولقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى واعدت محمدا ان نلتقى بموسم بدر الا ان هذا العام عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ان ارجع ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جرآءة فاذهب الى المدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل وضمنها سهيل بن عمرو فجاء نعيم المدينة فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم ما هذا بالرأى اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احد اى لم يتخلص الا شريد وهو الفار النافر المبعد أفترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم احد فاثر هذا الكلام فى قلوب قوم منهم فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منهم قال والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل (فزادهم) القول (ايمانا) والمعنى لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده (وقالوا حسبنا الله) اى محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه (ونعم الوكيل) اى الموكول اليه هو اى الله (فانقلبوا بنعمة من الله) الفاء فصيحة اى خرجوا اليهم ووافوا الموعد فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها كائنة من الله تعالى وهى العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم (وفضل) اى ربح فى التجارة عظيم (لم يمسسهم سوء) سالمين من السوء اى لم يصبهم اذى ولا مكروه روى انه صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدر الصغرى وكانت موضع سوق لبنى كنانة يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق صلى الله عليه وسلم واصحابه هنالك احدا من المشركين واتوا السوق وكانت معهم نفقات وتجارات فباعوا واشتروا اربا وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق (واتبعوا) فى كل ما اتوا من قول وفعل وهو عطف على انقلبوا (رضوان الله) الذى هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) حيث تفضل بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجرأة على العدو وحفظهم من كل ما يسوءهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم (انما ذلكم) اى المثبط ايها المؤمنون وهو مبتدأ (الشيطان) خبره (يخوف اولياءه) المنافقين غلبة المشركين وقهرهم ليقعدوا عن قتالهم فهم المنافقون الذين فى قلوبهم مرض وقد تخلفوا عن رسول الله فى الخروج والمعنى ان تخويفه بالكفار انما يتعلق بالمنافقين الذين هم اولياؤه واما انتم ايها المؤمنون فاولياء الله وحزبه الغالبون لا يتعلق بكم تخويفه (فلا تخافوهم) اى الشيطان واولياءه من ابى سفيان وغيره (وخافون) فى مخالفة امرى (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعى الامن من شر الشيطان واوليائه والخوف على ثلاثة اقسام خوف العام وهو من عقوبة الله وخوف الخاص وهو من بعد الله وخوف الاخص وهو من الله والى هذه المراتب اشار النبى عليه السلام بقوله اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك فعلى السالك ان ينفى عن نفسه وصفاتها ولا يرى فى الكون وجودا غير وجوده فلا يخاف الا منه فانه هو القاهر فوق عباده وهو الكافى جميع الامور قال نجم الدين الكبرى قدس سره آخر مقام الخلة ان يكبر على نفسه وجميع المكونات اربع تكبيرات ويتحقق له ان الله حسبه من كل شئ وهو نعم الوكيل عن نفسه وما سواه (قال الحافظ الشيرازى) من همان دم كه وضو ساختم از چشمهٔ عشق * چار تكبير زدم يكسره بر هرچه كه هست * يشير الى انه وقت قيامه بالعشق رأى وجود غير الله ميتا بمنزلة الجماد وقد قال كل شئ هالك الا وجهه وصلاة الميت باربع تكبيرات لا غير وهذا هو الفناء عن نفسه وعن المكونات حققنا الله تعالى بحقيقة التوحيد قال ابو يزيد كنت اثنتى عشرة سنة حدادا لنفسى وخمسين سنة مرءآة قلبى وسنة انظر فيما فاذا فى وسطى زنار ظاهر فعملت فى قطعه اثنتى عشرة سنة ثم نظرت فاذا فى باطنى زنار فعملت فى قطعه خمس سنين انظر كيف اقطع فكشف لى فنظرت الى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم اربع تكبيرات وقيل لابى يزيد البسطامى بعد وفاته كيف كان حالك مع منكر ونكير فقال لما قالا لى من ربك قلت لهما ما اسألا ربى فان قال هو عبدى بكفى والا فلو قلت انا عبده مرارا لا يفيد بلا قبوله وحقيقة العبودية

بالتبرى عن جميع ماسوى الله ولومن صومه وصلاته وسائر عباداته روى ان ابايزيد فى آخر عمره دخل محرابه
وقال الهى لااذكر صومى ولاصلاتى ولاغيرها بل اقول افنيت عمرى فى الضلالة فالا آن قطعت زنارى وجئت
بابك بالاسلام وهو الاسلام وهذا هو الانصاف من نفسه حقيقة قال الشيخ السعدى فى حق شيخه السهروردى
شبى دائم ازهول دوزخ نخفت * بكوش آمدم صبحكاهى كه كفت * چه بودى كه دوزخ زمن پرشدى *
مكرديكرانرا رهايى بدى * فالعاقل لايزكى نفسه ولايراها محلا لكرامة الله بل يتواضع بحيث يرى اعماله
السيئة كثيرة بالنسبة الى اعماله الصالحة بل ولايرى فى نفسه الا العدم المحض واعلم ان من شعار المسلمين وعادة
المؤمنين ان يجاهدوا فى سبيل الله ولايخافوا لومة اللائمين الا يرى ان الله تعالى كيف مدح قوما حالهم كذلك
بقوله يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فمن
كان مع الله فهو يعصمه وينصره على اعدائه خصوصا عدو النفس الامارة * كسى راد ائم اهل استقامت * كه
باشد برسر كوى ملامت * زاوصاف طبيعت بالمرده * باطلاق هويت جان سپرده * برفته سايه
وخرشيد مانده * تمام از كرد خود دامن فشانده * اوصلنا الله واياكم الى الخلوص واليقين والتمكين
آمين (ولايحزنك الذين يسارعون فى الكفر) اى يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وهم
المنافقون المتخلفون الذين يسارعون الى ماابطنوه من الكفر مظاهرة للكفار وسعيا فى اطفاء نور الله (انهم لن
يضروا الله شيأ) اى لن يضروا بذلك اولياء الله ودينه البتة شيأ من الضرر (يريد الله ان لايجعل لهم حظا
فى الآخرة) اى يريد الله بذلك ان لايجعل لهم فى الآخرة نصيبا تاما من الثواب ولذلك تركهم فى طغيانهم
يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ النهاية حتى اراد ارحم الراحمين ان
لايكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ فى الآخرة (ولهم)
مع ذلك الحرمان الكلى بدل الثواب (عذاب عظيم) لايقادر قدره (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) اى اخذوه
بدلا منه رغبة فيما اخذوه واعراضا عما تركوه (لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب اليم) ولما جرت العادة باغتباط
المشترى بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام
مراعاة لذلك (ولايحسبن الذين كفروا) الموصول مع صلته فاعل لايحسبن (انما) بما فى حيزها سادة مسد
مفعوليه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبى بالنسبة بين المبتدأ والخبر وما مصدرية او موصولة حذف
عائدها وكان حقها فى قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت فى مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه
متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام فى خط المصاحف (نملى لهم) الاملاء الامهال واطالة المدة والملى مقصورا
الدهر والملوان الليل والنهار لتعاقبهما اى ان املاءنا لهم او ان مانمليه لهم (خير لانفسهم) من منعهم عن
ارادتهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم (انما) كافة حقها الاتصال (نملى لهم ليزدادوا اثما) اللام لام الارادة
عند اهل السنة القائلين بانه تعالى فاعل الخير والشر مريد لهما فان الاملاء الذى هو اطالة العمر لاشك انها
من افعاله تعالى وانها ليست بخير لهم لانهم يتوسلون بها الى ازدياد الاثم والطغيان فهو تعالى لما امهلهم
واطال عمرهم بارادته واكتسبوا بذلك مآثم من الكفر والطغيان كان خالقا لتلك المآثم ايضا ولا تخلق
الا بالارادة فهو مريد لها كما انه مريد لاسبابها المؤدية اليها وليست لام العلة لان افعاله تعالى ليست معللة
بالاغراض وعند المعتزلة لام العاقبة (ولهم فى الآخرة عذاب مهين) اى يهانون به فى الاخرة قال عليه السلام
خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله ودلت الآية على ان اطالة عمر الكافر
والفاسق وايصاله الى مراداته فى الدنيا ليس بخير بل هى نعمة فى الصورة ونقمة فى الحقيقة الا يرى ان من
اطعم انسانا خبيصا مسموما لايعد ذلك نعمة عند الحقيقة لافضائه الى الهلاك والعقوبة فينبغى للعبد ان لايغتر
بطول العمر وامتداده ولا بكثرة امواله ولا اولاده * غره مشو بانكه جهانت عزيز كرد * اى بس عزيز راكه
جهان كرد زود خوار * مارست اين جهان وجهانجوى ماركير * وزماركير مار برآرد كهى دمار *
قال الله تعالى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج ان من نعمى على امتك انى قصرت اعمارهم
كيلا تكثر ذنوبهم واقللت اموالهم كيلا يشتد فى القيامة حسابهم واخرت زمانهم كيلا يطول فى القبور حبسهم
وقال ايضا يا احمد لاتتزين بلين اللباس وطيب الطعام ولين الوطاء فان النفس مأوى كل شر وهى رفيق سوء

كلما تجرها الى طاعة تجرك الى المعصية وتخالفك فى الطاعة وتطيع لك فى المعصية وتطغى اذا شبعت وتتكبر
اذا استغنت وتنسى اذا ذكرت وتغفل اذا امنت وهى قرينة للشيطان وقيل مثل النفس كمثل النعامة تأكل
الكثير واذا حملت عليها لاتطير واذا قيل انت طائر قالت انا بعير وهذه رجلى واذا حملت عليها شيأ قالت انا طائر
وهذا اجناحى فكثرة المال وكمال الاستغناء تغر النفس قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى
مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هرساعتش قبلهٔ ديكرست (قال السعدى) شنيده ام كه بقصاب
كوسفندى كفت * دران زمانكه بخنجر سرش زتن ببريد * جزاى هربن خارى كه خورده ام ديدم *
كسى كه پهلوى چربم خورد چه خواهد ديد * وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت قلت يارسول الله
الاتستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع وشد الحجر من السغب فقال يا عائشة والذى نفسى
بيده لو سألت ربى ان يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكنى اخترت جوع الدنيا
على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا لآل محمد قال عليه
السلام الدنيا والآخرة ضرتان فمن يطلب الجمع بينهما فهو ممكور ومن يدعى الجمع بينهما فهو مغرور فمن رام مع
متابعة الهوى البلوغ الى الدرجات العلى فهو غريق فى الغفلة فالله تعالى يمهله فى طغيان النفس بالحرص على
الدنيا حتى يتجاوز فى طلبها حد الاحتياج اليها ويفتح ابواب المقاصد الدنيوية عليه ليستغنى بها وبقدر الاستغناء
يزيد طغيانه * بنازونعمت دنيا منه دل * كه دل برداشتن كاريست مشكل * فيا ايها الاخوان الذين
مضوا قبلنا من الامم قد عاشوا طويلا وجمعوا كثيرا فتذكروا موتهم ومصارعهم تحت التراب وتأملوا كيف
تبددت اجزاؤهم فى قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وهلكت بعدهم
صغارهم وكبارهم وانقطعت آثارهم وديارهم فلم يرجع من كفر بنعمة الله الا الى العذاب والخسران ولم يصر الا
الى دركات النيران فمن كانت غفلته كغفلتهم فسيصير الى ماصاروا اليه وان عاش طويلا فان الله يمهل ولا يهمل
قال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ وما الحياة والتمتع بها الا قليل فالدنيا ساعة فاجعلها
طاعة لعلك تلحق بالجماعة من اهل الوصول وارباب القبول وجميع الطاعات من اسباب الفلاح خصوصا
الصلاة افضل العبادات واعلاها واشرف الطاعات واسناها والصوم سبب للولوج فى ملكوت السموات
وواسطة الخروج عن رحم مضايق الجسمانيات المعبر عنه بالنشأة الثانية كما اشير اليه بقول عيسى عليه السلام
لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين بل مجاهدة الصوم رابطة مشاهدة اللقاء واليه يشير الحديث القدسى
وهو قوله عليه السلام الصوم لى وانا اجزى به يعنى انا جزاؤه ولهذا اعلق سبحانه نيل سعادة الرؤية بالجوع حيث
قال فى مخاطبة عيسى عليه السلام تجوع ترانى * همى آيد از حق ندا متصل * تجوع ترانى تجرد تصل *
رزقنا الله واياكم (ما كان الله) مريدا (ليذر) لان يترك (المؤمنين) المخلصين (على ما انتم عليه) الخطاب لعامة
المخلصين والمنافقين فى عصره (حتى يميز الخبيث من الطيب) ماز الشئ يميزه ميزا عزله وافرزه والمعنى ما كان
الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لايعرف مخلصكم
من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه باخو الكم او بالجهاد
او بالهجرة (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) اى وما كان الله ليؤتى احدكم علم الغيب فيطلع على
ما فى القلوب من كفر وايمان (ولكن الله يجتبى) يصطفى (من رسله من يشاء) فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات
او ينصب له ما يدل عليها (فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم
عبادا مجتبين لايعلمون الا ما علمهم الله ولا يعلمون الا ما اوحى اليهم (وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) النفاق
(فلكم) بمقابلة ذلك الايمان والتقوى (اجر عظيم) لايبلغ كنهه وهذا الاجر على قدر عظم التقوى فان السير الى
المقصد الاعلى والوصول الى منازل الاجتباء لايتهيأ الا بقدمى التقى * قدم بايد اندر طريقت نه دم * كه
اصلى ندارد دمى بى قدم * قال ابراهيم بن ادهم بت ليلة تحت صخرة بيت المقدس فلما كان بعض الليل نزل
ملكان فقال احدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر ابراهيم بن ادهم فقال ذلك الذى حط الله درجة من
درجاته فقال لم قال لانه اشترى بالبصرة التمر فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال قال ابراهيم فمضيت الى البصرة
واشتريت التمر من ذلك الرجل واوقعت تمرة على تمره ورجعت الى بيت المقدس وبت فى الصخرة فلما كان بعض

الليل اذا انا بملكين قد نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه من ههنا فقال احدهما ذلك الذى رد الى مكانها
الثمرة فرفعت درجته فهذا هو التقوى على الحقيقة ومراعاة الحقوق على الوجه اللائق ولا يتيسر ذلك
الا بالتوسل الى جناب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان غيب الحقائق والاحوال لا ينكشف بلا واسطة
الرسول واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الخ وكيف يترقى الى حقيقة التقوى
وعالم الاطلاق من تقيد برأيه واختياره قال الله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة فلا بد من متابعة النبى عليه السلام
حقا كه بى متابعت سيد رسل * هركز كسى بمنزل مقصود ره نيافت * از هيچ او بهيچ درى ره نمى دهند *
انرا كه زاستانهٔ او روى دل بتافت * فالايمان بالله وبرسوله هو التصديق القلبى والارادة والتمسك بالشريعة
والنجاة فيه لا فى غيره روى ان المؤمن اذا ورد النار بمقتضى قوله تعالى وان منكم الا واردها يصير الله ثواب
التوحيد سفينة والقرآن حبلها والصلاة شراعها ويكون المصطفى عليه السلام ملاحها والمؤمنون يجلسون
عليها ويكبرون الله وتجرى السفينة على بحر نار جهنم بريح طيبة فيعبرون عنها سالمين فيا اخى لا تضيع ايامك
فان ايامك رأس مالك وانك مادمت على رأس مالك فانك قادر على طلب الربح فاجتهد فى تحصيله بالتوغل
فى الطاعات والعبادات واحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه قبل الموت والفوت فان الموتى
يتمنون ان يؤذن لهم بان يصلوا ركعتين او يقولوا مرة لا اله الا الله او يسبحوا مرة فلا يؤذن لهم ويتعجبون من
الاحياء كيف يضيعون ايامهم فى الغفلة اكر مرده مسكين زبان داشتى * بفرياد وزارى فغان داشتى *
كه اى زنده هست امكان كفت * لب از ذكر چون مرده برهم مخفت * چو مارا بغفلت بشد روزكار *
تو بارى دمى چند فرصت شمار * قال عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فتميز المنافق من المخلص
كما يكون فى الدنيا بالاقوال والافعال وغيرهما كذلك يكون فى الآخرة ببياض وجه هذا وسواد وجه ذلك
كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فعلى العاقل ان يتحمل مشاق الطاعات والتكاليف والامتحانات
الالهية لعله يفوز بالمرام ويظفر بالبغية يوم يخيب المعرضون والمنافقون ويخسرون * خوش بود كر محك تجربه
آمد بميان * تا سيه روى شود هر كه درو غش باشد * قال بعض الكبار وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان
عصمنا الله واياكم من المخالفة (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله) الموصول فاعل لا يحسبن
والمفعول الاول محذوف لدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبن البخلاء بخلهم (هو) ضمير فصل لا محل له من
الاعراب (خيرا لهم) من انفاقهم مفعول ثان للفعل المذكور (بل هو) اى البخل (شر لهم) لاستجلاب العقاب
عليهم (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) بيان لقوله هو شر لهم اى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق اذ لا
طوق ثمة فيكون من قبيل الاستعارة التمثيلية شبه لزوم وبال البخل واثمه بهم بلزوم طوق نحو الحمامة بها فى عدم
زوال كل واحد منهما عن صاحبه فعبر عن لزوم الوبال بهم بالتطويق واشتق منه يطوقون كما يقال منه فلان
طوق فى رقبة فلان وقيل هو على حقيقته وانهم يطوقون حية او طوقا من نار استدلالا بالحديث وسيجىء
(ولله) وحده لا لاحد غيره استقلالا واشتراكا (ميراث السموات والارض) اى ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره
من الرسالات التى يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيله او انه يورث منهم
ما يمسكونه ولا ينفقونه فى سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة (والله بما تعملون) من المنع
والاعطاء (خبير) فيجازيكم على ذلك واعلم ان البخل عبارة عن امتناع اداء الواجب والامتناع عن التطوع
لا يكون بخلا ولذلك قرن به الوعيد والذم والواجب كثير كالانفاق على النفس والاقارب الذين يلزمه مؤنتهم
والزكاة على الغير حال المخمصة وفى حال الجهاد عند الاحتياج الى التقوية بالمال ثم ان فى الاية اشارة الى ان
البخل اكسير الشقاوة كما ان السخاء اكسير السعادة وذلك لان الله تعالى سمى المال فضله كما قال من فضله
والفضل لاهل السعادة فبا كسير البخل يصير الفضل قهرا والسعادة شقاوة كما قال هو خيرا لهم بل هو شر لهم
يعنى با كسير البخل يجعلون خيرية ما آتاهم الله من فضله شرا لهم ولو انهم طرحوا على ما هو فضله اكسير السخاء
لجعلوه خيرا لهم فصيروه سعادة واصاروا به اهل الجنة وان بلغ الجنة الشحيح ثم عبر عن آفة حب الدنيا والمال
بالطوق لانها تحيط بالقلب ومنها تنشأ معظم الصفات الذميمة مثل البخل والحرص والحسد والحقد والعداوة
والكبر والغضب وغير ذلك ولهذا قال النبى عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة فمنع الزكاة يصير الروح

الشريف العلوى النورانى محفوفا بهذه الصفات الخبيثة السفلية الظلمانية مطوقا بآفاتها وحجبها وعذابها
يوم القيامة وبعد المفارقة فانه من مات فقد قامت قيامته نه منعم بمال از كسى بهترست * خر ار جل اطلس
بپوشد خرست * هنر بايد و فضل و دين و كمال * كه كه آيد و كه رود جاه و مال * پسنديده رايى كه
بخشيد و خورد * جهان از پى خويشتن كرد كرد * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله
مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى بشدقيه
ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون الاية وفى رواية يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها
فى عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل
يكون له ابل او بقر او غنم لا يؤدى حقها الا اتى بها يوم القيامة اعظم ما تكون واسمنه تطأه باخفافها وتنطحه
بقرونها كلما جازت اخراها ردت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس قال ابو حامد مانع زكاة الابل يحمل
بعيرا على كاهله له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم ومانع زكاة البقر يحمل ثورا على كاهله له خوار وثقل يعدل
الجبل العظيم ومانع زكاة الغنم يحمل شاة لها ثغاء وثقل يعدل الجبل العظيم والرغاء والخوار والثغاء كالرعد
القاصف ومانع زكاة الزرع يحمل على كاهله اعدالا قد ملئت من الجنس الذى كان يبخل به برا كان او شعيرا
اثقل ما يكون ينادى تحته بالويل والثبور ومانع زكاة المال يحمل شجاعا اقرع له زبيبتان وذنبه قد انساب
فى منخريه واستدار بجيده وثقل على كاهله كأنه طوق بكل رحى فى الارض وكل واحد ينادى ما هذا
فيقول الملائكة هذا ما بخلتم به فى الدنيا رغبة فيه وشحا عليه فمنع الزكاة سبب للعقاب فى العقبى كما ان ايتاءها
سبب للثواب فى الاخرى وحصن لماله فى الدنيا قال صلى الله عليه وسلم حصنوا اموالكم بالزكاة وداووا امراضكم
بالصدقة واستقبلوا البلايا بالدعاء قال عليه السلام لا صلاة لمن لا زكاة له روى ان موسى عليه السلام مر
برجل وهو يصلى مع حضور وخشوع فقال يا رب ما احسن صلاته قال الله تعالى لو صلى فى كل يوم وليلة الف
ركعة واعتق الف رقبة وصلى على الف جنازة وحج الف حجة وغزا الف غزوة لم ينفعه حتى يؤدى زكاة ماله
وقال عليه السلام ملعون مال لا يزكى كل عام وملعون بدن لا يبتلى فى كل اربعين ليلة ومن البلاء العثرة
والنكبة والمرضة والخدشة واختلاج العين فما فوق ذلك فاذا سمعت هذه الاخبار وقفت على وزر من وقف
على الاصرار ولم يؤد زكاة ماله بطيبة النفس وصفاء البال الى ان يرجع فقيرا مبينا بعد ما ساعدته الاحوال
والاموال * پريشان امروز كنجينه جست * كه فردا كليدش نه در دست تست * تو با خود ببر توشهٔ
خويشتن * كه شفقت نيايد ز فرزند و زن * بخيل توانكر بدينار و سيم * طلسمست بالاى
كنجى مقيم * از آن سالها مى بماند زرش * كه لرزد طلسمى چنين بر سرش * بسنك اجل ناكهان
بشكنند * باسوده كى كنج قسمت كنند * چو در زند كانى بدى با عيال * كرت مرك خواهند
از ايشان منال * تو غافل در انديشهٔ سود مال * كه سرمايهٔ عمر شد پايمال * بكن سرمهٔ غفلت از چشم
پاك * كه فردا شوى سرمه در چشم خاك * (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) قالته
اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وروى انه عليه السلام كتب مع ابى بكر
رضى الله تعالى عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله
قرضا حسنا فدخل ابو بكر رضى الله عنه ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا من اليهود قد اجتمعوا الى
رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص
اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة
فآمن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا
يستقرض اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير ونحن اغنياء وانه
ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنيا ما اعطانا الربا فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال
والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى النبى صلى الله عليه
وسلم فشكاه وجحد ما قاله فنزلت ردا عليه وتصديقا لابى بكر والجمع حينئذ مع كون القائل واحدا لرضى الباقين
بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاء والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة

والسماجة بحيث لا يرضى قائله بان يسمعه سامع (سنكتب ما قالوا) اى سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء
فى صحائف الحفظة اوسنحفظه ونثبته فى علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتأكيد اى
لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته لكونه فى غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزآء بالقرآن
العظيم والرسول الكريم عليه السلام (وقتلهم الانبياء) عطفه عليه ايذانا بانهما فى العظم اخوان وتنبيها على انه
ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يبعد منه امثال هذه العظائم
والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم (بغير حق) متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اى كائنا
بغير حق وجرم فى اعتقادهم ايضا كما هو فى نفس الامر (ونقول) عند الموت اوعند الحشر اوعند قرآءة الكتاب
(ذوقوا عذاب الحريق) اى وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذقتم المرسلين
الغصص (ذلك) اشارة الى العذاب المذكور (بما قدمت ايديكم) بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه
بمثل تلك العظيمة وغيرها من المعاصى والتعبير عن الانفس بالايدى لان اكثر الاعمال يزاول بهن فجعل
كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب (وان الله ليس بظلام للعبيد) محله الرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبلها اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب
من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا
عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم
كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها
ضياعها وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب فى صورة المبالغة فى الظلم
والاشارة فى تحقيق الآيتين ان العبد اذا غلبت عليه الصفات الذميمة واستولى عليه الهوى والشيطان ومات
قلبه تكاملت الصفة الامارية لنفسه فما ينطق الا عن الهوى ان هو الا وحى يوحيه اليه الشيطان كقوله
تعالى ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم والنفس اذا تكملت بالهوى تدعى الربوبية كما ادعى فرعون وقال
انا ربكم الاعلى فيكون كلامها من صفات الربوبية وان من صفات الربوبية قوله والله الغنى وانتم الفقرآء
فاذا تم فساد حال النفس الامارة بالسوء اثبتت صفات الربوبية لنفسها وصفات العبودية لربها كقوله لقد سمع
الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء اثبتوا لنفسهم صفات الربوبية وهى الغنى واثبتوا لله صفة
العبودية وهى الفقر سنكتب ما قالوا اى سمعت قلوبهم باقوالهم هذه كما امتناها بافعالهم وهى قتلهم الانبياء
بغير حق يشير الى ان جزآء هذه الاقوال فى حق الله مثل جزآء هذه الافعال فى الانبياء عليهم السلام ونقول
ذوقوا عذاب القلب الميت الحريق بنار القهر والقطيعة ذلك بما قدمت ايديكم اى بشؤم معاملاتكم
القولية والفعلية على وفق الهوى والطبيعة وخلاف الرضى والشريعة والله ليس بظلام للعبيد بان يضع
الشئ فى غير موضعه يعنى لا يجعل المصلح منهم مظهر صفة قهره ولا المفسد منهم مظهر صفة لطفه كما قال تعالى
الله اعلم حيث يجعل رسالته وهذا كما يقال * ندهد هوشمند روشن راى * بفرومايه كارهاى
خطير * بوريا باف اكرچه بافنده است * نبرندش بكاركاه حرير * واذا كان للعبد حسن الاستعداد
يتحول القهر فى حقه الى اللطف بشرط ان يجتهد ويبذل ما فى وسعه وطاقته وكم من مؤمن يصير فى مأله كافرا
وكم من عكسه فاذا جاء حين السعادة انقلب الحال وكذا الشقاوة قال بعض المشايخ العباد على قسمين
فى اعمارهم فرب عمر اتسعت آماده وقلت امداده كاعمار بنى اسرآئيل اذ كان الواحد منهم يعيش الالف
ونحوها ولم يحصل على شئ مما تحصل لهذه الامة مع قصر اعمارها ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده كعمر
من فتح عليه من هذه الامة فوصل الى عناية الله بلمحة فقد قال احمد بن ابى الحوارى رحمه الله قلت لابى
سليمان الدارانى انى قد غبطت بنى اسرآئيل قال باى شئ قلت بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية
وكالحنايا وكالاوتار قال ما ظننت الا وقد جئت بشئ والله ما يريد الله منا ان ييبس جلودنا على عظامنا ولا يريد
منا الا صدق النية فيما عنده هذا اذا صدق فى عشرة ايام نال ما ناله ذلك فى عمره الطويل فاذن من بورك له
فى عمره ادرك فى يسير من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوآئر العبارة ولا تلحقه الاشارة لكثرته وعظمه
ودقته ورفعته وقد قال الشيخ الشاذلى رحمه الله فى كتاب تاج العروس من قصر عمره فليذكر بالاذكار الجامعة

مثل سبحان الله عدد خلقه ونحو ذلك ويعنى بقصر العمر والله اعلم ان يكون رجوعه الى الله فى معترك المنايا
ونحوها من الامراض المخوفة والاعراض المهولة واذا كان الامر على ما ذكر فالخذلان كل الخذلان ان
تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه بصدق النية حتى يفتح عليك بما لا تصل الهمم اليه وتقل عوائقك
ثم لا ترحل اليه عن عوالم نفسك والاستئناس بيومك وامسك فقد جاء خصلتان مغبون فيهما كثير من الناس
الصحة والفراغ ومعناه والله اعلم ان الصحيح ينبغى ان يكون مشغولا بدين اودنيا والا فهو مغبون فيهما عصمنا
الله واياكم من الغبن والخذلان والخسران مهل كه عمر به بيهوده بكذرد حافظ * بكوش وحاصل عمر عزيز را
درياب * قيل الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال (الذين) اى الذين (قالوا) وهم كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف وحى ابن اخطب وفنحاص بن عازورا ووهب بن يهوذا (ان الله عهد الينا) اى امرنا فى التوراة
واوصانا (ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) فيكون دليلا على صدقه والقربان كل ما يتقرب به
العبد الى الله من نسيكة وصدقة وعمل صالح وهو فعلان من القربة قال عطاء كانت بنوا اسرآئيل يذبحون لله
تعالى فيأخذون الثروب واطايب اللحم فيضعونها وسط البيت والسقف مكشوف فيقوم النبى عليه السلام
فى البيت ويناجى ربه وبنوا اسرآئيل خارجون واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء لا دخان لها ولها دوى
وهفيف حين تنزل من السماء فتأكل ذلك القربان اى تحيله الى طبعها بالاحراق فيكون ذلك علامة القبول
واذا لم يقبل بقى على حاله وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل القربان النار لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة
فهو وسائر المعجزات سوآء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم
اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى (قل) اى تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم
(قد جاءكم) اى جاء اسلافكم وآباءكم (رسل) كثيرة العدد كبيرة المقدار (من قبلى بالبينات) اى المعجزات الواضحة
(وبالذى قلتم) بعينه من القربان الذى تأكله النار فقتلتموهم (فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) اى فيما يدل عليه
كلامكم من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام
قد جاؤكم بما قلتم فى معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا حتى اجترأتم على قتلهم (فان كذبوك) شروع فى تسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقد كذب رسل من قبلك) تعليل لجواب الشرط اى فتسل واصبر فقد كذب الخ
(جاؤا بالبينات) اى المعجزات الواضحات صفة لرسل (والزبر) جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته
اذا حسنته او الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته (والكتاب المنير) اى التوراة والانجيل والزبور والكتاب
فى عرف القرءآن ما يتضمن الشرآئع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة المواقع والمنير
اى المضيء البين بالامر والنهى والاشارة ان الله تعالى كما قدر ان بعض الامم يغلبون بعض انبيائهم ويقتلونهم
قبل الايمان اوبعد الايمان بهم كذلك قدر ان بعض الصفات النفسانية يغلب على بعض الالهامات الربانية
والواردات الرحمانية فيمحوها كما قال تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قبل انقيادها لها اوبعد ما انقادت لها
ليقضى الله امرا كان مفعولا وبالجملة ان الروح يصير بمجاورة الصفات النفسانية كالنفس فى الدناءة فتصير
الصفات الذميمة غالبة عليه كما تغلب على الالهامات فعلى السالك ان يجتنب عن مصاحبة المفسدين ومجاورة
صفات النفس * نفس از همنفس بكيرد خوى * بر حذر باش از لقاى خبيث * باد چون بر فضاى
بد كذرد * بوى بد كيرد از هواى خبيث * فطوبى لعبد طهر نفسه من الصفات الرذيلة والعناد
والاصرار ورأى الحق حقا والباطل باطلا وانقطع عن ميل الدنيا واتباع الهوى وموافقة غير الله روى ان عيسى
عليه السلام مر بقرية فاذا اهلها موتى فى الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا على سخط
ولو ماتوا على غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسأل ربه فاوحى الله اليه اذا كان الليل
فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على الموتى ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال
ما حالكم وما قصتكم قال بتنا فى عافية واصبحنا فى هاوية قال وكيف ذلك قال بحبنا الدنيا وطاعتنا اهل
المعاصى قال وكيف كان حبكم الدنيا قال كحب الصبى لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا قال فما بال
اصحابك لم يجيبونى قال لانهم ملجمون بلجام من نار بايدى ملائكة غلاظ شداد قال كيف اجبتنى من بينهم
قال لانى كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابنى فانا معلق على شفير جهنم لا ادرى أأنجو منها

ام اكيكب فيها واعلم ان الانكار والتكذيب من حب الدنيا والميل اليها لان الانبياء والاولياء يدعون الى الجنة
والمولى وحفت الجنة بالمكاره والانسان اذا رأى ما يكرهه يتنفر عنه ثم اذا اقدم على الاتيان به واكره يأخذ
بالانكار قال الله تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وقد وصى الحكماء الالهية ان لا يجالس المريد اهل
الانكار بل لا يلتفت اليهم اصلا اذ للمجاورة تأثير عظيم كما قيل عدوى البليد الى الجليد سريعة
والجمر يوضع فى الرماد فيخمد يا بدان يار كشت همسر لوط * خاندان نبوتش كم شد * سك اصحاب كهف
روزى چند * پى مردم كرفت ومردم شد * قال مولانا جلال الدين قدس سره فى هذا المعنى كر تو سنك
وصخره ومرمر شوى * چون بصاحب دل رسى كوهر شوى * ساقنا الله واياكم الى طريقة اوليائه
ومجالسة احبائه آمين (كل نفس ذائقة الموت) اى تخرج وتنفك من البدن بادنى شئ من الموت فكنى بالذوق عن
القلة وهو وعد ووعيد للمصدق والمكذب من حيث انه كناية عن ان هذه الدار بعدها دار اخرى يتميز فيها المحسن
من المسيء ويتوفر على كل احد ما يليق به من الجزاء وفى الحديث لما خلق الله آدم اشتكت الارض الى ربها
لما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها فما من احد الا ويدفن فى التربة التى خلق منها (وانما توفون اجوركم)
اى تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا (يوم القيامة) اى يوم قيامكم من القبور وفى لفظ التوفية
اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة
من حفر النيران (فمن زحزح عن النار) اى بعد عنها يومئذ ونحى والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب
بعجلة (وادخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من احب
ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس ما يحب
ان يؤتى اليه (وما الحياة الدنيا) اى لذاتها وزخارفها (الا متاع الغرور) شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام
ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة ومن آثر الآخرة عليها فهى له متاع بلاغ اى تبليغ الى الآخرة
وايصال اليها فلذلك سماه الله خيرا حيث قال وانه لحب الخير لشديد فالعاقل لا يغتر بالدنيا فانها الين مسها
قاتل سمها ظاهرها مطية السرور وباطنها مطية الشرور * تا دنيا همى كويد شب وروز * كه هان
از صحبتم پرهيز وپرهيز * مده خود را فريب از رنك وبويم * كه هست اين خندهٔ من كريه آميز *
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر واقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وان فى الجنة شجرة
يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقرأوا ان شئتم وظل ممدود ولموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا
وما عليها واقرأوا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور * بناز
ونعمت دنيا منه دل * كه دل برداشتن كار يست مشكل * فمن اتى بالطاعات واجتنب عن السيئات واعرض
عن الدنيا ولذاتها فاز بالجنة ودرجاتها ومن عكس الامر عوقب بالحرمان فى دركات النيران روى ان جبريل
عليه السلام جاء النبى صلى الله عليه وسلم متغير اللون فسأله النبى صلى الله عليه وسلم عن تغير لونه فقال جئتك
وقد امر الله ان ينفخ فى نار جهنم فقال عليه السلام صف لى جهنم فقال لما خلق الله جهنم اوقد عليها الف سنة
حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اصفرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت والذى بعثك بالحق نبيا
لو ان جمرة منها وقعت لاحترقت اهل الدنيا ولو ان ثوبا من اثوابها علق بين السماء والارض لماتوا من نتن رائحتها
لها سبعة ابواب بعضها اسفل من بعض فقال صلى الله عليه وسلم من سكان هذه الابواب فقال الباب الاول
فيه المنافقون واسمه الهاوية والباب الثانى فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه
سقر والباب الرابع فيه ابليس واتباعه والمجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب
السادس فيه النصارى واسمه السعير والباب السابع فيه عصاة الموحدين واسمه النار يدخلونها ثلاثة ايام
فاخبر سلمان حال النبى عليه السلام لفاطمة فسألت النبى فاخبرها النبى عليه السلام فقالت فاطمة رضى الله
عنها كيف يدخلونها فقال صلى الله عليه وسلم اما الرجال فباللحى واما النساء فبالذوائب ثم انهم يخرجون من
النار بشفاعة النبى عليه السلام فتبين ان من زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وانزل الله على بعض انبيائه
يا ابن آدم تشترى النار بثمن غال ولا تشترى الجنة بثمن رخيص قيل فى معناه ان فاسقا يتخذ ضيافة للفساق

بمائة درهم او مائتين فيشترى النار ولو اتخذ ضيافة للفقراء بدرهم او درهمين يكون ثمن الجنة غم وشادمانى
نماند وليك * جزاى عمل ماند ونام نيك * كرم پاى دارد نه ديهيم وتخت * بده كز تو اين ماند
اى نيكبخت * مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم * كه پيش از تو بودست وبعد از تو هم * واعلم ان البعد
عن النار ودخول الجنة بالاجتناب عن المعاصى والمسارعة الى الطاعة وذلك بالهرب عن مقام النفس
والدخول فى مقام القلب فان من دخل حرم القلب كان آمنا كما قال تعالى ومن دخله كان آمنا فمن وصل الى
ذلك الحرم فقد خلص عن انواع الالم فهو جنة عاجلة قال بعضهم للعارف جنة عاجلة وهى جنة المعرفة ثم ان
اعظم اسباب دخول الجنة كلمة الاخلاص والتوحيد وفقنا الله واياكم ثم اعلم ان النفوس على ثلاثة اقسام
قسم منها يموت ولا حشر له للبقاء كسائر الحيوانات وقسم يموت فى الدنيا ويحشر فى الآخرة كنفوس الانسان
والملائكة والجن والشياطين وقسم منها يموت فى الدنيا ويحشر فى الدنيا والآخرة جميعا وهى نفوس خواص
الانسان كما قال عليه السلام المؤمن حى فى الدارين على ان لها موتا معنويا فى الدنيا كما اشار اليه عليه السلام
بقوله موتوا قبل ان تموتوا وهو الفناء فى الله بالله لله ولها حياة معنوية فى الدنيا كما قال تعالى او من كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس وهو البقاء بنور الله ففى قوله كل نفس ذائقة الموت اشارة الى ان
كل نفس مستعدة للفناء فى الله فلا بد لها من موت فمن كان موته بالاسباب تكون حياته بالاسباب ومن كان
فناؤه فى الله يكون بقاؤه بالله وانما توفون اجوركم على قدر تقواكم وفجوركم فمن زحزح عن نار القطيعة واخرج
من جحيم الطبيعة على قدمى الشريعة والطريقة وادخل الجنة الحقيقية فقد فاز فوزا عظيما وما الحياة الدنيا
ونعيمها الا متاع الغرور اى متاع يغتر بها المغرور والممكور (لتبلون) اصل الابتلاء الاختبار اى تطلب الخبرة
بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسة او مفارقة وذلك انما يتصور ممن لا وقوف له على عواقب
الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل
ان يرتب عليه شيأ هو من مباديه العادية والجملة جواب قسم محذوف اى والله لتعاملن معاملة المختبر ليظهر
ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة (فى اموالكم) بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى
الهلاك (وانفسكم) بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك
(ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) اى من قبل ايتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى (ومن الذين
اشركوا) من العرب كابى جهل والوليد وابى سفيان وغيرهم (اذى كثيرا) من الطعن فى الدين الحنيف والقدح
فى احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واصحابه
من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه
اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال على المكروه ويستعدوا للقائها فان هجوم
الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب (وان تصبروا) على تلك الشدائد والبلوى
عند ورودها وتقابلوها بحسن التقابل (وتتقوا) اى تتبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة
بحيث يتساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه (فان ذلك) يعنى الصبر والتقوى (من عزم الامور)
من معزوماتها التى تنافس فيها المتنافسون اى مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف
او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعنى ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا واعلم
ان مقابلة الاساءة تفضى الى ازدياد الاساءة فامر بالصبر تقليلا لمضار الدنيا وامر بالتقوى تقليلا لمضار الآخرة
فالآية جامعة لآداب الدنيا والآخرة فعلى العاقل ان يتخلق باخلاق الانبياء والاولياء ويتأدب بآدابهم فانهم
كانوا يصبرون على الاذى ولا يقابلون السفيه بمثل مقابلته واذا مروا باللغو مروا كراما * بدى را بدى سهل
باشد جزا * اكر مردى احسن الى من اساء * وقد مدح الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله انك لعلى خلق
عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلق النبى صلى الله عليه وسلم القرآن يعنى تأدب بآداب القرآن
قيل مدار عظم الخلق بذل المعروف وكف الاذى اى احتماله ورسول الله عليه السلام كان موصوفا بهما وقد
انزل الله فى معروفه ولا تبسطها كل البسط وتحمل الاذى انما يكون بصبر قوى وهو عليه السلام كان صبورا
لتحمل الاذى اكثر من ان يحصى قال عليه السلام صل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء

اليك وما امر عليه السلام غيره بها الا بعد ان تخلق بها وامته لا بد ان تتبعه فى تحمل الاذى وغيره لا تسمع بدون الحجة القوية والابتلاآت التى ترد من طرف الحق كلها لتصفية النفس وتوجيهها من الخلق الى الخالق ولهذا قال عليه السلام ما اوذى نبى مثل ما اوذيت كانه قال ما صفى نبى مثل ما صفيت وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله على المشركين فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث عذابا فالابتلاء رحمة ونعمة (قال جلال الدين قدس سره) درد پشتم داد حق تا من ز خواب * بر جهم در نيم شب با سوز و تاب * دردها بخشيد حق از لطف خويش * تا نخسپم جمله شب چون كاوميش * والاشارة فى الاية لتبلون فى اموالكم وانفسكم بالجهاد الاصغر هل تجاهدون بها وتنفقونها فى سبيل الله وبالجهاد الاكبر اما الاموال فهل تؤثرون على انفسكم ولو كان بكم خصاصة واما الانفس فهل تجاهدون فى الله حق جهاده ام لا ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب يعنى اهل العلم الظاهر ومن الذين اشركوا اى اهل الرياء من القرآء والزهاد اذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على جهاد النفس وبذل المال واذية الخلق وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم الامور الذى هو من امور اولى العزم كما قال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومن لم يحافظ على هذه الامور كان من المدعين * مشكل آيد خلق را تغيير خلق * انكه بالذات است كى زائل شود * اصل طبع است وهمه اخلاق فرع * فرع لا بد اصل را مائل شود * فظهر ان من لم يهد الله لا يهتدى الى مكارم الاخلاق وحسان الخصال وسنيات الاحوال (واذ اخذ الله) اى اذكر يا محمد وقت اخذه تعالى (ميثاق الذين اوتوا الكتاب) وهم علماء اليهود والنصارى وذلك الاخذ على لسان الانبياء عليهم السلام (لتبيننه) حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب قسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه (للناس) وتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التى من جملتها امر نبوته صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية (ولا تكتمونه) عطف على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما فى قولك والله لا يقوم زيد (فنبذوه) النبذ الرمى والابعاد اى طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثوق بفنون التأكيد والقوه (وراء ظهورهم) ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشئ وراء الظهر مثل فى الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم فى كمال العناية (واشتروا به) اى بالكتاب الذى امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه والاشترآء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اى تركوا ما امروا به واخذوا بدله (ثمنا قليلا) اى شيأ تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وهو ما تناولوه من سفلتهم فلما كرهوا ان يؤمنوا فينقطع ذلك عنهم كتموا ما علموا من ذلك وامره وهم ان يكذبوه (فبئس ما يشترون) ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفة والمخصوص بالذم محذوف اى بئس شيأ يشترونه ذلك الثمن وظاهر الاية وان دل على نزولها فى حق اليهود والنصارى الذين كانوا يخفون الحق ليتوسلوا بذلك على وجدان شئ من الدنيا الا ان حكمها يعم من كتم من المسلمين احكام القرآن الذى هو اشرف الكتب وانهم اشراف اهل الكتاب قال صاحب الكشاف وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيأ لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة من حطام الدنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب الى غيرهم انتهى بعبارته فكل من لم يبين الحق للناس وكتم شيأ من هذه الامور دخل تحت وعيد الاية كذا فى تفسير الامام فعلى المرء ان يحسن نيته حال الاضمار والاظهار ويطهر سريرته عن لوث الاغراض والاوزار والانكار زيان مى كند مرد تفسيردان * كه علم وادب ميفروشد بنان * بدين اى فرومايه دنيى مخر * چو خر بانجيل عيسى مخر * يعنى لا تشتر بالعلم والقرآن ما تربى به نفسك من شهواتك ولا تخف من الخلق فى اظهار الاحكام واصدع بما امرت به حكى ان الحجاج ارسل الى الحسن وقال ما الذى بلغنى عنك فقال ما كل الذى بلغك قلته ولا كل ما قلته بلغك قال انت الذى قلت ان النفاق كان مقموعا فاصبح قد تعمم وتقلد سيفا فقال نعم فقال وما الذى حملك على هذا ونحن نكرهه قال لان الله اخذ ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه قال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب وكان يقول طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه قال صلى الله عليه وسلم من كتم علما على اهله الجم بلجام من نار قال

الفضيل رحمه الله لو ان اهل العلم اكرموا انفسهم وشحوا على دينهم واعزوا العلم وصانوه وانزلوه حيث انزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام واهله ولكنهم اذلوا انفسهم ولم يبالوا ما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك مما فى ايدى الناس فذلوا وهانوا على الناس وعن الفضيل ايضا قال بلغنى ان الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاصنام فيقولون ربنا ما بالنا يتقدمون الينا فيقول الله ليس من يعلم كمن لا يعلم فمن اشترى الدنيا بالدين فقد وقع فى خسران مبين ولا يخفى ان مداره على حب الدنيا اعاذنا الله واياكم الى طريق القناعة (حكى) ان ذا القرنين اجتاز على قوم تركوا الدنيا وجعلوا قبور موتاهم على ابوابهم يقتاتون بنبات الارض ويشتغلون بالطاعة فارسل ذو القرنين الى رئيسهم فقال ما لى حاجة الى صحبة ذى القرنين فجاء ذو القرنين فقال ما سبب قلة الذهب والفضة عندكم قال ليس للدنيا طالب عندنا لانها لا تشبع احدا فجعلنا القبور عندنا حتى لا ننسى الموت ثم اخذ قحفا انسان وقال هذا رأس ملك من الملوك كان يظلم الرعية ويجمع حطام الدنيا فقبضه الله تعالى وبقى عليه السيئات ثم اخرج آخر وقال هذا ايضا رأس ملك عادل مشفق فقبضه واسكنه جنته ورفع درجته ثم وضع يده على رأس ذى القرنين وقال من اى الرأسين يكون رأسك فبكى ذو القرنين وقال ان رغب فى صحبتى شاطرتك مملكتى وسلمت اليك وزارتى فقال هيهات فقال ذو القرنين ولم قال لان الناس اعدآؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم احبابى بسبب القناعة * نيرزد عسل جان من زخم نيش * قناعت نكوتر بدوشاب خويش * گدايى كه هر خاطرش بند نيست * به از پادشاهى كه خرسند نيست * اگر پادشاهست اگر پينه دوز * چو خفتند گردد شب هر دو روز (لا تحسبن) يا محمد او الخطاب لكل احد ممن يصلح له (الذين يفرحون بما اتوا) اى بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق (ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق (فلا تحسبنهم) تأكيد لقوله لا تحسبن والمفعول الثانى له قوله (بمفازة من العذاب) اى ملتبسين بنجاة منه (ولهم عذاب اليم) بكفرهم وتدليسهم (ولله) اى خاصة (ملك السموات والارض) اى السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيف يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة دخل فى شئ من ذلك بوجه من الوجوه وهو يملك امرهم ويعذبهم بما فعلوا لا يخرجون عن قبضة قدرته ولا ينجون من عذابه يأخذهم متى شاء (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقابهم وكيف يرجو النجاة من كان معذبه هذا المالك القادر روى انه عليه السلام سأل اليهود عن شئ مما فى التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوا وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانهم كانوا يفرحون بما فعلوه من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم فى الغاية القاصية من العداوة والاولى اجرآء الموصول على عمومه شاملا لكل من يأتى بشئ من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود ان يمدحه الناس بما هو عار منه من الفضائل وانواع البر وكون السبب خاصا لا يقدح فى عمومية حكم الاية واعلم ان الفرح بمتاع الدنيا وحب مدح الناس من صفات ارباب النفس الامارة المغرورين بالحياة الدنيا وتمويهات الشيطان المحجوبين عن السعادات الاخروية والقربات المعنوية قال الامام فى تفسيره وانت اذا انصفت عرفت ان احوال اكثر الخلق كذلك فانهم يأتون بجميع وجوه الحيل فى تحصيل الدنيا ويفرحون بوجدان مطلوبهم ثم يحبون ان يحمدوا بانهم من اهل العفاف والصدق والدين اى برادر از تو بهتر هيچ كس نشناسدت * زانكه هستى يك سر مو خويش را افزون منه * گر فزون از قدر تو بشناسدت نابخردى * قدر خود بشناس وپاى از حد خود بيرون منه * فعلى العاقل ان لا يتعدى طوره ولا يفرح بما ليس فيه فانه لا يغنى عنه شيأ قال بعض المشايخ الناس يمدحونك لما يظنون فيك من الخير والصلاح اعتبارا بما يظهر من ستر الله عليك فكن انت ذاما لنفسك لما تعلمه منها من القبائح والمؤمن اذا مدح استحيى من الله ان يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه واجهل الناس من يترك يقين ما عنده من صفات نفسه التى لا شك فيها لظن ما عند الناس من صلاحية حاله قال الحارث بن المحاسبى رحمه الله الراضى بالمدح بالباطل كمن يهزأ به ويقال ان العذرة التى تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك ويفرح بذلك ويرضى بالسخرية به * بجهل ستايش فراچه مشو *

چوحاتم اصم باش وعيبت شنو * يعنى لاتغتر بالمدح حتى لاتقع فى بئر الهلاك وكن كالشيخ حاتم الاصم صورة فان الخلق اذا ظنوك يتكلمون فى حقك ما لا ترضى به من القول لوسمعت فاذن تسمع عيوبك منهم وفى ذلك فائدة عظيمة لك لان المرء اذا عرف عيبه يجتهد فى قمعه والتحلى بالاوصاف الجميلة والعارف هو الذى يستوى قلبه فى المدح والذم لا ينقبض من الذم ولا ينبسط من المدح وكيف ينبسط بما يتحقق به مما يقوله الخلق من هو اعرف بحال نفسه وان انبسط فهو المغرور والمدعى هو الذى يرى نفسه صادقا فى الاحوال والمعاملات وكل الحالات كانه لا يتعرض لشئ من الدنيا اصلا وحاله شاهدة عليه فى هذا الباب فان المرء له محك فى اقواله وافعاله واحواله قال عليه السلام انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى فى الماء هل يستطيع الذى يمشى فى الماء ان لا تبل قدماه فمن هذا يعرف جهالة الذين يزعمون انهم يخوضون فى نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة الشيطان بل هم لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشى فى الماء يقتضى بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضى علاقة وظلمة فى القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال الشيخ ابو عبد الله القرشى رحمه الله شكا بعض الناس لرجل من الصالحين انه يعمل البر ولا يجد حلاوته فى القلب فقال لان عندك ابنة ابليس فى قلبك وهى الدنيا ولا بد للاب ان يزور ابنته فى بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله الا فسادا قال الله تعالى يا داود ان كنت تحبنى فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبى وحبها لا يجتمعان فى قلب ابدا وروى ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قالوا ومن الموتى قال الراغبون فى الدنيا المحبون لها برمرد هشيار دنيا خسست * كه هر مدتى جاى ديكر كست * منه بر جهان دل كه بيكانه ايست * چو مطرب كه هر روز در خانه ايست * نه لايق بود عشق با دلبرى * كه هر بامدادش بود شوهرى * عصمنا الله واياكم (ان فى خلق السموات والارض) وذلك ان اهل مكة سألوا رسول الله عليه السلام ان يأتيهم باية لصحة دعواه لانه كان يدعوهم الى عبادة الله وحده فنزل ان فى خلق السموات والارض خلقين عظيمين ويقال فيما خلق الله فى السموات من الشمس والقمر والنجوم وما خلق الله فى الارض من الجبال والبحار والاشجار والوحوش والطيور (واختلاف الليل والنهار) يعنى ذهاب الليل ومجيء النهار ويقال فى اختلاف لونيهما اوفى تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الاخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة (لآيات لاولى الالباب) لعبرات كثيرة لذوى العقل الخالص عن شوائب الاوهام والخيالات واللب خالص العقل فان العقل له ظاهر وله لب ففى اول الامر يكون عقلا وفى حال كماله ونهاية امره يكون لبا (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) نعت لاولى الالباب اى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين فان الانسان لا يخلو عن هذه الهيئات غالبا (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) يعنى يعتبرون فى خلقهما وانما خصص التفكر بالخلق لقوله عليه السلام تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق وانما نهى عن التفكر فى الخالق لان معرفة حقيقته المخصوصة غير ممكنة للبشر فلا فائدة لهم فى التفكر فى ذات الخالق ولما كان الانسان مركبا من النفس والبدن كانت العبودية بحسب النفس وبحسب البدن فاشار الى عبودية البدن بقوله الذين يذكرون الله الخ فان ذلك لا يتم الا باستعمال الجوارح والاعضاء واشار الى عبودية القلب والروح بقوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض وعن عطاء بن ابى رباح قال دخلت مع ابن عمر وعبيد الله بن عمر على عائشة رضى الله عنها فسلمت عليها فقالت من هؤلاء فقلت عبيد الله بن عمر فقالت مرحبا بك يا عبيد الله بن عمر مالك لا تزورنا فقال عبيد زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير دعونا من هذا حدثينا باعجب ما رأيت من رسول الله عليه السلام فبكت بكاء شديدا فقالت كل امره عجيب اتانى فى ليلتى فدخل فى فراشى حتى الصق جلده بجلدى فقال يا عائشة اتأذنين لى ان اتعبد لربى فقلت والله انى لاحب قربك وهوائك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء فتوضأ منها ثم قام فبكى وهو قائم حتى بلغ الدموع حقويه حتى اتكأ على شقه الايمن ووضع يده اليمنى تحت خده الايمن فبكى حتى ادرت الدموع وبلغت الارض ثم اتاه بلال بعد ما اذن للفجر فلما رآه يبكى قال لم تبكى يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ومالى لا ابكى وقد انزلت على الليلة ان فى خلق السموات والارض الى قوله فقنا عذاب النار ويل لمن قرأها

ولم يتفكر فيها وفى الحديث تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وفى التفضيل وجهان احدهما ان التفكر يوصلك الى الله والعبادة توصلك الى ثواب الله والذى يوصلك الى الله خير مما يوصلك الى غير الله والثانى ان التفكر عمل القلب والطاعة عمل الجوارح والقلب اشرف من الجوارح فكان عمل القلب اشرف من عمل الجوارح ثم شرع فى تعليم الدعاء تنبيها على ان الدعاء انما يجدى ويستحق الاجابة اذا كان بعد تقديم الوسيلة وهى اقامة وظائف العبودية من الذكر والفكر فقال (ربنا) يعنى يتفكرون ويقولون ربنا (ما خلقت هذا) اى السموات والارض وتذكير الضمير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما فى معنى المخلوق (باطلا) اى خلقا باطلا عبثا ضائعا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبدأ والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهية (سبحانك) اى تنزهك عما لا يليق بك من الامور التى من جملتها خلق ما لا حكمة فيه (فقنا عذاب النار) اى من عذاب النار الذى هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك وفائدة الفاء هى الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة وفيه اشارة الى عظم ذكر الله واشارة الى ثلاث مراتب اولاها الذكر باللسان وثانيتها التفكر بالقلب وثالثتها المعرفة بالروح لان ذكر اللسان يوصل صاحبه الى ذكر القلب فهو التفكر فى قدرة الله وذكر القلب يوصل الى مقام الروح فيعرف فى ذلك حقائق الاشياء ويشاهد الحكم الالهية فى خلق الله فيقول بعد المشاهدة ربنا ما خلقت هذا باطلا فينبغى للمؤمن ان يلازم ذكر الله بلسانه فى جميع الاحوال حتى يصل بسبب الذكر باللسان الى ذكر القلب ثم الى ذكر الروح ويحصل له اليقين والمعرفة ويخلص من ظلمة الجهل ويتنور بنور المعرفة قال بعضهم معنى لا اله الا الله للعوام لا معبود الا الله ومعناها للخواص لا محبوب ولا مقصود الا الله ومعناها لاخص الخواص لا موجود الا الله فانه يكون فى تلك الحالة مستهلكا فى بحر الشهود فلا يشعر بشئ سوى الله ولا يرى موجودا وفى تفسير الحنفى منقول فى التوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر وتمثيل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز فى قشرتيه العليا والسفلى فان له قشرتين وله لب وللب دهن وهو لب اللب فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق والثانية ان يصدق بمعناه قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد والثالثة ان يشاهد ذلك بواسطة نور الهى وذلك ان يرى الاشياء صادرة من الواحد القهار والرابعة ان لا يرى فى الوجود الا وجودا وهو مشاهدة الصديقين وهو الفناء فى التوحيد بمعنى انه فنى عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه فى الدنيا عن السيف والسنان والثانى موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال من التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقد على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنها تحفظ صاحبها عن العذاب فى الآخرة ان توفى عليها ولم يضعف بالمعاصى عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذا انكشف له لا فاعل بالحقيقة كما هى عليه لانه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لا فرق بينهما فى الاعتقاد بل فى صفة تلفيق الكلام والرابع موحد بمعنى انه لا يرى غير الواحد وهذه الغاية القصوى فى التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثانى كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشرة العليا لا خير فيها بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان اخذ حطبا اطفأ النار واكثر الدخان وان ترك فى البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة فى حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هى البدن فيصون من السيف وانما يتجرد عند الموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانه يصون اللب ويحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصل امكن ان ينتفع به حطبا لكونه لا قدر له بالنسبة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمجاهدة التى تحصل بانشراح الصدر وانفتاحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الانشراح هو المراد بقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه

وقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وكما ان اللب نفيس بالاضافة الى القشرة لانه المقصود لكن
لا يخلو عن شوب بالنسبة الى الدهن كذلك هذا التوحيد لا يخلو عن ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة
بالاضافة الى من لم ير سوى الواحد الحق انتهى ما فى الحنفى واعلم ان الاية تدل على جواز ذكر الله تعالى قائما
ولهذا قال المشايخ ولا بأس ان يقوموا ترويحا للقلوبهم ولا يتحركوا فى ذلك ولا يستظهروا بحال ليس عندهم منه
حقيقة والحاصل ان التوحيد اذا اقترن بالآداب فليس له وضع مخصوص يجوز قائما وقاعدا ومضطجعا ولكن
ورد فى الاحاديث ما يدل على استحباب الاخفاء فى ذكر الله وذكر شارح الكشاف ان هذا بحسب المقام والشيخ
المرشد يأمر المبتدى برفع الصوت لتنقلع عن قلبه الخواطر الراسخة فيه كذا فى شرح المشارق ويوافقه
ما ذكر فى المظهر حيث قال الذكر برفع الصوت جائز بل مستحب اذا لم يكن عن رياء ليغتنم الناس باظهار الدين
ووصول بركة الذكر الى السامعين فى الدور والبيوت والحوانيت وليوافق الذاكر من سمع صوته ويشهد له يوم
القيامة كل رطب ويابس سمع صوته وبعض المشايخ اختار الاخفاء لانه ابعد عن الرياء وهذا يتعلق بالنية
فمن كانت نيته صادقة فرفع صوته بقراءة القرآن والذكر اولى لما ذكرنا ومن خاف من نفسه الرياء فالاولى له
اخفاء الذكر لئلا يقع فى الرياء انتهى قيل اذا كان وحده فان كان من الخواص فالاخفاء فى حقه اولى وان كان من
العوام فالجهر فى حقه اولى واذا كانوا مجتمعين على الذكر فالاولى فى حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة فانها اكثر
تأثيرا فى رفع الحجب ومن حيث الثواب فلكل واحد ثواب ذكر نفسه وسماع ذكر رفقائه قال الله تعالى ثم قست
قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة شبه القلوب بالحجارة ومعلوم ان الحجر لا ينكسر الا بقوة فقوة ذكر
جماعة مجتمعين على قلب واحد اشد من قوة ذكر شخص واحد كذا فى ذخرة العابدين قال حسين الواعظ الملقب
بالكاشفى * كفت وكوى عاشقان دركار رب * جوشش عشقست نه ترك ادب * هركه كرد از جام حق
يك جرعه نوش * نه ادب ماند درونه عقل وهوش * والمقصود ان السالك اذا سلب اختياره عند
التوحيد بغلبة الوجد فلا دخل لشئ من اوضاعه وحركاته فانه اذا ليس فى يده فلا يرد ما قيل * كار نادان كوته
انديشست * ياد كردن كسى كه در پيشست * فان الجهر وحركات الموحد بالنسبة الى مقامه وحاله
ممدوحة جدا واما المتصلفون المتكلفون فحركاتهم وافعالهم من عند انفسهم وقد نهى المشايخ فى كتبهم
عن امثال هؤلاء وافعالهم واقوالهم فعلى العاقل ان يراعى الاداب والاطوار ولا ينفك لحظة عن ذكر
الملك الغفار (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته) غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان
فقد ادرك اى المرعى الذى لا مرعى بعده والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه
وفيه اشعار بان العذاب الروحانى افظع (وما للظالمين من انصار) اراد بهم المدخلين وجمع الانصار بالنظر الى جمع
الظالمين اى وما لظالم من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس فى الاية دلالة
على نفى الشفاعة لانها هى الدفع بطريق اللين والمسألة فنفى النصرة لا يستلزم نفى الشفاعة (ربنا اننا سمعنا
مناديا ينادى للايمان) اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه والمراد به الرسول عليه
السلام فانه ينادى ويدعو الى الايمان حقيقة قال تعالى ادع الى سبيل ربك (ان آمنوا) اى آمنوا على أن أن
تفسيرية او بان آمنوا على انها مصدرية (بربكم) بمالككم ومتولى اموركم ومبلغكم الى الكمال (فآمنا) اى
فامتثلنا بامره واجبنا نداءه (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) اى كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله (وكفر عنا سيئاتنا) اى
صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر (وتوفنا) اى اقبض ارواحنا (مع الابرار) اى مخصوصين بصحبتهم
مغتنمين بجوارهم معدودين من زمرتهم فالمراد من المعية ليس المعية الزمانية لان ذلك محال ضرورة ان توفيهم
انما هو على سبيل التعاقب بل المراد المعية فى الاتصاف بصفة الابرار حال التوفى وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون
لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه فمن جعله الله ممن آمن بداعى الايمان فقد اكرمه مع اوليائه فى الجنان
فطوبى للذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وطوبى لمن اتعظ بالموعظة الحسنة (قال الحافظ) نصيحت كوش
كن جانا كه از جان دوست تر دارند * جوانان سعادتمند پند پير دانارا (قال الشيخ السعدى) بكوى آنچه دانى
سخن سودمند * وكر هيچ كس را نيايد پسند * كه فردا پشيمان بر آرد خروش * كه اوخ چرا حق
نكردم بكوش * قال ابو عامر الواعظ بينما انا جالس بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءنى غلام

واعطانى رقعة فاذا فيها اسعدك الله يا اخى ابا عامر بلغنى قدومك واشتقت الى رؤيتك فذهبت مع الغلام
فوصلنا الى بيت فى خربة له باب من جريد النخل واذا فيه شيخ مقعد مستقبل القبلة محزون من الخشية قد ذهبت
عيناه من البكاء فسلمت عليه فرد على السلام فقال يا ابا عامر لم يزل قلبى الى استماع موعظتك مشتاقا وبى داء
قد اعيى الواعظين علاجه فقلت ايها الشيخ ارم ببصر قلبك فى ملكوت السماء وتنقل بحقيقة ايمانك الى جنة
المأوى تر ما اعد الله فيها للاولياء ثم انظر فى نار لظى تر ما اعد الله للاشقياء فشتان ما بين الدارين وليس
الفريقان على السواء فلما سمع قولى أن وصاح صيحة ثم قال والله لقد وقع دواؤك على الداء زدنى رحمك الله
فقلت ان الله عالم بسريرتك فيطلع عليك عند استتارك ومبارزتك فلما سمع صاح صيحة اعظم من الاولى فخر ميتا
فعند ذلك خرجت جارية عليها مدرعة وخمار من صوف قد ذهب السجود بجبينها فقالت احسنت يا مداوى قلوب
العارفين ان هذا الشيخ كان والدى وهو مبتلى بالسقم منذ عشرين سنة وكان يتمنى من الله ويقول حضرت
مجلس ابى عامر فاحيى قلبى وطرد عنى غفلتى وان سمعته ثانيا قتلنى فجزاك الله خيرا ثم اكبت على والدها وجعلت
تقبل بين عينيه وتبكى فقلت لها يا ايتها الباكية ان اباك بحبه قد مضى وورد دار الجزاء فان كان محسنا فله الزلفى
وان كان مسيئا فوارد دار من اساء فصاحت ثم ماتت فبقيت حزينا عليهما فرأيتهما فى المنام فى احسن مقام
عليهما حلتان خضراوتان فسألت عن حاليهما فقال الشيخ انت شريكى فى الذى نلته شاهد يا ابا عامر وكل من ايقظ
ذا غفلة فنصف ما يعطاه للآمر ثم قال قدمت على رب كريم غير غضبان فاسكننى الجنان وزوجنى من الحور
الحسان فاحرص يا ابا عامر على كثرة الدعاء والاستغفار الى الله الملك الغفار وطلب المغفرة آناء الليل واطراف
النهار من شيم الاخيار والابرار واعلم ان من تنصح بكلمة فقد آمن بمنادى الحق على لسان عبده فنجا من نيرانه
ووصل الى المغفرة والرحمة فى جنانه روى ان حدادا كان يمسك الحديد المحمى بيده فسئل عنه فقال عشقت امرأة
فراودتها وعرضت عليها مالا فقالت ان لى زوجا لا احتاج الى المال ثم مات زوجها فطلبت ان اتزوجها فامتنعت
وقالت لا اريد اذلال اولادى ثم بعد زمان احتاجت فارسلت الى فقلت لا اعطيك شيأ حتى تعطى مرادى
فلما دخلت معها موضعا ارتعدت فقلت مالك فقالت اخاف الله السميع البصير فتركتها فقالت انجاك الله
من النار فمن ذلك الوقت لا تحرقنى نار الدنيا وارجو من الله تعالى ان لا تحرقنى نار الآخرة فمن خشى الرحمن
وذكر انه بحضر من الله فهو لا يجترئ على الذنب والآثام فيسلم من عذاب النار ويتنعم فى دار السلام عن ابن
عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق
مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب واما الدعاء فهو مخ العبادة وينفع فى الدنيا فيدفع الآفات واما فى الاخرة
فان الله يعطيه هدايا على ايدى الملائكة ويقول ان هذه فى مقابلة دعائك فى الدنيا * از آستان حضرت
حق سر چرا كشيم * دولت درين سرا وكشايش درين درست (قال الحافظ) هركه خواهد كو بيا وهرچه
خواهد كو بكو * كبر وناز وحاجب ودربان درين دركاه نيست * حقق الله رجاءنا وقبل دعاءنا واعطانا
ما هو خير لنا فى الدنيا والاخرة (ربنا وآتنا) اعطنا (ما وعدتنا على رسلك) على تصديق رسلك او على السنة
رسلك من الثواب والكرامة (ولا تخزنا) لا تهنا (يوم القيامة) بان تعصمنا عما يقتضيه (انك لا تخلف الميعاد) اسم
مصدر بمعنى الوعد وهذه الدعوات وما فى تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من اخلاف
الميعاد بل لخوفهم ان لا يكونوا من جملة الموعودين لسوء عاقبة او قصور فى الامتثال فمرجعها الى الدعاء
بالتثبيت او للمبالغة فى التعبد والخشوع ثم قوله ولا تخزنا يوم القيامة شبيه بقوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون فانه ربما ظن الانسان انه على الاعتقاد الحق والعمل الصالح ثم انه يوم القيامة يظهر له ان اعتقاده
كان ضالا وعمله كان ذنبا فهنالك تحصل الخجالة العظيمة والحسرة الكاملة والاسف الشديد وذلك هو العذاب
الروحانى وهو اشد من العذاب الجسمانى ومما يدل على هذا انه سبحانه حكى عن هؤلاء العباد المؤمنين انهم
طلبوا فى هذه الانواع الخمسة من الدعاء اشياء فاول مطالبهم الاحتراز عن العذاب الجسمانى وهو قوله فقنا
عذاب النار وآخرها الاحتراز عن العذاب الروحانى وهو قوله ولا تخزنا يوم القيامة وذلك يدل على ما قلنا
ولذلك قالوا الفرقة اشد من الحرقة (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره) جور دوران وهر آن رنجى
كه هست * سهلتر از بعد حق وغفلتست * زانكه اينها بكذرند * كر چه داد وصوم سختست وخشن * ليك اين بهتر

زبعد ممحن * فليسارع المؤمن الى الطاعات ليدخل فى زمرة من وعدالله لهم من الكرامات عن جابر رضى الله عنه كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا احدثكم بغرف الجنة قلنا بلى يارسول الله قال ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات مالاعين رأت ولااذن سمعت قلت يارسول الله لمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام وعن ابى بكر الوراق رحمه الله طلبنا اربعة فوجدناها فى اربعة وجدنا رضى الله فى طاعته وسعة الرزق فى صلاة الضحى وسلامة الدين فى حفظ اللسان ونور القبر فى صلاة الليل وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال آخر من يدخل الجنة رجل يمشى مرة ويسقط اخرى وتأخذه النار فاذا جاوزها التفت اليها ويقول سبحان من نجانى منك قد اعطانى شيأ ما اعطاه لاحد من الاولين والاخرين فيرفع له شجرة عظيمة الظل فيشتاق الى ظلها فيقول اى رب ادننى منها ولا اسألك غيرها فيدنيه منها ويشرب من مائها ثم يرفع له شجرة اعظم من الاولى فيقول اى رب ادننى منها ويعاهد ان لا يسأل غيرها فيدنيه منها فيرفع له شجرة اعظم مما تقدم فيسأله ان يدنيه فاذا ادنى سمع اصوات اهل الجنة ويقول اى رب لواوصلتها لا اسألك فيقول الله يا ابن آدم ما اغدرك كم تعاهد وتكذب اترضى ان اعطيك مثل الدنيا ومثلها فيقول اتستهزئ بى وانت رب العالمين ثم ضحك ابن مسعود فقالوا م تضحك فقال هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا م ضحك رسول الله قال من ضحك رب العالمين فيقول الله لا استهزئ ولكنى على ما اشاء قدير (حكى) ان والدى معروف الكرخى كانا من النصارى وكان معلم النصارى يقول لمعروف قل ثالث ثلاثة فيقول معروف بل هو الاحد الصمد فيضربه المعلم فهرب يوما فقال والداه لو جاء معروف فعلى اى دين وجدناه تبعناه فجاء على دين الاسلام فاسلما قال النبى عليه السلام ما منكم من احد الا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن يمينه فلا يرى الا شيأ قدمه ثم ينظر عن يساره فلا يرى الا شيأ قدمه فيستقبله النار فمن استطاع منكم ان يتقى النار ولو بشق تمرة فليفعل (حكى) ان عجوزا كافرة كانت تطعم الطير ذرة فى ايام الشتاء فرأها ذو النون المصرى فقال ان الله تعالى لا يقبل من عدو ثم رأها فى الكعبة قد اسلمت فقالت ياذا النون انه اعطانى الاسلام بما رأيته * بى كرم آدمى نه از بشراست * از شجر بلكه از حجر بتراست * شجرى كان نمى دهد ثمرى * معتبر نيست لايق تبراست * عصمنا الله تعالى واياكم من النار وادخلنا الجنة مع الاسخياء والابرار (فاستجاب لهم ربهم) الى طلبتهم وهو اخص من اجاب فان اجاب معناه اعطاه الجواب وهو قد يكون بتحصيل المطلوب وبدونه واستجاب انما يقال لتحصيل المطلوب ويتعدى بنفسه وباللام (انى) اى بانى (لا اضيع عمل عامل منكم) وهو ما حكى عنهم من المواظبة على ذكر الله تعالى فى جميع حالاتهم والتفكر فى مصنوعاته استدلالا واعتبارا والثناء على الله بالاعتراف بربوبيته وتنزيهه عن العبث وخلق الباطل والاشتغال بالدعاء وجعل هذه الاعمال سببا للاستجابة يدل على ان استجابة الدعاء مشروطة بهذه الشروط وبهذه الامور فلما كان حصول هذه الشرائط عزيزا لاجرم كان الشخص الذى يكون مجاب الدعاء عزيزا (من ذكر او انثى) بيان لعامل وتأكيد لعمومه وهذا يدل على انه لا تفاوت فى الاجابة وفى الثواب بين الذكر والانثى اذا كانا جميعا فى التمسك بالطاعة على التوبة والفضل فى باب الدين بالاعمال لا بسائر صفات العاملين لان كون بعضهم ذكرا او انثى او من نسب خسيس او شريف لا تأثير له فى هذا الباب (بعضكم من بعض) لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر قال الامام فيه وجوه احسنها ان يقال من بمعنى الكاف اى بعضكم كبعض فى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية قال القفال هذا من قولهم فلان منى اى على خلقى وسيرتى وهى معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روت ام سلمة قالت يارسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزل قوله تعالى انى لا اضيع الى آخره اى كما ان بعضكم من بعض كذلك انتم فى ثواب العمل تثاب المرأة العاملة كما يثاب الرجل العامل وبالعكس فلا اثيب بعضا واحرم آخر (فالذين هاجروا) تفصيل لاعمال العمال منهم وما اعد لهم من الثواب على المدح والتعظيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهى المهاجرة عن مبتدأ اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة (واخرجوا من ديارهم) اى اضطروا الى الخروج من ديارهم التى ولدوا فيها ونشأوا بايذاء المشركين

قال

قال الامام المراد من قوله الذين هاجروا الذين اختاروا المهاجرة من اوطانهم فى خدمة الرسول والمراد من اخرجوا من ديارهم الذين الجأهم الكفار ولاشك ان رتبة الاولين افضل لانهم اختاروا خدمة الرسول وملازمته على الاختيار فكانوا افضل (واوذوا فى سبيلى) فى سبيل الحق ودين التوحيد بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين (وقاتلوا) اى الكفار فى سبيل الله (وقتلوا) استشهدوا فى القتال (لاكفرن عنهم سيئاتهم) اى والله لامحون عنهم سيئاتهم (ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا) الثواب فى الاصل اسم لما يثاب به كالعطاء اسم لما يعطى الا انه قد يوضع موضع المصدر فهو مصدر مؤكد بمعنى اثابة لان تكفير السيئات وادخال الجنة فى معنى الاثابة اى لاثيبنهم بذلك اثابة (من عندالله) صفة له اى كائنة من عندالله قصد بتوصيفه به تعظيم شأنه فان السلطان العظيم الشأن اذا قال لعبده البسك خلعة من عندى دل ذلك على كون تلك الخلعة فى غاية الشرف واكد كون ذلك الثواب فى غاية الشرف بقوله (والله عنده حسن الثواب) اى حسن الجزآء على الطاعات قادر عليه وهو نعيم الجنة الباقى لا كنعيم الدنيا الفانى * نعيم آخرت باقيست اى دل * خنك آنكس كه باشد عبد مقبل * ولا يخفى ان هذا الجزآء العظيم والاجر الجسيم للذين جمعوا بين المهاجرة والاخراج من الاوطان والتأذى فى سبيل الله والقتال والمقتولية فعلى السالك ان يهاجر عن وطن النفس والعمل السيء والخلق الذميم ويخرج من ديار الطبيعة الى عالم الحقيقة حتى يدخل مقام العندية الخاصة فان ثمرات المجاهدات المشاهدات والعمل الصالح يستدل به على حسن العاقبة روى ان صفوان بن سليم كان يجتهد فى العبادة والقيام وكان يبيت على السطح فى ايام الشتاء لئلا يستريح من البرد وفى الصيف ينزل الى بيته ليعذب نفسه بحر الهوآء وكان عادته ذلك الى ان مات فى سجدته ووصل الى رحمة الله وجنته فهذا هو الاجتهاد فعليك به فان احتالت نفسك عليك فى ذلك فحدثها باخبار السلف واحوالهم وحكاياتهم كى ترغب فى الطاعة والاجتهاد فان فى ذلك نفعا كليا وتأثيرا عظيما (قال الفاضل الجامى قدس سره) هجوم نفس وهوا كرسپاه شيطانند * چو زور بردل مرد خدا پرست آرد * بجز جنود حكايات رهنمايا * چه تاب آنكه بران رهزنان شكست آرد * فان قالت النفس انهم كانوا رجالا اقوياء كيف يداينهم فى الطاعة من خلفهم فحدثها باخبار النساء كيف كن اناثا ومع ذلك لم يتخلفن عن مجاهدات الرجال حتى وصلن الى ما وصلوا اليه كرابعة العدوية وغيرها قال بعضهم

ولو كان النساء كمن ذكرنا * لفضلت النساء على الرجال

خلا التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

(قال الشيخ السعدى قدس سره) زنانى كه طاعت برغبت برند * زمردان ناپارسا بگذرند * ترا شرم نايد ز مردى خويش * كه باشد زنانرا قبول از تو بيش * قال الحسن البصرى رحمه الله يا عجبا لاقوام بلا زاد وقد نودوا بالرحيل وحبس اولهم لاخرهم وهم قعود يلعبون (حكى) ان ملك الموت دخل على بعض الصالحين ليقبض روحه فقال مرحبا انا والله منذ خمسين سنة اتأهب لك ولما بلغ عبدالله بن المبارك النزع فتح عينيه ثم ضحك فقال لمثل هذا فليعمل العاملون قال بعض العلماء من اراد ان ينال الجنة فعليه ان يداوم على خمسة اشياء الاول ان يمنع نفسه من المعاصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والثانى ان يرضى باليسير من الدنيا لانه روى فى الخبر ان ثمن الجنة الطاعة وترك الدنيا والثالث ان يكون حريصا على الطاعات ويتعلق بكل طاعة فلعل تلك الطاعة تكون سبب المغفرة ووجوب الجنة قال الله تعالى وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون الرابع ان يحب الصالحين واهل الخير ويخالطهم ويجالسهم فان الصالح اذا غفر له يشفع لاخوانه واصحابه والخامس ان يكثر الدعاء ويسأل الله تعالى ان يرزقه ويختم له بخير والحاصل انه لابد للعاقل من التأهب لمعاده بتزكية النفس واصلاح القلب قال القاشانى فى تأويلاته عمل عامل منكم من ذكر القلب من الاعمال القلبية كالاخلاص واليقين والمكاشفة او انثى النفس من الاعمال القالبية كالطاعات والمجاهدات والرياضات بعضكم من بعض يجمعكم اصل واحد وحقيقة واحدة هى الروح اى بعضكم منشأ من بعض فلا اثيب بعضا واحرم آخر فالذين هاجروا عن اوطان مألوفات النفس واخرجوا من ديار صفاتها او هاجروا عن احوالهم التى التذوا بها واخرجوا من مقاماتهم التى يسكنون اليها واوذوا فى سبيلى اى ابتلوا

فى سلوك سبيل الله تعالى بالبلاء والمحن والشدآئد والفتن ليتمرنوا بالصبر ويفوزوا بالتوكل اوفى سلوك سبيل صفاتى
بسطوات تجليات الجلال والعظمة والكبرياء ليصلوا الى مقام الرضى وقاتلوا البقية بالجهاد فى وقتلوا فى الحب
فى بالكلية لاكفرن عنهم سيئاتهم كلها من صغائر ظهور افعالهم وصفاتهم وكبائر بقايا ذواتهم فى تلويناتهم
فلادخلنهم الجنات الثلاث المذكورة ثوابا اى عوضا مما اخذت منهم من الوجودات الثلاثة والله عنده حسن
الثواب ولا يكون عند غيره الثواب المطلق الذى لا ثواب ورآءه ولهذا قال والله لانه اسم الذات الجامع لجميع
الصفات فلم يحسن ان يقع غيره من الرحمن اوالرحيم اوسائر الاسماء موقعه (لايغرنك) الخطاب للنبى عليه
السلام لان العصمة لا تزيل النهى فانه لو زال النهى عنه بذلك لبطلت العصمة فان العصمة هى الحفظ عن الخلاف
واذا زال النهى لم يكن خلافا فلا يكون عصمة فالمراد تثبيته على ماهو عليه من عدم التفاته الى الدنيا
او الخطاب له والمراد امته كما يخاطب سيد القوم ومقدمهم والمراد به كلهم كانه قيل لايغرنكم (تقلب الذين كفروا
فى البلاد) والنهى فى المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب وهو التقلب منزلة المسبب وهو اغترار
المخاطب للمبالغة والمعنى لا تمدن عينيك ولا تستشرف نفسك الى ماهم عليه من سعة الرزق واصابة حظوظ
الدنيا ولا تغتر بظاهر حالهم من التبسط فى الارض والتصرف فى البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون
روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان اعدآء الله فيما نرى من الخير
وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت (متاع قليل) اى ذلك التقلب متاع قليل لاقدر له فى جنب ما اعد الله
للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا فى الاخرة الامثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع فاذن
لايجدى وجوده لواجديه ولا يضر فقدانه لفاقديه (ثم مأواهم) اى مصيرهم الذى يأوون اليه لايبرحونه (جهنم)
التى لايوصف عذابها يعنى انه مع قلته سبب الوقوع فى نار جهنم ابد الآباد والنعمة القليلة اذا كانت سببا
للمضرة العظيمة لم يعد ذلك نعمة (وبئس المهاد) اى بئس ما يمهدون لانفسهم جهنم (لكن الذين اتقوا ربهم)
اى خافوه فلم يخالفوا امره ولا نهيه (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) وجه الاستدراك انه تعالى
لما وصف الكفار بقلة نفع تقلبهم فى البلاد لاجل التجارة وجاز ان يتوهم متوهم ان قلة النفع من لوازم التقلب
من حيث هو استدرك ان المتقين وان تقلبوا واصابوا ما اصابه الكفار او لم يصيبوا لهم مثوبات حسنى لايقادر
قدرها (نزلا من عند الله) حال من جنات لتخصصها بالوصف والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما
(وما عند الله) لكثرته ودوامه (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وعن ابن مسعود رضى الله
عنه ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها اما البرة فان الله تعالى يقول وما عند الله خير للابرار
واما الفاجرة فانه يقول انما نملى لهم ليزدادوا اثما وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جئت فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شئ وتحت رأسه وسادة من ادم حشوها ليف وان عند
رجليه قرظا مصبورا وعند رأسه اهب معلقة فرأيت اثر الحصير فى جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول
الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وانت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما ترضى ان يكون لهما الدنيا ولنا
الاخرة * ازپى ذكر وشوق حق مارا * دردو عالم دل وزبانى بس * وز طعام ولباس اهل جهان *
كهنه دلقى ونيم نانى بس * ومما وجد فى خزآئن الاسكندر مكتوبا بالذهب الاحمر حركات الافلاك لاتبقى
على احد نعمة فاذا اعطى العبد مالا او جاها او رفعة فلتكن همته فى انتهاز الفرصة وتقليد المنن اعناق الرجال
فان الدنيا والجاه والرفعة تزول اما ندم طويل او مدح جزيل فاكرموا من له حسب فى الاصل او قدم فى المروءة
ولا يغرنكم تقلب الزمان باهله فان للدهر عثرات يجبر كما يكسر ويكسر كما يجبر والامر الى الله تعالى (قال جلال
الدين الرومى قدس سره) چند كويى من بكيرم عالمى * اين جهانرا پر كنم ازخود همى * كرجهان
پر برف كردد سر بسر * تاب خور بكدازدش بايك نظر * وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه
من رغب فى الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقصر امله اعطاه الله تعالى
علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى
الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر

على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه تعالى
ثواب خمسين صديقا قال ابن عباس رضى الله عنه يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء وانيابها
بادية مشوهة خلقها وتشرف على الخلائق فيقال اتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه
الدنيا التى تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف فى جهنم فتنادى
يارب اين اتباعى واشياعى فيقول الله تعالى الحقوا بها اتباعها قال عليه السلام يحشر اقوام يوم القيامة
واعمالهم كجبال تهامة ويؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون
ويأخذون سنة من الليل فاذا عرض لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه قالت عائشة رضى الله عنها قلت يا رسول الله
الا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع وشد الحجر على بطنه من السغب فقال يا عائشة
والذى نفسى بيده لو سألت ربى ان يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكنى اخترت
جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد
وروى انه عليه السلام عرض عليه عشار من النوق وهى الحوامل منها فاعرض عنها وغض بصره مع انها
من احب الاموال اليهم وانفسها عندهم لانها كانت تجمع الظهر واللحم واللبن ولعظمتها فى قلوبهم قال الله عز
وجل واذا العشار عطلت فلما لم يلتفت اليها قيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا فلم لم تنظر اليها قال قد نهى الله
عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به الآية هذا معاملته مع الدنيا وفى التوجه الى الاخرة
ما كان يريد الا الرفيق الاعلى قال صلى الله عليه وسلم انا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لوآء الحمد يوم القيامة
تحته آدم ومن دونه ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقرآء المؤمنين ولا فخر
والمقصود ان فى الفقر والقناعة فضيلة وان الفقرآء يدخلون الجنة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
الاغنياء * اى قناعت توانكرم كردان * كه وراى تو هيچ نعمت نيست * كنج صبر اختيار لقمانست *
هركرا صبر نيست حكمت نيست * فعلى العبد العاقل ان يجتنب عن الدنيا واخوانها ويرغب فى الاخرة
وجنانها بل يترقى الى الوصول الى الله تعالى قال ابو يزيد البسطامى قدس سره فى عباد الله عبد لو اعطى الجنات
بزينتها الهرب منها كما يهرب اهل النار من النار وهو الذى غلب عليه محبة الله فلا يميل الى غيره ومن ذلك المقام
قال ابو يزيد غاب قلبى عنى ثمانين سنة فلما اردت ان آخذه قيل اتطلب غيرنا وحكى عن بعض الصالحين انه رأى
فى المنام معروف الكرخى شاخصا ببصره نحو العرش قد اشتغل عن الحور العين وقصور الجنة فسأل رضوان
من هذا قال معروف الكرخى مات مشتاقا الى الله فاباح له ان ينظر فيه فمطمح نظر العارف الجنة المعنوية
وهى جنة معرفة الله ووصوله التى هى خير من جنة الفردوس واعلى عليين فليسارع السالك الى وصول هذه
الجنة ودخولها قبل ادراك منيته وانقضاء عمره ومجيء اجله * حضورى كرهمى خواهى ازوغايب مشو حافظ *
متى ما تلق من تهوى دع الدنيا واهملها * اوصلنا الله واياكم الى الحضور واليقين (وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله) نزلت فى عبد الله بن سلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران واثنين من الحبشة وثمانية من الروم
كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى فانه لما مات نعاه جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم
الذى مات فيه فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فقالوا من هو قال
النجاشى فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشى فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات
واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى حبشى لم يره قط وليس على دينه فانزل الله
هذه الآية (وما انزل اليكم) من القرآن (وما انزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) اى متواضعين له
من خوف عذابه ورجاء ثوابه وهو حال من فاعل يؤمن لان من فى معنى الجمع (لا يشترون) لا يأخذون (بآيات
الله) المكتوبة فى التوراة والانجيل من نعت النبى عليه السلام (ثمنا قليلا) اى عرضا يسيرا من حطام الدنيا
خوفا على الرياسة كفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم والجملة حال عما قبله (اولئك) اى اهل هذه الصفة
(لهم اجرهم) اى المختص بهم الموعود لهم فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين (عند ربهم) نصب على
الحالية من اجرهم والمراد به التشريف (ان الله سريع الحساب) لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه
كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تأمل ووعى صدر وكتب يد والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول اليهم

فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء والاشارة فى قوله ان الله سريع الحساب ان العلماء المتقين الذين يؤمنون بالواردات والالهامات والكشوف بارباب القلوب والخواطر الرحمانية وهم الحكماء الالهية يعجل الله فى جزاء اعمالهم بحسب نياتهم لتبليغهم الى مقاماتهم فى القرب قبل وفاتهم ولا يؤجل الى بعد وفاتهم فان من كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى والانسان يموت كما يعيش ويبعث على ما مات عليه وعن ابن عباس رضى الله عنه ان جبريل عليه السلام جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهو يقول مالى اراك مغموما حزينا قال عليه السلام يا جبريل طال تفكرى فى امتى يوم القيامة قال فى امر اهل الكفر ام فى اهل الاسلام فقال يا جبريل فى امر اهل لا اله الا الله محمد رسول الله فاخذ بيده حتى اقامه الى مقبرة بنى سلمة ثم ضرب بجناحه الايمن على قبر ميت فقال قم باذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقال جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الايسر فقال قم باذن الله فخرج رجل مسود الوجه ازرق العينين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه فقال له جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم قال يا محمد على هذا يبعثون يوم القيامة وعند ذلك قال رسول صلى الله عليه وسلم تموتون كما تعيشون وتبعثون كما تموتون فظهر ان الله سريع الحساب يوصل الى كل جزاء عمله فاما الواصلون فهم فى الجنة المعنوية فى الدنيا يتنعمون واما الغافلون فهم فى نار البعد والفراق ولكنهم لا يحسون الالم قبل وفاتهم فاذا ماتوا انقلب الحال من المعنى الى الحس عصمنا الله واياكم من نار البعد وعذاب السعير وشرفنا بنعيم وصاله ورؤية جماله المنير * كنون بايداى خفته بيدار بود * چو مرگ اندر آرد زخوابت چه سود * تو پالك آمدى برحذر باش وپاك * كه ننكست ناپاك رفتن بخاك * كنون بايد اين مرغ راپاى بست * نه آنكه كه سررشته بردت زدست *

وذكر ان ابراهيم بن ادهم رحمه الله اراد ان يدخل الحمام فمنعه الحمامى وقال لا تدخل الا باجرة فبكى ابراهيم وقال لا يؤذن لى ان ادخل بيت الشياطين مجانا فكيف بالدخول الى بيت النبيين والصديقين مجانا فظهر ان من كان فى الدنيا غافلا فهو فى الاخرة مع الغافلين وحسابه فى الاخرة على مقدار عمله فمن لم يعمل صالحا كان هنالك خاليا عن المثوبات * برفتند وهر كس درود آنچه كشت * نماند بجز نام نيكو وزشت *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة حوراء يقال لها العبة لو بصقت فى البحر بصقة لعذب البحر مكتوب على نحرها من احب ان يكون له مثلى فليعمل بطاعة ربى ونعم ما قيل

بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلى سهر الليالى

تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلى

فلا بد من تدارك امر الاخرة وتوفيت امرأة الفرزدق فخرج فى جنازتها وجوه اهل البصرة وخرج فيها الحسن البصرى فقال الحسن للفرزدق يا ابا فراس ما اعددت لهذا اليوم قال شهادة ان لا اله الا الله منذ ثمانين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها وانشد هذه الابيات

اخاف وراء القبر ان لم يعافنى * اشد من القبر التهابا واضيقا

اذا جاءنى يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من اولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة ازرقا

وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم ادخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم اجره من النار فنسأل الله سبحانه ان يجيرنا من النار ويدخلنا الجنة مع الابرار ويوفقنا للاعمال الصالحة المنجية ويجعلنا من الفرقة الناجية بحق النبى الذى به وصل من وصل الى الله عز وجل فى المشارق والمغارب وانتهى الى منازل المقاصد والمآرب (يا ايها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد كالمرض والفقر والقحط والخوف وغير ذلك من المشاق (وصابروا) وغالبوا اعداء الله فى الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى والمصابرة نوع خاص من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته وكونه اكمل وافضل من الصبر على ما سواه والصبر هو حبس النفس عما لا يرضاه الله واوله التصبر وهو التكلف لذلك ثم المصابرة وهى معارضة ما يمنعه عن ذلك ثم الاصطبار والاعتبار والالتزام ثم الصبر وهو كماله

وحصوله

وحصوله من غير كلفة (ورابطوا) ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام ألا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط (واتقوا الله لعلكم تفلحون) واتقوه بالتبرى عما سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المترتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة فعلم من هذا ان الصبر دون المصابرة والمصابرة دون المرابطة قيل * تو كز سراى طبيعت نميروى بيرون * كجا بكوى طريقت كذر توانى كرد *

ولا بد من السلوك حتى يتجاوز العبد من الاحوال والمقامات الى اقصى النهايات وحكى عن ابراهيم بن ادهم انه كان يسير الى بيت الله راجلا فاذا اعرابى على ناقة فقال يا شيخ الى اين فقال ابراهيم الى بيت الله قال كيف وانت راجل لا راحلة لك فقال ان لى مراكب كثيرة فقال ما هى قال اذا نزلت على بلية ركبت مركب الصبر واذا نزلت على نعمة ركبت مركب الشكر واذا نزل بى القضاء ركبت مركب الرضى واذا دعتنى النفس الى شئ علمت ان ما بقى من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابى انت الراكب وانا الراجل سر فى بلاد الله فالاشتغال طول العمر بالمجاهدة لازم حتى تقلع الاخلاق الذميمة من النفس وتتبدل بالاوصاف الشريفة من الصبر وغيره ومثل هذه المجاهدة هى المرابطة روى ان واحدا من الصلحاء كان يختم كل ليلة ويجتهد فى العبادة فقيل له انك تتعب نفسك وتوقعها فى المشقة فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال وكم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون الف سنة فقال لو عمر المرء بعمر الدنيا الحق له ان يجتهد فى العبادة لهذا اليوم الطويل فانه اسهل بالنسبة اليه وكانت معاذة العدوية امرأة صالحة كانت اذا جاء النهار تقول هذا اليوم يوم موتى فتشتغل بالعبادة الى المساء فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة ليلة موتى فتحييها الى الصباح الى ان ماتت على هذا النمط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة فهذا فى الجهاد الاصغر فكيف الحال فى الجهاد الاكبر يعنى ان المثوبات والدرجات اكثر فى حفظ النفس ومراقبتها وحبسها على الطاعات والعبادات * نكه دار فرصت كه عالم دميست * دمى پيش دانا به از عالميست * سراز جيب غفلت براور كنون * كه فردا نمانى بخجلت نكون (قال الحافظ) * دانا كه زد تفرج اين چرخ حقه باز * هنكامه باز چيد ودر كفت وكو ببست * قال ابو يزيد البسطامى رحمه الله العارف من كان همه هما واحدا ولم ينتقل قلبه الى ما رأت عيناه وسمعت اذناه روى ان زاهدا كان يجتهد فى العبادة فرآه رجل قد صار لباسه ذا وسخ فقال ايها العابد لم لا تغسل ثوبك قال العابد لانه ان غسلته يتوسخ ثانيا قال الرجل فاغسله مرة اخرى قال العابد ان الله لم يخلقنا الان نغسل ثيابنا ويذهب عمرنا بهذا العمل بل للطاعة والعبادة قال مولانا جلال الدين * اول استعداد جنت بايدت * تا زجنت زندكانى زايدت *

تداركنا الله تعالى بلطفه وجاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى اصوم شهر رمضان واصلى كل يوم خمس صلوات ولا ازيد على هذا الا انى فقير ليس على زكاة ولا حج فاذا قامت القيامة ففى اى دار اكون انا فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وقال اذا حفظت عينيك عن اثنين عن النظر الى المحرمات والنظر الى الخلق بعين الاحتقار وحفظت قلبك عن اثنين عن الغل والحسد وحفظت لسانك عن اثنين عن الكذب والغيبة تكون معى فى الجنة

(سورة النساء وهى مائة وخمس اوست اوسبع وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الناس) خطاب عام يتناول الموجودين فى زمان الخطاب ومن بعدهم دون المنقرضين بدليل انهم ما كانوا متعبدين بشرعنا فلو كان عاما لجميع بنى آدم لزم ان يتعبدوا بشرعنا وهو محال (اتقوا ربكم) فى حفظ ما بينكم من الحقوق وما يجب وصله ومراعاته ولا تضيعوه ولا تقطعوا ما امر بوصله (الذى خلقكم) اى قدر خلقكم حالا بعد حال على اختلاف صوركم والوانكم (من نفس واحدة) اى من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم وعقب الاتقاء بمنة الخلق كيلا يتقى الا الخالق وبين اتحاد الاب فان فى قطع التراحم حضا على التراحم

(وخلق منها) اى من تلك النفس يعنى من بعضها (زوجها) امكم حوآء بالمد من ضلع من اضلاعه اليسرى روى ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حوآء من قصيراه فلما انتبه وجدها عنده فمال اليها والفها لانها كانت مخلوقة من جزء من اجزائه واخرت حوآء فى الذكر وان كانت مقدمة فى الخلق لان الواو لا ترتيب فيها (وبث) اى فرق ونشر (منهما) من تلك النفس وزوجها المخلوقة بطريق التوالد والتناسل (رجالا كثيرا) تذكيرا للحمل على الجمع والعدد (ونساء) اى بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان يكن اكثر وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لان المراد به تمهيد للامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبنى جنسه على مادلت عليه الايات التى بعدها فكانه قيل اتقوا ربكم الذى وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا متفرعة من ارومة واحدة فيما يجب لبعضكم على بعض من حقوق المواصلة التى بينكم فحافظوا عليها ولا تغفلوا عنها (واتقوا الله) اى لا تقطعوا فى الدين والنسب اغصانا تتشعب عن جرثومة واحدة (الذى تساءلون به) فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض اسألك بالله (والارحام) اى يسأل بعضكم بعضا بالله فيقول بالله وبالرحم وانا شدك الله والرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وجرت عادة العرب على ان احدهم اذا استعطف غيره يقرن الرحم فى السؤال والمناشدة بالله ويستعطف به فقوله والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وعلى الله اى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله وقال صلى الله عليه وسلم مامن عمل حسنة اسرع ثوابا من صلة الرحم ومامن عمل سيئة اسرع عقوبة من البغى فينبغى للعباد مراعاة الحقوق لان الكل اخ لاب وام هما آدم وحوآء سيما المؤمنين لان فيهم قرابة الايمان والدين وكذا الحال فى قرابة الطين (ان الله كان عليكم رقيبا) والرقيب هو المراقب الذى يحفظ عليك جميع افعالك اى حافظا مطلعا على جميع مايصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى مافى ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك فبين الله تعالى انه يعلم السر واخفى وانه اذا كان كذلك فيجب ان يكون المرء حذرا خائفا فيما يأتى ويذر واعلم ان التقوى هى العمدة وهى سبب الكرامة العظمى فى الدنيا والعقبى (حكى) انه كان بالبصرة رجل معروف بالمسكى لانه كان يفوح منه رآئحة المسك فسئل عنه فقال كنت من احسن الناس وجها وكان لى حياء فقيل لابى لو اجلسته فى السوق لانبسط مع الناس فاجلسنى فى حانوت بزاز فجازت عجوز وطلبت متاعا فاخرجت لها ماطلبت فقالت لو توجهت معى لثمنه فضيت معها حتى ادخلتنى فى قصر عظيم فيه قبة عظيمة فاذا فيها جارية على سرير عليه فرش مذهبة فجذبتنى الى صدرها فقلت الله الله فقالت لا بأس فقلت انى حاقن فدخلت الخلاء وتغوطت ومسحت به وجهى وبدنى فقيل انه مجنون فخلصت ورأيت الليلة رجلا قال لى اين انت من يوسف بن يعقوب ثم قال اتعرفنى قلت لا قال انا جبريل ثم مسح بيده على وجهى وبدنى فمن ذلك الوقت يفوح المسك على من رآئحة جبريل عليه السلام وذلك ببركة التقوى والتقوى فى عرف الشرع وقاية النفس عما يضرها فى الآخرة وهى على مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل اثم وهو المتعارف باسم التقوى وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لكفرنا والثالثة التنزه عن جميع مايشغله وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته ومن هذا القبيل ماحكى عن ذى النون المصرى انه لما جاء اليه بعض الوزرآء وطلب الهمة واظهر الخشية من السلطان قال له لو خشيت انا من الله كما تخشى انت من السلطان لكنت من جملة الصديقين

كر نبودى اميد راحت ورنج * پاى درويش برفلك بودى * وروزير ازخدا بترسيدى * همچنان كز ملك ملك بودى *

فينبغى للسالك ان يتقى ربه ويراقب الله فى جميع احواله كما قال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا والمراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه فاستدامته لهذا العلم مراقبة لربه وهذا اصل كل خير ولا يكاد يصل الى هذه الرتبة الا بعد فراغه عن المحاسبة فاذا حاسب نفسه على ماسلف واصلح حاله فى الوقت ولازم طريق الحق واحسن مابينه وبين الله من مراعاة القلب وحفظه مع الله الانفاس وراقب الله سبحانه فى عموم احواله فيعلم انه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم احواله ويرى افعاله ويسمع اقواله ومن تغافل عن هذه الجملة

فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة قال سليمان بن على لحميد الطويل عظنى قال لئن كنت عصيت الله خاليا وظننت انه يراك فقد اجترأت على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فقد كفرت لقوله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وكان بعض الصالحين له تلامذة وكان يخص واحدا منهم باقباله عليه اكثر مما يقبل على غيره فقالوا له فى ذلك فقال ابين لكم فدفع لكل واحد من تلامذته طائرا وقال له اذبحه بحيث لا يراك احد ودفع الى هذا ايضا فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طيره وجاء هذا بالطير حيا فقال له هلا ذبحته فقال امرتنى ان اذبحه بحيث لا يراه احد ولم اجد موضعا لا يراه احد فقال لهذا اخصه باقبالى عليه * جهان مرآت حسن شاهد ماست * فشاهد وجهه فى كل ذرات (وآتوا اليتامى اموالهم) اليتامى جمع يتيم وهو من الناس المنفرد من الاب بموته ومن سائر الحيوانات من الام وحق هذا الاسم ان يقع على الصغير والكبير لبقاء معنى الانفراد عن الاب الا انه غلب استعماله فى الصغير لاستغناء الكبير بنفسه عن الكافل فكانه خرج عن معنى اليتم وهو الانفراد والمراد بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل اليهم سالمة لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغى ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها والمعنى ايها الاولياء والاوصياء احفظوا اموال اليتامى ولا تتعرضوا لها بسوء وسلموها اليهم وقت استحقاقهم تسليمها اليهم (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) تبدل الشئ بالشئ واستبداله به اخذ الاول بدل الثانى بعد ان كان حاصلا له اوفى شرف الحصول اى لا تستبدلوا الحلال المكتسب بالحرام المغتصب يعنى لا تستبدلوا مال اليتامى وهو حرام بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث فى الارض فتأكلوه مكانه (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) المراد من الاكل التصرف لان اكل مال اليتيم كما يحرم فكذا سائر التصرفات المهلكة لتلك الاموال محرمة والدليل عليه ان فى المال مالا يصح ان يؤكل وانما ذكر الاكل لانه معظم مايقع لاجله التصرف والى بمعنى مع قال تعالى من انصارى الى الله اى مع الله والاصح ان المعنى لا تأكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولى فقيرا واذا اكل مال اليتيم وله مال كان ذلك اقبح ولذا ورد النهى عن اكله مع مال نفسه بعد ان قال ولا تتبدلوا الخ (انه) اى الاكل المفهوم من النهى (كان حوبا كبيرا) اى ذنبا عظيما عند الله فاجتنبوه روى ان رجلا من بنى غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبى عليه السلام فنزلت هذه الاية فلما سمع العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه فى سبيل الله فقال عليه السلام ثبت الاجر وبقى الوزر فقالوا كيف بقى الوزر فقال ثبت الاجر للغلام وبقى الوزر على والده (قال الشيخ السعدى قدس سره) اززروسيم راحتى برسان * خويشتن هم تمتعى بركير * چونكه اين خانه ازتو خواهد ماند * خشتى ازسيم وخشتى اززركير * قال تعالى وآتوا اليتامى اموالهم تزكية عن آفة الحرص والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالامانة والديانة وسلامة الصدر وقال ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم تزكية عن الجور والحيف والظلم وتحلية بالعدل والانصاف فان اجتماع هذه الرذآئل كان حوبا كبيرا اى حجابا عظيما فعلى العاقل ان يزكى نفسه من الاخلاق الرديئة ولا يطمع فى حق احد جل اوقل بل يكون سخيا باذلا ماله على الارامل والايتام ويراعى حقوقهم بقدر الامكان وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ست موبقات ليس لهن توبة اكل مال اليتيم وقذف المحصنة والفرار من الزحف والسحر والشرك بالله وقتل نبى من الانبياء ويقال طوبى للبيت الذى فيه يتيم وويل للبيت الذى فيه يتيم يعنى ويل لاهل البيت الذين لم يعرفوا حق اليتيم وطوبى لهم اذا عرفوا حقه يكى خار پاى يتيمى بكند * بخواب اندرش ديد صدر خجند * كه ميكفت ودرروضها مى چميد * كزان خاربرمن چه كلها دميد * وروى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عندى يتيم مم اضربه قال مما تضرب به ولدك يعنى لا بأس ان تضربه للتأديب ضربا غير مبرح مثل مايضرب الوالد ولده وروى عن الفضيل بن عياض انه قال رب لطمة انفع لليتيم من اكلة خبيص قال الفقيه فى تنبيه الغافلين ان كان هذا يقدر ان يؤدبه بغير ضرب ينبغى له ان يفعل

ذلك ولا يضربه فان ضرب اليتيم امر شديد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اليتيم اذا ضرب اهتز عرش
الرحمن لبكائه فيقول الله يا ملائكتي من ابكى الذي غيبت اباه في التراب وهو اعلم به قال تقول الملائكة ربنا
لا علم لنا قال فاني اشهدكم ان من ارضاه ارضه من عندي يوم القيامة چو بينى يتيمى سرافكنده پيش *
مده بوسه برروى فرزند خويش * يتيم ار بكريد كه نازش خرد * وكر خشم كيرد كه بازش برد *
الا تا نه كريد كه عرش عظيم * بلرزد همى چون بكريد يتيم * اكر سايهٔ خود برفت از سرش * تو در سايهٔ
خويشتن پرورش * قال الله تعالى لداود النبي عليه السلام كن لليتيم كالاب الرحيم واعلم انك كما تزرع
كذلك تحصد واعلم ان المرأة الصالحة لزوجها كالملك المتوج بالذهب كما رآها قرت عينه والمرأة السوء لبعلها
كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير * كرا خانه آباد وهمخوابه دوست * خدا را برحمت نظر سوى اوست *
دلارام باشد زن نيك خواه * وليك از زن بد خدايا پناه * تهى پاى رفتن به از كفش تنك * بلاى
سفر به كه در خانه جنك (وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى) الاقساط العدل والمراد بالخوف العلم عبر
عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لان الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور
المخوف لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصبر على الجور ولا يخافه وسبب النزول انهم كانوا يتزوجون
من يحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة
ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها
بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا من سواهن
من النساء والمعنى وان خفتم ان لا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق
(فانكحوا ما) موصولة او موصوفة اوثرت على من ذهابا بها الى الوصف اى نكاحا (طاب لكم من النساء) اى
غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اى فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات (مثنى وثلاث ورباع) حال
من فاعل طاب اى فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما
تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اى عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان بعضها لبعض منهم
وبعضها لبعض آخر (فان خفتم ان لا تعدلوا) اى فيما بينهن ولو في اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق
اليتامى او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد (فواحدة) اى فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية
(او ما) ولم يقل من ايذانا بقصور رتبة الاماء عن رتبة العقلاء (ملكت ايمانكم) اى من السرارى بالغة ما بلغت
من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق التسرى لا بطريق النكاح كما فيما
عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين وانما سوى
في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السرارى من غير حصر في عدد لقلة تبعيتهن وخفة مؤنهن وعدم
وجوب القسم فيهن (ذلك) اشارة الى اختيار الواحدة (ادنى ان لا تعولوا) العول الميل من قولهم عال الميزان
عولا اذا مال وعال في الحكم جار والمراد ههنا الميل المحظور المقابل للعدل اى ما ذكر من اختيار الواحدة
والتسرى اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء محله في الاول وانتفاء
خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر (وآتوا
النساء) اى اللاتي امر بنكاحهن (صدقاتهن) جمع صدقة وهي المهر (نحلة) فريضة من الله لانها مما فرضه
الله في النحلة اى الملة والشريعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اى اعطوهن مهورهن حال
كونها فريضة من الله او تدينا فانتصابها على انه مفعول له اى اعطوهن ديانة وشرعة او هبة وعطية من الله
وتفضلا منه عليهن فانتصابها على الحالية منها ايضا او عطية من جهة الازواج من نحله اذا اعطاه اياه ووهبه له
عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى
الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل
وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم فالخطاب للازواج وقيل للاولياء
لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيأ لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به
مالك اى تعظم (فان طبن لكم عن شيء منه) الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به

الى المتعدد واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع
صفة لشيء اى كائن من الصداق وفيه بعث لهن الى تقليل الموهوب (نفسا) تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان
الجنس اى وهبن لكم شيأ من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير خبيثات بما يضطرهن الى البذل
من شكاية اخلاقكم وسوء معاشرتكم (فكلوه) اى فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه
تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية (هنيأ مريأ) صفتان من هنأ الطعام
ومرأ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اى اكلا هنيأ مريأ وهذه عبارة عن
التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيأ مما ساقه
اليها فنزلت وفي الآية دليل على وجوب الاحتياط حيث بني الشرط على طيب النفس ولذا قيل يجوز الرجوع
بما وهبن ان خدعن من الازواج وبيان لجواز معروفها وترغيب في حسن المعاشرة بينهما فان خير الناس خيرهم
لاهله وانفعهم لعياله وفي الحديث جهاد المرأة التبعل وكانت المرأة على عهد النبي عليه السلام تستقبل
زوجها اذا دخل وتقول مرحبا بسيدي وسيد اهل بيتي وتقصد الى اخذ رداءه فتأخذه من عنقه وتعمد
الى نعله فتخلعه فان رأته حزينا قالت ما يحزنك ان كان حزنك لآخرتك فزادك الله فيها وان كان لدنياك فكفاك الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان أقرئها مني السلام واخبرها ان لها نصف اجر الشهيد وعلامة الزوجة
الصالحة عند الحقيقة ان يكون حسنها مخافة الله وغناها القناعة وحليها العفة اى التكفف عن الشرور
والمفاسد وعبادتها بعد الفرائض حسن الخدمة للزوج وهمتها الاستعداد للموت اكر پارسا باشد
وخوش سخن * نكه در نكويى وزشتى مكن * زن خوب وخوش طبع كنجست ومار * رها كن
زن زشت ناساز كار * يعني لا تلتفت الى امرأة ليس لها حسن ولا موافقة لك بحسن الخلق روى ان الاسكندر
كان يوما عنده جمع من ندمائه فقال له واحد منهم ان الله تعالى اعطى لك مملكة كثيرة وشوكة وافرة فاكثر من النساء
حتى يكثر اولادك ويبقوا بعدك قال الاسكندر اولاد الرجال ليست ما ذكرت بل هي العادات الحسنة والسير
المرضية والاخلاق الكريمة وليس مما يليق بالرجل الشجيع ان تغلب عليه النساء بعد ان غلب هو على اهالي
الدنيا ونعم ما قيل يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام * چو نيست پيش پدر اين قدر يقين كه پسر * زخيل
بى خردانست يا خردمندان * بسمت سيرت نيكو حكيم را فرزند * زبون زن چه شود بر اميد فرزندان *
(قال الشيخ السعدي قدس سره في البستان) چه نغز آمد اين يك سخن زان دو تن * كه سر كشته
بودند از دست زن * يكى كفت كس را زن بد مباد * دكر كفت زن در جهان خود مباد *
زن نو كن اى دوست هر نو بهار * كه تقويم پارين نيايد بكار * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
من امتي يكونون في جهنم كعمر الدنيا سبع مرات اولها سمينون مهزولون والثاني كاسون عارون والثالث
عالمون جاهلون قيل من هؤلاء يا رسول الله قال لما السمينون المهزولون فالنساء متسمنات بالنعم مهزولات
في امور الدين واما الكاسون العارون فهن النساء كاسيات من الثياب عاريات من الحياء واما العالمون
الجاهلون فهم اهل الدنيا التاجرون الكاسبون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
فهؤلاء عالمون في امور الدنيا جاهلون في امور الآخرة لا يبالون من اين يجمعون المال وهم لا يشبعون من الحلال
ولا يبالون من الحرام نعوذ بالله (ولا تؤتوا) ايها الاولياء (السفهاء) اى المبذرين من الرجال والنساء والصبيان
واليتامى (اموالكم) اضاف الاموال الى الاولياء تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء
فكأن اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها
وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء بقوله (التي جعل الله
لكم قياما) اى جعلها الله شيأ تقومون به وتنتعشون فلو ضيعتموه لضعتم ولما كان المال سببا للقيام والاستقلال
سماه بالقيام اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة فكانها من فرط قيامهم بها واحتياجهم
اليها نفس قيامهم (وارزقوهم فيها واكسوهم) الرزق من الله العطية من غير حد ومن العباد اجراء موقت
محدود اى اطعموهم منها ولم يقل منها لئلا يكون ذلك امرا بان يجعلوا بعض اموالهم رزقا لهم بل امرهم
ان يجعلوا اموالهم مكانا لرزقهم بان يتجروا فيها ويثمروا فيجعلوا ارزاقهم من الارباح لا من اصول الاموال

(وقولوا لهم قولا معروفا) كلاما لينا تطيب به نفوسهم قال القفال القول المعروف هو انه ان كان المولى عليه صبيا
فالولى يعرفه ان المال ماله وهو خازن له وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه وان كان المولى عليه سفيها وعظه
ونصحه وحثه على الصلاة ورغبه فى ترك التبذير والاسراف وعرفه ان عاقبة التبذير الفقر والاحتياج الى الخلق
الى ما يشبه هذا النوع من الكلام واذا كان رشيدا فطلب ماله ومنعه الولى يأثم وفى الاية تنبيه على عظم خطر
المال وعظم نفعه قال السلف المال سلاح المؤمن هيئ للفقر الذى يهلك دينه وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا
فانكم فى زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا فى جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك
قال الامام وقد رغب الله فى حفظ المال فى آية المداينة حيث امر بالكتاب والشهادات والرهن والعقل ايضا
يؤيد ذلك لان الانسان مالم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بتحصيل الدنيا والاخرة ولا يكون فارغ البال
الا بواسطة المال لانه به يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار شب پراكنده خسبد انكه بديد * نبود وجه
بامدادانش * موكر دآورد بتابستان * تافراغت بود زمستانش * فمن اراد الدنيا بهذا الغرض
كانت الدنيا فى حقه من اعظم الاسباب المعينة على اكتساب سعادة الاخرة اما من ارادها لنفسها وعينها كانت
من اعظم المعوقات عن كسب سعادة الاخرة فخير المال ما كان متاع البلاغ ولا ينبغى للمرء ان يسرف فى المال
الذى يبلغه الى الاخرة والجنة والقربة چو دخلت نيست خرج آهسته تركن * كه ملاحان همى كويند
سرودى * اكر باران بكوهستان نبارد * بسالى دجله كردد خشك رودى * درخت
اندر خزانها برفشاند * زمستان لاجرم بى برك ماند * والاشارة ان الله تعالى جعل المال قياما لمصالح دين
العباد ودنياهم فالعاقل منهم من يجعله قياما لمصالح دينه ما امكنه ولمصالح دنياه بقدر حاجته الضرورية اليه
والسفيه من جعله لمصالح دنياه ما امكنه فهو المنهى عنه ان تؤتوا اليه اموالكم كائنا من كان ومن جملة
السفهاء النفس التى هى اعدى عدوك وكل ما انفقه الرجل على نفسه بهواها ففيه مفاسد دينه ودنياه
الا المستثنى منه كما اشار تعالى بقوله وارزقوهم يعنى ما يسد به جوع النفس واكسوهم يعنى ما يستر
عورتها فان ما زاد على هذا يكون اسرافا فى حق النفس والاسراف منهى عنه وقولوا لهم قولا معروفا فالقول
المعروف مع النفس ان يقول لها كلى رزق الله ونعمه فادى شكر نعمته بامتثال اوامره ونواهيه واذيبى طعامك
بذكر الله كما قال عليه السلام اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر واقل ذلك ان يصلى ركعتين اويسبح مائة تسبيحة
اويقرأ جزأ من القرءآن عقيب كل اكلة وسببه انه اذا نام على الطعام من غير اذابته بالذكر والصلاة بعدما كله يقسو
قلبه ونعوذ بالله من قسوة القلب ففى الاذابة رفع القسوة واداء الشكر واعلم ان فى قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء
الخ اشارة اخرى وهى ان اموال العلوم وكنوز المعارف لا تؤتى لغير اهلها من العوام ولا تذكر كما حكى ان بعض
الكبار ذكر بعض الكرامات لولى فنقل ذلك بعض السامعين فى مجلس آخر وانكره رجل فلما رجع الى الاصل
قال لا يباع الابل فى سوق الدجاج دريغست باسفله كفت از علوم * كه ضايع شود تخم در شوره بوم *
(وابتلوا اليتامى) اى واختبروا ايها الاولياء والاوصياء من ليس من اليتامى بين السفه قبل البلوغ بتتبع
احوالهم فى صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا
من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان
تعطوا منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم
(حتى اذا بلغوا النكاح) بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح (فان آنستم) اى شاهدتم وتبينتم (منهم رشدا)
صلاحا فى دينهم واهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير (فادفعوا اليهم اموالهم) من غير تأخير عن
حد البلوغ وظاهر الاية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف
ومحمد وقال ابو حنيفة ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثمانى عشرة سنة فاذا زادت عليها
بسبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغيير احوال الانسان لما قال عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه
ماله أونس منه رشد اولم يونس (ولا تأكلوها اسرافا) بغير حق حال اى مسرفين وليس فيه اباحة القليل
وتحريم الاسراف بل هو بيان انه اسراف (وبدارا) اى مبادرين ومسارعين الى انفاقها مخافة (ان يكبروا)
فتفرطون فى انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهى قبل ان تكبر اليتامى رشدا فينتزعوها من ايدينا ويلزم علينا

تسليمها اليهم (ومن كان غنيا) من الاولياء والاوصياء (فليستعفف) فليتنزه من اكلها وليمتنع وليقنع بما آتاه
الله من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله واستعف ابلغ من عف كانه يطلب زيادة العفة
(ومن كان) من الاولياء والاوصياء (فقيرا فليأكل بالمعروف) اى بما عرف فى الشرع بقدر حاجته الضرورية
واجرة سعيه وخدمته وفيه ما يدل على ان للوصى حق القيام عليها (فاذا دفعتم اليهم اموالهم) بعد ما راعيتم
الشرائط المذكورة (فاشهدوا عليهم) بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت منها ذممكم لما ان ذلك ابلغ من التهمة وانفى
للخصومة وادخل فى الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن واجبا عند اصحابنا فان الوصى مصدق فى الدفع مع اليمين
وقال مالك والشافعى لا يصدق فى دعواه الا بالبينة (وكفى بالله) الباء صلة (حسيبا) محاسبا وحافظا لاعمال
خلقه فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حدلكم واعلم ان اللائق للعاقل ان يحترز عن حق الغير خصوصا
اليتيم فانه يجره الى نار الجحيم فاكل حقه من الكبائر ومن ابتلى بحق من حقوق العباد فعليه بالاستحلال قبل
الانتقال الى دار السؤال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت عنده مظلمة لاخيه او شئ فليتحلله منه
اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات
اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب
المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص حيث
لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله فينال به لطفه الذى ادخره لارباب الايمان فى دفع مظالم العباد
عنهم بارضائه اياهم قال العلماء اذا زنى بامرأة ولها زوج فما لم يجعل ذلك الرجل فى حل لا يغفر له لان خصمه
الادمى فاذا تاب وجعله فى حل فانه يغفر له ويكتفى بحل منه ولا يذكر الزنى ولكن يقول كل حق لك علينا فقد
جعلته فى حل وعن كل خصومة بينى وبينك وهذا صلح بالمعلوم على المجهول وذلك جائز كرامة لهذه الامة
لان الامم السالفة ما لم يذكروا الذنب لا يغفر لهم وكذا غصب اموال عباد الله واكلها وضربهم وشتمهم وقتلهم
كلها من الحقوق التى يلزم فيها ارضاء الخصماء والتوبة والمبادرة الى الاعمال الصالحة والافعال الحسنة
فاذا لم يتب العبد من امثال هذه ولم يرض خصماءه كان خاسرا خاليا عن العمل عند العرض الاكبر
نماند ستمكار بد روزكار * بماند بر او لعنت پايدار * چنان زى كه ذكرت بتحسين كنند * چو مردى
نه بر كور نفرين كنند * نبايد برسم بد آيين نهاد * كه كويند لعنت بر آن كين نهاد * فينبغى للظالم
ان يتوب عن الظلم ويتحلل من المظلوم فى الدنيا فاذا لم يقدر عليه ينبغى ان يستغفر له ويدعو له فانه يرجى ان يحلله
بذلك وعن فضيل بن عياض رحمه الله انه قال قراءة آية من كتاب الله والعمل بها احب الى من ختم القرءآن
الف الف مرة وادخال السرور على المؤمن وقضاء حاجته احب الى من عبادة العمر كله وترك الدنيا ورفضها
احب الى من التعبد بعبادة اهل السموات والارض وترك دانق من حرام احب الى من مائتى حجة من المال
الحلال وقال ابو القاسم الحكيم ثلاثة اشياء تنزع الايمان من العبد اولها ترك الشكر على الاسلام والثانى ترك
الخوف على ذهاب الاسلام والثالث الظلم على اهل الاسلام وعن ابى ميسرة قال اتى بسوط الى رجل فى قبره
بعد ما دفن يعنى جاءه منكر ونكير فقالا له انا ضاربك مائة سوط فقال الميت انا كنت كذا وكذا يتشفع
حتى حطا عنه عشرا ثم لم يزل بهما حتى صارت الى ضربة واحدة فقالا له انا ضاربك ضربة واحدة فضرباه ضربة
واحدة التهب القبر نارا فقال لم ضربتمانى قالا مررت برجل مظلوم فاستغاث بك فلم تغثه فهذا حال الذى
لم يغث المظلوم فكيف يكون حال الظالم واعلم ان الكبار يكفون انفسهم عن المشتبهات فضلا عن الحرام
فان اللقمة الطيبة لها اثر عظيم فى اجابة الدعاء ولذا قال الشيخ نجم الدين الكبرى قدس سره اول شرائط اجابة
الدعاء اصلاح الباطن بلقمة الحلال وآخر شرائطها الاخلاص وحضور القلب يعنى التوجه الاحدى
اذ القلب الحاضر فى الحضرة شفيع له قال تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين فحركة الانسان باللسان وصياحه
من غير حضور القلب ولولة الواقف على الباب وصوت الحارس على السطح فعلى العاقل ان يحترز عن الحرام
والمشتبهات كى يستجاب دعاؤه فى الخلوات (للرجال نصيب) روى ان اوس بن صامت الانصارى رضى الله عنه
خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا
يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر ما يحدث الله فنزلت هذه الاية فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله الخ فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى لابنى العم والمعنى لذكور اولاد الميت حظ كائن (مما ترك الوالدان والاقربون) من ذوى القرابة للميت والمراد المتوارثون منهم دون المحجوبين عن الارث وهم الابوان والزوجان والابن والبنت (وللنساء) اى لجماعة الاناث (نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر) مما الاخيرة باعادة الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد فى الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق (نصيبا مفروضا) نصب على الاختصاص اى اعنى نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه (واذا حضر القسمة) اى قسمة التركة والميراث (اولوا القربى) للميت ممن لا يرث منه (واليتامى والمساكين) من الاجانب (فارزقوهم منه) اى اعطوهم شيأ من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة او مما ترك الوالدان والاقربون وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وكان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة وحضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشئ من رثة المتاع فحثهم الله على ذلك تأديبا من غير ان يكون فريضة ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق (وقولوا لهم قولا معروفا) وهو ان يدعوا لهم ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمتنوا عليهم وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه شرعا او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر وفى الحديث كل معروف صدقة وفى المثل اصنع المعروف والقه فى الماء فان لم يعرفه السمك يعرفه من سمك السماء

تو نيكى كن باب انداز اى شاه ✻ اكر ماهى نداند داند الله ✻

حكى ان حية اتت رجلا صالحا فقالت اجرنى من عدوى اجارك الله ففتح لها ردآءه فقالت يرانى فيه فان اردت المعروف فافتح فاك حتى ادخل فيه فقال اخشى ان تهلكينى قالت لا والله والله وسكان سمواته وارضه شاهدة على ذلك ففتح فاه فدخلت ثم عارضه رجل فى ذلك فانكر فلما اندفع خوفها قالت يا احمق اختر لنفسك كبدك او فؤادك فقال اين العهد واليمين قالت ما رأيت احمق منك اذ نسيت العداوة التى بينى وبين ابيك آدم وما الذى حملك على اصطناع المعروف مع غير اهله فقال مهلينى حتى آتى تحت هذا الجبل ثم توجه الى الله فظهر رجل حسن الوجه طيب الرائحة واعطاه ورقة خضراء وامره بالمضغ ففعل فلم يلبث الا خرج قطع الحية من الاسفل فخلصه الله تعالى من شرها ثم سأل من انت فقال انا المعروف وموضعى فى السماء الرابعة وانت لما دعوت الله ضجت الملائكة فى السموات السبع الى الله فانطلقت الى الجنة واخذت من شجرة طوبى ورقة بامر الله فاصنع المعروف فانه لا يضيع عند الله وان ضيعه المصطنع اليه

نكوكارى از مردم نيك راى ✻ يكى را بده مى نويسد خداى ✻

ومما يكتب من الصدقة الكلمة الطيبة والشفاعة الحسنة والمعونة فى الحاجة وعيادة المريض وتشييع الجنازة وتطييب قلب مسلم وغير ذلك واعلم ان الرجال فى الحقيقة اقوياء الطلبة والسلاك فلهم نصيب بقدر صدقهم فى الطلب ورجوليتهم فى الاجتهاد مما ترك المشايخ والاخوان فى الله والاعوان على الطلب وتركتهم بركتهم وسيرتهم فى الدين وانوارهم وهممهم العلية ومواهب ولايتهم السنية والنساء ضعفاء القوم فلهم ايضا نصيب مفروض اى قدر معلوم على وفق صدق التجائهم اليه وجدهم فى الطلب وحسن استعدادهم لقبول فيض الولاية وهذا حال المجتهدين الذين هم ورثة المشايخ كما انهم ورثة الانبياء فاما المنتمون الى ولايتهم بالارادة وحسن الظن والمقتبسون من انوارهم والمقتفون على آثارهم والمتشبهون بزيهم والمتبركون بهم على تفاوت درجاتهم فهم بمثابة اولى القربى واليتامى والمساكين اذا حضروا القسمة عند محافل صحبتهم ومجامع سماعهم ومجالس ذكرهم فانها مقاسم خيراتهم وبركاتهم فارزقوهم منه اى من مواهب ولايتهم وآثار هدايتهم واعطاف عنايتهم والطاف رعايتهم وقولوا لهم قولا معروفا فى التشويق وارشاد الطريق والحث على الطلب والتوجه الى الحق والاعراض عن الدنيا وتقرير هوانها على الله وخسارة اهلها وعزة اهل الله فى الدارين وكمال سعادتهم فى المنزلين فاذا وقفت على هذا فاجتهد حتى لا تحرم من ميراث الحقيقة ونصيب المعرفة ونعم ما قيل

ميراث پدر خواهى تو علم پدر آموز ✻ كين مال پدر خرج تو آن كرد بده روز ✻

رزقنا الله

واياكم ثمرات الاحوال وبلغنا الى تصفية الباطن واصلاح البال (وليخش الذين) صفتهم وحالهم انهم (لو تركوا) اى لو شارفوا ان يتركوا (من خلفهم) اى بعد موتهم (ذرية ضعافا) اولادا عجزة لا غنى لهم وذلك عند احتضارهم (خافوا عليهم) اى الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم والفقر والتكفف والمراد بالذين هم الاوصياء امروا ان يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى وليشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك فى انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة (فليتقوا الله) فى ذرارى غيرهم (وليقولوا قولا سديدا) اى وليقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب والترحيب ويدعوهم يا بنى ويا ولدى ولا يؤذوهم (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته وانما قيد به لانه اذا اكل منه بالمعروف عند الحاجة او بما قدر له به القاضى بقدر عمله فيه لم يعاقب عليه (انما يأكلون فى بطونهم) اى ملئ بطونهم يقال اكل فى بطنه اذا ملأه واسرف وفى معاه اذا اقتصد فيه (نارا) اى ما يجر الى النار ويؤدى اليها فكانه نار فى الحقيقة (وسيصلون) اى سيدخلون يوم البعث (سعيرا) اى نارا مسعرة او هائلة مبهمة الوصف روى ان آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا وروى انه لما نزلت هذه الاية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم فى الدين الاية وفى الحديث قال النبى عليه السلام رأيت ليلة اسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الابل احداهما قالصة على منخريه والاخرى على بطنه وخزنة جهنم يلقمونه جمر جهنم وصخرها فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما

كسى كز سر ظلمش دمادم ✻ چراغ عيش مظلومان بميرد ✻ نمى ترسد ازين كايزد تعالى ✻ اكرچه دير كيرد سخت كيرد ✻

وقد امر الله تعالى ان لا يؤذى اليتيم ويقال له القول السديد فكيف يكون حال من آذاه وغيره من المؤمنين واكل اموالهم بالغصب والظلم روى ان لجهنم جبابا يعنى مواضع كسواحل البحر فيها حيات كالبخاتى وعقارب كالبغال الدلم فاذا استغاث اهل جهنم ان يخفف عنهم قيل لهم اخرجوا الى الساحل فيخرجون فتأخذ الحيات شفاههم ووجوههم ما شاء الله فيكشطن فيستغيثون فرارا منها الى النار فيسلط عليهم الجرب فيحك احدهم جلده حتى يبدو العظم فيقال يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقال ذلك بما كنت تؤذى المؤمنين فعلى المرء ان يجتنب من الايذاء وايصال الالم الى الخلق فان الدعاء السوء من المظلومين يقبل البتة فى حق الظالم والمؤذى

خرابى كند مرد شمشير زن ✻ نچندانكه دود دل طفل وزن ✻ رياست بدست كسانى خطاست ✻ كه از دستشان دستها بر هواست ✻ مكافات موزى بمالش مكن ✻ كه بيخش بر آورد بايد زبن ✻ سر كرك بايد هم اول بريد ✻ نه چون كوسفندان مردم دريد ✻

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبلوا الى ستا اتقبل لكم الجنة اذا حدثتم فلا تكذبوا واذا وعدتم فلا تخلفوا واذا ائتمنتم فلا تخونوا وغضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا ايديكم عن الحرام وادخلوا الجنة وروى عن ابن المبارك انه قال ترك فلس من حرام افضل من مائة الف فلس يتصدق بها عنه وعنه انه كان بالشام يكتب الحديث فانكسر قلمه فاستعار قلما فلما فرغ من الكتابة نسى فجعل القلم فى مقلمته فلما رجع الى مرو رأى القلم وعرفه فتجهز للخروج الى الشام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار فما ينفعكم الا بالورع قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله الزهد ثلاثة اصناف زهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فزهد الفرض هو الزهد فى الحرام وزهد الفضل هو الزهد فى الحلال وزهد السلامة هو الزهد فى الشبهات وكان حسان بن ابى سنان لا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولا يشرب باردا ستين سنة فرؤى فى المنام بعد ما مات فقيل له ما فعل الله بك فقال بخير الا انى محبوس عن الجنة بابرة استعرتها فلم اردها ومر عيسى عليه السلام بمقبرة فنادى رجلا منهم فاحياه الله تعالى فقال من انت فقال كنت حمالا انقل للناس فنقلت يوما لانسان حطبا فكسرت منه خلالا تخللت به فانا مطالب به منذ مت

خوف دارى اكر ز قهر خدا ✻ نروى راه حرام دنيا ✻

(يوصيكم الله) اى يأمركم ويعهد اليكم (فى اولادكم) اولاد كل واحد منكم اى فى شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به اى يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه

(فان كن) اى الاولاد والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى (نساء) اى خلصا ليس معهن ذكر (فوق اثنتين)
خبر ثان (فلهن ثلثا ما ترك) اى المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وحكم البنتين كحكم ما فوقهما (وان كانت)
اى المولودة (واحدة) اى امرأة واحدة ليس معها اخ ولا اخت (فلها النصف) مما ترك (ولابويه) اى لابوى
الميت (لكل واحد منهما السدس) كائنا ذلك السدس (مما ترك) المتوفى (ان كان له) اى للميت (ولد) او ولد ابن
ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب فى صورة الانوثة بعدما اخذ فرضه المذكور يأخذ ما بقى من
ذوى الفروض بالعصوبة (فان لم يكن له ولد) ولا ولد ابن (وورثه ابواه) فحسب (فلامه الثلث) مما ترك والباقى
للاب هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما احد الزوجين فلامه ثلث ما بقى من فرض احدهما
لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضى الله عنه فانه يفضى الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها فى الارث
بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع
(فان كان له اخوة) اى عدد من الاخوة من غير اعتبار التثليث سوآء كانت من جهة الابوين او من جهة
احدهما وسوآء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسوآء كان لهم ميراث او محجوبين بالاب (فلامه السدس)
واما السدس الذى حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور (من بعد وصية) متعلق
بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعدما كان من وصية (يوصى بها) الميت وفائدة
الوصف الترغيب فى الوصية والندب اليها (او دين) عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف
بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار فى الصحة وانما قال باو التى للاباحة دون الواو للدلالة على انهما
متساويان فى الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة فى الحكم
لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور (آباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا) الخطاب للورثة اى اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم أمن يوصى
ببعض ماله فيعرضكم لثواب الاخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصى بشئ فيوفر عليكم عرض الدنيا يعنى الاول
انفع وان كنتم تحكمون نظرا الى ظاهر الحال بانفعية الثانى وذلك لان ثواب الاخرة لتحقق وصوله الى صاحبه
ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحياة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه
ابعد واقصى (فريضة من الله) اى فرض الله ذلك الميراث فرضا (ان الله كان عليما) بالخلق ومصالحهم (حكيما)
فى كل ما قضى وقدر ودبر واعلم ان فى هذه الاية تنبيها على ان العبد ينبغى ان يجانب الميل الى جانب الافراط
والتفريط برأيه وعمله بل يستمسك بالعروة الوثقى التى هى العدالة فى الامور كلها وهو الميزان السوى فيما بين
الضعيف والقوى وذلك لا يوجد الا بمراعاة امر الله تعالى والمحافظة على الاحكام المقضية الصادرة من العليم
بعواقب الامور الحكيم الذى يضع كل شئ فى مرتبته فعليكم بالعدل الذى هو اقرب للتقوى والتجانب
عن الجور بين العباد فى جميع الامور خصوصا فيما بين الاقارب فان لهم مزيد فضل على الاجانب ولمكانة صلة
الرحم عند الله قرن الارحام باسمه الكريم فى قوله تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام فحافظوا على
مراعاة حقوق اصولكم وفروعكم وآتوا كل ذى حق حقه فمن حقوق الوالدين على الولد ترك التأفيف والبر
والتكلم بقول لطيف وفى الخبر يسأل الولد عن الصلاة ثم عن حق الوالدين وتسأل المرأة عن الصلاة ثم عن حق
زوجها ويسأل العبد عن الصلاة ثم عن حق المولى ثم ان حق الوالدة اعظم من الوالد لكونها اكثر زحمة
ورحمة روى ان رجلا قال يارسول الله ان امى هرمت عندى فاطعمها بيدى واسقيها بيدى واوضيها واحملها
على عاتقى فهل جازيت حقها قال لا ولا واحدا من مائة قال ولم يارسول الله قال لانها خدمتك فى وقت ضعفك
مريدة حياتك وانت تخدمها مريدا مماتها ولكنك احسنت والله يثيبك على القليل كثيرا وجاء رجل الى النبى
عليه السلام ليستشيره فى الغزو فقال ألك والدة قال نعم قال عليه السلام فالزمها فان الجنة تحت رجليها اذكره
فى الاحياء قيل فيه ونعم ما قيل جنت كه سراى مادرانست * زير قدمات مادرانست * روزى بكن
اى خداى مارا * چيزى كه رضاى مادرانست * ويطيع الوالدين فيما ابيح فى دين الاسلام وان كانا مشركين
ويهجرهما ان امراه بشرك او معصية قال تعالى وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما
چون نبود خويش را ديانت وتقوى * قطع رحم بهتر از مودت قربى * قال بعضهم كل ما لا يؤمن

من

من الهلاك مع الجهل فطلب علمه فرض عين سوآء كان من الامور الاعتقادية كمعرفة الصانع وصفاته
وصدق النبى عليه السلام فى اقواله وافعاله او من الاعمال الحسنة المتعلقة بالظاهر كالصلاة والصوم وغيرهما
او بالباطن كحسن النية والاخلاص والتوكل وغيرها او من السيئة المتعلقة بالظاهر كشرب الخمر واكل الربا
والنظر الى اجنبية بشهوة او بالباطن كالكبر والعجب والحسد وسائر الاخلاق الرديئة للنفس فان معرفة هذه
الامور فرض عين يجب على المكلف طلبها وان لم يأذن له ابواه واما ما سواها من العلوم فقيل لا يجوز له الخروج
لطلبه الا باذنهما وفى فتاوى قاضى خان رجل طلب العلم وخرج بغير اذن والديه فلا بأس به ولم يكن عقوقا
قيل هذا اذا كان ملتحيا فاذا كان امرد صبيح الوجه فلابويه ان يمنعاه واما حق الولد على الوالد فكالتسمية باسم
حسن كاسماء الانبياء والمضاف الى اسمه تعالى لان الانسان يدعى فى الاخرة باسمه واسم ابيه قال عليه السلام
انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم ولذا قيل يستحب تغيير الاسماء القبيحة
المكروهة فان النبى صلى الله عليه وسلم سمى المسمى بالعاصى مطيعا وجاء رجل اسمه المضطجع فسماه المنبعث
ومن حقه عليه الختان وهو سنة واختلفوا فى وقته قيل لا يختن حتى يبلغ لانه للطهارة ولا طهارة عليه حتى يبلغ
وقيل اذا بلغ عشرا وقيل تسعا والاولى تأخير الختان الى ان يشعر الولد ويظهر سنه لما فيه من مخالفة اليهود
لانهم يختنون فى اليوم السابع من الولادة ومن حقه ان يرزقه بالحلال الطيب وان يعلمه علم الدين ويربيه باداب
السلف الصالحين (قال الشيخ سعدى رحمه الله فى حق الاولاد) بخردى درش زجر وتعليم كن * به نيك
وبدش وعده وبيم كن * بياموز پرورده را دسترنج * وگر دست دارى چو قارون كنج * بپايان
رسد كيسهٔ سيم وزر * نگردد تهى كيسهٔ پيشه ور * وروى انس رضى الله عنه عن النبى عليه السلام
قال يعق عنه فى اليوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب واذا بلغ سبع سنين عزل
فراشه واذا بلغ عشر سنين ضرب على الصلاة واذا بلغ ست عشرة زوجه ابوه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك
وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الاخرة والحاصل انه ينبغى ان لا يعتمد الانسان على رأى
نفسه بل يكل امره الى الله فانه اعلم وارحم والاشارة فى الايات ان المشايخ للمريدين بمثابة الآباء للاولاد فان
الشيخ فى قومه كالنبى فى امته على ما قاله عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم انا لكم كالوالد لولده ففى قوله
يوصيكم الله الاية اشارة الى وصايات المشايخ والمريدين ووراثتهم فى قرابة الدين لقوله تعالى اولئك هم الوارثون
فكما ان الوراثة الدنيوية بوجهين بالسبب والنسب فكذلك الوراثة الدينية بهما اما السبب فهو الارادة ولبس
خرقتهم والتبرك بزيهم والتشبه بهم واما النسب فهو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفات ولايتهم ظاهرا وباطنا
بصدق النية وصفاء الطوية مستسلما لاحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشأة الثانية فان الولادة
تنقسم على النشأة الاولى وهى ولادة جسمانية بان يتولد المرء من رحم الام الى عالم الشهادة وهو الملك والنشأة
الثانية وهى ولادة روحانية بان يتولد السالك من رحم القلب الى عالم الغيب وهو الملكوت كما حكى النبى عليه
السلام عن عيسى عليه السلام انه قال لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالشيخ هو الاب
الروحانى والمريدون المتولدون من صلب ولايته هم الاولاد الروحانيون وهم فيما بينهم اولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض فى كتاب الله كقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وقال عليه السلام الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى
ودينهم واحد ولهذا قال عليه السلام كل حسب ونسب ينقطع الا حسبى ونسبى لان نسبه كان بالدين كما سئل
من النبى صلى الله عليه وسلم من آلك يارسول الله قال آلى كل مؤمن تقى وانما يتوارث اهل الدين على قدر
تعلقاتهم السببية والنسبية والذكورة والانوثة والاجتهاد وحسن الاستعداد وانما مواريثهم العلوم الدينية
واللدنية كما قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم
فمن اخذ به فقد اخذ بحظ وافر (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره) چون گزيدى پير نازك دل مباش *
سست وريزنده چو آب وگل مباش * چون گرفتى پيرهن تسليم شو * همچو موسى زير حكم خضر رو *
گر تو سنگ وصخره ومرمر شوى * چون بصاحب دل رسى گوهر شوى * يار خندان باغ را خندان كند *
صحبت مردانت از مردان كند (ولكم نصف ما ترك ازواجكم) من المال اذا متن وبقيتم بعدهن
(ان لم يكن لهن ولد) اى ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان

اومتعددا منكم اومن غيركم والباقى لورثتهن من ذوى الفروض والعصبات اوغيرهم اولبيت المال ان لم يكن لهن وارث آخر اصلا (فان كان لهن ولد) على نحو ما فصل (فلكم الربع مما تركن) اى تركت ازواجكم من المال والباقى لباقى الورثة (من بعد وصية) متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده (يوصين بها او) من بعد قضاء (دين) سوآء كان ثبوته بالبينة اوبالاقرار (ولهن الربع مما تركتم) ان متم وبقيت بعدكم (ان لم يكن لكم ولد) ذكرا او انثى منهن اومن غيرهن اوولد ابن والباقى لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات اوذوى الارحام اولبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر اصلا (فان كان لكم ولد) على التفصيل المذكور (فلهن الثمن مما تركتم) من المال والباقى للباقين (من بعد وصية توصون بها اودين) اى بعد اخراج الوصية وقضاء الدين هذا كله اذا لم يمنع مانع من الموانع الاربعة كقتل واختلاف دين ورق واختلاف دار (وان كان رجل) اى ذكر ميت (يورث) اى يورث منه من ورث لا من اورث صفة رجل (كلالة) خبر كان اى من لا ولد له ولا والد وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو الاعياء فى التكلم ونقصان القوة فيه فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لضعفها بالنسبة الى القرابة من جهتهما (او امرأة) عطف على رجل مقيد بما قيد به اى ان كان الميت انثى التى يورث منها كلالة (وله) اى وللميت الموروث منه سوآء كان رجلا اوامرأة (اخ اواخت) كلاهما من الام بالاجماع لان حكم غيرهما سيبين فى آخر السورة (فلكل واحد منهما) اى من الاخ والاخت من الام (السدس) من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة (فان كانوا) اى اولاد الام (اكثر) فى الوجود (من ذلك) اى من الاخ اوالاخت المنفردين بواحد اواكثر (فهم شركاء فى الثلث) يقتسمونه بالسوية لا يزيد نصيب ذكرهم على انثاهم والباقى لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات (من بعد وصية يوصى بها اودين غير مضار) قوله غير مضار نصب حالا من فاعل يوصى المقدر المدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول اى يوصى الميت بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مدخل الضرر على الورثة بما زاد على الثلث اوتكون الوصية لقصد الاضرار بهم وبان يقر فى المرض بدين كاذبا (وصية من الله) اى يوصيكم الله وصية بها لا يجوز تغيرها قال عليه السلام من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة (والله عليم) بالمضار وغيره (حليم) لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالامهال (تلك) اى الاحكام التى تقدمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) شرآئعه التى هى كالحدود المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها (ومن يطع الله ورسوله) فى جميع الاوامر والنواهى التى من جملتها ما فصل ههنا (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) صيغة الجمع اى خالدين بالنظر الى جمعية من بحسب المعنى (وذلك) اى هذا الثواب (الفوز العظيم) اى النجاة الوافرة يوم القيامة والظفر الذى لا ظفر ورآءه (ومن يعص الله ورسوله) ولو فى بعض الاوامر والنواهى (ويتعد حدوده) شرآئعه المحدودة فى جميع الاحكام (يدخله نارا) اى عظيمة هائلة لا يقادر قدرها (خالدا فيها وله عذاب مهين) اى وله غير عذاب الحريق الجسمانى عذاب آخر لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحانى كما يؤذن به وصفه والجملة حالية وافرد خالدا فى اهل النار وجمع فى اهل الجنة لان فى الانفراد وحشة وعذابا للنفس وذلك انسب بحال اهل النار اعلم ان الاطاعة سبب لنيل المطالب الدنيوية والاخروية ويرشدك على شرف الاطاعة ان كلب اصحاب الكهف لما تبعهم فى طاعة الله وعده دخول الجنة * بابدان يار كشت همسر لوط * خاندان نبوتش كم شد * سك اصحاب كهف روزى چند * پى مردم كرفت ومردم شد * فاذا كان من اتبع المطيعين كذلك فما ظنك بالمطيعين قال حاتم الاصم قدس سره الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والاخرة راغبة ومن كلامه من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب ومن ادعى محبة الله من غير ورع عن محارم الله فهو كذاب ومن ادعى محبة النبى عليه السلام من غير محبة الفقرآء فهو كذاب وكلما ازداد العبد فى عبادة الله وطاعته ازداد قربا منه وبعدا من كيد الشيطان قال السرى سألت معروف الكرخى عن الطائعين لله باى شئ قدروا على الطاعة قال بخروج الدنيا من قلوبهم ولو كانت فى قلوبهم ما صحت لهم سجدة (قال جلال الدين الرومى قدس سره) بند بكسل باش آزاد اى پسر * چند باشى بند سيم وبند زر * هر كه از ديدار برخوردار شد * اين جهان در چشم او مردار شد * ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز * چشم نركس را ازين كركس بدوز * ومن اكرمه الله بمعرفة عظمته

اضطر الى كمال طاعته (حكى) ان شابا من بنى اسرآئيل رفض دنياه واعتزل الناس وجعل يتعبد فى بعض النواحى فخرج اليه رجلان من مشايخ قومه ليرداه الى منزله فقالا له يا من اخذت بامر شديد لا صبر عليه فقال لهما الشاب قيامى بين يدى الله اشد من هذا فقالا ان كل اقربائك مشتاق اليك فعبادتك فيهم افضل فقال الشاب ان الله تعالى اذا رضى عنى يرضى كل قريب وبعيد فقالا له انت شاب لا تعلم وانا جربنا هذا الامر وانا نخاف العجب فقال لهما الشاب من عرف نفسه لم يضره العجب فنظر احدهما الى صاحبه فقال له قم فان هذا الشاب وجد ريح الجنة ولا يقبل قولنا وعن وهب بن منبه كان داود عليه السلام جعل نوبة عليه وعلى اهله واولاده ولا تمر ساعة من الليل الا وهو يصلى فيذكر فى سره تحرك قلبه بالنظر الى طاعته وكان بين يديه نهر فانطق الله ضفدعا فقال والذى اكرمك بالنبوة انه منذ خلقنى الله تعالى وانا قائم على رجل ما استرحت مع انى لا ارجو الثواب ولا اخاف العقاب فما عجبك فيه يا داود فعلم ان المحسن هو الذى يعلم انه مسيء ولا يعجب بطاعته فلا بد للمؤمن من العمل الصالح ومن الصون عما يطلبه من رؤيته وسائر الامراض الفاسدة ولذلك كان الكبار يختارون الوحدة قال الامام جعفر الصادق وكذا سفيان الثورى هذا زمان السكوت وملازمة البيوت فقيل لسفيان اذا لازمنا بيوتنا فمن اين يحصل لنا الرزق قال اتقوا الله فان الله يرزق المتقين من غير كسب كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (قال جلال الدين الرومى) بردل خود كم نه انديشهٔ معاش * عيش كم نايد تو بر دركاه باش (واللاتى) جمع التى (يأتين الفاحشة) الاتيان الفعل والمباشرة والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنى لزيادة قبحه على كثير من القبائح اى اللاتى يفعلن الزنى كائنات (من نسائكم) اى من زوجاتكم (فاستشهدوا عليهن اربعة منكم) اى فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم (فان شهدوا) عليهن بذلك (فامسكوهن فى البيوت) فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن (حتى يتوفاهن الموت) اى يأخذهن الموت ويستوفى ارواحهن وفيه تهويل للموت وابرازه فى صورة من يتولى قبض الارواح اويتوفاهن ملائكة الموت (اويجعل الله لهن سبيلا) اى طريقا يخرجن به من الحبس بان تنكح فانه مغن عن السفاح اى الزنى (واللذان) تثنية الذى (يأتيانها) اى الفاحشة (منكم) هما الزانى والزانية بطريق التغليب قال السدى اريد بهما البكران منهما كما ينبىء عنه كون عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار (فآذوهما) فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله وذلك بعد الثبوت (فان تابا) عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ (واصلحا) اى لعملهما وغيرا الحال (فاعرضوا عنهما) بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والاصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب (ان الله كان توابا) مبالغا فى قبول التوبة (رحيما) واسع الرحمة واعلم ان الرجل اذا زنى بامرأة وهما محصنان فحدهما الرجم لا غير وان كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير وان كان احدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد والمحصن هو ان يكون عاقلا بالغا مسلما حرا دخل بامرأة بالغة عاقلة حرة مسلمة بنكاح صحيح فالرجم كان مشروعا فى التوراة ثم نسخ بآية الايذآء من القرءآن ثم صار الايذآء منسوخا بآية الحبس وآية الايذآء وان كانت متأخرة فى الترتيب والنظم الا انها سابقة على الاولى نزولا ثم صار الحبس منسوخا بحديث عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم البكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة ثم نسخ هذا كله بآية الجلد الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وصار الحد هو الجلد فى كل زان وزانية ثم صار هذا منسوخا بالرجم فى حق المحصن بحديث ماعز رضى الله عنه وبقى غير المحصن فى حكم الجلد هو الترتيب فى الآيات والاحاديث وعليه استقر الحكم عندنا كذا فى تفسير التيسير فالواجب على كل مسلم ان يتوب من الزنى وينهى الناس عن ذلك فان كل موضع ظهر فيه الزنى ابتلاهم الله بالطاعون ويزيد فقرهم قال ابن مسعود رضى الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى ذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قلت ثم اى قال ان تزنى بحليلة جارك فاشد الزنى ما هو مصر عليه وهو الرجل الذى يطلق امرأته وهو يقيم معها بالحرام ولا يقر عند الناس مخافة ان يفتضح فكيف لا يخاف فضيحة الآخرة يوم تبلى السرآئر يعنى تظهر الاسرار فاحذر فضيحة ذلك اليوم واجتنب الزنى ولا تصر عليه فانه لا طاقة

لك مع عذاب الله وتب الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده ان الله كان توابا رحيما (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره) مركب توبه عجائب مركبست * برفلك تازد بيك لحظه زپست * چون برازند از پشيمانى انين * عرش لرزد ازانين المذنبين * عمرا كر بكذشت بخش اين دم است * آب توبه اش ده اكراو بى نم است * بيخ عمرترا بده آب حيات * تادرخت عمركردد بانبات * جمله ماضيها ازين نيكوشوند * زهر پارينه ازين كردد چوقند * والاشارة فى تحقيق الآيتين ان اللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم هى النفوس الامارة بالسوء والفاحشة ما حرمته الشريعة من اعمال الظاهر وحرمته الطريقة من احوال الباطن وهى الركون الى غير الله قال عليه السلام سعد غيور وانا اغير منه والله اغير منا ولهذا حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فاستشهدوا على النفوس باتيان الفاحشة اربعة منكم اى من خواص العناصر الاربعة التى انتم منها مركبون وهى التراب ومن خواصه الخسة والركاكة والذلة والطمع والمهانة واللؤم والماء ومن خواصه اللين والعجز والكسل والانوثة والشره فى المأكل وفى المشرب والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والحقد والعداوة والشهوة والزينة والنار ومن خواصها التبختر والتكبر والفخر والصلف والغضب والحدة وسوء الخلق وغير ذلك مما يتعلق بالاخلاق الذميمة ورأسها حب الدنيا والرياسة واستيفاء لذاتها وشهواتها فان شهدوا اى ظهر بعض هذه الصفات من النفوس فامسكوهن فى البيوت فاحبسوهن فى سجن المنع عن التمتعات الدنيوية فان الدنيا سجن المؤمن واغلقوا عليهن ابواب الحواس الخمس حتى يتوفاهن الموت اى تموت النفس اذا انقطع عنها حظوظها دون حقوقها والى هذا اشار بقوله عليه السلام موتوا قبل ان تموتوا او يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيوب فتهب منها الطاف الحق وجذبات الالوهية التى جذبة منها توازى عمل الثقلين واللذان يأتيانها منكم اى النفس والقالب يأتيان الفواحش فى ظاهر الافعال والاعمال وباطن الاحوال والاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بترك الحظوظ وكثرة الرياضات والمجاهدات فان تابا ظاهرا وباطنا واصلحا لذلك فاعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر فان مع العسر يسرا ان الله كان توابا لمن تاب رحيما لمن اصلح من تفسير نجم الدين الرازى الكبرى (انما التوبة على الله) اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته (للذين يعملون السوء) اى المعصية صغيرة كانت او كبيرة فقوله انما التوبة على الله مبتدأ وخبره ما بعده (بجهالة) اى يعملون ملتبسين بها اى جاهلين سفهاء فان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته وفى التيسير ليست هذه جهالة عدم العلم لانه ذنب لان ذلك عذر لكنها التغافل والتجاهل وترك التفكر فى العاقبة كفعل من يجهله ولا يعلمه (ثم يتوبون من قريب) اى من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت اى قبل ان يغرغروا وسماه قريبا لان امد الحياة الدنيا قريب قال تعالى قل متاع الدنيا قليل فعمر الدنيا قليل قريب الانقضاء فما ظنك بعمر فرد ومن تبعيضية اى يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففى اى جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب (فاولئك يتوب الله عليهم) اى يقبل توبتهم (وكان الله عليما) بخلقه يعلم اخلاصهم فى التوبة (حكيما) فى صنعه والحكيم لا يعاقب التائب فعلى المؤمن ان يتدارك الزلة بالتوبة والاستغفار ويسارع فى الرجوع الى الملك الغفار روى ان جبريل عليه السلام اتاه عند موته فقال يا محمد الرب يقرئك السلام ويقول من تاب قبل موته بجمعة قبلت توبته قال صلى الله عليه وسلم الجمعة كثيرة فذهب ثم رجع وقال قال الله تعالى من تاب قبل موته بساعة قبلت توبته فقال الساعة كثيرة فذهب ثم رجع وقال ان الله يقرئك السلام ويقول ان كان هذا كثيرا فلو بلغ روحه الحلق ولم يمكنه الاعتذار بلسانه واستحيى منى وندم بقلبه غفرت له ولا ابالى قال صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر اى لم يبلغ روحه الحلقوم وعند ذلك يعاين ما يصير اليه من رحمة او هوان ولا ينفع حينئذ توبة ولا ايمان قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فالتوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الارواح وذلك عند غرغرته بالروح وانما يغرغر به اذا قطع الوتين فشخص من الصدر الى الحلقوم فعندها المعاينة وعندها حضور الموت فيجب على الانسان ان يتوب قبل المعاينة والغرغرة وهو معنى قوله تعالى ثم يتوبون من قريب وانما صحت منه التوبة فى هذا الوقت لان الرجاء باق ويصح الندم والعزم على الفعل (قال السعدى)

طريقى بدست آروصلحى بجوى * شفيعى برانكيز وعذرى بكوى * كه يك لحظه صورت نبندد امان * چو پيمانه پرشد بدور زمان * والتوبة فرض على المؤمنين ولها شروط اربعة الندم بالقلب وترك المعصية فى الحال والعزم على ان لا يعود الى مثلها وان يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفا منه لا من غيره قال الحسن البصرى استغفارنا يحتاج الى استغفار قال القرطبى فى تذكرته هذا يقوله فى زمانه فكيف فى زماننا هذا الذى يرى فيه الانسان مكبا على الظلم حريصا عليه لا يقلع والسبحة فى يده زاعما انه يستغفر من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف ومن اظلم ممن اتخذ آيات الله هزؤا فيلزم حقيقة الندم روى ان الملائكة تعرج الى السماء بسيئات العبد فاذا عرضوها على اللوح المحفوظ يجدون مكانها حسنات فيخرون على وجوههم ويقولون ربنا انك تعلم انا ما كتبنا عليه الا ما عمل فيقول الله تعالى صدقتم ولكن عبدى ندم على خطيئته واستشفع الىّ بدمعه فغفرت ذنبه وجدت عليه بالكرم وانا اكرم الاكرمين (قال مولانا جلال الدين قدس سره) اخرهر كريه آخر خنده ايست * مرد آخربين مبارك بنده ايست * هركجا آب روان سبزه بود * هركجا اشك روان رحمت شود * تا نكريد طفل كى جوشد لبن * تا نكريد ابركى خندد چمن * قال احمد بن عبد الله المقدسى سألت ابراهيم ابن ادهم عن بدء حاله فقال نظرت من شباك قصرى فرأيت فقيرا بفناء القصر قد اكل الخبز بالماء والملح ثم نام فدعوته وقلت له قد شبعت وتهيأت للنوم قال نعم فتبت الى الله ولبست الليلة مسوحا وقلنسوة من صوف وخرجت حافيا الى مكة واعلم ان الله اذا اراد بعبد خيرا اصطفاه لنفسه وجعل فى قلبه سراجا يفرق بين الحق والباطل ويبصر عيوب نفسه حتى يترك الدنيا وحطامها ويلقى عليها زمامها (قال جلال الدين الرومى) ملك برهم زن تو ادهم وار زود * تا بيابى همچو اوملك خلود * اين جهان خوش حبس جانهاى شماست * هين رويد ان سو كه صحراى شماست * (قال العطار قدس سره) نقاب ازروى چون خورشيد بردار * اكر هستى زروى خود خبردار * زكوه قاف جسمانى كذركن * بدار الملك روحانى سفركن * مشو مغرور اين ملك مزور * نه عزت ماند ونه مال ونه زر * اكر رنكت فروشو بند زرخسار * خريدارت بناشد كس ببازار * عصمنا الله واياكم من الركون الى الدنيا وموت القلب بالاصرار على الهوى فى الصبح والمساء (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) اى الذنوب (حتى اذا حضر احدهم الموت) اى وقع فى سكرات الموت وشاهد ملك الموت سوى علاماته فان التوبة تقبل فيها (قال) عند النزع ومشاهدة ما فيه (انى تبت الآن) من ذنوبى يعنى لا يقبل التوبة منه ثمة لانها حالة الاضطرار دون حالة الاختيار (ولا الذين يموتون) عطف على الذين يعملون السيئات اى ليست التوبة للذين ماتوا (وهم كفار) مصرون على كفرهم اذا تابوا عند قرب الموت او عند معاينة العذاب فى الآخرة (اولئك) اى الفريقان (اعتدنا) اصله اعددنا ابدلت الدال الاولى تاء (لهم عذابا اليما) اى هيأنا لهم عذابا وجيعا دائما اعلم ان الله تعالى سوّى بين من سوّف التوبة واخرها الى حضور الموت من الفسقة وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة كانه قال توبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء فى انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما ان الميت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوّف الى حضرة الموت لعدم محلها وتلك التسوية لكيلا يهمل المذنب فى امر التوبة ولا يتأهل العاقل فى المسارعة الى طلب المغفرة (قال جلال الدين الرومى قدس سره) كرسيه كردى تو نامه عمرخويش * توبه كن زانها كه كردستى تو پيش * توبه آريد وخدا توبه پذير * امر او كيريد او نعم الامير * واذا هب من الله رياح العناية تجد العبد يسرع الى التوبة ويعد نفسه الى اسبابها ويتأثر بشئ يسير فيتوب عن قبح معاملته قال ابو سليمان الدارانى اختلفت الى مجلس قاص فاثر فى قلبى كلامه فلما قمت لم يبق فى قلبى شئ فعدت ثانيا فبقى اثر كلامه فى قلبى حتى رجعت الى منزلى وكسرت آلة المخالفات ولزمت الطريق فحكى هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال عصفور اصطاد كركيا اراد بالعصفور ذلك القاص وبالكركى ابا سليمان مرد بايد كه كيرد اندركوش * ورنوشته است پند بر ديوار * قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم فمسارعة المذنب بالتوبة وترك الاصرار والرجوع الى باب الملك الغفار ومسارعة المطيع بالاجتناب عن السيئات وزيادة الخيرات والحسنات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب اليمين امين على صاحب الشمال فاذا عمل العبد حسنة يكتب له صاحب اليمين عشرا * نكوكارى از مردم نيك راى *

يكى رابدمى نويسد خداى * واذا عمل سيئة واراد صاحب الشمال ان يكتب قال صاحب اليمين امسك فيمسك بست ساعات او سبع ساعات فان استغفر فيها لم يكتب عليه وان لم يستغفر كتب سيئة واحدة فالواجب على كل مسلم ان يتوب الى الله حين يصبح وحين يمسى ولا يؤخرها قال ابو بكر الواسطى قدس سره التأنى فى كل شئ حسن الا فى ثلاث خصال عند وقت الصلاة وعند دفن الميت والتوبة عند المعصية وكان فى الامم الماضية اذا اذنبوا احرم عليهم حلال واذا اذنب واحد منهم ذنبا وجد على بابه او على جبهته مكتوبا ان فلان ابن فلان قد اذنب كذا وتوبته كذا فسهل الله الامر على هذه الامة فقال ومن يعمل سوأ او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما روى ان الله لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره اى امهله الى قيام الساعة فقال انظر ماذا ترى فقال وعزتك لا اخرج من صدر عبدك حتى تخرج نفسه فقال الرب وعزتى وجلالى لا احجب التوبة عن عبدى حتى تخرج نفسه فانظر الى رحمة الله ورأفته على عباده انه سماهم مؤمنين بعد ما اذنبوا فقال وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون واحبهم بعد التوبة فقال ان الله يحب المتطهرين (قال الحافظ) بمهلتى كه سپهرت دهد ز راه مرو * ترا كه كفت كه اين زال ترك دستان كفت * فينبغى ان لا يغتر الانسان بشئ من الاشياء فى حال من الاحوال فانه وان كان يمهل ولكن لا يهمل فان الموت يجيئ البتة اذا فنى العمر وامتلأ الاناء (يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها) مصدر فى موضع الحال من النساء كان الرجل اذا مات قريبه يلقى ثوبه على امرأته او على خبائها ويقول ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيرها واخذ صداقها ولم يعطها منه شيأ وان شاء عضلها اى حبسها وضيق عليها لتفتدى بما ورثت من زوجها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهى احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك (ولا تعضلوهن) عطف على ترثوا ولا لتأكيد النفى والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق ودآء عضال ممتنع المحال عسر العلاج وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدى منه بمالها وتختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن اى لا تضيقوا عليهن (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) اى من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) من بين بمعنى تبين اى القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذآء الزوج واهله بالبذآء اى الفحش والسلاطة اى حدة اللسان او الفاحشة الزنى وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اى ولا يحل لكم عضلهن فى حال من الاحوال او فى وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا فى حال اتيانهن بفاحشة او الا فى وقت اتيانهن بها او الا لاتيانهن بها فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون فى طلب الخلع (وعاشروهن بالمعروف) خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة فى المبيت والنفقة والاجمال فى القول ونحو ذلك (فان كرهتموهن) وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن (فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) والمراد بالخير الكثير ههنا الولد الصالح او المحبة والالفة والصلاح فى الدين وهو علة للجزآء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اى فقد قربت كراهتك شيأ وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو اصلح فى الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم اعلم ان معاشرتهن بالمعروف والصبر عليهن فيما لا يخالف رضى الله تعالى والافالرد من مواضع الغيرة واجب فان الغيرة من اخلاق الله واخلاق الانبياء والاولياء قال عليه السلام اتعجبون من غيرة سعد وانا اغير منه والله اغير منى ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن اى ما كان من اعمال الظاهر وهو ظاهر واحوال الباطن وهو الركون الى غير الله والطريق المنبئ عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال ولا تخرج هى الى الاسواق دون الحمام قال الامام قاضى خان دخول الحمام مشروع للرجال والنساء خلافا لما قاله البعض روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الحمام وتنور وخالد

ابن الوليد دخل حمام حمص لكن انما يباح اذا لم يكن فيه انسان كشف العورة انتهى والناس فى زماننا لا يمتنعون عن كشف العورة اعاليهم واسافلهم فالمتقى يجتنب عن الدخول فى الحمام من غير عذر والحاصل ان المرأة اذا برئت من مواقع الخلل واتصفت بالعفة فعلى الزوج ان يعاشرها بالمعروف ويصبر على سائر اوضاعها وسوء خلقها او خلقها بخلاف ما اذا كانت غير ذلك (قال الشيخ السعدى قدس سره) چو مستور باشد زن خوبروى * بديدار او در بهشت است شوى * اكر پارسا باشد وخوش سخن * نكه در نكويى وزشتى مكن * چو زن راه بازار كيرد بزن * وكرنه تو در خانه بنشين چو زن * ز بيكانكان چشم زن كور باد * چو بيرون شد از خانه در كور باد * شكوهى نماند دران خاندان * كه بانك خروس آيد از ماكيان * كريز از كفش در دهان نهنك * كه مردن به از زندكانى به ننك * ثم اعلم ان معاملة النساء اصعب من معاملة الرجال لانهن ارق دينا واضعف عقلا واضيق خلقا فحسن معاشرتهن والصبر عليهن مما يحسن الاخلاق فلا جرم يعد الصابر من المجاهدين فى سبيل الله وكان عليه السلام يحسن المعاشرة مع ازواجه المطهرة روى ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت وعرض عليه التزوج فامتنع وقال الوحدة اروح بقلبى قال فرأيت فى المنام بعد جمعة من وفاتها كان ابواب السماء قد فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون فى الهوآء يتبع بعضهم بعضا وكلما نظر الى واحد منهم يقول لمن ورآءه هذا هو المشؤم فيقول الاخر نعم ويقول الثالث كذلك فخفت ان اسألهم الى ان مر بى آخرهم فقلت له من هذا المشؤم قال انت قال فقلت ولم قال كنا نرفع عملك مع اعمال المجاهدين فى سبيل الله فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فلا ندرى ما احدثت فقال لاخوانه زوجونى فلم يكن يفارقه زوجتان او ثلاث وكثرة النساء ليست من الدنيا لان الزهاد والعباد كانوا يتزوجون ثلاثا واربعا قال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة قال بعض ارباب الاحوال كنت بمجلس بعض القصاص فقال ما سلم احد من الهوى ولا فلان وسمى بمن لا يليق ذكره فى هذا المقام لعظم الشان فقلت اتق الله فقال الم يقل حبب الى فقلت ويحك انما قال حبب ولم يقل احببت قال ثم خرجت بالهم فرأيت النبى عليه السلام فقال لا تهتم فقد قتلناه قال فخرج ذلك القاص الى بعض القرى فقتله بعض قطاع الطريق فقال بعض العلماء اكثاره عليه السلام فى امر النكاح بفعل بواطن الشريعة قال الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول الانبياء زيدوا فى القوة بفضل نبوتهم وذلك ان النور اذا امتلأت منه الصدور ففاض فى العروق التذت النفس والعروق فأثار الشهوة وقواها واما الطيب فانه يزكى الفؤاد ويقوى القلب واصل الطيب انما خرج من الجنة بهبوط آدم منها بورقة تستر بها فتركت عليه واما الصلاة فهى مناجاة الله كما قال عليه السلام المصلى يناجى ربه فاذا عرفت حقيقة الحال فاياك والانكار فان كل عمل عند الاخيار له سر من الاسرار ولكن عقول العوام لا تحيط به وان عاش الف عام (قال مولانا جلال الدين قدس سره) از محقق تا مقلد فرقهاست * كين چو داود است وآن ديكر صداست * كار درويشى وراى فهم تست * سوى درويشان بمنكر سست سست (وان اردتم استبدال زوج) اى تزوج امرأة ترغبون فيها (مكان زوج) ترغبون عنها بان تطلقوها (وآتيتم احداهن) اى احدى الزوجات فالمراد بالزوج هو الجنس (قنطارا) اى مالا كثيرا (فلا تأخذوا منه) اى ذلك القنطار (شيأ) يسيرا فضلا عن الكثير (اتأخذونه) اى شيأ منه (بهتانا) باهتين او مفعول له اى للبهتان والظلم العظيم فان احدهم كان اذا تزوج امرأة فاعجبه غيرها واراد ان يتزوجها بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتدآء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزويج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان فى اللغة الكذب الذى يواجه الانسان به صاحبه على جهة المكابرة واصله من بهت الرجل اذا تحير فالبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم (واثما مبينا) اى آثمين عيانا او للذنب الظاهر (وكيف تأخذونه) اى لاى وجه ومعنى تفعلون هذا (وقد) والحال انه قد (افضى بعضكم الى بعض) وقد جرى بينكم وبينهن احوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك (واخذن منكم ميثاقا غليظا) عطف على ما قبله داخل فى حكمه اى اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة والمعاشرة او ما اوثق الله عليكم فى شأنهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبى عليه

السلام بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله اعلم ان هذه المعاملات من تضييق النساء
ومنعهن من الازواج واخذ ما فى ايديهن ظلما بعد ما اخذن ميثاقا غليظا فى رعاية حقوقهن كلها وامثالها
ليست من امارة الايمان ونتايجه وثمراته لان المؤمن اخ المؤمن لايظلمه ولايشتمه قال عليه السلام المؤمن
للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقال الدين النصيحة وقد صرح بنفى الايمان عمن لايحب لاخيه مايحب
لنفسه قال صلى الله عليه وسلم لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه من الخير هرآنكه تخم بدى
كشت وچشم نيكى داشت * دماغ بيهده پخت وخيال باطل بست * زكوش پنبه برون آرو داد خلق بده *
اكرتو مى ندهى داد روز دادى هست * فعلى المرء ان ينصف فى جميع احواله للاجانب خصوصا الاقارب
والازواج فان تحرى العدل لهم من الواجبات واعلم ان الاية لادلالة فيها على جواز المغالاة فى المهر لان قوله
تعالى وآتيتم احداهن قنطارا لايدل على جواز ايتاء القنطار كما ان قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
لايدل على حصول الالهة والحاصل انه لايلزم من جعل الشئ شرطا لشئ آخر كون ذلك الشرط فى نفسه جائز
الوقوع كذا قال الامام فى تفسيره ويؤيده ما قيل فى مرشد المتأهلين ان المرأة التى يراد نكاحها يراعى فيها خفة
المهور قال صلى الله عليه وسلم خير نسائكم احسنهن وجوها واخفهن مهورا وتزوج رسول الله صلى الله عليه
وسلم نساءه على عشرة دراهم واثاث البيت وكان رحى وجرة ووسادة من اديم حشوها ليف وفى الخبر من بركة
المرأة سرعة تزوجها وسرعة رحمها الى الولادة ويسر مهرها ولابد للرجل ان يوفيها صداقها كلا او ينوى ذلك
فمن نوى ان يذهب بصداقها جاء يوم القيامة زانيا كما ان من استدان دينا وهو ينوى ان لايقتضيه يصير سارقا
ولايماطل مهرها الا ان يكون فقيرا او توجله المرأة طوعا ويعلمها احكام الطهارة والحيض والصلاة وغير ذلك
بقدر ما تؤدى به الواجب ويلقنها اعتقاد اهل السنة ويردها عن اعتقاد اهل البدعة وان لم يعلم فليسأل ولينقل
اليها جواب المفتى وان لم يسأل فلابد لها من الخروج للسؤال ومتى علمها الفرائض فليس لها الخروج الى تعلم
او مجلس ذكر الا برضاه فمهما اهمل المرء حكما من احكام الدين ولم يؤدبها ولم يعلمها او منعها عن التعلم شاركها
فى الاثم وفى الحديث اشد الناس عذابا يوم القيامة من اجهل اهله قال عليه السلام كلكم راع وكلكم مسئول
عن رعيته (ولاتنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقوله من النساء بيان لما نكح
واسم الاباء ينتظم الاجداد مجازا كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك اى لاتنكحوا التى
نكحها آباؤكم (الا ما قد سلف) استثناء مما نكح مفيد للمبالغة فى التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال
اى لاتنكحوا حلائل آبائكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى
يلج الجمل فى سم الخياط (انه) اى نكاحهن (كان فاحشة) اى فعلة قبيحة ومعصية شديدة عند الله مارخص
فيه لامة من الامم (ومقتا) ممقوتا عند ذوى المروآت والمقت اشد البغض (وساء سبيلا) نصب على التمييز اى بئس
السبيل سبيل من يراه ويفعله فانه يؤدى صاحبه الى النار قيل مراتب القبح ثلاث القبح العقلى واليه اشير بقوله
انه كان فاحشة والقبح الشرعى واليه اشير بقوله مقتا والقبح العادى واليه الاشارة بقوله وساء سبيلا ومتى
اجتمعت فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح والاشارة فى الاية ان الآباء هى العلويات والامهات هى
السفليات وبازدواجهما خلق الله تعالى المتوالدات منهما فيما بينهما ففى قوله تعالى ولاتنكحوا ما نكح آباؤكم
من النساء اشارة الى نهى التعلق والتصرف فى السفليات التى هى الامهات المتصرفة فيها آباؤكم العلوية
الا ما قد سلف من التدبير الالهى فى ازدواج الارواح والاشباح فالحاجات الضرورية للانسان مستثناة به
انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا يعنى التصرف فى السفليات والتعلق بها والركون اليها مما يلوث الجوهر
الروحانى بلوث الصفات الحيوانية ويجعله سفلى الطبع بعيدا عن الحضرة محبا للدنيا ناسيا للرب ممقوتا للحق وساء
سبيلا الى الهداية بالضلالة (قال الحافظ) غلام همت آنم كه زير چرخ كبود * ز هرچه رنك تعلق
پذيرد آزاداست (قال مولانا الجامى) اى كه در شرع خداوندان حال * ميكنى از سنت وفرضم
سؤال * سنت آمد دل زدنيا تافتن * فرض راه قرب مولا يافتن * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اقرب الناس مجلسا الى الله يوم القيامة من طال حزنه وجوعه فى الدنيا افترش الناس الفراش وافترشوا
الارض فالراغب من رغب فى مثل ما رغبوا والخاسر من خالفهم اكلوا الشعير ولبسوا الخرق وخرجوا من الدنيا

سالمين (قال مولانا جلال الدين) هركه محجوبست او خود كودكيست * مرد آن باشد كه بيرون از شكيست *
اى خنك آنكه جهادى ميكند * بربدن زجرى ودادى ميكند * اى بسا كارا كه اول صعب كشت *
بعد ازان بكشاده شد سختى كذشت * اندرين ره مى تراش ومى خراش * تادمى آخر دمى فارغ مباش *
قال ابو على الدقاق رحمه الله من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سريرته بالمشاهدة قال الله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واعلم ان من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة قال
ابو الحسن الوراق كان اجل احكامنا فى مبادى امرنا فى مسجد ابى عثمان الايثار حتى يفتح علينا وان لانبيت
على معلوم ومن استقبلنا بمكروه لاننتقم لانفسنا بل نعتذر اليه ونتواضع له واذا وقع فى قلوبنا حقارة لاحد قمنا
فى خدمته والاحسان اليه حتى يزول قال ابو حفص ما اسرع هلاك من لايعرف عيبه فان المعاصى بريد الكفر
عيب رندان مكن اى زاهد پاكيزه سرشت * كه كناه دكران تو برنخواهند نوشت * من اكر نيكم
وكر بد تو برو خود را باش * هركسى آن درود عاقبت كار كه كشت (حرمت عليكم امهاتكم)
اى نكاحهن لان المفهوم فى العرف من حرمة كل شئ ما هو الغرض المقصود منه فيفهم من تحريم النساء
تحريم نكاحهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله والامهات تعم الجدات
وان علون من الاب والام او من قبل احدهما (وبناتكم) الصلبية وبنات الاولاد وان سفلن (واخواتكم) من قبل
الاب والام او من قبل احدهما فيتضمن الاخوات من الجهات الثلاث واعلم ان حرمة الامهات والبنات كانت
ثابتة من زمن آدم عليه السلام الى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن فى شئ من الاديان الالهية بل ان
زرادشت رسول المجوس قال بحله الا ان اكثر المسلمين اتفقوا على انه كان كذابا اما نكاح الاخوات فقد نقل
ان ذلك كان مباحا فى زمن آدم عليه السلام وانما حكم الله باباحة ذلك على سبيل الضرورة وذكر العلماء
ان السبب لهذا التحريم ان الوطئ اذلال واهانة فان الانسان يستحيى من ذكره ولايقدم عليه الا فى الموضع
الخالى واكثر انواع الشتم لايكون الا بذكره واذا كان الامر كذلك وجب صون الامهات عنه لان انعام الام
على الولد اعظم وجوه الانعام فوجب صونها عن هذا الاذلال والبنت جزؤ من الانسان وبعض منه فيجب
صونها عن هذا الاذلال لان المباشرة معها تجرى مجرى الاذلال وكذا القول فى البقية ذكره الامام فى تفسيره
(وعماتكم) العمة كل انثى ولدها من ولد والدك قريبا او بعيدا (وخالاتكم) الخالة كل انثى ولدها من ولد
والدتك قريبا او بعيدا يعنى العمات تعم اخوات الاباء والاجداد وكذا الخالات تعم اخوات الامهات والجدات
سواء كن من قبل الاب والام او من قبل احدهما (وبنات الاخ وبنات الاخت) من كل جهة ونوافلهما
وان بعدت واعلم ان الله تعالى نص على تحريم اربعة عشر صنفا من النسوان سبع منهن من جهة النسب وهن
هذه المذكورات وسبع اخرى من جهة السبب والى تعدادها شرع فقال (وامهاتكم اللاتى ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة) اى حرم نكاح الامهات والاخوات كلتاهما من الرضاعة كما حرمتا من النسب
نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه
وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام
المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها
من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو
حكم كلى جارى على عمومه واما اخته لاخت ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام ابنه وام عمه وام خاله لاب
فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تحل بعمومه ضرورة حلهن فى صور الرضاع بل من جهة المصاهرة
الا يرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح
والخامسة موطوءة جده الفاسد (وامهات نسائكم) المراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن
مدخولا بهن اولا وعليه جمهور العلماء وقد روى عن النبى عليه السلام انه قال فى رجل تزوج امرأة ثم طلقها
قبل الدخول بها انه لابأس بان يتزوج ابنتها ولايحل له ان يتزوج امها ويلحق بهن الموطوءآت بوجه من
الوجوه المعدودات فيما سبق آنفا والممسوسات ونظائرهن وامهات تعم المرضعات كما تعم الجدات (وربائبكم
اللاتى فى حجوركم) اى حرم نكاح الربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمى به لانه يربه كما يرب ولده

فی غالب الامر فعیل بمعنی مفعول والتاء للنقل الی الاسمیة قال الامام والحجور جمع حجر وفیه لغتان قال ابن السکیت حجر الانسان وحجره بالفتح والکسر هو ما یجمع علی نخذیه من ثوبه والمراد بقوله فی حجورکم ای فی تربیتکم یقال فلان فی حجر فلان اذا کان فی تربیته والسبب فی هذه الاستعارة ان کل من ربی طفلا اجلسه فی حجره فصار الحجر عبارة عن التربیة کما یقال فلان فی حضانة فلان واصله من الحضن الذی هو الابط ثم ان کون التربیة فی حجر الراب لیس بشرط للحرمة عند جمهور العلماء والوصف فی الایة خرج علی الاغلب لانهن کن لا یتزوجن غالبا اذا کانت لهن اولاد کبار ویتزوجن مع الاولاد الصغار لیستعن بالازواج علی تربیة الاولاد نخرج الکلام مخرج الغالب لا علی الاشتراط کما فی قوله تعالی ولا تباشروهن وانتم عاکفون فی المساجد والمباشرة فی غیر المساجد حالة الاعتکاف حرام ایضا (من نسائکم اللاتی دخلتم بهن) ای کائنة تلک الربائب من نسائکم اللاتی دخلتم بهن فمن متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبکم ومعنی الدخول بهن ادخالهن الستر والباء للتعدیة وهی کنایة عن الجماع کقولهم بنی علیها وضرب علیها الحجاب وفی حکم الدخول اللمس ونظائره (فان لم تکونوا) ای فیما قبل (دخلتم بهن) اصلا (فلا جناح علیکم) ای فی نکاح الربائب اذا فارقتموهن ای امهاتهن اومتن وهو تصریح بما اشعر به ما قبله (وحلائل ابنائکم) ای وحرم علیکم زوجات ابنائکم سمیت الزوجة حلیلة لحلها للزوج اولحلولها فی محله وقیل لحل کل منهما ازار صاحبه وفی حکمهن مزنیاتهم ومن یجری مجراهن من الممسوسات ونظائرهن (الذین من اصلابکم) لاخراج الادعیاء دون ابناء الاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا فی حکم الابناء الصلبیة فالمتبنی اذا فارق امرأته یجوز للمتبنی نکاحها وقد تزوج النبی علیه السلام زینب ابنة جحش الاسدیة بنت عمته امینة ابنة عبد المطلب حین فارقها زید ابن حارثة وکان قد تبناه وادعاه ابنا فعیره المشرکون بذلک لان المتبنی فی ذلک الوقت کان بمنزلة الابن فانزل الله تعالی ما کان محمد ابا احد من رجالکم وقوله تعالی وما جعل ادعیاءکم ابناءکم (وان تجمعوا بین الاختین) ای وحرم علیکم الجمع بین الاختین فی النکاح لا فی ملک الیمین واما جمعهما فی الوطئ بملک الیمین فیلحق به بطریق الدلالة لاتحادهما فی المدار (الا ما قد سلف) استثناء منقطع ای لکن ما قد مضی لا تؤاخذون به (ان الله کان غفورا) لمن فعل ذلک فی الجاهلیة (رحیما) لمن تاب من ذنوبه واطاع لامر ربه فی الاسلام (والمحصنات) هن ذوات الازواج احصنهن التزوج اوالازواج اوالاولیاء ای عفهن عن الوقوع فی الحرام وقد ورد الاحصان فی القرآن بازاء اربعة معان الاول التزوج کما فی هذه الایة والثانی العفة کما فی قوله محصنین غیر مسافحین والثالث الحریة کما فی قوله ومن لم یستطع منکم طولا ان ینکح المحصنات والرابع الاسلام کما فی قوله فاذا احصن قیل فی تفسیره ای اسلمن وهی معطوفة علی المحرمات السابقة ای وحرم علیکم ذوات الازواج کائنات (من النساء) وفائدته تأکید عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء علی کونها صفة للانفس کما توهم (الا ما ملکت ایمانکم) یرید ما ملکت ایمانکم من اللاتی سبین ولهن الازواج فی دار الکفر فهن حلال لغزاة المسلمین ان کن محصنات قال نجم الدین الکبری قدس سره ان الله تعالی حرم المحصنات من النساء علی الرجال عفة للعضانة وصحة للنسب ونزاهة لعرض الرجال عن خسة الاشتراک فی الفراش علوا للهمة فان الله یحب معالی الامور ویبغض سفسافها وقال الا ما ملکت ایمانکم یعنی ملکتم بالقوة والغلبة علی ازواجهن من الکفار واقتطاعهن من حیز الاشتراک وافساد نسب الاولاد وتخلیطه ولهذا اوجب الشرع فیها الاستبراء بحیضة (کتاب الله علیکم) مصدر مؤکد ای کتب الله علیکم تحریم هؤلاء کتابا وفرضه فرضا (واحل لکم) عطف علی حرمت علیکم وتوسیط قوله کتاب الله علیکم بینهما للمبالغة فی الحمل علی المحافظة علی المحرمات المذکورة (ما وراء ذلکم) اشارة الی ما ذکر من المحرمات المعدودة ای احل لکم نکاح ما سواهن انفرادا وجمعا وخص منه بالسنة ما فی معنی المذکورات کسائر محرمات الرضاع والجمع بین المرأة وعمتها وخالتها (ان تبتغوا) متعلق بالفعلین المذکورین ای حرمت واحل علی انه مفعول له لکن لا باعتبار بیانهما واظهارهما ای بین لکم تحریم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا النساء ای تطلبوهن (باموالکم) بصرفها الی مهورهن اواثمانهن (محصنین) حال من فاعل تبتغون والاحصان العفة وتحصین النفس عن الوقوع فیما یوجب اللوم والعقاب (غیر مسافحین) حال ثانیة منه والسفاح الزنی والفجور من السفح الذی هو صب المنی سمی به لانه الغرض منه

ومفعول

ومفعول الفعلین محذوف ای محصنین فروجکم غیر مسافحین الزوانی وهی فی الحقیقة حال مؤکدة لان المحصن غیر مسافح البتة والمعنی لا تضیعوا اموالکم فی الزنی ائلا یذهب دینکم ودنیاکم ولکن تزوجوا بالنساء فهو خیر لکم وذکر الاموال یدل علی ان غیر المال لا یصلح مهرا وان القلیل لا یکفی مهرا فان الدرهم ونحوه لا یسمی مالا ثم هو عندنا لا یکون اقل من عشرة دراهم قال صلی الله علیه وسلم لا مهر اقل من عشرة (فما استمتعتم به منهن) ای فالذی انتفعتم به من النساء بالنکاح الصحیح من جماع اوخلوة صحیحة اوغیر ذلک (فآتوهن اجورهن) مهورهن فان المهر فی مقابلة الاستمتاع (فریضة) حال من الاجور بمعنی مفروضة (ولا جناح علیکم فیما تراضیتم به) ای فی ان تراضیتم بعد النکاح علی زیادة المهر من جانب الزوج اوعلی الحط من المهر من جانب الزوجة وان تهب لزوجها جمیع مهرها (من بعد الفریضة) ای بعد المفروضة للزوجة (ان الله کان علیما) بمصالح العباد (حکیما) فیما شرع لهم من الاحکام ولذلک شرع لکم هذه الاحکام اللائقة بحالکم اعلم ان المحرم عندنا من حرم نکاحه علی التأبید بنسب اومصاهرة اورضاع ولو بوطئ حرام نخرج بالاول ولد العمومة والخؤولة وبالثانی اخت الزوجة وعمتها وخالتها وشمل ام المزنی بها وبنتها واباالزانی وابنه واحکامه تحریم النکاح وجواز النظر والخلوة والمسافرة الا المحرم من الرضاع فان الخلوة بها مکروهة وکذا بالصهرة الشابة وحرمة النکاح علی التأبید لا مشارکة للمحرم فیها فان الملاعنة تحل اذا کذب نفسه اوخرج من اهلیة الشهادة والمجوسیة تحل بالاسلام اوبتهودها اوتنصرها والمطلقة ثلاثا بدخول الثانی وانقضاء عدته ومنکوحة الغیر بطلاقها وانقضاء عدتها ومعتدة الغیر بانقضائها وکذا لا مشارکة للمحرم فی جواز النظر والخلوة والسفر واما عبدها فکالاجنبی علی المعتمد لکن الزوج یشارک المحرم فی هذه الثلاثة والنساء الثقات لا یقمن مقام المحرم والزوج فی السفر ویختص المحرم النسیب باحکام منها عتقه علی قریبه لو ملکه ولا یختص بالاصل والفرع ومنها وجوب نفقة الفقیر العاجز علی قریبه الغنی فلا بد من کونه رحما من جهة القرابة فابن العم والاخ من الرضاع لا یعتق ولا تجب نفقته ویغسل المحرم قریبه ومنها انه لا یجوز التفریق بین صغیر ومحرم ببیع اوهبة الا فی عشر مسائل ومنها ان المحرمیة مانعة من الرجوع فی الهبة وتختص الاصول والفروع من بین سائر المحارم باحکام منها انه لا یقطع احدهما بسرقة مال الاخر ومنها لا یقضی ولا یشهد احدهما للاخر ومنها تحریم موطوءة کل منهما علی الاخر ولو بزنی ومنها تحریم منکوحة کل منهما علی الاخر بمجرد العقد ومنها لا یدخلون فی الوصیة للاقارب وتختص الاصول باحکام فتها الا یجوز له قتل اصله الحربی الا دفعا عن نفسه وان خاف رجوعه ضیق علیه والجأه لیقتله غیره وله قتل فرعه الحربی کمحرمه ومنها لا یقتل الاصل بفرعه ویقتل الفرع باصله ومنها لا یحد الاصل بقذف فرعه ویحد الفرع بقذف اصله ومنها لا تجوز مسافرة الفرع الا باذن اصله دون عکسه ومنها لو ادعی الاصل ولد جاریة ابنه ثبت نسبه والجد اب الاب کالاب عند عدمه بخلاف الفرع اذا ادعی ولد جاریة اصله لم یصح الا بتصدیق الاصل ومنها لا یجوز الجهاد الا باذنهم بخلاف الاصول لا یتوقف جهادهم علی اذن الفروع ومنها لا تجوز المسافرة الا باذنهم ان کان الطریق مخوفا والا فان لم یکن ملتحیا فکذلک والا فلا ومنها اذا دعاه احد ابویه فی الصلاة وجبت اجابته الا ان یکون عالما بکونه فیها ولم ار حکم الاجداد والجدات وینبغی الالحاق ومنها کراهة حجه بدون اذن من کرهه من ابویه ان احتاج الی خدمته ومنها جواز تأدیب الاصل فرعه والظاهر عدم الاختصاص بالاب فالام والاجداد والجدات کذلک ومنها تبعیة الفرع للاصل فی الاسلام ومنها لا یحبسون بدین الفرع والاجداد والجدات کذلک واختصت الاصول الذکور بوجوب الاعفاف واختص الاب والجد لاب باحکام منها ولایة المال فلا ولایة للام فی مال الصغیر الا الحفظ وشراء ما لا بد منه للصغیر ومنها تولی طرفی العقد فلو باع الاب ماله من ابنه اواشتری ولیس فیه غبن فاحش انعقد بکلام واحد ومنها عدم خیار البلوغ فی تجویز الاب والجد فقط واما ولایة الانکاح فلا تختص بهما فتثبت لکل ولی سواء کان عصبة اومن ذوی الارحام وکذا الصلاة فی الجنازة لا تختص بهما وفی الملتقط من النکاح لو ضرب المعلم الولد باذن الاب فهلک لم یغرم الا ان یضربه ضربا لا یضرب مثله ولو ضربه باذن الام غرم الدیة اذا هلک والجد کالاب عند فقده الا فی ثنتی عشرة مسئلة (فائدة) یترتب علی النسب اثنا عشر حکما توریث المال والولاء وعدم صحة الوصیة عند المزاحمة ویلحق بها الاقرار بالدین فی مرض موته وتحمل

الدية وولاية التزويج وولاية غسل الميت والصلاة عليه وولاية المال وولاية الحضانة وطلب الحد وسقوط
القصاص هذا كله من الاشباه والنظائر نقلته ههنا لفوائده الكثيرة وملايمته المحل على مالا يخفى (ومن لم يستطع
منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات) من لم يستطع اى من لم يجد كما يقول الرجل لا استطيع ان اجح اى لا اجد
ما اجح به ومنكم حال من فاعل يستطيع اى حال كونه منكم والطول القدرة وانتصابه على انه مفعول يستطيع
وان ينكح فى موضع النصب على انه مفعول القدرة والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان
حريتهن احصنتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان والمعنى ومن لم يجد طول
حرة اى ما يتزوج به الحرة المسلمة (فمما ملكت ايمانكم) فلينكح امرأة او امة من النوع الذى ملكته ايمانكم (من
فتياتكم المؤمنات) حال من الضمير المقدر فى ملكت الراجع الى ما اى من اماتكم المسلمات والفتاة اصلها الشابة
والفتاء بالمد الشباب والفتى الشاب والامة تسمى فتاة والعبد يسمى فتى وان كانا كبيرين فى السن لانهما لا يوقران
للرق توقير الكبار ويعاملان معاملة الصغار (والله اعلم بايمانكم) تانيس بنكاح الاماء وازالة الاستنكاف منه اى
اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم فى الايمان فربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة وايمان المرأة من ايمان
الرجل فلا ينبغى للمؤمن ان يطلب الفضل والرجحان الا باعتبار الايمان والاسلام لا بالاحساب والانساب (بعضكم
من بعض) انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام كما قيل (الناس من جهة التمثال اكفاء
ابوهم آدم والام حواء) فبينكم وبين ارقائكم المواخاة الايمانية والجنسية الدينية لا يفضل حر عبدا الا برجحان
فى الايمان وقدم فى الدين (فانكحوهن باذن اهلهن) اى واذ قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن
مواليهن ولا تترفعوا عنهن وفى اشتراط اذن الموالى دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له (وآتوهن
اجورهن بالمعروف) اى ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللزاز المضايقة والالحاح
(محصنات) حال من مفعول فانكحوهن اى حال كونهن عفائف عن الزنى (غير مسافحات) حال مؤكدة
اى غير مجاهرات به والمسافح الزانى من السفح وهو صب المنى لان غرضه مجرد صب الماء (ولا متخذات اخدان)
جمع خدن وهو الصديق سرا والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى
ان لا يكون لها اخدان اى غير مجاهرات بالزنى ولا مسرات له وكان زناهن فى الجاهلية من وجهين السفاح
وهو بالاجر من الراغبين فيها والمخادنة وهى مع صديق لها على الخصوص وكان الاول يقع اعلانا والثانى سرا
وكانوا لا يحكمون على ذات الخدن بكونها زانية ولذا افرد الله كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على
حرمتهما معا (فاذا احصن) اى بالتزويج (فان اتين بفاحشة) اى فعلن فاحشة وهى الزنى (فعليهن) فثابت
عليهن شرعا (نصف ما على المحصنات) اى الحرائر الابكار (من العذاب) من الحد الذى هو جلد مائة فنصفه
خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر ولا رجم
عليهن لان الرجم لا يتنصف وجعلوا حد العبد مقيسا على الامة والجامع بينهما الرق والاحصان عبارة عن بلوغ
مع عقل وحرية ودخول فى نكاح صحيح واسلام خلافا للشافعى فى الاسلام (ذلك) اى نكاح المملوكات عند
عدم الطول (لمن خشى العنت منكم) اى خاف الزنى وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل
مشقة وضرر اعظم من موافقة الاثم بافحش القبائح وانما سمى الزنى به لانه سبب المشقة بالحد فى الدنيا
والعقوبة فى العقبى (وان تصبروا) اى عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصى (خير لكم) من
نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق ولان حق المولى فيها فلا تخلص للزوج
خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيف ما يريد فى السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر
والبادى وفيه من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله
ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هى اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على
هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت (والله
غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بالرخصة والتوسعة فنكاح الامة عند الطول والقدرة على نكاح الحرة لا يحل عند
الشافعى وعند الحنفية يحل ما لم يكن عنده امرأة حرة ومحصله ان الشافعى اخذ بظاهر الاية وقال لا يجوز
نكاح الامة الا بثلاثة شرائط اثنان فى الناكح عدم طول الحرة وخشية العنت والثالث فى المنكوحة

وهى

وهى ان تكون امة مؤمنة لا كافرة كتابية وعند ابى حنيفة شئ من ذلك ليس بشرط فهو حمل عدم استطاعة
الطول على عدم ملك فراش الحرة بان لا يكون تحته حرة فحينئذ يجوز نكاح الامة وحمل النكاح على الوطئ وحمل
قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل اى نكاح الامة المؤمنة افضل من نكاح الكتابية فجعله على الندب
واستدل عليه بوصف الحرائر مع كونه ليس بشرط قال فى التيسير واما قوله من فتياتكم المؤمنات ففيه اباحة
المؤمنات وليس فيه تحريم الكتابيات فالغنى والفقير سواء فى جواز نكاح الامة سواء كانت مؤمنة او يهودية
او نصرانية اعلم ان النكاح من سنن المرسلين وشرعة المخلصين الا ان الحال يختلف فيه باختلاف احوال الناس
فهو واجب بالنسبة الى صاحب التوقان ومستحب بالنسبة الى من كان فى حد الاعتدال ومكروه بالنسبة الى
من عجز عن الوقاع والانفاق قال فى الشرعة وشرحها ويختار للتزوج المرأة ذات الدين فان المرأة الصالحة خير
متاع الدنيا فان بها يحصل تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكلف بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف
الاوانى وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعسر عليه العيش فى منزله وحده
اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاعت اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل معينة
على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال
ابو سليمان الدارانى الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للآخرة (قال الشيخ السعدى) زن خوب
فرمان بر پارسا ❊ كند مرد درويش را پادشا ❊ سفر عيد باشد بر ان كتخداى ❊ كه يارى زشتش
بود در سراى ❊ ثم ان بعضهم اختاروا البكر وقالوا انها تكون لك فاما الثيب فان لم يكن لها ولد فنصفها لك
وان كان لها ولد فكلها لغيرك تأكل رزقك وتحب غيرك والحاصل ان اختيار نكاح المملوكات رخصة والصبر
عنه عزيمة ولا ريب ان العزيمة اولى لانه بالصبر يترقى العبد الى الدرجات العلى وفى الخبر يؤتى باشكر اهل الارض
فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك جزاء الشاكرين فيقول
نعم يا رب فيقول الله كلا انعمت عليك فشكرت وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء
الشاكرين وقد يجمع العبد فضيلتى الصبر والشكر بان يصبر على مقتضى النفس زمانا ثم بعد النيل والفوز يشكر
على نعمه الجزيلة حققنا الله واياكم بحقائق الصبر والشكر نعمة حق شمار وشكر گزار ❊ نعمتش را اگرچه
نيست شمار ❊ شكر باشد كليد گنج مزيد ❊ گنج خواهى منه ز دست كليد (وقيل فى حق الصبر) چون
يمانى بسته در بند خرج ❊ صبر كن كه الصبر مفتاح الفرج ❊ صبر كن حافظ بسختى روز وشب ❊
عاقبت روزى بيابى كام را ❊ ثم ان رحمته لعباده اوسع من ان يذكر ولذلك قال والله غفور رحيم ومن جملة رحمته
بيان طرائق من سلف وتقدم من اهل الرشاد ليسلكوا مناهجهم وينالوا الى المراد وقال عليه السلام يا كريم
العفو فقال جبريل اتدرى ما معنى كريم العفو هو ان يعفو عن السيئات برحمته ثم يبدلها بحسنات بكرمه (قال
جلال الدين) توبه آريد وخدا توبه پذير ❊ امر او گيريد او نعم الامير ❊ سيآت ترا مبدل كرد حق ❊ تا همه طاعت
شود آن ما سبق (يريد الله ليبين لكم) اللام مزيدة لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين
محذوف اى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفى عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال
والحرام (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) اى يدلكم على مناهج من تقدمكم من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم
(ويتوب عليكم) يرجع بكم عن معصيته الى طاعته بالتوفيق للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف وليس الخطاب
لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة (والله
عليم) بكم (حكيم) فيما يريده لكم (والله يريد ان يتوب عليكم) بيان لكمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة
ما يريد الفجرة بخلاف الاول فانه بيان ارادته تعالى لتوبته عليهم فلا تكرار (ويريد الذين يتبعون الشهوات)
يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطى لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع له
لا لها وقيل المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى
قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت
فنزلت (ان تميلوا) عن القصد والحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم
(ميلا عظيما) اى بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال (يريد الله ان يخفف عنكم)

ما فى عهدتكم من مشاق التكاليف فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة وغيره من الرخص (وخلق الانسان ضعيفا) عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه فى مشاق الطاعات قال الكلبى اى لا يصبر عن النساء قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من ابن آدم الا اتاه من قبل النساء وقد اتى على ثمانون سنة وذهبت احدى عينى وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف على نفسى فتنة النساء وقال ابو هريرة رضى الله عنه اللهم انى اعوذ بك من ان ازنى واسرق فقيل له كبر سنك وانت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاف على نفسك من الزنى والسرقة قال كيف آمن على نفسى وابليس حى (قال الحافظ) چه جاى من كه بلغزد سپهر شعبده باز * ازين حيل كه در انبانهٔ بهانهٔ تست * والاشارة فى تحقيق الآيات ان الله تعالى انعم على هذه الامة بارادة اربعة اشياء اولها التبيين وهو ان يبين لهم الصراط المستقيم الى الله وثانيها الهداية وهو ان يهديهم الى الصراط المستقيم بالعيان بعد البيان وثالثها التوبة عليهم وهى ان يرجع بهم الى حضرته على صراط الله ورابعها التخفيف عنهم وهو ان يوصلهم الى حضرته بالمعونة ويخفف عنهم المؤنة وهذا مما اختص به نبينا عليه السلام وامته لوجهين احدهما ان الله اخبر عن ذهاب ابراهيم عليه السلام الى حضرته باجتهاده وهو المؤنة بقوله انى ذاهب الى ربى سيهدين واخبر عن موسى عليه السلام بمجيئه وهو ايضا المؤنة وقال ولما جاء موسى لميقاتنا واخبر عن حال نبينا عليه السلام بقوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا وهو المعونة خفف عنه المؤنة واخبر عن حال هذه الامة بقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وهو ايضا بالمعونة وهى جذبات العناية والوجه الثانى ان النبى عليه السلام وامته مخصوصون بالوصول والوصال مخففون عنهم كلفة الفراق والانقطاع فاما النبى عليه السلام فقد خص بالوصول الى مقام قاب قوسين او ادنى وبالوصال بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى وانقطع سائر الانبياء عليهم السلام فى السموات السبع كما رأى ليلة المعراج آدم فى سماء الدنيا الى ان رأى ابراهيم عليه السلام فى السماء السابعة فعبر عنهم جميعا الى كمال القرب والوصول واما الامة فقال فى حقهم من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا فهذا هو حقيقة الوصول والوصال ولكن الفرق بين النبى والولى فى ذلك ان النبى مستقل بنفسه فى السير الى الله والوصول ويكون حظه من كل مقام بحسب استعداده الكامل والولى لا يمكنه السير الا فى متابعة النبى وتسليكه فى سبيل الله قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى ويكون حظه من المقامات بحسب استعداده فينبغى ان يسارع العبد الى تكميل المراتب والدرجات برعاية السنة وحسن المتابعة لسيد الكائنات قال جنيد البغدادى قدس سره مذهبنا هذا مقيد باصول الكتاب والسنة قال على كرم الله وجهه الطرق كلها مسدودة على الخلق الا من اقتفى اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم * كرت بايد كه بينى روى ايمان * رخ از آيينهٔ امرش مكردان * ز شرعش سر مپيچ از هيچ روى * كه همچون شانه ميكرد دبموى (قال الشيخ السعدى) خلاف پيمبر كسى ره كزيد * كه هركز بمنزل نخواهد رسيد * محالست سعدى كه راه صفا * توان رفت جز بر پى مصطفا * ثم فى قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اشارة الى ان الانسان لا يصبر عن الله لحظة لضعفه مهما يكون على الفطرة الانسانية فطرة الله التى فطر الناس عليها فانه يحبهم ويحبونه وهو ممدوح بهذا الضعف فان من عداه يصبرون عن الله لعدم اضطرارهم فى المحبة والانسان مخصوص بالمحبة واعلم ان هذا الضعف سبب لكمال الانسان وسعادته وسبب لنقصانه وشقاوته لانه يتغير لضعفه من حال الى حال ومن صفة الى اخرى فيكون ساعة بصفة بهيمة يأكل ويشرب ويجامع ويكون ساعة اخرى بصفة ملك يسبح بحمد ربه ويقدس له ويفعل ما يؤمر ولا يعصى فيما نهاه عنه وهذه التغيرات من نتايج ضعفه وليس هذا الاستعداد لغيره حتى الملك لا يقدر ان يتصف بصفات البهيمة والبهيمة لا تقدر ان تتصف بصفة الملك لعدم ضعف الانسانية وانما خص الانسان بهذا الضعف لاستكماله بالتخلق باخلاق الله واتصافه بصفات الله كما جاء فى الحديث الربانى انا ملك حى لا اموت ابدا عبدى اطعنى اجعلك ملكا حيا لا تموت ابدا فعند هذا الكمال يكون خير البرية وعند اتصافه بالصفات البهيمية يصير شر البرية كى شوى انسان كامل * اى دل ناقص عقل (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا) اى لا تأخذوا وعبر عن الاخذ بالاكل لان المقصود الاعظم من الاموال الاكل فكان الاكل محرم فكذلك سائر وجوه

التصرفات (اموالكم بينكم بالباطل) اى بوجه غير شرعى كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا والرشوة واليمين الكاذبة وشهادة الزور والعقود الفاسدة ونحوها (الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اى الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض او الا ان تكون الاموال اموال تجارة وتلحق بها اسباب الملك المشروعة كالهبة والصدقة والارث والعقود الجائزة لخروجها عن الباطل وانما خص التجارة بالذكر لكونها اغلب اسباب المكاسب وقوعا واوفقها لذوى المروآت والمراد بالتراضى مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعى حالة الافتراق عن مجلس العقد (ولا تقتلوا انفسكم) بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روى ان عمرو بن العاص رضى الله عنه تأوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم او بارتكاب المعاصى المؤدية الى هلاكها فى الدنيا والآخرة او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالنفس من كان من جنسهم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة (ان الله كان بكم رحيما) اى امر بما أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) اى القتل او اياه وسائر المحرمات المذكورة فيما قبل (عدوانا وظلما) افراطا فى التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم الظلم على النفس لتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية اى متعديا وظالما (فسوف نصليه) اى ندخله (نارا) اى نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب (وكان ذلك) اى اصلاء النار (على الله يسيرا) لتحقق الداعى وعدم الصارف قال الامام واعلم ان الممكنات بالنسبة الى قدرة الله على السوية وحينئذ يمتنع ان يقال ان بعض الافعال ايسر عليه من بعض بل هذا الخطاب نزل على القول المتعارف بيننا او يكون معناه المبالغة فى التهديد وهو ان احدا لا يقدر على الهرب منه ولا على الامتناع عليه فعلى العاقل ان يتجنب عن الوقوع فى المهالك ويبالغ فى حفظ الحقوق وقد جمع الله فى التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لانه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها ولذلك قيل توانكرا نزا وقفست وبذل ومهمانى * زكاة وفطره واعتاق وهدى وقربانى * تو كى بدولت ايشان رسى كه نتوانى * جز اين دو ركعت وان هم بصد پريشانى * فان وفقت للمال فاشكر له والا فلا تتعب نفسك ولا تقتلها كما يفعله بعض من يفتقر بعد الغنى لغاية المه واضطرابه من الفقر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بشئ فى الدنيا عذب به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم جرح برجل فيمن كان قبلكم آراب فجزع منه فاخرج سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرنى عبدى بنفسه فحرمت عليه الجنة كذا فى تفسير البغوى وكذلك حكم من قتل نفسه لفقر او لغير ذلك من الاسباب واعلم ان اكل المال بالباطل مما يفسد دين الرجل ودنياه بل يضر بنفسه ويكون سببا للهلاكة فان بعض الاعمال يظهر اثره فى الدنيا روى ان رجلا ظالما غصب سمكة من فقير فطبخها فلما اراد اكلها عضت يده فاشار اليه الطبيب بالقطع فلم يزل يقطع من كل مفصل حتى وصل الى الابط فجاء الى ظل شجرة فاخذت عيناه فقيل له لا تتخلص من هذا الا بارضاء صاحبها المظلوم فلما ارضاه سكن وجعه ثم انه تاب واقلع عما فعل فرد الله اليه يده فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام وعزتى لولا انه ارضى المظلوم لعذبته طول حياته قال العلماء حرمة مال المسلم كحرمة دمه قال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله وقال عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيبة نفس منه فالظلم حرام شرعا وعقلا (قال الجامى) هزار كونه خصومت كنى بخلق جهان * زبس كه در هوس سيم وآرزوى زرى * ترا ست دوست زر وسيم خصم صاحب آن * كه كيرى از كفش از ابظلم وحيله كرى * نه مقتضاى خرد باشد ونتيجهٔ عقل * كه دوست را بكذارى وخصم را ببرى * فعلى السالك ان يجتنب عن الحرام ويأكل من الحلال الطيب ولبعض الكبار دقة عظيمة واهتمام تام فى هذا الباب (حكى) ان بعض الملوك ارسل الى الشيخ ركن الدين علاء الدولة غزالا وقال انها حلال فقال الشيخ كنت بمشهد طوس فجاء الى بعض الامراء بارنب وقال كل منها فانى رميتها بيدى فقلت الارنب حرام على قول الامام جعفر الصادق رضى الله عنه قال فى حياة الحيوان يحل اكل الارنب عند العلماء كافة الا ما حكى عن عبد الله بن عمرو بن العاص

وابن ابى ليلى انهما كرهاا كلها ثم انه جاء يوما بغزال فقال كل منها فانى رميتها بسهم عملته بيدى على فرس ورثتها عن ابى فقلت خطر ببالى ان واحدا من الامر آء جاء الى مولانا الجمال باوزتين وقال كل منهما فانى قد اخذتهما ببازى فقال مولانا ليس الكلام فى الاوزتين وانما الكلام فى قوت البازى من دجاجة اية عجوزا كل حتى قوى للاصطياد فالغزال التى رميتها على فرسك وان كانت من الصيد لكن قوت الفرس من شعير اى مظلوم حصل فلم يأكل منها (حكى) ان خياطا قال لبعض الكبار هل اكون معينا للظلمة بخياطة ثيابهم فقال ليس الكلام فيك وانما الكلام فى الحداد الذى يعمل الابرة والحاصل ان لابد من الاهتمام فى طلب الحلال وان كان فى زماننا هذا نادرا والوصول اليه عزيزا (قال الجامى) خواهى كه شوى حلال روزى * همخانه مكن عيال بسيار * دانى كه درين سراچهٔ تنك * حاصل نشود حلال بسيار * رزقنا الله واياكم من فضله انه الجواد (ان تجتنبوا) الاجتناب التباعد ومنه الاجنبى (كبائر ما تنهون عنه) كبائر الذنوب التى نهاكم الله ورسوله عنها (نكفر عنكم) التكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة والمعنى نغفر لكم (سيئاتكم) صغائركم ونمحها عنكم (وندخلكم مدخلا) بضم الميم اسم مكان هو الجنة (كريما) اى حسنا مرضيا او مصدر ميمى ادخالا مع كرامة قال المفسرون الصلاة الى الصلاة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنب الكبائر واختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه قال انس بن مالك رضى الله عنه انكم تعملون اليوم اعمالا هى فى اعينكم ادق من الشعر كنا نعدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال القشيرى الكبائر على لسان اهل الاشارة الشرك الخفى ومن جملة ذلك ملاحظة الخلق واستجلاء قبولهم والتودد اليهم والاغماض عن حق الله بعينهم واعلم ان اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر وعند انتفاء الصغائر والكبائر يمكن الدخول فى المدخل الكريم وهو حضرة اكرم الاكرمين قال عليه السلام ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وجملة الكبائر مندرجة فى ثلاثة اشياء احدها اتباع الهوى والهوى ميلان النفس الى ما يستلذ به من الشهوات فقد يقع الانسان به فى جملة من الكبائر مثلا البدعة والضلالة والارتداد والشبهة وطلب الشهوات واللذات والتنعمات وحظوظ النفس بترك الصلاة والطاعات كلها وعقوق الوالدين وقطع الرحم وقذف المحصنات وامثال ذلك ولهذا قال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال عليه السلام ما عبد اله ابغض على الله من الهوى * غبار هوا چشم عقلت بدوخت * سموم هوس كشت عمرت بسوخت * بكن سرمهٔ غفلت از چشم پاك * كه فردا شوى سرمه در چشم خاك * وثانيها حب الدنيا فانه مطية كثير من الكبائر مثل القتل والظلم والغصب والنهب والسرقة والربا واكل مال اليتيم ومنع الزكاة وشهادة الزور وكتمانها واليمين الغموس والحيف فى الوصية وغيرها واستحلال الحرام ونقض العهد وامثاله ولهذا قال تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة وعنه صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل وقال ان الله تعالى قال وعزتى وجلالى انه ليس من الكبائر كبيرة هى اعظم عندى من حب الدنيا * عاقلان ميل بسويت نكنند اى دنيا * هم اميد كرم ولطف تو جاهل دارد * هركه خواهد بكند از تو مرادى حاصل * حاصل آنست كه انديشهٔ باطل دارد * وثالثها رؤية الغير فان منها ينشئ الشرك والنفاق والرياء وامثاله ولهذا قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال عليه السلام اليسير من الرياء شرك وقال بعض المشايخ وجودك ذنب لا يقاس به ذنب آخر فمن تخلص عن ذنب وجوده فلا يرى غير الله فلا ينشئ منه الشرك ولا حب الدنيا وتخلص من الهوى فيتحقق له الوصول واللقاء قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا لعمرى ان هذا هو المدخل الكريم والفوز العظيم والنعيم المقيم فعلى العاقل ان يتخلص عن الاغيار ويشاهد فى المجالى انوار الواحد القهار * كرچه زندانست بر صاحب دلان * هر كجا بوبى ز وصل يار نيست * هيچ زندان عاشق محتاج را * تنك تر از صحبت اغيار نيست * ولذا قيل الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وماسوى الحق اغيار قال ابراهيم عليه السلام فانهم عدو لى الا رب العالمين فلا بد للسالك ان يجتهد فى سلوكه ويتخلص عن رق الغير كى يصل الى المراد والعاشق الصادق لا يكون

فى عبودية غير معشوقه ولا يتسلى عن الدنيا والآخرة الا بوصاله فليس له مطلب سواه * عاشق كه ز هجر دوست دادى خواهد * يا بر در وصلش ايستادى خواهد * نا كس تر ازو كس نبود در عالم * كز دوست بجز دوست مرادى خواهد * وهذا مقام شريف ومطلب عزيز اوصلنا الله تعالى واياكم (ولا تتمنوا) التمنى عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون (ما فضل الله به بعضكم على بعض) اى عليكم ان لا تتمنوا ما اعطاه الله بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجرى فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلى كل احد من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكمة القدر فالانصباء كالاشكال وكما ان اختلاف الاشكال مقتضى حكمة آلهية لم يطلع على سرها احد فكذلك الاقسام وقيل لما جعل الله تعالى فى الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش منا فنزلت وهذا هو الانسب بتعليل النهى بقوله تعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) فانه صريح فى جريان التمنى بين فريقى الرجال والنساء والمعنى لكل من الفريقين فى الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه اياه تأكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمنى المذكور (واسألوا الله من فضله) اى لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسألوا الله تعالى ما تريدون من خزائن نعمه التى لا نفاد لها فانه يعطيكموه (ان الله كان بكل شئ عليما) فهو يعلم ما يستحقه كل انسان ففضله عن علم وحكمة وتبيان وفى الحديث لن يزال الناس بخير ما تباينوا اى تفاوتوا فاذا تساووا هلكوا وذلك لاختلال النظام المرتبط بذلك وقد يقال معناه انه يغتنم تفاوت الناس فى المراتب والصنائع بان يكون مثلا بعضهم اميرا وبعضهم سلطانا وبعضهم وزيرا وبعضهم رئيسا وبعضهم اهل الصنائع لتوقف النظام عليه واعلم ان مراتب السعادات اما نفسانية كالذكاء التام والحدس الكامل والمعارف الزائدة على معارف الغير بالكمية والكيفية وكالعفة والشجاعة وغير ذلك واما بدنية كالصحة والجمال والعمر الطويل فى ذلك مع اللذة والبهجة واما خارجية ككثرة الاولاد الصلحاء وكثرة العشائر وكثرة الاصدقاء والاعوان والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه محبوبا بالقلوب الناس حسن الذكر فيهم فهى مجامع السعادات والانسان اذا شاهد انواع الفضائل حاصلة لانسان ووجد نفسه خاليا عن جملتها او عن اكثرها فحينئذ يتألم قلبه ويتشوش خاطره ثم يعرض ههنا حالتان احداهما ان يتمنى زوال تلك السعادات عن ذلك الانسان والاخرى ان لا يتمنى ذلك بل يتمنى حصول مثلها له والاول هو الحسد المذموم لان المقصود الاول لمدبر العالم وخالقه الاحسان الى عبيده والجود اليهم وافاضة انواع الكرم عليهم فمن تمنى زوال ذلك فكانه اعترض على الله فيما هو المقصود بالقصد الاول من خلق العالم وايجاد المكلفين وايضا ربما اعتقد فى نفسه انه احق بتلك النعم من ذلك الانسان فيكون هذا اعتراضا على الله وقدحا فى حكمته وكل ذلك مما يلقيه فى الكفر وظلمات البدعة ويزيل عن قلبه نور الايمان وكما ان الحسد سبب الفساد فى الدين فكذلك هو سبب الفساد فى الدنيا فانه يقطع المودة والمحبة والموالاة ويقلب كل ذلك الى اضدادها فلهذا السبب نهى الله عباده عنه بقوله ولا تتمنوا الآية فلا بد لكل عاقل من الرضى بقضاء الله تعالى (حكى) الرسول صلى الله عليه وسلم عن رب العزة انه قال من استسلم لقضائى وصبر على بلائى وشكر لنعمائى كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر لنعمائى فليطلب ربا سواى * حاشا كه من از جور وجفاى تو بنالم * بيداد لطيفان همه لطفست وكرامت * فهذا هو الكلام فيما اذا تمنى زوال تلك النعمة من ذلك الانسان ومما يؤكد ذلك ما روى ابن سيرين عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطب الرجل على خطبة اخيه ولا يسوم على سوم اخيه ولا تسأل المرأة طلاق اختها لتقوم مقامها فان الله هو رازقها والمقصود من كل ذلك المبالغة فى المنع من الحسد اما اذا لم يتمن ذلك بل تمنى حصول مثلها له فمن الناس من جوز ذلك الا ان المحققين قالوا هذا ايضا لا يجوز لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة فى حقه فى الدين ومضرة عليه فى الدنيا فلهذا السبب قال المحققون

انه لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطنى دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان بل ينبغى ان يقول اللهم اعطنى ما يكون صلاحا فى دينى ودنياى ومعادى ومعاشى واذا تأمل الانسان كثيرا لم يجد احسن مما ذكره الله فى القرآن تعليما لعباده وهو قوله ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وعن الحسن لا يتمنى احد المال فلعل هلاكه فى ذلك المال كما فى حق ثعلبة وهذا هو المراد من قوله واسألوا الله من فضله قال الشيخ كمال الدين القاشانى فلا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الكمالات المترتبة بحسب استعداد الاولية فان كل استعداد يقتضى بهويته فى الازل كمالا وسعادة تناسبه وتختص به وحصول ذلك الكمال الخاص لغيره محال ولذلك ذكر طلبه بلفظ التمنى الذى هو طلب ما يمتنع حصوله للطالب لامتناع سببه للرجال اى الافراد الواصلين نصيب مما اكتسبوا بنور استعدادهم الاصلى وللنساء اى الناقصين القاصرين عن الوصول نصيب مما اكتسبن بقدر استعدادهم واسألوا الله من فضله اى اطلبوا منه افاضة كمال يقتضيه استعدادكم بالتزكية والتصفية حتى لا يحول بينكم وبينه فتحتجبوا وتتعذبوا بنيران الحرمان منه ان الله كان بكل شئ مما يخفى عليكم كامنا فى استعدادكم بالقوة عليما فيجيبكم بما يليق بكم كما قال تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه اى بلسان الاستعداد الذى ما دعاه احد به الا اجاب كما قال تعالى ادعونى استجب لكم انتهى وعلى هذا التأويل يكون قوله ولا تتمنوا نهيا ومنعا عن طلب المحال الذى فوق الاستعداد الازلى ويكون قوله واسألوا الله من فضله امرا وحثا على طلب الممكن الذى هو قدر استعدادكم كى لا تضيع فضيلة الانسانية فان بعض المقدورات قد يكون معلقا على الكسب فينبغى ان لا يتكاسل العبد فى العبادات وكسب الفضائل لينال الكمالات الكامنة فى خزانة الاستعداد ويسأل الله تعالى دائما من فضله فانه مجيب الدعوات وولى الهداية والرشاد فمن طلب شيأ وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج (قال مولانا جلال الدين قدس سره) چون در معنى زنى بازت كنند * پر فكرت زن كه شهبازت كنند * چون طلب كردى بجد آيد نظر * جد خطا نكند چنين آمد خبر * چون ز چاهى ميكنى هر روز خاك * عاقبت اندر رسى با آب پاك * كفت پيغمبر كه چون كوبى درى * عاقبت زان در برون آيد سرى * در طلب زن دائما تو هر درست * كه طلب در راه نيكو رهبرست (ولكل) اى لكل تركة ومال (جعلنا موالى) جمع مولى اى ورثة متفاوتة فى الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث (مما ترك الوالدان والاقربون) بيان لكل مع الفصل بالعامل وهو جعلنا لان لكل مفعول ثان له قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض والموالى هم اصحاب الفرائض والعصبات وغيرهما من الوراث ويجوز ان يكون المعنى ولكل قوم جعلناهم موالى اى وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالى صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق اى حظ منه (والذين عقدت ايمانكم) هم موالى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابى حنيفة اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا فهو مؤخر عن ذوى الارحام واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم حذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعنى قوله تعالى فآتوهم نصيبهم بالفاء اى حظهم من الميراث (ان الله كان على كل شئ) من الاشياء التى من جملتها الايتاء والمنع (شهيدا) اى شاهدا ففيه ترغيب على الاعطاء وتهديد على منع نصيبهم قال بعضهم المراد من الذين عقدت ايمانكم الحلفاء والمراد بقوله فآتوهم النصرة والنصيحة والمصافاة فى العشرة والمخالصة فى المخالطة فعلى كل احد ان ينصر اخاه المؤمن ويخالطه على وجه الخلوص والنصيحة لا على النفاق والعداوة قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى * بنى آدم اعضاى يكديكرند * كه در آفرينش زيك جوهرند * چو عضوى بدرد آورد روزكار * دكر عضوها را نماند قرار * تو كز محنت ديكران بى غمى * نشايد كه نامت نهند آدمى * فالواجب ان يحب المرء للناس ما يحب لنفسه من الخير وينصحهم فى ظاهر الامر فان النصيحة عماد الدين ويزيل ما يوجب التأذى عن ظاهرهم واعمالهم

بالموعظة

بالموعظة والزجر اى المنع عما لا يليق ويعاملهم بالرحمة والشفقة ولا يذكر احدا بما يكره فان ملكا وكل بالعبد يرد عليه ما يقول لصاحبه ولا يستبشر بمكروه احد كائنا من كان مكن شادمانى بمرك كسى * كه دهرت نماند پس از وى بسى * ويتودد الى الناس بالاحسان الى برهم وفاجرهم والى من هو اهل الاحسان والى من ليس باهل له ويتحمل الاذى منهم وبه يظهر جوهر الانسان تحمل چو زهرت نمايد نخست * ولى شهد كردد چو در طبع رست * ويجعل من شتمه او جفاه او آذاه ابتداء فى حل منه ولا يطمع فى السلامة من اذاهم فانه محال فان الله لم يقطع لسان الخلق عن نفسه فكيف يسلم مخلوق من مخلوق روى ان موسى عليه السلام قال الهى اسألك ان لا يقال لى ما ليس فى فاوحى الله اليه ما فعلت ذلك لنفسى فكيف افعل لك ويقوم بحاجات الناس ومهماتهم ففى الحديث من سعى فى حاجة لاخيه المسلم لله وله فيها صلاح فكانما خدم الله الف سنة وييسر على المعسر تيسيرا ويفرج عن المغموم فان الله تعالى فى عون العبد ما دام العبد فى عون اخيه المسلم وفى الحديث ان من موجبات المغفرة ادخال السرور على قلب اخيك المسلم قال الشيخ نجم الدين الكبرى فى قوله تعالى والذين عقدت ايمانكم يعنى الذين جرى بينكم وبينهم عقد الاخوة فى الله بان اخذتم بايمانكم ايمانهم بالارادة وصدق الالتجاء وتابوا على ايديكم فآتوهم بالنصح وحسن التربية والاهتمام بهم والقيام بمصالحهم على شرائط الشيخوخة والتسليك بهم نصيبهم الذى اودع الله تعالى لهم عندكم بعلمه وحكمته ان الله كان على كل شئ من الودائع ايما اودعه ولمن اودعه شهيدا يشهد عليهم يوم القيامة ان يخونوا فى اعطاء ودائعهم بالخيانة ويسألكم عنها ويشهد لكم بالامانة ويجازيكم عليها خير الجزاء انتهى فالكاملون لا يخونون فى الامانات بل يسلمون الودائع الى الارباب بحسب الاستعدادات ولا يفشون السر الى من ليس له اهلية فى هذا الباب والا يلزم الخيانة فى اسرار رب الارباب (قال مولانا جلال الدين الرومى) عارفانكه جام حق نوشيده اند * رازها دانسته و پوشيده اند * هر كرا اسرار كار آموختند * مهر كردند ودهانش دوختند * بر لبش قفلست ودر دل رازها * كوش آن كس نوشد اسرار جلال * كو چو سوسن صد زبان افتاد ولال * تا نكويد سر سلطانرا بكس * تا نريزد قند را پيش مكس * در خورد دريا نشد جز مرغ آب * فهم كن والله اعلم بالصواب (الرجال قوامون على النساء) قائمون بالامر بالمصالح والنهى عن القبائح قيام الولاة على الرعية مسلطون على تأديبهن وعلل ذلك بامرين وهبى وكسبى فقال (بما فضل الله بعضهم على بعض) الضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اى بسبب تفضيله الرجال على النساء بالحزم والعزم والقوة والفتوة والمير والرمى والحماسة والسماحة والتشمير لخطة الخطبة وكتيبة الكتابة وغيرها من المخايل المخيلة فى استدعاء الزيادة والشمائل الشاملة لجوامع السعادة (وبما انفقوا من اموالهم) اى وبسبب انفاقهم من اموالهم فى نكاحهن كالمهر والنفقة وهذا دل على وجوب نفقات الزوجات على الازواج روى ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضى الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير ورفع القصاص فلا قصاص فى اللطمة ونحوها والحكم فى النفس وما دونها مذكور فى الفروع (فالصالحات) منهن (قانتات) مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج (حافظات للغيب) اى لمواجب الغيب اى لما يجب عليهن حفظه فى حال غيبة الازواج من الفروج والاموال والبيوت وعن النبى صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية واضافة المال اليها للاشعار بان ماله فى حق التصرف فى حكم مالها (بما حفظ الله) ما مصدرية اى بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اى بالذى حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن (واللاتى تخافون نشوزهن) خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل فى القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اى تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم (فعظوهن) فانصحوهن بالترغيب والترهيب قال الامام ابو منصور العظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة وهى بتذكير العواقب (واهجروهن) بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة والهجر الترك عن قلى (فى المضاجع) اى فى المراقد

فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن جمع مضجع وهو موضع وضع الجنب للنوم (واضربوهن) ان لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران غير مبرح ولا شائن ولا كاسر ولا خادش فالامور الثلاثة مترتبة ينبغى ان يدرج فيها (فان اطعنكم) بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا (فلا تبغوا عليهن سبيلا) بالتوبيخ والاذية اى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (ان الله كان عليا) اى اعلى عليكم قدرة منكم عليهن (كبيرا) اى اعظم حكما عليكم منكم عليهن فاحذروا واعفوا عنهن اذا رجعن لانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن جنى عليكم اذا رجع قال فى الشرعة وشرحها اذا وقف واطلع من زوجته على فجور اى فسق او كذب او ميل الى الباطل فانه يطلقها الا ان لا يصبر عنها فيمسكها روى انه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لى امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها قال احبها قال امسكها خوفا عليه بانه ان طلقها اتبعها وفسد هو ايضا معها فرأى ما فى دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه اولى فلا بد للرجال من تحمل المكاره الا انه لا ينبغى للمرء ان يكون ديوثا كما قال بعض العارفين كر يز از كفش دردهان نهنك * كه مردن به از زندكانى به ننك * وكان بعض العلماء يقول التحمل على اذى واحد من المرأة احتمال فى الحقيقة من عشرين اذى منها مثلا فيه نجاة الولد من اللطمة ونجاة القدر من الكسر ونجاة الهل من الضرب ونجاة الهرة من الزجر اى المنع من اكل فضول الخوان وسقاطه والثوب من الحرق والضيف من الرحيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وقال ايضا ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وقال ايضا لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجه من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا قال النبى عليه السلام مخاطبا لعائشة رضى الله عنها ايما امرأة تؤذى زوجها بلسانها الا جعل الله لسانها يوم القيامة سبعين ذراعا ثم عقد خلف عنقها يا عائشة وايما امرأة تصلى لربها وتدعو لنفسها ثم تدعو لزوجها الا ضرب بصلاتها وجهها حتى تدعو لزوجها ثم تدعو لنفسها يا عائشة وايما امرأة جزعت على ميتها فوق ثلاثة ايام احبط الله عملها يا عائشة وايما امرأة ناحت على ميتها الا جعل الله لسانها سبعين ذراعا وجرت الى النار مع من تبعها يا عائشة ايما امرأة اصابتها مصيبة فلطمت وجهها او مزقت ثيابها الا كانت مع امرأة لوط ونوح فى النار وكانت آيسة من كل خير وكل شفاعة شافع يوم القيامة يا عائشة وايما امرأة زارت المقابر الا لعنها الله تعالى ولعنها كل رطب ويابس حتى ترجع فاذا رجعت الى منزلها كانت فى غضب الله ومقته الى الغد من ساعته فان ماتت من وقتها كانت من اهل النار يا عائشة اجتهدى ثم اجتهدى فانكن صواحبات يوسف وفاتنات داود ومخرجات آدم من الجنة وعاصيات نوح ولوط يا عائشة ما زال جبريل يوصينى فى امر النساء حتى ظننت انه سيحرم طلاقهن يا عائشة انا خصم كل امرأة يطلقها زوجها ثم قال يا عائشة وما من امرأة تحبل من زوجها حين تحبل الا ولها مثل اجر الصائم بالنهار والقائم بالليل والغازى فى سبيل الله يا عائشة ما من امرأة اتاها الطلق الا ولها بكل طلقة عتق نسمة وبكل رضعة عتق رقبة يا عائشة ايما امرأة خففت عن زوجها من مهرها الا كان لها من العمل حجة مبرورة وعمرة متقبلة وغفر لها ذنوبها كلها حديثها وقديمها سرها وعلانيتها عمدها وخطأها اولها وآخرها يا عائشة المرأة اذا كان لها زوج فصبرت على اذى زوجها فهى كالمتشحطة فى دمها فى سبيل الله وكانت من القانتات الذاكرات المسلمات المؤمنات التائبات كذا فى روضة العلماء وفيه تطويل قد اختصرته وحذفت بعضه والاشارة فى الاية ان الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء لان وجودهن تبع لوجودهم وهم الاصول وهن الفروع فكما ان الشجرة فرع الثمرة بانها خلقت منها فكذلك النساء خلقن من ضلوعهم فكما كان قيام حواء قبل خلقها وهى ضلع بادم عليه السلام وهو قوام عليها فكذلك الرجال على النساء بمصالح امور دينهن ودنياهن قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا واختص الرجال باستعدادية الكمالية للخلافة والنبوة فكان وجودهم الاصل ووجودهن تبعا لوجودهم للتوالد والتناسل قال عليه السلام كمل من الرجال كثير وما كمل من النساء الا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ومع هذا ما بلغ كمالهن الى حد يصلحن للخلافة او النبوة وانما كان كمالهن بالنسبة الى النسوة لا الى الرجال لانهن بالنسبة اليهم ناقصات عقل ودين

حتى

حتى قال فى عائشة رضى الله عنها مع فضلها على سائر النساء خذوا ثلثى دينكم من هذه الحميراء فهذا بالنسبة الى الرجال نقصان حيث لم يقل خذوا كال دينكم ولكن بالنسبة الى النساء كمال لانه على قاعدة قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين يكون حظ النساء من الدين الثلث فكمالها كان الثلثان بمثابة الذكور بمثل حظ الانثيين قال الفقير جامع هذه المجالس النفيسة مرد بايد تا كه اقدامى كند * در طريقت غيرت نامى كند * جون نه كامل زمردم مرزن * جون نه ادلبر مكواز حسن تن * زن كه كامل شد زمردان دست برد * مرد ناقص جون زن ناقص بمرد * (وان خفتم) اى علمتم او ظننتم ايها الحكام (شقاق بينهما) اى خلافا بين المرأة وزوجها ولا تدرون من قبل ايهما يقع النشوز والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الآخر واما لان كلا منهما فى شق الاخر قال ابن عباس رضى الله عنه والجزم بوجود الشقاق لا ينافى بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل (فابعثوا) اى الى الزوجين لاصلاح ذات البين (حكما) رجلا عادلا صالحا للحكومة والاصلاح (من اهله) من اهل الزوج (وحكما) آخر على صفة الاول (من اهلها) اى اهل الزوجة فان الاقارب اعرف ببواطن احوالهم واطلب للصلاح بينهم وانصح لهم واسكن لنفوسهم لان نفوس الزوجين تسكن اليهما وتبرز ما فى ضمائرهما من حب احدهما الاخر وبغضه (ان يريدا) اى الزوج والزوجة (اصلاحا) لهما اى ما بينهما من الشقاق (يوفق الله بينهما) يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة بحسن سعى الحكمين ويلقى فى نفوسهما المودة والرأفة وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه وفقه الله لما ابتغاه (ان الله كان عليما خبيرا) بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق وفى الاية حث على اصلاح ذات البين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وقال صلى الله عليه وسلم الا انما الدين النصيحة قالها ثلاثا قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المؤمنين ولعامتهم فالنصيحة لله تعالى ان تؤمن بالله ولا تشرك به شيأ وتعمل بما امر الله تعالى به وتنتهى عما نهى عنه وتدعو الناس الى ذلك وتدلهم عليه واما النصيحة لرسوله ان تعمل بسنته وتدعو الناس اليها واما النصيحة لكتابه ان تؤمن به وتتلوه وتعمل بما فيه وتدعو الناس اليه واما النصيحة للائمة ان لا تخرج عليهم بالسيف وتدعوهم بالعدل والانصاف وتدل الناس عليه واما النصيحة للعامة فهو ان تحب لهم ما تحب لنفسك وان تصلح بينهم ولا تجرهم وتدعوهم بالصلاح ولا شك ان المصلحين هم خيار الناس بخلاف المفسدين فانهم شرار الخلق اذهم يسعون فى الارض بالفساد والتفريق وايقاظ الفتنة دون ازالتها وقد ورد الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها * از ان همنشين تا توانى كريز * كه مر فتنه خفته را كفت خيز * ومن المفسدين من يوصل كلام احد الى احد فيه ما يسوءه ويحزنه فالعاقل لا يصغى الى مثل هذا القائل بدى در قفا عيب من كرد خفت * بتر زو قرينى كه آورد وكفت * يكى تيرى افكند ودر ره فتاد * وجودم نيازرد ورنجم نداد * تو برداشتى وآمدى سوى من * همى در نيوزى به پهلوى من * والاشارة فى الاية انه اذا وقع الخلاف بين الشيخ الواصل والمريد المتكاسل فابعثوا متوسطين احدهما من المشايخ المعتبرين والثانى من معتبرى السالكين لينظرا الى مقالهما ويحققا احوالهما ان يريدا اصلاحا بينهما بما رأيا فيه صلاحهما يوفق الله بينهما بالارادة وحسن التربية ان الله كان فى الازل عليما باحوالهما خبيرا بما آلهما فقدر لكل واحد منهما بما علمهما وبما لهما كذا فى تأويلات الشيخ العارف نجم الدين الكبرى قدس سره وقد عرف منه ان التهاجر والمخالفة تقع بين الكاملين كما بين عوام المؤمنين ولا يمنع اختلافهم الصورى اتفاقهم المعنوى وقد اقتضى الحكمة الالهية ذلك فلمثل هذا سر لا يعرفه عقول العامة (قال مولانا جلال الدين فى بيان اتحاد الاولياء والكاملين) كرازيشان مجتمع بينى دويار * هم يكى باشند وهم شش صد هزار * بر مثال موجها اعداد شان * در عدد آورده باشد بادشان * مؤمنان معدود وليك ايمان يكى * جسم شان معدود ليكن جان يكى * تفرقه در روح حيوانى بود * نفس واحد روح انسانى بود * والحاصل ان اهل الحق كلهم نفس واحدة والتفرقة بحسب البشرية والتخالف سبب لا ينافى توافقهم فى المعنى من كل وجه وجهة (واعبدوا الله) العبادة عبارة عن كل فعل وترك يؤتى به بمجرد امر الله تعالى بذلك وهذا يدخل فيه جميع اعمال القلوب وجميع اعمال الجوارح

(ولا تشركوا به شيأ) من الاشياء صنما اوغيره اوشيأ من الاشراك جليا وهو الكفر اوخفيا وهو الرياء (وبالوالدين احسانا) اى واحسنوا اليهما احسانا فالباء بمعنى الى كما فى قوله وقد احسن بى وبدأ بهما لان حقهما اعظم حقوق البشر فالاحسان اليهما بان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ولا يخشن فى الكلام معهما ويسعى فى تحصيل مطالبهما والانفاق عليهما بقدر القدرة (وبذى القربى) وبصاحب القرابة من اخ اوعم اوخال اونحو ذلك بصلة الرحم والمرحمة ان استغنوا والوصية وحسن الانفاق ان افتقروا (واليتامى) بانفاق ما هو اصلح لهم اوبالقيام على اموالهم ان كان وصيا (والمساكين) بالمبار والصدقات واطعام الطعام اوبالرد الجميل (والجار ذى القربى) اى الذى قرب جواره اوالذى له مع الجوار اتصال بنسب اودين قال عليه السلام والذى نفسى بيده لا يؤدى حق الجار الامن رحم الله وقليل ماهم اتدرون ما حق الجار ان افتقر اغنيته وان استقرض اقرضته وان اصابه خير هنأته وان اصابه شر عزيته وان مرض عدته وان مات شيعت جنازته (والجار الجنب) اى البعيد اوالذى لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد هو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب (والصاحب بالجنب) اى الرفيق فى امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك فى مسجد او مجلس اوغير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان (وابن السبيل) هو المسافر الذى سافر عن بلده وماله والاحسان بان تؤويه وتزوده اوهو الضيف الذى ينزل عليك وحقه ثلاثة ايام وما زاد على ذلك فهو صدقة ولا يحل له ان يقيم عنده حتى يحرجه (وما ملكت ايمانكم) من العبيد والاماء والاحسان اليهم بان يؤدبهم ولا يكلفهم ما لا طاقة لهم ولا يكثر العمل لهم طول النهار ولا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة حسنة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه قال بعضهم كل حيوان فهو مملوك والاحسان اليه بما يليق به طاعة عظيمة (ان الله لا يحب من كان مختالا) اى متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم (فخورا) بما لا يليق يتفاخر عليهم ولا يقوم بالحقوق ويقال فخورا فى نعم الله لا يشكر قال الله تعالى لموسى عليه السلام ياموسى انى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى وحدى لا شريك لى فمن لم يرض بقضائى ولم يشكر على نعمائى ولم يصبر على بلائى ولم يقنع بعطائى فليعبد ربا سواى ياموسى لولا من يسجد لى ما انزلت من السماء قطرة ولا انبت فى الارض شجرة ولولا من يعبدنى مخلصا لما امهلت من يجحدنى طرفة عين ولولا من يشكر نعمتى لحبست القطر فى الجو ياموسى لولا التائبون لخسفت بالمذنبين ولولا الصالحون لاهلكت الطالحين واعلم ان العبادة ان تعبد الله وحده بطريق اوامره ونواهيه ولا تعبد معه شيأ من الدنيا والعقبى فانك لو عبدت الله خوفا من شئ اوطمعا فى شئ فقد عبدت ذلك الشئ والعبودية طلب المولى بالمولى بترك الدنيا والعقبى والتسليم عند جريان القضاء شاكرا صابرا فى النعم والبلوى فلا بد من التوحيد الصرف وترك الشرك حتى يوصله الله الى مبتغاه (قال بعض العارفين) نقد هستى محو كن در لا اله ٭ تا ببينى دار ملك پادشاه ٭ غير حق هر ذره كان مقصود تست ٭ تيغ لا بركش كه آن معبود تست ٭ لا كه عرش وفرش را برمى درد ٭ از فنا سوى بقا ره ميبرد ٭ لا ترا از تو رهايى ميدهد ٭ با خدايت آشنايى ميدهد ٭ چون تو خود را از ميان برداشتى ٭ قصر ايما نرا درى افراشتى ٭ فاذا حصل المقصود ووصل العابد الى المعبود فحينئذ يصح منه بالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين الاية لان الاحسان من صفات الله تعالى كقوله تعالى الذى احسن كل شئ خلقه والاساءة من صفات الانسان لقوله ان النفس لامارة بالسوء فالعبد لا يصدر منه الاحسان الا ان يكون متخلقا باخلاق نفسه كما قال تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وفيه اشارة اخرى وهى ان شرط العبودية الاقبال على الله بالكلية والاعراض عما سواه ولا يصدر منه الاحسان الا اذا اتصف باخلاق الله حتى يخرج من عهدة العبودية بالوصول الى حضرة الربوبية فتفنى عنك به وتبقى به للوالدين وغيرهما محسنا لاحسانه بلا شرك ولا رياء فان الشرك والرياء من بقاء النفس ولهذا قال عقيب الاية ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا لان الاختيال والفخر من اوصاف النفس والله تعالى لا يحب النفس ولا اوصافها لان النفس لا تحب الله ولا المحبة من اوصافها فانها تحب الدنيا وزخارفها وما يوافق مقتضاها قال صلى الله عليه وسلم الشرك اخفى فى ابن آدم من دبيب

النملة على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ومن خدم مخلوقا خوفا من مضرته اوطمعا فى منفعته فقد اشرك عملا كه داند چو در بند حق نيستى ٭ اگر بى وضو در نماز ايستى ٭ بروى ريا خرقه سهلست دوخت ٭ گرش با خدا در توانى فروخت ٭ اگر جز بحق ميرود جاده ات ٭ در آتش فشانند سجاده ات ٭ قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا يعنى الاعمال التى عملوها لغير وجه الله ابطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس وجاء رجل الى النبى عليه السلام فقال يارسول الله انى اتصدق بالصدقة فالتمس بها وجه الله تعالى واحب ان يقال لى فيه خير فنزل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه يعنى من خاف المقام بين يدى الله تعالى ويريد ثوابه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا رزقنا الله واياكم الاخلاص (الذين يبخلون) بما منحوا به وهو مبتدأ خبره محذوف اى احقاء بكل ملامة (ويأمرون الناس بالبخل) به اى بما منحوا به عطف على ما قبله (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) اى من المال والغنى (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافرا بنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر (والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس) اى للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله وهو عطف على الذين يبخلون ورئاء الناس مفعول له وانما شاركهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق فيما لا ينبغى من حيث انه طرفا تفريط وافراط سواء فى القبح واستتباع الذم واللوم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) ليحوزوا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة المنفقون اموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) اى بئس الصاحب والمقارن الشيطان واعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم (وماذا عليهم) اى على من ذكر من الطوائف (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله) ابتغاء لوجه الله لان ذكر الايمان بالله واليوم الآخر يقتضى ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اى وما الذى عليهم فى الايمان بالله تعالى والانفاق فى سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى (وكان الله بهم) وباحوالهم المحققة (عليما) فهو وعيد لهم بالعقاب فقد اخبر الله تعالى بدناءة همة الاشقياء وقصور نظرهم وانهم يقنعون بقليل من الدنيا الدنية ويحرمون عن كثير من المقامات الاخروية السنية ولا ينفقونه فى طلب الحق ورضاه بل ينفقونه فيما لا ينبغى هر كه مقصودش از كرم آنست ٭ كه برارد بعالم آوازه ٭ باشد از مصر فضل وجود وكرم ٭ خانه او برون دروازه ٭ قال بعض الحكماء مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج الى السوق وملأ كيسه حصى فيقول الناس ما املأ كيس هذا الرجل ولا منفعة له سوى مقالة الناس ولو اراد ان يشترى به شيأ لا يعطى له شئ كذلك الذى عمل للرياء والسمعة قال حامد اللفاف اذا اراد الله هلاك امرء عاقبه بثلاثة اشياء اولها يرزقه العلم ويمنعه عن عمل العلماء والثانى يرزقه صحبة الصالحين ويمنعه عن معرفة حقوقهم والثالث يفتح عليه باب الطاعة ويمنعه الاخلاص وانما يكون ذلك المذكور لخبث نيته وسوء سريرته لان النية لو كانت صحيحة لرزقه الله منفعة العلم ومعرفة حقوقهم واخلاص العمل عبادت باخلاص نيت نكوست ٭ وگرنه چه آيد ز بى مغز پوست ٭ چو زنار مغ در ميانت چه دلق ٭ كه در پوشى از بهر پندار خلق ٭ فعلى الفتى ان يتخلص من الرياء فى انفاقه وفى كل اعماله ويكون سخيا لا شحيحا فان شكر المال انفاقه فى سبيل الله (قال الشيخ العطار قدس سره) توانگر كه ندارد پاس درويش ٭ ز دست غيرتش برجان رسد نيشت (ويناسبه ما قال الحافظ) گنج قارون كه فرو ميرود از قهر هنوز ٭ خوانده باشى كه هم از غيرت درويشانست ٭ واذا كان بخيلا ومع هذا امر الناس بالبخل يكون ذلك وزرا على وزر قال صاحب الكشاف ولقد رأينا ممن بلى بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد تشخص به وحل حبوته واضطرب وزاغت عيناه فى رأسه كانما نهب رحله وكسرت خزائنه ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده انتهى وهذا مشاهد فى كل زمان لا يعطون ويمنعون من يعطى ان قدروا والحاصل انهم يجتهدون فى منع

من قصد خيرا كبناء القناطر والجسور وحفر الآبار وسائر الخيرات وذلك لكمال دناءتهم وقصور نظرهم وعدم شكرهم واللئيم لا يفعل الا ما يناسب طبعه چو منعم كند سفله را روزكار * نهد بردل تنك درويش بار * چو بام بلندش بود خود پرست * كند بول وخاشاك بر بام پست (قال بشير بن الحارث النظر الى البخيل يقسى القلب فلا بد من مجانبة مجالسته وصحبته چونكه باشد مجاورت لازم * همجوار كريم بايد بود * كركنى با كسى مشاورة * آن مشاور حكيم بايد بود * ففى السخاء بركات فى الدين والدنيا والآخرة قيل ان مجوسيا تصدق بمائة دينار فرأى الشبلى ذلك فقال ما تنفعك هذه الصدقة فبكى المجوسى ونظر الى السماء فاذا رقعة وقعت عليه مكتوب فيها بخط اخضر

مكافاة السماحة دار خلد * وأمن من مخافة يوم بوس
وما نار بمحرقة جوادا * ولو كان الجواد من المجوس

يعنى الله تعالى يوفق السخى للايمان ان كان كافرا ولزيادة الطاعة والاخلاص فيها ان كان مؤمنا فيترقى الى الدرجات العلى ويليق بمشاهدة ربه الاعلى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) لا ينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب شيأ مقدار ذرة وهى النملة الصغيرة الحمراء التى لا تكاد ترى من صغرها او الصغير جدا من اجزاء التراب او ما يظهر من اجزاء الهباء المنبث الذى تراه فى البيت من ضوء الشمس وهو الانسب بمقام المبالغة وهذا نفى للظلم لانه اذا نفى القليل نفى الكثير لان القليل داخل فى الكثير (وان تك حسنة) اى وان يك مثقال الذرة حسنة انث الضمير لتأنيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال (يضاعفها) اى يضاعف ثوابها لان تضاعف نفس الحسنة بان يجعل الصلاة الواحدة صلاتين مما لا يعقل (ويؤت من لدنه) ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد فى مقابلة العمل (اجرا عظيما) عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه قال فى التيسير وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع انه سمى الدنيا وما فيها قليلا وسمى هذا الفضل عظيما روى انه يؤتى يوم القيامة بالعبد وينادى مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له اعط هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله لملائكته انظروا فى اعماله الصالحة فاعطوه منها فان بقى مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وادخله الجنة بفضله ورحمته والظاهر ان ذلك التضعيف يكون من جنس اللذات الموعود بها فى الجنة واما هذا الاجر العظيم الذى يؤتيه من لدنه فهو اللذة الحاصلة عند الرؤية وعند الاستغراق فى المحبة والمعرفة وانما خص هذا النوع بقوله من لدنه لان هذا النوع من الغبطة والسعادة والكمال لا ينال بالاعمال الجسدية بل انما ينال بما يودع الله فى جوهر النفس القدسية من الاشراق والصفاء والنور وبالجملة فذلك التضعيف اشارة الى السعادات الجسمانية وهذا الاجر العظيم اشارة الى السعادات الروحانية وورد فى الخبر الصحيح ان الله تعالى يقول للملائكة حين دخل اهل الجنة الجنة اطعموا اوليائى فيؤتى بالوان الاطعمة فيجدون لكل نعمة لذة غير ما يجدون للاخرى فاذا فرغوا من الطعام يقول الله تعالى اسقوا عبادى فيؤتى باشربة فيجدون لكل شربة لذة بخلاف الاخرى فاذا فرغوا يقول الله تعالى انا ربكم قد صدقتكم وعدى فاسألونى اعطكم قالوا ربنا نسألك رضوانك مرتين او ثلاثا فيقول رضيت عنكم ولدى المزيد فاليوم اكرمكم بكرامة اعظم من ذلك كله فيكشف الحجاب فينظرون اليه ما شاء الله فيخرون اليه سجدا فيكونون فى السجود ما شاء الله تعالى ثم يقول لهم ارفعوا رؤسكم ليس هذا موضع عبادة فينسون كل نعمة كانوا فيها ويكون النظر اليه احب اليهم من جميع النعم * جان بيجمال جانان ميل جهان ندارد * وانكس كه اين ندارد حقا كه آن ندارد * فيهب ريح من تحت العرش على تل من مسك اذفر فينشر المسك على رؤسهم ونواصى خيولهم فاذا رجعوا الى اهليهم يرون ازواجهم فى الحسن والبهاء افضل ما تركوهن ويقول لهم ازواجهم قد رجعتم احسن ما كنتم ومطمح نظر العارف الجنة المعنوية قال ابو يزيد البسطامى حلاوة المعرفة الالهية خير من جنة الفردوس واعلى عليين لو فتحوا الى الجنات الثمان واعطونى الدنيا والآخرة لم يقابل انينى وقت السحر طال انسى بالله وقال مالك بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا اطيب الاشياء قيل وما هو قال معرفة الله تعالى (قال جلال الدين قدس سره) اى خنك آنرا كه ذات خود شناخت * اندر امن سرمدى قصرى بساخت *

پس چو آهن كرچه تيره هيكلى * صيقلى كن صيقلى كن صيقلى * دفع كن از مغز از بينى زكام * تا كه ريح الله در آيد از مشام * هيچ مكذار از تب وصفرا اثر * تا بيابى در جهان طعم شكر * اوصلنا الله واياكم الى معرفته وادخلنا الجنة برحمته (فكيف) محلها النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال او الظرف اى فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم (اذا جئنا) يوم القيامة (من كل امة) من الامم (بشهيد) يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الافعال وهو نبيهم (وجئنا بك) احضرناك يا محمد (على هؤلاء) اشارة الى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر من قوله بشهيد (شهيدا) تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك لمجامع قواعدهم او اشارة الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما يشهد سائر الانبياء على اممهم (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول) بيان لحالهم التى اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف الخ وعصيان الرسول محمول على المعاصى المغايرة للكفر فلا يلزم عطف الشئ على نفسه اى يتمنى الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول والمراد الذين كفروا والذين عصوا الرسول (لو تسوى بهم الارض) لو بمعنى ان المصدرية والجملة مفعول يود اى يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى فتسوية الارض بهم كناية عن دفنهم او يودون انهم لم يبعثوا ولم يخلقوا وكانهم والارض سواء قال بعض الافاضل الباء للملابسة اى تسوى الارض ملتبسة بهم ولا حاجة الى الحمل على القلب لقلة الفرق بين تسويتهم بالارض والتراب وتسويتها بهم (ولا يكتمون الله حديثا) عطف على يود اى ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم او الواو للحال اى يودون ان يدفنوا فى الارض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فتقول ما جاءنا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وامته فيشهدون انه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم يدعى غيره من الانبياء عليهم السلام ثم ينادى كل انسان باسمه واحدا واحدا وتعرض اعمالهم على رب العزة قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها وذكر ابو حامد فى كتاب كشف علوم الآخرة ان هذا يكون بعد ما يحكم الله تعالى بين البهائم ويقتص للجماء من القرناء ويفصل بين الوحوش والطير ثم يقول لهم كونوا ترابا فتسوى بهم الارض فحينئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ويتمنى الكافر فيقول يا ليتنى كنت ترابا واعلم انه يعرض على النبى عليه السلام اعمال امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك يشهد عليهم وتعرض على الله يوم الخميس ويوم الاثنين وعلى الانبياء والآباء والامهات يوم الجمعة فتفكر يا اخى وان كنت شاهدا لا بانك مشهود عليك فى كل احوالك من فعالك ومقالك واعظم الشهود لديك المطلع عليك الذى لا يخفى عليه خائنة عين ولا يغيب عنه زمان ولا اين فاعمل عمل من يعلم انه راجع اليه وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير والقليل والكثير در خير بازست وطاعت وليك * نه هر كس تواناست بر فعل نيك * همه برك بودن همه ساختى * بتدبير رفتن نپرداختى * فلا تضيع ايامك فان ايامك رأس مالك وانك ما دمت على رأس مالك فانك قادر على طلب الربح لان بضاعة الآخرة كاسدة فى يومك هذا فاجتهد حتى تجمع بضاعة الآخرة فى وقت الكساد فانما يجيئ يوم تصير هذه البضاعة عزيزة فاكثر منها فى يوم الكساد ليوم العزة فانك لا تقدر على طلبها فى ذلك اليوم روى ان الموتى يتمنون ان يؤذن لهم بان يصلوا ركعتين او يؤذن لهم ان يقولوا مرة واحدة لا اله الا الله او يؤذن لهم فى تسبيحة واحدة فلا يؤذن لهم ويتعجبون من الاحياء انهم يضيعون ايامهم فى الغفلة مهلكه عمر به بيهوده بكذرد حافظ * بكوش حاصل عمر عزيز را دريا * قال القاشانى فى قوله تعالى فكيف اذا جئنا الشهيد والشاهد ما يحضر كل احد مما يبلغه من الدرجة وهو الغالب عليه فهو يكشف عن حاله وعمله وسعيه ومبلغ جهده مقاما كان او صفة من صفات الحق او رأيا فلكل امة شهيد بحسب ما دعاهم اليه نبيهم وعرفه اليهم ولم يبعث الا بحسب ما يقتضيه استعداد امته فما دعاهم الا الى ما يطلب استعدادهم مما وصل اليه النبى من مقامه فى المعرفة فلا يعرف احد باطن امرهم وما هم عليه من احوالهم كنبيهم ولذلك جعل كل نبى شهيدا على امته وقد ورد فى الحديث ان الله يتجلى لعباده فى صورة معتقدهم فيعرفه كل واحد

من اهل الملل والمذاهب ثم يتحول عن تلك الصورة فيبرز فى صورة اخرى فلا يعرفه الا الموحدون الواصلون
الى حضرة الاحدية من كل باب وكما ان لكل امة شهيدا فلكل اهل مذهب شهيد ولكل احد شهيد يكشف
عن حال مشهوده واما المحمديون فهم شهدآء على الامم ونبيهم شهيد عليهم لكونهم من الامم ولكون نبيهم حبيبا
مؤتى بجوامع الكلم متمما لمكارم الاخلاق فلا جرم يعرفون الله عند التحول فى جميع الصور اذا تابعوا نبيهم
حق المتابعة ونبيهم يشهدهم ويعرف احوالهم انتهى بعبارته جعلنا الله واياكم من الكاملين الواصلين الى حق
اليقين (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) روى ان عبد الرحمن بن عوف
صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من افاضل الصحابة رضى الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا
فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا احدهم ليصلى بهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون
وانتم عابدون ما اعبد الى آخرها بطرح اللاءات فنزلت فكانوا لا يشربون فى اوقات الصلاة فاذا صلوا العشاء
شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها وتوجيه النهى الى قربان الصلاة
مع ان المراد هو النهى عن اقامتها للمبالغة فى ذلك قال فى التيسير ثم النهى ليس عن عين الصلاة فانها عبادة
فلا ينهى عنها بل هى نهى اكتساب السكر الذى يعجزه عن الصلاة على الوجه قال الامام ابو منصور رحمه الله
وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة للعبد الآبق ولا للمرأة الناشزة ليس فيه النهى عن الصلاة
لكن النهى عن الاباق والنشوز وهذا لان الاباق والنشوز والسكر ليست بالتى تعمل فى اسقاط الفرض فالمعنى
لا تقيموها حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولون اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤنه فى الصلاة
والسكر اسم لحالة تعرض بين المرء وعقله واكثر ما يكون من الشراب وقد يكون من العشق والنوم والغضب
والخوف لكنه حقيقة فى الاول فيحمل عليه هنا والسكارى جمع سكران كالكسالى جمع كسلان واجمعوا على
انه لا يجوز بيع السكران وشرآؤه ويؤاخذ بالاستهلاكات والقتل والحدود وصح طلاقه وعتاقه عقوبة له عندنا
خلافا للشافعى (ولا جنبا) عطف على قوله وانتم سكارى فانه فى حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى
ولا جنبا والجنب من اصابته الجنابة يستوى فيه المؤنث والمذكر والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر واصل
الجنابة البعد والجنب مبعد عن القرآءة والصلاة وموضعها (الا عابرى سبيل) استثناء مفرغ من اعم الاحوال
محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقيده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه النهى
اى لا تقربوا الصلاة جنبا فى حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين فتعذرون بالسفر فتصلون بالتيمم
(حتى تغتسلوا) غاية للنهى عن قربان الصلاة حالة الجنابة وفى الاية الكريمة اشارة الى ان المصلى حقه ان يتحرز
عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكى نفسه عما يدنسها ولا يكتفى بادنى مراتب التزكية عند امكان اعاليها (وان كنتم
مرضى) جمع مريض والمرض على ثلاثة اقسام احدها ان يكون بحيث لو استعمل الماء لمات كما فى الجدرى
الشديد والقروح العظيمة وثانيها ان لا يموت باستعمال الماء ولكنه يجد الالام العظيمة ويشتد مرضه او يمتد
وثالثها ان لا يخاف الموت ولا الالام الشديدة لكنه يخاف بقاء شين او عيب فى البدن فالفقهاء جوزوا التيمم
فى القسمين الاولين وما جوزوه فى القسم الثالث (او على سفر) عطف على مرضى اى وكنتم على سفر ما طال
او قصر وايراده مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعى عليه وبيان كيفيته وتعليق التيمم بالمرض
والسفر مع ان الحكم كذلك فى كل موضع تحقق العجز حتى قال ابو حنيفة يجوز التيمم للجنابة فى المصر اذا عدم
الماء الحار لان العجز عن استعمال الماء يقع فيها غالبا (او جاء احد منكم من الغائط) وهو المكان المنخفض المطمئن
والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليوارى شخصه عن اعين الناس (او لامستم
النساء) اى جامعتموهن يعنى اذا اصابكم المرض او السفر او الحدث او الجنابة (فلم تجدوا ماء) اى لم تقدروا على
استعماله لعدمه او لبعده او لفقد آلة الوصول اليه من الدلو والرشاء او المانع عنه من حية او سبع او عدو
(فتيمموا صعيدا طيبا) فاقصدوا شيأ من وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره
وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابى حنيفة رحمه الله
(فامسحوا بوجوهكم وايديكم) الى المرفقين لما روى انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه
بدل من الوضوء فيتقدر بقدره والباء زآئدة اى فامسحوا وجوهكم وايديكم (منه) اى من الصعيد

(ان الله كان عفوا غفورا) تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخاطئين
ويغفر للمذنبين لا بد من ان يكون ميسرا لا معسرا والاشارة ان الصلاة معراج المؤمن وميقات مناجاته
والمصلى هو الذى يناجى ربه يعنى يا مدعى الايمان لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى اى لا تجدوا القربة فى الصلاة
وانتم سكارى من الغفلات وتتبع الشهوات لان كل ما اوجب للقلب الذهول عن الله فهو ملتحق بالسكر
ومن اجله جعل السكر على اقسام فسكر من الخمر وسكر من الغفلة لاستيلاء حب الدنيا واصعب السكر سكرك
من نفسك فان من سكر من الخمر فقضاؤه الحرقة ومن سكر من نفسه ففى الوقت على الحقيقة له القطيعة والفرقة
اى اسير تنك نام خويشتن * بستهٔ خود را بدام خويشتن * ور نكنجى با خود اندر كوى او *
كم شو از خود تا بيابى كوى او * تا تو نزديك خودى زين حرف دور * غائبى يابى اكر خواهى حضور *
تا تو از غفلت چو باده مست شدى * لا جرم از طور وصلت پست شدى * حتى تعلموا ما تقولون ولماذا
تقولون كما تقولون الله اكبر لتكبيرة الاحرام عند رفع اليدين ومعناه الله اعظم واجل من كل شئ فان كنت
تعلم عند التقول به فينبغى ان لا يكون فى تلك الحالة فى قلبك عظمة شئ آخر وامارة ذلك ان لا تجد ذكر شئ
فى قلبك مع ذكره تعالى ولا محبة شئ مع محبته ولا طلب شئ مع طلبه فانه تبارك وتعالى واحد لا يقبل الشركة
فى جميع صفاته والا كنت كاذبا فى قولك الله اكبر بالنسبة الى حالك وكنت كالسكران لا تجد القربة من صلاتك
لان القربة مشروطة بشرط السجود كما خوطب به واسجد واقترب والسجود ان تنزل من مركب اوصاف
وجودك لتحمل على رفرف جوده الى قاب قوسين اوصاف وجوده لشهود جماله وجلاله وهذا هو سر التشهد
بعد السجود ثم قال ولا جنبا الا عابرى سبيل يعنى كما لا تجدون القربة وانتم سكارى من الغفلات ايضا
لا تجدونها مع جنابة استحقاق البعد وهى ملابسة الدنيا الدنية الا على طريق العبور بقدم ظاهر الشرع
فى سبيل الاوامر والنواهى كعبور طريق الاعتداد بالمطعم والمشرب لسد الرمق وحفظ القوة والاكتساء
لدفع الحر والبرد وستر العورة والمباشرة لحفظ النسل حتى تغتسلوا بماء القربة والانابة وصدق الطلب وحسن
الارادة وخلوص النية من جنابة ملامسة الدنيا وشهواتها وان كنتم مرضى بانحراف مزاج القلب فى طلب
الحق او على سفر التردد بين طلب الدنيا وطلب العقبى والمولى او جاء احد منكم من الغائط من غائط تتبع الهوى
او لامستم النساء اى لابستم الاشغال الدنيوية فاجنبتم وتباعدتم عن الله بعدما كنتم مجاورى حظائر القدس
ووقعتم فى رياض الانس فلم تجدوا ماء صدق الانابة والرجوع الى الحق بالاعراض والانقطاع عن الخلق
فتيمموا صعيدا طيبا وهو تراب اقدام الرجال الطيبين من سوء الاخلاق والاعمال فامسحوا بوجوهكم تراب
اقدامهم وتمسكوا بايديكم اذيال كرمهم مستسلمين بصدق الارادة لاحكامهم ان الله كان عفوا يعفو عنكم
التعصب وعدم الانقطاع اليه بالكلية ولعله يعفو عنكم التلوث بالدنيا الدنية بهذه الخصلة المرضية غفورا لكم آثار
الشقوة من غبار الشهوة فانهم يسعد بهم لانهم قوم لا يشقى بهم جليسهم * كليد كنج سعادت قبول
اهل دلست * مبادكس كه درين نكته شك وريب كند * شبان وادئ ايمن كهى رسد بمراد * كه چند
سال بجان خدمت شعيب كند (الم تر) الخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين والرؤية بصرية لشهرة
شنائع الموصولين حتى انتظمت فى سلك الامور المشاهدة (الى الذين اوتوا نصيبا) حظا كائنا (من الكتاب)
من علم الكتاب وهو التوراة والمراد بهم احبار اليهود اى الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان تشاهدهم وتتعجب
من احوالهم نزلت فى حبرين من احبار اليهود كانا يأتيان رئيس المنافقين عبد الله بن ابى ورهطه يثبطانهم عن
الاسلام (يشترون الضلالة) كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه
من الهداية (ويريدون) اى لا يكتفون بضلالة انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم
(ان تضلوا) انتم ايضا ايها المؤمنون (السبيل) المستقيم الموصل الى الحق وانما ارادوا ذلك ليكون الناس كلهم
على دينهم فتكون لهم الرياسة على الكل واخذ المرافق من الكل (والله اعلم) اى منكم (باعدائكم) جميعا
ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون لكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم او هو اعلم
بحالهم ومآل امرهم (وكفى بالله) الباء مزيدة (وليا) متكفلا فى جميع اموركم ومصالحكم او محبا لكم
(وكفى بالله نصيرا) فى كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره او لا تبالوا بهم وبما يسومونكم

من السوء فانه تعالى معين يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والاشارة ان من رزق شيأ من علم الكتاب ظاهرا ولم يرزق اسراره وحقائقه وهم علماء السوء المداهنون فى دين الله حرصا على الدنيا وطمعا فى المال والجاه وحبا للرياسة والقبول يشترون الضلالة وهى المداهنة واتباع الهوى فيبيعون الدين بالدنيا ويريدون ان تضلوا السبيل يا معشر العلماء الاتقياء وورثة الانبياء وطلاب الحق من بين الخلق عن سبيل الحق بما يحسدونكم وينكرون عليكم ويلومونكم ويؤذونكم بطريق النصح واظهار المحبة والله اعلم باعدائكم فلا تقبلوا نصيحتهم فيما يقطعون عليكم طريق الحق ويردونكم عن الله بالتحريض على طلب غير الله ورعاية حق غير الله واطيعوا امر الله تعالى فيما امركم به واعلم انك لا ترى حالا اسوء ولا اقبح ممن جمع بين هذين الامرين اعنى الضلال والاضلال واكثر ما يكونان فى العلماء يطمعون فيما بين ايدى الخلق فيداهنون فيضلون فسبب زوال المداهنة قطع الطمع روى عن بعض المشايخ انه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب فى جواره كل يوم شيأ من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكرا فدخل واخرج السنور اولا ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا اعطيك بعد اليوم لسنورك شيأ فقال ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك فهو كما قال فمن طمع فى ان تكون قلوب الناس عليه طيبة لم يتيسر له الحسبة فعلى العاقل ان يزكى نفسه عن الاخلاق الرديئة ويطهرها عن الخصال الذميمة * چون طهارت نبود كعبه وبتخانه يكيست * نبود خير در آن خانه كه عصمت نبود (من الذين هادوا) خبر مبتدأ محذوف اى من الذين هادوا قوم (يحرفون الكلم عن مواضعه) الكلم اسم جنس ولذا ذكر الضمير فى مواضعه وجمع المواضع لتكرره فى التوراة فى مواضع بحسب الجنس اى يزيلون لانهم لما غيروه ووضعوا مكانه غيره فقد ازالوه عن مواضعه التى وضعه الله فيها واما لوه عنها والتحريف نوعان احدهما صرف الكلام الى غير المراد بضرب من التأويل الباطل كما يفعل اهل البدعة فى زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم والثانى تبديل الكلمة باخرى وكانوا يفعلون ذلك نحو تحريفهم فى نعت النبى صلى الله عليه وسلم اسمر ربعة عن موضعه فى التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله (ويقولون) فى كل امر مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبى عليه السلام اولا بلسان المقال والحال (سمعنا) قولك (وعصينا) امرك عنادا وتحقيقا للمخالفة (واسمع) اى قولنا (غير مسمع) حال من المخاطب وهو كلام ذو وجهين احدهما المدح بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها والثانى الذم بان يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت اى مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع فكانهم قالوا ذلك تمنيا لاجابة دعوتهم عليه كانوا يخاطبون به النبى عليه السلام مظهرين له ارادة المعنى الاول وهم مضمرون فى انفسهم ان المعنى الاخير مطمئنون به (وراعنا) كلمة ذات جهتين ايضا محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا وانتظرنا واصرف سمعك الى كلامنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اى الحمق او باجرائها مجرى شبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهى راعنا كانوا يخاطبون به صلى الله عليه وسلم ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء حشمة منه عليه السلام وخوفا من بطش المؤمنين (ليا بألسنتهم) انتصابه على العلية اى يقولون ذلك للفتل بها وصرف الكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا اوفتلا بها وضما لما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير (وطعنا فى الدين) اى قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية (ولو انهم) عند ما سمعوا شيأ من اوامر الله ونواهيه (قالوا) بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا (سمعنا واطعنا) بدل قولهم واسمع غير مسمع (واسمع) ولا يلحقون به غير مسمع وبدل قولهم راعنا (وانظرنا) ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اى لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال (لكان) قولهم ذلك (خيرا لهم) مما قالوا (واقوم) اى اعدل واسد فى نفسه واصوب من القيم اى المستقيم قالوا لما لم يكن فى الذى اختاروه خير اصلا فلم جعل هذا خيرا من ذلك وجوابه انه كذلك على زعمهم فخوطبوا على ذلك وهو كقوله آلله خير اما يشركون (ولكن لعنهم الله بكفرهم) اى ولكن قالوا ذلك

واستمروا على كفرهم فخذلهم الله وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك (فلا يؤمنون) بعد ذلك (الا قليلا) استثناء من ضمير المفعول فى لعنهم اى ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما وهو استثناء من ضمير لا يؤمنون اى لا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بموسى وكفرهم بمحمد عليهما السلام والاشارة ان العلماء السوء من هذه الامة يحرفون الكلم عن مواضعه بالفعال لا بالمقال كما كان اهل الكتاب يحرفونه بالمقال ويقولون سمعنا بالمقال فيما امر الله به من ترك الدنيا وزينتها واتباع الهوى ومن ايثار الآخرة على الاولى والانقطاع عن الخلق فى طلب المولى وعصينا بالفعال اذ لا يشمون روائح هذه المعاملات ولا يدورون حول هذه المقامات وينكرون على اهل هذه الكرامات ويستهزئون بانواع المقالات فلا يؤمنون بالقلوب السليمة الا قليلا منهم بان تكفروا بهوى نفوسهم ويؤمنوا بالايمان الحقيقى الذى هو من نتائج الارادة والصدق فى طلب الحق والاخلاص فى العمل لله وترك الدنيا وزخارفها بل بذل الوجود فى طلب المعبود (قال العطار) حشو مغرور اين نطق مزور * بنادانى مكن خودرا توسرور * اكر علم همه عالم بخوانى * چو بى عشقى از وحرفى ندانى * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لا يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة اى ريحها قال الشيخ الشاذلى العلم النافع هو الذى يستعان به على طاعة الله ويلزمك المخافة من الله والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه العلوم كالدنانير والدراهم ان شاء نفعك بها وان شاء اضرك معها والعلم ان قارنته الخشية فلك اجره وثوابه وحصول النفع به والا فعليك وزره وعقابه وقيام الحجة به وعلامة خشية الله ترك الدنيا والخلق ومحاربة النفس والشيطان (قال الشيخ السعدى قدس سره) دعوى كنى كه برترم از ديكران بعلم * چون كبر كردى از همه دونان فروترى * شاخ درخت علم ندانم بجز عمل * تا علم با عمل نكنى شاخ بى برى * علم آدميتست وجوانمردى وادب * ورنه ددى بصورت انسان برابرى * ترك هواست كشتى دريای معرفت * عارف بذات شو نه بدين قلندرى * هر علم را كه كار نه بندى چه فائده * چشم از براى آن بود آخر كه بنكرى (يا ايها الذين اوتوا الكتاب) اى التوراة (آمنوا بما نزلنا) من القرآن حال كونه (مصدقا لما معكم) من التوراة ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها فى القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها فى جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم بالاعصار فليست بمخالفة فى الحقيقة بل هى عين الموافقة من حيث ان كلا منهما حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التى عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم تنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى (من قبل ان نطمس وجوها) الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اى آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها من عين وحاجب وانف وفم (فنردها على ادبارها) فنجعلها على هيئة ادبارها وهى الاقفاء مطموسة مثلها وهذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنه نجعلها كخف البعير وحافر الدابة فتكون الفاء للتسبيب اى بان نردها على ادبارها او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر طمسها ثم ردها على ادبارها (او نلعنهم) او نخزى اصحاب الوجوه بالمسخ (كما لعنا اصحاب السبت) مسخناهم قردة وخنازير ووقوع الوعيد مشروط بالايمان ومعلق به وجودا وعدما يعنى ان وجد منهم الايمان لم يقع والا وقع وقد وجد الايمان منهم حيث آمن ناس منهم فلم يقع الوعيد (وكان امر الله) اى عذابه (مفعولا) كائنا لا محالة وهذا وعيد شديد لهم يعنى انتم تعلمون انه كان تهديد الله فى الامم السالفة واقعا لا محالة فكونوا على حذر من هذا الوعيد وارجعوا عن الكفر الى الايمان والاقرار بالتوبة والاستغفار اعلم ان المسخ قد وقع فى هذه الامة ايضا ومنه ما روى عن ابى علقمة انه قال كنت فى قافلة عظيمة فاترنا رجلا ترتحل باحره وتنزل باحره فنزلنا منزلا وهو يشتم ابا بكر وعمر فقلنا له فى ذلك فلم يجب الينا بشئ فلما اصبحنا واوقرنا واصلحنا الراحلة لم ينادمناديه فجئناه ننظر ما حاله وما يصنع فاذا هو متربع وقد غطى رجليه بكساء له فكشفناه عنهما فاذا قد صار رجلاه كرجل الخنازير فهيأنا راحلته وحملناه اليها فوثب من راحلته وقام برجليه وصاح ثلاث مرات

صحبة الخنازير واختلط بالخنازير وصار خنزيرا حتى لا يعرفه منا احد كذا فى روضة العلماء وروى ان واحدا من
رواة الاحاديث تحول رأسه رأس حمار لانكاره وقوع مضمون حديث صحيح ورد فى حق المقتدى بالامام الرافع
رأسه قبله اوواضعه وحاصل الحديث ان من رفع رأسه قبل الامام اووضعه كيف لا يخاف من ان يصير رأسه
رأس حمار فوقع فيما وقع وهذا هو مسخ الصورة ومسخ المعنى اشد واصعب منه فان اعمى الصورة مثلا يمكن
ان يكون فى الآخرة بصيرا ولكن من كان فى هذه اعمى يعنى بالقلب فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا وفضوح
الدنيا اهون من فضوح الآخرة فعلى السالك ان يجتهد حتى لا يرد وجهه الناطق الى الله تعالى على الدنيا واتباع
الهوى ولا يمسخ صفاته الانسانية بالسبعية والشيطانية (قال الشيخ السعدى) بانوترسم نشود شاهد روحانى
دوست * كالتماس نو بجز عالم جسمانى نيست * سعى كن تازمقام حيوان دركذرى * كاهنست
آينه مادامكه نورانى نيست * خفته كانراجه خبرز مزمه مرغ سحر * حيوانرا خبراز عالم انسانى نيست *
قال الامام فى تفسير الآية وتحقيق القول فيها ان الانسان فى مبدأ خلقته الف هذا العالم المحسوس ثم انه
عند الفكر والعبودية كأنه يسافر من عالم المحسوسات الى عالم المعقولات فقدامه عالم المعقولات ووراءه عالم
المحسوسات فالمخذول هو الذى يرد من قدامه الى خلفه كما قال تعالى فى وصفهم ناكسوا رؤسهم انتهى فنعوذ
بالله من الحور بعد الكور ومن الشر بعد الخير عن عبد الله بن احمد المؤذن قال كنت اطوف حول البيت
واذا انا برجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول اللهم اخرجنى من الدنيا مسلما لا يزيد على ذلك شيأ فقلت
له لم لا تزيد على هذا الدعاء فقال لو علمت قصتى كنت تعذرنى فقلت وما قصتك قال كان لى اخوان وكان الاكبر
منهما مؤذنا اذن اربعين سنة احتسابا فلما حضره الموت دعا بالمصحف فظننا ان يتبرك به فاخذه بيده واشهد على
نفسه من حضر انه برئ مما فيه ثم تحول الى دين النصرانية فمات نصرانيا فلما دفن اذن الآخر ثلاثين سنة فلما
حضره الموت فعل كما فعل الآخر فمات على النصرانية وانى اخاف على نفسى ان اصير مثلهما فادعو الله تعالى
ان يحفظ على دينى فقلت ما كان دينهما فقال كانا يتبعان عورات النساء وينظران الى المردان فهذا من آثار
الرد واللعن والمسخ فنسأل الله تعالى ان يوفقنا لتزكية النفس واصلاحها ويختم عاقبتنا بالخير خدايا بحب بنى
فاطمه * كه بر قول ايمان كنم خاتمه (ان الله لا يغفر ان يشرك به) اى لا يغفر الكفر ممن اتصف به بلا توبة
وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدى الى فتحه ولان ظلمات
الكفر والمعاصى انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شئ من الكفر والمعاصى (ويغفر ما دون ذلك)
اى ويغفر ما دون الشرك فى القبح من المعاصى صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها
لكن لا لكل احد بل (لمن يشاء) ان يغفر له ممن اتصف به فقط اى لا بما فوقه قال شيخنا السيد الثانى سمى جامع
القرآن وهم المؤمنون الذين اتقوا من الاشراك بالله تعالى فيغفر لهم ما دون الاشراك من الصغائر والكبائر
لعدم اشراكهم به ولا يغفر للمشركين ما دون الاشراك ايضا لاشراكهم به فكما ان اشراكهم لا يغفر فكذلك
ما دون اشراكهم لا يغفر بخلاف المؤمنين فانه تعالى كما وقاهم من عذاب الاشراك بحفظهم عنه كذلك
وقاهم من عذاب ما دونه بمغفرته لهم (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) اى من افترى واختلق مرتكبا
اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا وهذه الآية من اجل الآيات التى كانت
خيرا لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وما غربت واعظمها لانها تؤذن بان ما دون الشرك من الذنب مغفور
بحسب المشيئة والوعد المعلق بالمشيئة من الكريم محقق الانجاز خصوصا لعباده الموحدين المخلصين من
المحمديين كما قال لهم ان الله يغفر الذنوب جميعا روى ان وحشيا قاتل حمزة عم النبى عليه السلام كتب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم انى اريد ان اسلم ولكن يمنعنى من الاسلام آية فى القرآن نزلت عليك وهو قوله تعالى
والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون وانى قد فعلت هذه الاشياء
الثلاثة فهل لى من توبة فنزلت هذه الآية الا من تاب وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
فكتب بذلك الى وحشى فكتب ان فى الآية شرطا وهو العمل الصالح فلا ادرى انا اقدر على العمل الصالح ام لا
فنزل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكتب بذلك الى وحشى فكتب اليه ان فى الآية
شرطا فلا ادرى ايشاء ان يغفر لى ام لا فنزل قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا

من

من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فكتب الى وحشى فلم يجد الشرط فقدم الى المدينة واسلم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مات ولم يشرك بالله شيأ دخل الجنة ورأى ابو العباس شريح فى مرض موته كأن
القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه وتعالى يقول اين العلماء فجاؤا فقال ماذا عملتم فيما علمتم فقلنا يا رب قصرنا
واسأنا فاعاد السؤال فكأنه لم يرض به واراد جوابا آخر فقلت اما انا فليس فى صحيفتى شرك وقد وعدت ان تغفر
ما دونه فقال الله تعالى اذهبوا فقد غفرت لكم ومات شريح بعده بثلاث ليال وهذا من حسن الظن بالله تعالى
كنونت كه چشمست اشكى ببار * زبان در دهانست عذرى بيار * كنون بايدت عذر تقصير كفت *
نه چون نفس ناطق ز كفتن بخفت * غنيمت شمار اين كرامى نفس * كه بى مرغ قيمت ندارد قفس *
واعلم ان للشرك مراتب وللمغفرة مراتب فمراتب الشرك ثلاث الجلى والخفى والاخفى وكذلك مراتب المغفرة
فالشرك الجلى بالاعيان وهو للعوام وذلك بان يعبد شئ من دون الله تعالى كالاصنام والكواكب وغيرها
فلا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية فى اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية والشرك الخفى بالاوصاف
وهو للخواص وذلك شوب العبودية بالالتفات الى غير الربوبية فى العبادة كالدنيا والهوى وما سوى المولى
فلا يغفر الا بالوحدانية وهى افراد الواحد للواحد بالواحد والشرك الاخفى وهو للاخص وذلك رؤية الاغيار
والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهى فناء الناسوتية فى بقاء اللاهوتية ليبقى بالهوية دون الانانية فان الله لا يغفر
بمراتب المغفرة ان يشرك به بمراتب الشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اى لمن يشاء المغفرة فيستغفر الله تعالى
من مراتب الشرك فيغفر له بمراتب المغفرة ومن يشرك بالله بمراتب الشرك فقد افترى اثما عظيما اى جعل بينه
وبين الله حجابا من اثبات وجود الاشياء وانانيته وهى اعظم الحجب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب
* نيستى چولانكه اهل دلست * شاهراه عاشقان كاملست * چون وجودت محو
كردى ازميان * نور وحدت چشم دل راشد عيان * شرك رهزن باشد اى دل درطريق *
ذكر توفيق خدارا كن رفيق (ألم تر الى الذين يزكون انفسهم) خطاب للنبى عليه السلام على وجه التعجيب
اى ألم تنظر الى اليهود الذين يطهرون نفوسهم عن الذنوب والسنتهم ولم يزكوها حقيقة بقولهم نحن ابناء الله
واحباؤه وبقولهم نحن كالاولاد الصغار فهل علينا ذنب اى انظر اليهم وتعجب من حالهم وادعائهم انهم ازكياء
عند الله مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم واللفظ عام يشتمل كل من زكى نفسه ووصفها بزيادة التقوى
والطاعة والزلفى عند الله ففيه تحذير من اعجاب المرء بعمله (بل الله) يعنى هم لا يزكونها فى الحقيقة لكذبهم
وبطلان اعتقادهم بل الله (يزكى من يشاء) تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين فانه
العالم بما ينطوى عليه الانسان من حسن وقبيح وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح (ولا يظلمون)
اى يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون فى ذلك العقاب (فتيلا) اى ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذى
فى شق النواة يضرب به المثل فى القلة والحقارة والظلم فى حق المعاقب الزيادة على حقه وفى حق المثاب النقصان
منه (انظر كيف) اى فى اى حال او على اى حال (يفترون على الله الكذب) فى زعمهم انهم ابناء الله
وازكياء عنده والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة فى تقبيح حالهم (وكفى به) اى
بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم
العظام (اثما مبينا) ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى بذلك وحده فى كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم ولو لم يكن
لهم من الذنوب الا هذا الافتراء لكان اثما عظيما ونصب اثما مبينا على التمييز قال الامام ابو منصور رحمه الله
قول الرجل انا مؤمن ليس بتزكية النفس بل اخبار عن شئ اكرم به وانما التزكية ان يرى نفسه تقيا صالحا
ويمدح به قال السرى قدس سره من تزين للناس بما ليس فيه سقط عن عين الله تعالى فيجب على العبد المؤمن
ان يمتنع عن مدح نفسه الا يرى الى قوله عليه السلام انا سيد ولد آدم كيف عقبه بقوله ولا فخر اى لست اقول
هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم لان افتخاره عليه السلام كان بالله وتقربه من الله لا بكونه
مقدما على اولاد آدم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يكون بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقديمه على بعض
رعاياه * اكر مردى ازمردئ خود مكوى * نه هر شهسوارى بدر برد كوى * كنهكار انديشناك
ازخدا * بسى بهتر از عابد خودنماى * اكر مشك خالص ندارى مكوى * وكرهست خود فاش

كرده بوى (ونعم ماقيل) جو زخالى درميان جوزها * مى نمايد خويشتن را ازصدا * والاشارة فى الآيتين ان الذين يزكون انفسهم من اهل العلوم الظاهرة بالعلم ويباهون به العلماء ويمارون به السفهاء لاتتزكى انفسهم بمجرد تعلم العلم بل تزيد صفاتهم المذمومة مثل المباهاة والمماراة والمجادلة والمفاخرة والكبر والعجب والحسد والرياء وحب الجاه والرياسة وطلب الاستيلاء والغلبة على الاقران والامثال بل الله يزكى من يشاء التزكية ويتهيأ لها بتسليم النفس الى ارباب التزكية وهم العلماء الراسخون والمشايخ المحققون كما يسلم الجلد الى الدباغ ليجعله اديما فمن يسلم نفسه للتزكية الى المزكى ويصبر على تصرفاته كالميت فى يد الغسال ويصغ الى اشاراته ولا يعترض على معاملاته ويقاسى شدآئد اعمال التزكية فقد افلح بما تزكى والمزكى هو النبى عليه السلام فى ايام حياته كما قال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم الآية وبعده هم العلماء الذين اخذوا التزكية ممن اخذوا منه قرنا بعد قرن من الصحابة والذين اتبعوهم باحسان الى يومنا هذا ولعمرى انهم فى هذا الزمان اعز من الكبريت الاحمر (قال الشيخ الحسينى) در طريقت رهبر دانا كزين * زانكه ره دورست رهزن دركمين * رهبرى بايد بمعنى سر بلند * ازشريعت وزطريقت بهره مند * اصل وفرع وجزء كل آموخته * شمع ازنور علم افروخته * ظاهرش ازعلم كسبى باخدا * باطنش ميراث دار مصطفى * هركه ازدست عنايت بركرفت * روز اول دامن رهبر كرفت * هركه دوزندان خودرأيى فتاد * بند اوراسالها نتوان كشاد * اى سليم القلب دشوارست كار * تانپندارى كه پندارست كار * فعلى السالك ان يتمسك بذيل المرشد ويتسبب به الى الوقوف على علم التوحيد ثم الفناء عن نفسه لان مجرد العرفان غير منج مالم يحصل التحقق بحقيقة الحال ولذا قال عليه السلام شر الناس من قامت عليه القيامة وهو حى اى وقف على علم التوحيد ونفسه لم تمت بالفناء حتى يحيى بالله فانه حينئذ زنديق قائل بالاباحة فى الاشياء عصمنا الله واياكم من المعاصى والفحشاء (الم تر الى الذين) الى اليهود الذين (اوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة اى انظر يا محمد وتعجب من حالهم فكانه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل (يؤمنون بالجبت) فى الاصل اسم صنم فاستعمل فى كل ما عبد من دون الله (والطاغوت) الشيطان وتطلق لكل باطل من معبود او غيره روى ان حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة فى سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر بعبادة الله تعالى وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العانى وذكروا افعالهم قال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى (ويقولون للذين كفروا) اى لاجلهم وفى حقهم (هؤلاء) اشارة الى الذين كفروا (اهدى من الذين آمنوا سبيلا) اى اقوم دينا وارشد طريقة (اولئك) اشارة الى القائلين (الذين لعنهم الله) اى ابعدهم عن رحمته وطردهم (ومن يلعن الله) اى يبعده عن رحمته تعالى (فلن تجد له نصيرا) يدفع عنه العذاب دنيويا كان اواخرويا لابشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش (ام لهم نصيب من الملك) ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان ملك الدنيا سيصير اليهم (فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير وهو النقرة فى ظهر النواة يضرب به المثل فى القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كل حالهم فانهم اذا بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذ كانوا اذلاء متفاقدين (ام يحسدون) منقطعة ايضا (الناس) بل ايحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه (على ما آتاهم الله من فضله) يعنى النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما (فقد آتينا) يعنى ان حسدهم المذكور فى غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا (آل ابراهيم) الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء اعمامه (الكتاب) المنزل من السماء (والحكمة) اى النبوة والعلم (وآتيناهم) مع ذلك (ملكا عظيما) لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته صلى الله عليه وسلم ويحسدونه

على ايتائها قال ابن عباس رضى الله عنه الملك فى آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام (فمنهم) من اليهود (من آمن به) بمحمد عليه السلام (ومنهم من صد عنه) اى اعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) نارا مسعورة اى موقودة يعذبون بها اى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم واعلم ان الله تعالى وصف اليهود فى الآية المتقدمة بالجهل الشديد وهو اعتقادهم ان عبادة الاوثان افضل من عبادة الله تعالى ثم وصفهم بالبخل والحسد فالبخل هو ان لا يدفع الى احد شيأ مما آتاه الله من النعمة والحسد هو ان يتمنى ان لا يعطى الله غيره شيأ من النعم فالبخل والحسد يشتركان فى من يريد منع النعمة من الغير فاما البخيل فيمنع نعمة نفسه عن غيره واما الحاسد فيريد ان يمنع نعمة الله من عباده فهما شر الرذائل وسببهما الجهل اما البخل فلان بذل المال سبب لطهارة النفس ولحصول سعادة الاخرة وحبس المال سبب لحصول مال الدنيا فى يده فالبخل يدعوك الى الدنيا ويمنعك عن الآخرة والجود يدعوك الى الآخرة ويمنعك عن الدنيا ولا شك ان ترجيح الدنيا على الاخرة لا يكون الا من محض الجهل واما الحسد فلان الالهية عبارة عن ايصال النعم والاحسان الى العبيد فمن كره ذلك فكانه اراد عزل الاله عن الالهية وذلك محض الجهل ثم ان الحسد لا يحصل الا عند الفضيلة فكلما كانت فضيلة الانسان اتم واكمل كان حسد الحاسدين عليه اعظم (قال السعدى) شور بختان بآرزو خواهند * مقبلانرا زوال نعمت وجاه * كر نبيند بروز شبپره چشم * چشمهٔ آفتاب را چه كناه * راست خواهى هزار چشم چنان * كور بهتر كه آفتاب سياه * ولا يسود الحسود والبخيل فى جميع الزمان الا ترى ان الله تعالى جعل بخل اليهود كالمانع من حصول الملك لهم فهما لا يجتمعان وذلك لان الانقياد للغير امر مكروه لذاته والانسان لا يتحمل المكروه الا اذا وجد فى مقابلته امرا مطلوبا مرغوبا فيه وجهات الحاجات محيطة بالناس فاذا صدر من انسان احسان الى غيره صارت رغبة المحسن اليه فى ذلك المال سببا لصيرورته منقادا مطيعا له فلهذا قيل بالبر يستعبد الحر فاما اذا لم يوجد هذا بقيت النفرة الطبيعية عن الانقياد للغير خالصا من المعارض فلا يحصل الانقياد البتة (قال السعدى) خورش ده بكنجشك وكبك وحمام * كه يك روزت افتد همايى بدام * زر از بهر خوردن بود اى پسر * زبهر نهادن چه سنك وچه زر * وقد شبه بعض الحكماء ابن آدم فى حرصه على الجمع ووخامة عاقبته بدود القز الذى يكاد ينسج على نفسه بجهله حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره فاللائق بشأن المؤمن القناعة بما رزقه الودود وترك الحرص والبذل من الموجود وقيل لما عرج النبى عليه السلام اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام ما بال هذا الرجل فى هذه الحظيرة لا تمسه النار فقال جبريل عليه السلام هذا حاتم طى صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده فالجود صارف عن المرء عذاب الدنيا والعقبى وباعث لوصول الملك فى الاولى والاخرى ثم ان الملك على ثلاثة اقسام ملك على الظواهر فقط وهذا هو ملك الملوك وملك على البواطن فقط فهذا هو ملك العلماء وملك على الظواهر والبواطن معا وهذا هو ملك الانبياء عليهم السلام فاذا كان الجود من لوازم الملك وجب فى الانبياء ان يكونوا فى غاية الجود والكرم والرحمة والشفقة ليصير كل واحد من هذه الاخلاق سببا لانقياد الخلق لهم وامتثالهم لاوامرهم وكمال هذه الصفات كان حاصلا لمحمد عليه السلام (ان الذين كفروا بآياتنا) القرآن وسائر المعجزات (سوف) كلمة تذكر للتهديد والوعيد يقال سوف افعل وتذكر للوعد ايضا فتفيد التأكيد (نصليهم نارا) ندخلهم نارا عظيمة هائلة (كلما نضجت جلودهم) اى احترقت (بدلناهم جلودا غيرها) غير يذكر ويراد به الضد تقول الليل غير النهار وايضا يقال للمثل المتبدل تقول للماء الحار اذا برد هذا غيره وهو المراد هنا اى اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة والحاصل انه يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك صغت من خاتمى خاتما غيره فالخاتم الثانى هو الاول وانما الصياغة اختلفت فان قلت الجلود العاصية اذا احترقت فلو خلق الله تعالى مكانها جلودا اخرى وعذبها كان ذلك تعذيبا لمن لم يعص وهو غير جائز قلت العذاب للجلدة الحساسة وهى التى عصت لا للجلد مطلقا والذات واحدة فالعذاب لم يصل الا الى العاصى (ليذوقوا العذاب) اى ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اى ادامك على عزك وزادك فيه قال الحسن تأكلهم النار فى كل يوم سبعين مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى مرفوعا

ان جلد الكافر اربعون ذراعا وضرسه مثل احد وشفته العليا تضرب سرته وبين لحمه وجلده ديدان كحمر الوحش تركض بين جلده ولحمه وحيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال وهذا ليس بزيادة تخلق وتعذب من غير معصية لكن اذا زيد ذلك فى صورته كان ذلك ثقله على العبد ويكون نفس الثقل عقوبة عليه كسائر عقوبات جهنم من السلاسل والاغلال والعقارب والحيات فان قلت انما يقال فلان ذاق العذاب اذا ادرك شيأ قليلا منه والله تعالى قد وصف انهم كانوا فى اشد العذاب فكيف يحسن ان يذكر بعد ذلك انهم ذاقوا العذاب قلت المقصود من ذكر الذوق الاخبار بان احساسهم بالعذاب فى كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخله نقصان ولا زوال بسبب ذلك الاحتراق ودوام الملابسة ولعل السر فى تبديل الجلود مع قدرته تعالى مع بقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق (ان الله كان عزيزا) لا يمتنع عليه شئ مما يريده بالمجرمين (حكيما) يعاقب من يعاقب على حكمته اعلم ان هذا العذاب والتبديل الذى فى الاخرة كان حاصلا له فى الدنيا ولكن لم يكن يذوقه كالنائم يجرح نفسه بحديدة فى يده فتكون الجراحة حاصلة له فى الدنيا ولكن لم يذق المه حتى يتنبه فالناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعلى العبد ان يعمل على وفق الشرع وخلاف النفس والهوى حتى يجعل الله تعالى باكسير الشرع نحاس الصفات الظلمانية النفسانية فضة الصفات النورانية الروحانية فاذا تخلص فى الدنيا عن شوب المعصية باصلاح النفس والجريان على وفق الشرع لم يحتج فى الاخرة الى التهذيب والتنقيح بالنار روى ان اصحاب الكبائر من موحدى الامم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير تائبين ولا نادمين منهم من دخل النار فى الباب الاول فى جهنم حتى لا تزرق اعينهم ولا تسود وجوههم ولا يقرنون مع الشياطين ولا يغلون بالسلاسل ولا يجرعون بالحميم ولا يلبسون القطران فى النار حرم الله تعالى اجسادهم ووجوههم على النار من اجل السجود فمنهم من تاخذه النار الى قدميه ومنهم من تأخذه الى ركبتيه ومنهم من تأخذه الى عنقه قدر ذنوبهم واعمالهم ثم ان منهم من يمكث فيها شهرا ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها واطولهم فيها مكثا كقدر الدنيا منذ خلقت الى يوم تفنى وكان ابن السماك يقول فيما يعاتب نفسه يا نفس تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين وفى الجنة تطمعين ان تدخلين هيهات هيهات ان للجنة قوما آخرين ولها اعمال غير ما تعملين ويحك اخذت بزى كسرى وقيصر والفراعنة وتريدين ان ترافق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الجلال فاعرض نفسك على كتاب الله فيما وصف اولياءه واعداءه فانظر من اى الصنفين انت برادرز كاربدان شرم دار ✻ كه در روى نيكان شوى شرمسار ✻ نريزد خدا آب روى كسى ✻ كه ريزد كناه آب چشمش بسى ✻ وذكر عن يزيد بن مرثد انه كان لا تنقطع دموع عينيه ساعة ولا يزال باكيا فسئل عن ذلك فقال لو ان الله تعالى اوعدنى بانى لو اذنبت لحبسنى فى الحمام ابدا لكان حقيقا على ان لا تنقطع دموعى فكيف وقد اوعدنى ان يحبسنى فى نار اوقد عليها ثلاثة آلاف سنة اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء كالليل المظلم قال ابو هريرة رضى الله عنه لا تغبطن فاجرا بنعمته فان وراءه طالبا حثيثا وهى جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا (قال الحافظ) قلندران حقيقت به نيم جو نخرند ✻ قباى اطلس آنكس كه از هنر عاريست ✻ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت همته الاخرة جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه واتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت همته الدنيا فرق الله عليه امره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب الله له (قال السعدى) آنكس از دزد بترسد كه متاعى دارد ✻ عارفان جمع نكردند وپريشانى نيست ✻ هركرا خيمه بصحراى قناعت زده اند ✻ كر جهان لرزه بكيرد غم ويرانى نيست (والذين آمنوا) بالله وبمحمد والقرآن وسائر الآيات والمعجزات (وعملوا الصالحات) التى امر الله بها (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) اى مقيمين فيها لا يخرجون عنها ولا يموتون (لهم فيها ازواج مطهرة) اى مما فى نساء الدنيا عليه من الاحوال المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية كالحيض والنفاس والحقد والحسد وغير ذلك (وندخلهم ظلا ظليلا) فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس اى لا تزيله وسجسجا وهو من الزمان ما لا حر فيه ولا برد ومن المكان ما لا سهولة فيه ولا حزونة والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك

فان قلت اذا لم يكن فى الجنة شمس تؤذى بحرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل وايضا نرى فى الدنيا ان المواضع التى يدوم الظل فيها ولا يصل نور الشمس اليها يكون هواؤها عفنا فاسدا مؤذيا فما معنى وصف هواء الجنة بذلك قلت ان بلاد العرب كانت فى غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة وهذا المعنى جعلوه كناية عن الراحة قال عليه السلام السلطان ظل الله فى الارض فاذا كان الظل عبارة عن الراحة كان الظل الظليل كناية عن المبالغة العظيمة فى الراحة قال الامام فى تفسيره هذا ما يميل اليه خاطرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة ما يقطعها اقرأوا ان شئتم وظل ممدود وفى الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين فموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرأوا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة شباب جعد جرد مرد ليس لهم شعر الا فى الرأس والحاجبين واشفار العينين يعنى ليس لهم شعر عانة ولا شعر من الابط على طول آدم عليه السلام ستون ذراعا على مولود عيسى عليه السلام ثلاثة وثلاثون سنة بيض الالوان خضر الثياب يوضع لاحدهم مائدة بين يديه فيقبل الطائر فيقول يا ولى الله اما انى قد شربت من عين السلسبيل ورعيت من رياض الجنة تحت العرش واكلت من ثمار كذا فاطعم منى فيطعم فيكون احد جانبيه مطبوخا والاخر مشويا فيأكل منهما ما شاء الله وعليه سبعون حلة ليس فيها حلة على لون آخر قال الفقيه ابو الليث من اراد ان ينال هذه الكرامة فعليه ان يداوم على خمسة اشياء الاول ان يمنع نفسه من جميع المعاصى ونهى النفس عن الهوى فرموده الله ✻ بايدت ترك هوى ترك كناه ✻ والثانى ان يرضى باليسير من الدنيا لان ثمن الجنة ترك الدنيا اين زن زانيه شوى كش دنيارا ✻ كر على وار طلاقش ندهم نامردم ✻ والثالث ان يكون حريصا على الطاعات فيتعلق بكل طاعة فلعل تلك الطاعة تكون سبب المغفرة ودخول الجنة عمل بايد اندر طريقت ندم ✻ كه سودى ندارد دم بى قدم ✻ والرابع ان يحب الصالحين واهل الخير ويخالطهم ويجالسهم نخست موعظة پير مجلس اين حرفست ✻ كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد ✻ فلزم ان يكون مصاحب الانسان اهل خير لان الصحبة مؤثرة وان واحدا من الصلحاء اذا غفر الله له يشفع لاخوانه واصحابه اميدست از آنان كه طاعت كنند ✻ كه بى طاعتانرا شفاعت كنند ✻ والخامس ان يكثر الدعاء ويسأل الله تعالى ان يرزقه الجنة وان يجعل خاتمته فى الخير غنيمت شمارند مردان دعا ✻ كه جوشن بود پيش تير بلا (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) نزلت فى عثمان بن عبد الدار الحجبى وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى على بن ابى طالب كرم الله وجهه يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلى اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله تعالى فى شأنك قرءانا وقرأ عليه فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة فى اولاد عثمان ابدا ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى ابنه شيبة فهو فى ولده الى اليوم (واذا حكمتم) اى ويأمركم اذا قضيتم (بين الناس ان تحكموا بالعدل) والانصاف والتسوية (ان الله نعما يعظكم به) اى نعم شيأ يعظكم به تأدية الامانة والحكم بالعدل فما نكرة بمعنى شئ ويعظكم به صفته والمخصوص بالمدح محذوف (ان الله كان سميعا) لما يقوله الخزنة (بصيرا) بما تعمله الامناء اى اعملوا بامر الله ووعظه فانه اعلم بالمسموعات والمبصرات يجازيكم على ما يصدر منكم اعلم ان الامانة عبارة عما اذا وجب لغيرك عليك حق فاديت ذلك الحق اليه والحكم بالحق عبارة عما اذا وجب للانسان على غيره حق فامرت من وجب عليه ذلك الحق بان يدفع الى من له ذلك الحق ولما كان الترتيب الصحيح ان يبذل الانسان نفسه فى جلب المنافع ودفع المضار ثم يشتغل بحال غيره لا جرم انه تعالى ذكر الامر بالامانة اولا ثم بعده ذكر الامر بالحكم بالحق ونزول هذه الاية عند القصة المذكورة لا يوجب كونها مخصوصة بهذه القصة بل يدخل فيه جميع انواع الامانات فاعلم ان معاملة الانسان اما ان تكون مع ربه او مع سائر العباد او مع نفسه ولا بد من رعاية الامانة فى جميع هذه الاقسام الثلاثة

امارعاية الامانة مع الرب فهى فعل المأمورات وترك المنهيات وهذا بحر لاساحل له قال ابن مسعود الامانة فى كل
شئ لازمة فى الوضوء والجنابة والصلاة والزكاة والصوم وغير ذلك مثلا ان امانة اللسان ان لا يستعمله فى الكذب
والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها وامانة العينين ان لا يستعملها فى النظر الى الحرام
وامانة السمع ان لا يستعمله فى سماع الملاهى والمناهى واستماع الفحش والاكاذيب وغيرها وكذا القول
فى جميع الاعضاء (قال السعدى) زبانان از بهر شكر وسپاس ✽ بغيبت نكرداندش حق شناس ✽
كذركاه قرآن وپندست كوش ✽ به بهتان وباطل شنيدن مكوش ✽ دو چشم از پى صنع بارى نكوست ✽
نه عيب برادر بود كبر دوست ✽ واما القسم الثانى وهو رعاية الامانة مع سائر الخلق فيدخل فيه رد الودائع
ويدخل فيه ترك التطفيف فى الكيل والوزن ويدخل فيه ان لا يفشى على الناس عيوبهم ويدخل فيه عدل
الامراء مع رعيتهم وعدل العلماء مع العوام بان يرشدوهم الى اعتقادات واعمال تنفعهم فى دنياهم واخراهم
ويدخل فيه امانة الزوجة الزوج فى حفظ فرجها وفى ان لا تلحق بالزوج ولدا تولد من غيره وفى اخبارها عن
انقضاء عدتها واما القسم الثالث وهو امانة الانسان مع نفسه وهو ان لا يفعل الا ما هو الانفع والاصلح له
فى الدين والدنيا وان لا يتقدم بسبب الشهوة والغضب على ما يضره فى الآخرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته قال عليه السلام لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له فعلى العبد
المؤمن ان يؤدى الامانات كلها ما استطاع ويتعظ بمواعظ الحق فى كل زمان فان الوعظ نافع جدا
امروز قدر پند عزيزان شناختم ✽ يارب روان ناصح ما از تو شاد باد ✽ قال الحافظ وقال فى موضع
پند حكيم محض صوابست ومحض خير ✽ فرخنده بخت آنكه بسمع رضا شنيد ✽ ثم ان من كان حاكما وجب
عليه ان يحكم بالعدل ويؤدى الامانات الى اهلها قال الحسن ان الله اخذ على الحكام ثلاثا ان لا يتبعوا
الهوى وان يخشوه ولا يخشوا الناس وان لا يشتروا بآياته ثمنا قليلا قال صلى الله عليه وسلم ينادى مناد يوم
القيامة اين الظلمة واين اعوان الظلمة فيجمعون كلهم حتى من برى لهم قلما اولاق لهم دواة فيجمعون ويلقون فى النار
(قال السعدى) جهان نماند وآثار معدلت ماند ✽ بخير كوش وصلاح وبعدل كوش وكرم ✽
كه ملك ودولت ضحاك مردمان آزار ✽ نماند وتا بقيامت بر او بماند رقم ✽ قال عليه السلام من ولى سلطانا
على الجور كان مع هامان وكان هو والسلطان من اشد اهل النار عذابا فمقتضى الايمان هو العدل والسببية
للصلاح ونظام العالم واجراء الشرع والاحتراز عن الرشوة فان من اخذها لا يسامح فى الشرع وغضب
الاسكندر يوما على بعض شعرائه فاقصاه وفرق ماله فى اصحابه فقيل له فى ذلك فقال اما اقصائى له فلجرمه
واما تفريق ماله فى اصحابه فلئلا يشفعوا فيه فانظر كيف كان اخذ المال سببا لعدم الشفاعة لانهم لو استشفعوا
فى حقه فشفعوا لزم الاسترداد فلما طمعوا تركوا الشفاعة ✽ از تو كر انصاف آيد در وجود ✽ به كه عمرى
در ركوع ودر سجود (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) وهم امراء
الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدى بهم من المهتدين واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق
العطف على الله والرسول فى وجوب الطاعة فانهم اللصوص المتغلبة لاخذهم اموال الناس بالقهر والغلبة
وانما افرد بالذكر طاعة الله ثم جمع طاعة الرسول مع طاعة اولى الامر حيث قال تعالى واطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولى الامر منكم ولم يقل واطيعوا اولى الامر منكم تعليما للادب وهو ان لا يجمعوا فى الذكر بين اسمه
سبحانه وبين اسم غيره واما اذا آل الامر الى المخلوقين فيجوز (فان تنازعتم فى شئ) اصل النزع الجذب
لان المتنازعين يجذب كل واحد منهما الى غير جهة صاحبه اى ان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم فى امر من
امور الدين (فردوه الى الله) فارجعوا فيه الى كتاب الله (والرسول) اى الى سنته صلى الله عليه وسلم وتعلق
اصحاب الظواهر بظاهر هذه الاية فى ان الاجتهاد والقياس لا يجوز لان الله تعالى امر بالرجوع الى الكتاب
والسنة ولا يوجد فى كل حادثة نص ظاهر فعلم انه امر بالنظر فى مودعاته والعمل على مدلولاته ومقتضياته
ولكن الاية فى الحقيقة دليل على حجة القياس كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل
والبناء عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه
يدل على ان الاحكام ثلاثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس (ان كنتم تؤمنون بالله

واليوم الآخر) فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله فظاهر واما الايمان باليوم الآخر فلما فيه من
العقاب على المخالفة (ذلك) اى الرد الى الكتاب والسنة (خير) لكم من التنازع واصلح (واحسن) فى نفسه
(تأويلا) اى عاقبة ومآلا ودلت الاية على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم
قال صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وقال صلى الله عليه وسلم من عامل الناس فلم يظلمهم
ومن حدثهم فلم يكذبهم ومن وعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت اخوته ولا بد
للامراء من خوف الله وخشيته باجراء الشرائع والاحكام واتباع سنن النبى عليه السلام حتى يملأ الله
قلوب الناظرين اليهم رعبا وهيبة فحينئذ لا يحتاجون الى محافظة الصورة والهيئة الظاهرة روى ان كاتب الروم
ارسل الى عمر رضى الله عنه هدايا من الثياب والجبة فلما دخل الرسول الى المدينة قال اين دار الخليفة وبناؤه
فقيل ليس له دار عظيم كما توهمت انما له بيت صغير فدلوه عليه فاتاه فوجد له بيتا صغيرا حقيرا قد اسود بابه لطول
الزمان فطلبه فلم يصادفه وقيل انه خرج الى السوق لحاجته وحوائج المسلمين اى للاحتساب فخرج الرسول الى
طلبه فوجده نائما تحت ظل حائط قد توسد بالدرة فلما رآه قال عدلت فامنت فنمت حيث شئت وامراؤنا ظلموا
فاحتاجوا الى الحصون والجيوش (قال السعدى) پادشاهى كه طرح ظلم افكند ✽ پاى ديوار ملك خويش
بكند ✽ نكند جور پيشه سلطانى ✽ كه نيايد ز كرك چوپانى ✽ ومن كلام اردشير الدين اساس الملك والعدل
حارسه فما لم يكن له اس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع وروى ان انوشروان كان له عامل على ناحية فكتب اليه
يعلمه بجودة الريع ويستأذنه فى الزيادة على الرسوم فامسك عن اجابته فعاوده العامل فى ذلك فكتب اليه قد كان
فى ترك اجابتك ما حسبتك تنزجر به عن تكليف ما لم تؤمر به فاذا قد ابيت الا تماديا فى سوء الادب فاقطع احدى
اذنيك واكفف عما ليس من شأنك فقطع العامل اذنه وسكت عن ذلك الامر وبالجملة فالظلم عار وجزاؤه نار
والاجتناب منه واجب على كل عاقل واذا كان نية المؤمن العدل فليجانب اهل الظلم وليجتنب عن اطاعتهم
فان الاطاعة لاهل الحق لا لغيرهم قال عليه السلام من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن
يطع الامير العادل فقد اطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى واعلم ان الولاة انما يكونون على حسب اعمال الرعايا
واحوالهم صلاحا وفسادا روى انه قيل للحجاج بن يوسف لم لا تعدل مثل عمر وانت قد ادركت خلافته افلم تر عدله
وصلاحه فقال فى جوابهم تبادروا اى كونوا كابى ذر فى الزهد والتقوى اتعمر لكم اى اعاملكم معاملة عمر فى
العدل والانصاف وفى الحديث كما تكونون يولى عليكم احدكم يعنى ان تكونوا صالحين فيجعل واليكم رجلا صالحا
وان تكونوا طالحين فيجعل واليكم رجلا طالحا وروى ان موسى عليه السلام ناجى ربه فقال يارب ما علامة رضاك
من سخطك فاوحى اليه اذا استعملت على الناس خيارهم فهو علامة رضاى واذا استعملت شرارهم فهو
علامة سخطى ثم اعلم بان المراد باولى الامر فى الحقيقة المشايخ الواصلون ومن بيده امر التربية فان اولى امر
المريد شيخه فى التربية فينبغى للمريد ان كل وارد حق يدق باب قلبه او اشارة او الهام او واقعة تنبئ عن اعمال
او احوال فى حقه يضرب على محك نظر شيخه فما يرى فيه الشيخ من المصالح ويشير اليه او يحكم عليه يكون
منقاد الاوامره ونواهيه لانه اولوا امره واما الشيخ فاولوا امره الكتاب والسنة فينبغى له ان ما سنح له من الغيب
بوارد الحق من الكشوف والشواهد والاسرار والحقائق يضرب على محك الكتاب والسنة فاصدقاه ويحكمان
عليه فيقبله والا فلا لان الطريقة مقيدة بالكتاب والسنة كذا ذكره الشيخ الكامل نجم الدين الكبرى فى تأويلاته
(ألم تر الى الذين يزعمون) اى يدعون والمراد بالزعم هنا الكذب لان الاية نزلت فى المنافقين (انهم آمنوا بما انزل
اليك) اى بالقرآن (وما انزل من قبلك) اى بالتوراة وغيرها من الكتب المنزلة وكأنه قيل ماذا يفعلون فقيل
(يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت) عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى عليه
السلام لانه كان يقضى بالحق ولا يلتفت الى الرشوة ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف لانه كان شديد الرغبة
الى الرشوة واليهودى كان محقا والمنافق كان مبطلا ثم اصر اليهودى على قوله فاحتكما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله فلم يرض
بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه
ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى مات وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت فهبط

جبرائيل عليه السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق فالطاغوت كعب بن الاشرف سمى به
لافراطه فى الطغيان وعداوة الرسول وفى معناه ومن يحكم بالباطل ويؤثر لاجله (وقد امروا ان يكفروا به)
اى والحال انهم قد امروا ان يتبرؤا من الطاغوت (ويريد الشيطان) اى كعب بن الاشرف او حقيقة الشيطان
عطف على يريدون (ان يضلهم ضلالا بعيدا) اى اضلالا بعيدا لا غاية له فلا يهتدون (واذا قيل لهم) اى للمنافقين
(تعالوا) اى جيئوا (الى ما انزل الله) اى الى ما امره فى كتابه (والى الرسول) والى ما امره رسوله (رأيت
المنافقين) اظهار المنافقين فى مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية
بصرية (يصدون عنك) حال من المنافقين (صدودا) اى يعرضون عنك اعراضا واى اعراض (فكيف) يكون
حالهم وكيف يصنعون يعنى انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه (اذا اصابتهم مصيبة) اى وقت
اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم (بما قدمت ايديهم) بسبب ما عملوا من الجنايات التى من جملتها
التحاكم الى الطاغوت وعدم الرضى بحكم الرسول (ثم جاؤك) للاعتذار عما صنعوا من القبايح وهو عطف على
اصابتهم (يحلفون بالله) حال من فاعل جاؤك (ان اردنا الا احسانا وتوفيقا) اى ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك
الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا سخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا
وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى عنهم الاعتذار (اولئك)
اى المنافقون (الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب
(فاعرض عنهم) اى لا تقبل اعتذارهم ولا تفرج عنهم بدعائك (وعظهم) اى ازجرهم عن النفاق والكيد
(وقل لهم فى انفسهم) اى فى حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التى يعلمها الله تعالى او فى انفسهم
خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها فى السر انجع (قولا بليغا) مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا
لما سيق له المقصود والقول البليغ بان يقول ان الله يعلم سركم وما فى قلوبكم فلا يغنى عنكم اخفاؤه فاصلحوا
انفسكم وطهروا قلوبكم من رذيلة الكفر وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين
بالشرك وشرا من ذلك واغلظ عسى ان ينجع فيهم الموعظة (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) اى
وما ارسلنا رسولا من الرسل لشئ من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى فى طاعته وامره المبعوث اليهم
بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه تعالى وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم)
وعرضوها للعذاب بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك (جاؤك) تائبين من النفاق (فاستغفروا الله) بالتوبة
والاخلاص (واستغفر لهم الرسول) بان يسأل الله ان يغفر لهم عند توبتهم فان قلت لو تابوا على وجه صحيح
لقبلت توبتهم فما الفائدة فى ضم استغفار الرسول الى استغفارهم قلت التحاكم الى الطاغوت كان مخالفة لحكم
الله وكان ايضا اساءة الى الرسول عليه السلام وادخالا للغم الى قلبه عليه السلام ومن كان ذنبه كذلك وجب
عليه الاعتذار عن ذلك الغير (لوجدوا الله) لصادفوه حال كونه تعالى (توابا) مبالغا فى قبول التوبة (رحيما)
مبالغا فى التفضل عليهم بالرحمة بدل من توابا (فلا) اى ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك
ثم استأنف القسم فقال (وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) اى يجعلونك حكما يا محمد ويترافعوا اليك (فيما شجر
بينهم) اى فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه (ثم لا يجدوا) عطف على مقدر
ينساق اليه الكلام اى فتقضى بينهم ثم لا يجدوا (فى انفسهم حرجا) ضيقا (مما قضيت) اى مما قضيت به يعنى
يرضون بقضائك ولا تضيق صدورهم من حكمك (ويسلموا تسليما) وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم
وفى هذه الآيات دلائل على ان من رد شيأ من اوامر الله واوامر الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خارج عن
الاسلام سواء رده من جهة الشك او من جهة التمرد وذلك يوجب صحة ما ذهبت الصحابة اليه من الحكم
بارتداد مانعى الزكاة وقتلهم وسبى ذراريهم فاتباع الرسول عليه السلام فرض عين فى الفرائض العينية
وفرض كفاية فى الفروض على سبيل الكفاية وواجب فى الواجبات وسنة فى السنن وهكذا ومخالفته تزيل نعمة
الاسلام * خلاف پيمبر كسى ره كزيد * كه هركز بمنزل نخواهد رسيد * فالنبى عليه السلام هو
الدليل فى طريق الحق ومخالفة الدليل ضلالة (قال الحافظ) بكوى عشق منه بى دليل راه قدم *
كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون

هواه تابعا لما جئت به وقال عليه السلام من ضيع سنتى اى جعلها ضائعة بعدم اتباعها حرمت عليه شفاعتى
وقال صلى الله عليه وسلم من حفظ سنتى اكرمه الله تعالى باربع خصال المحبة فى قلوب البررة والهيبة فى قلوب
الفجرة والسعة فى الرزق والثقة فى الدين فانما امته من اتبعه ولا يتبعه الا من اعرض عن الدنيا فانه عليه السلام
ما دعى الا الى الله تعالى واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عنها واقبلت
على الله وصرفت الاوقات لاعمال الآخرة فقد سلكت سبيله الذى سلكه وبقدر ذلك اتبعته وبقدر ما اتبعته
صرت من امته ولو انصفنا لعلمنا اننا من حين نمسى الى حين نصبح لا نسعى الا فى الحظوظ العاجلة ولا نتحرك
الا لاجل الدنيا الفانية ثم نطمع فى ان نكون غدا من امته واتباعه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ليأتى على الناس زمان تخلق سنتى فيه وتتجدد فيه البدعة فمن اتبع سنتى يومئذ صار غريبا وبقى وحيدا
ومن اتبع بدع الناس وجد خمسين صاحبا او اكثر فقال الصحابة يا رسول الله عليك السلام هل بعدنا احد افضل
منا قال بلى قالوا افيرونك يا رسول الله قال لا قالوا فكيف يكونون فيها قال كالملح فى الماء تذوب قلوبهم كما يذوب
الملح فى الماء قالوا فكيف يعيشون فى ذلك الزمان قال كالدود فى الخل قالوا فكيف يحفظون دينهم يا رسول الله قال
كالفحم فى اليدان وضعته طفئ وان امسكته او عصرته احرق اليد وعن ابى نجيح العرباض بن سارية رضى الله
عنه قال وعظنا رسول الله موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كانها موعظة
مودع فاوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تامر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى
اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور
فان كل بدعة ضلالة فعلى المؤمن ان يتبع سنة الرسول ويجتنب عن كل ما هو بدعة وضلالة ويصلح ظاهره
بالشريعة وباطنه بالطريقة حتى ينال شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ويتخلص من عذاب النار ويدخل
الجنة مع الابرار فالمؤمن فى الآخرة فى الجنات كشجرة مثمرة لا تنفك عن البستان والمنافق فى الدركات كشجرة
غير مثمرة تقلع عن البستان وتوقد بها النار (قال الفردوسى) درختى كه شيرين بود بار او * نكردد كسى كرد
آزار او * وكر زانك شيرين نباشد برش * زپاى اندر آرند تا كه سرش * بماند بباغ آن ودر آتش اين *
تو خواهى چنان باش وخواهى چنين (ولو انا كتبنا عليهم) اى اوجبنا او فرضنا على هؤلاء
المنافقين (ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم) كما اوجبناه على بنى اسرائيل حين طلبوا التوبة من ذنوبهم
(ما فعلوه) اى المكتوب المدلول عليه بكتبنا (الا قليل منهم) الا ناس قليل منهم وهم المخلصون (ولو انهم فعلوا
ما يوعظون به) من متابعة الرسول وطاعته والمشى تحت رايته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت
اوامر الله ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب (لكان) اى فعلهم ذلك (خيرا لهم)
اى احمد عاقبة فى الدارين (واشد تثبيتا) لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه (واذا) كانه قيل
وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا (لآتيناهم من لدنا) من عندنا (اجرا عظيما) ثوابا كثيرا فى الآخرة
لا ينقطع (ولهديناهم صراطا مستقيما) يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال صلى الله
عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم واعلم ان قتل النفس فى الحقيقة قمع هواها التى هى حياتها وافناء
صفاتها والخروج من الديار خروج من المقامات التى سكنت القلوب بها والفتها من الصبر والتوكل والرضى
والتسليم وامثالها لكونها حاجبة عن التوحيد والفناء فى الذات كما قال الحسين بن منصور لابراهيم بن ادهم
حين سأله عن حاله واجابه بقوله ادور فى الصحارى واطوف فى البرارى بحيث لا ماء ولا شجر ولا روض ولا مطر
هل حالى فى التوكل ام لا فقال اذا افنيت عمرك فى عمران باطنك فاين الفناء فى التوحيد جان عارف دوست را
طالب شده * نور حق با هستيش غالب شده * پرتو ذات از حجاب كبريا * كرده او را غرقه بحر
فنا * وعن ابراهيم بن ادهم قال دخلت جبل لبنان فاذا انا بشاب قائم وهو يقول يا من شوقى اليه وقلبى
محب له ونفسى له خادم وكلى فناء فى ارادتك ومشيئتك فانت ولا غيرك متى تنجينى من هذه العذرة قلت رحمك
الله ما علامة حب الله قال اشتهاء لقائه قلت فما علامة المشتاق قال لا له قرار ولا سكون فى ليل ونهار من شوقه
الى ربه قلت فما علامة الفانى قال لا يعرف الصديق من العدو ولا الحلو من المر من فنائه عن رسمه ونفسه وجسمه
قلت فما علامة الخادم قال انه يرفع قلبه وجوارحه وطمعه من ثواب الله (قال الحافظ) تو بندكى چو كدايان

بشرط مزدمكن * كه دوست خودروش بنده پروری داند * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يكونن احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وبالجملة انه لابد للسالك من
اقامة وظائف العبادات والاوراد فان الله اودع انوار الملكوت فى اصناف الطاعات فان من فاته صنف
اواعوزه من الموافقات جنس فقد من النور بمقدار ذلك وليس للوصول سبيل ولا الى الفناء دليل غير العبودية
وترك ما سوى الحق بشب حلاج راديدند درخواب * بريده سر بكف برجام جلاب * بدو كفتند
چونى سر بريده * بكو تا چيست اين جام كزيده * چنين كفت اوكه سلطان نكونام * بدست
سر بريده ميدهد جام * كسى اين جام معنى ميكند نوش * كه كرد اول سر خود را فراموش * كما قيل
من لم يركب الاهوال لم ينل الاموال فيا ايها العبد الذى لا يفعل ما يوعظ به ولا يخاف من ربه كيف تركت
ما هو خير لك واعرضت عما ينفعك فليس لك الآن الا التوبة عما وقعت فى المعاصى والمنهيات والرجوع الى
الله بالطاعات والعبادات والفناء عن الذات بالاصغاء الى المرشد الرشيد الواصل الى سر التفريد وقبول امره
وعظته وتسليم النفس الى تربيته ودوام المراقبة فى الطريق ومن الله التوفيق (ومن يطع الله والرسول) والمراد
بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل بجميع الاوامر والنواهى روى ان ثوبان مولى رسول الله
اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بى من وجع غير انى اذا لم ارك اشتقت اليك
واستوحشت وحشة شديدة على لقائك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع
النبيين وان ادخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلتك وان لم ادخل فذلك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله
عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين
(فاولئك) اشارة الى المطيعين (مع الذين انعم الله عليهم) اى اتم الله عليهم النعمة وهذا ترغيب للمؤمنين
فى الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الى الله وارفعهم درجات عنده (من النبيين) بيان للمنعم عليهم وهم
الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل (والصديقين) المبالغين فى الصدق
والاخلاص فى الاقوال والافعال الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات واخرى بمعارج
التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هى عليها (والشهداء) الذين
ادى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء كلمة الله (والصالحين) الذين
صرفوا اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد فى الدرجة لان التساوى بين
الفاضل والمفضول لا يجوز ولا مطلق الاشتراك فى دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم
من رؤية الآخر وزيارته متى ارادوا وان بعد ما بينهما من المسافة (وحسن اولئك رفيقا) فى معنى التعجب كانه قيل
وما احسن اولئك رفيقا اى النبيين ومن بعدهم ورفيقا تمييز وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوى
فيه الواحد والمتعدد والرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة فى المعاشرة قولا وفعلا
(ذلك الفضل) مبتدأ والفضل صفته وهو اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء
المنعم عليهم (من الله) خبره اى لا من غيره (وكفى بالله عليما) بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله
وهذه الآية عامة فى جميع المكلفين اذ خصوص السبب لا يقدح فى عموم اللفظ فكل من اطاع الله واطاع
الرسول فقد فاز بالدرجات والمراتب الشريفة عند الله تعالى روى عن بعض الصالحين انه قال اخذتنى ذات
ليلة سنة فنمت فرأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يحاسبون فقوم يمضى بهم الى الجنة
وقوم يمضى بهم الى النار قال فاتيت الى الجنة فناديت يا اهل الجنة بماذا نلتم سكنى الجنان فى محل الرضوان
فقالوا الى بطاعة الرحمن ومخالفة الشيطان ثم اتيت الى باب النار فناديت يا اهل النار بماذا نلتم النار قالوا
بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن بكام برارىم ازين عاروننك * كه با او بصلحيم وباحق بجنك * نظر
دوست نادر كند سوى تو * چو در روى دشمن بود روى تو * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى
يدخلون الجنة الا من ابى قيل ومن ابى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى فعلى المرء ان يتبع
الرسول ويتبع اولياء الله فان الانبياء لهم وحى الهى والاولياء لهم الهام ربانى والاتباع لهم لا يخلو عن
الاتباع الى الرسول قال عليه السلام المرء مع من احب فان احب الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين

كان

كان معهم فى الجنة وفى الآية تنبيه على انه ينبغى للعبد ان لا يتأخر عن مرتبة الصلاح بل يسعى فى تكميل
الصلاح ثم يترقى الى مرتبة الشهادة ثم الى الصديقية وليس بين النبوة وبين الصديقية واسطة رزقنا الله واياكم
الفوز بهذا النعيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله
صديقا ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا واقل الصدق استواء السر والعلانية والصادق
من صدق فى اقواله والصديق من صدق فى جميع اقواله وافعاله واحواله وكان جعفر الخواص يقول الصادق
لا تراه الا فى فرض يؤديه او فضل يعمل فيه وثمرات الصدق كثيرة فمن بركاته فى الدنيا انه حكى عن ابى عمر الزجاجى
انه قال ماتت امى فورثت دارا فبعتها بخمسين دينارا وخرجت الى الحج فلما بلغت بابل استقبلنى واحد من
القافلة وقال اى شئ معك فقلت من نفسى الصدق خير ثم قلت خمسون دينارا فقال ناولنيها فناولته الصرة فحلها
فاذا هى خمسون وقال لى خذها فلقد اخذنى صدقك ثم نزل عن الدابة فقال اركبها فقلت لا اريد فقال لا والح
فركبتها فقال وانا على اثرك فلما كان العام المقبل لحق بى ولازمنى حتى مات (قال الحافظ) بصدق كوش كه
خورشيد زايد از نفست * كه از دروغ سيه روى كشت صبح نخست * يعنى ان الصبح الكاذب تعقبه
الظلمة والصبح الصادق يعقبه النور فمن صدق فقد بهر منه النور (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم) اى تيقظوا
واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر
آلته التى يقى بها نفسه ويعصم بها روحه (فانفروا) فاخرجوا الى جهاد العدو (ثبات) جماعات متفرقة سرية
بعد سرية الى جهات شتى وذلك اذا لم يخرج النبى عليه السلام جمع ثبة وهى جماعة من الرجال فوق العشرة
ومحلها النصب على الحالية (او انفروا جميعا) مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وذلك
اذا خرج النبى عليه السلام (وان منكم) خطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين والمنافقين
(لمن) الذى اقسم بالله (ليبطئن) ليتأخرن عن الغزو ويتخلفن تثاقلا من بطأ لازم بمعنى ابطأ او ليبطئن غيره
ويثبطه عن الجهاد وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابى وهو الذى ثبط الناس يوم احد والاول انسب
لما بعده وهو قوله تعالى حكاية يا ليتنى كنت معهم وبالجملة المراد بالمبطئين المنافقون من العسكر لانهم كانوا
يغزون نفاقا (فان اصابتكم مصيبة) نالتكم نكبة من الاعداء كقتل وهزيمة (قال) اى المبطئ فرحا بصنعه
وحامدا لربه (قد انعم الله على) اى بالقعود والتخلف عن القتال (اذ لم اكن معهم شهيدا) اى حاضرا
فى المعركة فيصيبنى ما اصابهم (ولئن اصابكم فضل) كائن (من الله) كفتح وغنيمة (ليقولن) ندامة على تثبطه
وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اعتراض وسط بين الفعل
ومفعوله الذى هو (يا) قوم (ليتنى كنت معهم) فى تلك الغزوة (فافوز فوزا عظيما) اى آخذ حظا وافرا من
الغنيمة وانما وسطه بينهما التلا يفهم من مطلع كلامه ان تمنيه معية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه
ما فى البين من المودة بل هو للحرص على المال كما نطق به آخره وليس اثبات المودة فى البين بطريق التحقيق
بل بطريق التهكم (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) اى يبيعونها بها ويأخذون الآخرة
بدلها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر اى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون
انفسهم فى طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب اى ليتركوا
ما كانوا عليه من التثبيط والنفاق والقعود بالقتال فى سبيل الله (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف
نؤتيه اجرا عظيما) لا يقادر قدره وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله
على اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغى ان يثبت فى المعركة حتى يعز
نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وان لا يكون قصده بالذات الى القتل
بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه
الا جهاد فى سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم وذلك بان تدعوا عليهم
بالخذلان والهزيمة وللمسلمين بالنصر والغنيمة وتحرضوا القادرين على الغزو وفى الحديث من جهز غازيا فى سبيل
الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا اى كان خلفا لاهل بيته فى اقامة حوائجهم وتهيم

صالحهم وفضائل الجهاد لا تكاد تضبط فعلى المؤمن ان يكون فى طاعة ربه باى وجه كان من الوجوه التعبدية فان الآية الاولى وهى قوله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الاية وان نزلت فى الحرب لكن يقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات * مكن عمر ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال قبل ان تجيء فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا اويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وعن الزبير بن عدى قال اتينا انس بن مالك فشكونا اليه ما نلقى من الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده اشد منه شرا حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم (قال الحافظ) روزى اكر غمى رسدت تنك دل مباش * روشكر كن مبادكه ازبد بترشود * واعلم ان العدة والسلاح فى جهاد النفس والشيطان يعنى آلة قتالهما ذكر الله وبه يتخلص الانسان عن كونه اسير الهوى النفسانى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وعن ابى واقد الحرث بن عوف رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى المسجد والناس معه اذ اقبل ثلاثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما احدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها واما الآخر فجلس خلفهم واما الثالث فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن النفر الثلاثة اما احدهم فاوى الى الله فآواه الله واما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه واما الآخر فاعرض فاعرض الله عنه بذكرش هرچه بينى درخروشست * دلى داند درين معنى كه كوشست * نه بلبل بركلش تسبيح خوانيست * كه هرخارى بتوحيدش زبانيست (وما لكم) اى اى شئ حصل لكم من العلل ايها المؤمنون حال كونكم (لا تقاتلون فى سبيل الله) اى تاركين القتال يعنى لا عذر لكم فى ترك المقاتلة وهذا استفهام بمعنى التوبيخ ولا يقال ذلك الا عند سبق التفريط (والمستضعفين) عطف على السبيل بحذف المضاف لا على اسم الله وان كان اقرب لان خلاص المستضعفين سبيل الله لا سبيلهم والمعنى فى سبيل الله وفى خلاص الذين استضعفهم الكفار بالتعذيب والاسر وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد وانما خصهم بالذكر مع ان سبيل الله عام فى كل خير لان تخليص ضعفة المسلمين من ايدى الكفار من اعظم الخير واخصه (من الرجال والنساء والولدان) بيان للمستضعفين والولدان الصبيان جمع ولد وانما ذكرهم معهم تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم فى الاستسقاء ودلت الآية على ان استنقاذ الاسارى من المسلمين من ايدى الكفار واجب بما قدروا عليه من القتال واعطاء المال (الذين) صفة للمستضعفين (يقولون) يعنى لا حيلة لهؤلاء المستضعفين ولا ملجأ الا الله فيقولون داعين (ربنا اخرجنا من هذه القرية) مكة (الظالم اهلها) بالشرك الذى هو ظلم عظيم وباذية المسلمين (واجعل لنا من لدنك وليا) اى ولى علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا يحفظ علينا ديننا وشرعنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) ينصرنا على اعدآئنا ولقد استجاب الله دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة قبل الفتح وجعل لمن بقى منهم الى الفتح خير ولى واعز ناصر ففتح مكة على يدى نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم اى تولية ونصرهم اى نصرة ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فجعل يضعف قدر الضعيف للحق ويعز العزيز بالحق فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا حتى صاروا اعز اهلها (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) اى المؤمنون انما يقاتلون فى دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز وجل فى اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) اى فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه (فقاتلوا اولياء الشيطان) كانه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله اولياء الشيطان (ان كيد الشيطان) الكيد السعى فى فساد الحال على جهة الاحتيال (كان ضعيفا) اى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله بالكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شئ واوهنه وهذا كما يقال للحق دولة

وللباطل جولة قالوا ادخال كان فى امثال هذه المواقع لتأكيد بيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان كان موصوفا بالضعف قال الامام فى تفسيره ان كيد الشيطان كان ضعيفا لان الله ينصر اولياءه والشيطان ينصر اولياءه ولا شك ان نصرة الشيطان لاوليائه اضعف من نصرة الله لاوليائه الا ترى ان اهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا حال حياتهم فى غاية الفقر والذلة واما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرضوا ولا يبقى فى الدنيا رسمهم ولا اطلالهم قيل النار حفت بالشهوات وان فى كل نفس شيطانا يوسوس اليها وملكا يلهمها الخير فلا يزال الشيطان يزين ويخدع ولا يزال الملك يمنعها ويلهمها الخير فايهما كانت النفس معه كان هو الغالب قيل ان كيد الشيطان والنفس بمثابة الكلب ان قاومته مزق الاهاب وقطع الثياب وان رجعت الى ربه صرفه عنك برفق فالله تعالى جعل الشيطان عدوا للعباد ليوحشهم به اليه وحرك عليهم النفس ليدوم اقبالهم عليه فكلما تسلطا عليهم رجعوا اليه بالافتقار وقاموا بين يديه على نعت اللجأ والاضطرار قال احمد بن سهل اعداؤك اربعة الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها العزلة والشيطان وسلاحه الشبع وسجنه الجوع والنفس وسلاحها النوم وسجنها السهر والهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت واعلم ان كيد الشيطان ضعيف فى الحقيقة فان الله ناصر لاوليائه كل حين ويظهر ذلك الامداد فى نفوسهم بسبب تزكيتهم النفس وتخلية القلب عن الشواغل الدنيوية وامتلاء اسرارهم بنور التوحيد فان الشيطان ظلمانى يهرب من النورانى لا محالة روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استأذن يوما على النبى عليه السلام وعنده نساء من قريش يسألنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما دخل ابتدرن الحجاب فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك فقال ما اضحكك يا رسول الله بابى انت وامى فقال صلى الله عليه وسلم عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى فلما سمعن صوتك بادرن الحجاب فقال عمر انت احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عليهن فقال اى عدوات انفسهن اتهبننى ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن انت افظ واغلظ من رسول الله فقال عليه السلام يا ابن الخطاب فوالذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وروى عن وهب بن منبه انه قال كان عابد فى بنى اسرائيل اراد الشيطان ان يضله فلم يستطع من اى جهة اراده من الشهوة والغضب وغير ذلك فاراده من قبل الخوف وجعل يدلى الصخرة من الجبل فاذا بلغه ذكر الله فتباعد عنه ثم تمثل بالحية وهو يصلى فجعل يلتوى على رجليه وجسده حتى يبلغ رأسه وكان اذا اراد السجود التوى فى موضع رأسه فجعل ينحيه بيده حتى تمكن من السجود فلما فرغ من صلاته وذهب جاء اليه الشيطان فقال له فعلت لك كذا وكذا فلم استطع منك على شئ فاريد ان اصادقك اى ان اكون صديقا لك فانى لا اريد ضلالتك بعد اليوم فقال العابد ما لى حاجة فى مصادقتك فقال الشيطان الا تسألنى باى شئ اضل بنى آدم قال نعم قال بالشح والحدة والسكر فان الانسان اذا كان شحيحا قللنا ماله فى عينه فيمنعه من حقوقه ويرغب فى اموال الناس كريمانرا بدست اندر درم نيست * خداوندان نعمت را كرم نيست * وقيل فى بعض الاشعار * باشد چو ابر بى مطر وبحر بى كهر * انرا كه با جمال نكو جود بار نيست * واذا كان الرجل حديدا ادرناه بيننا كما تدير الصبيان الاكرة ولو كان يحيى الموتى لم نبال به اكر آيد زدوستى كنهى * بكناهى نشايد آزردن * ورزبانرا بعذر بكشايد * بايدت خشم را فرو خوردن * زانكه نزديك عاقلان بترست * عفو نا كردن از كنه كردن * واما اذا سكر قدناه الى كل شئ كما تقاد العنز باذنها * مى مخور يل عقل شداى ناخلف * تا نجندى مخورى در روز كار * آدمى را عقل بايد دربدن * ورنه جان در كالبد دارد حمار * فعلى العاقل ان يجاهد فى سبيل الله فان المجاهدة على حقيقتها تقوى الروح الضعيف الذى استضعفه النفس بالاستيلاء عليه ويتضرع الى الله بالصدق والثبات حتى يخرج من قرية البدن الظالم اهلها وهو النفس الامارة بالسوء ويتشرف بولاية الله تعالى فى مقام الروح رزقنا الله واياكم فتح باب الفتوح والتذوق بنعيم القلب آمين يا ميسر كل عسير (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم) روى ان ناسا اتوا النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة وشكوا اليه ما يلقون من اذى المشركين قالوا كنا فى عز فى حالة الجاهلية والآن صرنا اذلة فلو اذنت لنا قتلنا هؤلاء المشركين على فرشهم فقال صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم اى امسكوا عن القتال (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) واشتغلوا بما امرتم به فانى لم اؤمر

بقتالهم وكانوا فى مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال فى وقت بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا فى الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية لان حب الحياة والنفرة عن القتل من لوازم الطباع وذلك قوله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) اى فرض عليهم الجهاد (اذا فريق) اذا للمفاجأة وفريق مبتدأ (منهم) صفته (يخشون الناس) خبره والجملة جواب لما اى فاجاء فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم (كخشية الله) مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اى يخشونهم كخشية بعضهم متشبهين باهل خشية الله تعالى (او اشد خشية) عطف عليه بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله وكلمة او للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم اشد منها (وقالوا) عطف على جواب لما اى فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا (ربنا لم كتبت علينا القتال) فى هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريقة تمنى التخفيف (لولا اخرتنا الى اجل قريب) اى هلا امهلتنا وتركتنا الى الموت حتى نموت باجالنا على الفراش وهذا استزادة فى مدة الكف واستمهال الى وقت آخر حذرا عن الموت وحبا للحياة (قل) اى تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفانى وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقى (متاع الدنيا قليل) اى ما يتمتع وينتفع به فى الدنيا سريع التقضى وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك الاجل ولو استشهدتم فى القتال صرتم احياء فتتصل الحياة الفانية بالحياة الباقية (والآخرة) اى ثوابها الذى من جملته الثواب المنوط بالقتال (خير) لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل (لمن اتقى) حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلاص بمواجب التكليف (ولا تظلمون فتيلا) عطف على مقدر اى تجزون ولا تنقصون ادنى شئ من اجور اعمالكم التى من جملتها مسعاتكم فى شأن القتال فلا ترغبوا عنه اعلم ان الآخرة خير من الدنيا لان نعم الدنيا قليلة ونعم الآخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الآخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالهموم والغموم والمكاره ونعم الآخرة صافية عن الكدورات ونعم الدنيا مشكوكة فان اعظم الناس تنعما لا يعرف انه كيف تكون عاقبته فى اليوم الثانى ونعم الاخرة يقينية فعلى العاقل ان يختار ما هو خير من كل وجه وهو الآخرة على ما هو شر من كل جهة وهو الدنيا (قال السعدى فى بعض قصائده) عمارت باسراى ديكر انداز * كه دنيارا اساسى نيست محكم * فريدون راسر امد باد شاهى * سليمانرا برفت ازدست خاتم * وفادارى مجوى ازدهر خونخوار * محالست انكبين دركام ارقم * مثال عمر سر بركرده شمعيست * كه كوته بازمى باشد مادم * ويابرفى كذاران برسر كوه * كزو هر لحظه جزئى ميشود كم * روى ان رجلا اشترى دارا فقال لعلى رضى الله عنه اكتب القبالة فكتب بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد اشترى مغرور من مغرور دارا دخل فيها فى سكة الغافلين لا بقاء لاصحابها فيها الحد الاول ينتهى الى الموت والثانى الى القبر والثالث الى الحشر والرابع الى الجنة اوالى النار والسلام فقرأ على الرجل فرد الدار وتصدق بالدنانير كلها وتزهد فى الدنيا فهذا هو حال العارفين حقيقة الحال قال القشيرى رحمه الله مكنك من الدنيا ثم قللها فلم يعدها لك شيأ ثم لو تصدقت منها بشق تمرة استكثر منك وهذا غاية الكرم وشرط المحبة وهو استقلال الكثير من نفسه واستكثار القليل من حبيبه واذا كان قيمة الدنيا قليلة فاخس من الخسيس من رضى بالخسيس بدلا من النفيس وقال ان الله تعالى اختطف المؤمن من الكون بالتدريج فقال اولا قل متاع الدنيا قليل فاختطفهم عن الدنيا بالعقبى ثم استلبهم عن الكونين بقوله والله خير وابقى فلابد للسالك ان يترقى الى اعلى المنازل ويسعى من غير فتور وكلال (قال مولانا جلال الدين) اى برادر بى نهايت دركهيست * هر كجا كه مى رسى بالله مايست * وثمرة المجاهدة لا تضيع البتة بل تجزى كل نفس بما عملت قال بعض المشايخ انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريدان يعطيهم ظاهرا وباطنا وكل ما فى الجنة لا يوافق ما فى الدنيا الا من حيث التسمية ولانه تعالى اجل اقدارهم عن ان يجازيهم فى دار لا بقاء لها قال تعالى وما عند الله خير وابقى ثم الجزاء فى تلك الدار له علامة فى هذه الدار وهى انه من وجد ثمرة عمله عاجلا وهى الحلاوة فيه والتوفيق لغيره والشكر عليه فهو دليل على وجود القبول لان الجزاء على ذلك مقصور قال ابراهيم بن ادهم لو يعلم الملوك

مانحن

ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف وقال بعضهم ليس شئ من البر الا ودونه عقبة يحتاج الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها افضى الى الراحة والسهولة وانما هى مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم المكابدة فى ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وانما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه فمن سره ان يعرف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله فى قلبه وقيل لبعضهم هل تعرف الله فغضب وقال ترانى اعبد من لا اعرف فقال له السائل او تعصى من تعرف (قال السعدى) عمرى كه ميرود بهمه حال سعى كن * تا در رضاى خالق بيچون بسر برى * وقال ايضا پيرى بودى وره ندانستى * تو نه پيرى كه طفل كتابى (اينما تكونوا يدرككم الموت) المقدر بالاجل او العذاب وفى لفظ الادراك اشعار بانهم فى الهرب منه وهو مجد فى طلبهم وهو كلام مبتدأ لا محل له من الاعراب (ولو كنتم فى بروج مشيدة) اى وان كنتم فى قصور عالية الى السماء محكمة بالشيد وهو الجص لا يصعد عليها بنو آدم قال مجاهد فى هذه الآية كان فيمن قبلكم امرأة وكان لها اجير فولدت جارية فقالت لاجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل ما ولدت هذه المرأة قال جارية قال اما ان هذه الجارية لا تموت حتى تزنى بمائة ويتزوجها اجيرها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الاجير فى نفسه فانا اريد هذه بعد ان تفجر بمائة لاقتلنها فاخذ شفرة فدخل فشق بطن الصغيرة وخرج على وجهه وركب البحر وخيط بطن الصبية فعولجت وبرئت وشبت فكانت تزنى فاتت ساحلا من ساحل البحر فاقامت عليه تزنى ولبث الرجل ما شاء الله ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير فقال لامرأة من اهل الساحل اطلبى لى امرأة من اجمل النساء اتزوجها فقالت ههنا امرأة من اجمل النساء ولكنها تفجر فقال ائتينى بها فاتتها فقالت قد قدم رجل له مال كثير وقال لى كذا وكذا فقالت انى تركت الفجور ولكن ان اراد ان يتزوجنى تزوجته قال فتزوجها فوقعت منه موقعا فبينما هو يوما عندها اذ اخبرها بامره فقالت انا تلك الجارية وارته الشق فى بطنها وقد كنت افجر فما ادرى بمائة او اقل او اكثر فقال زوجها فى نفسه ان الرجل الذى كان خارج الباب قال يكون موتها بالعنكبوت ثم اخبرها بذلك قال فبنى لها برجا فى الصحراء وشيده فبينما هى يوما فى ذلك البرج اذا عنكبوت فى السقف فقالت هذا يقتلنى لاقتلنه اذ لا يقتله احد غيرى فحركته فسقط فاتته فوضعت ابهام رجلها عليه فشدخته فساح سمه بين ظفرها واللحم فاسودت رجلها فماتت وفى ذلك نزلت هذه الآية اينما تكونوا يدرككم الموت واجمعت الامة على ان الموت ليس له سن معلوم ولا اجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على اهبة من ذلك مستعدا لذلك قال عليه السلام اكثروا ذكر هادم اللذات يعنى الموت وهو كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وابلغ فى الموعظة فان من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه اللذة الحاضرة ومنعه من تمنيها فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج الى تطويل الوعاظ وتزويق الالفاظ والا ففى قوله عليه السلام اكثروا ذكر هادم اللذات مع قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ما يكفى السامع ويشغل الناظر فيه (قال الحافظ) سپهر برشده پرويزنست خون افشان * كه ريزه اش سر كسرى وتاج پرويزست (قال السعدى) جهان اى پسر ملك جاويد نيست * زدنيا وفادارى اميد نيست * به بر باد رفتى سحركاه وشام * سر بر سليمان عليه السلام * باخر نديدى كه برباد رفت * خنك آنكه بادانش وداد رفت * والاشارة فى الآيات يا اهل البطالة فى زى الطلبة الذين غلب عليكم الهوى وحبب اليكم الدنيا فاقعدكم عن طلب المولى ثم رضيتم بالحياة الدنيا واطمأننتم بها اينما تكونوا يدرككم الموت اضطرارا ان لم تموتوا قبل ان تموتوا اختيارا ولو كنتم فى بروج مشيدة اى اجساد مجسمة قوية امزجتها اوصلنا الله واياكم الى حقيقة الفناء والبقاء امين (وان تصبهم حسنة) اى نعمة كخصب (يقولوا هذه من عند الله) نسبوها الى الله (وان تصبهم سيئة) بلية كقحط (يقولوا هذه من عندك) اضافوها اليك يا محمد وقالوا ان هى الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها (قل كل) من الحسنة والسيئة (من عند الله) يبسط ويقبض حسب ارادته (فما لهؤلاء القوم) اى اى شئ حصل لليهود والمنافقين من العلل حال كونهم (لا يكادون يفقهون حديثا) اى لا يقربون من فهم حديث عن الله تعالى كالبهائم ولو فهموا لعلموا ان الكل من عند الله والفقه هو الفهم ثم اختص من جهة العرف بعلم الفتوى (ما اصابك) يا انسان (من حسنة) من خير ونعمة (فمن الله) تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافى نعمة

الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا
الا ان يتغمدنى الله برحمته (وما اصابك من سيئة) من بلية وشئ تكرهه (فمن نفسك) لانها السبب فيها
لاستجلابها المعاصى وهو لا ينافى قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غيران الحسنة احسان
وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة
يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يغفر الله اكثر واعلم ان للاعمال اربع مراتب منها مرتبتان لله
تعالى وليس للعبد فيهما مدخل وهما التقدير والخلق ومنها مرتبتان للعبد هما الكسب والفعل فان الله تعالى منزه
عن الكسب وفعل السيئة وانهما يتعلقان بالعبد ولكن العبد وكسبه مخلوق خلقه الله تعالى كما قال والله خلقكم
وما تعملون فهذا تحقيق قوله قل كل من عند الله اى خلقا وتقديرا لا كسبا وفعلا فافهم واعتقد فانه مذهب اهل
الحق وارباب الحقيقة كذا فى التأويلات النجمية قال الضحاك ما حفظ الرجل القرآن ثم نسيه الا بذنب ثم قرأ
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم قال فنسيان القرآن من اعظم المصائب (وارسلناك للناس رسولا)
اى رسولا للناس جميعا لست برسول للعرب وحدهم بل انت رسول العرب والعجم كقوله تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس فرسولا حال قصد بها تعميم الرسالة والجار متعلق بها قدم عليها للاختصاص (وكفى بالله شهيدا)
على رسالتك بنصب المعجزات وفى التأويلات النجمية يشير بقوله تعالى وارسلناك للناس رسولا اى الناس
الذين قد نسوا الله ونسوا ما شاهدوا منه وما عاهدوا عليه الله وارسلناك اليهم لتبلغهم كلامنا وتذكرهم ايامنا
وتجدد لهم عهودنا وترغبهم فى شهودنا وتدعوهم الينا وتهديهم الى صراطنا وتكون لهم سراجا منيرا يهتدون
بهداك ويتبعون خطاك الى ان توصلهم الى الدرجات العلى وتنزلهم فى المقصد الاعلى وكفى بالله شهيدا اى شاهدا
لاحبائه واوليائه لئلا يكتفوا براحة دون لقائه انتهى (قال الحافظ) يوسف عزيزم رفت اى برادرآن رحمن *
كزغمش عجب ديدم حال پير كنعان * وفى الآية تعليم الادب ورؤية التأثير من الله تعالى روى ان ابا بكر رضى
الله عنه ابتلى بوجع السن سبع سنين فاعلمه جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل عليه السلام عن حاله
فقال لم لم تذكريا ابا بكر فقال كيف اشكو مما جاء من الحبيب فلا بد من التخلق بالاخلاق الحسنة لان الكل من
عند الله وانما ارسل الله رسوله لاخراج الناس من الظلمات الى النور فاذا تأدبوا بالآداب النبوية وصلوا الى
الحقيقة المحمدية (قال الشيخ العطار) دعوتش فرموده بر خاص وعام * نعمت خود را بروكرده تمام *
مبعث او سر نكونى بتان * امت او بهترين امتان * برميان دو كتف خورشيدوار * داشته مهر
نبوت آشكار * وكان خاتم النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم اشارة الى عصمته من وسوسة الشيطان لان
الخناس يجيئ من بين الكتفين فيدخل خرطومه قبل قلب الانسان فيوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس وراءه
وكان حول خاتم النبوة شعرات مائل الى الخضرة مكتوب عليه محمد نبى امين وقيل غير ذلك والتوفيق بين
الروايات بتعدد الخطوط وتنوعها بحسب الحالات والتجليات او بالنسبة الى انظار الناظرين ثم انه قد اتفق اهل
العلم على افضلية شهر رمضان لانه انزل فيه القرآن ثم شهر ربيع الاول لانه مولد حبيب الرحمن واما افضل
الليالى فقيل ليلة القدر لنزول القرآن فيها وقيل ليلة المولد المحمدى لولاه ما انزل القرآن ولا تعينت ليلة القدر
فعلى الامة تعظيم شهر المولد وليلته كى ينالوا منه شفاعته ويصلوا الى جواره (من يطع الرسول فقد اطاع الله)
لانه فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله تعالى روى انه عليه السلام قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد
اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى
فنزلت (ومن تولى) اى اعرض عن طاعته (فما ارسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها
انما عليك البلاغ وعلينا الحساب قوله حفيظا حال من كاف ارسلناك وعليهم متعلق بحفيظا (ويقولون)
اذا امرتهم بامر (طاعة) اى امرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا من عندك) اى خرجوا (بيت طائفة منهم غير الذى
تقول) اى زورت خلاف ما قلت لها يا محمد فالضمير للخطاب او ما قالت لك من ضمان الطاعة فالضمير للغيبة
واشتقاق البيت من البيتوتة ولما كان غالب الافكار التى يستقصى فيه الانسان واقعا فى الليل اذ هناك يكون
الخاطر اصفى والشواغل اقل سمى الفكر المستقصى مبيتا (والله يكتب ما يبيتون) يثبته فى صحائف اعمالهم
للمجازاة (فاعرض عنهم) قلل المبالاة بهم (وتوكل على الله) فى الامور كلها سيما فى شأنهم (وكفى بالله وكيلا)

يكفيك

يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوى امر الاسلام وعز انصاره والوكيل هو القائم بما يفوض اليه من التدبير
(افلا يتدبرون القرآن) يتأملون فى معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشئ وما يؤول اليه
فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى كل تأمل (ولو كان من عند غير الله) اى ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار
(لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب
معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه
دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية وهل يجوز ان يقال بعض كلام الله ابلغ من بعض
قال الامام السيوطى فى الاتقان جوزه قوم لقصور نظرهم فينبغى ان يعلم ان معنى قول القائل هذا الكلام ابلغ
من هذا الكلام ان هذا فى موضعه له حسن ولطف وبلاغة وذاك فى موضعه له حسن ولطف وهذا الحسن فى
موضعه اكمل وابلغ من ذلك فى موضعه فلا ينبغى ان يقال ان قل هو الله احد ابلغ من تبت بل ينبغى ان يقال تبت
يدا ابى لهب دعاء عليه بالخسران فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران احسن من هذه وكذلك فى قل هو الله احد
لا توجد عبارة تدل على وحدانيته ابلغ منها فالعالم اذا نظر الى تبت يدا ابى لهب فى باب الدعاء بالخسران ونظر
الى قل هو الله احد فى باب التوحيد لا يمكنه ان يقول احدهما ابلغ من الاخر وقال بعض المحققين كلام الله
فى الله افضل من كلامه فى غيره فقل هو الله احد افضل من تبت يدا ابى لهب لانه فيه فضيلة الذكر وهو كلام الله
وفضيلة المذكور وهو اسم ذاته وتوحيده وصفاته الايجابية والسلبية وسورة تبت فيها فضيلة الذكر فقط وهو
كلام الله تعالى قال الغزالى فى جوهر القرآن ومن توقف فى تفضيل الآيات اول قوله عليه السلام افضل
سورة واعظم سورة اراد فى الاجر والثواب لا ان بعض القرآن افضل من بعض فالكل فى فضل الكلام واحد
والتفاوت فى الاجر لا فى كلام الله تعالى من حيث هو كلام الله القديم القائم بذاته تعالى انتهى يقول الفقير
جامع هذه المجالس النفيسة قولهم ان هذه الآية فى غاية الفصاحة كما قال القاضى عند قوله تعالى وقيل يا ارض
ابلعى ماءك الآية يشعر بجواز القول بالتفاوت فى طبقات الفصاحة كما عليه علماء البلاغة ومن هنا (قال من
قال) در بيان ودر فصاحت كى بود يكسان سخن * كرچه كوينده بود چون جاحظ وچون اصمعى * در كلام
ايزد بيچون كه وحى منزلست * كى بود تبت يدا مانند يا ارض ابلعى * قال العلماء القرآن يدل على صدقه
عليه السلام من ثلاثة اوجه احدها اطراد الفاظه فى الفصاحة وثانيها اشتماله على الاخبار عن الغيوب
والثالث سلامته عن الاختلاف وسبب سلامته عنه على ما ذهب اليه اكثر المتكلمين ان القرآن كتاب كبير
مشتمل على انواع كثيرة من العلوم فلو كان ذلك من عند غير الله لوقع فيه انواع من الكلمات المتناقضة لان
الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا انه ليس من عند غير الله وانما هو وحى اوحى
اليه عليه السلام من عند الله بواسطة جبرائيل فمن اطاعه فيه فقد اطاع الله والاطاعة سبب لنيل المطالب
الدنيوية والاخروية ويرشدك على شرف الاطاعة ان كلب اصحاب الكهف لما تبعهم فى طاعة الله وعده دخول
الجنة (كما قال السعدى) سگ اصحاب كهف روزى چند * پى مردم گرفت ومردم شد * فاذا كان
من تبع المطيعين كذلك فما ظنك بالمطيعين وكما ان من صلى ولم يؤد الزكاة لم تقبل منه الصلاة ومن شكر الله
فى نعمائه ولم يشكر الوالدين لا يقبل منه فكذلك من اطاع الله ولم يطع الرسول لا يقبل منه والاشارة ان الرسول
صلى الله عليه وسلم كان لوصفه بالفناء فانيا فى الله باقيا بالله قائما مع الله فكان خليفة الله على الحقيقة فبها
يعامل الخلق حتى قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وكان الله خليفته فيما يعامله الخلق حتى قال ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله ولهذا كان يقول صلى الله عليه وسلم الله خليفتى على امتى فمن تولى فما ارسلناك عليهم
حفيظا فانك لست لك حافظا فكيف لهم فانهم تولوا عنى لا عنك فانما على حسابهم لا عليك وفى قوله تعالى
ويقولون طاعة اشارة الى احوال اكثر مريدى هذا الزمان اذا كانوا حاضرين فى الصحبة ينعكس تلألؤ اشعة
انوار الولاية فى مرآة قلوبهم فيزدادون ايمانا مع ايمانهم وارادة مع ارادتهم فيصغون بآذانهم الواعية الى الحكم
والمواعظ الحسنة ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ويقولون السمع والطاعة فيما يسمعون
ويخاطبون به فاذا برزوا من عندك وهب لهم رياح الهوى وشهوة الحرص وتمايلت قلوبهم عن محاذات القرار
على الولاية وعاد المشئوم الى طبعه بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون اى يغير عليهم ما يغيرون

على انفسهم لان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فاعرض عنهم فاصفح عنهم واصبر معهم وتوكل على الله ان الله يصلح بالهم ولا يجعل التغيير وبالهم ويحسن عاقبتهم ومالهم وكفى بالله وكيلا للمتوكلين عليه والملتجئين اليه ثم اخبر عن الدواء كما اخبر عن الداء بقوله افلا يتدبرون القرءآن والاشارة ان العباد لو كانوا يتدبرون القرءآن ويتفكرون فى آثار معجزاته وانوار هداياته ونظم آياته وكمال فصاحته وجمال بلاغته وجزالة الفاظه ورزانة معانيه ومتانة مبانيه وفى اسراره وحقائقه ودقة اشاراته ولطائفه وانواع معالجاته لامراض القلوب من اصابة ضرر الذنوب لوجدوا فيه لكل داء دواء ولكل مرض شفاء ولكل عين قرة ولكل وجه غرة ولرأوا كأسه موصوفا بالصفاء محفوظا عن القذر بحرا لا تنقضى عجائبه وبرا لا تنتهى غرائبه روحا لاتناقض فيه ولا خلاف وجثة لا تناقض فيها ولا اختلاف ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولم يجدوا فيه نقيرا وقطميرا انتخبته من التأويلات النجمية (وفى المثنوى) چون تو در قرآن حق بكريختى * باروان انبيا آميختى * هست قرآن حالهاى انبيا * ماهيان بحر پاك كبريا * ور بخوانى ونه قرآن پذير * انبيا واوليا را ديده كير (واذا جاءهم) اى بلغ ضعفة المسلمين (امر من الامن او الخوف) اى خبر من السرايا الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفر وغنيمة او نكبة وهزيمة (اذاعوا به) اى افشوا ذلك الخبر واظهروه لعدم خبرتهم بالاحوال واستنباطهم للامور وكانت اذاعتهم مفسدة يقال اذاع السر واذاع به والباء مزيدة (ولو ردوه) اى ذلك الخبر (الى الرسول والى اولى الامر منهم) بترك التعرض له وجعله بمنزلة غير المسموع وتفويض امره الى رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ورأى كبار اصحابه كالخلفاء الاربعة اورأى امراء السرايا وكبار الصحابة اولوا امر على معنى انهم البصراء بالامور وان لم يكن لهم امر على الناس والامراء اولوا الامر على الناس مع كونهم بصراء بالامور (لعلمه) اى لعلم تدبير ما اخبروا به على اى وجه يذكرونه (الذين) اى الرسول واولوا الامر الذين (يستنبطونه منهم) اى يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم الصحيحة ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر يقال انبط الحفار اذا بلغ الماء وسمى القوم الذين ينزلون بالبطايح بين العراقين نبطا لاستنباطهم الماء من الارض وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون منه فالمراد بالمستنبطين منهم على كلا الوجهين الرسول واولوا الامر ومن فى قوله يستنبطونه منهم اما تبعيضية واما بيانية تجريدية وفى الاية نهى عن افشاء السر قيل لبعض الادباء كيف حفظك للسر قال انا قبره ومن هذا قيل صدور الابرار قبور الاسرار (وفى المثنوى) ور بكويى با يكى دو الوداع * كل سر جاوز الاثنين شاع * نكتهٔ كان جست ناكه از زبان * همچو تيرى دان كه جست آن از كمان * وا نكردد از ره آن تير اى پسر * بند بايد كرد سيلى را ز سر * وفى الاية اشارة الى ارباب السلوك اذا فتح لهم باب من الانس او الهيبة او الحضور او الغيبة من آثار صفات الجمال والجلال اشاعوه الى الاغيار ولو كان رجوعهم فى حل هذه المشكلات الى سنن الرسول صلى الله عليه وسلم والى سير اولى الامر منهم وهم المشايخ البالغون الواصلون ومن كان له شيخ كامل فهو ولى امره لعلمه الذين يستنبطونه منهم وهم ارباب الكشوف بحقائق الاشياء فهم الغواصون فى بحار اوصاف البشرية المستخرجون من اصداف العلوم درر حقائق المعرفة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بارسال الرسول وانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان) بالكفر والضلال (الا قليلا) اى الا قليلا منكم فان من خصه الله بعقل راجح وقلب غير متكدر بالانهماك فى اتباع الشهوات يهتدى الى الحق والصواب ولا يتبع الشيطان ولا يكفر بالله وان فرض عدم انزال القرءآن وبعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما ممن كان على دين المسيح قبل بعثته وقال الشيخ نجم الدين قدس سره فى تأويلاته لعل الاستثناء راجع الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه فانه كان قبل مبعث النبى عليه السلام يوافقه فى طلب الحق قالت عائشة رضى الله عنها لم اعقل ابوى قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشيا وروى عن النبى عليه السلام كنت وابو بكر كفرسى رهان سبقته فتبعنى ولو سبقنى لتبعته وفى الحقيقة كان النبى عليه السلام فضل الله

ورحمته يدل عليه قوله تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو الى قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلولا وجود النبى عليه السلام وبعثته لبقوا فى تيه الضلالة تائهين كما قال تعالى ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين يعنى قبل بعثته وكانوا قد اتبعوا الشيطان الى شفا حفرة من النار وكان عليه السلام فضلا ورحمة عليهم فانقذهم منها كما قال تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها (قال الشيخ العطار قدس سره) خويشتن را خواجهٔ عرصات كفت * انما انا رحمة مهداة كفت * (وقال حضرة الهدايى قدس سره) سرمايهٔ سعادت عالم محمداست * مقصود از ين طينت آدم محمداست * در صورت آدم آمد اكرچه مقدما * در معنى پيشوا ومقدم محمداست * كرچه هدايى رسالت مكرم است * محبوب حق محمد وخاتم محمداست * قال بعض الحكماء ان الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء واذنيه من العبرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضى وصدره من الاخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة وكفيه من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة فلما اكمله بهذه الصفة ارسله الى هذه الامة فقال هذا هديتى اليكم فاعرفوا قدر هديتى وعظموه كذا فى زهرة الرياض وقيل فى وجه عدم ارتحال جسده الشريف النظيف من الدنيا مع ان عيسى عليه السلام قد عرج الى السماء بجسده انه انما بقى جسمه الطاهر هنا لاصلاح عالم الاجساد وانتظامه فانه مظهر الذات وطلسم الكائنات فجميع الانتظام بوجوده الشريف كذا فى الواقعات المحمودية نقلا عن حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس الله سره آمين آمين يا رب العالمين (فقاتل فى سبيل الله) الفاء جزائية والجملة جواب لشرط مقدر اى ان تثبط المنافقون وقصر الاخرون وتركوك وحدك فقاتل انت يا محمد وحدك فى الطريق الموصل الى رضى الله وهو الجهاد ولا تبال بما فعلوا (لا تكلف الا نفسك) مفعول ثان للفعل المخاطب المجهول اى الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود والتكلف اسم لما يفعل بمشقة او بتصنع فالمحمود منه ما فعل بمشقة حتى الف ففعل بمحبة كالعبادات والمذموم منه ما يتعاطى تصنعا ورياء (وحرض المؤمنين) على القتال اى رغبهم فيه بذكر الثواب والعقاب او بوعد النصرة والغنيمة وما عليك فى شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى فى ذى القعدة وهى سوق من المدينة على ثمانية اميال ويقال لها حمراء الاسد ايضا فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الاية فخرج صلى الله عليه وسلم فى سبعين راكبا فكفاهم الله القتال كما قال (عسى الله ان يكف) اى يمنع (بأس الذين كفروا) البأس فى الاصل المكروه ثم وضع موضع الحرب والقتال قال تعالى لا يأتون البأس الا قليلا وعسى من الله واجب لانه فى اللغة الاطماع والكريم اذا اطمع انجز وقد فعل حيث القى فى قلوب الكفرة الرعب حتى رجعوا من مر الظهران ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا واقام بها ثمانى ليال وكان معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر فى سورة آل عمران (والله اشد بأسا) اى من قريش (واشد تنكيلا) اى تعذيبا وعقوبة ينكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدى اليها ويجوز ان يكونا جميعا فى الدنيا وان يكون احدهما فى الدنيا والآخر فى العقبى ثم له ثلاثة اوجه احدها ان معناه ان عذاب الله تعالى اشد من جميع ما ينالكم بقتالهم لان مكروههم ينقطع ثم تصيرون الى الجنة وما يصل الى الكفار والمنافقين من عذاب الله يدوم ولا ينقطع والثانى لما كان عذاب الله اشد فهو اولى ان يخاف ولا يجرى فى امره بالقتال منكم خلاف وهذا وعيد والثالث لما كان عذاب الله اشد فهو يدفعهم عنكم ويكفيكم امرهم وهذا وعد وانما جبن المتقاعدون لشدة بأس الكفار وصولتهم ولكن الله قاهر فوق عباده وقوة اليقين رأس مال الدين والموت تحفة المؤمن الكامل خصوصا اذا كان فى طريق الجهاد والدنيا سريعة الزوال ولا تبقى على كل حال وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كثيرا ما ينشد هذه الابيات

لا شئ مما نرى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويردى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجرى الرياح له * والانس والجن فيما بينها ترد

اين الملوك التى كانت لعزتها * من كل اوب اليها وافد يفد
حوض هنا لك مورود بلا كذب * لا بد من ورده يوما كما وردوا

وفى التأويلات النجمية فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك المعنى فجاهد فى طلب الحق نفسك فان فى طلب الحق لا تكلف نفسا اخرى الا نفسك وفيه معنى آخر لا تكلف نفس اخرى بالجهاد لاجل نفسك لان جهادك من نفسك لا من نفس اخرى فدع نفسك وتعال فانك صاحب يوم لا تملك نفس لنفس شيأ وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اختص بهذا المقام من جميع الانبياء والمرسلين ان يكون فانى النفس والذى يدل عليه ان الانبياء يوم القيامة يقولون لبقاء نفوسهم نفسى نفسى ويقول النبى عليه السلام لفناء نفسه امتى امتى فافهم جدا ثم قال وحرض المؤمنين على القتال يعنى فى الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا ظاهرا وباطنا فالظاهر الكفار والباطن النفس والله اشد بأسا واشد تنكيلا فى استيلاء سطوات صفات قهره عند تجلى صفة جلاله للنفس من بأس الكافر عليها انتهى (وفى المثنوى) اندرين ره مى تراش ومى خراش * تادمى آخر دمى فارغ مباش * اى شهان كشتيم ما خصمى برون * ماند خصمى زوبتر در اندرون * كشتن اين كار عقل وهوش نيست * شير باطن سخرۀ خر كوش نيست * سهل شيرى دانكه صفها بشكند * شير آنست آنكه خود را بشكند (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها والشفاعة الحسنة هى التى روعى بها حق مسلم ودفع بها عنه شرا وجلب اليه خيرا وابتغى بها وجه الله تعالى ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت فى امر جائز لا فى حد من حدود الله ولا فى حق من الحقوق (ومن يشفع شفاعة سيئة) وهى ما كانت بخلاف الحسنة (يكن له كفل منها) اى نصيب من وزرها مساو لها فى المقدار من غير ان ينقص منه شئ وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما فى قلبك لما تكلمت فى حاجتك لا اتكلم فيما بقى منها ومن بلاغات الزمخشرى شيئان شينان فى الاسلام الشفاعة فى الحدود والرشوة فى الاحكام والحدود عقوبة مقدرة يجب على الامام اقامتها حقا لله تعالى لئلا يتضرر العباد فالتعزير ليس بحد اذ ليس له قدر معين فان اكثره تسعة وثلاثون سوطا واقله ثلاثة وكذا القصاص لا يسمى حدا لانه حق العبد وهو ولى القصاص ولهذا سقط بالعفو والاعتياض فحد الزنى لغير المحصن مائة جلدة وللعبد نصفها وحد شرب الخمر ثمانون سوطا للحر واربعون للعبد مفرقا على بدنه كما فى حد الزنى وحد القذف كحد الشرب فمن قذف محصنا او محصنة بصريح الزنى حد بطلب المقذوف المحصن لان فيه حق العبد من حيث دفع العار عنه وكذا طلب المسروق منه شرط القطع فى السرقة فهذه حدود لا يجرى فيها الشفاعة اذا لحق علم القاضى بالواقعة ولهذا قال فى ترجمة وصايا الفتوحات المكية ونزديك حاكم در حدود الله شفاعت مكن * ابن عباس رضى الله عنه درخواست كردند درباب دزدى شفاعت كند * ابن عباس رضى الله عنه كفت هركه شفاعت كند وهركه قبول كند * هردو در لعنت اندا كر پيش ازانكه بحاكم معلوم نشود ميكفتيد مى شد * انتهى ولما كانت الشفاعة فى القصاص غير الشفاعة فى الحدود قال صلى الله عليه وسلم ما من صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر ذكره الامام الغزالى رحمه الله وافصح الحديث عن ان الشفاعة هى التوسط بالقول فى وصول شخص فى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية وخلاصه عن مضرة ما كذلك واذا كانت فى امر غير مشروع لا تكون صدقة بل سيئة وذكر فى ترجمة الوصايا ايضا چون براى كسى شفاعت كنى وكار او ساخته شود زنهار هديۀ او قبول مكن كه رسول الله صلى الله عليه وسلم انرا ازجملۀ ربوا نهاده است شيخ اكبر قدس سره الاطهر فرمود كه در بعض بلاد عرب يكى ازاعيان مرا بخانۀ خود دعوت كرد وترتيبى كرده بود وكرامتى مهيا داشته چون طعام احضار كردند اورا بسلطان بلند حاجتى بود ازمن طلب شفاعت كرد وسخن من نزد سلطان درغايت قبول بود شيخ فرمود كه اورا كفتم نعم وبرخاستم وطعام نخوردم وهدايا قبول نكردم وحاجت او پيش سلطان كذاردم واملاك وى بوى باز كشت ومرا هنوز حديث نبوى وقوف نبود ولكن مروت من چنين تقاضا كرد واستنكاف كردم كه كسى رابمن حاجتى باشد وازوى بمن نفعى عائد شود ودرحقيقت

آن عنايت وعصمت حق بود * انتهى وبالجملة ينبغى للمؤمن ان يتشفع للجانى الى المجنى عليه بل ومن حقوق الاسلام ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة ويسعى فى قضاء حاجته بما يقدر عليه (قال السعدى) كرازحق نه توفيق خيرى رسد * كى از بنده خيرى بغيرى رسد * اميد است ازانانكه طاعت كنند * كه بى طاعتانرا شفاعت كنند * ومن الشفاعة الحسنة الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله تعالى وعن النبى عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود والدعوة على المسلم بضد ذلك وانما يستجاب الدعاء بظهر الغيب لبعده عن شائبة الطمع والرياء بخلاف دعاء الحاضر للحاضر لانه قلما يسلم عن ذلك فالغائب لا يدعو للغائب الا لله خالصا فيكون مقبولا والصلاة على النبى عليه السلام فى الصلاة وغيرها دعاء من العبد المصلى لمحمد صلى الله عليه وسلم عن ظهر الغيب فشرع ذلك رسول الله وامر الله به فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ليعود هذا الخير من الملك على المصلى ولهذا جوز الحنفية قرآءة الفاتحة لروح المطهر عليه السلام ومنعها الشافعية لان الدعاء بالترحم يوهم التقصير ولذا لا يقال عند ذكر الانبياء رحمة الله عليهم بل عليهم السلام والجواب ان نفع القرآءة يعود على القارئ فاى ضرر فى ذلك (وكان الله على كل شئ مقيتا) اى مقتدرا مجازيا بالحسنة والسيئة من اقات على الشئ اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا قال الامام الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى معنى المقيت خالق الاقوات وموصلها الى الابدان وهى الاطعمة والى القلوب وهى المعرفة فيكون بمعنى الرازق الا انه اخص منه اذ الرزق يتناول القوت وغير القوت والقوت ما يكتفى به فى قوام البدن او يكون معناه المستولى على الشئ القادر عليه والاستيلاء يتم بالقدرة والعلم وعليه يدل قوله تعالى وكان الله على كل شئ مقيتا اى مطلعا قادرا فيكون معناه راجعا الى العلم والقدرة فوصفه بالمقيت اتم من وصفه بالقادر وحده وبالعالم وحده لانه دال على اجتماع المعنيين وبذلك يخرج هذا الاسم عن الترادف والاشارة فى الآية ان من يشفع شفاعة حسنة لايصال نوع من الخيرات الى الغير يكن له نصيب منها فانها من خصوصيتها ان يكون له نصيب منها اى فيه نصيب من هذه الحسنة فمن تلك الخصوصية قد يشفع شفاعة حسنة ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له اى فى جبلته كفل منها يعنى من تلك السيئة التى هى ايصال نوع من الشر فبها قد يشفع شفاعة سيئة كما قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا ان الله كان فى الازل على كل شئ مقيتا شهيدا فى ايجاد المحسن والمسيء مقتدرا حليما حفيظا يعطيهما استعداد شفاعة حسنة وسيئة لا يقدران اليوم على تبديل استعدادهما لقابلية الخير والشر فافهم جدا (قال الحافظ) نقش مستورى ومستى نه بدست من وتست * آنچه استاد ازل كفت بكن آن كردم * (وقال السعدى) كرت صورت حال بد يا نكوست * نكاريدۀ دست تقدير اوست * (واذا حييتم بتحية) التحية مصدر من حى كالتسمية من سمى اصلها تحيية كتفعلة واصل الاصل تحييى بثلاث يا آت فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التأنيث وادغمت الاولى فى الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء واصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت فى كل دعاء لان الدعاء بالخير لا يخلو شئ منه عن الدعاء بنفس الحياة او بما هو السبب المؤدى الى قوتها وكمالها او بما هو الغاية المطلوبة منها وكانت العرب اذا لقى بعضهم بعضا يقول حياك الله اى جعل الله لك حياة واطال حياتك ويقول بعضهم عش الف سنة ثم استعملها الشرع فى السلام وهى تحية الاسلام قال تعالى فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قيل تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وفى السلام مزية على تحية العرب وهى حياك الله لما انه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية فانه اذا قال الانسان لغيره السلام عليك فقد دعا فى حقه بالسلامة عنها ويتضمن الوعد بسلامة ذلك الغير وامانه منه كانه قال انت سليم منى فاجعلنى سليما منك والسلامة مستلزمة لطول الحياة وليس فى الدعاء بطول الحياة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب فى فضله ومزيته ومعنى الآية اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين (فحيوا باحسن منها) اى بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعهما المسلم وهو ان يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته منتهى الامر فى السلام لكونه مستجمعا لجميع فنون المطالب

التى هى السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونمائها ولهذا اقتصر على هذا القدر فى التشهد روى عنه
عليه السلام انه قال من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له
عشرون حسنة ومن قال السلام عليكم ورحمة الله و بركاته كتب له ثلاثون حسنة والمبتدئ بالسلام ان شاء
يقول السلام عليكم وان شاء يقول سلام عليكم لان كل واحد من التعريف والتنكير وارد فى الفاظ القرءآن
قال الله تعالى والسلام على من اتبع الهدى وسلام على عباده الذين اصطفى لكن التنكير اكثر والكل جائز واما
التحليل من الصلاة فلابد فيه من الالف واللام بالاتفاق ومعنى الجمع فى السلام عليكم الخطاب الى الرجل
والملكين الحافظين معه فانهما يردان السلام ومن سلم عليه الملك فقد سلم من عذاب الله تعالى (اوردوها)
اى ردوا امثلها واجيبوا به لان رد عينها محال فحذف المضاف نحو واسأل القرية قال فى الكشاف رد السلام
ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وروى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام
ورحمة الله وبركاته وقال الاخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين ما قال
الله وتلا الآية اى اين رد الاحسن المذكور فى الاية فقال عليه السلام انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك
مثله فيكون قوله عليه السلام وعليك اى وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من قبيل رد المثل وجواب التسليم
واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها قال ابو يوسف من قال لاخر اقرئ فلانا منى السلام وجب عليه ان يفعل
واذا ورد سلام فى كتاب فجوابه واجب بالكتاب للآية (ان الله كان على كل شئ حسيبا) الحسيب بمعنى المحاسب
على العمل كالجليس بمعنى المجالس اى انه تعالى كان على كل شئ من اعمالكم سيما رد السلام بمثله او باحسن منه
محاسبا مجازيا فحافظوا على مراعاة التحية حسبما امرتم به فالجمهور على ان الاية فى السلام فالسنة ان يسلم
الراكب على الماشى وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير ويسلم على الصبيان
وهو افضل من تركه قال فى البستان وبه نأخذ ويسلم على اهل بيته حين يدخله فان دخل بيتا ليس فيه احد
فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان الملائكة ترد عليه السلام ويسلم على القوم حين يدخل عليهم
وحين يفارقهم ايضا فمن فعل ذلك شاركهم فى كل خير عملوه بعده قال القرطبى ولا يسلم على النساء الشابات
الاجانب خوف الفتنة من مكالمتهن بنزغة شيطان او خائنة عين واما السلام على المحارم والعجائز فحسن ويسلم
على اهل الاسلام من عرف منهم ومن لم يعرف ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغنى والقاعد لحاجته ومطير
الحمام والعارى فى الحمام وغيره قال ابن الشيخ فى حواشيه ومن دخل الحمام ورأى الناس متزرين يسلم عليهم
وان لم يكونوا متزرين لا يسلم عليهم لانه لا يسلم على المشتغل بمعصية انتهى لكن قال الامام الغزالى فى الاحياء
لا يسلم عند الدخول اى فى الحمام وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان احب
ان يجيب قال عافاك الله ولا بأس ان يفتتح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام انتهى ولا يرد فى الخطبة
وتلاوة القرءآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة وكذا لا يرد القاضى اذا سلم عليه
الخصمان وكذا لا يسلم القاضى على الخصوم اذا جلس للحكم لتبقى الهيبة وتكثر الحشمة وبهذا جرى الرسم
ان الولاة والامرآء لا بأس بان لا يسلموا اذا دخلوا فالمحتسب لا يسلم على اهل السوق فى طوافه للحسبة ليبقى
على الهيبة وقال بعضهم لا يسع للقاضى والوالى والامير ترك السلام اذا دخلوا لانه سنة فلا يسعهم ترك السنة
بسبب تقلد العمل وكذا المتصدق اذا سلم عليه السائل او ان سؤاله لا يرد وكذا من له ورد من القرءآن والدعوات
فسلم عليه احد فى حال ورده لا يرده وكذا اذا جلس فى المسجد للتسبيح او للقرآءة او لانتظار الصلاة واذا دخل
الزائر فى المسجد فسلم عليه احد من الداخلين فى المسجد يجوز واذا لم يكن فى المسجد احد الا من يصلى ينبغى
ان يقول الداخل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ولا يسلم فانه تكليف جواب فى غير محله حتى لا يرده
قبل الفراغ وبعده وهو الصحيح ولا يبادر بالسلام على الذمى الا لضرورة او حاجة له عنده ولا بأس بالدعاء للكافر
والذمى بما يصلحه فى دنياه قال ابن الملك الدعاء لاهل الكتاب بمقابلة احسانهم غير ممنوع لما روى ان يهوديا
حلب للنبى عليه السلام لقحة فقال عليه السلام اللهم جمله فبقى سواد شعره الى قريب من سبعين سنة قال
النووى الصواب ان ابتدآء اهل الكتاب بالسلام حرام لانه اعزاز ولا يجوز اعزاز الكفار وقال الطيبى المختار

ان المبتدع

ان المبتدع لا يبدأ بالسلام ولو سلم على من لا يعرفه فظهر ذميا او مبتدعا يقول استرجعت سلامى تحقيرا له
واما الاكل مع الكافر فان كان مرة او مرتين لتأليف قلبه على الاسلام فلا بأس فانه صلى الله عليه وسلم اكل
مع كافر مرة فحملناه على انه كان لتأليف قلبه على الاسلام ولكن تكره المداومة عليه كما فى نصاب الاحتساب
وفيه ايضا هل يحتسب على المسلم اذا شارك ذميا الجواب نعم اما فى المفاوضة فلانها غير جائزة بين المسلم والذمى
فكان الاحتساب عليه لدفع التصرف الفاسد واما فى العنان فلانها مكروهة بين المسلم والذمى من شرح
الطحاوى فكان الاحتساب لدفع المكروه واذا سلم الذمى فقل عليك بلا واو وهو الرواية من الثقات
او وعليك مثله قال فى الكشف ولا يقال لاهل الذمة وعليكم بالواو لانها للجمع وقال عليه السلام اذا سلم عليكم
احد من اليهود فانما يقول السام عليكم فقل عليك اى عليك مثله روى انه عليه السلام اتاه ناس من اليهود
فقالوا السام عليكم يا ابا القاسم فقال عليكم فقالت عائشة بل عليكم السام والذام فقال عليه السلام يا عائشة
ان الله لا يحب الفحش والتفحش قالت فقلت اما سمعت ما قالوا قال اوليس قد رددت عليهم فيستجاب لى فيهم
ولا يستجاب لهم فىّ والسنة الجهر فى السلام لقوله عليه السلام افشوا السلام وعن ابى حنيفة رحمة الله عليه
لا يجهر بالرد يعنى الجهر الكثير وحكى ان سياحا دخل على عالم فسلم عليه فرد عليه السلام وخافت ثم دخل عليه
غنى فسلم فرد عليه الجواب وجهر فصاح السياح وقال رحمك الله ما تقول فى السلام على نوعين او على ثلاثة
انواع فقال لا بل على نوع واحد فقال ايد الله الفقيه ارى السلام ههنا على نوعين فتحير الفقيه وخجل فى نفسه
فقال ايد الله الفقيه اسألك مسئلة ما تقول فيمن حلف لا يدخل الدار بنية بغير سنة فدخل دارك هذه يحنث
ام لا فسكت الفقيه فلم يجبه فقال تلاميذ الفقيه للسياح اخرج فانك اشغلتنا فقال ايها الشبان ما مثله ومثلكم
الا كمثل ضال ضل طريقه فجعل يسترشد من ضال مثله ارشده ام لا فهذا استاذكم ضل طريق الآخرة وانتم
جئتم تطلبون منه ان يرشدكم فأنى يرشدكم ثم خرج كذا فى روضة العلماء (قال الصائب) زبى دردان علاج
درد خود جستن بآن ماند * كه خار ازپا برون آرد كسى با نيش عقربها * الى هنا سلام الاحياء فاذا
بلغ المقابر ومر بها قال وعليكم السلام اهل الديار من المسلمين والمؤمنين رحم الله المستقدمين منكم
والمستأخرين منا انتم لنا سلف ونحن لكم تبع وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية
وفى الحديث ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام قال ابن السيد على
فى شرح الشرعة ولعل المراد انه يرد السلام بلسان الحال لا بلسان المقال يؤيده ما ورد فى بعض الاخبار
من انهم يتأسفون على انقطاع الاعمال عنهم حتى يتحسرون على رد السلام وثوابه انتهى قال الامام السيوطى
رحمه الله الاحاديث والآثار تدل على ان الزائر متى جاء علم به المزور وسمع بكلامه وانس به ورد عليه وهذا عام
فى حق الشهدآء وغيرهم وانه لا توقيت فى ذلك وهو الاصح لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرع لامته
ان يسلموا على اهل القبور سلام من يخاطبون ممن يسمع ويعقل قال ارباب الحقيقة للروح اتصال بالبدن بحيث
يصلى فى قبره ويرد على المسلم عليه وهو فى الرفيق الاعلى ومقره فى عليين ولا تنافى بين الامرين فان شأن
الارواح غير شأن الابدان وانما يأتى الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد ان الروح مما يعهد
من الاجسام التى اذا شغلت مكانا لم يمكن ان تكون فى غيره وقد مثل بعضهم بالشمس فى السماء وشعاعها
فى الارض كالروح المحمدى يرد على من يصلى عليه عند قبره دآئما مع القطع بان روحه فى اعلى عليين وهو لا ينفك
من قبره كما قال عليه السلام ما من مسلم يسلم علىّ الا رد الله علىّ روحى حتى ارد عليه السلام فان قلت هل يلزم
تعدد الحياة من تلك وكيف يكون ذلك قلت يؤخذ من هذا الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم حى على الدوام
فى البرزخ الدنيوى لانه محال عادة ان يخلو الوجود كله من واحد يسلم على النبى عليه السلام فى ليل او نهار
فقوله صلى الله عليه وسلم رد الله علىّ روحى اى ابقى الحق فىّ شعور حياتى الحسى فى البرزخ وادراك حواسى من
السمع والنطق فلا ينفك الحس والشعور الكلى من الروح المحمدى الكلى ليس له غيبة عن الحواس والاكوان
لانه روح العالم الكلى وسره السارى (قال العطار قدس سره فى نعت النبى المختار) خواجهٔ كز هرچه گويم
پيش بود * در همه چيزى همه در پيش بود * وصف او در گفت چون آيد مرا * چون عرق از شرم
خون آيد مرا * او فصيح عالم ومن لال او * كى توانم داد شرح حال او * وصف او كى لايق اين ناكسست *

واصف او خالق عالم بسست * انبيا از وصف تو حيران شده * همر شناسان نيز سر كردان شده *

والاشارة فى الاية واذا حييتم بتحية من الخير والشر فحيوا باحسن منها اما الخير فبخير احسن منه واما الشر فبحلم وعفو او مكافاة بالخير اوردوها يعنى كافئوا المحسن بمثل احسانه والمسيىء بمثل اساءته يدل عليه قوله تعالى وجزآء سيئة سيئة مثلها وقال وان تعفوا اقرب للتقوى وقد ورد عن النبى عليه السلام عن جبريل عن الله تعالى فى تفسير قوله خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين وقال النبى عليه السلام تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك ان الله كان على كل شيء من العفو والاحسان حسيبا محاسبا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره كذا فى التأويلات النجمية (الله) مبتدأ وخبره قوله (لا اله الا هو) اى لا اله فى الارض ولا فى السماء غيره (ليجمعنكم) جواب قسم محذوف اى والله ليحشرنكم من قبوركم (الى) حساب (يوم القيامة) والقيامة بمعنى القيام والتاء للمبالغة لشدة ما يقع فيه من الهول (لا ريب فيه) حال من اليوم اى حال كون ذلك اليوم لا شك فيه انه كائن لا محالة او صفة مصدر محذوف اى جمعا لا ريب فيه فضمير فيه يرجع الى الجمع (ومن اصدق من الله حديثا) انكار لان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال دون غيره وفى الحديث (كذبنى ابن آدم) اى نسبنى الى الكذب (ولم يكن له ذلك) يعنى لم يكن التكذيب لائقا به بل كان خطأ (وشتمنى) الشتم وصف الغير بما فيه نقص وازرآء (ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى) يعنى لن يحيينى الله تعالى بعد موتى (وليس اول الخلق باهون على من اعادته) بل اعادته اسهل لوجود اصل البنية وهذا مذكور على طريق التمثيل لان الاعادة بالنسبة الى قوانا ايسر من الانشاء واما بالنسبة الى قدرة الله تعالى فلا سهولة له فى شيء ولا صعوبة (واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا) وانما صار هذا شتما لان التولد هو انفصال الجزء على الكل بحيث ينمو وهذا انما يكون فى المركب وكل مركب محتاج (وانا الاحد) اى المنفرد بصفات الكمال من البقاء والتنزه وغيرهما (الصمد) بمعنى المصمود يعنى المقصود اليه فى كل الحوآئج (الذى لم يلد) هذا نفى للتشبيه والمجانسة (ولم يولد) هذا وصف بالقدم والاولية (ولم يكن له كفوا احد) هذا تقرير لما قبله كذا فى شرح المشارق لابن الملك واعلم ان القيامة ثلاث الصغرى وهى موت كل احد قال النبى عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والوسطى وهى موت جميع الخلائق بالنفخة الاولى والكبرى وهى حشر الاجساد والسوق الى المحشر للجزآء بالنفخة الثانية (وفى المثنوى) سازد اسرافيل روزى ناله را * جان دهد پوسيدهٔ صدساله را * هين كه اسرافيل وقتند اوليا * مرده را زيشان حياتست ونما * وانما تحصل الحياة الباقية بعد الفناء عن النفس واوصافها وطريقه ذكر الله تعالى بالاخلاص فاذا تجلى معنى لفظ الجلالة الذى هو الاسم الاعظم يضمحل العالم والوجود ويحصل الاستغراق فى بحر التوحيد فاذا استغرق فيه يغيب عنه ماسوى الله تعالى كما ان الانسان اذا استغرق فى الماء لا يرى الغير اصلا قال الشيخ ابو يزيد البسطامى ومن قال الله وقلبه غافل عن الله فخصمه الله وحكى ان بعض الصلحاء دخل ليلة بقبولجة فى بلدة بروسة فرأى انه قد وضع سرير على الحوض وعليه بنت سلطان الجن ومعها جماعة كثيرة من هذه الطائفة فسألهم عن اصل ماء قبولجة فارسلت بعض جماعتها الى اصله فرأى انه ماء بارد فقال كيف يكون هذا اصله وهو حار فقالوا جماعتنا يذكرون فى رأس هذا الماء فى كل اسبوع الاسم الله والاسم هو فبحرارته يسخن الماء فتأثير الذكر غير منكر خصوصا من لسان ارباب التزكية والتصفية (وفى المثنوى) ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز * چشم نركس را ازين كركس بدوز * والاشارة فى الاية الله لا اله الا هو يعنى كان الله فى الازل لا اله اى لم يكن معه احد يوجد الخلق من العدم الا هو ليجمعنكم فى العدم مرة اخرى الى يوم القيامة فيفرقكم فيها فريق فى الجنة وفريق فى السعير وفريق فى مقعد صدق عند مليك مقتدر لا ريب فيه اى لا شك فى الرجوع الى هذه المنازل والمقامات ومن اصدق من الله حديثا يحدثكم بمصالح دينكم ودنياكم ومفاسد اخراكم واولاكم ويهديكم الى الهدى وينجيكم من الردى كذا فى التأويلات النجمية (فما لكم) ايها المؤمنون والمراد بعضهم قوله ما مبتدأ ولكم خبره والاستفهام للانكار والنفى (فى المنافقين) متعلق بما تعلق به الخبر اى اى شيء كائن لكم فيهم اى فى امرهم وشأنهم (فئتين) اى فرقتين وهو حال من الضمير المجرور فى لكم والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم فى امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرآئهم مجرى المجاهرين بالكفر

فى جميع الاحكام وذلك ان ناسا من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتوآء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون فانزل الله تعالى الاية (والله اركسهم) حال من المنافقين اى والحال انه تعالى ردهم الى الكفر واحكامه من الذل والصغار والسبى والقتل والاركاس الرد والرجع يقال ركست الشيء واركسته لغتان اذا رددته وقلبت آخره على اوله (بما كسبوا) اى بسبب ما كسبوا من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتريدون) ايها المخلصون القائلون بايمانهم (ان تهدوا من اضل الله) اى تجعلوه من المهتدين ففيه توبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدى الى محاولة المحال الذى هو هداية من اضل الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدآئهم وهم بمعزل من ذلك سعى فى هدايتهم وارادة لها (ومن يضلل الله) اى ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان (فلن تجد له سبيلا) من السبل فضلا عن ان تهديه اليه وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو (ودوا لو تكفرون) بيان لغلوهم وتماديهم فى الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم فى انفسهم وكلمة لو مصدرية فلا جواب لها اى تمنوا ان تكفروا (كما كفروا) نصب على انه نعت لمصدر محذوف اى كفرا مثل كفرهم فما مصدرية (فتكونون سوآء) عطف على تكفرون والتقدير ودوا كفركم وكونكم مستوين معهم فى الضلال وفيه اشارة الى ان من ود الكفر لغيره فذلك من امارات الكفر فى باطنه وان كان يظهر الاسلام لانه يريد تسوية الاعتقاد فيما بينهما وهذا من خاصية الانسان يحب ان يكون كل الناس على مذهبه واعتقاده ودينه وقال صلى الله عليه وسلم الرضى بالكفر كفر (فلا تتخذوا منهم اولياء) اى اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم (حتى يهاجروا فى سبيل الله) اى حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه السلام لا لغرض من اغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه (فان تولوا) اى عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة (فخذوهم) اذا قدرتم عليهم (واقتلوهم حيث وجدتموهم) من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) اى جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا والاشارة فى الاية الى ارباب الطلب السائرين الى الله تعالى فانهم نهوا عن اتخاذ اهل الدنيا احباء وعن مخالطتهم حتى يهاجروا عما هم فيه من الحرص والشهوة وحب الدنيا ويوافقوهم فى طلب الحق وامروا بان يعظوهم بالوعظ البليغ ويقتلوهم اى انفسهم وصفاتها الغالبة بكمال أوهم (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال (او جاؤكم) عطف على الصلة اى والذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين (حصرت صدورهم) حال باضمار قد اى وقد ضاقت صدورهم فان الحصر بفتحتين الضيق والانقباض (ان يقاتلوكم) اى ضاقت عن ان يقاتلوكم مع قومهم (او يقاتلوا قومهم) معكم والمراد بالجائين الذين حصرت صدورهم عن المقاتلة بنو مدلج وهم كانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم فضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذى بينكم ولانه تعالى قذف الرعب فى قلوبهم وضاقت صدورهم عن قتال قومهم لكونهم على دينهم نهى الله تعالى عن قتل هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد للمؤمنين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم فى حقن الدم (ولو شاء الله لسلطهم) اى بنى مدلج (عليكم) بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم قال فى الكشاف فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط (فلقاتلوكم) عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) اى فان لم يتعرضوا لكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله تعالى (والقوا اليكم السلم) اى الانقياد والاستسلام (فما جعل الله

لكم عليهم سبيلا) اى طريقا بالاسر اوبالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم اليكم
السلم وان لم يعاهدوكم كافية فى استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم قال بعضهم الاية منسوخة بآية القتال والسيف
وهى قوله تعالى اقتلوا المشركين وقال آخرون انها غير منسوخة وقال اذا حملنا الآية على المعاهدين فكيف
يمكن ان يقال انها منسوخة قال الحدادى فى تفسيره لا يجوز مهادنة الكفار وترك احد منهم على الكفر من غير
جزية اذا كان بالمسلمين قوة على القتال واما اذا عجزوا عن مقاومتهم وخافوا على انفسهم وذراريهم جاز لهم
مهادنة العدو من غير جزية يؤدونها اليهم لان حظر الموادعة كان بسبب القوة فاذا زال السبب زال الحظر
(ستجدون) قوما (آخرين يريدون ان يأمنوكم) اى يظهرون لكم الصلح يريدون ان يأمنوا منكم بكلمة التوحيد
يظهرونها لكم (ويأمنوا قومهم) اى من قومهم بالكفر فى السر وهم قوم من اسد وغطفان اذا اتوا المدينة اسلموا
وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم (كلما ردوا الى الفتنة)
دعوا من جهة قومهم الى قتال المسلمين (اركسوا فيها) عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا
من كل عدو شرير (فان لم يعتزلوكم) بالكف عن التعرض لكم بوجه ما (ويلقوا اليكم السلم) اى لم يلقوا
اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم (ويكفوا ايديهم) اى لم يكفوها عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث
ثقفتموهم) اى تمكنتم منهم (واولئكم) الموصوفون بما عد من الصفات القبيحة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا)
اى حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر وغدرهم واضرارهم
باهل الاسلام والاشارة فى الاية الاولى ان الاختلاف واقع بين الامة فى ان خذلان المنافقين انما هو امر من عند
انفسهم او امر من عند الله وقضائه وقدره فبين الله بقوله فما لكم فى المنافقين فئتين اى صرتم فرقتين فرقة يقولون
الخذلان فى النفاق منهم وفرقة يقولون من الله وقضائه وقدره والله اركسهم بما كسبوا يعنى ان الله اركسهم
بقدره وردهم بقضائه الى الخذلان بالنفاق ولكن بواسطة كسبهم ما ينبت النفاق فى قلوبهم ليهلك من هلك عن
بينة ولهذا مثال وهو ان القدر كتقدير النقاش الصورة فى ذهنه والقضاء كرسمه تلك الصورة لتلميذه بالاسرب
ووضع التلميذ الاصباغ عليها متبعا لرسم الاستاذ كالكسب والاختيار فالتلميذ فى اختياره لا يخرج عن رسم
الاستاذ وكذلك العبد فى اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء والقدر ولكنه متردد بينهما ومما يؤكد هذا المثال
والتأويل قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقال واصبر وما صبرك الا بالله وذلك مثل ما ينسب الفعل الى
السبب الاقرب تارة والى السبب الابعد اخرى فالاقرب كقولهم قطع السيف يد فلان والابعد كقولهم قطع
الامير يد فلان ونظيره قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وفى موضع الله يتوفى الانفس حين موتها قال ابن نباتة
(اذا ما الاله قضى امره * فانت لما قد قضاه السبب) فعلى هذه القضية من زعم ان لا عمل للعبد اصلا فقد عاند
وجحد ومن زعم انه مستبد بالعمل فقد اشرك فاختيار العبد بين الجبر والقدر لان اول الفعل وآخره الى الله فالعبد
بين طرفى الاضطرار مضطر الى الاختيار فافهم جدا كذا فى التأويلات النجمية واعلم ان الجبرية ذهبت الى انه
لا فعل للعبد اصلا ولا اختيار وحركته بمنزلة حركة الجمادات والقدرية الى ان العبد خالق لفعله ولا يرون الكفر
والمعاصى بتقدير الله تعالى ومذهب اهل السنة والجماعة الجبر المتوسط وهو اثبات الكسب للعبد واثبات
الخلق لله تعالى واما مشاهدة الآثار فى الافعال من الله تعالى كما عليه اهل المكاشفة فذلك ليس من قبيل الجبر
(قال فى المثنوى) كر بپرانيم تيران نى زماست * ما كمان وتير اندازش خداست * اين نه جبر اين معنىء
جباريست * ذكر جبارى براى زاريست * زارىء ما شد دليل اضطرار * خجلت ما شد دليل اختيار *
(وما كان لمؤمن) اى وما صح له ولا لاق بحاله (ان يقتل مؤمنا) بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك (الا خطأ)
اى ليس من شأنه ذلك فى حال من الاحوال الا حال الخطأ فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية
تحت الطاقة البشرية فالمؤمن مجبول على ان يكون محلا لان يعرض له الخطأ كثيرا والخطأ ما لا يقارنه القصد
الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمى مسلم فى صف الكفار مع
الجهل باسلامه روى ان عياش بن ابى ربيعة وكان اخا ابى جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك
قبل هجرة النبى عليه السلام فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل
ومعه الحارث بن زيد بن ابى انيسة فاتياه وهو فى اطم اى جبل ففتل منه ابو جهل فى الذروة والغارب وقال

اليس

اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك ولك علينا ان لا نكرهك على شئ ولا نحول بينك وبين دينك
حتى نزل وذهب معهما فلما بعدا من المدينة شدا يديه الى خلف بحبل وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال
للحارث هذا اخى فمن انت يا حارث لله على ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل وثاقه
حتى يرجع عن دينه ففعل بلسانه مطمئنا قلبه على الايمان ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش
بظهر قباء فانحنى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه
فنزلت (ومن قتل مؤمنا خطأ) صغيرا كان او كبيرا (فتحرير رقبة) اى فعليه اعتاق نسمة عبر عن النسمة بالرقبة
كما يعبر عنها بالرأس (مؤمنة) محكوم باسلامها سواء تحققت فيها فروع الايمان وثمراته بان صلت وصامت
اولم يتحقق فدخل فيها الصغير والكبير والذكر والانثى وهذا التحرير هو الكفارة وهى حق الله تعالى الواجب على
من قتل مؤمنا مواظبا على عبادة الله تعالى والرقيق لا يمكنه المواظبة على عبادة الله تعالى فاذا اعتقه فقد اقامه
مقام ذلك المقتول فى المواظبة على العبادات (ودية مسلمة الى اهله) اى مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر
المواريث بعد قضاء الدين منها وتنفيذ الوصية واذا لم يبق وارث فهى لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة
كما قال صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له (الا ان يصدقوا) اى يتصدق اهله عليه سمى العفو عنها صدقة
حثا عليه وتنبيها على فضله وفى الحديث كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه المقدر عند قوله ودية مسلمة او بمسلمة
اى تجب الدية ويسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم عليه لان الدية حق الورثة فيملكون اسقاطها بخلاف التحرير
فانه حق الله تعالى فلا يسقط بعفو الاولياء واسقاطهم واعلم ان الدية مصدر من ودى القاتل المقتول اذا اعطى
وليه المال الذى هو بدل النفس وذلك المال يسمى الدية تسمية بالمصدر والتاء فى آخرها عوض عن الواو المحذوفة
فى الاول كما فى العدة وهى اى الدية فى الخطأ من الذهب الف دينار ومن الفضة عشرة آلاف درهم وهى على
العاقلة فى الخطأ وهم الاخوة وبنو الاخوة والاعمام وبنو الاعمام يسلمونها الى اولياء المقتول ويكون القاتل
كواحد من العاقلة يعنى يعطى مقدار ما اعطاه واحد منهم لانه هو الفاعل فلا معنى لاخراجه ومؤاخذة غيره
وسميت الدية عقلا لانها تعقل الدماء اى تمسكه من ان يسفك الدم لان الانسان يلاحظ وجوب الدية بالقتل
فيجتنب عن سفك الدم فان لم تكن له عاقلة كانت الدية فى بيت المال فى ثلاث سنين فان لم يكن ففى ماله
(فان كان) اى المقتول (من قوم عدو لكم) كفار محاربين (وهو مؤمن) ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه
بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم بالهجرة الى دار الاسلام او بان اسلم بعدما فارقهم لمهم من المهمات (فتحرير رقبة
مؤمنة) اى فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله لكونهم كفارا ولانهم محاربون (وان كان)
اى المقتول المؤمن (من قوم) كفرة (بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد موقت او مؤبد (فدية) اى فعلى قاتله دية
(مسلمة الى اهله) من اهل الاسلام ان وجدوا (وتحرير رقبة مؤمنة) كما هو حكم سائر المسلمين (فمن لم يجد) اى
رقبة لتحريرها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها وهو ما يصلح ان يكون ثمنا للرقبة فاضلا عن نفقته ونفقة عياله
وسائر حوائجه الضرورية من المسكن وغيره (فصيام) اى فعليه صيام (شهرين متتابعين) وايجاب التتابع
يدل على ان المكفر بالصوم لو افطر يوما فى خلال شهرين او نوى صوما آخر فعليه الاستئناف الا ان يكون الفطر
بحيض او نفاس او نحوهما مما لا يمكن الاحتراز عنه فانه لا يقطع التتابع والاطعام غير مشروع فى هذه الكفارة
بدليل الفاء الدالة على ان المذكور كل الواجب واثبات البدل بالرأى لا يجوز فلا بد من النص (توبة) كائنة
(من الله) ونصبه على المفعول له اى شرع لكم ذلك توبة اى قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته فان قيل
قتل الخطأ لا يكون معصية فما معنى التوبة قلت ان فيه نوعا من التقصير لان الظاهر انه لو بالغ فى الاحتياط
لما صدر عنه ذلك فقوله توبة من الله تنبيه على انه كان مقصرا فى ترك الاحتياط (وكان الله عليما) بحاله اى بانه
لم يقصد القتل ولم يتعمد فيه (حكيما) فيما امر فى شأنه والاشارة فى قوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين
ان تربية النفس وتزكيتها ببذل المال وترك الدنيا مقدم على تربيتها بالجوع والعطش وسائر المجاهدات فان حب
الدنيا رأس كل خطيئة وهى عقبة لا يقتحمها الا الفحول من الرجال كقوله تعالى فلا اقتحم العقبة وما ادراك
ما العقبة فك رقبة الاية وان اول قدم السالك ان يخرج من الدنيا وما فيها وثانيه ان يخرج من النفس وصفاتها
كما قال دع نفسك وتعال والانسلاخ عن المشارب كلها من الدنيا والآخرة على الدوام انما هو بجذبة من الله تعالى

واعطانه القابلية لذلك (كما قيل) داد حق را قابليت شرط نيست * بلكه شرط قابليت داد حق * حكى ان اولاد هارون الرشيد كانوا زهادا لا يرغبون فى الدنيا والسلطنة فلما ولد له ولد قيل له ادخله فى بيت من زجاج يعيش فيه مع التنعم والترنم والاغانى حتى يليق للسلطنة ففعل فلما كبر كان يوما يأكل اللحم فوقع عظم من يده فانكسر الزجاج فرأى السماء والارض فسأل عنهما فاجابوا على ما هو فطلب منهم ان يخرجوه من البيت فلما خرج رأى ميتا وجاء اليه وتكلم له فلم يتكلم فسأل عنه فقالوا هو ميت لا يتكلم وقال وانا اكون كذلك قالوا كل نفس ذائقة الموت فتركهم وذهب الى الصحراء فذهبوا معه فاذا خمسة فوارس جاؤا اليه ومعهم فرس ليس عليه احد فاركبوه واخذوه وغابوا وليس كل قلب يصلح لمعرفة الرب كما ان كل بدن لا يصلح لخدمته ولهذا قال تعالى وكان الله عليما اى بمن يصلح للجذبة والخدمة (قال الصائب) درسر هر خام طينت نشئه منصور نيست * هر سفالى راصداى كاسه فغفور نيست * وهذا لا يكون بالدعوى فان المحك يميز بين الجيد والزيوف وعالم الحقيقة لا يسعه القيل والقال الا يرى ان من كان سلطانا اعظم لا يرفع صوته بالتكلم لانه فى عالم المحو وكان امر سليمان عليه السلام لآصف بن برخيا باتيان عرش بلقيس مع انه فى مرتبة النبوة لذلك اى لما انه كان فى عالم الاستغراق فلم يرد التنزل وقوله عليه السلام لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل اشارة الى تلك المرتبة اللهم اجعلنا من الواصلين الى جناب قدسك والمتنعمين فى محاضر قولك وانسك (ومن يقتل مؤمنا) حال كون ذلك القاتل (متعمدا) فى قتله اى قاصدا غير مخطئ روى ان مقيس بن صبابة الكنانى كان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا فى بنى النجار فاتى رسول الله عليه السلام وذكر له القصة فارسل عليه السلام معه الزبير بن عياض الفهرى وكان من اصحاب بدر الى بنى النجار يأمرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله عليه السلام ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدى ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فتكون مسبة عليك اى عارا اقتل هذا الفهرى الذى معك فتكون نفس مكان نفس وتبقى الدية فضلة فرماه بصخرة فشدخ رأسه فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها الى مكة كافرا وهو يقول

قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بنى النجار اصحاب فارع

وادركت ثارى واضطجعت موسدا * وكنت الى الاوثان اول راجع

فنزلت الآية وهو الذى استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح عمن آمنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة (ونعم ما قيل) هر كه كند بخود كند * كر همه نيك وبد كند (فجزاؤه) الذى يستحقه بجنايته (جهنم) وقوله تعالى (خالدا فيها) حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه مقام الكلام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها (وغضب الله عليه) عطف على مقدر تدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستئناف تقريرا وتأكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاءه ذلك وغضب عليه اى انتقم منه (ولعنه) اى ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر (واعدّ له) فى جهنم (عذابا عظيما) لا يقادر قدره واعلم ان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب والكلام فى كفر من استحل دم المؤمن وخلوده فى النار حقيقة فاما المؤمن اذا قتل مؤمنا متعمدا غير مستحل لقتله فلا يكفر بذلك ولا يخرج من الايمان فان اقيد ممن قتله كذلك كان كفارة له وان كان تائبا من ذلك ولم يكن مقادا كانت التوبة ايضا كفارة له لان الكفر اعظم من هذا القتل فاذا قبلت توبة الكافر فتوبة هذا القاتل اولى بالقبول وان مات بلا توبة ولا قود فامره الى الله تعالى ان شاء غفر له وارضى خصمه وان شاء عذبه على فعله ثم يخرجه بعد ذلك الى الجنة التى وعده بايمانه لان الله لا يخلف الميعاد فالمراد بالخلود فى حقه المكث الطويل لا الدوام مع ان هذا اخبار منه تعالى بان جزاءه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تعالى يجزى كل سيئة مثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير وقد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا فهذا التشديد والتغليظ الذى هو سنة الله تعالى لا يتعلق بالقاتل التائب ولا بمن قتل عمدا بحق كما فى القصاص بل يتعلق بمن لم يتب وبمن قتل ظلما وعدوانا وفى الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرء مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضى بالمغرب لاشترك فى دمه وفيه من اعان على قتل

مسلم

مسلم بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وقد روى ان داود عليه السلام اراد بنيان بيت المقدس فبناه مرارا فكلما فرغ منه تهدم فشكا الى الله تعالى فاوحى الله اليه ان بيتى هذا لا يقوم على يدى من سفك الدماء فقال داود يا رب الم يك ذلك القتل فى سبيلك قال بلى ولكنهم أليسوا من عبادى فقال يا رب فأجعل بنيانه على يدى من فاوحى الله اليه ان ابنك سليمان يبنيه والغرض من هذه الحكاية مراعاة هذه النشأة الانسانية وان اقامتها اولى من هدمها الا ترى الى اعداء الدين انه قد فرض الله فى حقهم الجزية والصلح ابقاء عليهم وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من امتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار وفى الحديث اول ما يحاسب عليه العبد الصلاة واول ما يقضى بين الناس فى الدماء ثم يحاسب العبد ويقضى عليه فى حق زكاته وغيرها هل منعها ام اداها الى غير ذلك من الاحوال الجزئية ثم اعلم ان المقتول اذا اقتص منه الولى فذلك جزاؤه فى الدنيا وفيما بين القاتل والمقتول الاحكام باقية فى الآخرة لان الولى وان قتله فانما اخذ حق نفسه للتشفى ودرء الغيظ فاما المقتول فلم يكن له فى القصاص منفعة كذا فى تفسير الحدادى ولا كفارة فى القتل العمد لقوله عليه السلام خمس من الكبائر لا كفارة فيهن الاشراك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وقتل النفس عمدا واليمين الغموس والولى مخير بين ثلاث فى القتل العمد القصاص والدية والعفو وذلك لان فى شرع موسى عليه السلام القصاص وهو القتل فقط وفى دين عيسى عليه السلام العقل او العفو فحسب وفى ملتنا للتشفى القصاص وللترفه الدية وللتكرم العفو وهو افضل (قال السعدى) بدى رابدى سهل باشد جزا * اكر مردى احسن الى من اسا *

والاشارة فى الآية ان القلب مؤمن فى اصل الفطرة والنفس كافرة فى اصل الخلقة وبينهما عداوة جبلية وقتال اصلى وتضاد كلى فان فى حياة القلب موت النفس وفى حياة النفس موت القلب فلما كانت نفوس الكفار حية كانت قلوبهم ميتة فسماهم الله الموتى ولما كانت نفس الصديق ميتة وقلبه حيا قال النبى عليه السلام من اراد ان ينظر الى ميت يمشى على وجه الارض فلينظر الى الصديق فالاشارة فى قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا اى القلب والنفس يعنى النفس الكافرة اذا قتلت قلبا مؤمنا متعمدة للعداوة الاصلية باستيلاء صفاتها البهيمية والسبعية والشيطانية على القلب الروحانى وغلبة هواها عليه حتى يموت القلب بسمها القاتل فجزاؤه اى جزاء النفس جهنم وهى سفل عالم الطبيعة خالدا فيها لان خروج النفس عن سفل الطبيعة انما كان بحبل الشريعة والتمسك بحبل الشريعة انما كان من خصائص القلب المؤمن كقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فالايمان والعمل الصالح من شأن القلب وصنيعه فاذا مات القلب وانقطع عمله تخلد النفس فى جهنم سفل عالم الطبيعة ابدا وغضب الله عليها ولعنها بان يبعدها ويطردها عن الحضرة والقربة ويحرمها من ايصال الخير والرحمة اليها بخطاب ارجعى الى ربك واعدّ لها عذابا عظيما هجرانا عن حضرة العلى العظيم وحرمانا من جنات النعيم كذا فى التأويلات النجمية (يا ايها الذين آمنوا) نزلت الآية فى شأن مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان اسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان عليه السلام بعث سرية الى قومه كان عليها غالب بن فضالة الليثى فلما وصلت السرية اليهم هربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما وصلوا فدك كبروا وكبر مرداس معهم وكان فى سفح جبل ومعه غنمه فنزل اليهم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد وساق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه وهو يقول لا اله الا الله فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفى رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت عن قلبه فنظرت اصادق هو ام كاذب ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لى فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لى وامرنى بعتق رقبة وقال ...

ثم استغفرلى وامر برد الاغنام وتحرير رقبة مؤمنة والمعنى ايها المؤمنون (اذا ضربتم فى سبيل الله) اى سافرتم وذهبتم للغزو من قول العرب ضربت فى الارض اذا سرت لتجارة او غزو او نحوهما (فتبينوا)

التفعل بمعنى الاستفعال الدال على الطلب اى اطلبوا بيان الامر فى كل ماتأتون وماتذرون ولاتعجلوا فيه بغيرتدبر وروية (ولاتقولوا لمن التى اليكم السلام) اى لمن حياكم بتحية الاسلام (است مؤمنا) وانما اظهرت ماأظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ماأظهره وعاملوه بموجبه (تبتغون عرض الحياة الدنيا) حال من فاعل لاتقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأنى لكن لا على ان يكون النهى راجعا الى القيد فقط كما فى قولك لاتطلب العلم تبتغى به الجاه بل اليهما جميعا اى لاتقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذى هو حطام سريع النفاد وعرض الدنيا ما يتمتع به فيها من المال نقدا كان اوغيره قليلا كان اوكثيرا يقال الدنيا عرض حاضر يأ كل منها البر والفاجر وتسميته عرضا تنبيه على انه سريع الفناء قريب الانقضاء (فعند الله مغانم كثيرة) تغنيكم عن قتل امثاله لماله وهو تنبيه على ان ثواب الله تعالى موصوف بالدوام والبقاء (كذلك) اى مثل ذلك الذى التى اليكم السلام (كنتم) انتم ايضا (من قبل) اى فى مبادى اسلامكم لايظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها (فمن الله عليكم) بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم واموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم الفاء للعطف على كنتم (فتبينوا) الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به مافعل بكم فى اوائل اموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطئ الظاهر والباطن (ان الله كان بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها (خبيرا) فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه قال الامام الغزالى رحمه الله الخبير هو الذى لاتعزب عنه الاخبار الباطنة ولا يجرى فى الملك والملكوت شئ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبره وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سمى خبرة ويسمى صاحبه خبيرا وحظ العبد من ذلك ان يكون خبيرا بما يجرى فى عالمه وعالمه قلبه وبدنه والخفايا التى يتصف القلب بها من الغش والخيانة والتطواف حول العاجلة واضمار الشر واظهار الخير والتجمل باظهار الاخلاص والافلاس عنه ولا يعرفها الا ذو خبرة بالغة قد خبر نفسه ومارسها وعرف مكرها وتلبيسها وخدعها فحاربها وتشمر لمعاداتها واخذ الحذر منها فذلك من العباد جدير بان يسمى خبيرا انتهى كلام الامام (قال السعدى) نمى تازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * كه با نفس وشيطان برايد بزور * مصاف پلنكان نيايد زمور * ودلت الآية على ان المجتهد قد يخطئ كما اخطأ اسامة وان خطأه قد كان مغتفرا حيث لم يقتص منه وعلى ان الذكر اللسانى معتبر كما ان ايمان المقلد صحيح لكن ينبغى للمؤمن ان يترقى من الذكر اللسانى الى الذكر القلبى ثم الى الذكر الروحى ويحصل له التعين والمعرفة ويخلص من ظلمة الجهل ويتنور بنور المعرفة لان الانسان يموت كما يعيش عن ابن عباس ان جبريل عليه السلام جاء الى النبى عليه السلام فقال يامحمد ان ربك يقرئك السلام وهو يقول مالى اراك مغموما حزينا قال عليه السلام ياجبريل طال تفكرى فى امتى يوم القيامة قال فى امر اهل الكفر ام اهل الاسلام فقال ياجبريل فى امر اهل لا اله الا الله محمد رسول الله فاخذ بيده حتى اقامه الى مقبرة بنى سلمة ثم ضرب بجناحه الايمن على قبر ميت قال قم باذن الله فقام الرجل مبيض الوجه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقال جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الايسر فقال قم باذن الله فخرج رجل مسود الوجه ازرق العينين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه فقال له جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم قال يامحمد على هذا يبعثون يوم القيامة وعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تموتون كما تعيشون وتبعثون كما تموتون هر كسى آن درود عاقبت كاركه كشت * والاشارة فى الآية الى البالغين الواصلين بالسير الى الله ان ياايها الذين آمنوا ووفقوا بمجرد الايمان بالغيب اذا ضربتم فى سبيل الله يعنى سرتم بقدم السلوك فى طلب الحق حتى صار الايمان ايقانا والايقان احسانا والاحسان عيانا والعيان غيبا وصار الغيب شهادة والشهادة شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وبهما اقسم الله بقوله وشاهد ومشهود فافهم جدا وهذا مقام الشيخوخية فتبينوا عن حال المريدين وتثبتوا فى الرد والقبول وفى قوله ولاتقولوا لمن التى اليكم السلام لست مؤمنا اشارة الى ارباب الطلب فى البدء والارادة اى اذا تمسك احد بذيل ارادتكم والتى اليكم السلام بالانقياد والاستسلام لكم فلا تقولوا لست مؤمنا اى صادقا مصدقا فى التسليم لاحكام الصحبة وقبول التصرف فى المال والنفس على شرط الطريقة ولاتردوه

ولاتنفروه بمثل هذه التشديدات وقولوا له كما امر الله موسى وهرون عليهما السلام فقولا له قولا لينا فانتم اعز من الانبياء ولا المريد المبتدئ اذل من فرعون ولايهولنكم امر رزقه فتجتنبون منه طلبا للتخفيف والى هذا المعنى اشار بقوله تبتغون عرض الحياة الدنيا فلا تهتموا لاجل الرزق فعند الله مغانم كثيرة ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب. كذلك كنتم من قبل اى كذلك كنتم ضعفاء بالصدق والطلب محتاجين الى الصحبة والتربية بدو آء الارادة فمن الله عليكم بصحبة المشايخ وقبولهم اياكم والاقبال على تربيتكم وايصال رزقكم اليكم وشفقتهم وعطفهم عليكم فتبينوا ان تردوا صادقا اهتماما لرزقه او تقبلوا كاذبا حرصا على تكثير المريدين ان الله كان فى الازل بما تعملون اليوم من الرد والقبول والاحتياج الى الرزق الذى تهتمون له خبيرا بتقدير امور قدرها فى الازل وفرغ منها كما قال عليه السلام ان الله فرغ من الخلق والرزق والاجل وقال الضيف اذا نزل نزل برزقه واذا ارتحل ارتحل بذنوب مضيفه كذا فى التأويلات النجمية (لايستوى القاعدون) عن الجهاد (من المؤمنين) حال من القاعدين اى كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم كما سيأتى من الحسنى (غير اولى الضرر) بالرفع صفة للقاعدون فان قلت كلمة غير لاتتعرف بالاضافة فكيف جاز كونها صفة للمعرفة قلت اللام فى القاعدون للعهد الذهنى فهو جار مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم والاظهر انه بدل من القاعدون والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج اوشلل اوزمانة اونحوها وفى معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت رضى الله عنه انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت ان ترضها اى تكسرها ثم سرى عنه وازيل ماعرض له من شدة الوحى فقال اكتب فكتبت لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يارسول الله وكيف بمن لايستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سرى عنه فقال اكتب لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها فالمراد بالقاعدين هم الاصحاء الذين اذن لهم فى القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية قال ابن عباس رضى الله عنه هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول (والمجاهدون) عطف على القاعدون (فى سبيل الله باموالهم وانفسهم) اى لامساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة فى الاجر والثواب فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لايستويان فما فائدة نفى الاستواء قلت فائدته تذكير ما بينهما من التفاوت العظيم ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم) جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه فان انتفاء الاستواء بينهما يحتمل ان يكون بزيادة درجة احدهما على درجة الآخر وبنقصانها فبين الله تعالى بهذه الجملة ان انتفاء استوائهما انما هو بانه تعالى فضل المجاهدين كانه قيل مالهم لايستوون فاجيب بذلك (على القاعدين) غير اولى الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف (درجة) تنوينها للتفخيم كما سيأتى ونصبها بنزع الخافض اى بدرجة او على المصدرية لانه لتضمنه معنى التفضيل ووقوعه موقع المرة من التفضيل كان بمنزلة ان يقال فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة (وكلا) من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) اى المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب قوله كلا مفعول اول لوعد والحسنى مفعوله الثانى وتقديم الاول على الفعل لافادة القصر تأكيدا للوعد اى كلا منهما وعد الله الحسنى لا احدهما فقط والجملة اعتراض جئ بها تداركا لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول قال الفقهاء وهذا يدل على ان الجهاد فرض كفاية وليس مفروضا على كل احد بعينه لانه تعالى وعد القاعدين عنه الحسنى كما وعد المجاهدين ولو كان الجهاد واجبا على كل احد على التعيين لما كان القاعد اهلا لوعد الله تعالى اياه بالحسنى (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) عطف على قوله فضل الله (اجرا عظيما) نصب على المصدر لان فضل بمعنى آجر اى آجرهم اجرا عظيما او ايثاره على ما هو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان لفضل لتضمنه معنى الاعطاء اى واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وقيل نصب بنزع الخافض اى فضلهم باجر عظيم (درجات) بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل

(منه) صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اى درجات كائنة منه تعالى وهى سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا اوسبعمائة درجة وفى الحديث ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز ان يكون انتصاب درجات على المصدرية كما فى قولك ضربه اسواطا اى ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات (ومغفرة) بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اى مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التى لا يكفرها سائر الحسنات التى لا يأتى بها القاعدون ايضا حتى تعد من خصائصهم (ورحمة) بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما اى غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبىء عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه اللام ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنوانى بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتى تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما فى قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يفهم كنهها وحيث كان تحقق هذا العنوان البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شأن التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا فى الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثانى ما انعم به فى الاخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبىء عنه تقديم الاول وتأخير الثانى وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم فى الدنيا درجة واحدة وفى الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما فى الذكر ما هو متوسط بينهما فى الوجود اعنى الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه اعلم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والاخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (وكان الله غفورا) لذنوب من جاهد فى سبيله (رحيما) يدخله الجنة برحمته وهو تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة قال القشيرى رحمه الله ان الله سبحانه جمع اولياءه فى الكرامات لكنه غاير بينهم فى الدرجات فمن غنى وغيره اغنى منه ومن كبير وغيره اكبر منه هذه الكواكب منيرة لكن القمر فوقها واذا طلعت الشمس بهرت اى غلبت جميعها بنورها انتهى فالجنة مشتركة بين الواصلين البالغين والطالبين المنقطعين بعذر وعوام المؤمنين القاعدين عن الطلب بلا عذر لكن الطائفة الاولى فى واد والاخريان فى واد آخر لا يستوون عند الله تعالى (قال المولى الجامى) اى كمند بدن چو طفل صغير * مانده دردست خواب غفلت اسير * پيش ازان كت اجل كند بيدار * كر نمردى زخواب سر بردار * انما السائرون كل رواح * يحمدون السرى لدى الاصباح * ودلت الاية على ان اولى الضرر مساوون للمجاهدين فى الاجر والثواب روى عنه عليه السلام انه لما رجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة قال ان فى المدينة لاقواما ماسرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم حابس العذر وهم الذين صحت نياتهم وتعلقت قلوبهم بالجهاد وانما منعهم عن الجهاد الضرر هركسى ازهمت والاى خويش * سود برد درخور كالاى خويش * قال عليه السلام اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدى ما كان يعمله فى الصحة الى ان يبرأ وقال المفسرون فى قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان من صار هرما كتب الله له اجر عمله قبل هرمه غير منقوص وقالوا فى تفسير قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله ان المؤمن ينوى الايمان والعمل الصالح لو عاش ابدا فيحصل له ثواب تلك النية ابدا قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت فى قوله تعالى فى اواخر سورة التوبة ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله والنصيحة لهما طاعة لهما والطاعة لهما فى السر والعلن وتوليهما فى السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالى الناصح بصاحبه كذا فى تفسير الارشاد واعلم ان الجهاد من افاضل المكاسب واماثل الحرف فلا ينبغى للعاقل ان يترك الجهاد او التحدث به فان من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه فقد مات ميتة

جاهلية ومعنى التحدث طلبه الغزو واخطاره بالبال قال بعض الكبار السبق بالهمم لا بالقدم وفى الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ومعناه ان من انعم الله عليه بهاتين النعمتين وهما صحة الجسد بالعافية التى هى كالتاج على رؤس الاصحاء لا يراه الا السقيم والفراغ من شواغل الدنيا وعلقها فمن حصل له هاتان النعمتان واشتغل عن القيام بواجب حق الله تعالى فهذا هو الذى غبن بضياع حظه ونصيبه من طاعة الله وبذل النفس فى الخدمة وتحصيل ما ينفعه لآخرته من انواع الطاعات والقربات اللهم اجعلنا من المنتفعين بحياتهم والمتوجهين اليك فى مرضهم وصحتهم ولا تقطعنا عنك ولو لحظة عين ولا تشغلنا عن الوصل بالبين انك انت الغفور الرحيم (ان الذين توفاهم الملائكة) يحتمل ان يكون ماضيا فيكون اخبارا عن احوال قوم معينين انقرضوا ومضوا وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التاءين واصله تتوفاهم وعلى هذا تكون الآية عامة فى حق كل من كان بهذه الصفة والظاهر ان لفظ المضارع ههنا على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها بشهادة كون خبر ان فعلا ماضيا وهو قالوا والمراد بتوفى الملائكة اياهم قبض ارواحهم عند الموت والملك الذى فوض اليه هذا العمل هو ملك الموت وله اعوان من الملائكة واسناد التوفى الى الله تعالى فى قوله الله يتوفى الانفس وفى قوله هو الذى يحييكم ثم يميتكم مبنى على ان خالق الموت هو الله تعالى (ظالمى انفسهم) فى حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت فى ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فانه تعالى لم يكن يقبل الاسلام بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة الا بالهجرة اليها ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله عليه السلام لا هجرة بعد الفتح قال الله تعالى فى من آمن وترك الهجرة الذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وهو حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة وحق الحال ان يكون نكرة الا ان اصله ظالمين انفسهم فتكون الاضافة لفظية (قالوا) اى الملائكة للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم فى اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلاة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك (فيم كنتم) اى فى اى شئ كنتم من امور دينكم كانه قيل فماذا قالوا فى الجواب فقيل (قالوا) متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم (كنا مستضعفين فى الارض) اى فى ارض مكة عاجزين عن القيام بواجب الدين فيما بين اهلها (قالوا) ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم (الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم فى عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم اى الى بدر كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة (فاولئك) الذين حكيت احوالهم الفظيعة (مأواهم) اى فى الآخرة (جهنم) كما ان مأواهم فى الدنيا دار الكفر لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وكون جهنم مأواهم نتيجة لما قبله وهو الجملة الدالة على ان لا عذر لهم فى ذلك اصلا فعطف عليه عطف جملة على اخرى (وساءت مصيرا) مصيرهم جهنم (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الاستثناء منقطع فان المتوفين ظالمين انفسهم اما مرتدون او عصاة بتركهم الهجرة مع القدرة عليها وهؤلاء المستضعفون اى المستذلون المقهورون تحت ايدى الكفار ليسوا بقادرين عليها فلم يدخلوا فيهم فكان الاستثناء منقطعا والجار والمجرور حال من المستضعفين اى كائنين منهم فان قلت المستثنى المنقطع وان لم يكن داخلا فى المستثنى منه لكن لا بد ان يتوهم دخوله فى حكم المستثنى منه ومن المعلوم ان لا يتوهم دخول الاطفال فى الحكم السابق وهو كون مأواهم جهنم فكيف ذكر فى عداد المستثنى قلت للمبالغة فى التحذير عن ترك الهجرة وايهام انها لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم كانها بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه فيكون فى حكم المنكر واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل (فاولئك) اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز (عسى الله

ان يعفو عنهم) ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه (وكان الله عفوا غفورا) معنى كونه عفوا صفحه واعراضه عن العقوبة ومعنى كونه غفورا استر القبايح والذنوب فى الدنيا والاخرة فهو كامل العفو تام الغفران (قال السعدى) پس پرده بيند عملهاى بد * هم او پرده پوشد بالاى خود * وفى الاية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة امور دينه باى سبب كان وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليه السلام قال الحدادى فى تفسيره فى قوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها دليل انه لا عذر لاحد فى المقام على المعصية فى بلده لاجل المال والولد والاهل بل ينبغى ان يفارق وطنه ان لم يمكنه اظهار الحق فيه ولهذا روى عن سعد بن جبير انه قال اذا عمل بالمعاصى بارض فاخرج منها * سعديا حب وطن كرچه حديث است صحيح * نتوان مرد بسختى كه من اينجا زادم * والاشارة فى الآية ان المؤمن عام وخاص وخاص الخاص كقوله فمنهم ظالم لنفسه وهو العام ومنهم مقتصد وهو الخاص ومنهم سابق بالخيرات وهو خاص الخاص فالذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم هم العوام الذين ظلموا انفسهم بتدنيتها من غير تزكيتها عن اخلاقها الذميمة وتحليتها بالاخلاق الحميدة ليفلحوا فخابوا وخسروا كما قال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها قالوا فيم كنتم اى قالت الملائكة حين قبضوا ارواحهم فى اى غفلة كنتم تضيعون اعماركم وتبطلون استعدادكم الفطرى وفى اى واد من اودية الهوى تهيمون وفى اى روضة من رياض الدنيا كنتم تؤثرون الفانى على الباقى وتنسون الطهور والساقى واخوانكم يجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم ويهاجرون عن الاوطان ويفارقون الاخوان والاخدان قالوا كنا مستضعفين فى الارض اى عاجزين فى استيلاء النفس الامارة وغلبة الهوى ماسورى الشيطان فى حبس البشرية قالوا الم تكن ارض الله اى ارض القلب واسعة فتهاجروا فيها فتخرجوا عن مضيق ارض البشرية فتسلكوا فى فسحة عالم الروحانية بل تطيروا فى هواء الهوية فاولئك يعنى ظالمى انفسهم مأواهم جهنم البعد عن مقامات القرب وساءت مصيرا جهنم البعد لتاركى القرب والمتقاعدين عن جهاد النفس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين صفتهم لا يستطيعون حيلة فى الخروج عن الدنيا لكثرة العيال وضعف الحال ولا على قهر النفس وغلبة الهوى ولا على قمع الشيطان فى طلب الهدى ولا يهتدون سبيلا الى صاحب ولاية يتمسكون بعروته الوثقى ويعتصمون بحبل ارادته فى طلب المولى فيخرجهم من ظلمات ارض البشرية الى نور سماء الربوبية على اقدام العبودية وهم المقتصدون المشتاقون ولكنهم بحجب الانانية محجوبون وعن شهود جمال الحق محرومون فعذرهم بكرمه ووعدهم رحمته وقال فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم السكون عن الله والركون الى غير الله وكان الله فى الازل عفوا ولعفوه امكنهم التقصير فى العبودية غفورا ولغفرانه امهلهم فى اعطاء حق الربوبية كذا فى التأويلات النجمية (ومن يهاجر فى سبيل الله) ترغيب فى المهاجرة وتأنيس لها وسبيل الله ما امر بسلوكه (يجد فى الارض مراغما كثيرا) اى متحولا يتحول اليه ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تأكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل المهاجر بما فيه من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال ارغم الله انفه اى الصقه بالرغام ولما كان الانف من جملة الاعضاء فى غاية العزة والتراب فى غاية الذلة جعل قولهم رغم انفه كناية عن الذلة (وسعة) فى الرزق واظهار الدين (ومن يخرج من بيته مهاجرا) اى مفارقا قومه واهله وولده (الى الله ورسوله) اى الى طاعة الله وطاعة رسوله (ثم يدركه الموت) اى قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة (فقد وقع اجره على الله) الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب (وكان الله غفورا) مبالغا فى المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التى من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج (رحيما) مبالغا فى الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالآيات المحذرة عن ترك الهجرة الى مسلمى مكة قال جندب ابن ضمرة من بنى الليث لبنيه وكان شيخا كبيرا لا يستطيع ان يركب الراحلة احملونى فانى لست من المستضعفين وانى لاهتدى الطريق ولى من المال ما يبلغنى المدينة وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير

متوجها

متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم وهو موضع قريب من مكة اشرف على الموت فاخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فلما بلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو توفى بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فانزل الله هذه الآية فمن هذا قالوا المؤمن اذا قصد طاعة ثم اعجزه العذر عن اتمامها كتب الله له ثواب تمام تلك الطاعة وفى الكشاف قالوا كل هجرة لغرض دينى من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا فى الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهى هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت فى طريقه فاجره واقع على الله انتهى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره من مات قبل الكمال فمراده يجيء اليه كما ان من مات فى طريق الكعبة يكتب له اجر حجين يقول الفقير سمى الذبيح المتخلص بحقى سمعت مرة شيخى العارف العلامة ابقاه الله بالسلامة وهو يقول عند تفسير هذه الاية ان الطالب الصادق اذا سافر من ارض بشريته الى مقام القلب فمات قبل ان يصل الى مراده فله نصيب من اجر البالغين الى ذلك المقام لصدق طلبه وعدم انقطاعه عن الطريق الى حد الموت بل الله يكمله فى عالم البرزخ بوساطة روح من ارواحه او بوساطة فيضه ومثل هذا جاء فى حق بعض السلاك وله نظير فى الشريعة كما روى عن الحسن البصرى رحمه الله انه قال بلغنى ان المؤمن اذا مات ولم يحفظ القرآن امر حفظته ان يعلموه القرآن فى قبره حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة مع اهله فاذا كان طالب القرآن الرسمى بالغا الى مراده وان فى البرزخ لحرصه على التحصيل فليس يبدع ان يكون طالب القرآن الحقيقى واصلا الى مرامه فى عالم المثال المقيد لشغفه على التكميل اقول واما ما قال الشيخ الكبير صدر الدين القنوى قدس سره فى الفلك الاخر من الفلوك من المتفق شرعا وعقلا وكشفا ان كل كمال لم يحصل للانسان فى هذه النشأة وهذه الدار فانه لا يحصل له بعد الموت فى الدار الاخرة انتهى فلعله فى حق اهل الحجاب الذين قعدوا عن الطلب رأسا لا فى حق اهل الحجاب الذين سلكوا فماتوا قبل الوصول الى مكاشفة الافعال ومشاهدة الصفات ومعاينة الذات قال المولى الجامى فى شرح الكلمة الشعيبية من الفصوص الحكمية فما يدل على عدم الترقى بعد الموت من قوله تعالى ومن كان فى هذه اعمى الاية انما هو بالنسبة الى معرفة الحق لا لمن لا معرفة له اصلا فانه اذا انكشف الغطاء ارتفع العمى بالنسبة الى الدار الاخرة ونعيمها وجحيمها والاحوال التى فيها واما قوله عليه السلام اذا مات ابن آدم انقطع عمله فهو يدل على ان الاشياء التى يتوقف حصولها على الاعمال لا تحصل وما لا يتوقف عليها بل يحصل بفضل الله ورحمته فقد يحصل وذلك من مراتب التحاف انتهى كلامه فعلى السالك ان لا ينقطع عن الطريق ويرجو من الله التوفيق كى يصل الى منزل التحقيق (قال الحافظ الشيرازى) كاروان رفت تو در راه كمين كاه بخواب * وه كه بس بيخبر از غلغل چندين جرسى * بال بگشاى صفير از شجر طوبى زن * حيف باشد چو تو مرغى كه اسير قفسى * تا چو مجمر نفسى دامن جانان گيرم * جان نهاديم بر آتش ز پى خوش نفسى * چند پويد بهواى تو بهر سو حافظ * يسر الله طريقا بك يا ملتمسى * وفى التأويلات النجمية ان الاشارة فى الآية من غاية ضعف الانسان وحياته الحيوانية واستهواء الشيطان يكون الخوف غالبا على الطالب الصادق فى بدء طلبه فكلما اراد ان يسافر عن الاوطان ويهاجر عن الاخوان طالبا فوائد اشارة سافروا تصحوا وتغنموا لازالة مرض القلب ونيل صحة الدين والفوز بغنيمة صحبة شيخ كامل مكمل وطبيب حاذق مشفق ليعالج مرض قلبه ويبلغه كعبة طلبه فتسول له النفس اعداد الرزق وعدم الصبر ويعده الشيطان بالفقر فقال تعالى على قضية والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ومن يهاجر فى سبيل الله اى طلب الله يجد فى الارض مراغما كثيرا اى بلادا اطيب من بلاده واخوانا فى الدين احسن من اخوانه وسعة فى الرزق وفيه اشارة اخرى وهى ومن يهاجر عن بلد البشرية فى طلب حضرة الربوبية يجد فى ارض الانسانية مراغما كثيرا اى متحولا ومنازل مثل القلب والروح والسر وسعة اى وسعة فى تلك العوالم الوسيعة اوسعة من رحمة الله كما اخبر الله تعالى على لسان نبيه عليه السلام عن تلك الوسعة والسعة بقوله لا يسعنى ارضى ولا سمائى وانما يسعنى قلب عبدى المؤمن فافهم يا كثير الفهم قصير النظر قليل العبر ثم قال دفعا للهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية فى التخويف بالموت والابعاد بالفوت ومن يخرج من بيته اى بيت بشريته بترك الدنيا وقمع الهوى وقهر النفس بهجرانه صفاتها وتبديل اخلاقها مهاجرا الى الله طالبا له فى متابعة رسوله

ثم يدركه الموت قبل وصوله فقد وقع اجره على الله يعنى فقد اوجب الله تعالى على ذمة كرمه بفضله ورحمته ان يبلغه الى اقصى مقاصده واعلى مراتبه فى الوصول بناء على صدق نيته وخلوص طويته اذا كان المانع من اجله ونية المؤمن خير من عمله وكان الله غفورا لذنب بقية انانية وجوده رحيما عليه بتجلى صفة جوده ليبلغ العبد الى كمال مقصوده بمنه وكرمه وسعة جوده انتهى كلام التأويلات (واذا ضربتم فى الارض) شروع فى بيان كيفية الصلاة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض اى اذا سافرتم اى مسافرة كانت للهجرة اوللجهاد اولغيرهما (فليس عليكم جناح) اى حرج ومأثم فى (ان تقصروا) شيأ (من الصلاة) فهو صفة لمحذوف والقصر خلاف المد يقال قصرت الشئ اى جعلته قصيرا بحذف بعض اجزآئه اواوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشئ لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله من الصلاة ينبغى ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رأه الاخفش واما على تقدير ان تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأى سيبويه اى شيأ من الصلاة فينبغى ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل والمراد قصر الرباعيات بالتنصيف فانها تصلى فى السفر ركعتين فالقصر انما يدخل فى صلاة الظهر والعصر والعشاء دون المغرب والفجر وادنى مدة السفر الذى يجوز فيه القصر عند ابى حنيفة رحمه الله مسيرة ثلاثة ايام ولياليها الايام للمشى والليالى للاستراحة بسير الابل ومشى الاقدام بالاقتصاد ولا اعتبار بابطاء الضارب اى المسافر السائر واسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن فى يوم قصر ولو سار مسيرة يوم فى ثلاثة ايام لم يقصر ثم تلك المسيرة ستة بردجمع بريد كل بريد اربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة اميال باميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر الف قدم وهى اربعة آلاف خطوة فان كل ثلاثة اقدام خطوة وظاهر الاية الكريمة التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل لكن عندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة توفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة تصدق الله بها عليكم وهو يدل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد فليس لنا الا التدين بما شرع الله والعمل بما حكم قال فى الاشباه القصر للمسافر عندنا رخصة اسقاط بمعنى العزيمة بمعنى ان الاتمام لم يبق مشروعا حتى اثم به وفسدت لو اتم ومن لم يقعد على رأس الركعتين فسدت صلاته لاتصال النافلة بها قبل كمال اركانها وان قعد فى آخر الركعة الثانية قدر التشهد اجزأته الاخريان نافلة ويصير مسيئا بتأخير السلام قال فى تفسير الحدادى المسافر اذا صلى الظهر اربعا ولم يقعد فى الثانية قدر التشهد فسدت صلاته كمصلى الفجر اربعا انتهى فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا فلم ورد ذلك بنفى الجناح قلت لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا فى القصر فصرح بنفى الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما فى قوله تعالى فمن حج البيت اواعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعى ثم ان العاصى كالمطيع فى رخصة السفر حتى ان الآبق وقاطع الطريق يقصران لان المقيم العاصى يمسح يوما وليلة كالمقيم المطيع فكذا المسافر ولان السفر ليس بمعصية فلا يعتبر غرض العاصى (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا) جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهون من القتال وغيره فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة والقصر ثابت بهذا النص فى حال الخوف خاصة واما فى حال الامن فبالسنة قال المولى ابو السعود فى تفسيره وهو شرط معتبر فى شرعية ما يذكر بعده من صلاة الخوف المؤداة بالجماعة واما فى حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته ثم قال بعد كلام بل نقول ان الاية الكريمة مجملة فى حق مقدار القصر وكيفيته وفى حق ما يتعلق به من الصلاة وفى مقدار مدة القصر الذى نيط به القصر فكل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من القصر فى حال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب فى المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب انتهى وعن ابن عباس رضى الله عنه قال سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة لا يخاف الا الله فصلى ركعتين كذا فى الوسيط (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) اى ظاهر العداوة وكمال عداوتهم من موجبات التعرض لكم بقتال او غيره (واذا كنت) يا محمد (فيهم) اى مع المؤمنين الخائفين (فاقمت لهم الصلاة) اى اذا اردت ان تقيم بهم الصلاة قال ابن عباس لما رأى المشركون رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم واصحابه قاموا الى صلاة الظهر وهو يؤمهم وذلك فى غزوة ذات الرقاع ندموا على تركهم الاقدام على قتالهم فقال بعضهم دعوهم فان لهم بعدها صلاة هى احب اليهم من آبائهم واولادهم واموالهم يريدون صلاة العصر فان رأيتموهم قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبرائيل عليه السلام بهؤلاء الآيات بين الصلاتين فعلمه كيفية ادآء صلاة الخوف واطلعه الله على قصدهم ومكرهم ذهب الجمهور الى ان صلاة الخوف ثابتة مشروعة بعده صلى الله عليه وسلم فى حق كل الامة غايته انه تعالى علم رسول الله صلى الله عليه وسلم كيفية ادآء الصلاة حال الخوف لتقتدى به الامة فيتناولهم الخطاب الوارد له عليه السلام قال فى الكشاف ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضرا بجماعة فى حال الخوف عليه ان يؤمهم كما ام رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التى كان يحضرها الا يرى ان قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم لم يوجب كونه عليه السلام مخصوصا بها دون غيره من الائمة بعده فكذا صلاة الخوف فاندفع قول من قال صلاة الخوف مخصوصة بحضرة الرسول عليه السلام حيث شرط كونه بينهم (فلتقم طائفة منهم معك) بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازآء العدو ليحرسوكم منهم (وليأخذوا) اى الطائفة القائمة معك وهم المصلون (اسلحتهم) اى لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كأنهم يأخذونها ابتدآء (فاذا سجدوا) اى القائمون معك واتموا الركعة (فليكونوا من ورآئكم) اى فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة (ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا) بعد وهى الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة (فليصلوا معك) الركعة الباقية ولم يبين فى الاية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روى عن ابن عمر وابن مسعود ان النبى عليه السلام حين صلى صلاة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما فى الاية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قرآءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقرآءة حتى صار لكل طائفة ركعتان هذا اذا كان مسافرا او فى الفجر لان الركعة الواحدة شطر صلاته واما اذا كان مقيما او فى المغرب فيصلى بالطائفة الاولى الركعتين لانهما الشطر وفى الكافى لو اخطأ الامام فصلى بالاولى ركعة وبالثانية ركعتين اى فى المغرب فسدت صلاة الطائفتين وتفصيل كيفية الصلاة عند الخوف من عدو وسبع كفى مؤنته باب صلاة الخوف فى الفروع فارجع اليه (وليأخذوا) اى هذه الطائفة (حذرهم) وهو التحذر والتيقظ (واسلحتهم) ان قلت الحذر من قبيل المعانى فكيف يتعلق به الاخذ الذى لا يتعلق الا بما هو من قبيل الاعيان كالسلاح قلت انه من قبيل الاستعارة بالكناية فانه شبه الحذر بآلة يستعملها الغازى وجعل تعلق الاخذ به دليلا على هذا التشبيه المضمر فى النفس فيكون استعارة تخييلية ولا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز من حيث ان اسناد الاخذ الى الاسلحة حقيقة والى الحذر مجاز وذلك لان الاخذ على حقيقته وانما المجاز ايقاعه فافهم ولعل زيادة الامر بالحذر فى هذه المرة كونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبى عليه السلام فى شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحرب وتكليف كل من الطائفتين باخذ الحذر والاسلحة لما ان الاشتغال بالصلاة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن ذكرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به ما بعد الآية قال الامام الواحدى فى قوله تعالى وليأخذوا حذرهم رخصة للخائف فى الصلاة لان يجعل بعض فكره فى غير الصلاة (ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) الخطاب للفريقين بطريق الالتفات اى تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به فى الحرب لا مطلقا (ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم) رخصة لهم فى وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وهذا يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وقال الفقهاء حمل السلاح فى صلاة الخوف مستحب لان الحمل ليس من اعمال الصلاة والامر فى قوله تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم محمول على الندب (وخذوا حذركم) امرهم مع ذلك باخذ الحذر اى بالتيقظ والاحتياط لئلا يهجم عليهم العدو غيلة قال ابن عباس رضى الله عنه غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم محاربا بنى انمار فهزمهم الله تعالى فنزل النبى عليه السلام والمسلمون ولا يرون من العدو احدا فوضعوا

ابلتهم وخرج رسول الله يمشى لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادى والسماء ترش فحال الوادى بينه
عليه السلام وبين اصحابه فجلس فى اصل شجرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربى فانحدر من الجبل ومعه
السيف وقال لاصحابه قتلنى الله ان لم اقتل محمدا فلم يشعر رسول الله الا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه من
غمده فقال يا محمد من يعصمك منى الآن فقال عليه السلام الله عز وجل ثم قال اللهم اكفنى غورث بن الحرث
بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله ليضربه فانكب على وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه
فقام رسول الله فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك منى قال لا احد قال عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه سيفه
فقال غورث والله لانت خير منى فقال عليه السلام انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم
قصته فامن بعضهم قال وسكن الوادى فرجع رسول الله الى اصحابه واخبرهم بالخبر (ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا) تعليل للامر باخذ الحذر اى اعد لهم عذابا مهينا بان يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا باموركم
ولا تهملوا فى مباشرة الاسباب كى يحل بهم عذابه بايديكم (فاذا قضيتم الصلاة) صلاة الخوف اى اديتموها
على الوجه المبين وفرغتم منها فظهر منه ان القضاء يستعمل فيما فعل فى وقته ومنه قوله تعالى فاذا قضيتم
مناسككم (فاذكروا الله) حال كونكم (قياما) اى قائمين (وقعودا) اى قاعدين (وعلى جنوبكم)
اى مضطجعين اى فداوموا على ذكر الله تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه فى جميع الاحوال حتى
فى حال المسايفة والقتال كما فى قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (فاذا اطمأننتم)
سكنت قلوبكم من الخوف وأمنتم بعد ما تضع الحرب اوزارها (فاقيموا الصلاة) اى الصلاة التى دخل وقتها
حينئذ اى ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها ومن حمل الذكر على ما يعم الذكر باللسان والصلاة من
الحنفية فله ان يقول فى تفسير الاية فداوموا على ذكر الله فى جميع الاحوال واذا اردتم اداء الصلاة فصلوها
قائمين حال الصحة والقدرة على القيام وقاعدين حال المرض والعجز عن القيام ومضطجعين على الجنوب
حال العجز عن القعود (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) اى فرضا موقتا قال مجاهد وقته تعالى
عليهم فلابد من اقامتها فى حالة الخوف ايضا على الوجه المشروع وقيل مفروضا مقدرا فى الحضر اربع ركعات
وفى السفر ركعتين فلابد ان تؤدى فى كل وقت حسبما قدر فيه قال فى شرح الحكم العطائية ولما
علم الله تعالى ما فى العباد من وجود الشره المؤدى الى الملل القاطع عن بلوغ العمل جعل الطاعات
فى الاوقات اذ جعل فى اليوم خمسا وفى السنة شهرا وفى المائتين خمسا وفى العمر زورة رحمة بهم وتيسيرا للعبودية
عليهم ولو لم يقيد الطاعات باعيان الاوقات لمنعهم عنها وجود التسويف فاذا يترك معاملته تعاميا وبطرا
وبطالة واتباعا للهوى بغير وانما وسع الوقت كى تبقى حصة الاختيار وهذا سر الوقت وكان الواجب على
الامة ليلة المعراج خمسين صلاة فخفف الله عنهم وجازاهم بكل وقت عشرا فاجر خمسين فى خمسة اوقات قالوا
وجه كون يوم القيامة على الكافر خمسين الف سنة لانه لما ضيع الخمسين عوقب بكل صلاة الف سنة
كما اقروا على انفسهم بقولهم لم نك من المصلين وفى الحديث من ترك صلاة حتى مضى وقتها ثم قضى عذب
فى النار حقبا والحقب ثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة مما تعدون يعنى ترك الصلاة
الى وقت القضاء اثم لو عاقب الله به يكون جزاؤه هكذا ولكن الله يتكرم بان لا يجازى به اذا تاب عنه كذا
فى مشكاة الانوار وفى الحديث خمسة لا تطفأ نيرانهم ولا تموت ديدانهم ولا يخفف عنهم من عذابها مشرك بالله
وعاق لوالديه والزانى بحليلة جاره ورجل سلم اخاه الى سلطان جائر ورجل اوامرأة سمع المؤذن يؤذن ولم يجب من
غير عذر يعنى اخرها عن وقتها بغير عذر كذا فى روضة العلماء وفى الحديث ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد
احب اليه من الصلاة ولو كان شئ احب اليه من الصلاة تعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد وكان
آخر ما اوحى به الى النبى عليه السلام الصلاة وما ملكت ايمانكم واعلم ان لله عبادا قد منحهم ديمومية الصلاة فهم
فى صلاتهم دائمون من الازل الى الابد وايمن هذا يدرك بالعقول القاصرة ولا يعقلها الا العالمون بالله تعالى
وفى التأويلات النجمية ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا يعنى واجبا فى جميع الاوقات حين فرضت
بقوله اقيموا الصلاة اى اديموها رخص فيها بخمس صلوات فى خمسة اوقات لضرورة ضعف الانسانية كما كانت

الصلاة الخمس خمسين صلاة حين فرضت ليلة المعراج فجعلها بشفاعة النبى عليه السلام خمسا وهذا للعوام الخلق
والا اثبت دوام الصلاة للخواص بقوله والذينهم على صلاتهم دائمون (وفى المثنوى) پنج وقت آمد نماز رهنمون *
عاشقانش فى صلاة دائمون * نيست زرغبا وظيفهٔ ماهيان * زانكه بى دريا ندارد انس جان * هيچ كس با خويش
زرغبا نمود * هيچ كس با خود بنوبت يار بود * در دل عاجز بجز معشوق نيست * در ميان شان فارق وفاروق
نيست (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم) نزلت فى بدر الصغرى وهى موضع سوق لبنى كنانة كانوا يجتمعون فيها كل
عام ثمانية ايام روى ان ابا سفيان قال عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى
الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى فلما كان القابل القى الله الرعب فى قلبه فندم على ما قال فبعث نعيم بن مسعود
ليخوف المؤمنين من الخروج الى بدر فلما اتى نعيم المدينة وجد المؤمنين يتجهزون للخروج فقال لهم ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم ففتر المؤمنين فقال عليه السلام لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فانزل الله هذه الآية
ارشادا لمن طرأ عليهم الوهن فى ابتغاء القوم اى طلب ابى سفيان وقوله والمعنى لا تفتروا ولا تضعفوا فى طلب
الكفار بالقتال اى لا يورثنكم ما اصابكم يوم احد من القتل والجراحات فتورا وضعفا (ان تكونوا تألمون)
من الجراح (فانهم) اى القوم (يألمون كما تألمون) اى ان كان لكم صارف عن الحرب وهو انكم تألمون من الجراح
فلهم مثل ذلك من الصارف ولكم اسباب داعية الى الحرب ليست لهم كما اشار اليها بقوله (وترجون من الله)
من الثواب والنصر (ما لا يرجون) والحاصل ليس ما تقاسونه من الالام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم
ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على
سائر الاديان ومن الثواب فى الاخرة ما لا يخطر ببالهم قطعا (وكان الله عليما) مبالغا فى العلم فيعلم اعمالكم
وضمائركم (حكيما) فيما يأمر وينهى فجدوا فى الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة وفى امره بابتغاء القوم
بالقتال لهمة بالغة كاملة ومصلحة تامة شاملة فاطلبوهم بالقتال فان الله يعذبهم فى الدنيا بايديكم وفى الاخرة
بايدى الزبانية فهل ينتظرون الا سنة الله فى الكافرين الاولين وهو انزال العذاب بهم حين كذبوا انبياءهم
فلن تجد لسنة الله تبديلا بجعل التعذيب غير تعذيب وغير التعذيب تعذيبا ولن تجد لسنة الله تحويلا بنقل
التعذيب عنهم الى غيرهم والحاصل انه لا يبدل نفس السنة ولا يحول محل السنة اذ لقد حق القول عليهم
ولا يتبدل القول لديه وفى الاية الكريمة حث على الشجاعة والتجلد واظهار الغلظة كما قال تعالى وليجدوا فيكم
غلظة قيل هست نرمى آفت جان سمور * وز درشتى ميبرد جان خار پشت * قال سلمان الفارسى
رضى الله عنه اذا اضطرب قلب المؤمن عند محاربة الكافر تتحدر ذنوبه كتحدر اوراق الشجرة بهبوب النسيم
وقال عطية بن قيس اذا خرجت غازيا فان خطر ببالى كثرة العدد والعدد رجعت عن السفر خوفا
من الغرور وان خطر قلتهما قلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ومن كلمات بهرام) هر انكه سر تاج
دارد * بايد كه دل از سر بردارد (بيت) هر انكه پاى نهد در نبكارخانهٔ ملك * يقين كه مال وسر وهر چه
هست در بازد (ومن كلمات السعدى) در فرا كند مرد بايد بود * بر مخنث سلاح جنگ چه سود * يقول
الفقير سمعت من حضرة شيخى وسندى الذى هو بمنزلة روحى من جسدى انه قال السلطان والوزير بالنسبة
الى العساكر الاسلامية كالقلب بالنسبة الى الاعضاء والجوارح الانسانية فاذا ثبت ثبتوا كما ان القلب اذا صلح
صلح الجسد كله فان كان اقبال الامام بعشر مراتب كان اقبال قومه بمرتبة واحدة وان كان بمائة مرتبة كان
اقبالهم بعشر مراتب وهكذا واما ادباره فعكسه فان كان بمرتبة كان ادبار القوم بعشر مراتب وان كان بعشر
مراتب كان ادبارهم بمائة مرتبة وهكذا وليس الدخول بدار من باب تفرج البلدان والخروج الى المسير والتنعم
فلا بد لكل مجاهد ان يجتهد فى خدمة الدين ويتوكل على الله ويعتقد على وعده ويصبر على البلاء حتى يبلغ الكتاب
اجله وان اتى الباب فلا يستعجل الامناء ولا يهن ولا يحزن بمكث الفتح المطلوب بل ينتظر الى فرج الله بالنصر
والفتح عن قريب فان انكسار القلوب مفتاح ابواب الغيوب ومدار انفتاح انواع الفتوح والاشارة فى الآية
ولا تهنوا فى ابتغاء القوم اى فى طلب النفس وصفاتها والجهاد معها ان تكونوا تألمون فى الجهاد معها وتتعبون
بالرياضات والمجاهدات وملازمة الطاعات والعبادات ومداومة الذكر ومراقبة القلب فى طلب الحق والقبول
والوصول الى المقامات العلية فانهم يعنى النفس والبدن فى طلب الشهوات الدنيوية واللذات الحيوانية والمرادات

الجسمانية يألمون ويتعبون فى طلبها كما تألمون وترجون من الله العواطف الازلية والعوارف الابدية مالا يرجون النفوس الردية من همها الدنية التى لا تتجاوز من قصورها عن المقاصد الدنيوية وكان الله فى الازل عليما باستعداد كل طائفة من اصناف الخلق حكيما فيما حكم لكل واحد منهم من المقاصد والمشارب قد علم كل اناس مشربهم وكل حزب بما لديهم فرحون (انا انزلنا اليك الكتاب) اى القرآن انزالا (بالحق) روى ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بنى ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود على ذلك فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل اليهودى ليدفع فضيحة البهتان عن صاحبهم طعمة وقالوا له عليه السلام ان يعاقب اليهودى ويقطع يده بناء على شهادة قوم طعمة على برآءته وعلى ان اليهودى هو السارق ولم يظهر له عليه السلام ما يوجب القدح فى شهادتهم بناء على كون كل واحد من الشاهد والمشهود له من المسلمين ظاهرا فلذلك مال طبعه الى نصرة الخائن والذب عنه الا انه لم يحكم بذلك بل توقف وانتظر الوحى فنزلت الاية ناهية عنه ومنبهة على ان طعمة وشهوده كاذبون وان اليهودى برى من ذلك الجرم (لتحكم بين الناس بما اراك الله) اى بما عرفك واوحى به اليك فاراك ليس من الرؤية البصرية ولا من التى بمعنى العلم والالاستدعى ثلاثة مفاعيل بل هو منقول من رأيت بمعنى الاعتقاد والمعرفة وسميت المعرفة المذكورة رؤية لكونها جارية مجرى الرؤية فى القوة والظهور والخلوص من وجوه الريب (ولا تكن) اى فاحكم به ولا تكن (للخائنين) اى لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن بعينه فانه روى ان قومه علموا ان تلك السرقة عمل طعمة بناء على انه سارق فى الجاهلية لكنهم بيتوا طول ليلهم واتفقوا على ان يشهدوا بالسرقة على اليهودى دفعا عن طعمة عقوبة السرقة فلذلك وصفهم الله جميعا بالخيانة او المراد بالخائنين هو وكل من يتسير بسيرته (خصيما) اى مخاصما للبرآء اى لا تخاصم اليهودى لاجلهم (واستغفر الله) مما هممت به تعويلا على شهادتهم قال ابن الشيخ ولما صدر عنه عليه السلام الهم بذلك الحكم الذى لو وقع لكان خطأ فى نفسه امر الله تعالى اياه عليه السلام بان يستغفر لهذا العذر وان كان معذورا فيه عند الله بناء على ان حسنات الابرار سيئات المقربين (ان الله كان غفورا رحيما) مبالغا فى المغفرة والرحمة لمن يستغفره (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم) الاختيان والخيانة بمعنى اى يخونونها بالمعصية وانما قال يختانون انفسهم وان كانوا خانوا انفسهم لان مضرة خيانتهم راجعة اليهم كما يقال فيمن ظلم غيره ما ظلم الا نفسه كذا فى تفسير الحدادى والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببرآءته من قومه فانهم شركاء له فى الاثم والخيانة (ان الله لا يحب) عدم المحبة كناية عن البغض والسخط (من كان خوانا) مفرطا فى الخيانة مصرا عليها (اثيما) منهمكا فيها اطلاق على طعمة لفظ المبالغة الدال على تكرر الفعل منه مع ان الصادر منه خيانة واحدة واثم واحد لكون طبعه الخبيث مائلا الى تكثير كل واحد من الفعلين وقد روى انه هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق متاع اهله فسقط الحائط عليه فقتله قيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضى الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكى وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى اول مرة (يستخفون من الناس) يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون من الله) اى لا يستحيون منه سبحانه وهو احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه (وهو معهم) عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه (اذ) ظرف منصوب بالعامل فى الظرف الواقع خبرا وهو معهم (يبيتون) يدبرون ويزورون (ما لا يرضى) الله (من القول) من رمى البرى والحلف الكاذب وشهادة الزور فان طعمة قال ارمى اليهودى بانه سارق الدرع واحلف انى لم اسرقها فتقبل يمينى لانى على دينهم ولا تقبل يمين اليهودى وقال قوم طعمة من الانصار نشهد زورا لندفع شين السرقة وعقوبتها عمن هو واحد منا (وكان الله بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والخافية (محيطا) لا يفوت عنه شئ (ها انتم) مبتدأ (هؤلاء) خبره والهاء فى اول كل منهما للتنبيه والجملة التى بعد هذه الجملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك والخطاب مع قوم من

المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه بسبب انهم كانوا فى الظاهر من المسلمين (جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا) المجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وعن قومه فى الدنيا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) فمن يخاصم عنهم فى الاخرة اذا اخذهم الله بعذابه (ام من يكون عليهم وكيلا) حافظا وحاميا من بأس الله وانتقامه وفى التأويلات النجمية وكيلا يتكلم بوكالتهم يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله (قال السعدى) دران روز كز فعل پرسند وقول * اولوا العزم راتن بلرزد ز هول * بجايى كه دهشت خورد انبيا * تو عذر كنه راچه دارى بيا * فعلى العبد ان يتوب قبل الموت من كل معصية توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصيره فى فرآئض الله ويرد المظالم الى اهلها حبة حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه شتما او قذفا او استهزآء او غيبة وبيده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك اموالهم وما اشد حسرتك فى ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السيئات وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد حقا او تظهر عذرا فكيف بك يا مسكين فى يوم ترى فيه صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول اين حسناتى فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك فتوهم نفسك يا اخى اذا تطايرت الكتب ونصبت الموازين وقد نوديت باسمك على رؤس الخلائق اين فلان ابن فلان هلم الى العرض على الله وقد وكلت الملائكة باخذك فقربتك الى الله لا يمنعها اشتباه الاسماء باسمك اذا عرفت انك المراد بالدعاء اذا فزع النداء قلبك فعلمت انك المطلوب فارتعدت فرآئصك واضطربت جوارحك وتغير لونك وطار قلبك تخطى بك الصفوف الى ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه وقد رفع الخلائق اليك ابصارهم وانت فى ايديهم وقد طار قلبك واشتد رعبك لعلمك اين يراد بك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بنفر من الناس يوم القيامة الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رآئحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله تعالى لاهلها ثم نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الاولون والاخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريناما اريتنا من ثواب ما اعددت لاوليائك فيقول الله تعالى ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بى بارزتمونى بالعظائم فاذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ترون الناس خلاف ما ينطوى عليه قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى فى اجلالهم الناس ولم تجلونى تركتم للناس ولم تتركوا لى يعنى لاجل الناس فاليوم اذيقكم اليم عقابى مع ما حرمتكم يعنى من جزيل ثوابى قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم كذا فى تنبيه الغافلين فاذا عرفت هذا فاجتهد فى ان لا تكون من الذين لا يستخفون من الله واجعل خيانتك امانة واثمك طاعة وظلمك عدلا وتزويرك صدقا محضا واستغفر الله فان الاستغفار دوآء الاوزار وبه ينفتح باب الملكوت الى الله الملك الغفار (ومن يعمل سوأ) عملا قبيحا متعديا يسوء به غيره ويخزيه كما فعل طعمة بقتادة واليهودى (او يظلم نفسه) بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك لان الشرك لظلم عظيم وقيل هما الصغيرة والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة الصادقة وشرطت التوبة لان الاستغفار لا يكون توبة بالاجماع ما لم يقل معه تبت واسأت ولا اعود اليه ابدا فاغفر لى يا رب كما فى تفسير الحدادى (يجد الله غفورا) لذنوبه كائنة ما كانت (رحيما) متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه فى التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زآئدة وعن على رضى الله عنه قال حدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر رضى الله عنه قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلى ركعتين ويستغفر الله الا غفر الله له وتلا هذه الاية ومن يعمل سوأ الخ اى كه بى حد كناه كردستى * مى نترسى ازان فعال شنيع * توبه كن تارضاى حق يابى * كه به از توبه نيست هيچ شفيع (ومن يكسب اثما) من الآثام (فانما يكسبه على نفسه) بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا وفى التأويلات النجمية فانما يكسبه على نفسه فان رين الاثم يظهر فى الحال فى صفاء مرآة قلبه يعميه عن رؤية الحق ويصمه عن سماع الحق كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (وكان الله عليما حكيما) فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته (ومن يكسب خطيئة) صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب (او اثما) كبيرة او ما كان عن عمد (ثم يرم به) اى يقذف باحد المذكورين ويسبب به (بريئا) اى مما رماه به ليحله عقوبة العاجلة كما فعل طعمة بزيد اليهودى (فقد احتمل) اى بما فعل من تحميل جريرته على البرى (بهتانا) لا يقادر قدره

(واثما مبينا) اى بينا فاحشا لانه بكسب الاثم آثم وبرمى البرى باهت فهو جامع بين الامرين وسمى رمى البرى بهتانا لكون البرى متحيرا عند سماعه لعظمه فى الكذب يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير ويقال بهته بهتانا اذا قال عنه مالم يقله اونسب اليه مالم يفعله روى عنه عليه السلام انه قال الغيبة ذكرك اخاك بما يكره فقيل افرأيت ان كان فى اخى ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وفى التأويلات النجمية فقد احتمل صاحب النفس بهتانا اثما ابهت القلوب عن العبودية والطاعة واثما مبينا بما اثمت به نفسه من المعاصى واثم بها قلبه فيكون بمنزلة من جعل اللب وهو القلب جلدا وهو النفس وهذا من اكبر الشقاوة فلا ينقطع عنه العذاب اذا صار كل وجوده جلودا فيكون من جملة الذين قال الله تعالى فيهم سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها لانهم بدلوا الالباب بالجلود ههنا انتهى واعلم ان الاستغفار فرار العبد من الخلق الى الخالق ومن الانانية الى الهوية الذاتية وذلك عند صدق الطلب ومن طلبه وجده كما قال الامن طلبنى وجدنى قال موسى عليه السلام اين اجدك يا ربى قال ياموسى اذا قصدت الى فقد وصلت الى فلا بد من الاستغفار مطلقا ويقال سلطان بلا عدل كنهر بلا ماء وعالم بلا عمل كبيت بلا سقف وغنى بلا سخاوة كسحاب بلا مطر وشاب بلا توبة كشجر بلا ثمر وفقير بلا صبر كقنديل بلا ضوء وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وتهذيب الاخلاق قبل الموت من سنن الاخيار والعمل الصالح قرين الرجل كما ان السوء كذلك * نا كهان بانك درسراى افتاد * كه فلان را محل وعده رسيد * دوستان آمدند تالب كور * قدمى چند وبازپس كرديد * وين كزو دست نميدارى * مال وملك وقباله برده كايد * وين كه پيوسته با تو خواهد بود * عمل تست ونفس پاك وپليد * نيك درياب وبد مكن زنهار * كه بد ونيك باز خواهى ديد * حكى ان الشيخ وفا المدفون بقسطنطينية فى حريم جامعه الشريف اهدى اليه ثمانون الف درهم من قبل السلطان بايزيد الثانى ليعقد عقد النكاح لبعض بناته فقال لا افعل ولو اعطيت الدنيا ومافيها قيل ولم قال لان لى اورادا الى الضحى لا انفك عنها ساعة وانام من الضحى الى الظهر لا اترك منه ساعة واما بعد الظهر فانتم لا ترضونه لان النهار يكون فى الانتقاص وهكذا يكون طالب الحق فى ليله ونهاره فان الدنيا فانية فالحى الباقى هو الله تعالى فلا بد من طلبه (ولولا فضل الله عليك ورحمته) بالعصمة (لهمت طائفة منهم) اى من بنى ظفر وهم الذابون عن طعمة (ان يضلوك) اى بان يضلوك عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك مع علمهم بان الجانى هو صاحبهم وليس القصد فيه الى نفى همهم بل الى نفى تأثيره (وما يضلون الا انفسهم) لان وباله عليهم (وما يضرونك من شئ) محل الجار والمجرور النصب على المصدرية اى وما يضرونك شيأ من الضرر لان الله عاصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لاميلا فى الحكم (وانزل الله عليك الكتاب) اى القرءآن (والحكمة) اى ما فى القرءآن من الاحكام وعرفك الحلال والحرام (وعلمك) بالوحى من الغيب وخفيات الامور (مالم تكن تعلم) ذلك الى وقت التعليم (وكان فضل الله عليك عظيما) اذ لافضل اعظم من النبوة العامة والرياسة التامة ومن ذلك الفضل العظيم عصمته وتعليمه مالم يعلم قال الحدادى فى تفسيره وفى هذه الآيات دلالة انه لا يجوز لاحد ان يخاصم لغيره فى اثبات حق اونفيه وهو غير عالم بحقيقة امره وانه لا يجوز للحاكم الميل الى احد الخصمين وان كان احدهما مسلما والاخر كافرا وان وجود السرقة فى يدى انسان لا يوجب الحكم بها عليه انتهى واعلم ان هذه الآية جامعة لفضائل كثيرة منها بيان ان وبال الشر يعود على صاحبه كما ان منفعة الخير تعود على فاعله (قال الصائب) اول بظالمان اثر ظلم ميرسد * پيش از هدف هميشه كمان ناله ميكند * حكى ان الله تعالى ايبس يد رجل بذبح عجل بقرة بين يدى امه ثم ردها برد فرخ سقط من وكره الى امه يقال ثلاثة لا يفلحون بائع البشر وقاطع الشجر وذابح البقر وحكى ان امرأة وضعت لقمة فى فم سائل ثم ذهبت الى مزرعة فوضعت ولدها فى موضع فاخذه الذئب فقالت يارب ولدى فاخذ آت عنق الذئب واستخرج ولدها من غير اذى ثم قال هذه اللقمة لتلك اللقمة التى وضعتها فى فم السائل فكل يرى اثر صنعه فى الدنيا ايضا ومنها ان العلم والحكمة من اعظم الفضائل والمراد العلم النافع المقرب الى الله تعالى اعاذنا الله مما لم ينفع منه على ما قال عليه السلام فى دعائه واعوذ بك من علم لا ينفع فان العلم النافع لا ينقطع مدده فى الآخرة ايضا على ما روى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه اذا مات ابن آدم انقطع عمله الامن ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له ومنها ان لا يرى العبد الفضائل والخيرات من نفسه

بل

بل من فضل الله ورحمته وليس للعبد ان يزكى نفسه فان الانفس ليست بمحل التزكية فمن استحسن من نفسه شيأ فقد اسقط من باطنه انوار اليقين والكامل لا يرى لنفسه قدرا فكيف لعمله وكل ما يعمله العبد من بدايته الى نهايته لا يقابل لنعمة الوجود حكى عن شاه شجاع الكرمانى انه كان جالسا فى مسجد فقام فقير وسأل الناس فلم يعطوه شيأ فقال الكرمانى من يشترى حج خمسين سنة بمن من الخبز فيعطى هذا الفقير وكان هناك فقيه فقال ايها الشيخ قد استخففت بالشريعة فقال الكرمانى لا ارى لنفسى قيمة فكيف ارى لعملى وليس المراد التعطيل عن العمل بل يعملون جميع الحسنات ولا يرون لها قدرا بل يرون التوفيق لها من فضل الله تعالى (قال السعدى) كراز حق توفيق خيرى رسد * كه از بنده خيرى بغيرى رسد * چوروبى بخدمت نهى برزمين * خدارا ثنا كوى وخودرا مبين * والاشارة فى الآية ان فضل الله موهبة من مواهب الحق يؤتيه من يشاء وليس لاحد فيه مدخل بالكسب والاستجلاب وبذلك يهدى العبد للايمان ويوفقه للعمل الصالح والعظيم فى قوله وكان فضل الله عليك عظيما هو الله تعالى اى ان الله العظيم هو فضل الله عليك ورحمته كما انك فضل الله ورحمته على العالمين ولهذا قال لولاك لما خلقت الافلاك ومن فضل الله عليه انه لم يضله شئ من الروحانيات والجسمانيات عن طريق الوصول اللهم احفظنا من الموانع فى طريق الوصول اليك آفاقية او انفسية والحقنا بفضلك بالنفوس القدسية (لا خير فى كثير من نجواهم) اى فى كثير من تناجى الناس وهو فى اللغة سر بين اثنين وذهب الزجاج الى ان النجوى ما تفرد به الجماعة او الاثنان سرا كان او ظاهرا قال مجاهد هذه الآية عامة فى حق جميع الناس غير مختصة بقوم طعمة وان نزلت فى تناجى قوم السارق لتخليصه (الا من امر) اى الا فى نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير فى قيامهم الا قيام زيد (بصدقة او معروف) المعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبة قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة واول اهل الجنة دخولا اهل المعروف وصنائع المعروف تقى مصارع السوء * تو نيكى كن باب انداز اى شاه * اكرماهى نداند داند الله * وفى الحديث عمل ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهى عن منكر او ذكر الله (او اصلاح بين الناس) عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز فى ذلك حدود الشرع الشريف وفى الحديث الا اخبركم بافضل درجة من الصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هى الحالقة فلا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وعن ابى ايوب الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم قال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر فى افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر ان عمل الخير المتعدى الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله او اصلاح بين الناس (ومن يفعل ذلك) اشارة الى الامور المذكورة اعنى الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وانما بنى الكلام على الامر حيث قال اولا الا من امر فهو كلام فى حق الآمر بالفعل ورتب الجزاء على الفعل حيث قال ومن يفعل فهو كلام فى حق الفاعل وكان المناسب للاول ان يبين حكم الآمر ويقول ومن يأمر بذلك ليدل على انه لما دخل الآمر فى زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه ففيه تحريض الآمر بالامور المذكورة على فعلها (ابتغاء مرضاة الله) اى طلب رضى الله تعالى علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به غير الحرمان (قال السعدى) كرت بيخ اخلاص دربوم نيست * ازين در كسى چون تو محروم نيست * زعمرواى پسر چشم اجرت مدار * چو در خانهٔ زيد باشى بكار * (فسوف نؤتيه اجرا عظيما) يقصر عنه الوصف ويستحقر دونه ما فات من اعراض الدنيا (ومن يشاقق الرسول) يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته (ويتبع غير سبيل المؤمنين) اى غير ما هم مستمرون عليه من اعتقاد وعمل وهو الدين القيم (نوله ما تولى) اى نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلى بينه وبين ما اختار (ونصله جهنم) اى ندخله فيها (وساءت مصيرا) اى جهنم

روى ان طعمة عاند حكم الله وخالف رسول الله خوفا من فضاحة قطع اليد فهرب الى مكة واتبع دين اهلها
ومات كافرا فعلى العاقل ان لا يخالف الجماعة وهم المؤمنون فان الشاة الخارجة عن القطيع يأكلها الذئب
وسبيل المؤمنين هو السبيل الحق الموصل الى الجنة والقربة والوصلة واللقاء والاشارة انه لا خير فى كثير من
نجواهم اى الذين يتناجون من النفس والشيطان والهوى لانهم شرار ولا فيما يتناجون به لانهم يأمرون
بالسوء والفحشاء والمنكر ثم استثنى وقال الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس اى الا فمن امر بهذه
الخيرات فان فيه الخير وهو الله تعالى فانه يأمر بالخيرات بالوحى عموما ويأمر بالخاطر الرحمانى والالهام الربانى
خواص عباده فالخاطر يكون بواسطة الملك وبغير الواسطة كما قال عليه السلام ان للملك لمة وان للشيطان لمة
فلمة الملك ايعاد بالخير ولمة الشيطان ايعاد بالشر والالهام ما يكون من الله تعالى بغير الواسطة وهو على ضربين
ضرب منه ما لا شعور به للعبد انه من الله وضرب منه ما يكون باشارة صريحة يعلم العبد انه آت من الله تعالى
لتعليم نور الالهام وتعريفه لا يحتاج الى معرفة آخر انه من الله تعالى وهذا يكون للولى وغير الولى كما قال بعض
المشايخ حدثنى قلبى عن ربى وقال عليه السلام ان الحق لينطق على لسان عمر وقال كادت فراسته ان تسبق
الوحى ثم قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله اى ومن يفعل بما الهمه الله طلبا لمرضاته فسوف نؤتيه اجرا
عظيما ذكر بفاء التعقيب قوله فسوف يعنى عقيب الفعل نؤتيه اجرا وهو جذبة العناية التى تجذبه عنه وتوصله
الى العظيم ثم قال ومن يشاقق الرسول اى يخالف الالهام الربانى الذى هو رسول الحق اليه من بعد ما تبين له
الهدى بتعريف الالهام ونوره ويتبع غير سبيل المؤمنين الموقنين بالالهام بان يتبع الهوى وتسويل النفس
وسبيل الشيطان نوله ما تولى اى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله بسلاسل معاملاته التى تولى بها الى جهنم
سفليات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية وساءت مصيرا اى ما صار اليه من عبادة الهوى واتباع
النفس والشيطان واشراكهم بالله فى المطاوعة كذا فى التأويلات النجمية (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء) يقال جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم
اشرك بالله شيأ منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى جرأة وما توقعت طرفة عين انى
اعجز الله هربا وانى لنادم تائب فما ترى حالى عند الله فنزلت هذه الاية فالشرك غير مغفور الا بالتوبة عنه وما سواه
مغفور سواء حصلت التوبة او لم تحصل لكن لا لكل احد بل لمن يشاء الله مغفرته (ومن يشرك بالله فقد ضل
ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة قال الحدادى
اى فقد ذهب عن الصواب والهدى ذهابا بعيدا وحرم الخير كله والفائدة فى قوله بعيدا ان الذهاب عن الجنة
على مراتب ابعدها الشرك بالله تعالى انتهى فالشرك اقبح الرذائل كما ان التوحيد احسن الحسنات والسيئات
على وجوه كاكل الحرام وشرب الخمر والغيبة ونحوها لكن اسوء الكل الشرك بالله ولذلك لا يغفر وهو جلى
وخفى حفظنا الله منهما وكذا الحسنات على وجوه ويجمعها العمل الصالح وهو ما اريد به وجه الله واحسن
الكل التوحيد لانه اساس جميع الحسنات وقامع السيئات ولذلك لا يوزن قال عليه السلام كل حسنة
يعملها ابن آدم توزن يوم القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع فى ميزانه لانها لو وضعت فى ميزان من
قالها صادقا ووضعت السموات والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك ثم ان الله تعالى بين
كون ضلالهم ضلالا بعيدا فقال (ان) بمعنى ما النافية (يدعون) اى المشركون وهو بمعنى يعبدون لان من
عبد شيأ فانه يدعوه عند احتياجه اليه (من دونه) الضمير راجع الى الله تعالى (الا اناثا) جمع انثى والمراد
الاوثان وسميت اصنامهم اناثا لانهم كانوا يصورونها بصورة الاناث ويلبسونها انواع الحلل التى تتزين بها
النساء ويسمونها غالبا باسماء المؤنثات نحو اللات والعزى ومناة والشئ قد يسمى انثى لتأنيث اسمه او لانها
كانت جمادات لا ارواح فيها والجماد يدعى انثى تشبيها له بها من حيث انه منفعل غير فاعل ولعله تعالى ذكره
بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير
منفعل ليكون دليلا على تناهى جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة فان من المشركين من يعبد
الملائكة ويقول الملائكة بنات الله تعالى قال الله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة
تسمية الانثى مع اعترافهم بان اناث كل شئ اخسه وارذله (وان يدعون) اى وما يعبدون بعبادة الاصنام

(الا شيطانا مريدا) لانه الذى امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته فى ذلك عبادة له قيل كان فى كل
واحد من تلك الاوثان شيطان يتراءى للسدنة والكهنة يكلمهم وقال الزجاج المراد بالشيطان ههنا ابليس
بشهادة قوله تعالى بعد هذه الاية لاتخذن وهو قول ابليس ولا يبعد ان الذى يتراءى للسدنة هو ابليس
والمريد هو الذى لا يعلق بخير فقيل من مرد اى تجرد للشر وتعرى من الخير يقال شجرة مرداء اى لا ورق عليها
وغلام امرد اذا لم يكن على وجهه شعر (لعنه الله) صفة ثانية للشيطان اى ابعده من رحمته الى عقابه بالحكم له
بالخلود فى جهنم ويسقط بهذا قول من قال كيف يصح ان يقال لعنه الله وهو فى الدنيا لا يخلو من نعمة
تصل اليه من الله تعالى فى كل حال لانه لا يعتد بتلك النعمة مع الحكم له بالخلود فى النار (وقال) عطف عليه
اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن الدال على فرط عداوته
للناس فان الواو الواقعة بين الصفات انما تفيد مجرد الجمعية (لاتخذن) هذه اللام واللامات الاتية كلها للقسم
(من عبادك نصيبا مفروضا) اى مقطوعا واجبا قدر لى وفرض وهو اى النصيب المفروض لابليس كل من
اطاعه فيما زين له من المعاصى قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون كما فى حديث المشارق يقول
الله تعالى اى فى يوم الموقف يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك فيقول اخرج بعث النار يعنى ميزاهلها
والبعث بمعنى المبعوث قال وما بعث النار ما ههنا بمعنى كم العددية ولذا اجيب عنها بالعدد قال اى الله تعالى
من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون قال النبى عليه السلام فذلك التقاول حين يشيب الصغير وتضع كل ذات
حمل حملها كنايتان عن شدة اهوال يوم القيامة وترى الناس سكارى اى من الخوف وما هم بسكارى اى من الخمر
ولكن عذاب الله شديد قال اى الراوى واشتد ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل الباقى من الالف
فقال ابشروا فان من يأجوج ومأجوج الفا ومنكم رجل الخطاب للصحابة وغيرهم من المؤمنين ثم قال والذى
نفسى بيده انى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة قال الراوى فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذى نفسى بيده
انى لارجو ان تكونوا ثلث اهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذى نفسى بيده انى لارجو ان تكونوا شطر
اهل الجنة وترقى عليه السلام فى حديث آخر من النصف الى الثلثين وقال ان اهل الجنة مائة وعشرون صنفا
وهذه الامة منها ثمانون ان مثلكم فى الامم اى الكفرة كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود فلا يستبعد
دخول كل المؤمنين الجنة فان قيل كيف علم ابليس انه يتخذ من عباد الله نصيبا قيل فيه اجوبة منها ان الله تعالى
لما خاطبه بقوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين علم ابليس انه ينال من ذرية آدم ما يتمناه ومنها انه
لما وسوس لآدم فنال منه طمع فى ذريته ومنها ان ابليس لما عاين الجنة والنار علم ان لهما سكانا من الناس
(ولاضلنهم) عن الحق واضلاله وسواس ودعاء الى الباطل ولو كان اليه شئ من الضلالة سوى الدعاء اليها لاضل
جميع الخلق ولكنه لما قال عليه السلام فى حقه خلق ابليس مزينا وليس اليه من الضلالة شئ يعنى انه يزين
للناس الباطل وركوب الشهوات ولا يخلق لهم الضلالة (ولامنينهم) الامانى الباطلة بان يخيل للانسان ادراك
ما يتمناه من المال وطول العمر وقيل يمنى الانسان اى يوهمه انه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا عقاب ولا حساب
وقيل بان يوهمه انه ينال فى الاخرة حظا وافرا من فضل الله ورحمته (ولآمرنهم) بالبتك اى القطع والشق
(فليبتكن آذان الانعام) اى فليقطعنها بموجب امرى ويشقنها من غير تلعثم فى ذلك ولا تأخير يقال بتكه اى
قطعه ونقل الى بناء التفعيل اى التبتيك للتكثير واجمع المفسرون على ان المراد به ههنا قطع آذان البحائر
والسوائب والانعام الابل والبقر والغنم اى لاحملنهم على ان يقطعوا آذان هذه الاشياء ويحرموها على انفسهم
بجعلها للاصنام وتسميتها بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا وكان اهل الجاهلية اذا انتجت ناقة احدهم خمسة ابطن
وكان آخرها ذكرا بحروا اذنها وامتنعوا من ركوبها وحلبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى واذا لقيها
المعيى لم يركبها وقيل كانوا يفعلون ذلك بها اذا ولدت سبعة ابطن والسائبة المخلاة تذهب حيث شاءت وكان الرجل
منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة او يقول ان قدم غائبى من السفر او ان وصلت الى وطنى او ان ولدت امرأتى
ذكرا او نحو ذلك فناقتى سائبة فكانت كالبحيرة وكذا من كثر ماله بسبب واحدة منها تكرارا وكانت لا ينتفع
بشئ منها ولا تمنع عن ماء ومرعى الى ان تموت فيشترك فى اكلها الرجال والنساء والوصيلة هى من الغنم اذا
ولدت سبعة ابطن فان كان الولد السابع ذكرا ذبحوه لآلهتهم وكان لحمه للرجال دون النساء وان كان انثى كانوا

يستعملونها وكانت بمنزلة سائر الغنم وان كان ذكرا وانثى قالوا ان الاخت وصلت اخاها فلايذبحون اخاها من
اجلها وجرى مجرى السائبة وكانت المنفعة للرجال دون النساء فهى فعيلة بمعنى فاعلة والحامى هو البعير الذى
ولد ولد ولده وقيل هو الفحل من الابل اذا ركب ولد ولده قالوا انه قد حمى ظهره فيهمل ولا يركب ولا يمنع عن الماء
والمرعى واذا مات يأكله الرجال والنساء (ولآمرنهم) بالتغيير (فليغيرن خلق الله) عن نهجه صورة وصفة
ويندرج فيه امور منها فقء عين الحامى وكانت العرب اذا بلغت ابل احدهم الفا عوروا عين فحلها والحامى
الفحل الذى طال مكثه عندهم ومنها خصاء العبيد وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى خصاء
البهائم لمكان الحاجة ومنعوا فى بنى آدم وعند ابى حنيفة يكره شرآء الخصيان واستخدامهم لان الرغبة فيهم
تدعو الى خصائهم قال فى نصاب الاحتساب قرأت فى بعض الكتب ان معاوية دخل على النساء ومعه خصى
مجبوب فنفرت منه امرأة فقال معاوية انما هو بمنزلة امرأة فقالت اترى ان المثلة فيه قد احلت ما حرم الله من
النظر فتعجب من فطنتها وفقهها ومنها الوشم وهو ان يغرز الجلد بابرة ثم يحشى بكحل او بنيلج وهو دخان الشحم
يعالج به الوشم حتى يخضر قال بعض اصحاب الشافعى وجبت ازالته ان امكن بالعلاج والا فبالجرح ان لم يخف
فوت عضو ومنها الوشر وهو ان تحدد المرأة اسنانها وترققها تشبها بالشواب ومنها التنمص وهو نتف شعور الوجه
يقال تنمصت المرأة اذا تزينت بنتف شعر وجهها وحاجبها والنامصة المرأة التى تزين النساء بالنمص والمنمص
والمنماص المنقاش وقد لعن النبى عليه السلام النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة
والواشرة والمستوشرة والواصلة هى التى تصل شعر غيرها بنفسها والمستوصلة هى التى تأمر غيرها بان توصل
ذلك الى شعرها قال ابن الملك الواصلة هى التى تصل الشعر بشعر آخر زورا والمستوصلة هى التى تطلبه والرجل
والمرأة سوآء فى ذلك هذا اذا كان المتصل شعرا لادمى لكرامته فلا يباح الانتفاع بشئ من اجزآئه اما غيره
فلا بأس بوصله فيجوز اتخاذ النساء القراميل من الوبر وقيل فيه تفصيل ان لم يكن لها زوج فهو حرام ايضا
وان كان فان فعلته باذن الزوج او السيد يجوز والا فلا ثم انها ان فعلت ذلك بصغيرة تأثم فاعلته ولا تأثم المفعولة
لانها غير مكلفة ويدخل فى التنمص نتف شعر العانة فان السنة حلق العانة ونتف الابط ومنها السحق وهو لكونه
عبارة عن تشبه الانثى بالذكور من قبيل تغيير خلق الله عن وجهه صفة وفى الحديث المرفوع سحاق النساء زنى
بينهن وكذا التخنث لما فيه من تشبه الذكر بالانثى وهو اظهار اللين فى الاعضاء والتكسر فى اللسان ومنها اللواطة
لما فيها من اقامة ما خلق لدفع الفضلات مقام موضع الحراثة والنظر الى صبيح الوجه بالشهوة حرام ومجالسته
حرام لانه عورة من القرن الى القدم وجاء فى بعض الروايات ان مع كل امرأة شيطانين ومع كل غلام ثمانية عشر
شيطانا ومنها عبادة الشمس والقمر والكواكب والحجارة فان عبادتها وان لم تكن تغييرا لصورها لكنها تغيير
لصفتها فان شيأ منها لم يخلق لان يعبد من دون الله وانما خلق لينتفع به العباد على الوجه الذى خلق لاجله وكذا
الكفر بالله وعصيانه فانه ايضا تغيير خلق الله عن وجهه صفة فانه تعالى فطر الخلق على استعداد التحلى بحلية
الايمان والطاعة ومن كفر بالله وعصاه فقد ابطل ذلك الاستعداد وغير فطرة الله صفة ويؤيده قوله عليه السلام
كل مولود يولد على فطرة الاسلام فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وكذا استعمال الجوارح فى غير ما خلقت
لاجله تغيير لها عن وجهها صفة والجمل الاربع وهى لاتخذن ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم كل واحدة منها
مقول للشيطان فلا يخلو اما ان يقولها بلسان جسمه او بلسان فعله وحاله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون
الله) بايثار ما يدعو اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته (فقد خسر خسرانا مبينا)
لانه ضيع رأس ماله بالكلية وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار (يعدهم) ما لا ينجزه من طول العمر والعافية
ونيل لذائذ الدنيا من الجاه والمال وقضاء شهوات النفس (ويمنيهم) ما لا ينالون نحو ان لا بعث ولا حساب
ولا جزآء او نيل المثوبات الاخروية من غير عمل (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر
وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله اى
ما يعدهم بشئ الا لان يغرهم واعلم ان العمدة فى اغوآء الشيطان ان يزين زخارف الدنيا ويلقى الامانى فى قلب
الانسان مثل ان يلقى فى قلبه انه سيطول عمره وينال من الدنيا امله ومقصوده ويستولى على اعدآئه ويحصل له
ما تيسر لارباب المناصب والاموال وكل ذلك غرور لانه ربما لا يطول عمره وان طال فربما لا ينال امله ومطلوبه

وان

وان طال عمره ووجد مطلوبه على احسن الوجوه فلابد ان يفارقه بالموت فيقع فى اعظم انواع الغم والحسرة
فان تعلق القلب بالمحبوب كلما كان اشد واقوى كانت مفارقته اعظم تأثيرا فى حصول الغم والحسرة ولذلك قيل
الفت مكير همچو الف هيچ با كسى * تا بشنوى الم نشوى وقت انقطاع * فنبه سبحانه وتعالى على
ان الشيطان انما يعدو يمنى لاجل ان يغر الانسان ويخدعه ويفوت عنه اعز المطالب وانفع المآرب فالعاقل
من لا يتبع وساوس الشيطان ويبتغى رضى الرحمن بالتمسك بكتابه العظيم وسنن رسوله الكريم والعمل بهما
ليفوز فوزا عظيما وكفى بذلك نصيحة (اولئك) اشارة الى اولياء الشيطان وهو مبتدأ (مأواهم) اى مستقرهم
وهو مبتدأ ثان (جهنم) خبر للثانى والجملة خبر للاول (ولا يجدون عنها محيصا) اى معدلا ومهربا من حاص
يحيص اذا عدل وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اى كائنا عنها ولا يجوز ان يتعلق بيجدون لانه لا يتعدى
بعن ولا بقوله محيصا لانه اما اسم مكان وهو لا يعمل مطلقا واما مصدر ومعمول المصدر لا يتقدم عليه والاشارة
ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا وهم السعدآء وخلق النار وخلق لها اهلا وهم الاشقياء وخلق الشيطان
مزينا وداعيا وآمرا بالهوى فمن يرى حقيقة الاضلال ومشيئته من ابليس فهو ابليس وقد قال تعالى يضل
من يشاء ويهدى من يشاء والنصيب المفروض من العباد هم طائفة خلقهم الله تعالى اهل النار كقوله تعالى
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وهم اتباع الشيطان ههنا وقد لعن الله الشيطان وابعده عن الحضرة
اذ كان سبب ضلالتهم كما قال عليه السلام الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه وانما لعن الله
الدنيا وابغضها لانها كانت سببا للضلالة وكذلك الشيطان ولا يغتر بوعد الشيطان الا الضال بالضلال البعيد
الازلى ولذا تولد منه الشرك المقدر بمشيئة الله الازلية واما من خلقه الله اهلا للجنة فقد غفر له قبل ان خلقه
ومن غفر له فانه لا يشرك بالله شيأ وعن ابن عباس رضى الله عنه لما نزل قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ تطاول
ابليس وقال انا شئ من الاشياء فلما نزل فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة يئس ابليس وتطاولت اليهود
والنصارى ثم لما نزل قوله تعالى الذين يتبعون النبى الامى يئس اليهود والنصارى وبقيت الرحمة للمؤمنين خاصة
فهم خلقوا للرحمة ودخلوا الجنة بالرحمة ولهم الخلود فى الرحمة وبقى العذاب للشيطان واتباعه من الانس والجن
ولهم الخلود فى النار كما قال الله تعالى ولا يجدون عنها محيصا لانهم خلقوا لها فلابد من الدخول فيها قال الحافظ
بيرما كفت خطا بر قلم صنع نرفت * آفرين بر نظر پاك خطا پوشش باد * فافهم تفز ان شاء الله تعالى
(والذين آمنوا وعملوا الصالحات) صلاح الاعمال فى اخلاصها فالعمل الصالح هو ما اريد به وجه الله تعالى
وينتظم جميع انواعه من الصلاة والزكاة وغيرهما (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) اى انهار الماء
واللبن والخمر والعسل (خالدين فيها ابدا) اى مقيمين فى الجنة الى الابد فنصب ابدا على الظرفية وهو لاستغراق
المستقبل قال الحدادى انما ذكر الطاعة مع الايمان وجمع بينهما فقال آمنوا وعملوا الصالحات ليتبين بطلان توهم
من يتوهم انه لا تضر المعصية والاخلال بالطاعة مع الايمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر وليتبين استحقاق الثواب
على كل واحد من الامرين (وعد الله حقا) اى وعد الله لهم هذا وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه
لانه مضمون الجملة الاسمية التى قبل وعدا لان الوعد عبارة عن الاخبار بايصال المنفعة قبل وقوعها والثانى
مؤكد لغيره لان الخبر من حيث انه خبر يحتمل الصدق والكذب (ومن اصدق من الله قيلا) استفهام انكارى
اى ليس احد اصدق من الله قولا ووعدا وانه تعالى اصدق من كل قائل فوعده اولى بالقبول ووعد الشيطان
تخييل محض ممتنع الوصول وقيلا نصب على التمييز والقيل والقال مصدران كالقول (ليس بامانيكم)
جمع امنية بالفارسية آرزو كردن (ولا امانى اهل الكتاب) اى ليس ما وعد الله من الثواب يحصل بامانيكم ايها
المسلمون ولا بامانى اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح وامانى المسلمين ان يغفر لهم جميع ذنوبهم
من الصغائر والكبائر ولا يؤاخذوا بسوء بعد الايمان وامانى اهل الكتاب ان لا يعذبهم الله ولا يدخلهم النار
الا اياما معدودة لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فلا يعذبنا وعن الحسن ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر
فى القلب وصدقه العمل ان قوما ألهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن
بالله وكذبوا لو احسنوا الظن بالله لاحسنوا العمل قال بعضهم الرجاء ما قارنه عمل والا فهو امنية والامنية
منية اى موت اذ هى موجبة لتعطيل قوى لذائذ الحياة (قال السعدى) قيامت كه بازار نيكو نهند *

منازل باعمال نيكو نهند * بضاعت بچندانكه آرى برى * اكر مفلسى شرمسارى برى * كسى راكه حسن عمل بيشتر * بدركاه حق منزلت بيشتر * ثم انه تعالى اكد حكم الجملة الماضية وقال (من يعمل سوأ) عملا قبيحا (يجز به) عاجلا او آجلا لما روى انه لما نزلت قال ابو بكر رضى الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأوآء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك قال ابو هريرة رضى الله عنه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه الآية من شئ قال اما والذى نفسى بيده لكما انزلت ولكن يسروا وقاربوا وسددوا اى اقصدوا السداد اى الصواب ولا تفرطوا فتجهدوا انفسكم فى العبادة لئلا يفضى ذلك بكم الى الملال فتتركوا العمل كذا فى المقاصد الحسنة (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) اى ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره فى دفع العذاب عنه (ومن يعمل من الصالحات) من للتبعيض اى بعضها وشيأ منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفى وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة فى بعض الاحوال (من ذكر او انثى) فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور لانه لا اعتداد بالعمل بدون الايمان فيه (فاولئك) المؤمنون العاملون (يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) اى لا ينقصون مما استحقوه من جزاء اعمالهم مقدار النقير وهى النقرة اى الحفرة التى فى ظهر النواة ومنها تنبت النخلة وهو علم فى القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب العاصى لان المجازى ارحم الراحمين وفى الحديث ان الله وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده اعشاره اى سيئاته على حسناته قال النيسابورى حكمة تضعيف الحسنات لئلا يفلس العبد اذا اجتمع الخصماء فى طاعته فيدفع اليهم واحدة ويبقى له تسعة فمظالم العباد توفى من التضعيفات لا من اصل حسناته لان التضعيف فضل من الله تعالى واصل الحسنة الواحدة عدل منه واحدة بواحدة وقد ذكر الامام البيهقى فى كتاب البعث فقال ان التضعيفات فضل من الله تعالى لا تتعلق بها العباد كما لا تتعلق بالصوم بل يدخرها الحق للعبد فضلا منه سبحانه فاذا دخل الجنة اثابه بها (قال السعدى) نكوكارى از مردم نيك راى * يكى را بده مى نويسد خداى * چو اناره طاعت امروز كير * كه فردا جوانى نيايد زپير * ره خير بازست وطاعت وليك * نه هركس تواناست برفعل نيك * همه برك بودن همى ساختى * بتدبير رفتن نپرداختى * واعلم ان جميع الاعمال الصالحة يزيد فى نور الايمان فعليك بالطاعات والحسنات والوصول الى المعارف الالهية فان العلم بالله افضل الاعمال ولذلك لما قيل يا رسول الله اى الاعمال افضل قال العلم بالله فقيل الاعمال نريد قال العلم بالله فقيل نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وذلك انما يحصل بتصفية الباطن مع صيقل التوحيد وانواع الاذكار ولا يعقلها الا العالمون والاشارة ليس بامانيكم يعنى باماني عوام الخلق الذين يذنبون ولا يتوبون ويطمعون ان يغفر الله لهم والله تعالى يقول وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ولا امانى اهل الكتاب يعنى العلماء السوء الذين يغرون الخلق بالرجاء المذموم ويقطعون عليهم طريق الطلب والجد والاجتهاد ومن يعمل سوأ يجز به فى الحال باظهار الرين على مرءآة قلبه بعد الذنب كما قال عليه السلام اذا اذنب عبد ذنبا نكت فى قلبه نكتة سودآء فان تاب ورجع منه صقل ولا يجد له من دون الله وليا يخرجه من ظلمات المعصية الى نور الطاعة بالتوبة ولا نصيرا سوى الله ينصره بالظفر على النفس الامارة فيزكيها عن صفاتها وعلى الشيطان فيدفع شره وكيده ومن يعمل من الصالحات اى الخالصات من ذكر او انثى يشير بالذكر الى القلب وبالانثى الى النفس وهو مؤمن مخلص فى تلك الاعمال فاولئك يدخلون الجنة المعنى ان القلب اذا عمل بما وجب عليه من التوجه الى العالم العلوى والاعراض عن العالم السفلى وغض البصر عن سوى الحق يستوجب دخول جنة القربة والوصلة والنفس اذا عملت بما وجب عليها من الانتهاء عن هواها وترك حظوظها واداء حقوق الله تعالى فى العبودية واطمأنت بها تستحق الرجوع الى ربها والدخول فى جنة عالم الارواح كما قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية

ولا يظلمون نقيرا فيما قدر لهم الله من الاعمال الصالحات ولا من الدرجات والقربات فليس من تمنى نعمته من غير ان يتعنى فى خدمته كمن تعنى فى خدمته من غير ان يتمنى نعمته وان بينهما بونا بعيدا من اعلى مراتب القرب الى اسفل سافلين البعد كذا فى التأويلات النجمية (ومن) استفهام انكارى (احسن دينا) الدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار فان الشريعة من حيث انها يطاع لها دين ومن حيث انها تملى وتكتب ملة والاملال بمعنى الاملاء (ممن اسلم وجهه لله) اى جعل نفسه وذاته سالمة خالصة لله تعالى بان لم يجعل لاحد حقا فيها الا من جهة الخالقية والمالكية ولا من جهة العبودية والتعظيم قوله دينا نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل فى الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما (وهو محسن) الجملة حال من فاعل اسلم اى والحال انه آت بالحسنات تارك للسيئات وقد فسره النبى عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والاحسان حقيقة الايمان واعلم ان دين الاسلام مبنى على امرين الاعتقاد والعمل فالله سبحانه اشار الى الاول بقوله اسلم وجهه لله والى الثانى بقوله وهو محسن اى فى الانقياد له بان يكون آتيا بجميع ما كلفه به على وجه الاجلال والخشوع (واتبع ملة ابراهيم) الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها بين الاديان كلها بخلاف ملة موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام (حنيفا) حال من فاعل اتبع اى مائلا عن الاديان الزائغة ثم ان الله تعالى رغب فى اتباع ملته فقال (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اى اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها (ولله ما فى السموات وما فى الارض) كانه قيل لم خص الله تعالى ابراهيم عليه السلام بالخلة وله عباد مكرمون فاجاب بان جميع ما فى السموات وما فى الارض من الموجودات له تعالى خلقا وملكا يختار منها ما يشاء ومن يشاء (وكان الله بكل شئ محيطا) احاطة علم وقدرة فكل واحد من علمه وقدرته محيط بجميع ما يكون داخلا فيهما وما يكون خارجا عنهما ومغايرا لهما مما لا نهاية له من الصدورات الخارجة عن هذه السموات والارضين روى ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر فى ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام فقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله خليلا وفى الخبر تعجب الملائكة من كثرة ماله وخدمه وكان له خمسة آلاف قطيع من الغنم وعليها كلاب المواشى باطواق الذهب فتمثل له ملك فى صورة البشر وهو ينظر اغنامه فى البيدآء فقال الملك سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح فقال ابراهيم عليه السلام كرر ذكر ربى ولك نصف ما ترى من اموالى فكرر الملك فنادى ثانيا كرر تسبيح ربى ولك جميع ما ترى من مالى فتعجب الملائكة فقالوا جدير ان يتخذك الله خليلا فعلى هذا انما سمى الخليل خليلا على لسان الملائكة قال القاضى فى الشفاء الخلة هنا اقوى من النبوة لان النبوة قد يكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة ومن شرط الخلة استسلام العبد فى عموم احواله لله بالله وان لا يدخر شيأ مع الله لا من ماله وجسده ولا من نفسه ولا من روحه وخلده ولا من اهله وولده وهكذا كان حال ابراهيم عليه السلام جانكه نه قربانئ جانان بود * جيفهٔ تن بهترازان جان بود * هركه نه شد كشته بشمشير دوست * لاشهٔ مردار به از جان اوست * ومن شرط المحبة فناء المحب فى المحبة وبقاؤه فى المحبوب حتى لم تبق المحبة من المحب الا الحبيب وهذا حال محمد صلى الله عليه وسلم قيل لمجنون بنى عامر ما اسمك قال ليلى قال شيخى وسندى ومن هو بمنزلة روحى فى جسدى فى كتاب اللايحات البرقيات ان الخلة والمحبة الالهية الاحدية تجلت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بحقيقتها ولابراهيم عليه السلام بصورتها ولغيرهما بخصوصياتها الجزئية بحسب قابلياتهم ونبينا عليه السلام فى مقام الخلة والمحبة بمنزلة المرتبة الاحدية الذاتية وابراهيم عليه السلام بمنزلة المرتبة الواحدية الصفاتية وغيرهما بمنزلة المرتبة الواحدية الافعالية والى هذه المقامات والمراتب اشارة فى البسملة على هذا الترتيب ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه بالفعل وابراهيم عليه السلام خليل الرحمن وحبيبه بالفعل وغيرهما من الانبياء عليهم السلام اخلاء الرحيم واحباؤه

بالفعل انتهى كلام الشيخ العلامة ابقاه الله بالسلامة واعلم انه عليه السلام قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابابكر خليلا يعنى لو جاز لى ان اتخذ صديقا من الخلق يقف على سرى لاتخذت ابابكر خليلا ولكن لايطلع على سرى الا الله ووجه تخصيصه بذلك ان ابابكر رضى الله عنه كان اقرب بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما روى انه عليه السلام قال ان ابابكر لم يفضل عليكم بصوم ولا صلاة ولكن بشئ كتب فى قلبه وانفهم من عدم اتخاذه عليه السلام احدا خليلا انفصاله عما سوى الله تعالى فكل الكائنات متصل به وهو غير متصل بشئ اصلا سوى الله سبحانه وتعالى اللهم ارزقنا شفاعته قال الشيخ السعدى فى نعته الشريف شبى برنشست ازفلك دركذشت * بتمكين جاه ازملك دركذشت * جنان كرم درتيه قربت براند * كه درسدره جبريل ازو بازماند * فهذا انفصاله عن العلويات والسفليات ووصوله الى حضرة الذات (ويستفتونك) اى يطلبون منك الفتوى واشتقاق الفتوى من الفتى وهو الشاب القوى الحدث لانها جواب فى حادثة واحداث حكم اوتقوية لبيان مشكل (فى) حق توريث (النساء) اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبى عليه السلام فقال اخبرنا انك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت (قل الله يفتيكم فيهن) يبين لكم حكمه فى حقهن والافتاء تبيين المبهم وتوضيح المشكل (وما يتلى عليكم فى الكتاب) عطف على اسم الله اى يفتيكم الله وكلامه فيكون الافتاء مسندا الى الله والى مافى القرءآن من قوله يوصيكم الله فى اولادكم فى اوآئل هذه السورة ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين كما يقال اغنانى زيد وعطاؤه فان المسند اليه فى الحقيقة شئ واحد وهو المعطوف عليه الا انه عطف عليه شئ من احواله للدلالة على ان الفعل انما قام بذلك الفاعل باعتبار اتصافه بتلك الحال (فى) شأن (يتامى النساء) متعلق بيتلى كما ان فى الكتاب متعلق به ايضا والاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه (اللاتى لاتؤتونهن ما كتب لهن) اى فرض لهن من الميراث وغيره (وترغبون) عطف على لاتؤتونهن عطف جملة مثبتة على جملة منفية (ان تنكحوهن) اى فى نكاحهن لجمالهن ومالهن وترغبون عن نكاحهن اى تعرضون لقبحهن وفقرهن فان كانت اليتيمة جميلة موسرة رغب وليها فى تزوجها والارغب عنها وما يتلى فى حقوقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولاتأكلوها ونحوها من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم (و) فى (المستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لايورثون النساء وانما يورثون الرجال القوامين بالامور (و) فى (ان تقوموا لليتامى) فى اموالهم وحقوقهم (بالقسط) اى العدل وهو ايضا عطف على يتامى النساء وما يتلى فى حقهم قوله تعالى ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب ولاتأكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك (وما) شرطية (تفعلوا من خير) على الاطلاق سوآء كان فى حقوق المذكورين اوغيرهم (فان الله كان به عليما) فيجازيكم بحسبه فعلى العاقل ان يطيع الله تعالى فيما امر ولايأكل مال الغير بل يجتهد فى ان ينفق ماقدر عليه على اليتامى والمساكين قال حاتم الاصم من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب ومن ادعى محبة الله من غير ورع عن محارم الله فهو كذاب ومن ادعى محبة النبى عليه السلام من غير محبة الفقرآء فهو كذاب وفى قوله تعالى وماتفعلوا حث على فعل الخير وترغيب حكى ان امرأة جاءت الى حانوت ابى حنيفة تريد شرآء ثوب فاخرج ابو حنيفة ثوبا جديدا قيمته اربعمائة درهم فقالت المرأة انى امرأة ضعيفة ولى بنت اريد تسليمها الى زوجها فبعنى هذا الثوب بما يقوم عليك فقال ابو حنيفة خذيه باربعة دراهم فقالت المرأة لم تسخر بى فقال ابو حنيفة معاذ الله ان اكون من الساخرين ولكنى كنت اشتريت ثوبين فبعت احدهما برأس المال الذى نقدت فى الثوبين الا اربعة دراهم فبقى هذا على باربعة دراهم فاخذت المرأة الثوب باربعة دراهم ورجعت مستبشرة فرحة (قال السعدى) بكيراى جوان دست درويش بير * نه خودرا بيكفن كه دستم بكير * كسى نيك بودى بهردوسراى * كه نيكى رساند بخلق خداى * واعلم ان النفس بمثابة المرأة لزوج الروح فكما اوجب الله على الرجال من الحقوق للنساء فكذلك اوجب على العبد الطالب الصادق من الحقوق للنفس كما قال عليه السلام لعبد الله بن عمرو حين جاهد نفسه بالليل بالقيام وبالنهار بالصيام ان لنفسك عليك حقا فصم وافطر وقم ونم والرياضة الشديدة تقطع عن السير قال

عليه

عليه السلام ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق يريد لاتحملوا على انفسكم ولاتكلفوها مالاتطيق فتعجز فتترك الدين والعمل * اسب تازى دوتك همى ماند * شترآهسته ميرود شب وروزى * وكان النبى عليه السلام يتوسط فى اعطاء نفسه حقها ويعدل فيها غاية العدل فيصوم ويفطر ويقوم وينام وينكح النساء ويأكل فى بعض الاحيان مايجد كالحلوى والعسل والدجاج وتارة يجوع حتى يشد الحجر على بطنه من الجوع فياايها الغافل تنبه لرحلتك ومسراك واحذر ان تسأل عن موافقة هواك انتقل الى الصلاح قبل ان تنقل وحاسب نفسك على ماتقول وتفعل فان الله سبحانه بكل شئ عليم وبكل شئ محيط فاياك من الافراط والتفريط (وان امرأة خافت من بعلها) امرأة فاعل فعل يفسره الظاهر اى خافت امرأة وتوقعت من زوجها (نشوزا) تجافيا عنها وترفعا من صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها من النشز وهو ما ارتفع من الارض فنشوز كل واحد من الزوجين كراهته صاحبه وترفعه عليه لعدم رضاه به (او اعراضا) بان يقل مجالستها ومحادثتها وذلك لبعض الاسباب من طعن فى سن اودمامة اوشين فى خلق اوخلق اوملال اوطموح عين الى اخرى اوغير ذلك قال الامام المراد بالنشوز اظهار الخشونة فى القول اوالفعل اوفيهما والمراد بالاعراض السكوت عن الخير والشر والمراعاة والايذآء روى ان الاية نزلت فى خويلة ابنة محمد بن مسلمة وزوجها سعد ابن الربيع تزوجها وهى شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكت اليه ذلك (فلا جناح عليهما) حينئذ (ان يصلحا بينهما صلحا) اى فى ان يصلحا بينهما اصلاحا بان تحط له المهر اوبعضه اوالقسم كما فعلت سودة رضى الله عنها وكانت كبيرة مسنة وذلك ان ام المؤمنين سودة ابنة زمعة التمست من رسول الله حين اراد عليه السلام ان يطلقها ان يمسكها ويجعل نوبتها لعائشة رضى الله عنها لما عرفت مكان عائشة من قلبه عليه السلام فاجازه النبى عليه السلام ولم يطلقها وكان عليه السلام بعد هذا الصلح يقسم لعائشة يومها ويوم سودة قال الحدادى مثل هذا الصلح لايقع لازما لانها اذا ابت بعد ذلك الا المقاسمة على السوآء كان لها ذلك (والصلح) الواقع بين الزوجين (خير) اى من الفرقة اومن سوء العشرة اومن الخصومة فاللام للعهد ويجوز ان لايراد به التفضيل بل بيان انه خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور فاللام للجنس قال السيوطى فى حسن المحاضرة فى احوال مصر والقاهرة ان شئت ان تصير من الابدال فحول خلقك الى بعض خلق الاطفال ففيهم خمس خصال لو كانت فى الكبار لكانوا ابدالا لايهتمون للرزق ولايشكون من خالقهم اذا مرضوا ويأكلون الطعام مجتمعين واذا خافوا جرت عيونهم بالدموع واذا تخاصموا لم يتجاوزوا وتسارعوا الى الصلح ونعم ماقيل ابلهست انكه فعل اوست لجاج * ابلهى را كجاعلاج بود * تاتوانى لجاج بيشه مكير * كافت دوستى لجاج بود (واحضرت الانفس الشح) اى جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لاتنفك عنه ابدا فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها وكبر سنها وعدم حصول اللذة بمجالستها واصل الكلام احضر الله الانفس الشح فلما بنى للمفعول اقيم مفعوله الاول مقام الفاعل والشح البخل مع حرص فهو اخص من البخل وعن عبد الله بن وهب عن الليث قال بلغنى ان ابليس لقى نوحا فقال له ابليس يانوح اتق الحسد والشح فانى حسدت آدم فخرجت من الجنة وشح آدم على شجرة واحدة منعها حتى خرج من الجنة ولقى يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس فى صورته فقال له اخبرنى باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الى المؤمن البخيل وابغضهم الى الفاسق السخى قال يحيى وكيف ذلك قال لان البخيل قد كفانى بخله والفاسق السخى اتخوف ان يطلع الله عليه فى سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لم اخبرك كذا فى آكام المرجان (وان تحسنوا) ايها الازواج بامساكهن بالمعروف وحسن المعاشرة مع عدم موافقتهن لطباعكم (وتتقوا) ظلمهن بالنشوز والاعراض ولم تضطروهن الى بذل شئ من حقوقهن (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم ويثيبكم عليه البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين روى ان رجلا من بنى آدم كانت له امرأة من اجملهم فنظرت اليه يوما فقالت الحمد لله قال زوجها مالك فقالت حمدت الله على انى وانك من اهل الجنة لانك رزقت مثلى فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله بالجنة للصابرين والشاكرين (قال السعدى) جو مستور بود زن خوب روى * بديدار او دربهشتست شوى * اكر پارسا باشد وخوش سخن * نكه درنكويى

ورشى مكن (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) اى محال ان تقدروا على ان تعدلوا وتسووا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن فى شأن من الشؤون البتة ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمى فيما املك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك واراد به التسوية فى المحبة وكان له فرط محبة لعائشة رضى الله عنها (ولو حرصتم) اى على اقامة العدل وبالغتم فى ذلك (فلا تميلوا كل الميل) اى فلا تجوروا على المرأة المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم به لا بما دونه من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم وما لا يدرك كله لا يترك كله وفى الحديث استقيموا ولن تحصوا اى لن تستطيعوا ان تستقيموا فى كل شئ حتى لا تميلوا (فتذروها) مجزوم عطف على الفعل قبله اى فلا تتركوا التى ملتم عنها حال كونها (كالمعلقة) وهى المرأة التى لا تكون ايما فتتزوج ولا ذات بعل يحسن عشرتها كالشئ المعلق الذى لا يكون فى الارض ولا فى السماء وفى الحديث من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وكان لمعاذ رضى الله عنه امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ فى بيت الاخرى فاتتا فى الطاعون فدفنهما فى قبر واحد (وان تصلحوا) ما كنتم تفسدون من امورهن (وتتقوا) الميل فيما يستقبل (فان الله كان غفورا) يغفر لكم ما مضى من ميلكم (رحيما) يتفضل عليكم برحمته (وان يتفرقا) اى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح اوغيره (يغن الله كلا) منهما اى يجعله مستغنيا عن الاخر ويكفه مهماته (من سعته) من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن مفارقة احدهما رغما لصاحبه (وكان الله واسعا حكيما) اى مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه وله حكمة بالغة فيما يحكم من الفرقة يجعل لكل واحد منهما من يسكن اليه فيتسلى به عن الاول وتزول حرارة محبته عن قلبه وينكشف عنه هم عشقه فعلى المؤمن ترك حظ النفس والدور مع الامر الالهى فى جملة اموره واحكامه والعمل فى حق النساء بقوله تعالى فامساك بمعروف اوتسريح باحسان والميل الى جانب العدل والاعراض عن طرف الظلم والاستحلال قبل ان يجيئ يوم لا بيع فيه ولا خلال قال ابن مسعود رضى الله عنه يؤخذ بيد العبد اوالامة فينصب على رؤس الاولين والاخرين ثم ينادى مناد هذا فلان ابن فلان فمن كان له حق فليأت الى حقه فتفرح المرأة ان يكون لها الحق على ابنها اواخيها اوعلى ابيها اوعلى زوجها ثم قرأ ابن مسعود رضى الله عنه فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيقول الرب تعالى للعبد آت هؤلاء حقوقهم فيقول رب لست فى الدنيا فمن اين اوتيهم فيقول للملائكة خذوا من اعماله الصالحة فاعطوا كل انسان منهم بقدر طلبته فان كان ولياالله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل من خير ضاعفها حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة رب فنيت حسناته وبقى الطالبون فيقول للملائكة خذوا من اعمالهم السيئة فاضيفوها الى سيئاته وصكوا له صكا الى النار فلابد من التوبة والاستغفار والرجوع الى الملك الغفار والمجاملة فى المعاملة مع الاخيار والاشرار ودفع الاذى عن اهل الانكار والاقرار حكى ان ابا منصور بن ذكير كان رجلا زاهدا صالحا فلما دنت وفاته اكثر البكاء فقيل له لم تبكى عند الموت قال اسلك طريقا لم اسلكه قط فلما توفى رآه ابنه فى المنام فى الليلة الرابعة فقال يا ابت ما فعل الله بك فقال يا بنى ان الامر اصعب مما تعهداى تظن لقيت ملكا عادلا اعدل العادلين ورأيت خصماء مناقشين فقال لى ربى يا ابا منصور قد عمرتك سبعين سنة فما معك اليوم فقلت يا ربى حججت ثلاثين حجة فقال الله تعالى لم اقبل منك فقلت يارب تصدقت باربعين الف درهم بيدى فقال لم اقبل منك فقلت ستون سنة صمت نهارها وقمت ليلها فقال لم اقبل منك فقلت الهى غزوت اربعين غزوة فقال لم اقبل منك فقلت اذا قد هلكت فقال الله تعالى ليس من كرمى ان اعذب مثل هذا يا ابا منصور اما تذكر اليوم الفلانى نحيت الذرة عن الطريق كيلا يعثر بها مسلم فانى قد رحمتك بذلك فانى لا اضيع اجر المحسنين فظهر من هذه الحكاية ان دفع الاذى عن الطريق اذا كان سببا للرحمة والمغفرة فلان يكون دفع الاذى عن الناس نافعا للدافع يوم الحشر خصوصا عدم الاذية للمؤمنين وخصوصا للاهل والعيال والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده اللهم اجعلنا من النافعين لا من الضارين آمين (ولله ما فى السموات وما فى الارض) اى من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق ارزاقهم وغير ذلك قال الشيخ نجم الدين قدس سره لله ما فى السموات من الدرجات العلى وجنات المأوى والفردوس الاعلى

وما فى الارض من نعيم الدنيا وزينتها وزخارفها والله مستغن عنها وانما خلقها لعباده الصالحين كما قال تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وخلق العباد لنفسه كما قال واصطنعتك لنفسى (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) اى بالله قد امرناهم فى كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام فى الكتاب للجنس يتناول الكتب السماوية ومن متعلقة بوصينا اوبأوتوا (واياكم) عطف على الذين اى وصيناكم يا امة محمد فى كتابكم (ان اتقوا الله) اى بان اتقوا الله فان مصدرية حذف منها حرف الجر اى امرناهم واياكم بالتقوى (و) قلنا لهم ولكم (ان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض) اى فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله (وكان الله غنيا) اى عن الخلق وعبادتهم لا تعلق له بغيره تعالى لا فى ذاته ولا فى صفاته بل هو منزه عن العلاقة مع الاغيار (حميدا) محمودا فى ذاته حمدوه اولم يحمدوه قال الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى والله تعالى هو الحميد لحمده لنفسه ازلا ولحمد عباده له ابدا ويرجع هذا الى صفات الجلال والعلو والكمال منسوبا الى ذكر الذاكرين له فان الحمد هو ذكر اوصاف الكمال من حيث هو كمال والحميد من العباد من حمدت عقائده واخلاقه واعماله كلها من غير مثنوية وذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم ومن يقرب منه من الانبياء ومن عداهم من الاولياء والعلماء كل واحد منهم حميد بقدر ما يحمد من عقائده واخلاقه واعماله واقواله (ولله ما فى السموات وما فى الارض) ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا فلا تكرار فان كل واحد من هذه الالفاظ مقرون بفائدة جديدة (وكفى بالله وكيلا) فى تدبير امور الكل وكل الامور فلابد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه (ان يشأ يذهبكم ايها الناس) اى يفنكم ويستأصلكم بالمرة (ويأت بآخرين) اى يوجد دفعة مكانكم قوما آخرين من البشر اوخلقا آخرين مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اى ان يشأ افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم يعنى ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ففيه تهديد للعصاة (وكان الله على ذلك) اى افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم (قديرا) بليغ القدرة لا يعجزه مراد فاطيعوه ولا تعصوه واتقوا عقابه والاية تدل على كمال قدرته وصبوريته حيث لا يؤاخذ العصاة على العجلة وفى الحديث لا احد اصبر على اذى سمعه من الله انه يشرك به ويجعل له الولد ثم هو يعافيهم ويرزقهم يعنى يقول بعض عباد الله واماؤه ان له شريكا فى ملكه وينسب له ولدا ثم الله تعالى يعطيهم من انواع النعم من العافية والرزق وغيرهما فهذا كرمه ومعاملته مع من يؤذيه فما ظنك بمعاملته مع من يتحمل الاذى منه ويثنى عليه ثم ان تأخير العقوبة يتضمن لحكم منها رجوع التائب وانقطاع حجة المصر وفى الحديث ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها قال الشيخ الكلاباذى بسط اليد كناية عن الجود يعنى يجود الله لمسيئ الليل ولمسيئ النهار بالامهال ليتوب كما روى انه عليه السلام قال صاحب اليمين امير على صاحب الشمال واذا عمل العبد حسنة كتب له عشر امثالها واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين امسك فيمسك عنه سبع ساعات من النهار فان استغفر لم يكتب عليه وان لم يستغفر كتب سيئة واحدة انتهى كلامه (قال الصائب) برغفلت سياه دلان خنده ميزند * غافل مشو زخنده دندان نماى صبح يقال من لم ينزجر بزواجر القرآن ولم يرغب فى الطاعات فهذا اشد قسوة من الحجارة واسوء حالا من الجمادات فان دعوة الله عباده بكتبه على لسان الانبياء لئلا يغتروا بزخارف الدنيا الدنية ويترقوا من حضيض الحظوظ النفسانية الى معارج الدرجات العلى ولقد وصاك الله تعالى بالتقوى فعليك بالاخذ بالوصية فان التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وخير كثير فانه جامع الخير كله قال ابن عطاء للتقوى ظاهر وباطن فظاهرها حفظ حدود الشرع وباطنها الاخلاص فى النية وحقيقة التقوى الاعراض عن الدنيا والعقبى والاقبال والتوجه الى الحضرة العليا فمن وصل اليه فقد صار حرا عن رقية الكونين وعبد الله تعالى (قال الحافظ) زير بارند درختان كه تعلق دارند * اى خوشا سرو كه از بارغم آزاد آمد (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والاخرة) اى فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فماله يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة اوليطلب الاشرف منهما فان من جاهد

خالصا لوجه الله تعالى لم تخالطه الغنيمة وله فى الاخرة ماهى فى جنبه كلاشئ اى فعند الله ثواب الدارين فيعطى
كلا مايريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله
فى الاخرة من نصيب (وكان الله سميعا بصيرا) عالما بجميع المسموعات والمبصرات عارفا بالاغراض اى يعرف
من كلامهم مايدل على انهم مايطلبون من الجهاد سوى الغنيمة ومن افعالهم مايدل على انهم لايسعون
فى الجهاد الا عند توقع الفوز بالغنيمة قال الحدادى فى الاية تهديد للمنافقين المرآئين وفى الحديث ان فى النار
واديا تتعوذ منه جهنم كل يوم اربعمائة مرة اعد للقرآء المرآئين (قال السعدى) نكو سيرتى بى تكلف برون *
به از نيك نام خراب اندرون * هر آنكه افكند تخم بر روى سنك * جوى وقت دخلش نيايد بجنك *
وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ثم قال لها تكلمى فقالت قد افلح المؤمنون ثلاثا ثم قالت انى حرام على كل بخيل مرآئى فينبغى
للمؤمن ان يحترز من الرياء ويسعى فى تحصيل الاخلاص فى العمل وهو ان لا يريد بعمله سوى الله تعالى قال
بعضهم دخلت على سهل بن عبد الله يوم الجمعة قبل الصلاة فرأيت فى البيت حية فجعلت اقدم رجلا وأوخر
اخرى فقال سهل ادخل لا يبلغ احد حقيقة الاخلاص وعلى وجه الارض شئ يخافه ثم قال هل لك حاجة
فى صلاة الجمعة فقلت بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة فاخذ بيدى فما كان قليلا حتى رأيت المسجد فدخلنا
وصلينا الجمعة ثم خرجنا فوقف ينظر الى الناس وهم يخرجون فقال اهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل
عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد ز بيمغز پوست * فالمخلص فى عمله لا يقبل عوضا
ولو اعطى له الدنيا ومافيها (حكاية) آورده اند كه جوانمردى غلام خويش را كفت سخاوت آن نيست كه
صدقه بكسى دهند كه اورا بشناسند صد دينار بستان وببازار بر واول درويشى كه بينى بوى ده غلام ببازار
رفت پيرى ديد كه حلاق سر اومى تراشيد زر بوى داد پير كفت كه من نيت كرده ام كه هرچه مرا فتوح شود بوى
دهم حلاق را كفت بستان حلاق كفت من نيت كرده ام سر اورا از براى خدا بتراشم اجر خود از حق تعالى
بصد دينار نمى فروشم وهيچ كس نستاندند غلام باز كشت وزر باز آورد كذا فى انيس الوحدة
وجليس الخلوة (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مبالغين فى العدل واقامة القسط فى جميع الامور
مجتهدين فى ذلك حق الاجتهاد (شهدآء لله) بالحق تقيمون شهاداتكم بوجه الله تعالى كما امرتم باقامتها وهو خبر
ثان (ولو) كانت الشهادة (على انفسكم) بان تقروا عليها لان الشهادة على النفس اقرار على ان الشهادة عبارة
عن الاخبار بحق الغير سوآء كان ذلك عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة
المشهود عليه بان يكون سلطانا ظالما او غيره (او الوالدين والاقربين) اى ولو كانت على والديكم واقاربكم
بان تقروا وتقولوا مثلا اشهد ان لفلان على والدى كذا او على اقاربى او بان تكون الشهادة وبالا عليهم على مامر
آنفا وفى هذا بيان ان شهادة الابن على الوالدين لا تكون عقوقا ولا يحل للابن الامتناع عن الشهادة على ابويه
لان فى الشهادة عليهما بالحق منع الهما من الظلم واما شهادته لهما وبالعكس فلا تقبل لان المنافع بين الاولاد
والاباء متصلة ولهذا لا يجوز اداء الزكاة اليهم فتكون شهادة احدهما شهادة لنفسه او لتمكن التهمة (ان يكن)
اى المشهود عليه (غنيا) يبتغى فى العادة رضاه ويتقى سخطه (او فقيرا) يترحم عليه غالبا وجواب الشرط
محذوف لدلالة قوله تعالى (فالله اولى بهما) عليه اى فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة طلبا لرضى الغنى او ترحما على
الفقير فان الله تعالى اولى بجنسى الغنى والفقير بالنظر لهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها
وفى الحديث انصر اخاك ظالما او مظلوما قيل يا رسول الله كيف ينصره ظالما قال ان يرده عن ظلمه فان ذلك
نصره معنى ومنع الظالم عن ظلمه عون له على مصلحة دينه ولذا سمى نصرا (قال السعدى) بكمراه كفتن
نكو ميروى * كناه بزركست وجور قوى * بكوى آنچه دانى سخن سودمند * وكر هيچ كس را
نيايد پسند (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) يحتمل العدل والعدول اى فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا
بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق (وان تلووا) السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تأتوا بها
لا على وجهها الى الشئ فتله وتحريفه ولى الشهادة تبديلها او عدم اداءها على ماشاهده بان يميل فيها الى احد
الخصمين (او تعرضوا) اى عن اداءها واقامتها رأسا فالاعراض عنها كتمها (فان الله كان بما تعملون)

من لى الالسنة والاعراض بالكلية (خبيرا) فيجازيكم لا محالة على ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنه
ان المراد بالاية القاضى يتقدم عليه الخصمان فيعرض عن احدهما او يدافع فى امضاء الحق او لا يسوى بينهما
فى المجلس والنظر والاشارة ولا يمتنع ان يكون المراد بالاية القاضى والشاهد وعامة الناس فان احتمال اللفظ
للجميع وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزول هذه الاية من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقم
شهادته على من كانت ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجحد حقا هو عليه وليؤده فورا ولا يلجئه
الى سلطان وخصومة ليقطع بها حقه وايما رجل خاصم الى فقضيت له على اخيه بحق ليس عليه فلا يأخذنه
فانما اقطع له قطعة من نار جهنم كذا فى تفسير الحدادى قال فى الاشباه اى شاهد جاز له الكتمان فقل اذا كان الحق
يقوم بغيره او كان القاضى فاسقا او كان يعلم انه لا يقبل انتهى قال الفقهاء وستر الشهادة فى الحدود افضل من
اداءها لقوله عليه السلام للذى شهد عنده فى الحد لو سترته بثوبك لكان خيرا لك وقوله عليه السلام من ستر
على مسلم عيبا ستر الله عليه فى الدنيا والاخرة وقال عليه السلام مامن امرئ ينصر مسلما فى موضع ينتهك فيه
عرضه وتستحل حرمته الا نصره الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته ومامن امرئ خذل مسلما فى موضع
تنتهك فيه حرمته الا خذله الله تعالى فى موضع يحب فيه نصرته وقال عليه السلام ادرؤا الحدود ما استطعتم
يحكى ان مسلما قتل ذميا عمدا فحكم ابو يوسف بقتل المسلم فبلغ زبيدة امرأة هرون الرشيد فبعثت الى ابى يوسف
وقالت اياك ان تقتل المسلم وكانت فى عناية عظيمة بامر المسلم فلما حضر ابو يوسف وحضر الفقهاء وجيئ باولياء
الذمى والمسلم قال له الرشيد احكم بقتله فقال يا امير المؤمنين هو مذهبى غير انى لست اقتل المسلم به حتى تقوم
البينة العادلة ان الذمى يوم قتله المسلم كان ممن يؤدى الجزية فلم يقدروا عليه فبطل دمه (بيت) تو روا داريكه
من بى حجتى * بنهم اندر شهر باطل سنتى * وفى قوله تعالى شهدآء لله اشارة الى عوام المؤمنين ان كونوا
شهدآء الله بالتوحيد والوحدانية بالقسط يوما ما ولو كان فى آخر نفس من عمرهم على حسب ماقدر لهم الله
تعالى واشارة الى الخواص ان كونوا شهدآء الله اى حاضرين مع الله بالفردانية واشارة الى خواص الخواص
ان كونوا شهدآء لله فى الله غائبين عن وجودكم فى شهوده بالوحدة وفى اشارته الى الخواص شركة للملائكة
كما قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط فاما اشارته الى الاخص من الانبياء
وكبار الاولياء وهم اولوا العلم فمختصة بهم من سائر العالمين ولاولى العلم شركة فى شهود شهد الله انه لا اله الا هو
وليس للملائكة فى هذا الشهود مدخل الا انهم قائمون بالقسط كذا فى التأويلات النجمية (يا ايها الذين آمنوا)
خطاب لكافة المسلمين (آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل)
اى اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه طمأنينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان
بعضهم اجمالى فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل قلت لان القرءآن نزل منجما مفرقا بخلاف الكتب
قبله فالمراد بالكتاب الاول القرءآن وبالثانى الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه
وبالايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل منه على رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من
الدين بالاوامر والنواهى لكن لا على انه يراد الايمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على
ان احكام تلك الكتب وشرآئعها باقية بالكلية ولا على ان الباقى منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان
بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود نسخها
وان مالم ينسخ منها الى الان من الشرآئع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل
المصون عن النسخ والتبديل وقيل الخطاب للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا وهو ما كان بالالسنة
فقط آمنوا اخلاصا وهو ما كان بها وبالقلوب وقيل الخطاب لمؤمنى اهل الكتاب اذ روى ان ابن سلام واصحابه
قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت فالمعنى حينئذ آمنوا
ايمانا عاما شاملا يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر) اى بشئ من ذلك لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا
وزيادة الملائكة واليوم الاخر فى جانب الكفر لما انه بالكفر باحدها لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب
والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا

عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لانهم وسائط بين الله وبين الرسل فى انزال الكتب (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه قالوا اول ما يجب على المرء معرفة مولاه اى يجب على كل انسان ان يسعى فى تحصيل معرفة الله تعالى بالدليل والبرهان فان ايمان المقلد وان كان صحيحا عند الامام الاعظم لكن يكون آثما بترك النظر والاستدلال فاول الامر هو الحجة والبرهان ثم المشاهدة والعيان ثم الفناء عن سوى الرحمان فمرتبة العوام فى الايمان ما قال عليه السلام ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت والجنة والنار والقدر خيره وشره وهو ايمان غيبى (وفى المثنوى) بندكى درغيب آيد خوب وكش * حفظ غيب آيد در استعباد خوش * طاعت وايمان كنون محمود شد * بعد مرك اندر عيان مردود شد * ومرتبة الخواص فى الايمان هو ايمان عيانى وكان ذلك بان الله اذا تجلى لعبده بصفة من صفاته خضع له جميع اجزاء وجوده وآمن بالكلية عيانا بعد ما كان يؤمن قلبه بالغيب ونفسه تكفر بما آمن به قلبه اذ كانت النفس عن تنسم روايح الغيب بمعزل فلما تجلى الحق للجبل جعله دكا وخر موسى النفس صعقا فالنفس فى هذا المقام تكون بمنزلة موسى فلما افاق قال تبت اليك وانا اول المؤمنين ومرتبة الاخص فى الايمان هو ايمان عيانى وذلك بعد رفع حجب الانانية بسطوات تجلى صفة الجلال فاذا افناه عنه بصفة الجلال يبقيه به بصفة الجمال فلم يبق له الاين وبقى فى العين فيكون ايمانا عينيا كما كان حال النبى عليه السلام ليلة المعراج فلما بلغ قاب قوسين كان فى حيز اين فلما جذبته العناية من كينونته الى عينونة اوادنى فاوحى الى عبده ما اوحى آمن الرسول بما انزل اليه اى من صفات ربه فآمنت صفاته بصفاته تعالى وذاته بذاته فصار كل وجوده مؤمنا بالله ايمانا عينيا ذاته وصفاته فاخبر عنهم وقال والمؤمنون كل آمن بالله يعنى آمنوا بهوية وجودهم كذا فى التأويلات النجمية هذا هو الايمان الحقيقى رزقنا الله واياكم اياه (وفى المثنوى) بود كبرى درزمان بايزيد * كفت اورا يك مسلمان سعيد * كرجه باشد كر تو اسلام آورى * تا بيابى صد نجات وسرورى * كفت اين ايمان اكرهست اى مريد * انكه دارد شيخ عالم بايزيد * من ندارم طاقت آن تاب آن * كان فزون آمد زكوششهاى جان * كرچه درايمان ودين ناموقنم * ليك درايمان اوبس مومنم * مؤمن ايمان اويم درنهان * كرچه مهرم هست محكم بردهان * بازايمان خود كرايمان شماست * نى بدان ميلستم ونى مشتهاست * انكه صد ميلش سوى ايمان بود * چون شمارا ديد زان فاتر شود * زانكه نامى بيند ومعنيش نى * چون بيابان رامفازه كفتنى * والى هذا التجريد والتفريد ينال العبد بالذكر والتوحيد قال عليه السلام فى وصيته لعلى رضى الله عنه يا على احفظ التوحيد فانه رأس مالى والزم العمل فانه حرفتى واقم الصلاة فانها قرة عينى واذكر الحق فانه نصرة فؤادى واستعمل العلم فانه ميراثى اللهم لا تحرمنا من هذا الميراث (ان الذين آمنوا) يعنى اليهود بموسى (ثم كفروا) بعبادتهم العجل (ثم آمنوا) بعد عوده اليهم (ثم كفروا) بعيسى والانجيل (ثم ازدادوا كفرا) بكفرهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وازداد كذا يجيء لازما ومتعديا يقال ازددت مالا اى زدته لنفسى ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا (لم يكن الله) مريدا (ليغفر لهم) اى ما داموا على كفرهم (ولا ليهديهم سبيلا) اى ولا ليوفقهم طريقا الى الاسلام ولكن يخذلهم مجازاة لهم على كفرهم فان قيل ان الله لا يغفر كفر مرة فما الفائدة فى قوله ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا قيل ان الكافر اذا آمن غفر له كفره فاذا كفر بعد ايمانه لم يغفر له الكفر الاول وهو مطالب بجميع كفره (بشر المنافقين) وضع بشر موضع انذر واخبر تهكما بهم (بان لهم عذابا اليما) اى وجيعا يخلص المه ووجعه الى قلوبهم وهذا يدل على ان الآية نزلت فى المنافقين وهم قد آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين (الذين) اى هم الذين (يتخذون الكافرين) اى اليهود (اولياء) احباء فى العون والنصرة (من دون المؤمنين) حال من فاعل يتخذون اى متجاوزين ولاية المؤمنين المخلصين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود (أيبتغون عندهم العزة) اى ايطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة وهم اذلاء فى حكم الله تعالى (فان العزة لله جميعا) تعليل لما يفيده الاستفهام الانكارى من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فان انحصار جميع افراد العزة فى جنابه تعالى بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضى بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة

الانتفاع به قوله جميعا حال من المستكن فى قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدأ (وقد نزل عليكم) خطاب للمنافقين بطريق الالتفات والجملة حال من فاعل يتخذون قال المفسرون ان مشركى مكة كانوا يخوضون فى ذكر القرآن ويستهزئون به فى مجالسهم فانزل الله تعالى فى سورة الانعام وهى مكية واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون ما فعله المشركون بمكة وكان المنافقون يقعدون معهم ويوافقونهم على ذلك الكلام الباطل فقال الله تعالى مخاطبا لهم وقد نزل عليكم اى والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة وفيه دلالة على ان المنزل على النبى عليه السلام وان خوطب به خاصة منزل على العامة (فى الكتاب) اى القرآن الكريم (ان) مخففة اى ان الشان (اذا سمعتم آيات الله) فيه دلالة على ان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم فى آيات الله ولذلك يخبر عنه تارة بالرؤية واخرى بالسماع (يكفر بها ويستهزأ بها) حالان من آيات الله اى مكفورا ومستهزأ وبها فى محل الرفع لقيامه مقام الفاعل والاصل يكفر بها احد ويستهزئ (فلا تقعدوا) جزاء الشرط (معهم) اى الكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها (حتى يخوضوا) الخوض بالفارسية در حديث شدن (فى حديث غيره) اى غير القرآن وحتى غاية للنهى والمعنى انه تجوز مجالستهم عند خوضهم وشروعهم فى غير الكفر والاستهزاء وفيه دلالة على ان المراد بالاعراض عنهم اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط (انكم اذا مثلهم) جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهى غير داخلة تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل لاعتماد ما بعدها على ما قبلها اى لوقوعها بين المبتدأ والخبر اى لا تقعدوا معهم فى ذلك الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم اى مثل اليهود فى الكفر واستتباع العذاب فان الرضى بالكفر كفر (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) يعنى القاعدين والمقعود معهم وهو تعليل لكونهم مثلهم فى الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم فى العذاب واعلم ان الائتلاف ههنا نتيجة تعارف الارواح هنالك لقوله عليه السلام الارواح جنود مجندة الحديث فمن تعارف ارواح الكافر والمنافق هنالك يأتلفون ههنا ومن تناكر ارواحهم وارواح المؤمنين يختلفون ههنا روت عائشة رضى الله عنها ان امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهن فلما هاجرن ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة فدخلت على فقلت لها فلانة ما اقدمك قالت اليكن قلت فاين نزلت قالت على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة قالت عائشة ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فلانة المضحكة عندكم قالت عائشة قلت نعم فقال فعلى من نزلت قالت على فلانة المضحكة قال الحمد لله ان الارواح جنود الخ ونعم ما قيل * مرغان كند با جنس پرواز * كبوتر با كبوتر باز با باز * ولما كان الابد مرآة الازل لا يظهر فيه الا ما قدر فى الازل لذا قال الله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا لانهم كانوا فى عالم الارواح فى صف واحد وفى الدنيا بذلك التناسب والتعارف فى فن واحد وقال عليه السلام كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون ففى اشارة الآية نهى لاصحاب القلوب عن المجالسة مع ارباب النفوس والموافقة فى شىء من اهويتهم فانهم ان يفعلوا ذلك يكونوا مثلهم يعنى يكون القلب كالنفس وصاحب القلب كصاحب النفس بالصحبة والمخالطة والمتابعة (قال الحافظ) نخست موعظهٔ پير مجلس اين حرفست * كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد * قال الحدادى فى تفسيره اذا لم يجز جلوس المؤمنين معهم لاقامة فرض او سنة اما اذا كان جلوسه لاقامة عبادة وهو ساخط لتلك الحال لا يقدر على تغييرها فلا بأس بالجلوس كما روى عن الحسن انه حضر وابن سيرين جنازة وهناك نوح فانصرف ابن سيرين فذكر ذلك للحسن فقال ان كنا متى رأينا باطلا تركنا حقا اسرع ذلك فى ديننا ولم يرجع انتهى كلامه وذكر ان الله تعالى اوحى الى يوشع بن نون عليه السلام انى مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم قال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا بغضبى وآكلوهم وشاربوهم واذا كان الرجل مبتلى بصحبة الفجار فى سفره للحج او الغزاء لا يترك الطاعة بصحبتهم لكن يكرهه بقلبه ولا يرضى به فلعل الفاسق يتوب ببركة كراهة قلبه ومن دعى الى ضيافة فوجد ثمة لعبا او غناء يقعد ان كان غير قدوة ويمنع ان قدر وان كان قدوة كالقاضى والمفتى ونحوهما يمنع ويقعد فان عجز خرج وان كان ذلك على المائدة او كانوا يشربون الخمر خرج وان لم يكن قدوة وان علم قبل الحضور لا يحضر فى الوجوه كلها كذا فى تحفة الملوك (الذين يتربصون بكم) اى المنافقون هم الذين ينتظرون وقوع

امر لكم خيرا كان اوشرا (فان كان لكم) ايها المؤمنون (فتح من الله) اى ظفر ودولة وغنيمة (قالوا) اى لكم (الم نكن معكم) على دينكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم (وان كان للكافرين نصيب) اى ظهور على المسلمين (قالوا) اى للكفرة (الم نستحوذ عليكم) الاستحواذ الاستيلاء اى الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم اى ترحمنا (ونمنعكم من المؤمنين) بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ماضعفت به قلوبهم اوامرجنا فى جنابكم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم والالكنتم نهبة للنوآئب فهاتوا نصيبا مما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فمقصور على امر دنيوى سريع الزوال (فالله يحكم بينكم) اى بين المؤمنين والمنافقين بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين (يوم القيامة) اى يحكم حكما يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب واما فى الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) اى ظهورا يوم القيامة كما قد يجعل ذلك فى الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج وبيانه ان الله تعالى يظهر اثر ايمان المؤمن يوم القيامة ويصدق موعدهم ولايشاركهم الكفار فى شئ من اللذات كما شاركوهم اليوم حتى يعلموا ان الحق معهم دونهم اذلو شاركوهم فى شئ منها لقالوا للمؤمنين ما نفعكم ايمانكم وطاعتكم شيأ لانا شركنا واستوينا معكم فى ثواب الاخرة واما ان كان المعنى سبيلا فى الدنيا فيراد بالسبيل الحجة وحجة المسلمين غالبة على حجة الكل وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة وقيل معنى السبيل الدولة الدآئمة ولادولة على الدوام للكافرين والالكان الظهور والغلبة من قبلهم دآئما وليس كذلك فان اكثر الظفر للمسلمين وانما ينال الكفار من المؤمنين فى بعض الاوقات استدراجا ومكرا وهذا يستمر الى انقراض اهل الايمان فى آخر الزمان وعن كعب قال اذا انصرف عيسى ابن مريم والمؤمنون من يأجوج ومأجوج لبثوا سنوات ثم رأوا كهيئة الهرج والغبار فاذا هى ريح قد بعثها الله لتقبض ارواح المؤمنين فتلك آخر عصابة تقبض من المؤمنين ويبقى الناس بعدهم مائة عام لايعرفون دينا ولاسنة يتهارجون تهارج الحمر عليهم تقوم الساعة وفى الحديث الجهاد ماض منذ بعثنى الله الى ان يقاتل آخر امتى الدجال ثم ان الله تعالى يحكم بينكم يوم القيامة ليعلم من اهل العزة والكرامة ومن اهل الغرة والندامة كما ان الشمع يحكم بين الصحيح والسقيم باظهار حالهما اذا جى به فى حمام مظلم قد دخله الاصحاء والمرضى والجرحى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فان وبال كيدهم اليهم مصروف وجزآء مكرهم عليهم موقوف والحق من قبل الحق تعالى منصور اهله والباطل بنصر الحق مخيب اصله وقد قيل الباطل يفور ثم يغور فعلى المؤمن صرف علو الهمة فى الدين وفى تحصيل علم اليقين ولا يتربص للفتوحات الدنيوية ذاهلا عن الفتوحات الاخروية بل عن فتوحات الغيب ومشاهدة الحق فان اهم الامور هو الوصول الى الرب الغفور قال ابو يزيد البسطامى قدس سره ان لله خواص من عباده ولو حجبهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا كما يستغيث اهل النار بالخروج عن النار ولما كان موسى كليم الله طفلا فى حجر تربية الحق تعالى ما تجاوز حده ولا تعدى قصده بل قال رب انى لما انزلت الى من خير فقير فلما كبر وبلغ مبلغ الرجال ما رضى بطعام الاطفال بل قال رب ارنى انظر اليك وكان غاية طلبه فى طفوليته هو الطعام والشراب وكان منتهى اربه فى رجوليته هو رفع الحجاب ومشاهدة الاحباب فالباب مفتوح للطلاب لاحاجب عليه ولا بواب وانما المحجوب عن المسبب من وقف مع الاسباب والمشروب حاضر والمحروم من حرم الشراب والمحبوب ناظر والمطرود من وقف ورآء الحجاب فمن انس بسواه فهو مستوحش ومن ذكر عليه فهو غافل عنه ومن عول على سواه فهو مشرك فاذا لم يجد اليه سبيلا وفى ظله مقيلا (ونعم ماقيل) تو محرم نيستى محروم ازانى * ره نامحرمان اندر حرم نيست * (ان المنافقين يخادعون الله) اى يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر (وهو خادعهم) اى الله تعالى فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم فى الدنيا معصومى الدماء والاموال واعد لهم فى الاخرة الدرك الاسفل من النار ولم يخلهم فى العاجل من فضيحة واحلال بأس ونقمة ورعب واثم وقال ابن عباس انهم يعطون نورا يوم القيامة كما للمؤمنين فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط وينطفئ نور المنافقين فينادون المؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم فتناديهم الملائكة على الصراط ارجعوا ورآءكم فالتمسوا نورا وقد علموا انهم

لا يستطيعون الرجوع قال فيخاف المؤمنون حينئذ ان يطفأ نورهم فيقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) اى متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيأ عن كره لا عن طيب نفس ورغبة قوله كسالى كانه قيل ما كسالى فقيل (يرآؤن الناس) اى يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ليحسبوهم مؤمنين (ولايذكرون الله) عطف على يرآؤن (الا) ذكرا (قليلا) اذ المرآئى لايفعل الابحضرة من يرآئيه وهو اقل احواله والمراد بالذكر التسبيح والتهليل قال فى الكشاف وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالى لم تسمع منه تهليلة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق اوقاته لايفتر عنه (مذبذبين بين ذلك) حال من فاعل يرآؤن وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اى مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان والهوى بينهما وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) حال من ضمير مذبذبين اى لامنسوبين الى المؤمنين فيكونون مؤمنين ولا الى الكافرين فيكونون مشركين (ومن يضلل الله) لعدم استعداده للهداية والتوفيق (فلن تجد له سبيلا) موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان وكان صلى الله عليه وسلم يضرب مثلا للمؤمنين والمنافقين والكافرين كمثل رهط ثلاثة رفعوا الى نهر فقطعه المؤمن ووقف الكافر ونزل فيه المنافق حتى اذا توسط عجز فناداه الكافر هلم الى لاتغرق وناداه المؤمن هلم الى لتخلص فمازال المنافق يتردد بينهما اذ اتى عليه ماء فغرقه فكان المنافق لم يزل فى شك حتى يأتيه الموت ... اى كه دارى نفاق ندردل * خار بادت خليده اندر حلق * هركه سازد نفاق پيشهٔ خويش * خوار كردد بنزد خالق وخلق * والاشارة ان المنافقين انما يخادعون الله فى الدنيا لان الله تعالى خادعهم فى الازل عند رش نوره على الارواح وذلك ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فلما رش نوره اصاب ارواح المؤمنين واخطأ ارواح المنافقين والكافرين ولكن الفرق بين المنافقين والكافرين ان ارواح المنافقين رأوا رشاش النور وظنوا انه يصيبهم فاخطأهم وارواح الكافرين ما شاهدوا ذلك الرشاش ولم يصبهم وكان المنافقين خدعوا عند مشاهدتهم الرشاش اذ ما اصابهم فمن نتايج مشاهدتهم الرشاش واذا قاموا الى الصلاة ومن نتايج حرمانهم اصابة النور قاموا كسالى يرآؤن الناس كيما يرونهم النور ولايذكرون الله الا قليلا لانهم يذكرونه بلسان الظاهر القالبى لا بلسان الباطن القلبى والقالب من الدنيا وهى قليلة قليل ما فيها والقلب من الاخرة وهى كثيرة كثير ما فيها فالذكر الكثير من لسان القلب كثير والفلاح فى الذكر الكثير لا فى القليل لقوله تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا اى بلسان القلب لعلكم تفلحون ولما كان ذكر المنافقين بلسان القالب كان قليلا فما افلحوا به وانما كان ذكر المنافق بلسان الظاهر لانه رأى رشاش النور ظاهرا من البعد ولم يصبه فلو كان اصابه ذلك النور لكان صدره منشرحا به كما قال تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه اى على نور مما رش به ربه ومعدن النور هو القلب فيكان قلبه ذاكرا لله بذلك النور فانه يصير لسان القلب فقليل الذكر منه يكون كثيرا فافهم جدا فلما كانت ارواح المنافقين مترددة متحيرة بين مشاهدة رشاش النور وبين الظلمة الخلقية لا الى هؤلاء الذين اصابهم النور ولا الى هؤلاء الذين لم يشاهدوا الرشاش لذلك كانوا مذبذبين بين ذلك المؤمنين والكافرين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله باخطاء ذلك النور كما قال ومن اخطأ فقد ضل فلن تجد له سبيلا ههنا الى ذلك النور يدل عليه قوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اى ومن لم يجعل الله له قسمة من ذلك النور المرشش عليهم فما له اليوم نصيب من نور الهداية كذا فى التأويلات النجمية اللهم ارزقنا الذكر الكثير واعصمنا عن الذنب الصغير والكبير يقال حصون المؤمن ثلاثة المسجد وذكر الله وتلاوة القرآن والمؤمن اذا كان فى واحد من ذلك اى من الاشياء الثلاثة فهو فى حصن من الشيطان قال على رضى الله عنه يأتى على الناس زمان لايبقى من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه يعمرون مساجدهم وهى خراب من ذكر الله تعالى شر اهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود (قال السعدى) كنون بايدت عذر تقصير كفت * نه چون نفس ناطق ز گفتن بخفت * اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين آمين يامعين (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين) اى لاتتشبهوا بالمنافقين فى اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعدآء الاسلام احباء قوله من دون المؤمنين حال من فاعل لاتتخذوا اى متجاوزين ولاية المؤمنين (اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا

مبينا) اى اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق فالسلطان هو الحجة يقال للامير سلطان يراد بذلك انه حجة ويجوز ان يكون بمعنى الوالى والمعنى حينئذ اتريدون ان تجعلوا سلطانا كائنا عليكم واليا امر عقابكم مختصا لله تعالى مخلوقا له منقادا لامره (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) هو الطبقة التى فى قعر جهنم وهى الهاوية والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض والدركات فى النار مثل الدرجات فى الجنة كل ما كان من درجات الجنة اعلى فثواب من فيه اعظم وما كان من دركات النار اسفل فعقاب من فيه اشد وسئل ابن مسعود عن الدرك الاسفل فقال هو توابيت من حديد مبهمة عليهم لا ابواب لها فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله فى الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالدين والخداع للمسلمين فالمنافقون اخبث الكفرة فان قلت من المنافق قلت هو فى الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ والتهديد والتشبيه مبالغة فى الزجر كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضى الله عنه من المنافق فقال الذى يصف الاسلام ولا يعمل به وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عمم وقلد واعطى سيفا يعنى الحجاج قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل امة بمنافقيها وجئنا بالحجاج فضلناهم وعن عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة وآل فرعون قال الله تعالى فى اصحاب المائدة فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وقال فى حق المنافقين ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وقال ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قيل لا يمتنع ان يجتمع القوم فى موضع واحد ويكون عذاب بعضهم اشد من بعض الا ترى ان البيت الداخل فى الحمام يجتمع فيه الناس فيكون بعضهم اشد اذى بالنار لكونه ادنى الى موضع الوقود وكذلك يجتمع القوم فى القعود فى الشمس وتأذى الصفراوى اشد واكثر من تأذى السوداوى والمنافق فى اللغة مأخوذ من النفق وهو السرب اى يستتر بالاسلام كما يستتر الرجل بالسرب وقيل هو مأخوذ من قولهم نافق اليربوع اذا دخل نافقاءه فاذا طلب من النافقاء خرج من القاصعاء واذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء والنافقاء والقاصعاء جحر اليربوع (ولن تجد لهم نصيرا) اى مانعا يمنع عنهم العذاب ويخرجهم من الدرك الاسفل من النار والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان (الا الذين تابوا) اى عن النفاق هو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم فى الخبر (واصلحوا) ما افسدوا من احوالهم من حال النفاق باتيان ما حسنه الشرع من افعال القلوب والجوارح (واعتصموا بالله) اى وثقوا به وتمسكوا بدينه وتوحيده (واخلصوا دينهم) اى جعلوه خالصا (لله) لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه (فاولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات الجيدة (مع المؤمنين) اى المؤمنين المعهودين الذين لا يصدر عنهم نفاق اصلا والا فهم ايضا مؤمنون اى معهم فى الدرجات العالية من الجنة لا يضرهم النفاق السابق وقد بين ذلك بقوله تعالى (وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما) لا يقادر قدره فيشاركونهم فيه ويساهمونهم وسوف كلمة ترجئة واطماع وهى من الله سبحانه ايجاب لانه اكرم الاكرمين ووعد الكريم انجاز وانما حذفت الياء من يؤتى فى الخط كما حذفت فى اللفظ لسكونها وسكون اللام فى اسم الله وكذلك سندع الزبانية ويدع الداع واعلم ان الكافر وان افسد برين الكفر صفاء روحه ولكن ما اضيف الى رين كفره رين النفاق فكان لرين كفره منفذ من القلب الى اللسان فيخرج بخاره من لسانه باظهار الكفر وكان للمنافق مع رين كفره رين النفاق زائدا ولم يكن لبخار رينه منفذ الى لسانه فكان بخارات رين الكفر ورين النفاق تنفذ من منفذ قلبه الذى هو الى عالم الغيب فتتراكم حتى انسد منفذ قلبه بها وختم عليه بافساد كلية الاستعداد من صفاء الروحانية فلم يتفق له الخروج عن هذا الاسفل ولا ينصره نصير باخراجه لانه مخذول بعيد من الحق فى آخر الصفوف وقال تعالى ان ينصركم الله يعنى فى خلق ارواحكم فى صف ارواح المؤمنين فلا غالب لكم بان يردكم الى صف ارواح الكافرين وان يخذلكم بان يخلق ارواحكم فى صف ارواح الكافرين فمن ينصركم من بعده بان يخرجكم الى صف المؤمنين ثم استثنى منهم من كان كفره ونفاقه عارية وروحه فى اصل الخلقة خلقت فى صف المؤمنين ثم بادنى مناسبة فى المحاذاة بين روحه وارواح الكافرين

والمنافقين ظهر عليه من نتايجها موالاة مغلولة مع القوم اياما معدودة فما افسدت صفاء روحانيته بالكلية وما انسد منفذ قلبه الى عالم الغيب فهب له من مهب العناية نفحات الطاف الحق ونبه من نومة الغفلة ونبى عن الرجوع الى الحق بعد التمادى فى الباطل ونودى فى سره بان لا نصير لمن اختار الاسفل ولا يخرج منه الا الذين تابوا اى ندموا على ما فعلوا ورجعوا عن تلك المعاملات الرديئة واصلحوا ما افسدوا من حسن الاستعداد وصفاء الروحانية بترك الشهوات النفسانية والحظوظ الحيوانية واعتصموا بحبل الله استعانة على العبودية واخلصوا دينهم لله فى الطلب لا يطلبون منه الا هو ثم قال من قام بهذه الشرائط فاولئك مع المؤمنين يعنى فى صف ارواحهم خلق روحه لا فى صف ارواح الكافرين وسوف يؤت الله المؤمنين التائبين ويتقرب اليهم على قصة من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتانى يمشى اتيته هرولة وهذا هو الذى سماه اجرا عظيما والله العظيم كذا فى التأويلات النجمية (قال السعدى) خلاف طريقت بود كاوليا * تمنا كنند از خدا جز خدا (ما) استفهامية بمعنى النفى فى محل النصب بيفعل اى اى شئ (يفعل الله بعذابكم) الباء سببية متعلقة بيفعل اى بتعذيبكم (ان شكرتم وآمنتم) اى ايتشفى به من الغيظ ام لا يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا ام يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك اى لا يفعل بعذاب المؤمن الشاكر شيأ من ذلك لان كل ذلك محال فى حقه تعالى لانه تعالى غنى لذاته عن الحاجات منزه عن جلب المنفعة ودفع المضرة واما تعذيب من لم يؤمن او آمن ولم يشكر فليس لمصلحة تعود اليه تعالى بل لاستدعاء حال المكلف ذلك كاستدعاء سوء المزاج المرض والمقصود منه حمل المكلفين على الايمان وفعل الطاعات والاحتراز عن القبيح وترك المنكرات فكانه قيل اذا اتيتم الحسنات وتركتم المنكرات فكيف يليق بكرمه ان يعذبكم وتعذيبه عباده لا يزيد فى ملكه وتركه عقوبتهم على فعلهم القبيح لا ينقص من سلطانه وجواب ان شكرتم محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان شكرتم وآمنتم فما يفعل بعذابكم والشكر ضد الكفر والكفر ستر النعمة فالشكر اظهارها وانما قدم الشكر على الايمان مع ان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولا ثبات مع عدم الايمان لما انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم بعد امعان النظر فى الدلائل الدالة على ثبوته ووحدته فيؤمن به (وكان الله شاكرا) الشكر من العبد هو الاعتراف بالنعمة الواصلة اليه مع ضروب من التعظيم ومن الله تعالى الرضى اى راضيا باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلة واحدة الى عشرة الى سبعمائة الى ما شاء من الاضعاف (عليما) بحق شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم فينبغى لطالب الحق ان يخضع له خضوعا تاما ويشكره شكرا كثيرا قال الجرجانى فى قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم اى لئن شكرتم القرب لازيدنكم الانس وعن على رضى الله عنه اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر معناه من لم يشكر النعم الحاصلة لديه الواصلة اليه حرم النعم الفائتة منه القاصية عنه

چون بيابى تو نعمتى درچند * خرد باشد چونقطه موهوم *
شكر ان يافته فرو مگذار * كه ز نايافته شوى محروم *

فبالشكر والايمان يتخلص المرء من النيران والا فقد عرض نفسه للعذاب واستحق العذاب والعتاب وجه التعذيب ان التأديب فى الحكمة واجب فخلق الله النار ليعلم الخلق قدر جلال الله وكبريائه وليكونوا على هيبة وخوف من صنع جلاله ويؤدب بها من لم يتأدب بتأديب رسله الى خلقه وليعتبر اهل العقل بالنظر اليها فى الدنيا وبالاستماع لها فى الاخرة ولهذا السر علق النبى عليه السلام السوط حيث يراه اهل البيت لئلا يتركوا الادب وروى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ما خلقت النار بخلا منى ولكن اكره ان اجمع اعدائى واوليائى فى دار واحدة وادخل الله بعض عصاة المؤمنين النار ليعرفوا قدر الجنة ومقدار ما دفع الله عنهم من عظيم النقمة لان تعظيم النعمة واجب فى الحكمة والاشارة فى الاية ان الله تعالى يذكر للعباد المؤمنين نعما من نعمه السالفة السابقة منها اخراجهم من العدم بديع فطرته ومنها انه خلق ارواحهم قبل خلق الاشياء ومنها انه خلق ارواحهم نورانية بالنسبة الى خلق اجسادهم الظلمانية ومنها ان ارواحهم لما كانت بالنسبة الى نور القدم ظلمانية رش عليهم من نور القدم ومنها انه لما اخطأ بعض الارواح ذلك النور وهو ارواح الكفار والمنافقين وقد اصاب ارواح المؤمنين قال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم هذه النعم التى انعمت بها عليكم من غير استحقاق منكم فانكم ان شكرتم هذه النعم برؤيتها ورؤية

المنعم فقد آمنتم بى ونجوتم من عذابى وهو الم الفراق فان حقيقة الشكر رؤية المنعم والشكر على وجود المنعم ابلغ من الشكر على وجود النعم وقال واشكروا لى اى اشكروا لوجودى وكان الله فى الازل شاكرا لوجوده ومن شكر لوجوده اوجد الخلق بجوده عليما بمن يشكره وبمن يكفره فاعطى جزاء شكر الشاكرين قبل شكرهم لان الله شكور واعطى جزاء كفر الكافرين قبل كفرهم لان الكافر كفور كذا فى التأويلات النجمية

(الجزؤ السادس من الثلاثين)

(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) عدم محبته تعالى لشئ كناية عن سخطه والباء متعلق بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اى لا يحب الجهر من احد فى حق غيره بالسوء كائنا من القول (الا من ظلم) اى الا جهر المظلوم فان المظلوم له ان يجهر برفع صوته بالدعاء على من ظلمه اويذكر ما فيه من السوء تظلما منه مثل ان يذكر انه سرق متاعى اوغصبه منى وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم يعنى لوشتمه احد ابتداء فله ان يرد على شاتمه اى جاز ان يشتمه بمثله ولا يزيد عليه وقيل ان رجلا ضاف قوما اى اتاهم ضيفا فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت (وكان الله سميعا) لكلام المظلوم (عليما) بحال الظالم (ان تبدوا خيرا) اى خير كان من الاقوال والافعال (او تخفوه او تعفوا عن سوء) لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تمهيد وتوطئة له ولذلك رتب عليه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) فان ايراده فى معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة اى كان مبالغا فى العفو عن العصاة مع كمال قدرته على المؤاخذة والانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له فى الانتصار والانتقام حملا على مكارم الاخلاق وعن على رضى الله عنه لا تفرز دفع انتقام * صولت انتقام از مردم * دولت مهترى كند باطل * ازره انتقام يكسو شو * تا نمانى بمهترى عاطل * واعلم ان الله تعالى لا يحب اظهار الفضائح والقبائح الا فى حق ظالم عظم ضرره وكثر كيده ومكره فعند ذلك يجوز اظهار فضائحه ولهذا قال عليه السلام اذكروا الفاسق بما فيه كى يحذره الناس وورد فى الاثر ثلاثة ليست لهم الغيبة الامام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذى يدعو الناس الى بدعته ثم ان اكثر السوء قولى فان اللسان صغير الجرم كبير الجرم وفى الحديث البلاء موكل بالمنطق يحكى ان ابن السكيت جلس مع المتوكل يوما فجاء المعتز والمؤيد ابنا المتوكل فقال ايما احب اليك ابناى ام الحسن والحسين قال والله ان قنبر خادم على رضى الله خير منك ومن ابنيك فقال سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات ومن العجب انه انشد قبل ذلك للمعتز والمؤيد وكان يعلمهما فقال

يصاب الفتى من عثرة بلسانه * وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته فى القول تذهب رأسه * وعثرته فى الرجل تبرا على مهل

(وفى المثنوى) اين زبان چون سنك وهم آهن وشست * وآنچه بجهد از زبان چون آتشست * سنك وآهن را مزن برهم كزاف * كه زروى نقل وكه ازروى لاف * زانكه تاريكست وهر سو پنبه زار * درميان پنبه چون باشد شرار * عالمى را يك سخن ويران كند * روبهان مرده را شيران كند *

والاشارة فى الاية ان الله لا يحب الجهر بالسوء من القول من العوام ولا التحدث مع النفس من الخواص ولا الخطرة التى تخطر بالبال من الاخص الا من ظلم بمعاصى دواعى البشرية من غير اختيار اوبابتلاء من اضطرار وايضا لا يحب الجهر بالسوء من القول بافشاء اسرار الربوبية واسرار مواهب الالوهية الا من ظلم بغلبات الاحوال وتعاقب كؤس عقار الجمال والجلال فاضطر الى المقال فقال باللسان الباقى لا باللسان الفانى انا الحق سبحانى وكان الله فى الازل سميعا لمقالهم قبل ابداء حالهم عليما باحوالهم ثم قال ان تبدوا خيرا يعنى مما كوشفتم به من الطاف الحق تنبيها للحق وافادة لهم بالحق او تخفوه صيانة لنفوسكم عن آفات الشوائب واخذا بخطامها عن المشارب او تعفوا عن سوء مما يدعوكم اليه هوى النفس الامارة بالسوء او تتركوا اعلان ما جعل الله اظهاره سوأ فان الله كان عفوا فيكون عفوا متخلقا باخلاقه متصفا بصفاته وايضا فان الله كان فى الازل عفوا عنك بان لم يجعلك من المخذولين حتى صرت عفوا عما سواه وكان هو قديرا على خذلانك حتى يقدر على ان لا يعفو عن مثقال ذرة لكفرانك ان الانسان لظلوم كفار كذا فى التأويلات النجمية (ان الذين يكفرون بالله ورسله) اى يؤدى اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى (ويريدون

ان يفرقوا بين الله ورسله) اى بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) اى نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله ورسله فى الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبى من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقية دين نبينا صلى الله عليه وسلم فمن كفر بواحد منهم كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا يحتسب (ويريدون) بقولهم ذلك (ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) اى طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا واجمالا فالكافر ببعض كالكافر بالكل فى الضلال كما قال فماذا بعد الحق الا الضلال (اولئك) الموصوفون بالصفات القبيحة (هم الكافرون) اى الكاملون فى الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا (حقا) مصدر مؤكد لمضمون الجملة اى حق ذلك اى كونهم كاملين فى الكفر حقا اوصفة لمصدر الكافرون اى هم الذين كفروا كفرا حقا اى يقينا محققا لا شك فيه (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) سيذوقونه عند حلوله ويهانون فيه ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بذكر وعد المؤمنين فقال (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم) بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة وانما دخل بين على احد وهو يقتضى متعددا لعمومه من حيث انه وقع فى سياق النفى فهو بمنزلة ولم يفرقوا بين اثنين اوبين جماعة (اولئك) المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة (سوف يؤتيهم) اى الله تعالى (اجورهم) الموعودة لهم وسمى الثواب اجرا لان المستحق كالاجرة وسوف لتأكيد الوعد اى الموعود الذى هو الايتاء والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) مبالغا فى الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم والاية الاولى تدل على ان الايمان لا يحصل بزعم المرء وحسبانه انه مؤمن وانما يحصل بحصول شرائطه ونتائجه منه فمن نتائجه ما ذكر فى الاية الثانية من عدم التفريق بين الرسل ومن نتائجه القبول من الله والجزاء عليه فمن اخطأه النور عند الرش على الارواح فقد كفر كفرا حقيقيا ولذلك سماهم الله فى الكفر حقا ومن اصابه النور عند ذلك فقد آمن ايمانا حقيقيا ولذلك لا ينفع الاول توسط الايمان كما لا يضر الثانى توسط العصيان (قال السعدى) قضا كشتى آنجا كه خواهد برد * وگر ناخدا جامه برتن درد * يحكى انه كان شاب حسن الوجه وله احباب وكانوا فى الاكل والشرب والتنعم والتلذذ فنفدت دراهمهم فاجتمعوا يوما واجمعوا على ان يقطعوا الطريق فخرجوا الى طريق وترقبوا القافلة فلم يمر احد من هذا الطريق الى ثلاثة ايام ورأى الشاب شيخا قال له يا ولدى ليس هذا صنعتك فاستغفر الله تعالى فان طلبتنى فانا اقرأ القرآن فى جامع السيد البخارى ببروسة المحروسة فاحترق قلب الشاب من تأثير الكلام فقال لرفقائه لو تبعتم رأيى تعالوا نروح الى بروسة ونتجسس عن بعض التجار فنخرج خلفهم فنأخذ اموالهم فقبلوا قوله فلما جاؤا الى بروسة قال لهم تعالوا نصل فى جامع السيد البخارى وندع عنده ليحصل مرادنا فلما جاء الى الجامع ورأى الشيخ هنالك يقرأ القرآن سقط على رجله وتاب وبقى عنده سنتين ثم بعد السنتين ارسله هذا الشيخ الى حضرة الشيخ اق شمس الدين فرباه وصار كاملا بعد ان كان مؤمنا ناقصا قاطع الطريق ولذا ينظر الى الخاتمة ولكن حسن العاقبة من سبق العناية فى البداية اللهم اجعلنا من المهديين آمين يا معين واعلم ان الايمان والتوحيد هو اصل الاصول وهو وان كان لا يزيد ولا ينقص عند الامام الاعظم الا ان نوره يزيد بالطاعات وينقص بالسيئات فينبغى لطالب الحق ان يراعى احكام الشريعة وآداب الطريقة ليتقوى جانب روحانيته فان انوار الطاعات كالاغذية النفيسة للارواح خصوصا نور التوحيد والذكر ولذكر الله اكبر وهو العمدة فى تصفية الباطن وطهارته قال سيد الطائفة الجنيد قدس سره الادب ادبان فادب السر طهارة القلب وادب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب فعليك بترك الشرور والايمان الكامل بالله الغفور حتى تنال الاجر الموفور والسرور فى دار الحضور (قال الصائب) از زاهدان خشك رسايى طمع مدار * سيل ضعيف واصل دريا نميشود * فلا بد من العشق فى طريق الحق ليصل الطالب الى السر المطلق ومجرد الامنية منية والسفينة لا تجرى على اليبس كما قالت رابعة (يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) نزلت فى احبار اليهود حين قالوا لرسول الله عليه السلام ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه

السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوى على الواح كما نزلت التوراة (فقد سألوا موسى اكبر من ذلك) جواب شرط مقدر اى ان استكبرت ما سألوه منك واستعظمت فقد سألوا موسى شيأ اكبر منه واعظم وهذا السؤال وان صدر عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم فى كل ما يأتون وما يذرون اسند اليهم والمعنى ان لهم فى ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم (فقالوا) الفاء تفسيرية (ارنا الله جهرة) اى ارناه جهرة اى عيانا والجهر حقيقة فى ظهور الصوت لحاسة السمع ثم استعير لظهور المرئى بحاسة البصر ونصبها على المصدر لان المعاينة نوع من الرؤية وهم النقباء السبعون الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الجبل حين كلمه الله تعالى سألوه ان يرواربهم رؤية يدركونها بابصارهم فى الدنيا (فاخذتهم الصاعقة) نار جاءت من السماء فاحرقتهم (بظلمهم) اى بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا وفى التأويلات النجمية فقالوا ارنا الله جهرة وما طلبوا الرؤية على موجب التعظيم او على موجب التصديق ولا حملهم عليها شدة الاشتياق او الم الفراق كما كان لموسى عليه السلام حين قال رب ارنى انظر اليك ولعل غيرة موسى فى جواب لن ترانى كانت من شؤم القوم وما كان لنفسهم من سوء ادب هذا السؤال لئلا يطمعوا فى مطلوب لم يعطه نبيهم فما اتعظوا بحال نبيهم لانهم كانوا اشقياء والسعيد من وعظ بغيره حتى ادركتهم الشقاوة الازلية فاخذتهم الصاعقة بظلمهم بان طمعوا فى فضيلة وكرامة ما كانوا مستحقيها ومن طبع كافرا ولو يرى الله جهرة فانه لا يؤمن به ومن طبع مؤمنا عند رشاش النور باصابته فانه يؤمن بنبى لم يره وكتاب لم يقرأه بغير معجزة او بينة كما كان الصديق رضى الله عنه حين قال النبى صلى الله عليه وسلم له بعثت فقال صدقت وكما كان حال اويس القرنى فانه لم ير النبى عليه السلام ولا المعجزة وقد آمن به (ثم اتخذوا العجل) اى عبدوه واتخذوه الها (من بعد ما جاءتهم البينات) اى المعجزات التى اظهرت لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر ونحوها لا التوراة لانها لم تنزل عليهم بعد وهذه هى الجناية الثانية التى اقترفها ايضا اوآئلهم (فعفونا عن ذلك) اى تجاوزنا عنهم بعد توبتهم مع عظم جنايتهم وجريمتهم ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا حتى نعفو عنكم ودلت الآية على سعة رحمة الله ومغفرته وتمام نعمته ومنته وانه لا جريمة تضيق عنها مغفرة الله وفى هذا منع من القنوط (وآتينا موسى سلطانا مبينا) اى تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم فاحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيالك من سلطان مبين (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) الباء سببية متعلقة بالرفع والمعنى لاجل ان يعطوا الميثاق لقبول الدين روى ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبرآئيل عليه السلام بقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا فرفع عنهم (وقلنا لهم) على لسان موسى والطور مشرف عليهم (ادخلوا الباب) اى باب القرية وهى اريحا على ما روى من انهم دخلوا اريحا فى زمن موسى عليه السلام او باب القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى (سجدا) اى متطامنين منحنين شكرا على اخراجهم من التيه فدخلوها زحفا وبدلوا ما قيل لهم (وقلنا لهم) على لسان داود (لا تعدوا) اى لا تظلموا باصطياد الحيتان يقال عدا يعدو عدوا وعدآء وعدوانا اى ظلم وجاوز الحد والاصل لا تعدووا بواوين الاولى لام الكلمة والثانية ضمير الفاعل صار بالاعلال على وزن لا تعفوا (فى) يوم (السبت) وكان يوم السبت يوم عبادتهم فاعتدى فيه اناس منهم فاشتغلوا بالصيد (واخذنا منهم) على الامتثال بما كلفوه (ميثاقا غليظا) اى عهدا مؤكدا غاية التأكيد وهو قولهم سمعنا واطعنا قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم باى انواع العذاب اراد (فبما) ما مزيدة للتأكيد (نقضهم ميثاقهم) اى فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم فالباء متعلقة بفعل محذوف (وكفرهم بآيات الله) اى بالقرءآن او بما فى كتابهم عندهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) كزكريا ويحيى عليهما السلام (وقولهم قلوبنا غلف) جمع اغلف اى هى مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقه ما يقوله او هو تخفيف غلف بضم الغين واللام جمع غلاف اى هى اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره (بل طبع الله عليها بكفرهم) كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه

الاستطراد مسارعة على زعمهم الفاسد اى ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم وليست قلوبهم كما زعموا بل هى مطبوع عليها بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او ايمانا قليلا لا يعبأ به لنقصانه وهو ايمانهم ببعض الرسل والكتب دون بعض او بالايمان الغير المعتبر لا يجب ان يسموا مؤمنين فهم كافرون حقا واعلم ان نقض الميثاق صار سببا الغضب الخلاق فعلى المؤمن ان يراعى احكام عهده وميثاقه ليسلم من البلاء وعن ابن عمر رضى الله عنه قال اقبل علينا رسول الله فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال اذا ابتليتم بهن واعوذ بالله ان تدركوهن لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن مضت فى اسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا الكيل والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة اموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فاخذ بعض ما فى ايديهم وما لم يحكم ائمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما انزل الله الا جعل الله بأسهم بينهم (قال فى المثنوى) سوى لطف بى وفايان هين مرو * كان پل ويران بود نيكو شنو * نقض ميثاق وعهود از بد كيست * حفظ ايمان ووفا كار تقيست * جرعه بر خاك وفا انكس كه ريخت * كى تواند صيد دولت زو كريخت (وبكفرهم) عطف على قولهم اى عاقبنا اليهود بسبب كذا وكذا وبسبب كفرهم بعيسى ايضا (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعنى نسبتها الى الزنى وبهتانا منصوب على انه مفعول به نحو قال شعرا او على المصدر الدال على النوع نحو جلست جلسة فان القول قد يكون بهتانا وغير بهتان (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) وصفهم له عليه السلام برسول الله انما هو بطريق الاستهزآء به كما فى قوله تعالى يا ايها الذى نزل عليه الذكر فانهم على عداوته وقتله فكيف يقولون فى حقه انه رسول الله ونظم قولهم هذا فى سلك سائر جناياتهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم وفرحهم بقتل النبى والاستهزآء به (وما) اى والحال انهم ما (قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) اى وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول فالفعل مسند الى الجار والمجرور نحو خيل اليه ولبس عليه روى ان رهطا من اليهود سبوه بان قالوا هو الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عليه السلام ذلك دعا عليهم فقال اللهم انت ربى وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقتنى ولم آتهم من تلقاء نفسى اللهم فالعن من سبنى وسب امى فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وسبوا امه قردة وخنازير فلما رأى ذلك يهوذا رأس القوم واميرهم فزع لذلك وخاف دعوته عليه ايضا فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه السلام فبعث الله تعالى جبريل فاخبره بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عليه السلام والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وقيل ان ططيانوس اليهودى دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده فالقى الله تعالى شبهه عليه فلما خرج ظنوا انه عيسى فاخذ وقتل ثم صلب وامثال هذه الخوارق لا تستبعد فى عصر النبوة وقال كثير من المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله الى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح الا بالاسم لما كان قليل المخالطة مع الناس فبهذا الطريق اندفع ما يقال اذا جاز ان يقال ان الله تعالى يلقى شبه انسان على انسان آخر فهذا يفتح باب السفسطة حيث يجوز ان يقال اذا رأينا زيدا لعله ليس بزيد ولكنه شخص آخر القى شبه زيد عليه وعند ذلك لا يبقى الطلاق والنكاح والملك موثوقا به لا يقال ان النصارى ينقلون عن اسلافهم انهم شاهدوه مقتولا لانا نقول ان تواتر النصارى ينتهى الى اقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب كذا فى تفسير الامام الرازى (وان الذين اختلفوا فيه) اى فى شأن عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعضهم ان كان هذا المقتول عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان الله تعالى لما القى شبه عيسى على المقتول القاه على وجهه دون جسده وقال من سمع منه ان الله يرفعنى الى السماء انه رفع الى السماء وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فقال قوم منهم

انه ماقتل وماصلب بل رفعه الله الى السماء وقال قوم منهم ان اليهود قتلوه فزعمت النسطورية ان المسيح صلب من جهة ناسوته اى جسمه وهيكله المحسوس لامن جهة لاهوته اى نفسه وروحه واكثر الحكماء يختارون مايقرب من هذا القول قالوا لانه ثبت ان الانسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو اما جسم لطيف فى هذا البدن واما جوهر روحانى مجرد فى ذاته وهو مدبر فى هذا البدن والقتل انما ورد على هذا الهيكل واما النفس التى هى فى الحقيقة عيسى فالقتل ماورد عليها لايقال كل انسان كذلك فما وجه التخصيص لانا نقول ان نفسه كانت قدسية علوية سماوية شديدة الاشراق بالانوار الالهية عظيمة القرب من ارواح الملائكة والنفس متى كانت كذلك لم يعظم تألمها بسبب القتل وتخريب البدن ثم انها بعد الانفصال عن ظلمة البدن تتخلص الى فسحة السموات وانوار عالم الجلال فتعظم بهجتها وسعادتها هنالك ومعلوم ان هذه الاحوال غير حاصلة لكل الناس وانما تحصل لاشخاص قليلين من مبدأ خلق آدم الى قيام الساعة وزعمت الملكانية من النصارى ان القتل والصلب وصل الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة وزعمت اليعقوبية منهم ان القتل والصلب وقعا بالمسيح الذى هو جوهر متولد من جوهرين (لفى شك منه) اى لفى تردد والشك كما يطلق على مالم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى مايقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى (مالهم به من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم والمعنى لكنهم يتبعون الظن (وماقتلوه) قتلا (يقينا) كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح فيقينا نعت مصدر محذوف على ان يكون فعيلا بمعنى المفعول وهو المتيقن (بل رفعه الله اليه) رد وانكار لقتله واثبات لرفعه قال الحسن البصرى اى الى السماء التى هى محل كرامة الله تعالى ومقر ملائكته ولا يجرى فيها حكم احد سواه فكان رفعه الى ذلك الموضع رفعا اليه تعالى لانه رفع عن ان يجرى عليه حكم العباد ومن هذا القبيل قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله وكانت الهجرة الى المدينة وقوله انى ذاهب الى ربى اى الى موضع لا يمنعنى احد من عبادة ربى والحكمة فى الرفع انه تعالى اراد به صحبة الملائكة ليحصل لهم بركته لانه كلمة الله وروحه كما حصل للملائكة بركة صحبة آدم ابى البشر من تعلم الاسماء والعلم وان مثل عيسى عند الله كمثل آدم كما ذكر فى الاية وقيل رفع الى السماء لما لم يكن دخوله الى الوجود الدنيوى من باب الشهوة وخروجه لم يكن من باب المنية بل دخل من باب القدرة وخرج من باب العزة (وكان الله عزيزا) لايغالب فيما يريده فعزة الله تعالى عبارة عن كمال قدرته فان رفع عيسى عليه السلام الى السموات وان كان متعذرا بالنسبة الى قدرة البشر لكنه سهل بالنسبة الى قدرة الله تعالى لايغلبه عليه احد (حكيما) فى جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى فى امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا ولما رفع الله عيسى عليه السلام كساه الريش والبسه النور وقطعه عن شهوات المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش فكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا قال وهب بن منبه بعث عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاث سنين فان قيل لم لم يرد الله تعالى عيسى الى الدنيا بعد رفعه الى السماء قيل اخر رده ليكون علما للساعة وخاتما للولاية العامة لانه ليس بعده ولى يختم الله به الدورة المحمدية تشريفا لها بختم نبى مرسل يكون على شريعة محمدية يؤمن بها اليهود والنصارى ويجدد الله تعالى به عهد النبوة على الامة ويخدمه المهدى واصحاب الكهف ويتزوج ويولد له ويكون فى امة محمد عليه السلام وخاتم اوليائه ووارثيه من جهة الولاية واخرج السيوطى فى تفسير الدر المنثور فى سورة الكهف عن ابن شاهين اربعة من الانبياء احياء اثنان فى السماء عيسى وادريس واثنان فى الارض الخضر والياس فاما الخضر فانه فى البحر واما صاحبه فانه فى البر قال الامام السخاوى رحمه الله حديث اخى الخضر لو كان حيا لزارني من كلام بعض السلف ممن انكر حياة الخضر واعلم ان الارواح المهيمة التى من العقل الاول كلها صف واحد حصل من الله ليس بعضها بواسطة بعض وان كانت الصفوف الباقية من الارواح بواسطة العقل الاول كما اشار صلى الله عليه وسلم انا ابو الارواح وانا من نور الله والمؤمنون فيض نورى فاقرب الارواح فى الصف الاول الى الروح الاول والعقل الاول روح عيسوى لهذا السر شاركه بالمعراج الجسمانى الى السماء وقرب عهده بعهده فالروح العيسوى مظهر الاسم الاعظم وفائض من الحضرة الالهية فى مقام الجمع بلا واسطة اسم من الاسماء وروح من الارواح فهو مظهر الاسم الجامع الالهى وراثة اولية ونبينا عليه السلام اصالة كذا فى شرح الفصوص ثم اعلم

ان قوما قالوا على مريم فذموها بالزنى وآخرين جاوزوا الحد فى تعظيمها فقالوا ابنها ابن الله وكلتا الطائفتين وقعتا فى الضلال ويقال مريم كانت ولية الله فشقى بها فرقتان اهل الافراط واهل التفريط وكذلك كل ولى له تعالى فذكرهم شقى بترك احترامهم وطلب اذيتهم والذين يعتقدون فيهم مالا يستوجبون يشقون بالزيادة فى اعظامهم وعلى هذه الجملة درج الاكثرون من الاكابر كذا فى التأويلات النجمية (وفى المثنوى) تازنيئ تو ولى در حد خويش * الله الله پا منه در حد بيش * جمله عالم زين سبب گمراه شد * كم كسى زابدال هم آگاه شد * دير بايد تا كه سر آدمى * آشكارا گردد از بيش وكمى * زير ديوار بدن گنجست يا * خانۀ مارست وموز واژدها (وان من اهل الكتاب) اى مامن اليهود والنصارى احد (الا ليؤمنن به) اى بعيسى (قبل موته) اى قبل موت ذلك الاحد من اهل الكتاب يعنى اذا عاين اليهودى امر الآخرة وحضرته الوفاة ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالت اتاك عيسى عليه السلام نبيا فكذبت به فيؤمن حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وتقول للنصرانى اتاك عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله فزعمت انه هو الله وابن الله فيؤمن بانه عبد الله حين لا ينفعه ايمانه قالوا لايموت يهودى ولا صاحب كتاب حتى يؤمن بعيسى وان احترق او غرق او تردى او سقط عليه جدار او اكله سبع او اى ميتة كانت حتى قيل لابن عباس رضى الله عنه لو خر من بيته قال يتكلم به فى الهواء قيل ارأيت لو ضرب عنق احدهم قال يتلجلج به لسانه وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى ومامن اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى من السماء احد الا ليؤمنن به قبل موته وروى عن النبى عليه السلام انه قال انا اولى الناس بعيسى لانه لم يكن بينى وبينه نبى ويوشك انه ينزل فيكم حكما عدلا فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض وكان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقتل الخنزير ويريق الخمر ويكسر الصليب ويذهب الصخرة ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك الله فى زمانه الملل كلها غير ملة الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله فى زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال حتى لا يبقى احد من اهل الكتاب وقت نزوله الا يؤمن به وتقع الامنة فى زمانه حتى ترتع الابل مع الاسود والبقر مع النمور والغنم مع الذئاب وتلعب الصبيان بالحيات لايؤذى بعضهم بعضا ثم يلبث فى الارض اربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه وفى الحديث ان المسيح جائى فمن لقيه فليقرئه منى السلام (ويوم القيامة يكون) اى عيسى عليه السلام (عليهم) اى على اهل الكتاب (شهيدا) فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا) اى بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عن اليهود (حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) ولمن قبلهم لا لشئ غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصى التى اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التى كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم كلحوم الابل والبانها والشحوم وفى التأويلات النجمية نكتة قال لهم حرمنا عليهم طيبات وقال لنا ويحل لهم الطيبات وقال كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فلم يحرم علينا شيأ بذنوبنا وكما آمنا من تحريم الطيبات فى هذه الاية نرجو ان يؤمننا فى الآخرة من العذاب الاليم لانه جمع بينهما فى الذكر فى هذه الآية وقال اهل الاشارة ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات وانا اقول الاسراف فى ارتكاب المباحات يوجب حرمان المناجاة انتهى كلام التأويلات (قال السعدى) مرو در پى هرچه دل خواهدت * كه تمكين تن نور جان كاهدت (وبصدهم عن سبيل الله) اى بسبب منعهم عن دين الله وهو الاسلام ناسا (كثيرا) او صدا كثيرا (واخذهم الربا وقد) اى والحال انهم قد (نهوا عنه) فان الربا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهى يدل على حرمة المنهى عنه (واكلهم اموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (واعتدنا) اى خلقنا وهيأنا (للكافرين منهم) اى للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم (عذابا اليما) وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم سيذوقونه فى الآخرة كما ذاقوا فى الدنيا عقوبة التحريم (لكن الراسخون فى العلم منهم) اى الثابتون من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه وسماهم راسخين فى العلم لثباتهم فى العلم وتجردهم فيه لايضطربون ولا تميل بهم الشبه بمنزلة الشجرة الراسخة بعروقها فى الارض (والمؤمنون) اى من غير اهل الكتاب من المهاجرين والانصار (يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك) خبر المبتدأ وهو الراسخون وما عطف عليه قال

فى التأويلات النجمية كان عبد الله بن سلام عالما بالتوراة وقد قرأ فيها صفة النبى عليه السلام فلما كان راسخا فى العلم اتصل علم قرآنه بعلم المعرفة فقال لما رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت انه ليس بوجه كذاب فآمن به وما لم يكن للاحبار رسوخ فى العلم وان قرأوا صفة النبى عليه السلام فى التوراة فلما رأوا النبى عليه السلام ما عرفوه فكفروا به انتهى ونعم ما قيل فى حق الشرفاء

جعلوا الابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

(و) اعنى (المقيمين الصلاة) فنصبه على المدح لبيان فضل الصلاة (و) هم (المؤتون الزكاة) فرفعه على المدح ايضا وكذا رفع قوله تعالى (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالاية (اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما) اى ثوابا وافرا فى الجنة على جمعهم بين الايمان والعمل الصالح وهو ما اريد به وجه الله تعالى ومن افاضل الاعمال الصلوات الخمس واقامتها وفى الحديث من حافظ منكم على الصلوات الخمس حيث كان واين ما كان جاز الصراط يوم القيامة كالبرق اللامع فى اول زمرة السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان له كل يوم وليلة حافظ عليهن اجر شهيد وسر هذا الحديث مفهوم من لفظ الصلاة ووجه تسميتها بها لان اشتقاقها من الصلى وهو النار والخشبة المعوجة اذا ارادوا تقويمها يعرضونها على النار فتقوم وفى العبد اعوجاج لوجود نفسه الامارة فيه وسبحات وجه الله الكريم حارة بحيث لو كشف حجابها لاحرقت تلك السبحات من ادركته ومن انتهى اليه البصر كما ورد فى الحديث فبدخول المصلى فى الصلاة يستقبل تلك السبحات فيصيب المصلى من وهج السطوة الالهية والعظمة الربانية ما يزول به اعوجاجه بل يتحقق به معراجه فالمصلى كالمصطلى بالنار ومن اصطلى بها زال بها اعوجاجه فلا يعرض على نار جهنم الا تحلة القسم وبذلك المقدار من المرور يذهب اثر درنه ولا يبقى له احتياج الى المكث على الصراط فيمر كالبرق اللامع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ان اولياء الله المصلون ومن يقيم الصلوات الخمس التى كتبهن الله عليه ويصوم رمضان ويحتسب صومه ويؤتى الزكاة محتسبا طيبة بها نفسه ويجتنب الكبائر التى نهى الله عنها فقال رجل من اصحابه يا رسول الله وكم الكبائر قال تسع اعظمهن الاشراك بالله وقتل المؤمن بغير حق والفرار من الزحف وقذف المحصنة والسحر واكل الربا واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين واستحلال البيت العتيق الحرام قبلتكم احياء وامواتا لا يموت رجل لم يعمل هؤلاء الكبائر ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة الا رافق محمدا فى بحبوحة جنة ابوابها مصاريع الذهب واعلم ان الراسخين فى العلم هم الذين رسخوا بقدمى العمل والعلم الى ان بلغوا معادن العلوم فاتصلت علومهم الكسبية بالعلوم العطائية اللدنية وفى الحديث اطلعت ليلة المعراج على النار فرأيت اكثر اهلها الفقراء قالوا يا رسول الله من المال قال لا من العلم وفى الحديث العلم امام العمل والعمل تابعه قال حجة الاسلام الغزالى رحمه الله منهاج العابدين ولقد صرت من علماء امة محمد صلى الله عليه وسلم الراسخين فى العلم ان انت عملت بعلمك واقبلت على عمارة معادك وكنت عبدا عالما عاملا لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد غير غافل فلك الشرف العظيم ولعلمك القيمة الكثيرة والثواب الجزيل وبناء امر العبادة كله على العلم سيما علم التوحيد وعلم السر فلقد روى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع قال الهى وما العلم النافع قال ان تعرف جلالى وعظمتى وكبريائى وكمال قدرتى على كل شئ فان هذا الذى يقربك الى وعن على رضى الله عنه ما يسرنى ان لو مت طفلا فادخلت الجنة ولم اكبر فاعرف ربى فان اعلم الناس بالله اشدهم خشية واكثرهم عبادة واحسنهم فى الله نصيحة (انا اوحينا اليك) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شأنه فى حقيقة الارسال واصل الوحى كشأن سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحدهم فى نبوتهم والوحى والايحاء كالاعلام فى خفاء وسرعة اى انزلنا جبرائيل عليك يا محمد بهذا القرآن (كما اوحينا) اى ايحاء مثل ايحائنا (الى نوح والنبيين من بعده) بدأ بذكر نوح لانه ابو البشر واول نبى عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله بدعائه اهل الارض قيل ان نوحا عليه السلام عمر الف سنة لم ينقص له سن ولا قوة ولم يشب له شعر ولم يبالغ احد من الانبياء

فى الدعوة ما بالغ ولم يصبر على اذى قومه ما صبر وكان يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا وكان يضرب من قومه حتى يغمى عليه فاذا افاق عاد وبلغ وقيل هو اول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم (واوحينا الى ابراهيم) عطف على اوحينا الى نوح داخل معه فى حكم التشبيه اى كما اوحينا الى ابراهيم (واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم اولاد يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر رجلا (وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان) خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تشريفا لهم واظهارا لفضلهم فان ابراهيم اول اولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم وقدم ذكر عيسى على من بعده لان الواو للجمع دون الترتيب فتقديم ذكره فى الاية لا يوجب تقديمه فى الخلق والارسال والفائدة فى تقديمه فى الذكر الرد على اليهود لغلوهم فى الطعن فيه وفى نسبه فقدمه الله فى الذكر لان ذلك ابلغ فى كبت اليهود فى تبرئته مما رمى به ونسب اليه (وآتينا) اى كما آتينا (داود زبورا) فالجملة عطف على اوحينا داخلة فى حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء والزبور هو الكتاب مأخوذ من الزبر وهو الكتابة قال القرطبى كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هى حكم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله عز وجل وكان داود يبرز الى البرية ويقرأ الزبور فيقوم معه علماء بنى اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس وتجيء الدواب التى فى الجبال اذا سمعت صوت داود فيقمن بين يديه تعجبا لما يسمعن من صوته ويجيء الطير حتى يظللن على داود فى خلائق لا يحصيهن الا الله يرفرفن على رأسه وتجيء السباع حتى تحيط بالدواب والوحش لما يسمعن فلما قارف الذنب وهو تزوج امرأة اوريا من غير انتظار الوحى بجبرائيل لم يروا ذلك فقيل ذلك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية وعن ابى موسى الاشعرى قال قال لى رسول الله لو رأيتنى البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل داود قال فقلت اما والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته تحبيرا وعن ابى عثمان قال ما سمعت قط بربطا ولا مزمارا ولا عودا احسن من صوت ابى موسى وكان يؤمنا فى صلاة الغداة فنود انه يقرأ سورة البقرة من حسن صوته (قال السعدى)

به از روى زيباست آواز خوش * كه آن حظ نفس است واين قوت روح * وعند هبوب الناشرات على الحمى * تميل غصون البان لا الحجر الصلد

(ورسلا) نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه فى حكم التشبيه كما قيل اى وكما ارسلنا رسلا (قد قصصناهم عليك) اى سميناهم لك (من قبل) متعلق بقصصنا اى من قبل هذه السورة او اليوم وعرفناك قصتهم فعرفتهم (ورسلا لم نقصصهم عليك) اى لم نسمهم لك والرسل هم الذين اوحى اليهم بجبريل والانبياء هم الذين لم يوح اليهم بجبريل وانما اوحى اليهم بملك آخر او برؤيا فى المنام او بشيء آخر من الالهام وعن ابى ذر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله كم كانت الانبياء وكم كان المرسلون قال كانت الانبياء مائة الف واربعة وعشرين الفا وكان المرسلون ثلثمائة وثلاثة عشر وفى رواية سئل عن عدد الانبياء فقال مائتا الف واربعة وعشرون الفا والاولى ان لا يقتصر على عدد فى التسمية لهذه الاية وخبر الواحد لا يفيد الا الظن ولا عبرة بالظن فى الاعتقاديات (وكلم الله موسى تكليما) عطف على انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة وتأكيد كلم بالمصدر يدل على انه عليه السلام سمع كلام الله حقيقة لا كما يقوله القدرية من ان الله تعالى خلق كلاما فى محل فسمع موسى ذلك الكلام لان ذلك لا يكون كلام الله القائم به والافعال المجازية لا تؤكد بذكر المصادر لا يقال اراد الحائط ان يسقط ارادة قال الفراء العرب تسمى ما وصل الى الانسان كلاما باى طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحى خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا فى نبوة سائر الانبياء فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه جملة قادحا فى صحة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها ان بنى اسرائيل كانوا فى العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها الا بعد اللتيا والتى وقد فضل الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم (قال العطار)

كرده در شب سوى معراجش روان * سر كل با او نهاده درميان * رفت موسى بر بساط آن جناب * خلع نعلين آمدش از حق خطاب * چون بنزديكى شد از نعلين دور * كشت در وادى المقدس غرق نور * باز در معراج شمع ذو الجلال * مى شنود آواز نعلين بلال * موسى عمران اگرچه بود شاه * هم نبود انجاش با نعلين راه *

اين عنايت بين كه بهرجاه او * كرد حق باجا كرد ركاه او * جا كرش را كرد مرد كوى خويش * داد
بانعلين راهش سوى خويش * موسى عمران جو آن رتبت بديد * جا كراورا چنان قربت بديد * كفت يارب
امت اوكن مرا * درطفيل همت اوكن مرا * اوست سلطان وطفيل اوهمه * اوست دائم شاه وخيل
اوهمه * روى ان موسى عليه السلام لما اتى طور سيناء انزل الله الظلمة على سبع فراسخ وطرد عنه الشيطان
وطرد عنه الهوام ونحى عنه الملكين وكشف له السماء فرأى الملائكة قياما فى الهوآء ورأى العرش بارزا وكلمه الله
وناجاه حتى اسمعه كلامه من غير واسطة وكيفية وصوت وحرف (رسلا) نصب على المدح اعنى رسلا (مبشرين)
لاهل الطاعة بالجنة (ومنذرين) للعصاة بالنار (لئلا يكون) اللام متعلقة بارسلنا (للناس) خبر يكون
(على الله) متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله (حجة) اى كائنة على الله وحجة اسم يكون والمعنى لئلا يكون للناس
على الله معذرة يوم القيامة يعتذرون بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرآئعك ويعلمنا مالم نكن نعلم
من احكامك وينبهنا من سنة الغفلة لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن
ادراك كلياتها ففيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة وانما سميت المعذرة حجة مع استحالة ان يكون
لاحد عليه سبحانه حجة فى فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة فى القبول عنده
تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التى لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا قال النبى صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله عز وجل لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن
وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل
الرسل وانزل الكتاب (بعد الرسل) اى بعد ارسالهم وتبليغ الشرآئع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة
(وكان الله عزيزا) لا يغالب فى امر من الامور من قضية الامتناع عن الاجابة الى مسئلة المتعنتين (حكيما)
فى جميع افعاله التى من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب (لكن الله) استدراك عن مفهوم ما قبله من سؤالهم
على وجه التعنت ان ينزل عليهم ما وصفوه من الكتاب فهو بمنزلة قولهم لا نشهد بان الله تعالى بعثك الينا رسولا
حتى ينزل ما سألناه فقال تعالى انهم لا يشهدون بصدقك فى دعوى الرسالة لكن الله (يشهد بما انزل اليك)
من القرءآن المعجز الدال على نبوتك ان جحدوك وكذبوك فان انزال هذا القرءآن البالغ فى الفصاحة الى حيث
عجز الاولون والآخرون عن معارضته واتيان ما يدانيه شهادة له عليه السلام بنبوته وصدقه فى دعوى الرسالة
من الله تعالى فمعنى شهادة الله تعالى بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات
(انزله بعلمه) حال من الفاعل اى ملتبسا بعلمه الخاص الذى لا يعلمه غيره وهو تأليف على نمط بديع يعجز عنه
كل بليغ او بعلمه بحال من انزل عليه واستعداده لاقتباس الانوار القدسية (والملائكة يشهدون) ايضا بنبوتك
فان قلت من اين يعلم شهادة الملائكة قلت من شهادة الله تعالى لان شهادتهم تبع لشهادته (وكفى بالله شهيدا) على
صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها كانه تعالى قال يا محمد
ان كذبك هؤلاء اليهود فلا تبال بهم فان الله تعالى وهو اله العالمين يصدقك فى دعواك وملائكة السموات ايضا
يصدقونك فى ذلك ومن صدقه رب العالمين والملائكة اى ملائكة العرش والكرسى والسموات السبع اجمعين
لا ينبغى له ان يلتفت الى تكذيب اخس الناس وهم هؤلاء اليهود (ان الذين كفروا) اى بما انزل الله ويشهد به
وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) وهو دين الاسلام من اراد سلوكه بقوله ما نعرف صفة محمد فى كتابنا (قد ضلوا)
بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق (ضلالا بعيدا) لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون
اعرق فى الضلال وابعد من الانقلاع عنه (ان الذين كفروا) اى بما ذكر آنفا (وظلموا) اى محمدا صلى الله عليه
وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم فى المعاش والمعاد
(لم يكن الله) مريدا (ليغفر لهم) لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر (ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم) لعدم
استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التى هى طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء
بطريق الاشارة خلق الله لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها
او سوقهم اليها يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق
والاستثناء منقطع (خالدين فيها) حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة

واضحة

واضحة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها (ابدا) نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث
الطويل (وكان ذلك) اى جعلهم خالدين فيها (على الله يسيرا) لاستحالة ان يتعذر عليه شئ من مراداته تعالى
واعلم ان من كان فيه ذرة من النور المرشوش على الارواح يوم خلقها يخرج به من النار كما قال عليه السلام
يخرج من النار من كان فى قلبه ذرة من الايمان ومن لم يكن فيه ذلك النور يخلد فى النار لانه وقع فى ظلمة
عظيمة لا يمكن الخروج عنها وقد ضل ضلالا بعيدا اى من يوم رش النور لا ضلالا قريبا من هذا اليوم لان
ضلال اليوم من نتايج ضلال ذلك اليوم ومثل هذا لا يهتدى الى طريق الحق والقربة الى الله تعالى فيحترق
فى عذاب القطيعة ابدا ولا يخرج من نار الفرقة سرمدا فعلى العبد ان يشهد بما شهد الله تعالى به ويقبل قول
الله وقول الرسول وقول وارثيه من العلماء العاملين فانهم ينطقون عن الله وعن الرسول قال شقيق رحمه الله
الناس يقومون من مجلسى على ثلاثة اصناف كافر محض ومنافق محض ومؤمن محض وذلك لانى افسر
القرءآن واقول عن الله عز وجل وعن الرسول صلى الله عليه وسلم فمن لا يصدقنى فهو كافر محض ومن ضاق
قلبه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم على انه لا يذنب كان مؤمنا مخلصا واول الامر الاعتقاد وذلك
يحتاج الى العلم اولا والعمل ثانيا لانه ثمرته وسئل النبى عليه السلام عن العلم فقال دليل العمل قيل فما العقل
قال عليه السلام قائد الخير قيل فما الهوى قال مركب المعاصى قيل فما المال قال ردآء المتكبرين قيل فما الدنيا
قال سوق الآخرة (يا ايها الناس) خطاب لعامة الخلق (قد جاءكم الرسول) يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه
وسلم ملتبسا (بالحق) وهو القرءآن المعجز الذى شهد اعجازه على حقيته او بالدعوة الى الله عبادة الله وحده
والاعراض عما سواه فان العقل السليم يشهد على انه الحق (من) عند (ربكم) متعلق بجاء اى جاء من عند الله
وانه مبعوث مرسل غير متقول له (فآمنوا) بالرسول وبما جاءكم به من الحق والفاء للدلالة على ايجاب ما قبلها
لما بعدها (خيرا لكم) منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار اى اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم
مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف اى آمنوا ايمانا خيرا لكم وهو الايمان باللسان والجنان
(وان تكفروا) اى ان تصروا وتستمروا على الكفر (فان لله ما فى السموات والارض) من الموجودات سوآء
كانت داخلة فى حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه وآكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من
العقلاء وغيرهم فيدخل فى جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اى كلها له عز وجل خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من
ملكوته وقهره شئ منها فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان كذلك فهو غنى عنكم
وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم او فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره (وكان
الله عليما) مبالغا فى العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل فى ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا اوليا (حكيما)
مراعيا للحكمة فى جميع افعاله التى من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم واعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم
صورة النور الغيبى المرسل الى الاجساد فمن كان قابلا للافاضة نور دعوته فقد اهتدى ومن اخطأ فقد ضل
واتفق المشايخ على ان من القى زمامه فى يد كلب مثلا حتى لا يكون تردده بحكم طبعه فبنفسه اقوم لقبول
الرياضة ممن جعل زمامه فى حكم نفسه يسترسل بها حيث شاء كالبهائم فلما تيقنت ان الواجب عليك ان تكون
تابعا لا مسترسلا فلان تتبع سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم الذى آدم ومن دونه من الاولياء والانبياء
تحت لوائه خير لك بل واجب عليك وما اعظم حماقة من يحتاط بقول المنجم فى الاختلاج والفال وينقاد
الى الاحتمالات البعيدة ثم اذا آل الامر الى خبر النبوة عن الغيب انكر فلا ترض لنفسك ان تصدق ابن البيطار
فيما ذكره فى العقاقير والاحجار وتبادر الى امتثال ما امرك به ولا تصدق سيد البشر صلى الله عليه وسلم فيما يخبر عنه
وتتوانى بحكم الكسل عن الاتيان بما امر به او فعل واعلم انك لما اخرجك الله من صلب آدم فى مقام الست رددت
الى اسفل السافلين ثم منه دعيت لترتقع بسعيك وكسبك الى اعلى عليين حيث ما قدر لك على حسب قابليتك
ولا يمكنك ذلك الا بامرين احدهما بمحبته صلى الله عليه وسلم وبان تؤثر حبه على نفسك واهلك ومالك والثانى
بمتابعته صلى الله عليه وسلم فى جميع ما امر به ونهى عنه وبذلك تستحكم مناسبتك به وبكمال متابعتك يحصل لك
الارتفاع الى اوج الكمال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما
فقال يا قوم انى رأيت الجيش بعينى) فيه اشارة الى ان هذا المثل مختص بالنبى عليه السلام لان ما انذر به من

الاهوال هى التى رأها بعينيه واما سائر الانبياء عليهم السلام فلم يكن لهم معراج ظاهر حتى يعاينوا تلك الاهوال (وانى انا النذير) وهو الذى يخوف غيره (بأعلام العريان) وهو الذى لقى العدو فسلبوا ما عليه من الثياب فاتى قومه يخبرهم فصدق بعضهم لما عليه من آثار الصدق فنجوا وهذا القول مثل يضرب لشدة الامر وقرب المحذور وبرآءة المخبر عن التهمة والكل موجود فى النبى عليه السلام (فالنجاء) بالمد نصب على الاغراء اى اطلبوا النجاء وهو الاسراع (فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا) اى ساروا من اول الليل (فانطلقوا على مهلهم) وهو بفتح الميم والهاء ضد العجلة (وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش) اى اتاهم صباحا بالغير عليهم (فاهلكهم واجتاحهم) اى اهلكهم بالكلية (فذلك) اى المثل المذكور وهذا بيان لوجه المشابهة (مثل من اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق) وفيه اشارة الى ان مطلق العصيان غير مستأصل بل العصيان مع التكذيب بالحق كذا فى شرح المشارق لابن الملك رحمه الله تعالى (قال السعدى) خلاف پيمبر كسى ره كزيد * كه هركز بمنزل نخواهد رسيد * محالست سعدى كه راه صفا * توان رفت جز دربى مصطفا (يا اهل الكتاب) الخطاب للنصارى خاصة (لا تغلوا فى دينكم) اى لا تجاوزوا الحد فى دينكم بالافراط فى رفع شأن عيسى وادعاء الوهيته والغلو مجاوزة الحد واعلم ان الغلو والمبالغة فى الدين والمذهب حتى يجاوز حد غير مرضى كما ان كثيرا من هذه الامة غلوا فى مذهبهم فمن ذلك مذهب الغلاة من الشيعة فى امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه حتى ادعوا الهيته وكذلك المعتزلة غلوا فى التنزيه حتى نفوا صفات الله وكذا المشبهة غلوا فى اثبات الصفات حتى جسموه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولدفع الغلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم) اى لا تتجاوزوا عن الحد فى مدحى كما بالغ النصارى فى مدح عيسى حتى ضلوا وقالوا انه ولد الله (وقولوا عبد الله ورسوله) اى قولوا فى حقى انه عبد الله ورسوله وفى تقديم العبد على الرسول كما فى التحيات ايضا نفى لقول اليهود والنصارى فان اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله فنحن نقول عبده ورسوله والغلو من العصبية وهى من صفات النفس المذمومة والنفس هى امارة بالسوء لا تأمر الا بالباطل مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبلهٔ ديكرست (ولا تقولوا على الله الا الحق) اى لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك قوله الا الحق استثناء مفرغ ونصبه على انه مفعول به نحو قلت خطبة او نعت مصدر محذوف اى الا القول الحق وهو قريب من المعنى الاول (انما المسيح) مبتدأ وهو لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك (عيسى) بدل منه معرب من ايشوع (ابن مريم) صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه به من بنوته له تعالى ومريم بمعنى العابدة وسميت مريم مريم ليكون فعلها مطابقا لاسمها ولكون عيسى عليه السلام منسوبا الى امه تدعى الناس يوم القيامة باسماء امهاتهم ويدل عليه حديث التلقين بعد الدفن حيث يقال يا فلان ابن فلانة وفى النسبة الى الامهات ستر منه تعالى للعباد ايضا (رسول الله) خبر للمبتدأ اى انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وهذا هو القول الحق (وكلمته) عطف على رسول الله اى تكون بكلمته وامره الذى هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة فان تكوين الخلق كله وان كان بكلمة كن ولكن بالوسائط فان تعلق كن بتكوين الاباء قبل تعلقه بتكوين الابناء فلما كان تعلق امر كن بعيسى فى رحم مريم من غير تعلقه بتكوين اب له تكون عيسى بكلمة كن وكن هى كلمة الله فعبر عن ذلك بقوله وكلمته القاها الى مريم يدل عليه قوله ان مثل عيسى عند الله يعنى فى التكوين كمثل آدم خلقه من تراب يعنى سوى جسمه من تراب ثم قال له يعنى عند بعث روحه الى القالب كن فيكون وانما ضرب مثله بآدم فى التكوين لانه ايضا تكون بكلمة كن من غير واسطة اب (القاها الى مريم) اى اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام (وروح منه) عطف على كلمته ومنه صفة لروح ومن لابتدآء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى لاستحالة التجزى على الله تعالى وروى انه كان لهرون الرشيد طبيب نصرانى وكان غلاما حسن الوجه جدا وكان كامل الادب جامعا للخصال التى يتوصل بها الى الملوك وكان الرشيد مولعا بان يسلم وهو يمتنع وكان الرشيد يمنيه الامانى ان اسلم فابى فقال له ذات يوم مالك لا تؤمن قال ان فى كتابكم حجة على من انتحله قال وما هى قال قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه فعنى بهذا ان عيسى عليه السلام جزء منه

فضاق قلب الرشيد وجمع العلماء فلم يكن فيهم من يزيل شبهته حتى قيل له قد وفد حجاج من خراسان وفيهم رجل يقال له على بن الحسين بن واقد من اهل مرو وهو امام فى علم القرآن فدعاه فجمع بينه وبين الغلام فسأله الغلام عن ذلك فاستعجم عليه الجواب فى الوقت وقال قد علم الله يا امير المؤمنين فى سابق علمه ان هذا الخبيث يسألنى فى مجلسك هذا وانه لم يخل كتابه عن جوابه وانه ليس يحضرنى الآن ولله على ان لا اطعم ولا اشرب حتى اؤدى الذى يجب من الحق ان شاء الله تعالى ودخل بيتا مظلما واغلق عليه بابه واندفع فى قرآءة القرآن حتى بلغ من سورة الجاثية وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فصاح باعلى صوته افتحوا الباب فقد وجدت الجواب ففتحوا ودعا الغلام فقرأ عليه الآية بين يدى الرشيد وقال ان كان قوله وروح منه يوجب ان يكون عيسى بعضا منه وجب ان يكون ما فى السموات وما فى الارض بعضا منه فانقطع النصرانى واسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل على بن الحسين الواقدى المروزى بصلة جيدة فلما عاد على بن الحسين الى مرو صنف كتابا سماه كتاب النظائر فى القرآن وهو كتاب لا يوازيه كتاب قيل معنى كونه روحا انه ذو روح صادر منه تعالى كسائر ذوى الارواح الا انه تعالى اضاف روحه الى نفسه تشريفا وقيل المراد بالروح هو الذى نفخ جبرآئيل عليه السلام فى درع مريم فدخلت تلك النفخة بطنها فحملت باذن الله من ذلك النفخ سمى النفخ روحا لانه كان ريحا يخرج من الروح واضاف تعالى نفخة جبريل الى نفسه حيث قال وروح منه بناء على ان ذلك النفخ الواقع من جبريل كان باذن الله تعالى وامره فهو منه وعن ابى بن كعب انه قال ان الله تعالى لما اخرج الارواح من ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم ثم ردهم الى صلبه امسك عنده روح عيسى الى ان اراد خلقه ثم ارسل ذلك الروح الى مريم فدخل فى فيها فكان منه عيسى عليه السلام قيل خلق عيسى عليه السلام من ماء مريم ومن النفخ لا من احدهما فقط وهو الاصح عند المحققين قيل خرج فى ساعة النفخ وقيل بعد المدة الكاملة بعد ثمانية اشهر والاول هو الاصح وفى التأويلات النجمية ان شرف الروح على الاشياء بانه ايضا كعيسى تكون بامر كن بلا واسطة شئ آخر فلما تكون الروح بامر كن وتكون عيسى بامر كن سمى روحا منه لان الامر منه تعالى كما قال قل الروح من امر ربى فكما ان احياء الاجسام الميتة من شأن الروح اذ ينفخ فيها فكذلك كان عيسى من شأنه احياء الموتى وابرآء الاكمه والابرص باذن الله وكذلك كان ينفخ فى الطين فيكون طيرا باذن الله تعالى واعلم ان هذا الاستعداد الروحانى الذى هو من كلمة الله مركوز فى جبلة الانسان وخلق منه اى من الامر وانما اظهره الله فى عيسى من غير تكلف منه فى السعى لاستخراج هذا الجوهر من معدنه لان روحه لم يركز فى اصلاب الاباء وارحام الامهات كارواحنا فكان جوهره ظاهرا فى معدن جسمه غير مختفى ببشرية اب وجوهرنا مختفى فى معدن جسمنا ببشرية آبائنا الى آدم فمن ظهور انوار جوهر روحه كان الله تعالى يظهر عليه انواع المعجزات فى بدو طفوليته ونحن نحتاج فى استخراج الجوهر الروحانى من المعدن الجسمانى الى نقل صفات البشرية المتولدة من بشرية الاباء والامهات عن معادنتا باوامر استاذ هذه الصنعة ونواهيه وهو النبى عليه السلام كما قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فمن تخلص جوهر روحانيته من معدن بشريته وانسانيته يكون عيسى وقته فيحيى الله بانفاسه القلوب الميتة ويفتح به آذانا صما وعيونا عميا فيكون فى قومه كالنبى فى امته فافهم جدا (وفى المثنوى) عيسى اندر مهد دارد صد نفير * كه جوان نا كشته ما شيخيم وپير * پير پير عقل بايد اى پسر * نى سپيدى موى اندر ريش وسر * چون كرفتى پير من تسليم شو * همچو موسى زير حكم خضر شو * دست را مسپار جز در دست پير * پير حكمت كو عليم است وخبير * ثم اعلم انه لما كان النافخ جبرآئيل والولد سر ابيه كان الواجب ان يظهر عيسى على صورة الروحانيين والجواب انه انما كان على صورة البشر ولم يظهر على صورة الروحانيين لان الماء المحقق عند التمثل كان فى امه وهى بشر ولاجل تمثل جبريل ايضا عند النفخ بالصورة البشرية لانها اكمل الصور كما اشار صلى الله عليه وسلم فى تجلى الربوبية بصورة شاب قطط وظهور جبريل بصورة دحية فافهم والصورة التى تشهدها الام وتتخيلها حال المواقعة لها تأثير عظيم فى صورة الولد حتى قيل ونقل فى الاخبار ان امرأة ولدت ولدا صورته صورة البشر وجسمه جسم الحية فلما سئلت عنها اخبرت انها رأت حية عند المواقعة وسمعت ان امرأة ولدت ولدا له اعين اربع ورجلاه كرجل الدب وكانت قبطية جامعها زوجها وهى ناظرة الى دبين كانا عند زوجها

ولله اسرار فى تكوين الاجساد كيف يشاء وهو على كل شئ قدير كذا فى حل الرموز (فآمنوا بالله) وخصوه بالالوهية (ورسله) اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية يعنى ان عيسى من رسله فآمنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه آلها (ولا تقولوا ثلاثة) اى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى ءأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثانى العلم وبالثالث الحياة (انتهوا) اى عن التثليث (خيرا لكم) اى انتهاء خيرا لكم او ائتوا خيرا لكم من القول بالتثليث (انما الله اله واحد) اى واحد بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد نعت اى منفرد فى الهيته (سبحانه ان يكون له ولد) اى اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من ذلك فانه يتصور لمن يتصور له مثل ويتطرق اليه فناء فان التوالد انما هو لحفظ النوع عن الانقراض فلذلك لم تتوالد الملائكة ولا اهل الجنان فمن كان نشأته وتكونه للبقاء اذا لم يكن له ولد مع كونه حادثا اذا امثال فبالاولى ان لا يتخذ الله تعالى ولدا وهو ازلى منزه عن الامثال والاشباه (وفى المثنوى) لم يلد لم يولد است اواز قدم * نى پدر دارد نه فرزند ونه عم (له ما فى السموات وما فى الارض) مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقديره اى له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته شئ من الاشياء التى من جملتها عيسى فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى قال ابن الشيخ فى حواشيه انه تعالى فى كل موضع نزه نفسه عن الولد ذكر ان جميع ما فى السموات والارض مختص به خلقا وملكا للاشارة الى ان ما زعمه المبطلون انه ابن الله وصاحبته مملوك مخلوق له لكونه من جملة ما فى السموات وما فى الارض فلا تتصور المجانسة والمماثلة بين الخالق والمخلوق والمالك والمملوك فكيف يعقل مع هذا توهم كونه ولدا له وزوجة (وكفى بالله وكيلا) اليه يكل كل الخلق امورهم وهو غنى عن العالمين فانى يتصور فى حقه اتخاذ الولد الذى هو شأن العجزة المحتاجين فى تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم مقامهم او يعينهم دلت الاية على التوحيد (كل شئ ذاته لى شاهد * انما الله اله واحد) ومطلب اهل التوحيد اعلى المطالب وهو وراء الجنات وذوقهم لا يعادله نعيم (حكى) ان وليا يقال له سكرى بابا يكون له فى بعض الاوقات استغراق اياما حتى يظنونه ميتا ويضعون على فمه فداما فانتبه يوما فاراد ان يطلق زوجته ويترك اولاده وقال كنت فى مجلس النبى عليه السلام فى الملكوت مع الارواح وكان النبى عليه السلام يفسر قوله تعالى والهكم اله واحد ويتكلم فى مراتب التوحيد على كرسى قوائمه اربع من الانوار الاربعة على حسب المراتب الاربع اى من النور الاسود فى مرتبة الطبيعة ومن النور الاحمر فى مرتبة النفس ومن النور الاخضر فى مرتبة الروح ومن النور الابيض فى مرتبة السر فقيل لى فى العرش ارسلوا سكرى بابا فان اولاده يبكون فلاجل ذلك اريد ان اترك الكل فتضرعوا وحلفوا بان لا يفعلوا مثل ذلك ابدا فافرغ ووجه التسمية بذلك انه كان يعطى سكرا لكل من يطلبه منه حتى طلبوا فى الحمام امتحانا له فضرب برجله رخام الحمام قال خذوه فانقلب سكرا فاعتقدوا وزالت شبهتهم قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى الملكوت ليس فى الفوق بل الملك والملكوت عندك ههنا فان الله تعالى منزه عن الزمان والمكان والذهاب والاياب وهو معكم اينما كنتم فللسالك مرتبة ينظر فيها الى الله والى الحق ويسمى تلك بالمعية ثم بعد ذلك اذا وصل الى الفناء الكلى واضمحل وجوده يسمى ذلك بمقام الجمع ففى ذلك المقام لا يرى السالك ماسوى الله تعالى كمن احاطه نور لا يرى الظلمة الا يرى ان من نظر الى الشمس لا يرى غيرها وتلك الرؤية ليست بحاسة البصر ولا كرؤية الاجسام بل كما ذكره العلماء وكمل الاولياء والانبياء صلوات الله عليهم اجمعين والموحد اذا كان موحدا يوصله التوحيد الى الملكوت والجبروت واللاهوت اعنى الموحد يتخلص عن الاثنينية وعن التقيد بالاكوان والاجسام والارواح فيشاهد عند ذلك سر قوله تعالى انما الله اله واحد اللهم اجعلنا من الواصلين (لن يستنكف المسيح) فى اساس البلاغة استنكف منه ونكف امتنع وانقبض انفا وحمية (ان يكون عبدا لله) اى من ان يكون عبدا له تعالى فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية غيره روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى يعار فنزلت (ولا الملائكة المقربون) عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا والمراد بهم

الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن فى طبقتهم (ومن يستنكف) اى يترفع (عن عبادته) اى عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى (ويستكبر) الاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق (فسيحشرهم اليه) اى فسيجمعهم اليه يوم القيامة (جميعا) المستنكف والمستكبر والمقر والمطيع فيجازيهم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم) اى ثواب اعمالهم من غير ان ينقص منها شيأ اصلا (ويزيدهم من فضله) بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (واما الذين استنكفوا) اى عن عبادته تعالى (واستكبروا فيعذبهم) بسبب استنكافهم واستكبارهم (عذابا اليما) وجيعا لا يحيط به الوصف (ولا يجدون لهم من دون الله) اى غيره تعالى (وليا) يلى امورهم ويدبر مصالحهم (ولا نصيرا) ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه واحتج بالاية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وقال مساقة لرد النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف وهو ولا الملائكة المقربون اعلى درجة من المعطوف عليه وهو المسيح حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقامهم السموات العلى ولا نزاع لاحد فى علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع فى علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات كذا فى الارشاد قال فى التأويلات النجمية عند قوله تعالى ولا الملائكة المقربون ما ذكرهم للفضيلة على عيسى وانما ذكرهم لان بعض الكفار قالوا الملائكة بنات الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله قال تعالى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى بل فضل الله المسيح عليهم بتقديم الذكر لان المسيح نسب اليه بالبنوة ونسبت الملائكة اليه بالبنتية وللذكر فضيلة وتقدم على الاناث كقوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين فقدم الله الذكر على الانثى وجعل له سهمين وللانثى واحدا فكما ان للذكر فضيلة على الانثى فكذلك للمسيح فضيلة على الملائكة وفضيلته على الملائكة اكبر واعظم يدل عليه ما صح عن جابر رضى الله عنه ان النبى عليه السلام قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يا رب كما خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة قال الله تعالى لا اجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان وانا اقول ومن فضيلة عيسى على الملائكة انه اجتمع فيه ما كان شرفا لآدم لانه من ذريته من قبل الام وما كان شرفا للملائكة اذ قال له ايضا كن فكان فقد وجد فى عيسى ما لم يوجد فى الملائكة ولم يوجد فى الملائكة شئ لا يوجد فى عيسى فافهم جدا انتهى كلام التأويلات واعلم ان اعظم الاستنكاف عن عبادة الله تعالى الشرك والاعراض عن توحيده كما ان اصل الاعمال التوحيد والايمان ثم ان الكبر من اكبر السيئات ولذا ورد فى بعض الاحاديث مقابلا للايمان قال عليه السلام لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان (قال السعدى) ترا شهوت وكبر وحرص وحسد * چو خون در رگند وچو جان در جسد * گر اين دشمنان تقويت يافتند * سر از حكم ورأى تو برتافتند * حكى ان قاضيا جاء الى ابى يزيد البسطامى رحمه الله يوما فقال نحن نعرف ما تعرفه ولكن لا نجد تأثيره فقال ابو يزيد خذ مقدارا من الجوز وعلق وعاءه فى عنقك ثم ناد فى البلد كل من يلطمنى ادفع له جوزا حتى لا يبقى منه شئ فاذا فعلت ذلك تجد التأثير فاستغفر القاضى فقال ابو يزيد قد اذنبت لانى اذكر ما يخلصك من كبر نفسك وانت تستغفر منه (قال السعدى) كسى را كه پندار در سر بود * مپندار هرگز كه حق بشنود * ز علمش ملال ايد از وعظ ننگ * شقايق بباران نرويد ز سنگ * فعلى العاقل ان يتواضع فان الرفعة فى التواضع وهو من افضل العبادة (يا ايها الناس) خطاب لعامة المكلفين (قد جاءكم برهان) كائن (من ربكم وانزلنا اليكم) بواسطة النبى عليه السلام (نورا مبينا) عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اى جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة والبرهان ما يبرهن به المطلوب وسمى القرآن نورا لكونه سببا لوقوع نور الايمان

فى القلوب ولانه تتبين به الاحكام كما تتبين بالنور الاعيان (فاما الذين آمنوا بالله) حسبما يوجبه البرهان الذى اتاهم (واعتصموا به) اى امتنعوا به عن اتباع النفس الامارة وتسويلات الشيطان (فسيدخلهم فى رحمة منه) ثواب قدره بازآء ايمانه وعمله رحمة منه لاقضاء لحق واجب (وفضل) احسان زائد عليه مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ويهديهم اليه) اى الى الله (صراطا مستقيما) هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة وهو مفعول ثان ليهدى لانه يتعدى الى مفعولين بنفسه كما يتعدى الى الثانى بالى يقال هديته الطريق وهديته الى الطريق ويكون اليه حالا منه مقدما عليه ولو اخر عنه كان صفة له والمعنى ويهديهم الى صراط الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى العقبى مؤديا ومنتهيا اليه تعالى والاشارة فى الاية ان الله تعالى اعطى لكل نبى آية وبرهانا ليقيم به الحجة على الامة وجعل نفس النبى عليه السلام برهانا منه وذلك لان برهان الانبياء كان فى الاشياء غير انفسهم مثل ما كان برهان موسى فى عصاه وفى الحجر الذى انفجرت منه اثنتا عشرة عينا وكان نفس النبى عليه السلام برهانا بالكلية فكان برهان عينيه ما قال عليه السلام (لا تسبقونى بالركوع والسجود فانى اراكم من خلفى كما اراكم من امامى) وبرهان بصره ما زاغ البصر وما طغى وبرهان انفه (قال انى لاجد نفس الرحمان من قبل اليمن) وبرهان لسانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وبرهان بصاقه ما قال جابر رضى الله عنه انه امر يوم الخندق لا تخبزن عجينكم ولا تنزلن برمتكم حتى اجىء فجاء فبصق فى العجين وبارك ثم بصق فى البرمة وبارك فاقسم بالله انهم لاكلوا وهم الف حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط اى تغلى وان عجيننا ليخبز كما هو وبرهان تفله انه تفل فى عين على كرم الله وجهه وهى ترمد فبرئ باذن الله يوم خيبر وبرهان يده ما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وانه سبح الحصى فى يده (قال العطار) داعى ذرات بودان پاك ذات ✻ دركفش تسبيح ازان كفتى حصاة ✻ وبرهان اصبعه انه اشار باصبعه الى القمر فانشق فلقتين حتى رؤى حرآء بينهما ماه را انكشت او بشكافته ✻ مهر از فرمانش ازپس تافته ✻ وبرهان ما بين اصابعه انه كان الماء ينبع من بين اصابعه حتى شرب منه ورفعه خلق عظيم وبرهان صدره انه كان يصلى ولصدره ازيز كازيز المرجل من البكاء وبرهان قلبه انه تنام عيناه ولا ينام قلبه وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال الم نشرح لك صدرك وقال نزل به الروح الامين على قلبك وامثال هذه البراهين كثيرة فمن اعظمها انه عرج به الى السماء حتى جاوز قاب قوسين وبلغ او ادنى وذلك برهان لنفسه بالكلية وما اعطى نبى قبله مثله قط وكان بعد ان اوحى اليه افصح العرب والعجم وكان من قبل اميا لا يدرى ما الكتاب ولا الايمان واى برهان اقوى واظهر واوضح من هذا والله اكرم هذه الامة به ومن عليهم فمن آمن به ايمانا حقيقيا بنور الله لا بالتقليد فتجذبه العناية وتدخله فى عالم الصفات فان رحمته وفضله صفته ويهديه بنور القرآن وحقيقة التخلق بخلقه الى جنابه تعالى فبالاعتصام يصعد السالك من الصراط المستقيم الى حضرة الله الكريم ولا بد للعبد من الاعتمال والاكتساب فى البداية اتباعا للاوامر الواردة فى الكتب الالهية والسنن النبوية حتى ينتهى الى محض فضل الله تعالى فيكون هو المتصرف فى اموره ولذلك كان النبى عليه السلام يقول اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا اقل من ذلك وقد قال بعض الكبار المريد من لا مذهب له يعنى يتمسك باشق الاقوال والمذاهب من جميع المذاهب فيتوضأ من الرعاف والفصد مثلا وان كان شافعيا ومن المس وان كان حنفيا وتنوير الباطن لا يحصل الا بانوار الذكر والعبادة والمعرفة وتعين على ذلك العبادة الخالصة اذا اديت على وجه الكمال والخدمة بمقتضى السنة تصقله بازالة خبث الشهوات والاخلاق المذمومات والتوحيد افضل الاعمال الموصلة الى السعادة وفى الحديث ان الذين لا تزال السنتهم رطبة من ذكر الله يدخلون الجنة وهم يضحكون وفى الحديث ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم كانى انظر اليهم عند الصيحة ينفضون التراب عنهم ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وعلى هذا الحديث اول المشايخ هذه الاية الكريمة والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين ولا تجعلنا من الغافلين آمين (يستفتونك) اى يطلبون منك الفتوى فى حق الكلالة (قل الله يفتيكم فى الكلالة) الافتاء تبيين المبهم وتوضيح المشكل والكلالة فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها فى الاضافة الى

قرابتهما

قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين والمراد هنا الثانى اى الذى مات ولم يرثه احد من الوالدين ولا احد من الاولاد لما روى ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة اى لا يخلفنى ولد ولا والد فكيف اصنع فى مالى فنزلت (ان امرؤ هلك) استئناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله (ليس له ولد) صفة له اى ان هلك امرؤ غير ذى ولد ذكرا كان او انثى (وله اخت) عطف على قوله تعالى ليس له ولد او حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس فقط (فلها نصف ما ترك) اى بالفرض والباقى للعصبة اولها بالرد ان لم يكن له عصبة (وهو) اى المرؤ المفروض (يرثها) اى اخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه (ان لم يكن لها ولد) ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها فى الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها (فان كانتا اثنتين) عطف على الشرطية الاولى اى اثنتين فصاعدا (فلهما الثلثان مما ترك) الضمير لمن يرث بالاخوة والتأنيث والتثنية باعتبار المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين مع دلالة الف التثنية على الاثنينية التنبيه على ان المعتبر فى اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما (وان كانوا) اى من يرث بطريق الاخوة (اخوة) اى مختلطة (رجالا ونساء) بدل من اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث (فللذكر) اى فللذكر منهم (مثل حظ الانثيين) يقسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل فى كتاب الله من الاحكام روى ان الصديق رضى الله عنه قال فى خطبته ان الاية التى انزل الله تعالى فى سورة النساء فى الفرآئض فاولها فى الولد والوالد وثانيها فى الزوج والزوجة والاخوة من الام والاية التى ختم بها السورة فى الاخت لابوين اولاب والاية التى ختم بها سورة الانفال انزلها فى اولى الارحام (يبين الله لكم) اى حكم الكلالة او احكامه وشرآئعه التى من جملتها حكمها (ان تضلوا) اى كراهة ان تضلوا فى ذلك فهو مفعول لاجله على حذف المضاف وهو اشيع من حذف النافية بتقدير لئلا تضلوا (والله بكل شئ) من الاشياء التى من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم (عليم) مبالغ فى العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم والاشارة فى الاية ان الله تعالى لم يكل بيان قسمة التركات الى النبى صلى الله عليه وسلم مع انه تعالى وكل بيان اركان الاسلام من الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج اليه واحكام الشريعة وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وولاه بيان القرءآن العظيم وقال لتبين للناس ما نزل اليهم وتولى قسمة التركات بنفسه تعالى كما قال عليه السلام ان الله لم يرض بملك مقرب ولا نبى مرسل حتى تولى قسمة التركات واعطى كل ذى حق حقه الا فلا وصية لوارث وانما لم يوله قسمة التركات لان الدنيا مزينة للناس والمال محبوب الى الطباع وجبلت النفس على الشح فلو لم ينص الله تعالى على مقادير الاستحقاق وكان القسم موكولا الى النبى عليه السلام لكان الشيطان اوقع فى بعض النفوس كراهة من النبى عليه السلام لذلك فيكون كفرا لقوله عليه السلام لا يكون احدكم مؤمنا حتى اكون اليه احب من نفسه وماله وولده والناس اجمعين كما اوقع فى نفوس بعض شبان الانصار يوم حنين اذ افاء الله على رسوله اموال هوازن فطفق النبى عليه السلام يعطى رجالا من قريش المائة من الابل كل رجل منهم فقالوا يغفر الله لرسوله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال انس فحدث رسول الله بمقالتهم فارسل الى الانصار فجمعهم فى قبة من ادم ولم يدع معهم احدا من غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله فقال ما حديث بلغنى عنكم فقال الانصار اما ذووا رأينا فلم يقولوا شيأ واما اناس حديثة اسنانهم فقالوا كذا وكذا للذى قالوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما اعطى رجالا حديث عهد بكفر فأتألفهم او قال استألفهم افلا ترضون ان يذهب الناس بالاموال وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالله ما تنقلبون خير مما ينقلبون به قالوا اجل يا رسول الله قد رضينا فالنبى عليه السلام ازال ما اوقع الشيطان فى نفوسهم بهذه اللطائف فلو كان قسم التركات اليه لكان للشيطان مجال الى آخر الدنيا ان يوقع الشر فى نفوس الامة ولم يمكن ازالته عن النفوس لتعذر الوصول الى الخلق كلهم فى حال الحياة وبعد الوفاة فتولى الله ذلك لانه بكل شئ عليم ولعباده غفور رحيم برو علمش يك ذره پوشيده نيست ✻ كه پنهان وپيدا بنزدش يكيست ✻ فرو ماند كان را برحمت قريب ✻ تضرع كنان را بدعوت مجيب ✻ فحسم الجملة بالنص على المقادير فى الميراث فضلا منه وقطعا لمواد الخصومات بين ذوى الارحام ورحمة على النسوان فى التوريث لضعفهن وعجزهن

عن الكسب واظهارا لتفضيل الذكور عليهن لنقصان عقلهن ودينهن وتبيانا للمؤمنين لئلا يضلوا بظن السوء بالنبي عليه السلام كما قال يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شئ عليم كذا في التأويلات النجمية على صاحبها النفحات القدسية والبركات القدوسية

(تمت سورة النساء في اواسط جمادى الاخرة من سنة تسع وتسعين بعد الالف ويتلوها سورة المائدة وهي مائة وعشرون آية كلها مدنية الا اليوم اكملت لكم دينكم الاية فانها نزلت بعرفة عام حجة الوداع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء يقال وفى بالعهد وفاء واوفى به ايفاء اذا اتى ما عهد به ولم يغدر والنقل الى باب افعل لا يفيد سوى المبالغة والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا ان حملنا الامر على معنى يعم الوجوب والندب واحتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه الاية على ان من نذر صوم يوم العيد او ذبح الولد يجب عليه ان يصوم يوما يحل فيه الصوم ويذبح ما يحل ان يتقرب بذبحه لانه عهد والزم نفسه ذلك فوجب عليه الوفاء بما صح الوفاء به واحتج بها ايضا على حرمة الجمع بين الطلقات لان النكاح من العقود فوجب ان يحرم رفعه لقوله تعالى اوفوا بالعقود وقد ترك العمل بعمومه في حق الطلقة الواحدة بالاجماع فبقي فيما عداها على الاصل وفي الحديث ما ظهر الغلول في قوم الا القى الله في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنى في قوم الا كثر فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم ولا ختر قوم بالعهد الا سلط الله عليهم العدو هركه اونيك ميكند يابد * نيك وبد هرچه ميكند يابد * ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بان يوفوا جميع ما اوجبه عليهم من التكاليف شرع في ذكر التكاليف مفصلة فبدأ بذكر ما يحل ويحرم من المطعومات فقال عز وجل من قائل (احلت لكم بهيمة الانعام) البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة الجنس اى احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز وذكر كل واحد من هذه الانواع الاربعة زوج بانثاه وانثاه زوج بذكره فكان جميع الازواج ثمانية بهذا الاعتبار من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين على التفصيل المذكور في سورة الانعام فالبهيمة اعم من الانعام لان الانعام لا تتناول غير الانواع الاربعة من ذوات الاربع والحق بالانعام الظباء وبقر الوحش ونحوهما (الا ما يتلى عليكم) استثناء من بهيمة الانعام بتقدير المضاف اى الا محرم ما يتلى عليكم اى الا الذى حرمه المتلو من القرآن من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة بعد هذه الاية او بتقدير نائب الفاعل اى الا ما يتلى عليكم فيه آية كريمة (غير محلى الصيد) الصيد بمعنى المصدر اى الاصطياد في البر او المفعول اى اكل صيده بمعنى مصيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شائع في الكتاب والسنة (وانتم حرم) اى محرمون حال من الضمير في محلى والحرم جمع حرام بمعنى محرم يقال احرم فلان اذا دخل في الحرم او في الاحرام وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينئذ كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها (ان الله يحكم ما يريد) من تحليل وتحريم على ما توجبه الحكمة ومعنى الايفاء بهما الجريان على موجبهما عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم المحللات والاشارة في الاية اوفوا بالعقود التى جرت بيننا يوم الميثاق وعلى عهود العشاق وعقودهم على بذل وجودهم لنيل مقصودهم عاقدوا على عهد يحبهم ويحبونه ولا يحبون دونه فالوفاء بالعهد الصبر على الجفاء والجهد فمن صبر على عهوده فقد فاز بمقصوده عند بذل وجوده احلت لكم بهيمة الانعام اى ذبح بهيمة النفس التى هي كالانعام في طلب المرام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم يعنى الا النفس المطمئنة اذ تليت عليها ارجعى الى ربك فانها تنفرت من الدنيا وما فيها فانها كالصيد في الحرم وانتم حرم بالتوجه الى كعبة الوصال باحرام الشوق الى حضرة الجمال والجلال متجردين عن كل مرغوب ومرهوب منفردين من كل مطلوب

ومحبوب ان الله يحكم بذبح النفس اذا كانت موصوفة بصفة البهيمة ترتع في مراتع الحيوان السفلية ويحكم بترك ذبحها ويخاطبها بالرجوع الى حضرة الربوبية عند اطمئنانها مع ذكر الحق واتصافها بالصفات الملكية العلوية ما يريد كما يريد كذا في التأويلات النجمية (يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) نزلت في الحطيم واسمه شريح بن ضبيعة البكرى اتى المدينة من اليمامة وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الى م تدعون الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لى امراء لا اقطع امرا دونهم لعلى اسلم وآتى بهم وقد كان النبي عليه السلام قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان ثم خرج شريح من عنده فقال عليه السلام لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه فانطلق فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام المقبل خرج حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدى فقال المسلمون للنبي عليه السلام هذا الحطيم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي عليه السلام انه قد قلد الهدى فقالوا يا رسول الله هذا شئ كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي عليه السلام فانزل الله هذه الاية وكان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك والشعائر جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر اى جعل شعارا اى علما للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والافعال التى هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعى والحلق والنحر والمعنى لا تتهاونوا بحرمتها ولا تقطعوا اعمال من يحج بيت الله ويعظم مواقف الحج (ولا الشهر الحرام) اى ولا تستحلوا القتل والغارة في الشهر الحرام وهو شهر الحج والاشهر الاربعة الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب والافراد لارادة الجنس (ولا الهدى) بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدى الى الكعبة من ابل او بقر او شاة تقربا الى الله تعالى جمع هدية (ولا القلائد) اى ذوات القلائد من الهدى بتقدير المضاف وعطفها على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى اى ولا تحلوا ذوات القلائد منها خصوصا وهي جمع قلادة وهي ما يشد على عنق البعير وغيره من نعل او لحاء شجرة او غيرهما ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له (ولا آمين البيت الحرام) اى ولا تحلوا قوما قاصدين زيارة الكعبة بان تصدوهم عن ذلك باى وجه كان (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) حال من المستكن في آمين اى قاصدين زيارته حال كونهم طالبين الرزق بالتجارة والرضوان اى على زعمهم لان الكافر لا نصيب له في الرضوان اى رضى الله تعالى ما لم يسلم قال في الارشاد انهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد في كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره انتهى وهذه الاية الى ههنا منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يأمن كافر بالهدى والقلائد قال الشعبى لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الاية (واذا حللتم فاصطادوا) تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتفاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كانه قيل واذا حللتم من الاحرام فلا جناح عليكم في الاصطياد (ولا يجرمنكم) يقال جرمنى فلان على ان صنعت كذا اى حملنى والمعنى لا يحملنكم (شنآن قوم) اى شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر شنئت اضيف الى المفعول او الفاعل فالمعنى على الاول بغضكم لبعض بحذف الفاعل وعلى الثانى بغض قوم اياكم بحذف المفعول (ان صدوكم عن المسجد الحرام) اى لان منعوكم عن زيارته والطواف به للعمرة عام الحديبية (ان تعتدوا) ثانى مفعولى يجرمنكم اى لا يحملنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام على اعتدائكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفى (وتعاونوا) اى ليعن بعضكم بعضا (على البر والتقوى) اى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) اى لا يعن بعضكم بعضا على شئ من المعاصى والظلم للتشفى والانتقام وليس للناس ان يعين بعضهم بعضا على العدوان حتى اذا تعدى واحد منهم على الآخر تعدى ذلك الآخر عليه لكن الواجب ان يعين بعضهم بعضا على ما فيه البر والتقوى واصل لا تعاونوا تتعاونوا فحذف منه احدى التاءين تخفيفا وانما اخر النهى عن الامر مع تقدم التخلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات

فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس (واتقوا الله) فى جميع الامور التى من جملتها المخالفة ماذكر من الاوامر والنواهى فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهانى (ان الله شديد العقاب) فانتقامه اشد لمن لا يتقيه واعلم ان شعائر الله فى الحقيقة هى مناسك الوصول الى الله وهى معالم الدين والشريعة وهى اسم آداب الطريقة باشارة ارباب الحقيقة فان حقيقة البر هو التفرد للحق وحقيقة التقوى هو الخروج عما سوى الله تعالى فالوصول لا يمكن الا بهما لكنهما خطوتان لا يمكن للمريد الصادق ان يتخطى بهما الا بمعاونة شيخ كامل مكمل واصل موصل فانه دليل هذا الطريق (قال الحافظ) بكوى عشق منه بى دليل راه قدم * كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد * (وقال ايضا) شبان وادئ ايمن كهى رسد بمراد * كه چند سال بجان خدمت شعيب كند * وفى الاية اشارة الى تعظيم ما عظمه الله من الزمان والمكان والاخوان وقد فضل الاشهر والايام والاوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والامم بعضها على بعض لتتسارع القلوب الى احترامها وتتشوق الارواح الى احيائها بالتعبد فيها ويرغب الخلق فى فضائلها وفضل الامكنة بعضها على بعض ليعظم الاجر بالاقامة فيها وخلق الله الناس سعيدا وشقيا والعبرة بالخاتمة وكل مخلوق من حيث انه مخلوق الله حسن حتى انه ينبغى ان يكون النظر الى الكافر من حيث انه مخلوق الله لا من حيث كفره وان لم يرض بكفره فعلى الناظر بنظر التوحيد ان يحسن النظر ولا يحقر احدا من خلق الله ولا يشتغل بالعداوة والبغضاء (قال السعدى) دلم خانه مهر يارست وبس * ازان مى بكنجد درو كين كس * ومن كلمات اسد الله كرم الله وجهه العداوة شغل يعنى من اشتغل بالعداوة ينقطع عن الاشتغال بالامور المفيدة النافعة لان القلب لا يسع الاشتغالين المتضادين هركه پيشه كند عداوت خلق * از همه چيزها جدا كردد * كه دلش خسته عنا باشد * كه تنش بسته بلا كردد * وكان صلى الله عليه وسلم موصوفا بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال فعليك ان تقتدى به ولما مدح الله الانبياء عليهم السلام ووصف كل نبى بصفة قال له تعالى فبهداهم اقتده ففعل فصار مستجمعا لكمال خصال الخير وكان كل واحد منهم مخصوصا بخصلة مثل نوح بالشكر وابراهيم بالحلم وموسى بالاخلاص واسماعيل بصدق الوعد ويعقوب وايوب بالصبر وداود بالاعتذار وسليمان بالتواضع وعيسى بالزهد فلما اقتدى بهم اجتمع له الكل فانت ايها المؤمن من امة ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فاتق الله واستحى من رسول الله كى تنجو من العقاب الشديد والعذاب المديد وتظفر بالخلد الباقى والنعيم المقيم وتنال ما نال اليه ذو القلب السليم (حرمت عليكم الميتة) اى تناولها فان التحليل والتحريم انما يتعلقان بالافعال دون الاعيان والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح (والدم) اى الدم المسفوح اى المصبوب كالدماء التى فى العروق لا الكبد والطحال وكان اهل الجاهلية يصبونها فى امعاء ويشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له اى من فصد له (ولحم الخنزير) لعينه لا لكونه ميتة حتى لا يحل تناوله مع وجود الذكاة فيه وفائدة تخصيص لحم الخنزير بالذكر دون لحم الكلب وسائر السباع ان كثيرا من الكفار الفوا لحم الخنزير فخص بهذا الحكم وذلك ان سائر الحيوانات المحرم اكلها اذا ذبحت كان لحمها طاهرا لا يفسد الماء اذا وقع فيه وان لم يحل اكله بخلاف لحم الخنزير قال فى التنوير وليس الكلب بنجس العين قال العلماء الغذاء يصير جزأ من جوهر المغتذى ولا بد وان يحصل للمغتذى اخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا فى الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة فى المشتهيات فحرم اكله على الانسان لئلا يتكيف بتلك الكيفية ومن جملة خبائث الخنزير انه عديم الغيرة فانه يرى الذكر من الخنازير ينزو على انثى له ولا يتعرض له لعدم غيرته فاكل لحمه يورث عدم الغيرة (وما اهل لغير الله به) اى رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى قال الفقهاء ولو سمى الذابح النبى عليه السلام مع الله فقال باسم الله ومحمد حرمت الذبيحة وفى الحديث لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله قال النووى المراد به الذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم او لموسى او لغيرهما ذكر الشيخ الماوردى ان ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا اليه افتى اهل بخارى بتحريمه لانه مما اهل به لغير الله وقال الرافعى هذا غير محرم لانهم انما يذبحونه استبشارا بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب التحريم كذا فى شرح المشارق لابن ملك (والمنخنقة) اى التى

ماتت

ماتت بالخنق وهو احتباس النفس بسبب انعصار الحلق والمنخنقة حرام سواء حصل اختناقها بفعل آدمى اولا مثل ان يتفق ان تدخل البهيمة برأسها بين عودين من شجرة فتختنق فتموت وكان اهل الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت اكلوها وهذه المنخنقة من جنس الميتة لانها ماتت من غير تذكية (والموقوذة) المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته قال قتادة كانوا يضربونها بالعصى فاذا ماتت اكلوها وهى فى معنى المنخنقة ايضا الا انها ماتت ولم يسل دمها (والمتردية) التى تردت من مكان عال او فى بئر فماتت قبل الذكاة والتردى هو السقوط مأخوذ من الردى وهو الهلاك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم اذا ترديت رميتك من جبل فوقعت فى ماء فلا تأكل فانك لا تدرى اسهمك قتلها ام الماء فصار هذا الكلام اصلا فى كل موضع اجتمع فيه معنيان احدهما حاظر والآخر مبيح انه يغلب جهة الحظر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهة فدع ما يريبك الى ما لا يريبك ألا وان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وعن عمر رضى الله عنه انه قال كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة الربا (والنطيحة) التى نطحتها اخرى فماتت بالنطح وهو بالفارسية سر وزدن والتاء فى هذه الكلمات الاربع لنقلها من الوصفية الى الاسمية وكل ما لحقته هذه التاء يستوى فيه المذكر والمؤنث وقيل التاء فيها لكونها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كانه قيل حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة وخصت الشاة بالذكر لكونها اعم ما يأكله الناس والكلام يخرج على الاعم الاغلب ويكون المراد الكل (وما اكل السبع) اى وما اكل منه السبع فمات وكان اهل الجاهلية يأكلونه والسبع اسم يقع على ماله ناب ويعدو على الانسان والدواب ويفترسها كالاسد وما دونه وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل (الا ما ذكيتم) اى الا ما ادركتم ذكاته من هذه الاشياء وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح فانه يحل لكم فاما ما صار بجرح السبع الى حالة المذبوح فهو فى حكم الميتة فلا يكون حلالا وان ذبحته وكذلك المتردية والنطيحة اذا ادركتها حية قبل ان تصير الى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالا ولو رمى الى صيد فى الهوى واصابه فسقط على الارض ومات كان حلالا لان الوقوع على الارض من ضرورته وان سقط على جبل او شجر ثم تردى منه فمات فلا يحل وهو من المتردية الا ان يكون السهم اصاب مذبحه فى الهواء فيحل كيف ما وقع لان الذبح قد حصل باصابة السهم المذبح واما ما ابين من الصيد قبل الذكاة فهو ميتة والذكاة فى الشرع بقطع الحلقوم والمرى وهو اسم لما اتصل بالحلقوم وهو الذى يجرى فيه الطعام والشراب واقل الذكاة فى الحيوان المقدور عليه قطع الحلقوم والمرى وكماله ان يقطع الودجان معهما ويجوز بكل محدد من حديد او قصب او زجاج او حجر او نحوها فان جمهور العلماء على ان كل ما افرى الاوداج وانهر الدم فهو من آلات الذكاة ما خلا السن والظفر والعظم ما لم يكن السن والظفر منزوعين لان الذبح بهما يكون خنقا واما المنزوعان منهما اذا افريا الاوداج فالذكاة جائزة بهما عندهم والذكاة الذبح التام الذى يجوز معه الاكل ولا يحرم لان اصل الذكاة اتمام الشئ ومنه الذكاء فى الفهم اذا كان تام العقل وفى الحديث الذكاة ما بين اللبة واللحيين فعلى هذا اللحم القديد الذى يجيء الى دار الاسلام من دار افلاق لا يجوز اكله لانهم يضربون رأس البقر ونحوه بفأس ومثله فيموت فلا توجد الذكاة (وما ذبح على النصب) النصب واحد الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة قال الامام من الناس من قال النصب هى الاوثان وهذا بعيد لان هذا معطوف على قوله وما اهل لغير الله به وذلك هو الذبح على اسم الاوثان ومن حق المعطوف ان يكون مغايرا للمعطوف عليه وقال ابن جريج النصب ليست باصنام فان الاصنام احجار مصورة منقوشة وهذه النصب احجار كانوا نصبوها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للاصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويضعون اللحوم عليها فقال المسلمون يا رسول الله كان اهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم ونحن احق ان نعظمه وكان عليه السلام لم يكره ذلك فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الى هنا كلام الامام (وان تستقسموا بالازلام) جمع زلم وهو القدح اى وحرم عليكم الاستقسام بالقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة قداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى والثالث غفل اى خال عن الكتابة فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بواسطة

ضرب القداح وقيل هو استقسام الجزور بالقداح على الانصباء المعلومة اى طلب معرفة كيفية قسمة الجزور وقد تقدم تفصيله عند تفسير قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر فى سورة البقرة (ذلكم) اشارة الى الاستقسام بالازلام (فسق) اى تمرد وخروج عن الحدود دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافترآء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربى وشرك وجهالة ان كان هو الصنم فظاهر هذه الآية يقتضى ان العمل على قول المنجمين لاتخرج من اجل نجم كذا واخرج من اجل نجم كذا فسق لان ذلك دخول فى علم الغيب ولا يعلم الغيب الا الله كذا فى تفسير الحدادى واعلم ان استعلام الغيب بالطريق الغير المشروع كاستعلام الخير والشر من الكهنة والمنجمين منهى عنه بخلاف استعلام الغيب بالاستخارة بالقرءآن وبصلاة الاستخارة ودعائها وبالنظر والرياضة لانه استعلام بالطريق المشروع وان طلب ما قسم له من الخير ليس منهيا عنه مطلقا بل المنهى عنه هو الاستقسام بالازلام وفى الحديث العيافة والطرق والطيرة من الجبت والمراد بالطرق الضرب بالحصى وفى الحديث من تكهن او استقسم او تطير طيرة ترده من سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة (اليوم) اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية ونظيره قولك كنت بالامس شابا واليوم قد صرت شيخا فانك لاتريد بالامس اليوم الذى قبل يومك ولا باليوم اليوم الذى انت فيه وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة يوم عرفة حجة الوداع والنبى عليه السلام واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت وايا ما كانت فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى (يئس الذين كفروا من دينكم) اى من ابطالكم اياه ورجوعكم عنه بان تحللوا هذه الخبائث بعد ان جعلها الله محرمة او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله تعالى (فلا تخشوهم) اى من ان يظهروا عليكم (واخشون) واخلصوا الى الخشية (اليوم اكملت لكم دينكم) بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرآئع وقوانين الاجتهاد (واتممت عليكم نعمتى) بالهداية والتوفيق او باكمال الدين والشرآئع او بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهى عن حج المشركين وطواف العريان (ورضيت لكم الاسلام دينا) اى اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لاغير فقوله دينا نصب حال من الاسلام ويجوز ان يكون رضيت بمعنى صيرت فقوله دينا مفعول ثان له قال جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل عليه السلام قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين آية فى كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اى آية قال اليوم اكملت الخ قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبى عليه السلام وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا قال ابن عباس رضى الله عنه كان ذلك اليوم خمسة اعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس ولم تجتمع اعياد اهل الملل فى يوم قبله ولا بعده وروى انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضى الله عنه فقال النبى عليه السلام ما يبكيك يا عمر قال ابكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية تنعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وقيل توفى يوم الثانى عشر من شهر ربيع الاول وكانت هجرته فى الثانى عشر منه (قال السعدى) جهان اى برادر نماند بكس * دل اندر جهان آفرين بند وبس * جهان اى پسر ملك جاويد نيست * ز دنيا وفادارى اميد نيست * منه دل برين سال خورده مكان * كه كنبد نپايد بروكردكان (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات (فى مخمصة) اى مجاعة يخاف منها الموت او مباديه (غير متجانف لاثم) حال من فاعل الجواب المحذوف اى فليتناول مما حرم غير مائل ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او ينتزعها من مضطر آخر كقوله تعالى غير باغ ولا عاد (فان الله غفور رحيم) لا يؤاخذه بأكلها وهو تعليل للجواب المقدر وروى ان رجلا قال يا رسول الله

انا نكون بارض فتصيبنا المخمصة فتى تحل لنا الميتة فقال ما لم تصطبحوا او تغتبقوا او تحتفئوا بها بقلا فشأنكم بها ومن امتنع من الميتة حال المخمصة او صام ولم يأكل حتى مات اثم بخلاف من امتنع من التداوى حتى مات فانه لا يأثم لانه لا يقين بان هذا الدوآء يشفيه ولعله يصح من غير علاج والاشارة فى الآيات ان ظاهرها خطاب لاهل الدنيا والآخرة وباطنها عتاب لاهل الله وخاصته حرمت عليكم يا اهل الحق الميتة وهى الدنيا باسرها (قال فى المثنوى) درجهان مرده شان آرام نيست * كين علف جز لايق انعام نيست * والدم ولحم الخنزير يعنى حلالها وحرامها قليلها وكثيرها وذلك لان من الدم ما هو حلال والخنزير كله حرام والدم بالنسبة الى اللحم قليل واللحم بالنسبة الى الدم كثير وما اهل لغير الله به يعنى كل طاعة وعبادة وقرآءة ودراسة ورواية تظهرون به لغير الله والمنخنقة والموقوذة يعنى الذين يخنقون نفوسهم بالمجاهدات ويقذونها بانواع الرياضات بنهيها عن المرادات وزجرها عن المخالفات للرياء والسمعة والمتردية والنطيحة الذين يردون نفوسهم من اعلى عليين الى اسفل سافلين بالتناطح مع الاقران والمماراة مع الاخوان والتفاخر بالعلم والزهد بين الاخدان وفى قوله وما اكل السبع الا ما ذكيتم اشارة الى انه فيما تحتاجون اليه من القوت الضرورى كونوا محترزين من اكيلة السباع وهم الظلمة الذين يتهاوشون فى جيفة الدنيا تهاوش الكلاب ويتجاذبونها بمخالب الاطماع الفاسدة الا ما ذكيتم بكسب حلال ووجه صالح بقدر ضرورة الحال وما ذبح على النصب يشير الى ما ذبح عليه النفس بانواع الجد والاجتهاد من المطالب الدنيوية والاخروية وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق يعنى لاتكونوا مترددين متفئلين فى طلب المرام مبتغين لحصول المقصود متهاونين فى بذل الوجود فاذا انتهيتم عن هذه المناهى وتخلصتم من هذه الدواهى واخلصتم لله فى الله بالله وخرجتم عن سجن الانانية وسجين الانسانية بالجذبات الربانية فقد عادت ليلتكم نهارا وظلمتكم انوارا اليوم يئس الذين كفروا من النفس وصفاتها والدنيا وشهواتها من دينكم وتيقنوا ان ما بقى لكم الرجوع الى ملتهم ولا الصلاة الى قبلتهم فلا تخشوهم فانكم خلصتم من شبكة مكايدهم ونجوتم من عقد مصايدهم واخشونى فان كيدى متين وصيدى مهين وبطشى شديد وحبسى مديد اليوم اشارة الى الازل اكملت لكم دينكم اى جعلت الكمالية فى الدين من الازل نصيبا لكم من جميع اهل الملل والاديان واتممت عليكم نعمتى التى انعمت بها عليكم فى الازل من الكمالية الآن باظهار دينكم على الاديان كلها فى الظاهر واما فى الحقيقة فسيجئ شرحه ورضيت لكم الاسلام دينا تستكملون به الى الابد بحيث من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وذلك لان حقيقة الدين هى سلوك سبيل الله بقدم الخروج عن الوجود المجازى للوصول الى الوجود الحقيقى والانسان مخصوص به من سائر الموجودات ولهذه الامة اختصاص بالكمالية فى السلوك من سائر الامم فالدين من عهد آدم عليه السلام كان فى التكامل بسلوك الانبياء سبيل الحق الى عهد النبى عليه السلام فكل نبى سلك فى الدين مسلكا انزله بقربه من مقامات القرب ولكن ما خرج احد منهم بالكلية عن الوجود المجازى للوصول الى الوجود الحقيقى بالكمال فقيل للنبى عليه السلام اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فسلك النبى جميع المسالك التى سلكها الانبياء باجمعهم فلم يتحقق له الخروج ايضا بقدم السلوك عن الوجود المجازى بالكلية حتى تداركته العناية الازلية لاختصاصه بالمحبوبية بجذبات الربوبية واخرجته من الوجود المجازى ليلة اسرى بعد ما عبر به على الانبياء كلهم وبلغ فى القرب الى الكمالية فى الدنو وهو سر او ادنى فاستسعد سعادة الوصول الى الوجود الحقيقى فى سر فاوحى الى عبده ما اوحى وفى الحقيقة قيل له فى تلك الحالة اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ولكن فى حجة الوداع فى يوم عرفة عند وقوفه بعرفات اظهر على الامة عند اظهاره على الاديان كلها وظهور كمالية الدين بنزول الفرآئض والاحكام بالتمام فقال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ويدل على هذا التأويل ما روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل ابتنى بيوتا فاحسنها واجملها واكملها الا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون الا وضعت ههنا لبنة فيتم بناؤها قال محمد صلى الله عليه وسلم فانا اللبنة متفق على صحته فصح ما قرر من مقامات الانبياء وتكامل الدين بهم وكماليته بالنبى عليه السلام وبخروجه عن الوجود المجازى بالكلية وان الانبياء لم يخرجوا

منه بالكلية ويدل على هذا المعنى ايضا ان الانبياء كلهم يوم القيامة يقولون نفسى نفسى ابقية الوجود والنبى
عليه السلام امتى امتى لفناء الوجود فافهم جدا ومن كرامة هذه الامة اشتراكهم فى كمالية الدين مع النبى
بمتابعته وقال واتممت عليكم نعمتى وهى اسباب تحصيل الكمال ومعظمها بعثة النبى عليه السلام ورضيت
لكم الاسلام دينا وهو استسلام الوجود المجازى الى النبى وخلفائه بعده ليطرح عليها اكسير المتابعة فيبدل
الوجود المجازى المحبى بالوجود الحقيقى المحبوبى كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم يعنى ويغفر بالوجود الحقيقى ذنوب الوجود المجازى فافهم جدا وتنبه فمن اضطر فى مخمصة يعنى
فمن ابتلى بالتفات شئ من الدنيا والآخرة مضطرا اليه فى غاية الاضطرار والامتلاء لسر التربية غير متجانف
لاثم يعنى غير مائل اليه للاعراض عن الحق ولكن من فترة تقع للصادقين او وقفة تكون للسالكين ثم يتداركونها
بصدق الالتجاء الى الحق وارواح المشايخ والاستعانة بهم وطلب الاستغفار عن ولاية النبوة واعانتهم فان الله
غفور لما ابتلاهم به رحيم بان يهديهم الى الصراط المستقيم باقامة الدين القويم كذا فى التأويلات النجمية
(يسألونك ماذا احل لهم) ما للاستفهام وذا بمعنى الذى والمعنى ما الذى احل لهم من المطاعم ان قلت مفعول
يسأل انما يكون مفردا فكيف وقع على الجملة قلت لتضمن السؤال معنى القول (قل احل لكم الطيبات)
اى ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما فى قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث
والطيب فى اللغة المستلذ المشتهى فالتقدير كل ما يستلذ ويشتهى والعبرة فى الاستلذاذ والاستطابة باهل المروءة
والاخلاق الجميلة فان اهل البادية يستطيبون اكل جميع الحيوانات كذا قال الامام فى تفسيره (وما علمتم)
عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف اى وصيد ما علمتموه (من الجوارح)
حال من الموصول جمع جارحة بمعنى كاسبة قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار وجوارح الانسان اعضاؤه التى
يكتسب بها ويحتمل ان يكون من الجرح بمعنى تفريق الاتصال فان الجوارح تجرح الصيد غالبا والمراد
بالجوارح فى الاية كل ما يكسب الصيد على اهله من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب ومن سباع الطير
كالصقر والبازى والعقاب والنسر والباشق والشاهين ونحوها مما يقبل التعليم فان صيد جميعها حلال
(مكلبين) اى معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد ومضريها عليه مشتق من الكلب
وذكر الكلب لكونه اقبل للصيد والتأديب فيه وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم فان قلت يلزم ان يكون
المعنى وصيد ما علمتم معلمين ولا فائدة قلت فائدتها المبالغة فى التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير
فى علمه فكانه قيل وما علمتم ماهرين فى تعليم الجوارح حاذقين فيه مشتهرين به (تعلمونهن) حال ثانية
(مما علمكم الله) من الحيل وطرق التعليم والتأديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذى هو
منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وان ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه
الصيد ولا يأكل منه قال صاحب الكشاف قوله تعالى تعلمونهن مما علمكم الله فيه تنبيه على ان كل من يأخذ
علما ينبغى ان يأخذه ممن هو متبحر فى ذلك العلم غواص فى بحار لطائفه وحقائقه وان احتاج فى ذلك ارتكاب
سفر بعيد قال عليه السلام اطلبوا العلم ولو بالصين فكم من آخذ من غير متقن ضيع ايامه وعض عند لقاء
النحارير انامله (فكلوا مما امسكن عليكم) من تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام
والريش وما موصولة حذف عائدها وعلى متعلقه بامسكن اى فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذى
لم يأكل منه واما ما اكل منه فهو مما امسكن على انفسهن لقوله عليه السلام لعدى بن حاتم وان اكل منه
فلا تأكل انما امسكه على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم ومنهم ابو حنيفة يؤكل مما بقى من جوارح
الطير ولا يؤكل مما بقى من الكلب والفرق انه يمكن ان يؤدب الكلب على الاكل بالضرب ولا يؤدب البازى
على الاكل (واذكروا اسم الله عليه) الضمير لما فى ما علمتم اى سموا عليه عند ارساله او لما فى ما امسكن اى سموا
عليه اذا ادركتم ذكاته وعن ابى ثعلبة قال قلت يا نبى الله انا بارض قوم اهل كتاب افنأكل فى آنيتهم
وبارض صيد اصيد بقوسى وبكلبى الذى ليس بمعلم وبكلبى المعلم فما يصلح لى قال اما ما ذكرت من آنية اهل
الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله
فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل وعن انس

رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يضحى بكبشين املحين اقرنين يطأ على صفاحهما ويذبحهما
بيده ويقول بسم الله والله اكبر كذا فى تفسير البغوى والمستحب ان يقول بسم الله الله اكبر بلا واو لان ذكر الواو
يقطع فور التسمية كما فى شرح مختصر الوقاية وكره ترك التوجه الى القبلة وحلت كذا فى الذخيرة ومتروك التسمية
عمدا حرام لانه ميتة بخلاف متروكها نسيانا فانه حلال (واتقوا الله) فى شأن محرماته (ان الله سريع الحساب)
سريع اتيان حسابه او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم فى اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين انه
يؤاخذكم سريعا فى كل ما جل ودق ودلت الاية على اباحة الصيد قال فى الاشباه الصيد مباح الا للتلهى او حرفة
كذا فى البزازية وعلى هذا فاتخاذه حرفة كصيادى السمك حرام (يحكى) عن ابراهيم بن ادهم انه قال كان ابى
من ملوك خراسان فركبت الى الصيد فاثرت ارنبا اذ هتف بى هاتف يا ابراهيم الهذا خلقت ام بهذا امرت
ففزعت ودفعت ثم اخذت ففعلت ثانيا ثم هتف هاتف من قربوس السرج والله ما لهذا خلقت ولا بهذا امرت
فنزلت فصادفت راعى ابى ولبست جبته وتوجهت الى مكة ولما نزلت هذه الاية اذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى اقتناء الكلاب التى ينتفع بها ونهى عن اقتناء ما لا ينتفع بها وامر بقتل الكلب العقور وبما يضر ويؤذى
ورفع عما سواها مما لا ضرر فيه وفى الحديث من اتخذ كلبا الا كلب ماشية او صيد او زرع انتقص من اجره كل
يوم قيراط والحكمة فى ذلك انه ينبح الضيف ويروع السائل كذا فى تفسير الحدادى وفى الحديث لا تدخل
الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب والمراد بالملائكة ملائكة الرحمة والاستغفار اى النازلون بالبركة
والرحمة والطائفون على العباد للزيارة واستماع الذكر لا الكتبة فانهم لا يفارقون المكلفين طرفة عين والمراد
بالصورة صورة ذى الروح لمشابهته بيوت الاصنام وبعض الصور يعبد فابغض الاشياء الى الخواص ما عصى
الله به واما الكلب فلانه نجس فاشبه المتبرز وزاد فى بعض الاحاديث ولا جنب الا ان يتوضأ قال فى الترغيب
والترهيب ورخص للجنب اذا نام او اكل او شرب ان يتوضأ ثم قيل هذا فى حق كل من اخر الغسل لغير عذر
ولعذر اذا امكنه الوضوء فلم يتوضأ وقيل هو الذى يؤخره تهاونا وكسلا ويتخذ ذلك عادة انتهى قال فى الشرعة
وشرحها لابن السيد على وينام بعد الوطئ نومة خفيفة فانه اروح للنفس لكن السنة فيه ان يتوضأ اولا وضوءه
للصلاة ثم ينام وكذا اذا اراد الاكل جنبا ولو اراد العود فليتوضأ والمراد به التنظف بغسل الذكر واليدين
لا الوضوء الشرعى كما ذهب اليه بعض المالكية والاشارة فى الاية ان ارباب الطلب واصحاب السلوك يسئلونك
ماذا احل لهم او حرم عليهم من الدنيا والاخرة كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا حرام على اهل الاخرة والاخرة
حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله تعالى قل احل لكم الطيبات وهى ما لا يقطع عليكم طريق
الوصول الى الله فان الله طيب لا يقبل الا الطيب وكل مأكول ومشروب وملبوس ومقول ومعقول ومعمول
طلبتموه بحظ من الحظوظ فقد لوثتموه للوث داعى الوجود فهو من الخبيثات لا يصلح الا للخبيثين وما طلبتموه
بالحق للقيام باداء الحقوق طيبا بنفحات الشهود فهو من الطيبات لا يصلح الا للطيبين وفى قوله ان الله سريع
الحساب اشارة الى انه تعالى يحاسب العباد على اعمالهم قبل ان يفرغوا منها ويجازيهم فى الحال بالاحسان
احسان القربة ورفعة الدرجة وجذبة العناية وبالاساءة اساءة البعد والطرد الى السفل والخذلان (ونعم ما قيل)
هركه كند بخود كند ورهمه نيك وبد كند (قال الصائب) جز از غير شكايت كنم كه همچو حباب * هميشه
خانه خراب هواى خويشتنم (اليوم) اراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والاتية او يوم
النزول (احل لكم الطيبات) وهى ما لم تستخبثه الطباع السليمة وهى طباع اهل المروءة والاخلاق الجميلة
او ما لم يدل نص شارع ولا قياس مجتهد على حرمته (وطعام الذين اوتوا الكتاب) اى اليهود والنصارى والمراد
بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها (حل لكم) اى حلال وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب
فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده
وقال صاحباه هما صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم
فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب فى اخذ الجزية منهم دون اكل
ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم
ولو ذبح يهودى او نصرانى على اسم غير الله كالنصرانى يذبح باسم المسيح فذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل

فان الله قد احل ذبايحهم وهو يعلم مايقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودى او النصرانى فذكر اسم غير الله
وانت تسمع فلاتأكله واذا غاب عنك فكل فقد احل الله لك (وطعامكم حل لهم) فلا عليكم ان تطعموهم
وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك (والمحصنات من المؤمنات) رفع على انه مبتدأ حذف خبره لدلالة
ماتقدم عليه اى حل لكم ايضا والمراد بهن الحرآئر والعفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ماهو الاولى
لالنفى ماعداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات
فهن كالمسلمات عند ابى حنيفة خلافا للشافعى (والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) اى هن ايضا
حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضى الله عنه لاتحل الحربيات قال الحدادى واستدل بعض الفقهاء
بظاهر الآية على انه لايجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية والصحيح انه يجوز بظاهر قوله تعالى باذن اهلهن بدليل
حل ذبايحهن وانما خص الله المحصنات باباحة نكاحهن مع جواز نكاح غيرهن لان الاية خرجت مخرج
الامتنان والمنة فى نكاح الحرآئر العفائف اعظم واتم يدل على ذلك انه لاخلاف فى جواز النكاح بين المسلم
والامة المؤمنة وان كان فى الآية تخصيص المحصنات من المؤمنات والافضل لمن اراد النكاح ان لايعدل
عن نكاح الحرآئر الكتابيات مع القدرة عليهن وذلك ان نكاح الامة يؤدى الى ارقاق الولد لان الولد يتبع
امه فى الرق والحرية ولا ينبغى لاحد ان يختار رق ولده كما لاينبغى ان يختار رق نفسه (اذا آتيتموهن اجورهن)
اى مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتأكيد وجوبها والحث على الاولى واذا ظرفية عاملها حل المحذوف
(محصنين) حال من فاعل آتيتموهن اى حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله (غير مسافحين) اى غير مجاهرين
بالزنى (ولا متخذى اخدان) اى ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى قال الشعبى الزنى ضربان
السفاح وهو الزنى على سبيل الاعلان واتخاذ الخدن وهو الزنى فى السر والله تعالى حرمهما فى هذه الاية واباح
التمتع بالمرأة على جهة الاحصان (ومن يكفر بالايمان) اى ومن ينكر شرآئع الاسلام التى من جملتها مابين ههنا
من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها (فقد حبط عمله) اى بطل عمله الصالح الذى عمله قبل ذلك
(وهو فى الآخرة من الخاسرين) هو مبتدأ من الخاسرين خبره وفى متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق
قال الحدادى فقد بطل ثواب عمله وهو فى الاخرة من المغبونين غبن نفسه ومنزله وصار الى النار لايغنى عن المرأة
الكتابية اسلام زوجها ولا ينفعها ذلك ولا يضر المسلم كفر زوجته الكتابية (قال السعدى) برفتند وهر كس
درود آنچه كشت * نماند بجز نام نيكو وزشت * واعلم ان الكفر اقبح القبايح كما ان الايمان احسن
المحاسن وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله جنة عدن خلق فيها مالاعين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمى فقالت قد افلح المؤمنون ثلاثا وعن كعب الاحبار
ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما من بين اولاده وقال اوصيك باثنتين وانهاك عن اثنتين فاما
الاوليان فاحداهما شهادة ان لا اله الا الله فانها تخرق السموات السبع ولا يحجبها شئ ولو وضعت السموات
والارض ومافيهن فى كفة ووضعت هى فى الاخرى لرجحت واما الثانية فان تكثر من قول سبحان الله والحمد لله
فانها جامعة للثواب واما الاخريان فالشرك بالله والاتكال على غير الله قال القاضى عياض انعقد الاجماع على
ان الكفار لاتنفعهم اعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب لكن بعضهم يكون اشد من بعض بحسب
جرآئمهم واما حسناتهم فقبولة بعد اسلامهم على ماورد فى الحديث قال فى نصاب الاحتساب مايكون كفرا
بلاخلاف يوجب احباط العمل ويلزمه اعادة الحج ان كان قد حج ويكون وطئه مع امرأته حراما والولد المتولد
فى هذه الحالة يكون ولد الزنى وان كان اتى بكلمة الشهادة بعد ذلك اذا كان الاتيان على وجه العادة ولم يرجع عما
قال لان الاتيان بكلمة الشهادة على وجه العادة لايرفع الكفر وما كان فى كونه كفرا اختلاف فان قائله يؤمر
بتجديد النكاح والتوبة والرجوع عن ذلك بطريق الاحتياط واما ما كان خطأ من الالفاظ ولا يوجب الكفر
فقائله مؤمن على حاله ولا يؤمر بتجديد النكاح ويؤمر بالاستغفار والرجوع عن ذلك انتهى كلام النصاب
والرجل والمرأة فى ذلك سوآء حتى لو تكلمت المرأة بما يكون كفرا تبين من زوجها فعلى العبد الصالح ان يختار
من النساء صالحة عفيفة متقية قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره لاتعطى الولاية لولد
الزنى قال والشكر لله تعالى على ان جعلنى اول ولد ولدته امى فانه ابعد من ان يصدر الفاظ الكفر من احد ابوى قال

وارثه الاكبر الشيخ الشهير بالهدايى قدس سره قلت والفقير كذلك والاشارة فى الاية احل لكم يا ارباب الحقيقة
فى اليوم الذى قدر كمالية الدين فيه لكم فى الازل جميع الطيبات التى تتعلق بسعادة الدارين بل احل لكم التخلق
بالاخلاق الطيبات وهى اخلاق الله المنزهات عن الكميات والكيفيات المبرءآت من النقائص والشبهات وطعام
الذين اوتوا الكتاب وفى الحقيقة هم الانبياء عليهم السلام حل لكم اى غذيتم بلبان الولاية كما غذوا بلبان النبوة
من حلمتى الشريعة والحقيقة وطعامكم حل لهم يعنى منبع لبن النبوة والولاية واحد وان كان الثدى اثنين
فشربتم لبان الطافنا من مشرب الولاية وشرب الانبياء لبان افضالنا من مشرب النبوة قد علم كل اناس
مشربهم وللنبى عليه السلام شركة فى المشارب كلها وله اختصاص فى مجلس المقام المحمود من المحبوب بمشرب
ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى لايشاركه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل وكذلك حل لكم المحصنات من
المؤمنات وهى ابكار حقائق القرآن التى احصنت من افهام الازواج المؤمنات بها وهى ازواج العلماء
وخواص هذه الامة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وهى ابكار حقائق الكتب المنزلة على الامة
السالفة التى احصنت من الذين انزل عليهم الكتب وادرجت فى القرآن واخفيت لكم كما قال تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفى لهم يعنى فى القرآن من قرة اعين وهى ابكار حقائق جميع الكتب المنزلة فافهم جدا كلها الكم
اذا آتيتموهن اجورهن اى مهور هذه الابكار وهى بذل الوجود محصنين يعنى متعففين فى بذل الوجود فيكون
على وجه الحق وبتصرف المشايخ الواصلين غير مسافحين على وفق الطبع وخلاف الشرع وبتصرف الهوى
ولا متخذى اخدان يعنى فى بذل الوجود لايكون ملتفتا الى شئ من الكونين ولا الى احد فى الدارين سوى الله
ليكون هو المشرب ومنه الشراب وهو الحريف والساقى ومن يكفر بالايمان بهذه المعاملات والكمالات اذ حرم
عن العيان من هذه السعادات فقد حبط عمله الذى عمله على العمياء والتقليد وهو فى الاخرة من الخاسرين
الذين خسروا الدنيا والعقبى والمولى كذا فى التأويلات النجمية (ياايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) المراد
بالقيام اما القيام الذى هو من اركان الصلاة فالتقدير اذا اردتم القيام لها بطريق اطلاق اسم المسبب على
السبب لان الجزآء لابد وان يتأخر عن الشرط يعنى صحة قيام الصلاة بالطهارة واما القيام الذى هو من
مقدمات مباشرة الصلاة فالتقدير اذا قصدتم الصلاة اطلاقا لاسم احد لازميها على لازمها الآخر فالوضوء من
شرآئط القيام الاول دون الثانى وهذا الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال فلا يلزم الوضوء على كل قائم
الى الصلاة سوآء كان محدثا اولا كما يقتضيه ظاهر الاية (فاغسلوا وجوهكم) الغسل اجرآء الماء على المحل
وتسييله سوآء وجد معه الدلك اولا والوجه مايواجهك من الانسان وحده من قصاص الشعر الى اسفل الذقن
طولا ومن شحمة الاذن الى شحمة الاذن عرضا يجب غسل جميعه فى الوضوء ويجب ايصال الماء الى ما تحت
الحاجبين واهداب العينين والشارب والعذار والعنفقة وان كانت كثيفة وعند الامام لايجب غسل ماتحت
الشعر ففرض اللحية عنده مسح مايلاقى الوجه دون مااسترسل من الذقن لانه لما سقطت فرضية غسل ماتحت
اللحية انتقلت فرضيته الى خلفه وظاهر الاية ان المضمضة والاستنشاق غير واجبين فى الوضوء لان اسم الوجه
يتناول الظاهر دون الباطن فهما من السنن (وايديكم الى المرافق) الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول
ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم والمرافق جمع مرفق وهو مجتمع طرفى
الساعد والعضد ويسمى مرفقا لانه الذى يرتفق به اى يتكأ عليه من اليد (وامسحوا برؤسكم) الباء
مزيدة كما فى القى بيده والمسح الاصابة وقدر الواجب عن ابى حنيفة ربع الرأس لانه عليه السلام مسح على
ناصيته وهو قريب من الربع فان للرأس جوانب اربعة ناصية وقذال وفودان والقذال مؤخر الرأس خلف
الناصية وفودا الرأس جانباه فى الواقعات المحمودية قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى انكشف لى وجه
الاختلاف فى مقدار مسح الناصية وهو ان بدن الانسان مربع فبالقياس اليه ينبغى ان يكون الممسوح ربع
الرأس وما اعتبار قدر ثلاثة اصابع فبالنظر الى حال نفس الرأس فانه مسدس والسدس فيه قدر ثلاثة اصابع
قال المرحوم حضرة محمود الهدايى قلت فحينئذ ينبغى ان يكون الاعتبار الاخير اولى لانه بالنظر الى حال نفسه
بخلاف الاول لانه بالقياس الى البدن فقال حضرة الشيخ افتاده وجه اولوية الاول ان البدن اكثر من
الرأس فاتباع الاقل بالاكثر اولى انتهى قال الحدادى واما مسح الاذنين فهو سنة فيمسح ظاهر اذنيه بابهاميه

وظاهرهما بمسحتيه بماء الرأس واما مسح الرقبة فمستحب وفى الحديث من مسح رقبته فى الوضوء امن من الغل يوم القيامة (وارجلكم الى الكعبين) بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وانما جاء التحديد فى المغسولات قال فى الاشباه غسل الرجلين افضل من المسح على الخفين لمن يرى جوازه والافهو افضل وكذا بحضرة من لا يراه انتهى وذهبت الروافض الى ان الواجب فى الرجلين المسح ورووا فى المسح خبرا ضعيفا شاذا قال صاحب الروضه خف الروافض مثل فى السعة لانه لا يرى المسح على الخف ويرى المسح على الرجلين فيوسعه ليتمكن من ادخال يده فيه ليمسح برجله وعن ابن المغيرة عن ابيه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فى سفر فقال امعك ماء قلت نعم فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عنى فى سواد الليل ثم جاء فافرغت عليه من الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من الصوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتى اخرجهما من اسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه ثم اهويت لانزع خفيه فقال دعهما فانى ادخلتهما طاهرين فمسح عليهما كذا فى تفسير البغوى واطبق العلماء على ان وجوب الوضوء مستفاد من هذه الاية ومن سنته النية فينوى رفع الحدث او اقامة الصلاة ليقع قربة واستعمال السواك فى غلظة الخنصر وطول الشبر حالة المضمضة تكميلا للانقاء او قبل الوضوء وعند فقده يعالج بالاصابع وينال بالاصبع ثواب السواك وفى الهداية الاصح ان السواك مستحب وعن مجاهد قال ابطأ جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم ثم اتاه فقال له النبى عليه السلام ما حبسك يا جبريل قال وكيف آتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ وما نتنزل الا بامر ربك والبراجم مفاصل الاصابع والعقد التى على ظاهرها يجتمع فيها من الوسخ وفى الحديث نقوا براجمكم فامر بتنقيتها لئلا تدرن فتبقى فيها الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة وفى الحديث نظفوا لثاكم جمع لثة بالتخفيف وهى اللحمة التى فوق الاسنان دون الاسنان فامر بتنظيفها لئلا يبقى فيها وحل الطعام فتتغير عليه النكهة وتتنكر الرائحة ويتأذى الملكان لانه طريق القرآن ومقعد الملكين وتنفر الملائكة من الرائحة الكريهة وفى الحديث ان العبد اذا تسوك ثم قام يصلى قام الملك خلفه فيستمع لقراءته فيدنو منه حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شئ من القرآن الا صار فى جوف الملك فطهروا افواهكم للقرآن وفى الحديث ركعتان بسواك افضل من سبعين ركعة بغير سواك ويقول المتوضى بعد التسمية الحمد لله الذى جعل الماء طهورا وعند المضمضة اللهم اسقنى من حوض نبيك كأسا لا اظمأ بعدها ابدا اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وتلاوة كتابك وعند الاستنشاق اللهم لا تحرمنى رائحة نعيمك وجنانك او يقول اللهم ارحنى من رائحة الجنة ولا ترحنى من رائحة النار وعند غسل الوجه اللهم بيض وجهى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه او يقول اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهى بذنوبى يوم تسود وجوه اعدائك وعند غسل اليد اليمنى اللهم اعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا وعند غسل اليد اليسرى اللهم لا تعطنى كتابى بشمالى ولا من وراء ظهرى وعند مسح الرأس اللهم حرم شعرى وبشرى على النار واظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك اللهم غشنى برحمتك وانزل على من بركاتك وعند مسح الاذنين اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وعند مسح رقبته اللهم اعتق رقبتى من النار وعند غسل الرجل اليمنى اللهم ثبت قدمى على الصراط يوم تزل فيه الاقدام وعند غسل الرجل اليسرى اللهم اجعل لى سعيا مشكورا وذنبا مغفورا وعملا مقبولا وتجارة لن تبور ويقول بعد الفراغ اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين الذين انعمت عليهم واجعلنى من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والحكمة فى تخصيص الاعضاء الاربعة فى الوضوء ان آدم عليه السلام لما توجه الى الشجرة بالوجه وتناولها باليد ومشى اليها بالرجل ووضع يده على رأسه أمره بغسل هذه الاعضاء تكفيرا للخطايا وقد جاء فى الحديث ان العبد اذا غسل وجهه خرجت خطاياه حتى تخرج من تحت اشفار عينيه وكذلك فى بقية الاعضاء وقيل خص بغسل هذه الاعضاء الامة المحمدية ليكونوا غرا محجلين بين الامم كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وددت انا قد رأينا اخواننا قالوا اولسنا اخوانك يا رسول الله قال انتم اصحابى

واخواننا الذين يأتون بعد قالوا كيف تعرف من يأتون بعد من امتك يا رسول الله فقال ارأيتم لو ان رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم الا يعرف خيله قالوا بلى يا رسول الله قال فانهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء وانا فرطهم على الحوض واعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضى الله عنه صنعت شيأ لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعنى بيانا للجواز يستحب تجديد الوضوء لكل فرض وفى الحديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وللتجديد اثر ظاهر فى تنوير الباطن وكان بعض اهل الله يتوضأ عند الغيبة والكذب والغضب لظهور غلبة النفس وتصرف الشيطان فالوضوء هو النور الذى به تضمحل ظلمات النفس والشيطان وكان على وجه بعضهم قرح لم يندمل اثنتى عشرة سنة لضرر الماء له وكان مع ذلك لم يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة ونزل فى عين بعضهم ماء اسود فقال الكحال لابد من ترك الوضوء اياما والا فلا يعالج فاختار ذهاب بصره على ترك الوضوء ودوام الطهارة مستجلب لمزيد الرزق كما قال عليه السلام دم على الطهارة يوسع عليك الرزق والسنة ان يصلى بعد الوضوء ركعتين تسمى شكر الوضوء وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال يا بلال حدثنى بارجى عمل عملته فى الاسلام فانى سمعت دف نعليك بين يدى فى الجنة قال ما عملت عملا ارجى عندى من انى لم اتطهر طهورا فى ساعة من ليل او نهار الا صليت بذلك الطهور ما كتب لى ان اصلى قال فى الاسرار المحمدية لابن فخر الدين الرومى ويصلى شكر الوضوء وان كانت فى الاوقات المكروهة لا الاوقات المحرمة كما قبل صلاة الفجر وبعدها وبعد صلاة العصر ايضا لانها من الصلوات ذوات الاسباب واما الاوقات المحرمة كطلوع الشمس وزوالها وغروبها فلا تجوز فيه اصلا فيصبر الى وقت اباحة الصلاة فيصليها حينئذ الا اذا كان بمكة عن جبير ان النبى عليه السلام قال يا بنى عبد مناف لا تمنعوا احدا طاف بهذا البيت وصلى اية شاء من ليل او نهار وعن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا بعد العصر حتى تغرب الشمس الا بمكة الا بمكة انتهى كلام الاسرار والاشارة فى الاية ان الخطاب فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا هو خطاب مع الذين آمنوا ايمانا حقيقيا عند خطاب ألست بربكم بقولهم بلى وهم اهل الصف الاول يوم الميثاق آمنوا بعد ما عاينوا واهل الصف الثانى آمنوا اذ شاهدوا واهل الصف الثالث آمنوا اذ سمعوا الخطاب واهل الصف الرابع آمنوا تقليدا لا تحقيقا لانهم ما عاينوا ولا شاهدوا ولا سمعوا خطاب الحق بسمع الفهم والدراية بل سمعوا اسماع القهر والنكاية فتحيروا حتى سمعوا جواب اهل الصفوف الثلاثة اذ قالوا بلى فقالوا بتقليدهم بلى فلا جرم ههنا ما آمنوا وهم الكفار وان آمنوا ما آمنوا على التحقيق بل بالتقليد او بالنفاق وهم المنافقون واهل الصف الثالث هم المسلمون وعوام المؤمنين فكما آمنوا هنالك بسماع الخطاب فكذلك ههنا آمنوا بالسماع كقوله تعالى اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا واما اهل الصف الثانى وهم خواص المؤمنين وعوام الاولياء فكما انهم آمنوا هنالك اذ شاهدوا فكذلك ههنا آمنوا بشواهد المعرفة كما قال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا ومن ههنا قال بعضهم ما نظرت فى شئ الا ورأيت الله فيه واما اهل الصف الاول وهم الانبياء وخواص الاولياء فكما آمنوا هنالك اذ عاينوا فكذلك ههنا آمنوا اذ عاينوا كقوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه وذلك فى ليلة المعراج اذ اوحى الى عبده ما اوحى قال آمن الرسول بما انزل اليه من ربه وكان ايمان موسى عليه السلام نوعا من هذا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين وقال على رضى الله عنه لم اعبد ربا لم اره وقال بعضهم رأى قلبى ربى وقال آخر ما نظرت فى شئ الا ورأيت الله فيه فخاطب اهل الصف الاول يا ايها الذين آمنوا تحقيقا ثم اهبطوا عن ممالك القرب الى مهالك البعد ومن رياض الانس الى سباخ الانس اذا قمتم عن نوم الغفلة وانتبهتم من رقدة الفرقة الى الصلاة هى معراجكم للرجوع الى مقام قربكم كما قال واسجد واقترب فاغسلوا وجوهكم التى توجهتم بها الى الدنيا ولطختموها بالنظر الى الاغيار بماء التوبة والاستغفار وايديكم الى المرافق اى واغسلوا ايديكم عن التمسك بالدارين والتعلق بما فى الكونين حتى الصديق الموافق والرفيق المرافق وامسحوا برؤسكم ببذل نفوسكم وارجلكم الى الكعبين اى واغسلوا ارجلكم عن طين طينتكم والقيام بانانيتكم كذا فى التأويلات النجمية (قال الحافظ) من همان دم كه وضو ساختم از چشمهٔ عشق * چار تكبير زدم

بكسره برهرچه كه هست (وان كنتم جنبا فاطهروا) اى فتطهروا وادغمت تاء التفعل فى الطاء لقرب مخرجهما واجتلبت همزة وصل ليمكن الابتداء فقيل اطهروا وهذا التطهر عبارة عن الاغتسال والاطهار هو التطهر بالتكلف والمبالغة فلا يكون الا بغسل جميع ظاهر البدن حتى لو بقى العجين بين اظفاره ويبس لم يجز غسله لان الماء لا يصل تحته ولو بقى الدرن جاز الا ان ما تعذر ايصال الماء اليه كداخل العين ساقط بخلاف باطن الانف والفم حيث يمكن غسلهما ولا ضرر فيه فيجب والدلك ليس بفرض لانه متمم فيكون مستحبا وليس البدن كالثوب لان النجاسة تخللت فيه دون البدن ففرض الغسل غسل الفم والانف وسائر البدن وسنته غسل يديه لكونهما آلة التطهر وفرجه لانه مظنة النجاسة ونجاسة حقيقية ان كانت على سائر بدنه لئلا تتلاشى عند اصابة الماء والوضوء وضوءه للصلاة الا انه يؤخر غسل رجليه الى ما بعد صب الماء على جميع بدنه ان كانتا فى مستنقع الماء تحرزا عن الماء المستعمل وتثليث الغسل المستوعب هكذا حكى غسل رسول الله ويبتدئ بمنكبه الايمن ثم الايسر ثم الرأس فى الاصح وليس على المرأة نقض ضفيرتها ولا بلها ان بل اصلها لان كون الشعر من البدن باعتبار اصوله فيكتفى ببل اصوله فيما فيه حرج وفيما لا حرج فيه يجب ايصال الماء الى جميعه كالضفيرة المفتولة وحكم المنقوضة ليس كذلك بل يجب ايصال الماء الى جميعها لعدم الحرج فيها والرجل يجب عليه ايصال الماء الى جميع شعره والفرق ان حلق الشعر للمرأة مثلة دون الرجل والحرج مندفع عنه بغير الضفيرة وادنى ما يكفى من الماء فى الغسل صاع وفى الوضوء مد والصاع ثمانية ارطال والمد رطلان لما روى ان النبى عليه السلام كان يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد ثم اختلفوا هل المد من الصاع او من غيره فهذا ليس بتقدير لازم حتى لو اسبغ الوضوء والغسل بدون ذلك جاز ولو اغتسل باكثر منه جاز ما لم يسرف فهو المكروه كذا فى الاختيار شرح المختار والجنب الصحيح فى المصر اذا خاف الهلاك من الاغتسال جاز له التيمم فى قولهم واما المحدث فى المصر اذا خاف الهلاك من التوضئ اختلفوا فيه على قول ابى حنيفة رحمه الله والصحيح انه لا يباح له التيمم كذا فى فتاوى قاضى خان والمرأة اذا وجب عليها الغسل ولم تجد سترة من الرجال تؤخره والرجل اذا لم يجد سترة من الرجال لا يؤخره ويغتسل وفى الاستنجاء اذا لم يجد سترة يتركه والفرق ان النجاسة الحكمية اقوى والمرأة بين النساء كالرجل بين الرجال كذا فى الاشباه وفى الحديث ثلاثة لا تقربهم الملائكة جيفة الكافر والمضتمخ بالخلوق والجنب الا ان يتوضأ وفى الحديث لا ينقع بول فى طست فى البيت فان الملائكة لا تدخل بيتا فيه بول منتقع ولا تبولن فى مغتسلك وفى الاغتسال منافع بدنية وفوائد دينية منها فيه مخالفة الكفار فانهم لا يغتسلون وازالة الدنس والابخرة الرديئة النفسانية التى تورث بعض الامراض وتسكين حرارة الشهوات الطبيعية قال الشيخ النيسابورى فى كتاب اللطائف فوائد الطهارة عشر طهارة الفؤاد وهو صرفه عما سوى الله تعالى وطهارة السر المشاهدة وطهارة الصدر الرجاء والقناعة وطهارة الروح الحياء والهيبة وطهارة البطن اكل الحلال والعفة عن اكل الحرام والشبهات وطهارة البدن ترك الشهوات وازالة الادناس وطهارة اليدين الورع والاجتهاد وطهارة اللسان الذكر والاستغفار قال الثعلبى فى تفسير هذه الاية قال على رضى الله عنه اقبل عشرة من احبار اليهود فقالوا يا محمد لماذا امر الله بالغسل من الجنابة ولم يأمر من البول والغائط وهما اقذر من النطفة فقال صلى الله عليه وسلم ان آدم لما اكل من الشجرة تحول فى عروقه وشعره فاذا جامع الانسان نزل من اصل كل شعرة فافترضه الله على وعلى امتى تطهيرا وتكفيرا وشكرا لما انعم الله عليهم من اللذة التى يصيبونها قال فى بدائع الصنائع فى احكام الشرائع انما وجب غسل جميع البدن بخروج المنى ولم يجب بخروج البول والغائط وانما وجب غسل الاعضاء المخصوصة لاغير لوجوه احدها ان قضاء الشهوة بانزال المنى استمتاع بنعمة يظهر اثرها فى جميع البدن وهى اللذة فامر بغسل جميع البدن شكرا لهذه النعمة وهذا لا يتقدر فى البول والغائط والثانى ان الجنابة تأخذ جميع البدن ظاهره وباطنه لان الوطئ الذى هو سببها لا يكون الا باستعمال جميع ما فى البدن من القوة حتى يضعف الانسان بالاكثار منه ويقوى بالامتناع عنه واذا اخذت الجنابة جميع البدن الظاهر والباطن بقدر الامكان ولا كذلك الحدث فانه لا يأخذ الا الظاهر من الاطراف لان سببه يكون بظواهر الاطراف من الاكل والشرب ولا يكون باستعمال جميع البدن فاوجب غسل ظاهر الاطراف لا سائر البدن والثالث ان غسل الكل او البعض وجب وسيلة الى الصلاة التى هى خدمة الرب سبحانه والقيام بين يديه

وتعظيمه فيجب ان يكون المصلى على اطهر الاحوال وانظفها ليكون اقرب الى التعظيم واكمل فى الخدمة وكمال تعظيم النظافة يحصل بغسل جميع البدن وهذا هو العزيمة فى الحدث ايضا الا ان ذلك مما يكثر وجوده فاكتفى منه باكثر النظافة وهى تنقية الاطراف التى تنكشف كثيرا ويقع عليها الابصار ابدا واقيم ذلك مقام غسل كل البدن دفعا للحرج وتيسيرا وفضلا من الله ورحمة ولا حرج فى الجنابة لانها لا تكثر فبقى الامر فيها على العزيمة انتهى كلام البدائع هذا غسل الحى واما غسل الميت فشريعة ماضية لما روى ان آدم عليه السلام لما قبض نزل جبريل بالملائكة وغسلوه وقالوا لاولاده هذه سنة موتاكم وفى الحديث للمسلم على المسلم ستة حقوق ومن جملتها ان يغسله بعد موته ثم هو واجب عملا بكلمة على ولكن اذا قام به البعض سقط عن الباقين لحصول المقصود واريد بالسنة فى حديث آدم الطريقة ولو تعين واحد لغسله لا يحل له اخذ الاجرة عليه وانما وجب غسل الميت لانه تنجس بالموت كسائر الحيوانات الدموية الا انه يطهر بالغسل كرامة له ولو وجد ميت فى الماء فلا بد من غسله لان الخطاب بالغسل توجه لبنى آدم ولم يوجد منهم فعل وقيل ان الميت اذا فارقته الروح وارتاح من شدة النزع انزل فوجب على الاحياء غسله كذا فى حل الرموز وكشف الكنوز والفرق بين غسل الميت والحى انه يستحب البداءة بغسل وجه الميت بخلاف الحى فانه يبدأ بغسل يديه ولا يمضمض ولا يستنشق بخلاف الحى ولا يؤخر غسل رجليه بخلاف الحى ان كان فى مستنقع الماء ولا يمسح رأسه فى وضوء الغسل بخلاف الحى فى رواية كذا فى الاشباه والاشارة فى الاية وان كنتم جنبا بالالتفات الى غيرنا فاطهروا بالنفوس عن المعاصى وبالقلوب عن رؤية الطاعات وبالاسرار عن رؤية الاغيار وبالارواح عن الاسترواح من غيرنا وبسر السر عن لوث الوجود فلا بد من الطهارة مطلقا (قال الحافظ) چون طهارت نبود كعبه وبتخانه يكيست * نبود خير در ان خانه كه عصمت نبود * وفى وجوب الغسل اشارة وتنبيه الى وجوب الغسل الحقيقى لوجود القلب والروح ولتلوثه بحب الدنيا وشهواتها فيجب غسلها بماء التوبة والندامة والاخلاص فهو اوجب الواجبات وآكدها واستقصاء اهل الله فى تطهير الباطن اكثر واشد من استقصائهم فى طهارة الظاهر وقد يكون فى بعض متصوفة الزمان تشدد فى الطهارة فلو اتسخ يخرج ثوبه ولا يبالى بما فى باطنه من الغل وسائر الصفات الذميمة (قال السعدى قدس سره) كرا جامه پاكست وسيرت پليد * در دوزخش را نبايد كليد * والقرآن لا يمسه الا المطهرون (وان كنتم مرضى) مرضا يخاف منه الهلاك او ازدياده باستعمال الماء (او) كنتم مستقرين (على سفر) طال او قصر (اوجاء احد منكم من الغائط) هو المكان الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليوارى شخصه من اعين الناس (اولامستم النساء) ملامسة النساء مماسة بشرة الرجل بشرة المرأة وهى كناية عن الجماع ومثل هذه الكناية من الآداب القرآنية اذ التصريح مستهجن (فلم تجدوا ماء) المراد من عدم وجدان الماء عدم التمكن من استعماله لان ما لا يتمكن من استعماله كالمفقود (فتيمموا صعيدا طيبا) اى فتعمدوا شيأ من وجه الارض طاهرا فالصعيد هو وجه الارض ترابا او غيره سمى صعيدا لكونه صاعدا طاهرا والطيب بمعنى الطاهر سواء كان منبتا او لا حتى لو فرضنا صخرا لا تراب عليه فضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا عند ابى حنيفة رحمه الله (فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه) اى من ذلك الصعيد اى الى المرفقين لما روى انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيقدر بقدره والباء مزيدة ومن لابتداء الغاية والمعنى فانقلوا بعد وضعهما على الصعيد الى الوجوه والايدى من غير ان يتخللهما ما يوجب الفصل (ما يريد الله) بالامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم (ليجعل عليكم من حرج) اى تضييقا عليكم فى الدين (ولكن يريد ليطهركم) اى لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر لها كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل قام الى وضوئه يريد الصلاة ثم غسل كفيه نزلت خطيئة كفيه مع اول قطرة فاذا تمضمض نزلت خطيئة لسانه وشفتيه مع اول قطرة واذا غسل وجهه ويديه الى المرفقين ورجليه الى الكعبين سلم من كل ذنب هو عليه وكان كيوم ولدته امه او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء (وليتم) بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم (نعمته عليكم) فى الدين او ليتم برخصته انعامه عليكم بعزائمه والرخصة ما شرع بناء على الاعذار والعزيمة ما شرع اصالة (لعلكم تشكرون) نعمته واعلم ان المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارج البعيد ومن طهارة البدن وهو القشر القريب

طهارة القلب وهواب الباطن وطهارة القلب عن نجاسات الاخلاق اهم الطهارات ولكن لا يبعد ان يكون لطهارة الظاهر ايضا تأثير فى اشراق نورها على القلب فاذا اسبغت الوضوء واستشعرت نظافة ظاهرك صادفت فى قلبك انشراحا وصفاء كنت لا تصادفه قبله وذلك لسر العلاقة التى بين عالم الملك وعالم الملكوت فان ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت وكما يتحدر من معارف القلب آثار الى الجوارح فكذلك قد يرتفع من احوال الجوارح التى هى من عالم الشهادة آثار الى القلب ولذلك امر الله بالصلاة مع انها حركات الجوارح التى من عالم الشهادة ولذلك جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا ومن الدنيا فقال حبب الىّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة ولا يستبعد ان يفيض من الطهارة الظاهرة اثر على الباطن وان اردت لذلك دليلا من الشرع فتفكر فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس بخمس اذا اكل الربا كان الخسف والزلزلة واذا جار الحكام قحط المطر واذا ظهر الزنى كثر الموت واذا منعت الزكاة هلكت الماشية واذا تعدى على اهل الذمة كانت الدولة لهم وان كنت تطلب لهذا مثلا من المحسوسات ايضا فانظر الى ما يفيض الله من النور بواسطة المرءآة المحاذية للشمس على بعض الاجسام المحاذية للمرءآة وبالجملة ان الله تعالى جعل الوضوء والتيمم من اسباب الطهارة فلا بد من الاجتهاد فى تحصيل الطهارة مطلقا وان كان التوفيق من الله تعالى (كما قال الحافظ) فيض ازل بزور زرار آمدى بدست * آب خضر نصيبة اسكندر آمدى * والاشارة فى الآية وان كنتم مرضى بمرض حب الدنيا او على سفر فى متابعة الهوى اوجاء احد منكم من الغائط فى قضاء حاجة شهوة من الشهوات اولامستم النساء وهى الدنيا فى تحصيل لذة من اللذات فلم تجدوا ماء التوبة والاستغفار فتيمموا صعيدا طيبا فتمعكوا فى تراب اقدام الكرام فانه طهور للذنوب العظام وامسحوا بوجوهكم من تراب اقدامهم وشمروا الخدمتهم وايديكم لان فيه شفاء لقساوة القلوب ودواء لمرض الذنوب ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج بهذه الذلة والصغار ولكن يريد ليطهركم من الذنوب الكبار واكبر الكبائر الشرك بالله واعظم الشركاء الوجود مع وجود المعبود وهذا ذنب لا يغفر الا بالتمرغ فى هذا التراب ولوث لم يطهر الا بالالتجاء الى هذه الابواب وليتم نعمته عليكم بعد ذوبان نحاس انانيتكم بنار تصرفات هممهم العالية بطرح اكسير انوار الهوية لعلكم تشكرون اذ تهتدون بانوار الهوية الى رؤية انوار النعمة كذا فى التأويلات النجمية (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم فى شكره فان قيل ذكر نعمة الاسلام مشعر بسبق النسيان وكيف يعقل من المسلم ان ينساها مع اشتغاله باقامة وظائف الاسلام على التوالى والدوام قلنا المواظبة على وظائف الشئ تنزل منزلة الامر الطبيعى المعتاد فينسى كونها نعمة آلهية فتكون اقامة وظائفه اتباعا لمقتضى الطبيعة فلا تكون عبادة وانما تكون شكرا لو وقع اتباعا للامر (وميثاقه الذى واثقكم به) اى عهده المؤكد الذى اخذه عليكم وقوله تعالى (اذ قلتم سمعنا واطعنا) ظرف لواثقكم به وفائدة التقييد به تأكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذى اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى حال اليسر والعسر والمنشط والمكره (واتقوا الله) فى نسيان نعمته ونقض ميثاقه (ان الله عليم بذات الصدور) اى بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال واعلم ان اول النعم التى انعم الله بها على المؤمنين اخراجهم من ظلمة العدم الى نور الوجود قبل كل موجود وخلقهم فى احسن تقويم لقبول الدين القويم وهدايتهم الى الصراط المستقيم واسماع ألست بربكم وجواب بلى وتوفيقهم للسمع والطاعة ولو لم تكن نعمة التوفيق لقالوا سمعنا وعصينا كما قال اهل الخذلان والعصيان وعن عبد الرحمن ابن عوف بن مالك الاشجعى قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله وكنا حديث عهد ببيعته فقلنا قد بايعناك يا رسول الله قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلى م نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتصلوا الصلوات الخمس وتطيعوا اوامره جلية وخفية ولا تسألوا الناس فلقد رأيت بعض اولئك النفر يسقط سوط احدهم فما يسأل احدا يناوله اياه حتى يكون هو ينزل فيأخذه وعن ابى ذر رضى الله عنه قال بايعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا واوثقنى سبعا واشهد الله علىّ تسعا ان لا اخاف فى الله لومة لائم وعنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم

اوصيك بتقوى الله بسر امرك وعلانيتك واذا اسأت فاحسن ولا تسألن احدا شيأ وان سقط سوطك ولا تقبض امانة (قال الحافظ الشيرازى) وفا وعهد نكو باشد ار بياموزى * وكرنه هركه تو بينى ستمكرى داند * اللهم اجعلنا من الموفين بعهودهم آمين (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) مقيمين لاوامره ومتمسكين بها معظمين لها مراعين لحقوقها (شهداء بالقسط) اى بالعدل خبر بعد خبر (ولا يجرمنكم) اى ولا يحملنكم (شنآن قوم) اى شدة بغضكم للمشركين (على ان لا تعدلوا) اى على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما فى قلوبكم (اعدلوا هو) اى العدل (اقرب للتقوى) التى امرتم بها واذا كان وجوب العدل فى حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه فى حق المسلمين (واتقوا الله) فانه ملاك الامر وزاد سفر الآخرة (ان الله خبير بما تعملون) من الاعمال فيجازيكم بذلك وحيث كان مضمون هذه الجملة التعليلية منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) التى من جملتها العدل والتقوى والمفعول الثانى لوعد محذوف وهو الجنة كما صرح به فى غير هذا الموضع (لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر عظيم) اى ثواب عظيم فى الجنة وهذه الجملة مفسرة لذلك المحذوف تفسير السبب للمسبب فان الجنة مسببة عن المغفرة وحصول الاجر فلا محل لها من الاعراب (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) التى من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى (اولئك) الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات (اصحاب الجحيم) ملابسوها ملابسة مؤبدة وفيه مزيد وعد للمؤمنين لان الوعيد اللاحق باعدائهم مما يشفى صدورهم ويذهب ما كان يجدونه من اذاهم فان الانسان يفرح بان يهدد اعداؤه واعلم ان الله تعالى صرح للمؤمنين الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى لكون الحامل عليه البغض والشنآن فعلى المؤمن العدل فى حق الاولياء والاعداء خصوصا فى حق نفسك واهلك واولادك لما ورد كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ووجد فى سرير انوشروان مكتوبا الملك لا يكون الا بالامارة والامارة لا تكون الا بالرجال ولا تكون الرجال الا بالاموال ولا تكون الاموال الا بالعمارة ولا تكون العمارة الا بالعدل بين الرعايا والسلطان شريك رعاياه فى كل خير عملوه (قال الحافظ) شاه را به بود از طاعت صد ساله وزهد * قدر يك ساعته عمرى كه در وداد كند * وفى ترجمة وصايا الفتوحات لمحمد بن واسع ازا كابر دين است روزى بر بلال بن برده كه والى وقت بود در آمد واو در عيش بود وپيش او برف نهاده وبتنعم تمام نشسته محمد بن واسع را كفت يا ابا عبد الله اين خانه ما را چون بينى كفت اين خانه خوش است وليكن بهشت ازين خوشتر است وذكر آتش دوزخ از امثال اين غافل كرداند پرسيد كه چه ميكويى درباب قدر كفت در همراز كان تو كه درين مقابر مدفونند فكرى بكن تا از قدر پرسيدن مشغول شوى كفت براى من دعا كن كفت دعاى من چه ميكنى وبر دركاه تو چندين مظلومند همه بر تو دعا ميكنند ودعاى ايشان بيشتر بالا ميرود ظلم مكن وبدعاء من حاجت نيست ومن كلمات بهلول لهرون حين قال له من انا قال انت الذى لو ظلم احد فى المشرق وانت فى المغرب سألك الله عن ذلك يوم القيامة فبكى هرون وفى عين المعانى العالم لا يدخل على الظلمة تحاميا عن الدعاء لهم بالبقاء فورد من دعا الظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فى ارضه فلا بد من النصيحة وترك المداهنة وفى الحديث ما ترك الحق لعمر من صديق وقال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر

لما ادمت النصح والتحقيقا * لم يترك لى فى الوجود صديقا

(قال السعدى) بكوى انچه دانى سخن سودمند * وكر هيچ كس را نيايد پسند * وبالجملة ان العدل من احسن الاخلاق وحكى ان انوشروان لما مات كان يطاف بتابوته فى جميع مملكته وينادى مناد من له علينا حق فليأت فلم يوجد احد فى ولايته له عليه حق من درهم ولذا اشتهر بالعدل اشتهار حاتم بالجود حتى صار العادل لقباله فلفظ العادل انما يطلق عليه لعدم جوره وظهور عدله لا بمجرد المدح والثناء عليه واما سلاطين الزمان فلظهور جورهم وعدم اتصافهم بالعدل منعوا عن اطلاق العادل عليهم اذ اطلاقه عليهم حينئذ انما يكون لمجرد المدح لهم والثناء عليهم فيكون كذبا وكفرا فجواز اطلاق العادل على الكافر المنصف وعدم جواز اطلاقه على المسلمين الجائرين ليس بالنظر الى متانة العدل بل ذلك ليس الا لان العدل والجور متناقضان

فلا يجتمعان قال فى زهرة الرياض اذا كان يوم القيامة ينصب لوآء الصدق لابى بكر رضى الله عنه وكل صديق يكون تحت لوآئه ولوآء العدل لعمر وكل عادل يكون تحت لوآئه ولوآء السخاوة لعثمان رضى الله عنه وكل سخى يكون تحت لوآئه ولوآء الشهدآء لعلى رضى الله عنه وكل شهيد يكون تحت لوآئه وكل فقيه تحت لوآء معاذ ابن جبل وكل زاهد تحت لوآء ابى ذر وكل فقير تحت لوآء ابى الدردآء وكل مقرئ تحت لوآء ابى بن كعب وكل مؤذن تحت لوآء بلال وكل مقتول ظلما تحت لوآء الحسين بن على فذلك قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم الآية والعدل فى الحقيقة هو الوسط المحمود فى كل فعل وقول وخلق وهو المأمور به فى قوله تعالى فاستقم كما امرت ولقد صار من نال اليه كالكبريت الاحمر والمسك الاذفر ومن الله الهداية والتوفيق آمين (يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم) متعلق بنعمة الله (اذ هم قوم) ظرف لنفس النعمة اى اذكروا انعامه عليكم فى وقت همهم وقصدهم (ان يبسطوا اليكم ايديهم) اى بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه (فكف ايديهم عنكم) عطف على هم وهو النعمة التى اريد تذكيرها وذكر الهم ايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها اى منع ايديهم ان يمدوا اليكم عقيب همهم بذلك لانه كفها عنكم بعدما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذى قلما يعرى عنه الكف بعد المد مالا يخفى مكانه وذلك ما روى ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان فى غزوة ذى انمار وهى غزوة ذات الرقاع وهى السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هى احب لهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلاة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فردهم الله تعالى بكيدهم بان انزل صلاة الخوف وقيل هو ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بنى قريظة ومعه الشيخان وعلى رضى الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضميرى خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ماسألت فاجلسوه فى صفة وهموا بالقتل به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل فاخبر فخرج النبى عليه السلام وقيل هو ما روى انه صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق اصحابه فى الفضاء يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابى فاخذه وسله فقال من يمنعك منى فقال عليه السلام الله فاسقطه جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول عليه السلام فقال من يمنعك منى فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله (واتقوا الله) عطف على اذكروا اى اتقوه فى رعاية حقوق نعمته فلا تخلوا بشكرها (وعلى الله) اى عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا واشتراكا (فليتوكل المؤمنون) فانه يكفيهم فى ايصال كل خير ودفع كل شر واعلم ان التوكل عبارة عن الاعتصام بالله تعالى فى جميع الامور ومحله القلب والحركة بالظاهر لا تنافى توكل القلب بعد ما تحقق للعبد ان التقدير من قبل الله فان تعسر شئ فبتقديره واعلى مراتب التوكل ان يكون بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل تحركه القدرة الازلية وهو الذى قوى يقينه الا ترى الى ابراهيم عليه السلام لما هم نمرود وقومه ان يبسطوا اليه ايديهم فرموه فى النار جاءه جبريل وهو فى الهوآء فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وفاه بقوله حسبى الله ونعم الوكيل وانظر الى حقيقة توكل النبى عليه السلام حيث كف الله عنه وعن اصحابه ايدى المشركين رأسا فلم يقدروا ان يتعرضوا له بل ابتلوا فى اغلب الاحوال بما لا يخطر ببالهم من البلايا جزآء لهم على همهم السوء (وفى المثنوى) قصهٔ عاد وثمود از بهر چيست * تا بدانى كه انبيا را نازكيست * فالتوكل من معالى درجات المقربين فعلى المؤمن ان يتحلى بالصفات الحميدة ويسير فى طريق الحق بسيرة حسنة ودخل حكيم على رجل فرأى دارا منجدة وفرشا مبسوطة ورأى صاحبها خاليا من الفضائل فتنخع فبزق على وجهه فقال ما هذا السفه ايها الحكيم فقال بل هو عين الحكمة لان البصاق لزق الى اخس ما كان فى الدار ولم ار فى دارك اخس منك لخلوك عن الفضائل الباطنة فنبه بذلك على دناءته وقبحه لكونه مسترسلا فى لذاته مستغرقا اوقاته لعمارة ظاهره (قال الحافظ رحمه الله) قلندران حقيقت بنيم جو نخرند * قباى اطلس آنكس كه از هنر عاريست * ثم اعلم ان كل شئ بقضاء الله تعالى وان الله يختبر عباده بما اراد فعليهم ان يعتمدوا

عليه فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعن ابى عثمان قال كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فاتاه ابليس فقال انت الذى تزعم ان كل شئ بقضاء قال نعم قال الق نفسك من الجبل وقل قدر على قال يا لعين الله يختبر العباد وليس العباد يختبرون الله وما على العبد الا التوكل والشكر على الانعام ومن جملة انعام الله تعالى الاخراج من ظلمة العدم الى نور الوجود بامر كن والله يعلم ان رجوع العباد الى العدم ليس بهم ولا اليهم كما لم يكن خروجهم بهم فان خروجهم كان بجذبة امر كن فكذلك رجوعهم لا يكون الا بجذبة امر ارجعى فعليهم ان يكونوا واثقين بكرم الله وفضله مسارعين فى طلب مرضاة الله جاهدين على وفق الاوامر والنواهى فى الله لينديهم الى جذبات عنايته ولطفه (ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرآئيل) اى بالله قد اخذ الله عهد طائفة اليهود والالتفات فى قوله تعالى (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) للجرى على سنن الكبرياء اولان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سيأتى اى شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها اوكفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به وقد روى ان النبى عليه السلام جعل للانصار ليلة العقبة اثنى عشر نقيبا وفائدة النقيب ان القوم اذا علموا ان عليهم نقيبا كانوا اقرب الى الاستقامة والنقيب والعريف نظيران وقيل النقيب فوق العريف قال فى شرح الشرعة العريف فعيل بمعنى مفعول وهو سيد القوم والقيم بامور الجماعة من القبيلة والمحلة يلى امورهم ويتعرف الامير منه احوالهم وهو دون الرئيس والعرافة كالسيادة لفظا ومعنى وفى الحديث العرافة حق ولا بد للناس من عرفاء ولكن العرفاء فى النار يعنى ان سيادة القوم جائزة فى الشرع لان بها ينتظم مصالح الناس وقضاء اشغالهم فهى مصلحة ورفق للناس تدعو اليها الضرورة وقوله ولكن العرفاء فى النار اى اكثرهم فيها اذ المجتنب عن الظلم منهم يستحق الثواب لكن لما كان الغالب منهم خلاف ذلك اجراه مجرى الكل كذا فى شرح المصابيح (قال السعدى) رياست بدست كسانى خطاست * كه از دستشان دستها برهواست * مكن تا توانى دل خلق ريش * وگر ميكنى ميكنى بيخ خويش * نماند ستمكار بد روزگار * بماند بر و لعنت پايدار * مها زورمندى مكن بر كهان * كه بر يك نمط مى نماند جهان * دل دوستان جمع بهتر كه گنج * خزينه تهى به كه مردم برنج * بقومى كه نيكى پسندد خداى * دهد خسرو عادل نيك راى * چو خواهد كه ويران كند عالمى * كند ملك در پنجهٔ ظالمى * (وقال الله) اى لبنى اسرآئيل فقط اذ هم المحتاجون الى الترغيب والترهيب (انى معكم) اى بالعلم والقدرة والنصرة اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك وتم الكلام هنا ثم ابتدأ بالجملة الشرطية فقال مخاطبا لبنى اسرآئيل ايضا (لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى) اى بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف (وعزرتموهم) اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وهو المنع والدفع ومنه التعزير ومن نصر انسانا فقد ذب عنه عدوه يقال عزرت فلانا اى فعلت به ما يرده عن القبيح ويمنعه عنه (واقرضتم الله) بالانفاق فى سبيل الخير اوبالتصدق بالصدقات المندوبة فظهر الفرق بين هذا الاقراض وبين اخراج الزكاة فانها واجبة (قرضا حسنا) وهو ان يكون من حلال المال وخياره برغبة واخلاص لا يشوبه رياء ولا سمعة ولا يكدرها من ولا اذى وانتصابه يحتمل ان يكون على المصدرية لانه اسم مصدر بمعنى اقراضا كما فى انبتها نباتا حسنا بمعنى انباتا ويحتمل ان يكون على المفعولية على انه اسم للمال المقرض (لاكفرن عنكم سيئاتكم) جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط (ولادخلنكم جنات) اى بساتين (تجرى من تحتها) اى من تحت اشجارها ومساكنها (الانهار) الاربعة واخره لضرورة تقدم التخلية على التحلية (فمن كفر) اى برسلى وبشئ مما عدد فى حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب والترهيب (بعد ذلك) الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا (منكم) متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر (فقد ضل سوآء السبيل) اى وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطأ خطأ فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة روى ان بنى اسرآئيل لما استقروا بمصر بعد مهلك فرعون امرهم الله تعالى بالمسير الى اريحا من ارض الشام وهى الارض المقدسة وكانت لها الف قرية فى كل قرية الف بستان وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها وانى ناصركم وامر موسى عليه السلام ان يأخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على

قومه بالوفاء بما امر وابه توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بنى اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما رأوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا نقيب سبط يهوذا ويوشع بن نون نقيب سبط افراهيم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة الاف وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع وقد عاش ثلاثة آلاف سنة وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله ويروى ان الماء طبق ما على الارض من جبل فى طوفان نوح وما جاوز ركبتى عوج وكانت امه عنق احدى بنات آدم وكان مجلسها جريبا من الارض فلما لقى عوج النقباء وعلى رأسه حزمة حطب اخذ الاثنى عشر نقيبا وجعلهم فى الحزمة فانطلق بهم الى امرأته وقال انظرى الى هؤلاء الذين يزعمون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلى فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وروى انه جعلهم فى كمه واتى بهم الملك فنشرهم بين يديه فقال ارجعوا الى قومكم فاخبروهم بما رأيتم وكان لا يحمل عنقودا من عنبهم الا خمسة انفس او اربعة بينهم فى خشبة ويدخل فى شطر رمانة اذا نزع حبها خمسة انفس فجعلوا يتعرفون باحوالهم فلما رجعوا قال بعضهم لبعض انكم ان اخبرتم بنى اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبى الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون فيكونان هما يريان رأيهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى الا كالب ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا فى فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى جبل فقور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذى لرأسه فانثقبت فوقعت فى عنق عوج فطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فترامى فى السماء عشرة اذرع فما اصابت العصا الا كعبه الا وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى جذوا رأسه وهكذا سنة الله فيما اراد حيث ينصر اولياءه بما لا يخطر ببالهم ولله فى كل فعله حكمة تامة ومصلحة شاملة واعلم ان الله تعالى كما جعل فى امة موسى من النقباء المختارين المرجوعين اليهم عند الضرورة اثنى عشر كذلك جعل من كمال عنايته فى هذه الامة من النجباء البدلاء واعزة الاولياء اربعين رجلا فى كل حال وزمان كما قال النبى عليه السلام يكون فى الامة اربعون على خلق ابراهيم وسبعة على خلق عيسى وواحد على خلق فهم على مراتب درجاتهم ومناصب مقاماتهم امنة هذه الامة كما قال عليه السلام بهم ترزقون وبهم تمطرون وبهم يدفع الله البلاء قال ابو عثمان المغربى البدلاء اربعون والامناء سبعة والخلفاء من الائمة ثلاثة والواحد هو القطب عارف بهم جميعا ومشرف عليهم ولا يعرفه احد ولا يشرف عليه وهو امام الاولياء الثلاثة الذين هم الخلفاء من الائمة وهو يعرفهم وهم لا يعرفونه والخلفاء الثلاثة يعرفون السبعة الذين هم الامناء ولا يعرفهم اولئك السبعة والسبعة يعرفون الاربعين الذين هم البدلاء ولا يعرفهم البدلاء الاربعون وهم يعرفون سائر الاولياء من الامة ولا يعرفهم من الاولياء احد فاذا نقص من الاربعين واحد بدل مكانه واحد من الاولياء واذا نقص من السبعة واحد جعل مكانه واحد من الاربعين واذا نقص من الثلاثة واحد جعل مكانه واحد من السبعة واذا مضى القطب الذى هو الواحد فى العدد وبه قوام اعداد الخلق جعل بدله واحد من الثلاثة هكذا الى ان يأذن الله تعالى فى قيام الساعة كما فى التأويلات النجمية وقال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر القطب يحفظ المركز والامام الايمن يحفظ عالم الارواح والامام الايسر يحفظ عالم الاجساد والاوتاد الاربعة يحفظون الشرق والغرب والجنوب والشمال والابدال السبعة يحفظون اقاليم الكرة علوا وسفلا انتهى كلامه فى كتاب العظمة ويقول الفقير جامع هذه المجالس اللطائف سمعت من حضرة شيخى وسندى بمنزلة روحى فى جسدى ان قطب الوجود اذا انتقل الى الدار الآخرة يكون خليفته فى الجانب الايسر من الافراد دون الجانب الايمن وذلك لان يسار الامام يمين ويمينه يسار حين الاستقبال الى القوم واليه الاشارة بقوله تعالى واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة فان لفظة ما عند اهل التحقيق نافية واهل اليسار اهل الجلال والفناء

واهل

واهل اليمين اهل الجمال والبقاء فافهم هذا السر البديع وكن ممن القى سمعه وهو شهيد فان المنكر الغافل طريد عن الحق بعيد * بسر وقت شان خلق كى ره برند * كه چون آب حيوان بظلمت درند (قال الصائب) سخن عشق باخرد كفتن * بر ولك مرده نيشتر زدنست * ثم تحقيق قوله تعالى لئن اقمتم الصلاة ان اقامة الصلاة فى ادامتها بان تجعل الصلاة معراجك الى الحق وتديم العروج بدرجاتها الى ان تشاهد الحق كما شاهدت يوم الميثاق ودرجاتها اربع القيام والركوع والسجود والتشهد على حسب دركات نزلت بها من اعلى عليين وجوار رب العالمين الى اسفل السافلين القالب وهى العناصر الاربعة التى خلق منها قالب الانسان فالمتولدات منها على اربعة اقسام ولكل قسم منها ظلمة وخاصية تحجبك عن مشاهدة الحق فهى الجمادية وخاصيتها التشهد ثم النباتية وخاصيتها السجود ثم الحيوانية وخاصيتها الركوع ثم الانسانية وخاصيتها القيام ويشير اليك بالتخلص عن حجب اوصاف الانسانية واعظمها الكبر وهو من خاصية النار والركوع يشير اليك بالتخلص عن حجب صفات الحيوانية واعظمها الشهوة وهى من خاصية الهواء والسجود يشير اليك بالتخلص عن حجب طبع النباتية واعظمها الحرص على الجذب للشئ والنمو وهو من خاصية الماء والتشهد يشير اليك بالتخلص عن حجب طبع الجمادية واعظمها الجمودية وهى من خاصية التراب ومن هذه الصفات الاربع تنشأ بقية صفات البشرية فاذا تخلصت عن هذه الدركات والحجب ورجعت بهذه المدارج الاربعة الى جوار رب العالمين وقربه فقد اقمت الصلاة مناجيا ربك مشاهدا له كما قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه كذا فى التأويلات النجمية (فبما نقضهم ميثاقهم) اى فبسبب نقض اليهود عهدهم وهو انهم كذبوا الرسل بعد موسى وقتلوا الانبياء ونبذوا الكتاب وضيعوا فرائضه وما مزيدة لتأكيد الكلام وتمكينه فى النفس (لعناهم) اى طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم (وجعلنا قلوبهم قاسية) اى غليظة شديدة بحيث لا تتأثر من الآيات والنذر وحجر قاسى اى صلب غير لين (يحرفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه والمراد بالتحريف اما تبديلهم نعت النبى صلى الله عليه وسلم واما تبديلهم بسوء التأويل وقد سبق فى سورة البقرة (ونسوا حظا) اى وتركوا نصيبا وافرا (مما ذكروا به) من التوراة او من اتباع محمد عليه السلام والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فتركت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم لما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وروى ان الله تعالى غير العلم على امية بن ابى الصلت وكان من بلغاء الشعراء كان نائما فاتاه طائر وادخل منقاره فى فيه فلما استيقظ نسى جميع علومه (قال الحافظ) نه من ز بى عملى در جهان ملولم وبس * ملالت علما هم ز علم بى عملست * واعلم ان العلماء العاملين والمشايخ الواصلين لا يزالون يذكرون الناس كل عصر يوم الميثاق ومخاطبة الحق اياهم تشويقا لهم الى تلك الاحوال فمن سامع ومن معرض فالسامع لكونه معرضا عن الدنيا والعقبى وصل الى جوار المولى فكان مقبولا مرحوما والمعرض لكونه مقبلا على ماسوى المولى لم ينل شيأ فكان مردودا ملعونا لانه نقض عهده مع الله سبحانه وتعالى (وفى المثنوى) بى وفايى چون سكانرا عار بود * بى وفايى چون روا دارى نمود * حق تعالى فخر آورد از وفا * كفت من اوفى بعهد غيرنا (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) اى خيانة على انها مصدر كاللاغية والكاذبة قال الله تعالى لا تسمع فيها لاغية اى لغوا والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم (الا قليلا منهم) لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وهو استثناء من الضمير المجرور فى منهم (فاعف عنهم واصفح) اى اعرض عنهم ولا تتعرض لهم بالمعاقبة والمؤاخذة ان تابوا او آمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف وهو قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر (ان الله يحب المحسنين) تعليل للامر بالصفح وحث على الامتثال وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره (قال السعدى) عدورا بالطاف كردن به بند * كه نتوان بريدن بتيغ وكمند * چو دشمن كرم بيند ولطف وجود * نيايد دكر خبث ازو در وجود * وكر خواجه با دشمنان نيك خوست * بسى بر نيايد كه كردند دوست * وكان عليه السلام محسنا له مكارم اخلاق يضيق نطاق بيان الواصفين عنها (ومن حكايات المولوى فى المثنوى)

کافران مهمان پیغمبر شدند * وقت شام ایشان بمسجد آمدند * کفت ای یاران من قسمت کنید * که شما
پر از من وخوی منید * هر یکی یاری یکی مهمان کزید * درمیان یك زفت بود وبی ندید * جسم ضخمی
داشت کس اورا نبرد * ماند در مسجد چو اندر جامه درد * مصطفی بردش چو واماند از همه *
هفت شیر بز بده اندر رمه * که مقیم خانه بودندی بزان * بهر دوشیدن برای وقت خوان * نان وآش
وشیران هر هفت بز * خورد آن بو قحط عوج ابن غز * جمله اهل بیت خشم آلو شدند * که همه در شیر بز
طامع شدند * معده طبلی خوار همچون طبل کرد * قسم هجده آدمی تنها بخورد * وقت خفتن رفت
ودر حجره نشست * پس کنیزك از غضب در را ببست * از برون زنجیر در را درفکند * که ازو بد خشمکین
ودردمند * کبر را در نیم شب تا صبحدم * چون تقاضا آمد ودرد شکم * از فراش خویش سوی در شتافت
* دست بر در چون نهاد او بسته یافت * در کشادن حیله کردان حیله ساز * نوع نوع وخود نشد
آن بند باز * شد تقاضا بر تقاضا خانه تنك * ماند او حیران وبی درمان ودنك * حیله کرد او بخواب
اندر خزید * خویشتن در خواب ودر ویرانه دید * زانکه ویرانه بد اندر خاطرش * شد بخواب اندر همانجا
منظرش * خویش در ویرانه خالی چو دید * او چنان محتاج واندر دم برید * کشت بیدار وبدید
آن جامه خواب * پر حدث دیوانه شد از اضطراب * کفت خوابم بدتر از بیداریم * که خورم آن
سو واین سو می ریم * بانك می زد وا ثبورا وا ثبور * همچنانکه کافر اندر قعر کور * منتظر که کی
شود این شب بسر * یا بر آید در کشادن بانك در * تا کریزد او چو تیری از کمان * تا نبیند هیچکس
اورا چنان * مصطفی صبح آمد ودر را کشاد * صبح آن کمراه را او راه داد * جامه خواب پر حدث را
یك فضول * قاصدا آورد در پیش رسول * که چنین کردست مهمانت ببین * خنده زد رحمة
للعالمین * که بیار آن مطهره اینجا به پیش * تا بشویم جمله را با دست خویش * او بجد می شست
آن احداث را * خاص ز امر حق نه تقلید وریا * که دلش می کفت کین را تو بشو * که در اینجا هست
حکمت تو بتو * کافرك را هیکل بد یاد کار * یاوه دید آنرا وکشت او بی قرار * کفت آن حجره که شب جا
داشتم * هیکل آنجا بی خبر بکذاشتم * که چه شرمین بود شرمش حرص برد * حرص اژدرهاست بی چیزست
خرد * از پی هیکل شتاب اندر دوید * در وثاق مصطفی وانرا بدید * کان ید الله آن حدث را هم بخود * خوش
همی شوید که دورش چشم بد * هیکلش از یاد رفت وشد پدید * اندرو شوری کریبان را درید * می زد او دو دست
را بر رو وسر * کله را میکوفت بر دیوار ودر * انجنانکه خون زبینی وسرش * شد روان ورحم کرد آن مهترش *
چون زحد بیرون بلرزید وطپید * مصطفی اش در کنار خود کشید * ساکنش کرد وبسی بنواختش * دیده اش
بکشاده داد اشناختش * آب بر روزد در آمد در سخن * کی شهید حق شهادت عرضه کن * کشت مؤمن
کفت اورا مصطفی * کامشب هم باش وتو مهمان ما * کفت والله تا ابد ضیف توام * هر کجا باشم بهر
جا که روم * یا رسول الله رسالت را تمام * تو نمودی همچو شمع بی غمام (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا
ميثاقهم) اى واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم من اليهود ومن متعلقة باخذنا والتقديم
للاهتمام وانما قال قالوا انا نصارى ولم يقل ومن النصارى تنبيها على انهم نصارى بتسميتهم انفسهم بهذا الاسم
ادعاء لنصرة الله بقولهم لعيسى عليه السلام نحن انصار الله وليسوا موصوفين بانهم نصارى بتوصيف الله
اياهم بذلك ومعنى اخذ الميثاق هو ما اخذ الله عليهم فى الانجيل من العهد المؤكد باتباع محمد صلى الله عليه وسلم
وبيان صفته ونعته (فنسوا حظا) اى تركوا نصيبا وافرا (مما ذكروا به) فى تضاعيف الميثاق من الايمان
وما يتفرع عليه من افعال الخير (فاغرينا) اى الزمنا والصقنا من غرى بالشئ اذا لزمه ولصق به واغراه غيره
(بينهم) ظرف لاغرينا (العداوة) وهى تباعد القلوب والنيات (والبغضاء) اى البغض (الى يوم القيامة)
غاية للاغراء اوللعداوة والبغضاء اى يتعادون ويتباغضون الى يوم القيامة (وسوف ينبئهم الله) اى يخبرهم
فى الآخرة (بما كانوا يصنعون) وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت اى
يجازيهم بما عملوا على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتأكيد الوعيد
والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم فى ذلك قيل الذى القى العداوة بين النصارى رجل يقال له بولس

كان

كان بينه وبين النصارى قتال فقتل منهم خلقا كثيرا فاراد ان يحتال بحيلة يلقى بها بينهم القتال فيقتل بعضهم
بعضا فجاء الى النصارى وجعل نفسه اعور وقال لهم الا تعرفوننى فقالوا انت الذى قتلت ما قتلت منا وفعلت
ما فعلت فقال قد فعلت ذلك كله والآن تبت لانى رأيت عيسى عليه السلام فى المنام نزل من السماء فلطم
وجهى لطمة فقأ عينى فقال اى شئ تريد من قومى فتبت على يده ثم جئتكم لاكون بين ظهرانيكم واعلمكم
شرائع دينكم كما علمنى عيسى عليه السلام فى المنام فاتخذوا له غرفة فصعد تلك الغرفة وفتح كوة الى الناس فى
الحائط وكان يتعبد فى الغرفة وربما كانوا يجتمعون اليه ويسألونه ويجيبهم من تلك الكوة وربما يأمرهم حتى
يجتمعوا ويناديهم من تلك الكوة ويقول لهم بقول كان فى الظاهر منكرا وينكرون عليه فكان يفسر ذلك
القول تفسيرا يعجبهم ذلك فانقادوا كلهم له وكانوا يقبلون قوله بما يأمرهم به فقال يوما من الايام اجتمعوا عندى
فقد حضرنى علم فاجتمعوا فقال لهم اليس خلق الله تعالى هذه الاشياء فى الدنيا كلها المنفعة بنى آدم قالوا نعم
فقال لم تحرمون على انفسكم هذه الاشياء يعنى الخمر والخنزير وقد خلق لكم ما فى الارض جميعا فاخذوا قوله
فاستحلوا الخمر والخنزير فلما مضى على ذلك ايام دعاهم وقال حضرنى علم فاجتمعوا فقال لهم من اى ناحية
تطلع الشمس فقالوا من قبل المشرق ومن اى ناحية يطلع القمر والنجوم فقالوا من قبل المشرق فقال ومن
يرسلهم من قبل المشرق قالوا الله تعالى فقال فاعلموا انه تعالى فى قبل المشرق فان صليتم له فصلوا اليه فحول
صلاتهم الى المشرق فلما مضى على ذلك ايام دعا بطائفة منهم وامرهم بان يدخلوا عليه فى الغرفة وقال لهم انى
اريد ان اجعل نفسى الليلة قربانا لاجل عيسى وقد حضرنى علم فاريد ان اخبركم فى السر لتحفظوا عنى وتدعوا
الناس الى ذلك بعدى ويقال ايضا انه اصبح يوما وفتح عينه الاخرى ثم دعاهم وقال لهم جاءنى عيسى الليلة وقال
قد رضيت عنك فمسح يده على عينى فبرئت الآن اريد ان اجعل نفسى قربانا له ثم قال هل يستطيع احد ان
يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص الا الله تعالى فقالوا لا فقال ان عيسى قد فعل هذه الاشياء فاعلموا انه هو الله
تعالى فخرجوا من عنده ثم دعا بطائفة اخرى فاخبرهم بذلك ايضا انه كان ابنه ثم دعا بطائفة ثالثة واخبرهم بذلك
ايضا وقال انه ثالث ثلاثة واخبرهم انه يريد ان يجعل نفسه الليلة قربانا فلما كان بعض الليالى خرج من بين
ظهرانيهم فاصبحوا وجعل كل فريق يقول قد علمنى كذا وكذا وقال الفريق الآخر انت كاذب بل علمنى كذا
وكذا فوقع بينهم القتال فاقتتلوا وقتلوا خلقا كثيرا وبقيت العداوة بينهم الى يوم القيامة وهم ثلاث فرق منهم
النسطورية قالوا المسيح ابن الله والثانية الملكانية قالوا ان الله تعالى ثالث ثلاثة المسيح وامه والله والفرقة
الثالثة اليعقوبية قالوا ان الله هو المسيح * در تصور ذات اورا کنج کو * تا در آید در تصور مثل او * کر بغایت
نیك وکر بد کفته اند * هرچه زو کفتند از خود کفته اند * می مکن چندین قیاس ای حق شناس * زانکه ناید
ذات بیچون در قیاس * فعلى المؤمن ان يلاحظ قوله تعالى وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وان يشتغل بنفسه
عن غيره وفى الحديث ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا ما قدم
وينظر اشأم منه فلا يرى الا ما قدم فينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة فمن
لم يجد فبكلمة طيبة يعنى من لم يجد شيأ يتقى به النار فليتق منها بقول حسن يطيب به قلب المسلم فان الكلمة
الطيبة من الصدقات والاشارة فى الاية ان الله تعالى اخذ الميثاق من اليهود والنصارى على التوحيد كما اخذ
من هذه الامة يوم الميثاق ولكنه لما وكل الفريقين الى انفسهم نسوا ما ذكروا به فما بقى لهم حظ من ذلك الميثاق
بابطال الاستعداد الفطرى لكمال الانسانية فصاروا كالانعام بل هم اضل اى بل كالسباع يتحارشون
ويتناوشون بالعداوة والبغضاء الى يوم القيامة فان ارباب الغفلة لا الفة بينهم وان اصحاب الوفاق لا وحشة بينهم
واما هذه الامة لما ايدت بتأييد الاله اذ كتب فى قلوبهم الايمان بقلم خطاب الست بربكم يوم الميثاق وايدهم
بروح منه ما نسوا حظا مما ذكروا به وقيل لنبيهم عليه السلام وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقال تعالى
خطابا لهم اذ لم ينسوا حظهم ولم ينقضوا ميثاقهم فاذكرونى اذكركم على ان ذكره اياهم كان قبل وجودهم
وذكرهم اياه حين ذكرهم المحبة وقال يحبهم ويحبونه كذا فى التأويلات النجمية (يا اهل الكتاب) يعنى اليهود
والنصارى والكتاب جنس شامل للتوراة والانجيل (قد جاءكم رسولنا) الاضافة للتشريف والايذان
بوجوب اتباعه (يبين لكم) حال من رسولنا اى حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة

(كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) اى كثيرا كائنا من الذى كنتم تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب
اى التوراة والانجيل الذى انتم اهله والمتمسكون به كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم فى التوراة وبشارة
عيسى باحمد عليهما السلام فى الانجيل (ويعفو عن كثير) مما تخفونه اى لا يظهره ولا يخبره اذا لم يضطر اليه امر
دينى صيانة لكم عن زيادة الافتضاح (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) المراد بالنور والكتاب هو القرءآن لما
فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفى على الناس من الحق او الاعجاز الواضح والعطف المبنى على
تغاير الطرفين لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول هو الرسول صلى الله عليه وسلم
وبالثانى القرءآن (يهدى به الله) وحد الضمير لان المراد بهما واحد بالذات او لانهما فى حكم الواحد فان
المقصود منهما دعوة الخلق الى الحق احدهما رسول الهى والآخر معجزته وبيان ما يدعو اليه من الحق (من
اتبع رضوانه) اى رضاه بالايمان به (سبل السلام) اى طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب على ان
يكون السلام بمعنى السلامة كاللذاذ واللذاذة والرضاع والرضاعة او سبيل الله تعالى وهو شريعته التى
شرعها للناس على ان يكون السلام هو الله تعالى وانتصاب سبل بنزع الخافض فان يهدى انما يتعدى الى
الثانى بالى او باللام كما فى قوله تعالى ان هذا القرءآن يهدى للتى هى اقوم (ويخرجهم) الضمير لمن والجمع باعتبار
المعنى كما ان الافراد فى اتبع باعتبار اللفظ (من الظلمات) اى ظلمات فنون الكفر والضلال (الى النور) الى الايمان
وسمى الايمان نورا لان الانسان اذا آمن ابصر به طريق نجاته فطلبه وطريق هلاكه فحذره (باذنه) اى بتيسيره
وارادته (ويهديهم الى صراط مستقيم) اى طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤدى اليه لا محالة وهذه
الهداية عين الهداية الى سبل السلام وانما عطف عليها تنزيلا للتغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى كما فى قوله تعالى
فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واعلم ان الله تعالى بعث النبى
صلى الله عليه وسلم نورا يبين حقيقة حظ الانسان من الله تعالى وانه تعالى سمى نفسه نورا بقوله تعالى الله نور
السموات والارض لانهما كانتا مخفيتين فى ظلمة العدم فالله تعالى اظهرهما بالايجاد وسمى الرسول نورا لان
اول شئ اظهره الحق بنور قدرته من ظلمة العدم كان نور محمد صلى الله عليه وسلم كما قال اول ما خلق الله
نورى ثم خلق العالم بما فيه من نوره بعضه من بعض فلما ظهرت الموجودات من وجود نوره سماه نورا وكل
ما كان اقرب الى الاختراع كان اولى باسم النور كما ان عالم الارواح اقرب الى الاختراع من عالم الاجسام فلذلك
سمى عالم الانوار والعلويات نورانيات بالنسبة الى السفليات فاقرب الموجودات الى الاختراع لما كان نور النبى
عليه السلام كان اولى باسم النور ولهذا كان يقول انا من الله والمؤمنون منى وقال تعالى قد جاءكم من الله نور
وروى عن النبى عليه السلام انه قال كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم باربعة عشر الف عام وكان يسبح
ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور فى صلبه وعن ابن عباس رضى الله عنهما
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب نوح
فى السفينة وقذفنى فى صلب ابراهيم ثم لم يزل تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى
اخرجنى بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط قال العرفى فى قصيدته النعتية * اين بس شرف كوهر تو منشى
تقدير * آن روز كه بكذاشتى اقليم قدم را * تا حكم نزول تو درين دار نوشته است * صدره بعبث
بازتراشيد قلم را * وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعترف
آدم بالخطيئة قال يارب اسألك بحق محمد ان تغفر لى فقال الله يا آدم كيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال لانك لما
خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله
فعرفت انك لم تضف الى اسمك الا اسم احب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى
فغفرت لك ولولا محمد لما خلقتك رواه البيهقى فى دلائله (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) لا غير كما
يقال الكرم هو التقوى نزلت فى نصارى نجران وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد يحل فى بدن انسان
معين او فى روحه (قل) يا محمد تبكيتا لهم ان كان الامر كما تزعمون (فمن) استفهامية انكارية (يملك) الملك
الضبط والحفظ التام عن حزم اى يمنع (من الله) اى من قدرته وارادته (شيأ) وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك
شيأ منها (ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا) احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان

المسيح

المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية وكيف يكون الها
من لا يقدر على دفع الهلاك عن نفسه ولا عن غيره والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط
والغضب ولعل نظم امه فى سلك من فرض على ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتأكيد التبكيت
وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كانه قيل قل فمن يملك من الله
شيأ ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض وقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها من
الموجودين (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) اى ما بين قطرى العالم الجسمانى لا بين وجه الارض ومقعر
فلك القمر فقط فيتناول ما فى السموات من الملائكة وما فى اعماق الارض والبحار من المخلوقات وهو تنصيص كون
الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اى من فى الارض كذلك اى له تعالى وحده ملك
جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا
فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه (يخلق ما يشاء) اى يخلق ما يشاء
من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كانه قيل يخلق
اى خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من
اصل ليس من جنس كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى
وحدها كخلق عيسى او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شئ من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات
وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك
فينسب كل اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده (والله على كل شئ قدير) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون
ما قبله (وفى المثنوى) دامن اوكير اى يار دلير * كومنزه باشد از بالا وزير * نى چو عيسى سوى كردون
بر شود * نى چو قارون در زمين اندر رود * ربى الاعلاست در دان مهان * رب ادنى در خوران
ابلهان * وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى عليه السلام قال من شهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق
والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من عمل وعن الحارث الاشعرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى اوحى الى يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات ان يعمل بهن ويأمر بنى
اسرائيل ان يعملوا بهن فكانه ابطأ بهن فاتاه عيسى فقال ان الله امرك بخمس كلمات ان تعمل بهن وتأمر
بنى اسرائيل ان يعملوا بهن فاما ان تخبرهم واما ان اخبرهم فقال يا اخى لا تفعل فانى اخاف ان سبقتنى بهن ان
يخسف بى او اعذب قال فجمع بنى اسرائيل بيت المقدس حتى امتلأ المسجد وقعدوا على الشرفات ثم خطبهم
فقال ان الله اوحى الى بخمس كلمات ان اعمل بهن وآمر بنى اسرائيل ان يعملوا بهن اولاهن ان لا تشركوا بالله
شيأ فان مثل من اشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب او ورق ثم اسكنه دارا فقال اعمل وارفع
الى فجعل يعمل ويرفع الى غير سيده فايكم يرضى ان يكون عبده كذلك فان الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به
شيأ واذا قمتم الى الصلاة فلا تلتفتوا فان الله يقبل بوجهه الى وجه عبده ما لم يلتفت وآمركم بالصيام ومثل ذلك
كمثل رجل فى عصابة معه صرة من مسك كلهم يحب ان يجد ريحها وان الصيام عند الله اطيب من ريح المسك
وآمركم بالصدقة ومثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فاوثقوا يده الى عنقه وقربوه ليضربوا عنقه فجعل يقول
هل لكم ان افدى نفسى منكم فجعل يعطى القليل والكثير حتى فدى نفسه وآمركم بذكر الله كثيرا ومثل ذلك
كمثل رجل طلبه العدو سراعا فى اثره حتى اتى حصنا حصينا فاحرز نفسه فيه وكذلك العبد لا ينجو من
الشيطان الذى هو اكبر الاعداء الا بذكر الله (قال فى المثنوى) ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز * چشم
نركس را ازين كركس بدوز * ذكر حق پاكست چون پاكى رسيد * رخت بربندد برون آيد پليد
* مى كريزد ضدها از ضدها * شب كريزد چون برافروزد ضيا * چون در آيد نام پاك اندر دهان * نى
پليدى ماند ونى اندهان * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا آمركم بخمس الله امرنى بهن بالسمع
والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا ان
يراجع والربقة بكسر الراء وفتحها وسكون الباء الموحدة واحدة الربق وهى عرى فى حبل يشد به البهم وتستعار

لغيره (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه) اى قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك او المعنى نحن من الله بمنزلة الابناء للآباء وقربنا من الله كقرب الوالد لولده وحبنا اياه كحب الوالد لولده وغضب الله علينا كغضب الرجل على ولده والوالد اذا سخط على ولده فى وقت يرضى عنه فى وقت آخر وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قل) الزاما لهم وتبكيتا (فلم يعذبكم بذنوبكم) اى ان صح ما زعمتم فلاى شئ يعذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه سيعذبكم فى الآخرة اياما معدودة بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع (بل) اى لستم كذلك (انتم بشر ممن خلق) اى من جنس ما خلق الله تعالى من غير مزية لكم عليهم (يغفر لمن يشاء) ان يغفر له من اولئكم المخلوقين وهم الذين آمنوا بالله تعالى وبرسله (ويعذب من يشاء) ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به تعالى وبرسله (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) من الموجودات لا ينتمى اليه تعالى شئ منها الا بالمملوكية والعبودية والكل تحت مملوكيته يتصرف فيه كيف يشاء ايجادا واعداما واماتة واثابة وتعذيبا فانى لهم ادعاء ما زعموا (واليه المصير) فى الآخرة خاصة لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا فيجازى كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه عمله من غير مانع يمنعه وليست المحبة بالدعوى بل لها علامات ولله در من قال

تعصى الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

والله تعالى لا يحب من خالف شيأ من شريعة النبى عليه السلام من سننها وفروضها وحلالها وحرامها وانما يحب من اطاع امره ولا فرق بين الناس من حيث الصورة البشرية وانما تفاوتهم من حيث العلم والعمل والتقرب الى الله تعالى (قال السعدى) زمراست بايدنه بالاى راست * كه كافرهم ازروى صورت چو ماست * وانما يظهر التفاوت فى الآخرة لانها دار الجزاء فطوبى لعبد تفكر فى حاله ومصيره فرغب فى الزهد والطاعة قبل مضى الوقت (قال فى المثنوى) كر ببينى ميل خود سوى سما * پر دولت بر كشا همچون هما * ور ببينى ميل خود سوى زمين * نوحه ميكن هيچ منشين از حنين * عاقلان خود نوحها پيشين كنند * جاهلان آخر بسر برمى زنند * ز ابتداى كار آخر را ببين * تا نباشى تو پشيمان يوم دين * وحكى ان رجلا جاء الى صائغ يسأل منه الميزان ليزن رضاض ذهب له فقال الصائغ اذهب فانه ليس لى غربال فقال الرجل لا تسخر بى آت الميزان فقال الصائغ ليس لى مكنسة ثم قال اطلب منك الميزان ايها الصائغ وانت تجيبنى بما يضحك منه فقال انما قلت ما قلت لانك شيخ مرتعش فعند الوزن يتفرق رضاضك من يدك بسبب ارتعاشك ويسقط الى التراب فتحتاج الى المكنسة والغربال للتخليص فبسبب فكرى لعاقبة امرك قلت ما قلت * من زاول ديدم آخر را تمام * جاى ديكر روازينجا والسلام * واعلم ان احباء الله هم اولياء الله على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم فمنهم عوام ومنهم خواص ومنهم اخص ولكل منهم مقام معلوم من المحبة ورأى بعضهم معروف الكرخى تحت العرش وقد قال الله تعالى للملائكة من هذا فقالوا انت اعلم يارب فقال هذا معروف الكرخى سكر من حبى فلا يليق الا للقائى وكمال الحب انما يحصل بعد تزكية النفس فان النفس اذا كانت مغضوبة لا تتم الرحمة فى حقها وصاحبها انما يحب الله تعالى من وراء حجاب اللهم اجعلنا ممن يحبك حبا شديدا ويسلك فى محبتك طريقا سديدا (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) حال كونه (يبين لكم) الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد (على فترة) كائنة (من الرسل) مبتدئة من جهتهم وعلى متعلق بجاءكم على الظرفية اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى ومزيد احتياج الى بيان الشرائع والاحكام الدينية يقال فتر الشئ يفتر فتورا اذا سكنت حركته وصارت اقل مما كانت عليه وسميت المدة بين الانبياء فترة لفتور الدواعى فى العمل بتلك الشرائع ونبينا صلى الله عليه وسلم بعث بعد انقطاع الرسل لان الرسل كانت متواترة بعضها فى اثر البعض الى وقت رفع عيسى عليه السلام (ان تقولوا) تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حذف المضاف اى كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم فى مراعاة احكام الدين (ما جاءنا

من بشير) يبشرنا بالجنة (ولا نذير) يخوفنا بالنار وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت اخبارها (فقد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف تنبئ عنه الفاء الفصيحة وتبين انه معلل به اى لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اى بشير ونذير اى نذير على ان التنوين للتفخيم وفى الاية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى وكانوا احوج ما يكونون اليه (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبى وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة سنة وتسع وتسعون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء على ما روى الكلبى ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بما فى تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضى دهر طويل بعد انقطاع الوحى ليعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم كذا فى الارشاد وفى الحديث انا اولى الناس بعيسى ابن مريم فانه ليس بينى وبينه نبى قال ابن الملك بطل بهذا قول من قال الحواريون كانوا انبياء بعد عيسى عليه السلام انتهى ومعنى قوله نبى اى نبى داع للخلق الى الله وشرعه واما خالد ابن سنان فانه اظهر بدعواه الانباء عن البرزخ الذى بعد الموت وما اظهر نبوته فى الدنيا وقصته انه كان مع قومه يسكنون بلاد عدن فخرجت نار عظيمة من مغارة فاهلكت الزرع والضرع فالتجأ اليه قومه فاخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة منه الى المغارة التى خرجت منها ثم قال لاولاده انى ادخل المغارة خلف النار لاطفئها وامرهم ان يدعوه بعد ثلاثة ايام تامة فانهم ان نادوه قبل ثلاثة ايام فهو يخرج ويموت وان صبروا ثلاثة ايام يخرج سالما فلما دخل صبروا يومين واستفزهم الشيطان فلم يصبروا ثلاثة ايام فظنوا انه هلك فصاحوا به فخرج خالد من المغارة وعلى رأسه الم حصل من صياحهم فقال ضيعتمونى واضعتم قولى ووصيتى واخبرهم بموته وامرهم ان يقبروه ويرقبوه اربعين يوما فانه يأتيهم قطيع من الغنم يتقدمها حمار ابتر مقطوع الذنب فاذا حاذى قبره ووقف فلينبشوا عليه قبره فانه يقوم ويخبرهم باحوال البرزخ والقبر عن يقين ورؤية فانتظروا اربعين يوما فجاء القطيع وتقدمه حمار ابتر فوقف حذاء قبره فهم مؤمنوا قومه ان ينبشوا عليه فابى اولاده خوفا من العار لئلا يقال لهم اولاد المنبوش قبره فحملتهم الحمية الجاهلية على ذلك فضيعوا وصيته واضاعوه فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته بنت خالد فقال عليه السلام مرحبا بابنة نبى اضاعه قومه وانما امر خالد ان ينبش عليه ليسأل ويخبر ان الحكم فى البرزخ على صورة الحياة الدنيا فيعلم بذلك الاخبار صدق الرسل كلهم بما اخبروا به فى حياتهم الدنيا فكان غرض خالد عليه السلام ايمان العالم كله بما جاءت به الرسل من احوال القبر والمواطن والمقامات البرزخية ليكون رحمة للجميع فانه تشرف بقرب نبوته من نبوة محمد عليه السلام وعلم خالد ان الله ارسله رحمة للعالمين ولم يكن خالد برسول فاراد ان يحصل من هذه الرحمة فى الرسالة المحمدية على حظ اوفر ولم يؤمر بالتبليغ فاراد ان يحظى فى البرزخ بذلك التبليغ من مقام الرسالة ليكون اقوى فى العلم فى حق الخلق اى ليعلم قوة علمه باحوال الخلائق فى البرزخ فاضاعه قومه وانما وصف النبى قومه بانهم اضاعوا نبيهم اى وصية نبيهم حيث لم يبلغوه مراده من اخبار احوال القبر كذا فى الفصوص وشروحه واتفق العلماء على انه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة عام الفيل فى عاشر شهر ربيع الاول فى ليلة يوم الاثنين منه فلما تشرف العالم بوجوده الشريف وعنصره اللطيف اضاءت قلوب الخلق واستنارت فهداهم الله به عليه السلام فابصره من ابصر وعمى من عمى وبقى فى الكفر والضلال * در كارخانهٔ عشق از كفر ناكزير ست * آتش كرا بسوزد كر بولهب نباشد * وانما اضاف تعالى الرسول الى نفسه وقال رسولنا وما اضاف اليهم لان فائدة رسالته لم تكن راجعة اليهم ولما خاطب هذه الامة واخبرهم عن مجيء الرسول ما اضافه الى نفسه وانما جعله من انفسهم فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم لان فائدة رسالته كانت راجعة الى انفسهم كما فى التأويلات النجمية فعلى المؤمن ان يقتفى اثر الرسول صلى الله عليه وسلم ويتفكر فى الوعد والوعيد فقد جاء البشير والنذير بحيث لم يبق للاعتذار مجال اصلا وروى ان جبير بن مطعم قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالجحفة فقال اليس تشهدون ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله وان القرآن جاء من عند الله فقلنا بلى قال فابشروا فان هذا

القرءآن طرفه بيد الله وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده ابدا (واذ قال موسى لقومه) اى اذكر يا محمد لاهل الكتاب ما حدث وقت قول موسى لبنى اسرآئيل ناصحا لهم (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) اى انعامه عليكم (اذ جعل فيكم انبياء) فى وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث فى امة من الامم ما بعث فى بنى اسرآئيل من الانبياء وكثرة الاشراف والافاضل فى القوم شرف وفضل لهم ولا شرف اعظم من النبوة (وجعلكم ملوكا) اى جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وجعل الكل فى مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وقال السدى وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعدما كنتم فى ايدى القبط فى مملكة فرعون بمنزلة اهل الجزية قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى اصحاب خدم وحشم وكانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وقال بعضهم من له امرأة يأوى اليها ومسكن يسكنه وخادم يخدمه فهو من الملوك وكذا من كان مسكنه واسعا وفيه ماء جارى فهو ملك (وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين) من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) هى ارض بيت المقدس طهرت من الشرك وجعلت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين (التى كتب الله لكم) اى كتب فى اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم (ولا ترتدوا) لا ترجعوا (على ادباركم) اى مدبرين خوفا من الجبابرة فهو حال من فاعل لا ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل اى ولا ترجعوا على اعقابكم بخلاف ما امر الله (فتنقلبوا) فتنصرفوا حال كونكم (خاسرين) اى مغبونين بفوت ثواب الدارين (قالوا) اى بنوا اسرآئيل عند امر موسى ونهيه غير ممتثلين لذلك (يا موسى ان فيها قوما جبارين) اى متغلبين لا تتأتى مقاومتهم والجبار العالى الذى يجبر الناس ويكرههم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اى اجبره عليه وذلك ان النقباء الاثنى عشر الذين خرجوا لتجسس الاخبار وانتهوا الى مدينة الجبارين لما رجعوا الى موسى واخبروه بما عاينوا من قوتهم وشوكتهم وطول قدودهم وعظم اجسامهم وان الرجل من بنى اسرآئيل ليدخل تحت قدمهم لعظمه ووسعته قال لهم موسى اكتموا شانهم ولا تخبروا به احدا من اهل العسكر فيفشلوا فاخبر كل واحد منهم قريبه وابن عمه الا رجلان وفيا بما قال لهما موسى احدهما يوشع بن نون بن افراهيم بن يوسف فتى موسى والآخر كالب بن يوفنا ختن موسى على اخته مريم بنت عمران وكان من سبط يهوذا فشاع الخبر بين بنى اسرآئيل فلذا قالوا ان فيها قوما جبارين (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها) من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها (فان يخرجوا منها) بسبب من الاسباب التى لا تعلق لنا بها (فانا داخلون) حينئذ (قال رجلان) كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان وهما كالب ويوشع (من الذين يخافون) الله تعالى دون العدو ويتقونه فى مخالفة امره ونهيه وهو صفة لرجلان (انعم الله عليهما) بالتثبيت والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده وهو صفة ثانية لرجلان (ادخلوا عليهم الباب) اى باب بلد الجبارين وهو اريحا وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم فى بلدهم اى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا (فاذا دخلتموه) اى باب بلدهم وهم فيه (فانكم غالبون) من غير حاجة الى القتال فانا قد رأيناهم وشاهدناهم ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم فى المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر (وعلى الله) خاصة (فتوكلوا) بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التأثير وانما التأثير من عناية العزيز القدير (ان كنتم مؤمنين) به تعالى مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما (قالوا) غير مبالين بقول ذينك الرجلين مصرين على القول الاول (يا موسى انا لن ندخلها) اى ارض الجبابرة (ابدا) اى دهرا طويلا (ما داموا فيها) اى فى ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض لان الابد يعم الزمن المستقبل كله ودوام الجبارين فيها بعض منه (فاذهب) الفاء فصيحة اى فاذا كان الامر كذلك فاذهب (انت وربك فقاتلا) اى فقاتلاهم انما قالوا ذلك استهانة واستهزآء به تعالى وبرسوله وعدم مبالاة بهما لا انهم قصدوا ذهابهما حقيقة لان من هو فى صورة الانسان يستبعد منه انه يجوز حقيقة الذهاب والمجيء على الله تعالى الا ان يكون من المجسمة (انا ههنا

قاعدون) اراد بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر (قال) موسى عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التى بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة (رب انى لا املك الا نفسى واخى) اى الا طاعة نفسى واخى (فافرق بيننا) يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق والدعاء به على ما قبله (وبين القوم الفاسقين) الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا ما نستحقه وعليهم ما يستحقون (قال) الله تعالى (فانها) اى الارض المقدسة (محرمة عليهم) تحريم منع لا تحريم تعبد وتكليف لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين (اربعين سنة) ظرف لمحرمة فالتحريم موقت بهذه المدة لا مؤبد فلا يكون مخالفا لقوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم فى هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقى (يتيهون فى الارض) اى يتحيرون فى البرية استئناف لبيان كيفية حرمانهم (فلا تأس) فلا تحزن والاسى الحزن (على القوم الفاسقين) روى انه عليه السلام ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم فلبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ وهم ستمائة الف مقاتل وكانوا يسيرون كل يوم جادين فاذا امسوا كانوا فى الموضع الذى ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وماؤهم من الحجر الذى يحملونه وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق الفرك والتأديب واصح الاقاويل ان موسى وهرون كانا معهم فى التيه ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب قال فى التأويلات النجمية والتعجب فى ان موسى وهرون بشؤم معاملة بنى اسرآئيل بقيا فى التيه اربعين سنة وبنوا اسرآئيل ببركة كرامتهما اظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى فى التيه ليعلم اثر بركة صحبة الصالحين واثر شؤم صحبة الفاسقين انتهى (قال الحافظ) ملول همرهان بودن طريق كاردانى نيست * بكش دشوارئ منزل بياد عهد آسانى * روى ان موسى عليه السلام خرج من التيه بعد اربعين سنة وسار بمن بقى من بنى اسرآئيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته فحارب الجبابرة وفتحها واقام بها ما شاء الله ثم قبضه الله ولا يعلم قبره الا الله وهذا اصح الاقاويل لاتفاق العلماء على ان عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام قال السدى فى وفاة هرون ان الله اوحى الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا هما بشجرة لم ير مثلها فاذا بيت مبنى وفيه سرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك اعجبه وقال يا موسى انى احب ان انام على هذا السرير قال فنم عليه فلما نام جاء ملك الموت فقال يا موسى خدعتنى فلما قبض رفع البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به الى السماء فلما رجع موسى الى بنى اسرآئيل وليس معه هرون قالوا ان موسى قتل هرون وحسده على حب بنى اسرآئيل اياه فقال لهم موسى ويحكم كان اخى افترونى اقتل اخى فلما كثروا عليه صلى ركعتين ثم دعا فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال صعد موسى وهرون الجبل فقال بنوا اسرآئيل انت قتلته فآذوه فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى اسرآئيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفت بنوا اسرآئيل انه قد مات فبرأه الله مما قالوا ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره احد الا الرخمة فجعلها الله اصم وابكم وقال عمرو بن ميمونة مات هرون وموسى فى التيه مات هرون قبل موسى وكانا خرجا الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه موسى وانصرف الى بنى اسرآئيل فقالوا قتلته لحبنا اياه وكان محببا فى بنى اسرآئيل فتضرع موسى الى ربه فاوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فنادى يا هرون فخرج من قبره ينفض رأسه فقال انا قتلتك فقال لا ولكنى مت قال فعد الى مضجعك وانصرفوا واما وفاة موسى عليه السلام قال ابن اسحق كان صفى الله موسى قد كره الموت واعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبى يوشع بن نون فكان يغدو ويروح عليه فيقول له موسى يا نبى الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبى الله الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسألك عن شيء مما احدث الله اليك حتى تكون انت الذى تبتدئ به وتذكره ولا يذكر له شيأ ولما رأى موسى ذلك كره الحياة واحب الموت وفى الحديث جاء ملك الموت الى موسى

فقال له اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها فرجع ملك الموت الى الله تعالى فقال انك ارسلتنى
الى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عينى قال فرد الله اليه عينه وقال ارجع الى عبدى فقل له الحياة تريد فان كنت
تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة قال ثم ماذا قال ثم تموت
قال فالآن من قريب قال رب ادننى من الارض المقدسة قدر رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو انى عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال محمد بن يحيى قد صح حديث ملك الموت
وموسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرده الا كل مبتدع كذا فى تفسير الثعلبى وفى حديث آخر ان ملك
الموت كان يأتى الناس عيانا حتى اتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية وقال
وهب خرج موسى لبعض حاجاته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ قط احسن منه ومثل ما فيه
من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن يحفر هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا
العبد من الله بمنزل ما رأيت مضجعا احسن من هذا قالوا يا كليم الله اتحب ان يكون لك قال وددت قالوا
فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه الى ربه ثم تنفس اسهل نفس قبض الله روحه
ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وروى
ان يوشع رآه بعد موته فى المنام فقال كيف وجدت الموت قال كشاة تسلخ وهى حية وكان عمر موسى مائة
وعشرين سنة فلما مات موسى وانقضت الاربعون بعث الله يوشع نبيا فاخبره ان الله قد امره بقتال الجبابرة
فصدقوه وتابعوه فتوجه ببنى اسرآئيل الى اريحا ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحاء ستة اشهر فلما كان
السابع نفخوا فى القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة ودخلوا فقاتلوا الجبارين فهزموهم
وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بنى اسرآئيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها
وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم البقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس
على وقال للشمس انك فى طاعة الله تعالى وانا فى طاعة الله فسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقيم حتى ينتقم
من اعدآء الله قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد فى النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك
الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت الشام كلها لبنى اسرآئيل
وفرق عماله فى نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فاوحى الله الى يوشع ان فيها غلولا فمرهم فليبايعوك فبايعوه
فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال هلم ما عندك فاتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجواهر وكان قد غله
فجعله فى القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن فى جبل افراهيم
وكان عمره مائة وستا وعشرين سنة وتدبيره امر بنى اسرآئيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة
جهان اى برادر نماند بكس ＊ دل اندر جهان آفرين بند وبس (واتل عليهم) اى على اهل الكتاب
(نبأ ابنى آدم) اى خبر ابنى ابى البشر وهما قابيل وهابيل (بالحق) اى تلاوة ملتبسة بالحق والصحة ذكر العلماء
ان حوآء كانت تلد فى كل بطن ولدين ذكرا وانثى الا شيثا فانها ولدته منفردا فولدت اول بطن قابيل واخته
اقليما ثم ولدت فى البطن الثانية هابيل واخته ليوذا فلما ادركوا اوحى الله الى آدم انه يزوج كلا منهما توأمة الاخر
لانه لم يكن يومئذ الا اختاهما وكانت توأمة قابيل اجمل فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله
بل من جهة آدم فقال لهما قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض
لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل (اذ قربا قربانا) ظرف لنبأ والقربان اسم لما يتقرب به
الى الله تعالى من ذبيحة او صدقة وتوحيده لما انه فى الاصل مصدر والتقدير اذ قرب كل منهما قربانا (فتقبل
من احدهما) هو هابيل وكان صاحب ضرع وقرب جملا سمينا او كبشا او لبنا وزبدا فنزلت نار من السماء بيضاء
لا دخان لها فاكلته بعد دعاء آدم عليه السلام وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار فاكلتها
وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار واكلتها الطير والسباع وقيل ما كان فى ذلك الوقت فقير يدفع اليه ما يتقرب به
الى الله تعالى فكانت علامة قبوله ما ذكر من مجيء النار والاكل وروى سعيد بن جبير وغيره نزلت نار من السماء
فاحتملت قربان هابيل ورفع بها الى الجنة فلم يزل يرعى الى ان فدى به الذبيح عليه السلام (ولم يتقبل من الآخر)
وهو قابيل كان صاحب زرع وقرب اردأ ما عنده من القمح ولم تتعرض له النار اصلا لانه سخط حكم الله

ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى اخس ما عنده فنزلا عن الجبل الذى قربا عليه وقد غضب قابيل لرد قربانه
وكان يضمر الحسد فى نفسه الى ان اتى آدم مكة لزيارة البيت فلما غاب آدم اتى قابيل هابيل وهو فى غنمه فعند ذلك
(قال) اى من لم يتقبل قربانه لاخيه (لاقتلنك) اى والله لاقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ورد قربانى
وتنكح اختى الحسناء وانكح اختك الدميمة فيحدث الناس انك خير منى ويفخر ولدك على ولدى (قال) الذى تقبل
قربانه وما ذنبى (انما يتقبل الله) اى القربان (من المتقين) لا من غيرهم وانما تقبل قربانى ورد قربانك لما فينا
من التقوى وعدمه اى انما اتيت من قبل نفسك لا من قبلى فلم تقتلنى والتقوى من صفات القلب لقوله عليه
السلام التقوى ههنا واشار الى القلب وحقيقة التقوى ان يكون العامل على خوف ووجل من تقصير نفسه
فيما اتى به من الطاعات وان يكون فى غاية الاحتراز من ان يأتى بتلك الطاعة لغرض سوى طلب مرضاة الله
وان يكون فيه شركة لغير الله تعالى (لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك) اى والله
لئن مددت الى يدك وباشرت قتلى حسبما اوعدتنى به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك فى وقت من الاوقات
ثم علل ذلك بقوله (انى اخاف الله رب العالمين) قيل كان هابيل اقوى ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا
من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت قال البغوى وهذا فى الشرع جائز لمن اريد قتله
ان ينقاد ويستسلم طلبا للاجر كما فعل عثمان رضى الله عنه (انى اريد ان تبوء باثمى واثمك) تعليل آخر لامتناعه
عن المعارضة على انه غرض متأخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف تنبيها على كفاية
كل منهما فى العلية والمعنى انى اريد باستسلامى لك وامتناعى عن التعرض لك ان ترجع باثمى اى بمثل اثمى
لو بسطت يدى اليك وباثمك ببسط يدك الى كما فى قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد
المظلوم اى على البادئ عين اثم سبه ومثل سب صاحبه بحكم كونه سببا له وكلاهما نصب على الحالية اى ترجع
ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له (فتكون من
اصحاب النار) فى الآخرة (وذلك) اشارة الى كونه من اصحاب النار (جزآء الظالمين) اى عقوبة من لم يرض بحكم
الله تعالى (فطوعت له نفسه قتل اخيه) من طاع له المرتع اذا اتسع اى وسعته وسهلته اى جعلته سهلا وهونته
وتقدير الكلام فصورت له نفسه ان قتل اخيه طوع له سهل عليه ومتسع له لا ضيق فيه ولا حرج فان قتل النفس
بغير حق لا سيما قتل الاخ اذا تصوره الانسان يجده شيأ عاصيا نافرا كل النفرة عن دآئرة الشرع والعقل بعيدا
عن الاطاعة والانقياد البتة ثم ان النفس الامارة اذا استعملت القوة السبعية الغضبية صار ذلك الفعل
اسهل عليه فكان النفس صيرته كالمطيع لها بعد ان كان كالعاصى المتمرد عليها ويتم الكلام بدون اللام
بان يقال فطوعته نفسه قتل اخيه الا انه جيء باللام لزيادة الربط كما فى قولك حفظت لزيد ماله مع تمام
الكلام بان يقال حفظت مال زيد (فقتله) قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طائرا او حية
ووضع رأسه على الحجر ثم شدخها بحجر آخر وقابيل ينظر فتعلم منه فوضع رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم
لا يستعصى عليه او اغتاله وهو نائم وغنمه ترعى وذلك عند جبل ثور او عقبة حرآء او بالبصرة فى موضع المسجد
الاعظم وكان لهابيل يوم قتله عشرون سنة وعن بعض الكبار ان آدم لما هبط الى الارض تفكر فيما اكل فاستقاء
فنبتت شجرة السم من قيئه فاكلت الحية ذلك السم ولذا صارت مؤذية مهلكة وكان قد بقى شيء مما اكل فلما غشى
حوآء حصل قابيل ولذا كان قاتلا باعثا للفساد فى وجه الارض (فاصبح من الخاسرين) خسر دينه ودنياه
قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر دنياه وآخرته اما الدنيا فانه اسخط والديه وبقى مذموما الى يوم القيامة
واما الآخرة فهو العقاب العظيم (فبعث الله غرابا) ارسله (يبحث فى الارض) البحث بالفارسية بكندن (ليريه)
المستكن الى الله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة بيبعث حتما وعلى الثانى بيبحث ويجوز تعلقها ببعث
ايضا (كيف يوارى) يستر (سوأة اخيه) اى جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى وقيل عورته لانه كان
قد سلب ثيابه وكيف حال من ضمير يوارى والجملة ثانى مفعولى يرى روى انه لما قتله تركه بالعرآء اى الارض
الخالية عن الاشجار ولم يدر ما يصنع به لانه كان اول ميت على وجه الارض من بنى آدم فخاف عليه السباع
فحمله فى جراب على ظهره اربعين يوما او سنة حتى اروح وعفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمى به
فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها وواراه وقابيل

يتظر اليه وكانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل (قال ياويلتا) هى كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى ياويلتى احضرى فهذا اوانك والنداء وان كان اصله لمن يتأتى منه الاقبال وهم العقلاء الا ان العرب تتجوز وتنادى ما لا يعقل اظهارا للتحسر ومثله ياحسرة على العباد والويل والويلة الهلكة (اعجزت ان اكون) اى عن ان اكون (مثل هذا الغراب فأوارى سوأة اخى) تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله فأوارى بالنصب عطف على اكون اى اعجزت عن كونى مشبها بالغراب فمواريا (فاصبح من النادمين) اى على قتله لما كان من التحير فى امره وحمله على رقبته مدة طويلة وغير ذلك فلما كان ندمه لاجل هذه الاسباب لا للخوف من الله بسبب ارتكاب المعصية لم يكن ندمه توبة ولم ينتفع بندمه روى انه لما قتل ابن آدم اخاه رجفت الارض بما عليها سبعة ايام ثم شربت الارض دمه كشرب الماء فناداه الله اين اخوك هابيل قال ما ادرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله تعالى على الارض يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا قال مقاتل كان قبل ذلك يستأنس السباع والطيور والوحوش فلما قتل قابيل هابيل نفروا فلحقت الطيور بالهواء والوحوش بالبرية والسباع بالغياض واشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وامر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث فى الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل وكان جسد قابيل ابيض قبل ذلك فاسود فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم حزينا على قتل ولده مائة سنة لا يضحك وانشأ يقول وهو اول من قال الشعر

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى لون وطعم * وقل بشاشة الوجه الصبيح

وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب ان محمدا والانبياء كلهم فى النهى عن الشعر سواء ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سريانى فلما قال آدم مرثية قال لشيث يابنى انك وصيى احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط بالعربية وكان يقول الشعر فنظر فى المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزيد فيه ابيات منها

ومالى لا اجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
ارى طول الحياة على غما * فهل انا من حياتى مستريح

وروى عن انس رضى الله عنه انه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن يوم الثلاثاء فقال يوم الدم فيه حاضت حواء وفيه قتل ابن آدم اخاه فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعنى انه خلف من هابيل علمه الله تعالى ساعات الليل والنهار واعلمه عبادة الخلق فى كل ساعة منها وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصى آدم وولى عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فاخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فانصب انت ايضا نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار وهو اول من عبد النار وكان لا يمر به احد الا رماه فاقبل ابن له اعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه هذا ابوك قابيل فرمى الاعمى اباه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى قتلت اباك فرفع يده فلطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لى قتلت ابى برميتى وقتلت ابنى بلطمتى قال مجاهد فعقلت احدى رجلى قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيامة وجهه الى الشمس حيثما دارت عليه فى الصيف حظيرة من نار وفى الشتاء حظيرة من ثلج وهو اول من عصى الله فى الارض من ولد آدم وهو اول من يساق الى النار وفى الحديث لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل وهو اب يأجوج ومأجوج شر اولاد تولدوا من شر والد قالوا واتخذ اولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنى والفواحش حتى غرقهم الله بالطوفان ايام نوح وبقى نسل شيث وفى التواريخ لما ذهب قابيل الى سمت اليمن كثروا وخلفوا وطفقوا يتحاربون مع اولاد آدم يسكنون فى الجبال والمغارات

والغياض

والغياض الى زمن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث ففرقهم مهلاييل الى اقطار الارض وسكن هو فى ارض بابل وكان كيومرث اخاه الصغير وهو اول السلاطين فى العالم فاخذوا يبنون المدن والحصون واستمر الحرب بينهم الى آخر الزمان واعلم ان الكدر لا يرتفع من الدنيا وانما يرتفع التكدر عن قلوب اهل الله تعالى كالنار والماء لا يرتفعان ابدا لكن يرتفع احراق النار لبعض كما وقع لابراهيم عليه السلام واغراق الماء لبعض كما وقع لموسى عليه السلام والدنيا تذهب على هذا فطوبى لمن رضى وصبر (قال الحافظ) درين چمن كل بيخار كس نچيد آرى * چراغ مصطفوى باشرار بولهبيست (وله) مكن زغصه شكايت كه درطريق طلب * براحتى نرسيد آنكه زحمتى نكشيد * والاشارة فى الايات ان آدم الروح بازدواجه مع حواء القلب ولد قابيل النفس وتوأمته اقليميا الهوى فى بطن اولا ثم ولد هابيل القلب وتوأمته ليوذا العقل وكان اقليميا الهوى فى غاية الحسن لان القلب يميل الى طلب المولى وما عنده وهو محبب اليه وكان ليوذا العقل فى نظر هابيل القلب فى غاية القبح والدمامة لان القلب به يعقل عن طلب الحق والفناء فى الله ولهذا قيل العقل عقيلة الرجال وفى نظر قابيل النفس ايضا فى غاية القبح لان النفس به تعقل عن طلب الدنيا والاستهلاك فيها فالله تعالى حرم الازدواج بين التوأمين كليهما وامر بازدواج توأمة كل واحد منهما الى توأم الاخرى لئلا يعقل القلب عن طلب الحق بل يحرضه الهوى على الاستهلاك والفناء فى الله ولهذا قال بعضهم لولا الهوى ما سلك احد طريقا الى الله فان الهوى اذا كان قرين النفس يكون حرصا فيه تنزل النفس الى اسفل سافلين الدنيا وبعد المولى واذا كان قرين القلب يكون عشقا فيه يصعد القلب الى اعلى عليين العقبى وقرب المولى ولهذا سمى العشق هوى كما قال الشاعر

اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبى فارغا فتمكنا

ولتعقل النفس عن طلب الدنيا بل يحرضها العقل على العبودية وينهاها عن متابعة الهوى فذكر آدم الروح لولديه ما امر الله به فرضى هابيل القلب وسخط قابيل النفس وقال هى اختى يعنى اقليميا الهوى ولدت معى فى بطن وهى احسن من اخت هابيل القلب يعنى ليوذا العقل وانا احق بها ونحن من ولائد جنة الدنيا وهما من ولائد ارض العقبى فانا احق باختى فقال له ابوه انها لا تحل لك يعنى اذ كان الهوى قرينك فتهلك فى اودية حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها فابى ان يقبل قابيل النفس هذا الحكم من آدم الروح وقال الله تعالى لم يأمر به وانما هذا من رأيه فقال لهما آدم الروح قربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو احق بها فخرجا ليقربا وكان قابيل النفس صاحب زرع يعنى مدبر النفس النامية وهى القوة النباتية فقرب طعاما من اردى زرعه وهو القوة الطبيعية وكان هابيل القلب راعيا يعنى مواشى الاخلاق الانسانية والصفات الحيوانية فقرب جملا يعنى الصفة البهيمية وهى احب الصفات اليه لاحتياجه بها لضرورة التغذى والبقاء واسلامتها بالنسبة الى الصفات السبعية الشيطانية فوضعا قربانهما على جبل البشرية ثم دعا آدم الروح فنزلت نار المحبة من سماء الجبروت فاكلت جمل الصفة البهيمية لانها حطب هذه النار ولم تأكل من قربان قابيل النفس حبة لانها ليست من حطبها بل هى من حطب نار الحيوانية فهذا تحقيق قوله تعالى واتل عليهم الآية والاشارة فى قوله فطوعت له نفسه اى نفس قابيل النفس طوعت له وجوزت قتل اخيه وهو القلب لان النفس اعدى عدو القلب فقتله فاصبح من الخاسرين يعنى فى قتل القلب خسارة النفس فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فتحرم عن الواردات والكشوف والعلوم الغيبية التى منشأها القلب وعن ذوق المشاهدات ولذة المؤانسات فتبقى فى خسران جهولية الانسان كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر واما فى الاخرة فتخسر الدخول فى جنات النعيم ولقاء الرب الكريم والنجاة عن الجحيم والعذاب الاليم وفى قوله فبعث الله اشارات منها ليعلم ان الله قادر على ان يبعث غرابا وغيره من الحيوان الى الانسان ليعلمه ما لم يعلم كما يبعث الملائكة الى الرسل والرسل الى الامم ليعلمهم ما لم يعلموا ومنها لئلا يعجب الملائكة والرسل انفسهم باختصاصهم تعليم الحق فانه يعلمهم بواسطة الغراب كما يعلمهم بواسطة الملائكة والرسل ومنها ليعلم الانسان انه محتاج فى التعلم الى غراب ويعجز ان يكون مثل غراب فى العلم ومنها ان لله تعالى فى كل حيوان بل فى كل ذرة آية تدل على وحدانيته واختياره حيث يبدع المعاملات المعقولة عن الحيوانات الغير العاقلة ومنها اظهار لطفه مع عباده فى اسباب التعيش حتى اذا اشكل عليهم امر كيف يرشدهم الى الاحتيال بلطائف الاسباب لحله كذا فى التأويلات النجمية (من اجل ذلك) شروع فيما هو المقصود بتلاوة

النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بنى اسرآئيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه
اى من اجل كون القتل على سبيل العدوان مشتملا على انواع المفاسد من الخسارة عن جميع الفضائل الدينية
والدنيوية وعن جميع السعادات الاخروية كما هى مندرجة فى اجمال قوله فاصبح من الخاسرين ومن الابتلاء
بجميع ما يوجب الحسرة والندامة من غير ان يكون لشئ منها ما يدفعه البتة كما هو مندرج فى اجمال قوله
فاصبح من النادمين واجل فى الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه وهيجه استعمل فى تعليل الجنايات اى فى جعل
ما جناه الغير علة لامر يقال فعلته من اجلك اى بسبب ان جنيت ذلك وكسبته ثم اتسع فيه واستعمل
فى كل تعليل ومن لابتدآء الغاية متعلقة بقوله تعالى (كتبنا على بنى اسرآئيل) وتقديمها عليه للقصر اى من ذلك
ابتدئ الكتب ومنه نشأ لا من شئ آخر اى قضينا عليهم فى التوراة وبينا (انه من قتل نفسا) واحدة من النفوس
(بغير نفس) اى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (او فساد فى الارض) اى فساد اهدار دمها كالشرك وقطع
الطريق وهو عطف على ما اضيف اليه غير بمعنى نفى كلا الامرين معا كما فى قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت
صلاته لا نفى احدهما كما فى قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلاته (فكأنما قتل الناس جميعا) من حيث
انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سوآء فى استجلاب
غضب الله والعذاب العظيم وقوله جميعا حال من الناس او تأكيد (ومن احياها) اى تسبب لبقاء حياتها بعفو
او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة (فكأنما احيى الناس جميعا) فكأنما فعل ذلك بالناس
جميعا والمقصود من التشبيه المبالغة فى تعظيم امر القتل بغير حق والترغيب فى الاحتراز عنه (ولقد جاءتهم) اى
اهل الكتاب (رسلنا بالبينات) اى وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالآيات الواضحة بتقرير ما كتبنا
عليهم تأكيدا لوجوب مراعاته وتأييدا لتحتم المحافظة عليهم (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) اى بعد ما ذكر
من الكتب وتأكيدا لامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى وثم للتراخى فى الرتبة والاستبعاد
(فى الارض لمسرفون) فى القتل غير مبالين به والاسراف فى كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به
قوله بعد ذلك وقوله فى الارض يتعلقان بقوله لمسرفون وهو خبر ان وبهذا اى بقوله تعالى ولقد جاءتهم رسلنا
اتصلت القصة بما قبلها وفى التأويلات النجمية اعلم ان كل شئ ترى فيه آية من الله تعالى فهو فى الحقيقة رسول
من الله اليك ومعه آية بينة ومعجزة ظاهرة يدعوك بها الى الله ثم ان كثيرا من الذين شاهدوا الآيات وتحققوا
البينات بعد رؤية الآيات فى الارض لمسرفون اى فى ارض البشرية مجاوزون حد الشريعة والطريقة بمخالفة
اوامر الله ونواهيه انتهى واعلم ان اهل الغفلة يشاهدون الآثار لكن غافلون عن الحقيقة فهم كأنهم لا يبصرانهم
بل غيرة الحق تمنعهم عن الرؤية الصحيحة لكونهم اغيارا غير لائقين بالدخول فى المجلس الخاص (قال الحافظ)
معشوق عيان ميكذرد بر تو وليكن * اغيار همى بيند ازان بسته نقابست * وكل ذرة من ذرات
الكائنات وان كانت قائمة بالحق وبنوره فى الحقيقة الا ان الدنيا خيال يحتاج السالك الى العبور عن مسالكه
الى ان ينتهى الى الحق (وفى المثنوى) اين جهانرا كه بصورت قائمست * كفت پيغمبر كه حكم نائمست *
ازره تقليد تو كردى قبول * سالكان اين ديده پيدا بى رسول * روز در خوابى مكو كين خواب نيست *
سايه فرعست اصل جز مهتاب نيست * خواب بيداريت آن دان اى عضد * كه ببيند خفته كو در
خواب شد * او كمان برده كه اين دم خفته ام * بى خبر زان كوست در خواب دوم * وهذه اى اليقظة عن
المنام على الحقيقة لا تتيسر الا لارباب المكاشفة الصحيحة واصحاب المشاهدة الواضحة اللهم افض علينا من هذا
المقام (انما جزآء الذين يحاربون الله ورسوله) اى يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما
تعظيما لهم والمراد بالمحاربة قطع الطريق وهو انما يكون من قوم اجتمعوا فى الصحرآء وتعرضوا لدماء المسلمين
واموالهم وازواجهم واماثهم ولهم قوة وشوكة تمنعهم ممن ارادهم (ويسعون فى الارض فسادا) حال من
فاعل يسعون اى مفسدين نزلت فى قوم هلال بن عويمر الاسلمى وكان وادعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله فهو آمن
لا يهاج فمر قوم من بنى كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ حاضرا فقطعوا عليهم
وقتلوهم واخذوا اموالهم فان قلت بنفس ارادة الاسلام لا يخرج الشخص عن كونه حربيا والحد لا يجب بقطع

الطريق عليه وان كان مستأمنا قلت معناه يريدون تعلم احكام الاسلام فانهم كانوا مسلمين او يقال جاؤا على
قصد الاسلام فهم بمنزلة اهل الذمة والحد واجب بالقطع على اهل الذمة ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب
متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه ومن اخذه بدون قتل ومن الاخافة بدون
قتل واخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل (ان يقتلوا) اى حدا من
غير صلب ان افردوا القتل ولو عفا الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بآلة
جارحة اولا (او يصلبوا) اى يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم
برمح الى ان يموتوا او لا يصلبوا بعد ما قتلوا لان الصلب حيا ابلغ فى الردع والزجر لغيره عن الاقدام على مثل هذه
المعصية (او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف) اى ايديهم اليمنى من الرسغ وارجلهم اليسرى من الكعب
ان اقتصروا على اخذ من مسلم او ذمى وكان فى المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة دراهم
او ما يساويها قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه (او ينفوا
من الارض) ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعى للفساد والمراد بالنفى عندنا هو الحبس فانه نفى عن وجه الارض
بدفع شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الامن (ذلك لهم خزى) كائن (فى الدنيا)
اى ذل وفضيحة قوله ذلك مبتدأ ولهم خبر مقدم على المبتدأ وهو الخزى والجملة خبر لذلك (ولهم فى الاخرة)
غير هذا (عذاب عظيم) لا يقادر قدره لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر
وفى الاخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اى كائنا فى الاخرة
(الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله
تعالى (فاعلموا ان الله غفور رحيم) اما ما هو من حقوق الادميين فانه لا يسقط بهذه التوبة فان قطاع الطريق
ان قتلوا انسانا ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قتلهم حدا وكان ولى الدم على حقه
فى القصاص والعفو وان اخذوا مالا ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قطع ايديهم وارجلهم
من خلاف وكان حق صاحب المال باقيا فى ماله وجب عليهم رده واما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الاية
ان التوبة لا تنفعه ويقام الحد عليه فى الدنيا كما يضمن حقوق العباد وان سقط عنه العذاب العظيم فى العقبى
والاية فى قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يعنى ان المشرك المحارب لو آمن
بعد القدرة عليه فلا سبيل عليه بشئ من الحدود ولا يطالب بشئ مما اصاب فى حال الكفر من دم او مال كما لو آمن
قبل القدرة عليه واما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليه اى قبل ان يظفر به الامام سقطت عنه
العقوبة التى وجبت حقا لله ولا يسقط ما كان من حقوق العباد فان كان قد قتل فى قطع الطريق سقط عنه
بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لولى القتيل ان شاء عفا عنه وان شاء استوفاه
وان كان قد اخذ المال يسقط عنه القطع وان كان جمع بينهما يسقط عنه تحتم القتل والصلب ويجب ضمان المال
وقال بعضهم اذا جاء تائبا قبل القدرة عليه لا يكون لاحد تبعة فى دم ولا مال الا ان يوجد معه مال بعينه فيرده
على صاحبه روى عن على رضى الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق ويسفك الدماء
ويأخذ الاموال فقبل توبته ولم يجعل عليه تبعة اصلا واما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شئ
من الحقوق اعلم ان قطع الطريق واخافة المسافرين من اقبح السيئات كما ان دفع الاذى عن الطريق من احسن
الصالحات وفى الحديث عرضت على اعمال امتى حسنها وسيئها فوجدت فى محاسن اعمالها الاذى يماط عن
الطريق ووجدت فى مساوى اعمالها النخاعة تكون فى المسجد لا تدفن وفى الحديث من اشار الى اخيه اى اخيه
المسلم والذمى فى حكمه بحديدة اى بما هو آلة القتل لانه جاء فى رواية بسلاح مكان بحديدة فان الملائكة
تلعنه يعنى تدعو عليه بالبعد عن الجنة اول الامر لانه خوف مسلما باشارته وهو حرام لقوله عليه السلام
لا يحل لمسلم ان يروع لمسلم اولانه قد يسبقه السلاح فيقتله كما صرح فى رواية مسلم لا يشر احدكم الى اخيه
فانه لا يدرى لعل الشيطان ينزغ فى يده وان كان اخاه اى المشير اخا المشار اليه لابيه وامه يعنى فان كان هازلا
ولم يقصد ضربه كنى به عنه لان الاخ الشقيق لا يقصد قتل اخيه غالبا والاشارة فى الاية ان محاربة الله ورسوله
معاداة اولياء الله فان فى الخبر الصحيح حكاية عن الله تعالى من عادى لى وليا فقد بارزنى فى الحرب وانى لاغضب

لاولياني كما يغضب الليث لجروه الا ترى ان بلعم بن باعوراء فى زمن موسى عليه السلام كان بحيث اذا نظر رأى العرش فلما مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة ولم يترك لولى من اوليائه حرمة واحدة سلب الله معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطرود فجزاء مثل هذا المحارب ان يقتل بسكين الخذلان او يصلب بحبل الهجران على جذع الحرمان او يقطع ايديه عن اذيال الوصال وارجله من خلاف عن الاختلاف او ينفى من ارض القربة والائتلاف ذله فى الدنيا بعد وهوان وفى الآخرة عذاب القطيعة والهجران الا الذين تابوا الى الله واستغفروا واعتذروا عن اولياء الله من قبل ان تقدروا عليهم بردّ الولاية ايها الاولياء فان ردّكم ردّ الحق وقبولكم قبول الحق وان مردود الولاية مفقود العناية (قال الحافظ) كليد كنج سعادت قبول اهل دلست * مبادكس كه درين نكته شك وريب كند (وفى المثنوى) لاجرم اتراه بر تو بسته شد * چون دل اهل دل از تو خسته شد * زودشان درياب واستغفار كن * همچو ابرى كريها وزاركن * تا كلستان شان سوى تو بشكفد * ميوهاى پخته برخود وا كفد * هم بران دركردكم از سك مباش * باسك كهف ارشدستى خواجه تاش * (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) اى اخشوا عذابه واحذروا معاصيه (وابتغوا) اى اطلبوا لانفسكم (اليه) اى الى ثوابه والزلفى منه (الوسيلة) اى القربة بالاعمال الصالحة قوله تعالى اليه متعلق بالوسيلة قدم عليها للاهتمام وليست بمصدر حتى يمتنع ان يتقدم معمولها عليها بل هى فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله تعالى من وسل الى كذا تقرب اليه والجمع الوسائل وقال عطاء الوسيلة افضل درجات الجنة وفى الحديث سلوا الله لى الوسيلة فانها درجة فى الجنة لا ينالها الا عبد واحد وارجو من الله ان يكون هو انا وفى الحديث من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة اما الوسيلة فهى اعلى درجة فى جنة عدن وهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصلت له بدعاء امته فعل ذلك الحق سبحانه لحكمة اخفاها فانا بسببه نلنا السعادة من الله وبه كنا خير امة اخرجت للناس وبه ختم الله بنا الامم كما ختم به النبيين وهو صلى الله عليه وسلم مبشر كما امر ان يقول ولنا وجه خاص الى الله تعالى نناجيه منه ويناجينا وكذا كل مخلوق له وجه خاص الى ربه فامرنا عن امر الله ان ندعوا له بالوسيلة حتى ينزل فيها بدعاء امته وهذا من باب الغيرة الالهية اه (وجاهدوا فى سبيله) بمحاربة الاعداء الظاهرة والباطنة (لعلكم تفلحون) بالوصول الى الله والفوز بكرامته والاشارة فى الاية ان الله تعالى جعل الفلاح الحقيقى فى اربعة اشياء احدها الايمان وهو اصابة رشاشة النور فى بدو الخلقة وبه يخلص العبد من حجب ظلمة الكفر وثانيها التقوى وهو منشأ الاخلاق المرضية ومنبع الاعمال الشرعية وبه يخلص العبد من ظلمة المعاصى وثالثها ابتغاء الوسيلة وهو فناء الناسوتية فى بقاء اللاهوتية وبه يتخلص العبد من ظلمة اوصاف الوجود ورابعها الجهاد فى سبيل الله وهو اضمحلال الانانية فى اثبات الهوية وبه يتخلص العبد من ظلمة الوجود ويظفر بنور الشهود فالمعنى الحقيقى يا ايها الذين آمنوا باصابة النور اتقوا الله بتبديل الاخلاق الذميمة وابتغوا اليه الوسيلة فى افناء الاوصاف وجاهدوا فى سبيله ببذل الوجود لعلكم تفلحون بنيل المقصود من المعبود كذا فى التأويلات النجمية واعلم ان الاية الكريمة صرحت بالامر بابتغاء الوسيلة ولا بد منها البتة فان الوصول الى الله تعالى لا يحصل الا بالوسيلة وهى علماء الحقيقة ومشايخ الطريقة (قال الحافظ) قطع اين مرحله بى همرهى خضر مكن * ظلماتست بترس از خطر كمراهى * والعمل بالنفس يزيد فى وجودها واما العمل وفق اشارة المرشد ودلالة الانبياء والاولياء فيخلصها عن الوجود ويرفع الحجاب ويوصل الطالب الى رب الارباب قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى كنت انا وصاحب لى قد اوينا الى مغارة الطلب الدخول الى الله واقمنا فيها ونقول يفتح لنا غدا او بعد غد فدخل علينا يوما رجل ذو هيبة وعلمنا انه من اولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف يكون حال من يقول يفتح لنا غدا او بعد غد يا نفس لم لا تعبدين الله لله فتيقظنا وتبنا الى الله وبعد ذلك فتح علينا فلا بد من قطع التعلق من كل وجه لينكشف حقيقة الحال (قال الحافظ) فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ * كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد * وفى صحبة الاخيار والصلحاء شرف عظيم وسعادة عظمى وحكى ان خادم الشيخ ابى يزيد البسطامى كان رجلا مغربيا فجرى الحديث عنده فى سؤال منكر ونكير فقال المغربى والله ان يسألانى لاقولن لهما فقالوا له ومن اين يعلم ذلك فقال اقعدوا

على

على قبرى حتى تسمعونى فلما انتقل المغربى جلسوا على قبره فسمعوا المسألة وسمعوه يقول اتسألوننى وقد حملت فروة ابى يزيد على عنقى فمضوا وتركوه ولا تستبعد امثال هذا فان جواب المجيب المدقق يذهب معه من هنا فصل مثل هذا الزاد (وفى المثنوى) كنج زرى كوچو خسبى زير ريك * با تو باشد آن نباشد مرد ريك * پيش پيش ان جنازت مى رود * مونس كور وغريبى ميشود (ان الذين كفروا لو ان لهم) اى لكل واحد منهم (ما فى الارض) اى من اصناف اموالها وذخائرها وسائر منافعها وهو اسم ان ولهم خبرها (جميعا) توكيد للموصول او حال منه (ومثله) عطف على الموصول اى ضعفه (معه) ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول (ليفتدوا به) متعلق بما تعلق به خبر ان اعنى الاستقرار المقدر فى لهم وبه متعلق بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك (من عذاب يوم القيامة) متعلق بالافتداء ايضا اى لو ان ما فى الارض ومثله ثابت لهم لجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ وافتدوا به (ما تقبل منهم) ذلك وهو جواب ولو بما فى حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وفى الحديث يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له ارأيت لو كان لك ملئ الارض ذهبا اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له انك كنت سئلت ما هو الايسر من ذلك اى ما هو اسهل من الافتداء المذكور وهو ترك الاشراك بالله تعالى واتيان كلمة الشهادة (ولهم عذاب اليم) وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم (يريدون) كانه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل انهم يريدون (ان يخرجوا من النار) له وجوه الاول انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهنالك يريدون الخروج ولات حين مناص والثانى انهم يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم والثالث انهم يتمنون ويريدون بقلوبهم (وما هم) اى يريدون ذلك والحال انهم ليسوا (بخارجين منها) لانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها (ولهم عذاب مقيم) اى دائم لا ينقطع وهو تصريح من عدم تناهى مدته بعد بيان شدته وفى الحديث يقال لاهل الجنة لكم خلود ولا موت ولاهل النار يا اهل النار خلود ولا موت اى لكم خلود فى النار روى ان هذين القولين يكونان بعد ان يؤتى بالموت فى صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار وانما يمثل الموت بهذا المثال ليشاهدوا باعينهم ويستقر فى انفسهم ان الموت ارتفع فيزداد اهل الجنة فرحا واهل النار ترحا وتخصيص صورة الكبش لانه لما كان فداء عن اسماعيل الذى نبينا عليه السلام من نسله كان فى المعنى فداء عن جميع الاحياء فى الدنيا لانهم خلقوا لاجله فناسب ان يكون فداء عنهم فى دار الآخرة ايضا كذا فى شرح المشارق لابن الملك واعلم ان الكفر وجزاءه وهو الخلود فى النار اثر اخطاء رشاش النور الالهى فى عالم الارواح وقد انعم الله تعالى على المؤمنين باصابة ذلك النور (وفى المثنوى) مؤمنان كان عسل زنبور وار * كافران خود كان زهرى همچو مار * جنبش خلق از قضا ووعده است * تيزئ دندان زسوز معده است * نفس اول راند بر نفس دوم * ماهى از سر كنده باشد نى زدم * تو نميدانى كزين دو كيستى * جهد كن چندانكه بينى چيستى * چون نهى بر پشت كشتى بار را * بر توكل ميكنى ان كار را * تو نميدانى كه از هر دو كىء * غرقه اندر سفر يا ناجىء * چونكه بر تو كست جمله كارها * كار دين اولى كزين يابى رها * قال بعض الصلحاء رأيت فى منامى كانى واقف على قناطر جهنم فنظرت الى هول عظيم فجعلت افكر فى نفسى كيف العبور على هذه فاذا قائل يقول يا عبد الله ضع حملك واعبر قلت وما حملى قال دع الدنيا (قال الحافظ) تا كى غم دنياى دنى اى دل دانا * حيفست زخوبى كه شود عاشق زشتى وفى الحديث (يؤتى بانعم اهل الدنيا) الباء فيه للتعدية وانعم افعل تفضيل من النعمة اى باكثرهم نعمة (من اهل النار يوم القيامة فيصبغ فى النار صبغة) يعنى يغمس فيها مرة اراد من الصبغ الغمس اطلاقا للملزوم على اللازم لان الصبغ انما يكون بالغمس غالبا ثم اراد من غمسه فيها اصابة نفحة من النار به (ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب) شدة العذاب انسته ما مضى عليه من نعم الدنيا (ويؤتى باشد الناس بؤسا) اى شدة وبلاء فى الدنيا (من اهل الجنة فيصبغ صبغة من الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط) كذا فى شرح المشارق لابن ملك * هر چند غرق بحر كناهم زصد جهت * كر آشناى عشق شوم زاهل رحمتم (والسارق

(والسارقة) وهو مبتدأ محذوف الخبر اى حكم السارق والسارقة ثابت فيما يتلى عليكم. فقوله تعالى (فاقطعوا ايديهما) بيان لذلك الحكم المقدر فما بعد الفاء مرتبط بما قبلها ولذلك اتى بها فيه لانه هو المقصود مما قبلها ولو لم يأت بالفاء لتوهم انه اجنبى وانما قدر الخبر لان الامر انشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والمراد بايديهما أيمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه وتفصيل ما يتعلق بالسرقة سيجيء فى آخر المجلس (جزاء بما كسبا نكالا من الله) منصوبان على المفعول له والمعنى فاقطعوهما مكافاة لهما على ما فعلا من فعل السرقة وعقوبة رادعة لهما من العود ولغيرهما من الاقتداء بهما وبما كسبا متعلق بجزاء ومن الله صفة نكالا اى نكالا كائنا منه تعالى والنكال اسم بمعنى التنكيل مأخوذ من النكول وهو الامتناع (والله عزيز) غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه (حكيم) فى شرائعه لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح (فمن تاب) من السراق الى الله تعالى (من بعد ظلمه) اى من بعد ان ظلم غيره بأخذ ماله والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته (واصلح) اى امره بالتفصى عن تبعات ما باشره والعزم على ان لا يعود الى السرقة (فان الله يتوب عليه) اى يقبل توبته فلا يعذبه فى الاخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه قال الحدادى لا تقطع يده اذا رد المال قبل المرافعة الى الحاكم واما اذا رفع الى الحاكم ثم تاب فالقطع واجب فان كانت توبته حقيقية كان ذلك زيادة درجات له كما ان الله تعالى ابتلى الصالحين والانبياء بالبلايا والمحن والامراض زيادة لهم فى درجاتهم وان لم تكن توبته حقيقية كان الحد عقوبة له على ذنبه وهو مؤاخذ فى الآخرة ان لم يتب (ان الله غفور رحيم) مبالغ فى المغفرة والرحمة ولذلك يقبل التوبة (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به الجميع والاستفهام الانكارى لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سيأتى من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اى الم تعلم ان الله له السلطان القادر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته (يعذب من يشاء) ان يعذبه ولو على الذنب الصغير وهو عدل منه (ويغفر لمن يشاء) ان يغفر له ولو كان الذنب عظيما وهو الفضل منه اى يعذب لمن توجب الحكمة تعذيبه ويغفر لمن توجب الحكمة مغفرته (والله على كل شيء قدير) فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة قال ابن الشيخ انه تعالى لما اوجب قطع يد السارق وعقاب الاخرة لمن مات منه قبل التوبة ثم ذكر انه يقبل توبته ان تاب اردفه ببيان انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فيعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء يحسن منه التعذيب تارة والمغفرة اخرى لانه مالك جميع المحدثات وربهم واآلههم والمالك له ان يتصرف فى ملكه كيف شاء واراد لا كما زعمت المعتزلة من ان حسن افعاله تعالى ليس لاجل كونه الها للخلق ومالكا بل لاجل كونها على وفق مصالح الخلق ومتضمنة لرعاية ما هو الاصلح لهم انتهى واعلم ان السرقة هى اخذ مكلف خفية قدر عشرة دراهم مضروبة من حرز لا ملك له فيه ولا شبهة فاحترز بالمكلف عن اخذ صبى ومجنون وبالخفية وهو ركن السرقة عن الغصب وقطع الطريق وقوله قدر عشرة دراهم اى عينا او قيمة وهذا نصاب السرقة فى حق القطع واما فى حق العيب فاخذ ما دون عشرة يعد سرقة ايضا شرعا ويعد عيبا حتى يرد العبد به على بائعه وعند الشافعى نصاب السرقة ربع دينار ولنا قوله عليه السلام لا قطع الا فى ربع دينار او فى عشرة دراهم والاخذ بالاكثر اولى احتيالا لدرء الحد والمعتبر فى هذه الدراهم ما يكون عشرة منها وزن سبعة مثاقيل واحترز بالمضروبة عما قيمته دونها حتى اذا سرق تبرا عشرة لا يساوى عشرة مضروبة لا يجب القطع وقوله من حرز اى من مال ممنوع من ان يصل اليه يد الغير سواء كان المانع بناء او حافظا قال البغوى اذا سرق شيأ من غير حرز كثمر فى حائط لا حارس له او حيوان فى برية لا حافظ له او متاع فى بيت منقطع عن البيوت لا قطع عليه وقيد بقوله ولا شبهة لانه لو كان له شبهة فى المسروق كما اذا سرق من بيت المال او فى الحرز كما اذا سرق من بيت اذن الناس بالدخول فيه كالحمام والرباط لا يقطع لان القطع يندرئ بالشبهة وكذا لا قطع بسرقة مال سيده لوجود الاذن بالدخول عادة وكذا بسرقة مال زوجته او زوجها ولو من حرز خاص لآخر لا يسكنان فيه لان اليد المبسوطة لكل من الزوجين فى مال الآخر ثابتة

وهو

وهو مانع عن القطع وكذا لا قطع بسرقة مال من بينهما قرابة ولاء لجريان الانبساط بين الاصول والفروع بالانتفاع فى المال والدخول فى الحرز ولا بسرقة من بيت ذى رحم محرم ولو كان المسروق مال غيره لعدم الحرز ويقطع يمين السارق من زنده وهو مفصل الذراع فى الكف ويحسم بان يدخل فى الدهن الحار بعد القطع لقطع الدم لانه لو لم يحسم لافضى الى التلف والحد زاجر لا متلف ولهذا لا يقطع فى الحر الشديد والبرد الشديد وان سرق ثانيا بعد ما قطعت يده اليمنى تقطع رجله اليسرى من المفصل وان سرق ثالثا لا يقطع بل يحبس حتى يتوب ويظهر عليه سيما الصالحين والتائبين لقول على رضى الله عنه فيمن سرق ثلاث مرات انى لاستحيى من الله ان لا ادع له يدا يأكل بها ويستنجى ورجلا يمشى عليها وفى الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وفيه دليل على ان التوبة يعلم اثرها وتثبت السرقة بما يثبت به شرب الخمر اى بالشهادة او بالاقرار مرة ونصابها رجلان لان شهادة النساء غير مقبولة فى الحدود وطلب المسروق منه شرط القطع لان الخيانة على ملك الغير لا تظهر الا بخصومته ولا فرق فى القطع بين الشريف والوضيع وعن عائشة رضى الله عنها قالت سرقت امرأة مخزومية فاراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يقطع يدها فاستشفع لها اسامة بن زيد وكان النبى عليه الصلاة والسلام يحبه فلم يقبل وقال يا اسامة اتشفع فى حد من حدود الله انما اهلك الذين قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وفى الحديث نهى عن الشفاعة فى الحدود بعد بلوغ الامام ولهذا رد رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة اسامة واما قبله فالشفاعة من المجنى عليه جائزة والستر على الذنب مندوب اذا لم يكن صاحب شر واذى (قال السعدى)

پس پرده بيند عملهاى بد * هم او پرده پوشد بالاى خود *

وفى الحديث ايضا دلالة على وجوب العدل فى الرعية واجراء الحكم على السوية قال الامام ابو منصور فان قيل ما الحكمة فى قطع يد قيمتها الوف بسرقة عشرة دراهم فكيف يكون قطعها جزاء لفعل السارق وقد قال تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قلنا جزاء الدنيا محنة يمتحن بها المرء والله تعالى ان يمتحن بما شاء ابتداء اى من غير ان يكون ذلك جزاء على كسب العبد ولان القطع ليس بجزاء لما اخذ من المال ولكن لما هتك من الحرمة الا يرى انه قال جزاء بما كسبا فيجوز ان يبلغ جزاء هتك تلك الحرمة قطع اليد وان قصر على العشر علم ذلك لان مقادير العقوبات انما يعلمها من يعلم مقادير الجنايات واذا كان الامر كذلك فالحق التسليم والانقياد انتهى ونعم ما قال يونس بن عبيد فى باب الترهيب لا تأمن من قطع فى خمسة دراهم خير عضو منك ان يكون عذابه هكذا غدا كما فى منهاج العابدين فعلى العاقل ان يتوب عن الزلل وينقطع عن الحيل ويتوجه الى الله الاعلى الاجل (وفى المثنوى)

حيلها وچارها كر اژدهاست * پيش الا الله آنها جمله لاست *
قفل زفتست وكشاينده خدا * دست در تسليم زن اندر رضا *

ثم ان الله تعالى انما بدأ بالسارق فى هذه الآية قبل السارقة وفى آية الزنى بدأ بالزانية لان السرقة تفعل بالقوة والرجل اقوى من المرأة والزنى يفعل بالشهوة والمرأة اكثر شهوة والمرأة ادعى من الرجل الى نفسها منه اليها ولهذا لو اجتمع جماعة على امرأة لم يقدروا عليها الا بمرادها ولهذا قيل قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ولم يقل وعصت حواء مع انها اكلت قبل آدم ودعته الى الاكل وقيل انما قطعت يد السارق لانها باشرت ولم يقطع ذكر الزانى للمباشرة خوفا لقطع النسل وتحصل ايضا لذة الزنى بجميع البدن قال النيسابورى قطعت يد السارق لانها اخذت المال الذى هو يد الغنى وعماده كانه اخذ يد انسان فجزاؤه ايده لتناولها حق الغير وقيل قال الله تعالى ولله خزائن السموات والارض فكل ما عند العبد من مال فهو خزانة الحق عنده والعبد خازنه فهما تعدى خزانة مولاه بغير اجازة استحق السياسة بقطع آلة التعدى الى خيانة خزانته وهى اليد المتعدية ثم ان السرقة كما تكون من المال كذلك تكون من العبادات وفى الحديث اسوء الناس سرقة الذى يسرق من صلاته قالوا يا رسول الله كيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها وفى الحديث ان الرجل ليصلى ستين سنة وما تقبل له صلاة لعله يتم الركوع ولا يتم السجود ويتم السجود ولا يتم الركوع كذا فى الترغيب والترهيب فمثل هذا المصلى يقطع يمينه عن نيل الوصال فلا يصل الى مراده بل يبقى فى الهجران والقطيعة اذ هو اساء الادب بل قصر فى امر الرب سبحانه وتعالى (يا ايها الرسول) خاطبه صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف (لا يحزنك الذين) اى صنع الذين فان الذوات مع قطع

النظر عن العوارض لاتوجب الحزن والفرح (يسارعون فى الكفر) اى يقعون فى الكفر سريعا فى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة والمقصود نهيه عليه السلام عن ان يتحزن بصنيعهم بناء على انه تعالى ناصره عليهم والمعنى لاتحزن ولاتبال بتهافتهم فى الكفر سريعا (من الذين) بيان للمسارعين فى الكفر (قالوا آمنا بافواههم) متعلق بقالوا والفائدة فى بيان تعلقه بالافواه مع ان القول لايكون الا بالفم واللسان الاشارة الى ان السنتهم ليست معبرة عما فى قلوبهم وان مايجرون على السنتهم لايجاوز افواههم وانما نطقوا به غير معتقدين له بقلوبهم (ولم تؤمن قلوبهم) جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للتصريح بما اشار اليه بقوله بافواههم (ومن الذين هادوا) عطف على من الذين قالوا وبه يتم بيان المسارعين فى الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود (سماعون) خبر مبتدأ محذوف والتقدير هم اى المنافقون واليهود سماعون (للكذب) اللام اما لتقوية العمل واما لتضمن السماع معنى القبول واما لام كى والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون فى سماع الكذب اوفى قبول ماتفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابهم اوسماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بالزيادة والنقص والتبديل فان منهم من يسمع من الرسول عليه السلام ثم يخرج ويقول سمعت منه كذا وكذا ولم يسمع ذلك منه (سماعون لقوم آخرين) خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام مثل اللام فى سمع الله لمن حمده فى الرجوع الى معنى من اى قبل منه حمده والمعنى مبالغون فى قبول كلام قوم آخرين (لم يأتوك) صفة اخرى لقوم اى لم يحضروا مجالسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو اقريظة (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) صفة اخرى لقوم اى يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله فيها اما لفظا باهماله اوتغيير وصفه واما بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده (يقولون) صفة اخرى لقوم اى يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل (ان اوتيتم) من جهة الرسول (هذا) المحرف (فخذوه) واعملوا بموجبه فانه الحق (وان لم تؤتوه) بل اوتيتم غيره (فاحذروا) قبوله واياكم واياه روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين وحدهما الرجم فى التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة فقدم الرهط حتى نزلوا على قريظة والنضير فقالوا لهم انكم خبير بهذا الرجل ومعه فى بلده وقد حدث فينا حدث فلان وفلانة فجرا وقد احصنا فنحب ان تسألوا لنا محمدا عن قضائه فيه فقالت لهم قريظة والنضير اذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وكنانة بن ابى الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزانى والزانية اذا احصنا ما حدهما فى كتابك فقال هل ترضون بقضائى قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم فقال اى رجل هو فيكم قالوا هو اعلم يهودى بقى على وجه الارض بما انزل الله على موسى فى التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له عليه السلام انت ابن صوريا قال نعم قال وانت اعلم يهودى قال كذلك يزعمون قال اتجعلونه بينى وبينكم قالوا نعم قال له النبى عليه السلام انشدك بالله الذى لا اله الا هو الذى انزل التوراة على موسى واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون والذى ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون فى كتابكم الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت ان تحرقنى التوراة ان كذبت اوغيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذى انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله فى التوراة على موسى فقال له النبى عليه السلام فماذا كان اول ما ترخصتم به فى امر الله تعالى قال كنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنى فى اشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم يرجم ثم زنى رجل آخر فى اسوة من الناس فاراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه وقالوا والله لاترجمه حتى ترجم فلانا ابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيأ دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلدا اربعين جلدة بحبل مطلى بالقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل دبر الحمار يطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم

فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم انه قد نشدنى بالتوراة ولولا خشية التوراة ان تهلكنى لما اخبرته فامر بهما النبى صلى الله عليه وسلم فرجما عند باب المسجد وقال اللهم انى اول من احيى امرك اذ اماتوه فانزل الله تعالى يا ايها الرسول الاية (ومن) شرطية (يرد الله فتنته) اى ضلالته اوفضيحته كائنا من كان (فلن تملك له) فلن تستطيع له (من الله شيأ) فى دفعها (اولئك) المنافقون واليهود (الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) اى من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية (لهم) اى للمنافقين واليهود (فى الدنيا خزى) اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزى اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم فى كتمان نص التوراة (ولهم فى الآخرة) اى مع الخزى الدنيوى (عذاب عظيم) هو الخلود فى النار (سماعون للكذب) تكرير لما قبله (اكالون للسحت) اى الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة (فان جاؤك) الفاء فصيحة اى واذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات (فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم) بيان لحال الامرين اثر التخيير (فلن يضروك شيأ) من الضرر بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل الذى امرت به كما حكمت بالرجم (ان الله يحب المقسطين) العادلين فيحفظهم عن كل مكروه ومحذور ويعظم شأنهم وفى الحديث المقسطون عند الله على منابر من نور (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم لمن لايؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه فى كتابهم الذى يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة اورفعها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه (ثم يتولون) عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجب ثم للتراخى فى الرتبة (من بعد ذلك) اى من بعد ما حكمولك وهو تصريح بما علم قطعا لتأكيد الاستبعاد والتعجب اى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك (وما اولئك) الموصوفون بما ذكر (بالمؤمنين) اى بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق لكتابهم ثانيا اوبك وبه وفى الآيات ذم للظلم ومدح للعدل وقدح فى الحرام والرشوة وفى الحديث كل لحم انبته السحت فالنار اولى به وفيه لعن الله الراشى والمرتشى والرائش واراد بالرائش الذى يمشى بينهما (وفى المثنوى) اى بسا مرغى پرنده دانه جو * كه بريده حلق اوهم حلق او * اى بسا ماهى در آب دوردست * كشته از حرص گلو مأخوذ شست * اى بسا مستور در پرده بده * شومى فرج وگلو رسوا شده * اى بسا قاضئ حبر نيك خو * از گلو رشوت او زردرو * بلكه در هاروت وماروت آن شراب * ازعروج چرخشان شد سد باب * ذكر فى ادب القاضى للخصاف الرشوة على اربعة اوجه اما ان يرشوه لانه قد خوفه فيعطيه الرشوة ليدفع الخوف عن نفسه اويرشوه ليسوى امره بينه وبين السلطان اويرشوه ليتقلد القضاء من السلطان اويرشو القاضى ليقضى له ففى الوجه الاول لايحل الاخذ لان الكف عن التخويف كف عن الظلم وانه واجب حقا للشرع فلا يحل اخذه لذلك ويحل للمعطى الاعطاء لانه جعل المال وقاية للنفس وهذا جائز موافق للشرع وفى الوجه الثانى ايضا لايحل الاخذ لان القيام بامور المسلمين واجب بدون المال فلا يحل له الاخذ وفى الوجه الثالث لايحل له الاخذ والاعطاء واما الرابع فحرام الاخذ سواء كان القضاء بحق اوظلم اما الظلم فلوجهين احدهما انه رشوة والثانى انه سبب للقضاء بالجور واما الحق فلوجه واحد وهو انه اخذ المال لاقامة الواجب واما الاعطاء فان كان بجور لايجوز وان كان بحق جاز قال ابن مسعود رضى الله عنه من شفع شفاعة ليردبها حقا اويدفع بها ظلما فاهدى له فقبل فهو سحت وفى نصاب الاحتساب ان المحتسب اوالقاضى اذا اهدى اليه ممن يعلم انه يهدى لاحتياجه الى القضاء والحسبة لايقبل ولو قبل كان رشوة واما ممن يعرف انه يهدى للتودد والتحبب لا للقضاء والحسبة فلا بأس منه وكان الصحابة رضى الله عنهم يتوسعون فى قبول الهدايا عنهم وهذا لان الهدية كانت عادتهم وكانوا لايلتمسون منهم شيأ وانما كانوا يهدون لاجل التودد والتحبب وكانوا يستوحشون برد هداياهم فلا يكون فيه

معنى الرشوة فلهذا كانوا يقبلونها قال قوم ان صلات السلاطين تحل للغنى والفقير اذا لم يتحقق انها حرام
وانما التبعة على المعطى قالوا لان النبى صلى الله عليه وسلم قبل هدية المقوقس ملك الاسكندرية واستقرض
من اليهود مع قول الله تعالى اكالون للسحت واما حال السوق فمتى علمت ان الحرام هو الاكثر فلا تشتر الا بعد
التفتيش وان كان كثيرا وليس بالاكثر فلك السؤال ولقد كان النبى عليه السلام واصحابه يشترون
من الاسواق مع علمهم بان فيهم اهل الربا والغصب والغلول قال الحدادى ومن السحت ثمن الخمر والخنزير
والميتة وعسب الفحل واجرة النائحة والمغنية والساحر وهدية الشفاعة ومهر البغى وحلوان الكاهن هكذا
قال عمر وعلى وابن عباس رضى الله عنهم قالوا والمال الذى يأخذه المغنى والقوال ونحوهما حكم ذلك اخف
من الرشوة فان صاحب المال اعطاه عن غير اختيار بغير عقد قال ابن كيسان سمعت الحسن يقول اذا كان لك
على رجل دين فاكلت فى بيته فهو سحت فعليك ايها المؤمن المتقى بالاحتياط فى امورك حتى لا تقع فى الشبهات
بل فى الحرام وانما تحصل التصفية للقلب باكل الغذآء الحلال (قال الحافظ) صوفى شهر بين كه چون لقمهٔ
شبهه ميخورد * پاردمش دراز باد آن حيوان خوش علف * والمقصود من البيت تشبيه الذى لا يحترز
عن الشبهات بالحيوان فى الاكل من كل ما يجده من غير تفرقة ولان تناول الشبهات من كمال الحرص
لانه لو لم يكن له حرص لكان له قناعة بالحلال ولو قليلا والحيوان يعظم من كثرة الاكل والشرب والنوم
وهى حكم الطبيعة (انا انزلنا التوراة) حال كونها (فيها هدى) تهدى شرائعها واحكامها الى الحق وترشد
الناس اليه (ونور) تكشف ما انبهم من الاحكام وما يتعلق بها من المستورة بظلمات الجهل (يحكم بها النبيون)
اى انبياء بنى اسرائيل اى يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها (الذين اسلموا) ان قلت النبيون اعظم
من الاسلام فكيف يمدح نبى بانه رجل مسلم وما الوصف به بعد الوصف بالنبوة الا تنزل من الاعلى الى الادنى قلت
قد يذكر الوصف مدحا للوصف ففائدة التوصيف تنويه شان الصفة والتنبيه على عظم قدرها حيث وصف
بها عظيم كما وصف الانبياء بالصلاح والملائكة بالايمان وقد قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف (قال)

ما ان مدحت محمدا بمقالتى * لكن مدحت مقالتى بمحمد

(للذين هادوا) متعلق بيحكم اى يحكمون فيما بينهم واللام لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم
او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا (والربانيون والاحبار) عطف على النبيون اى هم ايضا يحكمون باحكامها
وهم الزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود (بما استحفظوا من كتاب الله)
اى بالذى استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث سألوهم ان يحفظوها من التضييع والتحريف على
الاطلاق ولا ريب فى ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم فى اجرآء احكامها من غير اخلال بشئ منها والباء
سببية متعلقة بيحكم اى ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم
وسألوهم ان يحفظوه (وكانوا عليه شهدآء) اى رقباء لا يتركونهم ان يغيروا فهو من الشهود بمعنى الحضور
(فلا تخشوا الناس) كائنا من كان ايها الرؤساء والاحبار واقتدوا فى مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم من
الانبياء واشياعهم (واخشون) فى الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء وان تخشوا غير الله
فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ودلالة الآية تتناول حكام المسلمين (ولا تشتروا بآياتى)
الاشترآء استبدال السلعة بالثمن اى اخذها بدلا عنه ثم استعير لاخذ شئ بدلا عما كان له عينا كان او معنى اخذا
منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطى ونبذ اى لا تستبدلوا بآياتى التى فيها بان تخرجوها منها او تتركوا
العمل بها وتأخذوا لانفسكم بدلا منها (ثمنا قليلا) من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت
قليلة مسترذلة فى نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها آن جهان جيفه است ومردار
ورخيص * بر چنين مردار چون باشم حريص * پس حيات ماست موقوف فطام * اندك اندك
جهد كن فهم الكلام * ولما كان الاقدام على التحريف لدفع ضرر كما اذا خشى من ذى سلطان او لجلب نفع
كما اذا طمع فى الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا (ومن لم يحكم بما انزل الله) مستهينا به منكرا له
كائنا من كان كما يقتضيه ما فعلوه من التحريف (فاولئك هم الكافرون) لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره
ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم بانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج

عنه (وكتبنا) فرضنا عطف على انزلنا التوراة (عليهم) اى على الذين هادوا (فيها) اى فى التوراة (ان النفس
بالنفس) اى تقاد بها اذا قتلها بغير حق (والعين) تفقأ (بالعين) اذا فقئت بغير حق (والانف) تجدع (بالانف)
المقطوعة بغير حق (والاذن) تصلم (بالاذن) المقطوعة ظلما (والسن) تقلع (بالسن) المقلوعة بغير حق
(والجروح قصاص) اى ذات قصاص بحيث تعرف المساواة واما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم
او جرح لحم كالجائفة ونحوها فلا قصاص فيه لانه لا يمكن الوقوف على نهايته ففيه ارش او حكومة (فمن تصدق)
اى من المستحقين (به) اى بالقصاص اى فمن عفا عنه فالتعبير بالتصدق للمبالغة فى الترغيب فيه (فهو)
اى التصدق (كفارة له) اى للمتصدق يكفر الله تعالى بها ما سلف من ذنبه واما الكافر اذا عفا لا يكون عفوه
كفارة له مع اقامته على الكفر وفى الحديث من اصيب بشئ من جسده فتركه لله كان كفارة له وفى الحديث
ثلاث من جاء بهن يوم القيامة مع الايمان دخل الجنة من اى ابواب الجنة شاء وتزوج من الحور العين حيث شاء
من عفا عن قاتله ومن قرأ دبر كل صلاة مكتوبة قل هو الله احد عشر مرات ومن ادى دينا خفيا وقال بعضهم
الهاء كناية عن الجارح والقاتل يعنى اذا عفا المجنى عليه عن الجانى فعفوه كفارة لذنب الجانى لا يؤخذ به
فى الآخرة كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافى فعلى الله (ومن لم يحكم بما انزل الله) من الاحكام والشرآئع
(فاولئك هم الظالمون) المبالغون فى الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشئ فى غير موضعه (وقفينا على
آثارهم) عطف على انزلنا التوراة اى آثار النبيين المذكورين (بعيسى ابن مريم) اى ارسلناه عقيبهم وجئنا به
بعدهم يقال قفوت اثره قفوا وقفوا اى اتبعته فهو يتعدى الى واحد واذا قلت قفيت على اثره بفلان يكون
المعنى اتبعته اياه وحقيقة التقفية الاتيان بالشئ فى قفا غيره والتضعيف فيه ليس للتعدية فان فعل المضعف
قد يكون بمعنى فعل المجرد كقدر وقدر وانما تعدى الى الثانى بالباء فمفعوله الاول محذوف اى اتبعنا النبيين
الذين ذكرناهم بعيسى وجعلناه ممن يقفوهم فحذف المفعول وجعل على آثارهم كالقائم مقامه (مصدقا لما بين
يديه من التوراة) حال من عيسى (وآتيناه الانجيل) عطف على قفينا (فيه هدى ونور) كما فى التوراة وهو فى محل
النصب على انه حال من الانجيل اى كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا على هدى ونور (ومصدقا لما بين يديه
من التوراة) عطف عليه داخل فى حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التوراة زيادة تقرير (وهدى وموعظة
للمتقين) عطف على مصدقا منتظم معه فى سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل
فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة للمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه (قال الحافظ)
گر انگشت سليمانى نباشد * چه خاصيت دهد نقش نگينى * فكما ان الانتفاع بالخاتم انما يكون لمن كان له
مشرب سليمانى كذلك الانتفاع بالكتاب انما يكون لمن له تقوى ربانى (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه)
اى آتيناه الانجيل وقلنا ليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه (ومن لم يحكم بما انزل الله) منكرا له مستهينا به
(فاولئك هم الفاسقون) المتمردون الخارجون عن الايمان وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام
وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مأمورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما فى التوراة
خاصة وفيه تهديد عظيم للحكام وفى الحديث يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة العذاب ما يتمنى انه
لم يفصل بين احد فى تمرتين فاذا كان هذا حال القاضى العدل فما ظنك بالجائر والمرتشى بو حنيفه قضا نكرد
وبمرد * تو بميرى اگر قضا نكنى * وفى الحديث القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة قاض قضى بغير
حق وهو يعلم فذلك فى النار وقاض قضى وهو لا يعلم فاهلك حقوق الناس فذلك فى النار وقاض قضى بحق فذلك
فى الجنة كذا فى المقاصد الحسنة للامام السخاوى حكى ان بنى اسرآئيل كانوا ينصبون لاجرآء الاحكام بينهم
حكاما ثلاثة حتى اذا رفع الخصم الامر الى واحد منهم فلم يرض من الآخر ترافعا الى الثانى ثم الى الثالث
ليطمئن قلبه فذات يوم تصور ملك بصورة انسان يريد امتحان هؤلاء الحكام فركب على رمكة وقام على رأس
بئر فاذا رجل اتى ببقرة له مع عجلها ليسقيهما فلما سقاهما واراد الرجوع اشار الملك الى العجل فجاء الى جنب الرمكة
فكلما نادى صاحبه ودعاه لم يستمع ولم يذهب الى الام فجاء الرجل ليسوقه باى وجه يمكن فقال الملك يا هذا
الرجل ان العجل قد ولدته رمكتى هذه فاذهب وخلنى وعجلى فقال الرجل يا عجبا العجل ملكى قد ولدته بقرتى هذه
فتنازعا وترافعا الى القاضى الاول فسبق الملك الرجل الى القاضى وقال ان قضيت لى بالعجل دفعت لك كذا فقبله

القاضى فلما تحاكما حكم بالعجل للملك فلم يرض به الرجل فترافعا الى الثانى فحكم هو ايضا بالعجل للملك فلم يرض به الرجل ايضا فترافعا الى الثالث فلما عرض الملك الرشوة عليه قال لا استطيع هذا الحكم فانى قد حضت فقال الملك ايش تقول هل تحيض الرجال والحيض من خواص النساء فقال القاضى له تتعجب من كلامى ولا تتعجب من كلامك فكما ان الرجال لا تحيض فكذلك الرمكة لا تلد عجلا فقال الملك هنالك قاضيان فى النار وقاض فى الجنة وهذا الكلام منقول من لسانه كذا ذكر البعض نقلا عن فم حضرة الشيخ الشهير بهدايى الاسكدارى قدس سره (وانزلنا اليك) يا محمد (الكتاب) اى القرآن حال كونه ملتبسا (بالحق) والصدق حال كونه (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) اى مصدقا لما تقدمه من جنس الكتب المنزلة من حيث انه نازل حسبما نعت فيه وموافقا له فى التوحيد والعدل واصول الشرائع (ومهيمنا عليه) اى رقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغير لانه يشهد لها بالصدق والصحة والثبات وتقرر اصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب فى انه تميز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من احكام كونها مهيمنا عليها (فاحكم بينهم) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى اذا كان شأن القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتاب عند تحاكمهم اليك (بما انزل الله) اى بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية فى الكتب الالهية (ولا تتبع اهوآءهم عما جاءك من الحق) بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كانه قيل لا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهوآءهم (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب بطريق الالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدى لواحد وهو اخبار بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الباقية والخالية جعلنا اى عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التى عينت لها فالامة من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التوراة والتى كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبى عليهما السلام شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم القرآن ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هى الطريقة الى الماء شبه بها الدين الذى شرعه الله اى سنه من نحو الصوم والصلاة والحج والنكاح وغير ذلك من وجوه الصلاح لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحياة الابدية كما ان الماء سبب للحياة الفانية والمنهاج الطريق الواضح فى الدين من نهج الامر اذا وضح قيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شريعتنا لا من حيث انها شرعة للاولين (ولو شاء الله) ان يجعلكم امة واحدة (لجعلكم امة واحدة) اى جماعة واحدة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم فى شئ من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل (ولكن) لم يشأ ذلك اى ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم (ليبلوكم) اى ليعاملكم معاملة من يبتليكم (فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشيئة الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم فى معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى (وفى المثنوى) كر بسوزد باغت انكورت دهد * درميان ماتمى سورت دهد * لا نسلم واعتراض از ما برفت * جون عوض مى آيد از مفقود رفت (فاستبقوا الخيرات) اى اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم فى الدارين من العقائد الحقية والاعمال الصالحة المندرجة فى القرآن الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل (الى الله مرجعكم جميعا) اى مرجع من آمن ومن لم يؤمن جميعا حال من ضمير الخطاب (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) اى فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه فى الدنيا من امر الدين والشريعة وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التى هى وظيفة الاخبار (وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوآءهم) عطف على الكتاب اى انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه (واحذرهم) مخافة

ان

(ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) اى يضلوك ويصرفوك عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق فالمراد بالفتنة ههنا الميل عن الحق والوقوع فى الباطل كما فى قوله عليه السلام اعوذ بك من فتنة المحيا اى العدول عن الطريق المستقيم وكل من صرف من الحق الى الباطل واميل عن القصد فقد فتن روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعك اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله فنزلت واستدل العلماء بهذه الآية على ان الخطأ والنسيان جائز على الرسل لانه تعالى قال واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك والتعمد فى مثل هذا غير جائز على الرسل فلم يبق الا الخطأ والنسيان (فان تولوا) اى اعرضوا عن الحكم بما انزل الله وارادوا غيره (فاعلم انما يريد الله) اى فاعلم ان اعراضهم من اجل ان الله يريد (ان يصيبهم ببعض ذنوبهم) اى يعجل لهم العقوبة فى الدنيا بان تسلطك عليهم ويعذبهم فى الدنيا بالقتل والجلاء والجزية ويجازيهم بالباقى فى الآخرة فالمراد ببعض ذنوبهم ذنب توليهم عن حكم الله تعالى وانما عبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع عظمه واحد من جملتها (وان كثيرا من الناس لفاسقون) اى متمردون فى الكفر مصرون عليه خارجون من الحدود المعهودة فلماذا يتولون عن حكم الله (افحكم الجاهلية يبغون) انكار وتعجب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى أيتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وهى الملة الجاهلية التى هى هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحى (ومن احسن من الله حكما) انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساوى له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفى المساواة وانكارها يرشدك اليه العرف المطرد والاستعمال الناشئ فانه اذا قيل من اكرم من فلان او الافضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وحكما نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن حكمه احسن من حكم الله (لقوم يوقنون) اى عندهم واللام للبيان فيتعلق بمحذوف كما فى سقيا لك فان سقيا دعاء للمخاطب بان يسقيه الله فيكون لك بيانا له اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها وليست اللام متعلقة بقوله حكما لان حكم الله لا يخص قوما دون قوم فقد دلت الايات على ان الدين واحد من حيث الاصول مختلف من جهة الفروع ولله ان يحكم فى كل عصر وزمان بما اراد ففيه حكم ومصالح فعلينا بالتسليم والانقياد وترك الاعتراض والمسارعة الى الخيرات قبل الموت والفوت وفى الحديث (اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك) لان الرجل يقدر على الاعمال فى حال شبابه ما لا يقدر عليه فى حال هرمه ولان الشاب اذا تعود فى المعصية لا يقدر على الامتناع منها فى هرمه (وصحتك قبل سقمك) لان الصحيح نافذ الامر فى ماله ونفسه لانه اذا مرض ضعف بدنه عن الطاعة وقصرت يده عن ماله الا فى مقدار ثلثه (وفراغك قبل شغلك) يعنى فى الليل تكون فارغا وبالنهار تكون مشغولا فينبغى ان تصلى بالليل فى حال فراغك وتصوم فى النهار فى وقت شغلك خصوصا فى ايام الشتاء لان الصوم فى الشتاء غنيمة المؤمن كما قال عليه السلام الشتاء غنيمة المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفى رواية اخرى الليل طويل فلا تقصره بمنامك والنهار مضيء فلا تكدره بآثامك (وغناك قبل فقرك) يعنى اذا كنت راضيا بما اعطاك الله من القوت فاغتنم ذلك ولا تطمع فيما فى ايدى الناس (وحياتك قبل مماتك) لان الرجل ما دام حيا يقدر على العمل فاذا مات انقطع عمله ولهذا تتمنى الموتى ان يعودوا الى الدنيا فيهللوا مرة او يصلوا ركعة فالفرصة غنيمة والعمر قليل (قال الحافظ) بكذشتن فرصت اى برادر * كرم روى جو ميغ باشد * درياب كه عمر بس عزيزست * كر فوت شود دريغ باشد (وقال السيد الشريف لابنه) نصيحت همينست جان بدر * كه عمرت عزيزست ضايع مكن فينبغى للعاقل ان لا يضيع ايامه (قال الحكيم) بكودكى بازى * بجوانى مستى * به پيرى سستى * خدارا كى پرستى * فاذا تم شغلك بالشريعة فاجتهد فى الطريقة وهى باطن الشريعة واقتد باولى الالباب فانه كما ان لكل نبى شرعة ومنهاجا كذلك لكل ولى طريقة مسلوكة مخصوصة وقد ضل من ضل منارهم (يا ايها الذين آمنوا) خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم اذ روى ان عبادة بن الصامت

رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى ابرأ الى الله ورسوله
من ولايتهم واو الى الله ورسوله فقال عبد الله بن ابى انى رجل اخاف الدوآئر لا ابرأ من ولاية موالى وهم
يهود بنى قينقاع فقال تعالى (لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء) اى لا تتخذوا احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم
ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع فى نفسه
لا يتعلق به النهى (بعضهم اولياء بعض) اى بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق
لا من الفريق الآخر لانه لا موالاة بين فريقى اليهود والنصارى رأسا والكل متفقون على الكفر مجمعون على
مضارتكم ومضاركم فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة (ومن يتولهم منكم) اى من يتخذهم اولياء (فانه منهم)
اى هو على دينهم ومعهم فى النار وهذا اذا تولاهم لدينهم واما الصحبة لمعاملة شرآء شئ منهم او طلب عمل منهم مع
المخالفة فى الاعتقاد والامور الدينية فليس فيه هذا الوعيد قال المولى ابو السعود وفيه زجر شديد للمؤمنين عن
اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة فى الحقيقة (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) تعليل لكون
من يتولاهم منهم اى لا يرشد الذين ظلموا انفسهم بترك اخوانهم المؤمنين وبموالاة اعدآء الله بل يخليهم وشأنهم
فيقعون فى الكفر والضلالة اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا اقل من ذلك (قال الحافظ) دوره عشق
ازان سوى فنا صد خطرست * تانكويى كه جو عمرم بسر آمد رستم (فترى) يا محمد او كل من له اهلية للخطاب
رؤية بصرية (الذين فى قلوبهم مرض) اى مرض النفاق ورخاوة العقد فى الدين (يسارعون فيهم) حال من
الموصول اى مسارعين فى موالاتهم ومعاونتهم وايثار فى على الى للدلالة على انهم مستقرون فى الموالاة وانما
مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض آخر منها والمراد بهم عبد الله بن ابى واضرابه الذين كانوا يسارعون
فى موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يأمنون ان تصيبهم صروف الزمان كما قال
تعالى (يقولون) معتذرين (نخشى ان تصيبنا دآئرة) وهو حال من ضمير يسارعون والدآئرة من الصفات الغالبة
التى لا يذكر معها موصوفها اى يدور علينا دآئرة من دوآئر الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر وتكون الدولة
للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض ولعلهم كانوا
يظهرون للمؤمنين انهم يريدون بالدوآئر المعنى الاخير ويضمرون فى انفسهم المعنى الاول (فعسى الله ان يأتى
بالفتح) رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى
منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطعم لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين والمراد بالفتح فتح مكة
او فتح قرى اليهود من خيبر وفدك اوهو القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين قال
الحدادى وسمى النصر فتحا لان فيه فتح الامر المغلق (او امر من عنده) بقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء
والشأفة قرحة تخرج فى اسفل القدم فتكوى وتذهب يقال فى المثل استأصل الله شأفته اى اذهبه الله
كما اذهب تلك القرحة بالكى (فيصبحوا) اى اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر (على ما اسروا فى انفسهم
نادمين) وهو ما كانوا يكتمون فى انفسهم من الكفر والشك فى امره صلى الله عليه وسلم (ويقول الذين آمنوا)
عند ظهور ندامة المنافقين وهو كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة اى ويقول الذين
آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة
وعدم المفارقة فى السرآء والضرآء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا
يترقبون ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم (اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم
لمعكم) اى بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكى عنهم ولئن قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره
والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم فى ذلك والخطاب فى معكم لليهود من جهة المؤمنين وجهد
الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف
الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالى بتعريفه لفظا لانه مؤول بنكرة اى مجتهدين فى ايمانهم او على المصدر اى
اقسموا اقسام اجتهاد فى اليمين (حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين) جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى
لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية فى المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانه
بالاستفهام الانكارى اى بطلت اعمالهم التى عملوها فى شأن الموالاة وسعوا فى ذلك سعيا بليغا حيث لم يكن

لليهود دولة فغبنوا بما صنعوا من المساعى وتحملوا من مكاره المشاق (قال الحافظ) اسم اعظم بكند كار
خود اى دل خوش باش * كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود * واعلم ان للحق دولة وللباطل صولة
والباطل يفور ثم يغور فعلى المؤمن ان لا يميل الى جانب الباطل واهله اصلا كائنا من كان روى عن ابى موسى
الاشعرى انه قال قلت لعمر بن الخطاب ان لى كاتبا نصرانيا فقال مالك قاتلك الله الا اتخذت حنيفا اما سمعت
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء قلت له دينه ولى كتابه قال لا تكرموهم اذ
اهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروى انه قال لاقوام للبصرة الابه فقال
مات النصرانى والسلام يعنى هب انه مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره
قال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر شاهدت فى دمشق ان الرجال والنساء كانوا يوالون النصارى ويسامحون
فى المعاملة ويذهبون باطفالهم وصغارهم الى الكنائس ويرشون عليهم بطريق التبرك من ماء المعمودية وهذا
كفر والعياذ بالله والمعمودية ماء للنصارى اصفر كانوا يغمسون فيه اولادهم ويعتقدون انه تطهير للمولود
كالختان لغيرهم وقس عليه تعظيم نوروز النصارى واهدآء شئ فى ذلك اليوم اليهم والمشاركة معهم ويلزم
الحسبة فى بعض الامور قطعا لعرق الموالاة وفى ملتقطة الناصرى ولا ادع المشرك يضرب البربط قال محمد كل
شئ امنع من المسلم فانى امنع من المشرك الا الخمر والخنزير ولكن يمنع اهل الكفر من ادخال الخمور والخنازير
فى الاسواق على سبيل الشهرة لان فيها استخفافا للمسلمين وما صالحناهم ليستخفوا بالمؤمنين وان حضر لهم
عيد لا يخرجون فيه صليبهم ويمنعون من اظهار بيع المزامير والطنبور واظهار الغناء وغير ذلك مما امنع منه
المسلم ويمنعون من احداث الكنيسة قال عليه السلام لا خصاء فى الاسلام ولا كنيسة والمراد بالخصاء
خصاء بنى آدم فيجوز خصاء البهائم وبه نقول فكما يجوز ذبح الحيوان لحاجة الناس الى لحمه فكذلك يجوز
خصى الحيوان اذا كان فى ذلك منفعة للناس فان قلت لم لا يجوز خصاء بنى آدم وفيه منفعة ايضا قيل له
لا منفعة فيه لانه لا يجوز للخصى ان ينظر الى النساء كما لا يجوز للفحل كذا فى بستان العارفين ثم اعلم ان النفس
والشيطان والقوى الشريرة فى وجود الانسان كاليهود والنصارى فكما انه يلزم مجانبتهم وعدم موالاتهم لان
الله تعالى عاداهم وامر بمعاداتهم فكذلك ما ذكر من النفس وغيرها لا يجوز موالاتها والحمل على هواها
لانها تسوق الى النار نار جهنم ونار القطيعة فالمؤمن مأمور بالمعاداة لمن عادى الله تعالى مطلقا والا لم يصح
ايمانه (وفى المثنوى) آنچه در فرعون بود اندر تو هست * ليك اژدرهات محبوس چهست * چه
خرابت ميكند نفس لعين * دور مى انداز دت سخت اين قرين * آتشت راهيزم فرعون نيست *
زانكه چون فرعون او راعون نيست * يعنى ان فرعون ساعده اسباب الدعوى والهوى ولذلك قال
ما قال وفعل ما فعل واما انت فليس لك الاسباب مساعدة ولا تجد عونا فى هواك ولذا لا تظهر صورة ما اظهره
(يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) هذا من الكائنات التى اخبر عنها القرآن قبل وقوعها روى انه
ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلاث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار
وهو اسود العنسى كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده حتى اخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل معاذ بن جبل وسادات اليمن فكتب عليه السلام الى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين وامرهم ان
يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض الى حرب الاسود فقتله فيروز الديلمى على فراشه قال ابن عمر فاتى
الخبر النبى عليه السلام من السماء الليلة التى قتل فيها فقال عليه السلام قتل الاسود البارحة قتله رجل
مبارك قيل ومن هو قال فيروز فبشر عليه السلام اصحابه بهلاك الاسود وقبض عليه السلام من الغد واتى
مقتل العنسى المدينة فى آخر شهر ربيع الاول وكان ذلك اول فتح جاء ابا بكر رضى الله عنه والفرقة الثانية من
المرتدين بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب وكان قد تنبأ فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
آخر سنة عشر من الهجرة زعم انه اشرك مع رسول الله فى النبوة وكتب الى النبى عليه السلام من مسيلمة رسول
الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك وبعث بذلك الكتاب رجلين من اصحابه فقال
لهما رسول الله عليه السلام لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما ثم اجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة
الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فمرض عليه السلام وتوفى فبعث

ابو بكر خالد بن الوليد الى مسيلمة الكذاب فى جيش كثير حتى اهلكه الله على يدى وحشى غلام مطعم بن عدى قاتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب شديد وكان وحشى يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام يريد فى جاهليتى واسلامى والفرقة الثالثة بنو اسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة آخر من ارتد وادعى النبوة فى حياة رسول الله عليه السلام واول من قوتل بعد وفاته عليه السلام من اهل الردة فبعث ابو بكر خالد بن الوليد فهزمهم خالد بعد قتال شديد وافلت طليحة فمر على وجهه هاربا نحو الشام ثم انه اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه ثم ان الله تعالى لما قبض نبيه عليه السلام ارتد عامة العرب الا اهل مكة واهل المدينة واهل البحرين من عبد القيس فقال المرتدون اما الصلاة فنصلى واما الزكاة فلا نغصب اموالنا فكلم ابو بكر فى ذلك فقال والله لا افرق بين ما جمع الله تعالى بقوله اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة والله لو منعونى عقودا مما ادّوا الى رسول الله لقاتلتهم عليه فبعث الله عز وجل عصائب مع ابى بكر رضى الله عنه فقاتل على ما قاتل عليه نبى الله حتى اقروا بالزكاة المفروضة قال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعى الزكاة قالوا اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره وقال ابن مسعود رضى الله عنه كرهنا ذلك فى الابتدآء ثم حمدناه فى الانتهاء وقيل ما ولد بعد النبيين مولود افضل من ابى بكر لقد قام مقام نبى فى قتال اهل الردة قال الشيخ العطار فى نعت ابى بكر رضى الله عنه * هرچه بود از بارگاه كبريا * ريخت در صدر شريف مصطفا * آن همه در سينهٔ صديق ريخت * لا جرم تا بود از وتحقيق ريخت * وقال الحسن لولا ما فعل ابو بكر لا لحد الناس فى الزكاة الى يوم القيامة قال فى الاشباه المعتمد فى المذهب عدم الاخذ كرها قال فى المحيط ومن امتنع عن ادآء الزكاة فالساعى لا يأخذ منه كرها ولو اخذ لا يقع المأخوذ عن الزكاة لكونها بلا اختيار ولكن يجبره بالحبس ليؤدى بنفسه (فسوف يأتى الله) مكانهم بعد اهلاكهم (بقوم يحبهم) اى يريد بهم خير الدنيا والآخرة (ويحبونه) اى يريدون اطاعته ويتحرزون عن معاصيه قيل هم اهل اليمن قال عليه السلام الايمان يمان والحكمة يمانية وانما نسب الايمان اليهم اشعارا بكماله فيهم لان من اتصف بشئ وقوى قيامه به نسب ذلك الشئ اليه لا ان يكون فى ذلك نفى له عن غيرهم فلا منافاة بينه وبين قوله عليه السلام الايمان فى اهل الحجاز ثم ان المراد بذلك الموجودون منهم فى ذلك الزمان لا كل اهل اليمن فى كل احيان كذا فى شرح المشارق لابن الملك وقيل هم الانصار رضى الله عنهم وقيل هم اهل فارس وفى الحديث لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله ابناء فارس وفيه فضيلة لهذه القبيلة (اذلة على المؤمنين) جمع ذليل اى ارقاء ورحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى لتضمين معنى العطف والحنو (اعزة على الكافرين) اى اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه (يجاهدون فى سبيل الله) صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها الكيفية عزتهم (ولا يخافون لومة لائم) عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة فى سبيل الله وبين التصلب فى الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم اذا خرجوا فى جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيأ يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكير لائم مبالغتان كانه قيل لا يخافون من شئ من اللومات الواقعة من اى لائم كان فالمبالغة الاولى انتفاء الخوف من جميع اللومات والثانية انتفاء الخوف من جميع اللوام كل ذلك لان النكرة فى سياق النفى تعم (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجليلة التى وصف بها القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة فى سبيل الله وانتفاء خوف اللوم من كل واحد (فضل الله) اى لطفه واحسانه لا انهم مستقلون فى الاتصاف بها (يؤتيه من يشاء) ايتاءه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (والله واسع) كثير الفواضل والالطاف (عليم) مبالغ فى العلم بجميع الاشياء التى من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق (قال الحافظ) سكندر را نمى بخشند آبى * بزور وزر ميسر نيست اين كار * واعلم ان من السالكين من يقطع العقبات ويخرق الحجب فى سبعين سنة ومنهم من يقطعها فى عشرين سنة ومنهم من يحصل له فى سنة ومنهم من يقطعها فى شهر بل فى جمعة بل فى ساعة حتى ان منهم من تحصل له فى لحظة بتوفيق خاص وعناية سابقة اما تذكرة سحرة فرعون ما كان مدتهم الا لحظة حيث رأوا معجزة موسى قالوا آمنا برب العالمين فابصروا الطريق وقطعوه حقه فصاروا من ساعة الى ساعة بل اقل من العارفين بالله وحكى ان ابراهيم بن ادهم كان على ما كان عليه من امر الدنيا فعدل عن ذلك وقصد الطريق الحق فلم يكن الا مقدار سيره من بلخ الى مرو الروذ حتى صار بحيث

اشار الى رجل سقط من القنطرة فى الماء الكثير هنالك ان قف فوقف الرجل مكانه فى الهوآء فتخلص وان رابعة البصرية كانت امة كبيرة يطاف بها فى سوق البصرة لا يرغب فيها احد لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم فاعتقها فاختارت الطريق الحق فاقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زارها قرآء البصرة وعلماؤها لعظم منزلتها واما الذى لم تسبق له العناية ولا توجهت له ولم يعامل بالفضل فيوكل الى نفسه فربما يبقى فى شعب من عقبة واحدة من العقبات سبعين سنة ولا يقطعها وكم يصيح وكم يصرخ ما اظلم هذا الطريق واشكله واعسر هذا الامر واعضله فان قلت لم اختص هذا بالتوفيق الخاص وحرم هذا وكلاهما مشترك فى ربقة العبودية فعند هذا السؤال تنادى من سرادق الجلال ان الزم الادب واعرف سر الربوبية وحقيقة العبودية فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ذلك تقدير العزيز العليم وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * رضا بداده بده وزجبين گره بگشاى * كه بر من وتو در اختيار نگشادست اللهم اجعلنا ممن سبقت له العناية وتقدم فى حقه التوفيق الخاص والهداية آمين يا رب العالمين (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) اى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تخطوهم الى الغير قال فى التأويلات النجمية فموالاة الله فى معاداة ما سوى الله كما قال الخليل عليه السلام فانهم عدو لى الا رب العالمين وموالاة الرسول فى معاداة النفس ومخالفة الهوى كما قال عليه السلام لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وماله وولده والناس اجمعين وموالاة المؤمنين فى مواخاتهم فى الدين كقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وقال عليه السلام لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) بدل من الذين آمنوا (وهم راكعون) حال من فاعل الفعلين اى يعملون ما ذكر من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى والمقصود تمييز المؤمن المخلص عمن يدعى الايمان ويكون منافقا لان الاخلاص انما يعرف بكونه مواظبا على الصلاة والزكاة فى حال الركوع اى فى حال الخشوع والاخبات لله تعالى (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) اى ومن يتخذهم اولياء (فان حزب الله هم الغالبون) اى فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتشريفا لهم باضافتهم اليه تعالى وتعريضا بمن يوالى غير هؤلاء بانه حزب الشيطان وحزب الرجل اصحابه والحزب الطائفة يجتمعون لامر حزبهم اى اصابهم واعلم ان الغلبة على اعدآء الله الظاهرة والباطنة كالهوى والنفس والشيطان انما تحصل بنصرة الله تعالى كما قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم وليست النصرة والغلبة الا بتأثير الله تعالى وهو المعز وكل العزة منه تعالى وروى ان الله تعالى شكا من هذه الامة ليلة المعراج شكايات الاولى انى لم اكلفهم عمل الغد وهم يطلبون منى رزق الغد والثانية انى لا ارفع ارزاقهم الى غيرهم وهم يرفعون عملهم الى غيرى والثالثة انهم يأكلون رزقى ويشكرون غيرى ويخونون معى ويصالحون خلقى والرابعة ان العزة لى وانا المعز وهم يطلبون العزة من سواى والخامسة انى خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون ان يوقعوا انفسهم فيها فمن اتبع هوى النفس ولم يهتم لتزكيتها فقد سعى فى الحاق نفسه بزمرة الاعدآء فلم يكن منصورا البتة اذ لا يحصل من الخسارة الا الخسارة والهوى مقتضى النفس والنفس ظلمانية ولا يتولد من الظلمانى الا الظلمة (قال فى المثنوى) عكس نورانى همه روشن بود * عكس ظلمانى همه گلخن بود * عكس هر كس را بدان اى ببين * پهلوى جنسى كه خواهى مى نشين * فعلى المؤمن ان يجتهد بالصوم والصلاة ووجوه العبادات الى ان يزكى نفسه عن سفساف الاخلاق ويغلب الاعدآء الباطنة والغلبة عليها مفتاح الغلبة على الاعدآء الظاهرة ولذا ترى الانبياء والاولياء منصورين مظفرين على كل حال وهذه النصرة والولاية من آثار عناية الله السابقة فكما ان من رش عليه من نور الازل لم ير ظلمة ابدا كذلك من لم يهتد لذلك النور فى بداية الامر لم يصل الى المراد الى آخر العمر (قال الحافظ) بآب زمزم وكوثر سفيد نتوان كرد * گليم بخت كسى را كه بافته اند سياه (يا ايها الذين آمنوا) روى ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهاهم الله تعالى عن الموالاة وقال (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) قوله الذين

اتخذوا مفعول اول لقوله لا تتخذوا ومفعوله الثانى قوله اولياء ودينكم مفعول اول لقوله اتخذوا وهزوا مفعوله الثانى والهزؤ السخرية والاستهزاء واللعب بالفارسية بازى ومعنى اتخاذهم دين المسلمين مهزوا به وتلاعبهم به اظهارهم ذلك باللسان مع الاصرار على الكفر فى القلب وقد رتب النهى عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة (من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) بيان للمستهزئين ومن قبلكم متعلق باوتوا (والكفار) بالنصب عطف على الموصول الاول والمراد المشركون خصوا به لتضاعف كفرهم فالنهى عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين (اولياء) وجانبوهم كل المجانبة (واتقوا الله) فى ذلك بترك موالاتهم (ان كنتم مؤمنين) اى حقا لان الايمان يقتضى الاتقاء (واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها) اى الصلاة او المناداة (هزوا ولعبا) كان المؤذنون اذا اذنوا للصلاة تضاحكت اليهود فيما بينهم وتغامزوا وسفهوا واستهزاء بالصلاة وتجهيلا لاهلها وتنفيرا للناس عنها وعن الداعى اليها (ذلك) اى الاستهزاء المذكور مستقر (بانهم قوم لا يعقلون) اى بسبب عدم عقلهم فان السفه يؤدى الى الجهل بمحاسن الحق والهزؤ به ولو كان لهم عقل فى الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة (وفى المثنوى) كشتى بى لنكر آمد مرد شر * كه زباد كژ نيابد او حذر * لنكر عقلست عاقل را امان * لنكرى دريوزه كن از عاقلان * قال العلماء ثبوت الاذان ليس بالمنام وحده بل هو ثابت بنص هذه الآية فان المعنى اذا دعوتم الناس الى الصلاة بالاذان والنداء الدعاء بارفع الصوت وفى الاذان حكم منها اظهار شعائر الاسلام وكلمة التوحيد والاعلام بدخول وقت الصلاة وبمكانها والدعاء الى الجماعة الى غير ذلك ولو وجد مؤذن حسن الصوت يطلب على اذانه الاجر والرزق وآخر يتبرع بالاذان لكن غير حسن الصوت فايهما يؤخذ فيه وجهان اصحهما انه يرزق حسن الصوت فان لحسن الصوت تأثيرا كما ان لقبحه تغييرا وتنفيرا (وفى المثنوى) يك مؤذن داشت بس آواز بد * درميان كافرستان بانك زد * چند كفتندش مكو بانك نماز * كه شود جنك وعداوتها دراز * او ستيزه كرد وپس بى احتراز * كفت دركافرستان بانك نماز * خلق خائف شد زفتنه عامه * خود بيامد كافرى با جامه * شمع وحلوا با چنان جامه لطيف * هديه آورد وبيامد چون اليف * بت پرستان كين مؤذن كو كجاست * كه صلا وبانك او راحت فزاست * دخترى دارم لطيف وبس سنى * آرزو مى بود او را مؤمنى * هيچ اين سودا نمى رفت از سرش * پندها مى داد چندين كافرش * هيچ چاره مى ندانستم دران * تا فرو خواند اين مؤذن آن اذان * كفت دختر چيست اين مكروه بانك * كه بكوشم آمد اين دو چار دانك * من همه عمر اين چنين آواز زشت * هيچ نشنيدم درين دير وكنشت * خواهرش كفتا كه اين بانك اذان * هست اعلام ودرشعار مؤمنان * باورش نامد بپرسيد از دكر * ان ديكر هم كفت آرى اى پدر * چون يقين كشتش رخ او زرد شد * از مسلمانى دل او سرد شد * باز رستم من زتشويش عذاب * دوش خوش خفتم دران بى خوف خواب * راحتم اين بود از آواز او * هديه آوردم بشكر آن مرد كو * چون بديدش كفت اين هديه پذير * كه مرا كشتى مجير ودستكير * كر بمال وكنج وثروت فردمى * من دهانت را پر از زر كردمى * ورد فى التأذين فضائل وفى الحديث اول الناس دخولا الجنة الانبياء ثم الشهداء ثم بلال مع مؤذنى الكعبة ثم مؤذنوا بيت المقدس ثم مؤذنوا مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ثم سائر المؤذنين على قدر اعمالهم وفى الحديث ثلاثة لا يكترثون من الحساب ولا تفزعهم الصيحة ولا يحزنهم الفزع الاكبر حامل القرءآن العامل بما فيه يقدم على الله سيدا شريفا ومؤذن اذن سبع سنين لا يأخذ على اذانه طعما وعبد مملوك احسن عبادة ربه وادى حق مولاه واذا اجتمع الاذان والامامة فى شخص فالامامة افضل لمواظبة النبى عليه السلام عليها واتمام ولم يؤذن لانه عليه السلام لو اذن لكان كل من تخلف عن الاجابة كافرا ولانه لو كان داعيا لم يجز ان يشهد لنفسه ولانه لو اذن وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله لتوهم ان ثمة نبى غيره ولان الاذان رآه غيره فى المنام فوكله الى غيره وايضا انه عليه السلام كان اذا عمل عملا اثبته اى جعله ديمة وكان لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بتبليغ الرسالة وهذا كما قال سيدنا عمر رضى الله عنه لولا الخليفى لاذنت وكره اللحن فى الاذان لما روى ان رجلا جاء الى ابن عمر رضى الله عنه فقال انى احبك فقال انى ابغضك فى الله فقال لم قال لانه بلغنى انك تغنى فى اذانك يعنى تلحن

وذلك

وذلك مثل ان يقول آالله بمد الالف الاولى لانه استفهام وشك وان يقول اكبار بمد الباء لانه اسم الشيطان وغير ذلك الى آخر كلمات الاذان واجابة المؤذن على كل من سمعه وان كان جنبا او حائضا اذا لم يكن فى الخلاء او فى الجماع وذكر تاج الشريعة ان اجابة المؤذن سنة وقال النووى مستحبة فيقول بمثل ما يقول المؤذن وضعف تقبيل ظفرى ابهاميه مع مسبحتيه والمسح على عينيه عند قوله محمد رسول الله لانه لم يثبت فى الحديث المرفوع لكن المحدثين اتفقوا على ان الحديث الضعيف يجوز العمل به فى الترغيب والترهيب فقط ويقول عند حى على الصلاة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعند حى على الفلاح ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وعند قوله الصلاة خير من النوم صدقت وبالخير نطقت وفى قوله قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها وحين ينتهى الى قوله قد قامت الصلاة يجيب بالفعل دون القول وروى عن ميمونة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بين صف الرجال والنساء فقال يا معشر النساء اذا سمعتن اذان هذا الحبشى واقامته فقلن كما يقول فان لكن بكل حرف الف درجة قال عمر رضى الله عنه هذا فى النساء فما للرجال قال ضعفان يا عمر (قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى) حبذا الكلام وتم النداء الاذان فعند قوله الله اكبر الله اكبر لو انكشف وتجلى عظمة الله تعالى وكبرياؤه وعند قوله اشهد ان لا اله الا الله لو انكشف وحدانيته وعند اشهد ان محمدا رسول الله لو انكشف حقانيته وعند الحيعلتين لو ظهر الطلب من الطالب الى المطلوب وعند الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله لو تجلى الذات وتم المقصود وحصل المراد انتهى ومن فضائل الاذان انه لو اذن خلف المسافر فانه يكون فى امان الى ان يرجع وان اذن فى اذن الصبى واقيم فى اذنه الاخرى اذا ولد فانه امان من ام الصبيان واذا وقع هذا المرض ايضا واذا وقع حريق او هجم سيل او برد او خاف من شئ كما فى الاسرار المحمدية والاذان اشارة الى الدعوة الى الله حقيقة والداعى هو الوارث المحمدى يدعو اهل الغفلة والحجاب الى مقام القرب ومحل الخطاب فمن كان اصم عن استماع الحق استهزأ بالداعى ودعوته لكمال جهالته وضلالته ومن كان ممن القى السمع وهو شهيد يقبل الى دعوة الله العزيز الحميد وينجذب الى حضرة العزة ويدرك لذات شهود الجمال ويغتنم مغانم اسرار الوصال جوانا سر متاب از پند پيران * كه رأى پير به از بخت جوان (قل يا اهل الكتاب) روى ان نفرا من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دينه فقال عليه السلام أؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم اهل دين اقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله هذه الآية اى قل لهؤلاء اليهود الفجرة (هل تنقمون منا) من نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه اى ما تعيبون وما تنكرون منا دينا العلة من العلل (الا ان آمنا بالله) اى الا لان آمنا بالله فهو مفعول له لتنقمون على حذف المفعول به الذى هو الدين (وما انزل الينا) من القرءآن المجيد (وما انزل من قبل) اى من قبل انزاله من التوراة والانجيل وسائر الكتب الالهية (وان اكثركم فاسقون) عطف على ان آمنا اى ولان اكثركم متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لامنتم به واسناد الفسق الى اكثرهم مع ان كلهم فاسقون لانهم الحاملون لاعقابهم على التمرد والفساد وقيل هو عطف على ان آمنا على انه مفعول به لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كانه قيل ما تكرهون من جهتنا الا الايمان بالله وبجميع كتبه المنزلة والا اختلافكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه (قل هل انبئكم) الخطاب لليهود (بشر من ذلك) الاشارة الى المنقوم وهو الايمان والمنقوم منهم المؤمنون اى هل اخبركم بما هو شر فى الحقيقة لا كما تعتقدون شرا وان كان فى نفسه خيرا محضا قال ابن الشيخ ومن المعلوم قطعا انه لا شر فى دين الاسلام فالمراد الزيادة المطلقة (مثوبة عند الله) اى جزاء ثابتا فى حكمه تعالى والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة مختصة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريق التهكم ونصبها على التمييز من بشر (من لعنه الله وغضب عليه) خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما اشير اليه بكلمة ذلك اى هو دين من لعنه الله وهم اليهود وابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات (وجعل منهم القردة والخنازير) اى مسخ بعضهم قردة فى زمن داود عليه السلام بدعائه عليهم حين اعتدوا فى السبت واستحلوه ومسخ بعضهم خنازير فى زمن عيسى عليه

السلام بعد اكلهم من المائدة وحين كفروا بعد ما رأوا الآيات البينة وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت
مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير ولما نزلت هذه الآية قال المسلمون لليهود يا اخوة القردة والخنازير
فنكسوا رؤسهم وافتضحوا (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من وضميره المستكن يعود الى من اى اطاع
الشيطان فيما سوّل له (اولئك) الموصوفون بتلك القبائح والفضائح (شر مكانا) جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ
فى الدلالة على شرارتهم (واضل عن سوآء السبيل) عطف على شر مقرر له اى اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم
وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان
دينهم ضلالا مبينا لا غاية ورآءه وصيغة التفضيل فى الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم
فى اصل الشرارة والضلال واعلم ان كل صنف من الناس يفرح بما لديه ويبغض الآخر بما هو عليه ولكن الحق
احق ان يتبع فالمؤمن يحب المؤمن فان المحبة من الاخلاق الحسنة والاوصاف الشريفة وفى الحديث ان من
عباد الله عبادا ماهم بانبياء وشهدآء يغبطهم الانبياء والشهدآء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قالوا
يا رسول الله اخبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام منهم ولا اموال
يتعاطون فوالله ان وجوههم انوار وانهم يعلون منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا
حزن الناس وسئل عبد الله السالمى باى شئ يعرف اولياء الله من بين عباده فقال بلطافة اللسان وحسن
الخلق وبشاشة الوجه وسخاوة النفس وقلة الاعتراض وقبول الاعتذار وكمال الشفقة على عامة الخلق (قال
الحافظ) تاج شاهى طلبى كوهر ذاتى بنماى * ورخود از كوهر جمشيد وفريدون باشى قال حضرة الشيخ
الشهير بافتاده افندى لا تزال البغضاء بين البيراميين وبين الخلوتية وكذا بينهم وبين اتباع السيد البخارى مع ان
البغضاء لا تليق باهل الحق الا يرى انا لم نسمع من دور آدم الى خاتم النبيين عليهم السلام نوع بغض بين نبيين اصلا
مع انه قد يتفق فى بعض الاوقات ان يجتمع ثلاثة واربعة من الانبياء وكذا اتباعهم لا يطعنون فى واحد منهم
(قال السعدى) دلم خانهٔ مهر يارست وبس * ازان مى نكنجد دروكين كس * قال بعضهم القلوب ثلاثة قلب
يطير فى الدنيا حول الشهوات وقلب يطير فى العقبى حول الكرامات وقلب يطير فى سدرة المنتهى حول
المناجاة (قال الحافظ) غلام همت رندان بى سروپايم * كه هر دو كون نيرزد به پيش شان يك كاه *
فعلى العاقل ان يشتغل بالتوحيد كى يتخلص عن ظلمات النفس وهواها والشيطان ووساوسه نظر عمر بن
الخطاب الى شاب فقال يا شاب ان وقيت شر ثلاثة فقد وقيت شر الشيطان ان وقيت لقلقك وقبقبك ودبدبك
قال الاصمعى اللقلق اللسان والقبقب البطن والذبذب الفرج (واذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت فى ناس من اليهود
كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول عليه السلام
والجمع للتعظيم اوله مع من عنده من المسلمين اى اذا جاؤكم اظهروا الاسلام (وقد) اى والحال انهم قد (دخلوا)
ملتبسين (بالكفر وهم قد خرجوا) من عندك ملتبسين (به) اى بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك (والله
اعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وصيغة التفضيل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يظن نفاقهم من
اماراته اللائحة عليهم ويتوقع انه يظهره الله (وفى المثنوى) نيست بازى با مميز خاص او * كه بود تمييز
عقلش غيب كو * هيچ سحر وهيچ تلبيس ودغل * مى نبندد پرده بر اهل دول (وترى) يا محمد رؤية
بصرية (كثيرا منهم) اى من اليهود والمنافقين حال كونهم (يسارعون فى الاثم) اى الكذب على الاطلاق وايثار
كلمة فى على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون فى الاثم وانما مسارعتهم من بعض مراتبه الى بعض آخر منها
كقوله تعالى اولئك يسارعون فى الخيرات لا انهم خارجون عنه متوجهون اليه كما فى قوله تعالى وسارعوا الى
مغفرة من ربكم وجنة (والعدوان) اى الظلم المتعدى الى الغير (واكلهم السحت) اى الحرام (لبئس ما كانوا
يعملون) اى لبئس شيأ كانوا يعملونه والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار (لولا) حرف
تحضيض (ينهاهم الربانيون والاحبار) المراد بهم العلماء الا ان الربانى الزاهد العارف الواصل والحبر العالم
العامل المقبول (عن قولهم الاثم) وهو قولهم آمنا وليسوا بمؤمنين (واكلهم السحت) مع علمهم بقبحها
ومشاهدتهم لمباشرتهم لها (لبئس ما كانوا يصنعون) هو ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون لان الصنع اقوى
من العمل فان العمل انما يسمى صناعة اذا صار مستقرا راسخا متمكنا فجعل جرم من عمل الاثم والعدوان

واكل السحت ذنبا غير راسخ وذنب التاركين للنهى عن المنكر ذنبا راسخا وفى الآية مما ينعى على العلماء من توانيهم
فى النهى عن المنكرات ما لا يخفى (قال الشيخ السعدى) كرت نهى منكر بر آيد زدست * نشايد چو بى
دست وپايان نشست * چو دست وزبانرا نماند مجال * بهمت نمايند مردى رجال * قال عمر
ابن عبد العزيز ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن اذا اظهروا المعاصى فلم ينكروا استحق القوم جميعا
للعقوبة ولولا حقيقة هذا المعنى فى التوبيخ على المشايخ والعلماء فى ترك النصيحة لما اشتغل المحققون بدعوة الخلق
وتربيتهم لاستغراقهم فى مشاهدة الحق ومؤانستهم به قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره
السالك اذا وصل الى الحقيقة اما ان يرسل للارشاد او يبقى فى حضور الوصلة ولا يريد الفرقة كالشيخ ابى يزيد
البسطامى فانه لم يختر الارشاد ولكن الارشاد طريقة الانبياء عليهم السلام فانه ما من نبى الا وهو قد بعث وارسل
لارشاد الخلق ولم يبق فى عالم الحضور (قال فى المثنوى) خطابا من قبل الله تعالى الى حضرة النبى عليه السلام
هين بمكذار اى شفا رنجور را * تو زخشم كور عصاى كور را * نى تو كفتى قائد اعمى براه * صد ثواب
واجر يابد از اله * هر كه او چل كام كورى را كشد * كشت آمرزيده ويابد رشد * پس بكش
تو زين جهان بى قرار * جوق كورانرا قطار اندر قطار * كار هادى اين بود تو هادئ *
ماتم آخر زمانرا شادئ * هين روان كن اى امام المتقين * اين خيال انديشكانرا تا يقين * خيزد در دم
تو بصور سهمناك * تا هزاران مرده بر رويد زخاك * واهل الحقيقة والعلماء العاملون المتجردون عن
الغرض سوى اعلاء كلمة الله تعالى محفوظون فى اقوالهم وافعالهم وحكى ان زاهدا من التابعين كسر ملاهى
مروان بن الحكم الخليفة فاتى له به فامر بان يلقى بين يدى الاسد فالقى فلما دخل ذلك الموضع افتتح الصلاة فجاءت
الاسد وجعلت تحرك ذنبها حتى اجتمع عليه ما كان فى ذلك الموضع من الاسد فجعلت تلحسه بالسنتها وهو يصلى
ولا يبالى فلما اصبح مروان قال ما فعل بزاهد نا قيل القى بين يدى الاسد قال انظروا هل اكلته فجاؤا فوجدوا
الاسد قد استأنست به فتعجبوا من ذلك فاخرجوه وحملوه الى الخليفة فقال له اما كنت تخاف منها قال لا كنت
مشغولا متفكرا طول الليل لم اتفرغ الى خوفهم فقال له بماذا تتفكر قال بهذه الاسد قد جاءتنى تلحسنى بالسنتها
كنت اتفكر ألعابها طاهر ام نجس فتفكرى فى هذا منعنى عن الخوف منها فتعجب منه فخلى سبيله كذا فى نصاب
الاحتساب (وقالت اليهود) قال المفسرون ان الله تعالى كان قد بسط النعمة على اليهود حتى كانوا من اكثر
الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله عنهم ما بسط
عليهم من النعمة فعند ذلك قالت اليهود (يد الله مغلولة) اى مقبوضة ممسكة عن العطاء وغل اليد وبسطها
مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد فى ذلك الى اثبات يد وغل او بسط قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك اى لا تمسكها عن الانفاق (غلت ايديهم) دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة اى امسكت ايديهم
عن الانفاق فى الخير وجعلوا بخلاء واليهود ابخل الناس ولا امة ابخل منهم (ولعنوا) اى ابعدوا وطردوا من رحمة
الله تعالى (بما قالوا) اى بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وهذا الدعاء عليهم تعليم للعباد والا فهو اثر العجز تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا (بل يداه مبسوطتان) اى ليس شأنه عز وجل كما وصفتموه بل هو موصوف بغاية الجود
ونهاية الفضل والاحسان وهذا المعنى انما يستفاد من تثنية اليد فان غاية ما يبذله السخى من ماله ان يعطيه
بيديه جميعا ويد الله من المتشابهات وهى صفة من صفات الله تعالى كالسمع والبصر والوجه ويداه فى الحقيقة
عبارة عن صفاته الجمالية والجلالية وفى الحديث كلتا يديه يمين * اديم زمين سفرهٔ عام اوست *
برين خوان يغما چه دشمن چه دوست (ينفق كيف يشاء) اى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق
اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصى ان يضيق
عليهم (وفى المثنوى) چونكه بد كردى بترس ايمن مباش * زانكه تخمست وبروياند خداش *
چند كاهى او بروياند كه تا * آيدت زان بد پشيمان وحيا * بارها پوشد پى اظهار فضل * باز كيرد از
پى اظهار عدل * تا كه اين هر دو صفت ظاهر شود * ان مبشر كردد اين منذر شود (وليزيدن
كثيرا منهم) وهم علماؤهم ورؤساؤهم قوله كثيرا مفعول اول ليزيدن (ما انزل اليك من ربك) وهو القرآن
وما فيه من الاحكام وهو فاعل يزيدن (طغيانا وكفرا) مفعول ثان للزيادة اى ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم

وكفرا على كفرهم القديمين اما من حيث الشدة والغلو واما من حيث الكم والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها
فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا (والقينا بينهم)
اى بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة اما الجبرية فهم الذين
ينسبون فعل العبد الى الله تعالى ويقولون لا فعل للعبد اصلا ولا اختيارا وحركته بمنزلة حركة الجمادات
واما القدرية فهم الذين يزعمون ان كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصى بتقدير الله والمرجئة فهم الذين
لا يقطعون على اهل الكبائر بشئ من عفو او عقوبة بل يرجئون الحكم فى ذلك اى يؤخرونه الى يوم القيامة
واما المشبهة فهم الذين شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثلوه بالمحدثات (العداوة والبغضاء) اى جعلناهم مختلفين
فى دينهم متباغضين كما قال تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فلا تكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم
والجملة مبتدأة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم فى ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدى
الى الاضرار بالمسلمين قيل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض بلا عكس كلى (الى يوم القيامة)
متعلق بالقينا (كلما اوقدوا نارا للحرب) اى كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة شر عليه
(اطفأها الله) اى ردهم الله وقهرهم بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم وفى المثنوى خطابا من قبل
الله تعالى الى حضرة صاحب الرسالة عليه السلام هركه در مكر تو دارد دل كرو * كردنش را من زنم تو شاد شو *
بر سر كوريش كوريها نهم * اوشكر پندارد وزهرش دهم * چيست خود الاحق آن تركمان *
پيش پاى نره پيلان جهان * آن چراغ او به پيش صرصرم * خود چه باشد اى مهين پيغمبرم *
(ويسعون فى الارض فسادا) اى يجتهدون فى الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر
عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او فى موضع المصدر اى يسعون للفساد او يسعون سعى فساد (والله
لا يحب المفسدين) ولذلك اطفأ نائرة افسادهم ولا يجازيهم الا شرا واعلم ان الله تعالى مهما وكل الانسان
الى خساسة طبعه وركاكة نظره وعقله فلا يترشح منه الا ما فيه من الاقوال الشنيعة والافعال الرذيلة ولذلك
قالت اليهود يد الله مغلولة ونعم ما قال فى المثنوى در زمين كر نيشكر ور خود نى است * ترجمان هر زمين نبت
وى است * واهل الحسد يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولكن لا يزيدهم الحسد الا الطغيان
فكما ان مصائب قوم عند قوم فوائد كذلك فوائد قوم عند قوم مصائب قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده
افندى قدس سره ان جماعة السيد البخارى حسدوا الناحى قصدوا القتل بالسلاح واشتغلوا بالاسماء القهرية
على حسب طريقهم فلم اقاتل دفعا للفتنة ثم رأيت فى موضع قرب جامع السيد البخارى قد اخذ طريق ماء
عظيم فلم يبق الا طريق ضيق فلما قربت منه لم يبق اثر من الماء ثم انه مات كثير من تلك الجماعة ولكن لم اباشر انا
فى حقهم شيأ قال كيف اميل الى مشيختهم وتصرف ثمانية عشر الف عالم بيدى بقدرة الله تعالى فى الباطن
وان كنت عاجزا فى الظاهر وحكى ان مولانا جلال الدين اشتغل عند صلاح الدين شركوه بعد المفارقة من شمس
الدين التبريزى فلما سمعه بعض اتباع مولانا ارادوا قتله فارسل اليه مولانا ابنه السلطان ولد فقال الشيخ صلاح
الدين ان الله تعالى اعطانى قدرة على قلب السماء الى الارض فلو اردت اهلكتهم بقدرة الله تعالى لكن الاولى
ان ندعو لاصلاحهم فدعا الشيخ فامن السلطان ولد فلانت قلوبهم واستغفروا اللهم بحق اصفيائك خلصنا
عن رذائل الاوصاف وسفساف الاخلاق انك انت القادر الخلاق (ولو ان اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى
(آمنوا) بما يجب به الايمان (واتقوا) من المعاصى مثل الكذب واكل السحت ونحو ذلك (لكفرنا عنهم سيئاتهم)
اى لعفونا عنهم وسترنا عليهم ذنوبهم وهو الخلاص من العذاب (ولادخلناهم جنات النعيم) اى ولجعلناهم
خالدين فيها وهو الظفر بالثواب وفيه تنبيه على ان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابى لا يدخل الجنة
ما لم يسلم (ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل) اى عملوا بما فيهما من التصديق بسيد المرسلين والوفاء لله تعالى
بما عاهدوا فيهما واقامة الشئ عبارة عن رعاية حقوقه واحكامه كاقامة الصلاة (وما انزل اليهم من ربهم) من
القرآن المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان للتصريح ببطلان ما كانوا يدعون من عدم نزوله الى بنى
اسرائيل (لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) اى لوسع الله عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء
والارض بانزال المطر واخراج النبات وفيه تنبيه على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من شؤم جناياتهم

لا القصور فى فيض الفياض (وفى المثنوى) هين مراقب باش كر دل بايدت * كز پى هر فعل چيزى زايدت *
اين بلا از كودنى آيد ترا * كه نكردى فهم نكته رمزها * وكانه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان
والتقوى والاقامة فقيل (منهم امة مقتصدة) اى طائفة عادلة غير غالية ولا مقصرة كعبد الله بن سلام واضرابه
ممن آمن من اليهود وثمانية واربعين ممن آمن من النصارى والاقتصاد فى اللغة الاعتدال فى العمل من غير غلو
ولا تقصير (وكثير منهم) مقول فى حقهم (ساء ما كانوا يعملون) وفيه تعجب بحسب المقام اى ما اسوأ عملهم
من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه وفى الاية بيان ان التقوى سبب لتوسعة الرزق واستقامة
الامر فى الدنيا والاخرة قال عبد الله القلانسى ركبت سفينة فى بعض اسفارى فبدت ريح شديدة فاشتغل
اهل السفينة بالدعاء والنذر واشاروا الى بالنذر ايضا فقلت انى مجرد عن الدنيا فالحوا على فقلت ان خلصنى الله
لا آكل لحم الفيل فقالوا من يأكل لحم الفيل حتى تكفه عن نفسك فقلت هكذا اخطر بالى فخلصنى الله بجماعة
ورمانا الى ساحل البحر فمضى ايام لم نجد ماكلا فبينا نحن جياع اذ ظهر جرو فيل فقتلوه واكلوا لحمه ولم آكل
رعاية لنذرى وعهدى فالحوا على فقالوا انه مقام الاضطرار فلم اقبل قولهم ثم ناموا فجاءت ام الجرو ورأت عظام
ولدها وشمت الجماعة فردا فردا فكل من وجدت رائحته اهلكته ثم جاءتنى فلما لم تجد الرائحة وجهت الى ظهرها
واشارت الى بالركوب فركبت فحملتنى واوصلتنى تلك الليلة الى موضع واشارت الى بالنزول فنزلت واقيت
وقت السحر جماعة فاخذونى الى البيت واضافونى فاخبرتهم قصتى على لسان ترجمان فقالوا من ذلك الموضع
الى هنا مسيرة ثمانية ايام وقد قطعتها فى ليلة واحدة فظهر من هذه الحكاية ان برعاية جانب التقوى والوفاء
بالعهد يستقيم امر المرء من جهة الدين والدنيا وان شهوة واحدة من شهوات الدنيا الها حزن طويل وكيد عظيم
بل هلاك كما وقع لتلك الجماعة التى اكلوا الجرو والفيل وقتى زنبورى مورى را ديد كه بهزار حيله دانه بخانه ميكشد
ودران رنج بسيار مى ديد اورا كفت اى مور اين چه رنجست كه برخود نهادۀ بيا كه مطعم ومشرب من ببين
كه هر طعامكه لطيف ولذيذ تراست تا ازمن زياده نيايد بپادشاهان نرسد هر انجا كه خواهم نشينم وآنچه خواهم
كزينم وخورم ودرين سخن بود كه بر پريد وبدكان قصابى برمسلوخى نشست قصاب كه كارد در دست داشت
بران زنبور زد ودو پاره كرد برزمين انداخت ومور بيامد وپاى كشان اورا مى برد وكفت رب شهوة ساعة
اورثت صاحبها حزنا طويلا زنبور كفت مرا بجايى مبركه نخواهم مور كفت هركه ازروى حرص وشهوت جايى
نشيند كه خواهد بجايى كشندش كه نخواهد واعلم ان قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
اشارة الى ما يحصل بالوهب الرحمانى وما يحصل بالكسب الانسانى فمن عمل بما علم واجتهد فى طريق الحق كل
الاجتهاد ينال مراتب الاذواق والمشاهدات فيحصل له جنتان جنة العمل وجنة الفضل وهذا الرزق المعنوى
هو المقبول وفى المثنوى اين دهان بستى دهانى باز شد * كه خورنده لقمهاى راز شد * كر ز شير ديو تن
را وابرى * در فطام او بسى نعمت خورى * اللهم امددنا بفيض فضلك واحسانك (يا ايها الرسول بلغ)
جميع (ما انزل اليك من ربك) مما يتعلق بمصالح العباد فلا يرد ان بعض الاسرار الالهية يحرم افشاؤه
قال ابو هريرة حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين من العلم فاما احدهما فقد بثثته واما الاخر
لو بثثته لقطع هذا الحلقوم والتحقيق ان ما يتعلق بالشريعة عام تبليغه وما يتعلق بالمعرفة والحقيقة خاص
ولكل منهما اهل فهو كالامانة عند المبلغ يلزم دفعها الى اربابها (وان لم تفعل) اى ان لم تبلغ جميعه خوفا
من ان ينالك مكروه (فما بلغت رسالته) لان كتمان بعضها ككتمان الكل والرسالة لا سبيل لها ان يبلغها
الا باللسان فلذلك لم يرخص له فى تركها وان خاف فهذا دليل لقولنا فى المكره على الطلاق والعتاق اذا تكلم به
عمل لان تعلق ذلك باللسان لا بالقلب والاكراه لا يمنع فعل اللسان فلا يمنع النفاذ كذا فى التيسير (والله يعصمك
من الناس) امان من الله تعالى للنبى عليه السلام كيلا يخاف ولا يحذر كما روى فى الخبر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما دخل المدينة قالت اليهود يا محمد انا ذوو عدد وبأس فان لم ترجع قتلناك وان رجعت زودناك
واكرمناك فكان عليه السلام يحرسه مائة من المهاجرين والانصار يبيتون عنده ويخرجون معه خوفا من
اليهود فلما نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس علم ان الله يحفظه من كيد اليهود وغيرهم فقال للمهاجرين
والانصار انصرفوا الى رحالكم فان الله قد عصمنى من اليهود فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يخرج وحده

فى اول الليل وعند السحر الى اودية المدينة وحيث ماشاء يعصمه الله مع كثرة اعدآئه وقلة اعوانه وكان الشج والرباعية قبل ذلك ولان المراد العصمة من القتل وقد حفظه من ذلك واما سائر البلايا والمحن فذلك مما كان يجرى على سائر الانبياء والاولياء قال الكرمانى ماوقع من الابتلاء والسقم فى الانبياء عليهم السلام انما جزيل الاجر وليعلم انهم بشر تصيبهم محن الدنيا ومايطرأ على الاجسام وانهم مخلوقون فلا يفتتن بما ظهر على ايديهم من المعجزات انتهى (ان الله لايهدى القوم الكافرين) تعليل لعصمته عليه السلام اى لايمكنهم مما يريدون لك من الاضرار وفيه اشارة الى ان من سنة الله تعالى ان لايهدى الى حضرته قوما جحدوا نبوة الانبياء وماقبلوا رسالة الرسل ليبلغوا اليهم ماانزل اليهم من ربهم اوانكروا على الاولياء ومااستمسكوا بعروة ولايتهم ليوصلوهم الى الله تعالى سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وفى الآية ايضا اشارة الى ان من امتثل لامر الخالق يعصمه من مضرة المخلوق كما عصم النبى عليه السلام وابو بكر الصديق رضى الله عنه فى الغار حين الهجرة فاذا عصم الله من امتثل لامره يعصم ايضا من يستشفع برسوله عليه السلام ويهديه الى سوآء الصراط حكى ان سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطأ الجيش بارض الروم واسر فانطلق هاربا يلتمس الجيش فاذا بالاسد فقال ياابا الحارث اناسفينة مولى رسول الله فكان من امرى كيت وكيت فاقبل الاسد يتبصبص حتى قام الى جنبه كلما سمع صوتا اهوى اليه فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش ثم رجع الاسد (قال السعدى فى البستان) يكى ديدم ازعرصهٔ رودبار * كه پيش آمدم بر پلنكى سوار * چنان هول ازان حال برمن نشست * كه ترسيدنم پاى رفتن ببست * تبسم كنان دست برلب كرفت * كه سعدى مدار انچه آيد شكفت * توهم كردن ازحكم داور مپيچ * كه كردن نپيچد زحكم توهيچ * محالست چون دوست دارد ترا * كه دردست دشمن كذارد ترا * وعن جابر رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الغزوات فنزل مع قومه فى واد فتفرق الناس يستظلون بالاشجار ويناموا واستظل عليه السلام بشجرة معلقا سيفه بغصنها فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فلما حضرنا رأينا اعرابيا فقال عليه السلام (ان هذا اخترط على سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى فقلت الله) يعنى يمنعنى الله منك (فسقط السيف من يده فاخذته فقلت من يمنعك منى فقال كن خير آخذ) قال الراوى قال له النبى عليه السلام اتشهد ان لا آله الا الله وانى رسول الله قال لا ولكن اعاهدك على ان لا اقاتلك ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى عليه السلام سبيله وفى الحديث كمال توكل النبى عليه السلام وتصديق قوله والله يعصمك من الناس واستحباب مقابلة السيئة بالحسنة كذا فى شرح المشارق لابن الملك رحمه الله تعالى (قل) يا محمد مخاطبا لليهود والنصارى (يااهل الكتاب لستم على شئ) اى دين يعتد به ويليق بان يسمى شيأ لظهور بطلانه ووضوح فساده (حتى تقيموا التوراة والانجيل) ومن اقامتهما الايمان بمحمد والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان بما صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولهما ومالم ينسخ من فروعهما (وما انزل اليكم من ربكم) اى القرآن المجيد بالايمان به ونسب الانزال اليهم لانهم كانوا يدعون عدم نزوله الى بنى اسرآئيل (وليزيدن كثيرا منهم) وهم علماؤهم ورؤساؤهم (ماانزل اليك من ربك) اى القرآن (طغيانا وكفرا) على طغيانهم وكفرهم القديمين وهو مفعول ثان ليزيدن (فلاتأس على القوم الكافرين) اى فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لايتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة لك عنهم وفى الآية اشارة الى ان حقيقة الدين انما هى احكام ظاهرة وباطنة والتزين بالاعمال ظاهرا وبالاحوال باطنا وهذا لايتصور الا بمقدمتين ونتايج اربع فاما المتقدمتان فاولاهما الجذبة الالهية وثانيتهما التربية الشيخية واما النتايج فاولاها الاعراض عن الدنيا ومايتعلق بها كلها وثانيتها التوجه الى الحق بصدق الطلب وهما من نتايج الجذبة ثم تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة وتحلية القلب بالاخلاق الالهية وهما من نتايج التربية الشيخية باستمداد القوة النبوية والقوم الكافرون هم اهل الانكار يتعلقون بظاهر الدين ولايعرفون ورآءه غاية وليس الامر كذلك فان لكل ظاهر باطنا (وفى المثنوى) فائده هر ظاهرى خود باطنست * همچو نفع اندر دواها كامنست * هيچ خطاطى نويسد خط بفن * بهر عين خط نه بهر خواندن * كنديبنش مى نبيند غير اين * عقل اوبى سير چون نبت زمين * نبت راچه

خوانده چه ناخوانده * هست پاى اوبكل درمانده * كر سرش جنبد بسير باد رو * تو بسر جنبانيش غره مشو * آن سرش كويد سمعنا اى صبا * پاى اوكويد عصينا خلنا * والحامل على الانكار هو الحسد كما كان لطائفة اليهود والنصارى فلابد من تزكية النفس من مثل هذا القبيح حكى ان تلميذا للفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال يا استاذ لا تقرأ هذه ثم سكت ثم لقنه فقال لا آله الا الله فقال لا اقولها لانى برى منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكى اربعين يوما لم يخرج من البيت ثم رآه فى النوم وهو يسحب الى جهنم فقال باى شئ نزع الله المعرفة عنك وكنت اعلم تلاميذى فقال بثلاثة اولها بالنميمة فانى قلت لاصحابى بخلاف ماقلت لك والثانى بالحسد حسدت اصحابى والثالث كان لى علة فجئت الى الطبيب وسألته عنها فقال تشرب فى كل سنة قدحا من الشراب فان لم تفعل بقيت بك العلة فكنت اشربه نعوذ بالله من سخطه الذى لاطاقة لنا به كذا فى منهاج العابدين (ان الذين آمنوا) اى بالسنتهم فقط وهم المنافقون (والذين هادوا) اى دخلوا فى اليهودية (والصابئون) اى الذين صبت قلوبهم ومالت الى الجهل وهم صنف من النصارى يقال لهم السايحون يحلقون اوساط رؤسهم وقد سبق فى سورة البقرة (والنصارى) جمع نصران وهو معطوف على الذين هادوا وقوله والصابئون رفع على الابتدآء وخبره محذوف والجملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الخ والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك وانما لم يعطف على من قبله بل جعل مع خبره المحذوف جملة مستقلة اتى بها فى خلال الجملة الاولى على نية التأخير للدلالة على ان الصابئين مع كونهم اشد الفرق المذكورين فى هذه الاية ضلالا اذا قبل توبتهم وغفر ذنوبهم على تقدير الايمان الصحيح والعمل الصالح فقبول توبة باقى الفرق اولى واحرى (من آمن بالله واليوم الآخر) اى من احدث من هذه الطوآئف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد (وعمل صالحا) حسبما يقتضيه الايمان بهما وقوله من فى محل الرفع بالابتدآء وخبره فلاخوف الخ والجملة خبران (فلاخوف عليهم) حين يخاف الكفار العقاب (ولاهم يحزنون) حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لابيان انتفاء دوامهما قال الحدادى فى تفسيره اما نفى الحزن عن المؤمنين ههنا فقد ذهب بعض المفسرين الى انه لايكون عليهم حزن فى الآخرة ولاخوف ونظيره قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا ولاتحزنوا وقال بعضهم ان المؤمنين يخافون ويحزنون لقوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وقال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة فقالت عائشة واسوءتاه فقال صلى الله عليه وسلم اما سمعت قول الله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه قالوا وانما نفى الله تعالى فى هذه الاية الحزن عن المؤمنين لان حزنهم لما كان فى معرض الزوال ولم يكن له بقاء معهم لم يعتد بذلك انتهى (وفى المثنوى) لاتخافوا هست نزل خائفان * هست درخور ازبراى خائف آن * هركه ترسد مر ورا ايمن كنند * مر دل ترسنده را ساكن كنند * آنكه خوفش نيست چون كويى مترس * درس چه دهى نيست او محتاج درس * واعلم ان اولياء الله لاخوف عليهم فيما لايكون على شئ لانهم يقيمون القرآن عملا بالظاهر والباطن ولاهم يحزنون على مايقاسون من شدآئد الرياضات والمجاهدات ومخالفات النفس فى ترك الدنيا وقمع الهوى ولاعلى مااصابهم من البلاء والمحن والمصيبات والآفات لانهم تخلصوا عن التقليد وفازوا بالتحقيق وارتفع عنهم تعب التكاليف فهم مع الله فى جميع احوالهم فعلى المؤمن معالجة مرضه القلبى من الاوصاف الرذيلة والتخلص من النفاق واللحاق باهل الاتفاق قال ابراهيم الخواص قدس سره دوآء القلب خمسة قرآءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع الى الله عند السحر ومجالسة الصالحين قال حضرة الشيخ الشهير بالهدايى قدس سره ونحن نقول المصلح فى الحقيقة هو الله ولكن اشد الاشياء تأثيرا هو الذكر قال الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال على رضى الله عنه يأتى على الناس زمان لايبقى من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه يعمرون مساجدهم وهى خراب من ذكر الله شر اهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود (قال السعدى) علم چندانكه بيشتر خوانى * چون عمل در تو نيست نادانى * نه محقق بود نه دانشمند * چار پايى بروكتابى چند * آن تهى مغز را چه علم وخبر *

كه بروهيزمست وياد فتر * واعلم ان زبدة العلوم هى العلم بالله وماسواه فن محسناته ومن علم فهو كامل فى نفسه الا ان العمل هو المقصود ومجرد القرآءة لايغنى شيأ ولا يجلب نفعا فطوبى لمن صاحب رفيق التوفيق (لقد اخذنا ميثاق بنى اسرآئيل) اى بالله قد اخذنا عهدهم بالتوحيد وسائر الشرآئع والاحكام المكتوبة عليهم فى التوراة (وارسلنا اليهم رسلا) ذوى عدد كثير واولى شأن خطير ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم) جواب شرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما يخالف هواهم من الشرآئع ومشاق التكاليف عصوه وعادوه كانه قيل كيف عصوهم فقيل (فريقا كذبوا) اى فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشئ آخر من المضار (وفريقا يقتلون) اى فريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا كزكريا ويحيى عليهما السلام (وحسبوا ان لا تكون فتنة) اى حسب بنوا اسرآئيل وظنوا ان لا يصيبهم من الله تعالى بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وجه حسبانهم انهم وان اعتقدوا فى انفسهم انهم مخطئون فى ذلك التكذيب والقتل الا انهم كانوا يقولون نحن ابناؤه واحباؤه وكانوا يعتقدون ان نبوة اسلافهم وآبائهم تدفع عنهم العذاب الذى يستحقونه بسبب ذلك القتل والتكذيب (فعموا) عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها اى امنوا بأس الله تعالى فتمادوا فى فنون الغى والفساد وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى المعاملة الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة اى عملوا معاملة الاعمى الذى لا يبصر (وصموا) عن استماع الحق الذى القوه عليهم اى عملوا معاملة الاصم الذى لا يسمع ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا قال المولى ابو السعود وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتى افساد بنى اسرآئيل حين خالفوا احكام التوراة وركبوا المحارم وقتلوا شعيبا وقيل حبسوا ارمياء عليهما السلام (ثم تاب الله عليهم) حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد وبعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى فى غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بنى اسرآئيل من اسر بخت نصر بعد مهلكهم وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم فى الاكناف فعمروه فى ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه (ثم عموا وصموا) وهو اشارة الى المرة الاخرى من مرتى افسادهم وهو اجترآؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام (كثير منهم) بدل من الضمير فى الفعلين قال الحدادى قوله كثير منهم تقتضى فى المرة الثانية انهم لم يكفروا كلهم وانما كفر اكثرهم كما قال تعالى ليسوا سوآء من اهل الكتاب امة قائمة وقال تعالى منهم امة مقتصدة (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم وفق اعمالهم ومن اين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك فى المرة الاولى حيث سلط الله عليهم بخت نصر فاستولى على بيت المقدس فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرأ التوراة وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هنالك على اقصى ما يكون من الذل والنكد الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وعلا الى ما حكى عنهم من حسن الحال ثم عادوا الى المرة الاخرى من الافساد فبعث الله عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوآئف ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقتمونى فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقونى ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقى احدا منهم فهدأ واعلم ان من مقتضى النفس نسيان العهد بينه وبين الله ونسيان نعمه بالكفران وكيف الكفران والانسان غريق فى بحر كرمه ولطفه فيجب عليه شكر ذلك وارسال الرسل وتوضيح السبل ونزول المطر وانبات الارض وصحة البدن وقوة القلب واندفاع الموانع ومساعدة الاسباب كل ذلك من النعم الجليلة وحكى ان دانيال عليه السلام وجد خاتمه فى عهد عمر رضى الله عنه وكان على فصه اسدان وبينهما رجل يلحسانه وذلك ان بخت نصر لما تتبع الصبيان وقتلهم وولد هو القته امه فى غيضة رجاء ان ينجو منه فقيض الله سبحانه اسدا يحفظه ولبوة ترضعه وهما يلحسانه فلما كبر صور ذلك فى خاتمه حتى لا ينسى نعمة الله عليه ولا بد فى قطع طريق الآخرة من تحمل المشاق والقيام بالحقوق الواجبة بينه وبين الخلاق ذكر عن الفضيل انه قال من عزم على قطع طريق الآخرة فليجعل فى نفسه اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت الابيض الجوع والاسود

ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان والاخضر الوقائع بعضها على بعض اى المصائب والاوجاع واذا كان المرء اعمى واصم فى هذا الطريق فلا جرم يضل ولا يهتدى (قال فى المثنوى) كور راهر كام باشد ترس چاه * با هزاران ترس مى آيد براه * مرد بينا ديده عرض راه را * پس بداند او مغاك وچاه را * ماهيانرا بحر نكذارد برون * خاكيانرا بحر نكذارد درون * اصل ماهى آب وحيوان از كلست * حيله وتدبير اينجا باطلست * قفل زفتست وكشاينده خدا * دست در تسليم زن اندر رضا * والعصيان وان كان سببا للنسيان ورين العمى والصمم الا ان ما قضاه الله وقدره لا يتغير فليبك على نفسه من ضاع عمره فى الهوى وتتبع الشهوات فلم يجد الى طلب الحق سبيلا والى طريق الرشد دليلا اللهم انك انت الهادى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) نزلت فى نصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما وهم الماريعقوبية قالوا ان الله حل فى ذات عيسى واتحد بذاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقال المسيح) اى قالوا ذلك والحال قد قال المسيح مخاطبا لهم (يا بنى اسرآئيل اعبدوا الله ربى وربكم) فانى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا الخالق وخالقكم (انه) اى الشأن (من يشرك بالله) اى شيأ فى عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال (فقد حرم الله عليه الجنة) فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه الى المحرم فانها دار الموحدين (ومأواه النار) فانها هى المعدة للمشركين (وما للظالمين) بالاشراك (من انصار) اى من احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة وهو من تمام كلام عيسى ثم حكى ما قاله النسطورية والملكانية من النصارى فقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) اى احد ثلاثة آلهة والالهية مشتركة بينهم وهم الله وعيسى ومريم (وما من اله الا اله واحد) اى والحال ليس فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا الهية موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة (وان لم ينتهوا عما يقولون) عن مقالتهم الاولى والثانية ولم يوحدوا (ليمسن الذين كفروا منهم) اى والله ليمسنهم ووضع الموصول موضع الضمير لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن بيانية حال من الذين (عذاب اليم) نوع شديد الالم من العذاب يخلص وجعه الى قلوبهم (افلا يتوبون الى الله) اى ايصرون فلا يتوبون عن تلك العقائد الزآئغة والاقاويل الباطلة وهمزة الاستفهام لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم وتحضيض على التوبة (ويستغفرونه) بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول (والله غفور رحيم) اى والحال انه تعالى مبالغ فى المغفرة يغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) اى ما هو الا مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها كالرسل الماضية من قبله خصه الله تعالى بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر شؤونه وافعاله (وامه صديقة) اى ما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق اى صدق الاقوال فى المعاملة مع الخلق وصدق الافعال والاحوال فى المعاملة مع الخالق لا يصدر منهن ما يكذب دعوى العبودية والطاعة (كانا يأكلان الطعام) ويفتقران اليه افتقار الحيوانات فكيف يكون الها من لا يقيمه الا اكل الطعام (انظر كيف نبين لهم الآيات) الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال (ثم انظر انى يؤفكون) اى كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت اى ان بياننا الآيات امر بديع فى بابه واعراضهم عنها مع تعاضد ما يوجب قبولها ابدع (قل) يا محمد الزاما لهؤلاء النصارى ومن سلك طريقتهم من اتخاذ غير الله الها (اتعبدون من دون الله) اى متجاوزين اياه (ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) يعنى عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما مع ان اصله ان يطلق على غير العاقل نظرا الى ما هو عليه فى ذاته فانه عليه السلام فى اول احواله لا يوصف بعقل ولا بشئ من الفضائل فكيف يكون الها (والله هو السميع العليم) بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر وهو حال من فاعل تعبدون (قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق) اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالوهية كما ادعته النصارى او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة كما زعمته اليهود (ولا تتبعوا اهوآء قوم قد ضلوا

من قبل) يعنى اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد عليه السلام فى شريعتهم (واضلوا كثيرا) اى من تابعهم على بدعهم وضلالهم (وضلوا عن سوآء السبيل) عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وحسدوه قال الشيخ نجم الدين فى تأويلاته ان النصارى لما ارادوا ان يسلكوا طريق الحق بقدم الفعل وينظروا الى احوال الانبياء بنظر العقل تاهوا فى اودية الشبهات وانقطعوا فى بوادى الهلكات جل جناب القدس عن ادراك عقول الانس هيهات هيهات وهذا حال من يحذو حذوهم ويقفو اثرهم فاطرت النصارى عيسى عليه السلام اذ نظروا بالعقل فى امره فوجدوه مولودا من ام بلا اب فحكم عقلهم ان لا يكون مولود بلا اب فينبغى ان يكون هو ابن الله واستدلوا على ذلك بانه يخلق من الطين كهيئة الطير ويبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى ويخبر عما يأكلون فى بيوتهم وما يدخرون وهذا من صفات الله تعالى ولولم يكن المسيح ابن الله لما امكنه هذا وانما امكنه لان الولد سر ابيه وقال بعضهم ان المسيح لما استكمل تزكية النفس عن صفات الناسوتية حل لاهوتية الحق فى مكان ناسوتيته فصار هو الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم اعلم ان امة محمد لما سلكوا طريق الحق باقدام جذبات الالوهية على وفق المتابعة الحبيبية اسقط عنهم كلفة الاستدلال ببراهين الوصول والوصال كما كان حال الشبلى حين غسل كتبه بالماء وكان يقول نعم الدليل انتم ولكن اشتغالى بالدليل بعد الوصول الى المدلول محال (وفى المثنوى) چون شدى بربامهاى آسمان * سرد باشد جست وجوى نردبان * آينه روشن كه شد صاف وجلى * جهل باشد برنهان صيقلى * پيش سلطان خوش نشسته بس قبول * زشت باشد جستن نامه رسول * فهذا القوم بعد ما وصلوا الى سرادقات حضرة الجلال شاهدوا بانوار صفات الجمال ان الانسان هو الذى حمل امانة الحق من بين سائر المخلوقات وهى نور فيض الالوهية بواسطة الانبياء مخصوصون باحسن التقويم فى قبول هذا الكمال فتحقق لهم ان عيسى عليه السلام صار قابلا بعد التزكية للتحلية بفيض الخالقية والمحيية كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ويبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله لا باذنه اعنى كان صورة الفعل منه ومنشأ صفة الخالقية حضرة الالوهية وهذا كما ان لكرة البلور المخروط استعدادا فى قبول فيض الشمس اذا كانت فى محاذاتها فتقبل الفيض وتحرق المحلوج المحاذى لها بذلك الفيض فصدر الفعل المحرق من الكرة ظاهرا ومنشأ الصفة المحرقية حضرة الشمس حقيقة فصار للكرة بحسن الاستعداد قابلية لفيض الشمس وظهر منها صفات الشمس ما حلت الشمس فى كرة البلور تفهم ان شاء الله وتغتنم فكذلك حال الانبياء فى المعجزات وكبار الاولياء فى الكرامات والفرق ان الانبياء مستقلون بهذا المقام والاولياء متبعون قال الامام الغزالى فى قول ابى يزيد انسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فاذا انا هو ان من انسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها فلا يبقى فيه متسع لغير الله ولا يكون له هم سوى الله واذا لم يحل فى القلب الا جلال الله وجماله صار مستغرقا به صار كانه هو لا انه هو تحقيقا وقوله ايضا سبحانى ما اعظم شانى يحمل على انه قد شاهد كمال حظه من صفة القدس فقال سبحانى ورأى عظيم شأنه بالاضافة الى شأن عموم الخلق فقال ما اعظم شانى وهو مع ذلك يعلم قدسه وعظم شأنه بالاضافة الى الخلق ولا نسبة له الى قدس الرب وعظم شأنه وقول من قال من الصوفية انا الحق فوارد على سبيل التجوز ايضا كما يقول الشاعر انا من اهوى ومن اهوى انا وذلك متأول عند الشاعر فانه لا يعنى به انه هو تحقيقا بل كانه هو فانه مستغرق بالهم به كما يكون مستغرق الهم بنفسه فيعتبر هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوز وقال الشيخ ابو القاسم الجرجانى ان الاسماء التسعة والتسعين تصير اوصافا للعبد السالك وهو بعد فى السلوك غير واصل فان قلت ما معنى الوصول قلت معنى السلوك هو تهذيب الاخلاق والاعمال والمعارف وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن والعبد فى جميع ذلك مشغول بنفسه عن ربه الا انه مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول وانما الوصول هو ان ينكشف له جلية الحق ويصير مستغرقا به فان نظر الى معرفته فلا يعرف الا الله وان نظر الى همته فلا همة له سواه فيكون كله مشغولا لا بكله مشاهدة وهما لا يلتفت فى ذلك الى نفسه ليعمر ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الاخلاق وكل ذلك طهارة وهى البداءة واما النهاية فان ينسلخ عن نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كانه هو وذلك هو الوصول (وفى المثنوى) كارگاه گنج حق در نيستيست * غره هستى چه دانى نيست چيست * آب كوزه چون در آب جو شود * محو گردد در وى وجو او شود

(لعن الذين كفروا) حال كونهم (من بنى اسرآئيل) اى طردوا وابعدوا من رحمة الله تعالى (على لسان داود) متعلق بلعن يعنى اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية ومثلا لخلقك فمسخوا قردة (وعيسى ابن مريم) اى على لسان عيسى ابن مريم يعنى كفار اصحاب المائدة لما اكلوا من المائدة ولم يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم كما لعنت اصحاب السبت واجعلهم آية فمسخوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبى كانه قيل باى سبب وقع ذلك فقيل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم واعتدآئهم ما حرم عليهم (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) استئناف اى لا ينهى بعضهم بعضا عن قبيح يعملونه واصطلحوا على الكف عن نهى المنكر (لبئس ما كانوا يفعلون) تعجيب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم (ترى كثيرا منهم) اى من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركى مكة ليتفقوا على محاربة النبى عليه السلام والرؤية بصرية (يتولون الذين كفروا) حال من كثيرا لكونه موصوفا اى يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (لبئس ما قدمت لهم انفسهم) اى لبئس شيأ قدموا ليردوا عليه يوم القيامة (ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف اى موجب سخط الله والخلود فى العذاب لان نفس السخط المضاف الى البارى تعالى لا يقال له انه المخصوص بالذم انما المخصوص بالذم هو الاسباب الموجبة له (ولو كانوا) اى الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب (يؤمنون بالله والنبى) اى نبيهم (وما انزل اليه) اى الى ذلك النبى من التوراة والانجيل (ما اتخذوهم) اى المشركين (اولياء) لان تحريم ذلك مصرح فى شريعة ذلك النبى وفى الكتاب المنزل اليه فالايمان يمنع من التولى قطعا (ولكن كثيرا منهم فاسقون) خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم وفى الايات امور الاول ان الانسان الكامل الذى يصلح لخلافة الحق هو مظهر صفات لطف الحق وقهره فقبولهم قبول الحق وردهم رد الحق ولعنهم لعن الحق وصلاتهم صلاة الحق فمن لعنوه فقد لعنه الحق ومن صلوا عليه فقد صلى الحق عليه لقوله تعالى لنبيه وحبيبه عليه السلام ان صلاتك سكن لهم وقال هو الذى يصلى عليكم فظهر اللعن كان لسان داود وعيسى وكانت اللعنة من الله تعالى حقيقة لقوله كما لعنا اصحاب السبت وهم الذين لعنهم داود وصرح ههنا ان اللعن كان منه تعالى وان كان على لسان داود عليه السلام (وفى المثنوى) اين نكردى تو كه من كردم يقين * اى صفاتت در صفات ما دفين * ما رميت اذ رميت كشته * خويشتن در موج چون كف هشته (وفى محل آخر) كه ترا از تو بكل خالى كند * تو شوى پست او سخن عالى كند * گرچه قرآن از لب پيغمبر است * هر كه گويد حق نگفت او كافر است * والثانى ان الله تعالى سمى العصيان منكرا لانه يوجب النكرة كما سمى الطاعة معروفا لانها توجب المعرفة والاقدام على الفعل المنكر معصية والاصرار على المعصية كالكفر فى كونه سببا للرين المحيط بجوانب القلب ومن ذلك ترك النهى عن المنكر وفى الحديث يحشر يوم القيامة اناس من امتى من قبورهم الى الله تعالى على صورة القردة والخنازير بما داهنوا اهل المعاصى وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون فالمداهنة من اعمال الكفار والدعوة الى الله من اخلاق الاخيار (وفى المثنوى) هر كسى كو از صف دين سر كش است * ميرود سوى صفى كان واپس است * تو ز گفتار تعالوا كم مكن * كيمياى بس شگرفست آن سخن * گر مسى گردد ز گفتارت نفير * كيميا را هيچ از وى وامگير * اين زمان گر بست نفس ساحرش * گفت تو سودش كند در آخرش * قل تعالوا قل تعالوا اى غلام * هين كه ان الله يدعو للسلام * والثالث ان المؤمن والكافر ليسا من جنس واحد وتولى الكافر موجب لسخط الله لان موالاة الاعدآء توجب معاداة الاولياء فينبغى للمؤمن الكامل ان ينقطع عن صحبة الكفار والفجار واهل البدع والاهوآء وارباب الغفلة والانكار (وفى المثنوى) ميل مجنون پيش آن ليلى روان * ميل ناقه پس پى طفلش دوان * گفت اين ناقه چو هر دو عاشقيم * با دو ضد پس همره نالايقيم * نيستت بر وفق من مهر و مهار * ترك بايد از تو صحبت اختيار * جان ز هجر عرش اندر فاقه * تن ز عشق خاربن چون ناقه * جان گشاده سوى بالا بالها * در زده تن در زمين چنگالها * اللهم خلصنا من خلاف الجنس مطلقا (لتجدن) يا محمد (اشد الناس) مفعول اول للوجدان (عداوة) تمييز (للذين آمنوا) متعلق بعداوة (اليهود)

مفعول ثان للوجدان (والذين اشركوا) يعنى مشركى العرب معطوف على اليهود (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) اعرابه كاعراب ما سبق اما عداوة اليهود والمشركين المنكرين للمعاد فلشدة حرصهم الذى هو معدن الاخلاق الذميمة فان من كان حريصا على الدنيا طرح دينه فى طلب الدنيا واقدم على كل محظور ومنكر فلا جرم تشتد عداوته مع كل من نال جاها او مالا واما مودة النصارى فلانهم فى اكثر الامر معرضون عن الدنيا مقبلون على العبادة وترك طلب الرياسة والتكبر والترفع وكل من كان كذلك فانه لا يحسد الناس ولا يؤذيهم بل يكون لين العريكة فى طلب الحق سهل الانقياد له انظر الى كفر النصارى مع كونه اغلظ من كفر اليهود لان كفر النصارى فى الالوهية وكفر اليهود فى النبوة واما قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله فانما قاله طائفة منهم ومع ذلك خص اليهود بمزيد اللعنة دونهم وما ذاك الا بسبب حرصهم على الدنيا ويؤيده قوله عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة قال البغوى لم يرد به جميع النصارى لانهم فى عداوتهم للمسلمين كاليهود فى قتلهم المسلمين واسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم واحراق مصاحفهم لا مودة ولا كرامة لهم بل الآية نزلت فيمن اسلم منهم مثل النجاشى واصحابه وكان النجاشى ملك الحبشة نصرانيا قبل ظهور الاسلام ثم اسلم هو واصحابه قبل الفتح ومات قبله ايضا وقال اهل التفسير ائتمرت قريش ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثب كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله رسوله بعمه ابى طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل باصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا واراد به النجاشى واسمه اصحمة بالمهملتين وهو بالحبشية عطية وانما النجاشى اسم الملك كقولهم قيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس فخرج اليها سرا احد عشر رجلا واربع نسوة منهم عثمان ابن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة الى ارض الحبشة بنصف دينار وذلك فى رجب فى السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه هى الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن ابى طالب وتتابع المسلمون اليها فكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان * سعد يا حب وطن كرچه حديثست صحيح * نتوان مرد بسختى كه من اينجا زادم * فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو ابن العاص وصاحبه بالهدايا الى النجاشى وبطارقته ليردوهم اليهم فعصمهم الله فلما انصرفا خائبين واقام المسلمون هنالك بخير دار وحسن جوار الى ان هاجر رسول الله وعلا امره وذلك فى سنة ست من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى على يد عمرو ابن امية الضمرى ليزوجه ام حبيبة بنت ابى سفيان وكانت قد هاجرت اليه مع زوجها فمات زوجها فارسل النجاشى الى ام حبيبة جارية يقال لها ابرهة تخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فاعطتها اوضاحا لها سرورا بذلك وامرها ان توكل من يزوجها فوكلت خالد بن سعيد بن العاص فانكحها على صداق اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله النجاشى فانفذ اليها على يد ابرهة اربعمائة دينار فلما جاءتها بها اعطتها خمسين دينارا فردتها وقالت امرنى الملك ان لا آخذ منك شيأ وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت محمدا صلى الله عليه وسلم وآمنت به فحاجتى منك ان تقرئيه منى السلام قالت نعم ثم امر الملك نساءه ان يبعثن الى ام حبيبة بما عندهن من عود وعنبر وكان عليه السلام يراه عليها وعندها فلا ينكر قالت ام حبيبة فخرجنا فى سفينتين وبعث معنا النجاشى الملاحين فلما خرجنا من البحر ركبنا الظهر الى المدينة ورسول الله عليه السلام بخيبر فخرج من خرج اليه واقمت بالمدينة حتى قدم النبى عليه السلام فدخلت عليه فكان يسألنى عن النجاشى فقرأت عليه من ابرهة السلام فرد عليها السلام فانزل الله عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم يعنى اباسفيان مودة يعنى تزويج ام حبيبة ولما جاء اباسفيان تزويج ام حبيبة برسول الله عليه السلام قال ذلك الفحل لا يقرع انفه ثم قال عليه السلام لا ادرى انا بفتح خيبر اسر ام بقدوم جعفر وبعث النجاشى بعد قدوم جعفر الى رسول الله ابنه ازهر بن اصحمة بن ابحر فى ستين رجلا من الحبشة وكتب اليه يا رسول الله اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت ابنى ازهر وان شئت ان آتيك بنفسى فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا سفينة فى اثر جعفر واصحابه فلما بلغوا

اواسط البحر غرقوا وكان جعفر يوم وصل المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل فى سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام منهم بحيرا الراهب فقرأ عليهم رسول الله سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن فآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله تعالى هذه الآية ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعنى وفد النجاشى الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا اصحاب الصوامع (ذلك) اى كونهم اقرب مودة للمؤمنين (بان منهم) اى بسبب ان منهم (قسيسين) وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشئ اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم فى تتبع العلم قاله الراغب وقال قطرب القسيس العالم بلغة الروم وعن عروة بن الزبير انه قال ضيعت النصارى الانجيل وادخلوا فيه ما ليس منه وبقى واحد من علمائهم على الحق والدين وكان اسمه قسيسا فمن كان على مذهبه ودينه فهو قسيس (ورهبانا) هو جمع راهب كراكب وركبان وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع والترهب التعبد مع الرهبة فى صومعة والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها فى القسيسين ايضا اذ هى التى تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة بجنس الخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا يرى الى عبد الله ابن سلام واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الخ لكنهم لما لم يكونوا فى الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود (وانهم لا يستكبرون) عطف على ان منهم اى وبانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه ويتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كانت فى كافر اقول ذكر عند حضرة شيخى العلامه ابقاه الله بالسلامه رجولية بعض اهل الذم ومروءته فقال انه من آثار السعادة الازلية ويرجى ان ذلك يدعوه الى الايمان والتوحيد ويصير عاقبته الى الفلاح (قال الحافظ) كارى كنيم ورنه خجالت بر آورد * روزى كه رخت جان بجهان دكر كشيم تم الجزؤ السادس

(الجزؤ السابع من الثلاثين)

(واذا سمعوا ما انزل الى الرسول) عطف على لا يستكبرون اى ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه (ترى اعينهم تفيض من الدمع) اى تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذى هو الانصباب من الامتلاء مبالغة ومن الدمع متعلق بتفيض ومن لابتداء الغاية والمعنى تفيض من كثرة الدمع والرؤية بصرية وتفيض حال من المفعول (مما عرفوا من الحق) من الاولى لابتداء الغاية متعلق بمحذوف على انها حال من الدمع والثانية لبيان الموصول فى قوله ما عرفوا اى حال كونه ناشئا ومبتدأ من معرفة الحق حاصلا من اجله وبسببه كانه قيل ماذا يقولون عند سماع القرآن فقيل (يقولون ربنا آمنا) بهذا القرآن (فاكتبنا مع الشاهدين) اى اجعلنا فى جملة الذين شهدوا بانه حق (ومالنا) اى اى شئ حصل لنا (لا نؤمن بالله) حال من الضمير فى لنا اى غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفى الى السبب والمسبب جميعا (وما جاءنا من الحق) عطف على الجلالة اى بالله وما جاءنا من الحق حال من فاعل جاءنا اى جاءنا فى حال كونه من جنس الحق ومن لابتداء الغاية متعلقة بجاءنا ويكون المراد بالحق البارى تعالى (ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع فى صحبة الصالحين وانما قدر المبتدأ ليكون الحال هو الجملة الاسمية لان المضارع المثبت لا يقع حالا بالواو الا نادرا بل بتقدير المبتدأ (فاثابهم الله) اى اعطاهم وجازاهم (بما قالوا) اى عن اعتقادهم بدليل قوله مما عرفوا من الحق (جنات) اى بساتين (تجرى من تحتها الانهار) اى تجرى من تحت اشجارها ومساكنها وغرفها انهار الماء والعسل والخمر واللبن (خالدين فيها وذلك) الثواب (جزاء المحسنين) اى الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان فى الامور (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) فاتوا على ذلك عطف التكذيب بآيات الله على الكفر مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين (اولئك اصحاب الجحيم) اهل النار الشديدة الوقود وهم الذين استتروا بحجب اوصاف البهيمية والسبعية والشيطانية فاصمهم الله واعمى ابصارهم سمعوا ولم يستمعوا وشاهدوا ولم يبصروا بخلاف

من قال لهم الله ألست بربكم فاسمعهم كلامه ووفقهم للجواب حتى شهد وا بربوبيته فقالوا بلى شهدنا فكذلك ههنا
اسمعهم كلامه وعرفهم حقيقة كلامه فاشتاقوا اليه وتذكر قلوبهم ما شاهدوا عند الميثاق من تلك المشاهدة
فبكوا بكاء الشوق وبكاء المعرفة (وفى المثنوى) خوى بد در ذات تو اصلى نبود * كز بد اصلى مى نايد جز جحود *
آن بدى عاريتى باشد كه او * آرد اقرار وشود او توبه جو * همچو آدم ذلتش عاريه بود * لاجرم
اندر زمان توبه نمود * چونكه اصلى بود جرم آن بليس * ره نبودش جانب توبه نفيس * حكى
ان سلطانا زار قبر ابى يزيد قدس سره فسأل حاله من بعض اصحاب ابى يزيد فقال من رآه لم يدخل النار فقال
السلطان ان اباجهل رأى النبى عليه السلام ومع ذلك يدخل النار وليس شيخك فوق النبى عليه السلام فقال
ايها السلطان ان اباجهل لم ير النبى صلى الله عليه وسلم بل رأى يتيم ابى طالب فلو رأى انه رسول الله لآمن به
وخاص عن النار وبنور العرفان آمنت بلقيس فانها لما رأت كتاب سليمان شاورت قومها فقالوا نقاتله فقالت
انه يدعى النبوة والانبياء عباد الله المكرمون لا يقاتلهم احد فبعد الامتحان آمنت به (قال المولوى)
چون سليمان سوى مرغان سبا * يك صفيره كرد بست آن جمله را * جز مكر مرغى كه بد بى بال وپر *
يا چوماهى كنك بد از اصل كر * نى غلط كفتم كه كركوهر نهد * پيش وحى كبريا شمعش دهد *
چونكه بلقيس از دل وجان عزم كرد * بر زمان رفته هم افسوس خورد * ترك مال وملك كرد او همچنان *
كه بترك نام وننك آن عاشقان * آن غلامان وكنيزان بناز * پيش چشمش همچو پوسيده پياز *
باغها وقصرها وآب رود * پيش او از عشق اوكلخن نمود * عشق در هنكام استيلا وخشم *
زشت كرداند لطيف را بچشم * هر زمرد را نمايد كندنا * غيرت عشق اين بود معنى لا * لا اله الا هو
اينست اى پناه * كه نمايد مه ترا ديك سياه * واعلم انه فى العالم العلمى وفق من وفق يجرى على ذلك التوفيق
فى هذا العالم العينى الشهادى ثم لا يزال على ذلك فى جانب الابد حتى يدخل الجنة الصورية الحسية مع اذواق
الروحانية المعنوية خالدا فيها فهذا هو ثمرة ذلك البذر ومحصول ذلك الزرع والحرث كما قال الله تعالى فأثابهم الله
بما قالوا الخ فعلى المؤمن ان يجتهد فى تحصيل اليقين ويدخل الجنة العاجلة التى هى المعرفة الالهية كما قال
مما عرفوا من الحق ويتخلص عن نار البعد والفراق كما قال اولئك اصحاب الجحيم (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم) اى لا تمنعوا ما طاب ولذ منه انفسكم كمنع التحريم (ولا تعتدوا) اى لا تتجاوزوا حدود
ما احل لكم الى ما حرم عليكم فان محرم ما احل الله محل ما حرم الله او ولا تسرفوا فى تناول الطيبات
فان الاسراف تجاوز الى الحرام كتناول المحرمات (ان الله لا يحب المعتدين) اى لا يرضى عمل المعتدين على
انفسهم المتجاوزين حدود الله (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) اى ما احل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا
مفعول كلوا ومما رزقكم الله حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة قال عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته من
وجهه والطيب ما غذى ونمى فاما الجوامد كالطين والتراب وما لا يغذى فمكروه الا على وجه التداوى
(واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون) تأكيد للوصية بما امر به فان قوله كلوا حلالا وان كان المراد به ههنا
الاباحة والتحليل الا انه انما اباح اكل الحلال فيفيد تحريم ضده فاكد التحريم المستفاد منه بقوله واتقوا الله
وزاده تأكيدا بقوله الذى انتم به مؤمنون فان الايمان يوجب التقوى بالانتهاء عما نهى عنه وعدم التجاوز
عما حد له قال الامام قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله يدل على انه تعالى قد تكفل برزق كل احد فانه لو لم يتكفل
برزقه لما قال كلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزقه وجب ان لا يبالغ فى الطلب وان يعول على وعده واحسانه
فانه اكرم من ان يخلف الوعد ولذلك قال عليه السلام فاتقوا الله واجملوا فى الطلب (قال الحافظ) ما آبروى
فقر وقناعت نمى بريم * با پادشه بكوى كه روزى مقدر است (وقال الصائب) رزق اكر بر آدمى
عاشق نمى باشد چرا * از زمين كندم كريبان چاك مى آيد چرا * قال اهل التفسير ذكر النبى عليه السلام
يوما النار ووصف القيامة وبالغ فى الانذار فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان
ابن مظعون الجمحى وتشاوروا واتفقوا على ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر
ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويسيحوا فى الارض
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته ام حكيم بنت امية

واسمها خولة وكانت عطارة احق ما بلغنى عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب على رسول الله وكرهت ان
تبدى خبر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فرجع رسول الله فلما جاء عثمان اخبرته
زوجته بذلك فمضى الى رسول الله فسأله النبى عليه السلام عن ذلك فقال نعم فقال عليه السلام اما انى لم آمر
بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم
والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال قوم حرموا النساء والطعام
والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما انى لا آمركم ان تكونوا قسيسين ولا رهبانا فانه ليس من دينى ترك اللحم
والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتى الصوم ورهبانيتهم الاجتهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وحجوا
واعتمروا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من هلك قبلكم بالتشديد
شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم فى الديارات والصوامع فانزل الله هذه الآية وروى ان
عثمان بن مظعون جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان نفسى تحدثنى بان اختصى فاذن
لى فى الاختصاء قال مهلا يا عثمان فان اختصاء امتى الصيام (وفى المثنوى) هين مكن خود را خصى رهبان
مشو * زانكه عفت هست شهوت را كرو * بى هوا نهى از هوا ممكن نبود * غازيى بر مردكان نتوان
نمود * پس كلوا از بهر دام شهوتست * بعد از ان لا تسرفوا ان عفتست * چونكه رنج صبر نبود
مر ترا * شرط نبود پس فرونايد جزا * حبذا آن شرط وشادا آن جزا * آن جزاى دل نواز جان فزا * قال
يا رسول الله ان نفسى تحدثنى بان اترهب فى رؤس الجبال قال مهلا يا عثمان فان ترهب امتى الجلوس
فى المساجد لانتظار الصلاة قال يا رسول الله ان نفسى تحدثنى ان اخرج من مالى كله قال مهلا يا عثمان فان
صدقتك يوما بيوم وتعف نفسك وعيالك وترحم المساكين واليتيم فتعطيهما افضل من ذلك قال يا رسول الله
ان نفسى تحدثنى ان اطلق امرأتى خولة قال مهلا يا عثمان فان الهجرة فى امتى من هجر ما حرم الله عليه او هاجر
الىّ فى حياتى او زار قبرى بعد وفاتى او مات وله امرأة او امرأتان او ثلاث او اربع قال يا رسول الله فان نهيتنى ان
لا اطلقها فان نفسى تحدثنى ان لا اغشاها قال مهلا يا عثمان فان المسلم اذا غشى امرأته او ما ملكت يمينه فلم
يكن له من وقعته تلك ولد كان له وصيف فى الجنة وان كان له من وقعته تلك ولد فمات قبله كان له فرطا وشفيعا
يوم القيامة وان مات بعده كان له نورا يوم القيامة قال يا رسول الله ان نفسى تحدثنى ان لا آكل اللحم قال مهلا
يا عثمان فانى احب اللحم وآكله اذا وجدته ولو سألت ربى ان يطعمنيه فى كل يوم لاطعمنيه قال يا رسول الله
فان نفسى تحدثنى ان لا امس الطيب قال مهلا يا عثمان فان جبرائيل عليه السلام امرنى بالطيب غبا وقال
يوم الجمعة لا مترك له يا عثمان لا ترغب عن سنتى فمن رغب عن سنتى ثم مات قبل ان يتوب صرفت الملائكة وجهه
عن حوضى يوم القيامة وعن ابى موسى الاشعرى قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الدجاج
ورأيته يأكل الرطب والبطيخ وعن عائشة رضى الله عنها ان النبى عليه السلام كان يأكل الدجاج والفالوذج
وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وقال ان فى بطن المؤمن زاوية لا يملأها الا الحلو
وجاء رجل الى الحسن فقال له ان لى جارا لا يأكل الفالوذج قال ولم قال لا يؤدى شكره قال افيشرب الماء
البارد قال نعم قال ان جارك هذا جاهل ان نعمة الله عليه فى الماء البارد اكثر من نعمته فى الفالوذج وسئل
فضيل عن ترك الطيبات من الحوارى واللحم والخبيص للزهد وقال ما آكل الخبيص ليتك تأكل وتتقى ان الله
لا يكره ان تأكل الحلال الصرف كيف برك لوالديك وصلتك للرحم كيف عطفك على الجار كيف رحمتك
للمسلمين كيف كظمك للغيظ كيف عفوك عمن ظلمك كيف احسانك الى من اساء اليك كيف صبرك واحتمالك
للاذى انت الى احكام هذا احوج منك الى ترك الخبيص والحاصل ان الافراط فى الرهبانية والاحتراز
التام عن اللذات والطيبات مما يوقع الضعف فى الاعضاء الرئيسة التى هى القلب والدماغ واذا وقع الضعف
فيها اختلت الفكرة وباختلالها تفوت عنها الكمالات المتعلقة بالقوة النظرية رأسا وينتقص كمالاتها المتعلقة
بالقوة العملية فان تمامها وكمالها يبتنى على كمال القوة النظرية وايضا الرهبانية التامة توجب خراب الدنيا
وانقطاع الحرث والنسل فلما كانت عمارة الدنيا والآخرة منوطة بترك تلك الرهبانية والمواظبة على المعرفة
والمحبة والطاعة اقتضت الحكمة ان لا يحرم الانسان ما طاب ولذ مما احل الله كما نطقت الآية به ولكن اشارة

الآية ايضا الى الاعتدال كما قال ولا تعتدوا فالاعتدال فى التناول وكذا فى الرياضة ممدوح جدا ولذا ترى المرشد الكامل يأمر المريد فى ابتداء امره بترك اللحم والدسم والجماع وغيرها ولكن على الاعتدال بحسب مزاجه فان للرياضات تأثيرا عظيما فى اصلاح الطبيعة وهو امر مهم فى باب السلوك جدا فلا متمسك لارباب الظاهر فى ترك الرياضة مطلقا وقد اشار النبى عليه السلام فى وصاياه لعثمان بن مظعون الى جملة من الامر فافهم وارشد الى طريق الصواب ولا تفريط ولا افراط فى كل باب (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) اليمين تقوية احد الطرفين بالمقسم به واللغو فى اليمين الساقط الذى لا يتعلق به حكم وهو عند الامام الاعظم ان يحلف على شئ يظن انه كذلك وليس كما يظن مثل ان يرى الشئ من بعيد فيظن انه كذا فيقول والله انه كذا فاذا هو بخلافه فلا مؤاخذة فى هذا اليمين باثم ولا كفارة واما الغموس وهى حلفه على امر ماض او حال كذبا عمدا مثل قوله والله لقد فعلت كذا وهو انه لم يفعله وعكسه ومثل والله ماله هذا على دين وهو يعلم ان له عليه دينا فحكمها الاثم لانها كبيرة قال عليه السلام من حلف كاذبا ادخله الله النار ولا كفارة فيها الا التوبة قوله فى ايمانكم صلة يؤاخذكم كما ان باللغو صلة له اى لا يؤاخذكم فى حق ايمانكم بسبب ما كان لغوا منها بان لا يتعلق بها حكم دنيوى ولا اخروى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) اى بتصديكم الايمان وتوثيقها بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث اى نقض ما عقدتم فحذف للعلم به وهذه اليمين هى اليمين المنعقدة وهى الحلف على فعل امر او تركه فى المستقبل (فكفارته) نكثه اى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره وعند الامام لا يجوز التكفير قبل الحنث لقوله عليه السلام من حلف على عين ورأى غيرها خيرا فاليأت بالذى هو خير ثم ليكفر عن يمينه (اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم) محل من اوسط النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون من فى عيالكم من الزوجة والاولاد والخدم اى من اقصده فى النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين كالفطرة ولو اطعم فقيرا واحدا عشرة ايام اجزأه ولو اعطاه دفعة لا يجوز الا عن يوم واحد (او كسوتهم) عطف على اطعام فيكسو كل واحد من العشرة ثوبا يستر عامة بدنه وهو الصحيح ولا يجزئ السراويل لان لابسه يسمى عريانا عرفا (او تحرير رقبة) اى او اعتاق انسان كيف ما كان مؤمنا كان او كافرا ذكرا او انثى صغيرا او كبيرا ولا يجوز الاعمى والاصم الذى لا يسمع اصلا والاخرس لفوات جنس المنفعة ومقطوع اليدين او ابهاميهما او الرجلين او يد ورجل من جانب واحد ومجنون مطبق لان الانتفاع ليس الا بالعقل ومدبر وام ولد لاستحقاقهما الحرية بجهة فكان الرق فيهما ناقصا ومكاتب ادى بعضا لانه تحرير بعوض فيكون تجارة والكفارة عبادة فلابد ان تكون خالصة لله تعالى وكذا لا يجوز معتق بعضه لانه ليس برقبة كاملة ومعنى او فى الآية ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وخيار التعيين للمكلف اى لا يجب عليه الاتيان بكل واحد من هذه الامور الثلاثة ولا يجوز له تركها جميعا ومتى اتى بواحد منها فانه يخرج عن العهدة فاذا اجتمعت هذه القيود الثلاثة فذلك هو الواجب المخير (فمن لم يجد) اى شيأ من الامور المذكورة (فصيام) اى فكفارته صيام (ثلاثة ايام) متتابعات عند الامام الاعظم (ذلك) اى الذى ذكرت لكم وامرتكم به (كفارة ايمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا ايمانكم) بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر وبان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير فان عجز عن البر او رأى غير المحلوف عليه خيرا منه فله حينئذ ان يحنث ويكفر كما قال الفقهاء من اليمين المنعقدة ما يجب فيه البر كفعل الفرائض وترك المعاصى لان ذلك فرض عليه فيتأكد باليمين ومنها ما يجب فيه الحنث كفعل المعاصى وترك الواجبات وفى الحديث من حلف ان يطيع الله فليطعه ومن حلف ان يعصيه فلا يعصه ومنها ما يفضل فيه الحنث كهجران المسلم ونحوه وما عدا هذه الاقسام الثلاثة من الايمان التى يستوى فيها الحنث والبر يفضل فيه البر حفظا لليمين ولا فرق فى وجوب الكفارة بين العامد والناسى والمكره فى الحلف والحنث لقوله عليه السلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق واليمين (كذلك) اشارة الى مصدر الفعل الآتى لا الى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة اى مثل ذلك البيان

البديع (يبين الله لكم آياته) اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج والاشارة ان من عقد اليمين على الهجران من الله تعالى فكفارته اطعامه عشرة مساكين وهم الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة فانها مداخل الافات ومواثل الفترات من اوسط ما تطعمون اهليكم وهم القلب والروح والسر والخفى وطعامهم الشوق والمحبة والصدق والاخلاص والتفويض والتسليم والرضى والانس والهيبة والشهود والكشوف واوسطه الذكر والتذكر والفكر والتفكر والتشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجاء فاطعام الحواس الظاهرة والقوى الباطنة هذه الاطعمة باستعمالها فى التعبد بها والتحفظ عما ينافيها او كسوتهم وهى الباس الحواس والقوى بلباس التقوى او تحرير رقبة النفس عن عبودية الهوى والحرص على الدنيا فمن لم يجد السبيل الى هذه الاشياء فصيام ثلاثة ايام وذلك لان الايام لا تخلو عن ثلاثة اما يوم مضى او يوم حضر او يوم قد بقى فصيام اليوم الذى قد مضى بالامساك عما عقد عليه او قصد اليه او بالصبر على التوبة عنه وصيام الذى قد حضر بالامساك عن التغافل من الاهم وبالصبر على الجد والاجتهاد ببذل الجهد فى طلب المراد وصيام اليوم الذى قد بقى بالامساك عن فسخ العزيمة فى ترك الجريمة ونسخ الاخلاص فى طلب الخلاص وبالصبر على قدم الثبات فى تقديم الطاعات والمبرات وصدق التوجه الى حضرة الربوبية بمساعى العبودية * مكن وقت ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزاست والوقت سيف (قال ابن الفارض قدس سره)

وكن صارما كالوقت فالمقت فى عسى * واياك على فهى اخطر علة

(وفى المثنوى) اى كه صبرت نيست از دنياى دون * جونت صبرست از خداى دوست جون * جونكه بى اين شرب كم دارى سكون * جون زابرارى جدا وز يشربون * اعلم ان الطالب الصادق عند غليان الشوق ووجدان الذوق يقسم عليه بجماله وجلاله ان يرزقه شطبة من اقباله ووصاله وذلك فى شريعة الرضى لغو وفى مذهب التسليم سهو فيعفو عنه رحمة عليه لضعف حاله ولا يؤاخذه بمقاله وان الاولى الذوبان والجمود بحسن الرضى بحسب جريان احكام المولى فى القبول والرد والاقبال والصد وايثار الاستقامة فى اداء حقوقه على الكرامة وعلى لذة تقريبه واقباله وشهوده ووصوله ووصاله كما قال قائلهم

اريد وصاله ويريد هجرى * فأترك ما اريد لما يريد

كذا فى التأويلات النجمية (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر) هذه هى الآية الرابعة من الآيات الاربع التى نزلت فى الخمر وقد سبق التفصيل فى سورة البقرة ويدخل فى الخمر كل مسكر (والميسر) اى القمار كله فيدخل فيه النرد والشطرنج والاربعة عشر والكعب والبيضة وغير ذلك مما يقامرون به (والانصاب) اى الاصنام المنصوبة للعبادة واحدها نصب بفتح النون وسكون الصاد (والازلام) هى سهام مكتوب على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى يطلبون بها علم ما قسم من الخير والشر قال المفسرون كان اهل الجاهلية اذا اراد احدهم سفرا او غزوا او تجارة او غير ذلك طلب علم انه خير او شر من الازلام وهى قداح كانت فى الكعبة عند سدنة البيت على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى وبعضها غفل لا كتابة عليها ولا علامة فان خرج السهم الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى يجتنبون عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم لهم هى جمع زلم (رجس) قذر يعاف عند العقول اى تكرهه وتنفر عنه العقول السليمة والرجس بمعنى النجس الا ان النجس يقال فى المستقذر طبعا والرجس اكثر ما يقال فى المستقذر عقلا وسميت هذه المعاصى رجسا لوجوب اجتنابها كما يجب اجتناب الشئ المستقذر (من عمل الشيطان) صفة لرجس اى رجس كائن من عمله اى من تزيينه لانه هو الداعى اليه والمرغب فيه والمزين له فى قلوب فاعليه (فاجتنبوه) اى الرجس (لعلكم تفلحون) اى راجين فلاحكم امر بالاجتناب وهو تركه جانبا وظاهر الامر على الوجوب (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) وهو اشارة الى المفاسد الدنيوية اما العداوة فى الخمر فهى ان الشاربين اذا سكروا عربدوا وتشاجروا كما فعل الانصارى الذى شج سعد بن ابى وقاص بلحى الجمل واما العداوة فى الميسر فهى ان الرجل كان يقامر على الاهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب الاهل والمال مغتاظا على حرفائه والفرق بين العداوة والبغضاء ان كل عدو مبغض بلا عكس كلى وقوله تعالى فى الخمر

متعلق بيوقع على ان يكون كلمة فى هنا لافادة معنى السببية كما فى قوله عليه السلام ان امرأة دخلت النار فى هرة اى يوقع بينكم هذين الشيئين فى الخمر بسبب شربها وتخصيص الخمر والميسر تنبيها على انهما المقصودان بالبيان لان هذه الآية خطاب مع المؤمنين والمقصود نهيهم عن الخمر والميسر وانما ضم الانصاب والازلام اليهما مع ان تعاطيهما مختص باهل الجاهلية تأكيدا لقبح الخمر والميسر واظهار الكون هذه الاربعة متقاربة فى المفسدة (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) اى يمنعكم عنهما وهو اشارة الى المفاسد الدينية فان شرب الخمر يورث الطرب واللذة الجسمانية والنفس اذا استغرقت فى اللذة غفلت عن ذكر الله وعن الصلاة وكذا من يقامر بالميسر ان كان غالبا صار استغراقه فى لذة الغلبة يورثه الغفلة عن العبادة وان صار مغلوبا صار شدة اهتمامه بان يحتال بحيلة يصير بها غالبا مانعا من ان يخطر بباله شئ سواه وتخصيص الصلاة بالافراد مع دخولها فى الذكر للتعظيم والاشعار بان الصادّ عنها كالصادّ عن الايمان لما انها عماده (فهل انتم منتهون) لفظه استفهام ومعناه امر اى انتهوا وهذا نهى بالطف الوجوه ليكون ادعى الى الانتهاء فلما سمعها عمر رضى الله عنه قال انتهينا يارب وحرمت الخمر فى سنة ثلاث من الهجرة بعد وقعة احد (واطيعوا الله واطيعوا الرسول) فيما امرا به وهو عطف على اجتنبوه (واحذروا) عما نهيا عنه (فان توليتم) اى اعرضتم عن الامتثال والطاعة (فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اى خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل ومابقى بعد ذلك الا العقاب اعلم ان الله تعالى قرن الخمر والميسر بالاصنام ففيه تحريم بليغ لهما ولعل قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن مستفاد من هذه الآية وفى الحديث من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الاساود وسم العقارب اذا شربه تساقط لحم وجهه فى الاناء قبل ان يشربها فاذا شربها انفسخ لحمه كالجيفة يتأذى به اهل الموقف ومن مات قبل ان يتوب من شرب الخمر كان حقا على الله ان يسقيه بكل جرعة شربها فى الدنيا شربة من صديد جهنم وفى الحديث لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها وفى الحديث من شرب الخمر بعد ان حرمها الله على لسانى فليس له ان يزوج اذا خطب ولا يصدق اذا حدث ولا يشفع اذا تشفع ولا يؤمن على امانة فمن ائتمنه على امانة فاستهلكها فحق على الله ان لا يخلف عليه (قال الحسين الواعظ الكاشفى فى تفسيره) بى نمكى دان جكر آميخته * بر جكر بى نمكان ريخته * بى خبر آن مردكه جيزى جشيد * كش قلم بى خبرى دركشيد * والاشارة يا ايها الذين امنوا ايمانا حقيقيا مستفادا من كتابة الحق بقلم العناية فى قلوبهم انما الخمر والميسر والانصاب والازلام فاما الخمر فانها تخمر العقل وهو نور روحانى علوى من الاوليات المخلوقات ومن طبعه الطاعة والانقياد والتواضع لربه كالملك وضده الهوى وهو ظلمانية نفسانية سفلية من اخريات المخلوقات ومن طبعه التمرد والمخالفة والاباء والاستكبار عن عبادة ربه كالشيطان فاذا خمر الخمر نور العقل صار مغلوبا لا يهتدى الى الحق وطريقه ثم يغلب ظلمة الهوى فتكون النفس امارة بالسوء وتستمد من الهوى فتتمتع بالهوى السفلى بجميع شهواتها النفسانية ومستلذاتها الحيوانية السفلية فيظفر بها الشيطان فيوقعها فى مهالك المخالفات كلها ولهذا قال عليه السلام الخمر ام الخبائث لان هذه الخبائث كلها تولدت منها واما الميسر فان فيه تهييج اكثر الصفات الذميمة وهى الحرص والبخل والكبر والغضب والعداوة والبغض والحقد والحسد واشباهها وبها يضل العبد عن سوآء السبيل واما الانصاب فهى تعبد من دون الله فهى تصير العبد مشركا بالله واما الازلام فما يلتفت اليه عند توقع الخير والشر والنفع والضر من دون الله تعالى من المضلات فان الله هو الضار والنافع ثم قال تعالى رجس من عمل الشيطان يعنى هذه الاشياء اخبث شئ من اعمال الشيطان التى يغوى بها العباد ويضلهم عن صراط الحق وطريق الرشاد فاجتنبوه اى اجتنبوا الشيطان ولا تقبلوا وساوسه واتركوا هذه الاعمال الخبيثة لعلكم تفلحون تخلصون عن مكايد الشيطان وخباثة هذه الاعمال كذا فى التأويلات النجمية (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح) اى اثم وحرج (فيما طعموا) اى تناولوا اكلا اوشربا فيتناول شرب الخمر واكل مال الميسر فانزل الله تعالى هذه الآية (اذا ما اتقوا) ان يكون فى ذلك شئ من المحرمات (وآمنوا وعملوا الصالحات) اى واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة (ثم اتقوا) عطف على اتقوا داخل معه فى حيز الشرط اى اتقوا ما حرم

عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق (وآمنوا) اى بتحريمه (ثم اتقوا) اى ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء فى كل مرة اباحة كل ما طعموه فى ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه حينئذ (واحسنوا) اى عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية (والله يحب المحسنين) فلا يؤاخذهم بشئ وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا ومقام المحبوبية فوق جميع المراتب ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب الله وقد فسر الاحسان بان تعبد الله كانك تراه يعنى ان الاحسان مرتبة المشاهدة فاذا ترقى العبد من الايمان الغيبى الى الايمان الشهودى ثم فنى عن كل قيد حتى عن الاطلاق فقد تم امره وكان طعمه وشربه وتصرفه فى المكونات مما لا يضره لانه قد استوفى الشرائط كلها فلا يقاس عليه غيره ثم ان المحسن مطلقا يتناول كل اهل معروف ويستحق المدح والثناء (وفى المثنوى) محسنان مردند واحسانها بماند * اى خنك آن راكه مركب رابراند * ظالمان مردند وماند آن ظلمها * واى جانى كه بود مكدورها * كفت پيغمبر خنك انرا كه او * شد زدنيا ماند ازو فعل نكو * مرد محسن مرد واحسانش نمرد * نزد يزدان دين واحسان نيست خرد * واى آن كو مرد وعصيانش نمرد * تا نپندارى بمركش جان ببرد * وورد فى فضائل عشر ذى الحجة ان من تصدق فى هذه الايام بصدقة على مسكين فكانما تصدق على رسل الله وانبيائه ومن عاد فيه مريضا فكانما عاد اولياء الله وبدلاءه ومن شيع جنازة فكانما شيع جنائز شهداء بدر ومن كسا مؤمنا كساه الله تعالى من حلل الجنة ومن الطف يتيما اظله الله فى القيامة تحت عرشه ومن حضر مجلسا من مجالس العلم فكانما حضر مجالس انبياء الله ورسله كذا فى روضة العلماء (قال السعدى) باحسانى آسوده كردن دلى * به از الف ركعت بهر منزلى * حكى انه وقع القحط فى بنى اسرائيل فدخل فقير سكة من السكك وكان فيها بيت غنى فقال تصدقوا على لاجل الله فاخرجت اليه بنت الغنى خبزا حارا فاستقبله الغنى فقال من دفع اليك هذا الخبز فقال ابنة من هذا البيت فدخل وقطع يد ابنته اليمنى فحوّل الله حاله فافتقر ومات فقيرا ثم ان شابا غنيا استحسن الابنة لكونها حسناء فتزوجها وادخلها داره فلما جن الليل احضرت مائدة فمدت اليد اليسرى فقال الفتى سمعت ان الفقراء يكونون قليلى الادب فقال مدى يدك اليمنى فمدت اليسرى ثانيا وثالثا فهتف بالبنت هاتف اخرجى يدك اليمنى فالرب الذى اعطيت الخبز لاجله رد عليك يدك اليمنى فاخرجت يدها اليمنى بامر الله تعالى واكلت معه كذا فى الروضة * تو نيكى كن با آب انداز اى شاه * اكر ماهى نداند داند الله (يا ايها الذين امنوا) نزلت عام الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة والحديبية بتخفيف الياء الاخيرة وقد تشدد موضع قريب من مكة اراد عليه السلام زيارة الكعبة فسار مع اصحابه من المدينة وهم الف وخمسمائة واربعون رجلا فنزلوا بالحديبية فابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم فهموا باخذها فانزل الله يا ايها الذين امنوا (ليبلونكم الله) يقال بلوته بلوا جربته واختبرته واللام جواب قسم محذوف اى والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم (بشئ من الصيد) اى بتحريم شئ حقير هو الصيد بمعنى المصيد كضرب الامير فمن بيانية قطعا والمراد صيد البر مأكولا وغير مأكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد وفى الحديث خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم الحية والعقرب والغراب والفارة والكلب العقور واراد بالكلب العقور الذئب على ما ورد فى بعض الروايات (تناله ايديكم ورماحكم) اى تصل اليه ايديكم ورماحكم بحيث تأخذون بايديكم وتطعنون برماحكم فالتأكيد القسمى فى ليبلونكم انما هو لتحقيق ما وقع من ان عدم توحش الصيد عنهم ليس الا للابتلاء لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شئ للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التى تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلى به اهل ايلة من صيد السمك يوم السبت وفائدته التنبيه على ان من لم يتثبت فى مثل هذا كيف يتثبت عند ما هو اشد منه من المحن (ليعلم الله من يخافه بالغيب) الخوف من الله يعنى الخوف من عقابه وبالغيب حال من مفعول يخافه وهو عقاب الله اى ليتميز الخائف من عقابه الاخروى وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخاف كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه فعلم الله تعالى لما كان مقتضى ذاته وامتنع عليه التجدد والتغير كما امتنع ذلك على ذاته

جعل ههنا مجازا عن تميز المعلوم وظهوره على طريق اطلاق السبب على المسبب حيث قال القاضى ذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره وابو السعود انما عبر عن ذلك بعلم الله اللازم له ايذانا بمدار الجزآء ثوابا وعقابا فانه ادخل فى حملهم على الخوف (فمن اعتدى بعد ذلك) اى بعد بيان ان ماوقع ابتلاء من جهته تعالى بما ذكر من الحكمة والمعنى فمن تعرض للصيد بعد ما بينا ان ماوقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تميز المطيع من العاصى (فله عذاب اليم) لان الاعتدآء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية والمراد عذاب الآخرة ان مات قبل التوبة والتعزير والكفارة فى الدنيا بنزع ثيابه فيضرب ضربا وجيعا مفرقا فى اعضائه كلها ما خلا الوجه والرأس والفرج ويؤمر بالكفارة والاشارة فى الآية ان الله تعالى جعل البلاء للولاء كاللهب للذهب فقال يا ايها الذين آمنوا ايمان المحبين الذين تجردوا عن ملاذ الدنيا وشهواتها من الحلال واحرموا بحج الوصول وعمرة الوصال ليبلونكم الله فى اثناء السلوك بشئ من الصيد وهو ما سنح من المطالب النفسانية الحيوانية والمقاصد الشهوانية الدنيوية تناله ايديكم اى ما يتعلق بشهوات نفوسكم ولذات ابدانكم ورماحكم اى ما يتعلق بالمال والجاه ليعلم الله من يخافه بالغيب وهو يعلم ويرى اى ليظهر الله ويميز بترك المطالب والمقاصد فى طلب الحق من يخافه بالغيبة والانقطاع عنه ويحترز عن الالتفات لغيره فمن اعتدى بعد ذلك اى تعلق بالمطالب بعد الطلب فله عذاب اليم من الرد والصد والانقطاع عن الله كذا فى التأويلات النجمية قال اوحد المشايخ فى وقته ابو عبد الله الشيرازى قدس سره رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول من عرف طريقا الى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به احدا من العالمين يقول الفقير سمى الذبيح الحقى غفر الله ذنوبه انما كان عذابه اشد لانه رجع عن طريقه بعد معرفته انه الحق الموصل الى الله تعالى وليس من يعلم كمن لا يعلم وسبب الرجوع الامتحانات فى الطريق (قال فى المثنوى) قلب چون آمد سيه شد در زمان * زر در آمد شد زرى او عيان * دست و پا انداخت زر در بوته خش * در رخ آتش همى خندد رخش (قال الحافظ) ترسم كزين چمن نبرى آستين كل * كز كلشنش تحمل خارى نميكنى * فينبغى للطالب الصادق ان يتحمل مشاق الرياضات ويزكى نفسه عن الشهوات ويحترز عن اكل ما يجده من الحلال فضلا عما حرم الله الملك المتعال فان اصلاح الطبيعة والنفس وان كان بفضل الله وعنايته لكن الصوم وتقليل الطعام من الاسباب القوية فى هذا الباب يحكى ان سالكا خاطب نفسه بعد رياضات شديدة فقال من انت ومن انا فقالت له نفسه انت انت واما انا فاشتغل بالتزكية ثانيا حتى حج ماشيا مرات فسأل ايضا فاجابت بما اجابت به اولا فاشتغل اشد من الاول وعالجها بتقليل الطعام حتى امات نفسه فسأل من انت فقالت انت انت وانا صرت فانية ولم يبق من وجودى اثر فاستراح بعون الله تعالى وسئل حضرة المولوى هل يعصى الصوفى قال لا الا ان يأكل طعاما قبل الاشتهاء فانه سم له ودآء اللهم اعنا على اصلاح هذه النفس الامارة (يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد) وهو عند ابى حنيفة اسم لكل ممتنع متوحش من الحيوانات سوآء كان مأكول اللحم اولم يكن والمراد ماعدا الفواسق وهى العقرب والحية والغراب والفارة والكلب العقور فانها تقتل فى الحل والحرم (وانتم حرم) جمع حرام وهو المحرم وان كان فى الحل وفى حكمه من فى الحرم وان كان حلالا اى لابس حله فالمحرم لا يتصيد اصلا سوآء كان فى الحل اوفى الحرم بالسلاح او بالجوارح من الكلاب والطير والحلال يتصيد فى الحل دون الحرم اى حرم مكة ومقداره من قبل المشرق ستة اميال ومن الجانب الثانى اثنا عشر ميلا ومن الجانب الثالث ثمانية عشر ميلا ومن الجانب الرابع اربعة وعشرون ميلا هكذا قال الفقيه ابو جعفر وانما ذكر القتل دون الذبح للايذان بكونه فى حكم الميتة فكل ما يقتله المحرم من الصيد لا يكون مذكى وغير المذكى لا يجوز اكله والمعنى لا تقتلوه والحال انتم محرمون (ومن) شرطية (قتله) اى الصيد المعهود البرى مأكولا كان اوغير مأكول حال كون القاتل كائنا (منكم) اى من المؤمنين ولعل المقصود من التقييد بالحال توبيخ المؤمن على عدم جريانه على مقتضى ايمانه (متعمدا) حال ايضا من فاعل قتله اى ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوى فيها الخطأ والعمد لان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ (فجزآء) اى فعليه جزآء وفدية (مثل ما قتل) اى مماثل لما قتل فهو صفة الجزآء والمراد به عند ابى حنيفة وابى يوسف المثل باعتبار القيمة لا باعتبار الخلقة والهيئة

فيتقوم الصيد حيث صيد اوفى اقرب الاماكن اليه ان قتل فى بر لا يباع ولا يشترى فيه فان بلغت قيمته قيمة هدى تخير الجانى بان يشترى بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من تمر وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به اوصام عنه يوما كاملا لان الصوم مما لا يتبعض فيكون قوله تعالى (من النعم) بيانا للهدى المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير فان فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم والنعم فى اللغة من الابل والبقر والغنم فاذا انفردت الابل قيل انها نعم واذا انفردت البقر والغنم لم تسم نعما (يحكم به) اى بمثل ما قتل صفة لجزآء (ذوا عدل منكم) اى رجلان عدلان من المسلمين (هديا) الهدى ما يهدى الى البيت تقربا الى الله تعالى من النعم ايسره شاة واوسطه بقرة واعلاه بدنة اى ناقة وهو حال مقدرة من الضمير فى به والمعنى مقدرا انه يهدى (بالغ الكعبة) صفة لهديا لان الاضافة لفظية والاصل بالغا الكعبة ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم حتى لو دفع الهدى المماثل للمقتول الى فقرآء الحرم لم يجز بالاتفاق بل يجب عليه ذبحه فى الحرم وله ان يتصدق به بعد ذبحه فى الحرم حيث شاء عند ابى حنيفة (او كفارة) عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة ثانية لجزآء (طعام مساكين) عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف (او عدل ذلك صياما) عطف على طعام الخ كانه قيل فعليه جزآء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ تكون المماثلة وصفا لازما للجزآء يقدر به الهدى والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثانى فيحتاج الجانى كلا منها بدلا من الآخرين قال الفرآء العدل بالكسر المثل من جنسه والعدل بالفتح المثل من غير جنسه فعدل الشئ ما عادله من جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به فى المقدار كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار فى ذلك للجانى عند ابى حنيفة وابى يوسف وللحكمين عند محمد (ليذوق) متعلق بالاستقرار فى الجار والمجرور اى فعليه جزآء ليذوق قاتل الصيد (وبال امره) اى سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال فى الاصل المكروه والضرر الذى ينال فى العاقبة من عمل سوء لثقله (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد محرما قبل التحريم (ومن عاد) الى قتل الصيد بعد النهى عنه وهو محرم ومن شرطية (فينتقم الله منه) اى فهو ممن ينتقم الله منه لان الفعل اذا وقع جزآء لا يحتاج الى الحرف بخلاف الجملة الاسمية فقدر المبتدأ لئلا تصير الفاء الجزآئية لغوا والمراد بالانتقام التعذيب فى الآخرة واما الكفارة فعن بعضهم انها واجبة على العائد وعن بعضهم انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر واصل الانتقام الانتصار والانتصاف واذا اضيف الى الله تعالى اريد به المعاقبة والمجازاة (والله عزيز) غالب لا يغالب (ذو انتقام) شديد ممن اصر على العصيان والاعتدآء قال الله تعالى مخاطبا لخليله يا ابراهيم خف منى كما تخاف من السبع الضارى يعنى ان الله تعالى اذا اراد اجرآء قضائه على احد لا يفرق بين نبى وولى وعدو كما لا يفرق السبع المفترس بين نفاع وضرار فهو تعالى شديد البطش فكيف يتخلص المجرمون من يد قهره وانتقامه فليحذر العاقل من المخالفة والعصيان بقدر الاستطاعة والامكان انما كان فان الانسان لا يحصد الا ما يزرع (قال فى المثنوى) جمله دانند اين اگر تو نگروى * هرچه مى كاريش روزى بدروى * والعجب ان الانسان الضعيف كيف يعصى الله القوى وليس الامن الانهماك فى الشهوات والغفلة عن الله تعالى والنكتة فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم انه اباح الصيد لمن كان حلالا وهم اهل السلوك من العوام الذين رضوا من الكمالات الدينية بالاعمال البدنية من قصور هممهم الدنية وحرم الصيد على من كان حراما وهم اهل المحبة المحرمون من الدنيا بالزيارة كعبة الوصلة يعنى من قصدنا فعليه بحسم الاطماع جملة ولا ينبغى ان يكون له مطالبة بحال من الاحوال الا طلب الوصال ويقال العارف صيد الحق ولا يكون للصيد صيد ومن قتله منكم اى من الطلاب اذا التفت لشئ من الدنيا متعمدا وهو الذى واقف على مضرته وعالم بما فيه فيغلب عليه الهوى ويقع فيه بحرص النفس فجزآء مثل ما قتل من النعم يجازى نفسه برياضة ومجاهدة ويماثل المهالك اللذة والشهوة يحكم به ذوا عدل منكم وهو القلب والروح يحكمان على مقدار الايمان وعلى انواع الرياضات بتقليل الطعام والشراب او ببذل المال او بترك الجاه او بالعزلة والخلوة وضبط الحواس هديا بالغ الكعبة اى خالصا لله تعالى فيما يعمل بحيث يصلح لقبول الحق من غير ملاحظة الخلق

اوكفارة طعام مساكين وهم العقل والقلب والسر والروح والخفى فانهم كانوا محرومين من اغذيتهم الروحانية من
صدق التوجه الى الحق وخلوص الاعراض عن الخلق وتجرع الصبر على المكروهات والفطام عن المألوفات
والشكر على الموهوبات والرضى بالمقدرات والتسليم للاحكام الازليات اوعدل ذلك صياما والصيام هو
الامساك عن ملاحظة الاغيار وطلب الاختيار والركون الى غير الملك الجبار ليذوق النفس الامارة وبال امره
اى تتألم بألم هذه المعاملات التى على خلاف طبعها جزآء وكفارة لما نالت من لذآئذ الشهوات وحلاوة الغفلات
عفا الله عما سلف من الطالبين قبل اقدامهم على الطلب ومن عاد الى تعلق شئ من الدنيا بعد الخروج عنها بقدم
الصدق فينتقم الله منه بالخذلان فى الدنيا والخسران فى العقبى والله عزيز لا يوجد من تعلقات الكونين حتى تجرد
الطالب عن القليل والكثير والصغير والكبير ذو انتقام ينتقم من احبائه باحتجاب التعزز بالكبرياء والعظمة على
قدر التفاتهم الى غيره وملاحظتهم ماسواه وينتقم من اعدآئه بما قاله ونقلب افئدتهم وابصارهم الآية من
التاويلات النجمية (وفى المثنوى) عاشق صنع توام درشكر وصبر * عاشق مصنوع كى باشم چوكبر *
عاشق صنع خدا بافر بود * عاشق مصنوع او كافر بود * فعلى الطالب الصادق ان ينقطع عن الالتفات
الى الغير ويتصل الى من بيده الخير والله الموفق والمعين (احل لكم) الخطاب للمحرمين (صيد البحر) اى ما يصاد
فى المياه كلها بحرا كان اونهرا اوغديرا وهو ما لا يعيش الا فى الماء مأكولا كان اوغير مأكول فما يعيش
فى البر والبحر كالبط والضفدع والسرطان والسلحفاة وجميع طيور الماء لا يسمى صيد البحر بل كل ذلك صيد البر
ويجب الجزآء على قاتله قال الامام جميع ما يصطاد فى البحر ثلاثة اجناس السمك وجميع انواعها حلال
والضفادع وجميع انواعها حرام واختلفوا فيما سوى هذين الجنسين فقال ابو حنيفة انه حرام وقال الاكثرون
انه حلال لعموم هذه الاية وقال محيى السنة جملة حيوانات الماء على قسمين سمك وغيره اما السمك فميتته
حلال مع اختلاف انواعها قال النبى عليه السلام احلت لنا ميتتان السمك والجراد ولا فرق بين ان يموت
بسبب اوبغير سبب وعند ابى حنيفة يحل الا ان يموت بسبب من وقوع على حجر اوانحسار الماء عنه ونحو ذلك
واما غير السمك فقسمان قسم يعيش فى البر كالضفدع والسرطان ولا يحل اكله وقسم يعيش فى الماء ولا يعيش
فى البر الا عيش المذبوح فاختلف فيه فذهب قوم الى ان لا يحل شئ منها الا السمك وهو قول ابى حنيفة وذهب
قوم الى ان ميت الكل حلال لان كلها سمك وان اختلف صورها كالجريث يقال له حية الماء لكونه على
شكل الحية واكله مباح بالاتفاق (وطعامه) اى طعام البحر وهو ما قذفه البحر ولفظه اونضب عنه الماء اى غار
وبقى هو فى ارض يابسة فيؤخذ من غير معالجة فى اخذه وقال المولى ابو السعود وطعامه اى ما يطعم من صيده
وهو تخصيص بعد التعميم والمعنى احل لكم التعرض لجميع ما يصاد فى المياه والانتفاع به انتهى (متاعا لكم)
نصب على انه مفعول له قال المولى ابو السعود مختص بالطعام كما ان نافلة فى قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة حال مختصة بيعقوب اى احل لكم طعامه تمتعا للمقيمين يأكلونه طريا (وللسيارة) منكم يتزودونه قديدا
(وحرم عليكم صيد البر) وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش فى الماء فى بعض الاوقات كطير الماء (ما دمتم حرما)
ما مصدرية ظرفية اى مدة دوامكم محرمين لا خلاف فى الاصطياد انه حرام على المحرم فى البر فاما عين الصيد
فظاهر الآية يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له مدخل فيه لكن مذهب ابى حنيفة انه يحل له
ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل احرامه لان الخطاب للمحرمين
وكانه قيل حرم عليكم ما صدتم فى البر فيخرج منه مصيد غيرهم (واتقوا الله) فيما نهاكم عنه فى جميع المعاصى
التى من جملتها اخذ الصيد فى الاحرام (الذى اليه تحشرون) لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى
بالالتجاء اليه كما قال تعالى الى ربك يومئذ المساق اى المنتهى والمرجع بسوق الملائكة الى حيث امرهم الله اما
الى الجنة واما الى السعير وفى الحديث من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن اشفق من عذاب جهنم
كف نفسه عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن اراد مهولة الموت فليبادر الى الخيرات
فمن لم يترك شهوته لم يرض عنه ربه بطاعته ومن لم يتق الله فى سره لم ينتفع بما ابداه من علامة التقوى (وفى المثنوى)
كافرم من كرزيان كردست كس * دررهء ايمان وطاعت يكنفس * كار تقوى دارد ودين وصلاح *
كه بدان باشد بدو عالم فلاح * والاشارة فى الآية احل لكم ايها المستغرقون فى بحر الحقائق صيد البحر

ما تصيدون من بحر المعرفة بالمشاهدات والكشوف وطعامه متاعا لكم وللسيارة يعنى تشبعون بما يرد عليكم
من وارد الحق وتجلى الصفات كما قال عليه السلام ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ويطعمون منه السائرين
الى الله من اهل الارادة كقوله تعالى فكلوا منها واطعموا البائس الفقير وهذا حال المشايخ واهل التربية من
العلماء الراسخين وحرم عليكم ايها الطلاب صيد البر وهو ما سنح فى اثناء السير الى الله من مطالب الدنيا والآخرة
كما قال عليه السلام الدنيا حرام على اهل الآخرة والآخرة حرام على اهل الدنيا وكلاهما حرامان على اهل الله
ما دمتم حرما اى ما دمتم محرمين الى كعبة الوصول متوجهين الى حضرة الوصال فان حكم المتوجه ينافى حكم
الواصل الكامل لان من وصل صار محوا والمتوجه صاح وبون بين الصاحى والماحى فان افعال الصاحى به ومنه
واحوال الماحى ليست به ولا منه والله غالب على امره فبى يسمع وبى ينطق وبى يبطش ولهذا قال تعالى
واذا حللتم فاصطادوا اى اذا فرغتم من مناسك الوصول وسلكتم مسالك الاصول سقط عنكم كلف المحرمين
ومؤنات المسافرين وثبت لكم لزوم العاكفين واحكام الطائفين كما قال واتقوا الله الذى اليه تحشرون يعنى اتقوا
بالله الذى اليه تجمعون وتصلون عما سواه لكيلا تحوروا بعد ما تكوروا ونعوذ بالله من الحور بعد الكور كذا
فى التأويلات النجمية المسماة ببحر الحقائق اللهم افض علينا من بركات اوليائك وادر علينا من كاسات احبائك
واودآئك (جعل الله الكعبة) اى صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه اى لتربعه والعرب تسمى كل بيت
مربع كعبة تشبيها له بكعب الرجل الذى عند ملتقى الساق والقدم فى كونه على هيئته فى التربيع وقيل سميت
كعبة لارتفاعها من الارض واصلها من الخروج والارتفاع وسمى الكعب كعبا لنتوه وخروجه من جانبى
القدم ومنه قيل للجارية اذا قاربت البلوغ وخرج ثدياها تكعبت والكعبة لما ارتفع ذكرها فى الدنيا واشتهر امرها
فى العالم سميت بهذا الاسم وكذلك انهم يقولون لمن عظم قدره وارتفع شأنه فلان علا كعبه قال صاحب اسئلة
الحكم جعل الله لبيته العتيق اربعة اركان وهى فى الحقيقة ثلاثة اركان لانه شكل مكعب ولذلك سميت
بالكعبة تشبيها بالكعب فسر كونه على اربعة اركان بالوضع الحادث اشارة الى قلوب المؤمنين لان قلب المؤمن
لا يخلو من اربعة خواطر الهى وملكى ونفسانى وشيطانى فركن الحجر بمنزلة الخاطر الالهى واليمانى بمنزلة الملكى
والشامى بمنزلة النفسانى والركن العراقى بمنزلة الشيطانى لان الشرع شرع ان يقال عنده اعوذ بالله من
الشقاق والنفاق وبالذكر المشروع تعرف مراتب الاركان واما سر كونه مثلث الشكل المكعب فاشارة الى
قلوب الانبياء عليهم السلام ليميز الله رسله وانبياءه بالعصمة التى اعطاهم والبسهم اياها فليس لنبى الا ثلاثة
خواطر الهى وملكى ونفسى ولغيرهم هذه وزيادة الخاطر الشيطانى فمنهم من ظهر حكمه عليه فى الظاهر وهم
عامة الخلق ومنهم من يخطر له ولا يؤثر فى ظاهره وهم المحفوظون من اوليائه بالعصمة الوجوبية للانبياء والحفظ
الجوازى للاولياء (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما تجيىء الصفة كذلك وسمى
البيت الحرام لان الله تعالى حرمه وعظم حرمته فالحرام بمعنى المحرم وفى الحديث ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق
السموات والارض قال ابن ملك اعلم ان مكة شرفها الله حرمها ابراهيم عليه السلام لما صح عن النبى عليه
السلام انه قال ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة وما روى انه عليه السلام قال ان هذا البلد حرمه الله
يوم خلق السموات فالمراد به كتابته فى اللوح المحفوظ ان ابراهيم سيحرمه انتهى كلامه يقول الفقير ان حرمته
العرضية وان كانت حادثة لكن حرمته الذاتية قديمة وتلك الكتابة من الحرمة الذاتية عند الحقيقة وقد جاء
فى بعض التفاسير فى قوله تعالى ائتيا طوعا اوكرها قالتا اتينا طائعين انه لم يجبه بهذه المقالة من الارض الا ارض
الحرم فلذلك حرمها فصارت حرمتها كحرمة المؤمن انما حرم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه فارض الحرم
لما قالت اتينا طائعين حرم صيدها وشجرها وخلاها فلا حرمة الا لذى طاعة وفى الخبر لم يأكل الحيتان
الكبار صغارها فى ارض الحرم فى الطوفان لحرمتها (قياما للناس) مفعول ثان للجعل ومعنى كونه قياما لهم
انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اما الاول فلانه يتوجه اليه الحجاج والعمار فيكون ما فى البيت من المناسك
العظيمة والطاعات الشريفة سببا لحط الخطيئات وارتفاع الدرجات ونيل الكرامات واما الثانى فلانه يجبى الى
الحرم ثمرات كل شئ يربح فيه التجار وكانوا يأمنون فيه من النهب والغارة ولا يتعرض لهم احد بسوء
فى الحرم حتى ان الرجل اذا اصاب ذنبا فى الجاهلية والاسلام اوقتل قتيلا لجأ الى الحرم ويأمن فيه قال المحيى

فى فتوح الحرمين مدح الحضرة الكعبة هيچ نبى هيچ ولى هم نبود * كه اونه برين دررخ اميد سود *
هادئ ره نيست بجز لطف دوست * امدنت راطلب از نزد اوست * تا نزند سر زچمن نوكلى * نغمه سرايى
نكند بلبلى (والشهر الحرام) اى وجعل الشهر الحرام الذى يؤدى فيه الحج وهو ذوالحجة قياما لهم ايضا
فالمفعول الثانى محذوف ثقة بما مر ووجه كون الشهر الحرام سببا لقيام الناس ان العرب كان يتعرض بعضهم
لبعض بالقتل والغارة فى سائر الاشهر فاذا دخل الشهر الحرام زال الخوف وقدروا على سفر الحج والتجارات
آمنين على انفسهم واموالهم فكان سببا لاكتساب منافع الدين والدنيا ومصالح المعاش والمعاد وقد فضل الله
الاشهر والايام والاوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والامم بعضها على بعض لتبادر النفوس وتسارع القلوب
الى ادراكها واحترامها وتتشوق الارواح الى احيائها بالتعبد فيها ويرغب الخلق فى فضائلها قال الامام
النيسابورى عشر ذى الحجة افضل الايام واحبها عند الله تعالى بعد شهر رمضان لانها هى التى ناجى فيها كليم الله
موسى ربه وفيها احرم جميع الخلق بالحج ووجد آدم التوبة فى ايام العشر واسماعيل الفداء وهود النجاة ونوح
الانجاء ومحمد الرسالة واصحابه الرضوان فى البيعة وبشارة خيبر وفتح الحديبية ونزول المغفرة بقوله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وغير ذلك من الآيات والكرامات وصيام يوم من العشر كصيام الف
يوم وقيام ليلة منها كعبادة من حج واعتمر طول سنته فصوم هذه العشر مستحب استحبابا شديدا لاسيما التاسع
وهو يوم عرفة لكن يستحب الفطر يوم عرفة للحجاج لئلا يلحقهم فتور عن اداء الطاعات المشروعة فى ذلك
اليوم ويؤدوها على الحضور والكمال وفى الحديث خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت انا والنبيون لا آله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير (والهدى) اى وجعل الله الهدى ايضا قياما لهم
وهو ما يهدى الى البيت ويذبح هنالك ويفرق لحمه بين الفقراء فانه نسك المهدى وقوام لمعيشة الفقراء فكان
سببا لقيام امر الدين والدنيا بقول الفقير ومنه يعرف ان المقصود من القربان دفع حاجة الفقراء ولذا يستحب
للمضحى ان يتصدق باكثر اضحيته بل بكلها هركسى از همت والاى خويش * سود برد او در خور كالاى
خويش * وللحجاج يوم عيد القربان مناسك الذهاب من منى الى المسجد الحرام فلغيرهم الذهاب الى
المصلى موافقة لهم والطواف فلغيرهم صلاة العيد لقوله عليه السلام الطواف بالبيت صلاة واقامة السنن
من الحلق وقص الاظفار ونحوها فلغيرهم ازالة البدعة واقامة السنة والقربان فلغيرهم ايضا ذلك ولكن
ليس كل مال يصلح لخزانة الرب ولا كل قلب يصلح لمعرفة الرب ولا كل نفس تصلح لخدمة الرب (وفى المثنوى)
آن توكل كو خليلانه ترا * تا نبرد تيغت اسماعيل را * آن كرامت چون كليمت از كجا * تا كنى
شهراه قعر نيل را (والقلائد) اى وجعل الله القلائد ايضا قياما للناس وهى جمع قلادة وهى ما يقلد به الهدى
من نعل اولحاء شجر ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له بركوب او حمل والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهى البدن
وهى الناقة والبقرة مما يجوز فى الهدى والاضاحى وخصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج بها اظهر
ولذا ضحى عمر رضى الله عنه بنجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى
القلوب ووجه كون القلائد سببا لقيام الناس ان من قلد هديا لم يتعرض له احد وربما كانوا يقلدون رواحلهم
اذا رجعوا من مكة من لحاء شجر الحرم فيأمنون بذلك وكان اهل الجاهلية يأكل الواحد منهم القضيب والشجر
من الجوع وهو يرى الهدى والقلائد فلا يتعرض تعظيما له (ذلك) اشارة الى الجعل منصوب بفعل مقدر اى
شرع الله ذلك وبين (لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة
لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلائل على حكمة
الشارع وعلى عدم خروج شئ من علمه المحيط (وان الله بكل شئ عليم) تعميم بعد تخصيص للتأكيد
(اعلموا ان الله شديد العقاب) وعيد لمن انتهك محارمه واصر على ذلك (وان الله غفور رحيم) وعد لمن حافظ
مراعاة حرماته تعالى او انقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه (ما على الرسول الا البلاغ) اى تبليغ الرسالة فى امر
الثواب والعقاب وهو تشديد فى ايجاب القيام بما امر به اى الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد
عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد فى التفريط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)
اى ما تظهرون من القول والعمل وما تخفون فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا (قال السعدى) بروعلم يك ذره

پوشيده

پوشيده نيست * كه پنهان وپيدا بنزدش يكيست * والاشارة فى الآية ان الله تعالى كما جعل الكعبة فى
الظاهر قياما للعوام والخواص يلوذون به ويستنجحون بالتضرع والابتهال هنالك حاجاتهم الدنيوية والاخروية
كذلك جعل كعبة القلب فى الباطن قياما للخواص وخواص الخواص ليلوذوا به بطريق دوام الذكر ونفى
الخواطر بالكلية واثبات الحق بالربوبية والواحدية بان لا موجود الا هو ولا وجود الا له ولا مطلوب ولا محبوب
الا هو وسماه البيت الحرام ليعلم انه بيت الله على الحقيقة وحرام ان يسكن فيه غيره فيراقبه عن ذكر ما سوى الحق
وحبه وطلبه الى ان يفتح الله ابواب فضله ورحمته والشهر الحرام هو ايام الطلب والسير الى الله حرام على الطالب
فيها مخالطة الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدى هو النفس البهيمية تساق الى كعبة القلب مع القلائد وهى
اركان الشريعة فتذبح على عتبة القلب بسكين آداب الطريقة عن شهواتها ولذاتها الحيوانية وفى قوله تعالى
ذلك لتعلموا الآية اشارة الى ان العبد اذا وصل الى كعبة القلب فيرى بيت الله ويشاهد انوار الجمال والجلال فبتلك
الانوار يشاهد ما فى السموات وما فى الارض لانه ينظر بنور الله فيعلم على التحقيق ان الله يعلم ما فى السموات
وما فى الارض وان الله بكل شئ عليم اعلموا ان الله شديد العقاب يسدل الحجاب لغير الاحباب ممن ركنوا الى الدنيا
واغتروا بزينتها وشهواتها وان الله غفور رحيم لطالبيه وقاصدى حضرته بفتح الابواب ورفع الحجاب ما على
الرسول الا البلاغ بالقال والحال والله يعلم ما تبدون من الايمان باقرار اللسان وعمل الاركان وما تكتمون
من تصديق الجنان او التكذيب وصدق التوجه وخلوص النية فى طلب الحق كذا فى التأويلات النجمية
(قل لا يستوى الخبيث والطيب) نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم بسبب انه كان فيهم
الحطيم وقد اتى المدينة فى السنة السابقة واستاق سرح المدينة فخرج فى العام القابل وهو عام عمرة القضاء حاجا
فبلغ ذلك اصحاب السرح فقالوا للنبى عليه السلام هذا الحطيم خرج حاجا مع حجاج اليمامة فخل بيننا وبينه
فقال عليه السلام انه قلد الهدى ولم يأذن لهم فى ذلك بسبب استحقاقهم الامن بتقليد الهدايا فنزلت الآية
تصديقا له عليه السلام فى نهيه اياهم عن تعرض الحجاج وان كانوا مشركين وقد مضت هذه القصة فى اول
السورة عند قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وبقى حكم هذه الآية الى ان نزلت سورة البراءة
فنسخ بنزولها لانه قد كان فيها انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وفيها اقتلوا المشركين
فنسخ حكم الهدى والقلائد والشهر الحرام والاحرام وامنهم بها بدون الاسلام وسبب النزول وان كان
خاصا لكن حكمه عام فى نفى المساواة عند الله بين الردى وبين الجيد ففيه ترغيب فى الجيد وتحذير عن الردى
ويتناول الخبيث والطيب امورا كثيرة فمنها الحرام والحلال فمثقال حبة من الحلال ارجح عند الله من ملئ
الدنيا من الحرام لان الحرام خبيث مردود والحلال طيب مقبول فهما لا يستويان ابدا كما ان طالبهما كذلك
اذ طالب الخبيث خبيث وطالب الطيب طيب والله تعالى يسوق الطيب الى الطيب كما انه يسوق الخبيث الى
الخبيث كما قال الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات والطيب
عند سادات الصوفية قدس الله اسرارهم ما كان بلا فكر وحركة نفسانية بسوآء سيق من طرف صالح او فاسق
لانه رزق من حيث لا يحتسب وهو مقبول وخلافه مردود ولا بعد فى هذا لان حسنات الابرار سيئات المقربين
وبينهما بون بعيد وايضا الخبيث من الاموال ما لم يخرج منها حق الله والطيب ما اخرجت منه الحقوق
والخبيث ما انفق فى وجوه الفساد والطيب ما انفق فى وجوه الطاعات والطيب من الاموال ما وافق نفع
الفقراء فى اوقات الضرورات والخبيث ما دخل عليهم فى وقت استغنائهم فاشتغلت خواطرهم بها ومنها
المؤمن والكافر والعادل والفاسق فالمؤمن كالعسل والكافر كالسم والعادل كشجرة الثمرة والفاسق كشجرة
الشوك فلا يستويان على كل حال ومنها الاخلاق الطيبة والاخلاق الخبيثة فمثل التواضع والقناعة والتسليم
والشكر مقبول ومثل الكبر والحرص والجزع والكفران مردود لان الاول من صفات الروح والثانى من صفات
النفس والروح طيب علوى والنفس بخلافه (وفى المثنوى) هين مرو اندر پى نفسى چو زاغ * كو بگورستان
برد نه سوى باغ * نفس اگرچه زيركست وخرده دان * قبله اش دنيا است اورا مرده دان *
ومن اخلاق النفس حب المال والمكاثرة وعدو المال الطيب حجابا فما ظنك بالخبيث منه فلا بد من تصفية الباطن
وتخليته عن حب ما سوى الله تعالى ومنها العلوم النافعة والعلوم الغير النافعة فالنافعة كعلوم الشريعة وغير

النافعة كعلوم الفلاسفة   علم دين فقهست وتفسير وحديث * هركه خواند غيراز ين كردد خبيث *
ومنها الاعمال الصالحة والاعمال الغير الصالحة فما اريد به وجه الله تعالى فهو صالح وما اريد به الرياء والسمعة
فهو غير صالح   عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * قال فى التأويلات
النجمية الخبيث ما يشغلك عن الله والطيب ما يوصلك الى الله وايضا الطيب هو الله الواحد والخبيث ماسواه
وفيه كثرة (ولو اعجبك كثرة الخبيث) الواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر اى لو لم يعجبك كثرة الخبيث
ولو اعجبتك وكلتاهما فى موضع الحال من فاعل لا يستوى اى لا يستويان كائنين على كل حال مفروض وجواب
لو محذوف والمعنى والتقدير ان الخبيث ولو اعجبتك كثرته يمتنع ان يكون مساويا للطيب فان العبرة بالجودة
والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث ومعنى
الاعجاب السرور بما يتعجب منه يقال يعجبنى امر كذا اى يسرنى والخطاب فى اعجبك لكل واحد من الذين
امر النبى عليه السلام بخطابهم (فاتقوا الله) فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل (يا اولى الالباب)
يا ذوى العقول الصافية وهم فى الحقيقة من تخلصت قلوبهم وارواحهم عن قشور الابدان والنفوس (لعلكم
تفلحون) راجين ان تنالوا الفلاح وهو سعادة الاخرة ثم ان التقوى على مراتب قال ابن عطاء التقوى فى الظاهر
مخالفة الحدود وفى الباطن النية والاخلاص وقال فى قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وهو صدق قولك لا اله
الا الله وليس فى قلبك شئ سواه ومن وصايا حضرة المولوى قبيل وفاته اوصيكم بتقوى الله فى السر والعلانية
وبقلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام وهجر المعاصى والآثام وترك الشهوات على الدوام واحتمال الجفاء من
جميع الانام وترك مجالسة السفهاء والعوام ودوام مصاحبة الصالحين الكرام فان خير الناس من ينفع الناس
وخير الكلام ما قل ودل واعلم ان النافع هو التقوى والسبب المنجى هو الايمان والعمل الصالح دون الحسب
والنسب فلا يغرنك الشيطان بكثرة اموالك واولادك ووفرة مفاخر آبائك واجدادك فاصل البول الماء الطيب
الصافى والله تعالى يخرج الميت من الحى (يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا
عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) روى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك أكل عام
فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم
فاتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا
منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه فنزلت وعن ابن عباس رضى الله عنه انه عليه السلام كان يخطب
ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شئ الا اجبت فقال رجل اين ابى فقال
فى النار وقال آخر من ابى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت ان تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان
لاشياء والمساءة معلقة بالابداء والابداء معلق بالسؤال فالمعنى لا تسألوا عن اشياء ان تسألوا عنها فى زمان الوحى
تظهر لكم وان تظهر لكم تغمكم والعاقل لا يفعل ما يغمه قال البغوى فان من سأل عن الحج لم يأمن ان يأمر به
فى كل عام فيسوءه ومن سأل عن نسبه لم يأمن ان يلحقه بغيره فيفتضح (عفا الله عنها) استئناف مسوق لبيان
ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها فى نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها
وفيه من حثهم على الجد فى الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسئلة المدلول عليها بلا تسألوا اى عفا الله عن
مسألتكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج فى كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بسائر
مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها (والله غفور حليم) اى مبالغ فى مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصى
ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم فالجملة اعتراض تذييلى مقرر لعفوه تعالى (قد سألها قوم)
اى سألوا هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها فى كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل
للمبالغة فى التحذير (من قبلكم) متعلق بسألها (ثم اصبحوا بها) اى بسببها (كافرين) فان بنى اسرائيل
كانوا يستفتون انبياءهم فى اشياء فاذا امروا تركوها فهلكوا كما سأل قوم ثمود صالحا الناقة وسأل قوم موسى
مائدة قال ابو ثعلبة ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها
وعفا عن اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها قال الحسين الواعظ الكاشفى فى تفسيره   پس نيكبخت آنست كه
از حال ديكران عبرت   كيرد بقول وفعل فضولى اشتغال ننمايد * ودرين باب كفته اند * بكوى انچه كفتن

ضرورت شود * دكر كفته ها را فرو بند در * بجاى آر فعلى كه لازم بود * زافعال بى حاصل اندر كذر *
وكان رجل يحضر بمجلس ابى يوسف كثيرا ويطيل السكوت فقال له يوما مالك لا تتكلم ولا تسأل عن مسئلة
قال اخبرنى ايها القاضى متى يفطر الصائم قال اذا غابت الشمس قال فان لم تغب الى نصف الليل فتبسم
وتمثل ببيت جرير

وفى الصمت زين للخلى وانما * صحيفة لب المرء ان يتكلما

وفى الحديث عجبت من بنى آدم وملكاه على نابيه فلسانه قلمهما وريقه مدادهما كيف يتكلم فيما لا يعنيه
والاشارة فى الآيتين ان الله تعالى نهى اهل الايمان ان يتعلموا العلوم اللدنية وحقائق الاشياء بطريق السؤال
لانها ليست من علوم القال وانما هى من علوم الحال فقال يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء اى عن حقائق
اشياء ان تبد لكم بيانها بطريق القال تسؤكم اذ لم تهتدوا الى الحقائق ببيان القال فتقع عقولكم المشوبة
بآفات الهوى والوهم والخيال فى الشبهات فتهلكوا فى اوديتها كما كان حال طوائف الفلاسفة اذ طلبوا علوم
حقائق الاشياء بطريق القال والبراهين المعقولة فما كانت منها مندرجة تحت نظر العقول المجردة عن شوائب
الوهم والخيال اصابوها وما ضاق نطاق العقول عن دركها استزلهم الشيطان عند البحث عن الصراط المستقيم
واوقعهم فى اودية الشبهات وبوادى الهلكات فهلكوا واهلكوا خلقا عظيما بتصانيفهم فى العلوم ان تعلم
الالهية وبعضهم خلطوها بعلم الاصول وقرروا شبهاتهم فيها فضلوا واضلوا عن سواء السبيل وما علموا
علوم الحقائق بالقال محال وان تعلمها انما يحصل بالحال كما كان حال الانبياء مع الله فقد علمهم علوم الحقائق
بالارادة لا بالرواية فقال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال فى حق النبى عليه السلام
لنريه من آياتنا وقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقال عليه السلام ارنا الاشياء كما هى وكما كان حال الامة
مع النبى عليه السلام كان يعلمهم الكتاب بالقال والحكمة بالحال بطريق الصحبة وتزكية نفوسهم عن شوائب
آفات النفس واخلاقها كقوله تعالى يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال تعالى فيمن
تحقق له فوائد الصحبة على موائد المتابعة سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ثم قال
وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم وان كان لا بد لكم من السؤال عن حقائق الاشياء فاسألوا عنها بعد
نزول القرآن اى من القرآن ايخبركم عن حقائقها على قدر عقولكم اما العوام منكم فيؤمنون بمتشابهات
القرآن فانها بيان حقائق الاشياء ويقولون كل من عند ربنا ولا يتصرفون فيها بعقولهم طلبا للتأويل فانه
لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون فى العلم وهم الخواص واما الخص الخصواص فيفهمون مما يشير القرآن اليه
من حقائق الاشياء بالرموز والاشارات والمتشابهات ما لا يفهم غيرهم كما اشار بقصة موسى والخضر الى ان تعلم
العلم اللدنى انما يكون بالحال فى الصحبة والمتابعة والتسليم وترك الاعتراض على الصاحب المعلم لا بالقال
ولا بالسؤال لقوله تعالى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا يعنى فى المتابعة
وترك الاعتراض قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ يعنى
ان من شرط المتابعة ترك السؤال عن افعال المعلم وغيرها فلما لم يستطع موسى معه صبرا ليتعلم بالحال وفتح
باب القال والسؤال فقال اخرقتها لتغرق اهلها اقتلت نفسا زكية فما واساه الخضر وقال الم اقل لك
انك لن تستطيع معى صبرا قال يعنى موسى ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى يشير الى ان تعلم العلم اللدنى
بالحال فى الصحبة والمتابعة والتسليم لا بالقال والسؤال وفى السؤال الانقطاع عن الصحبة فافهم جدا فلما عاد
فى الثالثة الى السؤال وقال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بينى وبينك ثم قال عفا الله عنها اى عما
سألتم وطلبتم من علوم الحقائق بالقال قبل نزول هذه الآية والله غفور لمن تاب ورجع الى الله فى طلب علوم
الحقائق بالقال والسؤال حليم لمن يطلب بالحال يحلم عنهم فى اثناء ما يصدر منهم مما ينافى امر الطلب الى ان يوفقهم
لما يوافق الطلب ثم قال قد سألها قوم من قبلكم يعنى من متقدمى الفلاسفة فقد شرعوا فى طلب العلوم الالهية
بالقال ونظر العقل فوقعوا فى اودية الشبهات ثم اصبحوا بها كافرين اى بسبب الشبهات التى وقعوا فيها بتتبع
القيل والقال وكثرة السؤال وترك متابعة الانبياء عليهم السلام كذا فى التأويلات النجمية (ما جعل الله)
هو الجعل التشريعى يتعدى الى واحد اى ما شرع وما وضع وما سن (من) مزيدة لتأكيد النفى (بحيرة)

كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وحرموا ركوبها
ودرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى فهى فعيلة من البحر وهو الشق بمعنى المفعولة (ولا سائبة) كان الرجل منهم
يقول اذا قدمت من سفرى اوبرئت من مرضى فناقتى سائبة وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها
فهى بمعنى فاعلة من قولهم ساب الماء يسيب سيبا اذا جرى على وجه الارض ويقال ايضا سابت الحية
فالسائبة هى التى تركت حتى تسيب حيث شاءت (ولا وصيلة) كانوا اذا ولدت الشاة انثى فهى لهم
وان ولدت ذكرا فهو لا آلهتهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها واستحيوا الذكر من اجل الانثى فلا يذبح
لا آلهتهم فمعنى الاية ماجعل الله انثى تحلل ذكرا محرما عند الانفراد فهى فعيلة بمعنى فاعلة (ولا حام) كانوا
اذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى
فهو اسم فاعل من حمى يحمى اى منع يقال حماه يحميه اذا حفظه (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب)
اى يكذبون عمدا حيث يفعلون مايفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحى الخزاعى فانه كان
اقدم ملك مكة كان اول من غير دين اسماعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة
والحامى روى انه عليه السلام قال فى حقه رأيت عمرو بن لحى الخزاعى يجر قصبه فى النار يؤذى اهل النار بريح
قصبه والقصب المعى هذا شأن رؤسائهم وكبارهم (واكثرهم) وهم اراذلهم الذين يوقعونهم فى معاصى رسول
الله صلى الله عليه وسلم (لايعقلون) انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون فى اسر
التقليد (واذا قيل لهم) اى للاكثر على سبيل الهداية والارشاد (تعالوا الى ما انزل الله) من الكتاب المبين للحلال
والحرام (والى الرسول) الذى انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال (قالوا حسبنا
ماوجدنا عليه آباءنا) بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادى الى الحق وانقيادهم للداعى الى الضلال وحسبنا
مبتدأ وماوجدنا خبره وهو فى الاصل مصدر والمراد به اسم الفاعل اى كافينا الذى وجدنا عليه آباءنا
(اولو كان آباؤهم لايعلمون شيأ ولا يهتدون) الواو للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها والتقدير ايحسبهم
ذلك اى ايكفيهم وجدان آبائهم على هذا المقال او يقولون هذا القول ولو كان آباؤهم لايعلمون شيأ
من الدين ولا يهتدون للصواب والمعنى ان الاقتداء انما يكون بمن علم انه عالم مهتد وذلك لايعرف الا بالحجة قال
الحسين الواعظ فى تفسيره * يعنى ايشان جاهل وكمراه بودند تقليد ايشان نافع نيست بلكه تقليد عالم مى
بايد تا كار بتحقيق انجامد از مقلد تا محقق فرقهاست اين يكى كوهست وان ديكر صداست دست
در بينا زنى آيى براه دست در كورى زنى افتى بچاه * قال الشيخ على دده فى اسئلة الحكم اما ماورد فى الاحاديث
النبوية فى حق الدجاجلة وظهورها بين الامة فلاشك عند اهل العلم ان الدجاجلة هم الائمة المضلون لاسيما من
متصوفة الزمان اومتشيخيهم وقد شاهدناهم فى عصرنا هذا قاتلهم الله حيثما كانوا انتهى قال بعضهم قلت
لمتشبه بالصوفية ظاهرا يعنى جبتك لماعلم من احواله فقال اذا باع الصياد شبكته فباى شئ يتصيد بروى ريا
خرقه سهلست دوخت * كرش باخدا در توانى فروخت * بنزديك من شب روراه زن * به از فاسق
پارسا پيرهن * والاشارة ان الشيطان كما سلط على قوم اغراهم على التصرف فى انعام اجسامهم ونفوسهم
مبتدعين غير متبعين وهم يزعمون ان هذه التصرفات لله وفى الله وفى قوله ماجعل الله من بحيرة اشارة الى
من يتصرف بمالم يؤمر به كمن يشق اذنه اويثقبها ويجعل فيها الحلقة من الحديد اويثقب صدره اوذكره ويجعل
عليه القفل اويجعل فى عنقه الغل اويحلق لحيته مثل مايفعل هؤلاء القلندرية قلندرى نه بريشست وموى
وياابرو * حساب راه قلندر بدانكه موى بموست * كذشتن ازسر مودر قلندرى سهلست * چو
حافظ انكه زسر بكذرد قلندر اوست * ولاسائبة وهم الذين يدورون فى البلاد مسيبين خليعى العذار يرتعون
فى مراتع البهيمية والحيوانية بلا لجام الشريعة وقيد الطريقة وهم يدعون انهم اهل الحق قد لعب الشيطان
بهم فاتخذوا آلههم هواهم ولاوصيلة وهم الذين يبيحون المحرمات ويستحلون الحرمات ويتصلون بالاجانب
من طريق الاخوة والابوة كالاباحية والزنادقة فيغتر به ويظن انه بلغ مقام الوحدة وانه محى عن النقصان بكل
حال ولايضره مخالفات الشريعة اذ هو بلغ مقام الحقيقة فهذا كله من وساوس الشيطان وهواجس
النفس ما امر الله بشئ من ذلك ولارخص لاحد فيه فهؤلاء الذين وضعوا هذه الطريقة وابتدعوها لايعلمون

شيأ من الشريعة والطريقة ولا يهتدون الحقيقة فانهم اهل الطبيعة وارباب الخديعة ولقد شاعت فى الآفاق
فتنتهم وكملت فيهم غرتهم ومالهم من دافع ولا مانع ولا وازع على ان الخرق قد اتسع على الراقع

اری الف بانى لايقوم بها دم * فكيف ببان خلفه الف هادم

(يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم) اى الزموا اصلاح انفسكم وحفظها عما يوجب سخط الله وعذاب الآخرة
(لايضركم) ضلال (من ضل) بالفارسى زيانى نرساند شمارا بى راهى انكس كه كمراه شد (اذا اهتديتم) اذا كنتم
مهتدين والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وفيهم من الضلال بحيث
لايكادون يرعوون عنه بالامر والنهى (الى الله) لالاحد سواه (مرجعكم) رجوعكم يوم القيامة (جميعا)
الضال والمهتدى (فينبئكم بما كنتم تعملون) فى الدنيا من اعمال الهداية والضلال اى فيجازيكم على ذلك فهو
وعد ووعيد للفريقين المهتدين والضالين وتنبيه على ان احدا لايؤاخذ بعمل غيره ولايتوهمن ان فى الاية
رخصة فى ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع استطاعتهما كيف لاومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر
حسب الطاقة اكر بينى كه نابينا وچاهست * اكر خاموش بنشينى كناهست * وفى الحديث من رأى
منكم منكرا ان استطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روى ان الصديق
قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ماهى وانما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فامروا بالمعروف وانهوا
عن المنكر ولا تغتروا بقول الله تعالى يا ايها الذين الاية فيقول احدكم على نفسى والله لتامرن بالمعروف
وتنهون عن المنكر اوليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعن خياركم فلا يستجاب لهم
ولو قيل لرجل لم لاتأمر بالمعروف قال مراچه كارست اوقيل لرجل فلانرا امر معروف كن فقال مرا اوچه
كرده است اوقال من عافيت كزيده ام اوقال مرا بااين فضولى چه كار يخاف عليه الكفر فى هذه الصور
(قال المولوى) توز كفتار تعالوا كم مكن * كيمياى بس شكرفست اين سخن * كر كسى كردد ز كفتارت
نفير * كيميارا هيچ ازوى وامكير * فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض لايسقط الا عند العجز
عن ذلك وكان السلف معذورين فى بعض الازمان فى ترك الانكار باليد واللسان چو دست وزبانرا
نماند مجال * بهمت نمايند مردى رجال * والحاصل ان هذا يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال
والاوقات فعلى المحب ان لايتجاوز عن الحد ويراعى حكم الوقت فان لكل زمان دولة ورجالا والاشارة
يا ايها الذين آمنوا اى ايمان الطالبين الموقنين بان الوجدان فى الطلب كما قال تعالى الا من طلبنى وجدنى عليكم
انفسكم فاشتغلوا بتزكيتها فانه قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فلا تشتغلوا قبل تزكيتها بتزكية نفوس
الخلق ولا تغتروا بارادة الخلق وبقبولهم وحسن ظنهم فيكم وتقربهم اليكم فانها للطالب سم الساعة وان مثل
السالك المحتاج الى المسلك والذى يدعى ارادته ويتمسك به كمثل غريق فى البحر محتاج الى سابح كامل فى صنعته
لينجيه من الغرق فيتشبث به غريق آخر فى البحر وهو يأخذ بيده لينجيه فيهلكان جميعا فالواجب على الطالب
المحق ان يتمسك بذيل ارادة صاحب دولة فى هذا الشان مسلك كامل ويستسلم للاحكام ولا يلتفت الى كثرة
الهالكين فانه لايهلك على الله الا هالك لايضركم ايها الطالبون من ضل من المغرقين اذا اهتديتم الى الحق به
الى الله مرجعكم جميعا ايها الطالبون بجذبات العناية على طريق الهداية والمضلون بسلاسل القهر والخذلان
على طريق المكر والعصيان فينبئكم بما كنتم تعملون اى فيذيقكم لذة ثواب اعمالكم اوالم عقوبة اعمالكم والمعنى
ليس للطالب ان يلتفت فى اثناء سلوكه الى احد من اهل الصدق والارادة بان يقبله ليربيه ويغتر بانه شيخ يقتدى به
الى ان يتم امر سلوكه بتسليك مسلك كامل واصل ثم ان يرى شيخه ان له رتبة الشيخوخة فيثبته باشارة التحقق
فى مقام التربية ودعوة الخلق فحينئذ يجوز له ان يكون هاديا مرشدا للمريدين باحتياط وافر فقد قال تعالى
ولكل قوم هاد فاما فى زماننا هذا فقد آل الامر الى ان من لم يكن مريدا قط يدعى الشيخوخة ويخبر بالشيخوخة
الجهال والضلال من جهالته وضلالته حرصا لانتشار ذكره وشهرته وكثرة مريديه وقد جعلوا هذا الشان
العظيم والبناء الجسيم لعب الصبيان وضحكة الشيطان حتى يتوارثونه كلما مات واحد منهم يجلسون ابنه
مقامه صغيرا كان اوكبيرا ويلبسون منه الخرق ويتبركون به وينزلونه منازل المشايخ فهذه مصيبة قد عمت

ولعل هذه طريقة قدمت فاندرست آثارها والله اعلم باخبارها الى ههنا من الاشارة من التاويلات النجمية (يا ايها الذين آمنوا) تصديره بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية لمضمونه روى ان تميم بن اوس الدارى وعدى بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابى مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدما الى الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه اسماء جميع ما معه وطرحه فى درج الثياب ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فقالوا لهما هل باع صاحبكما شيأ من متاعه قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق شيأ على نفسه قالا لا انما مرض حين قدم البلد فلم يلبث ان مات قالوا فانا وجدنا فى متاعه صحيفة فيها تسمية متاعه وفيها اناء منقوش مموه بالذهب وزنه ثلثمائة مثقال قالا ما ندرى انما اوصى الينا بشئ وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين آمنوا فاستحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر بالله الذى لا اله الا هو انهما لم يخونا شيأ مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم انه وجد الاناء فى مكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بنى سهل اولياء بديل فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيأ فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقرا به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى فان عثر الاية فقام عمرو ابن العاص والمطلب بن ابى وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما واتفق العلماء على ان هذه الاية اشكل ما فى القرآن اعرابا ونظما وحكما (شهادة بينكم) اى شهادة الخصومات الجارية بينكم فبين ظرف اضيف اليه شهادة على طريق الاتساع فى الظروف بان يجعل الظرف كانه مفعول للفعل الواقع فيه فيضاف ذلك الفعل اليه على طريق اضافته الى المفعول نحو يا سارق الليلة اى يا سارق فى الليلة وارتفاع الشهادة على انها مبتدأ (اذا حضر احدكم الموت) اى شارفه وظهرت علائمه ظرف للشهادة (حين الوصية) بدل من الظرف وفى ابداله منه تنبيه على ان الوصية من المهمات المقررة التى لا ينبغى ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها (اثنان) خبر للمبتدأ بتقدير المضاف لئلا يلزم حمل العين على المعنى اى شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين او فاعل شهادة بينكم على ان خبرها محذوف اى فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم اثنان واختلفوا فى هذين الاثنين فقال قوم هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصى وقال آخرون هما الوصيان لان الاية نزلت فيهما ولانه قال تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان ولا يلزم الشاهدين الايصاء وان صح الى احد الا انه ورد فى الاية الايصاء الى اثنين احتياطا واعتضادا احدهما بالاخر فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت والشهيد الذى حضرته الوفاة فى الغزو حتى لو مضى عليه وقت صلاة وهو حى لا يسمى شهيدا لان الوفاة لم تحضره فى الغزو (ذوا عدل منكم) هما صفتان للاثنان اى صاحبا امانة وعقل من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحرى ما هو اصلح له او من اهل دينكم يا معشر المؤمنين وهذه جملة تامة تتناول حكم الشهادة على الوصية فى الحضر والسفر (او آخران من غيركم) عطف على اثنان اى او شهادة عدلين آخرين من غيركم اى من الاجانب او من غير اهل دينكم اى من اهل الذمة وقد كان ذلك فى بدأ الاسلام لعزة وجود المسلمين لاسيما فى السفر ثم نسخ بقوله تعالى واشهدوا ذوى عدل منكم فلا يقبل شهادة الذمى على المسلم لعدم ولايته عليه والشهادة من باب الولاية ويقبل شهادة الذمى على الذمى لان اهل الذمة بعضهم اولياء بعض (ان انتم ضربتم فى الارض) اى سرتم وسافرتم فيها (فاصابتكم مصيبة الموت) عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام من يتولى لامر الشهادة كما هو الغالب المعتاد فى الاسفار فشهادة بينكم شهادة آخرين اوفان يشهد آخران فقوله تعالى ان انتم ضربتم تقييد لقوله او آخران من غيركم (تحبسونهما) استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كانه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اى تقفونهما وتصبرونهما للتحليف (من بعد الصلاة) من صلة واللام للعهد الخارجى اى بعد صلاة العصر لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان جميع اهل الايمان

يعظمون

يعظمون ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روى ان النبى عليه السلام وقتئذ حلف من حلف قال الشافعى الايمان تغلظ فى الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتى درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر بمكة بين الركن والمقام وفى المدينة عند المنبر وفى بيت المقدس عند الصخرة وفى سائر البلدان فى اشرف المساجد وقال ابو حنيفة لا يختص الحلف بزمان ومكان (فيقسمان بالله) عطف على تحبسونهما (ان ارتبتم) شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اى ان ارتاب فيهما الوارث منكم بخيانة واخذ شئ من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله (لا نشترى به ثمنا) جواب القسم اى مقسم عليه فان قوله فيقسمان يتضمن قسما مضمرا فيه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اى اخذها بدلا منه ثم استعير لاخذ شئ بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة فى المأخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر فى المستعار منه والضمير فى به لله والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله اى من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اى لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وطمع الدنيا (ولو كان) اى المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام وهو الميت (ذا قربى) اى قريبا منا فى الرحم تأكيد لتبريهم من الحلف كاذبا ومبالغة فى التنزه كانهما قالا لا نأخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فقد انضم اليها ما هو اقوى منها وادعى الى الحلف كاذبا وهى صيانة حظ انفسهما فلا يتحقق ما قصداه من المبالغة فى التنزه عنه والتبرى منه قلت صيانة انفسهما وان كانت اهم من رعاية الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل راجعة اليه (ولا نكتم شهادة الله) معطوف على لا نشترى به داخل معه فى حكم القسم وشهادة الله منصوب على انها مفعول بها اضيفت اليه تعالى لانه هو الآمر بها وبحفظها وعدم كتمانها وتضييعها (انا اذا) اى اذ كتمناها (لمن الآثمين) اى العاصين (فان عثر) اى اطلع بعد التحليف (على انهما استحقا اثما) اى فعلا ما اوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شئ من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه (فآخران) اى رجلان آخران وهو مبتدأ خبره (يقومان مقامهما) اى مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التى تولياها ولم يؤدياها كما هى بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق (من الذين) حال من فاعل يقومان اى من اهل الميت الذين (استحق عليهم الاوليان) من بينهم اى الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اى باليمين ومفعول استحق محذوف اى استحق عليهم ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما فى الحقيقة الآخران القائمان مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر فاستحق مبنى للفاعل والاوليان فاعله وهو تثنية الاولى بالفتح بمعنى الاقرب وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اى من الذين استحق عليهم الاثم اى جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كانه قيل ومن هم فقيل الاوليان (فيقسمان بالله) عطف على يقومان (لشهادتنا) المراد بالشهادة اليمين كما فى قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اى ليميننا على انهما كاذبان على ما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة فى نفسها (احق) بالقبول (من شهادتهما) اى من يمينهما مع كونها كاذبة فى نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع انه لا حقية فى يمينهما رأسا انما هى لامكان قبولها فى الجملة باعتبار احتمال صدقهما فى ادعاء تملكهما لما ظهر فى ايديهما (وما اعتدينا) عطف على جواب القسم اى ما تجاوزنا فيها شهادة الحق وما اعتدينا عليهما بابطال حقهما (انا اذا) اى اذا اعتدينا فى يميننا (لمن الظالمين) انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق فى غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغى ان يشهد على وصيته عدلين من ذوى نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان فى سفر فآخرين من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيأ بالتغليظ فى الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شئ من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم وانما نقل اليمين الى الاولياء لان الوصيين ادعيا انهما ابتاعاه والوصى اذا اخذ شيأ من مال الميت وقال انه اوصى به حلف الوارث اذا انكر ذلك وتحليف المنكر ليس بمنسوخ (ذلك) اى الحكم الذى تقدم تفصيله (ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها) اى اقرب الى ان تؤدى الشهود الشهادة على وجهها الذى

تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروى هذا كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور (او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم) بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه قيل ذلك ادنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه فاى الخوفين وقع حصل المقصود الذى هو الاتيان بالشهادة على وجهها (واتقوا الله) فى شهادتكم فلا تحرفوها وفى ايمانكم فلا تحلفوا ايمانا كاذبة وفى اماناتكم فلا تخونوها وفيما بينه الله من الاحكام فلا تخالفوا احكامه (واسمعوا) ما توعظون به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين اى الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم واعلم ان الشهادة فى الشرع الاخبار عن امر حضره الشهود وشاهدوه اما معاينة كالافعال نحو القتل والزنى او سماعا كالعقود والاقرارات فلا يجوز له ان يشهد الا بما حضره وعلمه وسمعه ولهذا لا يجوز له اداء الشهادة حتى تذكر الحادثة وفى الحديث اذا علمت مثل الشمس فاشهد والا فدع وفى الشهادة احياء حقوق الناس وصون العقود عن التجاحد وحفظ الاموال على اربابها وفى الحديث اكرموا الشهود كم فان الله يستخرج بهم الحقوق ومن تعين للتحمل لا يسعه ان يمتنع اذا طلب لما فيه من تضييع الحقوق الا ان يقوم الحق بغيره بان يكون فى الصك سواه ممن يقوم الحق به فيجوز له الامتناع لان الحق لا يضيع بامتناعه وهو مخير فى الحدود بين الشهادة والستر لان اقامة الحدود حسبة والستر على المسلم حسبة والستر افضل وفى الحديث من ستر على مسلم ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة ثم اعلم ان اليمين الفاجرة تبقى الديار بلاقع فينبغى لطالب الآخرة ان يجتنب عن الكذب لطمع الدنيا وان يختار الصدق فى كل قول وفعل (قال الحافظ)

طريق صدق بياموز از آب صافى دل * براستى طلب آزادكى جو سرو چمن * والامانة من الاوصاف الجميلة والله تعالى يأمر باداء الامانات وان قل اصحابها فى هذا الزمان ولله در القائل * امين مجوى ومكو باكسى امانت عشق * درين زمانه مكر جبرئيل امين باشد * وعاقبة الخيانة الافتضاح (كما قال الصائب) خيانتهاى پنهان ميكشد آخر برسوايى * كه دزد خانكى را شحنه در بازار ميكردد * فلا بد من التقوى وسماع الاحكام الازلية والله لا يهدى الى حضرته القوم الفاسقين يعنى الذين كانوا خارجين عند رشاش النور واصابته كما قال عليه السلام فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطأ فقد ضل عصمنا الله واياكم عن مخالفة امره ولا يجعلنا ممن ضاع انفاس عمره انه هو الموفق والمرشد والوهاب (يوم يجمع الله الرسل) اى اذكروا يوم يجمع الله الرسل وهو يوم القيامة والمراد جمعهم وجمع اممهم وانما لم يذكر الامم لانهم اتباع لهم (فيقول) اى الله تعالى للرسل (ماذا اجبتم) اى اى اجابة اجبتم من جهة الامم حين دعوتموهم الى توحيدى وطاعتى اجابة اقرار وتصديق ام اجابة انكار وتكذيب فماذا فى محل النصب على انه مفعول مطلق للفعل المذكور بعده وفيه اشارة الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغى والا لصدر الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالتى ولم يقل ماذا اجابوا انباء على كمال تحقير شأنهم وشدة الغيظ والسخط عليهم فان قلت ما وجه السؤال مع انه تعالى لا يخفى عليه شئ قلت توبيخ القوم كما ان قوله تعالى واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت المقصود منه توبيخ من فعل ذلك الفعل بها (قالوا) كانه قيل فماذا يقول الرسل هنالك فقيل يقولون (لا علم لنا) بما كنت انت تعلم (انك انت علام الغيوب) تعليل لذلك اى لانك تعلم ما اضمروه وما اظهروه ونحن لا نعلم الا ما اظهروه فعلمنا فى علمك كالمعدوم وهذا الجواب يتضمن التشكى من الامم كانه قيل علمك محيط بجميع المعلومات فتعلم بما بلينا من قبلهم وكابدنا من سوء اجابتهم فنلتجئ اليك فى الانتقام منهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذا الجواب انما يكون فى بعض مواطن القيامة وذلك عند زفرة جهنم وجثو الامم على الركب لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا قال نفسى نفسى فعند ذلك تطير القلوب من اماكنها فيقول الرسل من شدة هول المسئلة وهول الموطن لا علم لنا انك انت علام الغيوب وترجع اليهم عقولهم فيشهدون على قومهم انهم بلغوهم الرسالة وان قومهم كيف ردوا عليهم فان قيل كيف يصح ذهول العقل مع قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر قيل ان الفزع الاكبر دخول جهنم (قال السعدى) دران روز كز فعل پرسند وقول * اولوا العزم را تن بلرزد ز هول * بجايى

كه دهشت خورد انبيا * تو عذر كنه را چه دارى بيا * برادر ز كار بدان شرم دار * كه در روى نيكان شوى شرمسار * سر از جيب غفلت بر آور كنون * كه فردا نماند بخجلت نكون * وقيل قولهم لا علم لنا ليس المقصود منه نفى العلم بجوابهم حال التبليغ ولا وقت حياة الانبياء بل المقصود نفى علمهم بما كان من الامم بعد وفاة الانبياء فى العاقبة وآخر الامر الذى به الاعتبار لان الثواب والعقاب انما يدوران على الخاتمة وذلك غير معلوم لهم فلهذا المعنى قالوا لا علم لنا وفى الحديث انى على الحوض انظر من يرد على منكم والله ليقطعن دونى رجال فلاقولن اى ربى منى ومن امتى فيقول انك لا تدرى ما احدثوا بعدك ما زالوا يرجعون على اعقابهم وهو عبارة عن ارتدادهم اعم من ان يكون من الاعمال الصالحة الى السيئة او من الاسلام الى الكفر وفى الحديث يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وامته فيشهدون انه قد بلغ فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس انما شهد محمد وامته بذلك مع انهم بعد نوح لعلمهم بالقرآن ان الانبياء كلهم قد بلغوا اممهم ما ارسلوا به وقد جاء فى الرواية ثم يؤتى بمحمد فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم فذلك قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا فعلى العاقل ان يجيب الى دعوة الحق وينتصح بنصيحة الناصح الصدق * امروز قدر پند عزيزان شناختم * يا رب روان ناصح ما از تو شاد باد * واعلم ان القيامة يوم يتجلى الحق فيه بالصفة القهارية قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قال حضرة شيخنا العلامة ابقاه الله بالسلامة هذا ترتيب انيق فان الذات الاحدى يدفع بوحدته الكثرة وبقهره الآثار فيضمحل الكل فلا يبقى سواه تعالى وقيامة العارفين دائمة لانهم يكاشفون الامور ويشاهدون الاقوال فى كل موطن على ما هى عليه وهى القيامة الكبرى وحشر الخواص بل الاخص اللهم اجعلنا ممن مات بالاختيار قبل الموت بالاضطرار (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم) اى اذكروا ايها المؤمنون وقت قول الله تعالى لعيسى ابن مريم وهو يوم القيامة (اذكر نعمتى) اى انعامى (عليك وعلى والدتك) وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعم تكليف الشكر اذ قد مضى وقته فى الدنيا بل ليكون حجة على من كفر حيث اظهر الله على يده معجزات كثيرة فكذبته طائفة وسموه ساحرا وغلا آخرون فاتخذوه الها فيكون ذلك حسرة وندامة عليهم يوم القيامة والفائدة فى ذكرامه ان الناس تكلموا فيهما ما تكلموا واتم عد الله تعالى نعمة نعمة فقال (اذ ايدتك) ظرف لنعمتى اى اذكر انعامى عليكما وقت تأييدى لك (بروح القدس) اى بجبريل الطاهر على ان القدس الطهور واضيف اليه الروح مدحا له بكمال اختصاصه بالطهر كما فى رجل صدق ومعنى تأييده به ان جبريل عليه السلام يجعل حجته ثابتة مقررة (تكلم الناس فى المهد وكهلا) استئناف مبين لتأييده عليه السلام والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على سواء اى من غير ان يوجد تفاوت بين كلامه طفلا وبين كلامه كهلا فى كونه صادرا عن كمال العقل وموافقا لكمال الانبياء والحكماء فانه تكلم حال كونه فى المهد اى فى حجر الام او الذى يربى فيه الطفل بقوله انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وتكلم كهلا بالوحى والنبوة فتكلمه فى تينك الحالتين على حد واحد وصفة واحدة من غير تفاوت معجزة عظيمة حصلت له وما حصلت لاحد من الانبياء قبله ولا بعده وكل معجزة ظهرت منه كما انها نعمة فى حقه فكذلك هى نعمة فى حق امه لانها تدل على براءة ساحتها مما نسبوها اليه واتهموها به وحمل مريم ما كان من الرجال كسائر النساء وانما كان بروح منه كما قال تعالى ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا فهذه نعمة خاصة بمريم وكذلك ولادة عيسى وخلقته ما كانت من نطف الرجال وانما كانت كلمته القاها الى مريم وروح منه فهذه نعمة خاصة بعيسى والكهل من الرجال الذى جاوز الثلاثين ووخطه الشيب اى خالطه وقيل المراد بتكلمه كهلا ان يكلم الناس بعد ان ينزل من السماء فى آخر الزمان بناء على انه رفع قبل ان اكتهل فيكون قوله تعالى وكهلا دليلا على نزوله وروى ان الله تعالى ارسله وهو ابن ثلاثين سنة فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه وينزل على هذا السن ثم يكهل (واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) اى اذكر نعمتى عليكما وقت تعليمى لك جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان بالذكر مع دخولهما فى الجنس اظهارا لشرفهما والمراد بالحكمة العلم والفهم لمعانى الكتب المنزلة واسرارها وقيل هى استكمال النفس بالعلم بها وبالعمل بمقتضاها

(واذ تخلق من الطين كهيئة الطير) اى تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير (باذنى) اى بتسهيلى وتيسيرى (فتنفخ فيها) اى فى الهيئة المصورة (فتكون) اى تلك الهيئة (طيرا باذنى) فالخلق حقيقة لله تعالى ظاهر على يده عليه السلام عند مباشرة الاسباب كما ان النفخ بمريم كان من جبريل والخلق من الله تعالى سألوا منه عليه السلام على وجه التعنت فقالوا له اخلق لنا خفاشا واجعل فيه روحا ان كنت صادقا فى مقالتك فاخذ طينا وجعل منه خفاشا ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض وانما طلبوا منه خلق خفاش لانه اعجب من سائر الخلق ومن عجائبه انه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور وله ضرع يخرج منه اللبن ولا يبصر فى ضوء النهار ولا فى ظلمة الليل وانما يرى فى ساعتين بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة قبل ان يسفر جدا ويضحك كما يضحك الانسان ويحيض كما تحيض المرأة فلما رأوا ذلك منه ضحكوا وقالوا هذا سحر (وتبرئ الاكمه والابرص باذنى) الاكمه الذى ولد اعمى والابرص هو الذى به برص اى بياض فى الجلد ولو كان بحيث اذا غرز بابرة لا يخرج منه الدم لا يقبل العلاج ولذا خصا بالذكر وكلاهما مما اعيى الاطباء (وفى المثنوى

صومعه عيسى است خوان اهل دل * هان هان اى مبتلا اين در مهل * جمع كشتندى زهر اطراف خلق * از ضرير وشل ولنك واهل دلق * او چو كشتى فارغ از اوراد خويش * چاشتكه بيرون شدى آن خوب كيش * پس دعا كردى وكفتى از خدا * حاجت ومقصود جمله شد روا * بى توقف جمله شادان در امان * زدعاى اوشدندى باروان * آزموديد تو بسى آفات خويش * يافتى صحت ازين شاهان كيش * چند آن لنكى بورهوار شد * چند جانت بى غم وآزار شد

(واذ تخرج الموتى باذنى) اى تحيى الموتى وتخرجهم من قبورهم احياء قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وجارية كما سبق تفصيله فى سورة ال عمران قال الكلبى كان عيسى عليه السلام يحيى الموتى بياحى وياقيوم وهو الاسم الاعظم عند العلماء المحققين (واذ كففت بنى اسرآئل عنك) اى منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك (اذ جئتهم بالبينات) بالمعجزات الواضحة ظرف لكففت (فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) اى ما هذا الذى جئت به الا سحر ظاهر ردا وانكارا فبقوا على مرض الكفر ولم يعالجوا بعلاج الايمان على يد الحكيم الالهى الحاذق حكى عن الشبلى انه اعتل فحمل الى البيمارستان وكتب على بن عيسى الوزير الى الخليفة فى ذلك فارسل الخليفة اليه مقدم الاطباء ليداويه فما انجحت مداواته قال الطبيب للشبلى والله لو علمت ان مداواتك فى قطعة لحم من جسدى ما عسر على ذلك قال الشبلى دوآئى فيما دون ذلك قال الطبيب وما هو قال بقطعك الزنار فقال الطبيب اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاخبر الخليفة بذلك فبكى وقال نفذنا طبيبا الى مريض وما علمنا انا نفذنا مريضا الى طبيب قال اليافعى هذا هو الطبيب الحاذق وحكمته من الحكمة التى بها العلل تزول وفيه اقول

اذا ما طبيب القلب اصبح جسمه * عليلا فمن ذا للطبيب طبيب
فقل هم اولوا علم لدنى وحكمة * الهية يشفى بذا القلوب

وكل مرشد كامل فهو عيسى وقته فان قلت ان اولياء الله هم الاطباء حقيقة ومن شأن الطبيب ان يعالج ويبرئ دون ان يهلك ويمرض فما شأن ابراهيم الخواص اشار باصبعيه الى عينى رجل فى برية اراد ان يسلب منه ثيابه فسقطتا قلت انما دعا ابراهيم على اللص بالعمى ودعا ابراهيم بن ادهم على الذى ضربه بالجنة لان الخواص شهد من اللص انه لا يتوب الا بعد العقوبة فرأى العقوبة اصلح له وابن ادهم لم يشهد توبة الظالم فى عقوبته فتفضل عليه بالدعاء فتوة منه وكرما فحصلت البركة والخير بدعائه للظالم فجاءه مستغفرا معتذرا فقال له ابراهيم الرأس الذى يحتاج الى الاعتذار تركته ببلخ وقد كان الانبياء يدعون مطلقا بحسب الاحوال والمصالح وكل ذلك باذن الله تعالى فهم فى دعائهم فانون عن انانيات وجودهم لا يصدر من لسانهم الا حق مطابق للواقع والحكمة والاولياء تلو لهم فى ذلك ولكن الناس لا يعلمون (وفى المثنوى) چون بياطن بنكرى دعوى بجاست * او ودعوى پيش ان سلطان فناست * مات زيد زيد اكر فاعل بود * ليك فاعل نيست او عاطل بود * او زروى لفظ نحوى فاعلست * ورنه او مفعول وموتش قاتلست (واذ اوحيت الى الحواريين) جمع حوارى يقال فلان حوارى فلان اى صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرآئرهم وكان بعضهم من الملوك وبعضهم من

صيادى السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين اى اذكر يا محمد وقت ان امرتهم على ألسنة رسلى او الهمت اياهم والقيت فى قلوبهم (ان) مفسرة لما فى الايحاء من معنى القول (آمنوا بى) اى بوحدانيتى فى الربوبية والالوهية (وبرسولى) اى وبرسالة رسولى ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا (قالوا) كانه قيل فماذا قالوا حين اوحى اليهم ذلك فقيل قالوا (آمنا واشهد باننا مسلمون) اى مخلصون فى ايماننا من اسلم وجهه لله اى اخلص (اذ قال الحواريون) منصوب باذكر (يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء) هذا السؤال كان فى ابتدآء امرهم قبل ان يستحكم معرفتهم بالله ولذلك اساؤا الادب مع عيسى عليه السلام حيث لم يقولوا يا رسول الله او يا روح الله وخاطبوه باسمه ونسبوه الى امه ولو وفقوا للادب لقالوا يا روح الله ونسبوه الى الله ثم رفضوا الادب مع الله وقالوا هل يستطيع ربك كالمتشكك فى استطاعته وكمال قدرته على ما يشاء كيف يشاء ثم اظهروا دناءة همتهم وخساسة نهمتهم اذ طلبوا بواسطة مثل عيسى من الله تعالى مائدة دنيوية فانية وما رغبوا فى فائدة دينية باقية ولو رغبوا فى الفائدة الدينية لنالوا المائدة الدنيوية ايضا قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب والمائدة الخوان الذى عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليها ونظيره قولهم شجرة مطعمة قال فى الشرعة وضع الطعام على الارض احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم على السفرة وهى على الارض والاكل على الخوان فعل الملوك اى آداب الجبابرة لئلا يتطأطؤا عند الاكل وعلى المنديل فعل العجم اى اهل فارس من المتكبرين وعلى السفرة فعل العرب وهى فى الاصل طعام يتخذه المسافر للسفر ثم سمى بها الجلد المستدير المحمول هو فيه (قال) كانه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال (اتقوا الله) اى من امثال هذا السؤال (ان كنتم مؤمنين) اى بكمال قدرته تعالى او بصحة نبوتى (قالوا نريد ان نأكل منها) تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال لا نريد بالسؤال ازالة شبهتنا فى قدرته تعالى على تنزيلها او فى صحة نبوتك حتى يقدح ذلك فى الايمان والتقوى بل نريد ان نأكل منها اى اكل تبرك نتشفى بسببها مرضانا ونتقوى بها اصحاؤنا ونستغنى بها فقرآؤنا وقيل مرادهم اكل احتياج لانهم قالوا ذلك فى زمن المجاعة والقحط (وتطمئن قلوبنا) لكمال قدرته تعالى بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال (ونعلم) علما يقينا (ان) مخففة اى انه (قد صدقتنا) فى دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل (ونكون عليها من الشاهدين) نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بنى اسرآئيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر (قال عيسى ابن مريم) لما رأى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها (اللهم) اى يا الله والميم عوض عن حرف الندآء وهى كلمة عظيمة من قالها فقد ذكر الله تعالى بجميع اسمائه وفى الميم سبعون اسما من اسمائه تعالى وقد اندرجت منها (ربنا) ناداه سبحانه مرتين اظهارا لغاية التضرع ومبالغة فى الاستدعاء (انزل علينا مائدة من السماء) متعلق بانزل (تكون لنا عيدا) صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها عيدا ولنا حال منه اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستفاد من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد عيدا (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روى انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا (وآية) كائنة (منك) دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى (وارزقنا) اى المائدة والشكر عليها (وانت خير الرازقين) تذييل جار مجرى التعليل اى خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض (قال الله انى منزلها عليكم) اجابة الى سؤالكم (فمن يكفر بعد) اى بعد تنزيلها (منكم) حال من فاعل يكفر (فانى اعذبه) بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة (عذابا) اسم مصدر بمعنى التعذيب اى تعذيبا (لا اعذبه) صفة لعذابا والضمير له اى اعذبه تعذيبا لا اعذب ذلك التعذيب اى مثل ذلك التعذيب (احدا من العالمين) اى من عالمى زمانهم او من العالمين جميعا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب مثل ذلك غيرهم روى ان عيسى عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره ثم دعا فنزلت سفرة حمرآء بين غمامتين وهم ينظرون حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى

من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل الذى عليها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوكة يسيل دسمها وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية فلبثت المائدة يوما واحدا فاكل من اكل منها ثم طارت ولم تنزل بعد ذلك اليوم وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا اى تنزل يوما ولا تنزل يوما يجتمع عليها الفقرآء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم يأكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتى فى الفقرآء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس بذلك اى تعاظم على الاغنياء والاصحاء حتى شكوا وشككوا الناس فى شأن المائدة ونزولها من السماء حقيقة فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون فى الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة فى الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم فلا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا وكذلك كل ممسوخ والاشارة ان الله تعالى سلخ صورة الانسانية عن حقائق صفات الحيوانية والبسهم الصور من حقائق صفاتهم فمسخوا خنازير ليعتبر الخلق ويتحقق لهم ان الناس يحشرون على صور صفاتهم يوم تبلى السرآئر يوم تبيض وجوه وتسود وجوه كما قال عليه السلام يموت الناس على ما عاشوا فيه ويحشرون على ما ماتوا عليه يعنى يحشرون على صورة صفاتهم التى ماتوا عليها (وفى المثنوى)

هر خيالى كو كند در دل وطن * روز محشر صورتى خواهد بدن * وانكه حشر حاسدان روز كزند *
بى كمان برصورت كركان كنند * حشر برحرص وخس ومردارخوار * صورت خوكى بود روز شمار
زانيانرا كنده اندام نهان * خمرخوارانرا همه كنده دهان * سيرتى كاندر وجودت غالبست *
هم بران تصوير حشرت واجبست *

قال القاضى فى تفسيره وعن بعض الصوفية المائدة عبارة عن حقائق المعارف فانها غذآء الروح كما ان الاطعمة غذآء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها وقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والجواب فيها فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يتحمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا انتهى كلام القاضى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره ان قوم عيسى عليه السلام عصوا مرة فرفعت المائدة وانا نعصى فى كل وقت مع ان نعم الله تعالى مترادفة وذلك لان المائدة التى نزلت عليهم من مرتبة الصفة والنعم الفائضة علينا من مرتبة الذات وما هو من الذات لا يتغير ولا يتبدل وانما التغير فى الصفة وقد بقى هنا شئ وهو ان الاعياد اربعة لاربعة اقوام احدها عيد قوم ابراهيم كسر الاصنام حين خرج قومه الى عيدلهم والعيد الثانى عيد قوم موسى واليه الاشارة بقوله تعالى فى سورة طه قال موعدكم يوم الزينة والعيد الثالث عيد قوم عيسى واليه الاشارة بقوله تعالى ربنا انزل علينا مائدة الآية والعيد الرابع عيد امة محمد عليه السلام وهو ثلاثة عيد يتكرر كل اسبوع وعيدان يأتيان فى كل عام مرة من غير تكرر فى السنة فاما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الاسبوع وهو مرتب على اكمال الصلوات المكتوبات لان الله فرض على المؤمنين فى اليوم والليلة خمس صلوات وان الدنيا تدور على سبعة ايام فكلما كمل دور اسبوع من ايام الدنيا واستكمل المسلمون صلواتهم شرع لهم فى يوم استكمالهم يوم الجمعة وهو اليوم الذى كمل فيه الخلق وفيه خلق آدم وادخل الجنة واخرج منها وفيه ينتهى امر الدنيا فتزول وتقوم الساعة فيه وفيه الاجتماع على سماع الذكر والموعظة وصلاة الجمعة وجعل ذلك لهم عيدا ولذلك نهى عن افراده بالصوم وفى شهود الجمعة شبه من الحج ويروى انها حج المساكين وقال سعيد بن المسيب شهود الجمعة احب الى من حجة نافلة والتكبير فيها يقوم مقام الهدى على

قدر السبق وشهود الجمعة يوجب تكفير الذنوب الى الجمعة الاخرى اذا سلم ما بين الجمعتين من الكبائر كما ان الحج المبرور يكفر ذنوب تلك السنة الى الحجة الاخرى وقد روى اذا سلمت الجمعة سلمت الايام واما العيدان اللذان يتكرران فى كل عام انما يأتى كل واحد منهما مرة واحدة فاحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مرتب على اكمال الصيام وهو الركن الثالث من اركان الاسلام ومبانيه فاذا استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم استوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب وآخره عتق من النار والعيد الثانى عيد النحر وهو اكبر العيدين وافضلهما وهو مترتب على اكمال الحج وهو الركن الرابع من اركان الاسلام ومبانيه فاذا كمل المسلمون حجتهم غفر لهم وانما يكمل الحج يوم عرفة والوقوف بعرفة فانه ركن الحج الاعظم وروى انس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال قد ابدلكم الله بهما خيرا منهما الفطر والاضحى واجتمعت الامة على هذا من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا بلا نكير منكر فهذه اعياد الدنيا تذكر اعياد الاخرة وقد قيل كل يوم كان للمسلمين عيدا فى الدنيا فهو عيد لهم فى الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه فيوم الجمعة فى الجنة يدعى يوم المزيد ويوم الفطر والاضحى يجتمع اهل الجمعة فيهما للزيارة هذا لعموم اهل الجنة واما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا والخواص كانت ايام الدنيا كلها لهم اعيادا فصارت ايامهم فى الآخرة كلها اعيادا واما اخص الخواص فكل نفس عيد لهم قال فى التأويلات النجمية ربنا انزل علينا مائدة من السماء اى مائدة الاسرار والحقائق التى تنزلها من سماء العناية عليها اطعمة الهداية تكون لنا يعنى لاهل الحق وارباب الصدق عيدا نفرح بها لاولنا وآخرنا اى لاول انفاسنا وآخرها فان ارباب الحقيقة يراقبون الانفاس اولها وآخرها التصعد مع الله وتهوى مع الله ففى صعود النفس مع الله يكون عيد اله وفى هويه مع الله يكون عيدا له كما قال بالفارسية صوفيان درهمى دو عيد كنند (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم) اى اذكر يا محمد للناس وقت قول الله تعالى لعيسى عليه السلام فى الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السلام على رؤس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته تعالى (ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين) مفعول ثان للاتخاذ (من دون الله) حال من فاعل اتخذونى كانه قيل صيرونى وامى الهين اى معبودين متجاوزين عن الوهية الله تعالى ومعبوديته والمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه كما فى قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الا ان احدا منهم لم يذهب الى القول بآلهية عيسى ومريم مع القول بنفى آلهية الله تعالى ولما لم يكن المقصود انكار نفس القول بل قصد توبيخ من قال به ولى حرف الاستفهام المبتدأ ولم يقل كذا لانه يفيد انكار نفس القول قال المولى ابو السعود رحمه الله ليس مدار اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال الفاشى وعليه قوله تعالى ءانت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين انه بامره عليه السلام او من تلقاء انفسهم كما فى قوله تعالى ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل انتهى قال فى التأويلات النجمية الاثبات بعد الاستفهام نفى كما ان النفى بعد الاستفهام اثبات كقوله الست بربكم اى انا ربكم ونظير النفى فى الاثبات قوله تعالى ءاله مع الله اى ليس مع الله آله فمعناه ما قلت انت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ولكنهم بجهلهم قد بالغوا فى تعظيمك حتى اطروك وجاوزوا حدك فى المدح ولهذا قال النبى عليه السلام لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم انتهى فان قيل ما وجه هذا السؤال مع علمه تعالى مع ان عيسى عليه السلام لم يقله قيل ذلك لتوبيخ قومه وتعظيم امر هذه المقالة قال ابو روق اذا سمع عيسى هذا الخطاب ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة من جسده عين من دم وهذا الخطاب وان كان ظاهره مع عيسى ولكن كان حقيقة مع الامة لان سنة الله ان لا يكلم الكفار يوم القيامة ولا ينظر اليهم (قال) كانه قيل فماذا يقول عيسى حينئذ فقيل يقول (سبحانك) علم للتسبيح اى انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال فى حقك ذلك (ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق) اى ما يستقيم وما ينبغى لى ان اقول قولا لا يحق لى ان اقوله (ان كنت قلته) اى هذا القول (فقد علمته) لانى لا اقدر على هذا القول الا بان توجده فى وتكونه بقولك كن فصدوره عنى مستلزم لعلمك به قطعا فحيث انتفى العلم انتفى الصدور حتما ضرورة ان عدم

اللازم مستلزم لعدم الملزوم (تعلم ما فى نفسى) اى ما اخفيه فى نفسى كما تعلم ما اعلنه (ولا اعلم ما فى نفسك) اى ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك فعبر عما يخفيه الله من معلوماته بقوله ما فى نفسك للمشاكلة لوقوعه فى صحبة قوله تعلم ما فى نفسى فان معلومات الانسان مختفية فى نفسه بمعنى كون صورها مرتسمة فيها بخلاف معلومات الله تعالى فان علمه تعالى حضورى لا تنقطع صورة شئ منها فى ذاته فلا يصح ان يحمل النفس على معنى المبادر (انك انت علام الغيوب) ما كان وما يكون (ما قلت لهم الا ما امرتنى به) تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه اى ما امرتهم الا ما امرتنى به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد فى الاستفهام (ان اعبدوا الله ربى وربكم) تفسير للضمير فى به وفى امرت معنى القول وليس تفسيرا لما فى قوله ما امرتنى لانه مفعول لصريح القول والتقدير الا ما امرتنى به بلفظ هو قولك ان اعبدوا الله ربى وربكم (وكنت عليهم شهيدا) رقيبا اراعى احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة اومشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان (ما دمت فيهم) اى مدة دوامى فيما بينهم (فلما توفيتنى) اى قبضتنى اليك من بينهم ورفعتنى الى السماء (كنت انت الرقيب عليهم) اى انت لا غيرك كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب لها فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الآيات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا (وانت على كل شئ شهيد) مطلع عليه مراقب له فعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة (ان تعذبهم فانهم عبادك) اى فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا التعذيب حيث عبدوا غيره تعالى (وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) اى فلا عجز ولا استقباح فانك القادر والقوى على الثواب والعقاب الذى لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل فان قلت مغفرة المشرك قطعية الانتفاء بحسب الوجود وتعذيبه قطعى الوجود فما معنى ان المستعمل فيما كان كل واحد من جانبى وجوده وعدمه جائزا محتمل الوقوع قلت كون غفران المشرك قطعى الانتفاء بحسب الوجود لا ينافى كونه جائز الوجود بحسب العقل فصح استعمال كلمة ان فيهما لانه يكفى فى صحة استعمالها مجرد الامكان الذاتى والجواز العقلى وقيل الترديد بالنسبة الى فرقتين والمعنى ان تعذبهم اى من كفر منهم وان تغفر لهم اى من آمن منهم روى انه لما نزلت هذه الآية احيى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ليلته وكان بها يقوم وبها يقعد وبها يسجد ثم قال امتى امتى يا رب فبكى فنزل جبرائيل عليه السلام فقال الله يقرئك السلام ويقول لك انا سنرضيك فى امتك ولا نسوءك (قال الله) اى يقول الله تعالى يوم القيامة عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه فى ضمن بيان حال الصادقين الذين هو فى زمرتهم (هذا) اى يوم القيامة وهو مبتدأ وخبره ما بعده (يوم ينفع الصادقين صدقهم) والمراد الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف فالجانى المعترف يوم القيامة بجنايته لا ينفعه اعترافه وصدقه وكذا الجانى المعترف فى الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه فانه ليس المراد كل من صدق فى اى شئ كان بل فى الامور الدينية التى معظمها التوحيد الذى نحن بصدده والشرائع والاحكام المتعلقة به والصادقون الرسل الناطقون بالصدق الداعون الى ذلك والامم المصدقون لهم المعتقدون بهم عقدا وعملا (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) كأنه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وهو الفوز الكبير قوله ابدا اى الى الابد تأكيد للخلود يعنى بالفارسية زمان بودايشان نهايت ندارد (رضى الله عنهم) بالطاعة (ورضوا عنه) بنيل الكرامة والرضوان فيض زائد على الجنات لا غاية وراءه ولذلك قال تعالى (ذلك) اى نيل الرضوان (هو الفوز العظيم) اى النجاة الوافرة وحقيقة الفوز نيل المراد وانما عظم الفوز لعظم شان المطلوب الذى تعلق به الفوز وهو الرضى الذى لا مطلب وراءه اصلا (لله ملك السموات والارض وما فيهن) تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا فى حق المسيح وامه اى له تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واماتة واحياء وامرا ونهيا من غير ان يكون لشئ من الاشياء مدخل فى ذلك (وهو على كل شئ قدير) بالغ فى القدرة منزه عن العجز والضعف ومقدس تبارك وتعالى وتقدس * نيست خالقش رادر كس مالكى شركتش دعوى كند چون هالكى * واحد اندر ملك اورايار نى * بندكانش راجز اوسالار نى * واعلم ان الآية نطقت بنفع

الصدق يوم القيامة فلا ينفع الكذب والرياء بوجه من الوجوه اصلا * دلا دلالت خيرت كنم براه نجات * مكن بفسق مباهات وزهد هم مفروش * فعلى العاقل ان يجتهد فى طريق الصدق فان الصدق بعد الايمان يجر الى الاحسان وقبل الايمان الى الايمان كما حكى عن ابراهيم الخواص قدس سره انه كان اذا اراد سفرا لم يعلم احدا ولم يذكره وانما يأخذ ركوته ويمشى قال حامد الاسود فبينما نحن معه فى مسجد اذ تناول ركوته ومشى فاتبعته فلما وافينا القادسية قال لى يا حامد الى اين قلت يا سيدى خرجت بخروجك قال انا اريد مكة ان شاء الله تعالى قلت انا اريد مكة ان شاء الله تعالى فلما كان بعد ايام اذا بشاب قد انضم الينا فمشى يوما وليلة معنا لا يسجد لله تعالى سجدة فتقربت من ابراهيم وقلت ان هذا الغلام لا يصلى فجلس وقال يا غلام ما لك لا تصلى والصلاة اوجب عليك من الحج فقال يا شيخ ما على صلاة قلت ألست بمسلم قال لا قلت فاى شئ انت قال نصرانى ولكن اشارتى فى النصرانية الى التوكل وادعت نفسى انها احكمت حال التوكل فلم اصدقها فيما ادعت حتى اخرجتها الى هذه الفلاة التى ليس فيها موجود غير المعبود اثير ساكنى وامتحن خاطرى فقام ابراهيم ومشى وقال دعه يكون معك فلم يزل سائرا معنا حتى وافينا بطن مر فقام ابراهيم ونزع خلقانه فطهرها بالماء ثم جلس وقال له ما اسمك قال عبد المسيح فقال يا عبد المسيح هذا دهليز مكة يعنى الحرم وقد حرم الله على امثالك الدخول اليه قال الله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والذى اردت ان تكشف من نفسك قد بان لك فاحذر ان تدخل مكة فان رأيناك بمكة انكرنا عليك قال حامد فتركناه ودخلنا مكة وخرجنا الى الموقف فبينما نحن جلوس بعرفات اذا به قد اقبل عليه ثوبان وهو محرم يتصفح وجوه الناس حتى وقف علينا فاكب على ابراهيم فقبل رأسه فقال له ما وراءك يا عبد المسيح فقال له هيهات انا اليوم عبد من المسيح عبده فقال له ابراهيم حدثنى حديثك قال جلست مكانى حتى اقبلت قافلة الحجاج فقمت وتنكرت فى زى المسلمين كأنى محرم فساعة وقعت عينى على الكعبة اضمحل عندى كل دين سوى دين الاسلام فاسلمت فاغتسلت واحرمت وها انا اطلبك يومى فالتفت الى ابراهيم وقال يا حامد انظر الى بركة الصدق فى النصرانية كيف هداه الى الاسلام ثم صحبناه حتى مات بين الفقراء رحمه الله سبحانه وتعالى

سلام على السادات من كل صادق * سلام على ذى الوجد من كل عاشق

سلام على ذى الصحو من سكر غفلة * سلام على الناجين من كل كلفة

سلام على من مات من قبل موته * سلام على من فات من قبل فوته

اللهم اجعلنا من الناجين فانا من زمرة المحتاجين آمين يا معين

تمت سورة المائده مع ما فيها من الفائده والحمد لله على نعمه المتوافره والصلاة على رسوله وآله صلاة متكاثره وذلك فى اليوم الثالث من شهر الله المحرم المنتظم فى سلك سنة الف ومائة ويتلوها سورة الانعام وهى مكية وآيها مائة وخمس وستون وقيل ست آيات او ثلاث من قوله قل تعالوا مدنية ومن الله ارجوا تمامه بفضله وكرمه وهو قاضى الحاجات

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانعام نزلت بمكة جملة واحدة ليلا معها سبعون الف ملك قد سدوا ما بين الخافقين ولهم زجل اى صوت بالتسبيح والتحميد والتمجيد حتى كادت الارض ترتج فقال النبى صلى الله عليه وسلم سبحان ربى العظيم سبحان ربى العظيم وخر ساجدا وروى عنه مرفوعا من قرأ سورة الانعام يصلى عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره ثم دعا عليه السلام بالكتاب وامر بكتابتها من ليلته تلك وروى عنه عليه السلام مرفوعا من قرأ ثلاث آيات من اول سورة الانعام الى قوله تكسبون حين يصبح وكل الله به سبعين الف ملك يحفظونه وكتب له مثل اعمالهم الى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد كلما اراد الشيطان ان يلقى فى قلبه شيأ من الشر ضربه بها وجعل بينه وبين الشيطان سبعين الف حجاب فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى يا ابن آدم امش تحت ظلى وكل من ثمار جنتى واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فانت عبدى وانا ربك لا حساب عليك ولا عذاب كذا رواه الامام الواحدى فى الوسيط (الحمد لله) الالف واللام فى الحمد لاستغراق الجنس واللام فى لله للاختصاص لانه تعالى قال بربهم يعدلون ودفع تسويتهم بربهم مما جعل مقصودا بالذات

وفى التأويلات النجمية اللام لام التمليك يعنى كل حمد يحمده اهل السموات والارض فى الدنيا والاخرة ملك له
وهو الذى اعطاهم استعداد الحمد ليحمدوه باثار قدرته على قدر استعدادهم واستطاعتهم لكن حمد الخلق له مخلوق
فان وحمده لنفسه قديم باق فان قيل اليس شكر المنعم واجبا مثل شكر الاستاذ على تعليمه وشكر السلطان على
عدله وشكر المحسن على احسانه قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله فالجواب ان الحمد والتعظيم
المتعلق بالعبد المنعم نظرا الى وصول النعمة من قبله وهو فى الحقيقة راجع اليه تعالى لانه تعالى لو لم يخلق نفس
تلك النعمة ولو لم يحدث داعية الاحسان فى قلب العبد المحسن لما قدر ذلك العبد على الاحسان والانعام فلا
محسن فى الحقيقة الا الله ولا مستحق للحمد الا هو تعالى وفى تعليق الحمد باسم الذات المستجمع لجميع الصفات
اشارة الى انه المستحق له بذاته سواء حمده حامد او لم يحمده قال البغوى حمد الله نفسه تعليما للعباده اى احمدوه
(وفى المثنوى) چونكه آن خلاق شكر وحمد جوست * آدمى را مدح جويى نيز خوست * خاصه مرد حق
كه در فضلست جست * پر شود زان باد چون خيك درست * در نباشد اهل زان باد دروغ * خيك
بدريست كى باشد فروغ (الذى خلق السموات) بما فيها من الشمس والقمر والنجوم (والارض) بما فيها من
البر والبحر والسهل والجبل والنبات والشجر خلق السموات وما فيها فى يومين يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق
الارض وما فيها فى يومين يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وفى تعليق الحمد بالخلق تنبيه على استحقاقه تعالى باعتبار
افعاله وآلائه ايضا وتخصيص خلق السموات والارض بالذكر لانهما اعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما
العبرة والمنافع لهم وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار
والحركات قالوا ما بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام السماء الدنيا موج مكفوف اى متصادم بعضه على
بعض يمنع بعضه بعضا اى ممنوع من السيلان والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديدة والرابعة نحاس
او صفر والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء واما الارض فهى تراب لا غير والاكثرون
على تفضيل الارض على السماء لان الانبياء خلقوا من الارض وعبدوا فيها ودفنوا فيها وان الارض دار الخلافة
ومزرعة الآخرة وافضل البقاع على وجه الارض البقعة التى ضمت جسم الحبيب صلى الله عليه وسلم
فى المدينة المنورة لان الجزء الاصلى من التراب محل قبره صلى الله عليه وسلم ثم بقعة الحرم المكى ثم بيت المقدس
والشام منه ثم الكوفة وهى حرم رابع وبغداد منه (وجعل الظلمات والنور) الجعل هو الانشاء والابداء كالخلق
خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما فى الآية الكريمة وللتشريعى
ايضا كما فى قوله ما جعل الله من بحيرة الاية اى ما شرع وما سن وجمع الظلمات لكثرة اسبابها فان سببها تخلل الجرم
الكثيف بين النير والمحل المظلم وذلك التخلل يتكثر بتكثر الاجرام المتخللة بخلاف النور فان سببه ليس الا النار
حتى ان الكواكب منيرة بنارية فيها فهى اجرام نارية وان الشهب منفصلة من نار الكوكب قال الحدادى وانما
جمع الظلمات ووحد النور لان النور يتعدى والظلمة لا تتعدى روى ان هذه الآية نزلت تكذيبا للمجوس
فى قولهم الله خالق النور والشيطان خالق الظلمات وفى التيسير انه رد على الثنوية فى اضافتهم خلق النور الى
يزدان وخلق الظلمات الى اهرمن وعلى ذلك خلق كل خير وشر (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) عطف على الجملة
السابقة وثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية ببطلانه والباء متعلقة بيعدلون
وقدم المعمول على العامل للاهتمام وتحقيق الاستبعاد ويعدلون من العدل وهو التسوية يقال عدلت هذا بهذا
اذا ساويته والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة به
الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اى يسوون به غيره
فى العبادة التى هى اقصى غايات الشكر الذى رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشئ من
مبادى الحمد والاشارة ان الله تعالى خلق سموات القلوب وارض النفوس وجعل الظلمات فى النفوس وهى
صفاتها البهيمية والحيوانية واخلاقها السبعية والشيطانية والنور فى القلوب وهو صفاتها الملكية واخلاقها
الروحانية الباقية فمن غلب عليه النور وهو صفة الملكية الروحانية يميل الى عبودية الحق تعالى ويقبل دعوة
الانبياء ويؤمن بالله ورسوله ويتحلى بحلية الشريعة فالله تعالى يكون وليه فيخرجه من ظلمات الصفات الخلقية
الحيوانية الى الصفات الملكية كقوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ومن غلب

عليه

عليه الظلمات البشرية الحيوانية واتبع طاغوت الهوى واستلذ بشهوات الدنيا فالطاغوت يكون وليه
فيخرجه من نور الصفات الروحانية الى ظلمات الصفات الحيوانية كقوله تعالى والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات فهذا معنى قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون يعنى بعد ان خلق سموات
القلوب وارض النفوس وجعل فيهن الظلمات النفسانية والنور الروحانى مال نفوس الكفار بغلبات صفاتها الى
طاغوت الهوى فعبدوه وجعلوه عديلا لربهم كذا فى التأويلات النجمية حكى انه جاء جماعة من فقهاء اليمن الى
الشيخ العارف بالله ابى الغيث ابن جميل قدس سره يمتحنونه فى شئ فلما دنوا منه قال مرحبا بعبيد عبدى
فاستعظموا ذلك فلحقوا شيخ الطريقين وامام الفريقين ابا الذبيح اسمعيل بن محمد الحضرمى قدس سره فاخبروه بما
قاله الشيخ ابو الغيث المذكور لهم فضحك وقال صدق الشيخ انتم عبيد الهوى والهوى عبده * غلام
همت آنم كه زير چرخ كبود * زهرچه رنك تعلق پذيرد آزادست (هو) اى الله تعالى (الذى خلقكم)
اى ابتدأ خلقكم ايها الناس (من طين) اى تراب مخلوط بالماء فانه المادة الاولى للكل لما انه منشأ لادم
الذى هو اصل البشر قال السدى بعث الله جبريل الى الارض ليأتيه بطائفة منها فقالت الارض انى اعوذ
بالله منك ان تنقص منى فرجع جبرائيل ولم يأخذ شيأ * معدن شرم وحيا بد جبرائيل * بست آن سوكندها
بروى سبيل * قال يا رب انها عاذت بك فبعث ميكائيل فاستعاذت كالمرة الاولى فرجع * خاك لرزيد
ودر آمد در كريز * كشت اولابه كنان واشك ريز * رفت ميكائيل سوى رب دين * خالى از مقصود دست
وآستين * كفت اسرافيل را يزدان ما * كه برو زان خاك پر كن كف بيا * آمد اسرافيل هم سوى زمين
* باز آغازيد خاكستان حنين * زود اسرافيل باز آمد بشاه * كفت عذر ما جرا نزد آله * فبعث
ملك الموت فعاذت منه بالله فقال وانا اعوذ بالله ان اخالف امره فاخذ من وجه الارض فخلط الحمراء
والسوداء والبيضاء فلذلك اختلف الوان ابن آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلف اخلاقهم
فقال الله تعالى لملك الموت رحم جبرائيل وميكائيل الارض ولم ترحمها لا جرم اجعل ارواح من اخلق من هذا
الطين بيدك * كفت يزدان بعلم روشنم * كه ترا جلاد اين خلقان كنم * وروى عن ابى هريرة خلق الله آدم
من تراب وجعله طينا ثم تركه حتى كان حمأ مسنونا اى اسود متغيرا منتنا ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلصالا
كالفخار اى يابسا مصوتا كالمطبوخ بالنار ثم نفخ فيه من روحه وانما خلق من تراب لان مقام التراب مقام
التواضع والمسكنة ومقام التواضع الرفعة والثبات ولذا ورد من تواضع رفعه الله وكان دعاؤه صلى الله
عليه وسلم احينى مسكينا وامتنى مسكينا وهو الحكمة فى تعذيب الانسان بالنار لا بالماء لان الظرف المعمول
من التراب اذا تنجس ببول او قذر آخر لا يطهر بالماء فالانسان المتنجس بنجاسة المعاصى لا يطهر الا بالنار وهو
الحكمة ايضا فى التيمم عند عدم الماء ويقبر كل جسد فى الموضع الذى اخذت منه طينته التى خمرت فى اول نشأة
ابناء آدم عليه السلام قال الامام مالك لا اعرف اكبر فضل لابى بكر وعمر رضى الله عنهما من انهما خلقا من
طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقرب قبرهما من حضرة الروضة المقدسة المفضلة على الاكوان باسرها
زادها الله تشريفا وتعظيما ومهابة (ثم قضى) اى كتب لموت كل واحد منكم (اجلا) خاصا به اى حدا معينا
من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم (واجل مسمى) اى
حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ خبره قوله (عنده) اى مثبت معين فى علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله
احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد
فى اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هى باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم فى القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة
كما ان مدار التسمية فى الاجل الاول هو كونه آخر مدة الحياة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل فى اللغة عبارة
عن آخر المدة لا عن اولها قال حكماء الاسلام ان لكل انسان اجلين احدهما الاجال الطبيعية والثانى الاجال
الاخترامية اما الاجال الطبيعية فهو الذى لو بقى الشخص على طبيعته ومزاجه ولم يعترضه العوارض
الخارجية والآفات المهلكة لانتهت مدة بقائه الى ان تتحلل رطوبته وتنطفئ حرارته الغريزيتان واما الاجال
الاخترامية فهى التى تحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالحرق والغرق ولدغ الحشرات وغيرها من الامور
المنفصلة قال بعض الافاضل الاجل هو الوقت المضروب لطريان الزوال على كل ذى روح ولا يطرأ عليه الا عند

حلول ذلك الوقت لا يتأخر عنه ولا يسبقه كما يدل عليه قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون فان قلت قوله تعالى واتقوا الله واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى صريح فى الدلالة على التسبق على المسمى قلت تعدد الاجل انما هو بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالى فهو واحد قطعا تحقيقه انه تعالى عالم فى الازل كل الموجودات ومقدرلها حسبما شمله علمه فهو يقول فى الازل مثلا ان فلانا ان اتقى واطاع يبلغ الى اجله المسمى والمراد بالاجل ههنا الاجل الثانى الاطول وتوصيفه بالمسمية ليس للتخصيص لان الاجل المسمى على كل حال وان لم يتق ولم يطع لم يبلغ هذه المرتبة لكن يعلم انه يفعل احد الفعلين معينا فيقدر له الاجل المعين فيكون المقدر فى علم الله الاجل المعين وانا لعدم اطلاعنا فى علم الله تعالى لم نعلم ان ذلك الفلان اى الفعلين فعل واينا الاجلين قضى له فاذا فعل احدهما المعين وحل الاجل المرتب عليه علمنا ان ذلك هو المقدر المسمى فالتردد بالنسبة الينا لا فى التقدير والا يلزم ان لا يكون علم الله تعالى بما فعل العبد قبل الوقوع وعلى هذا قول الله للكافر اسلم تدخل الجنة ولا تكفر تدخل النار مع علمه وتقديره عدم اسلامه فى الازل والامر والنهى لاظهار الاطاعة او المخالفة فى الظاهر كمن يريد اظهار عدم اطاعة عبده له للحاضرين فيأمره بشئ وهو يعلم انه لا يفعله والعلم بعدم الاطاعة للحاضرين المترددين انما يحصل بامره وكذا صورة الطاعة وجميع المقدرات الالهية من افعال العباد الاختيارية من هذا القبيل فظهر ان التردد بالنسبة الينا دون علم الله الا ان يطلعنا عليه باخباره الواقع فى علمه كما اطلع نبيه عليه السلام على بعض ما وقع من حال الكفار فى زمانه بقوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله ختم الله على قلوبهم وقوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون فهذا الاخبار بما فى علمه من انهم لا يختارون الايمان هذا غاية ما يقال فى هذا المقام والعلم عند الله الملك العلام (ثم انتم تمترون) استبعاد لامترائهم فى البعث بعد ما تبين انه تعالى خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا والمرية هى الشك المجتلب بالشبهة اصلها من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لتدر لبنها للحلب والمرى استخراج اللبن من الضرع قال ابو السعود وصفهم بالامتراء الذى هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور فى اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار واعلم ان الانسان وقت كونه نطفة ينكر صيرورته بشرا سويا فى الزمان الآتى وعند تصوره بصورة البشر يلزمه الحجة فانكاره الحشر انكار عين ما كان فيه * پس مثال تو چو آن حلقه زن نيست * كز درونش خواجه كويد خواجه نيست * حلقه زن زين نيست دريابد كه هست * پس ز حلقه برندارد هيچ دست * پس هم انكارت مبين ميكند * كز جماد او حشر صد فن ميكند والاشارة ان الله تعالى قضى للروح من حكمته اجلا لايام فراقه عن الحضرة وبعده عن وطنه الحقيقى واجل مسمى عنده وهو اجل الوصلة بعد الفرقة فى مقام العندية كقوله فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فلاجل الفرقة مدى ومنتهى ولاجل الوصلة لا مدى ولا منتهى وانما قال مسمى لان وقت الوصلة مسمى عنده وهو حين يجذبه اليه بجذبة ارجعى الى ربك ولايام الوصلة ابتداء وهو حين تطلع شمس التوحيد من مشرق القلوب الى ان تبلغ حد استواء الوحدة ثم تتسرمد فلا غروب لها ثم انتم تمترون يا اهل الوصلة كما يمترى اهل الفرقة هذا محال جدا فعلى العاقل الاجتهاد قبل حلول الاجل والتهيؤ للوصول بحسن التوجه والعمل قال بعض المشايخ من ضيع حكم وقته فهو جاهل ومن قصر فيه فهو غافل وفى الحديث ان لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنان كانوا اعقل الناس كان همهم المسابقة الى ربهم عز وجل والمسارعة الى ما يرضيه زهدوا فى الدنيا وفى فضولها وفى رياستها ونعيمها فهانت عليهم فصبروا قليلا واستراحوا طويلا وروى ان السرى السقطى قدس سره دخل عليه ابو القاسم الجنيد قدس سره وهو يبكى فقال له ما يبكيك قال جاءتنى البارحة الصبية فقالت يا ابت هذه ليلة حارة وهذا الكوز تعلقه ههنا قال السرى فحملتنى عيناى فنمت فرأيت جارية من احسن الخلق قد نزلت من السماء فقلت لمن انت قالت لمن لا يشرب الماء المبرد فى الكيزان فتناولت الكوز وضربت به الارض قال الجنيد فرأيت الخزف المكسور ولم يرفعه حتى عفا عليه التراب يا هذا انظر الى تركهم النعيم لم يرضوا على انفسهم ان يشربوا ماء باردا وأيا كلوا طعاما لذيذا فحين راقبوا الاوقات عوضهم الله حالات خارجة عن حسابات

الساعات فلا انتهاء لاذواقهم اصلا (وهو) اى الله تعالى مبتدأ خبره قوله (الله) باعتبار المعنى الوصفى اى المعبود ولذا تعلق به قوله (فى السموات وفى الارض) والمعنى وهو المعبود والمستحق للعبادة فيهما ولا يلزم من كونه تعالى معبودا فيهما كونه متحيزا فيهما فانه منزه عن الزمان والمكان يروى ان امام الحرمين استاذ الامام الغزالى نزل ببعض الاكابر ضيفا فاجتمع عنده العلماء والاكابر فقام واحد من اهل المجلس فقال ما الدليل على تنزهه عن المكان وهو قال الرحمن على العرش استوى فقال الدليل عليه قول يونس فى بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فتعجب منه الناظرون فالتمس صاحب الضيافة بيانه فقال الامام ان ههنا فقيرا مديونا بالف درهم اد عنه دينه حتى ابينه فقبل صاحب الضيافة دينه فقال ان رسول الله لما ذهب فى المعراج الى ما شاء الله من العلى قال هنالك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولما ابتلى يونس عليه السلام بالظلمات فى قعر البحر ببطن الحوت قال لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فكل منهما خاطبه بقوله انت وهو خطاب الحضور ولو كان هو فى مكان لما صح ذلك فدل ذلك على انه ليس فى مكان (يعلم سركم وجهركم) خبر ثان اى ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال (ويعلم ما تكسبون) اى ما تفعلون لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا وعلانية فيجازيكم على كل ذلك ان خيرا فخير وان شرا فشر وفى التأويلات النجمية وهو الله فى سموات الوجود وفى ارض النفوس يعلم سركم الذى اودع فيكم وهو سر الخلافة الذى اختص به الانسان لقبول الفيض الالهى وجهركم اى ما هو ظاهر منكم من الصفات الحيوانية والاحوال النفسانية ويعلم ما تكسبون باستعمال الاستعداد السرى والجهرى فى المأمورات والمنهيات من الخير والشر وقد خص الانسان بهذا الكسب ايضا من الملك والحيوان فان الملك لا يقدر ان يكتسب من الصفات الحيوانية شيأ ولا الحيوان قادر على ان يكتسب من الصفات الملكية شيأ والانسان متصرف فى هاتين الصفتين وله اكتساب التخلق باخلاق الله بالتقرب الى الله باداء ما افترض عليه والتزام النوافل واجتناب النواهى الى ان يصير من خير البرية وله ايضا ان يكتسب من الشر ما يصير به شر البرية انتهى قال حسين الواعظ الكاشفى فى تفسيره الفارسى در نقد النصوص فرموده كه انسان مرآتيست ذات وجهين در يك رويش خصائص ربوبيت ودر روى ديكر نقايص عبوديت چون خصايص نكرى از همه موجودات بزركوارتر وچون نقايص عبوديت شمارى از همه رنجورتر وبيقدارتر چون در خود از اوصاف تو يابم اثرى * حاشا كه بود نكوتر از من دكرى * وآندم كه فتد بحال خويشم نظرى * در هر دو جهان نباشد از من بترى * پس حق سبحانه وتعالى مى فرمايد كه من اسرار خصائص شما در رتبه غيب ميدانم وآثار نقايص شما در عالم شهادت مى شناسم وديكر ميدانم آنچه شما ميكنيد از عملى كه سبب ترقى باشد بر درجات انسانيه يا موجب تنزل بدركات حيوانيه ودانستن اين داناى سالك را بران دارد كه باصلاح وتزكيهٔ اعمال مشغول شده از حيز استيفاء حظوظ حيوانى بر ذروهٔ استئناس بانعيم روحانى متصاعد كردد حيف باشد كه عمر انسانى * چون بهايم بخواب وخور كذرد * آدمى ميتواند از كوشش * كه مقام فرشته در كذرد انتهى * قال شيخنا العلامة ابقاه الله بالسلامة عند تأويل الحديث القدسى سر الانسان سرى وسرى سره يعنى سره ظاهر سرى وصورة سرى وسرى باطن سره وحقيقة سره ثم قال واعلم ان سر الانسان عبارة عن الحقيقة الانسانية الظاهرة على صورة الحقيقة الالهية كما قال عليه السلام خلق الله آدم على صورته ولما نزلت تلك الحقيقة الانسانية من مرتبة الغيب الى منزلة الشهادة وتجلى لها الحق سبحانه بجماله وجلاله اودع فى جانبها الشرقى نور جماله وجانبها الغربى ظلمة جلاله واقام فى الاول ملكا يهدى الى الحق وفى الثانى شيطانا يدعو الى الباطل والملك سادن قبضة الجمال ويد اللطف والشيطان خادم قبضة الجلال ويد القهر واذا اراد الحق ان يصرف تلك الحقيقة الانسانية الى الحق يأمر الملك ان يلهمها اياه فتراه بالنور الالهى الجمالى الذى فاض من تجلى الجمال فتتبعه وتقبله وتكون روحا ما دام وتكون على الحق ثابتة وتصير قالبها الذى هو لوحه فى اثبات الحق قلبا ترتعى فى روضته ويتجلى لها الحق سبحانه بالتجليات الجمالية والالطاف الخالصة المورثة طمأنينتها وسكينتها وتكون على الاستسلام والطاعة والصبر والرضى وغير ذلك من الاخلاق الحميدة واما اذا اراد ان يصرفها الى الباطل فيخلى بينها وبين الشيطان فيلقنها اياه فلا تراه ولا تفهمه اى لا تعلم انه باطل يحجبها عن الحق لان الظلمة الحاصلة

من تجلي الجلال تمنعها عن ذلك فلا تجتنبه بل تأخذه وتصير نفسا مظلمة بعد كونها روحا نورانيا فتجريه في قالبها الذي هو محل لذلك ويكون ذلك القالب طبيعة مظلمة بعد كونه قلبا نورانيا فيتجلى الحق تعالى بالتجليات الجلالية والاحوال القهرية التي تورث الاضطراب وعدم الاستسلام فتكون على المخالفة والاعراض وتتصف بالاوصاف الذميمة بعد الاتصاف بالحميدة هكذا الى آخر الامر اذ ذلك سنته القديمة وعادته الازلية الى ماشاء الله تعالى فانه اذا اراد بعبده خيرا يفقهه في الدين ويجذبه الى نفسه مما سواه ولا يسلط الشيطان عليه كما قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان بل للملائكة السادنة لقبضة الجمال عليهم سلطان بسلطاني عليهم واحكام القبضتين جارية في العوالم في الانفس والآفاق على ايدي سدنتهما الى تمام الامر والحكم في التقلب للغالب انتهى كلام حضرة الشيخ قدس سره وهو الذي ماجاء مثله بعد الصدر القنوي والله اعلم اللهم اجعلني من تابعيه حقيقة ومتبعيه شريعة وطريقة (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) ما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة بمجرورها صفة لآية والمراد بالآيات اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل الى اهل مكة آية من الآيات القرآنية (الا كانوا عنها معرضين) غير ملتفتين اي على وجه التكذيب والاستهزاء واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية الدالة على وحدانية الله تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان بمكونها وعن متعلقة بمعرضين والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تأتي فيها دلالة على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في آن الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية منه وعبر عنه بذلك لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه على ان الاول عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بسبب التغاير الاعتباري كما في قوله تعالى فقد جاؤا ظلما وزورا بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاؤه اي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق لما كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد بذلك لكونه بلا تأمل تأكيدا لشناعته والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا في حاله ومآله (فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن) سوف لتأكيد مضمون الجملة والانباء جمع نبأ وهو الخبر الذي له عظم وشان وما عبارة عن الحق المذكور وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة اي سيعلمون ما يؤول اليه عاقبة استهزائهم بالآيات فقتلهم الله يوم بدر بالسيف (الم يروا) لما ذكر تعالى قبايحهم من الاعراض والتكذيب والاستهزاء اتبعه بما يجري مجرى الموعظة فوعظهم بالقرون الماضية فقال الم يروا وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد والضمير لاهل مكة اي الم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الاخبار (كم) عبارة عن الاشخاص استفهامية كانت او خبرية (اهلكنا من قبلهم) من متعلقة باهلكنا والمراد من قبل خلق اهل مكة او من قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (من قرن) مميز لكم عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم واراد بالقرن الاول الصحابة وبالثاني التابعين وبالثالث تابع التابعين وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان ثمانين سنة او سبعين او ستين او اربعين او ثلاثين او مائة فالمضاف على هذا محذوف اي من اهل قرن لان نفس الزمان لا يتعلق به الاهلاك (مكناهم في الارض) استئناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم وتمكين الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض واخرى مكن له في الارض حتى اجرى كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى (ما لم نمكن لكم) بعد قوله تعالى مكناهم في الارض كانه قيل في الاول مكنا لهم وفي الثاني ما لم نمكن لكم

وما نكرة موصوفة بالجملة المنفية بعدها والعائد محذوف محلها النصب على المصدرية اي مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم ويحتمل ان يكون مفعولا به لمكناهم على المعنى لان معنى مكناهم اعطيناهم اي اعطيناهم ما لم نعطكم (وارسلنا السماء) اي المطر والسحاب (عليهم) متعلق بارسلنا (مدرارا) مغزارا اي كثير الدرور والصب وهو حال من السماء قال ابن الشيخ المدرار مفعال وهو من ابنية المبالغة للفاعل كامرأة مذكار ومئناث واصله من در اللبن درورا وهو كثرة وروده على الحالب يقال سحاب مدرار ومطر مدرار اذا تتابع منه المطر في اوقات الاحتياج اليه (وجعلنا الانهار) اي صيرناها (تجري من تحتهم) اي من تحت اشجارهم ومساكنهم وقصورهم والمعنى اعطيناهم من البسط في الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة من الاموال والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا من الكفران والعصيان (فاهلكناهم بذنوبهم) اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب (وانشأنا من بعدهم) اي احدثنا من بعد اهلاك كل قرن (قرنا آخرين) بدلا من الهالكين وهو لبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيأ بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى يعمر بهم بلاده ومن عادته تعالى اذهاب اهل الظلم بعد الامهال ومجيئه باهل العدل والانصاف ونفي اهل الرياء والسمعة واثبات اهل الصدق والاخلاص ولن يزال الناس من اهل الخير في كل عصر وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال ان لله عبادا يقال لهم الابدال لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر والرحمة بجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم اربعون رجلا على مثل قلب ابراهيم عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشأ من يخلفه واعلم انهم لا يسبون شيأ ولا يلعنون ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم اطيب الناس خبرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا لا تدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم انما قلوبهم تصعد في السقوف العلى ارتياحا الى الله تعالى في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وهذا بعض كلامه وفي قوله تعالى فاهلكناهم بذنوبهم اشارة الى ان الهلاك مطلقا صوريا ومعنويا بدنيا وماليا انما هو بشؤم المعصية وكفران النعمة ونعم ما قيل شكر نعمت نعمتت افزون كند * كفر نعمت از كفت بيرون كند * هر كه اعرض عن المعجزات والكرامات والالهامات لاقباله على الدنيا وزينتها وشهواتها كانهم الانعام بل هم اضل لان الانعام ما كذبت بالحق وهو قد كذب دريغ آدمي زاده پر محل * كه باشد چو انعام بل هم اضل * وقوله تعالى فسوف يأتيهم اي في الدنيا والآخرة انباء ما كانوا به يستهزؤن اما في الدنيا فمن استهزائهم باقوال الانبياء والاولياء واحوالهم يصمهم الله ويعمي ابصارهم فلا يهتدون الى حق ولا الى حقيقة سبيلا واما في الآخرة فيعذبهم بعذاب القطيعة والبعد والحرمان والخلود في النيران حكي ان امام الحرمين كان يدرس يوما في المسجد بعد صلاة الصبح فمر عليه بعض شيوخ الصوفية ومعه اصحابه من الفقراء وقد دعوا الى بعض المواضع فقال امام الحرمين في نفسه ما شغل هؤلاء الا الاكل والرقص فلما رجع الشيخ من الدعوة مر عليه وقال يا فقيه ما تقول فيمن صلى الصبح وهو جنب ويقعد في المسجد ويدرس العلوم ويغتاب الناس فذكر امام الحرمين انه كان عليه غسل ثم حسن اعتقاده بعد ذلك في الصوفية اقول واول الامر اعتقادهم ثم الاتباع بطريقتهم ثم الوصول الى مقاماتهم وقيل لابي القاسم الجنيد قدس سره من استفدت هذه العلوم فقال من جلوسي بين يدي الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة واشار الى درجة في داره فهذه الطريقة لا تنكشف اسرارها ولا تتلألأ انوارها الا بعد اجتهاد تام وسلوك قوي والله الهادي (ولو نزلنا عليك) روي ان بعض المشركين قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله فانزل الله تعالى قوله ولو نزلنا عليك (كتابا في قرطاس) اي مكتوبا في رق فالكتاب بمعنى مفعول (فلمسوه) اي الكتاب (بايديهم) بعد ما رأوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه فذكر اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا اي سدت وذكر الايدي مع ان اللمس لا يكون عادة الا بها لدفع التجوز فانه يتجوز به للتفحص كما في قوله تعالى

وانا لمسنا السماء اى تفحصنا (لقال الذين كفروا) تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما هو دأب المحجوج اللجوج
(ان هذا) اى هذا الكتاب (الاسحر مبين) اى بين كونه سحرا على كل احد ولا شك ان من حرم التوفيق وكذب
بالحق غيبا وحدسا كذب به عيانا وحسا فلو ان اهل الانكار رأوا الاولياء والصالحين يطيرون فى الهوآء لقالوا
هذا سحر وهؤلاء شياطين (وقالوا لولا انزل عليه ملك) شروع فى قدحهم فى النبوة صريحا بعد ما اشير الى
قدحهم فيها ضمنا ولولا تحضيضية بمعنى الامر والضمير فى عليه للنبى عليه السلام اى هلا انزل عليه ملك بحيث
نراه ويكلمنا انه نبى (ولو انزلنا ملكا لقضى الامر) ولو انزلنا ملكا على هيئة حسبما اقترحوه والحال انه
من هول المنظر بحيث لا يطيق بمشاهدته قوى الآحاد البشرية لقضى الامر اى هلاكهم بالكلية (ثم لا ينظرون)
اى لا يمهلون بعد نزوله طرفة العين ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار وجعل عدم
الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجأة العذاب اشد من نفس العذاب واشق (ولو جعلناه ملكا) الهاء
للمطلوب وهو ان يكون الشاهد على نبوته عليه السلام ملكا (لجعلناه رجلا) اى لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر
من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وكان جبرئيل عليه السلام يأتى النبى عليه السلام فى صورة
دحية الكلبى وجاء الملكان الى داود عليه السلام فى صورة رجلين مختصمين اليه وجاءت الملائكة الى ابراهيم
فى صورة الضيفان فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك فى صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء
لقوتهم القدسية (وللبسنا عليهم) جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا لخلطنا عليهم بتمثيله رجلا (ما يلبسون)
على انفسهم حينئذ بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس لكونه سببا
للبسهم وفيه تأكيد لاستحالة جعله ملكا كانه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الامر عليهم من
لبست الامر على القوم البسه من باب ضرب اذا شبهت وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب (ولقد
استهزئ برسل من قبلك) برسل متعلق باستهزئ ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل وهو تسلية
لرسول الله عليه السلام عما يلقاه من قومه اى وبالله لقد استهزئ برسل اولى شأن خطير وذوى عدد كثير كائنين
من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (فحاق) عقيبه اى احاط او نزل او حل او نحو
ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا فى الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه
فعله (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) ما موصولة اسمية والعائد الهاء فى به وبه متعلق بيستهزؤن
والموصول مع صلته فاعل حاق اى فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله فاسناد الاحاطة
والاهلاك الى الرسل من قبيل الاسناد الى السبب والمعنى احاط الله بهم واهلكهم بسبب استهزائهم بالرسل
وقد انجز الله ذلك يوم بدر اى انجاز (قل سيروا فى الارض) اى سافروا فى الارض لتعرف احوال الامم الماضية
(ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) اى تفكروا فى انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستئصال وثم لتفاوت ما بين
الواجبين فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر ومثله قوله توضأ ثم صل والعاقبة مصدر وهى منتهى
الامر ومآله اعلم ان الاستهزاء من شيم النفوس المتمردة بارباب الدين من الانبياء والاولياء فى كل زمان وحين
يروى ان النبى عليه السلام كان جالسا فى المسجد الحرام مع جماعة من المستضعفين بلال وصهيب وعمار
وغيرهم فمر بهم ابو جهل فى ملأ من قريش فقال يزعم محمد ان هؤلاء ملوك الجنة فاستهزأ بفقرآء المسلمين وقد فعل
الله به ما فعل يوم بدر فنال جزاء استهزائه وذلك محل العبرة لاولى الابصار (وفى المثنوى) نى ترا حفظ زبان
ازراز كس * نى نظر كردن بغيرت پيش وپس * پيش چه بود يادمر لطف خويش * پس چه باشد
مردن ياران زپيش * حكى ان شيعيا يقال له ابن هيلان كان يتكلم بما لا ينبغى فى حق الصحابة فبينما
هو يهدم حائطا اذ سقط عليه فهلك فدفن بالبقيع مقبرة المدينة فلم يوجد ثانى يوم فى القبر الذى دفن فيه
ولا التراب الذى ردم به القبر بحيث يستدل بذلك انبشه وانما وجدوا اللبن على حاله حسبما شاهده الجم الغفير حتى
كان ممن وقف عليه القاضى جمال الدين وصار الناس يجيئون لرؤيته ارسالا الى ان اشتهر امره وعد ذلك من
الآيات التى يعتبر بها من شرح الله صدره نسأل الله السلامة كذا فى المقاصد الحسنة للامام السخاوى فعلم
منه عاقبة الطعن والاستهزاء وان الله تعالى ينقل جيفة الفاسق من المحل المتبرك الى المكان المتشاءم منه كما ورد
فى الحديث الصحيح من مات من امتى يعمل عمل قوم لوط نقله الله اليهم حتى يحشر معهم كما فى الدرر المنتثرة

للامام

للامام السيوطى وهذا صريح فى نقل جسده لان الحشر بالروح والجسد جميعا فكما ان الله تعالى ينقل اجساد
الاشرار من مقام شريف الى محل وضيع كذلك ينقل اجسام الاخيار من مكان وضيع الى مقام شريف
كالبقيع والحجون مقبرتى المدينة ومكة فان الله تعالى يسوق الاهل الى الاهل وهذا آخر الزمان وقلما يوجد فيه
من هو متوجه الى القبلة فى الظاهر والباطن والحياة والممات ونعم ما قيل ذهب الناس وما بقى الا النسناس
وهم الذين يتشبهون بالناس وليسوا بالناس وهم يأجوج ومأجوج او حيوان بحرى صورته كصورة الانسان
او خلق على صورة الناس اشبهوهم فى شئ وخالفوهم فى شئ وليسوا من بنى آدم وقيل هم من بنى آدم روى ان
حيا من عاد عصوا رسولهم فمسخهم الله نسناسا لكل رجل منهم يد ورجل من شق واحد ينقزون كما ينقز الطير
ويرعون كما ترعى البهائم فاين الاخيار واين اولوا الابصار مضوا والله ما بقى الا القليل (قال الحافظ)

تناهى الصبر مذحلت * بمأوى الاسد سرحان * وطار العقل اذ غنى * ببغى الورق غربان

درين ظلمت سرا تا كى ببوى دوست بنشينم * كهى انكشت در دندان وكه سر بر سر زانو * بيا اى طائر
فرخ بيا ورمژده دولت * عسى الايام ان يرجعن قوما كالذى كانوا * اى كالوضع الذى كانوا عليه
من الانتظام مطلقا (قل لمن ما فى السموات والارض قل لله) الجاء لاهل مكة الى الاقرار بان الكل من العقلاء
وغيرهم لله خلقا وملكا وتصرفا كانه يقول هل لكم سبيل الى عدم الاقرار بذلك مع كونه من الظهور بحيث
لا يقدر احد على انكاره وفى تصدى السائل للجواب قبل ان يجيب غيره ايماء الى ان مثل هذا السؤال لكون
جوابه متعينا ليس من حقه ان ينتظر جوابه بل حقه ان يبادر الى الاعتراف بالجواب (كتب على نفسه الرحمة)
جملة مستقلة داخلة تحت الامر مسوقة لبيان انه تعالى رؤف بالعباد لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة
والانابة ومعنى كتب الرحمة على نفسه التزمها واوجبها تفضلا واحسانا لانه تعالى منزه عن ان يجب عليه شئ
حقيقة وفى التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى (ليجمعنكم
الى يوم القيامة) جواب قسم محذوف اى والله ليجمعنكم فى القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيامة
فيجازيكم عن شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاملكم بالعقوبة الدنيوية (لا ريب فيه)
اى فى اليوم او فى الجمع (الذين خسروا انفسهم) اى بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم
وهو مبتدأ وخبره قوله (فهم لا يؤمنون) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب
خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار
على الكفر والامتناع من الايمان والخروج عن دائرة الرحمة الخاصة قال القاضى والمراد بالرحمة ما يعم الدارين
ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر وفى تفسير
الكاشفى * مراد رحمت ذاتيه باشد كه رحمت مطلقه كويند واين رحمتيست كه برهمه چيز فرارسيده ونتيجه
آن عطاء ذاتيست بى سابقه سؤال واستدعا ورابطه حاجت واستحقاق چنانچه در مثنوى معنوى وارد ست
درعدم ما مستحقان كى بديم * كه برين جان وبرين دانش زديم * ما نبوديم وتقاضا ان ما نبود *
لطف تو نا كفته ما مى شنود * قال الامام الاكمل فى شرح الحديث عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وانزل فى الارض جزأ واحدا
فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حوافرها عن ولدها خشية ان تصيبه فهذا مما يدل على كمال الرجاء
والبشارة للمسلمين لانه حصل فى هذه الدار من رحمة واحدة ما حصل من النعم الظاهرة والباطنة فما ظنك
بمائة رحمة فى الدار الآخرة وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم على النبى عليه السلام سبى فاذا امرأة
من السبى قد تحلب ثديها فتسعى فاذا وجدت صبيا فى السبى اخذته فالصقته ببطنها وارضعته فقال لنا النبى
عليه السلام اترون هذه طارحة ولدها فى النار قلنا لا وهى قادرة على ان لا تطرحه فقال الله ارحم بعباده
من هذه بولدها (وفى المثنوى) اين ازمهر خدا خود ذره ايست * بهرة ديد ايمان ذره ايست *
با چنين قهرى كه زفت وفايقست * برد لطفش بين بروى سابقست * رحمت بيچون چنين دان اى پدر *
زائد اندر وهم ازوى بجز اثر * قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى الفتوحات المكية وجدنا
آية الرحمة وهى بسم الله الرحمن الرحيم تتضمن الف معنى كل معنى لا يحصل الا بعد انقضاء حول ولا بد

من حصول هذه المعانى التى تضمنها بسم الله الرحمن الرحيم لانه ماظهر الا ليعطى معناه فلابد من كمال الفسحة لهذه الامة اللهم ارحمنا اذا عرق الجبين وكثر الانين وبكى علينا الحبيب ويئس منا الطبيب اللهم ارحمنا اذا وارانا التراب وودعنا الاحباب وفارقنا النعيم وانقطع النسيم اللهم ارحمنا اذا نسى اسمنا وبلى جسمنا واندرس قبرنا وانطوى ذكرنا اللهم ارحمنا يوم تبلى السرآئر وتبدى الضمائر وتنشر الدواوين وتحشر الموازين اللهم يا حى يا قيوم يا رحمن يا رحيم برحمتك نستعين هذه مناجاة حضرة الشيخ المذكور ولعمرى انها مناجاة شريفة ومناداة لطيفة (وله ما سكن فى الليل والنهار) روى ان كفار مكة اتوا رسول الله فقالوا يا رسول الله قد علمنا انك ما يحملك على ما تدعونا اليه الا الفقر والحاجة فنحن نجمع لك من القبائل اموالا تكون اغنانا رجلا وترجع عما انت عليه من الدعوة فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ولله تعالى خاصة جميع ما استقر فيهما واشتملا عليه فان اراد يعطى رسوله مالا كثيرا ليكون اغنى الخلق نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما (وهو السميع) المبالغ فى سماع كل مسموع (العليم) المبالغ فى العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ من الاقوال والافعال وفى الخبر ان الله تعالى خلق جوهرتين احداهما مظلمة والاخرى مضيئة فاستخلص من المضيئة كل نور فخلق من نورها النهار ومن الباقى النار واستخلص من الظلمة كل ظلمة فخلق منها الليل وخلق من الباقى الجنة فالليل من الجنة والنهار من النار ولذلك كان الانس بالليل اكثر فالليل انس المحبين وقرة اعين المحبوبين وقدم الليل على النهار لان الليل لخدمة المولى والنهار لخدمة الخلق ومعارج الانبياء كانت بالليل والقدر فى الليل خير من الف شهر وليس فى الايام مثلها وكان بعض الاولياء يقول اذا جاء الليل جاء الخلق الاعظم يقول الفقير جامع هذه المجالس اما من حجب عن سر الليل وحلاوة المناجاة فيه وذوق الخلوة والوحدة فالمحبوب اليه النهار كعلماء الرسوم الاترى الى ثعلب النحوى يقول وددت ان الليل نهار حتى لا تنقطع عنى اصحابى وهذا حرص منه على الكثرة والالفة معها والا فكل معلم لم يكن اعلى حالا من المجتهدين الاترى ان امامنا الاعظم كان يدرس ويحيى الليل ، هر كنج سعادت كه اوداد بحافظ ❋ از يمن دعاى شب وورد سحرى بود ❋ وعلم من التقرير المذكور افضلية الليل على النهار واعلم ان لكل خلق الله تعالى ولكل منهما ملك موكل به وفى الخبر عن سلمان رضى الله عنه قال الليل موكل به ملك يقال له شراهيل فاذا حان وقت الليل اخذ خرزة سودآء فدلاها من قبل المغرب فلما نظرت اليها الشمس وجبت فى اسرع من طرفة العين وقد امرت ان لا تغرب حتى ترى الخرزة فاذا غربت جاء الليل وقد نشرت الظلمة من تحت جناحى ملك فلا تزال الخرزة معلقة حتى يجيء ملك آخر يقال له هراهيل بخرزة بيضاء فيعلقها من قبل المطلع فاذا رأتها الشمس طلعت فى طرفة عين وقد امرت ان لا تطلع حتى ترى الخرزة البيضاء فاذا طلعت جاء النهار فنشر النور من تحت جناحى ملك فلنور النهار ملك موكل ولظلمة الليل ملك موكل عند الطلوع والغروب كما وردت الاخبار (قل) يا محمد لكفار مكة ونزلت حين دعوه الى الشرك ودين آبائه (اغير الله اتخذ وليا) اى معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وقد اتخذنى الله فى ازليته حبيبا كما قال عليه السلام لو كنت متخذا خليلا غير الله لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن الله اتخذ صاحبكم خليلا اى لا اتخذ فالمنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا نفس اتخاذ الولى لكن قدم المفعول لكونه مناط الانكار (فاطر السموات والارض) مبدعهما اى خالقهما ابتدآء لا على مثال سبق وهو بدل من الجلالة (وهو) اى والحال انه (يطعم ولا يطعم) اى يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه (قل انى امرت ان اكون اول من اسلم) وجهه لله مخلصا له لان النبى امام امته فى الاسلام (ولا تكونن من المشركين) اى وقيل لى لا تكونن من المشركين به تعالى فى امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وحقيقة الاسلام الاخلاص عن حبس الوجود وما خلص عنه غيره عليه السلام بالكلية ولهذا يقول الانبياء نفسى نفسى وهو يقول امتى امتى (قل انى اخاف ان عصيت ربى) اى بمخالفة امره ونهيه اى عصيان كان (عذاب يوم عظيم) اى عذاب يوم القيامة مفعول اخاف وفيه قطع لاطماعهم وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم (من يصرف عنه يومئذ) اى من يصرف عنه العذاب فى ذلك اليوم العظيم ويومئذ ظرف للصرف (فقد رحمه) اى نجاه وانعم عليه (وذلك) الصرف (الفوز المبين) اى النجاة الظاهرة (وان يمسسك الله بضر) دليل آخر على انه لا يجوز للعاقل ان يتخذ غير الله وليا اى ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك والباء للتعدية

وترجمته بالفارسية واكر برساند خدا بتو سختى (فلا كاشف له) اى فلا قادر على كشف ذلك الضر ورفعه عنك (الا هو) تعالى وحده (وان يمسسك بخير) من صحة ونعمة ونحو ذلك (فهو على كل شئ قدير) فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على رفعه كقوله فلا راد لفضله وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اهدى للنبى عليه السلام بغلة اهداها كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفنى خلفه ثم سار بى مليا ثم التفت الى فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب الفرج وان مع العسر يسرا فان قلت قد يتصور ان يكشف الانسان عن صاحبه كربة من الكرب قلت كاشف الضر فى الحقيقة هو الله تعالى اما بواسطة الاسباب او بغيرها (قال الحافظ) كرر نج پيشت آيد وكر راحت اى حكيم ❋ نسبت مكن بغير كه اينها خدا كند ❋ وكذا الاستعانة فى الحقيقة من الله تعالى فالاستعانة من الانبياء والاولياء انما هى استشفاع منهم فى قضاء الحاجة والموحد لا يعتقد ان فى الوجود مؤثرا غير الله تعالى (وهو القاهر) اى القادر الذى لا يعجزه شئ مستعليا (فوق عباده وهو الحكيم) فى كل ما يفعله ويأمر به (الخبير) باحوال عباده وخفايا امورهم صور قهره تعالى وعلو شأنه بالعلو الحسى فعبر عنه بالفوقية بطريق الاستعارة التمثيلية فقوله وهو القاهر فوق عباده عبارة عن كمال القدرة كما ان قوله وهو الحكيم الخبير عبارة عن كمال العلم قال المولى الفنارى فى تفسيره الفوقية من حيث القدرة لا من حيث المكان لعلو شأنه تعالى عن ذلك فانه تعالى قاهر للممكنات معدومة كانت او موجودة لانه يقهر كل واحد منهما بضده فيقهر المعدومات بالايجاد والتكوين والموجودات بالافناء والافساد وفى التأويلات النجمية وقد عم قهره جميع عباده فقهر الكفار بموت القلوب وحياة النفوس اذ اخطأهم النور المرشش على الارواح فى بدو الخلقة فضلوا فى ظلمات الطبيعة وما اهتدوا الى نور الشريعة وقهر نفوس المؤمنين بانوار الشريعة فاخرجهم من ظلمات الطبيعة بالقيام على طاعته وقهر قلوب المحبين بلوعات الاشتياق فآنسها بلطف مشاهده وقهر ارواح الصديقين بسطوات تجلى صفات جلاله وبالجملة لا ترى شيأ سواه الا وهو مقهور تحت اعلام عزته وذليل فى ميادين صمديته فعلى العبد ان يعرف مولاه ويشتغل بعبوديته وهو الله تعالى الذى خلق كل شئ واوجده وقهره وحكى عن الشيخ عبد الواحد بن زيد قدس سره قال كنت فى مركب فطرحتنا الريح الى جزيرة واذا فيها رجل يعبد صنما فقلنا له يا رجل من تعبد فاومى الى الصنم فقلنا له ان اله هذا مصنوع عندنا من يصنع مثله ما هذا باله يعبد قال فانتم من تعبدون قلنا نعبد الذى فى السماء عرشه وفى الارض بطشه وفى الاحياء والاموات قضاؤه تقدست اسماؤه وجلت عظمته وكبرياؤه قال ومن اعلمكم بهذا قلنا وجه الينا رسولا كريما فاخبرنا بذلك قال ما فعل الرسول فيكم قلنا لما ادى الرسالة قبضه الملك اليه واختار له ما لديه قال فهل ترك عندكم من علامة قلنا نعم ترك عندنا كتابا للملك قال فارونى كتاب الملك فانه ينبغى ان تكون كتب الملوك حسانا فاتيناه بالمصحف فقال ما اعرف هذا فقرأنا عليه سورة فلم يزل يبكى حتى ختمنا السورة فقال ينبغى لصاحب هذا الكلام ان لا يعصى ثم اسلم وحسن اسلامه ثم مات بعد ايام على احسن حال والحمد لله الملك المتعال فى الغدو والآصال انه هو المعبود المقصود واليه يؤول كل امر موجود (قل اى شئ اكبر شهادة) روى ان قريشا قالوا لرسول الله يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد انك رسول الله فانهم انكروك فانزل الله تعالى هذه الاية امر حبيبه عليه السلام بان يقول لهم اى شئ اعظم من جهة الشهادة (قل الله) اى الله اكبر شهادة فشهادته اكبر من شهادة الخلق فان شهادة الخلق وعلومهم لا تحيط بحقائق الاشياء كلها والحق سبحانه هو الذى يحيط علمه بجميع حقائق الاشياء امره عليه السلام بان يتولى الجواب بنفسه للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره (شهيد) اى هو شهيد (بينى وبينكم) على صدقى (واوحى الى) من جهته تعالى (هذا القرآن) الشاهد بصحة رسالتى (لانذركم به) اى اخوفكم بما فيه من الوعيد ايها الموجودون وقت نزول القرآن (ومن بلغ) عطف على ضمير

المخاطبين اى بلغه القرءآن من الانس والجن الى يوم القيامة قال محمد بن كعب القرظى من بلغه القرءآن
فكأنما رأى محمدا عليه السلام وسمع منه (أئنكم لتشهدون) الجاء لهم الى الاقرار باشراكهم اذ لا سبيل لهم
الى انكاره لاشتهارهم به والاستفهام فيه للانكار والتوبيخ والمعنى بالفارسية آيا شما ميدكه كواهى ميدهيد
(ان مع الله آلهة اخرى قل) لهم (لا اشهد) بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف (قل انما هو اله واحد) تكرير
الامر للتأكيد اى بل انما اشهد انه تعالى لا اله الا هو اى متفرد بالالوهية (واننى برىء مما تشركون) به من
الاصنام (الذين آتيناهم الكتاب) جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى والمراد
بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل (يعرفونه) اى محمدا عليه السلام
بحليته ونعوته فى كتابهم (كما يعرفون ابناءهم) بحلاهم المعينة لهم روى ان رسول الله لما قدم المدينة قال عمر
رضى الله عنه لعبد الله بن سلام انزل الله تعالى على نبيه هذه الاية فكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته
فيكم حين رأيته كما اعرف ابنى ولانا اشد معرفة بمحمد منى بابنى لانى لا ادرى ما صنع النساء واشهد انه حق من
الله تعالى فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام (الذين خسروا انفسهم) اى غبنوا انفسهم من اهل الكتابين والمشركين
بان ضيعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية وهو مبتدأ خبره قوله
(فهم لا يؤمنون) لما انهم مطبوع على قلوبهم والفاء السببية تدل على ان تضييع الفطرة الاصلية والعقل
السليم سبب لعدم الايمان قال البغوى وذلك ان الله تعالى جعل لكل آدمى منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار فاذا
كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل اهل النار فى الجنة ولاهل النار منازل اهل الجنة فى النار وذلك
الخسران (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) لوصفهم النبى المنعوت فى الكتابين بخلاف اوصافه عليه السلام
فانه افتراء على الله تعالى وبقولهم الملائكة بنات وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك اى لا احد اظلم منه
(او كذب بآياته) كان كذبوا بالقرءآن وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التوراة وغيروا نعوته عليه السلام فان
ذلك تكذيب بآياته وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم كيف وهم
قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته (انه) اى الشان (لا يفلح الظالمون) اى لا ينجون من
مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن فى الغاية القاصية من الظلم (ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للذين اشركوا) يوم منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه
وبيانه والحشر جمع الناس الى موضع معلوم والضمير للكل وجميعا حال منه والمعنى ويوم نحشر الناس كلهم
ثم نقول للمشركين خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤس الاشهاد ما نقول كان من الاحوال والاهوال ما لا
يحيط به دائرة المقال والعطف بثم للتراخى الحاصل بين مقامات يوم القيامة فى المواقف فان فيه مواقف بين
كل موقف وموقف تراخ على حسب طول ذلك اليوم (اين شركاؤكم) اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله
فالاضافة مجازية باعتبار اثباتهم الشركة لالهتهم (الذين كنتم تزعمون) اى تزعمونها شركاء شفعاء والزعم القول
الباطل والكذب فى اكثر الكلام (ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا) الفتنة مرفوع على انه اسم تكن والخبر الا ان قالوا
والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبته اى لم تكن عاقبة كفرهم الذى التزموه مدة
اعمارهم وافتخروا به شيأ من الاشياء الا جحوده والتبرى منه بان يقولوا (والله ربنا ما كنا مشركين) واما جوابهم
عبر عنه بالفتنة لانه كذب وانما يقولون مع علمهم بانه بمعزل من النفع رأسا من فرط الحيرة والدهش كما يقولون
ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على انفسهم) بانكار صدور الاشراك عنهم
فى الدنيا وتعجب من كذبهم فانه امر عجيب (وضل عنهم ما كانوا يفترون) عطف على كذبوا داخل فى حيز انظر اى
كيف زال وذهب وبطل افتراؤهم فانهم كانوا يفترون فى حق الاصنام انها شفعاؤهم عند الله تعالى فبطل ذلك
بالكلية يوم القيامة وفى الايات امور الاول اطلاق لفظ الشىء على الله تعالى لكن بمعنى شائى لا بمعنى مشىء
وجوده فهو الشائى المريد والثانى انه يلزمه التبرى من الشرك عقيب التوحيد قال المولى الشهير باخى جلبى
فى حواشى صدر الشريعة اسلام اليهود والنصارى مشروط بالتبرى عن اليهودية والنصرانية بعد الاتيان
بكلمتى الشهادة وبدون التبرى لا يكونان مسلمين ولو اتيا بالشهادتين مرارا لانهما فسرا قولهما بانه رسول
الله اليكم لكن هذا فى الذين اليوم بين ظهرانى اهل الاسلام اما اذا كان فى دار الحرب وحمل عليه رجل من

المسلمين فاتى بالشهادتين او قال دخلت دين الاسلام او فى دين محمد عليه السلام فهذا دليل توبته انتهى قال
فى الدر المختصر فى صفة الايمان ان يقول ما امرنى الله تعالى به قبلته وما نهانى عنه انتهيت عنه فاذا اعتقد
ذلك بقلبه واقر بلسانه كان ايمانا صحيحا وكان مؤمنا بالكل انتهى وايمان المقلد صحيح عند الامام الاعظم الا انه
يأثم بترك النظر والاستدلال وفى فصل الخطاب من نشأ فى بلاد المسلمين وسبح الله تعالى عند رؤية صنائعه فهو
خارج عن حد التقليد والثالث ان قوله تعالى كما يعرفون ابناءهم يشير الى ان الآباء قد تحقق عندهم انهم مصادر
الابناء ومبدأ وجود الابناء منهم فكذلك اهل المعرفة تحقق عندهم ان الله تعالى مصدرهم ومبدأ وجودهم
منه (قال الحافظ) درمكتب حقائق وپيش اديب عشق * هان اى پسر بكوش كه روزى پدر شوى
* خواب وخورت زمرتبهٔ خويش دور كرد * آنكه رسى بخويش كه بى خواب وخور شوى *
فالوصول الى المبدأ القديم بعد العبور من جسر الوصف الحادث والرابع ان النافع هو الايمان والتوحيد
والصدق والاخلاص دون الشرك والكذب يروى ان المشركين اذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه
عن اهل التوحيد قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد فيقولون والله ربنا
ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر فلا يفلحون وكذا اهل الرياء من اهل
التوحيد يزعمون انهم على اليقين وكمال الاخلاص وافعالهم الصادرة عن جوارحهم تدل على خلاف ذلك
فانما خلق الله جهنم لتطهير اهل الشرك مطلقا لكن اهل الكفر مخلدون فافهم المقام واعلم ان الله تعالى واحد
وكل شىء يشهد على وحدته وعلى هذه الوحدة يعرفه ويشاهده اهل المعرفة والمشاهدة فان كثرة الآثار لا تنافى
الوحدة كالنواة مع الشجرة (قال الحافظ) تا دم وحدت زدى حافظ شوريده حال * خامهٔ توحيد كش
بر ورق اين وآن (ومنهم من يستمع اليك) اذا قرأت القرءآن روى انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة
وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار
يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين
مثل ما حدثتكم من القرون الماضية فقال ابو سفيان انى ارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت
فالضمير للمشركين (وجعلنا) اى انشأنا (على قلوبهم) الضمير راجع الى من باعتبار المعنى (اكنة) اى اغطية
كثيرة لا يقادر قدرها خارجة مما يتعارفه الناس جمع كنان بالكسر وهو ما يستر به الشىء (ان يفقهوه) مفعول له
بحذف المضاف اى كراهة ان يفقهوا ما يستمعون من القرءآن المدلول عليه بذكر الاستماع (و) جعلنا (فى آذانهم
وقرا) اى صمما وثقلا كراهة ان يستمعوه حق الاستماع وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبى عليه
السلام وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرءآن الكريم ومج اسماعهم له وهذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب
فيشرح بعضها للهدى ويجعل بعضها فى اكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن كما هو مذهب اهل السنة وفى الآية
اشارة الى ان مكافاة من يستمع الى كلام الله تعالى او الى حديث النبى عليه السلام او الى كلمات ارباب الحقائق
بالانكار ليأخذوا عليها او يطعنوا فيها ان يجعل الله تعالى حجابا على قلوبهم وسمعهم حتى لا يصل اليهم انوارها
ولا يجدون حلاوتها ولا يفهمون حقائقها (قال المولى الجامى) عجب نبود كه از قرآن نصيبت نيست
جز حرفى * كه از خورشيد جز گرمى نبيند چشم نابينا (وان يروا كل آية) من الآيات القرءآنية اى يشاهدوها
بسماعها (لا يؤمنوا بها) اى كفروا بكل واحدة منها وسموها سحرا وافتراء واساطير لفرط عنادهم واستحكام
التقليد فيهم (حتى) ابتدائية ومع هذا لا مانع من ان تفيد معنى الغاية اى بلغ بهم ذلك المنع من فهم القرءآن
الى انهم (اذا جاؤك يجادلونك) اى حال كونهم مجادلين لك (يقول الذين كفروا) اى لا يكتفون بمجرد عدم الايمان
بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون (ان هذا) اى هذا القرءآن (الا اساطير الاولين) اى اباطيلهم
واكاذيبهم جمع اسطورة بالضم كالاضاحيك والاعاجيب جمع اضحوكة واعجوبة (وفى المثنوى) چون كتاب
الله بيامد هم بران * اين چنين طعنه زدند آن كافران * كه اساطيرست وافسانه نژند * نيست
تعميقى وتحقيقى بلند * كودكان خرد فهمند اين قدر * ... ‌(؟)

ذلك هو السر فى تأخير النأى عن النهى والنأى البعد (وان يهلكون) اى ما يهلكون بالنهى والنأى (الا انفسهم) لان ضرره عليهم (وما يشعرون) اى والحال انهم ما يعلمون اى لا باهلاك انفسهم ولا باقتضاء ذلك عليها من غير ان يضروا بذلك شيأ من القرءآن والرسول والمؤمنين (ولو ترى اذ وقفوا على النار) الخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل المشاهدة والعيان والوقف الحبس وجواب لو ومفعول ترى محذوف اى لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما لا يساعده التعبير (فقالوا يا) للتنبيه (ليتنا نرد) الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا) القرءآنية (ونكون من المؤمنين) بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل ونصب الفعلين على جواب التمنى باضمار ان بعد الواو واجرآئها مجرى الفاء والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) اى ليس الامر على ما قالوه من انهم لو ردوا الى الدنيا لا منوا فان التمنى الواقع منهم يوم القيامة ليس لاجل كونهم راغبين فى الايمان بل لانه ظهر لهم فى موقفهم ذلك ما كانوا يخفون فى الدنيا وهى النار التى وقفوا عليها والمراد باخفائها تكذيبهم لها فان التكذيب بالشئ كفر به واخفاء له لا محالة (ولو ردوا) الى الدنيا فرضا (لعادوا لما نهوا عنه) من الشرك ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب كابليس قد عاين من آيات الله تعالى ثم عاند فلا راد لما قضاه الله تعالى ولا مبدل لما حكم فى الازل (وانهم لكاذبون) اى لقوم ديدنهم الكذب فى كل ما يأتون وما يذرون وبهذه الآية يفتى بقتل اهل البغى والفساد اذ لا يؤمن من ان يعودوا لما نهوا عنه (وفى المثنوى) آن ندامت از نتيجه رنج بود * جونكه رنج نبود ندامت نيست بود * جونكه شد رنج آن ندامت شد عدم * مى نيرزد خاك آن توبه عدم * ميكند او توبه وبير خرد * بانكه لو ردوا لعادوا ميزند (وقالوا) عطف على عادوا داخل فى حيز الجواب (ان هى) اى ما الحياة فالضمير للحياة فان من الضمائر ما يذكر مبهما ولا يعلم ما يرجع اليه الا بذكر ما بعده (الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) بعد ما فارقنا هذه الحياة كان لم يروا ما رأوا من الاحوال التى اولها البعث والنشور (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) اى حبسوا للسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى سيده للعتاب والجواب محذوف اى لرأيت امرا عظيما (قال) انهم على لسان الملائكة موبخا وهو استئناف (أليس هذا) البعث والحساب (بالحق قالوا بلى وربنا) انه لحق (قال فذوقوا العذاب) الذى عاينتموه (بما كنتم تكفرون) اى بسبب كفركم فى الدنيا بذلك وخص لفظ الذوق للاشارة الى ان ما يجدونه من العذاب فى كل حال هو ما يجده الذائق لكون ما يجدون بعده اشد من الاول (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) اى قد غبن الذين كذبوا بالبعث بعد الموت (حتى اذا جاءتهم الساعة) غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدى لا حد له (بغتة) حال من فاعل جاءتهم اى باغتة مفاجئة والبغت والبغتة مفاجأة الشئ بسرعة من غير ان يشعر به الانسان حتى لو كان له شعور بمجيئه ثم جاءه بسرعة لا يقال فيه بغتة والوقت الذى تقوم فيه القيامة يفجأ الناس فى ساعة لا يعلمها احد الا الله تعالى فلذلك سميت ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم وسميت الساعة ساعة لسعيها الى جانب الوقوع ومسافته الانفاس والمعنى انهم قد كذبوا الى ان ظهرت الساعة بغتة فان قيل انما يكذبون الى ان يموتوا والجواب ان زمان الموت آخر زمان من ازمنة الدنيا واول زمان من ازمنة الآخرة فمن انتهى تكذيبه الى هذا الوقت صدق انه كذب الى ان ظهرت الساعة بغتة ولذلك قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته (قالوا) جواب اذا (يا حسرتنا) الحسرة هى شدة الندم والتألم وندآؤها مجاز لان الحسرة لا يتأتى منها الاقبال وانما المعنى على المبالغة فى شدة التحسر كانهم نادوا الحسرة وقالوا ان كان لك وقت فهذا اوان حضورك ومثله يا ويلتنا والمقصود التنبيه على خطأ المنادى حيث ترك ما احوجه تركه الى نداء هذه الاشياء (على ما فرطنا فيها) اى على تفريطنا فى شأن الساعة وتقصيرنا فى مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة فعلى متعلق بالحسرة وما مصدرية والتفريط التقصير فى الشئ مع القدرة على فعله (وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم) حال من فاعل قالوا والاوزار جمع وزر وهو فى الاصل الحمل الثقيل يقال وزرته اى حملته ثقيلا ومنه وزير الملك لانه يتحمل اعباء ما قلده الملك من مؤنة رعيته وحشمه سمى به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه والحمل من توابع الاعيان الكثيفة لا من عوارض المعانى فلا يوصف به العرض الا على سبيل التمثيل والتشبيه وذكر الظهور كذكر الايدى فى قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد

حمل الاثقال على الظهور كما ان المألوف هو الكسب بالايدى والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات (الا ساء ما يزرون) اى بئس شيأ يزرون اى يحملون وزرهم قال السدى وغيره ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شئ صورة واطيبه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبنى فقد طال ما ركبتك فى الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اى ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شئ صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طال ما ركبتنى فى الدنيا وانا اليوم اركبك فهو معنى قوله تعالى وهم يحملون الخ فيكون الحمل على حقيقته لان للاعمال صورا تظهر فى الآخرة وان كان نفسها اعراضا واعلم ان الاوزار كثيرة لكن ذنب الوجود فوق الكل اذ هو الباعث على سائر الاوزار وهو ثقل مانع عن السلوك فعلى السالك ان يتوب عن الكل ويفنى فى طريق الحق فناء كليا (قال الحافظ) فكر خود ورأى خود در عالم رندى نيست * كفرست درين مذهب خودبينى وخودرايى * قال بعضهم لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وانما يمكن الخروج من النفس بالله تعالى قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم قدس سره ذكر الله تعالى يرطب القلب ويلينه فاذا خلا عن الذكر اصابته حرارة النفس ونار الشهوات فقسا ويبس وامتنعت الاعضاء من الطاعة فاذا مددتها انكسرت كالشجرة اذا يبست لا تصلح الا للقطع وتصير وقودا للنار اعاذنا الله منها فالذكر والتوحيد والاتباع الى اهله هو اصل الاصول حكى عن على بن الموفق انه قال حججت سنة من السنين فى محمل فرأيت رجالا فاحببت المشى معهم فنزلت واركبت واحدا فى المحمل ومشيت معهم فتقدمنا الى البرية وعدلنا عن الطريق فنمنا فرأيت فى منامى جوارى معهن طشوت من ذهب واباريق من فضة يغسلن ارجل المشاة فبقيت انا فقالت احداهن لصواحبها أليس هذا منهم قلن هذا له محمل فقالت بلى هو منهم لانه احب المشى معهم فغسلن رجلى فذهب عنى كل تعب كنت اجده هذه حال من مشى مع ولى باعتقاد صحيح فكيف مع نبى فلو ان كفار مكة ومشركى العرب استمعوا الى النبى عليه السلام واتبعوا الذكر الذى انزل اليه لنجوا واسقطوا كل حمل عن ظهورهم ومشوا الى جنة الفردوس لكن الله تعالى يهدى من يشاء (وما الحياة الدنيا) على حذف المضاف اى ما اعمال الدنيا اى الاعمال المتعلقة بها من حيث هى هى (الا لعب ولهو) يلهى الناس ويشغلهم بمنفعته الزآئلة عن الايمان والعمل الصالح المؤدى الى اللذة الدآئمة اللعب عمل يشغل النفس وينفرها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل (وللدار الآخرة) التى هى محل الحياة الاخرى (خير للذين يتقون) الكفر والمعاصى لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالالام مستمرة على الدوام (أفلا تعقلون) الفاء للعطف على مقدر اى اتغفلون فلا تعقلون اى الامرين خير وسميت الدنيا بالدنيا لدنوها قبل الآخرة اولدناءتها وسميت الاخرة بالآخرة لتأخرها عن خلقها وانما جعل الله الآخرة غائبة عن الابصار لانها لو كانت حاضرة لما جحدوها ولارتفعت التكاليف والمحن فجعل ما على الارض زينة للابتلاء وحقيقة الدنيا ما يشغلك عن ربك قال اهل التحقيق السموات والارضون وما فيهما من عالم الكون والفساد يدخل فى حد الدنيا واما العرش والكرسى وما يتعلق بهما من الاعمال الصالحة والارواح الطيبة والجنة وما فيها فمن حد الآخرة وفى الخبر القدسى لما خلق الله الدنيا خاطبها بقوله يا دنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك ولهذا كانت الدنيا تجيء لبعض اوليائه وتكنس داره فى صورة العجوز ولبعض اوليائه تجيء كل يوم برغيف فان قلت ان الله تعالى خلق هذه الدنيا للمؤمن فلم امر بالزهد فيها قلت السكر اذا نثر على رأس الختن لا يلتقطه لعلو همته ولو التقطه لكان عيبا وفى الحديث جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس والضيف اذا كان حكيما لا يشبع من الطعام رجاء الحلوآء حكى ان قاضيا من اهل بغداد كان مارا بزقاق كلخان مع خدمه وحشمه كالوزير فطلع الكلخانى وهو يهودى فى صورة جهنمى كان القطران يقطر من جوانبه فاخذ بلجام بغلة القاضى فقال ايد الله القاضى ما معنى قول نبيكم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر اما ترى ان الدنيا جنة لك وانت مؤمن محمدى والدنيا سجن لى وانا كافر يهودى والحديث دلالته بالعكس فاجاب القاضى وكان من الفضلاء الدنيا وما ترى من زينتها وحشمتها سجن لى بالنسبة الى ما وعد الله فى الجنة وجنة لك بالنسبة الى الدركات الموعودة فى النيران قيل مثل الدنيا والآخرة مثل رجل له امرأتان ان ارضى احداهما اسخط الاخرى واحتضر عابد فقال ما تأسفى على دار الآخرة والغموم والخطايا والذنوب

وانما تأسفى على ليلة نمتها ويوم افطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى * نه عمر خضر بماند نه ملك اسكندر * نزاع برسر دنياى دون مكن درويش فالدنيا لا تبقى والآخرة خير وابقى يحكى ان جعفر بن سليمان رحمه الله قال مررت انا ومالك بن دينار رضى الله عنه بالبصرة فبينما ندور فيها مررنا بقصر يعمر واذا بشاب حسن يأمر ببناء القصر ويقول افعلوا واصنعوا فدخلنا عليه وسلمنا فرد السلام قال مالك كم نويت ان تنفق على هذا القصر قال مائة الف درهم قال الا تعطينى هذا المال فاضعه فى حقه واضمن لك على الله تعالى قصرا خيرا من هذا القصر بولدانه وخدمه وقبابه وخيمه من ياقوتة حمراء مرصع بالجوهر ترابه الزعفران ملاطه المسك لم تمسه يدان ولم يبنه بان قال له الجليل سبحانه كن فكان فاثر فى الشاب كلامه فاحضر البدر ودعا بدواة وقرطاس ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان ابن فلان انى ضمنت لك على الله قصرا بدل قصرك صفته كما وصفت والزيادة على الله واشتريت لك بهذا المال قصرا فى الجنة افسح من قصرك فى ظل ظليل بقرب العزيز الجليل ثم طوى الكتاب ودفعه الى الشاب وانفق ما اخذه من المال على الفقراء وما اتى على الشاب اربعون ليلة حتى مات ووصى ان يجعل الكتاب بين كفنه وبدنه ووجد مالك ليلة وفاته كتابا موضوعا فى المحراب فاخذه ونشره فاذا هو مكتوب بلا مداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم مالك بن دينار وفينا الشاب القصر الذى ضمنته له وزيادة سبعين ضعفا (وفى المثنوى) هركه پايان بين تراو مسعودتر * جدتر او كارد افزون ديد بر * زانكه داند زين جهان كاشتن * هست بهر محشر وبرداشتن * آخرت قطار اشتران بملك * درتبع دنياش همچون پشم پشك * پشم بكزينى شترنبود ترا * وربود اشتر چه قيمت پشم را * يعنى ان اخترت الدنيا التى هى كصوف الجمل وآثرتها على الآخرة التى هى كنفس الجمل تكون محروما من الآخرة كما ان من اختار الصوف يحرم من الجمل بخلاف من كان الجمل ملكا له فانه لا قيمة عنده لصوفه ولا رغبة وقال فى محل آخر * بازكونه اى اسيران جهان * نام خود كرديد اميران جهان * اى تو بنده اين جهان محبوس جان * چند كويى خويش را خواجه جهان * تخته بند است انكه تختش خوانده * صدر پندارى وبردر مانده * پادشاهى نيستت برريش خود * پادشاهى چون كنى بانيك وبد * بى مرادتو شود ريشت سپيد * شرم دار از ريش خود اى كژ اميد * افتخار از رنك وبو وا زمكان * هست شادى وفريب كودكان * كون ميكويد بيا من خوش پى ام * وان فسادش كفته او من لاشى ام * اى زخوبىء بهاران لب كزان * بنكر ان سردىء وزردى خزان * روز ديدى طلعت خورشيد خوب * مرك اورا ياد كن وقت غروب * بدر را ديدى برين خوش چار طاق * حسرتش را هم ببين وقت محاق * كودكى از حسن شد مولاى خلق * بعد فردا شد خرف رسواى خلق * اى بديده لوتهاى چرب وچيز * فضلهٔ آنرا ببين در آبريز * مر خبث را كوكه آن خوبيت كو * برطبق آن زوق وآن نغزى وبو * پس انامل رشك استاد ان شده * درصناعت عاقبت لرزان شده * نركس چشم خمار همچو جان * آخر اعمش بين وآب ازوى چكان * حيدرى كاندر صف شيران رود * آخر او مغلوب موشى ميشود * زلف جعد مشكبار عقل بر * آخر آن چون دنب زشت خنك وخر * خوش ببين كونش زاول باكشاد * واخر آن رسوايى وفساد * والاشارة الحياة التى تكون بالتمتعات الدنيوية النفسانية كلعب الصبيان ولهو اهل العصيان يزيد فى الحجب والسير من البشرية الى الروحانية بترك الشهوات والاعراض عن غير الحق والاقبال الى الله خير للذين يتقون عما سوى الله بالله افلا تعقلون ان الله تعالى خلقكم لهذا الشأن لا لغيره كما قال واصطنعتك لنفسى اللهم احفظنا من تضييع العمر واهدنا الى حقيقة الامر انك انت الوهاب الهادى (قد نعلم) قد ههنا للتكثير والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه (انه) اى الشان (ليحزنك) يا محمد (الذى يقولون) فاعل يحزنك والعائد محذوف اى الذى يقوله كفار مكة وهو ما حكى عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك (فانهم لا يكذبونك) اى لا تعتد بما يقولون وكله الى الله تعالى فانهم فى تكذيبهم آيات الله لا يكذبونك فى الحقيقة (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) اى ولكنهم يكذبون بآيات الله وينكرونها فما يفعلون فى حقك فهو راجع الىّ فى الحقيقة لانك فانى عما سوى الله باقى بالله وانا انتقم منهم لا محالة اشد انتقام والمراد بالظلم جحودهم والجحود عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه والباء متعلقة بالفعل والتقديم للقصر يقال جحد حقه وبحقه اذا انكره (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية

رسول

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان البلية اذا عمت طابت اى وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شأن خطير وذوو عدد كثير او كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك (فصبروا على ما كذبوا واوذوا) اى على تكذيبهم وايذائهم (حتى اتاهم نصرنا) اى كان غاية صبرهم نصر الله تعالى اياهم فتأس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والنصر الموعود للصابرين يحتمل ان يكون بطريق اظهار الحجج والبراهين ويحتمل ان يكون بطريق القهر والغلبة او باهلاك الاعداء (قال الحافظ) اى دل صبور باش ومخور غم كه عاقبت * اين شام صبح كردد واين شب سحر شود (وقال ايضا) كرت چو نوح نبى صبر هست برغم طوفان * بلا بكردد وكام هزار ساله برآيد * (ولا مبدل لكلمات الله) اى مواعيده بالنصرة والغلبة كما قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) اى من خبرهم ما يسكن به قلبك وهو نصره تعالى اياك وقال المولى ابو السعود والجار والمجرور فى محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار مضمونه اى بعض نبأ المرسلين او بتقدير الموصوف اى بعض من نبأ المرسلين (وان كان كبر عليك اعراضهم) اى عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن وعدم عدهم له من قبيل الآيات واحببت ان تجيبهم الى ما سألوا اقتراحا لحرصك على اسلامهم (فان استطعت ان تبتغى نفقا) اى سربا ومنفذا (فى الارض) تنفذ فيه الى جوفها قال ابن الشيخ النفق سرب فى الارض له مخلص الى مكان آخر ومنه نافقاء اليربوع لان اليربوع يخرق الارض الى القعر ثم يصعد من ذلك الى وجه الارض من جانب آخر (او سلما) مصعدا (فى السماء) تعرج به فيها (فتأتيهم) منها (بآية) مما اقترحوه والجواب محذوف اى فافعل وجملة الشرطية الثانية جواب للشرطية الاولى والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء لايمانهم وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه (ولو شاء الله) هدايتهم (لجمعهم على الهدى) ولكن لم يشأ ذلك لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم منه ومشاهدتهم للآيات الداعية اليه فلم يؤمنوا فلا تتهالك عليه (فلا تكونن من الجاهلين) بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة بدقائق شؤونه تعالى التى من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم وفى الآية تربية وتأديب للنبى عليه السلام من الله تعالى كما قال عليه السلام ان الله ادبنى فاحسن تأديبى ائلا يبالغ فى الشفقة على غير اهلها (انما يستجيب) اى يقبل دعوتك الى الايمان (الذين يسمعون) ما يلقى اليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم (قال الحافظ) كوهر پاك ببايد كه شود قابل فيض * ورنه هرسنك وكلى لؤلؤ ومرجان نشود (والموتى) اى الكفار شبههم بهم فى عدم السماع (يبعثهم الله) من قبورهم (ثم اليه) تعالى لا الى غيره (يرجعون) اى يردون للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه (وقالوا) اى رؤساء قريش (لولا) تحضيضية بمعنى هلا (نزل عليه آية من ربه) كالناقة والعصا والمائدة من الخوارق الملجئة الى الايمان (قل) لهم (ان الله قادر على ان ينزل آية) كما اقترحوا (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم ان جحدوها اعلم ان الناس فى الاديان على اربعة اقسام سعيد بالنفس والروح فى لباس السعادة وهم الانبياء واهل الطاعة والثانى شقى بالنفس فى لباس الشقاوة وهم الكفار والمصرون على الكبائر والثالث شقى بالنفس فى لباس السعادة مثل بلعم باعورا وبرصيصا وابليس والرابع سعيد بالنفس فى لباس الشقاوة كبلال وصهيب وسلمان فى اوائل امرهم ثم بدل لباسهم بلباس التقوى والهداية فان قلت ما الحكمة فى ان الله تعالى خلق الخلق سعيدا او شقيا وقال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولو شاء لهداكم اجمعين قلنا قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه ان الله تعالى علم فى الازل ان فلانا فى خلقه يعصى لعدم سبق استعداده للسعادة فجعله شقيا لسبق القضاء عليه بمقتضى استعداده فى الاعيان الثابتة وظهر به استعداده لشؤون الجلال كانه سأل بلسان الاستعداد كونه شقيا يسأله من فى السموات والارض بلسان القال والحال والاستعداد كل يوم هو فى شان يفيض ويعطى كل شئ ما يستعده من السعادة والشقاوة على حسب الاستعدادات فى الاعيان الثابتة الغيبية العلمية وعلم سبحانه وتعالى ان عبده يطيع فجعله سعيدا اى بمقتضى استعداده للسعادة الاجمالى والقابلية المودعة فى النشأة الانسانية بقوله الست بربكم قالوا بلى فتلك الاجابة منهم تدل على الاستعداد

السعادى الازلى فلولم يكن ذلك لماصح عليهم التكليف والخطاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب فاذا عرفت ان الانسان سعيد وشقى فاستعداد السعيد لا يعطى الا الاقوال المرضية والافعال الحسنة والاخلاق الحميدة التى تورث الانبساط واستعداد الشقى لا يعطى الا التى تورث الانقباض فلذا امر الله تعالى حبيبه بالصبر وتحمل الايذاء من اهل الشقاوة والقهر والجلال والابتلاء فى الدنيا سبب للغفران وتكميل الدرجات التى لاتنال فى الجنان الاعلى قدر البلاء وفى الخبر ان فى الجنة مقامات معلقة فى الهواء يأوى اليها اهل البلاء كالطير الى وكره ولا ينالها غيرهم وان الرجل يبتلى على حسب دينه فان كان فى دينه صلابة اشتد بلاؤه وان كان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى وما عليه خطيئة والبلاء سوط الله على عباده كيلا يركنوا الى الدنيا ولا يشتغلوا بها ويفروا الى الله من ضرب سوطه كما يفر الخيل الى مستقره والآخرة هى دار القرار * ما بلا را بكس عطا نكنيم * تا كه نامش ز اوليا نكنيم * وبالجملة فمن ابتلى بشىء من المصائب والبلايا فالعاقبة حميدة فى الصبر وبالصبر يكون من الامة المرحومة حقيقة ويدخل فى اثر النبى عليه السلام (وما من دابة فى الارض) من زائدة لتأكيد الاستغراق وفى متعلقة بمحذوف هو وصف الدابة اى وما فرد من افراد الدواب يستقر فى قطر من اقطار الارض (ولا طائر) من الطيور فى ناحية من نواحى الجو (يطير بجناحيه) كما هو المشاهد المعتاد فقيد الطيران بالجناح تأكيد كما يقال نظرت بعينى واخذت بيدى اوهو قطع لمجاز السرعة لانه يقال طار فلان فى الارض اى اسرع (الا امم امثالكم) محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) يقال فرط فى الشئ ضيعه وتركه اى ما تركنا فى القرآن شيأ من الاشياء المهمة التى بينا انه تعالى مراع فيها المصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغى بل قد بينا كل شئ اما مفصلا او مجملا اما المفصل فكقوله تعالى ان النفس بالنفس والعين بالعين واما المجمل فكقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا روى ان الامام الشافعى كان جالسا فى المسجد الحرام فقال لاتسألونى عن شئ الا اجيبكم فيه من كتاب الله تعالى فقال رجل ما تقول فى المحرم اذا قتل الزنبور فقال لا شئ عليه فقال اين هذا فى كتاب الله فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول الآية ثم ذكر اسنادا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ثم ذكر اسنادا الى عمر رضى الله عنه انه قال للمحرم قتل الزنبور (ثم الى ربهم) اى الامم (يحشرون) يوم القيامة الى ربهم لا الى غيره فيقضى بينهم (والذين كذبوا بآياتنا) اى القرآن (صم) لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها وهو جمع اصم والمقصود تشبيه حالهم بحال الاصم لكن حذف حرف التشبيه للمبالغة (و بكم) لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك وهو جمع ابكم (فى الظلمات) اى ظلمات الكفر خبر ثالث للمبتدأ (من يشأ الله) اضلاله اى ان يخلق فيه الضلال (يضلله) اى يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما فى ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله (ومن يشأ) هدايته (يجعله على صراط مستقيم) لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه وفى الآيات امور الاول ان غير الانسان من الامم ايضا وفى الحديث لولا ان الكلاب امة لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم وذلك لان الكلب الاسود شيطان فى كونه اعقر الكلاب واخبثها واقلها نفعا واكثرها نعاسا وعن هذا قال احمد بن حنبل لا يحل الصيد به والاشارة ان ما يدب فى ارض البشرية ويتحرك كالسمع والبصر واللسان والاعضاء كلها والنفس وصفاتها وكذا ما يطير بجناحى الشريعة والطريقة كالقلب والروح وصفاتها امم امثالكم فى السؤال عن افعالهم واحوالهم يدل عليه قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا والثانى ان الحشر عام كما قال ابو هريرة رضى الله عنه يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيأخذ للجماء من القرناء كما فى الحديث لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء اى يقتص للشاة التى لا قرن لها من التى لها قرن قال ابن ملك وفيه دلالة على حشر الوحوش كما قال الله تعالى واذا الوحوش حشرت لكن القصاص فيها قصاص مقابلة لا قصاص تكليف انتهى ثم يقال للبهائم والوحوش والطيور كونى ترابا فتكون ترابا مثل تراب ارض ذلك العالم وعند ذلك يتمنى الكافر ويقول يا ليتنى كنت ترابا قال الحدادى والمراد بهذا الافناء للبهائم بعد ان احياها انه افناء لا يكون فيه الم والثالث ان الذين ختم الله على قلوبهم فهم كالاصم والابكم الاصليين

ومن خاصة الابكم ان يكون اصم (كما قال فى المثنوى) دائما هر كنك اصلى كر بود * ناطق آنكس شد كه از ما در شود * چون سليمان سوى مرغان سبا * يك صفيرى كرد بست آن جمله را * جز مكر مرغى كه بد بى بال و پر * يا چو ماهى كنك بد از اصل كر * نى غلط كفتم كه كر كر سر نهد * پيش وحى كبريا سمعش دهد * فقلوب الخلق بيد الله تعالى يصرفها كيف يشاء روى ان كفار مكة اجتمعوا على قتل النبى عليه السلام فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم ابليس فقال لماذا اجتمعتم فاخبروه بالقصة فقال لابى جهل يا ابا الحكم لو انك حملت صنمك وآلهتك الذى تعبده ووضعته بين يدى محمد وسجدت له ربما يسمع محمد منه شيأ وكان صنمه مرصعا بالجوهر والياقوت فحمل ابو جهل صنمه ووضعه بين يدى النبى عليه السلام وسجد له وقال الهى نعبدك ونتقرب اليك هذا محمد شتمنا بسببك ونطمع منك ان تنصرنا وتشتم محمدا فاخذ الصنم يتحرك ويتكلم ويشتم فدخل فى قلب النبى عليه السلام شئ ورجع الى بيت خديجة فلم يلبث ان دق الباب فاذا شاب دخل وبيده سيف فسلم وقال مرنى يا رسول الله حتى امتثل امرك فقال عليه السلام من انت قال انا من الجن قال كم تبلغ قوتك قال اقدر ان اقلع جبل حراء وابى قبيس وارميهما فى البحر قال من اين اقبلت الساعة قال كنت فى جزيرة البحر السابع اذا تانى جبرائيل فقال ادرك فلانا الشيطان دخل فى الصنم وشتم النبى عليه السلام فاقتله بهذا السيف فادركته فى الارض الرابعة فقتلته فقال له عليه السلام ارجع فانى استعين بربى من عدوى وقال الشاب لى اليك حاجة هى ان ترجع الى مكان كنت فيه امس فانهم يستخبرون ذلك الصنم ثانيا فرجع فى الغد ومعه ابو بكر الصديق فجاء ابو جهل مع صنمه ففعل كما فعل بالامس فاخذ الصنم يتحرك ويقول لا اله الا الله محمد رسول الله وانا صنم لا انفع ولا اضر وويل لمن عبدنى من دون الله فلما سمعوا ذلك قام ابو جهل وكسر صنمه وقال ان محمدا سحر الاصنام فظهر ان الله تعالى يقول الحق من السنة المظاهر ولكن لا يسمع المنافق والكافر (قل) يا محمد لاهل مكة (أرأيتكم) الكاف حرف خطاب اكد به ضمير الفاعل المخاطب لتأكيد الاسناد لا محل له من الاعراب كالكاف فى اياك وذلك الكاف يدل على احوال المخاطب من الافراد والتذكير ونحوها فهو يطابق ما يراد به والتاء تبقى على حالة واحدة مفردة مفتوحة ابدا نحو أرأيتك أرأيتكما أرأيتكم ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اى اخبرونى فجعل العلم او الابصار الذى هو سبب الاخبار مجازا عن الاخبار وجعل الاستفهام الذى للتبكيت والالجاء الى الاقرار مجازا عن الامر بجامع الطلب (ان اتاكم عذاب الله) فى الدنيا كما اتى من قبلكم من الامم (او اتتكم الساعة) اى القيامة المشتملة على ذلك العذاب وهو العذاب الاخروى والساعة اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمى بها لانها ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم (اغير الله تدعون) هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت (ان كنتم صادقين) جواب الشرط محذوف اى ان كنتم صادقين فى ان اصنامكم آلهة كما انها دعواكم المعروفة فاخبرونى اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان صدقهم بهذا المعنى من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه (بل اياه تدعون) عطف على جملة منفية كانه قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون (فيكشف ما تدعون اليه) اى الى كشفه عطف على تدعون اى فيكشف اثر دعائكم (ان شاء) كشفه فقبول الدعاء تابع لمشيئته تعالى فقد يقبله كما فى بعض دعواهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوى وقد لا يقبله كما فى بعض آخر منها وفى جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروى الذى من جملته الساعة فانه تعالى لا يغفر ان يشرك به فلا يشاء فى الآخرة (وتنسون ما تشركون) عطف على تدعون ايضا اى تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا لما ذكر فى العقول على انه القادر على كشف العذاب دون غيره فالنسيان هنا بمعنى الترك لا بمعنى الغفلة (ولقد ارسلنا) اى وبالله لقد ارسلنا رسلا (الى امم) كثيرة (من قبلك) اى كائنة من زمان قبل زمانك فمن لابتداء الغاية فى الزمان على مذهب الكوفية مثل صمت من اول الليل وصمت من اول الشهر الى آخره وقال المحشى سنان چلبى من زائدة على قول من جوز زيادتها فى الموجب واما عند غيره فهى بمعنى فى كما فى قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة (فاخذناهم) الفاء فصيحة تفصح ان الكلام مبنى على اعتبار الحذف اى فكذبوا رسلهم فاخذناهم (بالبأساء) اى بالشدة والفقر (والضراء) اى الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما (لعلهم يتضرعون) اى لكى يدعوا الله فى كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم (فلولا) هلا (اذ جاءهم بأسنا) عذابنا (تضرعوا) اى لم يفعلوا ذلك مع قيام

مقتضى له فلولا يفيد اللوم والتنديم وذلك عند قيام الداعى الى الفعل وانتفاء العذر فى تركه (ولكن قست
قلوبهم) استدراك على المعنى اى لم يتضرعوا ولكن يبست وجفت قلوبهم ولو كان فى قلوبهم رقة
وخوف لتضرعوا (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) اى حسن لهم الكفر والمعاصى بان اغواهم
ودعاهم الى اللذة والراحة دون التفكر والتدبر ولم يخطر ببالهم ان مااعتراهم من البأساء والضراء
مااعتراهم الا لاجله (فلما نسوا ما ذكروا به) عطف على مقدر اى فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء
والضراء فلما نسوه (فتحنا عليهم ابواب كل شئ) من فنون النعماء على منهاج الاستدراج (حتى) ابتدائية
ومع ذلك غاية لقوله فتحنا (اذا فرحوا بما اوتوا) اى صاروا معجبين بحالهم فالفرح فرح البطر كفرح قارون
بما اصابه من الدنيا (اخذناهم) بالعذاب (بغتة) اى فجأة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا كما قال اهل المعانى
انهم انما اخذوا فى حال الراحة والرخاء ليكون اشد تحسرهم على مافاتهم من حال السلامة والعافية
(فاذا هم مبلسون) متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير راجعون فاذا للمفاجاة والابلاس بمعنى
اليأس من النجاة عند ورود المهلكة والمعنى الحسرة والحزن (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) اى آخرهم بحيث
لم يبق منهم احد فالدابر يقال للتابع للشئ من خلفه كالولد للوالد يقال دبر فلان القوم يدبر دبرا ودبورا اذا كان
آخرهم قال البغوى معناه انهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار
بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذى هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصى مقام الطاعات
(والحمد لله رب العالمين) على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم
عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها لاسيما ما فيه من اعلاء كلمة الحق التى
نطقت بها رسلهم عليهم السلام وفى الايات امور منها ان الله تعالى هو المرجع فى كل امر حال الاختيار
والاضطرار والعاقل لا يلتجئ الى غيره تعالى لان ماسوى الله آلات واسباب والمؤثر فى الحقيقة هو الله تعالى
فشأن المؤمن هو النظر الى بابه والاستمداد من جنابه حال السراء والضراء بخلاف الكافر فانه يفتح عينيه عند
نزول الشدة والمقبول هو الرجوع اختيارا فان العبد المطيع لا يترك باب سيده على كل حال ومنها ان الله تعالى
يقلب الانسان تارة من البأساء والضراء الى الراحة والرخاء وانواع الالاء والنعماء واخرى يعكس الامر كما يفعله
الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه والزاما للحجة وازاحة للعلة ففى هذه المعاملة
تربية له وفائدة عظيمة فى دينه ودنياه ان تفطن (قال الصائب) نهاد سخت توسوهان بخرد نمى كيرد *
وكرنه پست وبلند زمان سوهانست * ومنها ان الهلاك بقدر الاستدراج ونعوذ بالله تعالى من المكروه
وفى الحديث اذا رأيت الله تعالى يعطى عبدا فى الدنيا على معصية ما يحب فان ذلك منه استدراج ثم قرأ صلى الله
عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به الاية وفى التأويلات النجمية فتحنا عليهم ابواب كل شئ اى من البلاء فى صورة
النعماء لارباب الظاهر بالنعمة الظاهرة من المال والجاه والقبول والصحة وامثالها ولارباب الباطن بالنعمة
الباطنة من فتوحات الغيب واراءة الايات وظواهر الكرامات ورؤية الانوار وكشف الاسرار والاشراف على
الخواطر وصفاء الاوقات ومشاهدة الروحانية واشباهها مما يربى به اطفال الطريقة فان كثيرا من متوسطى
هذه الطائفة تعتريهم الآفات فى اثناء السلوك عند سأمة النفس عن المجاهدات وملالتها من كثرة الرياضات
فيوسوسهم الشيطان وتسول لهم انفسهم انهم قد بلغوا فى السلوك رتبة قد استغنوا بها عن صحبة الشيخ وتسليم
تصرفاته فيخرجون من عنده ويشرعون فى الطلب على وفق انفسهم فيقعون فى ورطة الخذلان وسخرة
الشيطان فيريهم الاشياء الخارقة للعادة وهم يحسبون انها من نتايج العبادة وكان بعضهم يسير
فى البادية وقد اصابه العطش فانتهى الى بئر فارتفع الماء الى رأس البئر فرفع رأسه الى السماء وقال اعلم انك
قادر ولكن لا اطيق هذا فلو قيضت لى بعض الاعراب يصفعنى صفعا ويسقينى شربة ماء كان خيرا لى
ثم انى اعلم ان ذلك الرفق ليس من جهته وقال الشيخ ابو عبد الله القرشى قدس سره من لم يكن كارها لظهور
الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصى فهى حجاب فى حقه وسترها عنه رحمة ومنها
ان العجب مذموم مهلك وفى الحديث ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه مرد معجب
زاهل دين نبود * هيچ خودبين خداى بين نبود * بيخبر از جهان ومست بكيست * خويشتن

بين

بين وبت برست بكيست * وعلاجه رؤية التوفيق من الله تعالى ومنها ان النعمة لابد لها من الحمد
والشكر وفى الخبر الصحيح اول من يدعى الى الجنة الحامدون لله على كل حال ولما حمد نوح عليه السلام بقوله
الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وجد السلامة حيث قال تعالى يا نوح اهبط بسلام منا فلابد من الحمد
على السلامة سواء كانت من جهة الدين او من جهة الدنيا اذ كل منهما نعمة ودخل رجل على سهل بن عبد
الله فقال ان اللص دخل دارى واخذ متاعى فقال اشكر الله لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وافسد
التوحيد ماذا كنت تصنع يقول الفقير جامع هذه المجالس الشريفة سئلت فى المنام عن معنى الحمد فقلت
الحمد اظهار الكمال بتهيئة اسبابه فقال السائل وهو واحد من سادات المشايخ ما تهيئة الاسباب فقلت ان ترفع
يديك الى السماء وتنظر الى جانب الملكوت وتظهر الخضوع والخشوع وان تثنى على الله تعالى ثناء حقا كما ينبغى
ثم استيقظت فجاء التفسير بحمد الله تعالى مشيرا الى مراتب الشكر (كما قال بعضهم) الشكر قيد للنعم
مستلزم دفع النقم وهو على ثلاثة قلب بد فاعلم وفم والحمد لله تعالى ولى الانعام على الاستمرار والدوام
(قل) يا محمد لاهل مكة (أرأيتم) اى اخبرونى ايها المشركون فان الرؤية بصرية كانت او علمية سبب الاخبار
كما سبق (ان اخذ الله سمعكم) اى اصمكم (وابصاركم) اى اعماكم بالكلية (وختم على قلوبكم) بان غطى عليها
ما يزول به عقلكم وفهمكم بحيث تصيرون مجانين (من اله غير الله) من استفهامية مبتدأ واله خبره وغيره
صفة له (يأتيكم به) اى بما اخذه منكم وهى صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اى اخبرونى
ان سلب الله عنكم اشراف اعضائكم من احد غير الله يأتيكم بها ومن المعلوم انه لا يقدر عليه الا الله سبحانه
فهو المستحق للعبادة والتعظيم وهو احتجاج آخر على المشركين (انظر) يا محمد وتعجب (كيف نصرف الآيات)
اى نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب
والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين قال الحدادى التصريف توجيه المعنى فى الجهات التى
تظهرها اتم الاظهار (ثم هم يصدفون) اى يعرضون عنها فلا يؤمنون وثم لاستبعاد صدفهم اى اعراضهم
عن تلك الايات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها (قل أرأيتكم) اى اخبرونى
ايها المشركون (ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة) اى ليلا ونهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة اى الفجأة
وفيما اتى نهارا الجهرة وهو المناسب لما فى سورة الاعراف من قوله تعالى أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا
بياتا وهم نائمون او أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون والقرآن يفسر بعضه بعضا وهو
اللائح بالبال (هل يهلك الا القوم الظالمون) الاستفهام بمعنى النفى ومتعلق الاستخبار محذوف اى اخبرونى
ان اتاكم عذابه العاجل الخاص بكم بغتة او جهرة كما اتى من قبلكم من الامم ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك
هل يهلك الا القوم الظالمون اى ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم ووضع المظهر موضع المضمر ايذانا بان
مناط هلاكهم ظلمهم الذى هو وضعهم للكفر موضع الايمان (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) حالان
مقدرتان من المرسلين اى ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم ففيهما معنى العلة الغائية قطعا اى لم نرسلهم
لان يقترح عليهم الآيات ويتلهى بهم بل لان يبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على
المعصية التبشير الاخبار بالخبر السار والانذار الاخبار بالخبر الضار (فمن آمن) بهم (واصلح) عمله او دخل
فى الصلاح (فلا خوف عليهم) من العذاب الذى انذروه دنيويا كان او اخرويا (ولا هم يحزنون) بفوات ما بشروا
به من الثواب العاجل والآجل (والذين كذبوا بآياتنا) وهى ما نطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير
والانذار ويبلغونه الى الامم (يمسهم العذاب) الاليم واسند المس الى العذاب مع ان حقه ان يسند الى الاحياء
لكونه من الافعال المسبوقة بالقصد والاختيار على طريق الاستعارة بالكناية فجعل كأنه حى يطلب ايلامهم
والوصول اليهم (بما كانوا يفسقون) اى بسبب فسقهم المستمر الذى هو الاصرار على الخروج عن التصديق
والطاعة وفى الآيات ترغيب وترهيب وفى الكلمات القدسية يا ابن آدم لا تأمن مكرى حتى تجوز على الصراط
روى ان الله تعالى قال يا ابراهيم ما هذا الوجل الشديد الذى اراه منك فقال يا رب كيف لا اوجل وآدم ابى
كان محله القرب منك خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك وامرت الملائكة بالسجود له فبمعصية واحدة
اخرجته من جوارك فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم اما عرفت ان معصية الحبيب على الحبيب شديدة وعن مالك

ابن دينار قال دخلت جبانة البصرة فاذا انا بسعدون المجنون فقلت كيف حالك وكيف انت قال يا مالك
كيف يكون حال من امسى واصبح يريد سفرا بعيدا بلا اهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد ثم بكى
بكاء شديدا فقلت ما يبكيك فقال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت والبلى لكن بكيت ليوم
مضى من عمرى لم يحسن فيه عملى كارى كنيم ورنه خجالت برآورد * روزى كه رخت جان بجهان دكر
كشيم * ابكانى والله قلة الزاد وبعد المفازة والعقبة الكؤود ولا ادرى بعد ذلك اصير الى الجنة ام الى النار
فسمعت منه كلام حكمة فقلت ان الناس يزعمون انك مجنون فقال ما بى جنة ولكن حب مولاى خالط قلبى
واحشائى وجرى بين لحمى ودمى وعظامى در ره منزل ليلى كه خطرهاست درو * شرط اول قدم آنست كه
مجنون باشى * كاروان رفت وتو در خواب وبيابان در پيش * كى روى ره ز كه پرسى چه كنى چون
باشى * وعلى تقدير الزلة فليبادر العاقل الى التوبة والاستغفار حتى يتخلص من عذاب الملك القهار
كما قال تعالى فمن آمن واصلح فلا الخ روى ان الملائكة تعرج الى السماء بسيئات العبد فاذا عرضوها على اللوح
المحفوظ يجدون مكانها حسنات فيخرون على وجوههم ويقولون ربنا انك تعلم اننا ما كتبنا عليه الا ما عمل
فيقول الله تعالى صدقتم ولكن عبدى ندم على خطيئته واستشفع الىّ بدمعته فغفرت ذنبه وجدت عليه
بالكرم وانا اكرم الاكرمين فالايمان واصلاح العمل والندم على الزلل سبب النجاة فى الدنيا والآخرة قال بعض
الكبار ان الايمان والاسلام يمكن ان يكونا شيأ واحدا فى الحقيقة ولكن خص كل منهما بنوع مجازا عرفيا فكل
ما كان فيه التصديق القلبى اطلق عليه الايمان لوجود اصل معناه فيه كما لا يخفى (قل) يا محمد للكفرة الذين
يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات واخرى غير ذلك (لا اقول لكم عندى خزآئن الله) اى لا ادعى ان خزآئن
مقدوراته تعالى مفوضة الىّ اتصرف فيها كيف اشاء استقلالا واستدعاء حتى تقترحوا علىّ تنزيل الآيات
او انزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشأنى فالخزآئن جمع خزينة بمعنى مخزونة قال
الحدادى وليس خزآئن الله مثل خزآئن العباد وانما خزآئن الله تعالى خزآئن مقدوراته التى لا توجد الا بتكوينه
اياها ويجوز ان يكون جمع خزانة وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشئ وخزن الشئ احرازه بحيث لا تناله
الايدى وكانوا يقولون ان كنت رسولا من عند الله تعالى فوسع علينا منافع الدنيا وخيراتها فالمعنى لا ادعى ان
مفاتيح الرزق بيدى فاقبض وابسط (ولا اعلم الغيب) عطف على محل عندى خزآئن الله ولا مزيدة مذكرة للنفى
اى ولا ادعى ايضا انى اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسألونى عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما
(ولا اقول لكم انى ملك) من الملائكة حتى تكلفونى من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من
الرقى الى السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافى بصفاتهم قادحا فى امرى كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول يأكل
الطعام ويمشى فى الاسواق والمعنى انى لا ادعى شيأ من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا علىّ ما هو من آثارها
واحكامها وتجعلوا عدم اجابتى الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التى لا تعلق لها بشئ مما ذكر
قطعا بل انما هى عبارة عن تلقى الوحى من جهته عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
(ان اتبع الا ما يوحى الىّ) اى ما افعل الا اتباع ما يوحى الىّ من غير ان يكون لى مدخل ما فى الوحى او فى الموحى
بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلا والوحى ثلاثة ما ثبت بلسان الملك والقرآن من هذا القبيل
وما ثبت باشارة الملك من غير ان يبينه بالكلام واليه الاشارة بقوله عليه السلام ان روح القدس نفث فى روعى
ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها والثالث ما تبدى لقلبه اى ظهر لقلبه بلا شبهة الهاما من الله تعالى
بان اراه الله بنور من عنده كما قال لتحكم بين الناس بما اراك الله وابو الاشعرية واكثر المتكلمين ان يحكم عليه
السلام بالاجتهاد كما تدل عليه الآية اذ ثبت بها انه لا يتبع الا الوحى والجواب انه جعل اجتهاده عليه السلام وحيا
باعتبار المآل فان تقريره عليه السلام على اجتهاده يدل على انه هو الحق كما اذا ثبت بالوحى ابتداء (قل هل يستوى
الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدى فانه عليه السلام لما وصف نفسه بكونه متبعا للوحى الالهى لزم منه ان
يصف نفسه بالاهتداء ويصف من عانده واستبعد دعواه بالضلال فالعمل بغير الوحى يجرى مجرى عمل الاعمى
والعمل بمقتضى الوحى يجرى مجرى عمل البصير (افلا تتفكرون) اى الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه
فتهتدوا باتباع الوحى والعمل بمقتضاه فمناط التوبيخ عدم الامرين معا اى الاستماع والتفكر (وانذر به) اى خوف

من

من العذاب بما يوحى (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) اى يبعثوا ويجمعوا الى ربهم اى الى موضع لا يملك
احد فيه نفعهم ولا ضرهم الا الله تعالى وقيل يخافون يعلمون لان خوفهم انما كان من علمهم (ليس لهم من
دونه ولىّ) قريب ينفعهم (ولا شفيع) يشفع لهم وجملة النفى اى ليس فى موضع الحال من ضمير يحشرون
فان المخوف هو الحشر على هذه الحال وقوله من دونه حال من اسم ليس اى متجاوز الله تعالى والمراد بالموصول
المؤمنون العاصون كما فى اكثر التفاسير وانما نفى الشفاعة لغيره مع ان الانبياء والاولياء يشفعون كما هو مذهب
اهل السنة لانهم لا يشفعون الا باذنه فكانت الشفاعة فى الحقيقة من الله تعالى وقال المولى ابو السعود رحمه
الله المراد بالموصول المجوزون من الكفار للحشر سوآء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين
بالبعث المترددين فى شفاعة آبائهم الانبياء كالاولين او فى شفاعة الاصنام كالآخرين او مترددين فيهما معا
كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون
للحشر رأسا والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون ممن امر بانذارهم انتهى
فالكلام على هذا ظاهر لان الظالمين ليس لهم من حميم ولا شفيع يطاع (لعلهم يتقون) تعليل للامر اى انذرهم
لكى يتقوا الله باقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات او يتقوا الكفر والمعاصى والاشارة ان الله تعالى امر نبيه
عليه السلام ان يكلم الكفار على قدر عقولهم فقال قل لا اقول لكم عندى خزآئن الله على انها عندى ولكن
لا اقول لكم وهى علم حقائق الاشياء وماهياتها وقد كان عنده فى اراءة سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم
وفى اجابة قوله عليه السلام ارنا الاشياء كما هى فى قوله اوتيت جوامع الكلم وما امره الله تعالى الا ان قل ليس
عندى خزآئن الله قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر (ولا تبذر الاسرار) يعنى بيان الحقائق الذى هو
غذآء القلب والروح كالبذر آء يعنى الحنطة للجسم (فى ارض عميان) يعنى فى ارض استعداد هؤلاء الطوآئف
الذين لا يبصرون الحق ولا يشاهدونه فى جميع الاشياء كما فى شرح الفصوص للمولى الجامى قدس سره
(قال السعدى) در بغست باسفله كفت از علوم * كه ضايع شود تخم در شوره بوم * ولا اعلم الغيب
فانه صلى الله عليه وسلم كان يخبر عما مضى وعما سيكون باعلام الحق وقد قال عليه السلام ليلة المعراج قطرت
فى حلقى قطرة علمت ما كان وما سيكون فمن قال ان نبى الله لا يعلم الغيب فقد اخطأ فيما اصاب ولا اقول لكم
انى ملك وان كنت قد عبرت عن مقام الملك حين قلت لجبرئيل تقدم فقال لو دنوت انملة لاحترقت
(كما قال السعدى) شبى بر نشست از فلك بر كذشت * بتمكين وجاه از ملك در كذشت *
چنان كرم در تيه قربت براند * كه در سدره جبريل از وباز ماند * ان اتبع الا ما يوحى الىّ يعنى لا اخبركم
عن مقاماتى واحوالى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل الا بما يوحى الىّ ان اخبركم
وكيف اخبركم بما اعمى الله بصائركم عنه وانا به بصير فلا يستوى الاعمى والبصير ثم قال وانذر به يعنى اخبر
بهذه الحقائق والمعانى الذين يخافون اى يرجون ان يحشروا الى ربهم بجذبات العناية ويتحقق لهم ليس لهم
فى الوصول الى الله من دونه ولى يعنى من الاولياء ولا شفيع يعنى من الانبياء لان الوصول لا يمكن الا بجذبات
الحق لعلهم يتقون عما سوى الله بالله فى طلب الوصول قال السرى السقطى قدس سره خرجت يوما الى المقابر
فاذا ببهلول فقلت له اى شئ تصنع هنا قال اجالس قوما لا يؤذوننى وان غبت لا يغتابوننى فقلت له تكون جائعا
فولى وانشأ يقول

تجوع فان الجوع من عمل التقى * وان طويل الجوع يوما سيشبع

قيل مثل الصالحين وما زينهم الله به دون غيرهم مثل جند قال لهم الملك تزينوا للعرض علىّ غدا فمن كانت
زينته احسن كانت منزلته عندى ارفع ثم يرسل الملك فى السر بزينة عنده ليس عند الجند مثلها الى خواص
مملكته واهل محبته فاذا تزينوا بزينة الملك فخروا سائر الجند عند العرض على الملك فهذا مثل من وفقهم الله تعالى
للاعمال الصالحة والاحوال الزكية ولا حاجة لهم الى ان يصفوا ما عندهم الى عامة الناس فان علمهم بذلك كاف
وسيظهر يوم العرض الاكبر وعند الكثيب الاحمر (اولئك خدام كرام وسادة * ونحن عبيد السوء بئس عبيد)
(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشىّ) روى ان رؤساء قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين رأوا فى مجلسه الشريف فقرآء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب وبلال وسلمان وغيرهم لو طردت

هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم وكان عليهم جباب صوف لاغيرها السناك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا حتى يعرف العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحيى ان ترانا مع هؤلاء فاذا قمنا عن مجلسك فاقعدهم معك ان شئت فهم عليه السلام ان يفعل ذلك طمعا فى ايمانهم فانزل الله تعالى هذه الاية يعلمه انه لا يحب ان تفضل غنيا على فقير ولا شريفا على وضيع لانه طريقه فيما ارسل به الدين دون احوال الدنيا والطرد الابعاد وبالفارسية مران ازمجلس خودان درويشانراكه ميخوانند پروردكار خودرا وذكر او ميكنند بامداد وشبانكاه والمراد بذكر الوقتين الدوام ومن دام ذكره دام جلوسه مع الله كما قال انا جليس من ذكرنى (يريدون) بذكرهم وعبادتهم (وجهه) تعالى ورضاه لا شيأ من اغراض الدنيا حال من ضمير يدعون اى يدعونه تعالى مخلصين له وقيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * واشعارا بانه من اقوى موجبات الاكرام المنافى للابعاد (وما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) لما لم يقتصر المشركون فى طعن فقرآء المسلمين على وصفهم بكونهم موالى ومساكين بل طعنوا فى ايمانهم ايضا حيث قالوا يا محمد انهم انما اجتمعوا عندك وقبلوا دينك لانهم يجدون عندك مأكولا وملبوسا بهذا السبب والا فهم عارون عن دينك والايمان بك دفع الله تعالى ما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويلهم فقال ما عليك اى ليس عليك الا اعتبار ظاهر حالهم وهو اتسامهم بسمة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضى كما يقوله المشركون فمضرة حساب ايمانهم لا ترجع الا اليهم لا اليك لان المضرة المرتبة على حساب كل نفس عائدة اليها لا الى غيرها فالمقصود منه دفع طعن الكفار وتثبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على تربية الفقرآء وادنائهم وضمير حسابهم وعليهم للذين يدعون ربهم وكلمة من فى قوله من شئ زآئدة وهو فاعل عليك وعليهم لاعتمادهما على النفى ومن حسابهم ومن حسابك صفة لشئ ثم قدمت فصارت حالا قال المولى ابو السعود وذكر قوله تعالى وما من حسابك عليهم من شئ مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة فى بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه فى سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (فتطردهم) جواب النفى نحو ما تأتينا فتحدثنا بالنصب فتحدث على ان يكون المعنى انتفاء التحديث لانتفاء سببه الذى هو الاتيان والاية الكريمة من هذا القبيل فانه لو كانت مضرة حسابهم مستقرة على المخاطب لكان ذلك سببا للابعاد من يتوهم الوهن فى ايمانه فحكم بان هذا السبب غير واقع حتى يقع مسببه الذى هو الطرد (فتكون من الظالمين) جواب النهى وهو ولا تطرد الذين الاية (وكذلك فتنا) ذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذى هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقرآء المؤمنين فى امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه فى امر الدنيا من كمال سوء الحال والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اى ابتلينا (بعضهم ببعض) اى بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الاخرين فى امر الدنيا على الاولين المتقدمين عليهم فى امر الدنيا تقدما كليا (ليقولوا) اللام للعاقبة اى ليكون عاقبة امرهم ان يقول البعض الاولون مشيرين الى الاخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوى وتعاميا عما هو مناط التفضل حقيقة (اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المتقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقرآء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن رأسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى قال الكلبى ان الشريف اذا نظر الى الوضيع قد اسلم قبله استنكف وانف ان يسلم وقال قد سبقنى هذا بالاسلام فلا يسلم (أليس الله باعلم بالشاكرين) رد لقولهم ذلك وابطال له اى أليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا انعامه عليهم وفيه اشارة الى ان اولئك الضعفاء عارفون لحق نعمة الله تعالى فى تنزيل القرآن والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك وتعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله قال فى التأويلات النجمية وكذلك فتنا بعضهم ببعض يعنى الفاضل بالمفضول والمفضول بالفاضل فليشكر الفاضل وليصبر المفضول فان لم يشكر الفاضل فقد تعرض لزوال الفضل وان صبر المفضول فقد سعى فى نيل الفضل والمفضول الصابر يستوى مع الفاضل الشاكر كما كان سليمان فى الشكر مع ايوب فى الصبر فان سليمان مع كثرة

صورة اعماله فى العبودية كان مع ايوب مع عجزه عن صورة اعمال العبودية متساويين فى مقام نعم العبدية فقال لكل واحد منهما نعم العبد ففتنة الفاضل للمفضول رؤية فضله على المفضول وتحقيره ومنع حقه عنه فى فضله وفتنة المفضول فى الفاضل حسده على فضله وسخطه عليه فى منع حقه من فضله عنه فانه انقطع بالخلق او رأى المنع والعطاء من الخلق وهو المعطى والمانع لاغير فعلى العاقل ان يختار ما اختاره الله ولا يريد الا ما يريده (قال الكاشفى) فى تفسيره الفارسى در كشف الاسرار آورده كه ارادت بر سه وجه است اول ارادت دنياى محض كما قال تعالى تريدون عرض الدنيا) ونشان آن دو چيز است در زيادتى دنيا بنقصان دين راضى بودن واز درويشان ومسلمانان اعراض نمودن ودوم ارادت آخرت محض (كما قال تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها) وآن نيز دو علامت دارد درسلامتى دين بنقصان دنيا رضا دادن ودر مؤانست والفت بروى درويشان كشادن سوم ارادت حق محض كما قال تعالى يريدون وجهه) ونشان آن پاى برسر كونين نهادن است واز خود وخلق آزاد كشتن * ماراخواهى خطى بعالم دركش * در بحر فنا غرقه شو ودم دركش * فهم يريدون وجهه تعالى فكل يريدون منه وهم يريدونه ولا يريدون منه كما قيل

وكل له سؤل ودين ومذهب * ووصلكمو سؤلى ودينى رضاكمو

وتكلم الناس فى الارادة فاكثروا وتحقيقها اهتياج يحصل فى القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل الى الله تعالى فصاحب الارادة لا يهدأ ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون وصوله اليه سكونا ولا قرارا كما فى التأويلات النجمية وفى الاية الكريمة بيان فضل الفقرآء وعن ابى سعيد الخدرى قال جلست فى نفر من ضعفاء المهاجرين وكان بعضهم يستتر ببعض من العرى وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام سكت القارئ فسلم رسول الله وقال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ يقرأ علينا وكنا نستمع الى كتاب الله تعالى فقال رسول الله الحمد لله الذى جعل من امتى من امرنى ان اصبر نفسى معهم قال ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له قال فما رأيت رسول الله عرف منهم احدا غيرى فقال ابشروا يا معاشر صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة وفى الحديث يؤتى بالعبد الفقير يوم القيامة فيعتذر الله عز وجل اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل فى الدنيا فيقول وعزتى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لهوانك على ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدى الى هذه الصفوف وانظر الى من اطعمك او كساك واراد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل به ذلك فى الدنيا فيأخذه بيده ويدخل الجنة (قال الحافظ) توانكرا دل درويش خود بدست آور * كه مخزن زر وكنج ودرم نخواهد ماند * برين رواق زبرجد نوشته اند بزر * كه جز نكويى اهل كرم نخواهد ماند * وفى الحديث لكل شئ مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقرآء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة (قال الشيخ العطار قدس سره) حب درويشان كليد جنت است * دشمن ايشان سزاى لعنت است * اللهم اجعلنا من الاحباب ولا تطردنا خارج الباب (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) روى ان قوما جاؤا الى النبى عليه السلام فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فما تدارك الاستغفار وتدبير الاعتذار فسكت عنهم ولم يرد عليهم شيأ فانصرفوا مأيوسين فنزلت قال الامام كل من آمن بالله دخل هذا التشريف (فقل سلام عليكم) من كل مكروه وآفة والسلام بمعنى التسليم اى الدعاء بالسلامة فمعنى سلام عليكم سلمنا عليكم سلاما اى دعوت بان يسلمكم الله من الآفات فى دينكم ونفسكم وانما امره بان يبدأهم بالسلام مع ان العادة ان الجائى يسلم على القاعد حتى ينبسط اليهم بالسلام عليهم لئلا يحتشموا من الانبساط اليه هذا هو السلام فى الدنيا واما فى الآخرة فتسلم عليهم الملائكة عند دخول الجنة كقوله سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين والله يبتدئ بالسلام عليهم بقوله سلام قولا من رب رحيم وقوله فقل سلام عليكم يشير الى السلام الذى سلمه الله على حبيبه عليه السلام ليلة المعراج اذ قال له السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته فقال فى قبول السلام السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين والذى تاب من بعد ظلمه منتظم فى سلك اهل الصلاح فورد الاية لا ينافى هذا المعنى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) اى قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان قال ابن الشيخ كلمة على تفيد الايجاب

واذا اجتمعا تأكد الايجاب وهو لا ينافى كونه تعالى فاعلا مختارا بل هو عبارة عن تأكيد وبيان لفضله وكرمه اه قال فى التأويلات النجمية قال فى حديث ربانى للجنة انما انت رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادى فيرحم بجنته من شاء من عباده ويرحم بذاته من شاء من عباده (انه من عمل منكم سوأ) بدل من الرحمة والتقدير كتب على نفسه انه من عمل الخ فان مضمون هذه الجملة لا شك انه رحمة والسوء بالفارسية كاربد (بجهالة) حال من فاعل عمل اى عمله ملتبسا بجهالة حقيقة بان يفعله وهو لا يعلم ما يترتب عليه من المضرة والعقوبة او حكما بان يفعله عالما بسوء عاقبته فان من عمل ما يؤدى الى الضرر فى العاقبة وهو عالم بذلك اوظان فهو فى حكم الجاهل فهو حال مؤكدة لانها مقررة لمضمون قوله عمل سوأ لان عمل السوء لا ينفك عن الجهالة حقيقة او حكما قال اهل الاشارة يشير بقوله منكم الى ان عامل السوء صنفان صنف منكم ايها المؤمنون المهتدون وصنف من غيركم وهم الكفار الضالون والجهالة جهالتان جهالة الضلالة وهى نتيجة اخطاء النور المرشش فى عالم الارواح وجهالة الجهولية وهى التى جبل الانسان عليها فمن عمل من الكفار سوأ بجهالة الضلالة فلا توبة له بخلاف من عمل سوأ من المؤمنين بجهالة الجهولية المركوزة فيه فان له توبة كما قال تعالى (ثم تاب) اى رجع عنه (من بعده) اى من بعد عمله (واصلح) اى ما افسده والاصلاح هو ان لا يعود ولا يفسد (فانه) خبر مبتدأ محذوف اى فامره ان الله تعالى (غفور) له (رحيم) به قال الكاشفى فى تفسيره الفارسى امام قشيرى رحمه الله فرموده كه اكر ملك بر تو ذلت مى نويسد ملك براى تو رحمت مى نويسد پس ترا دو كتابت است يكى ازلى ويكى وقتى مقررست كه كتابت وقتى كتابت ازلى را باطل نمى تواند ساخت مضمون اين آيت شريف شفاست بيماران بيمارستان كناه را وشفا بشرط پرهيزست يعنى توبه واستغفار دردمندان كنه را روز وشب * شربتى بهتر ز استغفار نيست * ارزومندان وصال يار را * چاره غير از ناله وزار نيست (وكذلك نفصل الايات) الكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده اى هذا التفصيل البديع نفصل الآيات القرآنية ونبينها فى صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين ليظهر الحق ويعمل به (ولتستبين سبيل المجرمين) اى تظهر طريقتهم فيجتنب عنها ورفع سبيل على انه فاعل فانه يذكر فى لغة بنى تميم ويؤنث فى لغة اهل الحجاز ووجه الاستبانة والايضاح ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة فعلى العاقل ان يسلك طريق الفوز والفلاح ويصل الى ما وصل اليه اهل الصلاح واول الطريق هو التوبة والاستغفار قال العلماء تذكروا قبح الذنوب وشدة عقوبة الله ثم تذكر ضعفك وقلة حيلتك فى ذلك فمن لا يحتمل قرص نملة وحر شمس كيف يحتمل نار جهنم ولسع حيات فينبغى ان تجتهد فى الخروج عن الذنوب على اقسامها التى بينك وبين عباد الله بالاستحلال ورد المظالم واما التى هى من ترك الواجبات من صلاة وصيام وزكاة فتقضى ما امكن منها واما التى بينك وبين الله كشرب الخمر وضرب المزامير واكل الربا فتندم على ما مضى منها وتوطن قلبك على ترك العود الى مثلها ابدا فاذا ارضيت الخصوم بما امكن وقضيت الفوائت بما تقدر عليه وبرأت قلبك عن الذنوب فينبغى ان ترجع اليه بحسن الابتهال والضراعة ليكفيك ذلك بفضله فتذهب فتغتسل وتغسل ثيابك فتصلى ركعتين كما فى الحديث الصحيح ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر له وفى حديث آخر ايما عبد او امة ترك صلاته فى جهالته فتاب وندم على تركها فليصل يوم الجمعة بين الظهر والعصر اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل منها الفاتحة وآية الكرسى والاخلاص والمعوذتين مرة لا يحاسبه الله تعالى يوم القيامة ووجد صحيفة سيئاته حسنات ذكره فى مختصر الاحياء يقول الفقير جامع هذه الفوائد ان هذا الحديث على تقدير صحته لا يفهم منه ان هذه الصلاة تكون قضاء لجميع ما فات منه وتقوم بدله كيف وقد ذكر فى اوله التوبة والندامة ومن مقتضاها قضاء ما سلف كما مر آنفا فمعنى ان الله تعالى لا يحاسبه يوم القيامة لا يقول له لم اخرت الصلاة التى فرضت عليك عن اوقاتها وذلك ببركة هذه الصلاة الشريفة التى هى تأكيد لتوبته وزيادة فى اعتذاره وقد عرف فى الشرع ان العبد كما يحاسب على ترك الصلوات كذلك يحاسب على تاخيرها عن اوقاتها وبهذا البيان انحل ما اشكل على بعض من مواظبة الناس على قضاء صلوات يوم وليلة فى آخر جمعة من شهر رمضان بين الظهر والعصر فان ما يصلونه هى الصلاة المذكورة عند الحقيقة لكنهم يغلطون فى زعمهم وفى الكيفية والله اعلم وفى كتاب الترغيب والترهيب انه جاء رجل الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال واذنوباه واذنوباه مرتين او ثلاثا فقال له عليه السلام قل اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبى ورحمتك ارجى عندى من عملى فقالها ثم قال عد فعاد ثم قال عد فعاد ثم قال قم فقد غفر الله لك ومن استغفر للمؤمنين كل يوم كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وما الميت فى قبره الا كالغريق المنتظر ينتظر دعوة تلحقه من اب او ام او اخ او صديق فاذا الحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان الله تعالى ليدخل على اهل القبور من دعاء اهل الارض امثال الجبال وان هدية الاحياء الى الاموات الاستغفار لهم ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب فانك مرجع كل تواب واواب (قل انى نهيت) كان كفار قريش يدعونه عليه السلام الى دين آبائه فنزلت اى صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل على من الآيات فى امر التوحيد (ان اعبد الذين تدعون) اى عن عبادة ما تعبدونه (من دون الله) كائنا ما كان (قل لا اتبع اهواءكم) اشارة الى الموجب للنهى كانهم قالوا لم نهيت عما نحن فيه ولم تمتنع عن متابعتنا اجاب بان ما انتم عليه هوى وليس بهدى فكيف اتبع الهوى واترك الهدى (قد ضللت اذا) اى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت اى تركت سبيل الحق (وما انا من المهتدين) من الذين سلكوا طريق الهدى عطف على ما قبله (قل انى على بينة) كائنة (من ربى) والبينة الحجة الواضحة التى تفصل بين الحق والباطل يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بحجة واضحة وشاهد صدق والمراد بها القرآن والوحى (وكذبتم به) جملة مستأنفة سيقت للاخبار بذلك والضمير المجرور للتنبيه والتذكير باعتبار البيان والبرهان والمعنى انى على بينة عظيمة كائنة من ربى وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التى من جملتها الوعيد بمجيء العذاب (ما عندى ما تستعجلون به) روى ان رؤساء قريش كانوا يستعجلون العذاب بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام حتى قام النضر بن الحارث فى الحطيم وقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم والمعنى ليس ما تستعجلون به من العذاب الموعود فى القرآن وتجعلون تأخره ذريعة لتكذيبه فى حكمى وقدرتى حتى اجيء به واظهر لكم صدقه اى ليس امره بمفوض الى (ان الحكم) اى ما الحكم فى ذلك وغيره تعجيلا وتأخيرا (الا لله) وحده من غير ان يكون لى دخل ما فيه بوجه من الوجوه (يقص الحق) اى يقول الحق ويتبعه فى بيان جميع احكامه ولا يحكم الا بما هو حق فتأخير العذاب حق ثابت جار على حكمة بليغة واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدى على صاحبه (وهو خير الفاصلين) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل (قل لو ان عندى) اى فى قدرتى ومكنتى (ما تستعجلون به) من العذاب الذى ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا الى من جهته عز وجل (لقضى الامر بينى وبينكم) اى بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفى بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذى هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى (والله اعلم بالظالمين) اى بحالهم وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الى فلم يقض الامر بتعجيل العذاب فعابد الاصنام سواء امهل او لا يذوق العذاب ولا يتخلص عنه اصلا وكذا عابد الدنيا والنفس والشيطان والهوى فان ذلك فى نار الجحيم وهذا فى نار الفراق العظيم فعلى العاقل ان لا يتبع الهوى كما امر الله تعالى فقال قل لا اتبع اهواءكم قال بعضهم جزت مرة ببلاد السواد فرأيت شيخا جالسا فى الهواء فسلمت عليه فرد السلام على فقلت له بم جلست فى الهواء قال خالفت الهوى فاسكننت فى الهواء وجاء جماعة من فقهاء اليمن الى الشيخ الكبير ابى الغيث قدس سره يمتحنونه فى شيء فلما دنوا منه قال مرحبا بعبيد عبدى فاستعظموا ذلك فلحقوا شيخ الطريقين وامام الفريقين العالم العارف ابا الذبيح اسماعيل بن محمد الحضرمى فاخبروه بما قاله الشيخ ابو الغيث لهم فضحك الشيخ وقال صدق الشيخ انتم عبيد الهوى والهوى عبده وانما يتخلص المرء عن الهوى بالتقوى (وفى المثنوى) چونكه تقوى بست دو دست هوا * حق كشايد هر دو دست عقل را * پس حواس بيره محكوم تو شد * چون خرد سالار ومخدوم تو شد * واعلم ان الهوى من اوصاف النفس فالآيات متعلقة باصلاح النفس ومن كان على بينة من ربه وهى فى الحقيقة النور الذى ينشرح به الصدر يكون على الهدى لا على الهوى وله علامات كما لا يخفى (حكى) ان بعض الصالحين كان يتكلم على الناس ويعظهم فمر عليه فى بعض الايام يهودى

وهو يخوفهم ويقرأ قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فقال اليهودى ان كان هذا الكلام حقا فنحن وانتم سوآء فقال له الشيخ لا ما نحن سوآء بل نحن نرد ونصدر وانتم تردون ولا تصدرون ننجو نحن منها بالتقوى وتبقون انتم فيها جثيا بالظلم ثم قرأ الاية الثانية ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فقال اليهودى نحن المتقون فقال له الشيخ كلا بل نحن وتلا قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى فقال اليهودى هات برهانا على صدق هذا فقال له الشيخ البرهان حاضر يراه كل ناظر وهو ان تطرح ثيابى وثيابك فى النار فمن سلمت ثيابه فهو الناجى منها ومن احرقت ثيابه فهو الباقى فيها فنزعا ثيابهما فاخذ الشيخ ثياب اليهودى ولفها ولف عليها ثيابه ورمى الجميع فى النار ثم دخل النار فاخذ الثياب ثم خرج من الجانب الاخر ثم فتحت الثياب فاذا ثياب الشيخ المسلم سالمة بيضاء قد نظفتها النار وازالت عنها الوسخ وثياب اليهودى قد صارت حراقة مع انها مستورة وثياب الشيخ المسلم ظاهرة للنار فلما رأى ذلك اسلم والحمد لله فهذه الحكاية مناسبة لما ذكر من الايات اذ كفار قريش كانوا من اهل الظلم والهوى فلم ينفعهم دعواهم فصاروا الى العذاب والمؤمنون كانوا من اهل العدل والبينة والهدى فانتج تقواهم ووصلوا الى جنات مفتحة لهم الابواب ومن سلم لباسه من النار سلم وجوده بالطريق الاولى بل الثوب فى الحقيقة هو الوجود الظاهرى الذى استتر به الروح الباطنى فلابد من تطهيره المؤدى الى تطهير الباطن يسره الله (وعنده) اى الله تعالى خاصة (مفاتح الغيب) اى خزآئن غيوبه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن والكنز والاضافة من قبيل لجين الماء وهو المناسب للمقام كما فى حواشى سعدى چلبى المفتى ويجوز ان يكون جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح اى آلة الفتح فالمعنى ما يتوصل به الى الغيب شبه الغيب بالخزآئن المستوثق بها بالاقفال واثبت لها مفاتح على سبيل التخييل ولما كان عنده تلك المفاتح كان المتوصل الى ما فى الخزآئن من المغيبات هو لا غير كما فى حواشى ابن الشيخ (لا يعلمها الا هو) تأكيد لمضمون ما قبله قال فى تفسير الجلالين وهى الخمسة التى فى قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الآية رواه البخارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم ما فى الارحام الا الله ولا يعلم ما فى غد الا الله ولا يعلم متى يأتى المطر الا الله ولا يدرى باى ارض تموت النفس الا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله (ويعلم ما فى البر والبحر) من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها وتكثير افرادها وهو بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سوآء فى الجلاء (وما تسقط من) زآئدة (ورقة الا يعلمها) يريد ساقطة وثابتة يعنى يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه وهى مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات (ولا حبة) عطف على ورقة وهى بالفارسية دانه (فى ظلمات الارض) اى كائنة فى بطونها الا يعلمها (قال الكاشفى) مراد تخميست كه در زمين افتد (ولا رطب) عطف على ورقة ايضا وهو بالفارسية تر (ولا يابس) بالفارسية خشك اى ما يسقط من شئ من هذه الاشياء الا يعلمه قال الحدادى الرطب واليابس عبارة عن جميع الاشياء التى تكون فى السموات وفى الارض لانها لا تخلو من احدى هاتين الصفتين انتهى فيختصان بالجسمانيات اذ الرطوبة واليبوسة من اوصاف الجسمانيات (الا فى كتاب مبين) هو اللوح المحفوظ فهو بدل اشتمال من الاستثناء الاول او هو علمه تعالى فهو بدل منه بدل الكل وقرئ لا رطب ولا يابس بالرفع على الابتدآء والخبر الا فى كتاب وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شأنه السقوط قال الحدادى فان قيل ما الفائدة فى كون ذلك فى اللوح مع ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ وان كان عالما بذلك قبل ان يخلقه وقبل ان يكتبه لم يكتبها ليحفظها ويدرسها قيل فائدته ان الحوادث اذا حدثت موافقة للمكتوب ازدادت الملائكة بذلك علما ويقينا بعظيم صفات الله تعالى يقول الفقير ان الملائكة ليست من اهل الترقى والتنزل فقصر الفائدة على ذلك مما لا معنى له بل نقول ان اللوح قلب هذا التعين كقلب الانسان قد انتقش فيه ما كان وما سيكون وهو من مراتب التنزلات فقد ضبط الله فيه جميع المقدورات الكونية لفوآئد ترجع الى العباد يعرفها العلماء بالله (قال الحافظ) معرفت نيست درين قوم خدايا مددى * تا برم كوهر خود را بخريدار دكر * والاشارة فى الاية ان الله تعالى جعل لكل شئ من المكونات شهادة تناسب ذلك الشئ وغيبا مناسباله وجعل لغيب كل مفتاحا يفتح به باب غيب ذلك الشئ وشهادته فينفعل ذلك

الشئ

الشئ كما اراده الله فى الازل وقدره وعنده مفاتح ذلك الغيب لا يعلمها الا هو لانه لا خالق الا هو وليس لنبى ولا لولى مدخل فى علم هذه المفاتح ولا فى استعمالها لانه مختص بالخالق فقط وسأضرب لك مثلا تدرك به هذه الحقيقة وذلك مثل نقاش للصورة فان لكل صورة مما ينقشه شهادة هى هيئتها وغيبا هو علم التصوير ومفتاحا يفتح به باب علم التصوير على هيئة الصورة لتنفعل الصورة كما هى ثابتة فى ذهن النقاش هو القلم والقلم بيد النقاش لا مدخل لتصرف غيره فيه فالله تعالى هو النقاش المصور والصور هى المكونات المختلفة الغيبية والشهادية وشهادة كل صورة منها خلقتها وتكوينها وقلم تصويرها الذى هو مفتاح يفتح به باب علم تكوينها على صورتها وكونها هو الملكوت فبقلم ملكوت كل شئ يكون كون كل شئ وقلم الملكوت بيد الله تعالى كما قال فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون وكما ان الاشياء مختلفة فالملكوتيات مختلفات وملكوت كل شئ من الجماد والنبات والحيوان والانسان والملك مناسب لصورته ولهذا جمع المفاتح ووحد الغيب وقال وعنده مفاتح الغيب لان الغيب هو علم التكوين وهو واحد فى جميع الاشياء وفى الملكوت كثرة كما فى اقلام المصور فافهم جدا وبعلم التكوين يعلم ما فى البر والبحر لان به كون البر وهو عالم الشهادة والصورة والبحر وهو عالم الغيب والملكوت يدل على هذا المعنى قوله عالم الغيب والشهادة وبهذا العلم ما تسقط من ورقة الا يعلمها لانه مكونها ومثبتها ومسقطها ولا حبة فى ظلمات الارض اى حبة الروح فى ظلمات صفات ارض النفس وايضا ولا حبة فى ظلمات الارض اى ارض القلب وظلمات صفات البشرية الا وهو ركبها ويعلم كمالها او نقصانها ولا رطب ولا يابس الرطب هو الموجود فى الحال واليابس هو المعدوم فى الحال وسيكون موجودا وايضا الرطب الروحانيات واليابس الجماديات وايضا الرطب المؤمن واليابس الكافر وايضا الرطب العالم واليابس الجاهل وايضا الرطب العارف واليابس الزاهد وايضا الرطب اهل المحبة واليابس اهل السلوة وايضا الرطب صاحب الشهود واليابس صاحب الوجود وايضا الرطب الباقى بالله واليابس الباقى بنفسه الا فى كتاب مبين وهو ام الكتاب كذا فى التأويلات النجمية قدس سر مؤلفها العزيز الشريف (وهو الذى يتوفاكم بالليل) الخطاب عام للمؤمن والكافر اى ينيمكم فى الليل ويجعلكم كالميت فى زوال الاحساس والتمييز ومن هنا ورد النوم اخ الموت والتوفى فى الاصل قبض الشئ بتمامه وعن على رضى الله عنه يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة يعنى ان الذى يرى الرؤيا هو الروح الانسانى وانه يرى فى عالم البرزخ ما صدر عن الروح الحيوانى من القبيح والحسن وهو ظل الروح الانسانى والتعبير بالحيوانى والانسانى اصطلاح الحكماء واما اهل السلوك فيعبرون عنها بالروح وتنزله (ويعلم ما جرحتم بالنهار) اى ما كسبتم فيه وجوارح الانسان اعضاؤه التى يكسب بها الاعمال خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على العادة (ثم يبعثكم فيه) اى يوقظكم فى النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله ويعلم بينهما لبيان ما فى بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على انه بعد علم ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفى بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخى كانه قيل هو الذى يتوفاكم فى جنس الليل ثم يبعثكم فى جنس النهار مع علمه بما ستجرحون فيه (ليقضى اجل مسمى) اى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له فى الدنيا وقضاء الاجل فصل الامر على سبيل التمام فمعنى قضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت والاجل آخر مدة الحياة (ثم اليه مرجعكم) اى رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة باعمالكم التى كنتم تعملونها فى تلك الليالى والايام (وهو القاهر) مستعليا (فوق عباده) اى المتصرف فى امورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويجوز ان يكون فوق خبرا بعد خبر وليس معنى فوق معنى المكان لاستحالة اضافة الاماكن الى الله تعالى وانما معناه الغلبة والقدرة ونظيره فلان فوق فلان فى العلم اى اعلم منه (وفى المثنوى) دست بر بالاى دست اين تا كجا * تا بيزدان كه اليه المنتهى * كان يكى دريا ست بى غور وكران * جمله درياها چو سيلى پيش آن * حيلها وچارها كر اژدهاست * پيش الا الله انها جمله لاست (ويرسل عليكم حفظة) عطف على الجملة الاسمية قبلها اى يرسل عليكم خاصة ايها المكلفون ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن

المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه (قال الكاشفى) نه انديشى ازان روز يكه دروى * جكرها خون ودلها ريش بينى * دهندت نامهٔ اعمال وكويند * بخوان تا كردهاى خويش بينى * مكن ورميكنى بارى دران كوش * كه اندر نامه نيكى پيش بينى * وورد فى الخبران على كل واحد منا ملكين بالليل وملكين بالنهار يكتب احدهما الحسنات والآخر السيئات وصاحب اليمين امير على صاحب الشمال فاذا عمل العبد حسنة كتبت له بعشر امثالها واذا عمل سيئة فاراد صاحب الشمال ان يكتب قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عنه ست ساعات اوسبع ساعات فان هو استغفر الله لم يكتب عليه وان لم يستغفر كتب سيئة واحدة فان قلت هل تعرف هؤلاء الملائكة العزم الباطن كما يعرفون الفعل الظاهر قلت نعم لان الحفظة تنتسخ من السفرة وهى من الخزنة التى وكلت باللوح وقد كتب فيه احوال العوالم واهاليها من السرآئر والظواهر فبعد وقوفهم على ذلك يكتبون ثانيا من اول اليوم الى آخره ومن اول الليل الى آخره حسبما يصدر عن الانسان وقيل اذاهم العبد بحسنة فاح من فيه رآئحة المسك فيعلمون بهذه العلامة فيكتبونها واذاهم بسيئة فاح منه ريح النتن فان قلت الملائكة التى ترفع عمل العبد فى اليوم هم الذين يأتون غدا ام غيرهم قلت قال بعض العلماء الظاهر انهم هم وان ملكى الانسان لا يتغيران عليه مادام حيا وقال بعض المشايخ من جاء منهم لا يرجع ابدا مرة اخرى ويجيىء آخرون مكانهم الى نفاد العمر واختلف فى موضع جلوس الملكين وفى الخبر النبوى نقوا افواهكم بالخلال فانها مجالس الملكين الكريمين الحافظين وان مدادهما الريق وقلمهما اللسان وليس عليهما شئ امر من بقايا الطعام بين الاسنان ولا يبعد ان يوكل بالعبد ملائكة سوى هذين الملكين كل منهم يحفظه عن اذى كما جاء فى الروايات (حتى اذا جاء احدكم الموت) حتى هى التى يبتدأ بها الكلام وهى مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاء اسباب الموت ومباديه (توفته رسلنا) الاخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة (وهم) اى الرسل (لا يفرطون) اى لا يقصرون فيما يؤمرون بالتوانى والتأخير طرفة عين واعلم ان القابض لارواح جميع الخلق هو الله تعالى حقيقة وان ملك الموت واعوانه وسائط ولذلك اضيف التوفى اليهم وقد يكون التوفى بدون وساطتهم كما نقل فى وفاة فاطمة الزهرآء رضى الله عنها وغيرها واعوان ملك الموت اربعة عشر ملكا سبعة منها ملائكة الرحمة واليهم يسلم روح المؤمن بعد القبض وسبعة منهم ملائكة العذاب واليهم يسلم روح الكافر بعد الوفاة قال مجاهد قد جعلت الارض لملك الموت كالطشت يتناول من حيث يشاء يقول الفقير ليس على ملك الموت صعوبة فى قبض الارواح وان كثرت وكانت فى امكنة مختلفة وكيفيته لا تعرف بهذا العقل الجزئى كما لا تعرف كيفية وسوسة الشيطان فى قلوب جميع اهل الدنيا روى فى الخبران رسول الله دخل على مريض يعوده فرأى ملك الموت عند رأسه فقال يا ملك الموت ارفق به فانه مؤمن فقال ملك الموت يا محمد ابشر وطب نفسا وقر عينا فانى بكل مؤمن رفيق انى لاقبض روح المؤمن فيصرخ اهله فاعتزل فى جانب الدار فاقول مالى من ذنب وانى مأمور وان لى لعودة فالحذر الحذر ومامن اهل بيت مدر ولا وبر فى بر وبحر الا وانا اتصفحهم فى كل يوم خمس مرات حتى انى لاعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله لو اردت ان اقبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتى يأمرنى الله تعالى بقبضها قال العلماء الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وانما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار الى دار ولما خلق الله الموت على صورة كبش املح قال له اذهب الى صفوف الملائكة على هيئتك هذه فلم يبق ملك الا غشى عليه الى الف عام ثم افاقوا فقالوا يا ربنا ما هذا قال الموت قالوا لمن ذلك قال على كل نفس قالوا لم خلقت الدنيا قال ليسكنها بنوا آدم قالوا لم خلقت النساء قال ليكون النسل قالوا من يسلط عليه هذا اهل يشتغل بالنساء والدنيا قال ان طول الامل ينسيهم الموت حتى يكون منهم آخذ الدنيا وشهوة النساء ولذلك قيل الموت من اعظم المصائب واعظم منه الغفلة عنه (ثم ردوا) عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم اى ردهم الملائكة بعد البعث (الى الله) اى الى حكمه وجزآئه فى موقف الحساب فالرد الى الله ليس على ظاهره لكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة بل هو عبارة عن جعلهم منقادين لحكم الله تعالى مطيعين لقضائه

بان يساقوا الى حيث لا مالك ولا حاكم فيه سواه (مولاهم) اى مالكهم الذى يملك امورهم على الاطلاق واما قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم فالمولى فيه بمعنى الناصر فلا تناقض وهو بدل من الجلالة (الحق) الذى لا يقضى الا بالعدل وهو صفة للمولى (ألا) اى اعلموا وتنبهوا (له الحكم) اى القضاء بين العباد يومئذ لا حكم لغيره فيه بوجه من الوجوه (وهو اسرع الحاسبين) يحاسب جميع الخلائق فى اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن لا يتكلم بآلة ولا يحتاج الى فكرة وروية وعقد يد ومعنى المحاسبة تعريف كل واحد ما يستحقه من ثواب وعقاب قال بعض العلماء المحاسبة لتقدير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها فيقدم الحساب على الميزان ولهذا لا ميزان لمن يدخل الجنة بلا حساب واعلم ان الحشر والحساب لا يكون على وجه الارض وانما يكون فى الارض المبدلة وهى ارض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ولم يظلم عليها احد فاذا ثبت الحشر والحساب وان الله تعالى هو المحاسب وجب على العاقل ان يحاسب نفسه قبل ان يناقش فى الحساب لانه هو التاجر فى طريق الآخرة وبضاعته عمره وربحه صرف عمره فى الطاعات والعبادات وخسرانه صرفه فى المعاصى والسيئات ونفسه شريكه فى هذه التجارة وهى وان كانت تصلح للخير والشر لكنها اميل واقبل الى المعاصى والشهوات فلا بد لها من مراقبتها ومحاسبتها (قال السعدى) توغافل دراندیشهٔ سود ومال * كه سرمايهٔ عمر شد پايمال (قل) يا محمد لاهل مكة (من) استفهام (ينجيكم) اى يخلصكم ويعطى لكم نجاة (من ظلمات البر والبحر) من شدآئدهما واهوالهما فى اسفاركم استعيرت الظلمة للمشقة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اى اشتدت ظلمته حتى صار كالليل فى ظلمته بناء على ان الليل اذا لم يستنر بنور القمر ظهرت الكواكب صغارها وكبارها وكلما اشتدت ظلمته اشتد ظهور الكواكب (تدعونه تضرعا وخفية) اى معلنين ومسرين على ان يكون تضرعا وخفية مصدرين فى موضع الحال من فاعل تدعونه وتدعون حال من فاعل ينجيكم اى داعين اياه تعالى والتضرع اظهار الضراعة وهى شدة الفقر والحاجة الى الشئ (لئن انجانا) حال من فاعل تدعون ايضا على ارادة القول اى تدعونه قائلين والله لئن خلصنا (من هذه) الظلمات والشدآئد (لنكونن من الشاكرين) اى الراسخين فى الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة والشكر الاعتراف بالنعمة مع القيام بحقها وحق نعمة الله ان يطاع منعمها ولا يعصى فضلا عن ان يشرك به ما لا يقدر على شئ اصلا (قل) لهم (الله ينجيكم منها ومن كل كرب) اى غم سواها والكرب غاية الغم الذى يأخذ بالنفس (ثم انتم) بعد ما تشاهدون من هذه النعم الجليلة (تشركون) بعبادته تعالى غيره والمناسب لقولهم لنكونن من الشاكرين ان يقال ثم انتم لا تشكرون اى لا تعبدون لكن وضع تشركون موضعه تنبيها على ان الاشراك بمنزلة ترك الشكر رأسا (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا) لاجل اشراككم (من فوقكم) اى عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بقوم نوح عليه السلام بحيث اهلكهم بان ارسل عليهم الطوفان والصاعقة والريح والصيحة واهلك قوم لوط واصحاب الفيل بان امطر عليهم حجارة (او من تحت ارجلكم) اى من جهة السفل كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم ملوككم واكابركم ورؤسائكم ومن تحت ارجلكم عبيدكم السوء وسفلتكم وسفهائكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح (او يلبسكم) من لبست عليه الامر اى خلطته من باب ضرب واما لبست الثوب فمن باب علم ومصدر الاول اللبس بالفتح والثانى بالضم والمعنى او يخلطكم (شيعا) منصوب على انه حال من مفعول يلبسكم وهو جمع شيعة كسدرة وسدر والشيعة كل قوم اجتمعوا على امر اى يخلطكم حال كونكم فرقا متحزبين على اهوآء شتى ومذاهب مختلفة كل فرقة متشايعة لامام فينشب بينكم القتال اى يهيج ويظهر فهذا الخلط هو خلط اضطراب لا خلط اتفاق (ويذيق بعضكم بأس بعض) يقاتل بعضكم بعضا ومن سنة الله تعالى ان يذيق الكافرين بأس المؤمنين وبالعكس وان يذيق بعض الكافرين بأس بعض وبعض المؤمنين بأس بعضهم كما هو فى اكثر الازمان والاعصار على حسب التربية المبنية على جماله وجلاله تعالى وفى الحديث سألت ربى ثلاثا فاعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألت ربى ان لا يهلك امتى بالسنة فاعطانيها فسألته ان لا يهلك امتى بالغرق فاعطانيها وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها اراد بالسنة قحطا يعم امته وبالغرق بفتح الرآء ما يكون على سبيل العموم كطوفان نوح عليه السلام قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى البروسوى تأثير

طوفان نوح عليه السلام يظهر فى كل ثلاثين سنة مرة واحدة لكن على الخفة فيقع مطر كثير ويغرق بعض القرى والبيوت من السيل اه كلامه واراد عليه السلام بالباس الحرب والفتن وفى الحديث فناء امتى بالطعن والطاعون وفى آخر اذا وضع السيف فى امتى لم يرفع منها الى يوم القيامة وفيه معجزة للنبى عليه السلام حيث كان الامر كما اخبره والبأس الشدة فى الحرب وسبب دخول البأس عدم حكم الائمة بكتاب الله تعالى وسبب تسلط العدو نقض عهد الله وعهد رسوله كما جاء فى بعض الاحاديث (انظر) يا محمد (كيف نصرف) لهم (الآيات) القرآنية من حال الى حال بالوعد والوعيد اى نبين لهم آية على اثر آية ونوردها على وجوه مختلفة من اول السورة الى هنا (لعلهم يفقهون) كى يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد (وكذب به) اى بالعذاب الموعود او القرآن المجيد الناطق بمجيئه (قومك) اى المعاندون منهم (وهو الحق) اى والحال ان ذلك العذاب واقع لا محالة او انه الكتاب الصادق فى كل ما نطق (قل) لهم (لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه (لكل نبأ) اى خبر من اخبار القرآن (مستقر) اسم زمان اى وقت يقع فيه ويستقر زمن عذابكم (وسوف تعلمون) عند وقوعه فى الدنيا او فى الآخرة او فيهما معا فعلى العاقل ان يتضرع الى الله تعالى فى دفع الشدائد ولا يصر على ذنبه فانه سبب للابتلاء وكل ظلمة انما تجيء من ظلمات النفس الامارة (كما قال فى المثنوى) هرچه برتو آيد از ظلمات غم * آن زبى شرمى وكستاخيست هم (قال الصائب) چرا زغير شكايت كنم كه همچو حباب * هميشه خانه خراب هواى خويشتنم * والاشارة ان البر هو الاجسام والبحر هو الارواح فالارواح وان كانت نورانية بالنسبة الى الاجسام لكن بالنسبة الى الحق ونور الوهيته ظلمانية كما قال عليه السلام ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمعناه اذا خلقتكم فى ظلمة الخلقية فمن ينجيكم من ظلمات بر البشرية وظلمات بحر الروحانية اذ تدعونه تضرعا اى بالجسم وخفية اى بالروح لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون حين تجلى لكم نور من انوار صفاته فبعضكم يشرك ويقول انا الحق وبعضكم يقول سبحانى ما اعظم شانى قل هو القادر على ان يبعث عليكم حين تقولون انا الحق وسبحانى عذابا من فوقكم بان يرخى حجابا بينه وبينكم يعذبكم به عزة وغيرة او من تحت ارجلكم اى حجابا من اوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى عليكم او يلبسكم شيعا يجعل الخلق فيكم فرقا فرقة يقولون هم الصديقون وفرقة يقولون هم الزنادقة ويذيق بعضكم بأس بعض بالقتل والصلب وقطع الاعراق كما فعل بابن منصور قالوا وقد كان قد جرى من الحلاج قدس سره كلام فى مجلس حامد بن عباس وزير المقتدر بحضرة القاضى ابى عمر فافتى بحل دمه وكتب خطه بذلك وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء وقال له الحلاج ظهرى حمى ودمى حرام وما يحل لكم ان تتأولوا على بما يبيحه وانما اعتقادى الاسلام ومذهبى السنة وتفضيل الائمة الاربعة الخلفاء الراشدين وبقية العشرة من الصحابة رضى الله عنهم ولى كتب فى السنة موجودة فى الوراقين فالله الله فى دمى ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم الى ان استكملوا ما احتاجوا اليه وانفضوا من المجلس وحمل الحلاج الى السجن وكتب الوزير الى المقتدر يخبره بما جرى فى المجلس فعاد جواب المقتدر بان القضاة اذا كانوا قد افتوا بقتله فليسلم الى صاحب الشرطة وليتقدم بضربه الف سوط فان مات والا فيضرب الف سوط آخر ثم ليضرب عنقه فسلمه الوزير الى الشرطى وقال له ما رسم به المقتدر وقال ايضا ان لم يتلف بالضرب يقطع يده ثم رجله ثم يحز رأسه وتحرق جثته وان خدعك وقال لك انا اجرى لك الفرات ودجلة ذهبا وفضة فلا تقبل منه ذلك ولا ترفع العقوبة عنه فتسلمه الشرطى ليلا واصبح يوم الثلاثاء اسبع بقين من ذى الحجة من سنة تسع وثلاثمائة فاخرجه الى باب الطاق وهو يتبختر فى قيوده واجتمع من العامة خلق لا يحصى عددهم وضربه الجلاد الف سوط ولم يتأوه ولما فرغ من ضربه قطع اطرافه الاربعة ثم حز رأسه ثم احرقت جثته ولما صار رمادا القاه فى دجلة ونصب الرأس ببغداد على الجسر وادعى بعض اصحابه انه لم يقتل ولكن التى شبهه على عدو من اعداء الله تعالى كما وقع فى حق عيسى عليه السلام والاولياء ورثة للانبياء يقول الفقير لهذا التشبيه والتخييل نظائر فى حكايات المشايخ يجدها من تتبع ومرادى بيان جوازه لا اعتقاد انه كان كذلك فان قلت من حق ولاية الحلاج ان لا يحترق ولا يكون رمادا قلت ذلك غير لازم فان الاجساد مشتركة

فى قبول العوارض والآفات الا ترى الى حال ايوب ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام وقد ذكر اهل التفسير فى اصحاب الرس انهم قتلوا الانبياء المبعوثين اليهم واكلوا لحومهم تمردا وعنادا ورسوا ابآرهم بعظامهم نعم قد يكون فى هذه النشأة امور خارجة عن العادة خارقة كاحوال بعض الانبياء والاولياء الذين قتلوا ومثلا ثم احياهم الله تعالى واما فى القبر فقد ثبت ان الارض لا تأكل اجساد الانبياء ومن يليهم (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) اذا منصوب بجوابه وهو فاعرض والمراد بالخطاب النبى عليه السلام وامته والخوض فى اللغة الشروع فى الشئ مطلقا الا انه غلب فى الشروع فى الشئ الباطل والآيات القرآن والمعنى اذا رأيت الذين يشرعون فى القرآن بالتكذيب والاستهزاء به والطعن فيه كما هو دأب كفار قريش (فاعرض عنهم) بترك مجالستهم والقيام عنهم عند خوضهم فى الآيات (حتى يخوضوا فى حديث غيره) اى استمر على الاعراض الى ان يشرعوا فى حديث غير آياتنا فالضمير الى الآيات والتذكير باعتبار كونها حديثا او قرآنا (واما) اصله ان ما فادغمت نون ان الشرطية فى ما المزيدة (ينسينك الشيطان) اى ما امرت به من ترك مجالستهم (فلا تقعد بعد الذكرى) اى بعد ان تذكره فهو مصدر بمعنى الذكر ولم يجئ مصدر على فعلى غير ذكرى (مع القوم الظالمين) الذين وضعوا التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم وهذا الانساء محض احتمال يدل عليه كلمة ان الشرطية فلا يلزم وقوعه مع ان العلماء قد اتفقوا على جواز السهو والنسيان على الانبياء عليهم السلام والمراد بالشيطان ابليس او واحد من اكابر جنوده لان الذى هو قرينه عليه السلام فلا يأمره الا بخير بخلاف قرين كل واحد من الامة وفى الحديث فضلت على آدم بخصلتين كان شيطانى كافرا فاعاننى الله عليه فاسلم وكن ازواجى عونا لى وكان شيطان آدم وزوجته عونا على خطيئته ولما قال المسلمون لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس فى المسجد الحرام ونطوف بالبيت لانهم يخوضون ابدا رخص الله تعالى فى مجالستهم على سبيل الوعظ والتذكير فقال (وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ) الضمير فى حسابهم للخائضين ومن زائدة وشئ فى محل الرفع على انه مبتدأ للخبر المقدم وهو على الذين اى وما على المؤمنين الذين يجتنبون من قبائح اعمال الخائضين واقوالهم شئ مما يحاسبون عليه من الجرائم والآثام (ولكن ذكرى) اى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح بما امكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير فنصب ذكرى على المصدرية والواو للعطف ولكن خالص للاستدراك فلا يلزم الجمع بين حرفى العطف كما ان اللام مع سوف تخرج عن كونها للحال وتخلص للتأكيد (لعلهم يتقون) اى يجتنبون الخوض حياء وكراهة لمساءتهم (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) المراد بالموصول الكفار الخائضون فى الآيات ودينهم هو الذى كلفوه وامروا باقامة مواجبه وهو دين الاسلام ومعنى اتخاذه لعبا ولهوا انهم سخروا به واستهزؤا واللعب عمل يشغل النفس وينفرها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل (وغرتهم الحياة الدنيا) واطمأنوا بها حتى زعموا ان لا حياة بعدها ابدا والمعنى اعرض عنهم واترك معاشرتهم وملاطفتهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وليس المراد ان يترك انذارهم لانه تعالى قال (وذكر به) اى بالقرآن من يصلح للتذكير (ان تبسل نفس) اى لئلا تسلم الى الهلاك وترهن (بما كسبت) بسبب ما عملت من القبائح واصل البسل والابسال المنع ولذا صح استعمال الابسال فى معنى الاسلام الى الهلاك لان الاسلام الى الهلاك يستلزم المنع فانه اذا اسلم احد الى الهلاك كان المسلم اليه وهو الهلاك يمنع المسلم وهو الشخص من الخروج منه والخلاص عنه (وفى التفسير الفارسى للكاشفى) تا تسليم كرده نشود بهلاك يا رسوا نكرده نفس هر كافرى بسبب آنچه كرده است از بديها (ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع) استئناف مسوق للاخبار بذلك والاظهر انه حال من نفس كانه فى قوة نفس كافرة او نفوس كثيرة كما فى قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومن دون الله حال من ولى اى ليس لتلك النفس غيره تعالى من يدفع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل) اى تفد تلك النفس كل فداء بان جاءت مكانها بكل ما كان فى الارض جميعا (لا يؤخذ منها) اى لا يقبل فقوله كل عدل نصب على المصدر فالعدل ههنا ليس بمعنى يفتدى به كما فى قوله تعالى لا يؤخذ منها عدل بل المراد المعنى المصدرى فان قلت الاخذ يتعلق بالاعيان لا بالمعنى قلت نعم الا ان الامام قال الاخذ قد يستعمل بمعنى القبول كما فى قوله تعالى ويأخذ الصدقات اى يقبلها واذا حمل الاخذ فى هذه الآية على القبول جاز اسناده

الى المصد ربلا محذور والمقصود من هذه الآية بيان ان وجوه الخلاص منسدة على تلك النفس ومن ايقن بهذا كيف لا ترتعد فرائصه اذا اقدم على المعصية (اولئك) المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا (الذين ابسلوا) اى اسلموا الى العذاب (بما كسبوا) بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة (وفى التفسير الفارسى) آن كروه آن كسانند كه سبرده شده اند بهلاكت كه عذاب بسبب آنچه كرده اند از قبايح افعال قال ابو السعود اولئك الذين اسلموا الى ما كسبوا من القبائح انتهى وهو جعل معنى الباء كما فى قوله مررت بزيد (لهم شراب) كانه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب (من حميم) اى من ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم وتتقطع به امعاؤهم (وعذاب اليم) بنار تشتعل بابدانهم (بما كانوا يكفرون) اى بسبب كفرهم المستمر فى الدنيا واعلم ان التكذيب بآيات الله تعالى والاستهزاء بها هو الكفر وعاقبة الكفر هو العذاب الاليم وكذا الاصرار على المعاصى يجر كثيرا من عصاة المؤمنين الى الموت على الكفر والعياذ بالله وعن ابى اسحق الفزارى قال كان رجل يكثر الجلوس الينا ونصف وجهه مغطى فقلت له انك تكثر الجلوس الينا ونصف وجهك مغطى اطلعنى على هذا فقال وتعطينى الامان قلت نعم قال كنت نباشا فدفنت امرأة فاتيت قبرها فنبشت حتى وصلت الى اللبن ثم ضربت بيدى الى الرداء ثم ضربت بيدى الى اللفافة فمددتها فجعلت تمدها هى فقلت اتراها تغلبنى فجثيت على ركبتى فجررت اللفافة فرفعت يدها فلطمتنى وكشف وجهه فاذا اثر خمس اصابع فى وجهه فقلت له ثم مه قال ثم رددت عليها لفافتها وازارها ثم رددت التراب وجعلت على نفسى ان لا انبش ما عشت قال فكتبت بذلك الى الاوزاعى فكتب الى الاوزاعى ويحك سله عمن مات من اهل السنة ووجهه الى القبلة فسألته عن ذلك فقال اكثرهم حول وجهه عن القبلة فكتبت بذلك الى الاوزاعى فكتب الى انا لله وانا اليه راجعون ثلاث مرات اما من حول وجهه عن القبلة فانه مات على غير السنة واراد بالسنة ملة الاسلام نسأل الله تعالى العفو والمغفرة والرضوان (قال الحافظ) يارب از ابر هدايت برسان باراني * پيشتر زانكه چو كردى زميان برخيزم * وفى الآيات اشارة الى انه يصلح للطالب الصادق المجالسة مع الذين يخوضون فى احوال الرجال ولا حظ لهم منها سوى التزيى بزيهم واللبس لخرقتهم لان الطبع من الطبع يسرق * نفس از هم نفس بكيرد خوى * برحذر باش از لقاى خبيث * باد چون برفضاى بد كذرد * بوى بد كيرد از هواى خبيث * فلابد من الصحبة مع الاخيار والاتعاظ بكلمات الكبار وعن عبد الله بن الاحنف قال خرجت من مصر اريد الرملة لزيارة الروذبادى قدس سره فرآنى عيسى بن يونس المصرى فقال لى هل ادلك قلت نعم قال عليك بصور فان فيها شيخا وشابا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لاغنتك باقى عمرك قال فدخلت عليهما وانا جائع عطشان وليس على ما يسترنى من الشمس فوجدتهما مستقبلين القبلة فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلمانى فقلت اقسمت عليكما بالله الا ما كلمتمانى فرفع الشيخ رأسه وقال يا ابن الاحنف ما اقل شغلك حتى تفرغت الينا ثم اطرق فاقمت بين يديهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب عنى الجوع والعطش فقلت للشاب عظنى بشئ انتفع به فقال نحن اهل المصائب ليس لنا لسان العظة فاقمت عندهما ثلاثة ايام بلياليها لم نأكل فيها شيأ ولم نشرب فلما كان عشية اليوم الثالث قلت فى قلبى لابد من سؤالهما فى وصية انتفع بها باقى عمرى فرفع الشاب رأسه الى وقال عليك بصحبة من يذكرك الله بنظره ويعظك بلسان فعله لا بلسان قوله ثم التفت فلم ارهما وانشد لسان الحال

شدوا المطايا قبيل الصبح وارتحلوا * وخلفونى على الاطلال ابكيها

ثم ان النصيحة سهلة والمشكل قبولها ومن اراد الله تعالى هدايته وسبقت منه له عناية يجذبه لا محالة الى باب ناصح له فى ظاهره وباطنه فيهتدى بنور العظة والتذكير الى مسالك الوصول الى الله الخبير فيترقى من حضيض هوى النفس التى تلعب كالصبيان الى اوج هدى الروح الذى له وقار واطمئنان وعلو شان فهذه الآيات الكريمة تنادى على داء النفس ودوائها ومن الله الاعانة فى اصلاحها (قل اندعو) انعبد والاستفهام للانكار (من دون الله) اى متجاوزين عبادة الله تعالى (ما لا ينفعنا ولا يضرنا) اى ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وهو الاصنام والقادر على النفع والضر هو الله تعالى (ونرد على اعقابنا) جمع عقب بالفتح وكسر القاف مؤخر القدم اى نرجع من الاسلام الى الشرك باضلال المضل (بعد اذ هدانا الله) الى الاسلام وانقذنا من الشرك

(كالذى استهوته الشياطين) حال من فاعل نرد اى انرد على اعقابنا مشبهين بالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامه واضلته (فى الارض) متعلق باستهوته (حيران) حال من هاء استهوته وهو صفة مشبهة مؤنثه حيرى والفعل منه حار يحار حيرة اى متحيرا ضالا عن الطريق (له اصحاب) الجملة صفة حيران اى لهذا المستهوى رفقة (يدعونه الى الهدى) اى يهدونه الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر مبالغة كانه نفس الهدى (ائتنا) على ارادة القول على انه بدل من يدعونه اى يقولون له ائتنا شبه الله تعالى من اشرك وعبد غير الله مع قيام البرهان الفاصل بين الحق والباطل بشخص موصوف بثلاثة اوصاف الاول استهوته مردة الجن والغيلان فى المهامه والمفاوز والثانى كونه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدرى كيف يصنع والثالث ان يكون له اصحاب يدعونه قائلين له ائتنا فقد اعتسفت المهامه وضللت عن الجادة وهو لا يجيبهم ولا يترك متابعة الجن والشياطين والجن اجسام لطيفة تتشكل باشكال مختلفة وتقدر على ان تنفذ فى بواطن الحيوان نفوذ الهواء فى خلال الاجسام المتخللة (قل ان هدى الله) الذى هدانا اليه وهو الاسلام (هو الهدى) وحده وما عداه ضلال محض وغى بحت (و) قل ايضا (امرنا لنسلم لرب العالمين) اى بان نسلم فاللام بمعنى الباء والعرب تقول امرتك لتفعل وان تفعل وبان تفعل (وان) اى بان (اقيموا الصلاة واتقوه) تعالى فالاسلام رئيس الطاعات الروحانية والصلاة رئيس الطاعات الجسمانية والتقوى رئيس ما هو من قبيل التروك والاحتراز عن كل ما لا ينبغى (وهو الذى اليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة للحساب (وهو الذى خلق السموات والارض) اى العلويات والسفليات وما فيهما (بالحق) حال من فاعل خلق اى قائما بالحق والحكمة (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) يوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها والمعنى وامره المتعلق بكل شئ يريد خلقه من الاشياء فى حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق اى المشهود له بالحقية المعروف بها (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) لا ملك فيه لغيره ولو مجازا كما فى الدنيا (عالم الغيب والشهادة) اى هو عالم ما غاب وما شوهد (وهو الحكيم) فى كل ما يفعله (الخبير) بجميع الامور الجلية والخفية وفى الحديث لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر قال ابو هريرة رضى الله عنه قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قلت كيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده ان عظم دائرة فيه كعرض السماء والارض ويقال ان فيه من الثقب على عدد ارواح الخلائق قالوا ان النفخة ثلاث اولاها نفخة الفزع فانهم اذا سمعوا النفخة يعلمون انهم يموتون يقينا ولم يبق من ايام الدنيا شئ فيأخذهم الفزع لاجل العرض والحساب والعذاب والنفخة الثانية الصعق وهو موت الخلائق اجمعين حتى لا يبقى الا الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه والنفخة الثالثة نفخة البعث من القبور ومن النفخة الى النفخة اربعون عاما فعند موت جميع الخلائق تجعل ارواحهم فى الصور وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا الا تأ كله الارض ابدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ويجمع الله ما تفرق من اجساد الناس من بطون السباع وحيوانات الماء وبطن الارض وما اصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما ابلته الشمس وذرته الرياح وذلك بعدما انزل ماء من تحت العرش يقال له الحيوان فتمطر السماء اربعين سنة حتى يكون من الفوق اثنى عشر ذراعا ثم يأمر الله الاجساد فتنبت كنبات البقل فاذا جمعها وكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح يحيى حملة العرش ثم يحيى جبرائيل وميكائيل واسرافيل فينفخ فى الصور فتخرج الارواح من ثقب الصور كامثال النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فيقول الله تعالى ليرجعن كل روح الى جسده فتدخل الارواح فى الارض الى الاجساد ثم تدخل فى الخياشيم فتمشى فى الاجساد مشى السم فى اللديغ ثم تنشق الارض فاول من يخرج منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الامة شبابا كلهم ابناء ثلاث وثلاثين واللسان يومئذ بالسريانية سراعا الى ربهم هذا فى المؤمنين المخلصين واما الكافرون فيقولون هذا يوم عسير فيوقفون حفاة عراة مقدار سبعين عاما لا ينظر الله اليهم فتبكى الخلائق حتى تنقطع الدموع ثم تدمع دما حتى يبلغ منهم الاذقان ويلجمهم ثم يفعل الله فيهم ما يشاء فعليك بالاسلام الحقيقى والتسليم حتى تنجو وهو ترك الوجود كالكرة فى ميدان القدر مستسلما لصولجان القضاء لمجارى احكام رب العالمين وهو انما يحصل بمحض فضل الله تعالى لكن الانبياء والاولياء وسائط (كما اشار اليه صاحب المثنوى فقال) سازد اسرافيل روزى ناله را *

جان دهد پوسيدهٔ صدساله را * انبيارا زاندرون هم نغمهاست * طالبانرا زان حيات بى بهاست * نشنود آن نغمهارا كوش حس * كز ستمها كوش حس باشد نجس * هين كه اسرافيل وقتند اوليا * مرده را زيشان حياتست ونما * نغمهاى اندرون اوليا * اولا كويد كه اى اجزاى لا * هين زلاى نفى سرها برزنيد * اين خيال ووهم يكسو افكنيد * اى همه پوسيده دركون وفساد * جان باقيتان نروييد ونزاد

(واذ قال ابراهيم لابيه آزر) اعلم ان ابراهيم عليه السلام اسلم قلبه للعرفان ولسانه لاقامة البرهان على فساد طريق اهل الشرك والطغيان وسلم بدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم انه سأل ربه وقال واجعل لى لسان صدق فى الاخرين ووجب فى كرم الله تعالى انه يجيب دعاءه ويحقق مطلوبه فاجاب دعاءه وجعل جميع الطوائف واهل الاديان والملل معترفين بفضله حتى ان المشركين ايضا يعظمونه ويفتخرون بكونهم من اولاده ولما كانوا معترفين بفضله لاجرم جعل الله تعالى مناظرته مع قومه حجة على مشركى العرب اى واذكر يا محمد لاهل مكة وقت قول ابراهيم لابيه آزر اى موبخا له على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وآزر عطف بيان لابيه وهو تارح بفتح الراء وسكون الحاء المهملة علمان لاب ابراهيم كاسرائيل ويعقوب او آزر لقبه وتارح اسم له وكان من قرية من سواد الكوفة يقال لها كوثى (أتتخذ اصناما آلهة) اى اتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما اريد صيغة الجمع باعتبار الوقوع (انى اراك وقومك) الذين يتبعونك فى عبادتها (فى ضلال) عن الحق (مبين) اى بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه والرؤية اما علمية فالظرف مفعولها الثانى واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ ثم اعلم ان عبادة الاصنام كفر فدلت الاية على ان آزر كان كافرا وذلك لا يقدح فى شأن نسب نبينا صلى الله عليه وسلم واما قوله عليه السلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات فذلك محمول على انه ماوقع فى نسبه من ولد من الزنى ونكاح اهل الجاهلية صحيح كما يدل عليه قوله عليه السلام ولدت من نكاح لا من سفاح اى زنى وقوله لما خلق الله تعالى آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذفنى فى صلب ابراهيم ثم لم يزل تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام حتى اخرجنى بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط وروى ان حواء لما وضعت شيثا انتقل النور المحمدى من جبهتها الى جبهته فلما كبر وبلغ مبلغ الرجال اخذ آدم عليه العهود والمواثيق ان لا يودع هذا السر الا فى المطهرات المحصنات من النساء ليصل الى المطهرين من الرجال فانتقل ذلك النور الى يانش ويقال انوش ثم الى قينان ثم الى مهلائيل ثم الى يرد ثم الى خنوخ على وزن ثمود وهو ادريس عليه السلام ويقال اخنوخ ثم الى متوشلخ ثم الى لمك ثم الى نوح عليه السلام ثم الى سام ابى العرب ثم الى ارفخشذ ثم الى شالخ ثم الى عابر على وزن ناصر ويقال عيبر على وزن جعفر ثم الى فالخ ويقال فالغ ثم الى ارغو ويقال راغو ثم الى شاروخ ثم الى ناحور ثم الى تارح وهو آزر ثم الى ابراهيم عليه السلام ثم الى اسمعيل عليه السلام وفيه لغة اخرى وهى اسمعين بالنون على ما حكاه النووى ثم الى قيدار ثم الى حمل ثم الى النبت ثم الى سلامان ثم الى يشجب على وزن ينصر ثم الى يعرب على وزن ينصر ايضا ثم الى الهميسع ثم الى اليسع ثم الى ادد ثم الى ادو والى هنا اختلف فى اسماء اهل النسب بخلاف ما بعده ثم الى عدنان ثم الى معد ثم الى نزار ثم الى مضر ثم الى الياس بفتح الهمزة فى الابتداء والوصل وقيل بكسر الهمزة ضد الرجاء ثم الى مدركة ثم الى خزيمة ثم الى كنانة ثم الى النضر ثم الى مالك ثم الى فهر ثم الى غالب ثم الى لوى ثم الى كعب ويجتمع عمر رضى الله عنه مع النبى عليه السلام فى النسب فى كعب ثم الى مرة ويجتمع ابو بكر مع النبى عليه السلام فى النسب فى مرة ثم الى كلاب ثم الى قصى ثم الى عبد مناف ثم الى هاشم ثم الى عبد المطلب ثم الى عبد الله اب السر المصون والدر المكنون محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم يرض بعض اهل العلم بما اشتهر بين الناس من عبادة قريش صنما استدلالا بقوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام فى سورة ابراهيم وقوله تعالى فى حق ابراهيم وجعلها كلمة باقية فى عقبه فى حم الزخرف والجواب ان الآية الاولى تدل بظاهرها على الابناء الصلبية ولو سلم دلالتها على الاحفاد ايضا وكما تدل على كل ولد من ذريته ومعنى الآية الثانية وجعل الله كلمة التوحيد كلمة باقية فى نسله وذريته على انه لا تخلو سلسلة نسبه عن اهل التوحيد والايمان فلا تدل على ايمان كل اعقابه واحفاده وهو اللائح بالبال والله اعلم بحقيقة الحال والاشارة فى الآية ان الله تعالى اظهر قدرته فى اخراج

الحى من الميت بقوله واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة من دون الله اذ الاصل منهمك فى الجحود لموت قلبه والنسل مضمحل فى الشهود لحياة قلبه والاصنام ما يعبد من دون الله انى اراك وقومك فى ضلال مبين بما ارانى الله ملكوت الاشياء كما فى التأويلات النجمية ومن بلاغات الزمخشرى كم يحدث بين الخبيثين ابن لا يؤبن والفرث والدم يخرج من بينهما اللبن (قال السعدى) چو كنعانرا طبيعت بى هنر بود * پيمبرزادكى قدرش نيفزود * هنر بنماى اكر دارى نه كوهر * كل ازخارست وابراهيم ازآزر * وقال خاكسترا كرچه نسب عالى دارد كه آتش جوهر علويست وليكن بنفس خود چون هنرى ندارد باخاك برابراست قيمت شكرنه ازنى است كه آن خاصيت وى است فظهر ان الله تعالى من شأنه القديم اخراج الحى من الميت ولا يختص به نسب وكذا امر العكس ومن الله التوفيق

(وكذلك نرى ابراهيم) ذلك اشارة الى الاراءة التى تضمنها قوله نرى لا الى اراءة اخرى يشبه بها هذه الاراءة كما يقال ضربته كذلك اى هذا الضرب المخصوص والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة والمعنى ذلك التبصير تبصره عليه السلام (ملكوت السموات والارض) اى ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر والاظهر انه مختص بملك الله عز سلطانه وهذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اى عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها فان قيل رؤية البصيرة حاصلة لجميع الموحدين كرؤية البصر ومقام الامتنان يابى ذلك والجواب انهم وان كانوا يعرفون اصل دليل الربوبية الا ان الاطلاع على آثار حكمة الله تعالى فى كل واحد من مخلوقات هذا العالم بحسب اجناسها وانواعها واشخاصها واحوالها مما لا يحصل الا لاكابر الانبياء ولهذا كان عليه السلام يقول فى دعائه ارنا الاشياء كما هى قال فى التأويلات النجمية اعلم ان لكل شئ من العالم ظاهرا يعبر عنه تارة بالجسمانى لما له من الابعاد الثلاثة من الطول والعرض والعمق والتحيز وقبول القسمة والتجزى وتارة بالدنيا لدنوها الى الحس وتارة بالصورة لقبول التشكل ولادراكه بالحس وتارة بالشهادة لشهوده فى الحس وتارة بالملك لتملكه والتصرف فيه بالحس وباطنا يعبر عنه تارة بالروحانى لخلوه عن الابعاد الثلاثة وعن التحيز والتجزى فى الحس وتارة بالآخرة لتأخره عن الحس وتارة بالمعنى لتعريه عن التشكل وبعده عن الحس وتارة بالغيب لغيبوبته عن الحس وتارة بالملكوت لملك عالم الملك والصورة به فان قيام الملك بالملكوت وقيام الملكوت بقدرة الحق كما قال تعالى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون اى من طريق الملكوت والملكوت من الاوليات التى خلقها الله تعالى من لا شئ بامر كن اذ كان الله ولم يكن معه شئ يدل عليه قوله اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ فنبه على ان الملكوت لم يخلق من شئ وما سواه خلق من شئ وقد سمى الله تعالى ما خلق بالامر امرا وما خلق من الشئ خلقا فقال الا له الخلق والامر فالله تعالى ارى ابراهيم ملكوت الاشياء والآيات المودعة فيها الدالة على التوحيد انتهى وقد اطلق العلماء الملك على ما يدرك بالبصر والملكوت على ما يدرك بالبصيرة فالملكوت لا ينكشف لارباب العقول بل لاصحاب القلوب فان العقل لا يعطى الا الادراك الناقص بخلاف الكشف وتلك المكاشفة لا تحصل الا لاهل المجاهدة فانها ثمرة المجاهدة وهى مما يعز مناله جدا اللهم اجعلنا من اهل العيان دون السامعين للاثر (وليكون من الموقنين) اللام متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اى وليكون من زمرة الراسخين فى الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال مترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته فى ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين من فوائده بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقى من مستتبعاته (فلما جن عليه الليل) اى ستره بظلامه (رأى كوكبا) جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح فى انه لم يكن فى ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب قيل كان ذلك هو الزهرة وقيل هو المشترى وكلاهما من الكواكب السبعة السيارة (قال) كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب فقيل قال على سبيل

الموافقة مع الخصم (هذا ربى) وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والكواكب والمستدل على فساد قول يحكيه
على رأى خصمه ثم يكر عليه بالابطال (فلما افل) اى غرب (قال لا احب الآفلين) اى الارباب المنتقلين من
مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا (فلما رأى
القمر بازغا) اى مبتدئا فى الطلوع اثر غروب الكوكب (قال هذا ربى فلما افل) كما افل النجم (قال لئن لم يهدنى ربى)
الى جنابه (لاكونن من القوم الضالين) تعريض لقومه بانهم على ضلال ولعله عليه السلام كان اذ ذاك فى موضع
كان من جانبه الغربى جبل شامخ يستتر به الكواكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكوكب
قريبا منه وأفقه الشرقى مكشوف والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس مما لا يكاد
يتصور (فلما رأى الشمس بازغة) اى مبتدئة فى الطلوع (قال هذا) الجرم المشاهد (ربى هذا اكبر) من الكوكب
والقمر وهو تأكيد لما رامه من اظهار النصفة بقوله لاكونن من الضالين (فلما افلت) كما افل الكوكب والقمر
وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا (قال) مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم (يا قوم انى برىء مما تشركون)
بالله تعالى من الاصنام والاجرام المحتاجة الى محدث فقالوا له ما تعبد قال (انى وجهت وجهى) اى اخلصت دينى
وعبادتى وجعلت قصدى (للذى فطر السموات والارض) اى لله الذى خلقهما (حنيفا) اى مائلا عن الاديان
الباطلة كلها الى الدين الحق ميلا لا رجوع فيه (وما انا من المشركين) به تعالى فى شىء من الافعال والاقوال
وهذه حال من كملت صقالة مرآة قلبه عن طبع الطبع وتنزهت عن ظلمة هوى النفس وشهواتها فانه لا يلتفت
الى الاجرام والاكوان بل الى اليمين والشمال لان شوق الخلة الى الحضرة نصبه فى محاذاة ذاته المقدسة عن الجهة
(قال فى المثنوى) افتاب از امر حق طباخ ماست * ابلهى باشد كه كوييم او خداست * افتابت كر
بكيرد چون كنى * ان سياهى زو تو چون بيرون كنى * نى بدركاه خدا آرى صداع * كه سياهى را
ببر داده شعاع * كر كشندت نيم شب خورشيد كو * تا بنالى يا امان خواهى ازو * حادثات اغلب بشب
واقع شود * وان زمان معبود تو غائب شود * سوى حق كر راستانه خم شوى * وارهى از اختران
محرم شوى (وحاجه قومه) اى جادلوه فى دينه وهددوه بالاصنام ان تصيبه بسوء ان تركها (قال اتحاجونى)
بنون ثقيلة اصله اتحاجوننى بنونين اولاهما نون الرفع والثانية نون الوقاية فاستثقل اجتماعهما فادغم الاولى
فى الثانية اى اتجادلوننى (فى الله) اى فى شأنه تعالى ووحدانيته (وقد هدان) اى والحال ان الله تعالى هدانى
الى الحق (ولا اخاف ما تشركون به) اى ما تشركون به تعالى من الاصنام ان يصيبنى بسوء لعدم قدرتها على
شىء (الا ان يشاء ربى شيأ) استثناء متصل والمستثنى منه وقت محذوف والتقدير لا اخاف معبوداتكم فى وقت
من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى شيأ من اصابة مكروه بى من جهتها وذلك انما يكون من جهته تعالى من
غير دخل لآلهتكم فيه اصلا (وسع ربى كل شىء علما) كأنه تعليل للاستثناء اى احاط بكل شىء علما فلا يبعد ان
يكون فى علمه تعالى ان يحيق به مكروه من قبلها بسبب من الاسباب لا بالطعن فيها (افلا تتذكرون) اى
أتعرضون عن التأمل فى ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شىء ما من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على
اضرارى (وكيف اخاف ما اشركتم) بالله من الاصنام وهى لا تضر ولا تنفع والاستفهام انكار الوقوع ونفيه
بالكلية (ولا تخافون انكم اشركتم بالله) حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدأ اى وكيف اخاف انا ما ليس فى حيز
الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة ما هو اعظم المخلوقات واهولها وهو اشراككم بالله الذى ليس كمثله شىء
فى الارض ولا فى السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله (ما لم ينزل به) اى باشراكه (عليكم سلطانا)
اى حجة وبرهانا على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور الدينية لا يعول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله
تعالى (فاى الفريقين احق بالامن) انحن ام انتم قال المولى ابو السعود المراد بالفريقين الفريق الآمن فى محل
الامن والفريق الآمن فى محل الخوف (ان كنتم تعلمون) من احق به فاخبرونى (الذين آمنوا) اى احد الفريقين
الذين آمنوا (ولم يلبسوا ايمانهم) اى لم يخلطوه (بظلم) اى بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انهم
يؤمنون بالله تعالى وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقريب والشفاعة كما
قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط (اولئك لهم الامن) فقط من العذاب (وهم مهتدون)
الى الحق ومن عداهم فى ضلال مبين (وتلك) اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن الى قوله

وهم مهتدون (حجتنا) الحجة عبارة عن الكلام المؤلف للاستدلال على الشىء (آتيناها ابراهيم) اى ارشدناه اليها
او علمناه اياها وهو حال من حجتنا لا صفة لانها معرفة بالاضافة (على قومه) متعلق بحجتنا والاشارة ان محجة
السلوك الى الله تعالى انما هى تحقق بالآيات التى هى افعاله وهذه مرقاة لهم وهى الرتبة الاولى ثم شهود صفاته
باراءته لهم وهى الرتبة الثانية ثم التحقق بوجوده وذاته عند التجلى لاسرارهم وهذا مبدأ الوصول ولا غاية له فقوله
وتلك اى اراءة الملكوت وشواهد الربوبية فى مرآة الكواكب وصدق التوجه الى الحق والاعراض والتبرى
عما سواه والخلاص من شرك الانانية والايمان الحقيقى والايقان بالعيان آتيناها ابراهيم وارشدناه بذاتنا من
غير واسطة حتى جعلها حجة على قومه (نرفع) الى (درجات) اى رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة (من نشاء)
رفعه كما رفعنا درجات ابراهيم حتى فاق فى زمن صباه شيوخ اهل عصره واهتدى الى ما لم يهتد اليه الا اكابر
الانبياء عليهم السلام * داد حق را قابليت شرط نيست * بلكه شرط قابليت داد اوست (ان ربك
حكيم) فى كل ما فعل من رفع وخفض (عليم) بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة ثم ان
المقصود من المباحثة الجارية بين ابراهيم وبين قومه انما هو الزام القوم وارشادهم الى طريق النظر والاستدلال
وتنبيههم على ضلالهم فى امر دينهم كما هو المختار عند اجلاء المفسرين على هذا المسلك جريت فى تفسير الآيات
كما وقفت وقال بعضهم المقصود مما حكى الله عن ابراهيم من الاستدلال على وحدانية الله تعالى وابطال الوهية
ما سواه نظره واستدلاله فى نفسه وتحصيل المعرفة لنفسه فيحمل على ان ذلك فى زمان مراهقته واول اوان
بلوغه وان المراد بالملكوت الآيات قال الحدادى وهو الاقرب الى الصحة (قال الكاشفى فى تفسيره الفارسى
(وكذلك) وچنانكه بدو نموده بوديم كمراهىء قوم اورا همچنان (نرى ابراهيم) نموديم ابراهيم را (ملكوت
السموات والارض) عجائب وبدائع اسمانها وزمينها از ذروهء عرش تا تحت الثرى بروى منكشف ساختيم تا
استدلال كند بدان در قدرت كاملهء حق تعالى (وليكون من الموقنين) وتا باشد از بى كمانان يا موفق بود در علم
استدلال دو معالم آورده كه نمرود بن كنعان كه پادشاهىء روى زمين تعلق بدو داشت در شهر بابل نشستى شبى
در واقعه ديد كه كوكبى از افق آن بلده طلوع نمود كه در شعشعهء جمال او نور آفتاب وماه نابود كشت از غايت
فزع بيدار شد وكاهنان وحكماء مملكت تعبير اين واقعه بوى فنجسته كردند كه درين سال بولايت بابل مولودى
خجسته طالع از خلوتخانهء عدم بفضاء صحراى وجود خرامد كه هلاك تو واهل مملكت تو بدو دست او باشد وهنوز
اين مولود از مستقر صلب بمستودع رحم نپيوسته نمرود بفرمود تا ميان زنان وشوهران تفريق كردند وبر هر ده
يكى بر ايشان مؤكل ساخت وآزر را كه يكى از محرمان ومقربان نمرود بود شبى با زن خود (اوفى بنت نمر) پنهان
زمؤكلان خلوت دست داد وحامله شد وبامدادش را كاهنان با نمرود كفتند امشب آن كودك برحم پيوسته
است نمرود خشم كرفته بفرمود تا بر هر حامله يكى مؤكل ساختند تا اكر پسر بزايد بكشند زنانى كه در تفحص
احوال حامله بودند چون مادر ابراهيم را اثر حمل ظاهر نبود از وى در كذشتند وديكر كسى بدو التفات نكرد تا
وقتى كه وضع حمل نزديك رسيد اوفى ترسيد كه اكر پسرى زايد ناكاه خبر بكسان نمرود رسد فى الحال او را بكشند
بهانه از شهر بيرون رفت وغارى در ميان كوه نشان داشت دران غار ابراهيم را بزاد ودر خرقه پيچيد وهمانجا
كذاشته در غار بسنك استوار كرد وآزر را كه از حمل خبر داشت كفت كه از ترس كماشتكان نمرود بصحرا رفتم
وپسرى بزادم وفى الحال بمرد در خاكش دفن كردم وباز كشتم آزر باور كرد واوفى روز ديكر بغار آمد ديد كه ابراهيم
انكشتان خود را از يكى شير واز ديكرى عسل بيرون ميكشد ومى نوشد اوفى چون اين حال بديد خوش وقت شد
وبا شهر مراجعت نمود القصه ابراهيم چون شير تربيت از پستان عنايت الهى نوشيد بروزى چندان مى باليد
كه كودك ديكر در ماهى وبماهى چندان بزرك ميشد كه ديكرى در سالى * چو ماه نو كه با روى دل افروز *
بود زاينده نورش روز تا روز * چون پانزده ماهه شد با جوانان پانزده ساله مقابل كشت واز خانه بيرون آمد
وكفته اند هفت سال يا سيزده سال يا هفده سال در غار بود بر هر تقدير چون ابراهيم بزرك شد اوفى با آزر كفت كه
پسر تو آنروز خبر مرك او بد روغ دادم بجوانى رسيده است در غايت خوب رويى ونيكو خويى پس آزر را بغار
آورد وابراهيم را بوى نمود آزر بجمال پسر خوش آمد وبا او كفت اين را از غار بخانه آور كه بملازمت نمرود بريم
آزر برفت واوفى از غار بدر آورد نماز شام بود در پايان غار كلهاى اسب واشتر ورمهاى كوسفند جمع بودند ابراهيم

ازمادر پرسید که هر آیینه این هارا پرورد کاری خواهد بود که آفریده وروزی میدهد پس مادررا کفت که هیچ مخلوقی راازخالقی چاره نیست آفریده کاراو باشد وبمدد تربیت یابد پرورد کارمن کیست مادرش کفت من پرور دکار توام ابراهیم کفت پرورد کار تو کیست کفت پدر تو ابراهیم کفت خدای او کیست کفت نمرود کفت خدای نمرود کیست مادرش بانك برابراهیم زدکه مثل این سخنان مکو که خطرعظیم دارد درزمان نمرود بعضی ستاره وآفتاب وماه می پرستیدند وبرخی بت پرست بودند وجمعی پرستش نمرود می کردند ابراهیم بامادربشهر روانه شد (فلما جن علیه اللیل رأی کوکبا) پس بعضی که ستاره پرست بودندی روی بوی سجده کردند (قال هذا ربی) ای اینست پرورد کارمن برسبیل استفهام یابزعم آن قوم (فلما افل قال لا احب الافلین) پس قدری دیکر راه رفتند وشب چهاردهم بود ماه طبق سیمین برکارهٔ خوان سبزفلك نمودارشد (فلما رأی القمر بازغا) جمعی ماه پرستان پیش وی بسجده درفتادند (قال هذا ربی فلما افل) یعنی ازخط نصف النهار بجانب مغرب میل کرد (قال لئن لم یهدنی ربی لاکونن من القوم الضالین) پس ازآنجا درکذشتند ونزدیك شهر رسیدند آفتاب ابتداء طلوع کرد جمعی متوجه اوشده عزم سجود کردند (فلما رأی الشمس بازغة قال هذا ربی هذا اکبر فلما افلت قال یاقوم انی بریٔ مما تشرکون انی وجهت وجهی للذی فطر السموات والارض حنیفا) درحالتی که من مائلم ازهمه ادیان بدین توحید (وما انا من المشرکین) درتفسیر منیرمذ کوراست که چون ابراهیم علیه السلام بشهر درآمد اورابدیدن نمرود بردند اومردی دید کریه منظر وابراهیم اورادید برتختی نشسته وغلامان ماه منظر وکنیزان پری پیکر کرد تخت او صف زده ازمادر پرسید که این چه کس است که مرا بدین او آوریده اید کفتند خدای همه کس است پرسید که این ملازمان برحوالیٔ تخت کیانند کفت آفریدکان اویند ابراهیم تبسم فرمود وکفت ای مادر چکونه است که این خدای شما دیکرانرا ازخود خوبتر آفریده است بایستی که او ازیشان خوبتر بودی کذا فی ذلك التفسیر للکاشفی مع اختصار (ووهبنا له) الهبة فی اللغة التبرع والعطیة الخالیة عن تقدم الاستحقاق والضمیر لابراهیم علیه السلام (اسحق) ابنه الصلبی وهو اب انبیاء بنی اسرائیل (ویعقوب) بن اسحق (کلا هدینا) ای کل واحد منهما وفقنا وارشدنا الی الفضائل الدینیة والکمالات العلمیة والعملیة لا احدهما دون الآخر (ونوحا) منصوب بمضمر یفسره (هدینا من قبل) ای من قبل ابراهیم وعد هداه نعمة علی ابراهیم من حیث انه ابوه وشرف الوالد یتعدی الی الولد (و) هدینا (من ذریته) ای ذریة نوح ولم یرد من ذریة ابراهیم لانه ذکر فی جملتهم یونس ولوطا ولم یکونا من ذریة ابراهیم کذا قال البغوی وقال ابن الاثیر فی جامع الاصول یونس من ذریة ابراهیم لانه کان من الاسباط فی زمن شعیب ارسله الله الی نینوی من بلد الموصل ولابعد فی عد لوط من ذریة ابراهیم ایضا باعتبار انه کان ابن اخیه هاجر معه الی الشام قال سعدی چلبی المفتی ومحیی السنة یعنی البغوی اوثق من ابن الاثیر (داود) بن ایشا (وسلیمان) ابنه وسلسلتهما تنتهی الی یهوذا بن یعقوب (وایوب) من اموص بن رازخ بن روم بن عیصا بن اسحق بن ابراهیم (ویوسف) بن یعقوب بن اسحق بن ابراهیم (وموسی) بن عمران بن یصهر بن قاهث بن لاوی بن یعقوب (وهرون) هو اخو موسی اکبر منه بسنة ولیس ذکرهم علی ترتیب ازمانهم (وکذلك) ای کما جزیناهم برفعة الدرجات (نجزی المحسنین) علی احسانهم علی قدر استحقاقهم فاللام للجنس ویجوز ان یکون الکاف مقحمة واللام للعهد والمعنی ذلك الجزآء البدیع الذی هو عبارة عما اوتی المذکورون من فنون الکرامات نجزیهم لاجزآء آخر ادنی منه فالمراد بالمحسنین هم المذکورون والاظهار فی موضع الاضمار للثناء علیهم بالاحسان الذی هو عبارة عن الاتیان بالاعمال الحسنة علی الوجه اللائق الذی هو حسنها الوصفی المقارن لحسنها الذاتی (وزکریا) ای وهدیناه ایضا وهو ابن آذن وسلسلته تنتهی الی سلیمان (ویحیی) ابنه (وعیسی) ابن مریم ابنة عمران من بنی ماثان الذین هم ملوك بنی اسرائیل وفی ذکره دلیل علی ان الذریة تتناول اولاد البنت فیکون الحسن والحسین من ذریة سید المرسلین محمد صلی الله علیه وسلم مع انتسابهما الیه بالام ومن آذاهما فقد آذی ذریته علیه السلام یقول الفقیر فاذا کان النسب من طرف الام صحیحا معتبرا فالذی کانت سیادته من طرفها مقبول کما هو من طرف الاب اذ المعتبر انتهاء السلسلة الی الحسنین من ای جانب کان (والیاس) بن اخ هرون اخی موسی قال البغوی الصحیح ان الیاس غیر ادریس لان الله تعالی ذکره فی ولد نوح وادریس هو جد ابی نوح (کلا) منهم

من

(من الصالحین) الکاملین فی الصلاح وهو الاتیان بما ینبغی والتحرز عما لا ینبغی (واسمعیل) عطف علی نوحا ای وهدینا اسمعیل بن ابراهیم کما هدینا نوحا ولعل الحکمة فی افراد اسمعیل عن باقی ذریة ابراهیم ان رسول الله صلی الله علیه وسلم کان من ذریة اسمعیل والکائنات کانت تبعا لوجوده فاجعل الله اسماعیل تبعا لوجود ابراهیم ولا هدایته تبعا لهدایته لشرف محمد صلی الله علیه وسلم فلذا افرده عنهم واخره فی الذکر * آنچه اول شد بدید ازجیب غیب * بود نور جان او بی هیچ ریب * بعد ازان آن نور مطلق زد علم * کشت عرش وکرسی ولوح وقلم * یك علم ازنور پاکش عالم است * یك علم ذریت آدم ازوست (والیسع) بن اخطوب بن العجوز واللام زائدة لانه علم اعجمی (ویونس) بن متی (ولوطا) بن هاران بن اخی ابراهیم (وکلا) منهم (فضلنا علی العالمین) ای عالمی عصرهم بالنبوة لا بعضهم دون بعض (ومن آبائهم) من تبعیضیة ای وفضلنا بعض آباء المذکورین کآدم وشیث وادریس اذ من الآباء من لم یکن نبیا ولا مفضلا مهدیا (وذریاتهم) ای وبعض ذریاتهم من بعدهم کاولاد یعقوب ومن جملة ذریاتهم نبینا محمد صلی الله علیه وسلم کما فی تفسیر الحدادی وانما اراد ذریة بعضهم لان عیسی ویحیی لم یکن لهما ولد وکان فی ذریة بعضهم من کان کافرا (واخوانهم) کاخوة یوسف فی عصرهم ویحتمل ان یکون المراد بهم کل من آمن معهم فانهم کلهم دخلوا فی هدایة الاسلام (واجتبیناهم) عطف علی فضلنا ای اصطفیناهم (وهدیناهم) ای ارشدناهم (الی صراط مستقیم) لا یضل من سلك الیه (ذلك) الهدی (هدی الله) الاضافة للتشریف (یهدی به من یشاء من عباده) وهم مستعدون للهدایة والارشاد (ولو اشرکوا) ای لو اشرك هؤلاء الانبیاء مع فضلهم وعلو شأنهم (لحبط عنهم) ای بطل وذهب (ما کانوا یعملون) من الاعمال المرضیة الصالحة فکیف بمن عداهم وهم هم واعمالهم اعمالهم وهذا غایة التوبیخ والترهیب للعوام والخواص لئلا یأمنوا مکر الله (اولئك) المذکورون من الانبیاء الثمانیة عشر (الذین آتیناهم الکتاب) ای جنس الکتاب المتحقق فی ضمن ای فرد کان من افراد الکتب السماویة والمراد بایتائه التفهیم التام بما فیه من الحقائق والتمکین من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان یکون ذلك بالانزال ابتداء او بالایراث بقاء فان المذکورین لم ینزل علی کل واحد منهم کتاب معین (والحکم) ای الحکمة او فصل الخطاب علی ما یقتضیه الحق والصواب (والنبوة) ای الرسالة (فان یکفر بها) ای بهذه الثلاثة (هؤلاء) اهل مکة (فقد وکلنا بها) ای امرنا بمراعاتها ووفقنا للایمان بها والقیام بحقوقها (قوما لیسوا بها بکافرین) فی وقت من الاوقات بل مستمرون علی الایمان بها وهم اصحاب النبی علیه السلام والباء صلة کافرین وفی بکافرین لتأکید النفی (اولئك) الانبیاء المتقدم ذکرهم (الذین هدی الله) ای هداهم الله الی الحق والنهج المستقیم (فبهداهم اقتده) ای فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغیرهم والمراد بهداهم طریقتهم فی الایمان بالله تعالی وتوحیده واصول الدین دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقی هدی واحتج العلماء بهذه الآیة علی انه علیه السلام افضل جمیع الانبیاء علیهم السلام لان خصال الکمال وصفات الشرف کانت متفرقة فیهم فداود وسلیمان کانا من اصحاب الشکر علی النعمة وایوب کان من اصحاب الصبر علی البلیة ویوسف کان جامعا بینهما وموسی کان صاحب المعجزات القاهرة وزکریا ویحیی وعیسی والیاس کانوا اصحاب الزهد واسمعیل کان صاحب الصدق فکل منهم قد غلب علیه خصلة معینة فجمع الله کل خصلة فی حبیبه علیه السلام لانه اذا کان مأمورا بالاقتداء لم یقصر فی التحصیل * هرچه بخوبان جهان داده اند * قسم تو نیکوترازان داده اند * هرچه بنازند بدان دلبران * جمله تراهست زیادت بران * وفی التأویلات النجمیة اولئك الذین هداهم الله بصفاته الی ذاته فبهداهم اقتده لانهم سلکوا مسلکا غیر مسلوك حتی انتهی سیر کل واحد منهم الی منتهی قدر له کما اخبرت انی رأیت آدم فی السماء الدنیا ویحیی وعیسی فی السماء الثانیة ویوسف فی السماء الثالثة وادریس فی السماء الرابعة وهرون فی السماء الخامسة وموسی فی السماء السادسة وابراهیم فی السماء السابعة فاقتد بهم حتی تسلك مسالکهم الی ان تنتهی الی سدرة المنتهی وهو منتهی مقام الملائکة المقربین ثم یعرج بك الی المحل الادنی والمقام الارفع حتی تخرج من نفسك وتدنو الیه به الی ان تصل الی مقام قاب قوسین او ادنی فی مقام لم یصل الیه احد قبلك لا ملك مقرب ولا نبی مرسل (قل) لکفار قریش (لا اسألکم علیه) ای علی القرآن (اجرا) ای جعلا من جهتکم کما لم یسأله من قبلی من الانبیاء علیهم السلام وهذا من جملة ما امر

بالاقتداء بهم فيه (ان هو) اى ما القرءآن (الا ذكرى للعالمين) اى الا عظة وتذكير لهم من جهته سبحانه فلا يختص بقوم دون آخرين وعلى هذا جرى الاولياء من اهل الارشاد اذ لا اجر للتعليم والارشاد اذ الاجر من الدنيا ولا يجوز طمع الدنيا لاهل الآخرة ولا لاهل الله تعالى وانما خدمة الدين مجردة عن الاغراض مطلقا (وما قدروا الله حق قدره) اصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشئ يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعلم مقداره ثم استعمل فى معرفة الشئ فى مقداره واحواله واوصافه فقيل لمن عرف شيأ هو يقدر قدره ولمن لم يعرفه بصفاته انه لا يقدر قدره ونصب حق قدره على المصدرية وهو فى الاصل صفة للمصدر اى قدره الحق وضميره يرجع الى الله تعالى وما ضمير الجمع فالى اليهود لما روى ان مالك بن الضيف من احبار اليهود ورؤسائهم خرج مع نفر الى مكة معاندين ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء وكان رجلا سمينا فاتى رسول الله بمكة فقال له عليه السلام انشدك بالذى انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله تعالى يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين وقد سمنت من مأكلتك التى تطعمك اليهود واست تصوم اى تمسك فضحك القوم فخجل مالك بن الضيف فقال غضبا ما انزل الله على بشر من شئ فلما رجع مالك الى قومه قالوا له ويلك ما هذا الذى بلغنا عنك أليس ان الله انزل التوراة على موسى فلم قلت ما قلت قال اغضبنى محمد فقلت ذلك قالوا له وانت اذا غضبت تقول على الله غير الحق وتترك دينك فاخذوا الرياسة والحبرية منه وجعلوهما الى كعب بن الاشرف فنزلت هذه الآية والمعنى ما عرفوه تعالى حق معرفته فى اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى فى ذلك بل اخلوا بها اخلالا فعبر عن المعرفة بالقدر لكونه سببا لها وطريقا اليها (اذ قالوا) منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما (ما انزل الله على بشر من شئ) اى كتاب ولا وحى مبالغة فى انكار انزال القرءآن اذ القائلون من اهل الكتاب كما مر آنفا (قل) لهم على طريق التبكيت والقام الحجر (من انزل الكتاب الذى جاء به موسى) يعنى التوراة حال كون ذلك الكتاب (نورا) بينا بنفسه ومبينا لغيره بالفارسى روشنايى دهنده (وهدى) بيانا (للناس) وحال كونه (تجعلونه قراطيس) اى تضعونه فى قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم وهى جمع قرطاس بمعنى الصحيفة (تبدونها) صفة قراطيس اى تظهرون ما تحبون ابداءه منها (وتخفون كثيرا) مما فيها كنعوت النبى عليه السلام وآية الرجم وسائر ما كتموه من احكام التوراة (وعلمتم) ايها اليهود على لسان محمد (مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم) وهو ما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع فقوله علمتم حال من فاعل تجعلونه باضمار قد مفيد لتأكيد التوبيخ فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع للابداء والاخفاء شناعة عظيمة فى نفسها ومع ملاحظة كونه مأخذا لعلومهم ومعارفهم اشنع واعظم (قل الله) اى انزله الله امره عليه السلام بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره تنبيها على انهم بهتوا وافحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا (ثم ذرهم) اى دعهم واتركهم (فى خوضهم) اى فى باطلهم الذى يخوضون فيه اى يشرعون فلا عليك بعد الا التبليغ والزام الحجة (يلعبون) حال من الضمير الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون ويقال لكل من عمل ما لا ينفعه انما انت لاعب (وهذا) القرءآن (كتاب انزلناه) وصفه به ليعلم انه هو الذى تولى انزاله بالوحى على لسان جبريل وليس تركيب الفاظه على هذه الفصاحة من قبل الرسول (مبارك) اى كثير الفائدة والنفع وكيف وقد احاط بالعلوم النظرية والعملية فان اشرف العلوم النظرية هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله واحكامه ولا يوجد كتاب يفيد معرفة هذه الامور مثل ما افاده القرءآن واما العلوم العملية فالمطلوب منها اما اعمال الجوارح واما اعمال القلوب وهى المسمى بعلم الاخلاق وتزكية النفس فانك لا تجد شيأ منهما مثل ما تجده فى القرءآن العظيم قال فى التأويلات النجمية مبارك على العوام بان يدعوهم الى ربهم وعلى الخواص بان يهديهم الى ربهم وعلى خواص الخواص بان يوصلهم الى ربهم ويخلقهم باخلاقه وفى كتاب المحبوب شفاء لما فى القلوب كما قيل

وكتبك حولى لا تفارق مضجعى * وفيها شفاء للذى انا كاتمه

اين چه منشور كرميست كه از هر شكنش * بوى جان پرور احسان وعطا مى آيد * اين چه انفاس روان بخش عبير افشانست * كه از و رايحهٔ مشك ختا مى آيد (مصدق الذى بين يديه) من التوراة لنزوله حسبما وصف فيها (ولتنذر ام القرى) عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولانذارك اهل ام القرى

فالمضاف محذوف والمراد بام القرى مكة وسميت بها لان الارض دحيت من تحتها فهى اصل الارض كلها كالام اصل النسل قال الكاشفى فى تفسيره الفارسى قرى جمع قرية است واورا ازقرا كرفته اند بمعنى جمع است پس هرجا كه مجتمعى باشد از شهر روده انرا قريه توان كفت (ومن حولها) اهل الشرق والغرب قال فى التأويلات النجمية ام القرى هى الذرة المودعة فى القلب التى هى المخاطب فى الميثاق وقد دحيت جميع ارض القالب من تحتها ومن حولها من الجوارح والاعضاء والسمع والبصر والفؤاد والصفات والاخلاق بان يتنوروا بانواره وينتفعوا باسراره ويتخلقوا باخلاقه (والذين يؤمنون بالآخرة) وبما فيها من انواع العذاب (يؤمنون به) اى بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنون به (وهم على صلاتهم يحافظون) يعنى المؤمنون بالكتاب يداومون على الصلوات الخمس التى هى اشرف التكاليف والطاعات ولذا خص محافظتها من بين سائر العبادات وفى الآيات امور الاول ان المخلوق لا يقدر قدر الخالق ولا يدركه باعتبار كنه ذاته وتجرده عن التعينات الاسمائية والصفاتية (ع) بخيال در نكنجد تو خيال خود مرنجان * فكل من عرف الله بآلة مخلوقة فهو على الحقيقة غير عارف ومن عرفه بآلة قديمة كما قال بعضهم عرفت ربى بربى فقد عرف الله ولكن على قدر استعداده فى قبول فيض نور الربوبية الذى به عرف الله على قدره لا نهاية ذاته وصفاته فالذى يقدر الله حق قدره هو الله تعالى لا غيره * كنه خردم درخور اثبات تونيست * دانندهٔ ذات تو بجز ذات تونيست * ما للتراب ورب الارباب والثانى ذم السمن كما عرف فى سبب النزول قال ابن الملك السمن المذموم ما يكون مكتسبا بالتوسع فى المأكل لا ما يكون خلقة وفى الحديث ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة واقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قال العلماء معنى هذا الحديث انه لا ثواب لهم واعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن فى موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو فى النار قال القرطبى فى تذكرته وفيه من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما فى ذلك من تكلف المطاعم والاشتغال بها عن المكارم بل يدل على تحريم كثرة الاكل الزائد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والسمن انتهى وفى الفروع ان الاكل فرض ان كان لدفع هلاك نفسه وماجور عليه ان كان لتمكينه من صومه وصلاته قائما ومباح الى الشبع ليزيد قوته وحرام فوق الشبع الا لقصد قوة صوم الغد او لئلا يستحيى ضيفه (قال السعدى) باندازه خور زاد اگر مردمى * چنين پر شكم آدمى يا خمى * ندارند تن پروران آگهى * كه پر معده باشد ز حكمت تهى (قال الامام السخاوى) فى المقاصد الحسنة فى الحديث ان الله يكره الحبر السمين وفى التوراة ان الله ليبغض الحبر السمين وفى رواية ان الله يبغض القارى السمين قال الشافعى رحمه الله ما افلح سمين قط الا ان يكون محمد بن الحسن فقيل له ولم قال لانه لا يفكر والعاقل لا يخلو من احدى حالتين اما ان يهتم لآخرته ومعاده او لدنياه ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد فاذا خلا من المعنيين صار فى حد البهائم بعقد الشحم ثم قال الشافعى كان ملك فى الزمان الاول كثير اللحم جدا فجمع المتطببين وقال احتالوا حيلة تخفف عنى لحمى هذا قليلا فما قدروا فنعته واله رجلا عاقلا اديبا متطببا وبعثوه فاشخص اليه وقال ايعالجنى ذلك الفتى قال اصلح الله الملك انا رجل متطبب منجم دعنى انظر الليلة فى طالعك اى دواء يوافق فاشفيك فغدا عليه فقال ايها الملك الامان قال لك الامان قال رأيت طالعك يدل على ان عمرك شهر فان احببت فى عالجك وان اردت بيان ذلك فاحبسنى عندك فان كان لقولى حقيقة فخل عنى والا فاقتص منى قال فحبسه ثم رفع الملك الملاهى واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتما ما يرفع رأسه بعد الايام كلما انسلخ يوم ازداد غما حتى هزل وخف لحمه ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوما فبعث اليه فاخرجه فقال ما ترى فقال اعز الله الملك انا اهون على الله من ان اعلم الغيب والله ما اعرف عمرى فكيف اعرف عمرك انه لم يكن عندى دواء الا الهم فلم اقدر اجلب اليك الهم الا بهذه العلة فاذابت شحم الكلى فاجازه واحسن اليه والثالث فى قوله تعالى قل الله من لطائف العبارات من اهل الاشارات (قال فى التفسير الفارسى شيخ ابوسعيد ابوالخير قدس سره دركلمهٔ قل الله ثم ذرهم فرموده كه الله بس وماسواه هوس وانقطع النفس وشيخ الاسلام فرموده كه (قل الله) دل سوى او دار (ثم ذرهم) غير اورا فرو كذار وشبلى با بعض اصحاب خود ميكفت كه عليك بالله ودع ماسواه * چون تفرقهٔ دلست حاصل زهمه * دل را بيكى سپار وبكسل زهمه * فالاية باشارتها تدل على ان من اراد الوصول الى الله تعالى فلينقطع عما سواه فانه لهو ولعب واللاهى

واللاعب ليس على شئ نسأل الله سبحانه ان يحفظنا عن الاشتغال بما سواه والرابع مدح القرءآن وبيان فضيلته وفائدته قال احمد بن حنبل رأيت رب العزة فى المنام فقلت يارب ما افضل ماتقرب به المتقربون اليك قال كلامى يا احمد قلت يارب بفهم ام بغير فهم قال بفهم او بغير فهم والنظر الى المصحف عبادة برأسه وله اجر على حدته ماعدا اجر القرآءة وعن حميد بن الاعرج قال من قرأ القرءآن وختمه ثم دعا آمن على دعائه اربعة آلاف ملك ثم لايزالون يدعون له ويستغفرون ويصلون عليه الى المساء اوالى الصباح فعلى العاقل ان يجتهد حتى يختم القرءان فى اوآئل الايام الصيفية والليالى الشتائية ليستزيد فى دعائهم واستغفارهم وفى الحديث خيركم من تعلم القرءآن وعلمه وينبغى ان يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يطلب عوضا ولا يقصد جزاء ولاشكورا بل يعلم للتقرب الى الله تعالى ويقتدى بالانبياء حيث قدم كل واحد منهم على دعوته قوله لااسألكم عليه اجرا قال فى الاسرار المحمدية من اخذ الجراية ليتعلم فهى له حلال ولكن من تعلم ليأخذ الجراية فهى عليه حرام وفيه ايضا لايتخذ صحيفة القرءآن اذا درست وقاية للكتب بل يمحوها بالماء وكان من قبلنا يستشفى بذلك الماء وينبغى لقارئ القرءآن ان يجود ويحسن صوته وفى الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرءآن وحسنوا القرءآن باصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرءآن حسنا قيل اراد بالتغنى الاستغناء وقيل الترنم وترديد الالحان وهو اقرب عند اهل اللغة كذا فى الاسرار ويحكى عن ظهير الدين المرغينانى انه قال من قال لمقرئ زماننا احسنت عند قرآءته يكفر كذا فى شرح الهداية لتاج الشريعة وقال فى البزازية من يقرأ القرءآن بالالحان لايستحق الاجر لانه ليس بقارئ قال الله تعالى قرءآنا عربيا غير ذى عوج انتهى وسأل الحجاج بعض جلسائه عن ارق الصوت عندهم فقال احدهم ماسمعت صوتا ارق من صوت قارئ حسن الصوت يقرأ كتاب الله تعالى فى جوف الليل قال ذلك لحسن وقال آخر ماسمعت صوتا اعجب من ان اترك امرأتى ماخضا واتوجه الى المسجد بكيرا فيأتينى آت فيبشرنى بغلام فقال واحسناه فقال شعبة بن علقمة التميمى لا والله ماسمعت اعجب الى من ان اكون جائعا فاسمع خفخفة الخوان فقال الحجاج ابيتم يابنى تميم الاحب الزاد والمقصود من هذه الحكاية بيان اختلاف مشارب الناس فمن احب الله وانس بكلامه وتجرد عن الاغراض وكان القارى متحاشيا من الانغام الموسقية والحان اهل الفسق قارئا على لحون العرب محسنا صوته فلا مجال للطعن فيه والدخل ظاهرا وباطنا والله اعلم (ومن) استفهام مبتدأ اى لااحد (اظلم) خبره (ممن افترى على الله كذبا) مفعول افترى اى اختلق كذبا وافتعله فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسى او اختلق عليه احكاما كعمرو ابن لحى وهو اول من غير دين اسمعيل عليه السلام ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة قال عليه السلام فى حقه رأيته يجر قصبه فى النار قال قتادة كان مسيلمة يسجع ويتكهن كما قال فى معارضة سورة الكوثر انا اعطيناك الجماهر فصل لربك وهاجر انا كفيناك المكابر والمجاهر فانظر كيف كان سافل الالفاظ والبنا فاسد المعانى والحى فادعى النبوة وكان قد ارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولين فقال عليه السلام اتشهدان ان مسيلمة نبى قالا نعم فقال عليه السلام لولا ان الرسل لاتقتل لضربت اعناقكما وفى الحديث بينا انا نائم اتيت بخزآئن الارض فوضع فى يدى سواران من ذهب فكبرا على واهمانى فاوحى الى ان انفخهما فنفختهما فذهبا فاولتهما بالكذابين اللذين انا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة قال القاضى وجه تأويلهما بالكذابين ان السوار كالقيد لليد يمنعها عن البطش فكذا الكذابان يقومان بمعارضة شريعته ويصدان عن نفاذ امرها قتل صاحب صنعاء وهو الاسود العنسى فى مرض موت النبى عليه السلام قتله فيروز الديلمى فلما بلغ خبر قتله النبى عليه السلام قال فاز فيروز وقتل صاحب اليمامة وهو مسيلمة فى عهد الصديق قتله الوحشى قاتل حمزة فلما قتله قال قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى اسلامى (اوقال اوحى الى) من جهته تعالى (ولم يوح اليه) اى والحال انه لم يوح اليه (شئ) اصلا كعبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فى قوله فكذلك نزلت لقد اوحى الى كما اوحى اليه فنى التحقيق انا اكون مثله ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فعلى ان ادعى نزول الوحى مثله فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع الى

الاسلام

الاسلام قبل فتح مكة اذ نزل النبى عليه السلام بمرو (ومن) اى ممن (قال سأنزل مثل ما انزل الله) وهم المستهزؤن الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى اذ الظالمون) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومفعول ترى محذوف لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين اذهم فالظالمون مبتدأ وما بعده خبره واذ مضاف الى الجملة والمراد بالظالمين الجنس فيدخل فيهم المتنبئة وغيرهم وجواب لو محذوف اى لو ترى الظالمين فى هذا الوقت لرأيت امرا عظيما (فى غمرات الموت) اى شدآئده وسكراته جمع غمرة وهى الشدة الغالبة من غمره الماء اذا علاه وغطاه (والملائكة) اى ملك الموت واعوانه من ملائكة العذاب (باسطوا ايديهم) بقبض ارواحهم كالمتقاضى الملظ اى كالغريم الملازم الملح الذى يبسط يده الى من عليه الحق ويعنفه عليه فى المطالبة ولايمهله ويقول له اخرج الى مالى عليك الساعة ولا ازال من مكانى حتى انزعه من كبدك وحدقتك اوباسطوها بالعذاب قائلين (اخرجوا انفسكم) اى ارواحكم الينا من اجسادكم وهذا القول منهم تغليظ وتعنيف والا فلا قدرة لهم على الاخراج المذكور او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا (اليوم) اى وقت الاماتة او الوقت الممتد بعده الى مالانهاية له (تجزون عذاب الهون) اى العذاب المتضمن لشدة واهانة والهون الهوان اى الحقارة (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كاتخاذ الولد ونسبة الشريك وادعاء النبوة والوحى كذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها وفى الحديث ان المؤمن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر من الريحان وتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس الطيبة اخرجى راضية مرضية ومرضيا عنك الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال لها ايتها النفس الخبيثة اخرجى ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وان لها نشيجا اى صوتا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين كذا فى تفسير ابى الليث رحمه الله والاشارة ان الذين يرآؤن فى التأوه والزعقات واظهار المواجيد والحالات لهم من الله خطرات ونظرات وليس لهم منها نصيب الا الزفرات والحسرات والمتشبع بما لم يملك كلابس ثوبى زور وفى معناه انشدوا

اذا انسكبت دموع فى خدود ✻ تبين من بكى ممن تباكى

والذى نزل نفسه منزلة المحدثين واهل الاشارة ولم يلق الى اسرارهم خصائص الخطاب ولم تلهم نفوسهم بها والذين يتشدقون ويتفيهقون فى الكلام الذين يدعون انهم يتكلمون بمثل ما انزل الله من الحقائق والاسرار على قلوب عباده الواصلين الكاملين فكلهم من الظالمين وتظهر مضرة ظلمهم وافترآئهم عند انقطاع تعلق الروح عن البدن واخراج النفس عن القالب كرها لتعلقها بشهوات الدنيا ولذاتها وحرمانها من لذة الحقائق الغيبية والشهوات الاخروية اذ الملائكة يبسطون ايديهم بالقهر اليهم لنزع انفسهم بالهوان والشدة وهى متعلقة بحسب الافترآء والكذب واستحلاء رفعة المنزلة عند الخلق وطلب الرياسة باصناف المخلوقات فتكون شدة النزع والهوان بقدر تعلقها بها كما قال اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون يعنى آياته المودعة فى انفسكم تعرضون عنها او ترآؤن بماليس لكم ولعل تعلق النفس عن البدن ينقطع بيوم او يومين او ثلاثة ايام وتعلقها عن اوصاف المخلوقات لاينقطع بالسنين ولعله الى الحشر والكفار الى الابد وهم فى عذاب النزع بالشدة ابدا وهو العذاب الاليم والعذاب الشديد ومن نتايج هذه الحالة عذاب القبر فافهم جدا وحكى عن بعض العصاة انه مات فلما حفروا قبره وجدوا فيه حية عظيمة فحفروا له قبرا آخر فوجدوها فيه ثم كذلك قبرا بعد قبر الى ان حفروا نحوا من ثلاثين قبرا وفى كل قبر يجدونها فلما رأوا انه لايهرب من الله هارب ولايغلب الله غالب دفنوه معها وهذه الحية هى عمله (قال الحافظ) كارى كنيم ورنه خجالت برآورد ✻ روزى كه رخت جان بجهان دكر كشيم (ولقد جئتمونا) للحساب والجزآء وهو بمعنى المستقبل اى تجيئوننا وانما ابرز فى صورة الماضى لتحققه كقوله تعالى اتى امر الله والخطاب لكفار قريش لانها نزلت حين قالوا افتخارا واستخفافا للفقرآء نحن اكثر اموالا واولادا فى الدنيا وما نحن بمعذبين فى الآخرة (فرادى) جمع فرد اى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا (كما خلقناكم اول مرة) بدل من فرادى اى على الهيئة التى

ولدتم عليها فى الانفراد او حال من ضمير فرادى اى مشبهين ابتدآء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما اى ليس بهم شئ مما كان فى الدنيا نحو البرص والعرج كذا فى القاموس وفى الخبر انهم يحشرون يوم القيامة عراة حفاة غرلا قالت عائشة رضى الله عنها واسوءتاه الرجل والمرأة كذلك فقال عليه السلام لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض (وتركتم ما خولناكم) ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة والتخويل تمليك الخول اى الخدم والاتباع واحدهم خائل او الاعطاء على غير جزآء (وراء ظهوركم) ما قدمتم منه شيأ ولم تحملوا نقيرا بخلاف المؤمنين فانهم صرفوا هممهم الى العقائد الصحيحة والاعمال الصالحة فبقيت معهم فى قبورهم وحضرت معهم فى محفل القيامة فهم فى الحقيقة ما حضروا فرادى چون ازينجا وارهى انجا روى * درشكرخانه ابدشا كرشوى (وما نرى معكم شفعاءكم) الاصنام (الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) اى شركاء الله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم (لقد تقطع بينكم) اى وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اى اوقع الجمع بينهما قال الكاشفى منقطع كشت آنچه ميان شما بود از وصلت ومودت (وضل عنكم) اى بطل وضاع (ما كنتم تزعمون) انها شفعاؤكم فلم يقدروا على دفع شئ من العذاب عنكم اوانها شركاؤكم لله فى ربوبيتكم وهو الانسب لسياق النظم الا ترى الى قوله تعالى الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اعلم ان للانسان اعدآء اربعة هى المال والاهل والاولاد والاصدقاء وهى لا تدخل فى القبر مع الميت فيبقى فريدا وحيدا منهم واصدقاء اربعة هى كلمة الشهادة والصلاة والصوم وذكر الله وهى تدخل فى القبر وتشفع عند الله تعالى فتصحب الميت فلا يبقى وحيدا فعلى العاقل ان يتفكر فى تجرده وتفرده فيسعى فى تحصيل لباس له هو التقوى ومصاحب هو العمل الصالح وفى الحديث أن عمل الانسان يدفن معه فى قبره فان كان العمل كريما اكرم صاحبه وان كان لئيما اسلمه وان كان عملا صالحا آنس صاحبه وبشره ووسع عليه قبره ونوره وحماه من الشدآئد والاهوال والعذاب والوبال وان كان عملا سيئا فزع صاحبه وروعه واظلم عليه قبره وضيقه وعذبه وخلى بينه وبين الشدآئد والاهوال والعذاب والوبال قال اليافعى وقد سمعت عن بعض الصالحين فى بعض بلاد اليمن انه لما دفن بعض الموتى وانصرف الناس سمع فى القبر صوتا ودقا عنيفا ثم خرج من القبر كلب اسود فقال له الشيخ الصالح ويحك ايش انت فقال انا عمل الميت فقال فهذا الضرب فيك ام فيه قال بل فى وجدت عنده سورة يس واخواتها فحالت بينى وبينه وضربت وطردت فانظر انه لما قوى عمله الصالح غلب على عمله الطالح وطرده عنه بكرم الله تعالى ولو كان عمله القبيح اقوى لغلب عليه وافزعه وعذب (قال السعدى) غم وشادمانى نماند وليك * جزاى عمل ماند ونام نيك * مكن تكيه برملك وجاه وحشم * كه پيش از تو بودست وبعد از تو هم * قال القشيرى ولقد جئتمونا فرادى اى دخلتم الدنيا بخرقة وخرجتم منها بخرقة الا وتلك الخرقة ايضا لبسه وما دخلت الا بوصف التجرد وما خرجت الا بحكم التجرد ثم الاثقال والاوزار والاعمال والاوصال لا يأتى عليها حصر ولا مقدار فلا مالكم اغنى ولا حالكم يدفع عنكم ولا شفيع يخاطبنا فيكم ولقد تفرق وصلكم وتبدد شملكم وتلاشى ظنكم وخاب سعيكم انتهى كلام القشيرى والاشارة ان المجئ الى الله يكون بالتجريد ثم بالتفريد ثم بالتوحيد فالتجريد هو التجرد عن الدنيا وما يتعلق بها والتفريد هو التفرد عن الدنيا والاخرة رجوعا الى الله خاليا عن التعلق بهما كما كان فى بدء الخلقة روحا مجردا عن تعلقات الكونين كقوله لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة يعنى اول خلقة الروح قبل تعلقه بالقالب فانه خلقة ثانية كما قال ثم انشأناه خلقا آخر وقال ولقد خلقناكم ثم صورناكم فللعبد فى السير الى الله كسب وسعى بالتجريد والتفريد عن الدنيا والآخرة كما قال وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم يعنى من تعلقات الكونين وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء يعنى الاعمال والاحوال التى ظننتم انها توصلكم الى الله تعالى لقد تقطع بينكم وبينها عند انتهاء سيركم وضل عنكم ما كنتم تزعمون انها توصلكم الى الله فاذا وصل العبد الى سرادقات العزة انتهى سيره كما انتهى سير جبرآئيل ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وهو منتهى سير السائرين من الملك والانس والتوحيد هو التوحيد قبول فيض الوحدانية عن التجلى بصفات الواحدية لتوصل العبد بجذبة ارجعى الى ربك مقام الوحدة ولو لم تدركه العناية الازلية بجذبات الربوبية لانقطع عن السير فى الله بالله وبقى فى السدرة وهو يقول وما منا الا له مقام معلوم فافهم كذا فى التأويلات

النجمية (ان الله فالق الحب) الفلق الشق بابانة والحب جمع حبة وهى اسم لجميع البزور المقصودة بذواتها كالبر والشعير والذرة ونحوها والمعنى شاق الحب بالنبات اى يشق الحبة اليابسة فيخرج منها ورق اخضر (والنوى) واحدتها نواة وهى الشئ الموجود فى داخل الثمر مثل نواة الخوخ والمشمش والتمر ونحوها والمعنى شاق النوى بالشجر اى يشق النواة الصلبة فيخرج شجرة ذات اوراق واغصان (يخرج الحى من الميت) بيان لما قبله اى يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب (ومخرج الميت) كالنطفة والحب (من الحى) كالحيوان والنبات وهو معطوف على فالق الحب فالحى والميت مجاز عن النامى والجامد تشبيها للنامى بالحى والحى حقيقة فيما يكون موصوفا بالحياة المستتبعة للحس والحركة الارادية والميت حقيقة فيما يكون خاليا عن صفة الحياة ممن تكون الحياة من شأنه ومنهم من حمل اللفظ على الحقيقة وقال يخرج من النطفة الميتة بشرا حيا ومن الدجاجة بيضة ميتة قال ابن عباس رضى الله عنه يخرج المؤمن من الكافر كما فى حق ابراهيم عليه السلام والكافر من المؤمن كما فى حق ولد نوح عليه السلام والعاصى من المطيع وبالعكس والعالم من الجاهل وبالعكس والعاقل من الاحمق وبالعكس والاشارة يخرج نخل الايمان من نوى الحروف الميتة فى كلمة لا اله الا الله ويخرج ميت النفاق من الكلمة الحية وهى لا اله الا الله (ذلكم) القادر العظيم الشان (الله) المستحق للعبادة وحده (فانى تؤفكون) فكيف تصرفون من عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا والافك فى اللغة قلب الشئ وصرفه والخطاب لكفار قريش لان السورة مكية (فالق الاصباح) خبر آخر لان والاصباح بكسر الالف مصدر بمعنى الدخول فى ضوء النهار سمى به الصبح اى فالق عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره (وجعل الليل سكنا) يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه (والشمس والقمر) اى وجعلهما (حسبانا) اى على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات فانه تعالى قدر حركة الشمس بمقدار من السرعة والبطئ بحيث تتم دورتها فى سنة وقدر حركة القمر بحيث تتم الدورة فى شهر وبهذا التقدير تنتظم المصالح المتعلقة بالفصول الاربعة كنضج الثمار وامور الحرث والنسل ونحو ذلك مما يتوقف عليه قوام العالم وباختلاف منازل القمر وتجدد الاهلة فى كل شهر يعلم آجال الديون ومواقيت الاشياء فمعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حساب فالحسبان بالضم مصدر بمعنى الحساب والعد وبابه نصر واما الحسبان بكسر الحاء فهو من باب علم ومعناه الظن والتخمين وتقديم الشمس لضيائها على القمر لانها معدن الانوار الفلكية من البدور والنجوم واصلها فى النورانية وان انوارهم مقتبسة من نور الشمس على قدر تقابلهم وصفوة اجرامهم قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره نور القمر ليس من نفسه وانما هو من عالم الانوار فهو ليس بناقص فى ذاته وانما ذلك بسبب عروض الكثافة بالتدريج ولولا ذلك لم تعرف الشهور والسنون والشمس والقمر عينا هذا التعين وظاهرهما الى الفوق والذى نراه جانبهما الداخل فهو تارة يفتح عينيه واخرى يغمض كما انا نفعل كذلك والكواكب ليست مركوزة فيه وانما هى بانعكاس الانوار فى بعض عروقه اللطيفة والذى يرى كسقوط النجم فكدفع الشمس من موضع الى موضع وهذا لا يطلع عليه الحكماء وانما يعرفه اهل السلوك ثم قال الليل والنهار فى عالم الآخرة ليسا بالظلمة والضياء بل لهما علامة اخرى بتجلى من التجليات فيعرفون به الليل والنهار وكيف يكون الليل هنا بالظلمة وقد قال عليه السلام لو خرج ورق من اوراقها الى الدنيا لاضاء العالم انتهى كلامه (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير البديع بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص (العليم) بما فيه من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم (قال السعدى) ابر وباد ومه وخورشيد و فلك دركارند * تا تونانى بكف آرى وبغفلت نخورى * همه از بهر تو سر كشته وفرمان بردار * شرط انصاف نباشد كه تو فرمان نبرى (وهو الذى) واوست خداوند يكه بقدرت كامله (جعل لكم) اى انشأ لاجلكم وابدع (النجوم) التى تختلف مواضعها من جهة الشمال والجنوب والصبا والدبور (لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) اى فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتدآء بها انما تتحقق عند ذلك قال الحدادى لتعرفوا بها الطرق من بلد الى بلد فى المفاوز ولجج البحار فى الليالى المظلمة فى السفن فان من النجوم ما يجعله السائر تلقاء وجهه ومنها ما يجعله على يمينه ومنها ما يجعله على يساره ومنها

مايجعله خلفه ليظهرله الطريق التى تؤديه الى بغيته وللنجوم فوائد اخر وهى انها زينة السماء ورمى الشياطين وغير ذلك (قد فصلنا الآيات) اى بينا الآيات الدالة على قدرتنا فصلا فصلا (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون بها (وهو الذى انشأكم) مع كثرتكم (من نفس واحدة) اى من نفس آدم وحدها فانه خلقنا جميعا منه وخلق امنا حوآء من ضلع من اضلاع آدم فصار كل الناس محدثة مخلوقة من نفس واحدة حتى عيسى فان ابتدآء تكوينه كان من مريم التى هى مخلوقة من ماء ابويها وانما من علينا بهذا لان الناس اذا رجعوا الى اصل واحد كانوا اقرب الى ان يألف بعضهم بعضا قال اهل الاشارة ان الله تعالى كما خلق آدم ابتدآء وجعل اولاده منه كذلك خلق روح محمد صلى الله عليه وسلم قبل الارواح كما قال اول ما خلق الله روحى ثم خلق الارواح من روحه فكان آدم ابا البشر وكان محمد صلى الله عليه وسلم ابا الارواح واليه يشير قوله تعالى هو الذى انشأكم من نفس واحدة (فمستقر ومستودع) كل واحد منهما مصدر ميمى مرفوع على الابتدآء والخبر محذوف اى فلكم استقرار فى الاصلاب اوفوق الارض واستيداع فى الارحام اوتحت الارض وجعل صلب الاب مستقر النطفة ورحم الام مستودعا لها لان النطفة حصلت فى صلب الاب لامن قبل الغير وحصلت فى رحم الام بفعل الغير فاشبهت الوديعة كان الرجل اودعها ما كان مستقرا عنده وقال الحسن يا ابن آدم انت وديعة فى اهلك ويوشك ان تلحق بصاحبك وانشد قول لبيد

وما المال والاهلون الا ودیعة ✻ ولابد يوما ان ترد الودآئع

والقلب ايضا من الودآئع والامانات (قال الصائب) ترابكوهر دل كرده اند امانتدار ✻ نه دزد امانت حق رانكاه دار محسب (قد فصلنا الآيات) المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الاية ونظائرها (لقوم يفقهون) غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر وانما ذكر مع ذكر النجوم يعلمون ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان ذلك اشارة الى آيات الآفاق وهذا الى آيات الانفس ولاشك ان آيات الافاق اظهر واجلى وآيات الانفس ادق واخفى فكان ذكر الفقه لها انسب واولى لان الفقه عبارة عن الوقوف على المعنى الخفى واصل تركيب الفقه يدل على الشق والفتح والفقيه العالم الذى يشق الاحكام ويفتش عن حقائقها ويفتح ما استغلق منها فالفقه انما يطلق حيث يكون فيه حذاقة وتدقيق نظر قال الحدادى الفقه فى اللغة هو الفهم لمعنى الكلام الا انه قد جعل فى العرف عبارة عن علم الغيب على معنى انه استدراك معنى الكلام بالاستنباط من الاصول ولهذا لايجوز ان يوصف الله تعالى بانه فقيه لانه لايوصف بالعلم على جهة الاستنباط ولكنه عالم بجميع الاشياء على وجه واحد انتهى ثم هذه الآيات الافاقية والانفسية تفصح عن صنع الله البديع وتدعو اهل الشرك الى التوحيد والايمان واهل الاخلاص الى الشهود والعيان واهل المعصية الى الطاعة والتوبة باللسان والجنان فان الامتنان بذكر النعم الجليلة يستدعى شكرالها ومعرفة لحقها ولكل قوم وفريق سلوك الى طريق التحقيق على حسب ما انعم عليه من توحيد الافعال والصفات والذات فعلى العاقل ان يجتهد فى طلب الحق فان المقصود من ترتيب مقدمات العوالم آفاقية كانت او انفسية هو الوصول الى الظاهر من جهة المظاهر وانما اصل الحجاب هو الغفلة وحكى ان الشيخ ابا الفوارس شاهين بن شجاع الكرمانى رحمه الله خرج للصيد وهو ملك كرمان فامعن فى الطلب حتى وقع فى برية مقفرة وحده فاذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه فلما دنا اليه سلم عليه وقال له يا شاه ما هذه الغفلة عن الله اشتغلت بدنياك عن آخرتك وبلذتك وهواك عن خدمة مولاك انما اعطاك الله الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة الى الاشتغال عنه فبينما الشاب يحدثه اذ اخرجت عجوز بيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب فدفع باقيه الى الشاه فشربه فقال ما شربت شيأ الذ منه ولا ابرد ولا اعذب ثم غابت العجوز فقال الشاب هذه الدنيا وكلها الله الى خدمتى فما احتجت الى شئ الا احضرته الى حين يخطر ببالى اما بلغك ان الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يا دنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه فلما رأى ذلك تاب وكان منه ما كان وانشد بعضهم

خدمت لما ان صرت من خدمك ✻ ودار عندى السرور من نعمك
وكانت الحادثات تطرقنى ✻ فاستحشمتنى اذ صرت من حشمك

اللهم اجعلنا من الملازمين لبابك ولا تقطعنا عن جنابك (وهو) اى الله تعالى (الذى انزل من السماء ماء) خاصا هو المطر ثم التفت من الغيبة الى التكلم فقال (فاخرجنا) بعظمتنا فالنون للعظمة لا الجمع فان الملك العظيم يعبر عن نفسه بلفظ الجمع تعظيما له (به) اى بسبب ذلك الماء مع وحدته (نبات كل شئ) ينبت كنبات الحنطة والشعير والرمان والتفاح وغيرها فشئ مخصص فلا يلزم ان يكون لكل شئ نبات كالحجر مثلا والنبت والنبات ما يخرج من الارض من الناميات سوآء كان له ساق كالشجر اولم يكن كالنجم فان قيل كيف جعل الله المطر سببا للنبات والفاعل بالسبب يكون مستعينا بفعل السبب والله تعالى مستغن عن الاسباب قيل لان المطر سبب يؤدى الى النبات وليس بمولد له والله تعالى قادر على انبات النبات بدون المطر وانما يكون الفاعل بالسبب مستعينا بذلك السبب اذا لم يمكنه فعل ذلك الشئ الا بذلك السبب كما ان الانسان اذا لم يمكنه ان يصعد السطح الا بالسلم فان السلم آلة للصعود والظاهر انه اذا صعد السطح بالسلم لم يكن السلم آلة له لانه يمكنه ان يصعد السطح بدون السلم (فاخرجنا منه) شروع فى تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدأ بتفصيل حال النجم اى فاخرجنا من النبات الذى لا ساق له شيأ غضا (خضرا) بمعنى اخضر وهو اى الشئ الاخضر الخارج من النبات ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) صفة لخضرا اى نخرج من ذلك الخضر المتشعب (حبا متراكبا) هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة (ومن النخل) شروع فى تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم وهو خبر مقدم (من طلعها) بدل منه باعادة العامل وهو شئ يخرج من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود (قنوان) مبتدأ اى وحاصلة من طلع النخل قنوان جمع قنو وهو للتمر بمنزلة العنقود للعنب (دانية) سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تأتى بالثمر لا تنتظر الطول اوملتفة متقاربة وفيه اختصار معناه من النخل ما قنوانها دانية ومنها ما هى بعيدة فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لان النعمة فى القريبة اكمل واكثر وفى الحديث اكرموا عماتكم النخل فانها خلقت من فضلة طينة آدم وليس من الشجر شجرة اكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران فاطعموا نساءكم الولد الرطب فان لم يكن رطب فتمر انتهى فظهر ان السبب فى اطعام النفساء رطبا ان مريم رضى الله عنها كان اول ما اكلت حين وضع عيسى عليه السلام هو الرطب كما قال تعالى فى سورة مريم وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وورد فى فضيلة السفرجل ايضا انه شكا بعض الانبياء الى الله تعالى من قبح اولاد امته فاوحى الله اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فى الشهر الثالث والرابع لان فيه تصور الجنين فانه يحسن الولد (و) اخرجنا به (جنات) بساتين كائنة (من اعناب) فهو عطف على نبات كل شئ ولعل زيادة الجنات هنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تأخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده وكل نبت متكاثف يستر بعضه بعضا فهو جنة من جن اذا استتر والاعناب جمع عنب وهو بالفارسية انكور (والزيتون والرمان) اى واخرجنا ايضا شجر الزيتون وشجر الرمان (مشتبها) اوراقهما ومشتملا على الغصن من اوله الى آخره فى كليهما وهو حال (وغير متشابه) ثمرهما وفى التفسير الفارسى (مشتبها) درحالتى كه آن درختان بعضى ببعضى مانند در برك وغير متشابه ونه مانند يكديكر در طعم ميوه چه بعضى بغايت ترش ميباشد وبعضى شيرين وبرخى ترش وشيرين (انظروا) يا مخاطبين نظر اعتبار (الى ثمره) بميوهٔ هر درختى (اذا اثمر) اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به (وينعه) والى حال نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة والينع فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقوله اذا اثمر ظرف لقوله انظروا امر بالنظر فى اول حال حدوث الثمرة وفى كمال نضجها مع كونها نابتة من ارض واحدة ومسقية بماء واحد ليعلم كيف تتبدل وتنتقل الى احوال مضادة للاحوال السابقة وحصول هذه التغيرات مسند الى القادر الحكيم العليم المدبر لهذا العالم على وفق الرحمة والحكمة والمصلحة قال القرطبى هذا الينع هو الذى يتوقف عليه جواز بيع الثمرة وهو ان يطيب اكل الفاكهة وتأمن العاهة وهو عند طلوع الثريا بما اجرى الله تعالى عادته عليه وروى ابو هريرة عن النبى عليه السلام انه قال اذا طلعت الثريا صباحا رفعت العاهة عن اهل البلد وطلوعها صباحا فى اثنى عشرة تمضى من شهر ايار وهو آخر الشهور الثلاثة من اول فصل الربيع وهى اذار ونيسان وايار (ان فى ذلكم) اشارة الى ما امر بالنظر اليه (لآيات) عظيمة دالة على وجود القادر

الحكيم ووحدته (لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لانهم المنتفعون بالاستدلال بها والاعتبار والاشارة فى الاية ان الله تعالى ينزل من سماء العناية ماء الهداية فيخرج به انواع المعارف والاسرار على حسب مراتب اهل الزهد والفتوى واهل العشق والتقوى اذ القلب كالروضة ينشأ منه ما هو مستعد له وكل نبت يترجم عن ترابه (كما قال فى المثنوى) درزمين كرنى شكر ورخود نى است * ترجمان هر زمين نبت وى است * والنخل اعلى من غيره ولذا يقال انه اشارة الى اصحاب الولايات فمن ثمرات ولايتهم ما هو ممتدان للطالبين والمريدين يعنى منهم من يكون مربيا فينتفع بثمرات ولايته ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المتمسكين به وجملة شؤونهم ناظرة الى امر الله تعالى واذنه ولذا لا يطعن فيهم الاجاهل وهم فى خلواتهم وجلواتهم يتفكهون من روضات القلوب ويتلذذون بلذائذ حبات الغيوب وامرهم مستور عن الخلق واعينهم وعن بعضهم قال رأيت عند قبر النبى عليه السلام تسعة من الاولياء فتبعتهم فالتفت الى احدهم وقال اين تمر قلت اسير معكم لحبى فيكم فانى سمعت عمن زرعوه عليه السلام انه قال المرء مع من احب فقال احدهم انك لا تقدر على المسير الى هذا الموضع الذى نقصده فانه لا يقدر عليه الا من بلغ سنه اربعين سنة فقال آخر دعه لعل الله يرزقه فسرت معهم والارض تطوى من تحتنا طيا فلم نزل حتى انتهينا الى مدينة مبنية بالذهب والفضة واشجارها متكاثفة وانهارها مطردة رائقة وفواكهها كبيرة فائقة فدخلناها واكلنا من ثمرها واخذت معى ثلاث تفاحات فلم يمنعونى من اخذها فسألتهم عند الانصراف عن المدينة قالوا مدينة الاولياء اذا ارادوا التنزه ظهرت لهم اينما كانوا ما دخلها احد قبل الاربعين غيرك وكنت كلما جعت اكلت من التفاحة وهى لا تتغير ورجعت الى اهلى وقد بقى معى تفاحة واحدة غير التى ادخرتها لنفسى فعانقتنى اختى وقالت اين الذى اطرفتنا به من سفرك فقلت وما الذى اطرفكم به وانا بعيد عن الدنيا وعن الراحة قالت فاين التفاحة فعميت عليها وقلت واى تفاحة قالت يا مسكين والله لقد ادخلونى تلك المدينة وانا بنت عشرين سنة واما انت فلم ترها الا بعد ان طردوك وانا والله جذبت اليها جذبة وخطبت اليها خطبة قلت اى اخت فالبدل الكبير منهم يقول لى لم يدخلها احد لم يبلغ اربعين سنة غيرك قالت نعم من المريدين واما المرادون فيدخلونها ولا يرضون بها ومتى شئت اريتكها فقلت قد شئت فقالت يا مدينتى احضرى فوالله لقد رأيت المدينة بعينها تتدلى اليها وترف عليها فمدت يدها وقالت اين تفاحتك قال فتساقط على من التفاح ما علانى فضحكت ثم قالت من عنده من الملك هذا يحتاج الى تفاحتك قال فاستحقرت والله نفسى عند ذلك وما كنت اعلم ان اختى منهم رضى الله عنها وعنهم (قال السعدى) نه هر كس سزاوار باشد بصدر * كرامت بفضلست ورتبت بقدر (وجعلوا لله شركاء الجن) قال الكاشفى الاصح انها نزلت فى الزنادقة اعنى المجوس ويقال لهم الثنوية ايضا قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان فالله تعالى خالق الناس والدواب والانعام وكل خير ويعبرون عن الله بيزدان وابليس خالق السباع والحيات والعقارب وكل شر ويعبرون عن ابليس باهرمن وهذا كقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وابليس من الجنة والمعنى وجعلوا الجن شركاء لله فى اعتقادهم الباطل (وخلقهم) حال من فاعل جعلوا بتقدير قد اى والحال انهم قد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق فالضمير للجاعلين ويحتمل ان يكون للجن اى والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له (وخرقوا له) اى افتعلوا وافتروا له تعالى يقال خرق واخترق واختلق وافترى اذا كذب (بنين وبنات) فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله (بغير علم) بحقيقة ما قالوه من خطأ او صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا اى خرقوا ملتبسين بغير علم (سبحانه) اى تنزه تعالى بذاته تنزها لائقا به (وتعالى) من العلو اى استعلى ويجوز فى صفات الله تعالى علا ولا يجوز ارتفع لان العلو قد يكون بالاقتدار والارتفاع يقتضى الجهة والمكان ولما فى السبحان والتعالى من معنى التباعد قيل (عما يصفون) اى تباعد عما يصفونه من ان له شريكا وولدا (بديع السموات والارض) اى هو مبدع من غير مثال سبق لقطرى العالم العلوى والسفلى بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يكون له ولد فالفعيل بمعنى المفعل كالاليم والحكيم بمعنى المؤلم والمحكم والاضافة حقيقية وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى بديع سمواته وارضه

من

من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق (انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) اى من اين او كيف يوجد له ولد والحال ان اسباب الولادة منتفية فان وجود الولد بلا والدة محال وان امكن بلا والد كعيسى عليه السلام والمراد بالصاحبة الزوجة (وفى المثنوى) لم يلد لم يولد است آو ازقدم * نى پدر دارد نه فرزند ونه عم (وخلق كل شئ) انتظم بالتكوين والايجاد من الموجودات التى من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه * خالق افلاك وانجم برعلا * مردم وديو وپرى ومرغ را (وهو بكل شئ) من شأنه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق (عليم) مبالغ فى العلم ازلا وابدا فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التى من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التى ما زعموه فرد من افرادها (ذلكم) اى ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة ايها المشركون (الله) المستحق للعبادة خاصة مبتدأ وخبره (ربكم) اى مالك امركم نيست خلقش راد كر كس مالكى * شركتش دعوى كند جزهالكى (لا اله الا هو) اى لا شريك له اصلا (خالق كل شئ) مما كان وما سيكون فلا تكرار وهذه اخبار مترادفة (فاعبدوه) حكم مسبب عن مضمونها فان من جمع هذه الصفات استحق العبادة خاصة (وهو على كل شئ وكيل) اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم الدنيوية والاخروية ورقيب على اعمالكم فيجازيكم قال الامام الغزالى قدس سره والوكيل ينقسم الى من يفى بما وكل اليه وفاء تاما من غير قصور والى من لا يفى بالجميع والوكيل المطلق هو الذى يفى بالامور الموكولة اليه وهو ملئ بالقيام بها وفى باتمامها وذلك هو الله تعالى فقط وقد فهمت من هذا مقدار مدخل العبد فى معنى هذا الاسم انتهى كلامه وعن الشيخ ابى حمزة الخراسانى رحمه الله قال حججت سنة من السنين فبينما انا امشى اذ وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى ان استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما استتم هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه احد فاتيا بقصب وبارية وطمسا رأس البئر فهممت ان اصيح ثم قلت فى نفسى الى من هو اقرب منهما وسكت وفوضت امرى الى الله تعالى فبينما انا بعد ساعة اذا بشئ جاء وكشف عن رأس البئر وادلى رجله وكانه يقول تعلق بى فى همهمة منه كنت اعرف منها ذلك فتعلقت به فاخرجنى فاذا هو سبع فمر وهتف بى هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فالله تعالى قادر على ذلك وهو على كل شئ وكيل والاشارة فى الآيات ان الله تعالى كما اخرج بماء اللطف والهداية من ارض القلوب لاربابها انواع الكمالات اخرج بماء القهر والخذلان من ارض النفوس لاصحابها انواع الضلالات حتى اشركوا بالله تعالى وقالوا ما قالوا من اسوء المقال مع انه تعالى متفرد بالذات والصفات والافعال فعلى العاقل ان يستعيذ بالله من مكره وقهره ويستجلب بطاعته مزيد رضاه ورحمته ويقطع النظر عن الغير فى كل شر وخير فان الكل من الله تعالى وان كان لا يرضى لعباده الكفر كناه اكرچه نبود اختيار ما حافظ * تو در طريق ادب كوش وكو كناه منست * اللهم لا تؤمنا مكرك فانه لا يأمن منه الا القوم الكافرون (لا تدركه الابصار) البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث انها محله وادراك الشئ عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به اى لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به (وهو يدرك الابصار) اى يحيط بها علمه (وهو اللطيف الخبير) فيدرك ما لا تدركه الابصار ولهذا خص الابصار بادراكه تعالى اياها مع انه يدرك كل شئ لان الابصار لا تدرك نفسها ولا يجوز فى غيره ان يدرك البصر وهو لا يدركه ففيه دليل على ان الخلق لا يدركون بالابصار كنه حقيقة البصر وهو الشئ الذى صار به الانسان يبصر من عينيه دون ان يبصر من غيرهما من سائر اعضائه اعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الوقوف على كنه الشئ والاحاطة به والرؤية المعاينة وقد تكون الرؤية بلا ادراك لانه يصح ان يقال رآه وما ادركه فالادراك اخص من الرؤية ونفى الاخص لا يستلزم نفى الاعم فالله يجوز ان يرى من غير ادراك واحاطة كما يعرف فى الدنيا ولا يحاط به يعنى ان معرفة الله تعالى ممكنة من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية اذ منه ما لا تفيه الطاقة البشرية وهو ما وقع به الكمل فى ورطة الحيرة واقروا بالعجز عن حق المعرفة وقالوا ما عرفناك حق معرفتك فذات الله تعالى من حيث تجرده عن النسب والاضافات لا يدرك ولهذا سئل النبى عليه السلام هل رأيت ربك قال نورانى اراه اى النور المجرد لا يمكن رؤيته وكذا اشار الحق فى كتابه لما ذكر

ظهور نوره فی مراتب المظاهر قال الله تعالى الله نور السموات والارض فلما فرغ من ذكر مراتب التمثيل قال نور على نور فاحد النورين هو الضياء والآخر هو النور المطلق الاصلى ولهذا تمم فقال يهدى الله لنوره من يشاء اى يهدى الله بنوره المتعين فى المظاهر والسارى فيها الى نوره المطلق الاحدى فانما تتعذر الرؤية والادراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والاضافات فاما فى المظاهر ومن ورآئية حجابية المراتب فالادراك ممكن كما قيل كالشمس تمنعك اجتلاءك وجهها * فاذا اكتست برقيق غيم امكنا والى مثل هذا اشار النبى صلى الله عليه وسلم فى بيان الرؤية الجنانية المشبهة برؤية الشمس والقمر فاخبر عن اهل الجنة انهم يرون ربهم وانه ليس بينه وبينهم حجاب الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن فنبه صلى الله عليه وسلم على بقاء الرتبة الحجابية وهى رتبة المظاهر وتحقيقه ان اهل الاعتزال بالغوا فى نفى الرؤية واستدلوا على مذهبهم بما ورد فى الصحيحين عن ابى موسى جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنات من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه قالوا ان الرداء حجاب بين المرتدى والناظرين فلا تمكن الرؤية وجوابهم انهم حجبوا وان المرتدى لا يحتجب عن الحجاب اذ المراد بالوجه الذات وبرداء الكبرياء هو العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامعة للحقائق الامكانية والالهية والرداء هو الكبرياء واضافته للبيان والكبرياء رداؤه الذى يلبسه عقول العلماء بالله يقول الفقير فى شرح هذا المقام قوله ولكنهم حجبوا الخ وذلك لان المرءآة لا تكون حجابا للناظر كما ان اللباس كذلك بالنسبة الى البدن نفسه اذ لا واسطة بينهما فالرداء من المرتدى بمنزلة المرءآة من الناظر وكذا المرتدى من الرداء بمنزلة الناظر من المرءآة اذ المراد بالوجه الذات بطريق اطلاق اسم الجزء على الكل فالمرتدى وهو الذات لا يحتجب عن حجابه وانما يحتجب به عن الغير كالقناع للعروس فانه كشف بالاضافة اليها وحجاب بالنسبة الى غيرها او برداء الكبرياء الخ وهو الحقيقة المحمدية التى هى حقيقة الحقائق ولكل موجود حصة من تلك الحقيقة بقدر قابليته لكنها فى نفسها حقيقة واحدة وهو الوجود العام الشامل كالحيوان الناطق فانه معنى واحد عام شامل لجميع الافراد وكثرته بالنسبة الى تلك الافراد لا تنافى وحدته الحقيقية فمعنى قوله عليه السلام وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه الا حقيقة كل منهم التى تجلى الذات فيها بحسب صفاء مرءآتها ومعرفتها وتلك الحقيقة ليست بحجاب بين القوم وبين الذات الاحدية اذ ماوراء تلك الحقيقة مع قطع النظر عن التجلى فيها وكونها مرءآة له اطلاق صرف لا يتعلق به رؤية رائيا كان فكل ناظر ينكشف له جمال الذات من حقيقة نفسه فينظر اليه من تلك الحقيقة وهى ليست بحجاب للنظر ولا للذات اذ هى كالمرءآة فالنظر الظاهرى قيد تام وماوراء تلك الحقيقة من الذات اطلاق صرف فلا مناسبة بينهما بوجه من الوجوه وتلك الحقيقة بين التقييد والاطلاق برزخ جامع لهما كما قال عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه فالعارف اذا لم يتعلق عرفانه بنفسه الكلية وحقيقته الجامعة لا يتأتى منه عرفان ربه لان ربه مطلق عن القيود والنسب والاضافات وهو بهذا الاعتبار لا تتعلق به المعرفة واما نفسه المتجلى فيها الرب بحقائق اسمائه فتتعلق بها تلك الرؤية من تلك الحيثية فيكون حقيقة نفسه ومعرفتها مرءآة معرفة ربه فلا حجاب بين المرتدى وردآئه اصلا وانما غلط من غلط بقياس الغائب على الشاهد وهو ممنوع باطل لانه لا يلزم ان يكون هناك رداء مانع وبرزخ بين الناظر والمرتدى ولذا قال والكبرياء رداؤه الذى يلبسه عقول العلماء بالله فالتردد فى ان الرداء حجاب بين المرتدى والناظرين فلا يمكن الرؤية انما هو من عمى البصيرة والعياذ بالله وهو فى ثلاثة اشياء ارسال الجوارح فى معاصى الله والتصنع بطاعة الله والطمع فى خلق الله فالحق ليس بمحجوب عنك لثبوت احاطته وانما المحجوب انت عن النظر اليه بما تراكم على بصيرتك من العيوب العارضة وما يلازم بصرك من العيب اللازم الذى هو الفناء الحسى الذى لا يرتفع الا فى الدار الآخرة فلذلك كانت الرؤية موقوفة عليها والا فالحجاب فى حقه تعالى ممتنع غير متصور فلا تمكن ممن يطلب الله لنفسه ولا يطالب نفسه لربه فذلك حال الجاهلين وقال بعض المفسرين ان الادراك اذا قرن بالبصر كان المراد منه الرؤية فانه يقال ادركت ببصرى ورأيت ببصرى بمعنى واحد فمعنى قوله لا تدركه الابصار اى لا تراه فى الدنيا فهو مخصوص برؤية المؤمنين له فى الآخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وحديث الشيخين انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية فى الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئى بالمرئى اى فى الجهة وانما يرونه

فى الاخرة

فى الآخرة لانها قلب الدنيا فالبصيرة هناك كالبصيرة فى الدنيا فيكون البصر الظاهر فى الدنيا باطنا فى الآخرة والبصيرة الباطنة ظاهرة فيستعد الكل للرؤية بحسب حاله واما فى الدنيا فالرؤية غاية الكرامة فيها وغاية الكرامة فيها لاكرم الخلق وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود الذى شاهد ربه ليلة المعراج بعينى رأسه يعنى رآه بالسر والروح فى صورة الجسم فكان كل وجوده الشريف عينا لانه تجاوز فى تلك الليلة عن عالم العناصر ثم عن عالم الطبيعة ثم عن عالم الارواح حتى وصل الى عالم الامر وعين الرأس من عالم الاجسام فانسلخ عن الكل ورأى ربه بالكل فافهم هداك الله الى خير السبل فان العبارة ههنا لا تسع غير هذا قال فى التأويلات النجمية لا تدركه الابصار اى لا تلحقه المحدثات لا الابصار الظاهرة ولا الابصار الباطنة تقدست صمديته عن كل لحوق ودرك ينسب الى مخلوق ومحدث بل وهو يدرك الابصار بالتجلى لها فيفنى المحدثات فيكون هو بصره الذى يبصر به فاستوت عند التجلى الابصار الظاهرة والباطنة فى الرؤية بنور الربوبية وهو اللطيف من ان يدركه المحدثات او يلحقه المخلوقات الخبير بمن يستحق ان يتجلى له الحق ويدرك ابصاره باطلاعها عليها فيستعدها للرؤية ومن لطف الله انه اوجد الموجودات وكون المكونات فضلا منه وكرما من غير ان يكون استحقاقها للوجود انتهى ولو رآه انسان فى الموطن الدنيوى لوجب عليه شكره ولو شكره لاستحق الزيادة ولا مزيد على الرؤية ولذلك حرمها وهذا هو المعنى فى قوله عليه السلام لن تروا ربكم حتى تموتوا قال ابن عطاء اتمام النعيم بالنظر الى وجه الله الكريم على الوجه اللائق بجلاله فى الدار الآخرة حسبما جاء الوعد الصدق بذلك كما فى الدنيا اذ غالب النصوص يقتضى منع ذلك بل يكاد يقع الاجماع على نفى وقوع ذلك ومنعه شرعا وان جاز عقلا انتهى واما الرؤية فى المنام فقد حكيت عن كثير من السلف كابى حنيفة وعن ابى يزيد رحمه الله رأيت ربى فى المنام فقلت له كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك ثم تعال وروى عن حمزة القارى انه قرأ على الله القرءآن من اوله الى آخره فى المنام حتى اذا بلغ الى قوله وهو القاهر فوق عباده قال الله تعالى يا حمزة وانت القاهر ولا خفاء فى ان الرؤية فى المنام نوع مشاهدة يكون بالقلب دون العين وفى الحديث رأيت ربى فى المنام فى صورة شاب امرد وسر تجليه فى صورة الانسانية بصفة الربوبية ان الحقيقة الانسانية اجمع الحقائق فانه تعالى لما استخلف الانسان وجعله خاتما على خزآئن الدنيا والآخرة ظهر جميع ما فى الصورة الالهية من الاسماء فى النشأة الانسانية الجامعة بين النشأة العنصرية والروحانية واليه يشير قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته واطلاق الصورة على الحق مجاز باعتبار اهل الظاهر اذ لا تستعمل فى الحقيقة الا فى المحسوسات ففى المعقولات مجاز واما عند المحققين فحقيقة لان العالم الكبير باسره صورة الحضرة الالهية ومظاهر اسمائها بحضراتها تفصيلا واجمالا والانسان الكامل صورته جمعا فان قلت الرؤية اقوى انواع الادراك التام العلم قلت قد قيل بالاول ولهذا يتلذذ المؤمنون برؤية الله تعالى فوق ما يتلذذون بمعرفته قال الامام فى الاحياء ان الرؤية نوع كشف وعلم الا انها اوضح واتم من العلم فاذا جاز تعلق العلم به ليس فى جهة جاز تعلق الرؤية من غير جهة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك من غير كيفية وصورة قال بعضهم الرؤية اعلى من المعرفة لان العارفين مشتاقون الى منازل الوصال والواصلون لا يشتاقون الى منازل المعرفة وقال بعضهم المعرفة الطف والرؤية اشرف قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره وصلة العلماء على قدر علمهم واستدلالهم ووصلة الكمل على قدر مشاهدتهم وعيانهم لكن لا على وجه مشاهدة سائر الاشياء فانه تعالى منزه عن الكيف والاين بل هى عبارة عن ظهوره وانكشاف الوجود الحقيقى عند اضمحلال وجود الرآئى وفنائه انتهى اقول فظهر من هذا ان من فنى عن ذاته وصفاته وافعاله واضمحل عن بشريته وهويته فجائز ان يرى الله تعالى فى الدنيا بالبصيرة بعد الانسلاخ التام * چون تجلى كرد اوصاف قديم * پس بسوزد وصف حادث را كليم * وذلك كالشمس فى الجلاء لا يكابر فيه احد اصلا لان القلب من عالم الملكوت والبصيرة كالبصر له وعالم الملكوت مطلق عن قيود الامور الوهمية التى هى الزمان والمكان والجهة والكيفية وغيرها لانها من احكام عالم الملك فاين هذا من ذلك ولا يقاس احدهما على الآخر وحقيقة ذوق هذا المطلب الاعلى لا تعرف الا بالسلوك (قال الحافظ) شكر كمال حلاوت پس از رياضت يافت * نخست در شكن تنك از آن مكان كيرد * ثم اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها وما لطف ثم يسلك

فى ايصالها الى المستصلح سبيل الرفق دون العنف واذا اجتمع الرفق فى الفعل واللطف فى الادراك تم معنى اللطيف ولا يتصور كمال ذلك فى العلم والفعل الا لله تعالى وحظ العبد من هذا الوصف الرفق بعباد الله تعالى والتلطف بهم فى الدعوة الى الله تعالى والهداية الى سعادة الآخرة من غير ازرآء وعنف ومن غير تعصب وخصام واحسن وجوه اللطف فيه الجذب الى قبول الحق بالشمائل والسير المرضية والاعمال الصالحة فانها اوقع والطف من الالفاظ المزينة قال الشيخ الاكبر قدس سره صلوا كما رأيتمونى اصلى لم يقل صلوا كما قلت لكم والفعل ارجح فى نفس التابع المقتدى من القول كما قيل

واذا المقال مع الفعال وزنته * رجح الفعال وخف كل مقال

انتهى (وفى المثنوى) پند فعلى خلق را جذاب تر * كه رسد در جان هر با كوش كر * والخبير هو الذى لا تعزب عنه الاخبار الباطنة ولا يجرى فى الملك والملكوت شئ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سمى خبرة وسمى صاحبه خبيرا وحظ العبد من ذلك ان يكون خبيرا بما يجرى فى عالمه وعالمه قلبه وبدنه والخفايا التى يتصف القلب بها من الغش والخيانة والتطواف حول العاجلة واضمار الشر واظهار الخير والتجمل باظهار الاخلاص والافلاس عنه لا يعرفها الا ذو خبرة بالغة قد خبر نفسه ومارسها وعرف مكرها وتلبيسها وخدعها فحاربها وتشمر لعاداتها واخذ الحذر منها فذلك من العباد جدير بان يسمى خبيرا (قد جاءكم) اى قل يا محمد للناس وخصوصا لاهل مكة قد جاءكم (بصائر) كائنة (من ربكم) اى دلائل التوحيد وحقية النبوة ودلائل البعث والحساب والجزاء وغير ذلك والبصائر جمع بصيرة وهى نور تبصر به النفس كما ان البصر نور تبصر به العين فاستعير لفظ البصيرة من القوة المودعة فى القلب لادراك المعقولات للحجة البينة لكون كل واحدة منهما سبب الادراك (فمن ابصر) اى الحق بتلك البصائر وآمن به (فلنفسه) ابصر لان نفعه لها (ومن عمى) اى من لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك ظهورا بينا وضل عنه وانما عبر بالعمى عنه تقبيحا له وتنفيرا عنه (فعليها) وباله والاشارة ان الله تعالى اعطى لكل عبد بصيرة لقلبه يبصر بها الحقائق المودعة فى الغيوب والكمالات المعدة لارباب القلوب كما اعطى بصر القالب يبصر به الاعيان فى الشهادة وما اعد لهم فيها من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح فمن نظر ببصر البصيرة الى المراتب العلوية الاخروية الباقية وابصر كمالات القرب وما اعد الله مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيشتغل بتحصيله ويقبل على الله بسلوك سبيله ويعرض عن الدنيا الدنية ويترك زينتها وشهواتها الفانية فذلك تحصيل سعادة وكرامة لنفسه فان الله غنى عن العالمين ومن عمى عن النظر بالبصيرة وغير هذه الكمالات لما ابصر ببصر القالب الى الدنيا وزينتها واستلذ بشهواتها واستحلى مراتعها الحيوانية فعميت بصيرته فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور فذلك تحصيل شقاوة وخسارة على نفسه كذا فى التأويلات النجمية (وما انا عليكم بحفيظ) وانما انا منذر ومبلغ والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها (وكذلك نصرف الآيات) اى ومثل هذا التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعانى الرائقة الكاشفة عن المعانى الفائقة ولا تصرف ادنى منه من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال (وليقولوا درست) علة لمحذوف واللام للعاقبة والدرس القرآءة والتعلم اى وليقولوا فى عاقبة امرهم درست صرفنا اى قرأت وتعلمت من غيرك نحو سيار وجبير كانا عبدين لقريش من سبى الروم كان قريش يقولون له عليه السلام انك تتعلم هذه الاخبار منهما ثم تقرأ علينا على زعم انها من عند الله (ولنبينه) عطف على ليقولوا واللام على الاصل اى التعليل لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار القرآن (لقوم يعلمون) وتخصيص التبيين بهم لما انهم المنتفعون به (اتبع ما اوحى اليك من ربك) اى دم يا محمد على ما انت عليه من اتباع القرآن الذى عمدة احكامه التوحيد وان قد حوا فى تصريف آياته (لا اله الا هو) لا شريك له اصلا (واعرض عن المشركين) ولا تبال باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم فانه لا يجوز الفتور فى تبليغ الدعوة والرسالة بسبب جهل الجاهلين * بگوى آنچه دانى سخن سودمند * وگر هيچ كس را نيايد پسند * كه فردا پشيمان بر آرد خروش * كه آوخ چرا حق نكردم بگوش (ولو شاء الله) توحيدهم وعدم اشراكهم (ما اشركوا) وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر

لكن لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئى نحو الايمان واصراره على الكفر (وما جعلناك عليهم) متعلق بما بعده وكذا عليهم الآتى (حفيظا) رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم (وما انت عليهم بوكيل) من جهتهم تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم قال الحدادى وانما جمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معناهما فان الحافظ للشئ هو الذى يصونه عما يضره والوكيل بالشئ هو الذى يجلب الخير اليه فقد ظهر ان عدم قبول الحق من الشقاوة الاصلية ولذا لم يشأ الله سعادتهم وهدايتهم وعلامة الشقاوة جمود العين وقساوة القلب وحب الدنيا وطول الامل وعلامة السعادة حب الصالحين والدنو منهم وتلاوة القرآن وسهر الليل ومجالسة العلماء ورقة القلب وعن ابراهيم المهلب السائح رحمه الله قال بينا انا اطوف اذا بجارية متعلقة باستار الكعبة وهى تقول بحبك لى الا رددت على قلبى فقلت يا جارية من اين تعلمين انه يحبك قالت بالعناية القديمة جيش فى طلبى الجيوش وانفق الاموال حتى اخرجنى من بلاد الشرك وادخلنى فى بلاد التوحيد وعرفنى نفسى بعد جهلى اياها فهل هذا يا ابراهيم الا لعناية ومحبة (قال الحافظ) چون حسن عاقبت نه برندى وزاهديست * آن به كه كار خود بعنايت رها كنند * والواجب على العبد ان يسارع الى الاعمال الصالحة فانها من علامات السعادة والتأخير وطول الامل من علامات الشقاوة حكى ان بعض العباد كان يسأل الله تعالى ان يريه ابليس فقيل له اسأل الله العافية فابى الا ذلك فاظهره الله تعالى له فلما رآه العابد قصده بالضرب فقال له ابليس لولا انك تعيش مائة سنة لاهلكتك ولعاقبتك فاغتر بقوله فقال فى نفسه ان عمرى بعيد فافعل ما اريد ثم اتوب فوقع فى الفسق وترك العبادة وهلك وهذه الحكاية تحذرك طول الامل فانه آفة عظيمة (قال الصائب) در سر اين غافلان طول امل دانى كه چيست * آشيان كردست مارى در كبوتر خانهٔ * واعلم انه ما على الرسول عليه السلام الا التبليغ ودلالة كل قوم الى ما خلق له فيدعو العوام الى التوحيد والخواص الى الوحدانية وخواص الخواص الى الوحدة وكذا حال الولى الوارث لكن الوصول الى هذه المقامات انما يكون بهداية الله ومشيئته فليس فى وسع المرشد ان يوصل كل من اراد الى ما اراده فيبقى من يبقى فى الاثنينية ويصل من يصل الى عالم الوحدة والسبب الموصل هو التوحيد فكما ان الكافر لا يكون مؤمنا الا بكلمة التوحيد فكذا المؤمن لا يكون مخلصا الا بتكرارها لان الشرك مطلقا جليا كان او خفيا لا يزول الا بالتوحيد مطلقا فالمؤمن الناقص كما انه لا يلتفت الى المشرك بالشرك الجلى وحاله كذلك المؤمن الكامل لا ينظر الى جانب المشرك بالشرك الخفى ولذا قال تعالى لا اله الا هو واعرض عن المشركين لكن الاعراض من حيث الحقيقة لا ينافى الاقبال من حيث الظاهر لاجل الدعوة حتى يلزم الحجة ويحصل الافحام والله يدعو الى دار السلام فالسلام على من اتبع الهدى والملام على من اتبع الهوى (قال الحافظ) چه شكرهاست درين شهر كه قانع شده اند * شاهبازان طريقت بمقام مگسى (ولا تسبوا) اى لا تشتموا ايها المؤمنون (الذين) اى الاصنام (يدعون) اى يدعونها آلهة ويعبدونها (من دون الله) اى متجاوزين عبادة الله تعالى والمراد بالداعين كفار مكة وقال المولى ابو السعود رحمه الله اى لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كان تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا (فيسبوا الله عدوا) اى تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم وهو منصوب على المصدر لكونه نوعا من عامله لان السب من جنس العدو او على انه مفعول له اى لاجل العدو (بغير علم) حال اى يسبونه غير عالمين بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به اى مصاحبين للجهل لانهم لو قدروا الله حق قدره لما اقدموا عليه فان قلت انهم كانوا مقرين بالله وعظمته وان الاصنام انما تعبد ليكونوا شفعاء عند الله فكيف يسبونه قلت انهم لا يفعلون ذلك صريحا لكن ربما يفضى فعلهم الى ذلك وايضا ان الغيظ والغضب انما يحمل الانسان على التكلم بما ينافى العقل الا يرى ان المسلم قد يتكلم لشدة غضبه بما يؤدى الى الكفر والعياذ بالله وفى الآية دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر الا يرى ان سب الاصنام وطعنها من اصول الطاعات وقد نهى الله تعالى عنه لكونه مؤديا الى معصية عظيمة وهى شتم الله وشتم رسوله وفتح باب السفاهة قال الحدادى وفى هذا دليل على ان الانسان اذا اراد ان يأمر غيره بالمعروف ويعلم ان المأمور يقع بذلك فى اشد مما هو فيه من شتم او ضرب او قتل كان الاولى ان لا يأمره ويتركه على ما هو فيه (قال السعدى) مجال سخن تا نيابى مگوى * چو ميدان نبينى نگهدار گوى

(كذلك) اى مثل ذلك التزيين القوى وهو تزيين المشركين سب الله تعالى وعبادة الاوثان (زينا لكل امة عملهم) من الخير والشر والطاعة والمعصية باحداث مايمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا (ثم الى ربهم) مالك امرهم (مرجعهم) اى رجوعهم بالبعث بعد الموت (فينبئهم) پس خبر دهد ايشانرا من غير تأخير (بما كانوا يعملون) فى الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة وهى ان كل مايظهر فى هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التى بها يظهر فى النشأة الآخرة فان المعاصى سموم قاتلة قد برزت فى الدنيا بصورة يستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم فى هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الطغاة وستظهر فى النشأة الاخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتهما كما هى كذا فى تفسير الارشاد ويظهر صور الاعمال القبيحة لاهل السلوك فى البرزخ الدنيوى فيجتهدون فى تبديلها حكى عن الشيخ ابى بكر الضرير رحمه الله قال كان فى جوارى شاب حسن الوجه يصوم النهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاء فى يوما وقال يا استاذ انى نمت عن وردى الليلة فرأيت كان محرابى قد انشق وكانى بجوار قد خرجن من المحراب لم ار احسن اوجها منهن واذا فيهن واحدة شوهاء لم ار اقبح منها منظرا فقلت لمن انتن ولمن هذه فقلن نحن لياليك التى مضين وهذه ليلة نومك فلو مت فى ليلتك هذه لكانت هذه حظك ثم انشأت الشوهاء تقول

اسأل لمولاك واردد فى الى حالى * فانت قبحتنى من بين اشكالى

وقد اردت بخير اذ وعظت بنا * فابشر فانت من المولى على حال

قالت جارية من الحسان

نحن الليالى اللواتى كنت تسهرها * تتلو القران بترجيع ورنات

وقد قال بعض الكبار انكشاف عيب النفس خير من انكشاف الملكوت اذ المقصود اصلاح الطبيعة والنفس والاكل والشرب والمنام من الصفات البهيمية التى هى مقتضى الطبيعة وفى التأويلات النجمية زينا لكل امة من المقبولين اعمال اهل القبول ومن المردودين اعمال اهل الرد ثم الى ربهم مرجعهم اى باقدام تلك الاعمال كلا الفريقين يذهبون الى ربهم فينبئهم بما كانوا يعملون اما اهل القبول فيسلكون على اقدام الاعمال الصالحة طريق اللطف فينبئهم بالفضل والاحسان انهم كانوا يحسنون واما اهل الرد فيقطعون على اقدام المخالفات فى بوادى القهر والهلكات فينبئهم بالعدل والخسران انهم كانوا يسيئون انتهى (وفى المثنوى) جمله دانند اين اكرتو نكروى * هرچه مى كاريش روزى بدروى * وعن بعض الصالحين قال كانت فى جانبى عجوز قد اضنتها العبادة فسألتها ان ترفق بنفسها فقالت ياشيخ اما علمت ان رفقى بنفسى غيبنى عن باب المولى ومن غاب عنه مشتغلا بالدنيا عرض نفسه للمحن والبلوى وما قدر عملى اذا اجتهدت فكيف اذا قصرت ثم قالت واسوأتاه من حسرة السباق وفجعة الفراق فاما حسرة السباق فاذا قام القائمون من قبورهم وركب الابرار نجائب الانوار وساروا الى قصر من العز والجلال ورفعت لهم منازل المحبين وقدمت بين ايديهم نجائب المقربين وبقى المسبوق فى جملة المحزونين فعند ذلك ينقطع فؤاده حسرة وتأسفا ويذوب ندامة وتلهفا واما فجعة الفراق فعند تمييز الناس والافتراق وذلك ان الله سبحانه اذا جمع الخلق فى صعيد واحد امر ملكا فنادى ايها المجرمون امتازوا ان المتقين قد فازوا وهو قوله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون فيتميز الرجل من زوجته والولد من والدته والحبيب من حبيبه هذا يحمل مبجلا الى رياض النعيم وهذا يساق مسلسلا مغلغلا الى عذاب الجحيم وقد طال منهم التلفت والوداع ودموعهم تجرى كالانهار بفجعة الفراق وانشدوا فى البين والفراق

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا * ورأيت كيف نكرر التوديعا

لعلمت ان من الدموع لابحرا * تجرى وعاينت الدماء دموعا

(واقسموا بالله) روى ان قريشا قالوا يا محمد انك تخبرنا ان موسى عليه السلام كانت معه عصا فيضرب بها

الحجر

الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى وان صالحا عليه السلام اخرج الناقة من الجبل فأتنا انت ايضا بآية بينة فان فعلت ذلك لنصدقنك ونؤمنن لك وحلفوا على ذلك وبالغوا فى تأكيد الحلف فقال عليه السلام اى شئ تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا او ابعث لنا بعض موتانا حتى نسأله عنك أحق ماتقول ام باطل اوارنا الملائكة يشهدون لك فقال عليه السلام فان فعلت بعض ماتقولون تصدقوننى قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فهم عليه السلام بالدعاء فجاء جبريل عليه السلام فقال ان شئت كان ذلك ولئن كان فلم يصدقوا عنده ليعذبنهم بعذاب الاستئصال وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فانزل الله تعالى هذه الآية حلف كفار قريش بالله تعالى (جهد ايمانهم) مصدر فى موقع الحال اى جاهدين فى أيمانهم وجهد الايمان اغلظها واشدها (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل) لهم (انما الآيات) كلها (عند الله) اى هو قادر عليها يظهر منها مايشاء وليس شئ منها بقدرتى وارادتى وانما انا نذير ثم بين تعالى الحكمة فى عدم مجيء الآيات فقال مخاطبا للمسلمين (ومايشعركم انها اذا جاءت لايؤمنون) اى اى شئ يعلمكم ان الاية التى يقترحونها اذا جاءت لايؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اى لاتعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا فى ايمانهم فانكر السبب اى الاشعار مبالغة فى نفى المسبب اى الشعور وفيه بيان ان ايمانهم فاجرة وانه لايغنى وضوح الادلة لمن لم يساعده سوابق الرحمة (ونقلب افئدتهم) عطف على لايؤمنون اى ومايشعركم انا حينئذ نحول قلوبهم عن الحق فلا يفقهون (وابصارهم) عن اجتلائه فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها (كما لم يؤمنوا به) اى بما جاء من الآيات (اول مرة) من انشقاق القمر ونحوه (ونذرهم) اى ندعهم عطف على لايؤمنون داخل فى حكم الاستفهام الانكارى (فى طغيانهم) ضلالهم متعلق بنذرهم (يعمهون) اى متحيرين لانهديهم هداية المؤمنين فهو حال من الضمير المنصوب فى نذرهم ووجه هذا التقليب والترك فساد استعدادهم واعراضهم عن الحق بالكلية فان الله تعالى لايفعل بهم ذلك مع توجههم الى الحق واستعدادهم لقبوله فانه اجبار محض فان كان مقهورا مطبوعا على قلبه فليعلم ان ذلك لعدم تأثير اللطف فيه اصلا فلله الحجة البالغة ومن الله الهداية والتوفيق

(تم الجزؤ السابع فى اوائل شهر ربيع الآخر من سنة الف ومائة ويتلوه الجزؤ الثامن من الثلاثين)

(ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة) تفصيل ماذكر على الاجمال بقوله ومايشعركم انها اذا جاءت لايؤمنون اى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لولا انزل علينا الملائكة فنراهم عيانا (وكلمهم الموتى) وشهدوا بحقية الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فأتوا بآبائنا قال صاحب التيسير واحيينا لهم كل الموتى فكلموهم بان شهدوا لك وان كانوا سألوا منك احياء اثنين من موتاهم قصى بن كلاب وجدعان بن عمرو وكانا كبيرين منهم وصدوقين حيث قالوا لئن احييتهما فشهدا لك بالنبوة لشهدنا نحن ايضا (وحشرنا) اى جمعنا (عليهم كل شئ قبلا) جمع قبيل بمعنى كفيل وانتصابه على الحالية من المفعول اى كفلاء بصحة الامر وصدق النبى عليه السلام او جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات اى وحشرنا كل شئ نوعا نوعا وفوجا فوجا من سائر المخلوقات وفى التيسير اى وبعثنا كل حيوان من الفيل الى البعوض اى اتينا القيامة (ما كانوا ليؤمنوا) فى حال من الاحوال الداعية الى الايمان (الا ان يشاء الله) اى الا فى حال مشيئة الله لايمانهم وهيهات ذلك وحالهم حالهم من التمادى فى العصيان والغلو فى التمرد والطغيان (ولكن اكثرهم يجهلون) اى ولكن اكثر المؤمنين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئة الله تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لايكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى ومايشعركم الاية واعلم ان الاية وان عظمت لاتضطر الى الايمان ان لم يشأ الله تعالى فانه لا آية اعظم من قيام الساعة والله تعالى يقول ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وجملة الامر ان المشيئة تغير السجية وعدمها من فساد الاستعداد فلذا بقى اهل الضلال فى يد القهر والجلال (قال السعدى) زوحشى نه بايد كه مردم شود * بسعى اندر او تربيت كم شود * توان پاك كردن ززنك آينه * ولكن نيايد زسنك آينه (وقال الحافظ) كرجان بدهد سنك سيه لعل نكردد * باطينت اصلى چه كند بد كهر افتاد (واما قول المولوى فى المثنوى) كر تو سنك وصخره ومرمر شوى * چون بصاحب

دل زبى كوهر شوى * فاشارة الى المستبعد بحكم الاصل فان التربية تنفع فيه فجميع المعجزات من الانبياء والكرامات من الاولياء علمية كانت اوكونية تربية لمن فى زمانهم فمن حسن استعداده مال واهتدى ومن فسد اعرض وضل وترى كثيرا من المغرورين المشغولين باحكام طبائعهم الخبيثة ونفوسهم المتمردة يقولون كالطلبة لوانا صادفنا المرشد الكامل ورأينا منه العلامة واضحة لكنا اول من يسلك بطريقتهم ويتمسك باذيال حقيقتهم فقل لهم ان الشمس شمس وان لم يرها الضرير والعسل عسل وان لم يجد طعمه الممرور والطالب المستعد لا يقع فى الامنية ولا يضيع نقد عمره بخسارة بل يجتهد كل حين بما امكن له من الطاعات ويكون فى طريق الطلب فان مالا يدرك كله لا يترك كله (قال فى المثنوى) كركران وكرشتابنده بود * انكه جوينده است يابنده بود * ثم هذا الاستعداد وانشراح الصدر فى طريق الحق نور من الله تعالى يقذفه فى قلب اى عبد شاء وليس بحداثة السن ولا بالشيخوخة وكم رأيت وسمعت من غلبه الحال فى عنفوان عمره وعنوان امره وعن بعض الصالحين قال حججت سنة من السنين وكانت سنة كثيرة الحر والسموم فلما كان ذات يوم وقد توسطنا ارض الحجاز انقطعت عن الحاج وغفلت قليلا فلم اشعر ليلا الا وانا وحدى فى البرية فلاح لى شخص امامى فاسرعت اليه ولحقته واذا به غلام امرد لا نبات بعارضيه كانه القمر المنير والشمس الضاحية وعليه اثر الدلال والترف فقلت له السلام عليك يا غلام فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا ابراهيم فعجبت منه كل العجب ورابنى امره فلم اتمالك ان قلت له يا غلام سبحان الله من اين تعرفنى ولم ترنى قبلها فقال لى يا ابراهيم ما جهلت مذ عرفت ولا قطعت مذ وصلت فقلت ما الذى اوقعك فى هذه البرية فى مثل هذه السنة الكثيرة الحر والقيظ فاجابنى يا ابراهيم ما آنس بسواه ولا رافقت غيره وانا منقطع اليه بالكلية مقر له بالعبودية فقلت له من اين المأكول والمشروب فقال لى تكفل به المحبوب فقلت والله انى خائف عليك لاجل ما ذكرت لك فاجابنى ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب

فلو اجوع فذكر الله يشبعنى * ولا اكون بحمد الله عطشانا
وان ضعفت فوجد منه يحملنى * من الحجاز الى اقصى خراسانا

فقلت له بالله عليك يا غلام الا ما اعلمتنى حقيقة عمرك فقال اثنتا عشرة سنة ثم رجوته فدعا لى باللحوق الى اصحابى فلما وقفنا بعرفة ودخلنا الحرم اذا انا بالغلام وهو متعلق باستار الكعبة وهو يبكى ويناجى ثم وقع ساجدا ومات الى رحمة الله تعالى ثم رأيته فى المنام فقلت ما الذى فعل بك الهك فقال اوقفنى بين يديه وقال لى ما بغيتك فقلت الهى وسيدى انت بغيتى فقال لى انت عبدى حقا ولك عندى ان لا احجب عنك ما تريد فقلت اريد ان تشفعنى فى القرن الذى انا فيه قال شفعتك فيه ثم انه صافحنى فاستيقظت بعد المصافحة فلم ار احدا الا ويقول لى يا ابراهيم لقد ازعجت الناس من طيب رائحة يدك قال بعض المحدثين ولم تزل رائحة الطيب تخرج من يد ابراهيم حتى قضى نحبه رحمه الله رحمة واسعة (وكذلك) اى كما جعلنا لك عدوا كابى جهل وغيره من كفار قريش (جعلنا لكل نبى) قبلك (عدوا) وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ان عداوتهم وما يبتنى عليها مما لا خير فيه من الاقاويل الكاذبة والافاعيل الباطلة ليس مختصا به عليه السلام بل كما ابتلى هو وامته بكيد الاعداء ابتلى جميع الانبياء واممهم (شياطين الانس والجن) اى مردة الفريقين على ان الاضافة بمعنى من البيانية وهو بدل من عدوا والشياطين جمع شيطان وهو يطلق على كل عات متمرد من الانس والجن والشيطان من الجن اذا اعياه المؤمن وعجز عن اغوائه ذهب الى متمرد من الانس فاغراه على المؤمن ليفتنه وعن مالك بن دينار انه قال شياطين الانس اشد على من شياطين الجن وذلك انى ان تعوذت بالله من شياطين الجن ذهبت عنى وشياطين الانس تجيئنى فتجرنى الى المعاصى عيانا (يوحى بعضهم الى بعض) كلام مستأنف مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به والوحى الكلام الخفى والقول السريع الذى يلقى سرا اى يلقى ويوسوس شياطين الجن والانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض (زخرف القول) اى المموه منه المزين ظاهره والباطل باطنه يقال فلان زخرف كلامه اذا زينه بالكذب والباطل (غرورا) مفعول له ليوحى اى ليغروهم (ولو شاء ربك) عدم ما ذكر من العداوة والايحاء (ما فعلوه) اى ما ذكر فاعيد ضمير الواحد الى الاثنين باعتباره (فذرهم) اى اذا كان ما فعلوه فى حقك بمشيئته تعالى فاتركهم (وما يفترون) وافتراءهم

اى كفرهم وسائر مكايدهم فان لهم فى ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم البالغة البتة (ولتصغى اليه) اى الى زخرف القول علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحى واصغاء الافئدة فعل الموحى اليه اى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل اليه (افئدة) قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة) واما المؤمنون بها فلا يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها (وليرضوه) لانفسهم بعدما مالت اليه افئدتهم (وليقترفوا) اى يكتسبوا بموجب ارتضائهم له (ما هم مقترفون) له من القبائح التى لا يليق ذكرها وهى ما قضى عليهم فى اللوح المحفوظ يقال اقترف فلان ذنبا اذا عمله ومالا اذا اكتسبه وفى الآية اشارة الى ان البلايا للسائرين الى الله هى المطايا وان اشد البلاء شماتة الاعداء فلما كانت رتبة الانبياء اعلى كانت عداوة الكفار لهم اوفى وفى ذلك ترقيات لهم وتجليات (قال الحافظ) جه جورها كه كشيدند بلبلان ازدى * ببوى انكه دكرنو بهار باز آمد * والاشارة فى شيطان الانس الى النفس الامارة بالسوء وهى اعدى الاعداء ولهذا قدم ذكره على الجن ههنا بخلاف المواضع الاخر وليعلم ان عداوة النفس واصحاب النفوس اشد واصعب من عداوة شياطين الجن فان كيد الشيطان مع كيد الانسان ضعيف وارباب القلوب لا يصغون الى زخارف اقوال اصحاب النفوس بل كلما تشتد عداوة الاعداء يقوى ايمان الاولياء وفا كنيم وملامت كشيم وخوش باشيم * كه در طريقت ما كافريست رنجيدن * وانما يتسلط الشيطان على ابن آدم بفضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس ومن اختلط فقد استمع الى الاكاذيب وعن بعض الشيوخ ان الشيطان اشد بكاء على المؤمن اذا مات من بعض اهله لما فاته من افتتانه اياه فى الدنيا واذا عرج بروح المؤمن الى السماء قالت الملائكة سبحان الذى نجى هذا العبد من الشيطان يا ويحه كيف نجا فعلى العبد ان يحترز من وساوسه وحديث نفسه ايضا كيلا يفتضح عند الله وعند الناس فانه روى ان الوسواس الخناس يخبر بما وقع فى قلب ابن آدم وحدث به نفسه وان لم يخبره لغيره كما حكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكر امرأة فى نفسه فجعل الناس يتحدثون به فيما بينهم واعلم ان قرين المرء من الجن اذا اسلم سلم من شره ومن الجن قوم مؤمنون منتفعون بعلوم كل البشر محبون حكى عن ابراهيم الخواص قال حججت سنة من السنين فبينا انا امشى مع اصحابى اذ عارضنى عارض من سرى يقتضى الخلوة وخروجا عن الطريق الجادة فاخذت طريقا غير الطريق الذى عليه الناس فمشيت ثلاثة ايام بلياليهن ما خطر على سرى ذكر طعام ولا شراب ولا حاجة فانتهيت الى برية خضراء فيها من كل الثمرات والرياحين ورأيت فى وسطها بحيرة فقلت كانها الجنة وبقيت متعجبا فبينا انا كذلك اتفكر اذا انا بنفر قد اقبلوا سيماهم سيما الآدميين عليهم المرقعات الحسان فحفوا بى وسلموا على فقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فوقع فى خاطرى انهم من الجن فقال قائل منهم قد اختلفنا فى مسئلة ونحن نفر من الجن قد سمعنا كلام الله تعالى من محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وسلبتنا نغمة كلامه جميع امور الدنيا وقد عين الله لنا هذه البحيرة فى هذه البرية قلت وكم بيننا وبين الموضع الذى تركت فيه اصحابى فتبسم بعضهم وقال يا ابا اسحق لله عز وجل عجائب واسرار الموضع الذى انت فيه لم يحضره آدمى قبلك الا شاب من اصحابهم توفى ههنا وذاك قبره اشار الى قبر على شفير البحيرة حوله روضة ورياحين لم ار مثلها قبل ثم قال بينك وبين القوم الذين فارقتهم مسيرة كذا كذا شهرا او قال كذا كذا سنة فقلت خبرونى عن الشاب فقال قائل منهم بينما نحن قعود على شفير البحيرة نتذاكر المحبة اذ بشخص قد اقبل الينا وسلم علينا فرددنا عليه السلام فقلنا له من اين اقبل الشاب قال من مدينة نيسابور قلنا له ومتى خرجت منها قال منذ سبعة ايام قلنا له وما الذى ازعجك على الخروج من وطنك قال سمعت قول الله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون قلنا له ما معنى الانابة وما معنى الاسلام وما معنى العذاب فقال الانابة ان ترجع بك منك اليه والاسلام ان تسلم نفسك له وتعلم انه اولى بك منك والعذاب هو عذاب الفرقة ثم صاح صيحة عظيمة فمات فواريناه وهذا قبره رضى الله عنه قال ابراهيم فتعجبت مما وصفوا ثم دنوت من قبره واذا عند رأسه طاقة نرجس كانها رحى عظيم وعلى قبره مكتوب هذا حبيب الله قتيل الغيرة وعلى ورقها مكتوب صفة الانابة فقرأت ما هو على النرجس مكتوب فسألونى ان افسره لهم ففسرته ثم وقع فيهم الطرب فلما افاقوا وسكنوا قالوا قد كفينا جواب مسئلتنا قال ووقع على النوم فما انتبهت الا وانا قريب

من مسجد عائشة رضى الله عنها واذا فى وعاء فى طاقة ريحان فبقيت معى سنة كاملة لم تتغير فلما كان بعد فقدتها رضى الله عنه وعنهم وعن جميع الصالحين (أفغير الله ابتغى حكما) الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر وغير مفعول ابتغى وحكما حال وتقديم المفعول للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره حكما لا مطلق الابتغاء والحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وفى الكلام ارادة القول واضماره روى ان مشركى مكة قالوا يا محمدا جعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى يفصل بين المحق والمبطل فانهم قرؤا الكتب قبلك فانزل الله هذه الاية وقال قل يا محمد أأميل عن الحق فاطلب غير الله تعالى حال كون ذلك الغير قاضيا بينى وبينكم (وهو الذى انزل اليكم الكتاب) الجملة حال من فاعل ابتغى اى والحال ان الله تعالى هو الذى انزل اليكم وانتم امة امية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرءآن الناطق بالحق والصواب (مفصلا) اى مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق فى امر الدين شئ من التخليط والابهام فاى حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح فى ان القرءآن الكريم كاف فى امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك) كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مبين ان الذين وثقوا بهم ورضوا بحكميتهم من علماء اهل الكتاب بين عالمون بحقية القرءآن ونزوله من عند الله تعالى والمعنى وعلماء اليهود والنصارى الذين فهمناهم التوراة والانجيل يعلمون ان ذلك الكتاب اى القرءآن منزل من ربك حال كونه ملتبسا (بالحق) والصدق وهو بالفارسى براستى ودرستى وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن فى منزل (فلا تكونن من الممترين) اى من الشاكين فى انهم يعلمون بحقية القرءآن لما لا تشاهد منهم آثار العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهى على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرءآن وفى انه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التوبيخ والالهاب اى الثبات على اليقين كقوله فلا تكونن من المشركين فالفاء لترتيب النهى على نفس علمهم بحال القرءآن ثم انه تعالى لما بين كمال الكتاب المذكور من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق بين ايضا كماله من حيث ذاته فقال (وتمت كلمة ربك) عبر عن الكتاب اى القرءآن بالكلمة لانها الاصل فى الاتصاف بالصدق والعدل وبها يظهر الآثار من الحكم (صدقا وعدلا) مصدران نصبا على الحال اى صادقة وعادلة ومعنى تمامها عبارة عن بلوغها الغاية فى كونها كافية فى بيان ما يحتاج اليه المكلفون الى يوم القيامة علما وعملا وفى كونها صدقا وعدلا والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا فى الاخبار والمواعيد كالخبر عن وجود ذات الله تعالى وصفاته الثبوتية والسلبية وكالخبر عن احكام الله تعالى فى الوعد والوعيد والثواب والعقاب وكالخبر عن احوال المتقدمين وعن الغيوب المستقبلة وعدلا فى الاقضية والاحكام المتعلقة بالمكلفين من الجن والانس كالصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر التكاليف الشرعية سوآء كانت امرا اونهيا (لا مبدل لكلماته) لا احد يبدل شيأ من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى (وهو السميع) لكل ما يتعلق به السمع (العليم) بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل فى ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا ومحصول الاية ان القرءآن حكم الله تعالى وحجته الغالبة بين الناس فلا عدول عنه الى غيره اذ لا يعدل عنه الا المنكر سوآء كان انكاره عناديا كالعالم بحقيته او تكذيبيا كالجاهل بها واما المقر فهو له جذبة آلهية ينجذب بالعمل بما فيه الى درجات العلم والعرفان وكمال الايقان اذ هو كلمة حق وصدق والصدق يهدى الى الجنة والقربة والوصلة ولا ترتفع التكليفات عن العبد وان وصل الى تجلى الذات ما دام فى عالم الدنيا الا كما زعمه بعض الزاعمين واما فى عالم الآخرة فترتفع التكليفات فعبادة ذلك العالم التوحيد ليس الا ولا بد من رعاية الشريعة فى جميع المراتب فان الكمال فيه والا فهو ناقص ولذلك ان المجاذيب لا يخلون عن نقصان الا يرى ان الانبياء عليهم السلام لم يسمع عن واحد منهم عروض السفه والجنون فكامل العقل يحس صرير الباب وصوت الذباب فى حال استغراقه حكى ان الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر قال يوما لمريديه هل صدر منى شئ يخالف الشريعة قالوا لا فحمد الله تعالى وقال ما كنت ههنا منذ ثلاثين سنة والانسان اشرف المخلوقات واشرف الانسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك صار مظهر الفرقان الكريم من المبدأ القديم وهو الحكم الذى نصبه الله تعالى لاحقاق الحق وابطال الباطل

الا اى احمد مرسل * شود هر مشكل از تو حل *

كنم وصف تراجمل توئى سلطان هر مولى * شريعت از تو روشن شد طريقت هم مبرهن شد * حقيقت خود معين شد زهى سلطان بى همتا * واعلم ان هذه الاية متعلقة بمرتبة النفس واصلاحها فان ابتغاء حكم غير الله تعالى من هوى النفس فاصلاحها بالانقياد والتسليم وكل من له حظ من علم القرءآن ظاهرا اوباطنا فهو وارث النبى عليه السلام بقدر حاله والحاكم هو عالم امر الله لا الجاهل قال على كرم الله وجهه من افتى الناس بغير علم لعنته السماء والارض وسألت بنت على البلخى اباها عن القئ اذا خرج الى الحلق فقال يجب اعادة الوضوء فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يا على حتى يكون ملئ الفم فقال علمت ان الفتوى تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فآليت على نفسى ان لا افتى ابدا وسئل الشعبى عن مسئلة فقال لا اعلم فقيل الا تستحيى وانت فقيه العراقين قال ولم استحيى مما لا تستحيى منه الملائكة حيث قالت لا علم لنا الا ما علمتنا فعلى العامة ان يرجعوا فى الامور الظاهرة الى اعلم البلدة او العصر بقدر الامكان وعلى الخاصة ان يستفتوا فى الاحوال الباطنة من الاعرف وان كان اميا لا يعرف اصطلاحات العلماء اذ له حكمة معنوية تغنى عن الاصطلاحات وهو الذى يليق بان يسمى حكيما وقد اتفق اهل الله تعالى على ان العبد اذا وصل الى الله فالله تعالى يعلمه ويلهمه فيميز بين الحق والباطل ولا يكون ما يتكلمه خارجا عن الشريعة واليه يشير قول من قال ما اتخذ الله من ولى جاهل ولو اتخذه لعلمه وكما ان الاصحاب ما خرجوا عن حكم النبى عليه السلام كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وقال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم كذلك اهل الارادة ما خرجوا عن امر المرشد الكامل اذ الحكم وان كان هو الله تعالى فى الحقيقة كما نطقت به الاية الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خليفة الله تعالى وكذا من ورثه قولا وحالا (وان تطع اكثر من فى الارض) وذلك ان اهل مكة كانوا يستحلون اكل الميتة ويدعون المسلمين الى اكلها وكانوا يقولون اما ذلك ذبح الله فهو احل مما ذبحتم انتم بسكاكينكم فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى ان تطع الكفار يا محمد لانهم اكثر من فى الارض (يضلوك عن سبيل الله) اى دينه وشريعته كانه قيل كيف يضلون فقيل (ان يتبعون) اى ما يتبعون فى امور دينهم ومجادلتهم لك فى امر الميتة (الا الظن) وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يهتدون فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب ان الضال المتصدى للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون فان سبيل الحق لا يسلك بالظن والتقليد والهوى وانما يسلك بالصدق والتحقيق والهدى (وان هم الا يخرصون) اى ما هم الا يكذبون على الله تعالى فى تحليل الميتة وغيره (ان ربك هو اعلم) يعلم (من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) فيجازى كلا منهم بما يستحقون فاحذر ان تكون من الفريق الاول قال الحدادى وانما قال اعلم لان الله يعلم الشئ من كل جهاته وغيره يعلم الشئ من بعض جهاته (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا ايها المؤمنون مما ذكر اسم الله تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسم الله تعالى او مات حتف انفه فان الايمان بالآيات القرءآنية يقتضى استباحة ما احله الله والاجتناب عما حرمه (وما لكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) واى سبب حاصل لكم فى ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه قال الامام ان المشركين كانوا يبيحون اكل ما ذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وانما النزاع فى انهم ايضا كانوا يبيحون اكل الميتة والمسلمون كانوا يحرمونها واذا كان كذلك كان ورود الامر باباحة ما ذكر اسم الله عليه عبثا لانه يقتضى اثبات الحكم فى المتفق عليه وترك الحكم فى المختلف فيه فاجاب بان معنى كلوا اجعلوا اكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه ومعنى ان لا تأكلوا ان لا تجعلوا اكلكم مقصورا عليه فيفيد تحريم اكل الميتة فقط (وقد فصل لكم) اى والحال انه تعالى قد بين لكم (ما حرم عليكم) مما لم يحرمه بقوله تعالى فى هذه السورة قل لا اجد فيما اوحى الى محرما الاية فبقى ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم الاية لانها مدنية وهذه السورة مكية فان قلت قوله تعالى قل لا اجد الآية مذكور بعد هذه الاية وصيغة فصل يقتضى التقدم قلت ان التأخر فى التلاوة لا يوجب التأخر فى النزول ويجوز ان يحمل على التفصيل بالوحى الغير المتلو كما ذهب اليه سعدى چلبى المفتى وجعله اولى عنده (الا ما اضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة فالاستثناء متصل

والمستثنى منه ماحرم وما مصدرية بمعنى المدة اى وقد فصل لكم الاشياء التى حرمت عليكم فى جميع الاوقات الاوقت الاضطرار اليها اوان جعلت موصولة تعين ان يكون الاستثناء منقطعا لان ما اضطر اليه حلال فلا يدخل تحت ماحرم عليهم (وان كثيرا) من الكفار (ليضلون) الناس (باهوآئهم) بما تهوا وانفسهم من تحليل الميتة وغيرها (بغير علم) مقتبس من الشريعة الشريفة مستند الى الوحى (ان ربك هو اعلم بالمعتدين) المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام اعلم ان اهل الهوى على انواع فالمعتزلة والشيعة ونحوهما من اهل القبلة اهل هوى لانهم يخالفون اهل السنة والجماعة بتأويل الكتاب والسنة على حسب هواهم فيضلون الناس بهواهم كما يضل الكفار واهل الشرك واما اخذ الاشارات من الآيات والاحاديث على وجه يطابق الشرع الشريف فذلك ليس بهوى بل هو عرفان محض (قال فى المثنوى) توز قرآن اى پسر ظاهر مبين * ديو آدم را نبيند جز كه طين * ظاهر قرآن چو شخص آدميست * كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست * فالتقليد لاصحاب الاشارات ليس كالتقليد لاصحاب الضلالات لانهم بنوا امرهم على العيان واليقين لا على الظن والتخمين وكذا اهل الدنيا اهل هوى بالنسبة الى اهل العقبى فان الكون كله خيال وتابع الخيال لا يعد من العقلاء والرجال وعن بهلول رحمه الله قال بينما انا ذات يوم فى بعض شوارع البصرة اذا الصبيان يلعبون بالجوز واللوز واذا انا بصبى ينظر اليهم ويبكى فقلت هذا صبى يتحسر على ما فى ايدى الصبيان ولا شئ معه فيلعب به فقلت له اى بنى ما يبكيك اشترلك من الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان فرفع بصره الى وقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقلت اى بنى فلماذا خلقنا فقال للعلم والعبادة فقلت من اين لك ذلك بارك الله فيك قال من قول الله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وكذا اهل العقبى اهل هوى بالنسبة الى اهل المولى فاهل المولى تجردوا عن تعلق الكونين وتجاوزا عن اعتبار الوصل والبين وما نظروا الى شئ غيره (قال صاحب المحمدية) سالكان در كهت راهرد وعالم يك نفس * والهان حضرتت را از حور جنت ملال * وقد حرم الله الدنيا على اهل الآخرة والآخرة على اهل الدنيا وحرم كلا منهما على اهل الله تعالى لكن من تناول من الدنيا قدر ما يسد به جوعته ويستر به عورته فانه ليس من اهل الدنيا لان ذلك من الضرورات البشرية وفيه اذن الله تعالى لمحافظة الدآئرة البدنية التى هى الامر والاشارة فى قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين يعنى ان من امارات الايمان ان تأكلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع وتذيبوه بذكر الله كما قال عليه السلام اذيبوا طعامكم بذكر الله فان الاكل على الغفلة والنسيان والاستعانة به على العصيان يورث موت الجنان والحرمان عن الجنان وفى هذا الحديث اشارة الى مشروعية الجهر اذ ذوبان الطعام فى صورة الجهر اظهر ويدل عليه ما ورد ايضا من الركعتين بعد الطعام او من تلاوة عشر آيات من القرءآن اذ الحركة البدنية تفضى الى استمرآء الطعام وانهضامه الذى به تحصل قوة البدن وبقوة البدن يقوى المرء على العبادة وفى العبادة بعد الطعام شكر للنعمة والشكر اما بالقلب او باللسان او بالاعضاء والجوارح (وذروا) اى اتركوا ايها المؤمنون (ظاهر الاثم وباطنه) من اضافة الصفة الى الموصوف اى الاثم الظاهر والاثم الباطن والمراد بالاثم ما يوجب الاثم وهو المعاصى كلها لانها لا تخلو من هذين الوجهين فيدخل فيه ما يعلن وما يسر سوآء كان من اعمال القلوب او الجوارح فاعمال الجوارح ظاهرة كالاقوال والافعال واعمال القلوب باطنة كالعقائد الفاسدة والعزآئم الباطلة وحقيقة ظاهر الاثم طلب نعم الدنيا وباطنه الميل الى نعم العقبى لان كلا منهما يصير سببا للبعد عن حضرة المولى ظاهر وباطن خود پاك كن از لوث گناه * تا كه پاكيزه شوى در صف مردان آله (ان الذين يكسبون الاثم) اى يعملون المعصية ظاهرا وباطنا (سيجزون) سيعاقبون فى الآخرة (بما كانوا يقترفون) اى يكسبون فى الدنيا كائنا ما كان فلا بد من اجتنابهما جمله دانند اين اگر تو نگروى * هرچه ميكاريش روزى بدروى * والاشارة ان الله تعالى كما خلق للانسان ظاهرا هو بدن جسمانى وباطنا هو قلب روحانى فكذلك جعل للاثم ظاهرا هو كل قول وفعل موافق للطبع مخالف للشرع وباطنا هو كل خلق حيوانى وسبعى وشيطانى جبلت النفس عليه وذروا ظاهر الاثم وباطنه اى اتركوا الاعمال الطبيعية باستعمال الاعمال الشرعية واتركوا الاخلاق الذميمة النفسانية بالتخلق بالاخلاق الملكية الروحانية ان الذين يكسبون الاثم ظاهره وباطنه بالافعال

والاخلاق سيجزون بما كانوا يقترفون عاجلا وآجلا اما عاجلا فلكل فعل وقول طبيعى ظلمة تصدأ مرءاة القلب بها فينحرف مزاج الاخلاق القلبية الروحانية ويتقوى مزاج الاخلاق النفسانية الظلمانية وبه يغلب الهوى ويميل الى الدنيا وشهواتها فباظهار كل خلق منها على وفق الهوى يزيد رينا وقسوة فى القلب فيحتجب به عن الله تعالى كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون واما آجلا فبهذه الموانع والحجب ينقطع العبد عن الله ويبقى محجوبا معذبا فى النار خالدا مخلدا كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون كذا فى التأويلات النجمية اعلم ان العصاة كلهم فى خطر المشيئة بل الطائعون لا يدرون بماذا يختم لهم فيا ايها العاصى لا تغتر فان العناية لا تحصل لكل عاص ولا تدرى انك من اراد الله تعالى عفوه فان المعفو من اول الامر وقع قليلا كما حكى عن مالك بن دينار قال رأيت بالبصرة قوما يحملون جنازة وليس معهم احد ممن يشيع الجنازة فسألتهم عنه قالوا هذا رجل من كبار المذنبين قال فصليت عليه وانزلته فى قبره ثم انصرفت الى الظل فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبره ونزل احدهما اليه وقال لصاحبه اكتبه من اهل النار فما فيه جارحة سلمت من المعاصى والاوزار فقال له صاحبه يا اخى لا تعجل عليه اختبر عينيه قال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالنظر الى محارم الله قال فاختبر سمعه قال قد اختبرته فوجدته مملوأ بسماع الفواحش والمنكرات قال فاختبر لسانه قال قد اختبرته فوجدته مملوأ بالخوض فى المحظورات وارتكاب المحرمات قال فاختبر يديه قال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بتناول الحرام وما لا يحل من الشهوات واللذات قال فاختبر رجليه قال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالسعى فى النجاسات والامور المذمومات قال يا اخى لا تعجل عليه ودعنى انزل اليه فنزل اليه الملك الثانى واقام عنده ساعة وقال له يا اخى قد اختبرت قلبه فوجدته مملوأ ايمانا فاكتبه مرحوما سعيدا لفضل الله تعالى يستغرق ما عليه من الذنوب والخطايا (قال السعدى) عروسى بود نوبت ماتمت * گرت نيك روزى بود خاتمت * يعنى يوم وفاتك يكون يوم فرح وسرور ان كنت ممن قبض على الايمان نسأل الله عفوه ورجاه الهى بحق بنى فاطمه * كه بر قول ايمان كنم خاتمه (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) اى عمدا اذ الناسى حال نسيانه لا يكون مكلفا وذكر الله تعالى فى قلب كل مؤمن واما العامد فلانه لما ترك التسمية عمدا فكانه نفى ما فى قلبه ويدخل فيه الميتة لانها مما لم يذكر اسم الله عليه وكذا ما ذبح على اسم غيره تعالى (وانه) اى الاكل منه او عدم ذكر التسمية (لفسق) اى خروج عما لا يحل فان من ترك التسمية عامدا حال الذبح لا يحل اكل ذبيحته عند الامام الاعظم واعلم ان المشركين جادلوا المسلمين فقالوا اتأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتله الله فانزل الله الاية واجاب بجواب اعم وبنى الحرمة على وصف يشمل الكل وهو ترك الذكر (وان الشياطين) اى ابليس وجنوده (ليوحون الى اوليائهم) اى يوسوسون الى المشركين والوحى القاء المعنى الى النفس مع الخفية (ليجادلوكم) ايها المؤمنون فى تحليل الميتة بالوساوس الشيطانية (وان اطعتموهم) فى استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم (انكم لمشركون) ضرورة ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه فى دينه فقد اشرك به تعالى بل آثره عليه سبحانه والاشارة لا تأكلوا طعاما الا بامر الله وعلى ذكر الله وفى طلب الله ليندفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته وان ظلمة الطعام وشهوته مؤدية الى الفسق الذى هو الخروج من النور الروحانى الى الظلمة النفسانية وفى الحديث ان الشيطان يستحل الطعام الا يذكر اسم الله عليه اى لانه لا يذكر اسم الله عليه بعد الشروع وما لم يشرع فيه احد لا يتمكن الشيطان من استحلاله وفيه اشارة الى انه ان سمى واحد من الآكلين حصل اصل السنة ومن نسى التسمية فى اول الطعام فانه يقول حين يذكر بسم الله اوله وآخره فاذا قال ذلك فقد تدارك تقصيره وهذا بخلاف الوضوء فان التسمية سنة فى اوله بحيث لو نسيها فى اوله ثم تذكر فى وسطه لم يكن هذا تداركا لسنة التسمية وذلك لان الوضوء كله عمل واحد بخلاف الاكل فان كل لقمة اكلة وكان رجل يأكل فلم يسم حتى لم يبق من طعامه الا لقمة فلما رفعها الى فيه قال بسم الله اوله وآخره فضحك النبى عليه السلام ثم قال ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله تعالى استقاء ما فى بطنه وهذا الحديث يدل على ان الشيطان يأكل بمضغ وبلع كما ذهب اليه قوم وقال آخرون اكل الشيطان صحيح لكنه تشمم واسترواح وانما المضغ والبلع لذوى الجثث والشياطين اجسام رقاق قال فى آكام المرجان كل ما لم يسم عليه من طعام او شراب او لباس او غير ذلك مما ينتفع به فللشيطان فيه تصرف واستعمال اما باتلاف عينه كالطعام واما مع

بقاء عينه قال ثعلبة بن سهيل كنت اصنع شرابا لى اشربه فى السحر فاذا جاء السحر جئت فلا اجد شيأ فوضعت شرابا آخر وقرأت عليه يس فلما كان السحر جئت فاذا الشراب على حاله واذا شيطان اعمى يدور حول البيت وفى الحديث ان الشيطان حساس لحاس فاحذروه على انفسكم من بات وفى يده ريح غمر فاصابه شئ فلا يلومن الا نفسه قال بعض ارباب الاشارة انما حرم اكل مالم يذكر اسمه عليه لان العارف حبيب الله والحبيب لا يذبح ولا يأكل ولا يشرب ولا يلبس ولا يفرش ولا يفعل شيأ الا باسم حبيبه الا ترى ان يعقوب عليه السلام كان يقول فى جميع احواله يوسف وانما وجبت التسمية عند الذبائح لان مرارة النزع شديدة وذكر اسم الله تعالى احلى من كل شئ فامرنا بالتسمية عند الذبائح كى تسمع الشاة ذكر الله عند الموت فلا تشتد مرارة النزع مع حلاوة اسم الله ولذلك قال عليه السلام لقنوا موتاكم بشهادة ان لا اله الا الله تسهل عليكم سكرات الموت فلما كان الاحياء والاماتة من الله تعالى وحده لم يجز ان يذبح باسم غيره تعالى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل ماذبح للجن وعلى اسمها واستنبط بعض الخلفاء عينا واراد اجراءها وذبح للجن عليها لئلا يغور ماؤها فاطعم ذلك ناسا فبلغ ذلك ابن شهاب فقال اما انه قد ذبح مالم يحل له واطعم الناس مالا يحل لهم وكان من عادة الجاهلية قبل الاسلام تزيين جارية حسناء والباسها احسن ثيابها والقاؤها فى النيل حتى يطلع ثم قطع الله تلك السنة الجاهلية على يدى من اخاف الجن وقمعها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهكذا هذه العين لو حفرها رجل عمرى لم يذبح لهم عصفورا فما فوقه ولكن لكل زمان رجال فلو داوم انسان على اسم الله لا تحرقه النار ولا تغرقه البحار ولا تنهشه الحيات ولا تضره السموم لان كل مضر خلق مخوفا لمن يخاف الله فاذا خاف العبد من الله بكماله فله التسخير والتأثير * تو هم كردن از حكم داور مپيچ * كه كردن نپيچد ز حكم تو هيچ * محالست چون دوست دارد ترا * كه در دست دشمن كذارد ترا * وقد ظهر لك من هذا كله ان احراق البخور والقاء ماء الورد ورشه وذبح شئ من مكان يتوهم فيه الجن كله شرك يجب ان يحترز عنه وكذا من ذبح دجاجة لتصوتها مثل الديك او ذبح ديكا لتصوته قبل الوقت وهو السحر والقاها فى مكان فقد ذبح ذلك للجن فى اعتقاده لانه اراد به صيانة نفسه واهله واولاده وماله عن اصابة الجن والبلاء ولو كان لله تعالى لا كلها بل لو كان مخلصا لما فعل مثل هذا (اومن كان ميتا) روى عن ابن عباس ان ابا جهل رمى النبى عليه السلام بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من الصيد بيده قوس وكان يومئذ لم يؤمن بعد فلقى ابا جهل فضرب رأسه بالقوس فقال ابو جهل اما ترى ماجاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا فقال حمزة وانتم اسفه الناس تعبدون الحجارة من دون الله تعالى اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فنزلت هذه الآيات والهمزة للانكار والنفى والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذى يدل عليه الكلام اى انتم ايها المؤمنون مثل المشركين ومن كان ميتا (فاحييناه) اعطيناه الحياة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة (وجعلنا له) مع ذلك من الخارج (نورا) عظيما (يمشى به) اى بسببه (فى الناس) اى فيما بينهم آمنا من جهتهم (كمن مثله) اى صفته العجيبة (فى الظلمات) خبر مبتدأ محذوف اى هو فى الظلمات (ليس بخارج منها) بحال وهو حال من المستكن فى الظرف ومن الاولى موصولة مبتدأة وكمن خبرها وهى ايضا موصولة صلتها الجملة الاسمية الواقعة بعدها فالاولى تمثيل لمن هداه الله تعالى وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها فى الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل كحمزة رضى الله عنه والثانية تمثيل لمن بقى على الضلالة لا يفارقها اصلا كابى جهل (كذلك) اى كما زين للمؤمن من ايمانه (زين) اى من جهة الله تعالى بطريق الخلق او من جهة الشيطان بطريق الوسوسة (للكافرين ما كانوا يعملون) اى ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصى وبهذا التزيين بقوا فى ظلمات الكفر والضلالة ولم يهتدوا الى نور الايمان والهداية قال ارباب الحقيقة الموت بهوى النفس والحياة بمحبة الحق وايضا الموت بالنكرة والحياة بالمعرفة وفرق بين حياة المعرفة وحياة البشرية فاهل العموم حى بحياة البشرية لكنه كالميت فى قبر قالبه لا يمكنه الخروج من ظلمات وجوده المجازى واهل الخصوص حى بحياة المعرفة فحياة البشرية تزول لقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت بخلاف حياة المعرفة لقوله تعالى لنحيينه حياة طيبة وقوله عليه السلام المؤمن حى فى الدارين نميرد هركز اجانش تو باشى * خوشا جانى كه جانانش تو باشى * (قال الحافظ) هركز نميرد آنكه دلش زنده شد بعشق * ثبت است بر جريدهٔ

عالم

عالم دوام ما * وفى التفسير الفارسى شاه كرمانى اين آيت برخواند كه (اومن كان ميتا فاحييناه) كفت نشان اين آيت سه چيزاست از خلق عزلت وباحق دعوت ودوام ذكر برزبان ودل وبزركى اين معنى نظم فرموده بر روى خلايق در صحبت مكشاى * مى باش بكلى متوجه بخداى * غافل مشو از ذوق دل وذكر زبان * تا زنده جاويد شوى در دو سراى * واعلم ان الحى الحقيقى الذى ما كان ميتا ولا يموت ابدا هو الله تعالى وما سواه فهو ميت لانه كان ميتا فى العدم وسيموت ايضا (قال الحافظ) من همان دم كه وضو ساختم از چشمهٔ عشق * چار تكبير زدم يكسره بر هر چه كه هست * يعنى شاهدت جميع الخلق موتى بسبب الوصول الى مقام العشق والفناء قال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر من شهد الخلق لا فعل لهم فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد فاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وعن عبد الواحد بن زيد رحمه الله قال مررت براهب فسألته منذ كم انت فى هذا الموضع فقال منذ اربع وعشرين سنة قلت من انيسك قال الفرد الصمد قلت ومن المخلوقين قال الوحش فسألته وما طعامك قال ذكر الله تعالى قلت ومن المأكولات قال ثمار هذه الاشجار ونبات الارض قلت افلا تشتاق الى احد قال نعم الى حبيب قلوب العارفين قلت ومن المخلوقين قال من كان شوقه الى الله تعالى سبحانه كيف يشتاق الى غيره قلت فلم اعتزلت عن الخلق قال لانهم سراق العقول وقطاع طريق الهدى قلت ومتى يعرف العبد طريق الهدى قال اذا هرب الى ربه من كل شئ سواه واشتغل بذكره عن ذكر ما سواه واكل سالك خطوة فى السلوك الى ملك الملوك كما حكى ايضا عن الشيخ عبد الواحد بن زيد قال قصدت بيت المقدس فضللت الطريق فاذا بامرأة اقبلت الى فقلت لها يا غريبة انت ضالة فقالت كيف يكون غريبا من يعرفه وكيف يكون ضالا من يحبه ثم قالت خذ رأس عصاى وتقدم بين يدى فاخذت رأس عصاها وتقدمت بين يديها ست اقدام او اقل او اكثر فاذا انا بمسجد بيت المقدس فدلكت عينى وقلت لعل هذا غلط منى فقالت يا هذا سيرك سير الزاهدين وسيرى سير العارفين فالزاهد سيار والعارف طيار ومتى يلحق السيار بالطيار ثم غابت عنى فلم ارها بعد ذلك فظهر من هذه الحكاية ان للعارف نورا يمشى به الى حيث شاء والجاهل يبقى فى وادى الحيرة ولا يجد سبيلا الا بتوفيق الله تعالى وهدايته فكما ان الاعمى والبصير ليسا على سواء فكذلك البصير الجاهل والعالم سواء كان جهله وعلمه فى مرتبة الشريعة او الطريقة او المعرفة او الحقيقة فالله تعالى باين بين اهل الحال كما باين بين اهل المقال وعظم النور وسعته بالنسبة الى فسحة القلب ومعرفته فالقلب بيد الله تعالى يقلبه كيف يشاء ولذلك زين لاهل الايمان وجوه الخير والطاعات وزين لاهل الكفر صنوف الشر والسيئات لكن العباد ليسوا بمجبورين فلهم اختيار فى الخروج من الظلمات فاذا لم يصرفوا استعداداتهم الى ما خلقوا لاجله بقوا فى ظلمات الطبيعة والنفس هذا هو الكلام بالنسبة الى ظاهر الحال واما ان نظرت الى اسناد الاحياء والجعل فى الآية المذكورة الى الله تعالى فمقتضى التوحيد ان الكل بيد الله ولا تأثير الا من عند الله فان وجدت خيرا فلتحمد الله كثيرا فقد سبقت لك العناية وساعدك التوفيق فرب تقليد يوصل الى التحقيق والله الهادى (وكذلك) اى كما صيرنا فى مكة فساقها اكابر (جعلنا فى كل قرية) متعلق بالفعل (اكابر) مفعول ثان جمع اكبر بمعنى عظيم (مجرميها) مفعول اول جمع مجرم بالفارسية كنهكار (ليمكروا فيها) اى ليفعلوا المكر فى تلك القرية لانهم لاجل رياستهم اقدر على المكر والغدر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم وكان صناديد قريش ومجرموها اجلسوا على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يقولون لكل من تقدم اياك وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب قال البغوى وذلك سنة الله تعالى ان جعل فى كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم كما قال فى قصة نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون وجعل فساقهم اكابرها ليمكروا فيها والمكر السعى بالفساد فى خفية ومداجاة والآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وما يمكرون الا بانفسهم) لان وباله عليهم (وما) اى والحال انهم لا (يشعرون) بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم (واذا جاءتهم) لما بين ان فساق كل قرية يكونون رؤساءها المتميزين بكثرة المال والجاه بين ما كان من رؤساء مكة من الجرم والفسق وهو انه اذا جاءتهم (آية) دالة على صحة النبوة (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله) من الوحى والكتاب لما روى ان ابا جهل قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحى كما يأتيه فارادوا اى قوم مكة ان تحصل لهم النبوة والرسالة

كما حصلنا لمحمد عليه السلام وان يكونوا متبوعين لا تابعين قال صاحب التيسير وهذه غاية السفه ان يقال لرجل امن فيقول لا اومن حتى يجعلنى الله نبيا قال الامام الثعلبى المراد برسل الله هو حضرة النبى عليه السلام كما انه المخاطب فى قوله تعالى يا ايها الرسل وصيغة الجمع للتعظيم وفى شرح التعرف ان الله تعالى لم يجمع شمائل جميع الانبياء الا فى النبى صلى الله عليه وسلم خاطبه بقوله يا ايها الرسل هرچه خوبان همه دارند تو تنها دارى واعلم ان ما بين الجلالتين من هذه السورة من الاماكن التى يرجى فيها استجابة الدعاء فليحافظ على ذلك (الله اعلم) من كل شئ يعلم (حيث يجعل رسالته) اى الموضع الصالح لوضعها فيه ويضعها وهؤلاء ليسوا اهلا لها الان الاهلية بالفضائل النفسانية لا بالنسب والمال فحيث نصب على المفعولية بيعلم المقدر توسعا (سيصيب الذين اجرموا) اى يصيبهم البتة مكان ما تمنوه من عز النبوة وشرف الرسالة (صغار) اى ذلة وحقارة بعد كبرهم (عند الله) اى يوم القيامة فهو منصوب بقوله سيصيب مجاز عن حشرهم يوم القيامة (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) اى بسبب مكرهم المستمر وحيث كان هذا من معظم مواد اجرامهم صرح بسببيته واعلم ان النبوة اختصاص آلهى عطائى غير كسبى كالسلطنة فلا ينالها المجاهد وان اتى بجميع الشرائط والاسباب وكذا الولاية لكنها كالوزارة فيجوز ان ينالها بعض المجاهدين فليس كل مجاهد واصلا وقد يكون الوصول بدون المجاهدة ايضا اذا كمل الاستعداد وسبقت العناية كما روى عن بعض شيوخ اليمن انه خرج يوما من زبيد الى نحو الساحل المعروف بالاهواب ومعه تلميذ له فمر فى طريقه على قصب ذرة كبار فقال للتلميذ خذ معك من هذا القصب ففعل المريد وتعجب فى نفسه وقال ما مراد الشيخ بهذا ولم يقل له الشيخ شيأ حتى اذا بلغ الى محلة لعبيد يقال لهم السنا كم يأكلون الميتات ويشربون المسكرات ولا يعرفون الصلوات واذا بهم يشربون ويلعبون ويلهون ويطربون ويغنون ويضربون فقال الشيخ للتلميذ ائتنى بهذا الشيخ الطويل الذى يضرب الطبل فاتاه التلميذ فقال له اجب الشيخ فرمى الطبل من رقبته ومشى معه الى الشيخ فلما وقف بين يديه قال الشيخ للتلميذ اضربه فضربه حتى استوفى منه الخدم ثم قال له الشيخ امش قدامنا فمشى حتى بلغوا البحر فامره الشيخ ان يغسل ثيابه ويغتسل وعلمه كيفية ذلك وكيفية الوضوء ففعل ثم علمه كيف يصلى وتقدم الشيخ فصلى بهما الظهر فلما فرغوا من الصلاة قام الشيخ ووضع سجادته على البحر وقال له تقدم فقام ووضع قدميه على السجادة ومشى على الماء حتى غاب عن العين فالتفت التلميذ الى الشيخ وقال وامصيبتاه واحسرتاه لى معك كذا وكذا سنة ما حصل لى من هذا شئ وهذا فى ساعة واحدة حصل له هذا المقام وهذه الكرامات العظام فبكى الشيخ قال يا ولدى وايش كنت انا هذا فعل الله تعالى قيل لى فلان من الابدال توفى فاقم فلانا مقامه فامتثلت الامر كما يمتثل الخدام ووددت انه حصل لى هذا المقام فظهر ان الله تعالى اعلم حيث يجعل ولايته ايضا (قال الحافظ) چون حسن عاقبت نه برندى وزاهديست * آن به كه كار خود بعنايت رها كنند * والاشارة ان القرية هى القالب واكابر مجرميها اى مفسدى حسن الاستعداد لقبول الشقاوة هى النفس والهوى والشيطان يمكرون فيها بمخالفات الشرع وموافقات الطبع وما يمكرون الا بانفسهم لان فساد استعدادهم عائد الى انفسهم بحصول الشقاوة وفوات السعادة وما يشعرون ولا شعور لهم على ما يفعلون بانفسهم وان مرجعهم الى النار واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن اى النفس والهوى والشيطان من دأبهم ان لا يؤمنوا برؤية الايات اذ جبلوا على التمرد والاباء والانكار ولسان حالهم يقول لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله اى القلب والسر والروح لانهم مهبط اسرار الحق والهاماته الله اعلم حيث يجعل رسالته يخص بها القلب والسر والروح ونفسا تطمئن بذكر الله فتستحق رسالة ارجعى الى ربك سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله يعنى اصحاب النفس الامارة بالسوء لهم ذلة البعد من عند الله وعذاب شديد وهو عذاب الفرقة والانقطاع بما كانوا يمكرون اى بما افسدوا استعداد الوصلة وهو جزاء مكرهم وكيدهم كذا فى التأويلات النجمية (فمن يرد الله) معناه بالفارسية پس هر كرا خواهد خداى (ان يهديه) اى يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان (يشرح صدره للاسلام) فيتسع له وينفسح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه فالمعنى من اراد الله منه الايمان قوى صوارفه عن الكفر ودواعيه الى الايمان وجعل قلبه قابلا لحلول الايمان مهيئا لتحليه به صافيا خاليا عما ينافيه ويمنعه ولما نزلت هذه الاية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله فى قلب

المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله واعلم ان العلم علمان علم المعاملة وعلم المكاشفة فالاول هو العلم بما يقرب اليه تعالى وما يبعد منه وهو مقدم على الثانى الذى هو نور يظهر فى القلب فيشاهد به الغيب لانه الشرط له قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ولا ينفك عنه لان الحديث المذكور صرح بان الانابة والتجافى والاستعداد التى هى من علم المعاملة علامة ذلك النور وفى فضل المكاشفة ورد قوله عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلى على امتى اذ غير المكاشفة تبع للعمل لثبوته شرطا له قال فى التأويلات النجمية كلما كان الحجاب ارق كان الايمان اقوى والقلب انور واصفى الى ان يصير الايمان ايقانا لكمال رقة الحجاب وتنور القلب الى ان يصير الايقان عيانا عند رفع الحجاب وتجلى الحق بصفة جماله الى ان تصير العيان عينا بتجلى صفة جلاله (ومن يرد ان يضله) اى يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه (يجعل صدره ضيقا) بالفارسية تنك (حرجا) بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان اى من اراد الله منه الكفر قوى صوارفه عن الايمان وقوى دواعيه الى الكفر والحرج بالفتح مصدر وصف به مبالغة وبالكسر اسم الفاعل وهو المتزايد فى الضيق فهو اخص من الاول فكل حرج ضيق من غير عكس قيل الحرج موضع الشجر الملتف يعنى ان قلب الكافر لا يصل اليه الايمان كما لا تصل الراعية الى الموضع الذى التف فيه الشجر (كانما يصعد فى السماء) قال الامام فى كيفية هذا التشبيه وجهان الاول كما ان الانسان اذا كلف الصعود الى السماء ثقل ذلك التكليف عليه وعظم وقعه عليه وقويت نفرته عنه فكذلك الكافر يثقل عليه الايمان وتعظم نفرته عنه والثانى ان يكون التقدير ان قلبه يتباعد عن الاسلام ويتباعد عن قبول الايمان فشبه ذلك البعد ببعد من يصعد من الارض الى السماء انتهى كما قال الكاشفى فى تفسيره الفارسى كويى بالا ميرود در آسمان يعنى ميكريزد از قبول حق ميخواهد كه با آسمان رود واعلم ان القلوب متفاوتة فمنها ما يشق عليه الايمان وهى قلوب الكفرة ومنها ما يشق عليه الذوق والوجدان وهى قلوب اهل النقصان من اهل الايمان فان بعض الناس منهم من يتباعد عن الكلمات العرفانية بل ينكر احوال اصحاب الفضائل النفسانية وهذا لان من انهمك فى الصفات الحيوانية وحكم عليه الصفات السبعية والشيطانية لا يسوغ له الشرب من المشارب الروحانية ولذا اوصى بكتم ما يتعلق بالاسرار عن الاغيار چرا صدف نكند چاك سينه را صائب * درين زمانه كه جوهر شناس نايابست (كذلك) اى مثل الجعل المذكور (يجعل الله الرجس) اى العذاب او الخذلان او اللعنة او الشيطان اى يسلطه (على الذين لا يؤمنون) اى عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بان جعله تعالى معلل بما فى حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر والطغيان (وهذا) اى البيان الذى جاء به القرآن (صراط ربك) اى طريقه الذى ارتضاه حال كونه (مستقيما) لمن يسلكه فلا يعوج به حتى يورده الى الجنة (قد فصلنا الايات) اى ذكرناها فصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالاخر (لقوم يذكرون) اى يتعظون وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الايات (لهم) كان سائلا يسأل عما اعد الله تعالى للمتذكرين بما فى تضاعيف الايات فقيل لهم (دار السلام) اى السلامة من كل المكاره وهى الجنة (عند ربهم) حال من دار السلام اى نزله وضيافته كما تقول نحن اليوم عند فلان اى فى كرامته وضيافته وقيل العندية كناية عن وعدها والتكفل بها (وهو وليهم) اى مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم (بما كانوا يعملون) اى بسبب الاعمال الصالحة واعلم ان الله تعالى بين حسن الايمان وقبح الكفر وحال السعيد والشقى ورغب فى طريق الانبياء والاولياء وجعل العمل الصالح وهو ما اريد به وجه الله سببا لمحبة الله ودخول دار السلام وهى دار القرار التى يأمن من دخلها من العذاب مطلقا فالله تعالى ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور روى ان عمر بن الخطاب جهز جيشا الى فتح بعض حصون ديار العجم اربعة آلاف فارس وامر عليهم ابنه عبد الله رضى الله عنه قال فسرنا حتى حاصرنا قلعة على جبل عال لا يصل اليه اسلحتنا فحاصرناها وكان فيها جيش من الكفار وكانت اميرتهم امرأة حسناء فحصل لنا تعب شديد ففى ذات يوم نظرت اميرتهم من المنظرة عسكرنا فرأت شابا حسنا من شبان العرب وكان شابا فارسا ماهرا فى الحرب فلما وقع نظرها عليه تأوهت فقالت لها بعض جواريها لم تأوهت يا ملكة وانت فى حصار ومنعة فقالت ان حصننا هذا يفتحه هذا الشاب قالت وكيف ذلك قالت سترين بعد

ساعة ثم ارسلت اليه الملكة رسولا تقول هل اجد اليك سبيلا فتكون لى وا كون لك فقال الشاب نعم بشرطين ان تسلمى الحصن الخارج الينا والداخل اليه فارسلت مع الرسول تستفهم اما الخارج فعرفنا واما الداخل فما عرفنا فقال ابها تسلمى قلبك الى الله تعالى وتقرين له بالوحدانية فارسلت اليه قوما ادخل بعسكرك فانى قد فتحت لك الباب فلما دخل الحصن عرض عليها الاسلام فقالت اعلم انى ملكة ذات همة عالية فهل فى عسكرك من هو اكبر منك حتى اسلم على يديه قال نعم اميرنا وكبيرنا وهو ابن امير المؤمنين فلما حضرت بين يدى عبد الله ابن عمر رضى الله عنه عرض عليها الاسلام فقالت كالاول هل احدا كبر منك فى المسلمين حتى اسلم بين يديه فقال ابها نعم والذى امير المؤمنين عمر رضى الله عنه فقالت ارسلنى اليه حتى اسلم بين يديه فارسلها ومعها عسكر واموال جزيلة اخرجتها معها من الحصار فلازالت حتى وصلت الى عمر رضى الله عنه فقالت له يا امير المؤمنين هل هنا احدا كبر منك قال نعم محمد رسول الله وهذا قبره الشريف واشار الى الروضة المطهرة فقالت لا اسلم الا بين يديه فاجابها لما قالت فلما اتت الروضة المنورة سلمت وجلست بادب ووقار فى حضرة النبى عليه السلام وقالت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم قالت خرجت من الظلمات الى النور وانا اخشى يا رسول الله ان يدنس ايمانى المعاصى فاسأل ربك الذى ارسلك الينا بالحق ان يقبض روحى قبل ان اعصيه مرة اخرى ثم وضعت رأسها على عتبة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فماتت من ساعتها فبكى عمر رضى الله عنه من حسن حالها وامر بغسلها وتجهيزها ودفنها بالبقيع بين الصحابة رضى الله عنهم (قال الحافظ) بروز واقعه تابوت من ز سرو كنيد * كه ميروم بهواى بلند بالايى * اللهم اجعلنا من الذين سلكوا الصراط المستقيم ووصلوا الى جنابك بالقلب السليم فنجوا من عذابك الاليم آمين يا كريم يا رحيم (ويوم يحشرهم جميعا) اى واذكر يا محمد لاهل مكة وغيرهم يوم يحشر الله الثقلين جميعا ويجمعهم فى موقف القيامة فيقول بطريق التوبيخ (يا معشر الجن) اى يا جماعة الشياطين فان المعشر الجماعة التى تضبطهم جهة واحدة وحصل بينهم معاشرتهم ومخالطتهم ويجمع على معاشر قال بعضهم سميت الجماعة بالمعشر لبلوغها غاية الكثرة فان العشر هو العدد الكامل الكثير الذى لا عدد بعده الا بتركيبه بما فيه من الاحاد فتقول احد عشر واثنا عشر فاذا قيل معشر فكانه قيل محل العشر الذى هو الكثرة الكاملة وسمى الجن جنا لاجتنانهم اى استتارهم عن اعين الناس (قد استكثرتم من الانس) اى من اغوائهم واضلالهم اى اضللتم خلقا كثيرا من الانس (وقال اولياؤهم) اى اولياء الشياطين الذين اطاعوهم حال كونهم (من الانس) فهو حال من اولياؤهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) اى انتفع الانس بالجن والجن بالانس اما انتفاع الانس بالجن فمن حيث ان الجن كانوا يدلونهم على انواع الشهوات وما يتوصل به اليها ويسهلون طريق تحصيلها عليهم واما انتفاع الجن بالانس فمن حيث ان الانس اطاعوهم ولم يضيعوا سعيهم والرئيس المطاع ينتفع بانقياد اتباعه له (وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا) اى ادركنا الوقت الذى وقت لنا وهو يوم القيامة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم كنون بايد اى خفته بيدار بود * چو مرگ اندر آرد ز خوابت چه سود * چه خوش گفت با كودك آموزگار * كه كارى نكرديم وشد روزگار * واعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للايذان بان المضلين قد الخموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم اصلا (قال) كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال (النار مثواكم) اى منزلكم فهو اسم مكان بمعنى مكان الاقامة (خالدين فيها) قال ابن عباس رضى الله عنهما الخلق اربعة فخلق فى الجنة كلهم وخلق فى النار كلهم وخلقان فى الجنة والنار اما الذى فى الجنة كلهم فالملائكة واما الذى فى النار كلهم فالشياطين واما الذى فى الجنة والنار فالانس والجن لهم الثواب وعليهم العقاب (الا ما شاء الله) قال فى التأويلات النجمية الا من شاء الله ان يتوب ويرجع الى الله فلا تكون النار مثواه فالاستثناء راجع الى اهل التوبة فى الدنيا لا الى اهل الخلود فى النار انتهى وقال بعضهم ما مصدرية بتقدير مضاف كما فى آتيك خفوق النجم والاستثناء من مضمون الجملة التى قبله وهى قوله النار مثواكم خالدين فيها كانه قيل يخلدون فى عذاب النار الابد كله الا اوقات مشيئة الله تعالى ان ينقلوا من النار الى الزمهرير فقد روى انهم ينقلون من عذاب النار ويدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم ففى الاستثناء تهكم بهم وفى تفسير الجلالين الا ما شاء الله من الاوقات التى يخرجون فيها

لشوب الجحيم فانه خارجها كما قال الله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم فى النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا وقت امهالكم الى وقت الادخال والخلود كما ينتقض من الآخر كذلك ينتقض من الاول هذا ما ذهب اليه علماء الظاهر فى توجيه الاستثناء الا ان حضرة الشيخ نجم الدين قدس سره قال فى ذلك حفظا لظاهر الشرع وللعلماء بالله تحقيق بديع فى هذا المقام لا يتحمله عقول العوام ونحن نشير الى نبذ من ذلك ونوصى بالستر الاعلى السالك قال المولى رمضان فى شرح العقائد اعلم ان اهل النار لم يقنطوا من الخلاص حتى اذا ذبح كبش الموت بين الجنة والنار ونودى اهلهما بالخلود ايس اهل النار من الخلاص فاعتادوا بالعذاب ولم يتألموا حتى آل امرهم الى ان يتلذذوا به حتى لو صب عليهم نسيم الجنة استنكروه وتعذبوا به كالجعل يستطيب الروث ويتألم من الورد انتهى كلامه وهذا معنى ما قال الشيخ الاكبر والمسك الاذفر والكبريت الاحمر قدس سره الاطهر تبقى جهنم خالية وان العذاب من العذب انتهى ولا يغرنك ظاهر هذا الكلام الاكبرى فان اتفاق العلماء من الطرفين على ان المخلد لا يخرج من النار ولا تبقى جهنم خالية من جسده قال حضرة شيخنا وسندنا الذى فضله الله تعالى على العالمين بما خصه من كمالات الدين فكما اذا استقر اهل دار الجمال فيها يظهر عليهم اثر الجمال ويتذوقون دائما ابدا ويختفى منهم جلال الجمال واثره بحيث لا يحسونه ولا يرونه ولا يتألمون به قطعا سرمدا فكذلك اذا استقر اهل دار الجلال فيها بعد مرور الاحقاب يظهر على بواطنهم اثر جمال الجلال ويتذوقون به ابدا ويختفى منهم اثر نار الجلال بحيث لا يحسونه ولا يرونه ولا يتألمون به سرمدا لكن كما عرفت ليس كذلك الا بعد انقطاع احراق النار بواطنهم وظواهرهم بعد مرور الايام والاحقاب وكل منهم تحرقه النار خمسين الف سنة من سنى الآخرة لشركه يوم واحد من ايام الدنيا والظاهر عليهم بعد مرور الاحقاب هو الحال الذى يدوم عليهم ابدا وهو الحال الذى كانوا عليه فى الازل وما بينهما ابتلاءآت رحمانية والابتلاء حادث قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون عصمنا الله واياكم من دار البوار انتهى كلام الشيخ رضى الله عنه (ان ربك حكيم) فى افعاله ومنها تخليد اولياء الشياطين فى النار (عليم) باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء (وكذلك) اى كما خذلنا عصاة الجن والانس حتى استمتع بعضهم ببعض (نولى بعض الظالمين بعضا) اى نسلط بعضهم على البعض فنأخذ من الظالم بالظالم (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصى وجاء من اعان ظالما سلطه الله عليه وعن ابن عباس رضى الله عنه اذا اراد الله بقوم خيرا ولى امرهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى امرهم شرارهم وجاء فى بعض الكتب الالهية انى انا الله ملك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن اطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك لكن توبوا الى اعطفهم عليكم وفى الحديث الظالم عدل الله فى الارض ينتقم به ثم ينتقم منه وفى المرفوع يقول الله عز وجل انتقم ممن ابغض بمن ابغض ثم اصير كلا الى النار وفى الزبور انى لانتقم من المنافق بالمنافق ثم انتقم من المنافقين جميعا وقول القائل كيف يجوز وصفه بالظلم وينسب الى انه عدل من الله تعالى جوابه ان المراد بالعدل هنا ما يقابل بالفضل فالعدل ان يعامل كل احد بفعله ان خيرا فخير وان شرا فشر والفضل ان يعفو مثلا عن المسيء وهذا على طريق اهل السنة بخلاف المعتزلة فانهم يوجبون عقوبة المسيء ويدعون ان ذلك هو العدل ومن ثمة سموا انفسهم اهل العدل والى ما صار اليه اهل السنة يشير قوله تعالى وقل رب احكم بالحق اى لا تمهل الظالم ولا تتجاوز عنه بل عجل عقوبته لكن الله تعالى يمهل من يشاء ويتجاوز عمن يشاء ويعطى من يشاء لا يسأل عما يفعل كذا فى المقاصد الحسنة للامام السخاوى (وفى المثنوى) چونكه بد كردى بترس ايمن مباش * زانكه تخمست و برویاند خداش * چند گاهى او بپوشاند كه تا * آيدت زان بد پشيمان وحيا * بارها پوشد پى اظهار فضل * باز گیرد از پى اظهار عدل * تا كه اين هر دو صفت ظاهر شود * آن مبشر گردد اين منذر شود * واعلم ان الظلم مطلقا مفسد للاستعداد الفطرى الروحانى القابل للفيض الربانى ولذا لا ينجع فى الظالم الكلام الحق واكثر ما يكون من ارباب الرياسة للقدرة والغلبة وفى الحديث ان من اشراط الساعة اماتة الصلوات واتباع الشهوات وان تكون الامراء خونة والوزراء فسقة فوثب سلمان فقال بابى وامى ان هذا لكائن قال نعم يا سلمان عندها يذوب قلب المؤمن كما يذوب الملح فى الماء ولا يستطيع ان يغير قال

اويكون ذلك قال نعم ياسلمان ان اذل الناس يومئذ المؤمن يمشى بين اظهرهم بالمخافة ان تكلم اكاوه وان سكت مات بغيظه كذا فى روضة الاخبار (قال السعدى) خبردارى از خسروان عجم * كه كردند برزيردستان ستم * نه آن شوكت وپادشاهى بماند * نه آن ظلم بر روستايى بماند * مكن تا توانى دل خلق ريش * وكرميكنى ميكنى بيخ خويش * اللهم احفظنا من الظلم والفساد انك حافظ العباد والبلاد (يا معشر الجن والانس الم يأتكم) اى يقول الله تعالى يوم القيامة للثقلين جميعا الم يأتكم فى الدنيا اى كل فريق منكم (رسل) اى رسول معين من الله تعالى (منكم) صفة لرسل اى كائنة منكم اعلم ان الجن والانس مكلفون بالاتفاق لكن الرسول اليهم يحتمل ان يكون من جنسهم كما كان جبريل ونحوه رسل الملائكة من جنسهم وخواص البشر رسل الانس من انفسهم لان الجنس الى الجنس اميل والاستفادة والاستئناس فى الجنسية اظهر ويحتمل ان يكون من غير جنسهم بان يكون من البشر وذلك لا يمنع الاستفادة لانه يجوزان يستفيد خواصهم من الرسل ويكونوا رسل الرسول الى قومهم كاستفادة خواص البشر من خواص الملائكة وقد قام الاجماع على ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل الى الثقلين ودعا كل واحد من الفريقين الى الايمان بالله واليوم الآخر وقد كان الانبياء قبله يبعثون الى قومهم خاصة واما سليمان عليه السلام فانه لم يبعث الى الجن بالرسالة العامة بل بالملك والضبط والسياسة التامة فقوله تعالى رسل منكم اما محمول على المعنى الاول بان يكون الرسل من جنس الفريقين وقد ذهب اليه الضحاك ومن تبعه حيث قالوا لا معنى للعدول عن الظاهر بغير ضرورة وايدوه بما قال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى ومن الارض مثلهن فى كل ارض نبى مثل نبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوح وابراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى وصححه صاحب آكام المرجان كيف وابن عباس رضى الله عنه سلطان المفسرين بالاتفاق ولا معنى لقول السخاوى فى المقاصد الحسنة انه اخذه من الاسرائيليات وهذا كما قالوا ان فى كل سماء كعبة حيالها يطوف فيها اهلها وكذا فى كل ارض ويناسب هذا ما قاله حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره خطابا لحضرة الهدائى الآن عوالم كثيرة يتكلم فيها محمود وافتاده كثيرا واما محمول على المعنى الثانى وهو الذى ادعوا فيه الاجماع وفيه تفضيل شأن البشر فالرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن فى الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وقيل الرسل يعم رسل الرسل وقد ثبت ان نفرا من الجن قد استمعوا القرآن وانذروا به قومهم هذا ما وفقنى الله تعالى لترتيبه وتهذيبه فى هذا الباب والله يقول الحق ويهدى الى الصواب (يقصون عليكم آياتى) اى يقرؤن عليكم كتبى (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى يوم القيامة (قالوا) جوابا عند ذلك التوبيخ الشديد (شهدنا على انفسنا) ان قد بلغنا وهو اعتراف منهم بالكفر واستحقاق العذاب وشهدنا انشاء الشهادة مثل بعت واشتريت فلفظ الماضى لا يقتضى تقدم الشهادة (وغرتهم الحياة الدنيا) فلم يؤمنوا (وشهدوا على انفسهم) فى الاخرة (انهم كانوا) فى الدنيا (كافرين) اى بالايات والنذر التى اتى بها الرسل وهو ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم (ذلك) اى ارسال الرسل (ان) اللام مقدرة وهى مخففة اى لان الشأن (لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) اى بسبب ظلم منها (واهلها غافلون) لم يرسل اليهم رسول يبين لهم قال البغوى وذلك ان الله تعالى اجرى السنة ان لا يأخذ احدا الا بعد وجود الذنب وانما يكون مذنبا اذا امر فلم يأتمر ونهى فلم ينته ويكون ذلك بعد انذار الرسل وفى التفسير الفارسى استئصال هيچ قوم نباشد الا بعد از تقدم وعيد واكرنه ايشان را برحق حجت باشد كه لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك قال فى التأويلات النجمية الاستعداد الروحانى لا يفسد باستيفاء الحظ الحيوانى فى الطفولية الا بعد ان يصير العبد مستعدا لقبول فيض العقل وفيض الهام الحق عند البلوغ فيخالف الالهام ويتبع الهوى فيفسد بذلك حسن الاستعداد لقبول الفيض الالهى كقوله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وهذا كما انه تعالى لا يعذب قوما ما بلغتهم الدعوة حتى يبعث فيهم رسولا فيخالفونه فيعذبهم بها وقد عبر لسان الشرع عن هذا المعنى بان لا يجرى عليه قلم تكاليف الشريعة الا بعد البلوغ بالاوامر والنواهى لانه اوان ترقى الروح باستعمال المأمورات ونقصانه باستعمال المنهيات انتهى فعلى العاقل ان يتدارك حاله ويخاف

من الخطاب القهرى يوم القيامة كر بمحشر خطاب قهر كند * انبيا را چه جاى معذرتست * قال الحسن البصرى رحمه الله الناس فى هذه الدنيا على خمسة اصناف العلماء وهم ورثة الانبياء والزهاد وهم الادلاء والغزاة وهم اسياف الله والتجار وهم امناء الله والملوك وهم رعاة الخلق فاذا اصبح العالم طامعا وللمال جامعا فبمن يقتدى ولذا قال من قال * شيخ چون مائل بمال آيد مريد اومعاش * مائل دينار هركز مالك ديدار نيست * واذا اصبح الزاهد راغبا فبمن يستدل ويهتدى * از زاهدان خشك رسائى طمع مدار * سيل ضعيف واصل دريا نميشود * واذا اصبح الغازى مرائيا والمرائى لا عمل له فمن يظفر بالاعداء * عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * واذا كان التاجر خائنا فمن يؤمن ويرتضى * درين زمانه مكر جبرئيل امين باشد * واذا اصبح الملك ذئبا فمن يحفظ الغنم ويرعى * پادشاهى طرح ظلم افكند * پاى ديوار ملك خويش بكند * نكند جور پيشه سلطانى * كه نيايد ز كرك چوپانى * والله ما اهلك الناس الا العلماء المداهنون والزهاد الراغبون والغزاة المرآؤن والتجار الخائنون والملوك الظالمون وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ثم ان الاحكام الالهية قد بلغت الى كل اقليم وبلغ الشاهد الغائب الى يومنا هذا من قديم وامتلأ الآذان من سماع الحق والكلام المطلق فلم يبق للسلطان ولا للوزير ولا لغيرهما من الوضيع والخطير عذر ينجيه من الهلاك وقهر مالك الاملاك والتنبيه مقدم لكل خامل ونبيه فهلاك القرى واهلها وظهور الظلمات فرعها واصلها انما هو من غفلة الانسان ايقظه الله الملك المنان فلا تلومن عند وجود التنزل الانفسى الا ايه وظهور التسفل الاطبيعتك الغبية فقد استبان البرهان والحجة ووضع لسالكيها المحجة الم تسمع الى قوله تعالى فلله الحجة البالغة وارالك انك اقمت الحجر ولا تدرى ما فعل بك بل تتمادى فى تعبك وتمرغ فى غضبك فعالج نفسك ايها المريض قبل الحلول الى الحضيض (ولكل) من المكلفين من الثقلين مؤمنين كانوا او كفارا (درجات مما عملوا) اى مراتب كائنة من اعمالهم صالحة كانت او سيئة فلاهل الخير درجات فى الجنة بعضها فوق بعض ولاهل الشرك دركات فى النار بعضها اشد عذابا من بعض وفسروا الدرجات بالمراتب لان الدرجات غلب استعمالها فى الخير والثواب والكفار لا ثواب لهم (وما ربك بغافل عما يعملون) فيخفى عليه عمل من اعمالهم طاعة او معصية والمقصود ان الله يجزى كل عامل بما عمل (وربك الغنى) عن العباد والعبادة والغنى هو الذى لا يحتاج الى شئ فيكون وجود كل شئ عنده وعدمه سواء وغيره تعالى لا يسمى غنيا الا اذا لم يبق له حاجة الا الى الله تعالى فاصل الحاجة لا ينقطع عن غير الله لانه فى وجوده وغناه يحتاج الى الغنى الحقيقى (ذو الرحمة) يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصى وفى التأويلات النجمية يعنى مع غناه عن الخلق له رحمة قد اقتضت ايجاد الخلق ليربحوا عليه لا ليربح عليهم (قال فى المثنوى) چون خلقت الخلق كى يربح على * لطف تو فرمود اى قيوم وحى * لا لان اربح عليهم جود تست * كه شود زو جمله ناقصها درست * عفو كن اين بندكان تن پرست * عفو از درياى عفو اولى ترست * عفو خلقان همچو جو وهمچو سيل * هم بدان درياى خود تازند خيل * (ان يشأ يذهبكم) ايها العصاة اى يهلككم (ويستخلف) بالفارسى خليفه وجانشين شما سازد (من بعدكم) اى من بعد اذهابكم واهلاككم (ما يشاء) اى خلقا آخر اطوع لله منكم وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء (كما انشأكم من ذرية قوم آخرين) اى من قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وفى التفسير الفارسى همچنانكه شما را پيدا كرد از ذريه قومى ديكر كه پدران شما بودند (ان ما توعدون) اى الذى توعدون من البعث والعذاب (لآت) لواقع لا محالة لا خلف فيه (وما انتم بمعجزين) اى بفائتين ذلك اى وان ركبتم فى الهرب متن كل صعب وذلول (قل) لاهل مكة (يا قوم اعملوا على مكانتكم) المكانة مصدر بمعنى التمكن وهو القوة والاقتدار اى اعملوا على غاية تمكنكم ونهاية استطاعتكم يعنى اعملوا ما انتم عاملون واثبتوا على كفركم وعداوتكم (انى عامل) ما كتب على من المصابرة والثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والامر للتهديد من قبيل الاستعارة تشبيها للشر المهدد عليه بالمأمور به الواجب الذى لا بد ان يكون قال فى التأويلات النجمية اعملوا على مكانتكم اى على ما جبلتم عليه نظيره قوله قل كل يعمل على شاكلته (فسوف تعلمون من) استفهامية او موصولة (تكون له عاقبة الدار)

اى اينا تكون له العاقبة المحمودة التى خلق الله تعالى هذه الدار لها اوفسوف تعرفون الذى له العاقبة الحسنى فالدار دار الدنيا والعاقبة الاصلية لهذه الدار هى عاقبة الخير واما عاقبة السوء فمن نتايج تحريف الفجار (انه) اى ان الشان (لا يفلح) يسعد (الظالمون) اى الكافرون اى لا يظفرون بمرادهم وبالفارسى بدرستى كه بيروزى ورستكارى نيابند ستمكاران يعنى كفار صاحب كشف الاسرار فرموده كه هم درين روزى بدانيدكه دنيا كجا رسد ودولت فلاح كرا رسد به بيندكه درويشان شكسته بال را بسراى كرامت چون خوانند وخواجكان صاحب اقبال را سوى زندان ندامت چون رانند باش تا كل بينى آنهارا كه امروزند جزؤ * باش تا كل يابى آنهارا كه امروزند خار * تا كى ازدار الغرورى ساختن دار السرور * تا كى ازدار الغرورى ساختن دار القرار * وليس الفلاح الا فى العلم والعمل وترك الدنيا والكسل والزال حكى عن بعضهم انه دخل عليه بعض الفقراء ولم يجد فى بيته شيأ من المتاع فقال اما لكم شئ قال بلى لنا داران احداهما دار امن والاخرى دار خوف فما يكون لنا من الاموال ندخره فى دار الامن يعنى نقدمه للدار الآخرة فقال له انه لابد لهذا المنزل من متاع فقال ان صاحب هذا المنزل لا يدعنا فيه وذلك ان الدنيا عارية ولابد للمعيران يرجع فى عاريته فعاقبة الدار انما هى للاخيار الابرار الذين عملوا الله فى ليلهم ونهارهم ولم ينقطعوا عن التوجه اليه حال سكونهم وقرارهم وكان شاب يجتهد فى العبادة فقيل له فى ذلك فقال رأيت فى منامى قصرا من قصور الجنة مبنيا بلبنة من ذهب ولبنة من فضة وكذلك شرار يفه وبين كل شرافتين حورية لم ير الراؤن مثلها لما بها من الحسن والجمال وقد ارخين ذوآئب شعورهن فتبسمت احداهن فى وجهى فانارت الجنة بنور ثناياها ثم قالت يافتى جد لله تعالى فى طلبى لاكون لك وتكون لى فاستيقظت فحقيق على ان اجد فاذا كان هذا الاجتهاد فى طلب حورية فكيف بمن يطلب رب الحورية فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ * كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد * فظهر ان الاجتهاد فى طريق الحق له عاقبة جيدة فانه موصل الى الجنة والقربة والوصلة فسيظهر اثره فى الدار الآخرة واما الظالمون الذين افسدوا استعداداتهم بما عملوا من المعاصى فانهم لا يفلحون بمثل هذه السعادة بل يرجعون الى دار البوار وحالهم فى الدنيا هى الخسارة لاغير فان الباطل يفور ثم يغور والدولة فى الدنيا والآخرة لاهل الايمان والخلاص من التنزل لا يحصل الا بالايمان فمن دخل فى حصن الايمان وقوة اليقين يترقى الى ماشاء الله تعالى من الدرجات والشيطان وان كان ينبح عليه خارج الحصن لكنه لا يضره وفى الحديث جددوا ايمانكم والمراد الانتقال من مرتبة الى مرتبة فان اصل الايمان قد تم بالاول ولكن الايمان على ثمانى عشرة مرتبة والعناية من الله تعالى وتوحيد كل شخص على قدر يقينه وهو قد يكون على قدر يقينه فى ملك وجوده وقد لا يكون على قدر هذا اليقين فالذين يظهرون الدعوى فتوحيدهم فى ملك وجودهم فقط فلو انهم جاوزوا الى هذا اليقين لندموا عليها ورغبوا عن انفسهم فعلى العاقل ان لا يسامح فى باب الدين بل يجتهد فى تحصيل اليقين فان الاجتهاد باب لهذا التحصيل ووسيلة فى طريقة التكميل وان كان الله تعالى هو الموصل برحمته الخاصة والمؤثر فى كل الامور اللهم اجعلنا من اهل التوحيد الحقانى وشرفنا بالايمان العيانى فانك الغنى ونحن الفقراء (وجعلوا) اى مشركوا العرب (لله مما ذرأ) اى خلق (من الحرث) اى الزرع (والانعام نصيبا) ولشركائهم ايضا نصيبا (فقالوا هذا) النصيب (لله بزعمهم) اى بادعائهم الباطل من غير ان يكون ذلك بامر الله تعالى (وهذا لشركائنا) اى آلهتنا التى شاركونا فى اموالنا من المتاجر والزروع والانعام وغيرها فهو من الشركة لا من الشرك والاضافة الى المفعول روى انهم كانوا يعينون شيأ من الحرث والنتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيأ منهما لالهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحونه عندها ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى رجعوا وجعلوه لآلهتهم وان رأوا ما لالهتهم ازكى تركوه معتلين بان الله تعالى غنى وما ذلك الا لحب آلهتهم وايثارهم لها (فما كان لشركائهم) من نماء الحرث والانعام (فلا يصل الى الله) اى الى المساكين والاضياف وقالوا لو شاء الله زكى نصيب نفسه (وما كان لله) من ذلك النماء (فهو يصل الى شركائهم) بذبح النسائك عندها والاجراء على سدنتها لانهم اذا لم ينم نصيب الآلهة يبدلون ذلك النامى الذى عينوه لله تعالى ويجعلونه لآلهتهم (ساء ما يحكمون) اى ساء الذى يحكمون حكمهم فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك فى قسمة

القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم (زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم) اى اولياؤهم من الجن اومن السدنة فقوله قتل مفعول زين وشركاؤهم فاعله وكان اهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من الفقر اومن التزويج اومن السبى وكان الرجل منهم يحلف بالله لئن ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله روى ان عبد المطلب كان رأى فى المنام انه يحفر زمزم ونعت له موضعها وقام يحفر وليس له ولد يومئذ الا الحارث فنذر لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا لينحرن احدهم لله تعالى عند الكعبة فلما تموا عشرة اخبرهم بنذره فاطاعوه وكتب كل واحد منهم اسمه فى قدح فخرج على عبد الله فاخذ الشفرة لينحره فقامت قريش من انديتها فقالوا لا تفعل حتى تنظر فيه فانطلق به الى عرافة فقالت قربوا عشرا من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم واذا خرجت على الابل فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم فقربوا من الابل عشرا فخرج على عبد الله فزاد عشرا عشرا فخرجت فى كل مرة على عبد الله الى ان قرب مائة فخرج القدح على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان ولا سبع ولذلك قال عليه السلام انا ابن الذبيحين يريد اباه عبد الله واسمعيل عليه السلام (ليردوهم) اى ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة لظهور ان قصد السدنة لم يكن الارداء واللبس وانما كان ذلك قصد الشياطين (ولو شاء الله) اى عدم فعلهم ذلك (ما فعلوه) اى ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل (فذرهم وما يفترون) الفاء فصيحة اى اذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم وافتراءهم على الله انه امرهم بدفن بناتهم احياء فان الله تعالى مع قدرته عليهم تركهم فاتركهم انت فان لهم موعدا يحاسبون فيه ولله تعالى فيما شاء حكم بالغة (وقالوا هذه) اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم (انعام وحرث حجر) اى حرام (لا يطعمها) بالفارسى نچشد ونخورد آنرا (الا من نشاء) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء (بزعمهم) اى قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة (وانعام) خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه انعام اى قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم اى وهذه انعام (حرمت ظهورها) يعنون بها البحائر والسوائب والحوامى (وانعام) اى وهذه انعام كما مر وقوله تعالى (لا يذكرون اسم الله عليها) صفة لانعام لكنه غير واقع فى كلامهم المحكى كنظائره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما فى قوله تعالى انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله على احد التفاسير كانه قيل وانعام ذبحت على الاصنام فانها التى لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام (افتراء عليه) اى افتروا على الله افتراء يعنى انهم يفعلون ذلك ويزعمون ان الله تعالى امرهم به (سيجزيهم) بالفارسى زود باشد كه خدا جزا دهد ايشانرا (بما كانوا يفترون) اى بسبب افترائهم (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام) يعنون به اجنة البحائر والسوائب (خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا) اى حلال للرجال خاصة دون الاناث وتأنيث خالصة محمول على معنى ما وتذكير محرم محمول على لفظه وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا (وان يكن ميتة) اى ولدت ميتة (فهم فيه) اى ما فى بطون الانعام (شركاء) يأكلون منه جميعا ذكورهم واناثهم (سيجزيهم وصفهم) اى جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى فى امر التحليل والتحريم (انه حكيم عليم) تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذى هو من مقتضيات الحكمة (قد خسر الذين قتلوا اولادهم) جواب قسم محذوف وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبى والفقر اى خسروا دينهم ودنياهم بالفارسى زيان كردند (سفها بغير علم) متعلق بقتلوا على انه علة له وبغير علم صفة لسفها اى لخفة عقلهم وجهلهم بان الله تعالى هو الرزاق لهم ولاولادهم (وحرموا) على انفسهم (ما رزقهم الله) من البحائر ونحوها (افتراء على الله) اى افتروا على الله افتراء حيث قالوا ان الله امرهم بها (قد ضلوا) عن الطريق المستقيم (وما كانوا مهتدين) اليه وان هدوا بفنون الهدايات روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اصحابه كان لا يزال مغتما بين يديه فقال عليه السلام ما لك تكون محزونا فقال يا رسول الله انى قد اذنبت فى الجاهلية ذنبا فاخاف ان لا يغفر لى وان اسلمت فقال عليه السلام اخبرنى عن ذنبك فقال يا رسول الله انى كنت من الذين يقتلون بناتهم فولدت لى بنت فتشفعت الى امرأتى ان اتركها فتركتها حتى كبرت وادركت

فصارت من اجمل النساء فخطبوها فدخلت على الحمية ولم يتحمل قلبى ان ازوجها او اتركها فى البيت بغير زوج فقلت للمرأة انى اريد ان اذهب الى قبيلة كذا فى زيارة اقربائى فابعثيها معى فسرت بذلك وزينتها بالثياب والحلل واخذت على المواثيق بان لا اخونها فذهبت بها الى رأس بئر فنظرت فى البئر ففطنت الجارية بى انى اريد ان القيها فى البئر فالتزمتنى وجعلت تبكى وتقول يا ابى اى شئ تريد ان تفعل بى فرحمتها ثم نظرت فى البئر فدخلت على الحمية ثم التزمتنى وجعلت تقول يا ابى لا تضيع امانة امى فجعلت مرة انظر الى البئر ومرة انظر اليها وارحمها وغلبنى الشيطان فاخذتها فالقيتها فى البئر منكوسة وهى تنادى فى البئر يا ابى قتلتنى فكنت هنالك حتى انقطع صوتها فرجعت فبكى رسول الله وقال لو امرت ان اعاقب احدا بما فعل فى الجاهلية لعاقبتك بما فعلت واعلم انهم لما انسد عليهم طريق الثقة بالله حملتهم خشية الفقر على قتل الاولاد ولذلك قال اهل التحقيق من امارات اليقين وحقائقه كثرة العيال على بساط التوكل قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر من دخل هذا الطريق وهو ذو زوج فلا يطلق او عزب فلا يتزوج حتى يكمل فاذا كمل فهو فى ذلك على ما يلقى اليه ربه انتهى واختار اكثر الكمل موت اولادهم لان كل ما يشغل الطالب عن الله من الاموال والاولاد فهو فتنة ومنهم ابراهيم بن ادهم حيث اجتمع بولده بمكة فرأى فى قلبه ميلا اليه فقال الهى امتنى او هذا مشيرا الى ولده فمات والانسب ان يدفعه من قلبه بالتوحيد ولا يدعو عليه بالموت لان الدعاء تصرف من عند نفسه والمتصرف فى الحقيقة هو الله فاذا ادخل عبده فى امر لا يتولى العبد اخراج نفسه منه بل يصبر وينتظر الى امر الله تعالى وقلة المال مع كثرة العيال والصبر عليها من المجاهدات المعتبرة عند السلاك قال حضرة الشيخ افتاده افندى خطابا لحضرة الهدايى اذا اظهر اهل بيتك جوعا شديدا ورأيتهم قد اشرفوا على الهلاك فعليك ان تتوكل على الله وتسلم الامر اليه بان تقول عن صميم قلبك لا بمجرد لسانك الهى انا عبد ذليل مثلهم وهم عبادك فامرى وامرهم اليك لا احول انا بينك وبين عبادك ليتم المقصود بالسهولة ويقضى الرب جميع حوائجك قال ويكون توكل الطالب على وجه لو ان اولاده ماتوا من الجوع لما ترحم عليهم بل قال هذا الرب وهذا عبده وافوض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد

(قال الصائب) فكر اب ودانه در كنج قفس بى حاصلست * زير چرخ انديشهٔ روزى چرا باشد مرا

(وهو الذى انشأ) اى خلق يقال نشأ الشئ نشأة اذا ظهر وارتفع وانشأه الله تعالى اى اظهره ورفعه (جنات) اى بساتين من الكروم (معروشات) اى مرفوعات على ما يحملها من خشب او نحوه (وغير معروشات) ملقيات على وجه الارض فان بعض الاعناب يعرش وبعضها لا يعرش بل يلقى على وجه الارض منبسطا او المعروشات الاعناب التى يجعل لها عروش وغير المعروشات كل ما نبت منبسطا على وجه الارض مثل القرع والبطيخ او المعروشات ما يحتاج الى ان يتخذ له عريش يحمل عليه فيمسكه وهو الكرم وما يجرى مجراه وغير المعروش ما لا يحتاج اليه بل يقوم على ساقه كالنخل والزرع ونحوهما من الاشجار والبقول او المعروشات ما يحصل فى البساتين والعمرانات مما يهتم به الناس ويغرسونه وغير المعروشات ما انبته الله تعالى فى البرارى والجبال (والنخل والزرع) اى انشأهما وافرادهما بالذكر مع انهما داخلان فى الجنات لكونهما اعم نفعا من جملة ما يكون فى البساتين والمراد بالزرع ههنا جميع الحبوب التى يقتات بها (مختلفا اكله) حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء اى انشأ كل واحد منهما فى حال اختلاف ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية قال البغوى ثمره وطعمه منها الحلو والحامض والجيد والردى (والزيتون والرمان) اى انشأهما (متشابها وغير متشابه) نصب على الحالية اى يتشابه بعض افرادهما فى اللون والهيئة والطعم ولا يتشابه بعضها مثل الرمانين لونهما واحد وطعمهما مختلف (كلوا من ثمره) اى من ثمر كل واحد من ذلك (اذا اثمر) وان لم يدرك ولم يينع بعد ففائدة التقييد بقوله اذا اثمر اباحة الاكل منه قبل ادراكه وينعه (وآتوا حقه يوم حصاده) اشهر الاقوال على ان المراد ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد اى يوم قطع العنب والنخل ونحوهما بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار حتى نسخه افتراض العشر فيما يسقى بماء السماء ونصف العشر فيما يسقى بالدلو والدالية او نحوهما (ولا تسرفوا) اى فى التصدق كما روى ان ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة فقسمها فى يوم واحد ولم يترك لاهله شيأ وقد جاء فى الخبر ابدأ بمن تعول وقيل الخطاب للسلاطين

اى لا تأخذوا فوق حقكم (انه لا يحب المسرفين) اى لا يرضى فعلهم (ومن الانعام) اى انشأ من الانعام (حمولة) ما يحمل عليه الاثقال (وفرشا) وما يفرش للذبح او يتخذ من صوفه ووبره وشعره ما يفرش ولعله من قبيل التسمية بالمصدر (كلوا مما رزقكم الله) من تبعيضية وما عبارة عن الحمولة والفرش اى كلوا بعض ما رزقكم الله اى حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم وتخصيص الاكل بالذكر من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه فى السائبة واخواتها لكونه معظم ما ينتفع به ويتعلق به الحل والحرمة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) اى لا تسلكوا الطريق التى سولها الشيطان لكم فى امر التحليل والتحريم فانه لا يدعوكم الا الى المعصية (انه لكم عدو مبين) اى ظاهر العداوة وقد ابان عداوته لابيكم آدم عليه السلام (ثمانية ازواج) بدل من حمولة وفرشا والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل فالاثنان المصطحبان يقال لهما زوجان لا زوج فعلى هذا يقال مقراضان ومقصان لا مقراض ومقص لانهما اثنان والمراد بالازواج الثمانية الانواع الاربعة لانها باعتبار ازواجها ثمانية (من الضأن اثنين) بدل من ثمانية ازواج اى انشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة والضأن معروف وهو ذو الصوف من النعم (ومن المعز اثنين) اى انشأ من المعز زوجين التيس والعنز والمعز ذو الشعر من النعم (قل) لهم يا محمد (آلذكرين) من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس (حرم) اى الله تعالى كما تزعمون انه هو المحرم (ام الانثيين) وهما النعجة والعنز (ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين) اى ام ما حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى (نبئونى بعلم) اى اخبرونى بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيأ مما ذكر (ان كنتم صادقين) فى دعوى التحريم عليه سبحانه (ومن الابل اثنين) عطف على قوله تعالى من الضأن اثنين اى وانشأ من الابل اثنين هما الجمل والناقة (ومن البقر اثنين) ذكرا وانثى (قل) افحاما لهم ايضا (آلذكرين) منهما (حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين) من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله تعالى حرم عليهم شيأ من الانواع الاربعة ذكرا وانثى او ما يحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة كالحام فانه اذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموه ولم يمنعوه ماء ولا مرعى وقالوا انه قد حمى وكالوصيلة فان الشاة اذا ولدت انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها ويحرمون اناثها تارة كالبحيرة والسائبة فانه اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها وكانوا اذا ولدت النوق البحائر والسوائب فصيلا حيا حرموا لحم الفصيل على النساء دون الرجال وان ولدت فصيلا ميتا اشترك الرجال والنساء فى لحم الفصيل ولا يفرقون بين الذكور والاناث فى حق الاولاد (ام كنتم شهداء) ام منقطعة بمعنى بل والهمزة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اى بل كنتم حاضرين شاهدين (اذ وصاكم الله بهذا) اى حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبى فلا طريق لكم حسبما يؤول اليه مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم ما لم يحرم (ليضل الناس) متعلق بافترى قال سعدى چلبى المفتى الظاهر ان اللام للعاقبة (بغير علم) حال من فاعل يضل اى ملتبسا بغير علم بما يؤدى بهم اليهم (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا وآجلا فاذا نفى الهداية عن الظالم فما ظنك بمن هو اظلم (قل لا اجد فيما اوحى الى) طعاما (محرما) من المطاعم التى حرموها (على طاعم) اى طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم ومحرم على ازواجنا وقوله تعالى (يطعمه) لزيادة التقرير (الا ان يكون) ذلك الطعام (ميتة) لم تذك وهى التى تموت حتف انفها (او دما مسفوحا) اى مصبوبا كالدماء التى فى العروق لا كالطحال والكبد فانهما جامدان وقد جاء الشرع باباحتهما وفى الحديث احلت لنا ميتتان ودمان والمراد من الميتتين السمك والجراد ومن الدمين الكبد والطحال وما اختلط باللحم من الدم وقد تعذر تخلصه من اللحم عفو مباح لانه ليس بسائل ايضا (او لحم خنزير فانه) اى الخنزير (رجس) اى قذر لتعوده اكل النجاسة قال الحدادى كل ما استقذرته فهو رجس ويجوز ان يعود الضمير الى اللحم وتخصيصه مع ان لحمه وشحمه وشعره وعظمه وسائر ما فيه كله حرام لكونه اهم ما فيه فان اكثر ما يقصد من الحيوان المأكول اللحم فالحل والحرمة يضاف اليه اصالة ولغيره

تبعا قال سعدي چلبي المفتى الاصل عود الضمير الى المضاف لانه المقصود والمضاف اليه لتعريفه وتخصيصه (اوفسقا) عطف على لحم خنزير (اهل لغير الله به) صفة موضحة اى ذبح على اسم الاصنام وانما سمى ذلك فسقا لتوغله فى الفسق (فمن اضطر) اى اصابته الضرورة الداعية الى تناول شئ من ذلك (غير باغ) على مضطر مثله (ولاعاد) قدر الضرورة (فان ربك غفور رحيم) مبالغ فى المغفرة والرحمة لايؤاخذه بذلك والآية محكمة لانها تدل على انه عليه السلام لم يجد فيما اوحى اليه الى تلك الغاية غيره ولاينافيه ورود التحريم بعد ذلك فى شئ آخر قال فى التأويلات النجمية يشير بالميتة الى ميتة الدنيا فانها جيفة مستحيلة كما قال بعضهم

وماهى الاجيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها * وان تجتذبها نازعتك كلابها

وفى الحديث اوحى الله الى داود ياداود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها افتحب ان تكون كلبا مثلهم فتجر معهم (قال الحافظ) هماى چون توعالى قدر حرص استخوان حيفست * دريغا سايهٔ همت كه برنااهل افكندى * والدم المسفوح هو الشهوات واللذات التى يهراق عليها دم الدين ولحم الخنزير هو كل رجس من عمل الشيطان كما قال انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه وحقيقة الرجس الاضطراب عن طريق الحق والبعد منه كما جاء فى الخبر لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس ايوان كسرى اى اضطرب وتحرك حركة سمع لها صوت فالرجس ما يعدلك عن الحق اوفسقا اهل لغير الله به اى خروجا عن طلب الحق فى طلب غير الحق (قال السعدى) خلاف طريقت بود كاوليا * تمنا كنند از خدا جز خدا * فالشروع فى هذه الاشياء محرم لانها تحرمك عن الله وقرباته الا ان يكون بقدر ما يدفع الحاجة الانسانية فان الضرورات تبيح المحظورات قال بعضهم فى قوله عليه السلام تمعددوا واخشوشنوا اى اقتدوا بمعد بن عدنان والبسوا الخشن من الثياب وامشوا حفاة فهو حث على التواضع ونهى عن الافراط فى الترفه والتنعم كما قال عليه السلام اياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين * بناز ونعمت دنيا منه دل * كه دل برداشتن كاريست مشكل * فعلى العاقل ان يكون ازهد الناس فى الدنيا ويتجرد عن الاسباب كالانبياء وكمل الاولياء وعن بعضهم قال رأيت فقيرا ورد على بئر ماء فى البادية فادلى ركوته فيها فانقطع حبله ووقعت الركوة فيها فاقام زمانا وقال وعزتك لا ابرح الا بركوتى اوتأذن لى فى الانصراف عنها قال فرأيت ظبية عطشانة جاءت الى البئر ونظرت فيها وفاض الماء وطفح على البئر واذا بركوته على فم البئر فاخذها وبكى وقال الهى ما كان لى عندك محل ظبية فهتف به هاتف يا مسكين جئت بالركوة والحبل وجاءت الظبية ذاهبة عن الاسباب لتوكلها علينا ففى هذه الحكاية ما يدل على كمال الانقطاع عن غير الله تعالى (وعلى الذين هادوا) اى على اليهود خاصة لا على من عداهم من الاولين والآخرين (حرمنا كل ذى ظفر) كل ماله اصبع سوآء كان ما بين اصابعه منفرجا كانواع السباع والكلاب والسنانير اولم يكن منفرجا كالابل والنعام والاوز والبط وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم (ومن البقر والغنم) متعلق بقوله (حرمنا عليهم شحومهما) لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكليتين (الا ما حملت ظهورهما) استثناء من الشحوم اى الا ما اشتملت على الظهور والجنوب من شحم الكتفين الى الوركين من داخل وخارج (اوالحوايا) عطف على ظهورهما اى اوالا الذى حملته الامعاء واشتمل عليها جمع الحوية كما فى الصحاح وهى المباعر والمصارين (اوما اختلط بعظم) عطف على ما حملت وهو شحم الالية واختلاطه بالعظم اتصاله بالعصعص وهو عجب الذنب اى عظمه واصله ويقال انه اول ما يخلق وآخر ما يبلى (ذلك) الجزآء (جزيناهم) اى اليهود (ببغيهم) اى بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير حق واخذهم الربا واكلهم اموال الناس بالباطل وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شئ مما احل لهم وقد انكروا ذلك وادعوا انها لم تزل محرمة على الامم الماضية فرد عليهم ذلك واكد بقوله تعالى (وانا لصادقون) اى فى الاخبار عن كل شئ لاسيما فى الاخبار عن التحريم المذكور وفى الاخبار عن بغيهم (فان كذبوك) اى اليهود والمشركون فيما فصل من احكام التحليل والتحريم (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا اهمال (ولا يرد بأسه) عذابه (عن القوم المجرمين) حين ينزل (سيقول الذين اشركوا لوشاء الله) عدم اشراكنا

(ما اشركنا) نحن (ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضى عند الله تعالى (كذلك) اى كهذا التكذيب وهو قولهم انا انما اشركنا وحرمنا لكون ذلك مشروعا مرضيا عند الله تعالى وانك كاذب فيما قلت من ان الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرمتموه (كذب الذين من قبلهم) اى متقدموهم الرسل (حتى ذاقوا) غاية لامتداد التكذيب (بأسنا) الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم (قل هل عندكم من) زآئدة (علم) من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم (فتخرجوه لنا) فتظهروه لنا (ان تتبعون الا الظن) اى ما تتبعون فيما انتم عليه من الشرك والتحريم الا الظن الباطل من غير علم ويقين (وان انتم الا تخرصون) تكذبون على الله تعالى (قل فلله الحجة البالغة) الفاء جواب شرط محذوف اى واذ قد ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة اى البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والثبات اوبلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان (فلوشاء) هدايتكم جميعا (لهداكم اجمعين) بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم لصرف اختيارهم الى سلوك طريق الحق وضلال آخرين لصرف هممهم الى خلاف ذلك (قل هلم) اسم فعل اى احضروا (شهدآءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا) وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم ومذهبهم لا من يشهد بصحة دعواهم كائنا من كان ولذلك قيد الشهدآء بالاضافة اليهم وانما امروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم (فان شهدوا) بعدما حضروا بان الله تعالى حرم هذا (فلا تشهد معهم) اى فلا تصدقهم فانه كذب محض وبين لهم فساده (ولا تتبع اهوآء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة) كعبدة الاوثان والموصول الثانى عطف على الموصول الاول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف فان من يكذب بآياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس (وهم بربهم يعدلون) اى يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع اهوآء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك به سبحانه لكن لا على ان يكون مدار النهى المذكور بل على ان اولئك جامعون لها متصفون بكلها واعلم ان الله تعالى احل الطيبات ورد ما كان اهل الجاهلية يفعلونه من تحريم من عند انفسهم لان الدين يبتنى على الوحى لا على الهوى وحرم الخبائث كالخمر والميتة والدم والخنزير وغير ذلك تناولها وبيعها لان ما يحرم تناوله يحرم بيعه واكل ثمنه بخلاف ما اذا كان الانتفاع بغير ذلك كشحوم الميتة فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فان ذلك ليس بحرام وما حرمه الله تعالى اما ان يكون بلاء ونقمة كما فعل اليهود وجزآء على انفسهم واما ان يكون رحمة ومنة لعلمه ان فيه ضررا نفسانيا اوروحانيا فالنفسانى كضرر السم وامثاله والروحانى كضرر لحوم السباع والمؤذيات وامثالها فانه يتعدى اخلاقها تغير الاخلاق الروحانية كما قال عليه السلام الرضاع يغير الطباع ومن ثم لما دخل الشيخ ابو محمد الجوينى بيته ووجد ابنه الامام ابا المعالى يرتضع ثدى غير امه اختطفه منها ثم نكس رأسه ومسح بطنه وادخل اصبعه فى فيه ولم يزل يفعل ذلك حتى خرج ذلك اللبن قائلا يسهل على موته ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير امه ثم لما كبر الامام كان اذا حصلت له كبوة فى المناظرة يقول هذه من بقايا تلك الرضعة فعلم ان من ارتضع امرأة فالغالب عليه اخلاقها من خير وشر وكذا لحوم الحيوانات لها تأثير عظيم وفى الحديث عليكم بالبان البقر وسمنانها واياكم ولحومها فان البانها وسمنانها دوآء وشفاء ولحومها دآء وقد صح ان النبى عليه السلام ضحى عن نسائه بالبقر قال الحليمى هذا ليبس الحجاز ويبوسة لحم البقر ورطوبة لبنها وسمنها فكانه يرى اختصاص ذلك به وهذا التأويل المستحسن والا فالنبى عليه السلام لا يتقرب الى الله تعالى بالدآء فهو انما قال ذلك فى البقر لتلك اليبوسة وجواب آخر انه عليه السلام ضحى بالبقر لبيان الجواز اولعدم تيسر غيره كذا فى المقاصد الحسنة ومن فوآئد سمن البقر انه لو شرب منه على الريق خمسين درهما ينفع للمجنون ويؤثر فى دفعه قال الفقيه ابو الليث يستحب للرجل ان يعرف من الطب مقدار ما يمتنع به عما يضر بدنه لان العلم علمان علم الابدان ثم علم الاديان واجاز عامة العلماء التداوى بالمحرمات عند الضرورة كاساغة اللقمة بالخمر اذا غص وفى الاشباه الطعام اذا تغير واشتد تغيره تنجس وحرم واللبن والزيت والسمن اذا انتن لا يحرم اكله والدجاجة اذا ذبحت ونتف ريشها واغليت فى الماء قبل شق بطنها صار الماء نجسا وصارت نجسة بحيث لا طريق لاكلها الا ان تحمل الهرة اليها لا ان تحمل الى الهرة فعلى العاقل ان يحترز عن الحرام وعما يضر بالبدن ومن المضر الامتلاء كما قال عليه السلام

رأس الدآء الامتلاء ورأس الدواء الاحتماء ان حكيمى كه در حكمت سفت * كل قليلا تعش كثيرا كفت (قال السعدى قدس سره) ندارند تن پروران آكهى * كه پر معده باشد ز حكمت تهى * ومن الله التوفيق (قل) يا محمد لكفار مكة (تعالوا) امر من تعالى والاصل فيه ان يقوله من فى مكان عال لمن هو اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم فتكلم به كل من طلب ان يتقدم ويقبل اليه شخص سوآء كان الطالب فى علو اوسفل اوغيرهما (اتل) جواب الامر اى اقرأ (ما حرم ربكم) اى الذى حرمه ربكم اى الآيات المشتملة عليه (عليكم) متعلق بحرم (ان) مفسرة (لا) ناهية (تشركوا به) تعالى (شيأ) من الاشياء فتقدير الكلام ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا به شيأ اعلم ان هذه الايات الثلاث الى قوله لعلكم تتقون تشتمل على عشر خصال جامعة للخير كاه لم ينسخهن شئ من جميع الكتب فهن محرمات على بنى آدم كلهم لم يختلفن باختلاف الامم والاعصار من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار واولهن قوله لا تشركوا به شيأ قدم الشرك لانه رأس المحرمات ولا يقبل الله تعالى معه شيأ من الطاعات وهو ينقسم الى جلى وخفى فالجلى عبادة الاصنام والخفى رؤية الاغيار مع الله الواحد القهار * تا دم وحدت زدى حافظ شوريده حال * خامهٔ توحيد كش بر ورق اين وآن (وبالوالدين احسانا) اى واحسنوا بهما احسانا اى لا تسيئوا اليهما لان المحرم هو الاساءة والامر بالشئ مستلزم للنهى عن ضده وكذا معنى اوفوا لا تبخسوا وانما وضع الامر موضع النهى للمبالغة فى ايجاب مراعاة حقوقهما فان مجرد ترك الاساءة غير كاف فى قضاء حقوقهما وهذا هو الامر الثانى من الاحكام العشرة وانما ذكر بعد تحريم الشرك تحريم العقوق لان الوالدين سببان قريبان لوجوده كما ان الله تعالى موجده فالتقاعد عن اداء حقوقهما عقوق فهو اكبر الكبائر بعد الشرك قال بعض الاولياء كنت فى تيه بنى اسرائيل فاذا رجل يماشينى فتعجبت به والهمت انه الخضر فقلت له بحق الحق من انت قال انا اخوك الخضر قلت باى وسيلة رأيتك قال ببرك امك * جنت كه سراى مادرانست * زير قدمات مادرانست (ولا تقتلوا اولادكم) اى لا تدفنوا بناتكم حية (من املاق) من اجل فقر والاملاق نفاد الزاد والنفقة يقال املق الرجل اذا نفد زاده ونفقته من الملق وهو بذل المجهود فى طلب المراد (نحن نرزقكم واياهم) لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وهذا هو الحكم الثالث من الاحكام العشرة وانما حرم قتل الاولاد لما فيه من هدم بنيان الله وملعون من هدم بنيانه وفيه ابطال ثمرة شجرته ومحصوده وقطع نسله وترك التوكل فى امر الرزق يؤدى الى تكذيب الله تعالى لانه قال وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها * ما آبروى فقر وقناعت نمى بريم * با پادشه بكوى كه روزى مقدراست (ولا تقربوا الفواحش) اى الزنى وجيئ بصيغة الجمع قصدا الى النهى عن انواعها ولذلك ابدل منها بدل اشتمال قوله (ما ظهر منها وما بطن) اى ما يفعل منها علانية فى الحوانيت كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو عادة اشرافهم وهذا هو الحكم الرابع منها وتوجيه النهى الى قربانها للمبالغة فى النهى عنها ويدخل فى ذلك ما يبعده من الجنة ويدنيه من النار وهو ما ظهر وما يبعده من الحق ويحجبه عنه وان لم يحجبه عن الجنة ولم يبعده منها وهو ما بطن وايضا ما ظهر منها بالفعل وما بطن بالنية ومن الزنى زنى النظر * اين نظر از دور چون تير است بسم * عشقت افزون ميشود صبرتو كم * وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الشيطان من الرجل فى ثلاثة منازل فى عينيه وفى قلبه وفى ذكره وهو من المرأة فى ثلاثة منازل فى عينيها وفى قلبها وفى عجزها (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله) اى حرم قتلها بان عصمها بالاسلام اوبالعهد فيخرج منها الحربى (الا بالحق) استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تقتلوها فى حال من الاحوال الا حال ملابستكم بالحق الذى هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنى بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة وهذا هو الحكم الخامس وفى القتل ترك تعظيم امر الحق وترك الشفقة على الخلق وهما ملاك الدين والاشارة ان القتل الحق هو القتل فى طلب الحق والمقتول فى سبيل الله هو حى عند ربه وعن ابى سعيد الخراز كنت بمكة فجزت يوما بباب بنى شيبة فرأيت شابا حسن الوجه ميتا فنظرت فى وجهه فتبسم فى وجهى وقال لى يا ابا سعيد اما علمت ان الاحباب احياء وان ماتوا وانما ينقلون من دار الى دار * مشو بمرك ز امداد اهل دل نوميد * كه خواب مردم آكاه عين بيداريست (ذلكم) اشارة الى ما ذكر من التكاليف الخمسة (وصاكم به) اى امركم ربكم بحفظه امرا مؤكدا

لعلكم

(لعلكم تعقلون) اى تستعملون عقولكم التى تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة (ولا تقربوا مال اليتيم) اى لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه واليتيم من الانسان من لا اب له ومن الحيوان من لا ام له والخطاب للاولياء والاوصياء (الا بالتى هى احسن) الا بالخصلة التى هى احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره (حتى يبلغ اشده) غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهى كانه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه وجعل ابو حنيفة غاية الاشد خمسا وعشرين سنة فاذا بلغها دفع اليه ماله ما لم يكن معتوها قال الجوهرى حتى يبلغ اشده اى قوته وهو ما بين ثمانى عشرة الى ثلاثين وهو واحد جاء على بناء الجمع مثل آنك وهو الاسرب ولا نظير لهما وكان سيبويه يقول واحدته شدة وهذا هو الحكم السادس وانما وصى الله تعالى بحفظ مال اليتيم لانه عاجز فتولى الله امره وامر بالشفقة والنظر فى حقه * الا تا نكريد كه عرش عظيم * بلرزد همى چون بكريد يتيم (واوفوا الكيل) فى المكيلات اى اتموه ولا تنقصوا منه شيأ (والميزان) فى الموزونات وهو بالفارسى ترازو (بالقسط) حال من فاعل اوفوا اى اوفوهما مقسطين اى ملتبسين بالقسط وهو العدل فان قيل ايفاء الكيل والميزان هو عين القسط فما فائدة التكرير قلنا ان الله تعالى امر المعطى بايفاء ذى الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق باخذه من غير طلب زيادة (لا نكلف نفسا الا وسعها) الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر للايذان بان مراعاة العدل عسير فعليكم بما فى وسعكم وما وراءه معفو عنكم فاذا اجتهد الانسان فى الكيل والوزن ووقعت فيه زيادة يسيرة اونقصان يسير لم يؤاخذ به اذا اجتهد جهده وان اعيد الكيل على ذلك فزاد اونقص لم يثبت التراجع اذا كان ذلك القدر من التفاوت مما يقع بين الكيلين واما التقصير القصدى فليس بعفو وينبغى الاحتياط بقدر الامكان روى عن بعضهم انه قال لبعض الناس وهو فى النزع وكان يعامل الناس بالميزان قل لا اله الا الله فقال ما اقدر اقولها لسان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها قال فقلت له اما كنت توفى الوزن قال بلى ولكن ربما كان يقع فى الميزان شئ من الغبار لا اشعر به وعن مالك ابن دينار انه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من النار بين يدى اكلف الصعود عليهما قال مالك فسألت اهله فقالوا كان له مكيالان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت احدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال ما يزداد الامر الا شدة وهذا هو الحكم السابع والاشارة اوفوا بكيل العمر وميزان الشرع حقوق الربوبية واستوفوا بكيل الاجتهاد وميزان الاقتصاد حظوظ العبودية من الالوهية لا نكلف نفسا فى ايفاء الحقوق واستيفاء الحظوظ الا بحسب استعدادها (ع) هر كس بقدر بال وپر خويش مى پرد (واذا قلتم) قولا فى حكومة اوشهادة اونحوهما (فاعدلوا) فيه (ولو كان) المقول له اوعليه (ذا قربى) اى ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا لان مدار الامر اتباع الحق المشروع وطلب مرضاة الله تعالى فلا فرق بين ذى قرابة واجنبى وهذا هو الحكم الثامن وحقيقة العدل فى الكلام ان يذكر الله ولا يذكر معه غيره وان يتكلم لله وفى الله وبالله وهذا لا يتيسر الا لارباب التحقيق فان كلام غيرهم مشوب بالغرض والدعوى * بانك هدهد كر بياموزد فتى * راز هدهد كو وپيغام سبا (وبعهد الله اوفوا) اى ما عهد اليكم اى عهد كان من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع وغيرهما فهو مضاف الى الفاعل اوما عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور فهو مضاف الى المفعول ويحتمل ان يراد به العهد بين الانسانين ويكون اضافته الى الله تعالى من حيث انه امر بحفظه والوفاء به * وفاء عهد نكو باشد ار بياموزى * وكرنه هر كه تو بينى ستمكرى داند * وهذا هو الحكم التاسع وحقيقة العهد ان لا يعبد الا مولاه ولا يحب الا اياه ولا يرى سواه * از دم صبح ازل تا آخر شام ابد * دوستى ومهر بر يك عهد ويك ميثاق بود (ذلكم) اشارة الى ما فصل من التكاليف الاربعة (وصاكم به) امركم به امرا مؤكدا (لعلكم تذكرون) تتذكرون ما فى تضاعيفه وتعملون بمقتضاه (وان) بتقدير اللام علة للفعل المؤخر اى ولان (هذا) اى ما ذكر فى هذه السورة من اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة (صراطى) اى مسلكى وشريعتى وسمى الشرع طريقا لانه يؤدى الى الثواب فى الجنة ومعنى اضافته الى ضميره عليه السلام انتسابه اليه من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما فى صراط الله (مستقيما) حال مؤكدة اى مستويا قويما (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) اى الطرق المختلفة الى عدا هذا الطريق مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل (فتفرق بكم) منصوب باضمار ان بعد الفاء

فى جواب النهى اصله فتتفرق حذفت منه احدى التاءين والباء للتعدية اى فتفرقكم وتزيلكم (عن سبيله) اى
عن دين الله الذى ارتضى وبه اوصى وهو الاسلام وفيه تنبيه على ان صراطه عليه السلام عين سبيله تعالى
وهذا هو العاشر من الخصال * خلاف پیمبر کسی ره کزید * که هرکز بمنزل نخواهد رسید *
محالست سعدی که راه صفا * توان رفت جز در پی مصطفا (ذلكم) اى اتباع سبيله وترك اتباع سائر السبل
(وصاكم به لعلكم تتقون) اتباع سبيل الكفر والضلالة ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية خط
خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان
يدعو اليه واعلم ان الشرع ههنا هو الصراط المستقيم وهو احدّ من السيف وادق من الشعر ولذا الانزال
فى كل ركعة من الصلاة تقول اهدنا الصراط المستقيم ومن زل عن هذا الصراط فى الدنيا زل عن صراط الآخرة
ايضا قال عليه السلام الزالون عن الصراط كثير واكثر من يزل عنه النساء واكثر الرجال فى هذا الزمان فى حكم
النساء فى اتباع الشهوات والاخذ بالعادات والدين بدا غريبا وعاد غريبا فلا يوجد من يستأنس به ويستأهل له
الا نادرا (قال فى التفسير الفارسى) محققان برآنند كه صراط متعين نكردد الا ميان بدايتى ونهايتى وعارف داند كه
بدايت همه از يكيست ونهايت همه بيكيست وشيخ صدر الدين قدس سره قونوى در اعجاز البيان فرموده كه
احاطۀ حق بهمه ثابت است والله بكل شئ محيط وان احاطۀ وجودى يا علمى باختلاف اقوال منتهاى سر
صراط وغايت سير سالك خواهد چنانچه فرمود * صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا
الى الله تصير الامور * هر جا قدمى زديم در كوى تو بود * هر كوشه كه رفتيم سوى تو بود * كفتيم
مكر سوى دكر راهى هست * هر راه كه ديديم همه سوى تو بود (ثم آتينا موسى الكتاب) عطف على
مقدر اى فعلنا تلك التوصية باتباع صراط الله ثم آتينا موسى الكتاب اى التوراة وثم للتراخى فى الاخبار كما فى
قولك بلغنى ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب (تماما) مصدر من اتم بحذف الزوائد اى اتماما للكرامة
والنعمة (على الذى احسن) اى على من احسن القيام به كائنا من كان من الانبياء والمؤمنين (وتفصيلا لكل
شئ) وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه فى الدين وهذا لا ينافى الاجتهاد فى شريعتهم كما لا ينافى فى قوله تعالى
فى آخر سورة يوسف وتفصيل كل شئ فى شريعتنا لان التفصيل فى الاصول والاجتهاد فى الفروع (وهدى)
من الضلالة (ورحمة) نجاة من العذاب لمن آمن به وعمل بما فيه (لعلهم) اى بنى اسرائيل المدلول عليهم بذكر
موسى (بلقاء ربهم يؤمنون) الباء متعلقة بيؤمنون اى كى يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب (وهذا)
اى القرآن (كتاب انزلناه) ليس من قبل الرسول كما زعم المنكرون (مبارك) اى كثير النفع دينا ودنيا قال
فى التأويلات النجمية مبارك عليك وبركته انه انزل على قلبك يجعل خلقك القرآن ومبارك على امتك
بانه حبل بينهم وبين ربهم ليوصلهم اليه بالاعتصام (فاتبعوه) واعملوا بما فيه (واتقوا) مخالفته (لعلكم ترحمون)
بواسطة اتباعه والعمل بموجبه (ان تقولوا) على حذف المضاف كما هو رأى البصريين اى انزلناه كراهة ان تقولوا
يا اهل مكة يوم القيامة لم تنزله (انما انزل الكتاب) اى التوراة والانجيل (على طائفتين) كائنتين (من قبلنا) وهما
اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فى انما لاشتهارهما الكتابين يومئذ فيما بين الكتب السماوية (وان) مخففة اى
وانه (كنا عن دراستهم) قراءتهم ولم يقل عن دراستهما لان كل طائفة جماعة (لغافلين) لا ندرى ما فى كتابهم
اذ لم يكن على لغتنا فلم نقدر على قراءته (او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب) كما انزل عليهم (لكنا اهدى منهم) الى
الحق الذى هو المقصد الاقصى او الى ما فى تضاعيفه من جلائل الاحكام والشرائع ووقائعها لحدة اذهاننا
وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب مع انا اميون (فقد جاءكم) متعلق
بمحذوف معلل به اى لا تعتذروا بذلك القول فقد جاءكم (بينة) كائنة (من ربكم) اى حجة واضحة (وهدى
ورحمة) عبر عن القرآن بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته لانه على لغتهم ثم بالهدى والرحمة (فمن اظلم) اى
لا احد اظلم (ممن كذب بآيات الله) اى القرآن (وصدف عنها) اى صرف الناس عنها فجمع بين الضلال
والاضلال فى القاموس صدف عنه يصدف اعرض وفلانا صرفه (سنجزى الذين) بالفارسى زود باشد كه
جزادهيم آنانرا كه (يصدفون) الناس (عن آياتنا) وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء
ضلالتهم ايضا (سوء العذاب) اى شدته (بما كانوا يصدفون) اى بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على

التجدد

التجدد والاستمرار فعلى العاقل ان يعمل بالقرآن ويرغب غيره بقدر الامكان لانه يكون شريكه فى الثواب
الفائض من الله الوهاب والمعرض عن القرآن الذى هو غذاء الارواح كالمعرض عن شراب السكر الذى هو
غذاء الاشباح وله ظاهر فسره العلماء وباطن حققه اهل التحقيق وكل قد علم مشربه وفى الحديث انزل القرآن
على سبعة احرف اى على سبع لغات وهى لغات العرب المشهورين بالفصاحة من قريش وهذيل وهوازن واليمن
وطى وثقيف تسهيلا وتيسيرا ليقرأ كل طائفة بما يوافق لغتهم بشرط السماع من النبى عليه السلام اذ لو كلفوا
القراءة بحرف واحد لشق عليهم اذ الفطام عن المألوف شاق او على سبع قراآت وهى التى استفاضت من النبى
عليه السلام وضبطتها الامة واضافت كل حرف منها الى من كان اكثر قراءة به من الصحابة ثم اضيفت كل
قراءة منها الى من اختارها من القراء السبع وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى
ويقال ان جاحد القراآت السبع كافر وجاحد الباقى آثم مبتدع ولما تنزل القرآن العظيم من عالم الحقيقة كتب
فى جميع الالواح وفى لوح هذا التعين حق فى لوح وجودك واودع القابلية فى كل منهم للقراءته ومعرفته
والمقصود الاصلى هو العمل به والتخلق باخلاقه دون تصحيح المخرج ورعاية ظاهر النظم فقط ونعم قول من قال
نقد عمرش ز فكرت معوج * خرج شد در رعايت مخرج * صرف كردش همه حيات سره * در قراآت
سبعه وعشره (قال الحافظ) عشقت رسد بفرياد كر خود بسان حافظ * قرآن ز بر بخوانى در چارده
روايت * وفى الحديث لو كان القرآن فى اهاب ما مسته النار قال القاضى البيضاوى اى لو صور القرآن
وجعل فى اهاب والقى فى النار ما مسته ولا احرقته ببركة القرآن فكيف بالمؤمن الحامل له المواظب على تلاوته
وعن على رضى الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ على غير وضوء
فعشر حسنات وروى عن بعض الاخيار من اهل التلاوة للقرآن الكريم انه لما حضرته الوفاة كان كلما قالوا
قل لا اله الا الله قال بسم الله الرحمن الرحيم طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الى قوله الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى فلم يزل يعيدها كلما اعادوا عليه حتى مات على هذه الآية الكريمة فظهر ان الموت على ما عاش عليه
الشخص وكان حرفة رجل بيع الحشيش وهو غافل عن الله فلما حضرته الوفاة كان كلما قيل له قل لا اله الا الله قال
حزمة بفلس نسأل الله تعالى التوفيق للموت على الاسلام (هل ينظرون) هل استفهامية معناه النفى وينظرون
بمعنى ينتظرون فان النظر يستعمل فى معنى الانتظار كانه قيل انى اثبت على اهل مكة الحجة وانزلت عليهم الكتاب
فلم يؤمنوا فما ينتظرون (الا ان تأتيهم الملائكة) اى ملك الموت واعوانه لقبض ارواحهم (او يأتى ربك) اى
امره بالعذاب والانتقام وقال البغوى او يأتى ربك بلا كيف لفصل القضاء بين موقف القيامة انتهى او المراد
باتيان الرب اتيان كل آية يعنى آيات القيامة والهلاك الكلى بقرينة قوله تعالى (او يأتى بعض آيات ربك)
يعنى اشراط الساعة التى هى الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب
والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن وهم
ما كانوا منتظرين لاحد هذه الامور الثلاثة وهى مجيء الملائكة او مجيء الرب او مجيء الآيات القاهرة من الرب
لكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين (يوم يأتى بعض آيات ربك) ظرف لقوله (لا ينفع نفسا
ايمانها) كالمحتضر فان معاينة اشراط الساعة بمنزلة نفسها ووقوع العيان يمنع قبول الايمان لانه انما يقبل اذا كان
بالغيب (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا اى من قبل اتيان بعض الآيات (او كسبت فى ايمانها خيرا) الآية
تقتضى ان لا ينفع الايمان بدون العمل الصالح ومذهب اهل السنة انه نافع حيث ان صاحبه لا يخلد فى النار
قال حضرة الشيخ الشهير بالهدائى الاسكدارى فى الواقعات لاح لى فى توفيق هذه الآية على مذهب اهل
السنة وجهان الاول ان يكون قوله او كسبت معطوفا على آمنت المقدر لا على آمنت المذكور والتقدير لا ينفع
نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل سواء آمنت ايمانا مجردا او كسبت فى ايمانها خيرا والثانى ان يعطف على
آمنت المذكور ولكن يعتبر فى اللف مقدر فيكون النشر ايضا على اسلوبه والتقدير لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها
خيرا لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا (قل انتظروا) ما تنتظرونه من اتيان احد الامور الثلاثة
لتروا اى شئ تنتظرون (انا منتظرون) لذلك وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل بما حل بكم من سوء العاقبة قال
البغوى المراد ببعض الآيات طلوع الشمس من مغربها وعليها اكثر المفسرين قال الحدادى فى تفسيره قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غربت الشمس رفع بها الى السماء السابعة فى سرعة طيران الملائكة وتحبس
تحت العرش فتستأذن من اين تطلع امن مطلعها او من مغربها وكذلك القمر فلا تزال كذلك حتى يأتى الله
بالوقت الذى وقته لتوبة عباده وتكثر المعاصى فى الارض ويذهب المعروف فلا يأمر به احد وينتشر المنكر
فلا ينهى عنه احد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس تحت العرش فاذا مضى مقدار ليلة سجدت واستأذنت ربها
من اين تطلع فلم يحر لها جوابا حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من اين يطلع فلا يحير له جوابا
فيحبسان مقدار ثلاث ليال فلا يعرف مقدار تلك الليلة الا المتهجدون فى الارض وهم يومئذ عصابة قليلة فى
هوان من الناس فينام احدهم تلك الليلة مثل ما ينام قبلها من الليالى ثم يقوم فيتهجد ورده فلا يصبح فينكر ذلك
فيخرج وينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم مستديرة فينكر ذلك ويظن فيه الظنون فيقول اخففت
قرآتى ام قصرت صلاتى ام قمت قبل حينى ثم يقوم فيعود الى مصلاه فيصلى نحو صلاته فى الليلة الثانية ثم ينظر
فلا يرى الصبح فيشتد به الخوف فيجتمع المتهجدون من كل بلدة فى تلك الليلة فى مساجدهم ويجأرون الى الله
بالبكاء والتضرع فيرسل الله جبريل الى الشمس والقمر فيقول انهما ان الله يأمركما ان ترجعا الى مغربكما
فتطلعا منه فانه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلا من الله بكاء يسمعه اهل السموات السبع
واهل سرادقات العرش ثم يبكى من فيهما من الخلائق من خوف الموت والقيامة فبينما المتهجدون يبكون
ويتضرعون والغافلون فى غفلاتهم اذا بالشمس والقمر قد طلعا من المغرب اسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر
كصفتهما فى كسوفهما فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر فيرتفعان كذلك مثل البعيرين ينازع كل واحد
منهما صاحبه استباقا فيتصارخ اهل الدنيا حينئذ ويبكون فاما الصالحون فينفعهم بكاؤهم ويكتب لهم
عبادة واما الفاسقون فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب ذلك عليهم حسرة وندامة فاذا بلغ الشمس والقمر سرة
السماء ومنتصفها جاء جبريل فاخذ بقرونهما فردهما الى المغرب فيغربان فى باب التوبة فقال عمر رضى الله عنه
بابى انت وامى يا رسول الله ما باب التوبة فقال يا عمر خلق الله بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب
وما بين المصراع الى المصراع اربعون سنة للراكب فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه الى صبيحة تلك
الليلة عند طلوع الشمس من مغربها فاذا غربا فى ذلك الباب رد المصراعان والتأم بينهما فيصير كان لم يكن
بينهما صدع فاذا اغلق باب التوبة لم يقبل للعبد توبة بعد ذلك ولم ينفعه حسنة يعملها الا من كان قبل ذلك
محسنا فانه يجزى قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت
من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا وانما لم يقبل الايمان فى ذلك الوقت لانه ليس بايمان اختيارى فى الحقيقة
وانما هو ايمان لخوف الهلاك قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا (قال السعدى) چه
سود از دزدى آنكه توبه كردن * كه نتوانى كمند انداخت بر كاخ * بلند از ميوه كوكوتاه كن دست *
كه اين كوته ندارد دست بر شاخ * وعدم قبول الايمان والتوبة غير مخصوص بمن يشاهد طلوع الشمس
من المغرب وهو الاصح والظاهر ان من تولد بعد طلوعها او ولد قبله ولم يكن مميزا بعد ذلك يقبل ايمانه وجعله
فى شرح المصابيح اصح قالت عائشة رضى الله عنها اذا خرجت اول الايات طرحت الاقلام وحبست الحفظة
وشهدت الاجساد بالاعمال قال الامام السيوطى رحمه الله يظهر المهدى قبل الدجال بسبع سنين ويخرج
الدجال قبل طلوع الشمس بعشر سنين ويقوم المهدى سنة مائتين بعد الالف او اربع ومأتين والله اعلم وقبل
ظهور المهدى اشراط اخر من خروج بنى الاصفر وغيره وفى التأويلات النجمية ان الله تعالى جعل نفس الانسان
وقلبه ارضا صالحا القبول بذر الايمان وانباته وتربيته كما قال عليه السلام لا اله الا الله ينبت الايمان فى القلب
كما ينبت الماء البقلة فالبذر هو قول المرء اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله عند تصديق القلب بشهادة
اللسان وانما كان زمان هذه الزراعة زمان الدنيا لا زمان الآخرة ولهذا قال عليه السلام الدنيا مزرعة
الآخرة فلا ينفع نفسا فى زمان الآخرة بذر ايمانها لم تكن بذرت من قبل فى زمان الدنيا او كسبت فى ايمانها
خيرا من الاعمال الصالحة التى ترفع الكلمة الطيبة وهى لا اله الا الله وتجعلها شجرة طيبة مثمرة تؤتى اكلها
كل حين باذن ربها من ثمار المعرفة والمحبة والكشف والمشاهدة والوصول والوصال ونيل الكمال انتهى
ما فى التأويلات ونسأل الله ان يرزقنا التوفيق لتحقيق التوحيد (ان الذين) اى اليهود والنصارى (فرقوا

دينهم) اى بددوه وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم (وكانوا شيعا) جمع شيعة يقال شايعه على الامر
اذا اتبعه اى فرقا تشيع كل فرقة اماما لها قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم
فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الا واحدة وستفترق امتى
على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من اهل الكتابين انما هو
بالنظر الى العصر الماضى قبل النسخ واما بعده فالكل فى الهاوية (لست منهم فى شئ) لست من البحث عن
تفرقهم والتعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمؤاخذة فى شئ (انما امرهم الى الله) تعليل للنفى المذكور
اى هو يتولى وحده اولاهم واخراهم ويدبرهم كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة (ثم ينبئهم) اى يوم القيامة
(بما كانوا يفعلون) عبر عن اظهاره بالتنبيه لما بينهما من الملابسة فى انهما سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا
جاهلين بحال ما ارتكبوه عن سوء عاقبته اى يظهر لهم على رؤس الاشهاد ويعلمهم اى شئ شنيع كانوا يفعلونه
فى الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء واعلم ان كل فعل شنيع وعمل قبيح فى الدنيا يتصور
بصورة قبيحة فى الآخرة وهو قد كان بصورة قبيحة فى الدنيا ايضا لكنه برز لفاعله فى صورة مستحسنة امتحانا
وابتلاء فصار كالشهد المختلط بالسم نعوذ بالله من سيئات الاعمال حفت الجنة بمكروهاتنا وحفت النيران
بشهواتنا يعنى جعلت الجنة محفوفة بالاشياء التى كانت مكروهة لنا وجعلت النار محاطة بالاشياء التى كانت
محبوبة لنا يعنى ان نفوسنا تميل اليها وتحب ان تفعلها لكونها على وفق هواها فكما ان فى الافاق فرقا مختلفة
ينفى بعضهم الصانع وبعضهم صفاته وبعضهم يعتقد فى حقه تعالى ما لا يجوز اعتقاده وبعضهم يجرى على
ما جرى عليه الانبياء والاولياء من حسن العقيدة وصالح العمل كذلك فى الانفس قوى مختلفة لا تتحد فى البنية
ولا تجتمع على امر واحد فالطبيعة على التشهى والنفس على الهوى والروح على الاقبال الى المولى والدين
الحقيقى الذى فيه كمالية الانسان انما يوجد بتوافق الظاهر والباطن فمن فارقه بقلبه وتمسك ببعض شعاره
وبظاهره رياء وسمعة فهو من فرق اهل الدعوى من غير المعنى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى مخاطبا
لحضرة الهدائى قدس الله اسرارهما اشكر الله على عدم اقترانك بالملاحدة فان الالحاد كمرض الجذام
بعيد عن الاصلاح قال واظن انهم لا يخرجون من النار لانهم فى دعوى المقال بدون الحال انتهى ومن المدعين
القلندرية وهم الذين يقصون لحاهم وشعورهم بل يحلقون * قلندرى نه بريشست وموى ويا ابرو *
حساب راه قلندر بدانكه موى بموست * كذشتن از سر مو در قلندرى سهلست * چو حافظ انكه
ز سر بكذرد قلندر اوست * ومن الفرق المبتدعة الجوالقية وهم الذين يحلقون لحاهم ويلبسون الجوالق
والكساء الغليظ وقد نهى النبى عليه السلام عن لباس الشهرة سواء كان من جنس الرقيق او الغليظ لانه
اشتهار بذلك وامتياز عن المسلمين به وقد قال عليه السلام كن كواحد من الناس ولا ينفع الجوالق والكساء
اذا كان المرء صاحب الرياء (قال السعدى) بروى ريا خرقه سهلست دوخت * كرش با خدا در توانى
فروخت * كر آوازه خواهى در اقليم فاش * برون حله كن كو درون حشو باش (وقال) در وغزا
كند مرد بايد بود * بر مخنث سلاح جنك چه سود * وكان الشيخ قطب الدين حيدر مجذوبا صاحب
حال جدا حتى حكى انه اخذ حديدا حارا من كير حداد صار كقطعة نار والقاه على عنقه ساعة فلم يحترق فاخذ
الحيدرية بذلك ولبسوا الحديد تقليدا ولبس الحديد اكثر اثما من لبس الذهب فعلى العاقل ان يجتنب عن البدعة
واهلها وروى ان ابن المبارك رؤى فى المنام فقيل له ما فعل ربك بك فقال عاتبنى واوقفنى ثلاثين سنة بسبب
انى نظرت باللطف يوما الى مبتدع فقال انك لم تعاد عدوى فى الدين فكيف حال القاعد بعد الذكرى مع
القوم الظالمين واعلم ان اهل الهوى والبدعة ليس مخصوصا بالبشر كما قال الاعمش تزوج الينا جنى فقلت له
ما احب الطعام اليكم فقال الارز فقال فأتيناه به فجعلت ارى اللقم ترفع ولا ارى احدا فقلت هل فيكم من هذه
الاهواء التى فينا قال نعم قلت فما الرافضة فيكم قال شرنا والروافض هم الذين رفضوا زيد بن على بن الحسين
ابن على بن ابى طالب لعدم تبريه من ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ولزم هذا اللقب كل من غلا فى مذهبه واستجاز
الطعن فى الصحابة واصله ان زيدا خرج بالكوفة داعيا لنفسه فبايعه جماعة من اهلها واتاه طائفة من اهل
الكوفة وقالوا تبرأ من ابى بكر وعمر نبايعك فابى فقالوا اذا نرفضك فمن ذلك سموا الروافض وقالت طائفة من اهل

الكوفة تولاهما وتبرأ ممن تبرأ منهما وخرجوا مع زيد فسموا الزيدية وسبب بغضهم للاصحاب انه لما وقعت الهزيمة
فى غزوة احد ونادى الشيطان ان قد مات محمد اعتقده الاصحاب غير على رضى الله عنه حتى وقع النزاع فقال كرم
الله وجهه هل اقتلكم لولم يكن واقعا قالوا نعم فلما ظهر خلافه عفا عنهم فمن ثم احبوا عليا و تركوا الباقى
وابغضوه * چون خدا خواهد كه پردهٔ كس درد * ميلش اندر طعنهٔ پاكان برد * فعلى العاقل ان يحب
الصالحين حبا شديدا كى ينال منهم شفاعة يوم القيامة فويل لمن كان شفعاؤه خصماءه اللهم اعصمنا ولا تزغ
قلوبنا واهدنا وسددنا فمنك التوفيق لسلوك طريق التحقيق (من جاء بالحسنة) اى من جاء يوم القيامة بالاعمال
الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان قال القاضى عياض انعقد الاجماع على ان الكفار لا تنفعهم
اعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب لكن بعضهم يكون اشد عذابا من بعض بحسب جرائمهم انتهى
نعم اذا اسلموا يثابون على الخيرات المتقدمة لما ورد فى الحديث حسنات الكفار مقبولة بعد اسلامهم وفى تفسير
الكاشفى هركه بيايد در دنيا بنكويى (فله عشر امثالها) اى فله عشر حسنات امثالها فضلا من الله تعالى
فالامثال ليس مميزا للعشر بل مميزها هو الحسنات والامثال صفة لمميزها ولذا لم يذكر التاء للعشر وقيل انما انث
عشر وان كان مضافا الى ما مفرده مذكر لاضافة الامثال الى مؤنث هو ضمير الحسنة كقوله تعالى يلتقطه بعض
السيارة (ومن جاء بالسيئة) اى بالاعمال السيئة كائنا من كان من العاملين (فلا يجزى الا مثلها) بحكم الوعد
واحدة بواحدة فان قيل كفر ساعة يوجب عقاب الابد على نهاية التغليظ فاوجه المماثلة واجيب بان الكافر
على عزم انه لو عاش ابدا لبقى على ذلك الاعتقاد فلما كان العزم مؤبدا عوقب بعقاب الابد بخلاف المسلم المذنب
فانه يكون على عزم الاقلاع عن ذلك الذنب فلا جرم كانت عقوبته منقطعة (وهم لا يظلمون) بنقص الثواب
وزيادة العقاب قال الحدادى وانما قال ذلك لان التفضل بالنعم جائز والابتداء بالعقاب لا يجوز انتهى واعلم
ان الحسنات العشر اقل ما وعد من الاضعاف (قال السعدى) نكوكارى از مردم نيك راى * يكى را بده
مينو يسد خداى * تو نيزاى پسر هر كرا يك هنر * به بينى زده عيبش اندر گذر * وقد جاء الوعد
بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر فى العدد الخاص كما يقول
القائل لئن اسديت الى معروفا لاكافئنك بعشر امثاله وحكمة التضعيف لئلا يفلس العبد اذا اجتمع الخصماء
فى طاعته فيدفع اليهم واحدة ويبقى له تسع فمظالم العباد توفى من التضعيفات لا من اصل حسناته لان
التضعيف فضل من الله تعالى واصل الحسنة الواحدة عدل منه واحدة بواحدة وفى الحديث ويل لمن غلب
آحاده على اعشاره اى سيئاته على حسناته وفى الحديث الاعمال ستة موجبتان ومثل بمثل وحسنة بحسنة
وحسنة بعشر وحسنة بسبعمائة فاما الموجبتان فهو من مات ولا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات
وهو مشرك بالله دخل النار واما مثل بمثل فمن عمل سيئة فجزاء سيئة مثلها واما حسنة بحسنة فمن هم بحسنة
حتى تشعر بها نفسه ويعلمها الله من قلبه كتبت له حسنة واما حسنة بعشر فمن عمل حسنة فله عشر امثالها
واما حسنة بسبعمائة فالنفقة فى سبيل الله * كنون بر كف دست نه هرچه هست * كه فردا بدندان
گزى پشت دست * قال فى اسئلة الحكم اعلم ان الشارع قد يرتب الثواب للعمل لئلا يترك بل يرغب فيه
فلا يكون ذلك العمل افضل من العمل المؤكد عليه الذى لم يترتب عليه ذلك الثواب فمن ذلك قوله عليه السلام
من صلى الضحى اثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة من ذهب مع ان السنة الراتبة لفرض الظهر افضل من
الضحى ومن ذلك قوله عليه السلام من صلى ست ركعات بين المغرب والعشاء كتب الله له عبادة اثنتى عشرة
سنة مع ان سنة المغرب افضل من ذلك وانما رتب الثواب على ذلك لكثرة الغفلة فيه وامثال ذلك كثيرة
فى الاخبار فلا يفضل على الراتب المؤكد وان لم يعين اجره غير الراتب من النوافل وان رتب اجره وقد اتفق اهل
العلم انه لا يبلغ حد الفرض واجب وسنة راتبة اوغير راتبة فى الاجر والفضيلة فى عمل او حكم ولا يبلغ مرتبة
الراتبة نفل من الاحكام وان لم يتعين قدر اجرها فان السنن شرعت لتتميم نقائص الفرائض والنوافل الغير
الراتبة لتتميم نقائص السنن الراتبة فلا ينوب نفل مناب فرض يجب قضاؤه فقضاء فرض لا يسقط بالنوافل كما
يزعم بعض العوام يترك الفرائض ويرغب فى النوافل مما ورد كثرة الاجر عليه كالصلاة بعد المغرب يزعم سقوط
الفرائض بها وتنوب مناب القضاء وذلك غير مشروع اصلا وترتيب اجور الاعمال والاذكار موقوف على الوحى

والايهام لا قدم فيه لتخمين العقول والاشارة فى الاية ان الله تعالى من كمال احسانه مع العبد احسن اليه بعشر
حسنات قبل ان يعمل العبد حسنة واحدة فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها يعنى قبل ان يجيء
بحسنة احسن اليه بعشر حسنات حتى يقدر ان يجيء بالحسنة وهى حسنة الايجاد من العدم وحسنة
الاستعداد بان خلقه فى احسن تقويم مستعدا للاحسان وحسنة التربية وحسنة الرزق وحسنة بعثة
الرسل وحسنة انزال الكتب وحسنة تبيين الحسنات والسيئات وحسنة التوفيق وحسنة الاخلاص
فى الاحسان وحسنة قبول الحسنات ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها والسر فيه ان السيئة بذر يزرع
فى ارض النفس والنفس خبيثة لانها امارة بالسوء والحسنة بذر يزرع فى ارض القلب والقلب طيب لان
بذكر الله تطمئن القلوب وقد قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا
واما ما جاء فى القرآن والحديث من تفاوت الجزاء للحسنات فاعلم انه كما ان للاعداد اربع مراتب آحاد
وعشرات ومئات والوف والواحد فى مرتبة الآحاد واحد بعينه وفى مرتبة العشرات عشرة وفى مرتبة
المئات مائة وفى مرتبة الالوف الف فكذلك للانسان مراتب اربع النفس والقلب والروح والسر فالعمل
الواحد فى مرتبة النفس اى اذا صدر منها يكون واحدا بعينه كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها اذ هى
فى مرتبة الآحاد وفى مرتبة القلب يكون بعشر امثالها لانه بمرتبة العشرات وفى مرتبة الروح يكون بمائة
لانه بمرتبة المئات وفى مرتبة السر يكون بالف الى اضعاف كثيرة بقدر صفاء السر وخلوص النية الى ما لا
يتناهى لانه بمنزلة الالوف والله اعلم وهم لا يظلمون المعنى ان الله تعالى قد احسن اليهم قبل ان يحسنوا بعشر
حسنات شاملات للحسنات الكثيرة فلا يظلمهم بعد ان احسنوا بل يضاعف حسناتهم يدل عليه قوله تعالى
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما كذا فى التأويلات النجمية (قل)
يا محمد لكفار مكة الذين يدعون انهم على الدين الحق وقد فارقوه بالكلية (اننى هدانى ربى) اى ارشدنى بالوحى
وبما نصب فى الآفاق والانفس من الآيات التكوينية (الى صراط مستقيم) موصل الى الحق (دينا) بدل
من محل الى صراط والمعنى هدانى صراطا (قيما) مصدر بمعنى القيام وصف به الدين مبالغة والقياس قوما
كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام (ملة ابراهيم) عطف بيان لدينا والملة من امللت الكتاب اى امليته
وما شرعه الله لعباده يسمى ملة من حيث انه يدون ويملى ويكتب ويتدارس بين من اتبعه من المؤمنين ويسمى
دينا باعتبار طاعتهم لمن شرعه وسنه اى جعله لهم سننا وطريقا (حنيفا) حال من ابراهيم اى مائلا عن الاديان
الباطلة ميلا لا رجوع فيه (وما كان من المشركين) اى ما كان ابراهيم منهم فى امر من امور دينهم اصلا وفرعا
وانما اضاف هذا الدين الى ابراهيم لان ابراهيم كان معظما فى عيون العرب وفى قلوب سائر الاديان اذ اهل كل
دين يزعمون انهم ينتحلون الى دين ابراهيم عليه السلام فرد الله تعالى بقوله وما كان من المشركين على الذين
يدعون انهم على ملته عليه السلام عقدا وعملا من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى
المشركين بقولهم المسيح ابن الله والمشرك فى الحقيقة هو الذى يطلب مع الله تعالى شيأ آخر ومن الله غير الله
(قال السعدى) خلاف طريقت بود كاوليا * تمنا كنند از خدا جز خدا (قل) اعيد الامر لما ان المأمور به
متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها (ان صلاتى) يعنى الصلوات الخمس المفروضة (ونسكى) اى عبادتى
كلها واصل النسك كل ما تقربت به الى الله تعالى ومنه قولهم للعابد ناسك ويقال اراد بالصلاة صلاة العيد
وبالنسك الاضحية وعن انس رضى الله عنه عن رسول الله انه قرب كبشا املح اقرن فقال لا اله الا الله والله اكبر
ان صلاتى ونسكى الى قوله تعالى وانا اول المسلمين ثم ذبح فقال شعره وصوفه فداء لشعرى من النار وجلده فداء
لجلدى من النار ودمه فداء لدمى من النار ولحمه فداء للحمى من النار وعظمه فداء لعظمى من النار وعروقه
فداء لعروقى من النار فقالوا يا رسول الله هنيئا مريئا هذا لك خاصة قال لا بل لامتى عامة الى ان تقوم الساعة
اخبرنى جبريل عليه السلام عن ربى عز وجل (ومحياى ومماتى) اى وما انا عليه فى حياتى وما اكون عليه عند
موتى من الايمان والطاعة فالتقدير وذا محياى وذا مماتى بجعل ما يأتى به فى حياته وعند موته ذا حياته وذا موته
كقولك ذا اناتك تريد الطعام فاضافته بادنى ملابسة (لله رب العالمين لا شريك له) اى خالصة له تعالى لا اشرك
فيها غيره (وبذلك) الاخلاص (امرت) لا بشئ غيره (وانا اول المسلمين) لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته

وفيه بيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل
مأمورون به يقتدى به عليه السلام من اسلم منهم والاشارة ان صلاتى ونسكى اى سيرى على منهاج الصلاة
هو معراجى الى الله تعالى وذبيحة نفسى ومحياى حياة قلبى وروحى ومماتى اى موت نفسى لله رب العالمين لطلب
الحق والوصول اليه لا شريك له فى الطلب من مطلوب سواه وبذلك امرت اى ليس هذا الطلب والقصد الى الله
من نظرى وعقلى وطبعى انما هو من فضل الله ورحمته وهدايته وكمال عنايته اذ اوحى الى وقال وتبتل اليه تبتيلا
وقال قل الله ثم ذرهم وانا اول المسلمين يعنى اول من استسلم عند الايجاد لامر كن وعند قبول فيض المحبة لقوله
يحبهم ويحبونه والاستسلام للمحبة فى قوله يحبونه دل عليه قوله عليه السلام اول ما خلق الله نورى كذا
فى التأويلات النجمية وفى الاية حث على التوحيد والاخلاص وعلامتهما التبرى من كل شئ سواه تعالى
ظاهرا وباطنا ولو من نفسه والتحقق بحقائق المحبة الذاتية وعن مالك بن دينار قال خرجت حاجا الى بيت الله
الحرام واذا شاب يمشى فى الطريق بلا زاد ولا راحلة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت ايها الشاب من اين قال
من عنده قلت والى اين قال اليه قلت واين الزاد قال عليه قلت ان الطريق لا يقطع الا بالماء والزاد وهل معك شئ
قال نعم قد تزودت عند خروجى بخمسة احرف قلت وما هذه الخمسة الاحرف قال قوله تعالى كهيعص قلت
وما معنى كهيعص قال اما قوله كاف فهو الكافى واما الهاء فهو الهادى واما الياء فهو المؤدى واما العين
فهو العالم واما الصاد فهو الصادق من كان صحبته كافيا وهاديا ومؤديا وعالما وصادقا لا يضيع ولا يخشى
ولا يحتاج الى حمل الزاد والماء قال مالك فلما سمعت هذا الكلام نزعت قميصى على ان البسه اياه فابى ان يقبله
وقال ايها الشيخ العرى خير من قميص الغنى حلالها حساب وحرامها عقاب وكان اذا جن الليل يرفع وجهه
نحو السماء ويقول يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصى هب لى ما يسرك واغفر لى ما لا يضرك فلما احرم الناس
والبوا قلت لم لا تلبى فقال يا شيخ اخشى ان اقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا اسمع كلامك ولا انظر اليك
ثم مضى فما رأيته الا بمنى وهو يقول اللهم ان الناس ذبحوا وتقربوا اليك بضحاياهم وهداياهم وليس لى شئ اتقرب
به اليك سوى نفسى فتقبلها منى ثم شهق شهقة فخر ميتا واذا قائل يقول هذا حبيب الله هذا قتيل الله قتل
بسيف الله فجهزته وواريته وبت تلك الليلة متفكرا فى امره ونمت فرأيته فى منامى فقلت ما فعل الله بك قال
فعل بى كما فعل بشهداء بدر قتلوا بسيف الكفار وانا قتلت بسيف الجبار جان كه نه قربانى جانان بود * جيفة
تن بهتر از ان جان بود * هر كه نشد كشتة شمشير دوست * لاشة مردار به از جان اوست * نسأل الله الكريم ان
يجعلنا على الصراط المستقيم (قل) يا محمد لمن يقول من الكفار ارجع الى ديننا (اغير الله ابغى) اطلب حال كونه
(ربا) آخر فاشركه فى عبادته (وهو رب كل شئ) اى والحال ان ما سواه مربوب له مثلى فكيف يتصور ان يكون
شريكا له فى العبودية (ولا تكسب كل نفس الا عليها) كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم القيامة ما كتب عليكم
من الخطايا فهذا ارده بالمعنى الاول اى لا تكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون صدورها
عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتأتى ما ذكرتم وقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر اخرى) رده بالمعنى
الثانى اى لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم ولنحمل خطاياكم والوزر فى اللغة
هو الثقل (ثم الى ربكم مرجعكم) اى الى مالك امركم رجوعكم يوم القيامة (فينبئكم) يومئذ (بما كنتم فيه
تختلفون) اى يبين الرشد من الغى ويميز المحق من المبطل وفى الاية امور الاول ان غاية المبتغى ونهاية المرام هو الله
الملك العلام فمن وجده فقد وجد الكل ومن فقده فقد فقد الكل والعاقل العاشق لا يطلب غير الله لانه الحبيب
والمحب لا يتسلى بغير المحبوب (قال الحافظ) دردم از طبيب نداندوا كه من * بى دوست خسته خاطر
وبا درد خوشترم * والثانى ان كل ما تكسب النفس من خير او شر فهو عليها اما الشر فهى مأخوذة به واما الخير
فمطلوب منها صحة القصد والخلو من الرياء والعجب والافتخار به (قال السعدى) چه قدر آورد بنده قد رويس *
كه زير قبا دارد اندام پيس * والنفس امارة بالسوء فلا تكسب الا السوء والسوء عليها لا لها وهذا دأب النفس
ما وكلت الى نفسها الا ان رحمها ربها كما قال ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ولهذا كان من دعائه
عليه السلام رب لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا اقل من ذلك وهى اى النفس مأمورة بالسير الى الله بقدم

العبودية والاعمال الصالحة قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن الفضل العجب ممن يقطع الاودية والمفاوز والقفار
ليصل الى بيته وحرمه لان فيه آثار انبيائه كيف لا يقطع بالله نفسه وهواه حتى يصل الى قلبه فان فيه آثار
مولاه والثالث ان كل نفس مؤاخذ بذنبه لا بذنب غيره فان قلت قوله عليه السلام من كانت عنده مظلمة لاخيه
من عرضه او شئ فليستحلل منه اليوم قبل ان يكون لا دينار ولا درهم الا ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر
مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه يدل على خلاف ذلك وكيف يجوز
فى حكم الله وعدله ان يضع سيئات من اكتسبها على من لم يكتسبها وتؤخذ حسنات من عملها فتعطى من
لم يعملها فالجواب على ما قال الامام القرطبى فى تذكرته ان هذا لمصلحة وحكمة لا نطلع عليها والله تعالى
لم يبن امور الدين على عقول العباد ولو كان كل ما تدركه العقول مردودا لكان اكثر الشرائع مستحيلا على
موضوع عقول العباد انتهى يقول الفقير ان الذنب ذنبان ذنب لازم وذنب متعد فالذنب اللازم كشرب الخمر
مثلا يؤخذ به صاحبه دون غيره فهذا الذنب له جهة واحدة فقط والذنب المتعدى كقتل النفس مثلا فهذا
وان كان يؤخذ به صاحبه ايضا لكن له جهتان جهة التجاوز عن حد الشرع وجهة وقوع الجناية على
العبد فحمل سيئاته وطرح حسناته عليه حمل سيئات نفسه فى الحقيقة وما طرح حسنات غيره فى نفس الامر
ولا ظلمه اصلا فالاية والحديث متحدان فى المآل والله اعلم بحقيقة الحال والرابع كما ان الاختلاف واقع بين اهل
الكفر والايمان كذلك بين اهل الاخلاص والرياء والشرع وان كان محكا يميز بين المحق والمبطل الا ان انكشاف
حقيقة الحال وظهور باطن الاقوال والافعال انما يكون يوم تبلى السرائر وتبدى الضمائر (وفى المثنوى)
چون كند جان باز گونه پوستين * چند واويلا بر آيد ز اهل دين * بر دكان هر زر نما خندان شداست *
زانكه سنگ امتحان پنهان شدست * قلب پهلوى زند با زر بشب * انتظار روز مى دارد ذهب *
با زر زبان حال زر گويد كه باش * اى مزور تا بر آيد روز فاش * وفى الحديث يخرج فى آخر الزمان اقوام
يختلون الدنيا بالدين يعنى يأخذونها ويلبسون لباس جلود الضأن من اللين السنتهم احلى من السكر وقلوبهم
قلوب الذئاب فيقول الله تعالى ابى تغترون او على تجترئون فبى حلفت لابعثن على اولئك فتنة تدع الحليم فيها
حيران فعلى المؤمن ان يصحح الظاهر والباطن ويرفع الاختلاف فان الحق واحد فماذا بعد الحق الا الضلال واما
اختلاف الائمة فرحمة لعامة الناس وليس ذلك من قبيل الاختلاف بحسب المراء والجدال بل بحسب
اختلاف الاشخاص والاحوال فالحق احق ان يتبع عصمنا الله واياكم من الاختلاف المفسد للدين والجدل
المزيل لاصل اليقين وجعلنا من اهل التوفيق للصواب انه الكريم المفيض الوهاب (وهو) اى الله تعالى (الذى
جعلكم) ايها الناس (خلائف الارض) من بعد بنى الجان او خلائف الامم السابقة البشرية او خلفاء الله
فى ارضه تتصرفون فيها والخلائف جمع الخليفة كالوصائف جمع الوصيفة وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفته
لانه يخلفه قال فى التأويلات النجمية هو جعل كل واحد من بنى آدم آدم وقته وخليفة ربه فى الارض وسر
الخلافة انه صوره على صورة صفات نفسه حيا قيوما سميعا بصيرا عالما قادرا متكلما مريدا آدمى چيست
برزخ جامع * صورت خلق وحق درو واقع * متصل با دقايق جبروت * مشتمل بر حقايق
ملكوت (ورفع بعضكم) فى الشرف والغنى (فوق بعض) الى (درجات) كثيرة متفاوتة (ليبلوكم فيما آتاكم)
من المال والجاه اى ليعاملكم معاملة من يبتليكم ويمتحنكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده (حكى) ان
جنيدا كان يلعب مع الصبيان فى صباوته فرآه السرى السقطى فقال ما تقول فى حق الشكر يا غلام قال الشكر
ان لا تستعين بنعمه على معاصيه (ان ربك) يا محمد (سريع العقاب) اى عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق
ما آتاه الله ولم يشكره وانما قال سريع العقاب مع انه موصوف بالحلم والامهال لان كل ما هو آت قريب
(قال الحافظ) بهاى كم سپهرت دهد ز راه مرو * ترا كه گفت كه اين زال ترك دستان كرد (وانه لغفور
رحيم) لمن راعاها كما ينبغى وفى الحديث يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وانفقه فى حرام
فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى بالرجل قد جمع مالا من حلال وانفقه فى حلال فيقال له قف لعلك فرطت
فى هذا فى شئ مما فرض عليك من صلاة لم تصلها لوقتها او فرطت فى ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب
كسبت من حلال وانفقت فى حلال ولم اضيع شيأ مما فرضت فيقال لعلك اختلت فى هذا المال فى شئ من

مركب او ثوب باهيت به فقال لا يارب لم اختل ولم اباه فى شئ فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يارب كسبت من حلال وانفقت فى حلال ولم اضيع شيأ مما فرضت على ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتنى ان اعطيه قال فيجيء باولئك فيخاصمونه فيقولون يارب اعطيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فانه اعطانا وما ضيع شيأ من الفرائض ولم يختل فى شئ فيقال قف الآن هات شكر نعمة انعمتها عليك فى اكلة اوشربة اولذة فلا يزال يسأل واعلم ان الله تعالى كما اعطى المال والجاه ليتميز من هو على الشكر ومن هو على الكفران كذلك اعطى الحال اى استعداد الخلافة ليظهر من المتخلق باخلاق الله القائم باوامره فى العباد والبلاد ومن الذى رجع القهقرى الى صفات البهائم والانعام نحن اضاع صفات الحق بتبديلها بصفات الحيوانات عوقب بالختم على قلبه وسمعه وبصره فهو لا يرجع الى مكان الغيب الذى خرج منه بل حبس فى اسفل سافلين الطبيعة ومن تاب عن متابعة النفس والهوى ومخالفة الحق والهدى وآمن وعمل عملا صالحا للخلافة فقد اهتدى ولم يرجع القهقرى حكى عن ابراهيم ابن ادهم انه حج الى بيت الله الحرام فبينما هو فى الطواف اذا بشاب حسن الوجه قد اعجب الناس حسنه وجماله فصار ابراهيم ينظر اليه ويبكى فقال بعض اصحابه انا لله وانا اليه راجعون غفلة دخلت على الشيخ بلا شك ثم قال ياسيدى ما هذا النظر الذى يخالطه البكاء فقال له ابراهيم يا اخى انى عقدت مع الله تعالى عقدا لا اقدر فسخه والا كنت ادنى هذا الفتى واسلم عليه فانه ولدى وقرة عينى تركته صغيرا وخرجت فارا الى الله تعالى وها هو قد كبر كما ترى وانى لاستحيى من الله سبحانه ان اعود لشئ خرجت عنه قال ثم قال لى امض وسلم عليه لعلى انسلى بسلامك عليه وابرد نارا على كبدى قال فاتيت الفتى فقلت له بارك الله لابيك فيك فقال ياعم واين ابى ان ابى خرج فارا الى الله تعالى ليتنى اراه ولو مرة واحدة وتخرج نفسى عند ذلك هيهات وخنقته العبرة وقال والله اودانى رأيته واموت فى مكانى قال ثم رجعت الى ابراهيم وهو ساجد فى المقام وقد بل الحصى بدموعه وهو يتضرع الى الله تعالى ويقول

هجرت الخلق طرا فى هواكا ✻ وايتمت العيال لكى اراكا

فلو قطعتنى فى الحب اربا ✻ لما سكن الفؤاد الى سواكا

قال فقلت له ادع له فقال حجبه الله عن معاصيه واعانه على ما يرضيه انتهى فانظر الى حال من ترك السلطنة واختار الفقر والقناعة وانت تؤثر الغنى والمقال على الفقر والحال وفى الحديث اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا اى قدر ما يمسك الرمق وقيل القوت هو الكفاية من غير اسراف وفيه بيان ان الكفاف افضل من الغنى لان النبى عليه السلام انما يدعو لنفسه بافضل الاحوال (قال الحافظ) درين بازار كرسود يست با درويش خرسندست ✻ الهى منعمم كردان بدرويشى وخرسندى ✻ جعلنا الله واياكم من المقتفين لآثار سنة سيد المرسلين وحقق آمالنا من الوصول الى مقام التوكل واليقين انه لا يخيب رجاء سائله وداعيه ولا يقطع اجر عبده فى كل مساعيه

تمت سورة الانعام بمعونة الملك العلام فى سلخ جمادى الاولى المنتظم فى سلك شهور سنة الف ومائة ويتلوها سورة الاعراف وهى مكية الا ثمانى آيات من قوله فاسألهم الى واذ نتقنا الجبل محكم كلها وقيل الى قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس وفقنا الله لختمها تقريرا وتحريرا آمين يامعين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المص) (ا) اشارة الى الذات الاحدية (ل) الى الذات مع صفة العلم (م) الى معنى محمد صلى الله عليه وسلم اى نفسه وحقيقته (ص) الى الصورة المحمدية هى جسده وظاهره وعن ابن عباس رضى الله عنه ص جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن حين لا ليل ولا نهار اشار بالجبل الى جسد محمد صلى الله عليه وسلم وبعرش الرحمن الى قلبه كما ورد فى الحديث قلب المؤمن عرش الله وقوله حين لا ليل ولا نهار اشارة الى الوحدة لان القلب اذا وقع فى ظل ارض النفس واحتجب بظلمة صفاتها كان فى الليل واذا طلع عليه نور شمس الروح واستضاء بضوئه كان فى النهار واذا وصل الى الوحدة الحقيقية بالمعرفة والشهود الذاتى واستوى عنده النور والظلمة لفناء الكل فيه كان وقته لا ليل ولا نهار ولا يكون عرش الرحمن الا فى هذا الوقت فمعنى الآية ان وجود الكل من اوله الى آخره كتاب

انزل

انزل اليك علمه كذا فى التأويلات القاشانية وقال الشيخ نجم الدين انه تعالى بعد ذكر ذاته وصفاته بقوله بسم الله الرحمن الرحيم عرف نفسه بقوله المص يعنى الله آله من لطفه فرد عبده للمحبة والمعرفة وانعم عليه بالصبر والصدق لقبول كمالية المعرفة والمحبة بواسطة كتاب انزل اليك انتهى وقال فى التفسير الفارسى المص نام قرآنست يا اسم اين سورة يا هر حرفى اشارتست باسمى از اسمهاى الهى چون آله ولطيف وملك وصبور يا هر حرفى كنايتست از صفتى چون اكرام ولطف ومجد وصدق يا ايمايست باسم المصور يا بعض حروف دلالت بر اسما دارد وبعض بر افعال وتقدير چنان بود كه انا الله اعلم وافضل منم خداى كه ميدانم وبيان ميكنم يا از همه داناترم وحق از باطل جدا ميكردانم در حقايق سلمى كويد كه الف ازلست ولام ابد وميم ما بين ازل وابد وصاد اشارتست باتصال هر متصلى وانفصال هر منفصلى وفى الحقيقه نه اتصال را مجال كنجايش است ونه انفصال را مجال نمايش

اين چه راهست اين برون از فصل ووصل ✻ كاندرونه فرع مى كنجد نه اصل ✻
فى معانى فى عبارت فى عيان ✻ فى حقايق فى اشارت فى بيان ✻ برترست از مدركات عقل ووهم ✻
لاجرم كم كشت در وى فكر وفهم ✻ چون بكلى روى كفت وكوى نيست ✻ هيچكس را جز خموشى
روى نيست ✻

يقول الفقير غفر الله ذنوبه ان الحروف المقطعة من المتشابهات القرآنية التى غاب علمها عن العقول وانما اعطى فهمها لاهل الوصول وكل ما قيل فيها فهو من لوازم معانيها وحقائقها فلنا ان نقول ان فيها اشارة الى ان هذا التركيب الصفاتى والفعلى الواحدى الابدى كان افرادا فى مرتبة الوحدة الذاتية الازلية فبالتجلى الالهى صار المفرد مركبا والمقطع موصلا والقوة فعلا والجمع فرقا وتعين النسب والاضافات كما ان اصل المركبات الكلامية هو حروف التهجى ثم بالتركيب يحصل اب ثم ابجد ثم الحمد وكما ان اصل الانسان بالنسبة الى تعين الجسم هو النطفة ثم بالتصوير يحصل التركيب الجسمى والله اعلم (كتاب) اى هذا كتاب (انزل اليك) اى من جهته تعالى (فلا يكن فى صدرك حرج منه) اى شك ما فى حقيقته كما فى قوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه خاطب به النبى عليه السلام والمراد الامة اى لا ترتابوا ولا تشكوا وقوله منه متعلق بحرج يقال حرج منه اى ضاق به صدره ويجوز ان يكون الحرج على حقيقته اى لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك فانه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله تعالى ونهاه عن المبالاة بهم (لتنذر به) اى بالكتاب المنزل متعلق بانزل (وذكرى للمؤمنين) اى ولتذكر المؤمنين تذكيرا (اتبعوا) ايها المكلفون (ما انزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن (ولا تتبعوا من دونه) اى من دون ربكم الذى انزل اليكم ما يهديكم الى الحق وهو حال من الفاعل اى لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى (اولياء) من الجن والانس باطاعتهم فى معصية الله (قليلا ما تذكرون) بحذف احدى التاءين وما مزيدة لتأكيد العلة اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ثم شرع فى التهديد ان لم يتعظوا بما جرى على الامم الماضية بسبب اصرارهم على اتباع دين اوليائهم فقال (وكم) للتكثير مبتدأ والخبر هو جملة ما بعدها (من قرية) تمييز (اهلكناها) الضمير راجع الى معنى كم اى كثير من القرى اردنا اهلاكها او كثيرا منها على ان يكون كم فى موضع نصب باهلكناها كما فى قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر (فجاءها) اى فجاء اهلها (بأسنا) اى عذابنا (بياتا) مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اى بائتين كقوم لوط قال الحدادى سمى الليل بياتا لانه يبات فيه والبيتوتة خلاف الظلول وهو ان يدرك الليل نمت اولم تنم وهى بالفارسية شب كذاشتن (او هم قائلون) عطف على بياتا اى قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب اهلكهم الله فى نصف النهار وفى حر شديد وهم قائلون قال فى التفسير الفارسى تخصيص اين دو وقت بجهت آنست كه زمان آسايش واستراحتست وتصور وتوقع عذاب در ان نيست پس بليه غير منتظر صعبتر وسخترست چنانچه نعمت غير مترقب خوبتر ولذيذترست (فما كان دعواهم) اى دعاؤهم وتضرعهم (اذ جاءهم بأسنا) عذابنا وعاينوا اماراته (الا ان قالوا) جميعا (انا كنا ظالمين) اى الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسيرا عليه وندامة وطمعا فى الخلاص وهيهات لانه لا تنفع التوبة وقت نزول العذاب اذ هو وارتفاع التكليف متقارنان

وقوم يونس مستثنى من هذا كما يجيئ (وفى المثنوى) همچوان مرد مفلسف روز مرك * عقل راحى ديد پس بى بال و برك * بى غرض مى كرد آندم اعتراف * كز ذكاوت رانده ايم اسب از كذاف * از غرورى سركشيديم از رجال * آشنا كرديم در بحر خيال * آشنا هيچست اندر بحر روح * نيست انجا چاره جز كشتىء نوح * اينچنين فرموده آن شاه رسل * كه منم كشتى درين درياى كل * يا كسى كو در بصيرتهاى من * شد خليفه راستى برجاى من * كشتىء نوحيم در دريا كه تا * رو نكردانى ز كشتى اى فتى (فلنسألن الذين ارسل اليهم) الفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية اى لنسألن الامم قاطبة يوم الحشر قائلين ماذا اجبتم المرسلين (ولنسألن المرسلين) عما اجيبوه اوالمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذى نفى بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام اوالاول فى موقف الحساب والثانى فى موقف العقاب وفى التفسير الكبير انهم لا يسألون عن الاعمال ولكن يسألون عن الدواعى التى دعتهم الى الاعمال وعن الصوارف التى صرفتهم عنها (فلنقصن عليهم) اى على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب (بعلم) اى عالمين بظواهرهم وبواطنهم (وما كنا غائبين) عنهم فى حال من الاحوال فيخفى علينا شئ من اعمالهم واحوالهم واعلم ان الرسل يقولون يوم الحشر اللهم سلم سلم ويخافون اشد الخوف على اممهم ويخافون على انفسهم والمطهرون المحفوظون الذين ما تدنست بواطنهم بالشبه المضلة ولا ظواهرهم ايضا بالمخالفات الشرعية آمنون يغبطهم النبيون فى الذى هم عليه من الامن لما هم النبيون عليه من الخوف على اممهم فمن لقى الله تعالى فى ذلك اليوم شاهداله بالاخلاص مقرا بنبيه صلى الله عليه وسلم بريئا من الشرك ومن السحر بريئا من اهراق دماء المسلمين ناصحا لله تعالى ولرسوله محبا لمن اطاع الله ورسوله مبغضا لمن عصى الله ورسوله استظل تحت ظل عرش الرحمن ونجا من الغم ومن حاد عن ذلك ووقع فى شئ من هذه الذنوب بكلمة واحدة اوتغير قلبه اوشك فى شئ من دينه بقى الف سنة فى الحر والهم والعذاب حتى يقضى الله فيه بما يشاء روى ان ملكا من ملوك كندة كان طويل المصاحبة للهو واللذات كثير العكوف على اللعب فركب يوما للاصطياد اوغيره فانقطع عن اصحابه فاذا هو برجل جالس قد جمع عظاما من عظام الموتى وهى بين يديه يقلبها فقال ما قصتك ايها الرجل وما الذى بلغ بك ما ارى من سوء الحال ويبس الجلد وتغير اللون والانفراد فى هذه الفلاة فقال اما ما ذكرت من ذلك فلانى على جناح سفر بعيد وبى موكلان مزعجان يحدوان بى الى منزل كبيت النمل مظلم القعر كريه المقر يسلمانى الى مصاحبة البلى ومجاورة الهلكى تحت اطباق الثرى فلو تركت بذلك المنزل مع ضيقه ووحشته وارتعاء خشاش الارض من لحمى حتى اعود رفاتا وتصير اعظمى رمما لكان للبلاء انقضاء وللشقاء نهاية ولكنى ادفع بعد ذلك الى صيحة الحشر وارد اطول مواقف الجزاء ثم لا ادرى الى اى الدارين يؤمر بى فاى حال يلتذ به من يكون هذا الامر مصيره فلما سمع الملك كلامه التى نفسه عن فرسه وجلس بين يديه وقال ايها الرجل لقد كدر مقالك على صفو عيشى وملك قلبى فاعد على بعض قولك فقال له اما ترى هذه التى بين يدى قال بلى قال هذه عظام ملوك غرتهم الدنيا بزخرفها واستحوذت على قلوبهم بغرورها فالهتهم عن التأهب لهذه المصارع حتى فاجأتهم الآجال وخذلتهم الآمال وسلبتهم بهاء النعمة وستنشر هذه العظام فتعود اجساما ثم تجازى باعمالها فاما الى دار النعيم والقرار واما الى دار العذاب والبوار ثم غاب الرجل فلم يدر اين ذهب وتلاحق اصحاب الملك به وقد تغير لونه وتواصلت عبراته فلما جن عليه الليل نزع ما عليه من لباس الملك ولبس طمرين وخرج تحت الليل فكان آخر العهد به وانشدوا

افى القرون التى كانت منعمة * كر الليالات اقبالا وادبارا
يا راقد الليل مسرورا باوله * ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
لا تأمنن بليل طاب اوله * فرب آخر ليل اجج النارا

قال الامام زين العابدين عجبت للمتكبر الفخور الذى كان بالامس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت كل العجب لمن شك فى الله وهو يرى خلقه وعجبت كل العجب لمن انكر النشأة الاخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء فعلى العاقل ان يعتبر بمن مضى قبل ان يجيئ على رأسه القضا ويجتهد فى طريق الحق ذاكرا له فى الغدو والرواح ويتهيأ للموت قبل نزوله والوقت يمضى كالرياح فاين الذين وقعوا

فى

فى انكار الرسل وتكذيب الانبياء مضوا والله الى دار الجزاء وسينقضى الزمان كله فلا يبقى احد على بساط العالم من ملك وجن وبنى آدم وتطوى صحائف الاعمال وتنشر يوم السؤال ويظهر كل جليل ودقيق فيا شقاوة اهل الخذلان ويا سعادة اهل التوفيق اللهم انا نسألك مراقبة الاوقات ومحافظة الطاعات والتمشى على الصراط السوى فى المسلك الصورى والمعنوى فاعن الضعفاء يا قوى آمين يا معين (والوزن) اى وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها اوالمعنى بالفارسية سنجيدن اعمال هر يك (يومئذ) اى يوم القيامة (الحق) بالفارسية راستست وبودنى (فمن ثقلت موازينه) اى حسناته التى توزن فهو جمع موزون ويجوز ان يكون جمع ميزان باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن وقال فى التأويلات النجمية وانما قال موازينه بالجمع لان كل عبد ينصب له موازين بالقسط تناسب حالاته فلبدنه ميزان يوزن به اوصافه ولروحه ميزان يوزن به نعوته ولسره ميزان يوزن به احواله ولخفيه ميزان يوزن به اخلاقه والخفى لطيفة روحانية قابلة لفيض الاخلاق الربانية ولهذا قال عليه السلام ما وضع فى الميزان اثقل من حسن الخلق وذلك لانه ليس من نعوت المخلوقين بل هو من اخلاق رب العالمين والعباد مأمورون بالتخلق باخلاقه (فاولئك) الجمع باعتبار معنى من (هم) ضمير فصل يفيد اختصاص المسند بالمسند اليه (المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب (ومن خفت موازينه) بالفارسية عملهاى وزن كردهٔ او وان سبكى بمعصيت خواهد بود (فاولئك الذين خسروا انفسهم) بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب قال الحدادى الخسران ذهاب رأس المال ورأس مال الانسان نفسه فاذا هلك بسوء عمله فقد خسر نفسه (بما كانوا بآياتنا يظلمون) يعنى وضعوا التكذيب بها موضع التصديق قوله بما متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب قال فى التأويلات النجمية الوزن عند الله يوم القيامة لاهل الحق وارباب الصدق واعمال البر فلا وزن للباطل واهله ويدل عليه قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وروى انه يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب فيوزن فلا يزن جناح بعوضة انتهى وهذه الرواية تدل على ان الموزون هو الاشخاص كما ذهب اليه بعض العلماء ولكن الجمهور على ان صحائف الاعمال هى التى توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت فى صحائفهم فيقرؤنها فى موقف الحساب ويؤيده ما روى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مدى البصر فتخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطيش السجلات وتثقل البطاقة والبطاقة رقعة صغيرة وهى ما يجعل فى طى الثوب يكتب فيها ثمنه وروى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان الذى ينصب يوم القيامة فرأى كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشى عليه فلما افاق قال الهى من يقدر ان يملأ كفته بالحسنات فقال الله تعالى يا داود اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة من صدقة وقال فى التفسير الفارسى در تبيان از ابن عباس نقل ميكند كه درازى عمود ميزان پنجاه هزار ساله راهست وكفين اويكى از نورست ويكى از ظلمت حسنات در پلهٔ نور نهند وسيئات در پلهٔ ظلمت ويحكى عن بعضهم انه قال رأيت بعضهم فى المنام فقلت ما فعل الله بك فقال وزنت حسناتى فرجحت السيئات على الحسنات فجاءت صرة من السماء وسقطت فى كفة الحسنات فرجحت فحللت الصرة فاذا فيها كف تراب القيته فى قبر مسلم ويجاء بعمل الرجل فيوضع فى كفة ميزانه فيخف فيجاء بشئ امثال الغمام فيوضع فى كفة ميزانه فترجح فيقال له اتدرى ما هذا فيقول لا فيقال له هذا فضل العلم الذى كنت تعلمه الناس وتستوى كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى لست من اهل الجنة ولا من اهل النار فيأتى الملك بصحيفة فيضعها فى كفة الميزان فيها مكتوب اف فترجح على الحسنات لانها كلمة عقوق ترجح بها جبال الدنيا فيؤمر به الى النار فيطلب الرجل ان يرد الى الله تعالى فيقول ردوه فيقول ايها العبد العاق لاى شئ تطلب الرد الى فيقول الهى رأيت انى سائر الى النار واذا لا بد لى منها وكنت عاقا لابى وهو سائر الى النار مثلى فضعف على به عذابى وانقذه منها فيضحك الله تعالى ويقول عققته فى الدنيا وبررته فى الآخرة خذ بيد ابيك وانطلق الى الجنة (قال الحافظ) طمع ز فيض كرامت مبر كه خلق كريم * كنه ببخشد و بر عاشقان ببخشايد * واعلم ان السبعين الالف الذين يدخلون الجنة بلا حساب

لا يرفع لهم ميزان وكذا يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان فيصب لهم الاجر صبا حتى ان اهل العافية ليتمنون فى الموقف ان اجسامهم قد قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله فهم يكونون تحت شجرة فى الجنة تسمى شجرة البلوى قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال ارباب التحقيق التوحيد الرسمى يدخل فى الميزان لانه يوجد له ضد كما اشير اليه بحديث صاحب السجلات واما التوحيد الحقيقى فلا يدخل فى الميزان لانه لا يعادله شئ اذ لا يجتمع ايمان وكفر بخلاف ايمان وسيئات ولهذا كانت لا اله الا الله افضل الاذكار فالذكر بها افضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو عند العلماء بالله لانها جامعة بين النفى والاثبات وحاوية على زيادة العلم والمعرفة فمن نفى بلا اله عين الخلق حكما لا علما فقد اثبت كون الحق حكما وعلما والا اله من له جميع الاسماء وما هو الا عين واحدة هى مسمى الله الذى بيده ميزان الرفع والخفض قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره لا تدخل الموازين الا اعمال الجوارح وهى سبعة السمع والبصر واللسان واليد والبطن والفرج والرجل واما الاعمال المعنوية فلا تدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيها العدل وهو الميزان المعنوى لحس لحس ومعنى لمعنى يقابل كل شئ بشكله قال العلماء اذا انقضى الحساب كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغى ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها كذا فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى فعلى العاقل ان يسارع الى الطاعات ويبادر الى الحسنات خصوصا الى احسن الحسنات وهو كلمتا الشهادة ليكون ممن ثقلت موازينه ويدخل فى زمرة المفلحين (ولقد مكناكم فى الارض) اى جعلنا لكم منها مكانا وقرارا واقدرناكم على التصرف فيها على اى وجه شئتم (وجعلنا لكم فيها معايش) اى انشأنا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما والخطاب لقريش فانه تعالى فضلهم على العرب بان مكنهم من الرحلة الى الشام اوان الصيف ومن الرحلة الى اليمن اوان الشتاء آمنين بسبب كونهم سكان حرم الله تعالى ومجاورى بيته الشريف ويتخطف الناس من حولهم فيتجرون بتينك الرحلتين ويكسبون ما يكون سببا لحياتهم من المأكل والمشارب والملابس وغيرها (قليلا ما تشكرون) فيما صنعت اليكم والاشارة ان التمكين لفظ جامع للتمليك والتسليط والقدرة على تحصيل اسباب كل خير وسعادة دنيوية كانت او اخروية وكمال استعداد المعرفة والمحبة والطلب والسير الى الله ونيل الوصول والوصال وما تشرف بهذا التمكين الا الانسان وبه كرم وفضل وبه يتم امر خلافته ولهذا امر الملائكة بسجود آدم وبه من الله على اولاده بقوله ولقد مكناكم فى الارض اى سيرناكم ووهبنا لكم فى خلافة الارض ما لم تمكن احدا غيركم فى الارض من الحيوانات ولا فى السماء من الملائكة وجعلنا لكم خاصة فيها معايش اى جعلنا لكل صنف من الملك والحيوان والشيطان معيشة يعيش بها وجعلنا لكم فيها معايش لان الانسان مجموع من الملكية والحيوانية والشيطانية والانسانية فمعيشة الملك هى معيشة روحه ومعيشة الحيوان هى معيشة بدنه ومعيشة الشيطان هى معيشة نفسه الامارة بالسوء وما حصل للانسان بهذا التركيب مراتب الانسانية وانها لم تكن لكل واحد من الملك والحيوان والشيطان وهى القلب والسر والخفى فمعيشة قلبه هى الشهود ومعيشة سره هى الكشوف ومعيشة خفيه هى الوصال والوصول قليلا ما تشكرون اى قليلا منكم من يشكر هذه النعم اى نعمة التمكن ونعمة المعايش برؤية هذه النعم والتحدث بها فان رؤية النعم شكرها او التحدث بالنعم ايضا شكر كذا فى التأويلات النجمية * نعمت بسى وشكر كزارنده اندكيست * كوينده سپاس الهى وصديكيست * واعلم ان النعمة انما تسلب ممن لا يعرف قدرها ولا يؤدى شكرها روى ان بعض الانبياء عليهم السلام سأل الله تعالى عن امر بلعم وطرده بعد تلك الآيات والكرامات فقال الله تعالى لم يشكرنى يوما من الايام على ما اعطيته ولو شكرنى على ذلك مرة لما سلبته فتيقظ ايها الرجل واحتفظ بركن الشكر جدا جدا واحمد الله على منته التى اعلاها الاسلام والمعرفة وادناها مثلا توفيق لتسبيح او عصمة عن كلمة لا تعنيك عسى ان يتم نعمه عليك ولا يبتليك بمرارة الزوال فان امر الامور واصعبها الاهانة بعد الاكرام والطرد بعد التقريب والفراق بعد الوصال (قال السعدى) نداند كسى قدر روز خوشى * مكر روزى افتد بسختى كشى * مكن تكيه بردستكاهى كه هست * كه باشد كه نعمت نماند بدست * بسا اهل دولت ببازى نشست * كه دولت برفتش ببازى ز دست *

فضيحت بود خوشه اندوختن * پس از خرمن خويشتن سوختن * تو پيش از عقوبت در عفو كوب * كه سودى ندارد فغان زير چوب * اكر بنده كوشش كند بنده وار * عزيزش ندارد خداوند كار * وكر كند رايست در بندكى * ز جاندارى افتد بخربندكى * اللهم احفظنا عن الكفران ووفقنا للشكر كل حين وآن (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور بصورته المخصوصة ثم صورناه عبر عن خلق نفس آدم وتصويره بخلق الكل وتصويرهم تنزيلا لخلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويرهم من حيث ان المقصود من خلقه وتصويره تعمير الارض باولاده فكان خلقه بمنزلة خلق اولاده فالاسناد فى ضمير الجمع مجازى (ثم قلنا للملائكة) كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص (اسجدوا لآدم) سجدة تحية وتكريم لان السجود الشرعى وهو وضع الجبهة على قصد العبادة انما هو لله تعالى حقيقة (فسجدوا) اى الملائكة بعد الامر من غير تلعثم (الا ابليس) اى لكن ابليس (لم يكن من الساجدين) اى ممن سجد لآدم والا فهو كان ساجدا لله تعالى (قال) استئناف كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال (ما) اى اى شئ (منعك الا تسجد) اى ان تسجد ولا صلة كما فى قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب اى ليتحقق علم اهل الكتاب (اذ امرتك) اى وقت امرى اياك به (قال) ابليس (انا خير منه) اى الذى منعنى من السجود هو انى افضل منه لانك (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار جوهر لطيف نورانى والطين جسم كثيف ظلمانى فهو خير منه ولقد اخطأ اللعين حيث لاحظ الفضيلة باعتبار المادة والعنصر * زادمى ابليس صورت ديد وبس * غافل از معنى شدان مردود خس * نيست صورت چشم را نيكو بمال * تا ببينى شعشع نور جلال (ونعم ما قيل ايضا) صورت خاك ارچه دارد تيركى در تيركى * ليك بنكر كز ره معنى صفا اندر صفاست * اين همايون خاك كاندر وصف او صاحب دلى * نيكته كفتش كه از وى ديده جانرا جلاست * جسبتن كوكر داحمر عمر ضايع كردنست * روى بر خاك سياه آور كه يكسر كيمياست (وفى المثنوى) كفت يار از خاك بى شك بهترست * من ز نار و او ز خاك اكدرست * پس قياس فرع بر اصلش كنيم * او ز ظلمت من ز نور روشنيم * كفت حق نى بلكه لا انساب شد * زهد وتقوى فضل را محراب شد * اين نه ميراث جهان فانيست * كه بانسابش بيان جانيست * بلكه اين ميراثهاى انبياست * وارث اين جانهاى اتقياست * پور آن بوجهل شد مؤمن عيان * پور آن نوح نبى از كمرهان * زادهٔ خاكى منور شد چو ماه * زادهٔ آتش توى زو رو سياه * اين قياسات وتحرى روز ابر * يا بشب مر قبله را كردست حبر * ليك با خورشيد وكعبه پيش رو * اين قياس واين تحرى را مجو * كعبه نا ديده مكن رو متاب * از قياس الله اعلم بالصواب * وفى التأويلات النجمية ان شرف مسجودية آدم وفضيلته على ساجديه لم يكن بمجرد خواصه الطينية وان تشرفه بشرف التخمير بغير واسطة كقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى وكقوله عليه السلام خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا وانما كانت فضيلته عليهم لاختصاصه بنفخ الروح المشرف بالاضافة الى الحضرة فيه من غير واسطة كما قال ونفخت فيه من روحى ولاختصاصه بالتجلى فيه عند نفخ الروح كما قال عليه السلام ان الله تعالى خلق آدم فتجلى فيه ولهذا السر ما امر الملائكة بالسجود بعد تسوية قالب آدم من الطين بل امرهم بالسجود بعد نفخ الروح فيه كما قال الله تعالى انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وذلك لان آدم بعد ان نفخ فيه الروح صار مستعدا للتجلى لما حصل فيه من لطافة الروح ونورانيته التى يستحق بها التجلى ومن امساك الطين الذى يقبل الفيض الالهى ويمسكه عند التجلى فاستحق سجود الملائكة فانه صار كعبة حقيقة (قال) الله تعالى (فاهبط) يا ابليس (منها) اى من الجنة والاضمار قبل ذكرها الشهرة كونه من سكانها وكانوا فى جنة عدن لا فى جنة الخلد وفيها خلق آدم وهذا امر عقوبة على معصية (فما يكون لك) اى فما يصح ويستقيم لك ولا يليق بشأنك (ان تتكبر فيها) اى فى الجنة ولا دلالة فيه على جواز التكبر فى غيرها (فاخرج) تأكيد للامر بالهبوط (انك من الصاغرين) اى من الاذلاء واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبرك وفى الاية تنبيه على ان الله تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه وفى الحديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (وفى المثنوى) على بدتر ز پندار كمال * نيست اندر جان تو اى ذى دلال * از دل واز ديده ات بس خون رود * تا ز تو اين معجبى

بيرون رود * علت ابليس انا خير بدست * وين مرض درنفس هر مخلوق هست * كرچه خودرا بس شكسته بيند او * آب صافى دان وسركين زيرجو * چون بشوراند ترا دراِمتحان * اب سر كين رنك كردد درزمان * درتك جو هست سركين اى فتى * كرچه جو صافى نمايد مر ترا * وكان الاصحاب رضى الله عنهم يبكون دما من اخلاق النفس وذكر ان قاضيا جاء الى ابى يزيد البسطامى يوما فقال نحن نعرف ماتعرفه ولكن لانجد تأثيره فقال ابو يزيد خذ مقدارا من الجوز وعلق وعاءه فى عنقك ثم ناد فى البلد كل من يلطمنى ادفع له جوزة حتى لاتبقى منه شيأ فاذا فعلت ذلك تجد التأثير فاستغفر القاضى فقال ابو يزيد قد اذنبت لانى اذكر ماتخلصك من كبر نفسك وانت تستغفر من ذلك لكمال كبرك قال ابو جعفر البغدادى ست خصال لاتحسن بست رجال لايحسن الطمع فى العلماء ولا العجلة فى الامراء ولا الشح فى الاغنياء ولا الكبر فى الفقراء ولا السفه فى المشايخ ولا اللؤم فى ذوى الاحساب فعليك بالتوحيد فانه سيف صارم يقطع عرق كل خلق مذموم (قال) الشيطان بعد كونه مطرودا (انظرنى) اى امهلنى ولاتمتنى (الى يوم يبعثون) اى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك الى ان يجد فسحة من اغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد الموت (قال) الله تعالى (انك من المنظرين) اى من جملة الذين اخرت آجالهم الى وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى هو المسئول كما بين مدة المهلة فى قوله تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم النفخة الاولى يموت الخلق فيه ويموت ابليس معهم وبين النفخة الاولى والثانية اربعون سنة فاستجيب بعض دعائه لا كله والفتوى على ان دعاء الكافر يستجاب استدراجا ودل ظاهر قوله انك من المنظرين على ان ثمة منظرين غير ابليس وعن ابن عباس قال ان الدهر يمر بابليس فيهرم ثم يعود ابن ثلاثين غافلان ازمرك مهلت خواستند * عاشقان كفتند نى نى زود باد * وانما انظره ابتلاء للعباد وتمييزا بين المخلص لله ومتبع الهوى وتعريضا للثواب بمخالفته وقيل انظره مكافأة له بعبادته التى مضت فى السماء وعلى وجه الارض ليعلم انه لايضيع اجر العاملين وقيل امهله وابقاه الى آخر الدهر استدراجا له من حيث لايعلم ليتحمل من الاوزار مالا يتحمل غيره من الاشرار والكفار فانظره الى يوم القرار ليحصل الاعتبار به لذوى الابصار بان اطول الاعمار فى هذه الدار لرئيس الكفار وقائد زمرة الفجار واختلف العلماء هل كلم الله تعالى ابليس بغير واسطة اولا والصحيح انه انما كلمه بواسطة ملك لان كلام البارى لمن كلمه رحمة ورضى وتكرم واجلال الاترى ان موسى عليه السلام فضل بذلك على الانبياء ماعدا الخليل ومحمدا صلى الله عليه وسلم فان قيل اليس رسالته ايضا تشريفا وقد كانت لابليس على غير وجه التشريف كذلك كلامه يكون تشريفا لغير ابليس ولايكون تشريفا لابليس قيل مجرد الارسال ليس بتشريف وانما يكون لاقامة الحجة بدلالة ان موسى عليه السلام ارسله الله الى فرعون وهامان ولم يقصد اكرامهما واعظامهما لعلمه بانهما عدوان وكان كلامه اياه تشريفا له وقوله تعالى ويوم يناديهم اى على لسان بعض ملائكته (قال) ابليس (فبما اغويتنى) الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف والاغواء الاضلال عن المنهج القويم والهمزة فيه للصيرورة اى بسبب ان صيرتنى غاويا ضالا عن الهدى محروما عن الرحمة لاجلهم اقسم بعزتك (لاقعدن لهم) اى لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة (صراطك) اى على صراطك (المستقيم) الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام فالقعود كناية عن الاجتهاد فى اغواء بنى آدم فان من هلك بسبب الاجتهاد فى تكميل امر من الامور يقعد حتى يصير فارغ البال عما يشغله عن اتمام مقصوده ويتوجه اليه بكليته (ثم لآتينهم) پس بيايم بديشان (من بين ايديهم) اى من قبل الآخرة فاشككهم فيها وايضا من قبل الحسد فازين لهم الحسد على الاكابر من العلماء والمشايخ فى زمانهم ليطعنوا فى احوالهم واعمالهم واقوالهم (ومن خلفهم) من جهة الدنيا ارغبهم فيها وايضا من قبل العصبية ليطعنوا فى المتقدمين من الصحابة والتابعين والمشايخ الماضين ويقدحوا فيهم ويبغضوهم (وعن ايمانهم) من جهة الحسنات واوقعهم فى العجب والرياء وايضا من قبل الانبساط فاحرض المريدين على سوء الادب فى صحبة المشايخ وترك الحشمة والتعظيم والتوسع فى الكلام والمزاح لانزلهم عن رتبة القبول (وعن شمائلهم) من جهة السيئات فازينها لهم وايضا من قبل المخالفة فامرهم بترك اوامر المشايخ ونواهيهم لاوردهم به موارد الرد واهلكهم بسطوات غيرة الولاية وردها بعد القبول والمقصود من الجهات

الاربع التى يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اى وجه يتيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتى منهما كالمنحرف المتجافى عنهم المار على عرضهم وجانبهم كما تقول جلست عن يمينه اذا جلست متجافيا عن جانب يمينه غير ملاصق له فكانك انحرفت عنه وتجاوزت (ولاتجد اكثرهم شاكرين) اى مطيعين وفى التفسير الفارسى يعنى كافران باشند كه منعم رانشناسد وانما قال ظنا لاعلما لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا وهو الشهوة والغضب ومبدأ الخير واحدا وهو العقل (قال السعدى) نه ابليس درحق ماطعنه زد * كزينان نيايد بجز كاربد * فغان ازبديها كه درنفس ماست * كه ترسم شود ظن ابليس راست * چو ملعون پسند آمدش قهرما * خدايش برانداخت ازبهرما * كجا سر برآريم ازين عار وننك * كه با او بصلحيم وباحق بجنك (قال) الله تعالى لابليس (اخرج منها) اى من الجنة حال كونك (مذؤما) اى مذموما من ذأمه اذا ذمه فالذأم من المهموز العين والذم من المضاعف كلاهما بمعنى واحد وهو التعييب البليغ (مدحورا) اى مطرودا فاللعين مطرود من الجنة ومن كل خير لعجبه ونظره الى نفسه ففيه عبرة لكل مخلوق بعده (لمن تبعك منهم) اللام لتوطئة القسم ومن شرطية ومعناه بالفارسية بخداى كه هركه درپى تو بيايد از اولاد آدم (لأملأن جهنم منكم اجمعين) جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط ومعنى منكم اى منك ومن ذريتك ومن كفار ذرية آدم وفى الحديث تحاجت النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الجبارون المتكبرون وقالت هذه يدخلنى الضعفاء والمساكين فقال الله تعالى لهذه انت عذابى اعذب بك من اشاء وقال لهذه انت رحمتى ارحم بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها والتابعون للشيطان هم الذين يأتيهم من الجهات الاربع المذكورة فيقبلون منه ماامره فليحذر العاقل عن متابعته وليجتهد فى طاعة الله وعبادته حتى لايدخل النار مع الداخلين وفى الحديث اذا كان يوم القيامة رفع الى كل مؤمن رجل من اهل الملل فقيل هذا فداؤك من النار وفى هذا الحديث دليل على كمال لطف الله بعباده وكرامتهم عليه حيث فدى اولياءه باعدائه ويحتمل ان يكون معنى الفداء ان الله تعالى وعد النار ليملأها من الجنة والناس فهى تستنجز الله موعده فى المشركين وعصاة المؤمنين فيرضيها الله تعالى بما يقدم اليها من الكفار فيكون ذلك كالمفاداة عن المؤمنين وقال بعضهم معناه ان المؤمنين يتوقون بالكفار من نفح النار اذا مروا على الصراط فيكونون وقاء وفداء لاهل الاسلام قال بعضهم رأيت ابا بكر بن الحسين المقرى فى المنام فى الليلة التى دفن فيها فقلت له ايها الاستاذ مافعل الله بك قال ان الله تعالى اقام ابا الحسن العامرى صاحب الفلسفة فداءى وقال هذا فداؤك من النار وقد كان ابو الحسن توفى فى الليلة التى توفى فيها ابو بكر المقرى وفى الحديث يجيئ يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب امثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى ولايستبعد من فضل الله مع اهل الاسلام والايمان ان يفديهم باهل الكفر والطغيان وذلك عدل من الله تعالى مع اهل المعصية وفضل على اهل طاعته خلافا للمعتزلة فانهم انكروا هذه واستدلوا بقوله تعالى ولاتزر وازرة وزر اخرى والذى صاروا اليه خلاف الكتاب والسنة قال الله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فلايصح استدلالهم بالاية لان كل كافر معاقب بوزره والله اعلم بحقيقة الحال واليه المآل (ويا آدم) اى وقلنا لآدم بعد اخراج ابليس من الجنة يا آدم (اسكن انت) اى لازم الاقامة على طريق الاباحة والتكريم (وزوجك) حواء والزوج فى كلام العرب هو العدد الفرد المزاوج لصاحبه فاما الاثنان المصطحبان فيقال لهما زوجان (الجنة) اى فيها وهى اما جنة الخلد التى جعلت دار الجزاء وعليه اكثر اهل العلم لوجوه ذكروها فى كتبهم اوجنة فى السماء هبطا منها اوجنة فى الارض كانت مرتفعة على سائر بقاع الارض ذات اشجار واثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور اعدها الله لهما وجعلها دار ابتلاء وعليه بعض المحققين من اهل الظاهر والباطن لانه كلف فيها ان لايأكل من تلك الشجرة ولاتكليف فى الجنة الجزائية ولانه نام فيها واخرج منها ودخل عليه ابليس فيها ولانوم فى الجنة ولاخروج بعد الدخول ولايجوز دخول الشيطان فيها بعد الطرد والاخراج والقول قابيل انا من اولاد الجنة كما لايخفى ولما روى ان آدم لما احتضر اشتهى قطفا من عنب الجنة فانطلق بنوه ليطلبوه فلقيتهم الملائكة

فقالوا اين تريدون يا بنى آدم فقالوا ان ابانا اشتهى قطفا من عنب الجنة فقالوا لهم ارجعوا فقد كفيتموه فانتهوا اليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبرائيل وبنوه خلف الملائكة ودفنوه وقالوا هذه سنتكم فى موتاكم قالوا فلولا ان الوصول الى الجنة التى كان فيها آدم التى اشتهى منها القطف كان ممكنا لما ذهبوا يطلبون ذلك فدل على انها فى الارض لا فى السماء وقد ثبت ان النيل يخرج من الجنة ولا شك انها من جنان الارض وبساتينها والله اعلم (فكلا من حيث شئتما) من اى مكان شئتما ومن اى شئ شئتما من نعم الجنة وثمارها موسعا عليكما (ولا تقربا هذه الشجرة) اختلفوا فى هذه الشجرة ايضا وقد ابهم الله ذكرها وتعيينها ولو كان فى ذكرها مصلحة تعود الينا لعينها لنا كما فى غيرها كذا فى آكام المرجان (فتكونا من الظالمين) اى فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم (فوسوس لهما الشيطان) قال فى الصحاح فوسوس لهما الشيطان يريد اليهما ولكن العرب توصل بهذه الحروف كلها الفعل انتهى والوسوسة الكلام الخفى المكرر بلقية الشيطان الى قلب البشر ليزين له ما هو المنكر شرعا واول ما ابتدأهما به من كيده اياهما انه ناح عليهما نياحة احزنتهما حين سمعا فقالا له ما يبكيك قال ابكى عليكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك فى نفسهما ثم اتاهما فوسوس اليهما وقال ما نهاكما كما يجيء (ليبدى لهما) اى ليظهر لهما واللام للعاقبة لان اللعين انما وسوس لهما ليوقعهما فى المعصية لا لظهور عورتهما لكن لما كان عاقبة وسوسته ظهور سوآتهما شبه ظهورها بالغرض الحامل على الوسوسة ويحتمل ان يكون اللام لام الغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما اى يخزيهما بانكشاف عورتهما عند الملائكة وكان قد علم ان لهما سوءة بقراءته كتب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك وفى كون الانكشاف غرضا لابليس دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع ولم يقع نظر على رضى الله عنه الى عورته حذرا من ان يراها بالعين التى يرى بها جمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان النظر الى سوءته بهذه المرتبة فما ظنك بالنظر الى سوءة الغير وما اشد قبح كشف العورة قالت عائشة رضى الله عنها ما رأى منى ولا رأيت منه اى العورة (ما وورى عنهما) اى الذى ستر عنهما وهو مجهول وارى (من سوآتهما) اى عورتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر لانهما قد البسا ثوبا يستر عورتهما والسوآت جمع السوءة والتعبير بلفظ الجمع عن اثنين لكراهة اجتماع لفظى التثنية ويحتمل ان يكون الجمع على اصل وضعه باعتبار ان كل عورة هى الدبر والفرج وذلك اربعة فهى جمع وسميت العورة سوءة لانه يسوء الانسان انكشافها (وقال) عطف على وسوس بيانا وتفصيلا لكيفية وسوسته (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة) اى عن اكلها لامر ما (الا) كراهة (ان تكونا ملكين) اى كالملائكة فى لطافة البنية والاستغناء عن التغذى بالاطعمة والاشربة ونحوهما وفضل الملائكة من بعض الوجوه لا يدل على فضلهم على الانبياء مطلقا لجواز ان يكون لنوع البشر فضائل اخر راجحة على ما للملك فليس المراد انقلاب حقيقتهما البشرية الى الحقيقة الملكية فانه محال قال سعدى المفتى فيه بحيث اذ لا مانع منه عند الاشاعرة لتجانس الاجسام انتهى. واعلم ان الله تعالى باين بين الملائكة والجن والانس فى الصورة والاشكال فمن حصل على بنية الانسان ظاهرا وباطنا فهو انسان فلو قلب الانسان الى بنية الملك لخرج بذلك عن كونه انسانا لكن الملك والشيطان لا يخرجان بالتشكلات الظاهرية المختلفة عن حقيقتهما (او تكونا من الخالدين) الذين لا يموتون ويخلدون فى الجنة (وقاسمهما) اى اقسم لهما فالقسم انما وقع من ابليس فقط الا انه عبر عن اقسامه بزنة المفاعلة للدلالة على انه اجتهد فى القسم اجتهاد المقاسم وهو الذى حلف فى مقابلة حلف شخص آخر (انى لكما لمن الناصحين) فيما اقول والنصح بذل المجهود فى طلب الخير فى حق غيره (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة وحطهما من المرتبة العالية وهى مرتبة الطاعة الى المنزلة السافلة وهى الحالة المغضبة والتدلية ارسال الشئ من الاعلى الى الاسفل كارسال الدلو فى البئر (بغرور) اى بسبب تغريره اياهما باليمين بالله كاذبا وكان اللعين اول من حلف بالله كاذبا وظن آدم ان احدا لا يحلف بالله كاذبا فاغتر به فان شأن المؤمن ان يعتقد بصدق من حلف بالله لتمكن عظمة اسم الله تعالى فى قلبه وكان بعض العلماء يقول من خادعنا بالله خدعنا وفى الحديث المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما) اى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما فاستحييا وفى الاخبار ان غيرهما لم يرعورتهما قيل كان

لباسهما

لباسهما فى الجنة ظفرا فى اشد اللطافة واللين والبياض يكون حاجبا من النظر الى اصل البدن فلما اصابا الخطيئة نزع ذلك عن بدنهما وبقى عند رؤس الاصابع تذكيرا لما فات من النعم وتجديدا للندم وقيل كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر الى حر البدن وقيل كان حلة من حلل الجنة (وطفقا يخصفان) اى اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة (عليهما) اى على بدنهما او على سوآتهما من قبيل صغت قلوبكما فى التعبير عن المثنى بالجمع لعدم التباس المراد فجاز ان يرجع اليه ضمير التثنية (من ورق الجنة) قيل كان ذلك ورق التين ولم يستره من الشجر الاشجر التين فقال الله تعالى كما سترت آدم اخرج منك المعنى قبل الدعوى وسائر الاشجار يخرج منها الدعوى قبل المعنى فلهذه الحكمة يخرج ثمر سائر الاشجار فى كمامها اولا ثم تظهر الثمرة من الكمام ثانيا وشجرة التين اول ما يبدو ثمره يبدو بارزا من غير كمام وفى الاية دليل على ان كشف العورة قبيح من لدن آدم عليه السلام الا ترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر فى عقلهما من قبح كشف العورة (وناداهما ربهما) مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ يحتمل ان يكون ذلك بان اوحى اليهما بواسطة الملك ذلك الكلام او بان الهمهما ذلك فى قلبهما قيل كانت خجلتهما بهذا العتاب اشد عليهما من كل محنة اصابتهما (الم انهكما) وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب (عن تلكما الشجرة واقل لكما) عطف على انهكما اى الم اقل لكما (ان الشيطان لكما عدو مبين) اشارة الى قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل روى ان الله تعالى قال لآدم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز (قالا) اعترافا بالخطيئة وتسارعا الى التوبة (ربنا) اى يا ربنا (ظلمنا انفسنا) اى ضررناها بالمعصية وعرضناها للاخراج من الجنة (وان لم تغفر لنا) تستر علينا ذنبنا (وترحمنا) بقبول توبتنا (لنكونن من الخاسرين) اى الهالكين الذين باعوا حظهم فى الاخرة بشهوة ساعة وهو دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر والمغفرة مشكوك فيها فكان ذنب آدم صغيرة لانه لم يأكل من الشجرة قصد المخالفة حكم الله تعالى بل انما اكل بناء على مقالة اللعين حيث اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله الى ان نسى ذلك وزال المانع عن اكله فحمله طبعه عليه ولانه انما اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهى للتنزيه او ان الاشارة فى قوله ولا تقربا هذه الشجرة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وقد كان المراد بها الاشارة الى النوع كما روى انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتى حل لاناثها (قال) الله تعالى (اهبطوا) خطاب لآدم وحواء وذريتهما اولهما ولابليس (بعضكم لبعض عدو) جملة حالية من فاعل اهبطوا اى متعادين فطبع ابليس على عداوة كطبع العقرب على اللدغ والذئب على السالب فعادى لآدم لذهاب رياسته بين الملائكة بسبب خلافة آدم وامرنا بمعاداة ابليس لان الابن يعادى عدو ابيه (ولكم فى الارض مستقر) قرار كاهى وآرامجايى (ومتاع) اى تمتع وانتفاع (الى حين) هو حين انقضاء آجالهم فاغتم آدم وظن انه لا يرجع الى الجنة (قال) الله تعالى (فيها تحيون) اى فى الارض تعيشون (وفيها تموتون) وتقبرون (ومنها تخرجون) للجزاء فعلم آدم من مضمون هذا الخطاب انه يعود الى الجنة فصار متسليا بفضل الله تعالى ووعده قال الامام القشيرى ونعم ما قال اصبح آدم عليه السلام محسود الملائكة مسجود الكافتهم على رأسه تاج الوصلة وعلى جسده لباس الكرامة وفى وسطه نطاق القربة وفى جيده قلادة الزلفى لا احد من المخلوق فوقه من الرتبة ولا شخص مثله فى الرفعة يتوالى عليه النداء كل لحظة يا آدم يا آدم فلم يمس حتى نزع عنه لباسه وسلب استئناسه وتبدل مكانه وتشوش زمانه فاذا كان شؤم معصية واحدة على من اكرمه الله بكل كرامة هكذا فكيف شؤم المعاصى الكثيرة علينا انتهى (قال الحافظ) چه كونه دعوى وصلت كنم بجانكه شدست * تنم وكيل قضا ودلم ضمان فراق * وقضاء الله تعالى يجرى على كل احد نبيا كان او وليا * نه من از پردهٔ تقوى بدر افتادم وبس * پدرم نيز بهشت ابد از دست بهشت * واعلم ان آدم تناول من شجرة المحبة حقيقة فوقع فى شبكة المحنة وامر بالصبر على الهجر ووعد بالوجد بعد الفقد فكان ما كان من الترقيات المعنوية بعد التنزلات الصورية * مقام عيش ميسر نمى شود بى رنج * بلى بحكم

بلا بستة اند حكم الست * وشجرة العلم المجرد منهى عن ان يقربها احد بدون المكاشفة والمشاهدة والمعاينة فان صاحبه محجوب ومحروم عن لذات ثمرات الحقيقة فليمكن المشاهدة همته من اول امره الى ان يصل الى ذروة الكمال قبل مجيء الاجال فان فاجأه الموت وهو فى الطريق فالله تعالى يوصله الى مطلبه ولو فى البرزخ وايضا لا ينبغى لاحد ان يقرب من شجرة التدبير فان التقدير كاف لكل غنى وفقير الا ترى الى قيام الصلاة فانه اشارة الى التقدير الازلى وهو التفويض والركوع اشارة الى التدبير الابدى وهو التسليم والسجدة اشارة الى الفناء الكلى عنهما اذ كما لا بد من التخلق بمثل هذه الصفات لا بد من الفناء عنها فى غاية الغايات قال تعالى فيها تحيون اى فى المحبة وصدق الطلب وقرع باب الفرج بالصبر والثبات على العبودية وفى طلب الحق تموتون على جادة الشريعة باقدام الطريقة ومنها تخرجون الى عالم الحقيقة يدل عليه قوله عليه السلام كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون * بكوش خواجه وازعشق بى نصيب مباش * كه بنده را نخرد كس بعيب بى هنرى * مرادرين ظلمات آنكه رهنمايى كرد * دعاى نيم شبى بود وكريهٔ سحرى (يا بنى آدم) خطاب للناس كافة روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت الى آخر الايات الثلاث (قد انزلنا عليكم لباسا) اى خلقناه لكم بانزال سببه من السماء وهو ماء المطر فانبته الارض من القطن والكتان من ماء السماء وما يكون من الكسوة من اصواف الانعام فقوام الانعام ايضا من ماء السماء واعلم ان السماء فاعلة والارض قابلة والحوادث الارضية منسوبة الى السماء فكل ما فى الارض انما هو بتدبيرات سماوية (يوارى سوآتكم) اى يستر عوراتكم فكشف العورة مع وجود ما يسترها من اللباس فى غاية القباحة ولا شك ان الشيطان اغوى من فعل ذلك كما اغوى آدم وحواء فبدت لهما سوآتهما ونستعيذ بالله من شره (وريشا) هو من قبيل ما حذف فيه الموصوف واقيمت صفته مقامه كانه قيل ولباسا ريشا اى ذا ريش وزينة تتجملون به عبر عن الزينة بالريش تشبيها لها بريش الطائر لان الريش زينة الطائر كما ان اللباس زينة لبنى آدم كانه قيل انزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا يزينكم فان الزينة غرض صحيح قال تعالى لتركبوها وزينة (قال الحسين الكاشفى) درتفسير امام زاهد فرموده كه لباس آنست كه از پنبه باشد وريش از ابريشم وكتان وپشم (ولباس التقوى) اى خشية الله تعالى مبتدأ خبره قوله (ذلك خير) شبهت التقوى بالملبوس من حيث انها تستر صاحبها وتحفظه عما يضره كما يحفظه الملبوس قال قتادة والسدى هو العمل الصالح لانه يقى من العذاب كانه قال لباس التقوى خير من الثياب لان الفاجر وان كان حسن الثياب فهو بادى العورة قال الشاعر

انى كانى ارى من لا حياء له * ولا امانة وسط القوم عريانا

(قال الحافظ) قلندران حقيقت بنيم جو نخرند * قباى اطلس انكس كه از هنر عاريست (وفى التفسير الفارسى ولباس التقوى) وپوشش تقوى يعنى لباسى كه براى تواضع پوشند چون پشمينها وجامهاى درشت ذلك خير آن بهتراست كه از لباسهاى نرم وفى الحديث من رق ثوبه رق دينه وقيل اول من لبس الصوف آدم وحواء حين خرجا من الجنة وكان عيسى عليه السلام يلبس الشعر ويأكل من الشجر ويبيت حيث امسى فلبس الصوف والشعر علامة التواضع وفيه تشبه بالمساكين والعاقل من اختار ما اختاره الصلحاء (قال الصائب) جمعى كه پشت گرم بعشق نينند * نازسمور ومنت سنجاب ميكشند * واعلم ان لكل جزء من اجزاء الانسان لباسا يوارى سوءة ذلك الجزء من ظاهره وباطنه فلباس الشريعة يوارى سوءة الافعال القبيحة باحكام الشريعة فى الظاهر وسوءة الصفات الذميمة النفسانية والحيوانية باداب الطريقة فى الباطن والتقوى هو لباس القلب الروح والسر والخفى فلباس القلب من التقوى هو الصدق فى طلب المولى يوارى سوءة طبع الدنيا وما فيها ولباس الروح من التقوى محبة الحق تعالى يوارى به سوءة التعلق بغير المولى ولباس السر هو شهود انواع اللقاء يوارى به سوءة رؤية ماسوى الله تعالى ولباس الخفى هو البقاء بهوية الحق يوارى به سوءة هوية الخلق يعنى همه تعينات مضمحل ومتلاشى گردد وحجاب پندار از سر موجودات متكثره در كشيده اند وسر لمن الملك اليوم برغرفهٔ وحدت وقهار جلوه نمايد * ملك ملك اوست او خود مالكست * غير ذاتش كل شئ هالكست * كل شئ ما خلا الله باطل * ان فضل الله غيم هاطل * ملك آمد پيش وجهش نيستيست * هستى

اندر نيستى خود طرفه ايست (ذلك) اى انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته (لعلهم يذكرون) فيعرفون نعمته حيث اغناهم باللباس عن خصف الورق او يتعظون فيتورعون عن القبائح نحو كشف العورة وفى الاسرار المحمدية العالم مشحون بالارواح فليس فيه موضع بيت ولا زاوية الا وهو معمور بما لا يعلمه الا الله وما يعلم جنود ربك الا هو قال حجة الاسلام فى كتابه معراج السالكين والدليل على ذلك امر النبى عليه السلام بالتستر فى الخلوة وان لا يجامع الرجل امرأته عريانين وكان الحسن والحسين وعبد الله ابن جعفر يدخلون الماء وعليهم السراويلات تستراعن سكان الماء يحكى عن احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء فاستعملت خبر النبى عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخلن الحمام الا بمئزر فلم اتجرد فرأيت تلك الليلة فى المنام كان قائلا يقول ابشر يا احمد فان الله تعالى قد غفر لك باستعمال السنة فقلت ومن انت قال انا جبرائيل فقد جعلك الله اماما يقتدى بك قال فى الشرعة وينوى بلبس الثياب ستر العورة والعيب الواقع فى البدن والتزين بها توددا الى اهل الاسلام لا لحظ النفس فان ذلك اللبس بتلك النية يصفى وينور العقل عن الكدورات تصفية بحيث لا يشوبه شئ من اهوية النفس وحظوظها ويؤجر عليه بتلك النية فيل الاعمال البهيمية ما كان بغير نية فعلى العاقل جمع الهم بحيث لا ينسخ فى السر ذكر غيره تعالى (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان) اى لا يوقعنكم فى الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة باغوائكم (كما اخرج ابويكم من الجنة) نعت لمصدر محذوف اى لا يفتننكم فتنة مثل فتنة اخراج ابويكم آدم وحواء من الجنة فانه اذا قدر بكيده على ازلالهما فان يقدر على ازلال اولاده اولى فوجب عليكم ان تحترزوا عن قبول وسوسته والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به وهو ابلغ من لا تقبلوا فتنة الشيطان (ينزع عنهما لباسهما) حال من ابويكم وعن ابن عباس رضى الله عنه ان لباسهما كان من الظفر اى كان يشبه الظفر فانه كان مخلوقا عليهما خلقة الظفر واسند نزع اللباس الى الشيطان مع انه لم يباشر ذلك لكونه سببا فى ذلك النزع (ليريهما سوآتهما) اى ليظهر لهما عوراتهما وكانا قبل ذلك لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر كما روى ان آدم كان رجلا طوالا كانه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع بالخطيئة بدت سوءته وكان لا يراها فانطلق هاربا فى الجنة فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها ارسلينى فقالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا آدم أمنى تفر قال لا ولكنى استحييت (انه) اى الشيطان او الشأن (يراكم هو وقبيله) اى جنوده وذريته (من حيث لا ترونهم) من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ومعناه بالفارسية از جايى كه شما او را نمى بينيد يعنى اجسام ايشان از غايت رقت ولطافت در نظر شما نمى آيد وايشان اجسام شما را بواسطهٔ غلظت وكثافت مى بينند حذر از چنين دشمن لازمست (وفى المثنوى) از نبى برخوان كه ديو وقوم او * مى برند از حال انسى خفيه بو * از رهى كه انس از آن آگاه نيست * زانكه محسوس درين اشباه نيست * مسلكى دارند دزديده درون * ما ز دزديهاى ايشان سر نگون * دمبدم ضبط وزيانى ميكنند * صاحب نقب وشكاف وروزنند * ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة اى فى بعض احوالهم وهو حال بقائهم على صورهم الاصلية لا يقتضى امتناع رؤيتنا اياهم بان يتمثلوا لنا كما تواتر من ان بعض الناس رأى الجن جهارا علنا قال فى آكام المرجان فى احكام الجان لو كثف الله اجسامهم وقوى شعاع ابصارنا لرأيناهم او لو كثفهم وشعاع ابصارنا على ما هو عليه من غير ان يقوى لرأيناهم الا ترى ان الريح ما دامت رقيقة لطيفة لا ترى فاذا كثفت باختلاف الغبار رأيناها ولم يمتنع دخولهم فى ابداننا كما يدخل الريح والنفس المتردد الذى هو الروح فى ابداننا من التخرق والتخلل وفى الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وقد يحتاج فى ابراء المصروع ودفع الجن عنه الى الضرب فيضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلثمائة او اربعمائة ضربة او اقل او اكثر والضرب انما يقع على الجنى ولا يحس به المصروع ولو كان على الانسى لقتله وكذا يجوز دخولهم فى الاحجار اذا كانت متخللة كما يجوز دخول الهواء فيها فان قلت لو دخل الجن فى جسد ابن آدم لتداخلت الاجسام ولاحترق الانسان قلت الجسم اللطيف يجوز ان يدخل الى مخاريق الجسم الكثيف كالهواء الداخل فى سائر الاجسام ولا يؤدى ذلك الى اجتماع الجواهر فى حيز واحد لانها لا تجتمع الا على طريق المجاورة لا على سبيل الحلول وانما يدخل

فى اجسامنا كما يدخل الجسم الرقيق فى الظروف والجن ليسوا بنار محرقة بل هم خلقوا من نار فى الاصل كما خلق آدم من التراب فالنسبة باعتبار الجزء الغالب قال فى بحر الحقائق الاشارة انهم انما يرونكم من حيث البشرية التى هى منشأ الصفات الحيوانية وانكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم لا من حيث الروحانية التى هى منشأ علوم الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم فى هذا المقام وانتم ترونهم بالنظر الروحانى بل بالنظر الربانى انتهى ثم قوله انه يراكم تعليل للنهى ببيان انه عدو صعب الاحتراز عن ضرره فان العدو الذى يراك ولا تراه شديد المؤنة لا يتخلص منه الا من عصمه الله فلا بد ان يكون العاقل على حذر عظيم من ضرره فان قيل كيف نحاربهم ونحترز عنهم ونحن لا نراهم قلنا لم نؤمر بمحاربة اعيانهم وانما امرنا بدفع وسوستهم وعدم قبول ما القاه فى قلوبنا بالاستعاذة منه الى الله تعالى روى عن ذى النون المصرى انه قال ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه فان كيد الشيطان كان ضعيفا (انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون) بما اوجدنا بينهم من التناسب فى الخذلان والغواية فصار بعضهم قرين بعض واغواه فالاولياء جمع ولى بمعنى الصديق ضد العدو يقال منه تولاه اى اتخذه صديقا وخليلا وذكر عن وهب بن منبه انه قال امر الله تعالى ابليس ان يأتى محمدا عليه السلام ويجيبه عن كل ما يسأله فجاء على صورة شيخ وبيده عكازة فقال له من انت قال انا ابليس قال لماذا جئت قال امرنى ربى ان آتيك واجيبك فاخبرك عما تسألنى فقال عليه الصلاة والسلام فكم اعداؤك من امتى قال خمسة عشر انت يا محمد وامام عادل وغنى متواضع وتاجر صدوق وعالم متخشع ومؤمن ناصح ومؤمن رحيم القلب وثابت على التوبة ومتورع عن الحرام ومديم على الطهارة ومؤمن كثير الصدقة وحسن الخلق مع الناس ومن ينفع الناس وحامل القرءآن مديم عليه وقائم الليل والناس نيام قال فكم رفقاؤك من امتى فقال عشرة سلطان جائر وغنى متكبر وتاجر خائن وشارب الخمر والقتات وصاحب الرياء وآكل مال اليتيم وآكل الربا ومانع الزكاة والذى يطيل الامل فهؤلاء اصحابى واخوانى فظهر ان الشياطين كما انهم اولياء لاهل الكفر كذلك هم اولياء لمن هو فى حكم اهل الكفر من اهل المعصية ونسأل الله العناية والتوفيق ويحكى ان الخبيث ابليس تبدى ليحيى بن زكرياء عليهما السلام فقال انى اريد ان انصحك قال كذبت انت لا تنصحنى ولكن اخبرنى عن بنى آدم قال هم عندنا على ثلاثة اصناف الصنف الاول منها فاشد الاصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شئ ادركنا منه ثم نعود له فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن من ذلك فى عناء واما الصنف الثانى فهم فى ايدينا بمنزلة الكرة فى ايدى صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شئ قال يحيى على ذلك هل قدرت منى على شئ قال لا الا مرة واحدة فانك قدمت طعاما تأكله فلم ازل اشهيه اليك حتى اكلت منه اكثر مما تريد فنمت تلك الليلة فلم تقم الى الصلاة كما كنت تقوم اليها فقال له يحيى لا جرم انى لا اشبع من طعام ابدا قال له الخبيث لا انصح آدميا بعدك ولقى يحيى بن زكريا ابليس فى صورته ايضا فقال له اخبرنى من احب الناس اليك وابغض الناس اليك فقال احب الناس الى المؤمن البخيل وابغضهم الى الفاسق السخى قال يحيى وكيف ذلك قال لان البخيل قد كفانى بخله والفاسق السخى اتخوف ان يطلع الله عليه فى سخاه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لم اخبرك كذا فى آكام المرجان فى احكام الجان (واذا فعلوا) اى كفار قريش (فاحشة) اى فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف ونحوهما (قالوا) جوابا للناهين عنها محتجين على حسنها بامرين الاول تقليد الآباء وهو قولهم (وجدنا عليها آباءنا) والثانى فى الافتراء على الله وهو قولهم (والله امرنا بها) فاعرض الله تعالى عن رد احتجاجهم الاول لظهور فساده فان التقليد لا يعتبر دليلا على صحة الفعل الذى قام الدليل على بطلانه وان كان معتبرا فى غيره ورد الثانى بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال (اتقولون على الله ما لا تعلمون) انه امر لكم بذلك وذلك لان طريق العلم اما السماع من الله تعالى ابتداء اى من غير توسط رسول يبلغهم ان الله تعالى امرهم بذلك وانتفاؤه ظاهر واما المعرفة بواسطة الانبياء وهم ينكرون نبوة الانبياء على الاطلاق فلا طريق لهم الى العلم باحكام الله تعالى فكان قولهم والله امرنا بها قولا على الله بما لا يعلمون وهو اى قوله اتقولون من تمام القول المأمور به والهمزة لانكار الواقع

واستقباحه والاشارة فى الآية ان الفاحشة طلب الدنيا وحبها والحرص على جمعها فان افحش الفواحش حب الدنيا لانه رأس كل خطيئة والمعنى اذا وقع اهل الغفلة فى طلب الدنيا وزينتها والتمتع بها بتلقين الشياطين وتدبيرهم وتزيينهم فيدعوهم داع الى الله وطلبه وترك الدنيا وطلبها قالوا وجدنا عليها آباءنا اى على محبة الدنيا وشهواتها والله امرنا بها اى بطلبها بالكسب الحلال قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اى لا يأمر بحب الدنيا والحرص على جمعها وانما يأمر بالكسب الحلال بقدر الحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق العبودية اتقولون على الله ما لا تعلمون اى اتفترون على الله ما لا تعلمون آفته ولا وبال عاقبته ولا تعلمون ان ذلك من فتنة الشيطان وتزيينه واغوائه كذا فى التأويلات النجمية (وفى المثنوى)

اين جهان جيفه است ومردار رخيص * بر چنين مردار چون باشم حريص

(قل امر ربى بالقسط) بيان للمأمور به اثر نفى ما اسند اليه امره به تعالى من الامور المنهى عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شئ المتجاوز عن طرفى الافراط والتفريط وفى الخبر خير الامور اوساطها

توسط اذا ما شئت امرا فانه * كلا طرفى قصد الامور ذميم

(واقيموا وجوهكم) معطوف على امر بتقدير قل لئلا يلزم عطف الانشاء على الاخبار اى وقل لهم توجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموا وجوهكم نحو القبلة (عند كل مسجد) يحتمل ان يكون اسم زمان وان يكون اسم مكان اى فى كل وقت سجود او مكان سجود والمراد بالسجود الصلاة بطريق ذكر الجزء وارادة الكل وقال الكلبى معناه اذا حضرت الصلاة وانتم فى مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلى فى مسجدى واذا لم يكن عند مسجد فليأت اى مسجد شاء وليصل فيه وفى الفروع مسجد المحلة افضل من الجامع اذا كان الامام عالما او مسجد المحلة فى حق السوقى نهارا ما كان عند حانوته نهارا وليلا ما كان عند منزله قال الحدادى وهذه الاية تدل على وجوب فعل الصلاة المكتوبة فى الجماعة وفى الحديث من سمع النداء فلم يجبه فلا صلاة له الا من عذر وصلاة الجماعة افضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وذلك لان كل صلاة اقيمت فى الجماعة كصلاة يوم وليلة اذا اقيمت بغير جماعة لان فرائض اليوم والليلة سبع عشرة ركعة والرواتب عشر فالجميع سبع وعشرون قال العلماء كل ما شرعت فيه الجماعة كالفرائض والتراويح ونحوهما فالمسجد فيه افضل من ثواب المصلين فى البيت بالجماعة لان فيه اظهار شعائر الاسلام كما ان ثواب المصلين فى البيت وحدانا دون ثواب المصلين فى البيت بالجماعة (وادعوه) اى واعبدوه فهو من اطلاق الخاص على العام فان الدعاء من ابواب العبادة وهو الخضوع للبارى مع اظهار الافتقار والاستكانة وهو المقصود من العبادة والعمدة فيها (مخلصين له الدين) اى الطاعة فان مصيركم اليه فى الآخرة * فردا كه پيشگاه حقيقت شود پديد * شرمنده رهروى كه عمل بر مجاز كرد (كما بدأكم) اى انشأكم ابتداء (تعودون) اليه باعادته فيجازيكم على اعمالكم والكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف تقديره تعودون عودا مثل ما بدأكم وهو بالهمزة بمعنى انشأ واخترع وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها يعنى قيسوا الاعادة بالابتداء فلا تنكروها فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة اذ ليس بعثكم اشد من ابتداء خلقكم (فريقا) منصوب بما بعده (هدى) بان وفقهم للايمان (وفريقا) نصب بفعل مضمر يفسره ما بعده من حيث المعنى اى واضل فريقا (حق عليهم) سزاوار گشت برايشان (الضلالة) بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) تعليل لما قبله اى حقت عليهم الضلالة لاتخاذهم الشياطين اولياء وقبولهم ما دعوا اليه بدون التأمل فى التمييز بين الحق والباطل وكل واحد من الهدى والضلال وان كان يحصل بخلق الله تعالى اياه ابتداء الا انه يخلق ذلك حسبما اكتسبه العبد وسعى فى حصوله فيه (ويحسبون انهم مهتدون) اى يظنون انهم على الهدى وفيه دلالة على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء من حيث انه تعالى ذم المخطئ الذى ظن انه فى دينه على الحق بانه حق عليه الضلالة وجعله فى حكم الجاحد المعاند فعلم منه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفى فى صحة الدين بل لا بد فيه من الجزم واليقين لانه تعالى ذم الكفار بانهم يحسبون انهم مهتدون ولو كفى مجرد الحسبان فيه لما ذمهم بذلك فعلى العاقل تحصيل اليقين وترك التقليد والاقتداء باصحاب التحقيق والتوحيد فان المرء لا يعرف حاله ومقامه الا بالتعريف (ونعم ما قال الصائب) واقف نميشوند كه گم كرده اند راه *

تارهروان براهنمايى نمى رسند * وكل واحد من التقليد الباطل والشك والرياء وحب الدنيا وحب الخلق مذموم لايجدى نفعا وعن ذى النون رضى الله عنه قال بينما انا فى بعض جبال لكام اذا برجل قائم يصلى والسباع حوله ترتبض فلما اقبلت نحوه نفرت عنه السباع فاوجز فى صلاته وقال يا ابا الفيض لو صفوت لطلبتك السباع وحنت اليك الجبال فقلت مامعنى قولك لو صفوت قال تكون لله خالصا حتى يكون لك مريدا قال فقلت فبم الوصول الى ذلك قال لاتصل الى ذلك حتى تخرج حب الخلق من قلبك كما تخرج الشرك منه فقلت هذا والله شديد على فقال هذا ايسر الاعمال على العارفين فولاية الخلق مطلقا اذا كانت سبيلا للضلالة فما ظنك بولاية الشياطين سوآء كانوا شياطين الانس او شياطين الجن فلا بد من محبة الله تعالى فويل لمن جاوز محبة الله تعالى الى محبة ماسواه وقد ذمه الله بقوله من دون الله نسأل الله تعالى ان لايزيغ قلوبنا بعدما هدانا الى محبته وارشدنا الى طريق طاعته وعبادته (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) الزينة وان كانت اسما لما يتزين به من الثياب الفاخرة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالزينة ههنا الثياب التى تستر العورة استدلالا بسبب نزول الاية وهو ان اهل الجاهلية من قبائل العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة وقالوا لانطوف فى ثياب اصبنا فيها الذنوب ودنسناها بها فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة فامرهم الله تعالى ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا عند كل مسجد سوآء دخلوه للصلاة او للطواف وكانوا قبل ذلك يدعون ثيابهم ورآء المسجد عند قصد الطواف وفى تفسير الحدادى كانوا اذا قدموا منى طرح احدهم ثيابه فى رحله فان طاف وهى عليه ضرب وانتزعت منه وكانت المرأة تطوف بالليل عريانة الا انها كانت تتخذ سيورا مقطعة تشدها فى حقويها فكانت السيور لاتسترها سترا تاما وهذه الاية اصل فى وجوب ستر العورة فى الصلاة والمعنى خذوا ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلاة قال شيخ الاسلام خواهرزاده فيه دليل على ان اللبس من احسن الثياب مستحب حالة الصلاة لان المراد من الزينة الثوب بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب انتهى فاخذ الثوب واجب ولباس التجمل مسنون وكان ابو حنيفة رحمه الله اتخذ لباسا لصلاة الليل وهو قميص وعمامة ورداء وسراويل قيمة ذلك الف وخمسمائة درهم يلبسه كل ليلة ويقول التزين لله تعالى اولى من التزين للناس قال الفقهاء ولا اعتبار لستر الظلمة لان الستر وجب لحق الصلاة وحق الناس وفى التفسير الفارسى كفته اند زبان علم ستر عورتست براى نماز وزبان كشف حضور دلست براى عرض راز * ذوق طاعت بى حضور دل نيابد هيچكس * طالب حق رادل حاضر برين دركاه بس (وكلوا واشربوا) ماطاب لكم من الاطعمة والاشربة روى ان بنى عامر فى ايام حجهم كانوا لايأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت والاشارة كلوا مما يأكل اهل البيات فى مقام العبودية واشربوا مما يشربون كما قال عليه السلام ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وكان عليه السلام يخص رمضان من العبادات بما لايخص به غيره من الشهور حتى انه كان يواصل احيانا ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة وكان ينهى اصحابه عن الوصال فيقولون له فانك تواصل فيقول لست كاحدكم انى ابيت وفى رواية اظل عند ربى يطعمنى ويسقينى وقد اختلف العلماء فى هذا الطعام والشراب المذكور على قولين احدهما انه طعام وشراب حسى بالفم قالوا وهذا حقيقة اللفظ ولا يجب العدول عنه وكان يؤتى بطعام من الجنة والثانى ان المراد به مايغذيه الله به من معارفه وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه لقربه ونعيم محبته وتوابع ذلك من الاحوال التى هى غذاء القلوب ونعيم الارواح وقرة الاعين وبهجة النفوس حكى ان مريدا خدم الشيخ منصور الحلاج فى الكعبة حين كان مجاورا سنتين قال كان يجيئ له طعام من ارباب الخيرات فاضعه عنده ثم اجده فى الصبح من غير نقصان فاطعمه فقيرا فما رأيته فى السنتين اكل لقمة قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى ان النبى عليه السلام انما اكل فى الظاهر لاجل امته الضعيفة والا فلا احتياج له الى الاكل والشرب وماروى من انه كان يشد الحجر فهو ليس من الجوع بل من كمال لطافته لئلا يصعد الى الملكوت فكان يشد الحجر حتى يحصل الاستقرار فى عالم الارشاد قال يعنى انه صلى الله عليه وسلم كان ينظر الى حدوث العالم فيتنعم بتجلى البقاء انتهى كلامه (ولا تسرفوا) بتحريم الحلال فان بتحريم الحلال يتحقق تضييع المال وهو اسراف او بالتعدى الى الحرام بان يتناول ماحرمه الله عليه من المأكول والمشروب والملبوس او بافراط الطعام والشره عليه بان يتناول

مالا يحتاج اليه البدن فى قوامه فان ذلك ايضا من قبيل الاسراف (ان الله لايحب المسرفين) لايرتضى فعلهم ولا يثنى عليهم قال بعضهم الاسراف هو ان يأكل الرجل كل مايشتهيه ولاشك ان من كان تمام همته مصروفا الى فكر الطعام والشراب كان اخس الناس واذلهم * خواجه رابين كه از سحر تاشام * دارد انديشهٔ شراب وطعام * شكم از خوش دلى وخوش حالى * كاه پر ميكند كهى خالى * فارغ از خلد وايمن از دوزخ * جاى اومزبلست ويامطبخ * شيخ الاسلام عبد الله الانصارى فرموده كه اكر همه دنيارا لقمه سازى ودردهان درويشى نهى اسراف نباشد اسراف آن بود كه نه برضاى حق تعالى صرف كنى * يك جوانرا كه خيرد ائم داشت * پند ميداد راهبى درد ير * كاى پسر خير نيست در اسراف * كفت اسراف نيست اندر خير * قال فى التأويلات النجمية الاسراف نوعان افراط وتفريط فالافراط مايكون فوق الحاجة الضرورية او على خلاف الشرع او على وفق الطبع والشهوة او على الغفلة او على ترك الادب او بالشره او على غير ذلك والتفريط ان ينقص من قدر الحاجة الضرورية ويقصر فى حفظ القوة والطاقة للقيام بحق العبودية او يبالغ فى اداء حق الربوبية باهلاك نفسه فيضيع حقها او يضيع حقوق الربوبية بحظوظ نفسه او يضيع حقوق القلب والروح والسر التى هو مستعد لحصولها بحظوظ النفس فالمعنى لاتسرفوا لاتضيعوا حقوقنا ولا حقوقكم لحظوظكم انتهى ويروى ان هرون الرشيد كان له طبيب نصرانى حاذق فقال لعلى بن حسين بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الاديان وعلم الابدان فقال له ان الله تعالى قد جمع الطب كله فى نصف آية من كتابنا قال وماهى قال قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى وهل يؤثر عن رسولكم شئ من الطب قال نعم جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب فى الفاظ يسيرة قال وماهى قال قوله المعدة بيت الدآء والحمية رأس كل دوآء وعودوا كل جسم مااعتاد فقال النصرانى ماترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا وعن ابن عباس كل ماشئت والبس ماشئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وينبغى لاهل الرخصة ان يقتصروا على اكلتين فى اليوم والليلة فى غير شهر رمضان ولاهل العزيمة على اكلة واحدة فان مافوق الاكلتين للطائفة الاولى ومافوق الاكلة للثانية تجاوز عن الحد وميل الى الاتصاف بصفات البهائم والهند جل معالجتهم الحمية يمنع المريض عن الاكل والشرب والكلام عدة ايام فيبرأ فجانب الاحتماء اولى (قل) لما طاف المسلمون فى ثيابهم واكلوا اللحم والدسم عيرهم المشركون لانهم كانوا يطوفون عراة ولا يأكلون اللحم والدسم حال الاحرام فامر الله حبيبه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم (من) استفهام انكار (حرم زينة الله) من الثياب وسائر مايتجمل به (التى اخرج) بمحض قدرته (لعباده) من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع (والطيبات من الرزق) عطف على زينة الله اى من حرم ايضا المستلذات من المآكل والمشارب كاللحوم والدسوم والالبان اعلم ان الرجل اذا ادى الفرآئض واحب ان يتنعم بمنظر حسن وجوار جميلة فلا بأس به فمن قنع بادنى المعيشة وصرف الباقى الى ماينفعه فى الاخرة فهو اولى لان ماعند الله خير وابقى لان الاقتصار على ادنى مايكفيه عزيمة ومازاد عليه من التنعم ونيل اللذة رخصة دلت عليها هذه الاية ودلت ايضا على ان الاصل فى المطاعم والملابس بانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من انكارى كما هو مذهب الشافعى واكثر اصحاب ابى حنيفة فانهم قالوا ان الاصل فى الاشياء الاباحة وذهب بعضهم الى التوقف وبعضهم الى الحظر ووجه قول القائلين بالاباحة انه سبحانه وتعالى غنى على الحقيقة جواد على الاطلاق والغنى الجواد لايمنع ماله من عبيده الا ماكان فيه ضرر فتكون الاباحة هى الاصل باعتبار غناه سبحانه وجوده والحرمة لعوارض فلم تثبت فبقى على الاباحة ووجه القول بالحظر ان الاشياء كلها مملوكة لله تعالى على الحقيقة والتصرف فى ملك الغير لايثبت الا باباحة المالك فما لم تثبت الاباحة بقى على الحظر لقيام سببه وهو ملك الغير ووجه القول بالتوقف ان الحرمة والاباحة لاتثبت الا بالشرع فقبل وروده لايتصور ثبوت واحدة منهما فلا يحكم فيها بحظر ولا اباحة قال عبد القاهر البغدادى وتفسير الوقف عندهم ان من فعل شيأ قبل ورود الشرع لم يستحق بفعله من الله تعالى ثوابا ولا عقابا (قل هى) اى الزينة والطيبات كما فى التفسير الفارسى (للذين آمنوا) اى مستقرة لهم (فى الحياة الدنيا) متعلق بآمنوا او بالاستقرار الذى تعلق به للذين والمقصود الاصلى من خلق الطيبات تقوية المكلفين على طاعة الله تعالى

لاتقويتهم على الكفر والعصيان فهى مختصة بالاصالة للمؤمنين والكفار تبع لهم فى ذلك قطعا للمعذرتهم ولذا لم يقل هى للذين آمنوا ولغيرهم فى الدنيا (خالصة يوم القيامة) لايشاركهم فيها غيرهم وان اشترك فيها المؤمنون والكفار فى الدنيا وانتصابها على الحال من المنوى فى قوله للذين آمنوا ويوم القيامة متعلق بخالصة والاشارة فى الآية من يمنعكم عن طلب كمالات اخرجها الله تعالى من غيب الغيب لخواص عباده من الانبياء والاولياء ومن حرم عليكم نيل هذه الكرامات والمقامات فمن تصدى لطلبها وسعى لها سعيا فهى مباحة له من غير تأخير ولاقصور واضافة الزينة الى الله لانه اخرجها من خزائن الطافه وحقائق اعطافه فزين الابدان بالشرائع وآثارها وزين النفوس بالآداب واقدارها وزين القلوب بالشواهد وانوارها وزين الارواح بالمعارف واسرارها وزين الاسرار بالطوالع واثمارها بل زين الظواهر بآثار التوفيق وزين البواطن بانوار التحقيق بل زين الظواهر بآثار السجود وزين البواطن بانوار الشهود بل زين الظواهر بآثار الجود وزين البواطن بانوار الوجود والطيبات من الرزق وان ارزاق النفوس بحكم افضاله وارزاق القلوب بموجب اقباله والطيبات من الرزق على الحقيقة مالم يكن مشوبا بحقوق النفس وحظوظها ويكون خالصا من مواهبه وحقوقه قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا اى هذه الكرامات والمقامات لهؤلاء السادات فى الدنيا مشوبة بشوائب الافات النفسانية وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيامة من هذه الآفات والكدورات كما قال ونزعنا ما فى صدورهم من غل (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون ما فى تضاعيفها من المعانى الرائقة (قل انما حرم ربى الفواحش) اى ما تفاحش قبحه من الذنوب وتزايد وهى الكبائر (ماظهر منها وما بطن) بدل من الفواحش اى جهرها وسرها كالكفر والنفاق وغيرهما (والاثم) اى ما يوجب الاثم وهو يعم الصغائر والكبائر (والبغى) اى الظلم او الكبر افرده بالذكر مع دخوله فى الاثم للمبالغة فى الزجر عنه (بغير الحق) متعلق بالبغى مؤكد له لان البغى لايكون بالحق (وان تشركوا بالله) معطوف على مفعول حرم اى وحرم عليكم اشراككم به تعالى (مالم ينزل به) اى باشراكه وعبادته (سلطانا) اى حجة وبرهانا وهو تهكم بالمشركين لانه اذا لم يجز انزال البرهان بالاشراك كان ذكر ذلك تهكما بهم واستهزاء ومعلوم انه لابرهان عليه حتى ينزل (وان تقولوا على الله ما لاتعلمون) بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها وفى التأويلات النجمية الفواحش ما يقطع على العبد طريق الرب ويمنعه عن السلوك ففاحشة العوام ماظهر منها ارتكاب المناهى وما بطن خطورها بالبال وفاحشة الخواص ماظهر منها ما لانفسهم نصيب فيه ولو بذرة وما بطن الصبر عن المحبوب ولو بلحظة وفاحشة الاخص ماظهر منها ترك ادب من الاداب او التعلق بسبب من الاسباب وما بطن منها الركون الى شئ من الدارين والالتفات الى غير الله من العالمين والاثم هو الاعراض عن الله ولو طرفة عين والبغى هو حب غير الله فانه وضع فى غير موضعه وان تشركوا بالله يعنى وان تستعينوا بغير الله مالم ينزل به سلطانا اى مالم يكن لكم به حجة ورخصة من الشريعة المنزلة وان تقولوا على الله ما لاتعلمون اى وان تحكموا بفتوى النفس وهواها او تقولوا بنظر العقل على الله ما لاتعلمون حقيقته وفيه معنى آخر وان تقولوا فى معرفة الله وبيان احوال السائرين وشرح المقامات واثبات الكرامات ما انتم عنه غافلون ولستم به عارفين انتهى ثم هدد الله المشركين المكذبين للرسل بقوله (ولكل امة) من الامم المهلكة (اجل) حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم (فاذا جاء اجلهم) الضمير لكل امة خاصة حيث لم يقل آجالهم اى اذا جاءها اجلها الخاص بها او الوقت المعين لنزول عذاب الاستئصال عليهم (لايستأخرون) عن ذلك الاجل (ساعة) اى شيأ قليلا من الزمان فانها مثل فى غاية القلة منه اى لايتأخرون اصلا او صيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له (ولا يستقدمون) اى لايتقدمون عليه

اجل چون فردا آيدت پيش وپس * پيش وپس نكذارد ست يكنفس *

روى ان بعض الملوك كان متنسكا ثم رجع ومال الى الدنيا وزياسة الملك وبنى دارا وشيدها وامر بها ففرشت ونجدت واتخذ مائدة ووضع طعاما ودعا الناس فجعلوا يدخلون عليه ويأكلون ويشربون وينظرون الى بنائه ويتعجبون من ذلك ويدعون له وينصرفون فمكث بذلك اياما ثم جلس هو ونفر من خاصة اصحابه فقال قد ترون سرورى بدارى هذه وقد حدثت نفسى ان اتخذ لكل واحد من اولادى مثلها فاقيموا عندى اياما استأنس

بجد بنكم واشاوركم فيما اريد من هذا البناء فاقاموا عنده اياما يلهون ويلعبون ويشاورهم كيف يبنى وكيف يصنع ويرتب ذلك فبينما هم ذات ليلة فى لهوهم اذ سمعوا قائلا من اقصى الدار يقول

يا ايها البانى الناسى لميتته * لاتأمنن فان الموت مكتوب
هذى الخلائق ان سروا وان فرحوا * فالموت حتف لذى الآمال منصوب
لاتبنين ديارا لست تسكنها * وراجع النسك كيما يغفر الحوب

ففزع لذلك وفزع اصحابه فزعا شديدا وراعهم فقال هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال فهل تجدون ما اجد قالوا وما تجد قال مسكة على فؤادى وما اراها الاعلة الموت فقالوا كلا بل البقاء والعافية فبكى ثم امر بالشراب فاهريق وبالملاهى فاخرجت او قال فكسرت وتاب الى الله سبحانه ولم يزل يقول الموت الموت حتى خرجت نفسه رحمه الله (قال السعدى)

خواجه در بند نقش ايوانست * خانه از پاى بست ويرانست

(وقال)

آنكه قرارش نكرفتى وخواب * تا كل ونسرين نفشاندى نخست
كردش كيتى كل رويش بريخت * خاربنان بر سرخاكش برست *

والاشارة لكل امة اجل اى لكل قوم من السائرين الى الله والى الجنة والى النار مدة معلومة ومهلة موقتة فاذا جاء اجلهم مدتهم كما قدر الله فى الازل لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون هذا وعد للاولياء استمالة لقلوبهم ووعيد للاعداء سياسة لنفوسهم كذا فى التأويلات النجمية (يابنى آدم) خطاب لكافة الناس (اما) اصله ان ماضمت كلمة ما الى ان الشرطية تأكيدا لما فيها من معنى الشرط (يأتينكم رسل) كائنون (منكم) اى من جنسكم فهو صفة لرسل (يقصون عليكم آياتى) صفة اخرى لرسل اى يبينون لكم احكامى وشرائعى ومقتضى الظاهر كلمة اذا بدل ان لكون الاتيان محقق الوقوع فى علم الله تعالى لكنه سيق المعلوم مساق المشكوك للتنبيه على ان ارسال الرسل امر جائز لاواجب عقلا حتى لايقدر على عدم ارساله ولا واجب شرعا حتى يأثم بترك ارساله لانه لايجب على الله شئ لاعقلا ولا شرعا لكن مقتضى الحكمة ارسال الرسل لما فيه من الحكم والمصالح (فمن) شرطية بالفارسية پس هركه (اتقى) منكم التكذيب (واصلح) عمله واطاع رسوله الذى يقص آياته (فلا خوف عليهم) اى لايخافون ما يلحق العصاة فى المستقبل (ولاهم يحزنون) على ما فاتهم فى الدنيا لاستغراقهم فى الاستلذاذ بما اعد للمتقين فى دار الكرامة والرضوان (والذين كذبوا) منكم (بآياتنا) يعنى تكذيب رسل كردند (واستكبروا) وكبر آوردند وتعظم كردند يعنى سركشى نمودند (عنها) از ايمان بدلائل وحدت ما (اولئك اصحاب النار) ملازمان آتش اند (هم فيها خالدون) باقى اند بيقاء ابدى (فمن اظلم) اى فمن اعظم ظلما اى لا احد (ممن افترى على الله كذبا) اى ممن تقول عليه مالم يقل ويدخل فى التقول عليه اثبات الشريك والصاحبة والولد (او كذب بآياته) اى كذب ما قاله وقد جعل الله الكذب عليه والتكذيب بآياته مساويا فى الاثم حيث قال (اولئك) الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب (ينالهم) برسد بديشان (نصيبهم) كائنا (من الكتاب) اى مما كتب لهم من الارزاق والاعمار (حتى اذا جاءتهم رسلنا) اى ملك الموت واعوانه (يتوفونهم) اى حال كونهم متوفين لارواحهم قابضين لها وحتى ان كانت هى التى يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها من الفعل اى ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان تأتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم (قالوا) توبيخا لهم (اينما كنتم تدعون من دون الله) اى اين الآلهة التى كنتم تعبدونها فى الدنيا وما وصلت باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة (قالوا) اى الكفار (ضلوا عنا) اى غابوا عنا اى لاندرى مكانهم (وشهدوا على انفسهم) عطف على قالوا اى اعترفوا على انفسهم (انهم كانوا) اى فى الدنيا (كافرين) اى عابدين لمن لايستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا مآله وضلاله ولاتعارض بين هذا وبين قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين لاحتمال ذلك من طوائف مختلفة او فى اوقات مختلفة وفى الارشاد ولعله قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كأنهما حاصلان عند ابتداء التوفى كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والا فهذا السؤال والجواب وما يترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لامحالة (قال) الله تعالى لهم يوم القيامة او احد من الملائكة (ادخلوا فى امم) اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم (قد خلت) اى مضت (من قبلكم من الجن والانس) يعنى كفار الامم الماضية من النوعين (فى النار) متعلق بقوله

ادخلوا وانما قدم الجن على الانس لتقدمهم عليهم فى الخلقة وذلك ان الله تعالى لما خلق الجن فمنهم مؤمن ومنهم كافر فلما استولى اهل الكفر منهم على اهل الايمان حتى استأصلوهم بعث الله اليهم جندا من الملائكة كان رئيسهم ابليس فسلطهم الله عليهم حتى اهلكوا جميعهم ثم خلق الله آدم بعدهم فخلق منه ذريته فمنهم كافر كقابيل ومنهم مؤمن كهابيل اذ كان فى كل زمان منهم امة كافرة مستحقة لدخول النار وامة مؤمنة مستحقة لدخول الجنة حتى الآن الى انقراض العالم كما قال عليه السلام لا تقوم الساعة وفى الارض من يقول الله الله (كلما دخلت امة) من الامم السابقة واللاحقة اى فى النار (لعنت اختها) التى ضلت بالاقتدآء بها فلعنت المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والمجوس المجوس وعلى هذا القياس ويلعن الاتباع القادة يقولون لعنكم الله انتم غررتمونا فالمراد الاخت فى الدين والملة ولم يقل اخاها لانه اراد الامة والجماعة (حتى اذا اداركوا فيها جميعا) غاية لما قبلها والمعنى انهم يدخلونها فوجا فوجا لاعنا بعضهم بعضا الى انتهاء تداركهم وتلاحقهم فى النار واجتماعهم فيها واصل اداركوا تداركوا ادغمت التاء فى الدال فاجتلبت همزة الوصل (قالت اخريهم) اى دخولا وهم الاتباع واخرى ههنا بمعنى آخرة مؤنث آخر مقابل اول لا مؤنث آخر بمعنى غير كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى (لاوليهم) اى لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله تعالى (ربنا هؤلاء اضلونا) اى سنوا لنا الضلال عن الهدى بالقاء الشبهة علينا فاقتدينا بهم (فآتهم عذابا ضعفا) اى مضاعفا (من النار) لانهم ضلوا واضلوا (قال) الله (لكل) من الاولين والآخرين (ضعف) اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم فليس المراد تضعيف ما يستحق كل واحد من العذاب لانه ظلم بل تضعيفه عذاب الضلال بان يضم اليه عذاب الاضلال والتقليد (ولكن لا تعلمون) مالكم وما لكل فريق من العذاب (وقالت اوليهم) اى مخاطبين (لاخريهم) حين سمعوا جواب الله لهم (فما كان لكم علينا من فضل) من حيث الاجتناب عن الكفر والضلال فكيف تطمعون ان يكون عذابكم اخف من عذابنا او يكون عذابنا ضعف عذابكم والحال انا ما الجأناكم على الكفر بل كفرتم لكون الكفر موافقا لهواكم (فذوقوا العذاب) المعهود المضاعف وهو قول القادة على سبيل التشفى (بما كنتم تكسبون) بسبب انچه بوديدكه كسب مى كرديد از كفر وحوالهٔ عذاب بديكرى ميكنيد جمله دانند اين اكر تو نكروى * هرچه مى كاريش روزى بدروى * واعلم ان الكفار اهل الانكار اعرضوا عن ارشاد الاخيار واكتسبوا اسنانا سيئة وذهلوا عن السنن الحسنة التى سنتها الانبياء العظام والاولياء الكرام ثم آل امرهم الى الاعتراف بجرائمهم وضلالهم حين لا ينفع الاقرار فعلى العاقل تدارك الحال قبل حلول الآجال وفى الحديث جددوا ايمانكم والمراد الانتقال من مرتبة الى مرتبة فان اصل الايمان قد تم بالاول ولكن الايمان على ثمانى عشرة مرتبة فالعناية من الله تعالى (وفى المثنوى) تازه كن نه از كفت سود وزيان * اى هوارا تازه كرده در نهان * تا هوا تازه است ايمان تازه نيست * كين هوا جز قفل آن دروازه نيست * فالله تعالى دعا الخلق الى الايمان بواسطة الانبياء عليهم السلام فمن اجاب اهتدى الى طريق الجنة ومن لم يجب سقط فى النار قيل انما خلق الله النار لغلبة شفقته ومواساته كرجل يضيف الناس ويقول من جاء الى ضيافتى اكرمته ومن لم يجئ ليس عليه شئ ويقول مضيف آخر من جاء الى اكرمته ومن لم يجئ ضربته وحبسته ليبين غاية كرمه وهو آكد واتم من الاكرام الاول قال بعضهم نار جهنم خير من وجه وشر من وجه كنار نمرود شر فى اعينهم وبرد وسلام على ابراهيم كالسوط فى يد الحاكم السوط خير للطاغى وشر للمطيع فمن اراد ان يسلم من عذاب النار فعليه بطريق الاخيار وكان المولى جلال الدين قدس سره يعظ يوما لاهل قرامان ويحكى ان من كان عاصيا ومات قبل التوبة من العصيان فانه يدخل النار بعدله تعالى فبعد احتراقه بقدر خطاه يخرجه الله تعالى منها ويعتقه ويدخله الجنة فقال شخص كان فى ذلك المجلس ليت هذا حصل قبل ان يهدم عرض المرء وينكسر فادع الله تعالى ايها المولى حتى يشرفنا بالجنة قبل انكسار الاعراض نسأل الله تعالى ان يعاملنا بلطفه وكرمه انه ولى الهداية والتوفيق (ان الذين كذبوا بآياتنا) وهى الحجج الدالة على اصول الدين من التوحيد ونبوة الانبياء والبعث والجزآء (واستكبروا عنها) اى تعظموا وترفعوا عن الايمان بها والعمل بمقتضاها وهم الكفار (لا تفتح) التشديد لكثرة الابواب (لهم ابواب السماء) اى لا تقبل ادعيتهم ولا اعمالهم او لا تعرج اليها ارواحهم كما هو شأن ادعية المؤمنين واعمالهم وارواحهم وفى الحديث ان روح المؤمن يعرج

بها الى السماء فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب الى ان تنتهى الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعى ذميمة فيهوى بها الى سجين وهو مقر ابليس الابالسة تحت الارض السابعة فالارواح كلها سعيدها وشقيها متصلة باجسادها فتعذب الارواح وتتألم الاجساد منه كالشمس فى السماء ونورها فى الارض واعلم ان ارواح العصاة من المؤمنين تكون بين السماء والارض بعضها فى الهوآء وبعضها فى افنية القبور الى سبعة ايام الى سنة الى غير ذلك من الزمان حتى تصعد وتتخلص بدعوات الاحياء وامداد الحسنات وتصل الى المقر السماوى الدنيوى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فى ما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقب الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه * هر كارى موقوف محالست محالست * والعرب اذا ارادت تأكيد النفى علقته بما يستحيل كونه كما قال الشاعر

اذا شاب الغراب اتيت اهلى * وصار القار كاللبن الحليب

والجمل زوج الناقة وانما يسمى جملا اذا اربع اى اذا دخل فى السنة السابعة فانه يقال له فى السنة السابعة رباع وللانثى رباعية بالتخفيف والخياط ما يخاط به فسم الخياط بالفارسية شوراخ سوزن وقرئ الجمل بضم الجيم وتشديد الميم وهو الحبل الغليظ من القنب او حبل السفينة التى يقال له القلس وهى حبال مجموعة مفتولة (وكذلك) اى مثل ذلك الجزآء الفظيع وهو الحرمان من الجنة (نجزى المجرمين) اى جنس المجرمين فدخلوا فى زمرتهم دخولا اوليا (لهم من جهنم مهاد) من جهنم حال من مهاد ومعناه فراش من النار يضطجعون ويقعدون فيه (ومن فوقهم غواش) اى اغطية جمع غاشية وهو ما يغشى الشئ ويستره ومعنى الآية الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب حيث كانت غطاءهم ووطاءهم وفى الحديث الكافر يكسى لوحين من نار فى قبره (وكذلك) اى مثل ذلك الجزآء الشديد وهو التعذيب بالنار (نجزى الظالمين) ولما كان التعذيب المؤبد بنار جهنم اشد العقوبات دل ذكر الظلم معه على انه اعظم الاجرام واعلم ان فوت النعيم ايسر من مقاساة الجحيم والمصيبة العظمى هى الخلود وذكر عند الحسن البصرى ان آخر من يخرج من النار رجل يقال له هناد عذب الف عام ينادى يا حنان يا منان فبكى الحسن وقال ليتنى كنت هنادا فتعجبوا منه فقال ويحكم اليس يوما يخرج والاشارة ان الذين كذبوا بآياتنا وهى السنن الحسنة المنزلة على الانبياء وما اظهره الله تعالى على يد الاولياء من الكرامات والعلوم اللدنية فانكروها واستكبروا عنها اى تكبروا عن قبولها والايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء اى ابواب سماء القلوب الى الحضرة ولا يدخلون الجنة اى جنة القربة والوصلة حتى يلج الجمل اى جمل النفس المتكبرة فى سم الخياط وهو مدخل الطريقة التى بها تربى النفوس الامارة وتزكى لتصير مطمئنة فتستحق بها خطاب ارجعى الى ربك فالمعنى ان النفس المتكبرة لما صارت كالجمل لتكبرها لا تصلح لدخول جنة الحقيقة الا بعد تزكيتها باحكام الشريعة وآداب الطريقة حتى تصير بالتربية فى ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ما سوى الله تعالى ادق من الشعر بالف مرة فيلج فى سم خياط الفناء فيدخل الجنة جنة البقاء فافهم جدا وكذلك نجزى المجرمين الذين اجرموا على انفسهم الضعيفة اللطيفة حتى صارت من الاوزار كالجمل بان نجعل لهم من جهنم المجاهدة والرياضة فراشا وهو قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش يعنى من مخالفة النفس وقمع الهوى يكون فراشهم ولحافهم حتى تحيط بهم فتذيبهم لا تحرق منهم انانيتهم مع اثقال اوزارهم ليستحقوا دخول الجنة وكذلك نجزى الظالمين يعنى بهذه الطريقة نضع عنهم اوزارهم ونرد مظالمهم فى الدنيا ليردوا القيامة مستعدين لدخول الجنة ومن لم نجزه فى الدنيا بهذه الطريقة فنجزه فى الآخرة كما قال ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر فى الآخرة لعلهم يرجعون فيه كذا فى التأويلات النجمية فالمجاهدة وسلوك طريق التصفية من دأب الاخيار ذكر عن ابراهيم ابن ادهم انه لما اراد ان يدخل البادية اتاه الشيطان نخوفه ان هذه بادية مهلكة ولا زاد معك ولا مركب فعزم على نفسه رحمه الله ان يقطع البادية على تجرده ذلك وان لا يقطعها حتى يصلى تحت كل ميل من اميالها الف ركعة وقام بما عزم عليه وبقى فى البادية اثنتى عشرة سنة حتى ان الرشيد حج فى بعض تلك السنين فرآه تحت ميل يصلى فقيل له هذا ابراهيم بن ادهم فاتاه فقال كيف تجدك يا ابا اسحق فانشد ابراهيم بن ادهم يقول

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

(قال الحافظ) دع التكاسل تغنم فقد جرى مثل * كه زاد راهروان جستيست وچالاكى (والذين آمنوا) بالآيات (وعملوا الصالحات) اى الاعمال الصالحات التى شرعت بالآيات وهى ما اريد به وجه الله تعالى (لانكلف نفسا الا وسعها) اى طاقتها وقدرتها هو اعتراض بين المبتدأ والخبر للدلالة على ان استحقاق الخلود فى النعيم المقيم بسبب اتصافهم بالايمان والعمل الصالح على حسب ما تسعه طاقتهم وان لم يبذلوا مجهودهم فيه (اولئك اصحاب الجنة) ملازمان بهشت اند (هم فيها خالدون) حال من اصحاب الجنة (ونزعنا) النزع قلع الشئ عن مكانه (ما فى صدورهم) قلوبهم (من غل) وهو الحقد الكامن والبغض المختفى فى الصدور اى نخرج من قلوبهم اسباب الحقد الذى كان لبعضهم فى حق بعض فى الدنيا فان ذلك الحقد انما نشأ من التعلق بالدنيا وما فيها وبانقطاع تلك العلاقة انتهى ما يتفرع عليه من الحقد ومن جملة اسبابه ايضا ان الشيطان كان يلقى الوساوس الى قلوب بنى آدم فى الدنيا وقد انقطع ذلك فى الآخرة بسبب ان الشيطان لما استغرق فى عذاب النيران لم يتفرغ لالقاء الوسوسة فى قلب الانسان ويجوز ان يكون المراد تطهر قلوبهم من الغل نفسه حتى لا يكون بينهم الا التوادّ يعنى لا يحسد بعض اهل الجنة بعضا اذا رآه ارفع درجة منه ولا يغتم بسبب حرمانه من الدرجات الرفيعة العالية قال ابن عباس رضى الله عنه نزلت هذه الآية فى ابى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وابن مسعود وعمار بن ياسر وسلمان وابى ذر ينزع الله فى الآخرة ما كان فى قلوبهم من غش بعضهم لبعض فى الدنيا من العداوة والقتل الذى كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر الذى اختلفوا فيه فيدخلون اخوانا على سرر متقابلين * بالنصافى شو از چاه طبيعت بدر آى * كه صفا نى ندهد آب تراب آلوده (تجرى من تحتهم) اى من تحت شجرهم وغرفهم (الانهار) زيادة فى لذتهم وسرورهم (وقالوا) اى اهل الجنة اذا رأوا منازلهم (الحمد لله الذى هدانا) بفضله (لهذا) اى لدين وعمل جزاؤه هذا (وما كنا لنهتدى) اى لهذا المطلب الاعلى (لولا ان هدانا الله) ووفقنا له * كر بدرقه لطف تو نمايد راه * از راه تو هيچكس نكردد آكاه * آنكه كه بره رسند ونايد رفتن * توفيق رفيق نشد واويلاه * روى عن السدى انه قال فى هذه الآية ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة وجدوا عند بابها شجرة فى اصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فينزع ما فى صدورهم من غل وهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم يشحبوا بعده ابدا والشعث انتشار شعر الرأس والاشعث مغبر الرأس ويقال شحب جسمه يشحب بالضم اذا تغير وشربوا واغتسلوا ويبشرهم خزنة الجنة قبل ان يدخلوها بان يقولوا لهم ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون فاذا دخلوها واستقروا فى منازلهم منها قالوا الحمد لله الآية واعلم ان الغل ظلمة الصفات البشرية وكدورتها وطهارة القلوب بنور الايمان والارواح بماء العرفان والاسرار بشراب طهور تجلى صفات الجمال وليس فى صدور اهل الحقيقة من غل وغش اصلا لا فى الدنيا ولا فى العقبى (لقد جاءت رسل ربنا) جواب قسم مقدر اى والله لقد جاؤا (بالحق) فالباء للتعدية او لقد جاؤا ملتبسين بالحق فهى للملابسة يقوله اهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا واستقروا فيه اظهارا لكمال نشاطهم وسرورهم قال الحدادى شهادة منهم بتبليغ الرسل للحق اليهم اى جاؤا بالصدق فصدقناهم (ونودوا ان تلكم الجنة) يعنى ان الملائكة ينادونهم حين رأى المؤمنون الجنة من بعيد بان يقولوا لهم ان تلك التى رأيتموها هى الجنة التى وعدتم بها فى الدنيا فان مفسرة او مخففة وتلك مبتدأ اشير به الى ما رأوه من بعيد والجنة خبره واللام فيها للعهد (اورثتموها) اى اعطيتموها والجملة حال من الجنة (بما كنتم تعملون) فى الدنيا من الاعمال الصالحة اى بسبب اعمالكم فان قيل هذه الآية تدل على ان العبد يدخل الجنة بعمله وقد قال عليه السلام لن يدخل الجنة احدكم بعمله وانما تدخلونها برحمة الله تعالى وفضله فما وجه التوفيق بينهما اجيب بان العمل لا يوجب دخول الجنة لذاته وانما يوجبه من حيث انه تعالى وعد للعاملين ان يتفضل بها بمحض رحمته وكمال فضله واحسانه ولما كان الوعد بالتفضل فى حق العاملين بمقابلة عملهم كان العمل بمنزلة السبب المؤدى اليها فلذلك قيل اورثتموها باعمالكم كذا فى حواشى ابن الشيخ وفى الخبر انه يقال لهم يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوى وادخلوا الجنة برحمتى

واقتسموها

واقتسموها باعمالكم وهى جنة الاعمال وهى التى ينزل الناس فيها باعمالهم فمن كان افضل من غيره فى وجوه التفاضل كان له من الجنة اكثر سواء كان الفاضل بهذه الحالة دون المفضول او لم يكن فما من عمل الا وله جنة يقع التفاضل فيها بين اصحابها ورد فى الحديث الصحيح عن النبى عليه السلام انه قال لبلال يا بلال بم سبقتنى الى الجنة فما وطئت منها موضعا الا سمعت خشخشتك فقال يا رسول الله ما احدثت قط الا توضأت وما توضأت الا صليت ركعتين فقال عليه السلام بهما فعلمنا انها كانت مخصوصة بهذا العمل فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم ومكروه الا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها والتفاضل على مراتب فمنها بالسن ولكن فى الطاعة والاسلام فيفضل الكبير السن على الصغير السن اذا كانا على مرتبة واحدة من العمل ومنها بالزمان فان العمل فى رمضان وفى يوم الجمعة وفى ليلة القدر وفى عشر ذى الحجة وفى عاشوراء اعظم من سائر الزمان ومنها بالمكان فالصلاة فى المسجد الحرام افضل منها فى مسجد المدينة وهى من الصلاة فى المسجد الاقصى وهى منها فى سائر المساجد ومنها بالاحوال فان الصلاة بالجماعة افضل من صلاة الشخص وحده ومنها بنفس الاعمال فان الصلاة افضل من اماطة الاذى ومنها فى العمل الواحد فالمتصدق على رحمه صاحب صلة رحم وصدقة وكذا من اهدى هدية لشريف من اهل البيت افضل ممن اهدى لغيره او احسن اليه ومن الناس من يجمع فى الزمن الواحد اعمالا كثيرة فيصرف سمعه وبصره ويده فيما ينبغى فى زمان صومه وصدقته بل فى زمان صلاته فى زمان ذكره فى زمان نيته من فعل وترك فيؤجر فى الزمن الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك ومن الجنات جنة اختصاص الهى وهى التى يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا حد العمل وحده من اول ما يولد اى ان يستهل صارخا الى انقضاء ستة اعوام ويعطى الله من شاء من عباده من جنات الاختصاص ما شاء ومن اهلها المجانين الذين ما عقلوا ومن اهلها اهل التوحيد العلمى ومن اهلها اهل الفترات ومن لم يصل اليهم دعوة رسول ومن الجنات جنة ميراث ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهى الاماكن التى كانت معينة لاهل النار لو دخلوها وفى الحديث كل اهل النار يرى منزله فى الجنة فيقولون لو هدانا الله فيكون عليهم حسرة وكل اهل الجنة يرى منزله فى النار فيقولون لولا ان الله هدانا واعلم ان الجنة صورية ومعنوية صورية محسوسة مؤجلة ومعنوية معقولة معجلة واهلها اهل الفناء فى الله والبقاء بالله (قال الحافظ) جنت نقد است اين جا عشرت وعيش وحضور * زانكه در جنت خدا بر بنده ننويسد كناه * اللهم شرفنا بالجنان انك انت المنان (ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار) سرورا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبهم ووجه تيسر المناداة والمكالمة بين اهل الجنة واهل النار مع ان بعد ما بين الجنة والنار لا يعلم مقداره الا الله تعالى اذ كل درجة من درجات الجنان يقابلها دركة من دركات النيران فاى درجة فيها العامل بسبب عمله يستحق تارك ذلك العمل بسبب تركه اياه دركة من دركات الجحيم فيكون اهل الدرجة مشرفا على اهل الدركة التى تقابلها كما قال تعالى فاطلع فرآه فى سواء الجحيم فامكن لهم تقريع اهل النار وتحسيرهم بقولهم (ان) تفسيرية للمنادى له لان النداء فى معنى القول او مخففة (قد وجدنا ما وعدنا ربنا) من الثواب والكرامة (حقا) بالفارسية راست ودرست (فهل وجدتم ما وعد ربكم) من العذاب والوعد يستعمل فى الخير والشر (حقا) حذف المفعول من الفعل الثانى حيث لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد (قالوا نعم) اى وجدناه حقا فاعترفوا فى وقت لا ينفعهم الاعتراف ولذا قيل * كنون بايد اى خفته بيدار بود * چو مرك اندر آرد زخوابت چه سود * تو پيش از عقوبت در عفو كوب * كه سودى ندارد فغان زير چوب (فأذن) پس اواز دهد (مؤذن) اواز دهنده وهو ملك ينادى من الله تعالى نداء يسمعه كل واحد من اهل الجنة واهل النار وقيل هو صاحب الصور اى اسرافيل عليه السلام (بينهم) منصوب باذن اى اوقع ذلك الاذان بين الفريقين اى فى وسطهم (ان) تفسيرية لان التأذين فى معنى القول او مخففة (لعنة الله) استقرت (على الظالمين) اى على الكافرين دون المؤمنين لان الظلم اذا ذكر مطلقا ينصرف الى الكمال وكمال الظلم هو الشرك وهو اخبار وقيل هو ابتداء لعن منه عليهم (الذين يصدون) يعرضون فهو لازم لا ان جعله متعديا بمعنى يمنعون الناس محوج الى تقدير المفعول ولا يصار اليه من غير ضرورة (عن سبيل الله) اى عن الدين الذى هو طريق الله الى جنته والسبيل

والسبيلة الطريق وماوضح منه كذا فى القاموس (ويبغونها عوجا) اى يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهى ابعد شئ منهما (وهم بالآخرة كافرون) جاحدون بالبعث بعد الموت فلما كان الظالمين بمعنى الكافرين كانت الاوصاف الجارية عليه من قبيل الصفات المؤكدة فان الظالم وصف فى الاية بثلاث صفات مختصة بالكفار الاولى كونهم صادين معرضين عن سبيل الله والثانية كونهم طالبين امالة سبيل الله ودينه الحق وتغييره الى الباطل بالقاء الشكوك والشبهات فى دلائل حقيته والثالثة كونهم منكرين للآخرة مختصين بهذا الوصف وكل واحدة من هذه الصفات الثلاث مقررة لظلمهم بمعنى الكفر والاشارة ونادى اصحاب الجنة اى ارباب المحبة اصحاب النار يعنى نار القطيعة ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا اى فيما قال ألا من طلبنى وجدنى فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا اى فيما قال ومن يطلب غيرى لم يجدنى قالوا نعم فاجابوهم بلى وجدنا حقا فاذن مؤذن العزة والعظمة بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب فى غير موضع مطلبه وصرفوه فى غير مصرفه الذين يصدون اى وهم الذين يصدون القلب والروح عن سبيل الله وطلبه ويبغونها عوجا اى يصرفون وجوههم الى الدنيا ومافيها وهم بالآخرة كافرون اى وهم ينكرون على اهل المحبة فيما يطلبون مما تأخر من حسهم وهم يطلبون مايدركون بالحواس الظاهرة دون ما فى الاخرة كذا فى التأويلات النجمية فالناس على مراتب بحسب اقرارهم وانكارهم وسلوكهم وقعودهم (وفى المثنوى) كودكان كرچه بيك مكتب درانند * درسبق هريك زيك بالاترانند * خود ملائك نيز ناهمتا بدند * زين سبب برآسمان صف صف شدند * فعلى السالك الاجتهاد فى طلب الحق الى ظهور كنز الحقيقة فان المطالب الاعلى عند من يميز النقد الجيد من النبهرج والزيوف وعن ذى النون رضى الله عنه قال اوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام ياموسى كن كالطير الوحدانى يأكل من رؤس الاشجار ويشرب من الماء القراح او قال من الانهار اذا جنه الليل اوى الى كهف من الكهوف استئناسا بى واستيحاشا ممن عصانى ياموسى انى آليت على نفسى ان لااتم لمدعى عملا ولاقطعن امل من امل غيرى ولاقصمن من استند الى سواى ولاطيلن وحشة من أنس بغيرى ولاعرضن عمن احب حبيبا سواى ياموسى ان لى عبادا ان ناجونى اصغيت اليهم وان نادونى اقبلت عليهم وان اقبلوا على ادنيتهم وان دنوا منى قربتهم وان تقربوا منى كفيتهم وان والونى واليتهم وان صافونى صافيتهم وان عملوا الى جازيتهم انا مدبر امورهم وسائس قلوبهم ومتولى احوالهم لم اجعل لقلوبهم راحة فى شئ الافى ذكرى فهؤلاء سقامهم شفاء وعلى قلوبهم ضياء لايستأنسون الابى ولايحطون رحال قلوبهم الاعندى ولايستقر بهم قرار فى الايواء الاالى (وبينهما) اى بين الفريقين او بين الجنة والنار (حجاب) كسور المدينة حتى لايقدر اهل النار ان يخرجوا الى الجنة ولئلا يتأذى اهل الجنة بالنار ولا يتنعم اهل النار بنعيم الجنة لان الحجاب المضروب بينهما يمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى لانه قد جاء ان الحور العين لونظرت واحدة منهن الى الدنيا نظرة لامتلأت الدنيا من ضوئها وعطرها وجاء فى وصف النار ان شرارة منها لووقعت فى الدنيا لاحرقتها قال الحدادى فان قيل كيف يصح هذا التأويل فى الحجاب بين الجنة والنار ومعلوم ان الجنة فى السماء والنار فى الارض قيل لم يبين الله حال الحجاب المذكور فى الاية ولاقدر المسافة فلا يمتنع ان يكون بين الجنة والنار حجاب وان بعدت المسافة (وعلى الاعراف) اى اعراف ذلك الحجاب اى اعاليه وهو السور المضروب بينهما قيل هو جبل احد يوضع هناك جمع عرف وهو كل عال مرتفع ومنه عرف الديك والفرس سمى عرفا لانه بسبب ارتفاعه يكون اعرف مما انخفض منه (رجال) طائفة من المؤمنين تساوت حسناتهم وسيئاتهم فهم ينظرون الى النار وينظرون الى الجنة ومالهم رجحان بمايدخلهم احدى الدارين فاذا دعوا الى السجود وهو الذى يبقى يوم القيامة من التكليف يسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة وهو احد الاقوال فى تعيين اصحاب الاعراف وسيجيء الباقى (يعرفون) صفة رجال (كلا) اى كل فريق من اصحاب الجنة واصحاب النار (بسيماهم) اى بسبب علاماتهم التى اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده وهذا فى العرصات قبل دخول الجنة والنار فان المعرفة بعد الدخول تحصل بالمشاهدة والاحساس ولايحتاج الى الاستدلال بسيماهم واما النداء والصرف والاتيان فبعد الدخول (ونادوا) اى الرجال وهو صفة ثانية لرجال عدل الى لفظ الماضى تنزيلا للنداء منزلة الواقع (اصحاب الجنة ان) تفسيرية او مخففة (سلام عليكم)

يعنى

يعنى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم سلام التحية والاكرام وبشروهم بالسلامة من جميع المكاره والآفات (لم يدخلوها) حال من فاعل نادوا اى نادوا حال كونهم لم يدخلوها (وهم يطمعون) اى والحال انهم طامعون فى دخولها حال من فاعل يدخلوها اى نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين فى دخولها مترقبين له اى لم يدخلوها وهم فى وقت عدم الدخول طامعون وسبب طمعهم انهم من اهل لااله الاالله ولايرونها فى ميزانهم ويعلمون ان الله تعالى لايظلم مثقال ذرة ولوجيء بذرة لاحدى الكفتين لرجحت بها لانهما فى غاية الاعتدال فيطمعون فى كرم الله وعدله وانه لابد ان يكون لكلمة لااله الاالله عناية بصاحبها فيظهر لها اثر عليهم فيقفون هنالك حتى يقضى الله فيهم مايشاء ثم يدخلهم الجنة برحمته وهم آخر من يدخل الجنة واذا اراد الله ان يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فالقوا فيه حتى تصلح الوانهم وفى نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها ثم يؤتى بهم فيدخلون الجنة ويسمون مساكين اهل الجنة (قال الحافظ) هست اميدم على رغم عدو روز جزا * فيض عفوش ننهد باركنه بردوشم * (واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار) اى الى جهنم وفى عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثانى بخلافه وفى تفسير الزاهدى ان الملك يصرف ابصارهم اليهم بامر الله تعالى (قالوا) متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم (ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين) اى فى النار اى يدعون بذلك خوفا من الله تعالى لالاجل معاصيهم والقول الثانى فى تعيين اصحاب الاعراف انهم الانبياء اجلسهم الله على اعالى ذلك السور تمييزا لهم عن سائر اهل القيامة ليكونوا مشرفين على اهل الجنة واهل النار مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم شاهدين على اممهم وعلى هذا فقوله لم يدخلوها وهم يطمعون حال من مفعول نادوا وهو اصحاب الجنة لان طمع دخول الجنة لايليق باشراف اهل الموقف اى نادى اشراف اهل الموقف وهم على الاعراف اصحاب الجنة حال كون اصحابها لم يدخلوها وهم طامعون فى دخولها وكذا التقدير فى سائر الوجوه الآتية المرادة بها اهل الدرجات العالية والقول الثالث هم الشهداء الذين يميزون من بين اهل الموقف بالاستحقاق لمزيد التعظيم والاجلاس فى اعالى السور المضروب ليشاهدوا حكم الله تعالى فى اهل الموقف بمقتضى فضله وعدله والرابع هم افاضل المؤمنين فرغوا من شغل انفسهم وتفرغوا لمطالعة احوال الناس وفى الحديث اذا جمع الخلائق يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم اناس وهم يسيرون فينطلقون سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقال لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين والخامس قوم صالحون فقهاء علماء وذلك لمزيتهم على غيرهم بشرف الفقه والعلم والسادس هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس باعمالهم وهم فى كل امة والسابع هم العباس وحمزة وعلى بن ابى طالب وجعفر ذو الجناحين رضى الله عنهم يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه والثامن انهم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل ادخالهم الجنة والنار عبر عنهم باسم الرجال لكونهم يرون فى صورة الرجال كما عبر به عن الجن فى قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن لكونهم فى صورة الرجال يقولون حين اشرفوا على اهل النار ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين لانهم مكلفون كبنى آدم فلا ينكر ان يدعوا الله لانفسهم بالامن والتاسع هم الشهداء الذين خرجوا الى الغزو وغزوا فى سبيل الله بغير اذن آبائهم فقتلوا شهداء فاعتقوا من النار بان قتلوا فى سبيل الله واحتبسوا عن الجنة بعصيانهم آباءهم والعاشر قوم رضى عنهم آباؤهم دون امهاتهم اوامهاتهم دون آبائهم والحادى عشر انهم اولاد الزنى والثانى عشر اولاد المشركين والثالث عشر هم الذين ماتوا فى الفترة ولم يبدلوا دينهم وزمان الفترة هو الزمان الذى بين عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما والرابع عشر هم قوم كانت لهم صغائر لم تكفر عنهم بالالام والمصائب فى الدنيا فوقفوا وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم فيقع فى مقابلة صغائرهم والخامس عشر هم الذين ذكرهم الله فى القرآن اصحاب الذنوب العظام من اهل القبلة روى عن بعض الصالحين انه قال اخذتنى ذات ليلة سنة فنمت فرأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يحاسبون فقوم يمضى بهم الى الجنة وقوم يمضى بهم الى النار قال فاتيت الى الجنة فناديت يااهل الجنة بماذا نلتم سكنى

الجنان فى محل الرضوان فقالوالى بطاعة الرحمن ومخالفة الشيطان ثم اتيت الى باب النار فناديت يا اهل النار
بماذانلتم النارفقالوابطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن قال فنظرت فاذابقوم موقوفون بين الجنة والنار
فقلت ما بالكم موقوفون بين الجنة والنارفقالوا لنا ذنوب جلت وحسنات قلت فالسيئات منعتنا من دخول
الجنة والحسنات منعتنامن دخول النار وانشدوا

نحن قوم لنا ذنوب كبار * منعتنا من الوصول اليه
تركتنا مذبذبين حيارى * امسكتنا عن القدوم عليه

هذاما تيسرلى جمعه من الاقوال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال والاشارة ان بين اهل النار واهل الجنة حجابا
وهومن اوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلايرى اهل النار اهل الجنة من ورآء ذلك الحجاب
وبين اهل الجنة واهل الله وهم اصحاب الاعراف حجابا وهومن الاوصاف الخلقية والاخلاق الحميدة الروحانية
فلايرى اهل الجنة اهل الله من ورآء ذلك الحجاب كما قال الله تعالى وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون
كلا بسيماهم يعنى اصحاب الاعراف يعرفون اهل الجنة والنار بما يتوسمون فى سيماهم من آثار نور القلب وظلمته
وسميت الاعراف اعرافا لانها مواطن اهل المعرفة وانما سمى الله اهل المعرفة رجالا لانهم بالرجولية يتصرفون
فيماسوى الله تصرف الرجال فى النساء ولا يتصرف فيهم شئ منه كقوله رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
وحيث ماذكر الله الخواص ذكرهم برجال كقوله رجال صدقوا وكقوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا والان وجه
الامتياز بين الخواص والعوام بالرجولية فى طلب الحق وعلوالهمة فان اصحاب الاعراف بعلو هممهم
ترقوا عن حضيض البشرية ودركات النيران وصعدوا على ذروة الروحانية ودرجات الجنان وما التفتوا الى نعيم
الدارين وماركنوا الى كمالات المنزلين حتى عبروا عن المكونات واقاموا على الاعراف وهى مرتبة فوق الجنان
فى حظائر القدس عند الرحمن وهم مشرفون على اهل الجنة والنار فلما رأوا اهل الجنة وانهم فى شغل فاكهون
وقد شغلوا بنعيمها عن المولى ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعنى هنيئا لكم ما انتم فيه من النعيم المقيم
والحور والقصور ثم اخبرعن همة اصحاب الاعراف فقال لم يدخلوها وهم يطمعون اى شاهدوا نعيم الجنة
ودرجاتها ولم يركنوا الى شئ منها فعبروا عليها ولم يدخلوها وهم على الاعراف يطمعون فى الوصول الى الله
والدخول فى الجنة التى اضافها الله تعالى الى نفسه بقوله وادخلى جنتى واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب
النار ابتلاء ليريهم انه تعالى من اية دركة خلصهم وباية كرامة خصهم فيعرفوا قدرما انعم الله عليهم به ومن هذا
القبيل يكون ماسنح لارباب الكمالات من الخواطر النفسانية وما ابتلاهم بشئ من الدنيا والجاه والقبول
والاشتغال بالخلق ليعرفوا قدر العزلة والتجريد والانس مع الله فى الخلوات فى اداء حق الشكر ورؤية النعمة
قالوا مع المنعم ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين اى بعدان خلصتنا من اوصافهم واخلاقهم ودركاتهم ومما هم فيه
لاتجعلنا مرة اخرى من جهتهم ولاتدخلنا فى زمرتهم كذا فى التأويلات النجمية (ونادى اصحاب الاعراف)
وهم الذين علت درجاتهم من الانبياء واشراف اهل الموقف وهو الانسب بما بعد الاية اذ قولهم ادخلوا الجنة
لا يليق بالمقصرين فى العمل (رجالا) من رؤساء الكفار حين رأوهم فيما بين اصحاب النار وهم ابو جهل بن هشام
والوليد بن المغيرة وعاص بن وائل واضرابهم (يعرفونهم بسيماهم) اى علاماتهم الدالة على سوء حالهم يومئذ
وعلى رياستهم فى الدنيا والباء سببية (قالوا) بدل من نادى اى قال اصحاب الاعراف وهم على السور مخاطبين
لرؤساء الكفارتوبيخا وشماتة (ما اغنى عنكم) ما استفهامية للتقريع اونافية ومعناه على الثانية دفع نكر عذاب
ازشما (جمعكم) اى اتباعكم واشياعكم اوجمعكم للمال (وما كنتم تستكبرون) ما مصدرية اى واستكباركم
المستمر على الخلق يعنى استكبارشما مانع عذاب نشد (اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة) هو من تمام
قول اصحاب الاعراف للرجال الذين هم رؤساء الكفرة فيكون فى محل النصب بالقول المتقدم والاشارة
الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون صريحا انهم لايدخلون الجنة قوله
لاينالهم الله برحمة جواب اقسمتم ومعناه بالفارسية اين كروه انانندكه در دنيا سوكند ميخورند كه البتة
خداى هركز بديشان نرساند بخشايش خودرا (ادخلوا الجنة) اى فالتفت اصحاب الاعراف الى فقرآء
المسلمين مثل بلال وصهيب وسلمان وخباب وامثالهم وقالوا لهم ادخلوا الجنة على رغم انوف رؤساء الكفار

لاخوف

(لاخوف عليكم) حين يخاف اهل النار (ولا انتم تحزنون) حين يحزن اهل النار وفى الاية ذم المال والاستكبار
والافتخار بكثرة الخدم والاعوان والانصار نه منعم بمال از كسى بهتراست * خر ار جل اطلس
بپوشد خرست * بدين عقل وهمت نخوانم كست * وكر ميرود صد غلام از پست * تكبر كند مرد
حشمت پرست * نداند كه حشمت بحكم اندراست * چو منعم كند سفله را روز كار *
نهد بر دل تنك درويش بار * چو بام بلندش بود خود پرست * كند بول وخاشاك بر بام پست *
واعلم ان حب المال والاستكبار من اخلاق النفس فلابد للسالك من تزكيتها وكان من دعاء النبى عليه السلام
اللهم حسن خلقى وخلقى وقد مدحه الله بقوله انك لعلى خلق عظيم وكان عليه السلام يجالس الفقرآء
والمساكين ويؤاكلهم وكان يمر على الصبيان ويسلم عليهم واتى رجل فارتعد من هيبته فقال هون عليك فلست
بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد وكان يجلس مختلطا باصحابه كانه احدهم فيأتى الغريب
فلايدرى ايهم هو حتى يسأل وكان لايدعوه احد الا قال لبيك وكل ذلك من تواضعه صلى الله عليه وسلم قال
ذو النون المصرى علامة السعادة حب الصالحين والدنو منهم وتلاوة القرآن وسهر الليل ومجالسة العلماء
ورقة القلب والاشارة ان المؤمنين والعلماء بعلم الظاهر فى بعض الاوقات يقولون لاهل المحبة والمعرفة وارباب
الطلب من دناءة هممهم ان احدا منكم لاينال درجة الوصول ومرتبة الوصال ويقسمون على ذلك ثم يقول
الله لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة المضافة الى فى حظائر القدس وعالم الجبروت لاخوف عليكم من الخروج
منها ولا انتم تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ تفرغتم لشهود جمالنا ووجود وصالنا واعلم ان اهل النار يرون
اهل الله وهم اصحاب الاعراف بالصورة ماداموا فى مواطن الكونين فاذا دخلوا جنة الحقيقة المضافة الى الله
فى سرادقات العزة وعالم الجبروت انقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فافهم جدا وقد حكى عن بابا جعفر
الابهرى انه دخل على بابا طاهر الهمذانى فقال اين كنت فانى حضرت البارحة مع الخواص على باب الله
فما رأيتك ثم قال بابا طاهر صدقت كنت على الباب مع الخواص وكنت داخلا مع الاخص فما رأيتنى فعلى
السالك ان لاينقطع عنهم وعن اعتقادهم وفى الحديث لكل شئ مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقرآء
الصبر هم جلساء الله يوم القيامة حب درويشان كليد جنت است * دشمن ايشان سزاى لعنت است *
(قال فى المثنوى فى حق حسن الظن بالفقرآء) كركدا يان طامعند وزشت وخو * در شكم خوران
تو صاحب دل بجو * در تك دريا كهر با سنكهاست * فخرها اندر ميان ننكهاست * ومن دعائه
صلى الله عليه وسلم اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين وحقيقة المسكين
من لاشئ له غير الله تعالى وهو اهل الله واصحاب الاعراف (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة) بعد الاستقرار
فى الدارين (ان) مفسرة اومخففة كما سبق غير مرة (افيضوا علينا) اى صبوا (من الماء) اى ماء الجنة حتى يطفئ
عنا حر ما نجد من العطش وذلك انهم لما بقوا فيها احياء عطاشا قالوا يا ربنا ان لنا قرابات فى الجنة فاذن لنا حتى
نراهم ونكلمهم فيؤذن لهم فى ذلك فينظرون الى قراباتهم فى الجنة والى ما هم فيه من انواع النعيم فيعرفونهم
ولايعرفهم اهل الجنة لسواد وجوههم فينادون قراباتهم من اهل الجنة بعد اخبارهم بقراباتهم ويقولون
افيضوا علينا من الماء (او مما رزقكم الله) من سائر الاشربة ليلائم الافاضة فان الاصل فيها ان تستعمل
فى المائعات من المشروبات اومن الاطعمة فنأ كلها لعلها تدفع عنا الجوع على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء
بكثرة قال ابو حيان الصحيح تضمين افيضوا معنى القوا وهؤلاء القائلون كانوا فى الدنيا عبيد البطون حريصين
على الطعام والشراب حتى ماتوا على ما عاشوا فيه فحشروا على ما ماتوا عليه وان اهل الجنة لما طالوا الجوع
والعطش فى الدنيا وانما جوعوا بطونهم لوليمة الفردوس كان اشتغالهم فى الجنة بشهوات النفس وفى الاية بيان
ان الانسان لا يستغنى عن الطعام والشراب وان كان فى العذاب قال ابو الجوزآء سألت ابن عباس رضى الله
عنه اى الصدقة افضل قال الماء ارأيت اهل النار لما استغاثوا باهل الجنة قالوا افيضوا علينا من الماء وعن سعد
ابن عبادة انه قال يا رسول الله ان ام سعد ماتت فاى صدقة افضل قال عليه السلام الماء فحفر بئرا فقال عليه
السلام هذه لام سعد يقول الفقير فى الحديث دلالة على نفع الصدقة فى الاموات كما ذهب اليه اهل السنة
وتخصيص الماء اما الان ارض الحجاز احوج شئ اليه فيكون اكثر ثوابا واما الان جهنم بيت الحرارة واندفاعها

بضدها وهى البرودة التى من اوصاف الماء فان كل شئ يقابل بنقيضه والله اعلم (قالوا) روى انه لا يؤذن لاهل الجنة فى الجواب مقدار اربعين سنة ثم يؤذن لهم فى جوابهم فيقولون (ان الله حرمهما على الكافرين) اى منع طعام الجنة وشرابها عنهم منع المحرم عن المكلف فلا سبيل الى ذلك قطعا وانما جعل شراب الكافرين الحميم الذى يصهر به ما فى بطونهم والجلود وطعامهم الضريع والزقوم (الذين اتخذوا دينهم) الذى امروا بالتدين به وهو دين الاسلام (لهوا ولعبا) ملعبة يتلاعبون به يحرمون ما شاؤا ويحلون ما شاؤا ولا يتبعون امر الله تعالى وانما يتبعون اهواءهم التى زينها الشيطان لهم وقيل كان دينهم دين اسماعيل عليه السلام فغيروه وتدينوا بما شاؤا وصرفوا هممهم بما لا ينبغى ان تصرف اليه الهمم وطلبوا ان يفرحوا بما لا ينبغى ان يطلب به وفى التفسير الفارسى دينهم عيد خود در الهو ولعبا مشغول وبازيچهٔ ايشان در عيد خود بحوالى كعبه مى امدند ودست ميزدند وبازيچه ميكردند انتهى ويرخص اللعب فى يوم العيد بالسلاح والركض اى التسابق بالافراس والارجل وغير ذلك مما هو مباح مشروع وكانوا يضربون فى القرن الاول بالدف ولكن لم يكن فيه جلاجل فما يفعلونه فى هذا الزمان وقت العيد والختان وعند اجتماع الاخوان من ضرب المزمار وضرب الدف الذى فيه جلاجل ونحوها هو آلة اللهو ليس بمرخص وقولهم ان فى ديننا فسحة انما هو بالنسبة الى الامور المرخصة الا يرى ان المزاح مباح اذا كان بما لا يخالف الشرع (وغرتهم الحياة الدنيا) بزخارفها العاجلة وطول الامل ولذلك كانوا يستهزئون بالمسلمين كما روى فى الخبر ان ابا جهل بعث الى النبى عليه السلام رجلا يستهزئ به ان اطعمنى من عنب جنتك اوشيأ من الفواكه فقال ابو بكر رضى الله عنه ان الله حرمهما على الكافرين فعلى العاقل ان لا يغتر بالدنيا لانها غدارة مكارة

در ديدهٔ اعتبار خوابيست * برره كذر اجل سرابيست *
مشغول مشو بسرخ وزردش * انديشه مكن زكرم وسردش *
سرمايهٔ آفتست زنهار * خود راز فريب اونكهدار

(فاليوم) اى يوم القيامة والفاء فصيحة (ننساهم) نفعل بهم ما يفعل الناسى بالمنسى من عدم الاعتداد بهم وتركهم فى النار تركا كليا شبه معاملته تعالى مع الكفار بمعاملة من نسى عبده من الخير ولم يلتفت اليه والا فالله تعالى منزه عن حقيقة النسيان (كما نسوا لقاء يومهم هذا) فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له يعنى انه وان لم يصح وصفهم بنسيانه حقيقة لان النسيان يكون بعد المعرفة وهم لم يكونوا معترفين بلقاء يوم القيامة ومصدقين به لكنه شبه عدم اخطارهم لقاء الله تعالى ببالهم وعدم مبالاتهم به بحال من عرف شيأ ونسيه ومثل هذه الاستعارات كثير فى القرآن لان تفهيم المعانى الواقعة فى عالم الغيب انما يكون بان يعبر عنها بما يماثلها من عالم الشهادة (وما كانوا بآياتنا يجحدون) عطف على ما نسوا اى وكما كانوا منكرين بانها من عند الله انكارا مستمرا فما مصدرية ويظهر ان الكاف فى كما للتعليل فان التشبيه غير ظاهر فى ما كانوا الا باعتبار لازمه وهو الترك (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) اى بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن (على علم) حال من فاعل فصلناه اى عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اى مشتملا على حكم كثيرة (هدى ورحمة) حال من هاء فصلناه اى حال كون ذلك الكتاب هاديا وذا رحمة (لقوم يؤمنون) يصدقون انه من عند الله لانهم المنتفعون بآثاره المقتبسون من انواره (هل ينظرون الا تأويله) اى ما ينتظرون هؤلاء الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله) اى يوم يأتيهم عاقبة ما وعد وافيه وهو يوم القيامة وشاهدوا اتيانه عيانا (يقول الذين نسوه من قبل) اى تركوه ترك المنسى من قبل اتيان تأويله (قد جاءت رسل ربنا بالحق) الباء للتعدية او للملابسة اى ملتبسين به يعنى اعترفوا بان ما جاءهم الرسل به من حقيقة البعث والحساب والجزاء حق واضطروا الى ان يتمنوا احد الامرين احدهما الخلاص من عذاب القبر بشفاعة الشفعاء كما قال (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) اليوم ويدفعوا عنا العذاب وثانيهما الرد الى الدنيا ليعملوا عملا صالحا كما قال (او نرد) اى او هل نرد الى الدنيا (فنعمل) بالنصب على انه جواب الاستفهام الثانى (غير الذى كنا نعمل) اى فى الدنيا يعنى نصدق الرسل ونعمل الاعمال الصالحة فبين الله تعالى ان الذى تمنوه لا يحصل لهم البتة حيث قال (قد خسروا انفسهم) بصرف اعمارهم التى هى رأس مالهم

الى الكفر والمعاصى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) اى ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيامة

دى روزبد ودلم اميدى ميداشت * امروز برفت ونااميدم بكذاشت *

واعلم ان الكفار تمنوا الرد الى الدنيا ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (قال فى المثنوى) قصهٔ ان آبكيرست اى عنود * كه درو سه ماهئ اشكون بود * چند صيادى سوى ان آبكير * بركذشتند وبديدند آن ضمير * پس شتابيدند تادام آورند * ماهيان واقف شدند وهوشمند * انكه عاقل بود عزم راه كرد * عزم راه مشكل ناخواه كرد * كفت با اينها ندارم مشورت * كه يقين سستم كنند ازمقدرت * مهر زاد وبود بر جانشان تند * كاهلى وجهلشان برمن زند * مشورت را زندهٔ بايد نكو * كه ترا زنده كند وان زنده كو * نيست وقت مشورت هين راه كن * چون على تو آه اندر چاه كن * محرم آن آه كيميايست وبس * شب رو وپنهان روى كن چون عسس * سوى دريا عزم كن زين آبكير * بحر جو وترك اين كرداب كير * سينه را پا ساخت مى رفت آن حذور * از مقام باخطر تا بحر نور * رنجها بسيار ديد وعاقبت * رفت آخر سوى امن وعافيت * خويشتن افكند در درياى ژرف * كه نيابد حد انرا هيچ طرف * پس چو صيادان بياوردند دام * نيم عاقل را ازان شد تلخ كام * كفت آه من فوت كردم فرصه را * چون نكشتم همره آن رهنما * بركذشته حسرت آوردن خطاست * بازنايد رفته ياد ان هباست * ليك زان نينديشم وبرخود زنم * خويشتن را اين زمان مرده كنم * همچنان مرد وشكم بالا فكند * آب مى بردش نشيب وكه بلند * هريكى زان قاصدان بس غصه برد * كه دريغا ماهئ بهتر بمرد * پس كرفتش يك صياد ارجمند * پس برو تف كرد وبر خاك فكند * غلط غلطان پنهان اندر آب * ماند آن احمق همى كرد اضطراب * ازچپ وازراست مى جست آن سليم * تا كه بجهد خويش برهاند كليم * دام افكندند واندر دام ماند * احمقى اورا دران آتش نشاند * برسر آتش به پشت تابهٔ * باحماقت كرد او هم خوابهٔ * او همى جوشيد از تف سعير * عقل ميكفتش الم يأتكم نذير * او همى كفت از شكنجه وز بلا * همچو جان كافران قالوا بلى * بازمى كفت كه اكر اين بار من * وارهم زين محنت كردن شكن * من نسازم جز بدرياى وطن * آبكيرى را نسازم من سكن * آب بى حد جويم وايمن شوم * تا ابد در امن وصحت مى روم * ان ندامت از نتيجهٔ رنج بود * نى زعقل روشن چون كنج بود * ميكند او توبه وپير خرد * بانك لو ردوا لعادوا مى زند *

فعلى العاقل ان يتدارك حاله ولا يطول آماله قال الامام الغزالى قدس سره من زرع واجتهد وجمع بيدرا ثم يقول ارجو ان يحصل لى منه مائة قفيز فذلك منه رجاء والآخر لا يزرع زرعا ولا يعمل يوما فذهب ونام واغفل سنته فاذا جاء وقت البيادر يقول ارجو ان يحصل لى مائة قفيز فهو امنية بلا اصل فكذلك العبد اذا اجتهد فى عبادة الله تعالى والانتهاء عن معصية الله يقول ارجو ان يتقبل الله هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب ويعفو عن الزلل فهذا لسنه رجاء واما اذا اغفل ذلك وترك الطاعات فارتكب المعاصى ولم يبال سخط الله ولا رضاه ووعده ووعيده ثم اخذ يقول انا ارجو من الله الجنة والنجاة من النار فذلك منه امنية لا حاصل تحتها وبين هذا قوله عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من يتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل قال بعضهم ان الغموم ثلاثة غم الطاعة ان لا تقبل وغم المعصية ان لا تغفر وغم المعرفة ان لا تسلب قال يوسف ابن اسباط دخلت على سفيان فبكى ليلة اجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب فحمل تبنا وقال الذنوب اهون على الله تعالى من هذا انما اخشى ان يسلبنى الله الاسلام فكل الرسل والابدال والاولياء مع كل هذا الاجتهاد فى الطاعة والحذر عن المعصية فاى شئ تقول اما كان لهم حسن الظن بالله تعالى بلى فانهم كانوا اعلم بسعة رحمة الله واحسن ظن بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون الاجتهاد امنية وغرور جعلنا الله واياكم من العاملين بكتابه والواصلين الى جنابه دون من نسى الله واتبع هواه آمين الف آمين (ان ربكم) الخطاب لكفار مكة المتخذين اربابا والمعنى بدرستى كه پروردكار شما على التحقيق (الله) خدايست جامع جميع صفات كمال (الذى خلق السموات والارض) لا على مثال سبق (فى ستة ايام) اى فى ستة اوقات ولو شاء لخلقها فى اسرع من لحظة ولكنه علم عباده التأنى فى الامور (وفى المثنوى) مكر شيطانست تعجيل وشتاب * خوى رحمانست

صبرواحتساب * باتأنى كشت موجود ازخدا * تابشش روزاين زمين وچرخها * ورنه قادربود كزكن فيكون * صدزمين وچرخ آوردى برون * اين تأنى ازبى تعليم تست * صبركن دركاردير آى ودرست * قالوا الايحسن التعجيل الافى التوبة من الذنوب وقضاء الدين بعد انقضاء مدته وقرى الضيف وتزويج البكر بعد بلوغها ودفن الميت والغسل من الجنابة واعلم ان الله تعالى بالقادرية والخالقية اوجد السموات والارض وبالمدبرية والحكيمية خلقها فى ستة ايام وانما حصر فى ستة انواع المخلوقات الستة وهى الارواح المجردة والثانى الملكوتيات فمنها الملائكة والجن والشياطين وملكوت السموات ومنها العقول المفردة والمركبة والثالث النفوس كنفوس الكواكب ونفس الانسان ونفس الحيوان ونفس النبات والمعادن والرابع الاجرام وهى البسائط العلوية من الاجسام اللطيفة كالعرش والكرسى والسموات والجنة والنار والخامس الاجسام المفردة وهى العناصر الاربعة والسادس الاجسام المركبة الكثيفة من العناصر فعبر عن خلق كل منها بيوم والا فالايام الزمانية لم تكن قبل خلق السموات والارض (ثم استوى على العرش) العرش يطلق على السرير الذى يجلس عليه الملوك وعلى كل ما علاك واظل عليك وهو بهذين المعنيين مستحيل فى حقه تعالى فجعل الاستوآء على العرش كناية عن نفس الملك والعز والسلطنة على طريق ذكر اللازم وارادة الملزوم فالمعنى بعد ان خلق الله عالم الملك فى ستة ايام كما اراد استوى على الملك وتصرف فيه كيف شاء فحرك الافلاك وسير الكواكب وكور الليالى والايام ودبر امر مصنوعاته على ما تقتضيه حكمته وهذا معنى قول القاضى استوى امره اى استقر امر ربوبيته وجرى امره وتدبيره ونفذ قدرته فى مصنوعاته وتخصيص العرش لانه اعظم المخلوقات فانه الجسم المحيط بجميع الاجسام فالاستوآء عليه استوآء على ما عداه ايضا من الجنة والنار والسموات والعناصر وغيرها وفى التفسير الفارسى ثم استوى پس قصد كرد على العرش بافرينش عرش قال الحدادى ويقال ثم هنا بمعنى الواو على طريق الجمع والعطف دون التراخى فان خلق العرش كان قبل خلق السموات والارض وقد ورد فى الخبر ان اول شئ خلق الله القلم ثم اللوح فامر الله القلم ان يكتب ما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق العرش ثم خلق حملة العرش ثم خلق السموات والارض قال شيخى العلامة ابقاه الله بالسلامة المراد بهذا الاستوآء استوآؤه سبحانه لكن لا باعتبار نفسه وذاته تعالى علوا كبيرا عما يقول الظالمون بل باعتبار امره الايجادى وتجليه التجلى الاحدى المعبر عنه فى القرءآن بالحق واستوآء الامر الارادى الايجادى على العرش بمنزلة استوآء الامر التكليفى الارشادى على الشرع فكما ان كل واحد من الامرين قلب الآخر وعكسه المستوى السوى فكذلك كل واحد من العرش والشرع قلب الآخر وعكسه السوى المستوى انتهى باختصار قال فى التأويلات النجمية لما اتم خلق المكونات من الانواع الستة استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استوآء التصرف فى العالم وما فيه التدبر فى اموره من العرش الى تحت الثرى وانما خص العرش بالاستوآء لانه مبدأ الاجسام اللطيفة القابلة للفيض الرحمانى وهذا الاستوآء صفة من صفات الله تعالى لا يشبه استوآء المخلوقين كما العلم صفة من صفاته لا يشبه علم المخلوقين اذ ليس كمثله شئ وهو السميع العليم ولو امعنت النظر فى خصوصية خلافتك الحق تعالى لعرفت نفسك فعرفت ربك وذلك ان الله تعالى لما اراد خلق شخصك من النطفة المودعة فى الرحم استعمل روحك بخلافته ليتصرف فى النطفة ايام الحمل فيجعلها عالما صغيرا مناسبا للعالم الكبير فيكون بدنه بمثابة الارض ورأسه بمثابة السماء وقلبه بمثابة العرش وسره بمثابة الكرسى وهذا كله بتدبير الروح وتصرفه خلافة عن ربه ثم استوى الروح بعد فراغه من الشخص الكامل على عرش القلب استوآء مكانيا بل استوى ليتصرف فى جميع اجزآء الشخص ويدبر اموره بافاضة فيضه على القلب فان القلب هو القابل لفيض الحق تعالى الى المخلوقات كلها كما ان القلب مغتنم فيض الروح الى القالب كله فاذا تأملت فى هذا المثال تأملا شافيا وجدته فى نفى التشبيه عن الصفات المنزهة المقدسة كافيا وتحققت حقيقة من عرف نفسه فقد عرف ربه ان شاء الله تعالى ثم انه تعالى لما ذكر استوآءه على العرش واخبر بما اخبر من نفاذ امره واطراد تدبيره بين ذلك بطريق الاستئناف فقال (يغشى الليل النهار) اى يجعل الليل غاشيا يغشى النهار بظلمته فيذهب بنور النهار ويغطيه بظلمة الليل ولم يذكر العكس اكتفاء باحد الضدين وفيه اشارة الى ليل ظلمات النفس عند استيلاء صفاتها وغلبات هواها على نهار انوار القلب والى نهار القلب عند غلبات انواره واستيلاء المحبة عليه

(يطلبه حثيثا) حال من الليل اى يجعل الليل غاشيا للنهار حال كون الليل طالبا له اى لمجيئه عقيب الليل سريعا وحثيثا منصوب على انه صفة مصدر محذوف اى يطلبه طلبا حثيثا اى سريعا ولما كان كل واحد من الليل والنهار يعقب الآخر ويجيء بعده من غير ان يفصل بينهما بشئ صار كانه يطلب الآخر على منهاج واحد (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره) عطف على السموات اى خلق كل هذه المخلوقات حال كونها مسخرات بقضائه وتصرفه اى مذللات لما يراد منها من الطلوع والافول والحركات المقدرة والاحوال الطارئة عليها (ألا) تنبيه معناه اعلموا (له) اى لله تعالى والتقديم للتخصيص (الخلق والامر) فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق وفى التأويلات النجمية ما خلق بامره تعالى من غير واسطة امر وما خلق بواسطة خلق وذكر الامام ان العالم وهو ما سوى الله تعالى منحصر فى نوعين عالم الخلق وعالم الامر وان المراد بعالم الخلق عالم الاجساد والجسمانيات وبعالم الامر عالم الارواح والمجردات وان قوله تعالى ألا له الخلق والامر اشارة الى هذين العالمين عبر عن العالم الاول بعالم الخلق لان الخلق عبارة عن التقدير وكل ما كان جسما او جسمانيا كان مخصوصا بمقدار معين فعبر عنه بعالم الخلق وكل ما كان مجردا عن الحجم والمقدار كان من عالم الارواح ومن عالم الامر مكونات بمجرد امر كن فخص كل واحد منهما باسم مناسب له وقيل ألا له الخلق والامر انتهى كلام الامام وقال حضرة شيخنا العلامه ابقاه الله بالسلامه الخلق عالم العين والكون والحدوث روحا وجسما والامر عالم العلم والاله والوجوب وعالم الخلق تابع لعالم الامر اذ هو اصله ومبدأه قل الروح من امر ربى والله غالب على امره (تبارك الله رب العالمين) اى تعالى بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية قال ابن الشيخ اى تعاظم الاله الواحد الموجد للكل المتصرف فيه بالربوبية رد به على الكفرة الذين كانوا يتخذون اربابا فدعاهم الى التوحيد بالحكمة والحجة وصدر الآية بان ردا لانكارهم فقال ان ربكم المستحق للربوبية ليس الا واحدا وهو الله الموجد للكل على الترتيب المحكم المتقن الدال على كمال العلم والحكمة والقدرة وهو الذى انشأ ملكه على ما يشاهد ثم اخذ فى تدبيره كالملك المتمكن فى مملكته بتدبير ملكه انتهى يروى ان الصاحب ابن عباد كان يتردد فى معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب فسمع امرأة تسأل اين المتاع ويجيب ابنها الصغير بقوله جاء الرقيم اى الكلب واخذ المتاع وتبارك الجبال فاستفسر منهم وعرف ان الرقيم هو الكلب وان المتاع هو ما يبل بالماء فيمسح به القصاع وان تبارك بمعنى صعد وتعالى وفى الحديث من لم يحمد الله على عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط عمله ومن زعم ان الله خلق للعباد من الامر سببا فقد كفر بما انزل الله على انبيائه لقوله تعالى ألا له الخلق والامر قال الشاعر

الى الله كل الامر فى خلقه معا * وليس الى المخلوق شئ من الامر

(ادعوا ربكم) بمعنى المربى من التربية وهى تبليغ الشئ الى كماله شيأ فشيأ وهو تعالى مربى الظواهر بالنعمة وهى النفوس ومربى البواطن بالرحمة وهى القلوب ومربى نفوس العابدين باحكام الشريعة ومربى قلوب المشتاقين بآداب الطريقة ومربى اسرار المحبين بانوار الحقيقة وهو اى الرب اسم الله الاعظم ولذلك كل اسم قلبته بطل معناه الا الرب فان مقلوبه البر وهو من اسمائه تعالى واليه يشير ما روى عن الخضر عليه السلام انه قال الاسم الاعظم ما دعا به كل نبى وولى وعدو واشار الى انه مقدمة دعوات الانبياء نحو ربنا ظلمنا انفسنا الآية ونحوه والصحابة نحو ربنا ما خلقت هذا باطلا الآيات والاعدآء نحو رب انظرنى ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا (تضرعا وخفية) التضرع زارى كردن كذا فى تاج المصادر يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة من باب فتح اى خضع وذل وهما حالان من فاعل ادعوا اى متضرعين متذللين مخفين الدعاء ليكون اقرب الى الاجابة لكون الاخفاء دليل الاخلاص والاحتراز عن الرياء روى عن الصحابة رضى الله عنهم انهم كانوا فى غزوة فاشرفوا على واد فجعلوا يكبرون ويهللون رافعى اصواتهم فقال عليه السلام لهم اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا قريبا وانه لمعكم اى بالعلم والاحاطة وفى الحديث استحباب الاخفاء فى ذكر الله لكن ذكر شارح الكشاف ان هذا بحسب المقام والشيخ المرشد قد يأمر المبتدى برفع الصوت لينقلع عن قلبه الخواطر الراسخة فيه كذا فى شرح المشارق لابن الملك قال حسين الكاشفى فى الرسالة العلية اى درويش قومى كه كمين كاه نفس راديده بودند انستندذكر بجهر كفتن مناسب نديدند كه بريا انجامد ومخفى بذكر

مشغول شدند وقول حق تعالى راكه واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخفية كاربستند وجمعى كه بمرتبهٔ اخلاص رسيدند وباطن خودرا ازريا پاك يافتند ذكررا بجهر كفتند وهريك را ازين دوطائفه برعمل خود دلائل است (وفى المثنوى) كفت ادعوا الله بى زارى مباش * تا بيايد فيضهاى دوست فاش * تاسقاهم ربهم آيد خطاب * تشنه باش الله اعلم بالصواب * وعن عمر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع يديه فى الدعاء لا يردهما حتى يمسح بهما وجهه وذلك ليصل شئ من البركة الفائضة على اليد الى الوجه كما قال تعالى سيماهم فى وجوههم من اثر السجود وذلك المسح فى الحقيقة رجوع الى الحقيقة الجامعة فان الوجه هو الذات كما قال فى الاسرار المحمدية ان الانسان حال دعائه متوجه الى الله تعالى بظاهره وباطنه ولذا يشترط حضور القلب فيه وصحة الاستحضار فسر الرفع والمسح ان اليد الواحدة مترجمة عن توجهه بظاهره واليد الاخرى عن توجهه بباطنه واللسان مترجم عن جملته ومسح الوجه هو التبرك والتنبيه على الرجوع الى الحقيقة الجامعة بين الروح والبدن لان وجه الشئ حقيقته والوجه الظاهر مظهرها وقال ايضا السنة للداعى فى طلب الحاجة له ان يشيرهما يعنى كفيه الى السماء وللمكروب ان ينصب ذراعيه حتى يقابل بكفيه وجهه واذا دعا على احد ان يقلب كفيه ويجعل ظهرهما الى السماء والسنة ان يخرج يديه حين الدعاء من كميه قال سلطان العارفين ابو يزيد البسطامى دعوت الله ليلة فاخرجت احدى يدى والاخرى ما قدرت على اخراجها من شدة البرد فنمت فرأيت فى منامى ان يدى الظاهرة مملوءة نورا والاخرى فارغة فقلت ولم ذا يا رب فنوديت اليد التى خرجت للطلب ملأناها والتى توارت حرمناها ورفع الايدى الى السماء والنظر اليها وقت الدعاء بمنزلة ان يشير سائل الى الخزانة السلطانية ثم يطلب من السلطان ان يفيض عليه سجال العطاء من هذه الخزانة قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فالسماء قبلة الدعاء ومحل نزول البركات والافضل ان يبسط كفيه ويكون بينهما فرجة وان قلت ولا يضع احدى يديه على الاخرى فان كان وقت عذر او برد فاشار بالمسبحة قام مقام بسط كفيه والمستحب ان يرفع يديه عند الدعاء بحذآء صدره كذا روى ابن عباس رضى الله عنه فعل النبى عليه السلام كذا فى القنية (انه لا يحب المعتدين) اى المجاوزين ما امروا به فى الدعاء وغيره نبه به على ان الداعى ينبغى ان لا يطلب ما لا يليق كرتبة الانبياء والصعود الى السما وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذبك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين فالاليق للداعى ان يدعو باهم الامور وهو الفوز بالجنة والنجاة من النار كما قال النبى عليه السلام للاعرابى الذى قال انى اسأل الله الجنة واعوذبه من النار انى لا اعرف دندنتك ولا دندنة معاذ فقال حولهما ندندن ومعناه انى لا اعرف ما تقول انت ومعاذ يعنى من الاذكار والدعوات المطولة ولكنى اختصر على هذا المقدار فاسأل الله الجنة واعوذبه من النار ومعنى قوله عليه السلام حولهما ندندن ان القصد بهذا الذكر الطويل الفوز بهذا الاجر الجزيل (ولا تفسدوا فى الارض) بالكفر والمعاصى (بعد اصلاحها) ببعث الانبياء وشرع الاحكام قال الحدادى وقيل معناه لا تعصوا فى الارض فيمسك المطر عنها ويهلك الحرث بمعاصيكم (وادعوه خوفا وطمعا) مصدران فى موقع الحال اى خائفين من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطامعين فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته (ان رحمة الله قريب من المحسنين) وتذكير قريب مع انه مسند الى ضمير الرحمة لتأويل الرحمة بالرحم فان الرحم بضم الراء بمعنى الرحمة قال الله تعالى واقرب رحما قال الكسائى اراد ان اتيان رحمة الله قريب كقوله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا اى لعل اتيانها والمعنى ان رحمة الله قريب من الداعين بلسان ذاكر شاكر وقلب حاضر طاهر وترجيح للطمع وتغليب لجانب الرحمة وتنبيه على وسيلة الاجابة اعنى الاحسان المفسر بان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وفى الحديث ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة يعنى ليكن الداعى ربه على يقين بان الله يجيب لان رد الدعاء اما للعجز فى اجابته او لعدم كرم فى المدعو او لعدم علم المدعو بدعاء الداعى وهذه الاشياء منتفية عن الله تعالى فانه عالم كريم قادر لا مانع له من الاجابة قال سهل ما اظهر عبد فقره الى الله تعالى فى وقت الدعاء فى شئ يحل به الا قال الله تعالى لملائكته لولا انه لا يحتمل كلامى لاجبته لبيك وحكى ان موسى عليه السلام مر برجل يدعو ويتضرع فقال موسى لو كانت حاجته بيدى لقضيتها فاوحى الله تعالى اليه انا ارحم به

منك ولكنه يدعونى وله غنم وقلبه فى غنمه وانا لا اقبل دعوة عبد قلبه عند غيرى فذكر ذلك للرجل فتوجه الى الله بقلبه فقضيت حاجته فيلزم حضور القلب وحسن الظن بالله فى اجابة الدعاء وحكى عن بعض البله وهو فى طواف الوداع انه قال له رجل وهو يمازحه هل اخذت من الله براءتك من النار فقال الابله لا وهل اخذ الناس ذلك فقال نعم فبكى ذلك الابله ودخل الحجر وتعلق باستار الكعبة وجعل يبكى ويطلب من الله ان يعطيه كتابه بعتقه من النار فجعل اصحابه والناس يلومونه ويعرفونه ان فلانا مزح معك وهو لا يصدقهم بل بقى مستقرا على حاله فبينا هو كذلك اذ سقطت عليه ورقة من جهة الميزاب فيها مكتوب عتقه من النار فسر بها واوقف الناس عليها وكان من آية ذلك الكتاب ان يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها فعلم الناس انه من عند الله قيل دعاء العامة بالاقوال ودعاء الزاهدين بالافعال ودعاء العارفين بالاحوال واذا وفق الله عبدا الى نطق بامر ما فما وفقه اليه الا وقد اراد اجابته فيه وقضاء حاجته وعدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند اهل الطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كما قال الشيخ المحقق ابن الفارض قدس سره ويحسن اظهار التجلد للعدى ويقبح غير العجز عند الاحبة (قال الحافظ) فقير وخسته بدركاهت آمدم رحمى * كه جز دعاى توام نيست هيچ دست آويز * ودر مناجات شيخ الاسلام است كه خدايا اكر وفاداران بتو اميد دارند جفا كاران نيز بغير تو پناهى ندارند والاشارة ان التضرع ما يطلع عليه الخلق والخفية ما يطلع عليه الحق اى تضرعا بالجوارح وخفية بالقلوب والاعتدآء فى الدعاء طلب الغير منه والرضى بما سواه ولا تفسدوا فى الارض اى فى ارض القلوب بعد اصلاحها اى بعد ان اصلحها الله برفع الوسائط بينه وبين القلوب فان فساد القلوب فى رؤية غير الحق وصلاحها فى رؤية الحق ويقال من افساد القلوب بعد اصلاحها ارسالها فى اودية المنى بعد امساكها عن متابعة الهوى ومن ذلك الرجوع الى الحظوظ بعد القيام بالحقوق وادعوه خوفا من الانقطاع وطمعا فى الاصطناع ان رحمة الله وهى بذل المتمنى قريب من المحسنين الذين يرون الله فى الطاعات اى يعبدونه طمعا فيه لا منه كذا فى التأويلات النجمية (وهو الذى يرسل الرياح) كل ما كان فى القرءآن من ذكر الرياح فهو للرحمة وما كان من ذكر الريح فهو للعذاب ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام كان يجثو على ركبتيه عند هبوب الرياح ويقول اللهم اجعلها لنا رياحا ولا تجعلها ريحا اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وفى الحديث لا تسبوا الريح فاذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم انا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما امرت به ونعوذبك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما امرت به قال بعض المشايخ لا تعتمد على الريح فى استوآء السفينة وسيرها وهذا شرك فى توحيد الافعال وجهل بحقائق الامور ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه يعلم ان الريح لا تتحرك بنفسها بل لها محرك والمحرك له محرك الى ان ينتهى الى المحرك الاول الذى لا محرك له ولا يتحرك هو فى نفسه ايضا بل هو منزه عن ذلك وعما يضاهيه سبحانه (بشرا) بتخفيف نشر بضمتين جمع بشير نحو رغيف ورغف اى مبشرات (بين يدى رحمته) اى قدام رحمته التى هى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه الصبا ريح تهب من موضع طلوع الشمس عند استوآء الليل والنهار والدبور ريح تقابل الصبا اى تهب من موضع غروب الشمس والشمال بالفتح الريح التى تهب من ناحية القطب والجنوب الريح التى تقابل الشمال والجنوب تدر السحاب اى تستحلبه قال ابن عباس رضى الله عنه يرسل الله الرياح فتحمل السحاب فتمريه كما يمرى الرجل الناقة والشاة حتى تدر وفى الآية اطلاق الرحمة على المطر فقول من قال انى افر من الرحمة محمول على المطر (حتى اذا اقلت) غاية لقوله يرسل (سحابا) اى حملته ورفعته باليسر والسهولة بان وجدته خفيفا قليلا يقال اقللت كذا اى حملته بالسهولة ومن حمل الشئ بسهولة لا شك انه يعده قليلا فلذلك اشتق هذا الفعل من القلة (ثقالا) جمع ثقيل اى بالماء جمعه مع كونه وصفا للسحاب لان السحاب اسم جنس يصح اطلاقه على سحابة واحدة وما فوقها فيكون بمعنى الجمع اى السحائب والسحاب هو الغيم الجارى فى السماء (سقناه) من السوق والضمير للسحاب والافراد باعتبار اللفظ والمعنى بالفارسية برانيم ما آن ابررا (لبلد ميت) اى لاحياء بلد لا نبات فيه والبلد يطلق على كل موضع من الارض سوآء كان عامرا اى ذا عمارة او غير عامر خاليا او مسكونا والطائفة منها بلدة والجمع بلاد (فانزلنا به الماء) اى بالبلد والباء للالصاق اى التصق انزال الماء بالبلد (فاخرجنا به) اى بسبب ذلك الماء

(من كل الثمرات) اى من كل انواعها والظاهر ان الاستغراق عرفى (كذلك نخرج الموتى) الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث القوة النباتية فيه وتطريته بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى موادابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس (لعلكم تذكرون) بطرح احدى التاءين اى تتذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة قال ابن عباس وابو هريرة اذا مات الناس كلهم فى النفخة الاولى مطرت السماء اربعين يوما قبل النفخة الاخيرة مثل منى الرجال فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبتون فى بطون امهاتهم وكما ينبت الزرع من الماء حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيها الروح ثم يلقى عليهم نومة فينامون فى قبورهم فاذا نفخ فى الصور النفخة الثانية وهى نفخة البعث جاشوا وخرجوا من قبورهم وهم يجدون طعم النوم فى رؤسهم كما يجده النائم اذا استيقظ من نومه فعند ذلك يقولون من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون والاشارة فى الاية ان الرياح رياح العناية والسحاب سحاب الهداية والماء ماء المحبة فيخرج الله تعالى بهذا الماء ثمرات المشاهدات والمكاشفات وانواع الكمالات كذلك نخرج الموتى اى موتى القلوب من قبور الصدور ولعلكم تذكرون اى تذكرون ايام حياتكم دون حياض الانس ورياض القرب عند حظائر القدس واعلم ان العمدة هى العناية الازلية وهى تصل الى العباد فى الخلاء والملاء حكى انه قيل لولى من اولياء الله تعالى اذهب الى دار الشرك فان فيها صديقا فكان ذلك الولى يقدر على الاختفاء فذهب الى دار المشركين فامره مشركوا بباعه خادم كنيسة فخدم فيها زمانا بالصدق فجاء السلطان يوما الى الكنيسة فخلاها ثم صلى فاستتر الولى ثم ظهر للسلطان فقال من انت قال مسلم مثلك وقيل للولى هو الصديق ثم سأل الولى ذلك السلطان الصديق عن حاله فقال فى احسن الاحوال وارغد عيش آكل الرزق الحلال واعبد خالصا عن الرياء واقتل الكفار واعين المسلمين بحيث لو كنت سلطانهم ما قدرت ثم خرج من الكنيسة وقعد عند بابها فسأل عن البطارقة والرهبان والخدام ثم قتل الكل وقال تتكبرون عن خدمة بيت الرب بانفسكم وتستخدمون غير اهل الملة ثم خلى سبيلى وفى هذه الحكاية اشارة الى ان الله تعالى اذا اراد اهلاك العدو بادفى سبب من حيث لا يحتسب فان له الطافا خفية (قال الحافظ) تيغى كه آسمانش از فيض خود دهد آب * تنها جهان بكيرد بى منت سپاهى * (وقال ايضا) دلا طمع مبر از لطف بى نهايت دوست * كه ميرسد همه را لطف بى نهايت او * فنظر اهل التوحيد وارباب البصيرة الى المؤثر الحقيقى والفيض الازلى لا الى الخلق والوسائط والاسباب نسأل الله تعالى ان يجعلنا من الذين فازوا بالسعادة الابدية والعناية السرمدية ويسلك بنا مسلك الحقيقة والطريقة الاحمدية انه هو البر الرحيم (والبلد الطيب) اى الارض الكريمة التربة وفى التفسير الفارسى وزمين پاك از سنك وريك كه شايسته وصالح زراعت باشد (يخرج نباته باذن ربه) بمشيئته وتيسيره ما اذن الله فى خروجه لا يكون الا حسنا اكثر غزير النفع (والذى خبث) اى والبلد الذى خبث ترابه كالحرة والسبخة الحرة ارض ذات حجارة سود كانها احرقت بالنار والسبخة الارض المالحة التى لا تنبت شيأ (لا يخرج) نباته فى حال من الاحوال (الا) فى حال كونه (نكدا) قليلا عديم النفع فهو مستثنى مفرغ من اعم الاحوال والنكد بكسر الكاف القليل الخير الممتنع عن افادة النفع على جهة البخل والضنة والمصدر النكد بفتحتين يقال نكد عيشهم بكسر الكاف ينكد بالفتح نكدا اذا اشتد عيشهم وضاق (كذلك) اى مثل ذلك التصريف البديع (نصرف الايات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وتخصيصهم بالذكر لانهم المنتفعون بها كقوله تعالى هدى للمتقين والاية مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التى هى ماء حياة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وفى التفسير الفارسى هركاه كه باران مواعظ از سحاب كلام رب الارباب بر دل مؤمن بارد انوار طاعات وعبادات بر جوارح او ظاهر كردد چون كافر استماع سخن كند زمين دلش تخم نصيحت قبول نكند از وهيچ صفت كه بكار آيد در ظهور نيايد (قال السعدى) زمين شوره سنبل بر نيارد * درو تخم عمل ضايع مكردان (وقال الحافظ) كوهر پاك ببايد كه شود قابل فيض * ورنه هر سنك وكلى لؤلؤ ومرجان نشود * وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فاقام بها اياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج

فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به اذ اقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته يا امير المؤمنين يا امير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده وقال لبيك يا بهلول فقال يا امير المؤمنين حدثنا ايمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامرى قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يمضى على جمل وتحته رحل رث فلم يكن ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك فى سفرك هذا يا امير المؤمنين خير لك من تكبرك فبكى هرون حتى سقطت الدموع على الارض وقال يا بهلول زدنا يرحمك الله فقال

هب انك قد ملكت الارض طرا * وان لك العباد فكان ماذا

اليس غدا مصيرك جوف قبر * ويحثو الترب هذا ثم هذا

فبكى هرون ثم قال احسنت يا بهلول هل غيره قال نعم يا امير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فانفق فى ماله وعف فى جماله كتب فى خالص ديوان الله من الابرار قال احسنت يا بهلول ثم امر له بجائزة فقال اردد الجائزة الى من اخذتها منه فلا حاجة لى فيها قال يا بهلول ان يكن عليك دين قضيناه قال يا امير المؤمنين لا يقضى دين بدين اردد الحق الى اهله واقض دين نفسك يا امير المؤمنين من نفسك قال يا بهلول فنجرى عليك ما يكفيك فرفع بهلول رأسه الى السماء ثم قال يا امير المؤمنين انا وانت من عيال الله تعالى فمحال ان يذكرك وينسانى فاسبل هرون السجاف ومضى والمقصود من هذه الحكاية بيان استماع هرون الحق وقبوله وذلك لانه كان كالمكان الزاكى وقلبه حيا بالحياة الطيبة فلذا لم يخرج منه الا الاخلاق الحميدة واما ارض النفس الامارة التى هى البلد الخبيث فلا يخرج منها الا الاخلاق الذميمة والافعال الرديئة فمن كان قلبه حيا بنور الله انعكس نور قلبه على نفسه فتنورت النفس فتبدلت اوصافها باوصاف القلب وتلاشت ظلمتها بنور القلب فيطمئن الى ذكر الله وطاعته كما هو من اوصاف القلوب وان كان القلب ميتا والنفس حية فظلمات صفات النفس تطل على القلب وتبدل صفاته بصفاتها عند استيلاء صفاتها عليه فيحصل اطمئنانه بالدنيا وما فيها نسأل الله تعالى ان يجعل اطمئناننا الى ذكره وفكره وشكره ويجعلنا من الذين يعرفون قدر نعمة الله وحق المنعم (لقد ارسلنا نوحا الى قومه) جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبى ابن يرد ابن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليهم السلام ونوح اول نبى بعد ادريس بعد شيث وكان نوح نجارا بعثه الله الى قومه على رأس اربعين سنة وكان عمره الفا ومائتين واربعين سنة وفى التفسير الفارسى الى قومه بسوى قوم او كه اكثر اولاد قابيل بودند وبت مى پرستيدند وذلك ان قابيل لما قتل اخاه هابيل طرده آدم فسكن مع اولاده واتباعه فى اليمن وهو اول من عبد الصنم (فقال) اى نوح (يا قوم اعبدوا الله) وحده فان العبادة بالاشراك ليست من العبادة فى شئ (ما لكم من اله غيره) اى من مستحق للعبادة وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى هو الرفع على الابتداء ومن زائدة فى المبتدأ والخبر لكم (انى اخاف عليكم) اى ان لم تعبدوه حسبما امرت به وهو بيان للداعى الى عبادته (عذاب يوم عظيم) اى عذاب يوم القيامة او يوم الطوفان (قال الملأ من قومه) استئناف اى الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وبهجتهم (انا لنراك) يا نوح (فى ضلال) ذهاب عن طريق الحق والصواب لمخالفتك لنا والرؤية قلبية (مبين) بين كونه ضلالا (قال) استئناف ايضا (يا قوم) ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق (ليس بى) الباء للملابسة او للظرفية (ضلالة) بالغ فى النفى حيث نفى عن نفسه ملابسة ضلالة واحدة اى ليس بى شئ من افراد الضلال وجزئياته فضلا عن ان يكون بى ضلال عظيم بين كما بالغوا فى الاثبات حيث جعلوه مستقرا فى الضلال الواضح كونه ضلالا (ولكنى رسول) اى رسول كائن (من رب العالمين) فمن لابتداء الغاية مجازا والرسالة يلزمها الهدى التام الغير القابل للضلال فاستدرك الملزوم ليكون كالبرهان على استدراك اللازم كانه قال ولكنى على هدى كامل فى الغاية لانى رسول من رب العالمين (ابلغكم رسالات ربى) الرسالة صفة واحدة قائمة بذات الرسول متعلقة بالاضافة الى المرسل والمرسل اليه الا انها جمعت نظرا الى تعددها بحسب تنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام اولان المراد بها ما اوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وهى خمسون صحيفة وصحف ادريس وهى ثلاثون صحيفة (وانصح لكم) زيادة اللام مع تعدى النصح بنفسه يقال نصحتك للدلالة على امحاض النصح لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة فانه رب نصيحة ينتفع بها الناصح ايضا وليس

الامر ههنا كذلك والفرق بين تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة ان تبليغ الرسالة معناه ان يعرف انواع تكاليف الله واحكامه والنصيحة المراد بها الترغيب فى الطاعة والتحذير من المعاصى والارشاد الى ما فيه مصالح المعاد قال الحدادى النصح اخراج الغش من القول والفعل (واعلم من الله ما لا تعلمون) اى اعلم من قدرته القاهرة وبطشه الشديد على اعدآئه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام بالوحى (اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم) الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اى استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم وحى او موعظة من مالك اموركم ومربيكم (على رجل منكم) اى على لسان رجل من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لا مناسبة بينه تعالى وبين البشر من حيث انه تعالى فى غاية التقدس والتنزه والبشر فى غاية التعلق والتكدر فانكر عليهم نوح عليه السلام لانه لا سبيل الى ان يكلف الله البشر بنفسه من غير واسطة لان حجاب العظمة والكبرياء يمنع من ان يتحقق بينهم الفيض والاستفاضة فتعين ان يكون التكليف بان يرسل بشرا ذا جهتين يستفيض من عالم الغيب بجهة تجرده وصفاء روحانيته ويفيض لبنى نوعه بجهة مشاركته لهم فى الحقيقة النوعية (لينذركم) علة للمجيىء اى ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصى (ولتتقوا) منها بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) اى ولتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجى التنبيه على عزة المطلب وان التقوى غير موجبة للرحمة بل هى منوطة بفضل الله تعالى وان المتقى ينبغى ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله تعالى (فكذبوه) واستمروا على ذلك فى هذه المدة المتطاولة اذ هو الذى يعقبه الانجاء والاغراق لا مجرد التكذيب روى ان نوحا عليه السلام دعا بهلاك قومه فامره الله تعالى بصنع الفلك فلما تم دخل فيه مع المؤمنين فارسل الله الطوفان واغرق الكفار وانجى نوحا مع المؤمنين فذلك قوله تعالى (فانجيناه والذين معه) من المؤمنين وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة (فى الفلك) متعلق بالاستقرار الذى تعلق به الظرف اى والذين استقروا معه فى الفلك (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) اى استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للايذان بسبق الرحمة التى هى مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذى يظهر اثره بمقتضى جرآئمهم (انهم كانوا قوما عمين) اصله عميين جمع عم اصله عمى على وزن خضر فاعل كاعلال قاض قال اهل اللغة يقال رجل عم فى البصيرة واعمى فى البصر والمعنى عمين قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد غير مستبصرين وهذا العمى مانع عن رؤية الآيات ومشاهدة البينات (قال الحافظ) جمال يار ندارد نقاب وپرده ولى * غبار ره بنشان تا نظر توانى كرد * بخلاف اعمى البصر اذا كان مستعد النظر فانه كم من اعمى قادر على الرؤية من حيث الحقيقة (قال الصائب) دل چو بيناست چه غم ديده اگر نابيناست * خانهٔ آيينه را روشنى از روزن نيست * وفى الآية اشارة الى نوح الروح الذى ارسله الله الى قومه يلاد القالب وهو القلب وصفاته والنفس وصفاتها ومن صفة الروح العبودية والطاعة ودعوة القلب والنفس وصفاتهما الى الله وعبوديته ومن صفات النفس وشأنها تكذيب الروح ومخالفته والاباء عن قبول نصحه والروح يحذر قومه من عبادة الدنيا وزينتها لئلا يحرموا عن مساعدة الرحمة فكذبه قومه من النفس وصفاتها فانجينا الروح من ظلمات النفس وتمردها والذين معه وهم القلب وصفاته الذين قبلوا دعوة نوح الرسول وركبوا معه فى الفلك وهو فلك الشريعة والدين فاغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اى النفس وصفاتها فى بحر الدنيا وشهواتها انهم كانوا قوما عمين عن رؤية الله والوصول اليه هذه حال الانفس والآفاق واهليهما ولو اصغوا الى داعى الحق واجتنبوا عما ارتكبوا لنجوا كما حكى ان الشيخ بقا رضى الله عنه كان يوما جالسا على شط نهر الملك فمرت به سفينة فيها جند ومعهم خمر وفواكه ونساء متبرجات وصبيان ومغانى وهم فى غاية من اللهو والطغيان فقال الشيخ بقا للملاح اتق الله وقدم الى الله فلم يلتفتوا الى كلامه فقال ايها النهر المسخر خذ الفجرة فعلا الماء عليهم حتى طلع الى السفينة فاشرفوا على الغرق فصاحوا بالشيخ واعلنوا بالتوبة فعاد الماء الى حاله وحسنت توبتهم وكانوا بعد ذلك يكثرون من زيارته (قال الحافظ) امروز قدر پند عزيزان شناختيم * يارب روان ناصح ما از تو شاد باد * فعلى العاقل ان يقبل النصيحة ممن فوقه ودونه فان النصيحة سهلة والمشكل قبولها ونعم ما قال السعدى مرد بايد كه

كيرد اندر كوش * ورنوشت است پند بر ديوار * اللهم اجعلنا ممن قبل دعوتك ودخل جنتك (والى عاد) اى وارسلنا الى عاد وهم قوم من اهل اليمن وكان اسم ملكهم عادا فنسبوا اليه وهو عاد بن ارم بن سام بن نوح (اخاهم) اى واحدا منهم فى النسب لا فى الدين كقولهم يا اخا العرب (هودا) عطف بيان لاخاهم وهو هود ابن عبد الله بن رباح بن خلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وانما جعل الرسول من تلك القبيلة لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله فى صدقه وامانته واقرب الى اتباعه (قال) استئناف وفى التفسير الفارسى قبيلهٔ عاد مردم تن آور وبلند وبالا بودند واز ايشان در تمام روى زمين دران زمان قبيلهٔ عظيمه نبود وعمردم بسيار بودند ومال فراوان داشتند وعمر در پرستش بت مى كذرانيدند حق سبحانه وتعالى هود را بديشان فرستاد پس هود بميان قبيله آمد وايشانرا بحق دعوت كرد * قال (يا قوم) اى قوم من (اعبدوا الله) وحده (ما لكم من اله غيره) غيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وهو الابتدآء ومن زآئدة فى المبتدأ ولكم خبره (افلا تتقون) الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر اى الا تتفكرون فلا تتقون عذاب الله تعالى (قال الملأ الذين كفروا من قومه) استئناف كامر وانما وصف الملأ بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من آمن له عليه السلام كمرثد بن سعد وكتم ايمانه ولم يظهر الا عند مجيىء وفد عاد الى مكة يستغيثون كما سيجيىء

قال

عصت عاد رسولهم فامسوا * عطاشا ما تبلهم السماء

لهم صنم يقال له صمود * يقابله صدآء والهباء

فبصرنا الرسول سبيل رشد * فابصرنا الهدى وجلى العماء

وان اله هود هو الهى * على الله التوكل والرجاء

والملأ اشراف القوم وهو فى الاصل بمعنى الجماعة (انا لنراك فى سفاهة) اى متمكنا فى خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين آبائك والسفاهة فى اللغة خفة الحلم والرأى (وانا لنظنك من الكاذبين) اى فيما ادعيت من الرسالة وفيه اشارة الى ان قلوب قوم هود وسخة خبيثة كقلوب قوم نوح لم يخرج منها الخبيث الا نكدا فلما اراد هود عليه السلام ان يبذر فيها بذر التوحيد والمعرفة ولم تكن صالحة وقلما خرج منها الا نبت التسفيه والتكذيب سلكوا طريق سلفهم واخوانهم وصنعوا بمثل حالتهم (وفى المثنوى) در زمين گر نى شكر ور خود نى است * ترجمان هر زمين نبت وى است * ريك وخاك اين زمين يا نبات * باز كويد بر تو انواع نبات (قال) اى هود عليه السلام سالكا طريق حسن المجادلة مع ما سمع منهم من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء وهكذا ينبغى لكل ناصح (يا قوم ليس بى سفاهة) اى شئ منها ولا شائبة من شوآئبها والباء للملابسة او للظرفية (ولكنى رسول من رب العالمين) اى لكنى فى غاية الرشد والصدق لانى رسول رب العالمين فالاستدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه فى الغاية القصوى من الرشد والصدق الرشد هو الاهتدآء لمصالح الدين والدنيا وهو انما يكون بالعقل التام (ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين) معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك قد سبق فى القصة المتقدمة سر جمع الرسالات ومعنى النصح والفرق بين تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة وفى قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين لان الجملة الحالية انما يؤتى بها لبيان هيئة ذى الحال والشئ لا يوصف الا بما يعلم المخاطب اتصافه به اولان فى جعل ذكر متعلق النصح والامانة من قبيل المهجور دلالة على انه اوحدى فيه موجد للحقيقتين كانه صناعته (اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم) اى استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم وحى من مالك اموركم ومربيكم (على رجل منكم) اى على لسان رجل من جنسكم (لينذركم) ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصى فمن فرط الجهالة وغاية الغباوة عجبوا من كون رجل رسولا ولم يتعجبوا من كون الصنم شريكا (واذكروا اذ جعلكم خلفاء) شروع فى بيان ترتيب احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية اى اذكروا وقت استخلافكم قال صاحب الفرائد يشكل هذا بقولهم اذ واذا وقوعهما ظرفين لازم واجيب بان باب الاتساع واسع قال المولى ابو السعود ولعله معطوف على مقدر كانه قيل لا تعجبوا من ذلك وتدبروا فى امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء (من بعد قوم نوح) اى فى مساكنهم او فى الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن

عاد من ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان قال فى التأويلات النجمية جعل الله الخلق بعضهم خلفاء عن بعض وجعل الكل خلفاء فى الارض ولا يفنى جنسا منهم الا اقام فوجا عنهم فى ذلك الجنس فاهل الغفلة اذا انقرضوا اخلف عنهم قوما واهل الوصلة اذا انقرضوا ودرجوا اخلف عنهم قوما (وزادكم فى الخلق) اى فى الابداع والتصوير بالفارسى وبيفزود شما اوفى الناس (بسطة) قامة وقوة فانه لم يكن فى زمانهم مثلهم فى عظم الاجرام كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة الصغير ستين ذراعا قال وهب كان رأس احدهم كالقبة العظيمة وكان عين احدهم يفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم والاشارة كما ان الله تعالى زاد قوما على من تقدمهم فى بسطة الخلق زاد قوما على من تقدمهم فى بسطة الخلق فكما اوقع التفاوت بين شخص وشخص فيما يعود الى المبانى اوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع الى المعانى قال الفرزدق

وقد تلتقى الاسماء فى الناس والكنى * كثيرا ولكن فرقوا فى الخلائق

جمع الخليقة وهى الطبيعة وفى هذا المعنى قال الخاقانى * نى همه يك رنك دارد در نيستانها وليك * ازيكى نى قند خيزد وزدكرنى بورياى (فاذكروا آلاء الله) جمع الى بمعنى النعمة وهو تعميم بعد تخصيص (لعلكم تفلحون) لكى يؤديكم ذلك اى ذكر النعم الى الشكر المؤدى الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب ولما لم يبق للقوم جواب الا التمسك بالتقليد (قالوا) مجيبين عن تلك النصايح الجليلة (أجئتنا) يا هود (لنعبد الله وحده) اى لنخصه بالعبادة (ونذر ما كان يعبد آباؤنا) اى نترك الآلهة التى كان آباؤنا يعبدونها ومعنى المجيء فى اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل عن قومه يعبد فيه ربه كما كان يعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فلما اوحى اليه جاء قومه يدعوهم واما من السماء كمجيء الملك منها استهزاء به عليه السلام لانهم كانوا يعتقدون ان الله تعالى لا يرسل الا الملك واما القصد على المجاز وهو ان يكون مرادهم بالمجيء مجرد قصد الفعل ومباشرته كانهم قالوا اتريد منا ان نعبد الله وحده وتقصد ان تكلفنا بذلك كما يقال ذهب يشتمنى من غير ارادة معنى الذهاب (فأتنا بما تعدنا) من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى افلا تتقون (ان كنت من الصادقين) اى فى الاخبار بنزول العذاب (قال) هود عليه السلام (قد وقع عليكم) اى قد وجب فيكون مجازا من باب اطلاق المسبب على السبب فان نزول العذاب عليهم مسبب عن وجوب نزوله فى علمه تعالى (من ربكم) اى من جهته تعالى (رجس) عقاب من الارتجاس الذى هو الاضطراب (وغضب) ارادة انتقام (اتجادلوننى فى اسماء) عارية عن المسمى جعل المجادل فيه اسماء مجردة عن المسميات لانهم كانوا يسمون الاصنام آلهة ويزعمون كونهم مستحقين للعبادة والحال انهم بمعزل عن الالوهية واستحقاق العبادة (سميتموها) اى سميتم بها (انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) اى حجة وبرهان فى عبادتها قوله سميتموها صفة للاسماء وكذا قوله ما نزل الله وقوله من سلطان مفعول نزل ومن مزيدة والمعنى اتجادلوننى فى مسميات لها اسم بدون ما يليق بها وتوجه الذم للتسمية الصرفة الخالية عن المعنى فلا يلزم ان يكون الاسم هو المسمى قال فى التفسير الفارسى فى اسماء دركار اين نامها يعنى اين بتان كه هريك را نامى نهاده ايد بعضى را سابقه مى كفتند وكمان ايشان آن بودكه باران از ايشان مى بارد وبعضى را حافظه مى خواند بمظنه آنكه نكهبان در سفر ايشانند وهمچنين رازقه وسالمه واين الفاظ اسما بودند بى مسما چه اصنام را كه جمادات بودند قدرت بر اينها نبوده پس هود عليه السلام فرمود كه شما جدال ميكنيد بدين چيزها كه از روى جهالت شما نام نهاده ايد ايشانرا (فانتظروا) مترتب على قوله تعالى قد وقع عليكم اى فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فائتنا بما تعدنا (انى معكم من المنتظرين) لما يحل بكم من العذاب (فانجيناه) الفاء فصيحة كما فى قوله تعالى فانفجرت اى فوقع فانجينا هودا (والذين معه) اى فى الدين (برحمة منا) اى برحمة عظيمة كائنة من جهتنا عليهم وفيه اشارة الى ان هودا مع رتبته فى النبوة ودرجته فى الرسالة انما نجا برحمة من الله هو والذين آمنوا معه ليعلم ان النجاة لا تكون باستحقاق العمل وانما تكون ابتداء فضل من الله ورحمة فما نجا الا بفضل الحق سبحانه (وقطعنا دابر) القوم (الذين كذبوا بآياتنا) اى استأصلناهم اى اهلكناهم جميعا بان قطعنا عرقهم واصلهم لان دابر الشيء آخره فقطع دابر القوم اهلاكهم من اولهم الى آخرهم (وما كانوا مؤمنين) عطف على كذبوا داخل معه فى حكم الصلة اى اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك ابدا وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق آياته

كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا كانوا يسكنون اليمن بالاحقاف وهى رمال يقال رمل عالج ودهمان ومرين ما بين عمان الى حضرموت وكانوا قد فشوا فى الارض وقهروا اهلها بقوتهم التى اعطاها الله اياهم وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا من اوسطهم فى النسب وافضلهم فى الحسب فامرهم ان يوحدوا الله ولا يعبدوا غيره وان يكفوا عن ظلم الناس فابوا عليه وكذبوه وقالوا من اشد منا قوة وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس اذا نزل بهم بلاء وجهد مضوا الى البيت الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم وسألوا الله الفرج وكان اهل مكة يومئذ العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان رئيس العماليق يومئذ بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت امه من عاد فلما قحط المطر من عاد وجهدوا قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة يستسقوا قيل بن عتر ومرثد بن سعد فى سبعين رجلا فلما قدموا الى مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو فى خارج مكة فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية اسم احداهما وردة واسم الاخرى جرادة فغلبت جرادة على وردة فسميتا جرادتين فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذى اصابهم شق ذلك عليه وقال قد هلك اخوالى واصهارى جهدا وعطشا وهؤلاء مقيمون عندى والله ما ادرى كيف اصنع بهم استحيى ان آمرهم بالخروج الى حاجتهم فيظنون ان ذلك لثقل مقامهم على فشكا ذلك الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله لعل ذلك يخرجهم فقال معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

فيسقى ارض عاد ان عادا * قد امسوا ما يبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس ترجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما

وقد كانت نساؤهم بخير * فقد امست نساؤهم ايامى

وان الوحش تأتيهم جهارا * فلا تخشى لعادى سهاما

وانتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم التماما

فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم لقد ابطأتم على اصحابكم فقوموا وادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم هودا وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقام قيل يستسقى فى المسجد وقال اللهم انى لم اجئ لمريض فاداويه ولا لاسير فافاديه اللهم اسقنا فانا قد هلكنا اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم وقال القوم اللهم اعط قيلا ما يسألك واجعل سؤلنا مع سؤله فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذا السحاب ما شئت فقال اخترت السوداء فانها اكثر السحاب ماء فنودى اخترت رمادا رمددا لا يبقى من آل عاد ولدا ولا شيوخا الا فصاروا اهمدا ثم ساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة والبلاء الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها فرحوا وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بامر ربها اى كل شيء مرت به فجاءتهم من تلك السحابة ريح عقيم سخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اى دائمات فكانت الريح تحمل الظعن ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وكانوا قد حفروا للارجلهم فى الارض وغيبوها الى ركبهم فجعلت الريح تدخل اقدامهم وترفع كل اثنين وتضرب باحدهما الآخر فى الهواء ثم تلقيهما فى الوادى والباقون ينظرون حتى رفعتهم كلهم ثم رمت بالتراب عليهم فكان يسمع انينهم من تحت التراب فاعتزل هود ومن معه من المؤمنين فى حظيرة فما كان يصيبهم من الريح الا ما يلين جلودهم وتلذ به انفسهم قالوا ولما اراد الله ارسال الريح العقيم الى عاد اوحى الى الريح ان تخرج الى عاد فتنتقم منهم فخرجت على قدر منخر ثور حتى رجفت الارض ما بين المشرق والمغرب فقالت الخزان يا رب لن نطيقها ولو خرجت على حالها لاهلكت ما بين مشارق الارض

ومغاربها فاوحى الله تعالى اخرجى على قدر خرق الخاتم فخرجت على قدر ذلك قال السدى فلما بعث الريح
اليهم ودنت منهم نظروا الى الابل والرحال تطير بهم الريح بين السماء والارض فتبادروا الى البيوت فاخرجتهم
الريح من البيوت حتى اهلكتهم على ماذكر وسبب هلاك الابل وغيرها من الحيوانات اتصالها بالك اهل الغضب
والبلية اذا نزلت فانما نزلت عامة ولله تعالى حكم ومصالح جليلة فى كل ما يحكم ويريد ولما نجا هود ومن معه
من المؤمنين اتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا وهكذا فعل كل نبى هلك قومه ونجا هو مع المؤمنين قال
بعضهم بين الركن والمقام وزمزم تسعة وتسعون نبيا وان قبر هود وشعيب وصالح واسمعيل فى تلك البقعة
وسبب الهجرة ان ارض اهل الكفر والمعاصى قد حل فيها غضب الله وذهب خيرها فاقتضى كمال الخشية
من جلال الله تعالى الرحلة الى دار الامان كما قال تعالى ومن دخله كان آمنا مع ان امكنة العبادات
على طبقات مختلفة متفاوتة فى مراتب الثواب فعمل واحد بمكة خير من الف عمل فى غيرها اذ هى محل انفاس
الانبياء ونفوسهم ومحط رحال الاولياء ورؤسهم كما ان حال الازمنة كذلك فطوبى لعبد هاجر من ارض اهل
البدعة والهوى ونزل بارض اهل السنة والهدى لان نظر الله تعالى على اهل الخير والصلاح واما من اخلد الى
ارضه مع جمود اهلها وخمود نار محبتها لمجرد عرض دنيوى من المعاش وغيره فهو ممن اهبطه الله الى ارض
طبيعته وزحزحه عن جنته واراد خسرانه فى تجارته والا فالمهتدى الى سبيل السلام لا يقيم مع الضالين
مع وضوح البرهان التام * سعديا حب وطعن كرچه حديث است صحيح * نتوان مرد بسختى كه من
اينجا زادم * يقول الفقير اللهم انى هاجرت من ارض اهل البغى والفساد واخترت سنوك طريق اهل الرشاد
فانتقلت من ديار الروم الى ما يلحق بارض المقدسة اعنى بروسة المحروسة اللهم ثبت قدمى فى طريقك الحق
فانا الحق ارشدنى الى ما فى الهجرة من السر المطلق آمين يا معين (والى ثمود) اى ارسلنا الى ثمود وهى قبيلة من
العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى
وادى القرى وثمود فى كتاب الله مصروف وغير مصروف قال الله تعالى الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود فمن
صرفه جعله اسما للحى ومن لم يصرفه جعله اسما للقبيلة (اخاهم) من حيث النسب كهود عليه السلام
كما تقدم (صالحا) عطف بيان لاخاهم وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود
(قال) استئناف (يا قوم) بحذف ياء المتكلم (اعبدوا الله) وحده (ما لكم من اله غيره) فيه اشارة الى ان الله
تعالى وان غاير بين الرسل من حيث الشرائع الا انه جمع بينهم فى التوحيد حيث سلك كل واحد منهم فى الدعوة
مسلك الآخر فقال نوح وهود وصالح يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره روى انه لما هلكت عاد عمرت ثمود
بلادها وخلفوهم فى الارض وكثروا وكانوا فى خصب وسعة فعتوا على الله وافسدوا فى الارض وعبدوا
الاصنام فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله تعالى حتى شمط
وكبر فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية تكون مصداقا لقوله فقال اية آية
تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا فى يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك
اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوا الاستجابة فلم تجبهم
الى سؤلهم ولم يظهر اثر الانجاح فافتضحوا ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة فى ناحية الجبل
يقال لها الكاتبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة على خلقة الجمل فى الجسامة وغلظة العظام والقوائم
شبيهة بالبختى جوفاء وبراء عشراء فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك
لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة
عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به
جندع ورهط من قومه ومنع الباقين من الايمان ذواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم *
يكى بنور عنايت ره هدايت يافت * يكى بوادى خذلان بماند سر كردان * يكى بوسوسة ديو رفت سوى
سقر * يكى ز پيروى حق كرفت ملك جنان * فمكثت الناقة مع ولدها فى ارض ثمود ترعى الشجر وتشرب
الماء فبعد ظهور هذه المعجزة قال لهم صالح (قد جاءتكم بينة) اى آية ومعجزة ظاهرة وشاهدة بنبوتى (من ربكم)
متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة قال المولى ابو السعود وليس هذا الكلام منه عليه السلام اول

ما خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا يرى
الى ما فى سورة هود من قوله تعالى هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها الى آخر الآيات (هذه ناقة الله لكم آية)
استئناف كأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله انبهكم عليها واشير اليها فى حال كونها آية وعلامة دالة على
صحة نبوتى واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها كما يقال بيت الله او لمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب
معهودة ووسائط معتادة يعنى كانت بالتكوين من غير اجتماع ذكر وانثى ولم تكن فى صلب ولا رحم ولم يكن للخلق
فيها سعى ولكم بيان لمن هى آية له وخصوا بذلك لانهم هم الذين طلبوها او ينتفعون بها لو تركوا العناد وطلبوا
الاهتداء بالدليل والبرهان (فذروها) تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم
التعرض لها اى دعوها (تأكل فى ارض الله) جواب الامر اى الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها
ترتع ما ترتع فى ارض الحجر من العشب فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها وعدم التعرض للشرب للاكتفاء عنه
بذكر الاكل (ولا تمسوها بسوء) الباء للملابسة اى لا تمسوها ملتبسين بسوء ولا تتعرضوا لها بشئ مما يسوءها
اصلا من قتل او ضرب او مكروه اكراما لآية الله تعالى والسوء اسم جامع لانواع الاذى ويجوز ان يكون الباء
للتعدية والمعنى بالفارسية ومرسانيد بوى هيچ بدى * وفيه مبالغة حيث نهى عن المس الذى هو
مقدمة الاصابة (فيأخذكم عذاب اليم) جواب للنهى قال فى التفسير الفارسى استحقاق عذاب نه بواسطة
ضرر ناقه است بلكه باقامت ايشان بر كفر بعد از شهود معجزه وعقر ناقه دليل عتو ايشانست در كفر والاشارة
ان المعجزة للعوام ان يخرج لهم من حجارة الصخرة ناقة عشراء والمعجزة للخواص ان يخرج لهم من حجارة القلب
ناقة السر بسقب سر السر وهو الخفى وناقة الله التى تحمل امانة معرفته وتعطى ساكنى بلد القالب من القوى
والحواس لبن الواردات الالهية فذروها تأكل فى ارض الله اى ترتع فى رياض القدس وتشرب فى حياض
الانس ولا تمسوها بسوء مخالفات الشريعة ومعارضات الطريقة فيأخذكم عذاب اليم بالانقطاع عن
مواصلات الحقيقة (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) اى اذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء فى ارض
الحجر او خلفاء لقوم عاد من بعد اهلاكهم فنصب اذ على المفعولية كما سبق فى القصة المتقدمة (وبوأكم فى
الارض) اى انزلكم فى ارض الحجر بالفارسى بجاى داد شمارا قال ابو السعود اى جعل لكم مباءة ومنزلا فى ارض
الحجر بين الحجاز والشام (تتخذون من سهولها قصورا) استئناف مبين لكيفية التبوئة اى تبنون فى سهولها
قصورا رفيعة على ان من بمعنى فى كما فى قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة او سهولة الارض بما تعملون
منها من اللبن والآجر (وتنحتون الجبال) اى الصخور والنحت نجر الشئ الصلب وانتصاب الجبال على المفعولية
(بيوتا) حال مقدرة من الجبال كما تقول خط هذا الثوب قميصا قيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال
فى الشتاء وقيل انهم لطول اعمارهم كانوا يحتاجون الى ان ينحتوا من الجبال بيوتا لان السقوف والابنية كانت
تبلى قبل فناء اعمارهم (فاذكروا آلاء الله) اى احفظوا نعم الله عليكم فان حق آلائه تعالى ان تشكر ولا يغفل
عنها (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) العثى اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا فى الفساد حال كونكم مفسدين
فالمراد بهذه الحال تعريفهم بانهم على الفساد لا تقييد العامل والا كان مفهومه مفيدا معنى تمادوا فى الفساد
حال كونكم مصلحين وهذا غير جائز وقيل انما قيد به لما ان العثى فى الاصل مطلق التعدى وان غلب
فى الفساد فقد يكون فى غير الفساد كما فى مقابلة الظالم الظالم المتعدى بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل
الخضر عليه السلام للغلام وخرقه السفينة فيكون التقييد بالحال تقييد اللعام بالخاص (قال) استئناف
(الملأ) اى الاشراف والرؤساء (الذين استكبروا من قومه) اى تعظموا عن الايمان به (للذين استضعفوا) اللام
للتبليغ اى للذين استضعفوهم واستذلوهم (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا بدل الكل والضمير للقوم
(اتعلمون) اياشما ميدانيد (ان صالحا مرسل من ربه) قالوه بطريق الاستهزاء بهم (قالوا) اى المؤمنون
المستضعفون (انا بما ارسل به) من التوحيد والعبادة (مؤمنون) عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم
بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى تنبيها على ان ارساله امر معلوم مقرر عندهم حيث اوردوه صلة للموصول
ومن المعلوم ان الصلة لابد ان تكون جملة معلومة الانتساب الى ذات الموصول فكأنهم قالوا الا كلام فى ارساله لانه
اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذى رأى لما اتى به من هذا المعجز العظيم الخارق وانما الكلام فى الايمان به

فنحن مؤمنون به فهذا الجواب من اسلوب الحكيم وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقب (قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون) عدلوا عن الجواب المطابق وهو انا بما ارسل به كافرون لدلالته على ان ارساله معلوم مسلم عندهم كما دل عليه قول المؤمنين فكانهم قالوا ليس ارساله معلوما لنا مسلما عندنا وليس هنالك الا دعواه وايمانكم به ونحن بما آمنتم به كافرون فالمؤمنون فرعوا ايمانهم على الارسال الثابت والكفار فرعوا كفرهم على ايمان المؤمنين واعلم ان الله تعالى ذم الكفار بوجهين احدهما الاستكبار وهو رفع النفس فوق قدرها وجحود الحق والآخر انهم استضعفوا من كان يجب ان يعظموه ويجلوه ومدح المؤمنين حيث ثبتوا على الحق واظهروه مع ضعفهم عن مقاومة الكفار كما دل عليه قوله انا بما ارسل به مؤمنون (فعقروا الناقة) اى نحروها وبالفارسى پس پى كردند وبكشتند ناقه‌را اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة او لان ذلك كان برضاهم فكانه فعله كلهم روى ان الناقة كانت ترد الماء غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها فى البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها الا تدع قطرة واحدة ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم كلها فيشربون ويدخرون ثم تصدر من اعلى الفج الذى وردت منه لانها لا تقدر ان تصدر من حيث ترد لضيقه قال ابو موسى الاشعرى اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانوا اذا جاء يومهم وردوا الماء فيشربون ويسقون مواشيهم ويدخرون من الماء ما يكفيهم اليوم الثانى وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادى فيهرب منها انعامهم الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادى فيهرب منه مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزين عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتى المواشى قال الحدادى كان فى ثمود امرأة يقال لها صدوق كانت جميلة الخلق غنية ذات ابل وبقر وغنم وكانت من اشد الناس عداوة لصالح وكانت تحب عقر الناقة لاجل انها اضرت بمواشيها فطلبت ابن عم لها يقال له مصدع بن دهر وجعلت له نفسها ان عقر الناقة فاجابها الى ذلك ثم طلبت قدار بن سالف وكان رجلا احمر ازرق قصيرا يزعمون انه ولد زنى ولكنه ولد على فراش سالف فقالت يا قدار ازوجك اى بناتى شئت على ان تعقر الناقة وكان منيعا فى قومه فاجابها ايضا فانطلق قدار ومصدع فاستغووا غواة ثمود فاتاهم تسعة رهط فاجتمعوا على عقر الناقة فاوحى الله تعالى الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة فقال لهم صالح بذلك فقالوا ما كنا لنفعل ثم تقاسموا بالله لنبيتنه واهله وقالوا نخرج فيرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فنأتى الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده قتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه فاذا رجعنا قلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون اى يعلمون انا خرجنا فى سفر لنا وكان صالح لا ينام فى القرية وكان له مسجد خارج القرية يقال له مسجد صالح يبيت فيه فاذا اصبح اتاهم فوعظهم واذا امسى خرج الى المسجد فانطلقوا ودخلوا الغار فلما كان بالليل سقط عليهم الغار فقتلهم فلما اصبحوا رآهم رجل فصاح فى القرية فقال ما رضى صالح حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق انما اجتمع التسعة الذين عقروا الناقة فقالوا هلموا لنقتل صالحا فان كان صالح صادقا عجلنا قتله وان كان كاذبا الحقناه بناقته فاتوا ليلا فبيتوه فى اهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة وقال بعضهم انطلق قدار ومصدع واصحابهما التسعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها مصدع فى اصل صخرة اخرى فرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم خرج قدار فعقرها بالسيف فخرت ترغو ثم طعنها فى لبتها ونحرها وخرج اهل البلد واقتسموا لحمها فلما رأها سقبها كذلك رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا ودموعه تنحدر حتى اتى الصخرة التى خلق منها فانفتحت فدخلها فذلك قوله تعالى فعقروا الناقة (وعتوا عن امر ربهم) اى استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح من الامر بقوله فذروها ومن النهى بقوله ولا تمسوها او استكبروا عن اتباع امر الله وهو شرعه ودينه ويجوز ان يكون المعنى صدر عتوهم عن امر ربهم كان امر ربهم بترك الناقة كان هو السبب فى عتوهم ونحوا من هذه كما فى قوله وما فعلته عن امرى كذا فى الكشاف (وقالوا) مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والافحام (يا صالح ائتنا بما تعدنا) من العذاب على قتل الناقة (ان كنت من المرسلين) فان كونك من جملتهم يستدعى صدق ما تقول من الوعد والوعيد (فاخذتهم الرجفة) اى الزلزلة الشديدة لكن لا اثر ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادى العذاب فى الايام الثلاثة كما سيجىء ورد فى حكاية هذه القصة فاخذتهم الرجفة وفى موضع

فاخذتهم الصيحة وفى موضع فاهلكوا بالطاغية ولا تناقض لان الرجفة مترتبة على الصيحة لانه لما صيح بهم رجفت قلوبهم فماتوا فجاز ان يسند الاهلاك الى كل واحدة منهما وقال الحدادى فاخذتهم الزلزلة ثم صيحة جبريل (وفى التفسير الفارسى) پس فرا كرفت ايشانرا بسبب كشتن ناقه زلزله بعد از شنيدن صيحه عظيم واما قوله بالطاغية فالباء فيها سببية والطاغية مصدر بمعنى الطغيان كالعاقبة والتاء للمبالغة كما فى علامة ومعناه اهلكوا بسبب طغيانهم (فاصبحوا فى دارهم) اى صاروا فى اراضيهم وبلدهم او فى مساكنهم (جاثمين) اى خامدين موتى لا حراك بهم واصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم اى قعود لا حراك بهم قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انا بك نعوذ من نزول سخطك وحلول غضبك قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو اليق به روى انهم لما عقروا الناقة هرب ولدها الى جبل فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم بعد بلوغ خبر القتل اليه ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال صالح لكل رغوة اجل يوم تمتعوا فى داركم اى فى بلادكم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقد عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح ابشروا بعذاب الله ونقمته فقالوا له وما علامة ذلك فقال تصبحون غداة يوم الخميس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم السبت ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب اول يوم الاحد فكان الامر كما وصف نبيهم حيث اصبحوا يوم الخميس كأن وجوههم طليت بالزعفران صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فايقنوا بالعذاب وعلموا ان صالحا قد صدق فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم واختفى فى موضع فلم يجدوه فجعلوا يعذبون اصحابه ليدلوهم عليه فلما اصبحوا يوم الجمعة اصبحت وجوههم محمرة كانما خضبت بالدماء فصاحوا باجمعهم وضجوا وبكوا وعرفوا ان العذاب قد دنا اليهم وجعل كل واحد منهم يخبر الآخر بما يرى فى وجهه ثم اصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة كانها طليت بالقار والنيل فصاحوا جميعا الا قد حضر العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم ومن آمن به الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما كان يوم الاحد وهو اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر لئلا يتعرض لهم السباع لمرارته وتكفنوا بالانطاع والقوا انفسهم على الارض يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض اخرى لا يدرون من اين يأتيهم العذاب فاتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك فان قلت مشاهدة العلامات المذكورة تلجئ المكلف الى الايمان فهل يحتمل ان يبقى العاقل بعدها مصرا على كفره قلت لما شاهدوا علامات نزول العذاب خرجوا عن حد التكليف فلم تقبل توبتهم بعد ذلك (فتولى عنهم) اثر ما شاهد ما جرى عليهم من الهلاك تولى مغتما متحسرا على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم (وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى) پيغام پروردكار من كه باد اه آن مامور بودم (ونصحت لكم) وقت الدعوة بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعى (ولكن لا تحبون الناصحين) صيغة المضارع حكاية حال ماضية اى شأنكم الاستهزاء على بعض الناصحين لان قول الناصح ثقيل والحق مر وانهم ما يستفيد ان البغضة كما قال قائلهم

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة * وقد يستفيد البغضة المتنصح

وذلك ايضا من خباثة ارض النفس الخبيثة لم تقبل بذر النصح ولم ينبت فيها وروى عن جابر بن عبد الله انه قال لما مر النبى عليه السلام بالحجر فى غزوة تبوك يعنى مواضع ثمود قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل ما اصابهم ثم قال لا تسألوا رسولكم الآيات فان هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله اليهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها واراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى ثم اسرع رسول الله السير حتى جاوز الوادى وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال لعلى يا على اتدرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة ثم قال اتدرى من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك

(وفى المثنوى) ناقهٔ صالح بصورت بدشتر * پى بريدندش زجهل آن قوم مر * ناقة الله آب خورد ازجود ميغ * اب حق را داشتند از حق دريغ * شحنهٔ قهر خدا زيشان بجست * خونبهاى اشترى شهرى درست * صالح از خلوت بسوى شهر رفت * شهر ديد اندر ميان دود و تفت * زاستخوانهاشان شنيد او نالها * اشك خون از جان شان چون ژالها * صالح آن بشنيد و گريه ساز كرد * نوحه بر نوحه گران آغاز كرد * گفت اى قومى بباطل زيسته * وز شما من پيش حق بگريسته * حق بگفته صبر كن برجورشان * پندشان ده پس نماند از دورشان * من بگفته بند شد از بند از جفا * شير پند از مهر جوشد وز صفا * بس كه كردند از جفا بر جاى من * شير پند افسرد در رگهاى من * حق مرا گفته ترا لطفى دهم * برسر آن زخمها مرهم نهم * صاف كرده حق دلم را چون سما * روفته از خاطرم جور شما * در نصيحت من شده بار دگر * گفت امثال سخنها چون شكر * شير تازه از شكر انگيخته * شير شهدى با سخن آميخته * در شما چون زهر كشته آن سخن * زانكه زهرستان بديد از بيخ و بن * چون شوم غمگين كه غم شد سرنگون * غم شما بوديد اى قوم حرون * هيچ كس بر مرگ غم نوحه كند * ريش سر چون شد كسى مو بركند *

والاشارة ان صالح الروح ارسل بنفحة الحق الى بلد القلب وساكنيه ليدعوهم من الاوصاف الرديئة السفلية الظلمانية الحيوانية الى الاخلاق الحميدة العلوية النورانية الروحانية والنفس وصفاتها عقروا ناقة سر القلب بسكاكين مخالفات الحق والاستكبار وعتوا عن امر ربهم من التوحيد والمعرفة فصاروا الى الهلاك وبقوا فى اودية الجهل والانكار عصمنا الله واياكم من كل ما يسوء الروح ويمنع الفتوح (ولوطا) اى وارسلنا لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ فهو ابن اخى ابراهيم كان من ارض بابل العراق فهاجر مع عمه ابراهيم الى الشام ونزل الاردن وهو كورة بالشام فارسله الله الى اهل سدوم بلد بحمص (قال فى التفسير الفارسى) خداى تعالى ويرا پيغمبرى داد وباهل مؤتفكات فرستاد وآن پنج شهر بوده سدوم اعظم مداين بود وديگر عامه وداود وصابورا وصفود گويند در هر شهرى چهار بار هزار هزار آدمى بودند لوط عليه السلام بسدوم آمد وخلق را بخداى تعالى دعوت كرد وبيست سال درميان ايشان بود وبخيرات امر ميفرمود واز فواحش نهى فرمود ويكى از فواحشها لواطه بود كما حكى الله تعالى بقوله (اذ قال لقومه) مر قوم سدوم را كه لوط عليه السلام درميان ايشان بود وهو ظرف لارسلنا المضمر اى ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم قيل الارسال قبل وقت القول لا فيه واجيب بان هذا من قبيل قولك فى ظرف المكان زيد فى ارض الروم فهى ههنا غير حقيقى فيكفى وقوع المظروف فى بعض اجزآئه (أتأتون الفاحشة) انكار وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح اى البالغة الى غاية القبح وهى اللواطة والمعنى اتفعلونها (ماسبقكم بها) ما فعلها قبلكم على ان الباء للتعدية كما فى قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اى ضربتها قبله (من احد) من مزيدة لتأكيد النفى وافادة الاستغراق (من العالمين) من للتبعيض والجملة استئناف نحوى اى مبتدأة جئ بها تأكيدا للانكار السابق كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ (انكم لتأتون الرجال) بيان لتلك الفاحشة قرأ نافع وحفص انكم بطريق الخبر والباقون ائنكم بطريق الاستفهام يقال اتى المرأة اذا غشيها وفى ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة فى التوبيخ (شهوة) مفعول له وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لاقضاء الشهوة (من دون النساء) اى متجاوزين النساء اللاتى اباح الله لكم (بل انتم قوم مسرفون) اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التى ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ يعنى انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحد فى كل شئ فمن ثمة اسرفوا فى باب قضاء الشهوة وتجاوزوا عما عين لها الى غيره (وما كان جواب قومه الا ان قالوا) استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى ما كان جوابا من جهة قومه شئ من الاشياء الا قول بعضهم لبعض (اخرجوهم) اى لوطا ومن معه من المؤمنين (من قريتكم) اى الا هذا القول الذى يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط وليس المراد لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتسارع الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم فى المرة الاخيرة

من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكى عنهم فى سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه فى نظائره الواردة بطريق القصر وقوله من قريتكم اى من بلدكم فان العرب تسمى المدينة قرية والمراد بلدة سدوم (انهم اناس يتطهرون) اى يطلبون الطهارة من الفواحش قالوه على وجه الاستهزاء والسخرية بهم (فانجيناه) اى لوطا (واهله) ابنتيه زعورا وريثا وسائر من آمن به فان الاهل يفسر بالازواج والاولاد وبالعبيد والاماء وبالاقارب وبالاصحاب وبالمجموع واهل الرجل خاصته الذين ينسبون اليه (الا امرأته) واهلة فانها تسر الكفر وتغرى الكفار على انكار لوط وهو استثناء من اهله (كانت من الغابرين) استئناف بيانى كانه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين اى الباقين فى ديارهم الهالكين فيها من الغبور بالفارسى باقى بماندن والتذكير مع ان الظاهر ان يقال من الغابرات مبنى على انه بقى فى ديارهم رجال ونساء فغلب الرجال فقيل فى حقها انها كانت منهم (وامطرنا) بارانيديم (عليهم) بر كفار قوم لوط (مطرا) نوعا من المطر عجيبا وهى الحجارة اى ارسلنا عليهم الحجارة ارسال المطر (فانظر) خطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم (كيف كان عاقبة المجرمين) اى تفكر فى آخر امر الكافرين المكذبين كيف فعلنا بهم قيل كان السبب فى اختراعهم هذه الخصلة القبيحة اى اللواطة ان بلادهم وهى ارض الشأم اخصبت بانواع الثمار والحبوب فتوجه اليهم الناس من النواحى والاطراف لطلب المعروف فتأذوا من كثرة ورود الفقرآء فعرض لهم ابليس فى صورة شيخ وقال ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا فاستحكم فيهم ذلك وكانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال الكلبى اول من فعل به ذلك الفعل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم فى صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عملوا ذلك العمل بكل من ورد عليهم من الامارد قضاء لشهوتهم ودفعا لهجوم الناس عليهم وعاشوا بذلك العمل زمانا فلما كثر فيهم عجت الارض الى ربها فسمعت السماء فعجت الى ربها فسمع العرش فعج الى ربه فامر الله السماء ان تحصبهم والارض ان تخسف بهم امطروا اولا بالحجارة ثم خسف بهم الارض وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وروى ان تاجرا منهم كان فى الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه دلت الآية على ان اللواطة افحش الفواحش واقبحها لان الله تعالى ما امطر الحجارة على اهل الذنوب العظام مثل الزنى والعقوق والسرقة والقتل بغير الحق وغير ذلك من الكبائر حتى الشرك قال ابن سيرين ليس شئ من الدواب يعمل هذا العمل الا الخنزير والحمار فاللواطة ذنب عظيم يجب ان يحترز عنها وعن مباديها ايضا كاللمس والقبلة قال الامام من قبل غلاما بشهوة فكانما زنى بامه سبعين مرة ومن زنى مع امه مرة فكانما زنى بسبعين بكرا ومن زنى مع البكر مرة فكانما زنى مع سبعين الف امرأة وضرر النظر فى الامرد اشد لامتناع الوصول فى الشرع لانه لا يحل الاستمتاع بالامرد ابدا (قال الشيخ سعدى) خرابت بود شاهد خانه كن * برو خانه آباد كردن بزن * نشايد هوس باختن با گلى * كه هر بامدادش بود بلبلى * مكن بد بفرزند مردم نگاه * كه فرزند خويشت برآيد تباه * چرا طفل يك روزه هوشش نبرد * كه در صنع ديدن چه بالغ چه خرد * محقق همى بيند اندر ابل * كه در خوب رويان چين و چگل * وحكى ان سليمان ابن داود عليهما السلام قال يوما للعفريت من الجن ويلك اين ابليس قال يا نبى الله هل امرت فيه بشئ قال لا قال اين هو قال انطلق يا نبى الله فانطلق ومشى العفريت بين يدى سليمان حتى هجم به على البحر فاذا ابليس على بساط على الماء فلما رأى سليمان ذعر منه وفرق فقام فتلقاه فقال يا نبى الله هل امرت فى بشئ قال لا ولكن جئت لاسألك عن احب الاشياء اليك وابغضها الى الله تعالى فقال ابليس اما والله لولا مسألتى ما اخبرتك ليس شئ ابغض الى الله تعالى من ان يأتى الرجل الرجل والمرأة المرأة وفى الحديث سحاق النساء زنى بينهن وفى ملتقطة الناصرى الغلام اذا بلغ مبلغ الرجال ولم يكن صبيحا فحكمه حكم الرجال وان كان صبيحا فحكمه حكم النساء وهو عورة من قرنه الى قدمه يعنى لا يحل النظر اليه عن شهوة فاما السلام والنظر لا عن شهوة فلا بأس به ولذا لم يؤمر بالنقاب والامرد اذا كان صبيحا فاراد ان يخرج فى طلب العلم فلابيه ان يمنعه وكان محمد بن الحسن صبيحا وكان ابو حنيفة يجلسه فى درسه خلف ظهره او خلف سارية المسجد حتى

لايقع عليه بصره مخافة من خيانة العين مع كمال تقواه حتى ان واحدا من العلماء مات فرؤى فى المنام قد اسود
وجهه فسئل عن ذلك فقال رأيت غلاما فى موضع كذا فنظرت اليه فاحترق وجهى فى النار قال القاضى
سمعت الامام يقول ان مع كل امرأة شيطانين ومع كل غلام ثمانية عشر شيطانا ويكره مجالسة الاحداث
والصبيان والسفهاء لانه يذهب بالمهابة ويورث التهمة (قال الشيخ سعدى) چو خواهى كه قدرت بماند
بلند ✻ دل اى خواجه در ساده رويان مبند ✻ وگر خود نباشد غرض در ميان ✻ حذر كن كه دارد
بحرمت زيان ✻ ويكره بيع الامرد ممن يعلم انه يفضى اليه غالبا لانه اعانة على المعصية فان قلت سلمنا ان
الغلام ليس محلا للحرث والتولد لكنه يكون محلا لقضاء الشهوة واستيفاء اللذة فالعقل يقتضى ان يتصرف المالك
فى ملكه كيف يشاء قلت الشرع لم يأذن فى هذا المحل بالتصرف لغاية قباحته ونهاية خباثته ومجرد المملوكية
لايقتضى التصرف فى المملوك الاترى ان من ملك مجوسية اووثنية لم يجز له تصرف فيهما اصلا مالم تدخلا
فى الاسلام وكذا لايجوز التصرف للسيدة فى عبدها المملوك فى محل لم يأذن الشرع بالتصرف فيه كالتقبيل
والتفخيذ وغيرهما من دواعى الوطئ فلو جاز للسيد التصرف فى عبده لجاز للسيدة التصرف فى عبدها بطريق
الاولى لكونها محلا للحرث والاتيان فى دبر الذكر هو اللواطة الكبرى وفى دبر المرأة هو اللواطة الصغرى وفى
الحديث ملعون من اتى امرأة فى دبرها فهل تجوز اللواطة فى الجنة قيل ان كان حرمتها عقلا وسمعا لاتجوز
وان كان سمعا فقط تجوز والصحيح انها لاتجوز فيها لان الله تعالى استبعدها واستقبحها فقال ماسبقكم بها من
احد من العالمين وسماها خبيثة فقال كانت تعمل الخبائث والجنة منزهة عنها (قال المولى) زيرك زاده
فى حواشى الاشباه رحمه الله تعالى رحمة واسعة قد قال تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم
لؤلؤا منثورا وفى موضع آخر ولكم فيها ماتشتهى انفسكم والاية تدل على ان فى الجنة مردا ملاحا وبعيدان
يكونوا غير مشتهين وغير المعقول فى الدنيا ان يكون خلاف الوضع والاستقذار وقطع النسل واما فى النشأة
الاخروية فهذه المحذورات منتفية انتهى كلام زيرك زاده يقول الفقير هذا ليس بمرضى عند القلب السليم والعقل
المستقيم يأبى عنه من يعرف القبيح من الحسن ويتنفر من يميز الزيوف والنبهرج من النقد الجيد المستحسن فان
الطواف فى الآية الاولى انما يدل على كونهم خدام اهل الجنة وان اهل الجنة يتلذذون بالنظر الى جمالهم
وبهجتهم وهذا لايقتضى التلذذ بالاستمتاع ايضا كما فى حق الحور والاشتهاء فى الآية الثانية وان كان عاما لكنه
يجوز ان لاتكون اللواطة مشتهية لاهل الجنة للحكمة التى عليها مدار حرمتها فى جميع الاديان كالزنى بخلاف الخمر
فانها كانت حلالا فى بعض الاديان ولذا صارت من نعيم الجنان ايضا ومطلق ارتفاع موانع الحرمة لايقتضى
الحل والجواز الاترى الى تستر اهل الجنة عند الوقاع فان اهاليهم لايظهرن لغير المحارم كما فى الواقعات المحمودية
هذا واما حكم الوطئ بحسب الشرع فذهب الشافعى الى انه يقتل وذهب احمد بن حنبل الى انه يرجم
وان كان غير محصن قال فى شرح الوقاية ان من اتى دبر اجنبى او امرأة فعند ابى حنيفة لايحد بل يعزر ويودع
فى السجن حتى يتوب وعندهما يحد حد الزنى فيجلد ان لم يكن محصنا ويرجم ان كان محصنا قال قيد بدبر
الاجنبى لانه لوفعل ذلك بعبده اوامته اوبمنكوحته لايحد اتفاقا قالهما ان الصحابة اجمعوا على حده ولكن
اختلفوا فى وجوهه فقال بعضهم يحبس فى انتن المواضع حتى يموت وقال بعضهم يهدم عليه الجدار انتهى
وقد يقال يلقى من مكان عال كالمنارة قال ابو بكر الوراق يحرق بالنار صرح به فى شرح المجمع قال فى الزيادات
والرأى الى الامام ان شاء قتله ان اعتاد ذلك وان شاء حبسه كما فى شرح الاكمل والظاهر ان ماذهب اليه
ابو حنيفة انما هو استعظام لذلك الفعل فانه ليس فى القبح بحيث ان يجازى كالقتل والزنى وانما التعزير
لتسكين الفتنة الناجزة كما انه يقول فى اليمين الغموس انه لايجب فيه الكفارة لانه لعظمه لايستتر بالكفارة وفى كتاب
الحظر والاباحة رجل وطئ بهيمة قال ابو حنيفة ان كانت البهيمة للواطئ يقال له اذبحها واحرقها ان لم تكن
مأكولة وان كانت مما تؤكل تذبح ولاتحرق قال فى ترجمة الجلد الاخير من الفتوحات المكية ✻ واز نكاح
بهايم اجتناب كن نه شرع است ونه دين ونه مروت شخصى بود صالح اما قليل العلم درخانهٔ خود منقطع بود
ناگاه بهيمه خريد واورا بدان حاجتى ظاهر نه بعد از چند سال كسى از وى پرسيد تو اين راچه ميكنى ترا بوى
شغلى وحاجتى نيست گفت دين خود را باين محافظت ميكنم اوخود با آن بهيمه جمع مى آمده است تا از زنا

معصوم ماند

معصوم ماند اورا اعلام كردند كه آن حرامست وصاحب شرع نهى فرموده است بسيار گريست وتوبه كرد وگفت
ندانستم پس برتو فرض عين است كه از دين خود باز جويى وحلال وحرام را تميز كنى تا تصرفات تو بر طريق
استقامت باشد انتهى كلام الترجمة وفى الحديث ومن لم يستطع فعليه بالصوم استدل به بعض المالكية على
تحريم الاستمناء لانه ارشد عند العجز عن التزوج الى الصوم الذى يقطع الشهوة فلو كان الاستمناء مباحا لكان
الارشاد اليه اسهل وقد اباح الاستمناء طائفة من العلماء وهو عند الحنابلة وبعض الحنفية لاجل تسكين الشهوة
جائز وفى رواية الخلاصة الصائم اذا عالج ذكره حتى امنى يجب عليه القضاء ولا كفارة عليه ولايحل هذا الفعل
خارج رمضان ان قصد قضاء الشهوة وان قصد تسكين شهوته ارجو ان لايكون عليه وبال وفى بعض حواشى
البخارى والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله فاولئك
هم العادون اى الظالمون المتجاوزون الحلال الى الحرام قال البغوى فى الآية دليل على ان الاستمناء باليد حرام
قال ابن جريج سألت عطاء عنه فقال سمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى واظنهم هؤلاء وعن سعيد
ابن جبير عذب الله امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم والواجب على فاعله التعزير كما قال ابن الملقن وغيره نعم يباح
عند ابى حنيفة واحمد رحمهما الله اذا خاف على نفسه الفتنة وكذلك يباح الاستمناء بيد زوجته اوجاريته لكن
قال القاضى حسين مع الكراهة لانه فى معنى العزل وفى التاتارخانية قال ابو حنيفة حسبه ان ينجو رأسا برأس
كذا فى انوار المشارق لمفتى حلب الشهباء والله اعلم (والى مدين) اى وارسلنا الى قبيلة مدين وهم اولاد مدين
ابن ابراهيم خليل الله عليه السلام (اخاهم) فى النسب اى واحدا منهم (شعيبا) عطف بيان لاخاهم وهو شعيب
ابن ميكيل بن يشجر بن مدين الذى تزوج ريثا بنت لوط فولدت له وكثر نسله فصار مدين قبيلتهم قال الضحاك بكى
شعيب من خشية الله حتى ذهب عيناه وصار اعمى وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه
وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم (قال) استئناف بيانى (ياقوم اعبدوا الله) وحده (مالكم
من اله غيره) مر تفسيره (قد جاءتكم بينة) معجزة (من ربكم) متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لفاعله مؤكدة
لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الاضافية اى بينة عظيمة كائنة من مالك اموركم ولم يذكر معجزته
فى القرآن كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا عليه السلام قال فى التفسير الفارسى درقرآن معجزهٔ شعيب
مذكور نيست ودر احاديث نيز بنظر فقير نرسيده اما در آيات باهرات كه ذكر معجزات انبيا ميكنند ميگويد كه
معجزهٔ شعيب آن بود كه چون بكوه بلند بر آمدى كوه سر فرود آوردى تا شعيب باسانى بروى صعود كردى
وذكر بعض معجزاته فى الكشاف فارجع اليه (فاوفوا الكيل) الكيل مصدر قولك كلت الطعام كيلا والمعنى
المصدرى لايمكن ايفاؤه لان النقص والاتمام من خواص الاعيان فحمله القاضى على حذف المضاف اى آلة
الكيل وفسره ابو السعود بالمكيال ويؤيده قوله (والميزان) فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا
كالميعاد فحمل الكيل على مايكال به كما يطلق العيش على مايعاش به وكان لهم مكيالان وميزانان احدهما اكبر
من الآخر فاذا اكتالوا على الناس يستوفون بالاكبر واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون بالاصغر والمعنى ادوا
حقوق الناس بالمكيال والميزان على التمام (ولا تبخسوا الناس) اى لاتنقصوا (اشياءهم) التى يشترونها بهما
معتمدين على تمامها اى شئ كان واى مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير فالتعبير
بالاشياء دون الحقوق للتعميم فان مفهوم الشئ اعم بالنسبة الى مفهوم الحق واعلم ان بخس الناس اشياءهم
فى المكيل والموزون من خساسة النفس ودناءة النهمة وغلبة الحرص ومتابعة الهوى والظلم وهذه الصفات
الذميمة من شيم النفوس وقد ورد الشرع بتبديل هذه الصفات وتزكية النفس فان الله يحب معالى الامور
ويبغض سفسافها وفى الحديث ماذئبان جائعان ارسلا فى غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف
وفى الحديث الصلاة امانة والوضوء امانة والوزن امانة والكيل امانة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لاصحاب الكيل والوزن انتم قد وليتم امرا فيه هلكت الامم السالفة قبلكم (ولا تفسدوا فى الارض) اى
بالكفر والحيف (بعد اصلاحها) بعدما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم باجراء الشرائع (ذلكم) اشارة
الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه (خير لكم) من التطفيف والبخس والافساد وقيل خير ههنا ليس على بابه
من التفضيل بل بمعنى نافع عند الله (ان كنتم مؤمنين) اى مصدقين بى فى قولى هذا (ولا تقعدوا بكل صراط)

الباء للالصاق او المصاحبة لان القعود ملصق بالمكان وان القاعد ملابسه ويحتمل ان يكون بمعنى فى
لان القاعد يحل بمكان قعوده وان يكون بمعنى على لاستيلاء القاعد على المكان (توعدون) حال من فاعل
لاتقعدوا ولم يذكر الموعد به ليذهب الذهن كل مذهب والمعنى ولاتقعدوا بكل طريق من طرق الدين موعدين
اى مخوفين كالشيطان حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم وصراط الله وان كان واحدا لكنه يتشعب
الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يسعى فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المرصد
فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لايفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق
(وتصدون) عطف على توعدون اى تمنعون وتصرفون (عن سبيل الله) اى السبيل الذى قعدوا عليه
(من آمن به) اى بكل صراط وهو مفعول تصدون (وتبغونها) من باب الحذف والايصال والتقدير وتبغون لها
انث ضمير السبيل لانه يذكر ويؤنث والمعنى وتطلبون لسبيل الله (عوجا) زيغا وعدولا عن الحق بالقاء الشبه
او بوصفها للناس بانها معوجة وهى ابعد شئ من شائبة الاعوجاج وفيه اشارة الى الذين قطعوا طريق الوصول
الى الله على الطالبين بانواع الحيل بالمكايد وطلبوا الاعوجاج فيه باظهار الباطل كما قطعوا على انفسهم فان
شر المعاصى مالايكون لازما لصاحبه بل يكون متعديا عنه الى غيره لان ضرر التعدية عائد الى المبتدئ بقدر
الاثر فى التعدى (واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم) بالبركة فى النسل والمال فصار ضعفكم قوة وفقركم غنى
(وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم
واعتبروا بهم واحذروا من سلوك مسالكهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به) من الشرائع
والاحكام (وطائفة لم يؤمنوا) اى به قال فى التفسير الفارسى قومى از مدين بشعيب عليه السلام ايمان آوردند
جمعى ديكر انكار كردند وكفتند قوت وثروت ما راست نه مؤمنانرا پس حق با ما باشد واكر حق با ايشان بودى
بايستى كه توانكرى ووسعت معاش ايشانرا بودى شعيب عليه السلام فرمود كه اكرچه شما دو كروه شده ايد
(فاصبروا) فتربصوا (حتى يحكم الله بيننا) اى الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد
للكافرين (وهو خير الحاكمين) اذ لا معقب لحكمه ولاحيف فيه وهو اعدل القاضين

(تم الجزء الثامن فى اواخر شوال من سنة الف ومائة ويتلوه الجزء التاسع)

(قال الملأ الذين استكبروا من قومه) بعدما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام وهو استئناف بيانى
(لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا) عطف على الكاف فى لنخرجنك وياشعيب اعتراض بين المتعاطفين
ونسبة الاخراج اليه اولا والى المؤمنين ثانيا تنبيه على اصالته فى الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله
تعالى (معك) فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان والمعنى والله لنخرجنك واتباعك (من قريتنا) بغضا لكم ودفعا
لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وفيه اشارة الى ان من شأن المتكبرين ودأب المتجبرين الاستعلاء وان
يخرج الاعز الاذل وذلك لما فيهم من بطر النعم وطغيان الاستغناء وعمه الاستبداد ولما كان حب الدنيا رأس
كل خطيئة وفتنتها اعظم من كل بلية جعل الله تعالى اهلها فى البلاء سببا للهلاك والفساد كما قال الله تعالى واذا
اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها الآية (قال الحافظ) اين مشوز عشوه دنيا كه اين عجوز * مكاره مى
نشيند ومحتاله مى رود (اولتعودن فى ملتنا) العود هو الرجوع الى الحالة الاولى ومن المعلوم ان شعيبا
لم يكن على دينهم وملتهم قط لان الانبياء لايجوز عليهم من الصغائر الاماليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا
عن الكفر الا انه اسند العود اليه والى من معه من المؤمنين تغليبا لهم عليه لان العود متصور فى حقهم والمعنى
والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلى هو العود وانما ذكر النفى والاجلاء بمحض التقسر
والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كانهم قالوا لاندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا
فى ملتنا وانما لم يقولوا اولنعيدنك على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة الطواعية حذار
الاخراج باختيار اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب وفيه اشارة الى ان اهل الخير كما لايميلون
الا الى اشكالهم فكذلك اهل الشر لايرضون لمن رأوا الا بان يساعدهم على ماهم عليه من احوالهم والا فوحد
فى بابه من باين نهج اضرابه * همه مرغان كنند با جنس پرواز * كبوتر با كبوتر باز با باز (قال)
شعيب ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم فى ايمانهم الفاجرة (اولو كنا كارهين) تقديره انعود فيها ولو كنا كارهين

اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتى
فى قوله تعالى اولو جئتك بشئ مبين (قد افترينا على الله كذبا) عظيما (ان عدنا فى ملتكم) التى هى الشرك
وجواب الشرط محذوف لدلالة ماقبله عليه اى ان عدنا فى ملتكم (بعد اذ نجانا الله منها) فقد افترينا على الله
كذبا عظيما حيث نزعم حينئذ ان لله تعالى ندا وليس كمثله شئ وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل
وان ما كنتم عليه من الكفر حق واى افتراء اعظم من ذلك (وما يكون لنا) اى ومايصح ومايستقيم لنا
(ان نعود فيها) فى حال من الاحوال اوفى وقت من الاوقات (الا ان يشاء الله) اى الا حالة مشيئة الله تعالى
لعودنا فيها وذلك مما لايكاد يكون كما ينبئ عنه قوله (ربنا) فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ
عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم
منها من دلائل عدم مشيئته تعالى لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وفيه دليل على ان الكفر
بمشيئة الله تعالى وايا ما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها فى حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون
مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات
ذلك بدليل ماذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له (وسع ربنا كل شئ علما) علما نصب على التمييز
منقول عن الفاعلية تقديره وسع علم ربنا كل شئ كقوله واشتعل الرأس شيبا والمعنى احاطة علمه بكل ما كان
وماسيكون من الاشياء التى من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وماهو اللائق بكل واحد منهم فمحال
من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى (على الله توكلنا)
فى ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ثم اعرض عن المعاندين وتوجه الى مناجاة رب العالمين فقال
(ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) احكم بيننا وبينهم واقض بما يدل على انا على الحق وهم على الباطل وافصل
بما يليق بحال كل من الفريقين (وانت خير الفاتحين) والفاتح هو الحاكم بلغة اهل عمان سمى فاتحا لانه
يفتح المشكلات ويفصل الامور ويجوز ان يكون من فتح المشكل اذا بينه والمعنى اظهر امرنا حتى ينكشف
ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل وفى التاويلات النجمية احكم بيننا وبينهم باظهار حقيقة ماقدرت لنا
من خاتمة الخير واظهار ماقدرت لهم من خاتمة السوء (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) عطف على قوله قال
الملأ الذين استكبروا اى قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعدما شاهدوا صلابة شعيب عليه
السلام ومن معه من المؤمنين فى الايمان وخافوا ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان وتنفيرا لهم عنه
على طريقة التوكيد القسمى والله (لئن اتبعتم شعيبا) ودخلتم فى دينه وتركتم دين آبائكم (انكم اذا لخاسرون)
اى فى الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم اوفى الدنيا لفوات مايحصل لكم بالبخس والتطفيف (فاخذتهم الرجفة)
اى الزلزلة الشديدة وهكذا فى سورة العنكبوت وفى سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اى صيحة
جبريل ولعلها من مبادى الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى قال ابن عباس
رجفت بهم الارض واصابهم حر شديد فرفعت لهم سحابة فخرجوا اليها يطلبون الروح منها فلما كانوا تحتها
سالت عليهم بالعذاب ومعه صيحة جبريل عليه السلام (فاصبحوا فى دارهم) اى صاروا فى مدينتهم وفى سورة
هود فى ديارهم قال الحدادى اى بقرب دارهم تحت الظلة كما قال تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة (جاثمين)
اى ميتين على وجوههم وركبهم لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها وروى انهم احترقوا تحت السحابة فصاروا
ميتين بمنزلة الرماد الجاثم اجساما ملقاة على الارض محترقة وقال ابن عباس فتح الله عليهم بابا من جهنم فارسل
عليهم منه حرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا جوف البيوت فلم ينفعهم ماء ولا ظل وانضجهم الحر فبعث الله
سحابة فيها ريح طيبة فوجد وابرد الريح وطيبها وظل السحابة فتنادوا عليكم بها فخرجوا نحوها فلما اجتمعوا
تحتها رجالهم ونساؤهم وصبيانهم الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى
وصاروا رمادا وهو عذاب يوم الظلة قال فى التأويلات النجمية من عنادهم رأوا الحق باطلا والباطل حقا
والفلاح خسرانا والخسران فلاحا فاخذتهم الرجفة فصارت صورتهم تبعا لمعناهم فانهم كانوا جاثمين الارواح
فى ديار الاشباح (الذين كذبوا شعيبا) استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب
والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ وخبره قوله تعالى (كأن لم يغنوا فيها)

اى استوصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اى عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية
اخراجا لا دخول بعده ابدا والمغنى المنزل والمغانى المنازل التى كانوا بها يقال غنينا بمكان كذا اى نزلنا فيه
وفيه اشارة الى ان المكذبين والمنكرين وان كانت لهم غلبة فى وقتهم ولكن تنقضى ايامهم بسرعة ويسقط
صيتهم ويخمل ذكرهم ويضمحل آثارهم ويكون اهل الحق مع الحق غالبا فى كل امر والباطل زاهق بكل وصف
(وفى المثنوى) يك مناره در ثناى منكران * كو درين عالم كه تا باشد نشان * منبرى كو كه
بر انجا مخبرى * ياد آرد روز كار منكرى * يار غالب شو كه تا غالب شوى * يار مغلوبان مشو هين
اى غوى (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير
اى الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا الذين اتبعوه
وبهذا الحصر اكتفى عن التصريح بانجائه عليه السلام كما وقع فى سورة هود من قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا
هودا والذين آمنوا معه الآية (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم) قاله عليه السلام
بعد ما هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال (فكيف آسى) اى احزن حزنا شديدا
بالفارسية پس چه كونه اندوه خورم وغم ناشوم فهو مضارع متكلم من الاسى من باب علم وهو شدة
الحزن (على قوم كافرين) مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا
من عدم تصديقهم له وشدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق
فلم تصدقوا قولى فكيف آسى عليكم (وفى المثنوى) چون شوم غمكين كه غم شد سر نكون * غم شما بوديد
اى قوم حرون * كژ مخوان اى راست خواننده مبين * كيف آسى خلف قوم ظالمين * قال
فى التأويلات النجمية يعنى خرجت عن عهدة تكليف التبليغ فانه ما على الرسول الا البلاغ فانه وان نصحت
لكم فما على ثمن اقراركم وانكاركم شئ ان احسنتم فالميراث الجميل لكم وان اسأتم فالضرر بالتألم عائد عليكم
ومالك الاعيان اولى بها من الاعيان فالخلق خلقه والملك ملكه ان شاء هداهم وان شاء اغواهم فكيف آسى
على قوم كافرين فلا تأسف على نفى وفقد ولا اثر من كون ووجود لان الكل صادر من حكيم بالغ فى حكمته
كامل فى قدرته انتهى قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وهذا انما يحصل عند الفناء
الكلى وهو للانبياء عليهم السلام وكمل الاولياء واعلم ان كل اهل ابتلاء ليس بمحل للرحمة عند نظر الحقيقة
لان الله تعالى ابتلاه بسبب جفائه اياه فقد اكتسبه بعمله فكيف يترحم له ولذا كان اهل الحقيقة كالسيف
الصارم مع كونهم ارحم خلق الله تعالى الا ترى الى قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة (قال السعدى)
كر اشرع فتوى دهد بر هلاك * الا تا ندارى ز كشتنش باك * والله تعالى غيور وعبده فى غيرته فالحلم
والغضب بقدر ما اذن فيه الشرع من اخلاق الانبياء وهو لا يقدح فى فراغ القلب عن كل وصف لان رعاية
الاحكام الظاهرة لا تنافى التوغل فى الحقيقة فعلى العاقل ان يدور بالامر الالهى ويرفع عن لسانه وقلبه
لم ولا وكيف فان الامر بيد الله تعالى لا بيده قال ابراهيم بن ادهم لرجل اتحب ان تكون لله وليا قال نعم
قال لا ترغب فى شئ من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله واقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويواليك فعلم من هذا
ان من كان اقباله الى نفسه والى هواها لا يجد الحق واقباله وموالاته فى كل حالاته ومقاماته كما لا يخفى
(وما ارسلنا فى قرية) در شهرى وده (من) مزيدة (نبى) كذبه اهلها (الا اخذنا اهلها) استثناء مفرغ
من اعم الاحوال والمعنى وما ارسلنا فى قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء المكذبين فى حال من الاحوال
الا فى حال كوننا آخذين اهلها (بالبأساء) بالبؤس والفقر (والضراء) بالضر والمرض لكن لا على معنى
ان ابتداء الارسال مقارن الاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم عن اتباع
نبيهم وتعززهم عليه (لعلهم يضرعون) كى يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم
فان الشدة خصوصا الجوع يؤدى الى التواضع والانقياد فى حق اكثر العباد ومن بلاغات الزمخشرى المرض
والحاجة خطبان امر من نقيع الخطبان وهو بضم الخاء نوع من ورق الحنظل اصفر وهو ابلغ فى المرارة
(ثم بدلنا) عطف على اخذنا داخل فى حكمه (مكان السيئة) التى اصابتهم (الحسنة) اى اعطيناهم بدل
ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة لان ورود النعمة بعد الشدة يدعو الى الانقياد والاشتغال بالشكر

انما

انما سميت الشدة سيئة لانها تسوء الانسان كما سمى الاحسان حسنة لانه يحسن اثره على الانسان والا
فالسيئة هى الفعلة القبيحة والله تعالى لا يفعل القبيح والحسنة والسيئة من الالفاظ المستغنية عن ذكر
موصوفاتها حالة الافراد والجمع سواء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او الحالة من الرخاء والشدة (حتى عفوا)
كثروا عددا وعددا وابطرتهم النعمة يقال عفا النبات اذا كثر وتكاثف ومنه اعفاء اللحى فى الحديث وهو
احفوا الشوارب واعفوا اللحى (قال الشاعر)

عفوا من بعد اقلال وكانوا * زمانا ليس عندهم بعير

(وقالوا) غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله سبحانه (قد مس آباءنا الضراء والسراء)
كما مسنا ذلك وما هو الا عادة الدهر يسيء تارة ويحسن اخرى فكما ان آباءنا قد ثبتوا على دينهم ولم ينتقلوا عنه
مع ما اصابهم فاثبتوا انتم على دينكم ولا تنتقلوا عنه (فاخذناهم) اثر ذلك (بغتة) فجأة اشد الاخذ وافظعه
(وهم لا يشعرون) بنزول العقاب وهم لا يخطرون ببالهم شيأ من المكاره وهو اشد وحسرته اعظم لان المرء
اذا رأى مقدمات الابتلاء يوطن نفسه عليها بخلاف حال الفجأة (ولو ان اهل القرى) اى القرى المهلكة المدلول
عليها بقوله تعالى فى قرية (آمنوا واتقوا) مكان كفرهم وعصيانهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض)
لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التى بعضها من السماء وبعضها
من الارض واكثر اهل التفسير على ان بركات السماء هى المطر وبركات الارض النبات والثمار (ولكن كذبوا)
الرسل (فاخذناهم) هذا الاخذ عبارة عما فى قوله تعالى فاخذناهم بغتة (بما كانوا يكسبون) من انواع
الكفر والمعاصى وفى الآية دلالة على ان الكفاية والسعة فى الرزق من سعادة المرء اذا كان شاكرا والمراد بقوله
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الكثرة التى تكون وبالا على من لا يشكر الله تعالى قال فى التفسير
الفارسى در حقايق سلمى فرموده كه اكر بندكان بكرويدندى بمواعيد من وحذر كردندى از مخالفت
يا بترسيدندى از تهديد من دلهاء ايشانرا بنور مشاهده خود روشنى دادمى كه بركت سما اشارت بدانست
وجوارح واعضاء ايشانرا بخدمت خود بياراستمى كه بركت زمين عبارت از آنست در زمين وآسمان
درها جود * مى كشايند از پى اهل سجود * از زمين پر طاعت باز كن * بر سماى معرفت
پرواز كن (أفأمن اهل القرى) الهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه والفاء للعطف
على قوله فاخذناهم بغتة والمعنى ابعد ذلك الاخذ أمن اهل مكة ومن حولها من المكذبين لك يا محمد (ان يأتيهم
بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا (وهم نائمون) فى فرشهم ومنازلهم لا يشعرون بالعذاب لغفلتهم (او أمن اهل القرى)
يا ايمن شدند اهل شهرها (ان يأتيهم بأسنا ضحى) ضحوة النهار وبالفارسى در وقت چاشت وهو فى الاصل ضوء
الشمس اذا ارتفعت (وهم يلعبون) اى يلهون من فرط الغفلة بصرف الهمم بما لا ينفع لا فى امر الدين
ولا فى امر الدنيا او يشتغلون بما لا ينفعهم من امور الدنيا فان من اشتغل بدنياه واعرض عن آخرته فهو
كاللاعب ملخص سخن آنست كه بعد از تكذيب رسل از عذاب الهى ايمن نتوان بود نه بروز ونه بشب
(أفأمنوا مكر الله) مكر الله استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به اتيان بأسه
تعالى فى الوقتين المذكورين قال الحدادى انما سمى العذاب مكرا على جهة الاتساع والمجاز لان المكر ينزل
بالممكور من جهة الماكر من حيث لا يشعر واما المكر الذى هو الاحتيال للاظهار بخلاف الاضمار فذلك
لا يجوز على الله (فلا يأمن مكر الله) الفاء فاء جواب شرط محذوف اى اذا كان استدراجه واخذه على هذا
الوجه فلا يأمن مكره بهذا المعنى (الا القوم الخاسرون) الذين ليسوا من القوم الرابحين قيل معنى الآية
ولا يأمن عذاب الله من العصاة او لا يأمن عذاب الله من المذنبين والانبياء عليهم السلام لا يأمنون عذاب
الله على المعصية ولهذا لا يعصون بانفسهم انتهى قال فى التأويلات النجمية مكره تعالى مع اهل القهر بالقهر
ومع اهل اللطف باللطف فلا يأمن مكر الله من اهل القهر الا القوم الخاسرون الذين خسروا سعادة الدارين
ومن اهل اللطف الا الخاسرون الذين خسروا الدنيا والعقبى وربحوا المولى فعلى هذا اهل الله هم الآمنون
من مكر الله لان مكر الله فى حقهم مكر باللطف دل عليه قوله اولئك لهم الامن وهم مهتدون ولهذا قال
وهو خير الماكرين لان مكرهم مكر فى مستحقيه وغير مستحقيه بالقهر ومكره فى مستحقيه باللطف فافهم واعتبر

جدا انتهى واعلم ان الامن من مكر الله تعالى قد عد كفرا لكن هذا بالنسبة الى اهل المكر دون اهل الكرم فان كل الاولياء مبشرون بالسلامة فى حياتهم الدنيوية كما قال تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا فلهم سلامة دنيوية واخروية كما قال تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لكنهم يكتمون سلامتهم لكونهم مأمورين بالكتمان وعلمهم بسلامتهم يكفى لهم ولا حاجة لهم بعلم غيرهم واما الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلهم ان يخبروا بسلامتهم لكونهم شارعين فلابد لغيرهم من العلم بسلامتهم حتى يؤمن ويقبل دعوتهم (اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها) عدى فعل الهداية باللام لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل قوله ان لو نشاء ومعنى يرثون الارض من بعد اهلها يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها والمعنى اولم يبين ونوضح لهم عاقبة امرهم ان سلكوا طريق اسلافهم (ان) مخففة اى ان الشأن (لو نشاء اصبناهم بذنوبهم) اى بجزآء ذنوبهم وسيئاتهم اوبسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم قال سعدى چلبى المفتى ويجوز ان يضمن معنى اهلكناهم فلا حاجة الى تقدير المضاف (ونطبع على قلوبهم) عطف على ما يفهم من قوله تعالى اولم يهد كانه قيل لا يهتدون ونطبع على قلوبهم اى نختم عليها عقوبة لهم (فهم لا يسمعون) اى اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما فى تضاعيفها من الهدايات قال الكاشفى گوش دل از استماع سخن حق فائده دارد نه گوش آب وگل * اين سخن از گوش دل بايد شنود * گوش گل اينجا ندارد هيچ سود * گوش سر باجمله حيوان همدم است * گوش سر مخصوص نسل آدم است * گوش سر چون جانب گوينده است * گوش سر سهلست اگر آكنده است (تلك القرى) يعنى قرى الامم المارذكرهم فاللام للعهد (نقص عليك) خوانده ايم برتو (من انبائها) من للتبعيض اى بعض اخبارها التى فيها عظة وتذكير (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) الباء متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اى ملتبسين بالبينات والمعنى وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتما (فما كانوا ليؤمنوا) اى فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام ان يؤمنوا عند مجيء الرسل بها (بما كذبوا من قبل) الباء صلة لم يؤمنوا اى بما كذبوه من قبل مجيء الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب فما كذبوه عبارة عن اصول الشرآئع التى اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا فى زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة التوحيد قط بل كانت كل امة من اولئك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد ويجوز ان يكون المراد بعدم ايمانهم المذكور اصرارهم على ذلك وبما اشير بقوله تعالى بما كذبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد فالمعنى حينئذ فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة فما كذبوه عبارة عن جميع الشرآئع التى جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة فى المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الآباء وحمله المولى ابو السعود على التعسف يقول الفقير لو كانت الضمائر الثلاثة متوافقة فى المرجع ايضا وجعل التكذيب تكذيب الاباء فى الحقيقة وانما اسند الى الابناء ما حقه ان ينسب اليهم من حيث الاتصال بينهم ورضى بعضهم عن بعض فيما فعله لكان معنى لا تعسف فيه اصلا كما سبق امثاله فى البقرة فى مخاطبات اليهود المعاصرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (كذلك) فى محل النصب على انه مفعول (يطبع) اى مثل ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع (الله على قلوب الكافرين) اى من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الايات والنذر ويجوز ان يكون اشارة الى ما قبله اى مثل ذلك الطبع الذى طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية يطبع على قلوب الكفرة الذين كتب عليهم ان لا يؤمنوا ابدا (وما وجدنا لاكثرهم) لقينا فوجدنا بمعنى صادفنا (من عهد) من مزيدة فى المفعول والمضاف محذوف اذ لا وجه لنفى نفس العهد اى ما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضرآء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وتخصيص هذا الشان باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا

لا يعاهدون ولا يفون ويحتمل ان يكون وجدنا بمعنى علمنا ويكون من عهد مفعوله الاول ولاكثرهم مفعوله الثانى (وان) مخففة اى ان الشان (وجدنا اكثرهم) اى علمنا اكثر الامم (لفاسقين) خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وفى ترجمة الجلد الاخير من الفتوحات المكية حق تعالى بموسى عليه السلام وحى كرد هركه باميد تو آيد او را بى بهره مگذار وهركه زينهار خواست او را زينهار ده موسى عليه السلام در سياحت بود ناگاه كبوترى بر كتف نشست وبازى عقب او آمد وقصد ان كبوتر داشت بر كتف ديگر فرود آمد ان كبوتر در آستين موسى عليه السلام در آمد وزينهار ميخواست وباز بزبان فصيح بموسى آواز داد كه اى پسر عمران مرا بى بهره مگذار وميان من ورزق من جدايى ميفكن موسى عليه السلام گفت چه زود مبتلا شدم ودست كرد تا از ران خود پارهٔ قطع كند براى طعمهٔ باز تا حفظ عهد كرده باشد وبكار هردو وفا نموده گفتند يا ابن عمران تعجيل مكن كه ما رسولانيم وغرض آن بود كه صحت عهد تو آزمايش كنيم

ايا سامعا ليس السماع بنافع * اذا انت لم تفعل فما انت سامع
اذا كنت فى الدنيا عن الخير عاجزا * فما انت فى يوم القيامة صانع

ولا كلام فى وفاء الانبياء بعهودهم ونقض الفاسقين لمواثيقهم وانما الكلام فيمن ادعى الايمان والاستسلام ثم لم يف بعده يوما من الايام (قال الحافظ) وفا مجوز كس ورسخن نمى شنوى * بهرزه طالب سيمرغ وكيميا ميباش * وعن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعى قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله وكنا حديث عهد ببيعته فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس فلقد رأيت بعض اولئك النفر يسقط سوط احدهم لم يسأل احدا يناوله اياه يعنى خوفا من نقض العهد واهتماما فى امر الوفاء فانظر الى هؤلاء الرجال ومبايعتهم ودخولهم فى طريق الحق ومسارعتهم فاذا احترزوا عن سؤال مناولة السوط الذى سقط من ايديهم فما ظنك فى الاحتراز عما فوقه من الاحوال المتواردة عليهم وانت يا رجل وكلنا ذلك الرجل تجول فى ميدان الخواطر الفاسدة ثم لا تقنع بذلك بل تطير الى جانب مرادك من الافعال الباطلة والاقوال الكاسدة ولعمرى هذا ليس فى طريق العوام فكيف فى طريق الصوفية الذين عقدوا عقدا على ان لا يخطر ببالهم سوى الله ولا يسألوا منه تعالى غير الوصول الى ذاته اين هم والله ان هذا زمان لم يبق من التصوف الا الاسم ولا من لباس التقوى الا الرسم نسأل الله تعالى ان يوجهنا الى محراب ذاته ويسلك بنا الى طريق افعاله وصفاته ويفيض علينا من سجال بركاته ويشرفنا بالخاصة من هداياته انه هو الفياض من مشرع عناياته (ثم بعثنا من بعدهم موسى) اى ارسلنا من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين وهم نوح وهود ولوط وصالح وشعيب عليهم السلام والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخى للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى فان الله تعالى من كمال رحمته على خلقه يبعث عند انصرام كل قرن وانقراض كل قوم نبيا بعد نبى كما يخلف قوما بعد قوم وقرنا بعد قرن ويظهر المعجزات على يدى النبى ليخرجهم بظهور نور المعجزات من ظلمات الطبيعة الى نور الحقيقة فان اغلب اهل كل زمان وقرن واكثرهم غافلون عن الدين وحقائقه مستغرقون فى بحر الدنيا مستهلكون فى اودية الشهوات واللذات النفسانية الحيوانية ظلمات بعضها فوق بعض (بآياتنا) حال من مفعول بعثنا وهو موسى اى بعثناه عليه السلام ملتبسا بآياتنا وهى الآيات التسع المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم كما سيأتى (الى فرعون) هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم وخاقان لكل من ملك الصين وتبع لكل من ملك اليمن والقيل لكل من ملك العرب والنجاشى لكل من ملك الحبش والخليفة لكل من ملك بغداد والسلطان لآل سلجوق واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان وكان من القبط وعمر اكثر من اربعمائة سنة (وملائه) اى اشراف قومه وتخصيصهم مع عموم رسالته للقوم كافة لاصالتهم فى تدبير الامور واتباع غيرهم لهم فى الورود والصدور (فظلموا بها) عدى بالباء لتضمين ظلموا معنى كفروا اى كفروا بالمعجزات وظلموا عليها بان جعلوها سحرا فوضعوها فى غير موضعها (فانظر) بعين عقلك يامن من شأنه النظر والتأمل

(كيف كان عاقبة المفسدين) اى كيفية ما فعلنا بهم فكيف خبر كان وعاقبة اسمها والجملة فى محل النصب بنزع الخافض اذ التقدير فانظر الى كذا ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد وفى التفسير الفارسى حضرت موسى عليه السلام چون از مصر فرار نمود ودر مدين بصحبت شعيب عليه السلام رسيد ودختر او صفورا بعقد در آورده عزم مراجعت بامصر نمود دراثناى طريق بوادى ايمن رسيد وخلعت پيغمبرى يافت وبمعجزهٔ عصا ويد بيضا اختصاص پذيرفت حق سبحانه وتعالى فرمود كه بمصر رو وفرعون را بخداى تعالى دعوت كن موسى بيامد وبعد ازمدتى كه ملاقات فرعون دست داد آغاز دعوت كرد قال الحدادى نقلا عن ابن عباس كان طول عصا موسى عشرة اذرع على طوله وكانت من آس الجنة وكان يضرب بها الارض فيخرج بها النبات فيلقيها فاذا هى حية تسعى ويضرب بها الحجر فيتفجر وضرب بها باب فرعون ففزع منها فشاب رأسه فاستحى فخضب بالسواد واول من خضب بالسواد فرعون وهو حرام لا يجد فاعله رائحة الجنة قال صاحب المحيط هذا فى حق غير الغزاة اما من فعله من الغزاة ليكون اهيب فى عين العدو لا للتزين فغير حرام (وقال موسى) لما دخل على فرعون ومعه اخوه هرون بعثهما الله اليه بالرسالة قال (يا فرعون انى رسول) اى اليك (من رب العالمين) ادعوك الى عبادة رب العالمين وانهاك عن دعوى الربوبية فقال له فرعون كذبت ما انت برسول فقال موسى (حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق) اى جدير بان لا اقول على الله الا الحق فوضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولك رميت على القوس وجئت على حالة حسنة اى رميت بالقوس وجئت بحالة حسنة او ضمن حقيق معنى حريص وفى المدارك ويجوز تعلق على بمعنى الفعل فى الرسول اى انى رسول حقيق جدير بالرسالة ارسلت على ان لا اقول على الله الا الحق انتهى وقرأ نافع على بتشديد الياء ثم ان موسى لما ادعى انه رسول من رب العالمين ذكر ما يدل على صحة دعواه فقال (قد جئتكم ببينة) اى بمعجزة ظاهرة كائنة (من ربكم) يعنى العصا واليد (فارسل معى بنى اسرائيل) اى خلهم حتى يذهبوا معى الى الارض المقدسة التى هى وطن آبائهم وكان قد استعبدهم وسبب آن بود كه چون يعقوب عليه السلام با اولاد واحفاد خود بمصر آمدند همانجا قرار كرفتند ونسل ايشان بسيار شد ويعقوب ويوسف با برادران دركذشتند وملك ريان كه فرعون زمان يوسف بود وپسرش مصعب بنى اسرائيل را حرمت ميداشت ومتعرض ايشان نمى شد چون او بمرد وليد كه فرعون زمان موسى بود بر تخت سلطنت نشست وزبان بلاف (انا ربكم الاعلى) بكشاد بنى اسرائيل دعوى او قبول نكردند كفت پدر شما درم خريدهٔ كسان ما بود وشما بنده زادكان ما يد پس ايشانرا بندكى كرفت وكان يستعملهم فى الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب وبناء المنازل واشباه ذلك فلما جاء موسى اراد ان يرجع بهم الى موطن آبائهم الذى هو الارض المقدسة وكان بين اليوم الذى دخل فيه يوسف مصر واليوم الذى دخل فيه موسى اربعمائة عام (قال) فرعون وهو استئناف بيانى (ان كنت جئت بآية) اى من عند من ارسلك كما تدعيه (فأت بها) فاحضرها عندى ليثبت بها صدقك فان الاتيان والمجيء وان كانا بمعنى واحد الا ان بينهما فرقا من حيث ان المجيء يلاحظ فيه نقل الشيء من جانب المبدأ والاتيان يلاحظ فيه ايصاله الى المنتهى فان مبدأ المجيء هو جناب المرسل ومنتهى الاتيان هو المرسل اليه (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (فالقى عصاه) من يده (فاذا هى ثعبان) وهو الحية الصفراء الذكر اعظم الحيات لها عرف كعرف الفرس (مبين) اى ظاهر امره لا يشك فى كونه ثعبانا ولا يختلج ببال احد كونه من جنس العصا روى انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر اى كان له على ظهره شعور سود مثل الرماح الطوال فاغرا فاه اى فاتحا بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه فعاد عصا والاشارة ان الله تعالى جعل عصاه ثعبانا لانه اضافها الى نفسه حين قال هى عصاى ثم جعلها محل حاجاته حيث قال ولى فيها مآرب اخرى ففيه اشارة الى ان كل شيء اضفته الى نفسك ورأيته محل حاجاتك فانه ثعبان يبتلعك ولهذا قال فالقها يا موسى يعنى لا تتمسك بها ولا تتوكأ عليها والا كان قادرا على ان يجعلها فى يده ثعبانا كذا فى التأويلات النجمية ثم قال له فرعون هل معك آية اخرى قال نعم (ونزع يده) اى اخرجها من جيبه او من تحت ابطه

(فاذا هى بيضاء للناظرين) اى بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة ويجتمع عليها النظارة تعجبا من امرها وذلك ما روى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة من صوف ونزعها فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الادمة وفيه اشارة الى ان الايدى قبل تعلقها بالاشياء كانت بيضاء فلما تمسكت بالاشياء صلوت ظلمانية فاذا نزعت عنها تصير بيضاء كما كانت فافهم جدا فلما شاهد فرعون هذه المعجزة تشاور مع اشراف قومه فى امر موسى (قال الملأ من قوم فرعون) اى الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته (ان هذا الساحر) جادويست (عليم) مبالغ فى علم السحر ماهر فيه ولما كان السحر غالبا فى ذلك الزمان ولا شك ان اهل كل صنعة على طبقات مختلفة بحسب الحذاقة والمهارة زعم القوم ان موسى كان حاذقا فى علم السحر بالغا فيه الى اقصى الغاية وانه جعل علمه وسيلة الى طلب الملك والرسالة فلذلك قالوا (يريد ان يخرجكم) بسحره (من ارضكم) مصر ويجعل الحكومة لبنى اسرائيل فلما سمع فرعون هذا قال (فماذا تأمرون) بفتح النون وما فى ذا فى محل النصب على انه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باى شيء تأمروننى اى فاذا كان كذلك فماذا تشيرون (قالوا) لفرعون (ارجه) اصله ارجئه بهمزة ساكنة وهاء مضمومة والارجاء التأخير (واخاه) هرون وعدم التعرض لذكره قيل لظهور كونه معه حسبما تنادى به الآيات الاخر والمعنى اخر امرهما ولا تعجل (وارسل فى المدائن) الجار متعلق بارسل والمدائن جمع مدينة وهى البقعة المسورة المستولى عليها ملك والمدائن صعيد مصر وكان له مدائن فيها السحرة المعدة لوقت الحاجة اليهم والمعنى وابعث الشرط الى هذه المدائن (حاشرين) مفعوله محذوف اى حاشرين السحرة والمعنى ليحشروا ويجمعوا اليك من فيها من السحرة (يأتوك بكل ساحر عليم) اى ماهر فى السحر والسحر فى اللغة لطف الحيلة فى اظهار الاعجوبة واصل ذلك من خفاء الامر ومن ذلك سمى آخر الليل سحرا لخفاء الشخص ببقاء ظلمته والسحر الرئة سميت بذلك لخفاء امرها بانتفاخها تارة وضمورها اخرى آورده اند كه هيچ قرن چندان ساحر نبوده كه در قرن موسى ورؤساء سحره باقصى مداين صعيد بودند در تفسير دمياطى آورده كه در مداين صعيد دو برادر بودند كه ايشانرا در فن سحر وقوفى تمام بود چون فرستادهٔ فرعون بديشان رسيد مادر خود را كفتند مارا بسر قبر پدر ما بر چنان كرد وايشان پدر خود را آواز دادند كه يا ابتا ملك مصر ما را طلبيده بجهت آنكه دو كس آمده اند بى لشكر وسپاه وكار برو بد وتنك آورده وايشانرا عصاييست چون مى افكنند اژدها ميشود وهرچه پيش او آيد مى خورد وفرعون داعيه نموده كه مارا با او معارضه فرمايد صاحب قبر جواب داد كه چون بمصر رسيد بپرسيد كه وقتى كه ايشان در خواب ميشوند آن عصا همان اژدها ميشود يا نه اكر ميكردد بدانيد كه جادويى نيست چه سحر ساحر وقتى كه در خواب باشد اثر ندارد چون حال بدين منوال باشد نه شما وهيچكس از عالميان را قوت معارضه با ايشان نخواهد بود القصه برادران باشاكردان ومصاحبان كه دوازده هزار بودند ودر زاد المسير كويد هفتاد هزار بمصر آمدند وبنزد فرعون جمع شدند توهموا انهم بالتأخير وحسن التدبير وبذل الجد والتشمير يغيرون شيأ من التقدير ولم يعلموا ان الحق غالب والحكم سابق وعند حلول الحكم فلا سلطان للعلم والفهم (وجاء السحرة فرعون) بعد ما ارسل اليهم الحاشرين (قالوا) واثقين بغلبتهم (ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين) بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر عظيم حينئذ او بطريق الاستفهام التقريرى بحذف الهمزة وقولهم ان كنا لمجرد تعيين مناط ثبوت الاجر لا لترددهم فى الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اى ان كنا نحن الغالبين لا موسى (قال نعم) اى ان لكم لاجرا (وانكم) مع ذلك (لمن المقربين) عندى فى المنزلة قال الكلبى قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسى وآخر من يخرج منه وفى التأويلات النجمية اجرى الله هذا على لسان فرعون حقا وصدقا بانهم صاروا من المقربين عند الله لا عند فرعون انتهى آورده اند كه مهتران جماعت چهار تن بودند وآن دو برادر كه شابور وغادور ميكفتند وديكر حطط ومصفى ودر لباب آورده كه اين چهار نيز مهترى بود شمعون نام چون بمصر آمدند وشابور وغادور واقعهٔ سؤال وجواب پدر با قوم كفتند ايشان از قصهٔ خواب وبيدارئ موسى واژدها شدن عصا استفسار بليغ نمودند معلوم شد كه هركاه موسى در خواب است عصا اژدها باشد پاسبانى ميكند ايشانرا ترددى پديد آمد ودغدغه در خاطر خطور كرد نهان ميداشتند تا وقتى كه فرعون موسى

راطلبيد ومقرر شدكه جادوان مناظره كنند ومجلس معارضه انتظام يافت ساحران وعصا ورسن چند بميدان
آوردند فرعون بالاى تخت بتفرج بنشست ومردم مصر بنظاره حاضر شدند هفتاد هزار ساحر بريك طرف
وموسى وهارون بريك جانب بايستادند جادوان بطريق ادب پيش آمده (قالوا ياموسى اما ان تلقى) اى عصاك
اولا (واما ان نكون نحن الملقين) اى حبالنا وعصينا اولا خيروا موسى عليه السلام فان كلمة اما فيها التخيير ويطلق
عليها حرف العطف مجازا قال المفسرون تأدبوا مع موسى عليه السلام فكان ذلك سبب ايمانهم (قال القوا)
ان قيل كيف قال القوا والامر بالسحر لا يجوز اجيب يجوز القوا ان كنتم محقين على زعمكم ويجوز ان يكون
امرهم بالالقاء لتأكيد المعجزة قال القاضى قال القوا كرما وتسامحا وازدراء بهم ووثوقا على شأنه يعنى ليس امرهم
بالالقاء قبله من قبيل الاباحة للسحر والرضى بالكفر والمعنى القوا ما تلقون (فلما القوا) ما القوا (سحروا اعين
الناس) جادويى كردند برچشمهاى مردمان بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له قال ابن الشيخ قلبوها وصرفوها
عن ان تدرك الشئ على ما هو عليه بسبب ما فعلوه من التمويهات (واسترهبوهم) استفعل ههنا بمعنى افعل
والسين لتأكيد معنى الرهبة اى بالغوا فى ارهابهم (وجاؤا بسحر عظيم) فى وقته روى انهم جمعوا حبالا غلاظا
وخشبا طوالا كانها حيات جسام غلاظ ولطخوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا الزئبق داخل تلك العصى فلما
اثرت حرارة الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض وكانت كثيرة جدا تخيل الناس انها تحرك وتلتوى
باختيارها وصار الميدان كانه مملوء بالحيات (واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون)
الفاء فصيحة اى فالقاها فصارت حية فاذا هى تلقف اى تلقم وتبتلع من لقف يلقف على وزن علم يعلم يقال
لقفته القفه لقفا وتلقفته اتلقفه تلقفا اذا اخذته بسرعة فاكلته وابتلعته ويأفكون اى يزورون من الافك
وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على
الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم لا يعلم عددهم الا الله تعالى ثم اخذها موسى فصارت عصا
كما كانت واعدم الله بقدرته القاهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة فقالت السحرة لو كان هذا سحرا
لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) اى ثبت وصدق موسى عليه السلام فى قوله انى رسول من رب العالمين
حيث صدقه الله تعالى بما اظهر على يده من المعجزة الباهرة (وبطل ما كانوا يعملون) اى ظهر بطلان ما كانوا
مستمرين على عمله وهو السحر (فغلبوا) اى فرعون واتباعه (هنالك) اى فى مجلسهم (وانقلبوا صاغرين)
اى صاروا اذلاء مبهوتين فالانقلاب هنا بمعنى الصيرورة (والقى السحرة ساجدين) اى خروا سجدا كانما القاهم
ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك ففى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم
فى سرعة الخرور وشدته حين شاهدوا المعجزة القاهرة بحال من القى على وجهه فعبر عن حالهم بما يدل على حال
المشبه به (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) ابدلوا الثانى من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون
لان فرعون وان ربى موسى وهو صغير الا انه لم يرب هرون قطعا قال ابن عباس آمنت السحرة واتبع موسى
من بنى اسرائيل ستمائة الف (قال فرعون) منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه (آمنتم به) بهمزة
واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخى بحذف الهمزة كما مر فى ان لنا لاجرا
(قبل ان آذن لكم) اى بغير ان آذن لكم كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى لا ان الاذن منه ممكن
فى ذلك (ان هذا لمكر مكرتموه) يعنى ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور
المعجزة بل هو حيلة احتلتموها انتم وموسى (فى المدينة) يعنى مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روى ان موسى
وامير السحرة التقيا فقال له موسى ارأيتك ان غلبتك لتؤمن بى وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله
ائن غلبتنى لأؤمنن لك وفرعون يسمعهما وهو الذى نشأ عنه هذا القول (لتخرجوا منها اهلها) يعنى القبط وتخلص
لكم ولبنى اسرائيل (فسوف تعلمون) عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله (لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف) اى من كل شق طرفا يعنى ايديكم اليمنى وارجلكم اليسرى (ثم لاصلبنكم اجمعين) على شاطئ نهر
مصر على جذوع النخل تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع
الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماهم تعالى محاربة الله ورسوله (قالوا) ثابتين على ما احدثوا من الايمان وهو
استئناف بيانى (انا الى ربنا منقلبون) راجعون اى بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك اولا فلا نبالى

بوعيدك

بوعيدك اوانا لى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى
(وفى المثنوى) جانهاى بسته اندر آب وكل * چون رهند از آب وكلها شاد دل * در هواى عشق حق
رقصان شوند * همچو قرص بدر بى نقصان شوند * چون نقاب تن برفت از روى روح * از لقاى
دوست دارد صد فتوح * ميزند جان در جهان آبكون * نعرهٔ ياليت قومى يعلمون (وما تنقم منا)
اى وما تنكر وما تعيب منا (الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى
لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله تعالى فقالوا (ربنا افرغ علينا صبرا) اى افض علينا من الصبر
على وعيد فرعون ما يغمرنا كما يغمر الماء فافراغ الماء اى صبه من قبيل الاستعارة شبه الصبر على وعيد فرعون
بالماء الغامر تشبيها مضمرا فى النفس وجعل نسبة الافراغ اليه تخييلا للاستعارة بالكناية لان الافراغ من لوازم
الماء وملائماته (وتوفنا مسلمين) ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل لم يقدر عليه
لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال ابن عباس رضى الله عنه فاخذ فرعون السحرة فقطعهم ثم صلبهم
على شاطئ نيل مصر (وفى المثنوى) ساحران چون حق او بشناختند * دست وپا در جرم هادر باختند
وفى القصة اشارة الى ان فرعون النفس ايضا منكر على ايمان سحرة صفاتها ويقول آمنتم به اى بموسى الروح
من قبل ان آذن لكم يعنى بالايمان به ان هذا لمكر مكرتموه يا سحرة الصفات فى موافقة موسى الروح
فى المدينة مدينة القالب والبدن لتخرجوا منها اهلها وهو اللذات والشهوات البدنية الجسمانية فان صفات
النفس اذا آمنت ووافقت الروح وصفاته خرجت من البدن لذات الدنيا وشهواتها فسوف تعلمون حيلى
ومكايدى فى ابطالكم واستيفاء اللذات والشهوات لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف بسكين التسويل
عن الاعمال الصالحة ثم لاصلبنكم اجمعين فى جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها قالوا انا الى ربنا منقلبون لا الى
الدنيا وما فيها وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا على قطع تعلقات الدنيا وتوفنا
مسلمين لعبوديتك (وقال الملأ من قوم فرعون) روى ان فرعون بعد ما رأى من موسى عليه السلام ما رأى
من معجزة العصا واليد البيضاء خافه اشد الخوف فلذلك لم يحبس ولم يتعرض له بسوء بل خلى سبيله فلذلك قال له
اشراف قومه (أتذر موسى وقومه) اى اتتركهم (ليفسدوا فى الارض) اى يفسدوا على الناس دينهم فى ارض
مصر ويصرفوهم عن متابعتك (ويذرك) عطف على يفسدوا (وآلهتك) معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب
والاصح كما فى التفسير الفارسى انه صنع لقومه اصناما على صورته وامرهم بان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال
انا ربكم الاعلى (قال) فرعون مجيبا لهم (سنقتل ابناءهم) زود باشد كه بكشيم پسران ايشانرا (ونستحيى
نساءهم) اى نتركهن احياء ولا نقتلهن بل نستخدمهن والمقصود سنعود الى قتل ابنائهم واستخدام نسائهم
كما كنا نفعل وقت ولادة موسى ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون
والكهنة بذهاب ملكنا على يديه (وانا فوقهم قاهرون) اى مستعلون عليهم بالقوة كما كنا لم يتغير حالنا اصلا
وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك (قال موسى لقومه) تسلية لهم وعدة لحسن العاقبة حين سمعوا قول
فرعون وعجزوا عنه (استعينوا بالله) يارى خواهيد از خداى تعالى در دفع بلاى فرعون (واصبروا) على
ما سمعتم من اقاويله الباطلة (ان الارض لله) اى ارض مصر (يورثها من يشاء من عباده) ميراث دهد هركرا
ميخواهد از بندكان خود (والعاقبة) عاقبت نيكو يا نصرت وظفر يا بهشت (للمتقين) الذين انتم منهم لانه روى
انه لما غلب سحرة فرعون وتبين نبوة موسى بسطوع حجته آمن بموسى من بنى اسرائيل ستمائة الف نفس
واتقوا عن الشرك والعصيان وفيه ايذان بان الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى (قال الحافظ)
انكه پيرانه سرم صحبت يوسف بنواخت * اجر صبريست كه در كلبهٔ احزان كردم (قالوا) اى بنوا
اسرائيل (اوذينا) اى من جهة فرعون (من قبل ان تأتينا) اى بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد
موسى عليه السلام وبعده (ومن بعد ما جئتنا) اى رسولا يعنون به ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء وسائر
ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب (قال) اى موسى عليه السلام
لما رأى شدة جزعهم مما يشاهدونه ومسليا لهم بالتصريح بما لوح به فى قوله ان الارض لله الآية (عسى ربكم
ان يهلك عدوكم) اى يرجى ان ربكم قارب اهلاك عدوكم الذى فعل بكم ما فعل وتوعدكم باعادته فعسى من العبد

اطمع مضمون خبره ومن الله تعالى اطماع وما اطمع الله فيه فهو واجب لان الكريم اذا اطمع ووعد وفى فيصير كانه اوجبه على نفسه (ويستخلفكم فى الارض) اى يجعلكم خلفاء فى ارض مصر وفى الارض المقدسة (فينظر) النظر قد يراد به الفكر المؤدى الى العلم وقد يراد به تقليب الحدقة نحو المرئى ليترتب عليه الرؤية وكل واحد من المعنيين مستحيل فى حقه تعالى فهو مجاز عن الرؤية التى هى غاية للنظر اى فيرى (كيف تعملون) احسنا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من شكر وكفران وطاعة وعصيان وفى الحديث (ان الدنيا حلوة خضرة) يعنى حسنة فى المنظر تعجب الناظر والمراد من الدنيا صورتها ومتاعها وانما وصفها بالخضرة لان العرب تسمى الشئ الناعم خضرا او لتشبهها بالخضراوات فى سرعة زوالها وفيه بيان كونها غرارة يفتتن الناس بحسنها وطعمها (وان الله مستخلفكم فيها) اى جاعلكم خلفاء فى الدنيا يعنى ان اموالكم ليست هى فى الحقيقة لكم وانما هى لله تعالى جعلكم فى التصرف فيها بمنزلة الوكلاء (فناظر كيف تعملون) اى تتصرفون قيل معناه جاعلكم خلفاء ممن كان قبلكم واعطى ما فى ايديهم اياكم فناظر هل تعتبرون بحالهم وتدبرون فى مآلهم (قال السعدى)

نرود مرغ سوى دانه فراز * چون دكر مرغ بيند اندر بند * پند كير از مصائب دكران * تا نكيرند ديكران زتو پند *

والاشارة ان فرعون النفس قال له قوم الهوى والغضب والكبر اتذر موسى الروح وقومه من القلب والسر والعقل ليفسدوا فى الارض فى ارض البشرية ويذرك وآلهتك من الدنيا والشيطان والطبع ان لا تعبد قال فرعون النفس سنقتل ابناءهم وابناء صفات الروح والقلب والنفس اعمالها الصالحة اى نبطل اعمالهم بالرياء والعجب ونستحيى نساءهم اى الصفات التى منها تتولد الاعمال وانا فوقهم قاهرون بالمكر والخديعة والحيلة قال موسى الروح لقومه وهم القلب والعقل والسر استعينوا بالله واصبروا على جهاد النفس ومخالفتها ومتابعة الحق ان الارض اى ارض البشرية لله يورثها من يشاء من عباده يورث ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فيتصف بصفاته ويورث ارض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها والعاقبة للمتقين يعنى عاقبة الخير والسعادة للاتقياء والسعداء منهم قالوا يعنى قوم الروح له اوذينا من قبل ان تأتينا اى قبل ان تأتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا نتأذى من اوصاف البشرية ومعاملاتها ومن بعد ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد البلوغ نتأذى من دواعى البشرية قال يعنى الروح عسى ربكم ان يهلك عدوكم النفس وصفاتها بالواردات الربانية ويدفع اذيته عنكم فيه يشير الى ان الواردات الروحانية لا تكفى لافناء النفس وصفاتها ولا بد فى ذلك من تجلى صفات الربوبية ويستخلفكم يعنى اذا تجلى الرب بصفة من صفاته لا يبقى فى ارض البشرية من صفات النفس صفة الا ويبدلها بصفات الروح والقلب ويستخلفها فى الارض فينظر كيف تعملون فى اقامة العبودية واداء شكر نعم الربوبية كذا فى التأويلات النجمية (ولقد اخذنا آل فرعون) اى قوم فرعون واهل دينه وآل الرجل خاصته الذين يؤول امره اليهم وامرهم اليه (بالسنين) جمع سنة وهى فى الاصل بمعنى العام مطلقا الا انها غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به حتى صارت كالعلم له كالنجم غلب على الثريا (ونقص من الثمرات) باصابة العاهات زيادة فى القحط لان الثمار قوت الناس وغذاؤهم وعن كعب يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فكان فى امصارهم (لعلهم يذكرون) كى يتذكروا ويتعظوا بذلك ويتيقنوا ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد فلعل علة المأخذ اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هى ثمرة له منزلة ترتب المغرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان تكون هى علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه دلت الاية على ان المحن والشدائد والمصيبات موجبات الانتباه والاعتبار ولكن لاهل السعادة واولى الابصار فاما اهل الشقاوة فلا ينبههم كثرة النعمة ولا يوقظهم شدة النقمة (قول الشيخ سعدى)

بكوشش نرويد كل از شاخ بيد * نه زنكى بكرمابه كردد سفيد

(فاذا جاءتهم الحسنة) اى السعة والخصب وغيرهما من الخيرات (قالوا لنا هذه) اى لاجلنا واستحقاقنا لها ولم يروا ذلك فضلا من الله (وان تصبهم سيئة) اى جدب وبلاء (يطيروا بموسى ومن معه) اى يتشاءموا بموسى واصحابه ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم واصله يتطيروا ادغمت التاء فى الطاء لقرب مخرجيهما واشتقاق التطير من الطير كالغراب وشبهه سمى

الشؤم ضد اليمن طيرا وطائرا تسمية للمدلول باسم ما يدل عليه فانهم يجعلون الطير والطائر امارة ودليلا على شؤم الامر وبناء التفعل فيه للتجنب اى لبعد الفاعل عن اصله كتحوب اى تجنب وتباعد من الحوب وهو الاثم وسيجيئ تفصيل الطيرة قال سعيد بن جبير كان ملك فرعون اربعمائة سنة فعاش ثلثمائة سنة لا يرى مكروها ولو ازى فى تلك المدة جوع يوم او حمى يوم او وجع ساعة لما ادعى الربوبية ولما قالوا سبب ما جاءنا من الخير والحسنة هو استحقاق انفسنا اياه وسبب ما اصابنا من السيئة والشر هو شآمة موسى ومن معه كذبهم الله تعالى فى كل واحد من الحكمين بقوله (الا) اعلموا (انما طائرهم عند الله) اى سبب ما اصابهم من الخير والشر انما هو عند الله تعالى وصفة قائمة به وهى قضاؤه وتقديره ومشيئته وهو الذى ايهما شاء اصابهم به وليس بيمن احد ولا بشؤمه عبر عما عند الله تعالى بالطائر تشبيها له بالطائر الذى يستدل به على الخير والشر او سببه شؤمهم عند الله تعالى وهو اعمالهم السيئة المكتوبة عنده فانها التى ساقت اليهم ما يسوءهم لا ما عداها فالطائر عبارة عن الشؤم على طريق تسمية المدلول باسم الدليل بناء على انهم يستدلون بالطير على الشؤم (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم فيقولون ما يقولون مما حكى عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا واعلم ان التطير بمعنى التشاؤم والاسم منه الطيرة على وزن العنبة وهو ما يتشاءم به من الفأل الردئ والاصل فى هذا ان العرب كانوا يتفاءلون بالطير فان اخرج احدهم الى مقصده واتى الطير من ناحية يمينه يتيمن به ويتبرك ويسميه سانحا وان اتى من ناحية شماله يتشاءم به ويسميه بارحا فيرجع الى بيته ثم كثر قولهم فى الطير حتى استعملوه فى كل ما تشاءموا به وابطل النبى عليه السلام الطيرة بقوله الطيرة شرك قاله ثلاثا وانما قال شرك لاعتقادهم ان الطيرة تجلب لهم نفعا او تدفع عنهم ضررا اذا عملوا بموجبها فكانهم اشركوها مع الله تعالى قال عبد الله من خرج من بيته ثم رجع لم يرجعه الا الطيرة رجع مشركا او عاصيا وذكر فى المحيط اذا صاحت الحمامة فقال رجل يموت المريض كفر القائل عند بعض المشايخ واذا خرج الرجل الى السفر فصاح العقعق فرجع من سفره فقد كفر عند بعض المشايخ قال عكرمة كنا عند ابن عمر وعنده ابن عباس رضى الله عنهما فمر غراب يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن عباس لا خير ولا شر وانما اختص الغراب غالبا بالتشاؤم به اخذا من الاغتراب بحيث قالوا غراب البين لانه بان عن نوح عليه السلام لما وجهه لينظر الى الماء فذهب ولم يرجع ولذا تشاءموا به واستخرجوا من اسمه الغربة قال ابن مسعود لا تضر الطيرة الا من تطير ومعناه ان من تطير تطيرا منهيا عنه او يراه مما يتطير به حتى يمنعه مما يريده من حاجته فانه قد يصيبه ما يكرهه فاما من توكل على الله ووثق به بحيث علق قلبه بالله خوفا ورجاء وقطعه عن الالتفات الى الاسباب المخوفة وقال ما امر به من الكلمات ومضى فانه لا يضره فالمراد بالكلمات ما فى قوله عليه السلام ليس عبد الا سيدخل قلبه الطيرة فاذا احس بذلك فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله ما شاء الله كان لا يأتى بالحسنات الا الله ولا يذهب بالسيئات الا الله واشهد ان الله على كل شئ قدير ثم يمضى الى حاجته اى كل ما اصاب الانسان من الخير والشر واليمن والشؤم ليس الا بقضائك وتقديرك وحكمك ومشيئتك وفى الحديث الشؤم فى المرأة والفرس والدار فشؤم المرأة سوء خلقها او غلاء مهرها وقيل ان لا تلد وشؤم الفرس عدم انقياده او انه لا يغزى عليه وسوء الدار ضيقها او سوء جارها وهذا الحكم على وجه الغلبة لا القطع خص الثلاث بالذكر لان فيها يصل الضرر الكثير الى صاحبها ولانها اقرب الى الآفة فيما يبتلى به الانسان فمن تشاءم بالمذكورات فليفارقها واعترض عليه بحديث لا طيرة اجاب ابن قتيبة بان هذا مخصوص منه اى لا طيرة الا فى هذه الثلاث وسمع فيلسوف صوت مغن بارد فقال يزعم اهل الكهانة ان صوت البوم يدل على موت الانسان فان كان ما ذكروه حقا فصوت هذا يدل على موت البومة * ز بيم دركوش كن تا نشوم * يا درم بكشاى تا بيرون روم * وتساقطت النجوم فى ايام بعض الامراء فخاف من ذلك واحضر المنجمين والعلماء فما اجابوا بشئ فقال جميل الشاعر

هذى النجوم تساقطت * لرجوم اعداء الامير

فتفاءل به وامر له بصلة حسنة ولا بأس بان يتفاءل بالفأل الحسن وكان النبى عليه السلام يحب الفأل ويكره

الطيرة والفأل الحسن هى الكلمة الصالحة يسمعها من اخيه نحوان يسمع احد وهو طالب امر ياواجد بانجيح اويكون فى سفر فيسمع ياراشد يعنى ياواجد الطريق المستقيم اومريضا فيسمع ياسالم فالتفاؤل بالامور المشروعة مشروع والطيرة منهى عنها والفرق بين الفأل والطيرة مع ان كل واحد منهما استدلال بالامارة على مآل الامر وعاقبته ان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية والطيرية فالكلمة الحسنة التى تجرى على لسان الانسان يمكن الاستدلال بها بخلاف طيران الطير وحركات البهائم فان ارواحها ضعيفة فلا يمكن الاستدلال بها على شئ من الاحوال ويروى ان النبى عليه السلام حوّل رداءه فى الاستسقاء وذكر فى الهداية انه كان تفاؤلا يعنى قلب علينا الحال كما قلبنا رداءنا وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قلت يارسول الله انى اسمع منك حديثا كثيرا انساه فقال ابسط رداءك فبسطته ففرق بيديه ثم قال ضمه فضممته فانسيت شيأ بعده وهذا البسط والفرق والضم ليس الاتفاؤلا والا فالعلم ليس مما يسقط على الرداء ويمكن فيه الفرق والضم ولكن التفاؤل يحصل به يعنى كما بسطت ردائى توقيا لما يسقط فيه فكذلك اصغيت سمعى لما يقع فيه من الكلام وكما اعطى شخص كثيرا من الرزق بفرق بين اليدين فكذا اعطيته شيأ كثيرا من العلم وكما يؤمن بالضم من سقوط ما فى الرداء كذلك يؤمن من خروج ما فى السمع اونسيان ما فى الخاطر فبعض الاوضاع يدل على بعض الاحوال كما ان بعض الاسماء يدل على بعض الامور كما حكى ان عمر رضى الله عنه قال لرجل ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحرقة قال اين تسكن قال فى الحرة وهى ارض ذات حجارة سود كأنها احرقت فقال عمر ادرك اهلك فقد احترقوا فرجع فوجدهم قد احترقوا واراد عمر رضى الله عنه الاستعانة برجل فسأله عن اسمه فقال ظالم بن سراق فقال تظلم انت ويسرق ابوك ولم يستعن ودل هذا على تبديل الاسماء القبيحة بالاسماء الحسنة فان فى الاسماء الحسنة التفاؤل ونظير ذلك ما يفهم من قوله عليه السلام لا تمارضوا فتمرضوا يعنى ان من اظهر المرض وقال انا مريض فهذا القول والفعل منه يجر المرض ويؤاخذ به * كفت پيغمبركه رنجورى بلاغ * رنج آرد تا بميرد چون چراغ والله الهادى الى الحسنات وهو دافع السيئات (وقالوا) اى فرعون وقومه بعدما رأوا من شان العصا والسنين ونقص الثمرات (مهما) اسم شرط يجزم فعلين كقولك مهما تفعل افعل كأن قائلا قال لك لا تقدر على ان تفعل ما افعل فتقول له مهما تفعل افعل ومحله الرفع على الابتداء خبره فما نحن لك بمؤمنين اى اى شئ وبالفارسية هرچيزكه (تأتنا به) تظهره لدينا وتحضره والضمير لمهما (من آية) بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم (لتسحرنا بها) اى لتسحر بتلك الآية اعيننا وتسكرها (فما نحن لك بمؤمنين) اى بمصدقين لك ومؤمنين بنبوتك (فارسلنا عليهم) روى ان القوم لما عالجهم موسى بالآيات الاربع العصا واليد والسنين ونقص الثمرات فكفروا ودعا وكان حديدا فقال يارب ان عبدك فرعون علا فى الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدهم عبرة فارسل الله عليهم عقوبة لجرائمهم (الطوفان) اى الماء الذى طاف بهم واحاط وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر اوسيل (والجراد) فى التفسير الفارسى ملخ پرنده وفى حياة الحيوان الجراد البرى اذا خرج من بيضته يقال له الدبا فاذا بدت فيه الالوان واصفرت الذكور واسودت الانثى يسمى جرادا حينئذ وفى الحديث لا تقتلوا الجراد فانه جند الله الاعظم وهذا ان صح اراد به اذا لم يتعرض لافساد الزرع فان تعرض له جاز دفعه بالقتل وغيره ووقعت بين يدى النبى عليه السلام جرادة فاذا مكتوب على جناحيها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسع وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لاكلنا الدنيا وما فيها فقال النبى عليه السلام اللهم اهلك الجراد اقتل كبارها وامت صغارها وافسد بيضها وشد افواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء فجاء جبرائيل عليه السلام فقال انه قد استجيب لك فى بعضه وعن حسن بن على كنا على مائدة نأكل انا واخى محمد بن الحنفية وبنو عمى عبد الله وقثم والفضل بن العباس فوقعت جرادة على المائدة فاخذها عبد الله وقال لى ما مكتوب على هذه فقلت سألت ابى امير المؤمنين عن ذلك فقال سألت عنه رسول الله فقال مكتوب عليها انا الله لا اله الا انا رب الجراد ورازقها وان شئت بعثتها رزقا لقوم وان شئت بعثتها بلاء على قوم فقال عبد الله هذا من العلم المكنون وليس فى الحيوان اكثر فسادا لما يقتاته الانسان من الجراد واجمع المسلمون على اباحة اكله قال الاربعة يحل اكله سواء مات حتف انفه او بذكاة او باصطياد مجوسى او مسلم قطع منه شئ اولا والدليل على عموم حله قوله عليه

السلام احلت لنا ميتتان ودمان الكبد والطحال والسمك والجراد واذا تبخر انسان بالجراد البرى نفعه من عسر البول وقال ابن سينا اذا اخذ منها اثنا عشر ونزعت رؤسها واطرافها وجعل معها قليل آس يابس وشرب للاستسقاء نفعه واما الجراد البحرى فهو من انواع الصدف كثير بساحل البحر ببلاد المغرب ويأكلونها كثيرا مشويا ومطبوخا ولحمها نافع للجذام (والقمل) فى التفسير الفارسى ملخ پياده وقيل هو كبار القردان وهو جمع قراد يقال له بالتركى كنه مسلط على البعير وفى الامثال اسمع من قراد وذلك انه يسمع صوت اخفاف الابل من مسيرة يوم فيتحرك لها وقيل هو السوس الذى يخرج من الحنطة وقيل انه شئ يقع فى الزرع ليس بجراد فيأكل السنبلة وهى غضة قبل ان تقوى فيطول الزرع ولا سنبل له وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد به القمل المعروف الذى يقع فى بدن الانسان وثوبه واذا القيت القملة حية اورثت النسيان قال الجاحظ وفى الحديث اكل الحامض وسؤر الفأر ونبذ القمل يورث النسيان واذا اردت ان تعلم هل المرأة حامل بذكر اوانثى فخذ قملة واحلب عليها من لبنها فى كف انسان فان خرجت من اللبن فهى جارية وان لم تخرج فهى ذكر وان حبس على انسان بوله فخذ قملة من قمل بدنه واجعلها فى احليله فانه يبول من وقته والقمل المعروف يتولد من العرق والوسخ اذا اصاب ثوبا اوريشا اوشعرا حتى يصير المكان عفنا قال الجاحظ وربما كان للانسان قمل الطباع وان تنظف وتعطر وبدل الثياب كما عرض لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام حين استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لباس الحرير فاذن لهما فيه ولولا انهما كانا فى حد ضرورة لما اذن لهما لما فى ذلك من التشديد فيجوز لبس الثوب الحرير لدفع القمل لانه لا يقمل بالخاصية قال فى انوار المشارق والاصح ان الرخصة لا تختص بالسفر انتهى وفى الواقعات المحمودية ان القمل يكون من البرودة ولذلك يكثر فى الشتاء ولا يكون فى الصيف قال السيوطى ولم يقع على ثيابه عليه السلام ذباب قط ولا آذاه القمل (والضفادع) جمع ضفدع مثل خنصر وهو الاشهر الصحيح من حيث اللغة والانثى ضفدعة وناس يقولون بفتح الدال كدرهم وانكره الخليل حيث قال ليس فى الكلام فعلل الا اربعة احرف درهم وهجرع وهبلع وبلعم وهو اسم والضفادع انواع كثيرة ويكون من سفاد وغير سفاد فالذى من سفاد يبيض فى البر ويعيش فى الماء والذى من غير سفاد يتولد فى المياه القائمة الضعيفة الجرى ومن العفونات وغب الامطار الغزيرة حتى يظن انه يقع من السحاب لكثرة ما يرى منه على الاسطحة عقيب المطر والريح وليس ذلك عن ذكر وانثى وانما الله تعالى يخلقه فى تلك الساعة من طباع تلك التربة وهى من الحيوانات التى لا عظام لها وفيها ما ينق وفيها ما لا ينق والذى ينق منها يخرج صوته من قرب اذنه ويوصف بحدة السمع اذا تركت النقيق وكانت خارج الماء واذا ارادت ان تنق ادخلت فكها الاسفل فى الماء ومتى دخل الماء فى فيها لا تنق وما اطرف قول بعض الشعراء وقد عوتب فى كلامه

قالت الضفدع قولا * فسرته الحكماء * فى فى ماء وهل ينطق من فى فيه ماء

قال سفيان يقال انه ليس شئ اكثر ذكرا لله منه قال الزمخشرى تقول فى نقيقها سبحان الملك القدوس روى ان داود عليه السلام قال لاسبحن الله الليلة تسبيحا ما سبحه احد من خلقه فنادته ضفدع من ساقية فى داره ياداود اتفخر على الله تعالى بتسبيحك وان لى لسبعين سنة ما جف لى لسان من ذكر الله وان لى لعشر ليال ما طعمت خضراء ولا شربت ماء اشتغالا بكلمتين قال ما هما قالت يا مسبحا بكل لسان ومذكورا بكل مكان فقال داود فى نفسه وما عسى ان اكون ابلغ من هذا وعن انس لا تقتلوا الضفادع فانها مرت بنار ابراهيم عليه السلام فحملت فى افواهها الماء وكانت ترشه على النار قال ابن سينا اذا كثرت الضفادع فى سنة وزادت على العادة يقع الوباء عقيبه وفى الواقعات المحمودية تعبير الضفدع انه نقصان خفى فانه يذكر انه كان فى الاصل كيالا فلاجل نقصانه فى الكيل ادخل فيه ومن خواصه انه اذا اخذت امرأة ضفدع الماء وفتحت فاه وبصقت فيه ثلاث مرات ورمته الى الماء فانها لا تحبل ودمه اذا طلى به الموضع الذى نتف شعره لم ينبت ابدا وشحم الضفادع الاجامية اذا وضع على الاسنان قلعها من غير وجع قال القزوينى ولقد كنت بالموصل وانا صاحب فى بستان بنى مجلسا وبركة فتولدت فيها الضفادع وتأذى سكان المكان بنقيقها وعجزوا عن ابطاله حتى جاء رجل وقال اجعلوا طشتا على وجه الماء مقلوبا ففعلوا فلم يسمعوا لها نقيقا بعد ذلك (والدم) روى انهم مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج واحد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وهى جمع ترقوة

وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق وهو موضع الرداء من المنكب ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل منه قطرة مع انها كانت مختلطة ببيوت القبط فاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام سبعة ايام فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ ما لم يعهد مثله فقالوا هذا كنا نتمناه وما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا فلا والله لا نؤمن بك ياموسى فنقضوا العهد واقاموا على كفرهم شهرا فبعث الله عليهم الجراد بحيث وقع على الارض بعضه على بعض ذراعا فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل منه شئ ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الى النواحى التى جاء منها بعد ان اقام فى ارضهم سبعة ايام فلم يبق جرادة واحدة ثم نظروا فاذا فى بعض المواضع من نواحى مصر بقية كلأ وزرع فقالوا هذا يكفينا بقية عامنا هذا فلا والله لا نؤمن بك فسلط الله عليهم القمل فمكث فى ارضهم سبعة ايام فلم يبق لهم عودا اخضر ولحس جميع ما فى اراضيهم مما ابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها وينهشهم ويأكل شعورهم وحواجبهم واشفار عيونهم ومنعهم النوم والقرار وظهر بهم منه الجدرى قال الحدادى فى تفسيره هم اول من عذبوا بالجدرى وبقى فى الناس الى الآن ثم فزعوا اليه عليه السلام ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر قالوا وما عسى ربك ان يفعل بنا وقد اهلك كل شئ من نبات ارضنا فعلى اى شئ نؤمن بك اذهب فما استطعت ان تفعل فافعله ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى والى افواههم عند التكلم وكان بعضهم لا يسمع كلام بعض من كثرة صراخ الضفادع وكانوا اذا قتلوا واحدا منها نتنا فوا ما حوله حتى لا يستطيعون الجلوس فيه ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله عنهم بريح عظيمة نبذتها فى البحر فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم وآبارها وانهارها دما احمر عبيطا حتى كان يجتمع القبطى والاسرائيلى على اناء فيكون ما يليه دما وما يلى الاسرائيلى ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلى فيصير دما فيه * قوم موسى شو بخوراين آب را * صلح كن با من ببين مهتاب را * ثم ان فرعون اجهده العطش وكانوا يأتونه باوراق الاشجار الرطبة فيمصها فتصير دما عبيطا اواجاجا وكانوا لا يأكلون ولا يشربون سبعة ايام الا الدم فقال فرعون اقسم بالهك ياموسى لئن كشفت عنا هذا الدم لنؤمنن لك فدعا فعذب ماؤهم فعادوا لكفرهم الى ان كان من امر الغرق ما كان (آيات مفصلات) حال من مفعول ارسلنا اى ارسلنا عليهم هذه الاشياء حال كونها آيات وعلامات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته وقيل معنى مفصلات مفرقات ومنفصلات بان فصل بعضها عن بعض بزمان لامتحان احوالهم هل يعتبرون او يستمرون على المخالفة والعناد وما كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا (فاستكبروا) اى تعظموا عن الايمان بها (وكانوا قوما مجرمين) كروهى مجرم يعنى معاند دركفركه باوجود تظاهر آيات وتتابع آن ايمان نياوردند (ولما وقع عليهم الرجز) اى العذاب المذكور من الطوفان وغيره اى كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات (قالوا) فى كل مرة (ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) الباء صلة لادع وما مصدرية والمراد بالعهد النبوة اى ادع لنا ربك يكشف عنا العذاب بحق ما عندك من عهد الله تعالى وهو النبوة فان حق النبوة ومقتضاها ان يدعو النبى لامته لدفع ما اصابهم من البلايا والمحن سميت النبوة عهدا للمبالغة فى كونها معهودا بها فانه تعالى لما بعثه رسولا واوصاه بتحمل اعباء الرسالة وميثاق التبليغ فقد جعلت النبوة مما اوصى به وعهده فجعلت نفس العهد للمبالغة فى كونها معهودا بها وفى التفسير الفارسى بما عهد عندك بآنچه عهد كرده وآن عهد نزديك تست يعنى خداى تو باتو وعده كرده كه چون اورا بخوانى اجابت كند * فما موصولة عبر بها عما يدعو به المتضرع الى الله تعالى فى طلب حاجته والباء ايضا صلة لادع (لئن كشفت) اى بازبرى وزائل كردانى (عنا الرجز) الذى وقع علينا (لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) الى موطن آبائهم وهو الارض المقدسة ولنطلقهم من التسخير والاعمال الشاقة (فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه) اى الى حد من الزمان معذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق والى اجل متعلق بقوله لما كشفنا وقوله هم بالغوه فى محل الجر على انه صفة لاجل

اذا

(اذا هم ينكثون) جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث من غير تأمل وتوقف والنكث بالفارسى عهد شكستن (فانتقمنا منهم) الفاء لسببية النكث للانتقام والعقاب واريد بالانتقام نتيجته وهو الاهلاك ومثله الغضب لان التشفى فى حقه تعالى محال قال ابن الشيخ الانتقام العقاب الواقع على مجازاة السيئة بالسيئة وانما اسند الانتقام الى ذاته لان الانبياء وكل الاولياء كانوا فانين عما سوى الله باقين بالله فكان الله خليفتهم فى اخذ الانتقام من اعدائهم والمعنى فاردنا الانتقام منهم اى من فرعون وقومه لما اسلفوا من المعاصى والجرائم فان قوله تعالى (فاغرقناهم) عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما فاطلق اسم المسبب على السبب تنبيها على ان الانتقام لم ينفك عن الارادة ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ (فى اليم) اى فى البحر الذى لا يدرك قعره او فى لجته ولجة البحر معظم مائه قال الحدادى فى اليم اى فى البحر بلسان العبرانية وهى لغة اليهود وفى التفسير الفارسى فى اليم در درياء قلزم بنزديك مصر وذلك ان الله تعالى امر موسى ان يخرج بنى اسرائيل فاستعار نسوة بنى اسرائيل من نساء آل فرعون حليهم وقال ان لنا خروجا الى عيد فخرج بنى اسرائيل فى اول الليل وهم ستمائة الف من رجل وامرأة وصبى فبلغ الخبر فرعون فركب ومعه الف الف ومائتا الف فادركهم فرعون حين طلعت الشمس وانتهى موسى الى البحر فضرب البحر فانفلق اثنى عشر طريقا وكانت بنو اسرائيل اثنى عشر سبطا فعبر كل سبط طريقا فاقبل فرعون ومن معه فدخلوا بعدهم من حيث دخلوا فلما صاروا جميعا فى البحر امر الله البحر فالتطم عليهم فغرقوا (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) تعليل للاغراق اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات التسع التى جاء بها موسى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب آيات الله والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها (واورثنا) ميراث داديم (القوم الذين) يعنى بنى اسرائيل والقوم مفعول اول لاورثنا (كانوا يستضعفون) اى يستضعفهم القبط ويقهرونهم ويستذلونهم بذبح الابناء واستخدام النساء والاستعباد (مشارق الارض ومغاربها) مفعول ثان لاورثنا والارض ارض الشام ومشارقها ومغاربها جهاتها الشرقية والغربية ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها (التى باركنا فيها) بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب (وتمت كلمة ربك الحسنى) المراد بالكلمة وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين وهو ما ذكره بقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وتمامها مضيها وانتهاؤها الى الانجاز لان العدة بالشئ التزام لايقاعه بالعبارة واللسان وتمامها لا يكون الا بوقوع الموعود فى الخارج والعيان (على بنى اسرائيل بما صبروا) اى بسبب صبرهم على الشدائد التى كابدوها من جهة فرعون وقومه (ودمرنا) اى خربنا واهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من العمارات والقصور اى ودمرنا الذى كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون والجملة خبر كان والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذى يصنعه فرعون (وما كانوا يعرشون) اى يرفعون من الجنات اى الكروم والاشجار قال فى زبدة التفاسير العرش سقف فى الكروم والاشجار واشارت الاية الى ان العزيز من اعزه الله والذليل من اذله الله ومن صبر على مقاساة الذل فى الله توجه بتاج العزة وجعل له حسن العاقبة والله تعالى كما وعد لبنى اسرائيل وانجز وعده فاستخلفهم فى مشارق الارض ومغاربها كذلك وعد لهذه الامة كما قال تعالى فى سورة النور وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم والمراد بالارض ارض الكفار من العرب والعجم والمراد بالذين من قبلهم بنو اسرائيل وفى الحديث ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان ملك امتى سيبلغ ما زوى لى منها يقول ان الله تعالى جمع وضم جميع هذه الارض ليلة المعراج او فى غير ذلك الوقت فرأيت جميع آفاق الارض من المشارق والمغارب ثم وعد امته بان الله تعالى يملأ الدنيا كلها عدلا وقسطا كما ملئت قبل ذلك جورا وظلما ويملك

المؤمنين جميع الارض هذا على تقدير حمل اللام فى الارض على الاستغراق وقيل اللام للعهد الخارجى كما اذا قيل اغلق الباب اذا كان مشاهدا ومن للتبيين ولا دليل على جمع جميع الارض ولم يبلغ ملك امته جميع اجزائها فاى موضع من الارض وقع نظره عليه السلام عليه كان دار الاسلام واى مكان كان محجوبا عنه كان دار الكفر والله اعلم بحقيقة الحال ومنه الكرم والنوال واليه الرجوع والمآل (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) فاعل بمعنى فعل يقال جاوز وجاز بمعنى واحد وجاوز الوادى اذا قطعه وجاوز بغيره البحر عبر به فالباء هنا معدية كالهمزة والتشديد فكانه قال وجزنا ببنى اسرائيل البحر اى اجزناهم البحر وجوزنا وبالفارسية وبكذرانيديم بنى اسرائيل را از دريا بسلامت * والمراد بحر القلزم واخطأ من قال انه نيل مصر قال فى القاموس القلزم كقنفذ بلد بين مصر ومكة قرب جبل الطور واليه يضاف بحر القلزم لانه على طرفه او لانه يبتلع من ركبه لان القلزمة الابتلاع روى انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء فصاموا شكرا لله تعالى (فأتوا) اى مروا (على قوم) كانوا من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم وقيل كانوا من لخم وهو حى من اليمن ومنهم كانت ملوك العرب فى الجاهلية وعن الزمخشرى انه قبيلة بمصر (يعكفون على اصنام لهم) اى يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال فى تاج المصادر العكوف * كرد چيزى در آمدن ودر جايى مقيم شدن يقال عكفه حبسه وعكف عليه اقبل عليه مواظبا (قالوا) عندما شاهدوا احوالهم (ياموسى اجعل لنا الها) مثالا نعبده (كما لهم آلهة) يعبدونها والكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذى استقر هو لهم فالعائد محذوف وكانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شأن العجل (قال انكم قوم تجهلون) وصفهم بالجهل المطلق حيث لم يذكر المفعول لبعد ما صدر عنهم عن العقل بعد ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى (ان هؤلاء) يعنى القوم الذين يعبدون تلك التماثيل (متبر) اسم مفعول من باب التفعيل يقال تبره تتبيرا اى كسره واهلكه والمعنى مكسر ومهلك (ماهم فيه) اى من الدين الباطل يعنى ان الله تعالى يهدم دينهم الذى هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا اى فتاتا وقوله ماهم فيه مبتدأ ومتبر خبر له ويجوز ان يكون ماهم فيه فاعل متبر لاعتماده على المسند اليه (وباطل) اى مضمحل بالكلية (ما كانوا يعملون) من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض (قال) موسى (أغير الله) اغير المستحق للعبادة (ابغيكم) بحذف اللام اى ابغى لكم اى اطلب لكم (الها) تمييز من غيرا وحال فانه مفعول ابغى والهمزة فيه للانكار والمنكر هو كون المبغى غيره تعالى (وهو فضلكم على العالمين) اى والحال انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وهى الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة فانها لم يحصل مثلها لاحد من العالمين قال الحدادى على عالمى زمانكم من القبط وغيرهم بعدما كنتم مستعبدين اذلاء وفيه تنبيه على سوء معاملتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا الى اخس شئ من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكا له تعالى (قال الحافظ) همايى چون تو عالى قدر حرص استخوان حيفست * دريغا سايهء همت كه برنا اهل افكندى * فتبا لمن لا يعرف قدره ويعلق همته بما لا ينبغى له * خلق را نيست سيرت پدران * همه بر سيرت زمانه روند * ثم ذكر نعمة الانجاء وما يتبعه فقال تعالى (واذ انجيناكم من آل فرعون) اى واذكروا يا بنى اسرائيل صنيعة الله تعالى معكم فى وقت انجائكم وتخليصكم من ايدى آل فرعون باهلاكهم بالكلية ثم استأنف ببيان ما انجاهم منه فقال (يسومونكم سوء العذاب) اى يبغونكم اشد العذاب وافظعه من سام السلعة اذا طلبها ثم ابدل منه وبين فقال (يقتلون ابناءكم) اى يذبحونهم (ويستحيون نساءكم) اى يستبقونهن للاستخدام (وفى ذلكم) اى الانجاء او سوء العذاب (بلاء) اى نعمة او محنة فان البلاء يطلق على كل واحد منهما قال تعالى ونبلوناهم بالحسنات والسيئات (من ربكم) من مالك اموركم فان النعمة والنقمة كلتيهما منه سبحانه وتعالى (عظيم) لا يقادر قدره تقدم الكلام على الانجاء وفضيلة عاشوراء فى سورة البقرة فليطالع ثمة والاشارة ان بنى اسرائيل صفات القلب كانت معذبة فى مصر القالب وصفاتها فلما خلصها الله تعالى من بحر الدنيا وفرعون النفس فأتوا على قوم اى وصلوا الى صفات الروح يعكفون على اصنام لهم من المعانى المعقولة والمعارف الروحانية فاستحسنوها وارادوا العكوف على عتبة عالم الارواح قالوا لموسى الوارد الربانى الذى جاوز بهم بحر الدنيا

ياموسى

ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة يشير الى انه لولا ان فضل الله ورحمته على العبد يثبته على قدم العبودية وصدق الطلب الى ان يبلغه الى المقصد الاعلى لكان العبد يركن الى كل شئ من خسائس الدنيا فضلا عن نفائس العقبى كقوله تعالى لسيد البشر عليه السلام ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا قال لهم موسى الوارد الربانى عند ركونهم الى الروحانيات انكم قوم تجهلون قدر الله وعنايته معكم ان هؤلاء يعنى صفات الروح متبر ما هم فيه من الركون والعكوف على استجلاء المعانى المعقولة والمعارف الروحانية وباطل ما كانوا يعملون فى غير طلب الحق والوصول الى المعارف الربانية قال اغير الله ابغيكم الها اى اتركم متنزلا غير الوصول والوصال وهو فضلكم على العالمين من الحيوانات والجن والملك تفضيل العبور من الجسمانيات والروحانيات والوصول الى المعارف والحقائق الالهيات واذ انجيناكم من آل فرعون يعنى من النفس وصفاتها يسومونكم سوء العذاب اى سوء عذاب البعدية تقتلون ابناءكم اى يبطلون اعمالكم الصالحة التى هى متولدات من صفات القلب بآفة الرياء والعجب النفسانى ويستحيون نساءكم يعنى صفات القلب لاستخدام النفس وصفاتها وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم يعنى فيكان فى استخدام صفات القلب للنفس وصفاتها بان تعمل الصالحات رياء وسمعة لجلب المنافع الدنيوية لحظوظ النفس بلاء عظيم من ربكم فخلصكم منه لئلا تطلبوا غيره ولا تعبدوا سواه فلا تركنوا الى الروحانية والى المعقولات لكى تظفروا بمراتب الوصول ودرجات الوصال كذا فى التأويلات النجمية وعن بعض الكبار اول وصال العبد الحق هجرانه لنفسه واول هجران الحق العبد مواصلته لنفسه واول درجات القرب محو شواهد النفس واثبات شواهد الحق ومن طلب الدلالة فانها الاغاية لها ومن طلب الله عز وجل وجده باول خطوة يقصده بها (قال الحافظ) غرض زمسجد وميخانه ام وصال شماست * جز اين خيال ندارم خدا كواه منست * قال بعض الصالحين عرضت على الدنيا بزينتها فاعرضت عنها ثم عرضت الاخرى بحورها وقصورها وزينتها فاعرضت عنها فقيل لى لو اقبلت على الاولى حجبناك عن الاخرى ولو اقبلت على الاخرى حجبناك عنا فها نحن لك وقسمتك فى الدارين تأتيك وقال احمد بن خضرويه رأيت رب العزة فى المنام فقال لى يا احمد كل الناس يطلبون منى الا ابا يزيد فانه يطلبنى وقال ابراهيم بن ادهم رأيت جبريل عليه السلام فى المنام وبيده قرطاس فقلت ما تصنع به قال اكتب اسماء المحبين فقلت اكتب تحتهم محب المحبين ابراهيم بن ادهم فنودى يا جبريل اكتبه فى اولهم (وواعدنا) الوعد عبارة عن الاخبار بايصال المنفعة قبل وقوعها (موسى) اسم اعجمى لا اشتقاق فيه واما موسى الحديد فهو مفعل من اوسيت رأسه اذا حلقته او فعلى من ماس يميس اذا تبختر فى مشيه فسميت موسى لكثرة اضطرابها وتحركها وقت الحلق (ثلاثين ليلة) سى شبانه روز چون مدار حساب شهور عرب برؤيه هلالست وآن بشب مرئى ميشود تاريخ را بشب مقيد كرد وثلاثين مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اى تمام او مكث ثلاثين قال ابن الشيخ الموعود يجب ان يكون من فعل الواعد ونفس الثلاثين ليس كذلك فكانه قيل وواعدنا موسى ما يتعلق بثلاثين ليلة وهو منا انزال عند اتمام صوم الثلاثين ومن موسى صوم تلك المدة واتيان الطور انتهى بتغيير عبارته فواعدنا ليس بمعنى وعدنا بل على بابه بناء على تنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد (واتممناها بعشر) اى زدنا على تلك الثلاثين عشر ليال (فتم ميقات ربه) ما وقت له فى الوقت ضرب له والفرق بين الميقات والوقت ان الميقات وقت تقدر لان يقع فيه عمل من الاعمال وان الوقت ما يقع فيه شئ سواء قدره مقدر لان يقع فيه ذلك الشئ ام لا (اربعين ليلة) حال من قوله ميقات ربه اى تم بالغا هذا العدد وقيل هو مفعول تم لانه بمعنى بلغ روى ان موسى عليه السلام وعد بنى اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو ذو القعدة تمامه ليكلمه ويوحى اليه ويكرمه بما يتم به امر نبوته فصامهن موسى عليه السلام على طريق المواصلة بين ليلهن ونهارهن وانما لم يجع فى تلك المدة وصبر ولم يصبر نصف يوم فى سفر الخضر حيث قال آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لان سفر الخضر سفر التأديب والامتحان والابتلاء فزاد البلاء على الابتلاء حتى جاع فى نصف يوم فى صحبة المخلوق وحضوره الجبل وسفره اليه سفر اللقاء وصحبة الحق فانساه هيبة الموقف الطعام والشراب واغناه عن غيره ثم لما اتم الثلاثين وانسلخ الشهر انكر خلوف فيه اى كره ان يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم فتسوك بعود خرنوب وتناول شيأ من نبات الارض فمضغه

فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رآيحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله تعالى اليه اما علمت ان ريح فم الصائم اطيب عندى من ريح المسك ولذا كره التسوك عند الشافعى فى آخر نهار الصوم بناء على ان السواك يزيل الخلوف فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام من ذى الحجة ليعود فوه الى ما كان عليه فصام فتشرف بالوحى والتكليم يوم النحر كذا قال اهل التفسير وفيه ان الوحى والتكليم اذا كان يوم النحر يلزم ان لا يكون ايام الصوم اربعين كملا وهو مخالف للنص اللهم الا ان تعتبر الليالى او كان صوم يوم النحر مشروعا فى شريعته هكذا لاح بالبال ثم ان موسى عليه السلام لما اراد الانطلاق الى الجبل للمناجاة امره الله تعالى ان يختار سبعين رجلا من قومه من ذوى الحجى والعقل ليشهدوا له على ما يشاهدونه من كرامة الله تعالى اياه ففعل واستخلف هرون اخاه فى قومه كما قال تعالى (وقال موسى لاخيه هرون) قبل انطلاقه الى الجبل الذى امر بالعبادة فيه كما فى تفسير الحدادى وهرون عطف بيان (اخلفنى) كن خليفتى وقم مقامى (فى قومى) وراقبهم فيما يأتون ويذرون (واصلح) ما يحتاج الى الاصلاح من امورهم وسر فيهم السيرة الصالحة التى لا فساد فيها وثبتهم على ما اخلفهم عليه من الايمان واخلاص العبادة (ولا تتبع سبيل المفسدين) اى ولا تتبع من سألك الافساد ولا تطع من دعاك اليه وذلك ان موسى عليه السلام كان يشاهد كثرة خلافهم حالا بعد حال فاوصاه فى امرهم فان قيل ان هرون كان شريك موسى فى النبوة قال تعالى خبرا عن موسى واشركه فى امرى فكيف استخلفه قلنا المأموران بشئ لا ينفرد احدهما بفعله الا بامر صاحبه فلذلك قال اخلفنى ولان موسى كان اصلا فيها وهرون معينا له قال موسى فارسله معى ردأ يصدقنى ولهذا كان هو المناجى على الخصوص والمعطى للالواح ولما امر بالذهاب الى فرعون سأل الله ان يشرك معه هرون ولما ذهب الى الطور للمناجاة خلفه فى قومه واستخلفه وهو موضع الاعتراض فى الظاهر ولكن لا اعتراض على الاكابر لان حركاتهم الظاهرة انما تنبعث من دواعى قلوبهم وتلك الدواعى الهامات واردة من الله تعالى لا صنع لهم فيها فمن عرف دورانهم بامر الالهى هان عليه التطبيق والتوفيق وسقط عنه الاعتراض على اصحاب التحقيق مع ان درجات الانبياء متفاضلة كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمن منع الرؤية عن موسى منع المناجاة عن هرون وكون هرون شريكه فى الامر الظاهر لا يقتضى ان يكون رديفه فى الامر الباطن فان لكل مقام رجالا * رموز مصلحت ملك خسروان دانند * كداى كوشه نشينى تو حافظا مخروش * انظر ان موسى عليه السلام استخلف هرون واعتمد عليه فى حفظ قومه فعبدوا العجل فى العشر الذى زيد على الثلاثين ورسولنا صلى الله عليه وسلم قال الله خليفتى على امتى فثبتهم الله على الحق واعلم ان ذا القعدة وذا الحجة من الاشهر الحرم ويكفى شرفا لهما ان الله تعالى امر موسى بصومها وجعلهما محل قبول الحاجات وميقات المناجاة وفى الحديث صيام يوم من الاشهر الحرم يعدل شهرا وصيام يوم من غير الاشهر الحرم يعدل عشرا وفى الحديث من صام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له عبادة تسعمائة سنة وقال كعب الاحبار اختار الله الزمان فاحبه اليه الاشهر الحرم وذو القعدة من الاشهر الحرم بغير خلاف وسمى ذا القعدة لقعودهم فيه عن القتال احتراما له فعلى السالك ان يتهيأ فيه لمناجاة ربه بالصوم الظاهرى والامساك الباطنى فان موسى روحه متعطش لزوال الوصال ومتطلب لرؤية الجمال والاشارة فى الآية ان الميعاد فى الحقيقة كان اربعين ليلة وانما اظهر الوعد ثلاثين ليلة لضعف البشرية ولئلا تستكثر النفس الاربعين وتسول له بان لا يتقوى على ذلك فيداخله خوف البشرية فواعده ثلاثين ليلة ثم اتمها بالعشر وفيه ان للاربعين خصوصية فى استحقاق استماع الكلام للانبياء كما ان لها اختصاصا فى ظهور ينابيع الحكمة من قلوب الاولياء كقوله عليه السلام من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه قال اهل العرفان ان سر التربيع جارى فى الحقائق الكلية كتربيع العرش الاعظم والعناصر الاربعة والاركان الاربعة والاربعين الموسوية وكان بين خلق آدم ونفخ روحه اربع جمع من جمع الآخرة فاكمل الاشكال تأثيرا صورة التربيع فى الاحاد والاعشار والمئات والالوف كما اشار صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربعمائة (ولما جاء موسى لميقاتنا) اى لوقتنا الذى وقتناه وعيناه وحددناه له وهو تمام الاربعين اى اختص مجيئه بميقاتنا كما فى قولك اتيته لعشر خلون من الشهر فاللام للاختصاص وليست بمعنى عند والميقات بمعنى الوقت وقد سبق الفرق بينهما فى المجالس

المتقدم ان قيل لم وعده الله بالكلام فى الجبل وفوق العلى وتحت الثرى واحد عند حضرته وهو منزه عن الجهات قيل ان فى الجبل وصف الثبات والعلو والتفرد لان الارض ما استقرت بغير الجبال فاثبتها الحق بها واوتدها حكمة منه وعرض الامانة عليها لاتصافها بصفة التثبت والتمكن والتفرد والتعلى ولذلك فضل الجبال فى الامكنة وشرفها بمشهد الكلام وتعلق تجلى الجمال وعرض الامانة عليها وشرح الصدر المحمدى فيها ومناجاة موسى عليها فبدا من ذلك ان فى المقامات فاضلا ومفضولا قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى البروسوى خير الجماعة جماعة الارواح وجماعتهم فى الجبال والمواضع الخالية وعلامة مجمعهم انه لا يذهب خضرة ذلك الموضع ونضارته فى الصيف والشتاء قال ونحن انما جئنا الى هذا المكان فى هذا الجبل بناء على مجيئهم يقول الفقير عنى به موضع زاويته المنيفة فى مدينة بروسه فى سفح الجبل المعروف هنالك وقد زرته وزرت مرقده العالى فى داخل القلعة قدس الله سره وقال وهب جاء الى طور سيناء ومعه جبريل فتطهر وطهر ثوبه وانزل الله الظلمة على سبعة فراسخ وطرد عنه الشيطان وطرد عنه هوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما فى الهواء ورأى العرش بارزا وسمع صرير القلم (وكلمه ربه) من غير واسطة وكيفية كما يكلم الملائكة وكان جبريل معه فلم يسمع ما كلمه ربه ولذا خص باسم الكليم لاختصاصه بذلك من بين البشر فان سائر الانبياء عليهم السلام انما يكلمهم الله بواسطة الكتاب والملك فان قيل باى شئ علم موسى انه كلام الله قيل لم ينقطع كلامه بالنفس مع الحق كما ينقطع مع المخلوق بل كلمه بمدد وحدانى غير منقطع شاهد نفسه بمنزلة الآلة عند الصانع والالة يحركها الاستاذ كيف يشاء لانه ليس للالة تصنع وتعمل وقيل علم انه كلام الحق وميزه عن غيره لانه سمع الكلام من الجوانب الستة فصارت جميع جوارحه كسمعه فصار الوجود كله سمعا فوجد لذة الكلام بوجوده كما وجده بسمعه قال ابن الشيخ فى حواشيه كلامه تعالى صفة ازلية قائمة بذاته ليست من جنس هذه الحروف والاصوات وكما لا تبعد رؤيته تعالى مع ان ذاته ليست جسما ولا عرضا فكذلك لا يبعد سماع كلامه مع كونه ليس من جنس الحرف والصوت انتهى وفى حل الرموز المؤمن فى الاخرة وجه محض وعين محض وسمع محض ينظر من كل جهة وبكل جهة وعلى كل جهة وكذا يسمع بكل عضو من كل جهة بغير جهة خاصة واذا شاهد الحق يشهده بكل وجه ليس فيه من الجهات ولا يحتجب سمعه وبصره بالجهات كما اشار سبحانه بقوله كنت سمعه وبصره والكامل الواصل له حكم الاخرة فى الدنيا كما قال سيد الواصلين موتوا قبل ان تموتوا وحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا انتهى يقول الفقير هذا ليس محل الجرح والانكار لان الله تعالى وان خلق حاسة السمع لادراك الاصوات لكن يجوز ان يدرك بحاسة ما يدرك بحاسة اخرى كما ذهب اليه علماء الكلام لان ذلك الادراك بمحض خلق الله تعالى من غير تأثير للحواس فلا يمتنع ان يخلق عقيب صرف الباصرة ادراك الاصوات مثلا فثبت ان كل عضو من الاعضاء الانسانية يجوز ان يخلق الله تعالى فيه ما خلق فى السمع من ادراك الاصوات ان قيل لم لم يكلم الله سائر الانبياء مشافهة الا موسى قيل لانه لم يكن لهم من الاعداء ما لموسى كفرعون وهامان وقارون واليهود ولم يكن قوم اسوء ادبا واقسى قلبا من قومه فخصه الله بكلامه الا ترى سحرة القبط آمنوا فى اول دعوته وكفر قوم من اليهود بعد مشاهدتهم معجزات كثيرة فايده الله بكلامه ليتحمل به ما امتحن به من البلايا فى قومه يقول الفقير كون عدو موسى اقوى واشد انما هو بالنسبة الى اعداء الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم فانه قد ثبت ان فرعون آمن عند الغرق واما ابو جهل فلا بل اظهر العداوة عند النزع فاعتبر منه قوة حاله وعلو مقامه صلى الله عليه وسلم فى المكالمة والرؤية ليلة المعراج وفى الحديث ناجى موسى ربه بمائة الف واربعين الف كلمة فى ثلاثة ايام وصايا كلها كذا فى الوسيط وقال بعضهم كلم الله موسى اربعين يوما وليلة وهذا والله اعلم غير الاربعين المتقدمة على الوحى والتعليم وعن فضيل بن عياض قال حدثنى بعض اشياخى ان ابليس جاء الى موسى وهو يناجى ربه فقال الملك ويلك ما ترجو منه وهو على هذه الحال يناجى ربه قال ارجو منه ما رجوت من ابيه آدم وهو فى الجنة وكذا قال السدى لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس فى الارض حتى خرج من بين يدى موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان يقول الفقير يرده ما سبق من ان الشيطان طرد عنه وقتئذ وهو الصحيح لان المقام لا يسع الشيطان وانما سلطانه على اهل الملك دون ارباب الملكوت وفرق بينه وهو مناجى فى الطور وبين آدم وهو معاشر فى الجنة فان قلت قوله تعالى فى سورة الحج وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى

الشيطان فى امنيته يدل على ان كل نبى مبتلى بذلك خصوصا وقت التلاوة وهى من انواع المناجاة قلت فرق بين التلاوة الظاهرة والمناجاة الباطنة الاترى الى قوله عليه السلام لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل فاظنك بالشيطان المردود الى اسفل سافلين البعد هكذا لاح ببالى والله اعلم ولما سمع موسى كلام ربه غلب عليه الشوق الى رؤيته وقال هذه لذة الخبر فكيف لذة النظر مع ان الكل يعمل على شاكلته وشاكلة البشر وفطرته على طلب العلو والترقى اذا ظفر بشئ طلب ما هو اعلى منه ولا اعلى من تجلى الجمال وفيض الوصال فسأل الرؤية (وفى التفسير الفارسى) چون موسى كلام حق شنيد واز جام كلام ربانى جرعهٔ ذوق محبت چشيد فراموش كرد كه او در دنياست خيال بست كه در فردوس اعلاست وچون جنت جاى مشاهدهٔ لقاست (قال رب ارنى) ذاتك اى مكننى من رؤيتك (انظر اليك) واراك فالنظر بمعنى الرؤية الا ان المطلوب بقوله ارنى ليس ان يخلق الله تعالى رؤية ذاته المقدسة فى موسى حتى يلزم كون الشئ غاية لنفسه بان يكون المعنى ارنى نفسك حتى اراك لانه فاسد بل المطلوب به ان يمكنه من رؤية ذاته المقدسة وتمكينه تعالى اياه من الرؤية سبب لرؤية موسى اياه تعالى فاطلق عليه اسم الرؤية المسببة عنه مجازا روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال لما قال موسى عليه السلام ارنى انظر اليك كشف الحجاب وابرز له الجبل وقال انظر فنظر فاذا امامه مائة الف نبى واربعة وعشرون الف نبى محرمين ملبين كلهم يقول ارنى ارنى واعلم ان الاجساد تنمو بنماء الاقوات كذلك الاحوال تصفو بصفاء الاوقات فقوت جسدك ما غذيته من الطيبات وقوت روحك ما زينت به من اقوات الطاعات فى اوقات الخلوات وكلما صفت الاوانى جلت ما فيها من جواهر المعانى فاذا كان عين بصيرتك منطمسة وخيول همتك منحبسة فمالك والتطاول الى منازل قوم عيون قلوبهم منبجسة وسرائرهم لانوار معارفهم من جذوة الغيب مقتبسة فلا تدع بما ليس فيك وحسبك ما يعلم الله منك ويكفيك فينبغى لك ان تقف وقوف الاصاغر وتتأدب بآداب الاكابر هذا كليم الله موسى لما كان طفلا فى حجر تربية الحق سبحانه ما تجاوز حده بل قال رب انى لما انزلت الى من خير فقير فلما بلغ مبلغ الرجال ما رضى بطعام الاطفال بل قال رب ارنى انظر اليك وهو حجة اهل السنة والجماعة على جواز رؤية الله تعالى فان موسى اعتقد جوازها حين سألها واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله تعالى كفر ومن جوز ذلك على موسى او على احد من الانبياء فهو كافر كما فى التيسير قال حضرة الشيخ الكبير صدر الدين القنوى فى فك ختم الفص الداوودى من شأن الكمل ان كل ما هو متعذر الحصول لاحد من الخلق هو عندهم وبالنسبة الى كمال قابليتهم غير متعذر ولا يستحيل الى ان يخبرهم الحق باخبار مخصوص خارج من خواص المواد والوسائط فحينئذ يصدقون ربهم ويحكمون باستحالته وحصول ذلك لكمال موسى فى طلب الرؤية على وجه مخصوص فلما اخبر بتعذر ذلك تاب وآمن انتهى (قال) الله تعالى وهو استئناف بيانى (لن ترانى) لم يقل لن تنظر الى كقوله انظر اليك لان المطلوب هى الرؤية التى معها ادراك لا النظر الذى هو عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئى لانه قد يتخلف عنه الادراك فى بعض الصور قال فى التفسير لن ترانى نتوانى ديد مراد دنيا چه حكم ازلى بر آن وجه واقع شده كه هر بشرى كه در دنيا بمن نظر كند بميرد وفى المدارك لن ترانى بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية صاحب كشف الاسرار كويد كه مقام موسى دران ساعت كه خطاب لن ترانى شنيد عالى تر بود ازان وقت كه كفت ارنى زيرا اين ساعت در عين مراد حق بود وآن وقت در عين مراد خود قائم بمراد حق بودن كاملتر است از قيام بمراد خود * لن ترانى ميرسد از طور موسى را جواب * هرچه آن از دوست آيد سر بنه كردن متاب * وهو دليل لنا ايضا لانه لم يقل لن ارى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لاخبر بانه ليس بمرئى اذ الحالة حالة الحاجة الى البيان فهو لا يدل على امتناع رؤيته فى نفس الامر بل يدل على قصور الطالب عن رؤيته لتوقف الرؤية على حصول ما يستعد به الطالب لرؤيته وعدم حصول ذلك المعد فيه بعد فانه يجوز ان يبقى فيه حينئذ شئ من الحجاب المانع لرؤيته اياه لم يرتفع ذلك الحجاب بعد يقول الفقير هذا ما عليه اكثر اهل التفسير وهو ليس بمرضى عندى لان اتيان الطور لم يكن فى اوائل حاله عليه السلام بل كان ذلك نظير المعراج المحمدى بالنسبة الى مرتبته والتحقيق بعيد عن درك اهل التقليد وقد سألت حضرة شيخى العلامة ابقاه الله بالسلامة عن قولهم فى قوله تعالى لن ترانى

اى بشريتك ووجودك فقال ان البشرية تنافى الرؤية وموسى عليه السلام انما سأل الرؤية بالنسبة الى ظاهر البشرية والوجود الكونى وهى لا تمكن ابدا بل لو تعلقت الرؤية بذات الله تعالى لتعلقت حالة الفناء فى الله واضمحلال حال البشرية فقلت يرد عليه ما وقع ليلة المعراج من الرؤية بعين الرأس فقال انه حبيب الله رأى ربه فى تلك الليلة بالسر والروح فى صورة الجسم ولا جسم هنالك لانه تجاوز فى سيره عن عالم الاجسام كلها بل عن عالم الارواح حتى وصل الى عالم الامر فقلت يرد عليه ان الانبياء والاولياء مشتركون فى الرؤية بالبصيرة حالة الفناء الكلى فلا فرق بين موسى ومحمد عليهما السلام فاى فائدة فى قوله لن ترانى وايضا فى عروجه عليه السلام الى ما فوق العرش فان تلك الرؤية انما تحصل فى مقام العينية الجمعية القلبية لا فى مقام الغيرية الفرقية القالبية فقال ان امر الرؤية وان كان محتاجا الى الانسلاخ التام عن الاكوان مطلقا الا ان الانسلاخ بالقلب والقالب مختص بنبينا عليه السلام فان موسى وكذا غيره من الانبياء عليهم السلام انما يرون بالانسلاخ حين كون قوالبهم فى عالم العناصر واما محمد صلى الله عليه وسلم فقد تجاوز عن عالم العناصر ثم عن عالم الطبيعة وذلك بالقلب والقالب جميعا فانى يكون هذا لغيره فافهم جيدا انتهى ما جرى بينى وبين حضرة الشيخ من السؤال والجواب وما تجاوزناه فى المجلس الخاص المفتوح بابه للاحباب لا للاغيار واهل الانكار والارتياب وقد كان ذلك كالقطرة من البحر الزاخر بالنسبة الى ما يحويه قلبه الحاضر قدس الله سره ورزقنى وجميع الاحباب شفاعته قال مرجع طريقنا الجلوتية بالجيم حضرة الشيخ الشهير بافتاده البروسوى كما ان للانسان عينين فى الظاهر كذلك له عينان فى قلبه فاذا انفتحتا يشاهد بهما تجلى الصفات ولهما ايضا حدقتان لكنهما فى غاية اللطافة وانما قلنا يشاهد بهما تجلى الصفات لان تجلى الذات لا يشاهد الا بعين معنوية وراء عين القلب لا حدقة لها لا كما زعمت الملاحدة والعياذ بالله تعالى فان الممكن الحقيقى غير الواجب الحقيقى كيف والسالك الواصل اذا افنى وجوده يصير معدوما والمعدوم لا يحكم عليه بشئ فضلا عن الحلول والاتحاد بل اذا عبر بالاتحاد يراد به التقرب التام على وفق رضاه تعالى كما يراد ذلك فى قولهم فلان متحد مع فلان اذ لا شك انهما شخصان مستقلان حقيقة ومعنى كونه معدوما اذ ذاته بلا شئ ويغيب فى بحر الاستغراق وانوار التجلى بحيث يغيب عن نظره ما سوى الله تعالى حتى ينظر ولا يجد نفسه للتوجه التام الى جنابه والاعراض الكلى عما سوى الله تعالى كمن جعل نظره الى جانب السماء لا ترى له الارض ومن نظر الى المشرق لا يرى له المغرب لا انه يعدم وجوده الخارجى ويضمحل والانبياء عليهم السلام وان تجلى لهم الذات الا ان تعين نبينا فوق الكل حتى ان موسى لما سأل ربه التجلى عن تعين نبينا قال تعالى لن ترانى كذا اوله بعضهم وليس بشئ لانه عالم بمرتبة المصطفى صلى الله عليه وسلم فكيف يطلبها فخطاب موسى لن ترانى لقطع طمع قومه حيث قالوا ارنا الله جهرة لانه اذا خوطب بذلك فهم اولى به فهذا فى الحقيقة ليس بالنسبة الى موسى عليه السلام فانه قد نال سعادة التجلى مرارا واصطفاه برسالته وبكلامه الى هنا كلام افتاده افندى كما فى الواقعات المحمودية وقال الشيخ على دده فى اسئلة الحكم فان قلت ما الحكمة الربانية فى منعه الرؤية فى الموطن الدنيوى قيل لان الرؤية غاية الكرامة فى الدنيا وغاية الكرامة فيها لاكرم الخلق وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود الذى شاهد ربه ليلة المعراج بعينى رأسه على هذا فابحث وقيل لو اعطاه الرؤية بالسؤال لكانت الرؤية مكافأة لسؤاله والرؤية فضل لا مكافأة وهى ربانية لا مدخل للسؤال والتعمل فيها فهى امتنان محض من الله تعالى قال الامام الواحدى كون كلمة لن مفيدة لتأبيد النفى دعوى باطلة على اهل اللغة لا يشهد لصحتها كتاب معتبر ولا نقل صحيح ويدل على فساده قوله تعالى فى صفة اليهود ولن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة ويقولون فيه يا مالك ليقض علينا ربك ويا ليتها كانت القاضية اى الموت فالاخبار بان موسى لا يرى الله لا يدل على انه لا يراه ابدا كما ذهبت اليه المعتزلة (قال المولى الجامى) جهان مرآت حسن شاهد ماست * فشاهد وجهه فى كل ذرات (قال الحافظ) چو مستعد نظر نيستى وصال مجوى * كه جام جم نكند سود وقت بى بصرى (ولكن انظر الى الجبل) اى لا تطلب النظر الى فانك لا تطيقه ولكن اجعل بينى وبينك ما هو اقوى منك وهو الجبل الذى بحضرتك قال الكلبى هو اعظم جبل بمدين يقال له زبير وفى القاموس زبير كامير الجبل الذى كلم الله عليه موسى صلى الله عليه وسلم وقال ابن الجوزى فى مرآة الزمان والاصح انما خوطب موسى على جبل الطور الذى بقرب بحر القلزم

فلما سمعت الجبال تعاظمت رجاء ان يتجلى لها وجعل زبير اوا الطور يتواضع فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينها وخصه بالتجلى كذا فى عقد الدرر واللآلى (وفى المثنوى) اى خنك آنرا كه ذات نفسه * واى آن كز سر كشى شد چون كه او * وقال اهل الاشارة ان موسى عليه السلام لما اراد الخروج الى الميقات جعل بين قومه وبين ربه واسطة بقوله لاخيه هرون اخلفنى فى قومى فلما سأله الرؤية جعل الله بينه وبينها واسطة وهى الجبل فقال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فقال ان لم اصلح لخلافتك دون اخيك فانت لا تصلح لرؤيتى دون الجبل (فان استقر مكانه) اى سكن وثبت (فسوف ترانى) فسوف تطيق ان تنظر الىّ وان لم يستقر مكانه فانك لا تطيق النظر الىّ فان الجبل مع صلابته لما تأثر من التجلى ولم يطق ذلك بل اندك وتفتت وتلاشى فكيف يطيق الانسان الذى يدهش عند مشاهدة الامور الهائلة فكيف عند مشاهدة ذى العظمة والجلال المطلق الذى لا يوصف جلاله وكبرياؤه وهو دليل لنا ايضا لانه علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشئ بما هو ممكن يدل على امكانه كالتعليق بالممتنع يدل على امتناعه الا ترى ان دخول الكفار الجنة لما استحال علقه بمستحيل قال حتى يلج الجمل فى سم الخياط والدليل على انه ممكن قوله جعله دكا ولم يقل اندك وما اوجده تعالى كان جائزا ان لا يوجد لانه مختار فى فعله ولانه تعالى ما ايأسه من ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله انى اعظك ان تكون من الجاهلين حين سأل انجاء ابنه من الغرق (فلما تجلى ربه للجبل) ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره ومعنى ظهور عظمته واقتداره للجبل تعلقها به وظهور آثارها فيه وانما حمل على هذا المعنى لان ظهور ذاته للجماد غير معقول قال فى تفسير العيون كشف نوره من حجبه قدر ما بين الخنصر والابهام اذا جمعتهما اى اذا وضعت الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر وعن سهل ابن سعد الساعدى ان الله اظهر من سبعين الف حجاب نورا قدر الدرهم وفى التفسير الفارسى يعنى ظاهر كردانيد از نور خود يا از نور عرش بمقدار سوفار سوزنى وقال الشيخ ابو منصور معنى التجلى للجبل ما قال الاشعرى انه تعالى خلق فى الجبل حياة وعلما ورؤية حتى رأى ربه وهذا ايضا فيه اثبات كونه مرئيا (جعله دكا) مصدر بمعنى المفعول اى ضيره مدكوكا مفتتا واذا حل بالجبل ما حل مع عظم خلقه فما ظنك بابن آدم الضعيف كما فى تفسير الكواشى قال بعض الكبار جعل الله الجبل فداء لموسى ولولا ان موسى كان مدهوشا لذاب كما ذاب الجبل قالوا عذب اذ ذاك كل ماء وافاق كل مجنون وبرأ كل مريض وزالت الشوك عن الاشجار واخضرت الارض وازهرت وخمدت نيران المجوس وخرت الاصنام لوجوههن وانقطعت اصوات الملائكة وجعل الجبل يتهدم وينهال ويضطرب من تحت موسى حتى اندك كله فصار ذرات فى الهواء وهو الذى يرى اذا دخل الشعاع فى الكوى بتلك الكبرة وفى بعض التفاسير صار لعظمته ستة اجبل وقعت ثلاثة بالمدينة احد وورقان ورضوى وثلاثة بمكة ثور وثبير وحرا وفى تفسير الحدادى فصار ثمانى فرق اربع قطع منه وقعن بمكة ثور وثبير وحرا وغار ثور واربع قطع وقعن بالمدينة احد وورقان ورضوى والمهراس وقال الحسن صار الجبل ثلاث فرق ساخت فرقة منه فى الارض وطارت فرقة فى البحر وطارت فرقة فوقعت بعرفات فهو شاحب مقشعر من مخافة الله تعالى (وفى التفسير الفارسى) عجب سريست كه كوه با آن عظمت تحمل ديدار نداشت ودل انسانرا بحكم ولكن ينظر الى قلوبكم) طاقت آن نظر هست نكته درين آنست كه تجلى بر كوه بنظر وهيبت بود وتجلى بر دل بنظر رحمت آن نظر كوه را ويران ساخت واين نظر دل را معمور سازد * والاشارة ان الجبل صورة الجسم الحجابى والجسم غير مستعد للتجلى ما لم يندك وينحل بالرياضة والفناء وانما التجلى للروح فى مقام القلب والجبل صورة التحيز الكونى والحصر الجسمانى ومشهد التجلى غير متحيز والسر فافهم وعليه فابحث كذا فى اسئلة الحكم (وخر موسى صعقا) اى سقط مغشيا عليه من هول ما رأى من عشية الخميس وهو يوم عرفة الى عشية يوم الجمعة وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقال قتادة ميتا وقول ابن عباس اظهر لان الله تعالى قال فلما افاق ولا يقال للميت افاق من موته ولكن يقال بعث من موته كما قال فى حديث السبعين ثم بعثنا كم من بعد موتكم (وفى المثنوى) جسم خاك از عشق بر افلاك شد * كوه در رقص آمد وچالاك شد * عشق جان طور آمد عاشقا * طور مست وخر موسى صعقا * قال حضرة الشيخ افتاده افندى قدس سره الجبل المذكور وان احترق ظاهره ولكن له وجود معنوى كان ذلك لعلا خالصا بانعكاس التجلى من موسى ولذلك رآه كاللعل وكالمه

وذلك

وذلك الجبل يدخل الجنة وان كان من الدنيا بسبب كونه مظهر التجلى كما ان الكعبة ومسجد المدينة وبيت المقدس تدخل الجنة (فلما افاق) من صعقته قال المولى ابو السعود رحمه الله الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب (قال) تعظيما لما شاهده (سبحانك) اى تنزيها لك من ان اسألك بغير اذن منك (تبت اليك) اى من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن او من السؤال فى الدنيا فانك انما وعدتها فى الآخرة (وانا اول المؤمنين) اى بعظمتك وجلالك او اول من آمن بانك لا ترى فى الدنيا اى كه زيك لمعات كوه بصد پاره شد * چه عجب ار مشت كل عاجز وبيچاره شد * قال وهب بن اسحق لما سأل موسى ربه الرؤية ارسل اليه الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق واحاطت بالجبل الذى عليه موسى اربعة فراسخ من كل جانب وامر الله عز وجل ملائكة السموات ان يعرضوا على موسى فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع افواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد ثم امر الله ملائكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى فهبطوا عليه امثال الاسود ولهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة فى رأسه وجسده ثم قال لقد ندمت على مسألتى فهل ينجينى من مكانى الذى انا فيه شئ فقال له خير الملائكة ورأسهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم امر الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى فهبطوا عليه امثال النسور لهم لجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كجلبة الجيش العظيم الوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد نفسه وأيس من الحياة وقال له خير الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم امر الله ملائكة السماء الرابعة فهبطوا الوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض اصواتهم عالية مرتفعة بالتسبيح والتقديس لا يشبههم شئ من الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وارتعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له رئيس الملائكة اصبر يا ابن عمران لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم امر الله ملائكة السماء الخامسة فهبطوا والوانهم سبعة الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل اصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملائكة يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم امر الله ملائكة السماء السادسة فهبطوا وفى يد كل ملك منهم نار مثل النخلة الطويلة اشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار كلهم يقولون بشدة اصواتهم سبوح قدوس رب العزة ابدا لا يموت فى رأس كل ملك منهم اربعة اوجه فجعل يسبح موسى معهم وهو يبكى ويقول رب اذكرنى ولا تنس عبدك فقال كبير الملائكة يا ابن عمران اصبر لما سألت ثم امر الله ان يحمل عرشه فى السماء السابعة وقال اروه اياه فلما بدا نور العرش انفرج الجبل من عظمة الرب ورفعت ملائكة السموات جميعا اصواتهم يقولون سبحان الله القدوس رب العزة ابدا لا يموت فاندك الجبل وكل شجرة كانت فيه وخر موسى على وجهه ليس معه روح فارسل الله برحمته الروح فتغشاه وقلب الحجر الذى عليه موسى وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى ثم اقامه كما تقيم الام جنينها اذا وضعته فقام موسى يسبح الله تعالى ويقول آمنت بك رب وصدقت انه لا يراك احد فى الدنيا فيحيى من نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما اعظمك واعظم ملائكتك انت رب الارباب وملك الملوك لا يعدلك شئ ولا يقوم لك شئ تبت اليك الحمد لك لا شريك لك قال فى التيسير قد روى فى هذا احاديث فيها ذكر نزول الملائكة والتعنيف على موسى بما سأل ولكن ليس ورودها على وجه يصح ولا يجوز قبولها لانها لا تليق بحال الانبياء انتهى قال بعض المحققين من ارباب المكاشفة ان موسى عليه السلام طلب رؤية ذاته تعالى مع هوية نفسه حيث قال رب ارنى انظر اليك مشيرا الى هويته بصيغة المتكلم فرد الله تعالى بقوله لن ترانى اى مع بقاء هويتك التى تخاطب بها ولكن انظر الى الجبل اى بذاتك وهويتك فان استقر مكانه ولم يكن فانيا فسوف ترانى بهويتك فلما تجلى ربه للجبل اى التى عليه من نوره فاضطرب بدنه من رهبته جعله دكا وخر موسى صعقا وفنى عن هويته فرأى الحق بعين الحق فلما افاق قال سبحانك تبت الآن من مسألة الرؤية مع بقاء الهوية وقال فى التأويلات النجمية ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه يعنى ولما حصل على بساط القرب تتابع عليه كاسات الشراب من صفو الصفات ودارت اقداح المكالمات واثر فيه لذاذات الكلمات فطرب واضطرب اذ سكر من شراب الواردات وتساكر من سماع الملاطفات فى المخاطبات فطال لسان انبساطه عند التمكن على بساطه وعند استيلاء سلطان الشوق وغلبات دواعى المحبة فى الذوق قال رب ارنى انظر اليك قيل هيهات انت فى بعد

الاثنينية منكوب ومحجب جبل الانانية محجوب وانك اذا نظرت بك الى لن ترانى لانه لا يرانى الا من كنت له بصرا فبى يبصر ولكن انظر الى الجبل جبل الانانية فان استقر مكانه عند التجلى فسوف ترانى ببصر انانيتك فلما تجلى ربه للجبل جبل انانيته جعله دكا فانيا كان لم يكن وخر موسى صعقا بلا انانية وكان ما كان بعد ان بان ما بان فاشرقت الارض بنور ربها وجاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا

قد كان ما كان سرا لا ابوح به * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

ولو لم يكن جبل انانية النفس بين موسى الروح وتجلى الرب لطاش فى الحال وما عاش ولولا القلب كان خليفته عند الفناء بالتجلى لما امكنه الافاقة والرجوع الى الوجود فافهم جدا ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استسعد بالتجلى ولا بالتصلى تفهم ان شاء الله تعالى فلما افاق من غشية الانانية بسطوة تجلى الربوبية قال موسى بلا هويته سبحانك تنزيها لك من خلقك واتصال الخلق بك تبت من انانيتى اليك الى هويتك بك وانا اول المؤمنين بانك لا ترى بالانانية ولا ترى الا بنور هويتك بك انتهى وقال القشيرى ولما جاء موسى مجئ المشتاقين ومجئ المغلوبين جاء موسى بلا موسى ولم يبق من موسى لموسى والآف آلاف رجال قطعوا مسافات وتحملوا مخافات فلم يذكرهم احد وهذا موسى خطا خطوات والى يوم القيامه يقرأ الصبيان ولما جاء موسى لميقاتنا باسطه الحق بالكلام فلم يتمالك ان قال رب ارنى انظر اليك فان غلبات الوجد استنطقته بكمال الوصلة من الشهود وقالوا لا يؤاخذ المغلوب بما يقول وقالوا انه لا يشكر ثم يسكر قال واشد الخلق شوقا الى الحبيب اقربهم من الحبيب هذا موسى وقف فى محل المناجاة وحفت به الكرامات وكلمه بلا واسطة ولا جهات قال رب ارنى انظر اليك كانه غائب هو شاهد لكن ما ازداد القوم شربا الا ازدادوا عطشا ولا ازدادوا قربا الا ازدادوا شوقا وقال سأل موسى الرؤية بالكلام فاجيب لن ترانى بالكلام واسر المصطفى فى قلبه ما كان يرجوه من تحويل القبلة من ربه فقيل له قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها وقال انه سأل الله الرؤية فقال لن ترانى وقال للخضر هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا فصار جوابه لن من الحق ومن الخلق ليبقى موسى بلا موسى ويصفو موسى عن كل نصيب لموسى بموسى وانشد فى معناه فقيل

أبى ابينا نحن اهل منازل * ابدا غراب البين فينا يزعق

والبلاء الذى ورد عليه بقوله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا اشد من قوله لن ترانى لانه صريح فى الرؤية وفى اليأس راحة وقوله فان استقر مكانه فسوف ترانى هذا اطماع فيما يمنعه فلما اشتد توقعه جعل الجبل دكا وكان قادرا على امساك الجبل لكنه قهر الاحباب وبه سبق الكتاب وفى قوله انظر الى الجبل بلاء شديد لموسى لانه منع عن رؤية مقصوده وامر برؤية غيره ولو امر بان يغمض عينيه لا ينظر الى شئ بعده لكان الامر اسهل عليه ولكنه قيل له لن ترانى ولكن انظر الى الجبل ثم اشد من ذلك ان الجبل اعطى التجلى ثم امر موسى عليه السلام بالنظر الى الجبل الذى قدم عليه فى هذا السؤال وهذا صعب شديد ولكن موسى رضى به وانقاد لحكمه وفى معناه انشدوا

اريد وصاله ويريد هجرى * فاترك ما اريد لما يريد

وقيل بل هو اطف به حيث لم يصرح برده بل علله عونا له على صبره وقيل قد دنا اصبر قليلا قليلا ولما منع النظر رجع الى رأس الامر فقال تبت اليك ان لم تكن الرؤية التى هى غاية الرتبة من رأس الامر وهو التوبة ثم هذا اناخة لعقوق العبودية وشرطها ان لا تبرح عن محل الخدمة ان حال بينك وبينى وجود القربة لان القربة حظ نفسك والخدمة حق ربك ولان تكون بحق ربك اتم من ان تكون بحظ نفسك كذا فى تفسير التيسير نقلا عن القشيرى ذكر بعضهم ان رؤية الله تعالى ممكنة فى الدنيا قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى الرؤية فى الآخرة موعودة واما فى الدنيا وان كانت فى حيز الامكان لكنها غير موعودة ولم تجر عادة الله عليها انتهى وقد ذكرنا موانع الرؤية فى سورة البقرة وانواع الرؤية فى سورة الانعام وفى الواقعات المحمودية سأل بعض الكبار من العلماء وقال الذى لا زمان له ولا مكان فى اى مكان والادب فى السؤال ان يقال للمنزه ذاته عن الزمان والمكان باى وجه يطلب وباى طريق يوجد ويوصل اليه وكذا الادب فى الجواب ان يقال من اراد رؤية جماله فلينظر فى قلوب اوليائه فان قلوبهم مظاهر ومرايا لجماله واعلم ان المعتزلة انكروا رؤية الله تعالى حتى قال

صاحب

صاحب الكشاف تشنيعا وتقبيحا وتضليلا لاهل السنة والجماعة ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهما بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمرى مؤكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

(قال بعضهم جوابا عنهم)

عجبا لقوم ظالمين تلقبوا * بالعدل ما فيهم لعمرى معرفه
قد جاءهم من حيث لا يدرونه * تعطيل ذات الله مع نفى الصفه

(وقال المولى ابراهيم الاروسقى)

رضينا كتاب الله للفصل بيننا * وقول رسول الله اوضح فاصل
وتحريف آيات الكتاب ضلالة * وليس بعدل رد نص الدلائل
وتضليل اصحاب الرسول وذمهم * وتصويب آراء النظام وواصل
ولو كان تكذيب الرسول عدالة * فاعدل خلق الله عاص بن وائل
فلولا لجار الله من فرقة الهوى * لكنت جديرا باجتماع الفضائل

(قال) الله تعالى لموسى حين قال تبت اليك وانا اول المؤمنين (يا موسى) ان منعتك الرؤية لاصلاح حالك وبقاء ذاتك فلا تكن مغموما محزونا لذلك (انى اصطفيتك) اى اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك (على الناس) اى الموجودين فى زمانك وهرون وان كان نبيا واكبر منه سنا كان مأمورا باتباعه وما كان كليما ولا صاحب شرع او على الناس جميعا لان الرسالة مع الكلام ولم يحصل هذا المجموع لغيره وانما قال على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد سمعوا كلامه تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى عليه السلام (برسالاتى) جمع الرسالة وهى فى الاصل مصدر بمعنى الارسال والمراد به هنا الشئ المرسل به الى الغير وهو اسفار التوراة جمع سفر بمعنى الكتاب يقال سفره اذا كتبه والواح التوراة اسفار من حيث انها كتب فيها التوراة (وبكلامى) اى وبتكليمى اياك بلا واسطة وقيل المضاف محذوف اى وسماع كلامى وهذا يرد قول من يقول ان السبعين الذين اختارهم موسى سمعوا كلام الله تعالى لان فى الاية بيان الاصطفاء وهو تنصيص على التخصيص واعلم ان كل نبى قد اصطفاه الله على الخلق بنوع او نوعين او انواع من الكمال عند خلقته وركب فى ذرة طينته استعداده لظهور ذلك النوع من الكمال حين خمر طينة آدم بيده فاصطفى موسى بالرسالة والمكالمة دون نوح وكمال الرؤية مخصوص بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامته حتى استدعى موسى لنيل مقام رؤية ربه فقال اللهم اجعلنى من اصحابه روى انه لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام يوم الطور كان على موسى جبة من صوف مخللة بالعيدان محزوم وسطه بشريط ليف وهو قائم على الجبل وقد اسند ظهره الى صخرة من الجبل فقال الله يا موسى انى قد اقمتك مقاما لم يقمه احد قبلك ولا يقومه احد بعدك وقربتك نجيا فقال موسى عليه السلام يا رب فلم اقمتنى هذا المقام قال لتواضعك يا موسى فلما سمع موسى لذاذة الكلام من ربه نادى الهى اقريب فاناجيك ام بعيد فاناديك قال يا موسى انا جليس من ذكرنى وكان موسى عليه السلام بعدما كلمه الله تعالى لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشى وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وروى ان امرأته قالت له انا ايم منك اى كانى بلا زوج منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها ساعة وقالت ادع الله ان يجعلنى زوجتك فى الجنة قال ذاك ان لم تتزوجى بعدى فان المرأة لآخر ازواجها وقيل ان الرجل اذا ابتكر بالمرأة تزوجها فى الجنة وقيل انها تكون لاحسن ازواجها خلقا ومن خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم تحريم ازواجه اللاتى توفى عنهن على غيره ابدا (فخذ ما آتيتك) اى اعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وكن من الشاكرين) على النعمة فيه وفى التأويلات النجمية فخذ ما آتيتك يعنى ما ركبت فيك استعداده واصطفيتك به من الرسالة والمكالمة وكن من الشاكرين فان الشكر يبلغك الى ما سألت من الرؤية لان الشكر يستدعى الزيادة لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم والزيادة هى الرؤية لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة

وقال عليه السلام الزيادة هى الرؤية والحسنى هى الجنة (وكتبنا) ونوشتيم مايعنى قلم اعلى رافرموديم كه كتابت
كرديا جبريل را كفتيم كه بقلم ذكر امداد نهر النور نوشت (له) براى موسى (فى الالواح) اى فى تسعة الواح من
الزمرد الاخضر وهو الاصح وفيها التوراة كنقش الخاتم طول كل لوح عشرة اذرع وفى القاموس اللوح
كل صفيحة عريضة خشبا اوعظما جمعه الواح روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر
(من كل شئ) مما يحتاجون اليه من امور دينهم (موعظة وتفصيلا لكل شئ) بدل من الجار والمجرور لانه فى محل
النصب على انه مفعول كتبنا ومن مزيدة لاتبعيضية اى كتبناله كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام
قال مقاتل كتب فى الالواح انى انا الله الرحمن الرحيم لاتشركوابى شيأ ولاتقطعوا السبيل ولاتزنوا ولاتعقوا
الوالدين (فخذها) على اضمار القول عطفا على كتبنا اى فقلنا خذها اى الالواح (بقوة) بجد وعزيمة
(وأمر قومك) اى على طريق الندب والحث على اختيار الافضل (يأخذوا) اى ليأخذوا (باحسنها) الباء
زآئدة فى المفعول به الاحسن العزآئم والحسن الرخص يعنى ليعلموا ان ماهو عزيمة يكون ثوابه اكثر كالجمع بين
الفرآئض والنوافل والصبر بالاضافة الى الانتصار وغير ذلك قال قطرب اى بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى
ولذكر الله اكبر (سأريكم) يابنى اسرآئيل (دار الفاسقين) دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها ومنازل
عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلاتفسقوا بمخالفة ماامرتم به من العمل باحكام التوراة اوارض مصر وارض
الجبابرة والعمالقة بالشام ومعنى الارآءة الادخال بطريق الايراث فعلى الاول يكون وعيدا وترهيبا وعلى
الثانى وعدا وترغيبا وفى الاية اشارة الى ان طالب الآخرة كان احسن من طالب الدنيا كذلك طالب الله احسن
من طالب الآخرة فعلى العاشق ان يختار الاحسن وقوله سأريكم دار الفاسقين يعنى الخارجين من طالب الآخرة
فدارهم الجنة ودار الخارجين من طالب الآخرة الى طلب الله فى مقعد صدق عند مليك مقتدر (قال الحافظ)
سايه طوبى ودلجوبى حور ولب حوض * بهواى سر كوى تو برفت از يادم * نيست بر لوح دلم جز الف قامت
دوست * چه كنم حرف دكر ياد نداد استادم (ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض) المراد بالايات
ما كتب فى الواح التوراة من المواعظ والاحكام وغيرها من الآيات التكوينية التى من جملتها ماوعد ارآءته من
دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لايكادون يتفكرون فيها ولايعتبرون بها لاصرارهم
على ماهم عليه من التكبر والتجبر والمعنى سأطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبرآء ويرون لهم على الخلق
مزية وفضلا فلا ينتفعون بآياتى التنزيلية والتكوينية المنصوبة فى الانفس والافاق ولايغتنمون بمغانم آثارها
فلاتسلكوا يابنى اسرآئيل مسلكهم فتكونوا امثالهم (بغير الحق) صلة للتكبر اى يتكبرون بما ليس بحق
وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط قال ابن الشيخ لما كان التكبر مؤديا الى الحرمان عن الانتفاع بالآيات المذكورة
وتضييعها كان المقصود من الاية تحذير بنى اسرآئيل عن التكبر المفضى الى ان يصرفهم الله عن التفكر
فى الآيات والاهتدآء بها حتى يأخذوا احكام التوراة بجد ورغبة انتهى فالاية متصلة بقصة بنى اسرآئيل
ويحتمل ان تكون كلاما معترضا خلال قصتهم اخبر به رسول الله انه حرم المتكبرين من امته فهم معانى القرءآن
والتدبر فيها كما قيل ابى الله تعالى ان يكرم قلوب الظالمين بتمكينهم من فهم حكمة القرءآن والاطلاع على عجائبه
(ع) حيف نيست چنين كنج در ان ويرانه (وان يروا) يشاهدوا (كل آية) من الآيات كانت معجزة (لايؤمنوا بها)
اى كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هى (وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا) اى لايتوجهون
الى الحق ولايسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ (وان يروا سبيل
الغى يتخذوه سبيلا) اى يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لايكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوآئهم الباطلة
وافضائه بهم الى شهواتهم (ذلك) اشارة الى ماذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشئ من الآيات واعراضهم عن
سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل الغى (بانهم) اى حاصل بسبب انهم (كذبوا بآياتنا) الدالة على بطلان
مااتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها وهى الآيات المنزلة والمعجزة (وكانوا عنها غافلين) لايتفكرون
فيها والالما فعلوا مافعلوا من الاباطيل فالمراد بالغفلة عنها عدم التفكر والتدبر فيها عبر عن عدم تدبر الآيات
بالغفلة عنها تشبيها للمعرض عن الشئ بمن غفل عنه (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة) من اضافة المصدر الى
مفعوله والفاعل محذوف اى ولقائهم الدار الآخرة (حبطت اعمالهم) اى ظهر بطلان اعمالهم التى كانوا عملوها

من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك فلا ينتفعون بها (هل يجزون) استفهام بمعنى النفى والانكار
يعنى لايجزون (الاما كانوا يعملون) اى الاجزآء ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصى قال فى التأويلات
النجمية يعنى لما حبطت اعمالنا عندهم من بعثة الانبياء وانزال الكتب واظهار المعجزات لتكبرهم عنها جازيناهم
بان حبطت اعمالهم عندنا لكبر يائنا وغنانا عن اهل الشرك وشركهم نظيره قوله تعالى وجزآء سيئة سيئة مثلها
وفى الاية ذم التكبر وانه من اعظم اوصاف البشر حجبا لانه يزيد فى الانانية وما لعن ابليس وطرد الا للتكبر وصف
بعض البلغاء متكبرا فقال كان كسرى حامل غاشيته وقارون وكيل نفقته وبلقيس احدى داياته وكان يوسف
لم ينظر الا بمقلته ولقمان لم ينطق الا بحكمته كأن الخضرآء له عرشت والغبرآء باسمه فرشت (وفى المثنوى)
اين تكبر زهر قاتل دانكه هست * از مى پر زهر شد ان كيج مست * چون مى پر زهر نوشد مدبرى *
از طرب يكدم بجنباند سرى * بعد يكدم زهر برجانش زند * زهر در جانش كند داد و ستد *
كر ندارى زهريش را اعتقاد * كرچه زهر آمد نكر در قوم عاد * چونكه شاهى دست يابد برشهى *
بكشندش يا بازدارد در چهى * ور بيابد خسته افتاده را * مرهمش سازد شه وبدهد عطا *
كه نه زهر است اين تكبر پس چرا * كشت شه را بى كناه وبى خطا * وين دكر را بى زخدمت چون
نواخت * زين دو جنبش زهر را بايد شناخت * نردبان خلق اين ما و منيست * عاقبت زين نردبان
افتاده نيست * هر كه بالاتر رود ابله ترست * كاستخوان او بتر خواهد شكست * اين فروعست
واصولش آن بود * كه ترفع شركت يزدان بود * چون نمردى ونكشتى زنده زو * ياغى باشى
بشركت ملك جو * چون بدو زنده شدى ان خود ويست * وحدت محض است ان شركت
كيست * فعلى العاقل ان يزكى نفسه عن الكبر ويأخذ التواضع فى طريق الحق ويخلص العمل لله تعالى
فان من اخلص فى العمل وان لم ينو ظهرت آثار بركته عليه وعلى عقبه الى يوم القيامة كما قيل انه لما اهبط
آدم عليه السلام الى الارض جاءت وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره فيدعو لكل جنس بما يليق به فجاءت
طائفة من الظباء فدعا لهن ومسح على ظهورهن فظهر فيهن نوافج المسك فلما رأى بواقيها ذلك قالوا من اين هذا
لكن فقلن زرنا صفى الله آدم فدعا لنا ومسح على ظهورنا فمضى البواقى اليه فدعا لهن ومسح على ظهورهن
فلم يظهر لهن من ذلك شئ فقالوا قد فعلنا كما فعلتم فلم نر شيأ مما حصل لكم فقالوا انتم كان عملكم لتنالوا كما نال
اخوانكم واولئك كان عملهم لله من غير شوب فظهر ذلك فى نسلهم وعقبهم الى يوم القيامة فظهر ان الخلق
لايجزون الا ما كانوا يعملون والجزآء لابد وان يكون من جنس العمل نسأل الله تعالى دفع الكسل ورفع الزلل
(واتخذ قوم موسى من بعده) اى من بعد ذهابه الى الطور ومن لابتدآء الغاية (من) للتبعيض (حليهم) جمع
حلى كثدى وثدى وهو ماتزين به من الذهب والفضة واضافة الحلى اليهم مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة
حيث كانوا استعاروها من اربابها حين هموا بالخروج من مصر (عجلا) مفعول اول لقوله اتخذ لانه متعد
الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثانى محذوف اى صيروه الها والعجل ولد البقر وابو العجل الثور والجمع
العجاجيل والانثى عجلة سمى عجلا لاستعجال بنى اسرآئيل عبادته وكانت مدة عبادتهم له اربعين يوما فعوقبوا
فى التيه اربعين سنة فجعل الله تعالى كل سنة فى مقابلة يوم (جسدا) بدل من عجلا اى جثة ذا دم ولحم او جسدا
من ذهب لاروح معه فان الجسد اسم لجسم له لحم ودم ويطلق على جثة لاروح لها (له خوار) اى صوت البقر
وذلك ان موسى كان وعد قومه بالانطلاق الى الجبل ثلاثين يوما فلما تأخر رجوعه قال لهم السامرى رجل
من قرية يقال لها سامرة وكان رجلا مطاعا من قوم موسى انكم اخذتم الحلى من آل فرعون فعاقبكم الله
بتلك الجناية ومنع موسى عنكم فاجمعوا الحلى حتى احرقها لعل الله يرد علينا موسى اوسألوه الها يعبدونه
وقد كان لهم ميل الى عبادة البقر منذ مروا على العمالقة التى كانوا يعبدون تماثيل البقر وذلك بعد عبور النهر
وقد مرت قصته فجعل السامرى الحلى بعد جمعها فى النار وصاغ لهم من ذلك عجلا لانه كان صائغا والقى فى فمه
ترابا من اثر فرس جبريل عليه السلام وكان ذلك الفرس فرس الحياة ماوضع حافره فى موضع الا اخضر وكان
قد اخذ ذلك التراب عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فانقلب ذلك الجسد لحما ودما وظهر فيه خوار وحركة
ومشى فقال السامرى هذا الهكم واله موسى فعبدوه الا اثنى عشر الفا من ستمائة الف وقيل انه جعل ذلك

العجل مجوفا وجعل فى جوفه انابيب على شكل مخصوص وكان وضع ذلك التمثال على مهب الريح فكانت
الريح تدخل فى تلك الانابيب فظهر منه صوت مخصوص يشبه خوار العجل فاوهم بنى اسرآئيل انه حى يخور
فزفنوا حوله اى رقصوا نقل القرطبى عن الطرشوشى انه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان يقرؤن شيأ
من القرءآن ثم ينشد لهم منشد شيأ من الشعر يرقصون ويطربون ويضربون بالدف والشنانير هل الحضور
معهم حلال اولا قال مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم واما الرقص والتواجد فاول من احدثه اصحاب السامرى فلما اتخذوا عجلا جسدا له خوار قاموا
يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل وانما كان يجلس النبى عليه السلام مع اصحابه
كانما على رؤسهم الطير من الوقار فينبغى للسلطان ونوابه ان يمنعهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل
لاحد يؤمن بالله واليوم الاخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك والشافعى وابى حنيفة
واحمد وغيرهم من ائمة المسلمين كذا فى حياة الحيوان قال فى نصاب الاحتساب هل يجوز له الرقص فى السماع
الجواب لا يجوز ذكر فى الذخيرة انه كبيرة ومن اباحه من المشايخ فذلك للذى صارت حركاته كحركات المرتعش
وهل يجوز السماع الجواب ان كان السماع سماع القرءآن او الموعظة يجوز وان كان السماع سماع الغناء
فهو حرام لان التغنى واستماع الغناء حرام ومن اباحه من مشايخ الصوفية فلمن تخلى عن الهوى وتحلى بالتقوى
واحتاج الى ذلك احتياج المريض الى الدوآء وله شرآئط احداها ان لا يكون فيهم امرد والثانية ان لا يكون
جمعيتهم الا من جنسهم ليس فيهم فاسق ولا اهل دنيا ولا امرأة والثالثة ان يكون نية القوال الاخلاص لا اخذ
الاجرة والطعام والرابعة ان لا يجتمعوا لاجل الطعام او نظر الى فتوح والخامسة لا يقومون الا مغلوبين
والسادسة لا يظهرون الوجد الا صادقين قال الشيخ عمر بن الفارض فى القصيدة الموسومة بنظم الدر

اذا هام شوقا بالمناغى وهم ان * يطير الى اوطانه الاولية
يسكن بالتحريك وهو بمهده * اذا ناله ايدى المربى بهزة

قال الامام القاشانى فى شرحه اذا هام الولى واضطرب شوقا الى مركزه الاصلى ووطنه الاولى بسبب مناغاة
المناغى وهم طائر روحه الى ان يطير الى عشه ووكره الاولى تهزه ايدى من يربيه فى المهد فيسكن بسبب التحريك
من قلقه وهمه بالطيران والمقصود من ايراد هذا المعنى ان يشير الى فائدة الرقص والحركة فى السماع وذلك
ان روح السامع يهم عند السماع ان يرجع الى وطنه المألوف ويفارق النفس والقالب فتحركه يد الحال وتسكنه
عما يهم به بسبب التحريك الى حلول الاجل المعلوم وذلك تقدير العزيز العليم انتهى (قال السعدى) مكن عيب
درويش مدهوش ومست * كه غرقست ازان مى زند پا ودست * نكويم سماع اى برادر كه چيست *
مكر مستمع را بدانم كه كيست * كراز برج معنى پرد طير او * فرشته فروماند ازسير او *
اكر مرد بازى ولهوست ولاغ * قوى ترشود ديوش اندر دماغ * چه مرد سماعست شهوت پرست *
بآواز خوش خفته خيزد نه مست (قال السرورى) چون سماع آواز خوش سبب حركت شد *
حركت را سماع كفتند * بطريق تسمية المسبب باسم السبب وچون كسى آوازى خوش شنود در وحالتى
پيدا شود اين حالت را وجد كويند (وفى المثنوى) پس غذاى عاشقان آمد سماع * كه درو باشد خيال
اجتماع * قوتى كيرد خيالات ضمير * بلكه صورت كردد از بانك صفير * واعلم ان الرقص والسماع حال
المتلون لا حال المتمكن ولذا تاب سيد الطائفة الجنيد البغدادى قدس سره عن السماع فى زمانه فمن الناس من
هو متواجد ومنهم من هو اهل وجد ومنهم من هو اهل وجود فالاول المبتدى الذى له انجذاب ضعيف والثانى
المتوسط الذى له انجذاب قوى والثالث المنتهى الذى له انجذاب قوى وهو مستغن عن الدوران الصورى
بالدوران المعنوى بخلاف الاولين ولا بد من العشق فى القلب والصدق فى الحركة حتى يصح الدوران والعلماء
وان اختلفوا فى ذلك فمن مثبت ومن ناف لكن الناس متفاوتون والجواز للاهل المستجمع لشرآئطه لا لغيره
قال حضرة الشيخ افتاده افندى قدس سره ليس فى طريقتنا رقص وفى طريق الشيخ الحاج بيرام ولى ايضا
الا ان الرقص والاصوات كلها انما وضع لدفع الخواطر ولا شئ فى دفعها اشد تأثيرا من التوحيد ونبينا عليه
الصلاة والسلام لم يلقن الا التوحيد ذكر ان عليا قال يوما لا اجد لذة العبادة يا رسول الله فلقنه التوحيد ووصاه

ان

ان لا يكلم احدا بما ظهر له من آثار التوحيد فلما امتلأ باطنه من انوار التوحيد واضطر الى التكلم جاء الى بئر
فتكلم فيها فنبت منها قصب فاخذه راع وعمل منه المزمار وكان ذلك مبدأ لعلم الموسيقى وقال وقد يقال ان رجلا
يقال له عبد المؤمن سمع صوت الافلاك فى دورها فاخذ منه العلم الموسيقى ولذلك كان اصله اثنى عشر على عدد
البروج ولكن صداها على طرز واحد فالانسان لقابلية الحق به زيادات كذا فى الواقعات المحمودية
فقد عرفت من هذا البيان انه ليس فى الطريقة الجلوتية بالجيم دور ورقص بل توحيد وذكر قياما وقعودا
بشرآئط وآداب وانما يفعله الخلوتية بالخاء المعجمة على ما يتوارثون من اكابر اهل الله تعالى لكن انما يقبل
منهم ويمدح اذا قارن شرآئطه وآدابه كما سبق والا يردونه وقد وجدنا فى زماننا اكثر المجالس الدورية على خلاف
موضوعها فالعاقل يختار الطريق الاسلم ويجتنب عن القيل والقال وينظر الى قولهم لكل زمان رجال
ولكل رجال مقام وحال قال الشيخ ابو العباس من كان من فقرآء هذا الزمان آكلا لاموال الظلمة مؤثرا
للسماع ففيه نزعة يهودية قال الله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وقال الحاتمى السماع فى هذا الزمان
لا يقول به مسلم ولا يقتدى بشيخ يعمل السماع وقد عرفت وشاهدت فى هذا الزمان ان المجالس الدورية
يحضرها المردان والملاح والنساء وحضورهم آفة عظيمة فانهم والاختلاط بهم والصحبة معهم كالسم القاتل
ولا شئ اسرع اهلاكا للمرء فى دينه من صحبتهم فانهم حبائل الشيطان ونعوذ بالله من المكر بعد الكرم
ومن الحور بعد الكور انه هو الهادى الى طريق وصاله وكاشف القناع عن ذاته وجماله والموصل الى كماله بعد
جماله وجلاله وهو الصاحب والرفيق فى كل طريق (الم يروا) آيا نديدند ونداستند (انه) اى العجل (لا يكلمهم)
اى ليس فيه شئ من احكام الالوهية حيث لا يقدر على كلام ولا امر ولا نهى (ولا يهديهم سبيلا)
اى ولا يرشدهم طريقا الى خير ليأتوه ولا الى شر لينتهوا عنه (اتخذوه) الها ولو كان الها لكلمهم وهداهم
لان الاله لا يهمل عباده اتخذوه تكرير للذم اى اتخذوه الها وحسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر
(وكانوا ظالمين) اى واضعين الاشياء فى غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم وفى التفسير الفارسى
در لطايف قشيرى مذكورست كه چه دورست ميان امتى كه مصنوع خودرا پرستند وامتى كه عبادت صانع
خود كنند * آنرا كه تو ساختى نسازد كارت * سازنده تو ست درد وعالم يارت (ولما سقط فى ايديهم)
كناية عن شدة ندمهم فان الذى يشتد ندمه وتحسره يعض يده مسقوطا فيها كأن فاه وقع فيها والمعنى ندموا
على ما فعلوا من عبادة العجل غاية الندم وسقط مسند الى فيهم (ورأوا انهم قد ضلوا) باتخاذ العجل الها اى تبينوا
بحيث تيقنوا بذلك حتى كانهم رأوه باعينهم (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا) بانزال التوراة المكفرة (ويغفر لنا) بالتجاوز
عن الخطيئة (لنكونن من الخاسرين) ازز يانكاران وهلاك شدكان وما حكى عنهم من الندامة والرؤية والقول
وان كان بعد ما رجع موسى عليه السلام اليهم كما ينطق به الآيات الواردة فى سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه
حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل فى موضع واحد (ولما رجع موسى) من جبل الطور (الى قومه) حال
كونه (غضبان أسفا) اى شديد الغضب يقال آسفنى فاسفت اى اغضبنى فغضبت ومنه قوله تعالى فلما آسفونا
انتقمنا منهم وهو يدل على انه عليه السلام كان عالما باتخاذهم العجل الها قبل مجيئه اليهم بسبب انه تعالى اخبره
فى حال المكالمة بما كان من قومه من عبادة العجل (قال بئسما خلفتمونى من بعدى) اى ساء ما عملتم خلفى
ايها العبدة بعد غيبتى وانطلاقى الى الجبل لانه يقال خلفه بما يكره اذا عمل خلفه ذلك العمل وما نكرة موصوفة
مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم
(أعجلتم امر ربكم) الهمزة للانكار اى اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق والا فعجل يتعدى بعن يقال
عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده
وما وصاكم به الى ان يجيء فالامر واحد الاوامر او انه بمعنى المأمور به والعجلة من العجل بالشئ قبل وقته ولذلك
صارت مذمومة بخلاف السرعة فانها غير مذمومة لكونها عبارة عن العمل بالشئ فى اول وقته وفى التأويلات
النجمية استعجلتم باصفات الروح بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل آوانه من غير ان يأمر به ربكم
وفيه اشارة الى ان ارباب الطلب واصحاب السلوك لا ينبغى ان يلتفتوا الى شئ من الدنيا ولا يتعلقوا بها فى اثناء
الطلب والسلوك لئلا ينقطعوا عن الحق اللهم الا اذا قطعوا مفاوز النفس والهوى ووصلوا الى كعبة وصال

المولى ان يرجعوا الى الدنيا الدعوة الحق الى المولى ويسلكهم فى طريق الدنيا والعقبى (والقى الالواح) التى كانت فيها التوراة من يده (واخذ برأس اخيه) اى بشعر رأس هرون حال كونه اى موسى (يجره اليه) بطرف خود كشيد اوربطريق معاتبه نه ازروى اهانت توهما انه قصر فى كفهم وهرون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بنى اسرآئيل (قال) اى هرون مخاطبا لموسى (ابن ام) بحذف حرف النداء واصله يا ابن امى حذفت الالف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة زيادة فى التخفيف لطوله باشتماله على اضافة بعد اضافة وكان هرون اخاه لاب وام ولكنه ذكر الام ليرققه عليه اى يحمله على الرفق والشفقة وعلى هذا طريق العرب (ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى) ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت وسعى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفونى وقاربوا قتلى (فلا تشمت بى الاعدآء) اى فلا تفعل بى ما يكون سببا لشماتتهم بى وبالفارسى پس شادمان مكردان بمن دشمنانرا وچنان مكن كه ارزوى ايشان حاصل شود از اهانت من يقال شمت به يشمت شماتة من باب علم يعلم اذا فرح ببلية اصابت عدوه ثم ينقل الى باب الافعال للتعدية فالشماتة شادى كردن بمكروهى كه دشمن را رسد ويعدى بالباء والاشمات شادكام كردن دشمن كما فى تاج المصادر وشماتة العدو اشد من كل بلية فلذلك قيل والموت دون شماتة الاعدآء (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) اى معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة او النسبة الى التقصير والاشارة ان هرون القلب اخ موسى الروح والاعدآء النفس والشيطان والهوى والقوم الظالمون هم الذين عبدوا عجل الدنيا وهم صفات القلب يشير الى ان صفات القلب تتغير وتتلون بلون صفات النفس ورعوناتها ومن ههنا يكون شغشغة الشطاح من ارباب الطريقة ورعوناتهم وزلات اقدامهم ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وانما تتغير صفاته كما ان النفس لا تتغير من حيث هى هى عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الامارية الى اللوامية والملهمية والمطمئنية والرجوع الى الحق ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت المشومة الى طبعها وجبلتها سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (قال) موسى وهو استئناف بيانى (رب اغفر لى) اى ما فعلت باخى من غير ذنب مقرر من قبله (ولاخى) اى ان فرط فى كفهم استغفر عليه السلام لنفسه ليرضى اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم به ولاخيه للايذان بانه محتاج الى الاستغفار حيث كان عليه ان يقاتلهم (وادخلنا فى رحمتك) بمزيد الانعام علينا بعد غفران ما سلف منا قال الحدادى اى فى جنتك (وانت ارحم الراحمين) وانت ارحم بنا منا على انفسنا ومن آبائنا وامهاتنا حكى انه اعتقل لسان فتى عن الشهادة حين اشرف على الموت فاخبروا النبى عليه السلام فدخل عليه وعرض الشهادة فاضطرب ولم يعمل لسانه فقال عليه السلام اما كان يصلى اما كان يزكى اما كان يصوم قالوا بلى قال فهل عق والديه قالوا نعم قال هاتوا بامه فجاءت وهى عجوز عورآء فقال عليه السلام هلا عفوت عنه فقالت لا اعفو لانه لطمنى ففقأ عينى قال هاتوا بالحطب والنار قالت ما تصنع قال احرقه بالنار بين يديك جزآء لما عمل قالت عفوت عفوت أللنار حملته تسعة اشهر أللنار ارضعته سنتين فاين رحمة الام فعند ذلك انطلق لسانه بالكلمة والنكتة انها كانت رحيمة لا رحمانة فللقليل من رحمتها ما جوزت احراقه بالنار فالله الذى لا يتضرر بجناية العباد كيف يستجيز احراق المؤمن المواظب على كلمة الشهادة سبعين سنة وهو ارحم الراحمين (قال الحافظ) لطف خدا بيشتر از جرم ماست * نكتهٔ سربسته چه دانى خموش (وقال) دلا طمع مبر از لطف بى نهايت دوست * كه ميرسد همه را لطف بى نهايت او * قال بعض اهل التفسير ان قابيل لما قتل اخاه هابيل اشتد ذلك على آدم فقال الله تعالى يا آدم جعلت الارض فى امرك فمرها فلتفعل ما تهوى بمكان ابنك قابيل فقال آدم عليه السلام يا ارض خذيه فاخذت الارض قابيل فقال قابيل يا ارض بحق الله ان تمهلينى حتى اقول قولى ففعلت فقال يا رب ان ابى قد عصاك فلم تخسف به الارض فقال الله تعالى نعم ولكنه ترك امرا واحدا وانت تركت امرى وامر ابيك وقتلت اخاك فقال آدم ثانيا يا ارض خذيه فقال قابيل بحرمة محمد عليه السلام ان تمهلينى حتى اقول قولى ففعلت فقال يا رب ان ابليس ترك امرك وعاداك ولم تخسف به الارض فما بالى تخسف بى الارض فاجاب الله تعالى مثل الاول فقال الهى اليس لك تسعة وتسعون اسما فقال الله تعالى بلى فقال اليس الرحمن الرحيم من جملة ذلك قال بلى قال الست سميت نفسك رحمانا رحيما لكثرة الرحمة قال بلى قال يا رب ان اردت اهلاكى فاخرج

هذين الاسمين من بين اسمائك ثم اهلكنى لان اخذ العبد بجريمة واحدة لا يكون رحمة فامر الله الارض حتى خلت سبيله ولم تهلكه فاعتبر اذا كانت رحمته بهذه المرتبة للكافر فما ظنك للمؤمن فينبغى للمقصر ان يرفع حاجته الى المولى ويستغفر من ذنبه الاخفى والاجلى كى يدخل فى الرحمة التى هى الفردوس الاعلى (قال الحافظ) سياه نامه تر از خود كسى نمى بينم * چگونه چون قلمم دود دل بسر نرود * وفى قوله تعالى رب اغفر لى الاية اشارة الى السير فى الصفات لان المغفرة والرحمة من الصفات فيشير الى ان لموسى الروح ولاخيه هرون القلب استعدادا لقبول الجذبة الالهية التى تدخلهما فى عالم الصفات وادخلنا فى رحمتك وانت ارحم الراحمين لان غيرك من الراحمين عاجز عن ادخال غيره فى صفاته وانت قادر على ذلك لمن تشاء ويدل عليه قوله يدخل من يشاء فى رحمته كذا فى التأويلات النجمية (ان الذين اتخذوا العجل) اى الها واستمروا على عبادته كالسامرى واشياعه من الذين اشربوه فى قلوبهم (سينالهم) اى فى الاخرة (غضب) عظيم كائن (من ربهم) اى مالكهم لما ان جريمتهم اعظم الجرائم واقبح الجرآئر والمراد بالغضب ههنا غايته وهى الانتقام والتعذيب لان حقيقة الغضب لا تتصور فى حقه تعالى (وذلة فى الحياة الدنيا) هى ذلة الاغتراب والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم والذلة التى اختص بها السامرى من الانفراد بالناس والابتلاء بلا مساس كما روى ان موسى عليه السلام هم بقتل السامرى فاوحى الله اليه لا تقتل السامرى فانه سخى ولكن اخرجه من عندك فقال له موسى فاذهب من بيننا مطرودا فان لك فى الحياة اى فى عمرك ان تقول لمن اراد مخالطتك جاهلا بحالك لا مساس اى لا يمسنى احد ولا امس احدا وان مسه احد حما جميعا فى الوقت وروى ان ذلك موجود فى اولاده الى الآن وايراد ما نالهم فى حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف (وكذلك نجزى المفترين) على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم (والذين عملوا السيئات) اية سيئة كانت (ثم تابوا) عن تلك السيئات (من بعدها) اى من بعد عملها (وآمنوا) ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا بما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى (ان ربك من بعدها) اى من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان (لغفور) للذنوب وان عظمت وكثرت (رحيم) مبالغ فى افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية والاشارة ان الذين اتخذوا عجل الهوى الها يدل عليه قوله افرأيت من اتخذ الهه هواه سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا يعنى عبادة الهوى موجبة لغضب الله تعالى دل عليه قول النبى عليه الصلاة والسلام ما عبد فى الارض اله ابغض على الله من الهوى وان عابد الهوى يكون ذليل شهوات النفس واسير صفاتها الذميمة من الحيوانية والسبعية والشيطانية ما دام يميل الى الحياة الدنيوية وكذلك نجزى المفترين يعنى وكذلك نجازى بالغضب والطرد والابعاد والذلة عباد الهوى المدعين الذين يفترون على الله انه اعطانا قوة لا تضر بنا عبادة الهوى والدنيا ومتابعة النفس وشهواتها والذين عملوا السيئات يعنى سيئات عبادة الهوى والدنيا والافترآء على الله تعالى ثم تابوا من بعدها وآمنوا بعبودية الحق تعالى وطلبه بالصدق ان ربك من بعدها اى من بعد ترك عبادة الهوى والرجوع الى طلب الحق لغفور رحيم يعنى يعفو عنهم تلك السيئات ويرحمهم بنيل القربات والكرامات كذا فى التأويلات النجمية واعلم ان التوبة عند المعتزلة علة موجبة للمغفرة وعندنا سبب محض للمغفرة والتوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان المراد بها الرجوع عن المعصية واذا وصف بها البارى تعالى اريد بها الرجوع عن العذاب بالمغفرة والتوبة على ضربين ظاهر وباطن فالظاهر هو التوبة من الذنوب الظاهرة وهى مخالفات ظواهر الشرع وتوبتها ترك المخالفات واستعمال الجوارح بالطاعات والباطن هو توبة القلب من ذنوب الباطن وهى الغفلة عن الذكر حتى يتصف به بحيث لو صمت لسانه لم يصمت قلبه وتوبة النفس قطع علائق الدنيا والاخذ باليسير والتعفف وتوبة العقل التفكر فى بواطن الآيات وآثار المصنوعات وتوبة الروح التحلى بالمعارف الالهية وتوبة السر التوجه الى الحضرة العليا بعد الاعراض عن الدنيا والعقبى گرسيه كردى تو نامه عمر خويش * توبه كن زانها كه كردستى تو پيش * عمر اگر بگذشت بيخش اين دم است * آب توبش ده اگر اوبى نم است * چون بر آرند از پشيمانى انين * عرش لرزد از انين المذنبين * والعبد اذا رجع عن السيئة واصلح عمله اصلح الله تعالى شأنه واعاد عليه نعمه الفائتة عن ابراهيم بن ادهم بلغنى ان رجلا من بنى اسرآئيل ذبح عجلا بين يدى امه فيبست يده

فبينما هو جالس اذ سقط فرخ من وكره وهو يتبصبص فاخذه وردّه الى وكره فرحمه الله تعالى لذلك وردّ عليه يده
بما صنع فينبغى للمؤمن ان يسارع الى التوبة والعمل الصالح فان الحسنات يذهبن السيئات عن ابى ذر رضى
الله عنه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله علمنى عملا يقربنى الى الجنة ويباعدنى عن النار
قال اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فانها عشر امثالها قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
فقلت يارسول الله لا اله الا الله من الحسنات قال هى احسن الحسنات كار نيكو تر بدان جزذ كر نيست ✽
والله الهادى (ولما سكت عن موسى الغضب) اى لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم والسكوت
قطع الكلام وقطع الكلام فرع ثبوته وهو لا يتصور فى الغضب فلا يتصور قطعه ايضا فهو محمول على المعنى
المجازى الذى هو السكون شبه الغضب بانسان يغرى موسى عليه السلام ويقول له ان اخاك قصر فى كف
قومك عن الكفر فاستحق اهانتك وعقوبتك فخذ بشعر رأسه فجره الى نفسك وقل له كذا وكذا والق ما فى يدك
من الالواح ثم يقطع الاغراء ويترك الكلام ففيه استعارة مكنية وسكت قرينة الاستعارة قال الحدادى قيل
معناه سكت موسى عن الغضب وهذا من المقلوب كما يقال ادخلت قلنسوة فى رأسى يريد ادخلت رأسى
فى قلنسوة (اخذ الالواح) التى القاها وهو دليل على انها لم تتكسر حين القاها وعلى انه لم يرفع منها شئ كما ذهب
اليه بعض المفسرين (وفى نسختها) اى والحال انه فيما نسخ فيها وكتب نقلا عن الاصل وهو اللوح المحفوظ
فان النسخ عبارة عن نقل اشكال الكتابة وتحويلها من الاصل المنقول عنه فاذا كتبت كتابا من كتاب آخر
حرفا بعد حرف قلت نسخت هذا الكتاب من ذلك الكتاب اى نقلته منه (هدى) اى بيان للحق وهو مبتدأ
وفى نسختها خبره (ورحمة) للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح كائنة (للذين هم لربهم يرهبون) اى
يخشون واللام فى لربهم لتقوية عمل الفعل المؤخر كما فى قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون يعنى انها دخلت جابرة
للضعف العارض للفعل بسبب تأخره عن مفعوله وانما خص اهل الرهبة بالذكر لانهم هم المنتفعون بآيات
الكتاب فالعبد اذا رغب الى الله بصدق الطلب والى الجنة بحسن العمل ورهب من اليم عذاب فرقته والانقطاع
ومن دخول النار فقد اخذ بالخوف والرجاء ووصل بهما الى ما هوى واعلم ان الخشية انما تنشأ عن العلم بصفات
الحق سبحانه وعلامة خشية الله تعالى ترك الدنيا والخلق ومحاربة النفس والشيطان قالوا رهبوت خير من
رحموت اى لان ترهب خير من ان ترحم وذلك لان التخلية قبل التحلية ومن الترهيبات ما حكى عن يحيى بن
زكريا عليهما السلام انه شبع مرة من خبز شعير فنام عن حزبه تلك الليلة فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى هل وجدت
دارا خيرا لك من دارى او جوارا خيرا لك من جوارى وعزتى وجلالى لو اطلعت على الفردوس اطلاعة لذاب
جسمك ولزهقت نفسك اشتياقا الى الفردوس الاعلى ولو اطلعت على نار جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد
الدموع وللبست الحديد بعد المنسوج قال الحسن البصرى الكلب اذا ضرب وطرد وجنى عليه وطرح له
كسرة اجاب ولم يحقد على ما مضى وذلك من علامة الخاشعين فينبغى لكل مؤمن ان تكون فيه تلك الصفة
(قال الحافظ) وفا كنيم وملامت كشيم وخوش باشيم ✽ كه در طريقت ما كافريست رنجيدن ✽
وفى الحديث من لم يخف الله خف منه قال الامام السخاوى معناه صحيح فان عدم الخوف من الله تعالى يوقع
صاحبه فى كل محذور ومكروه (وفى المثنوى) لا تخافوا هست نزل خائفان ✽ هست درخور از براى
خائف آن ✽ هركه ترسد مرورا ايمن كنند ✽ مر دل ترسنده را ساكن كنند ✽ آنكه خوفش
نيست چون كويى مترس ✽ درس چه دهى نيست او محتاج درس (واختار موسى) الاختيار افتعال
من لفظ الخير يقال اختار الشئ اذا اخذ خيره وخياره (قومه) اى من قومه بحذف الجار وايصال الفعل
الى المجرور وهو مفعول ثان (سبعين رجلا) مفعول اول (لميقاتنا) اى للوقت الذى وقتناه له وعيناه ليأتى فيه
بسبعين رجلا من خيار بنى اسرائيل ليعتذروا عن ما كان من القوم من عبادة العجل فهذا الميقات ميقات
التوبة لا ميقات المناجاة والتكليم وكان قد اختار موسى عليه السلام عند الخروج الى كل من الميقاتين سبعين
رجلا من قومه وكانوا اثنى عشر سبطا فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال موسى ليتخلف منكم
رجلان فانى انما امرت بسبعين فتنازعوا فقال ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب
مع الباقين الى الجبل (فلما اخذتهم الرجفة) بما اجترؤا عليه من طلب الرؤية حيث قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله

جهرة والرجفة هى الارتعاد والحركة الشديدة والمراد اخذتهم رجفة الجبل فصعقوا منها اى ماتوا واكثر
المفسرين على انهم سمعوه تعالى يكلم موسى يأمره بقتل انفسهم توبة فطمعوا فى الرؤية وقالوا ما قالوه ويرده قوله
تعالى يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى كما ذهب اليه صاحب التيسير (قال) موسى
(رب لو شئت اهلكتهم من قبل) اى حين فرطوا فى النهى عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا
اصرارهم عليها (واياى) ايضا حين طلبت منك الرؤية اى لو شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا حينئذ اراد به تذكر
العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق (أتهلكنا) الهمزة لانكار وقوع الاهلاك ثقة بلطف الله تعالى
اى لا تهلكنا (بما فعل السفهاء) حال كونهم (منا) من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله
بعضهم اى لا يليق بشأنك ان تهلك جما غفيرا بذنب صدر عن بعضهم الذى كان سفيها خفيف الرأى (ان هى)
اى ما الفتنة التى وقع فيها السفهاء (الا فتنتك) اى محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك
ولم يتثبتوا فطمعوا فى الرؤية يقول الفقير هذا يدل على انهم سمعوا كلامه تعالى على وجه الامتحان والابتلاء
لا على وجه التكرمة والاجلال وذلك لا يقدح فى كون موسى عليه السلام مصطفى بالرسالة والكلام مع انه
فرق كثير بين سماعهم وسماعه عليه السلام والله اعلم ودفصل الخطاب مذكور ست كه حق تعالى موسى
عليه السلام را در مقام بسط بداشت تا بكمال حال انس رسيده وازروى دلال بدين جراءت اقدام نمود ودلال
در مرتبه محبوبيت است وحضرت مولوى قدس سره فرموده كه كستاخى عاشق ترك ادب نيست عين ادبست
كفت وكوى عاشقان دركار رب ✽ جوشش عشقست نه ترك ادب ✽ هركه كرد از جام حق يكجرعه نوش ✽
نه ادب ماند درونه عقل وهوش (تضل بها) اى بسبب تلك الفتنة (من تشاء) ضلاله فيتجاوز عن حده
بطلب ما ليس له (وتهدى من تشاء) هدايته الى الحق فلا يتزلزل فى امثالها فيقوى بها ايمانه (انت ولينا) اى القائم
بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غير (فاغفر لنا) اى ما اقترفناه من المعاصى (وارحمنا) بافاضة
آثار الرحمة الدنيوية والاخروية قال ابن الشيخ المغفرة هى اسقاط العقوبة والرحمة ايصال الخير وقدم الاول
على الثانى لان دفع المضرة مقدم على تحصيل المنفعة (وانت خير الغافرين) تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة
وايضا كل من سواك انما يتجاوز عن الذنب اما طلبا للثناء الجميل او للثواب الجزيل او دفعا للقسوة من القلب
واما انت فتغفر ذنوب عبادك لا لاجل غرض وعوض بل بمحض الفضل والكرم فلاجرم انت خير الغافرين
وارحم الراحمين وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام (واكتب لنا) اى اثبت وعين لنا واذكر
الكتابة لانها ادوم (فى هذه الدنيا حسنة) حسن معيشة وتوفيق طاعة (وفى الآخرة) اى واكتب لنا فيها ايضا
حسنة وهى المثوبة الحسنى والجنة (انا هدنا اليك) تعليل لطلب الغفران والرحمة من هاد يهود اذا رجع اى تبنا
ورجعنا اليك عما صنعنا من المعصية العظيمة التى جئناك للاعتذار عنها او عما وقع ههنا من طلب الرؤية فبعيد
من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عليه السلام
يتضرع الى الله حتى احياهم وقد تقدم فى سورة البقرة (قال) استئناف بيانى كانه قيل فماذا قال الله تعالى
عند دعاء موسى عليه السلام فقيل قال (عذابى) عذاب من وصفت اوا نست كه (اصيب به) الباء للتعدية معناه
بالفارسية ميرسانم (من اشاء) تعذيبه من غير دخل لغيرى فيه (ورحمتى) ورحمت من وصفت او آنست كه
(وسعت) فى الدنيا معناه رسيده است (كل شئ) المؤمن والكافر بل المكلف وغيره من كل ما يدخل تحت
الشيئية وما من مسلم ولا كافر الا وعليه آثار رحمته ونعمته فى الدنيا فبها يتعيشون وبها يتقلبون ولكنها تختص
فى الآخرة بالمؤمنين كما قال تعالى (فسأكتبها) اى اثبتها واعينها فى الآخرة (للذين يتقون) الكفر
والمعاصى (ويؤتون الزكاة) خصها بالذكر لانها كانت اشق عليهم (والذين هم بآياتنا) جميعا (يؤمنون) ايمانا
مستمرا فلا يكفرون بشئ منها قال ابن عباس رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية تطاول لها ابليس فقال انا شئ
من الاشياء فاخرجه الله تعالى من ذلك بقوله فسأكتبها الخ فقالت اليهود والنصارى نحن نتقى ونؤتى الزكاة
ونؤمن بآيات ربنا فاخرجهم الله تعالى منها بقوله (الذين يتبعون الرسول) فى محل الجر على انه صفة للذين يتقون
او بدل منه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم الذى نوحى اليه كتابا مختصا به (النبى) اى صاحب المعجزة وقال
البيضاوى انما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد (الامى) الذى لا يكتب ولا يقرأ وكونه

عليه السلام اتيا من جملة معجزاته فانه عليه السلام لو كان يحسن الخط والقرآءة لصار متهما بانه ربما طالع
فى كتب الاولين والاخرين فحصل هذه العلوم بتلك المطالعة فلما اتى بهذا القرءآن العظيم المشتمل على علوم
الاولين والآخرين من غير تعلم ومطالعة كان ذلك من جملة معجزاته الباهرة * نكار من كه بمكتب نرفت وخط
ننوشت * بغمزه مسأله آموز صد مدرس شد * من كان القلم الاعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره
لا يحتاج الى تصوير الرسوم وقد وصف الله تعالى هذه الامة فى الانجيل امة محمد اناجيلهم فى صدورهم ولولم
يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرآئعه صلى الله عليه وسلم بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعداداتهم
والام الاصل وعنده ام الكتاب (الذى يجدونه مكتوبا) باسمه وصفته (عندهم) متعلق بيجدون او بمكتوبا
وكذا قوله (فى التوراة والانجيل) اللذين تعبد بهما بنوا اسرآئيل سابقا ولاحقا (وفى المثنوى) بيش
ازانكه نقش احمد رو نمود * نعت اوهر كبر را تعويذ بود * سجده مى كردند كاى رب بشر *
درعيان آريش هرچه زودتر * نقش اومى كشت اندر راهشان * دردل ودركوش درافواهشان *
اين همه تعظيم وتفخيم ووداد * چون بديدندش بصورت برد باد * قلب آتش ديد دردم شد سياه *
قلب وادرقلب كى بودست راه * فان قيل الرحمة المذكورة لو اختصت بهم لزم ان لا تنال غيرهم من المؤمنين
وليس كذلك اجيب بان هذا الاختصاص بالاضافة الى بنى اسرآئيل الموجودين فى زمان النبى الامى
ولم يؤمنوا به لا بالاضافة الى جميع ماعداهم (يأمرهم بالمعروف) اى بالتوحيد وشرآئع الاسلام (وينهاهم
عن المنكر) اى عن كل ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة (ويحل لهم الطيبات) التى حرمت عليهم بشؤم ظلمهم
كالشحوم (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم ولحم الخنزير فالمراد بالطيبات ما يستطيبه الطبع ويستلذه
وبالخبائث ما يستخبثه الطبع ويتنفر منه فتكون الآية دليلا على ان الاصل فى كل ما يستطيبه الطبع الحل
وكل ما يستخبثه الطبع الحرمة الا لدليل منفصل ويجوز ان يراد بهما ما طاب فى حكم الشرع وما خبث كالربا
والرشوة ومدلول الآية حينئذ ان ما يحكم الشرع بحله فهو حلال وما يحكم بحرمته فهو حرام ولا حكم
لاستطابة الطبع واستخباثه فيهما (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) اى يخفف عنهم ما كلفوا به
من التكاليف الشاقة كتعين القصاص فى العمد والخطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض
موضع النجاسة من الجلد والثوب وعدم الاكتفاء بغسله واحراق الغنائم وتحريم العمل يوم السبت بالكلية
شبهت هذه التكاليف الشاقة بالحمل الثقيل وبالاغلال التى تجمع اليد الى العنق واصل الاصر الثقل الذى يأصر
صاحبه اى يحبسه من الحراك لثقله (فالذين آمنوا به) اى بنبوة الرسول النبى الامى واطاعوه فى اوامره ونواهيه
(وعزروه) اى عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدآئه عنه (ونصروه) على اعدآئه فى الدين (واتبعوا النور الذى
انزل معه) يعنى القرءآن الذى ضياؤه فى القلوب كضياء النور فى العيون قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى
قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرءآن مشفوعا به انتهى
فمعه متعلق بانزل حال من ضميره بتقدير المضاف اى انزل ذلك النور مصاحبا لنبوته (اولئك) المنعوتون بتلك
النعوت الجليلة (هم المفلحون) اى الفائزون بالمطلوب الناجون من الكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم
قوم موسى دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما فى توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق
والتطبيق بين دعائه عليه السلام وبين الجواب وهو من قوله عذابى الى هنا فقد علم ان اتباع القرءآن وتعظيم
النبى عليه السلام بعد الايمان سبب للفوز والفلاح عند الرحمن ونصرته عليه السلام على العموم والخصوص
فالعموم للعامة من اهل الشريعة والخصوص للخاصة من ارباب الطريقة واصحاب الحقيقة وهم الواصلون الى
كمال انوار الايمان واسرار التوحيد بالاخلاص والاختصاص واعلم ان المقصود الالهى من ترتيب سلسلة
الانبياء عليهم السلام هو وجود محمد صلى الله عليه وسلم فوجود الانبياء قبله كالمقدمة لوجوده الشريف
فهو الخلاصة والنتيجة والزبدة واشرف الانبياء والمرسلين كما قال عليه السلام فضلت على الانبياء بست
اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وارسلت
الى الخلق كافة وختم بى النبيون وكذلك المقصود من الكتب الالهية السالفة هو القرءآن الذى انزل على النبى
عليه السلام فهو زبدة الكتب الالهية واعظمها ومصدق لما بين يديه لانه بلفظ قد اعجز البلغاء ان يأتوا بسورة

من مثله

من مثله وبمعناه جامع لما فى الكتب السالفة من الاحكام والآداب والفضائل متضمن للحجج والبراهين والدلائل
وكذا المقصود من الامم السالفة هو هذه الامة المرحومة اعنى امة محمد صلى الله عليه وسلم فهى كالنتيجة
لما قبلها وهى الامة الوسط كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وكذا المقصود من الملوك الماضية والسلاطين
السالفة هو الملوك العثمانية فهم زبدة الملوك ودولتهم زبدة الدول حيث لا دولة بعدها لغيرهم الى ظهور المهدى
وعيسى ويقاتلون من هم مبادى الدجال من الكفرة الفجرة من الافرنج والانكروس وغيرهم ولهم الجمعية
الكبرى واليد الطولى والدولة العظمى فى الاقاليم السبعة واطراف البلاد من المغرب والمشرق ولم يعط هذا
لواحد قبل دولتهم ويدل على هذه الجمعية كون اسم جدهم الاعلى عثمان فان عثمان رضى الله عنه جامع القرءآن
فهم مظاهر لاسم الحق كما كان عمر رضى الله عنه كذلك حيث انه لما اسلم قال يا رسول الله ألسنا على الحق قال عليه
السلام والذى بعثنى بالحق نبيا كانا على الحق قال انا والذى بعثك بالحق نبيا لا نعبد الله بعد اليوم سرا فاظهر الله
الدين بايمانه فكان ظهور الدين مشروطا بايمانه فهذا اول الظهور ثم وثم الى ان انتهى الى زمن الدولة العثمانية
ولذلك يقاتلون على الحق فالسيف الذى بيدهم قد ورثوه كابرا عن كابر ومجاهدا عن مجاهد حكى ان عثمان
الغازى جد السلاطين العثمانية انما وصل الى ما وصل برعاية كلام الله تعالى وذلك انه كان من اسخياء زمانه
يبذل النعم للمترددين فثقل ذلك على اهل قريته وانعكس اليه ذلك وذهب ليشتكى من اهل القرية الى الحاج
بكتاش اوغيره من الرجال فنزل فى بيت رجل قد علق فيه مصحف فسأل عنه فقالوا هو كلام الله تعالى فقال
ليس من الادب ان نقعد عند كلام الله فقام وعقد يديه مستقبلا اليه فلم يزل الى الصبح فلما اصبح ذهب
الى طريقه فاستقبله رجل وقال انا مطلبك ثم قال له ان الله تعالى عظمك واعطاك وذريتك السلطنة بسبب
تعظيمك لكلامه ثم امر بقطع شجرة وربط براسها منديلا وقال ليكن ذلك لواء ثم اجتمع عنده جماعة فجعل اول
غزوته الى بلاجك وفتح بعناية الله تعالى ثم اذن له السلطان علاء الدين فى الظاهر ايضا فصار سلطانا ثم بعد
ارتحاله صار ولده اورخان سلطانا ففتح هو بروسة المحروسة بالعون الالهى فالدولة العثمانية من ذلك الوقت
الى هذا الآن على الازدياد بسبب تعظيم كلام الله القديم وكما ان الله تعالى اظهر لطفه للاولين كذلك يظهره
للآخرين وان كان فى بعض الاوقات يظهر القهر والجلال تأديبا وتنبيها فتحته لطف وجمال (قال السعدى)
زظلمت مترس اى پسنديده دوست * كه ممكن بود كاب حيوان دروست * دل از بى مرادى
بفكرت مسوز * شب آبستن است اى برادر بروز * والاشارة فى الايات ان الله تعالى امتحن موسى
عليه السلام باختيار قومه ليعلم ان المختار من الخلق من اختاره الله لا الذى اختاره الخلق وان لله الاختيار
الحقيقى لقوله وربك يخلق ما يشاء ويختار وليس للخلق الاختيار الحقيقى لقوله ما كان لهم الخيرة ثم استخرج
من القوم المختار ما كان موجبا للرجفة والصعقة والهلاك وهو سوء الادب فى سؤال الرؤية جهارا
وكان ذلك مستورا عن نظر موسى متمكنا فى جبلتهم وكان الله المتولى للسرآئر وحكم موسى بظاهر
صلاحيتهم فاراه الله ان الذى اختاره يكون مثلك كقوله تعالى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى والذى تختاره
يكون كالقوم فلما تحقق لموسى ان المختار من اختاره الله حكم بسفاهة القوم واظهر الاستكانة والتضرع
والاعتذار والتوبة والاستغفار والاسترحام كما قال فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا وفيه اشارة اخرى الى ان نار شوق الرؤية كما كانت متمكنة فى قلب موسى
بالقوة وانما ظهرت بالفعل بعد ان سمع كلام الله تعالى فان من اصطكاك زناد الكلام وحجر القلب ظهر شرر
نار الشوق فاشتعل منه كبريت اللسان الصدوق وشعلت شعلة السؤال فقال رب ارنى انظر اليك كذلك
كانت نار الشوق متمكنة فى احجار قلوب القوم فباصطكاك زناد سماع الكلام ظهر شرر الشوق فاشتعل
منه كبريت اللسان ولما لم يكن اللسان لسان النبوة صعد منه دخان السؤال الموجب للصعقة والرجفة
والسر فيه ان يعلم موسى وغيره ان قلوب العباد مختصة بكرامة ايداع نار المحبة فيها لئلا يظن موسى
انه مخصوص به ويعذر غيره فى تلك المسئلة فانها من غلبات الشوق تطرأ عند استماع كلام المحبوب ولذا قال
عليه السلام ما خلق الله من بنى آدم من بشر الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء
ازاغه وبالاصبعين يشير الى صفتى الجمال والجلال وليس لغير الانسان قلب مخصوص بهذه الكرامة واقامة

القلب وازاغته فى ان يجعله مرءآة صفات الجمال فيكون الغالب عليه الشوق والمحبة لطفا ورحمة وفى ان يجعله مرءآة صفات الجلال فيكون الغالب عليه الحرص على الدنيا والشهوة قهرا وعزة فالنكتة فيه ان قلب موسى عليه السلام لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله لرؤيته شعلة نار المحبة مقرونا بحفظ الادب على بساط القرب بقوله رب ارنى انظر اليك قدم عزة الربوبية واظهر ذلة العبودية وكان سؤال القوم من القلوب الساهية اللاهية فان نار الشوق تصاعدت بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قدموا الجحود والانكار وطلبوا الرؤية جهارا فاخذتهم الصاعقة بظلمهم فشتان بين صعقة موسى وصعقة قومه فان صعقته كانت صعقة اللطف مع تجلى صفة الربوبية وان صعقتهم كانت صعقة القهر عند اظهار صفة العزة والعظمة ولما كان موسى عليه السلام ثابتا فى مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الاشياء كلها من عند الله فرأى سفاهة القوم وما صدر منهم من آثار صفة قهره وفتنة واختبار الهم فلما ادارت كؤس شراب المكالمات وسكر موسى باقداح المناجاة زل قدمه على بساط الانبساط فقال ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء اى تزيغ قلب من تشاء باصبع صفة القهر وتهدى من تشاء اى تقيم قلب من تشاء باصبع صفة اللطف انت ولينا اى المتولى لامورنا والناصر فى هدايتنا فاغفر لنا ما صدر منا وارحمنا بنعمة الرؤية التى سألنا كها وانت خير الغافرين اى خير من يستر على ذنوب المذنبين يعنى انهم يسترون الذنب ولا يعطون سؤلهم فانت الذى تستر الذنب وتبدله بالحسنات وتعطى سؤل اهل الزلات واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة يعنى حسنة الرؤية كما كتبت لمحمد عليه السلام ولخواص امته هذه الحسنة فى الدنيا وفى الاخرة يعنى خصنا بهذه الفضيلة فى الدنيا والاخرة انا هدنا اليك رجعنا اليك فى طلب هذه الفضيلة فى السر لا بالعلانية وانت الذى تعلم السر والاخفى واجابهم الله تعالى سرا بسر واضمارا باضمار قال عذابى اصيب به من اشاء اى بصفة قهرى آخذ من اشاء وبقراءة من قرأ من اساء اى من اساء فى الادب عند سؤال الرؤية حيث قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة آخذهم على سوء ادبهم فادبهم بتأديب عذاب الفرقة ورحمتى وسعت كل شئ نعمة وايجادا وتربية فسأكتبها يعنى حسنة الرؤية والرحمة بها التى انتم تسألونها للذين يتقون ويؤتون الزكاة يعنى يتقون بالله عن غيره ويؤتون من نصاب هذا المقام الزكاة الى طلابه والذين هم بآياتنا يؤمنون يعنى الذين هم يؤمنون بانوار شواهد الايات لا بالتقليد بل بالتحقيق وهم خواص هذه الامة كما عرف احوالهم وصرح اعمالهم بقوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى وفيه اشارة الى ان فى امته من يكون مستعد الاتباعه فى هذه المقامات الثلاثة وهى مقامات الرسالة والنبوة التى هى مشتركة بينه وبين الرسل والانبياء والمقام الامى الذى هو مخصوص به صلى الله عليه وسلم من بين الانبياء والرسل عليهم السلام ومعنى الامى انه ام الموجودات واصل المكونات كما قال اول ما خلق الله روحى وقال حكاية عن الله لولاك لما خلقت الكون فلما كان هو اول الموجودات واصلها سمى اميا كما سميت مكة ام القرى لانها كانت مبدأ القرى واصلها وكما سمى ام الكتاب اما لانه مبدأ الكتب واصلها فاما اتباعه فى مقام الرسالة والنبوة فبان يأخذ ما آتاه الرسول وينتهى عما نهاه عنه كما قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فان الرسالة تتعلق باحكام الظاهر والنبوة تتعلق باحوال الباطن فللعوام شركة مع الخواص فى الانتفاع من الرسالة وللخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة فمن ادى حقوق احكام الرسالة فى الظاهر يفتح له بها احوال النبوة فى الباطن من مقام تنبئة الحق تعالى بحيث يصير صاحب الاشارات والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف الملكية وربما يؤول حاله الى ان يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة ولعله يصير مأمورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال كما قال عليه السلام علماء امتى كانبياء بنى اسرآئيل يشير الى هذا القوم وذلك ان المتقدمين من بنى اسرآئيل فى زمن الانبياء عليهم السلام لما وصلوا الى مقام الانبياء اعطوا النبوة والله اعلم وكانوا مقررين لدين رسولهم حاكمين بالكتب المنزلة على رسلهم فكذلك هذا القوم كما قال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا الاية واما اتباعه فى مقام اميته صلى الله عليه وسلم فذلك مخصوص باخص الخواص من متابعيه وهو انه صلى الله عليه وسلم رجع من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاولى ثم بجذبات الوحى ازل فى مقام التوحيد ثم اختطف بانوار الهوية عن انانيته الى مقام الوحدة كما قال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد وكما قال ثم دنا فتدلى

فكان قاب قوسين اوادنى فقاب قوسين عبارة عن مقام التوحيد واوادنى عن مقام الوحدة فهم ان شاء الله تعالى فمن رجع بالسير فى متابعته من مقام البشرية الى ان بلغ مقام روحانيته ثم بجذبات النبوة ازل فى مقام التوحيد ثم اختطف بانوار المتابعة عن انانيته الى مقام الوحدة فقد حظى بمقام اميته صلى الله عليه وسلم وبقوله تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يشير الى انه مكتوب عندهم والا فهو مكنون عنده فى مقعد صدق يأمرهم بالمعروف وهو طلب الحق والنيل اليه وينهاهم عن المنكر وهو طلب ما سواه والانقطاع عنه ويحل لهم الطيبات اى القربات الى الله او ان الطيب هو الله ويحرم عليهم الخبائث وهى الدنيا وما يباعدهم عن الله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم يعنى اصرهم من العهد الذى كان بين الله تعالى وبين حبيبه صلى الله عليه وسلم بان لا يصل احد الى مقام اميته وحبيبيته الا امته واهل شفاعته بتبعيته كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية وقال عليه السلام الناس يحتاجون الى شفاعتى حتى ابراهيم فكان من هذا العهد عليهم شدة واغلال تمنعهم من الوصول الى هذا المقام فقد وضع النبى عليه السلام عنهم هذا الاصر والاغلال بالدعوة الى متابعته ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه اى وقروه باختصاص هذا المقام فانه مخصوص به من بين سائر الانبياء والرسل ونصروه بالمتابعة واتبعوا النور الذى انزل معه يعنى حين اختطف بانوار الهوية عن انانيته فاستفاد نور الوحدة فلم يبق من ظلمة انانيته شئ وكان نورا صرفا فلما ارسل الى الخلق انزل معه نور الوحدة كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وكتاب مبين يعنى القرءآن فامر واتباعه هذا النور ليقتبسوا منه نور الوحدة فيفوزوا بالسعادة الكبرى والنعمة العظمى اولئك هم المفلحون فى حجب الانانية الفائزون بنور الوحدة كذا فى التأويلات النجمية (قل) يا محمد (يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الكافة من الثقلين الى من وجد فى عصره والى من سيوجد بعده الى يوم القيامة بخلاف سائر الرسل فانهم بعثوا الى اقوامهم اهل عصرهم ولم تستمر شرائعهم الى يوم القيامة واليكم متعلق بقوله رسول وجميعا حال من ضمير اليكم قال الحدادى انى رسول الله اليكم كافة ادعوكم الى طاعة الله وتوحيده واتباعه فيما اؤديه اليكم وفى آكام المرجان لم يخالف احد من طوائف المسلمين فى ان الله تعالى ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس والعرب والعجم فان قلت فى بعثة سليمان عليه السلام مشاركة له لانه ايضا كان مبعوثا الى الانس والجن وحاكما عليهما بل على جميع الحيوانات قلت ان سليمان لم يبعث الى الجن بالرسالة بل بالملك والضبط والسياسة والسلطنة لانه عليه السلام استخدمهم وقضى بينهم بالحق وما دعاهم الى دينه لان الشياطين والعفاريت كانوا يقومون فى خدمته وينقادون له مع انهم على كفرهم وطغيانهم كذا حققه والهى الاسكوبى قال ابن عقيل الجن داخلون فى مسمى الناس لغة وهو من ناس ينوس اذا تحرك قال الجوهرى وصاحب القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انس اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال (الذى) منصوب او مرفوع على المدح اى اعنى الله الذى او هو الذى (له ملك السموات والارض) مر اوراست بادشاهى آسمانها وزمينها وتدبير وتصرف دران (لا اله الا هو) هيچ معبودى نيست مستحق عبادت جزاو وهو بدل من الصلة التى قبله وفيه بيان لها لان من ملك العالم كان هو الاله المتفرد بالالوهية واسم هو ضمير غيبة وهو من اخص اسمائه تعالى اذ الغيبة الحقيقية انما هى له اذ لا تتصوره العقول ولا تحده الاوهام وهو اسم لحضرة الغيب الثانية التى هى اول تعينات الذات الذى هو برزخ جامع بين حكمى الاسم الباطن والظاهر وحيث تختفى فيه الواو فهو اسم لحضرة غيب الغيب وهى الحضرة الاولى من حضرات الذات وهو فاتحة الاسماء وام الكتاب بمنزلة الالف من الحروف كذا فى ترويح القلوب لعبد الرحمن البسطامى قدس سره واعلم ان المقربين لا يرون موجودا سوى الله تعالى فاذا قالوا هو اشاروا به الى الحق سبحانه سواء تقدم له مرجع اولا وتحقيقه فى حواشى ابن الشيخ فى سورة الاخلاص (يحيى ويميت) زيادة تقرير للالوهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة الا الذى لا اله الا هو قال الحدادى يحيى الخلق من النطفة ويميتهم عند انقضاء آجالهم لا يقدر على ذلك احد سواه وقيل معناه يحيى الاموات للبعث ويميت الاحياء فى الدنيا (فآمنوا بالله ورسوله) الفاء لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه الصلاة والسلام (النبى الامى) مدح له عليه السلام ومعنى

الامي لا يقرأ ولا يكتب فيؤمن من جهته ان يقرأ الكتب وينقل اليهم اخبار الماضين ولكن يتبع لما يوحى اليه
(الذي يؤمن بالله وكلماته) اى ما انزل عليه من اخبار سائر الرسل ومن كتبه ووحيه وانما وصف به لحمل اهل
الكتابين على الامتثال بما امروا به والتصريح بايمانه بالله تعالى للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك
عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به (واتبعوه) اى في كل ما يأتي وما يذر من امور الدين (لعلكم تهتدون) علة
للفعلين او حال من فاعليهما اى رجاء لاهتدائكم الى المطلوب او راجين له وفي تعليقه بهما ايذان بان من صدقه
ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلالة قال سيد الطائفة الجنيد
قدس سره الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم
طريقته لان طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه وعلى المقتفين اثره والمتابعين سنته قال الشيخ العارف الواصل
الوارث الكامل محيي الدين بن العربي قدس سره في بيان السنة والسني الانسان لا يخلو ان يكون واحدا من ثلاثة
بالنظر الشرعي وهو اما ان يكون باطنيا محضا وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالا وفعلا وهذا يؤدي
الى تعطيل احكام الشرائع وقلب اعيانها وكل ما يؤدي الى هدم قاعدة من قواعد الدين او سنة من سننه
ولو في العادات كالاكل والشرب والوقاع فهو مذموم بالاطلاق عصمنا الله واياكم من ذلك واما ان يكون
ظاهريا محضا متقلقلا بحيث ان يؤديه ذلك الى التجسيم والتشبيه نعوذ بالله منهما في باب الاعتقادات او يكون
معتمدا على مذهب فقيه من الفقهاء اصحاب علوم الاحكام المحجوبة قلوبهم بحب الدنيا عن معاينة الملكوت
فتراه خائفا من الخروج عن مذهبه فاذا سمع سنة من سنن النبي عليه السلام يحيلها على مذهب فقيه آخر فيترك
العمل بها ولو اوردت الف حديث مأثور في فضائلها فيتصامم عن سماعها بل يسيء الظن برواية المتقدمين من
التابعين والسلف بناء على عدم ايراد ذلك الفقيه اياها في كتابه فمثل ذلك ايضا ملحوق بالذم شرعا والى الله
نفزع ونلتجئ من ان يجعلنا واياكم منهم واما ان يكون جاريا مع الشريعة على فهم اللسان حيث ما مشى
الشارع مشى وحيث ما وقف وقف قدما بقدم حتى في اقل شيء من الفضائل في العبادات والعادات صارفا
جل عنايته وباذلا كل مجهوده في ان لا يفوته شيء من الافعال المحمدية في عباداته وعاداته على حسب
ما سنح له في اثناء مطالعاته من كتب الاحاديث المعول عليها او التي في اذنه من استاذه وشيخه المعتمد عليه
ان لم يكن من اهل المطالعة فهذا هو الوسط وهو السنة والآخذ به هو السني وبهذا يصح محبة الله له وحكى ان
الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر قال راعيت جميع ما صدر عن النبي عليه السلام سوى واحد وهو انه عليه
السلام زوج بنته عليا رضي الله عنه وكان يبيت في بيتها بلا تكلف ولم يكن لي بنت حتى افعل كذلك وحكى عن
سلطان العارفين ابي يزيد البسطامي قدس سره انه قال ذات يوم لاصحابه قوموا بنا حتى ننظر الى ذلك الذي
قد شهر نفسه بالولاية قال فمضينا فاذا بالرجل قد قصد المسجد فرمى بزاقه نحو القبلة فانصرف ابو يزيد ولم يسلم
عليه وقال هذا ليس بمأمون على ادب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على
ما يدعيه من مقامات الاولياء والصديقين ويحكى عن احمد بن حنبل رحمه الله قال كنت يوما مع جماعة تجردوا
ودخلوا الماء فعملت بالحديث وهو من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرأيت
تلك الليلة قائلا يقول لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك فقلت
من انت قال جبريل عليه السلام وعن عابس بن ربيعة قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر
الاسود ويقول اني لاعلم انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك واتفق المشايخ على
ان من القى زمامه في يد كلب مثلا حتى لا يكون تردده بحكم طبعه فنفسه اقوم لقبول الرياضة ممن جعل زمامه
في حكم نفسه يسترسل بها حيث شاء كالبهائم فالواجب عليك ان تكون تابعا لا مسترسلا * سگ اصحاب
كهف روزى چند * پى مردم گرفت ومردم شد * فاذا اتبعت فاتبع سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم الذي
آدم ومن دونه من الانبياء والاولياء تحت لوائه فاذا اتبعت واحدا من امته فلا تتبعه لمجرد كونه رجلا مشهورا
بين الناس مقبولا عند الامراء والسلاطين بل كان الواجب عليك ان تعرف اولا الحق ثم تزن الرجال به وفيه
قال باب العلم الرباني علي رضي الله عنه من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال بل اعرف الحق تعرف
اهله وبقدر متابعتك للنبي صلى الله عليه وسلم تستحكم مناسبتك به وتتأكد علاقة المحبة بينك وبينه وبكل

ما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه اوزيارة قبره او جواب المؤذن والدعاء له عقيبه كنت
مستحقا الشفاعته قالوا ولو وضع شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم او عصاه او سوطه على قبر عاص لنجا ذلك
المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب وان كانت في دار انسان او بلدة لا يصيب سكانها بلاء ببركاتها وان لم يشعروا
بها ومن هذا القبيل ماء زمزم والكفن المبلول به وبطانة استار الكعبة والتكفن بها قال الامام الغزالي رحمه الله
واذا اردت مثالا من خارج فاعلم ان كل من اطاع سلطانا وعظمه فاذا دخل بلدته ورأى فيها سهما من جعبته
او سوطا له فانه يعظم تلك البلدة واهلها فالملائكة يعظمون النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رأوا ذخائره في دار
او بلدة او قبر عظموا صاحبه وخففوا عنه العذاب ولذلك السبب ينفع الموتى ان توضع المصاحف على قبورهم
ويتلى عليهم القرآن ويكتب القرآن على القراطيس وتوضع في ايدي الموتى كذا في الاسرار المحمدية
قال في المجلد الثالث من المثنوي از انس فرزند مالك آمدست * كه بمهمانئ او شخصى شدست *
او حكايت كرد كز بعد طعام * ديد انس دستار خوان از زرد فام * چركن آلوده وگفت اى خادمه *
اندر افكن در تنورش يكدمه * در تنور پر ز آتش درفكند * آن زمان دستار خوان را هوشمند *
جمله مهمانان دران حيران شدند * انتظار دود كندورى بدند * بعد يكساعت بر آورد از تنور *
پاك واسپيد و از ان اوساخ دور * قوم گفتند اى صحابئ عزيز * چون نسوزيد ومنقا گشت نيز *
گفت زانكه مصطفى دست ودهان * پس بماليد اندرين دستار خوان * اى دل ترسنده از نار
وعذاب * با چنان دست ولبى كن اقتراب * چون جمادى را چنين تشريف داد * جان عاشق را
چها خواهد گشاد * اللهم اجعل حرقتنا محبته وارزقنا شفاعته (ومن قوم موسى) لما ذكر الله تعالى
عبدة العجل ومن قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وهم الاشقياء اتبع ذكرهم بذكر اضدادهم السعداء
فالمراد بالقوم بنو اسرائيل الموجودون في زمن موسى عليه السلام (امة) اى جماعة (يهدون) راه مى‌نمايند
خلق را فالمفعول محذوف (بالحق) ملتبسين به اى محقين (وبه) اى بالحق (يعدلون) اى في الاحكام الجارية
بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية والاشهر ان المراد بهذه الامة قوم وراء الصين باقصى
المشرق وذلك ان بني اسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان بعد وفاة موسى ووفاة خليفته يوشع حتى اجترؤا
على قتل انبيائهم ووقع الهرج والمرج تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين
اولئك الطاغين ففتح الله لهم وهم في بيت المقدس نفقا في الارض وجعل امامهم المصابيح لتضيء لهم بالنهار
فاذا امسوا اظلم عليهم النفق فنزلوا فاذا اصبحوا اضاءت لهم المصابيح فساروا ومعهم نهر من ماء يجري واجرى
الله تعالى عليهم ارزاقهم فساروا فيه على هذا الوجه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من وراء الصين الى ارض
باقصى المشرق طاهرة طيبة فنزلوها وهم مختلطون بالسباع والوحوش والهوام لا يضر بعضهم بعضا وهم
متمسكون بالتوراة مشتاقون الى الاسلام لا يعصون الله تعالى طرفة عين تصافحهم الملائكة وهم في منقطع
من الارض لا يصل اليهم احد منا ولا احد منهم الينا اما لان بين الصين وبينهم واديا جاريا من رمل فيمنع الناس
من اتيانهم كما قال ابن عباس رضي الله عنه او نهرا من شهد كما قال السدي وانهم كبني اب واحد ليس
لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون ويحصدون جميعا فيضعون الحاصل
في اماكن من القرية فيأخذ كل رجل منهم قدر حاجته ويدع الباقي روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لجبرائيل ليلة المعراج اني احب ان أرى القوم الذين اثنى الله عليهم بقوله ومن قوم موسى امة الآية
فقال ان بينك وبينهم مسيرة ست سنين ذهابا وست سنين ايابا ولكن سل ربك حتى يأذن لك فدعا النبي عليه
السلام وامن جبريل فاوحى الله تعالى الى جبريل انه اجبه الى ما سأل فركب البراق فخطا خطوات
فاذا هو بين اظهر القوم فسلم عليهم وردوا عليه سلامه وسألوه من انت فقال انا النبي الامي قالوا انت الذي
بشر بك موسى عليه السلام واوصانا بان قال لنا من ادرك منكم احمد عليه الصلاة والسلام فليقرأ عليه مني
السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى سلامه وقالوا نحن معك قال اوترون قالوا نعم قال هو
جبريل قال فرأيت قبورهم على ابواب دورهم فقلت لم ذلك قالوا اجدر ان نذكر الموت صباحا ومساء فقال
ارى بنيانكم مستويا قالوا ذلك لئلا يشرف بعضنا على بعض ولئلا يسد احد على احد الريح والهواء قال فمالي

لا ارى لكم قاضيا ولاسلطانا قالوا انصف بعضنا بعضا واعطينا الحق فلم نحتج الى قاض ينصف بيننا قال فمالى ارى اسواقكم خالية قالوا نزرع جميعا ونحصد جميعا فيأخذ كل احد منا ما يكفيه ويدع الباقى لاخيه فلا نحتاج الى مراجعة الاسواق قال فمالى ارى هؤلاء القوم يضحكون قالوا مات لهم ميت فيضحكون سرورا بما قبضه الله على التوحيد قال فما لهؤلاء القوم يبكون قالوا ولد لهم مولود فهم لا يدرون على اى دين يقبض فيغتمون لذلك قال فاذا ولد لكم ذكر فماذا تصنعون قالوا نصوم لله شكرا شهرا قال فالانثى قالوا نصوم لله شكرا شهرين قال ولم قالوا لان موسى عليه السلام اخبرنا ان الصبر على الانثى اعظم اجرا من الصبر على الذكر قال افتزنون قالوا وهل يفعل ذلك احد لو فعل ذلك احد لحصبته السماء وخسفت به الارض من تحته قال افترابون قالوا انما يرابى من لا يؤمن برزق الله قال افتمرضون قالوا لا نمرض ولا نذنب انما تذنب امتك فيمرضون ليكون ذلك كفارة لذنوبهم قال هل فى ارضكم سباع وهوام قالوا نعم تمر بنا ونمر بها ولا تؤذينا ولا نؤذيها فعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم شريعته والصلوات الخمس عليهم وعلمهم الفاتحة وسورا من القرآن قال الحدادى اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن يومئذ نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة فامرهم بالصلاة والزكاة وان يتركوا تحريم السبت ويجمعوا وامرهم ان يقيموا مكانهم فهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون مستقبلون قبلتنا يقول الفقير التجيع وهو بالفارسى نماز آدينه آمدن وكزاردن آن انما شرع بعد الهجرة فتناقض اول الكلام مع آخره وكذا امر القبلة ولعل النبى عليه السلام علمهم اولا ما نزل بمكة من الشرائع والاحكام ثم اكمل لهم الدعوة بطريق آخر فان المعراج بالروح والجسد معا وان حصل له عليه السلام مرة واحدة بمكة وفى ليلته فرضت الصلاة على ما عليه الكل الا انه عليه السلام كان يصل جسده الشريف فى لمحة الى حيث يصل اليه بصره وكان عنده القريب والبعيد على السواء هذا ما خطر بالضمير بعد ما رأيت من اهل التفسير ما يتنافى الاول منه بالاخير والله هو العليم الخبير والاشارة فى الآية ومن قوم موسى امة يهدون بالحق يعنى خواصهم يهدون بالحق يرشدون الخلق بالكتاب المنزل بالحق على موسى عليه السلام وبه يعدلون اى به يحكمون بين العوام وشتان بين امة امية بلغوا على مراتب الروحانية بالسير فى متابعة النبى الامى ثم اختطفوا عن انانية روحانيتهم بجذبات انوار المتابعة الى مقام الوحدة التى هى مصدر وجودهم فى بقاء الوحدة كما قال تعالى كنت له سمعا وبصرا ولسانا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبالرجوع الى هذا المقام سموا اميين فانهم رجعوا الى اصلهم الذى صدروا عنه ايجادا وبين امة كان نبيهم محجوبا بحجاب الانانية عند سؤال الرؤية بقوله ارنى انظر اليك فاجيب لن ترانى لانك كنت بك لا بى فانه لا يرانى الا من كان بى لا به فاكون بصره الذى يبصر به وهذا مقام الامة الامية فلهذا قال موسى عليه السلام اللهم اجعلنى من امة احمد شوقا الى لقاء ربه فافهم جدا كذا فى التأويلات النجمية

مصطفى را انبيا امت شدند * جمله درزير لواء او بدند
پايه اين امت مرحومه بين * كى بقالوا بين ارباب اليقين
رفعتش بين الامم چون آفتاب * درميان انجم اى عالى جناب
پيشه كن اى حق شرع اين نبى * تا نباشد فوت ازتو مطالبى

(وقطعناهم) اى قوم موسى لا الامة المذكورة منهم (اثنتى عشرة) ثانى مفعولى قطع لتضمنه معنى التصيير والتأنيث للحمل على الامة او القطعة اى صيرناهم اثنتى عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض (اسباطا) بدل منه ولذلك جمع لان مميز احد عشر الى تسعة عشر يكون مفردا منصوبا واسباطا جمع فلا يصلح ان يكون مميزا له وهى جمع سبط والسبط من ولد اسحق كالقبيلة من ولد اسمعيل وهو فى الاصل ولد الولد (امما) بدل بعد بدل جمع امة وهى بمعنى الجماعة وانحصر فرق بنى اسرائيل فى اثنتى عشرة فرقة لانهم تشعبوا من اثنى عشر رجلا من اولاد يعقوب فانعم الله عليهم بهذا التقطيع والتمييز لتنتظم احوالهم ويتيسر عيشهم وكانوا اقواما متباغضة متعصبة (واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه) اى طلبوا منه الماء حين استولى عليهم العطش فى التيه الذى وقعوا فيه بسوء صنيعهم (ان) مفسر لفعل الايحاء (اضرب بعصاك) كان عصاه من آس الجنة وكان آدم حملها معه من الجنة الى الارض فتوارثها الانبياء صاغرا عن كابر حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى (الحجر) قد سبق فى البقرة على الاختلاف الواقع فيه (وقال فى التفسير الفارسى) آن سنك را كه چون بتيه درآمدى با تو بسخن درآمد كه مرا بردار كه ترا بكار آيم وتو برداشتى وحالا در توبره

دارى موسى عليه السلام عصا بران سنك زد (فانبجست) پس شكافته شد وكشاده كشت (منه) از آن سنك (اثنتا عشرة عينا) دوازده چشمه بعدد الاسباط قال الحدادى الانبجاس خروج الماء قليلا والانفجار خروجه واسعا وانما قال فانبجست لان الماء كان يخرج من الحجر فى الابتداء قليلا ثم يتسع فاجتمع فيه صفة الانبجاس والانفجار (قد علم كل اناس) كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط (مشربهم) اى عينهم الخاصة بهم وكان كل سبط يشربون من عين لا يخالطهم فيها غيرهم للعصبية التى كانت بينهم قال ابن الشيخ كان فى ذلك الحجر اثنتا عشرة حفرة فكانوا اذا نزلوا وضعوا الحجر وجاء كل سبط الى حفرته فحفروا الجداول الى اهلهم فذلك قوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم اى موضع شربهم (وظللنا عليهم الغمام) اى جعلناها بحيث تلقى عليهم ظلها تسير فى التيه بسيرهم وتسكن باقامتهم لتقيهم حر الشمس فى النهار وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه (وانزلنا عليهم المن) الترنجبين قال فى القاموس المن كل طل ينزل من السماء على شجر او حجر ويحلو وينعقد عسلا ويجف جفاف الصمغ كالشيرخشت والترنجبين (والسلوى) قال القزوينى وابن البيطار انه السمانى وقال غيرهما طائر قريب من السمانى (قال فى التفسير الفارسى) مرغى بر شكل سمانى وان طائريست درطرف يمن از كنجشك بزركتر واز كبوتر خردتر * وانما سمى سلوى لان الانسان يسلو به عن سائر الادام وفى الحديث اطيب اللحم لحم الطير وفى الحديث ايضا سيد الادام فى الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء وسيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية ويدل على كون اللحم سيد الطعام ايضا قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السمانى فيذبح الرجل منه ما يكفيه (كلوا) اى قلنا لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) اى مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى قال فى التفسير الفارسى از پاكيزها آنچه بمحض عنايت روزى كرديم شمارا يعنى هرچه روزى ميرسد بخوريد وبراى خود ذخيره منهيد پس ايشان خلاف كرده وذخيره مى نهادند همه متعفن ومتغير ميشد (وما ظلمونا) عطف على جملة محذوفة للايجاز اى فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) اذ لا يتخطاهم ضرره قال الحدادى اى يضرون انفسهم باستيجابهم عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا كلفة ولا مشقة فى الدنيا ولا حساب ولا تبعة فى العقبى (واذ قيل لهم) اى واذكر لهم يا محمد وقت قوله تعالى لاسلافهم (اسكنوا هذه القرية) منصوبة على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهى بيت المقدس او اريحاء وهى قرية الجبارين بقرب بيت المقدس وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة رأسهم عوج بن عنق (وكلوا منها) اى من مطاعمها وثمارها (حيث شئتم) اى من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد (وقولوا حطة) اى مسألتنا حطت ذنوبنا عنا فعلة من الحط كالردة من الرد والحط وضع الشئ من اعلى الى اسفل والمراد هنا بالحط المغفرة وحط الذنوب (وادخلوا الباب) اى باب القرية (سجدا) منحنين متواضعين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه ثم ان كان المراد بالقرية اريحاء فقد روى انهم دخلوها حيث سار اليها موسى عليه السلام بمن بقى من بنى اسرائيل او بذرياتهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر فى سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روى انهم لم يدخلوه فى حياة موسى فقيل المراد بالباب باب القبة التى كانوا يصلون اليها كذا فى الارشاد (نغفر لكم خطيئاتكم) ما سلف من ذنوبكم باستغفاركم وخضوعكم (سنزيد المحسنين) استئناف بيانى كانه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد المحسنين احسانا وثوابا فالمغفرة مسببة عن الامتثال والانابة محض تفضل (فبدل الذين ظلموا منهم) ما امروا به من التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه (قولا) آخر مما لا خير فيه روى انهم دخلوا زاحفين على استاههم وقالوا مكان حطة حنطة استخفافا بامر الله تعالى واستهزاء بموسى عليه السلام وعدولا عن طلب عفو الله تعالى ورحمته الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا الفانية الدنية (غير الذى قيل لهم) نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل وجه (فارسلنا عليهم) اى على الذين ظلموا اثر ما فعلوا من غير تأخر والارسال من فوق كالانزال (رجزا من السماء) عذابا كائنا

منها والمراد الطاعون روى انه مات منهم فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا (بما كانوا يظلمون) بسبب ظلمهم
المستمر السابق واللاحق لا بسبب التبديل فقط كذا من لم يعرف قدر النعماء يقرع باب البلاء ليجرى عليه احكام
القضاء فامتحن بانواع المحن والوباء واعلم ان الذين ظلموا من بنى اسرائيل افسدوا عليهم النعمتين نعمة الدنيا
وهى المن والسلوى وغيرهما ونعمة العقبى وهى المغفرة والانابة وبعد فوت زمان التدارك لا ينفع نفسا ايمانها
ولا تحسرها وندمها حكى ان اخوين فى الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا فى ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا
الرواح خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فالقته اليهما فقالا ان هذا لمن كنز فاقاما عليه ثلاثة
ايام كل يوم تخرج لهما دينارا فقال احدهما للآخر الى متى ننتظر هذه الحية الا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز
فنأخذه فنهاه اخوه وقال ماتدرى لعلك تعطب ولا تدرك المال فابى عليه فاخذ فأسا معه ورصد الحية حتى
خرجت وضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها فبادرت الحية فقتلته ورجعت الى جحرها فدفنه اخوه
واقام حتى اذا كان الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شىء فقال يا هذه انى والله ما رضيت بما اصابك
ولقد نهيت اخى عن ذلك فهل لك ان نجعل الله بيننا الا تضرينى ولا اضرك وترجعين الى ما كنت عليه فقالت
الحية لا فقال ولم قالت لانى اعلم ان نفسك لا تطيب لى ابدا وانت ترى قبر اخيك ونفسى لا تطيب لك وانا اذكر
هذه الشجة كذا فى حياة الحيوان (قال فى المثنوى) بركذشته حسرت آوردن خطاست *
بازنايد رفته ياد آن هباست * اللهم اجعلنا من المتيقظين قبل طلوع صبح الآخرة ولا تجعلنا غافلين عما
يهمنا من الامور الباطنة والظاهرة ووفقنا كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا وعن
بواطننا خبيرا (واسألهم) عطف على واذكر المقدر عند قوله واذ قيل والضمير البارز عائد الى اليهود المعاصرين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس المقصود من السؤال استعلام ما ليس معلوما للسائل لانه عليه السلام
كان قد علم هذه القصة من قبل الله تعالى بالوحى بل المقصود منه ان يحملهم الرسول صلى الله عليه وسلم
على ان يقروا بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى ومخالفتهم الانبياء على طريق التوارث من اسلافهم
وتقريعهم بذلك وان يظهر بذلك معجزة دالة على انه نبى حق اوحى اليه ما لا يعلم الا بتعليم او وحى فانه عليه
السلام لما كان اميا ولم يخالط اهل الكتب السابقة وبين هذه القصة على وجهها من غير زيادة ولا نقصان
تعين انه علم ذلك بالوحى فكان بيانها على ما وقعت معجزة ظاهرة من جملة معجزاته عليه السلام (عن القرية)
اى عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهى ايلة بين مدين والطور والعرب تسمى
المدينة قرية (التى كانت حاضرة البحر) اى قريبة منه مشرفة على شاطئه (اذ يعدون فى السبت) اى يتجاوزون
حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة واذ ظرف للمضاف المحذوف
(اذ تأتيهم حيتانهم) ظرف ليعدون والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان
لفظا ومعنى وكان على بن ابى طالب يقول سبحان من يعلم اختلاف النينان فى البحار الغامرات واضافتها
اليهم لان المراد بالحيتان الكائنة فى تلك الناحية (يوم سبتهم) ظرف لتأتيهم اى تأتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت
فالسبت هنا مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وفى التفسير الفارسى روز شنبه ايشان
فهو اسم لليوم (شرعا) جمع شارع من شرع عليه اذا دنا واشرف وهو حال من حيتانهم اى تأتيهم يوم سبتهم
ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل (ويوم لا يسبتون) اى لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم
المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اى لا سبت ولا مراعاة (لا تأتيهم) كما كانت
تأتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم فان الله تعالى قوى دواعيها الى الشروع فى يوم السبت معجزة لنبى ذلك
الوقت وابتلاء لتلك التى فضلت بين يوم السبت وغيره من الايام (كذلك نبلوهم) الكاف فى موضع النصب
بقوله نبلوهم اى مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم ونؤاخذهم به
(بما كانوا يفسقون) اى بسبب فسقهم المستمر فى كل ما يأتون وما يذرون (واذ قالت) عطف على اذ يعدون
(امة منهم) اى جماعة من صلحائهم الذين ركبوا فى عظتهم متن كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول
لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتأثير مبالغة فى الاعذار وطمعا فى فائدة الانذار (لم تعظون)
چرا پند ميدهيد (قوما) كروهى راكه بى شبهه (الله مهلكهم) اى مستأصلهم ومطهر الارض منهم

(او معذبهم عذابا شديدا) دون الاستئصال بالمرة والمفهوم من بقية الآية كون المراد عذاب الدنيا قالوه مبالغة
فى ان الوعظ لا ينجع فيهم لا انكار لوعظهم ورضى بالمعصية منهم (قالوا) اى الوعاظ (معذرة الى ربكم)
مفعول له اى نعظهم معذرة اليه تعالى والمعذرة اسم مصدر بمعنى العذر وهو بضم فسكون فى الاصل تحرى
الانسان ما يمحو به ذنوبه بان يقول لم افعل او فعلت لاجل كذا او فعلت ولا اعود هذا الثالث التوبة فكل
توبة عذر بلا عكس وقيل المعذرة بمعنى الاعتذار يقال اعتذرت الى فلان من جرمى ويعدى بمن والمعتذر
قد يكون محقا وغير محق كذا فى تاج المصادر (قال السعدى) كر بمحشر خطاب قهر كند * انبيارا چه
جاى معذرت است * پرده از لطف كو بردار * كه اشقيارا اميد مغفرت است (ولعلهم يتقون)
عطف على معذرة اى ورجاء لان يتقوا بعض التقاة ويتركوا المعصية لان قبول الحق الواضح يرجى من العاقل
واليأس لا يحصل الا بالهلاك وهذا صريح فى ان القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب
الخطاب اى ولعلكم (فلما نسوا ما ذكروا به) اى تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسى للشىء واعرضوا عنه
اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شىء من تلك المواعظ اصلا فيكون من ذكر المسبب وارادة السبب (انجينا
الذين ينهون عن السوء) اى خلصنا الذين ينهون عن الاصطياد وهم الفريقان المذكوران قال ابن عباس
رضى الله عنه نزل والله بالمداهن ما نزل بالمستحل وقال الحسن نجا فرقتان وهلكت فرقة وانكر القول الذى
ذكر له عن ابن عباس وقال ما هلك الا فرقة لانه ليس شىء ابلغ من الامر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد
وقد ذكرت الفرقة الثالثة الوعيد فقالت لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا وقول الحسن اقرب
الى ظاهر الآية كذا فى تفسير الحدادى (واخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء ومخالفة الامر (بعذاب بئيس)
اى شديد وزنا ومعنى (بما كانوا يفسقون) متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اى
اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم فى الفسق الذى هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان
ايضا ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا فى الغى فمسخهم
بعد ذلك لقوله تعالى (فلما عتوا عما نهوا عنه) اى تمردوا وتكبروا وابوا عن ترك ما نهوا عنه قدر المضاف اذ التكبر
والاباء من نفس المنهى عنه لا يذم فهو كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم اى عن امتثال امر ربهم والعاتى هو شديد
الدخول فى الفساد المتمرد الذى لا يقبل الموعظة (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) صاغرين اذلاء بعداء عن الناس
فى القاموس خسأ الكلب كمنع طرده والكلب بعد والقردة جمع قرد بالفارسى بوزينه والانثى قردة وجمعها قرد
مثل قربة وقرب والمراد بالامر هو الامر التكوينى لا القولى التكليفى لانهم لا يقدرون على قلب انفسهم قردة
وتكليف العاجز غير معقول فليس ثمة قول ولا امر ولا مأمور حقيقة وانما هو تعلق قدرة وارادة بمسخهم
نعوذ بالله تعالى روى ان اليهود امروا باليوم الذى امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعنى
بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد وامروا بتعظيمه فكانت
الحيتان تأتيهم يوم السبت كانها المخاض والكباش البيض السمان تنتطح لا يرى وجه الماء لكثرتها
ولا تأتيهم فى سائر الايام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها
يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت
فلا تقدر على الخروج ويأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط فى ذنبه خيطا الى خشبة
فى الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع على تنوره فقال له انى ارى الله سيعذبك فلما لم يره
عذب اخذ فى السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا
وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فكان اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهى وثلث ملوا التذكير وسئموه
وقالوا للواعظين لم تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فباعوا الدور
والمساكن وخرجوا من القرية فضربوا الخيام خارجا منها واقتسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين
باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم فخرجوا من ابوابهم وانتشروا والمعتدون لم يخرج
من المعتدين احد فقالوا لعل الخمر غلبتهم او ان لهم لشأنا من خسف او مسخ او رمى بالحجارة فعلوا الجدار فنظروا
فاذا هم قردة او صار الشبان قردة والشيوخ خنازير ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابهم

من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد يأتى نسيبه فيشم ثيابه فيبكى ويقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد برأسه بلى ودموعهم تسيل على خدودهم ثم ماتوا عن مكث كما قال ابن عباس رضى الله عنه لم يعش ممسوخ قط اكثر من ثلاثة ايام وعليه الجمهور واما قوله عليه السلام فقدت امة من بنى اسرائيل لا يدرى ما فعلت ولا اراها الا الفأر الا ترونها اذا وضع لها البان الابل لم تشرب بها واذا وضع لها البان غيرها شربتها وما روى ان النبى عليه السلام اتى بضب فابى ان يأكله وقال لا ادرى لعله من القرون التى مسخت فالجواب عنهما ان ذلك كان قبل ان يوحى اليه ان الله لم يجعل لممسوخ نسلا فلما اوحى اليه زال عنه ذلك المخوف وعلم ان الضب والفأر ليسا مما مسخ فعند ذلك اخبر بأنه قوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن القردة والخنازير أهى مما مسخ فقال ان الله لم يهلك قوما اويعذب قوما فيجعل لهم نسلا وان القردة والخنازير كانوا قبل ذلك وثبتت النصوص باكل الضب بحضرته وعلى مائدته ولم ينكره كذا فى حياة الحيوان وعن مجاهد وانما مسخت قلوبهم فقط وردت افهامهم كافهام القردة وهذا قول تفرد به عن جميع المسلمين يقول الفقير مسخ القلب مشترك بين عصاة جميع الامم وعادة الله تعالى فى النبوة الاولى تعجيل عقوبة الدنيا على اقبح وجه وافظعه ولا عقوبة ادهى من تبديل الصورة الحسنة الانسانية الى صورة اخس الحيوانات وهى صورة القردة والخنازير القبيحة نعم مسخ القلب والمعنى سبب لمسخ القالب والصورة نعوذ بالله وعن الحسن وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل ذلك موعدا والساعة ادهى وامر قال انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل هل فى امتك خسف قال نعم قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لبسوا الحرير واستباحوا الزنى وشربوا الخمور وطففوا المكيال والميزان واتخذوا القينات والمعازف وضربوا بالدفوف واستحلوا الصيد فى الحرم والاشارة ان القرية هى قرية الجسد الحيوانى على شاطئ بحر البشرية واهل قرية الحس الصفات الانسانية وهى على ثلاثة اصناف منها صنف روحانى كصفات الروح وصنف قلبى كصفات القلب وصنف نفسانى كصفات النفس الامارة بالسوء وكل قد نهوا عن صيد حيتان الدواعى البشرية فى سبت محارم الله فصنف امسك عن الصيد ونهى عنه وهو الصفات الروحانية وصنف امسك ولم ينه وهو الصفات القلبية وصنف انتهك الحرمة وهو الصفات النفسانية قال حضرة شيخنا العلامة ابقاه الله بالسلامة يوم طور النفس الامارة بالسوء يوم السبت لانقطاع اهله باتباع الطاغوت والجبت وشهره شهر المحرم لحرمانه عن القربة والنيل والوصلة ونجمه القمر وفلكه فلك السماء الدنيا وآيته قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد انتهى وتتوفر الدواعى البشرية فيما حرم الله باغراء الشيطان وتزيينه لان الانسان حريص على ما منع ولا يرغب فيما لم يحرم الله فمن كان الغالب عليه صفات الروح وقهر النفس وتبديل صفاتها بالتزكية والتحلية فانه من اهل النجاة وارباب الدرجات واصحاب القربات ومن كان الغالب عليه النفس وصفاتها فانه من اهل الهلاك وارباب الدركات واصحاب المباعدات (وفى المثنوى) نفس تو تا مست وتازه است وقديد * وآنكه روحت خاشة غيبى نديد * كه علاماتست زان ديدار نور * التجافى منك عن دار الغرور * واى آنكه عقل او ماده بود * نفس زشتش نر وآماده بود * لاجرم مغلوب باشد عقل او * جز سوى خسران نباشد نقل او * وصف حيوانى بود بر زن فزون * زانكه سوى رنك وبو دارد ركون (واذ تأذن ربك) بمعنى آذن مثل توعد بمعنى اوعد والايذان الاعلام وبمعنى عزم لان من عزم على الامر وصمم نيته عليه يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله وعزم الله تعالى على الامر عبارة عن تقرر ذلك الامر فى علمه وتعلق ارادته بوقوعه فى الوقت المقدر له والمعنى واذكر يا محمد لليهود وقت ايجابه تعالى على نفسه (ليبعثن) البتة (عليهم الى يوم القيامة) متعلق بقوله ليبعثن واللام فيه لام جواب القسم لان قوله واذ تأذن ربك جار مجرى القسم كعلم الله وشهد الله من حيث دلالته على تأكيد الخبر المؤذن به (من يسومهم) السوم رنج بخشانيدن كذا فى تاج المصادر فالمعنى كسى راكه بخشاند ايشانرا (سوء العذاب) عذابى سخت كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر قال الحدادى وفى هذه الآية دلالة على ان

اليهود لا ترفع لهم راية عز الى يوم القيامة (ان ربك لسريع العقاب) يعاقبهم فى الدنيا (وانه لغفور رحيم) لمن تاب وآمن منهم وفى الآية اشارة الى ان الشيطان وهو المنظر الى يوم القيامة يبعث ليسوم الخلق سوء العذاب وهو الابعاد عن القربة والاغراء فى الضلالة والاقعاد عن العبودية والاضلال عن الصراط المستقيم ان ربك لسريع العقاب يعاقبهم فى الدنيا ويملى لهم ليزدادوا اثما هذا عقوبة فى الدنيا وهى تورث العقوبة فى الآخرة وانه لغفور يغفر ذنوب من يرجع اليه ويتوب اى الارواح والقلوب لو رجعت عن متابعة النفس وهواها وتابت الى الله واستغفرت لغفرت لانه رحيم يرحم من تاب اليه وفيه معنى آخر انه لسريع العقاب اى يعاقب المؤمنين فى الدنيا بانواع البلاء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ويوفقهم الى الصبر على ذلك ليجعله كفارة لذنوبهم حتى اذا خرجوا من الدنيا خرجوا نقيا لا يعذبون فى الآخرة وانه لغفور رحيم لهم فى الآخرة لقى يحيى عيسى عليهما السلام فتبسم عيسى فى وجه يحيى فقال مالى اراك لاهيا كانك آمن فقال الآخر مالى اراك عابسا كانك آيس فقالا لا نبرح حتى ينزل علينا الوحى فاوحى الله تعالى احبكما الى احسنكما ظنا بى (قال السعدى) نه يوسف كه چندان بلا ديد وبند * چو حكمش روان كشت وقدرش بلند * كنه عفو كرد آل يعقوب را * كه معنى بود صورت خوب را * بكردار بدشان مقيد نكرد * بضاعات مزجات شان ورد نكرد * زلطفت همى چشم داديم نيز * برين بى بضاعت ببخش اى عزيز * فينبغى للعاقل ان يحسن الظن بربه ولا يتكاسل فى باب العبادة فان السفينة لا تجرى على اليبس وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال دخلت جبانة البصرة فاذا انا بسعدون المجنون فقلت كيف حالك وكيف انت قال يا مالك كيف يكون حال من امسى واصبح يريد سفرا بعيدا بلا اهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد ثم بكا بكاء شديدا فقلت ما يبكيك قال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت والبلى لكن بكيت ليوم مضى من عمرى لا يحسن فيه عمل ابكانى والله قلة الزاد وبعد المفازة والعقبة الكؤود ولا ادرى بعد ذلك اصير الى الجنة ام الى النار فسمعت منه كلام حكمة فقلت ان الناس يزعمون انك مجنون فقال وانت اغتررت بما اغتر به بنو اسرائيل زعم الناس انى مجنون ومابى جنة ولكن حب مولاى قد خالط قلبى واحشائى وجرى بين لحمى ودمى وعظامى فانا والله من حبه هائم مشغوف فقلت يا سعدون فلم لا تجالس الناس وتخالطهم فانشأ يقول

كن من الناس جانبا * وارض بالله صاحبا
قلب الناس كيف شئت تجد هم عقاربا

كذا فى روض الرياحين لليافعى (وقطعناهم) اى فرقنا بنى اسرائيل (فى الارض) وجعلنا كل فرقة منهم فى قطر من اقطارها بحيث لا تخلو ناحية منها منهم تتميما لجزاء ادبارهم واعراضهم عن الحق حتى لا يكون لهم شوكة بالاجتماع ابدا (امما) حال من مفعول قطعناهم اى حال كونهم جماعات او مفعول ثان لقطعنا باعتبار تضمنه معنى صيرنا (منهم الصالحون) صفة لأمما وهم المتدينون بدين موسى (ومنهم دون ذلك) تقديره ومنهم ناس دون ذلك على ان دون ذلك صفة لموصوف محذوف مرفوع على الابتداء وقوله منهم خبر قدم عليه قال التفتازانى قد شاع فى الاستعمال وقوع المبتدأ والخبر ظرفين واستمر النحاة على جعل الاول خبرا والثانى مبتدأ بتقدير موصوف دون العكس وان كان ابعد من جهة المعنى والتأخير بالخبر اولى وكانهم يرون المصير الى ان الحذف فى اوانه اولى انتهى وذلك اشارة الى الصلاح المدلول عليه بقوله الصالحون بتقدير المضاف ليصح المعنى اى ومنهم دون اهل ذلك الصلاح منحطون عنهم وهم كفرتهم وفسقتهم وجوز بمعنى اولئك فالاشارة الى الصالحين وقد ذكر النحويون ان اسم الاشارة المفرد قد يستعمل للمثنى والمجموع كذا فى حواشى سعدى چلبى (وبلوناهم) اى عاملناهم معاملة المبتلى المختبر (بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم حيث فتحنا عليهم تارة باب الخصب والعافية وتارة باب الجدب والشدائد (لعلهم يرجعون) ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه من الكفر والمعاصى فان كل واحد من الحسنات والسيئات يدعو الى الطاعة اما الحسنات فللترغيب فيها واما السيئات فللترهيب عن المعصية (قال الكاشفى) ايشانرا در شكر نعمت بايست كرد بطر واستغنا ظاهر كردند وكفتند ان الله فقير ونحن اغنياء ودر محنت صبرى بايست كرد آغاز ناسزا كردند وكفتند يد الله

مغلوله پس بر محك اختبار تمام عيار بيرون نيامدند ✻ خوش بود كر محك تجربه آيد بميان ✻ تا سيه روى شود هر كه در وغش باشد ✻ وفى التأويلات النجمية بلوناهم بالحسنات اى بكثرة الطاعات ورؤيتها والعجب بها كما كان حال ابليس والسيئات اى المعاصى ورؤيتها والندامة عليها والتوبة منها والخوف والخشية من ربهم كما كان حال آدم عليه السلام رجع الى الله تعالى وقال ربنا ظلمنا انفسنا (فخلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) اى بدل سوء وهم الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم الذين خلفوا من اليهود الذين فرقهم الله فى الارض امما موصوفين بانهم منهم الصالحون ومنهم دون ذلك والخلف مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع يقال خلف فلان فلانا اذا كان خليفته وخلف من قومه خلافة اى قام مقامه فى تدبير احوال قومه قال ابن الاعرابى الخلف بفتح اللام الصالح وباسكان اللام الطالح ومنه قيل لردئ الكلام خلف وقال محمد بن جرير اكثر ما جاء فى المدح بفتح اللام وفى الذم بتسكينها وقد يحرك فى الذم ويسكن فى المدح قال واحسبه فى الذم ماخوذ من خلف اللبن اذا حمض من طول تركه فى السقاء حتى يفسد ومنه قولهم خلف فم الصائم اذا تغيرت ريحه وفسدت فكان الرجل الفاسد مشبه به والحاصل ان كليهما يستعملان فى الشر والخير الا ان اكثر الاستعمال فى الخير بالفتح كذا فى تفسير الحدادى (ورثوا الكتاب) اى التوراة من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها والميراث ما صار للباقى من جهة الهالك وهو فى محل الرفع على انه نعت لقوله خلف (يأخذون عرض هذا الادنى) استئناف اى يأخذون حطام هذا الشئ الادنى يعنى الدنيا وهو من الدنو اى القرب سميت هذه الدار وهذه الحياة دنيا لدنوها وكونها عاجلة يقال دنوت منه دنوا اى قربت والدانى القريب او من الدناءة يقال دنأ الرجل دناءة اى صار دنيئا خسيسا لا خير فيه والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى فى الحكومات وعلى تحريف الكلام قال الحدادى سمى متاع الدنيا عرضا لقلة بقائه كانه يعرض فيزول قال الله تعالى هذا عارض ممطرنا يريدون بذلك السحاب (ويقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه يقال غفر الله له ذنبه غطى عليه وعفا عنه قوله سيغفر اما مسند الى الجار والمجرور بعده وهو لنا واما الى ضمير الاخذ فى يأخذون كقوله اعدلوا هو اقرب اى سيغفر لنا اخذ العرض الادنى وفى التأويلات النجمية من شأن النفوس ان يجعلوا المواهب الربانية والكشوف الروحانية ذريعة العروض الدنيوية ويصرفوها فى تحصيل المال والجاه واستيفاء اللذات والشهوات ويقولون سيغفر لنا لانا وصلنا الى مقام ورتبة يغفر لنا مثل الزلات والخطيئات كما هو مذهب اهل الاباحة جهالة وغرورا منهم وفيه معنى آخر وهو انهم يقولون سيغفر لنا اذا استغفرنا منها وهم يستغفرون باللسان لا بالقلب (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) حال من فاعل يقولون اى يأخذون الرشى فى الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون انه تعالى لا يؤاخذنا باخذ ما اخذناه من عرض الدنيا ويتجاوز عنه والحال انهم مصرون على اخذه عائدون الى مثله غير تائبين عنه (الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) اى العهد المذكور فى التوراة (ان لا يقولوا على الله الا الحق) عطف بيان للميثاق اى لا تفتروا على الله مثل القطع على المغفرة مع الاصرار على الذنب (ودرسوا ما فيه) وخوانده اند آنچه دروست واين حكم دروى نديده اند ✻ وهو معطوف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير اى اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه ولك ان تقول درسوا عطف على لم يؤخذ فالاستفهام التقريرى متعلق بهما (والدار الآخرة) ورستكارى سراى ديكر كه عقباست (خير) بهتراست از عرض دنيا (للذين يتقون) المعاصى والشرك واكل الحرام والافتراء على الله تعالى (افلا تعقلون) فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد (والذين) اى وخير ايضا للذين (يمسكون بالكتاب) اى يتمسكون به فى امور دينهم يقال مسك بالشئ وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذى جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة اى وسيلة وسببا لاكل الناس وقال عطاء هم امة محمد عليه السلام فالمراد بالكتاب القرآن (واقاموا الصلاة) من قبيل ذكر الخاص بعد ذكر العام للتنبيه على شرف الخاص وفضله فان اقامة الصلاة اعظم العبادات وافضلها بعد الايمان فافردت بالذكر لعلو قدرها بالنسبة الى سائر انواع التمسكات ✻ خانهٔ دين خويش را چو خدا ✻ برستون نماز كرد بنا ✻ بى شكى تا ستون بجاى بود ✻ خانهٔ دين حق بپاى بود

انا

(انا لا نضيع اجر المصلحين) اى نعطيهم اجرهم فى القول والعمل (قال الكاشفى) مزد كار بصلاح آرند كان كردار خود وابلكه تمام بديشان رسانيم والاصلاح اما اصلاح الظواهر واما اصلاح السرائر وذلك بالتقيد بالاعمال الظاهرة وتربية النفس الى ان صلحت لقبول فيض نور الله واعلم ان الغالب فى آخر الزمان ترك العمل بالقرآن ولقد خلف من بعد السعداء اشقياء اطمأنوا الى زخارف الدنيا قال الحسن رأيت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وكانوا بالبلاء اشد منكم فرحا بالرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا اشراركم حكموا بانهم ما يؤمنون بيوم الحساب اذا عرض عليهم الحلال من المال تركوه خوفا من فساد قلوبهم قال هرم لاويس اين تأمرنى ان اكون فاومأ الى الشأم فقال هرم كيف المعيشة بها قال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة قال من قال ✻ خانه پر كندم ويك جو نفرستاده بكور ✻ غم مركت چو غم برك زمستانى نيست ✻ وهذا الشك لا يزول الا بالتوفيق الخاص الالهى ولا بد من تربية المرشد الكامل فانه اعرف لمصالح النفس من مفاسدها ✻ زمن اى دوست اين يك پند بپذير ✻ برو فتراك صاحب دولتى كير (واذ نتقنا الجبل فوقهم) النتق قلع الشئ من موضعه والجبل هو الطور الذى سمع موسى كلام الله واعطى الالواح وهو عليه او جبل من جبال فلسطين او الجبل الذى كان عند بيت المقدس فوقهم منصوب بنتقنا باعتبار تضمنه لمعنى رفعنا كانه قيل رفعنا الجبل فوق بنى اسرائيل بنتقه وقلعه من مكانه فالنتق من مقدمات الرفع وسبب لحصوله (كانه ظلة) اى سقيفة وهى كل ما اظلك بالفارسية سايبان (وظنوا) اى تيقنوا (انه واقع بهم) اى ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به على تقدير عدم قبولهم احكام التوراة روى ان موسى عليه السلام لما اتى بنى اسرائيل بالتوراة وقرأها عليهم وسمعوا ما فيها من التكاليف الشاقة ابوا ان يقبلوها ويتدينوا بما فيها فامر الله الجبل فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم بحيث حاذى عسكرهم جميعا ولم يبق منهم احد الا والجبل فوقه وكان معسكرهم فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على جانبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على جانبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت بها عنا العقوبة فقبلوها جبرا قيل كل من اتى جبرا ينكص على عقبيه حين وجد فرصة كذلك اهل التوراة لما قبلوها جبرا ما لبثوا حتى شرعوا فى تحريفها (خذوا) على اضمار القول اى قلنا خذوا (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو (واذكروا ما فيه) بالعمل ولا تتركوه كالمنسى (لعلكم تتقون) بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق وفى الآية اشارة الى ان الانسان لو وكل الى نفسه وطبيعته لا يقبل شيأ من الامور الدينية طبعا ولا يحمل اثقاله قطعا الا ان يعان على القبول والحمل بامر ظاهر او باطن فيضطر الى القبول والحمل فالله تعالى اعان ارباب العناية حتى حملوا اثقال المجاهدات والرياضات واخذوا ما آتاهم الله بقوة منه لا بقوتهم واراداتهم (وفى المثنوى) چشمها وكوشها را بسته اند ✻ جز مر آنها را كه از خود رسته اند ✻ جز عنايت كه كشايد چشم را ✻ جز محبت كه نشاند چشم را ✻ جهد بى توفيق خود كس را مباد ✻ در جهان والله اعلم بالرشاد قال حضرة الشيخ افتاده افندى قدس سره مخاطبا لحضرة الهدايى ان كثيرا قد اجتهد واثلاثين سنة فلم يتيسر ما حصل لك فقال الهدايى ان بابنا الذى نخدم فيه اعلى مما خدموا فينبغى ان تكون لنا العناية بهذا القدر فتبسم حضرة الشيخ يحكى ان ابا يزيد البسطامى لم يأكل البطيخ الاخضر زمانا لعدم وقوفه على ان النبى عليه السلام باى وجه قطعه والشمس التبريزى قال ان البسطامى كان فى الحجاب بسبب قصة البطيخ قال افتاده افندى كانه اراد ان قوة زهد البسطامى جعلته محجوبا ولكن التحقيق ان كلا منهما على الكمال غايته ان ابا يزيد البسطامى وصل من طريق الرياضة والشمس التبريزى وصل من طريق المعرفة والطرق الى الله كثيرة ولكن طريق الرياضة احكم واثبت فصاحب الزهد الغالب وان لم ينفتح له الطريق زمانا ولكنه اذا انفتح يكون دفعة وبذلك لم يقدر الحلاج على ضبطه لكماله فى الشريعة والطريقة فظهر حقيقة الحال على الاسلوب المذكور فعناية الله تعالى تهدى اولا الى القبول ثم الى الزهد والرياضة ثم الى العشق والحالة ثم الى عالم الحقيقة والطرق الى الله تعالى بعدد انفاس الخلائق فكل احد يصل الى الله تعالى من طريق وهى

غير متعينة وليست هى كما يزعمها الناس اذ ليست على الاسلوب الظاهر قال الله تعالى واتوا البيوت من ابوابها فالمراد بها الطريق المناسب لكل احد وطريق الوصول هو التقوى والذكر واعلم ان الكتب الالهية انما جاءت رحمة من الله تعالى وعناية وكذا الانبياء عليهم السلام فمن اتبعهم وقبل ما جاؤا به فقد نجا من العقبات وخرج عن محبس هذا العالم وطار الى الملكوت الاعلى وللهمة تأثير عظيم ذكر ان فى الهند قوما اذا اهتموا بشئ اعتزلوا عن الناس وصرفوا همتهم الى ذلك الشئ فيقع على وفق اهتمامهم ومن هذا القبيل ما ذكر ان السلطان محمود غزا بلاد الهند وكانت فيها مدينة كلما قصدها مرض فسأل عن ذلك فقيل له ان عندهم جمعا من الهند اذا صرفوا همتهم الى ذلك يقع المرض على وفق ما اهتموا فاشار اليه بعض اصحابه بدق الطبول ونفخ البوقات الكثيرة لتشوش همتهم ففعل ذلك فزال المرض واستخلصوا المدينة فانت ايها السالك بضرب الذكر وجهره وتشوش هم النفس وخواطرها الفاسدة تخلص مدينة القلب من يدها بعناية الله تعالى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من صلاته قال بصوته الاعلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير قال الشيخ ابو النجيب السهروردى المراد بقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هى الجهر بالذكر وقال عمر النسفى والامام الواحدى فى تفسيريهما الذكر من جملة الفرآئض واعلان الفرآئض اولى واحب دفعا للتهمة والجهر يوقظ قلب الذاكر ويجمع همه الى الفكر ويصرف سمعه اليه ويطرد النوم ويزيد فى النشاط (وفى المثنوى) يادهان خويشتن را پاك كن * روح خودرا چابك وچالاك كن * ذكر حق پاكست چون پاكى رسيد * رخت بربندد برون آيد پليد * مى گريزد ضدها از ضدها * شب گريزد چون برافروزد ضيا * چون درآيد نام پاك اندر دهان * نى پليدى ماند ونى آندهان * قوله تعالى واذكروا ما فيه يتناول الذكر اللفظى والحفظ الظاهرى وان كان العمدة هى العمل (كما قال سعدى) مراد از نزول قرآن تحصيل سيرت خوبست نه ترتيل سورۀ مكتوب عامى متعبد پياده رفتست وعالم متهاون سوار خفته ايقظنا الله واياكم عن منام الغفلة والجهالة وختم عواقب امورنا باحسن الخاتمة والحالة امين (واذ اخذ ربك) اى واذكر يا محمد لبنى اسرآئيل وقت اخذ ربك (من بنى آدم) اى آدم واولاده كانه صار اسما للنوع كالانسان والبشر والمراد بهم الذين ولدلهم كأنه من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا (من ظهورهم) بدل من بنى آدم بدل البعض من اصلابهم وفيه تنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم فى اصلاب الآباء ولم يستودعوا فى ارحام الامهات (ذريتهم) مفعول اخذ اى نسلهم قرنا بعد قرن يعنى اخرج بعضهم من بعض كما يتوالدون فى الدنيا بحسب الاصلاب والارحام والادوار والاطوار الى آخر ولد يولد (واشهدهم على انفسهم) اى اشهد كل واحدة من اولئك الذريات المخصوصين المأخوذين من ظهور آبائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من العبودية على الاختصاص وغير ذلك من احكامها (ألست بربكم) على ارادة القول اى قائلا ألست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل فى شأن من شؤونكم (قالوا) استئناف بيانى كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا (بلى شهدنا) اى على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك والفرق بين بلى ونعم ان بلى اثبات لما بعد النفى اى انت ربنا فيكون ايمانا ونعم لتقرير ما سبق من النفى اى لست بربنا فيكون كفرا وهذا تمثيل وتخييل نزل تمكينهم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل الآفاقية والانفسية وخلق الاستعداد فيهم منزلة الاشهاد وتمكينهم من معرفتها والاقرار بها منزلة الاعتراف فلم يكن هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب وباب التمثيل باب واسع وارد فى القرءآن والحديث وكلام البلغاء قال الله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين (ان تقولوا) مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اى فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا (يوم القيامة) عند ظهور الامر (انا كنا عن هذا) اى عن وحدانية الربوبية واحكامها (غافلين) لم ننبه عليه بدليل فانهم حيث جبلوا على الفطرة ومعرفة الحق فى القوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك ولو لم تكن الاية على طريقة التمثيل بل لو اريد حقيقة الاشهاد والاعتراف وقد انسى الله تعالى بحكمته تلك الحال لم يصح قوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين كما فى حواشى سعدى چلبى المفتى (او تقولوا انما اشرك آباؤنا) عطف على ان تقولوا اولمنع

الخلو

الخلو دون الجمع اى اخترعوا الاشراك وهم سنوه (من قبل) من قبل زماننا (وكنا) نحن (ذرية من بعدهم) لا نهتدى الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل فاقتدينا بهم (أفتهلكنا) اى أتؤاخذنا فتهلكنا (بما فعل المبطلون) من آبائنا المضلين بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبر والاستبداد بالرأى فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا (وكذلك) اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحله النصب على المصدرية اى ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة (نفصل الايات) المذكورة لا غير ذلك (ولعلهم يرجعون) وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الاباء نفعل التفصيل المذكور قالوا وان ابتدآئيان ويجوز ان تكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل اى وكذلك نفصل الايات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الخ هذا والاكثر على ان المقاولة المذكورة فى الاية حقيقة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من انه لما خلق الله آدم عليه السلام مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال ألست بربكم قالوا بلى فنودى يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة وقد روى عن عمر رضى الله عنه انه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل ففيم العمل يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره عليه السلام بالذات بل اخرج من ظهره عليه السلام ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا الى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الاصلى ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان يتعلق بذكر الوسائط غرض علمى نسب اخراج الكل اليه واما الاية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى آبائهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهر ابيه من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعا كذا فى الارشاد وقال الحدادى فان قيل كيف يكون الميثاق حجة على الكفار منهم وهم لا يذكرون ذلك حين اخرجهم من صلب آدم قيل لما ارسل الله الرسل فاخبروهم بذلك الميثاق صار قول الرسل حجة عليهم وان لم يذكروا الا ترى ان من ترك من صلاته ركعة ونسى ذلك فذكرت له الثقات كان قولهم حجة عليه قال المولى ابو السعود على القول الثانى وهو ما ذهب اليه الاكثر من حقيقة المقاولة ان قوله تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم فى الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب الكلام عليه والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا ايها الكفرة يوم القيامة انا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه فى دار التكليف والا لعملنا بموجبه انتهى (وقال الكاشفى) اى درويش اين آيت مركز عهد ازلست تا بخبران مركوچه غفلت را متنبه سازد والا هوشمندان بيدار دل ازان سؤال وجواب غافل نيستند * نداى الست همچنان شان بگوش * بفرياد قالوا بلى در خروش * در نفحات مذكورست كه على سهل اصفهانى را گفتند كه روز بلى را ياد دارى گفت چون ندارم گويى دى بود شيخ الاسلام خواجه انصارى فرمود كه درين سخن نقص است صوفى را دى وفردا چه بود آن روز را هنوز شب در نيامده وصوفى در همان روزست روز امروزاست اى صوفى وشان * كى بود ازدى وازفردا نشان * آنكه از حق نيست غافل يكنفس * ماضى ومستقبل وحال ست وبس * وسئل ذو النون رضى الله عنه عن سر ميثاق مقام ألست بربكم هل تذكره فقال كان الان فى اذنى واعلم ان لبعض ارواح الكمل تحقق الاتصاف بالعلم قبل تعينه بهذا المزاج الجزئى العنصرى فى مرتبة العين والخارج من جهة كلية الروحانية المتعينة قبله فى مرتبة النفس الكلى بنفس تعين الروح الالهى الاصلى فالروح الكلى الوصف والذات من ارواح الكمل يتعين فى كل مرتبة وعالم من المراتب والعوالم

التى يمر عليها عند النزول والهبوط الى مرتبة الحس الظاهر وعالم المزاج العنصرى الى حين اتصاله بهذه النشأة العنصرية تعينا يقتضيه حكم الروح الاصلى فى ذلك العالم وفى تلك المرتبة فيعلم حالتئذ اى حالة اذ زمين حين الاتصال بهذه النشأة العنصرية مما يعلم الروح الالهى الاصلى ماشاء الله ان يعلمه من علومه ومتى كشفت هذا السر عرفت سر قوله عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وسر قول ذى النون كما سبق وان شئت زيادة تحقيق هذا المقام فارجع الى مطالعة مفتاح الغيب للصدر القنوى قدس سره وقال فى التأويلات النجمية فى الاية اشارة الى ان اخذ المخلوقين يكون اخذ الشئ الموجود من الشئ الموجود وان اخذ الخالق تارة هو اخذ الشئ المعدوم من العدم كقوله خلقتك من قبل ولم تك شيأ وتارة هو اخذ الشئ المعدوم من الشئ المعدوم كقوله واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم فكان بنوا آدم معدومين وظهورهم معدومين وذرياتهم معدومين فاخذ بكمال قدرته ذرياتهم المعدومة الى يوم القيامة من ظهورهم المعدومة من بنى آدم المعدومين فاوجدهم الله فى تلك الحالة واعطاهم وجودا مناسبا لتلك الحالة فلما استخرج الله من ظهر آدم ذرات بنيه واستخرج من ظهورهم ذرات ذرياتهم المودعة فيها الى يوم القيامة والارواح فى تلك الحالة جنود مجندة فى ثلاثة صفوف الصف الاول ارواح السابقين والصف الثانى ارواح اصحاب الميمنة والصف الثالث ارواح اصحاب المشأمة تنورت الذرات بانوار ارواحها ولبست تلك الذرات الموجودة بالوجود الربانى لباس الوجود الروحانى ولبست السمع والابصار والافئدة لباسا روحانيا ثم خاطبهم الحق بخطاب ألست بربكم فسمع السابقون بسمع نورانى روحانى خطابه وشاهدوا بابصار نورانية جماله واحبوه بافئدة روحانية ربانية نورانية بنور المحبة للقائه فاجابوه على المحبة فقالوا بلى انت ربنا المحبوب والمعبود شهدنا اى شاهدنا محبوبيتك وربوبيتك فاخذ مواثيقهم ان لا يحبوا ولا يعبدوا الا اياه وسمع اصحاب الميمنة بسمع روحانى خطابه وطالعوا بابصار روحانية جلاله وآمنوا بافئدة ربانية آلهية فاجابوه على العبودية وقالوا بلى انت ربنا المعبود سمعنا واطعنا فاخذ مواثيقهم ان لا يعبدوا الا اياه وسمع اصحاب المشأمة خطابه بسمع روحانى من وراء حجاب العزة وفى آذانهم وقر العزة وعلى ابصارهم غشاوة الشقاوة وعلى افئدتهم ختم المحنة فاجابوه على المكافة وقالوا بلى انت ربنا سمعنا كرها فاخذ مواثيقهم على العبودية فالآن يرجع التفاوت بين الخليقة فى الكفر والايمان الى تفاوت الاستعدادات الروحانية والربانية فافهم جدا ثم اعلم انه لا يجد ان الله تعالى ذكر انه كلم احدا وهو بعد فى العدم الابنى آدم فانه كلمهم وهم غير موجودين واجابوه وهم معدومون بجرى بالجود ما جرى الا بالوجود فهذا بدايتهم والى هذا تنتهى نهايتهم بان يكون الله تعالى هو سمعهم وابصارهم والسنتهم كما قال كنت له سمعا وبصرا ولسانا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق والى هذا اشار الجنيد حين سئل ما النهاية قال الرجوع الى البداية انتهى كلام التأويلات النجمية باختصار وقد عرفت من هذا ان اهل الحقيقة جار فى هذا المسلك على حقيقته لان من غلب روحانيته على جسمانيته يرى الامر سهلا ولا يصعب عليه شئ خلافا لاهل الظاهر والمعتزلة انكروا هذه الرواية وقالوا ان البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم فتلك الذريات المأخوذة من ظهور بنى آدم لا يكون احد منهم عالما فاهما عاقلا الا اذا حصل له قدر من الجسامة والبنية اللحمية والدمية واذا كان كذلك فمجموع تلك الاشخاص الذين خرجوا الى الوجود من اول تخليق آدم الى قيام الساعة لا تحويهم عرصة الدنيا فكيف يمكن ان يقال انهم حصلوا باسرهم دفعة واحدة فى صلب آدم فانظر الى هذا القول الضعيف والرأى السخيف ولو قلت لهم هل يستطيع الله ان يجعل السموات والارضين والجبال والشجر والماء فى بيضة من غير ان يزيد فى البيضة شيأ ومن غير ان ينقص من هذا شيأ لقالوا لا والعياذ بالله فعليك برعاية عهد ألست حتى ينكشف لك ما هو مستور عنك وعن امثالك ويتجلى الغيب كالشمس فى مرآة بالك فتنظر كيف الصورة والمعنى والظهور والخفاء (واتل) اقرأ يا محمد (عليهم) اى على اليهود (نبا الذى آتيناه آياتنا) اى خبره الذى له شأن وخطر فان النبأ خبر عن امر عظيم ومعنى آتيناه آياتنا اى علمناه دلائل الوهيتنا ووحدانيتنا وفهمناه تلك الدلائل وفيه اقوال والانسب بمقام توبيخ اليهود يهتانهم انه احد علماء بنى اسرائيل كما فى الارشاد وهو بلعم بن باعورا كما فى منهاج العابدين للامام الغزالى وقولهم انه من الكنعانيين الجبارين اتماهو لكونه ساكنا فى دارهم والمرء ينسب الى منشأه ومولده كما هو اللائح فافهم والاسلم فى تقرير القصة ما ذكره الحدادى فى تفسيره نقلا عن ابن عباس

وابن مسعود حيث قال كان عابدا من عباد بنى اسرائيل وكان فى المدينة التى قصدها موسى عليه السلام وكان اهل تلك المدينة كفارا وكان عنده اسم الله الاعظم فسأله ملكهم ان يدعو على موسى بالاسم الاعظم ليدفعه عن تلك المدينة فقال لهم دينه ودينى واحد وهذا شئ لا يكون وكيف ادعو عليه وهو نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون وانا اعلم من الله ما اعلم وانى ان فعلت ذلك اذهبت دنياى وآخرتى فلم يزالوا به يفتنونه بالمال والهدايا حتى فتنوه فافتتن قيل كان لبلعم امرأة يحبها ويطيعها فجمع قومه هدايا عظيمة فأتوا بها اليها وقبلتها فقالوا لها قد نزل بنا ماترين فكلمى بلعم فى هذا فقالت لبلعم ان لهؤلاء القوم حقا وجوارا عليك وليس مثلك يخذل جيرانه عند الشدائد وقد كانوا محسنين اليك وانت جدير ان تكافئهم وتهتم بامرهم فقال لها لولا انى اعلم ان هذا الامر من عند الله لاجبتهم فلم تزل به حتى صرفته عن رأيه فركب اتانا له متوجها الى الجبل ليدعو على موسى فما سار على الاتان الا قليلا فربضت فنزل عنها فضربها حتى كاد يهلكها فقامت فركبها فربضت فضربها فانطقها الله تعالى فقالت يا بلعم ويحك اين تذهب الا ترى الى هؤلاء الملائكة امامى يردوننى عن وجهى فكيف اريد ان تذهب لتدعو على نبى الله وعلى المؤمنين فخلى سبيلها وانطلق حتى وصل الى الجبل وجعل يدعو فكان لا يدعو بسوء الا صرف الله به لسانه على قومه ولا يدعو بخير الا صرف الله به لسانه الى موسى فقال له قومه يا بلعم انما انت تدعو علينا وتدعو لهم فقال هذا والله الذى املكه وانطق الله به لسانى ثم امتد لسانه حتى بلغ صدره فقال لهم قد ذهبت والله منى الآن الدنيا والاخرة فلم يبق الا المكر والحيلة فسأمكر لكم واحتال حلوا النساء وزينوهن واعطوهن الطيب وارسلوهن الى العسكر وأمروهن لا تمنع امرأة نفسها من رجل ارادها فانهم ان زنى منهم رجل واحد كفيتموهم ففعلوا فلما دخلت النساء المعسكر مرت امرأة منهم برجل من عظماء بنى اسرائيل فقام اليها واخذ بيدها حين اعجبته بحسنها ثم اقبل بها الى موسى وقال له انى لاظنك ان تقول هذه حرام قال نعم هى حرام عليك لا تقربها قال فوالله لا نطيعك فى هذا ثم دخل بها قبة فوقع عليها فارسل الله على بنى اسرائيل الطاعون فى الوقت فكان فنحاص بن العيزار صاحب امر موسى وكان رجلا له بسطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا حين صنع ذلك الرجل بالمرأة ما صنع فجاء والطاعون يجوس فى بنى اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل على القبة فوجدهما متضاجعين فدقهما بحربته حتى انتظمهما بها جميعا فخرج بهما يحملهما بالحربة رافعا بهما الى السماء والحربة قد اخذها بذراعه واعتمد بمرفقه واسند الحربة الى لحيته وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون من حينئذ عنهم فحسب من هلك من بنى اسرائيل فى ذلك الطاعون فوجدهم سبعين الفا فى ساعة من نهار وهو ما بين ان زنى ذلك الرجل بها الى ان قتل ثم ان موسى عليه السلام وفتاه يوشع بن نون حاربوا اهل تلك البلدة وغلبوهم وقتلوا منهم واسروا واتوا ببلعم اسيرا فقتل فجاؤا بما قبل من العطايا الكثيرة وغنموها (فانسلخ منها) اى من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة والحية ولم يخطرها بباله اصلا (فاتبعه الشيطان) اتبع وتبع بمعنى واحد كاردف وردف والمعنى ان الشيطان كان وراءه طالبا لاضلاله وهو يسبقه بالايمان والطاعة لا يدركه الشيطان ثم لما انسلخ من الايات لحقه وادركه (فكان) پس كشت آن داننده آيات اى فصار (من الغاوين) من زمرة الضالين الراسخين فى الغواية بعد ان كان من المهتدين والغى يذكر بمعنى الهلاك ويذكر بمعنى الخيبة وفى القاموس غوى ضل قال الامام الغزالى كان بلعم بن باعورا بحيث اذا نظر رأى العرش ولم يكن له الا زلة واحدة مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة ولم يترك لولى من اوليائه حرمة واحدة فسلبه معرفته وكان فى اول امره بحيث يكون فى مجلسه اثنا عشر الف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان اول من صنف كتابا ان ليس للعالم صانع نعوذ بالله من سخطه انتهى فلا يأمن السالك المحق مكر الله ولو بلغ اقصى مقامات الانبياء والمرسلين فلا يغلق على نفسه ابواب المجاهدات والرياضات ومخالفات النفس وهواها فى كل حال كان من حال النبى عليه السلام والائمة الراشدين والصحابة والتابعين وائمة السلف والمشايخ المتقدمين ولا يفتح على نفسه التنعم والتمتع الدنيوى فى المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمركب والمسكن لانه كما ان الله تعالى فى مكامن الغيب للسعداء الطافا خفية مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كذلك له فيها بلايا لهم فليحترز السالك الصادق بل البالغ الواصل والكامل الحاذق من ان يتعرض لتلك البلايا بالتوسع فى الدنيا والتبسط فى الاحوال

وتبع الهوى كما فى التأويلات النجمية قال الكاشفى شيخ الاسلام فرمود تا بادتقدير از كجا برآيد وچه بو العجبى نمايد اكر از جانب فضل وزد زنار بهرام كبررا كمر عشقبازى راه دين كرداند واكر از طرف عدل وزد توحيد بلعم را براند اخته باسك خسيس برابرى دهد * انرا برى از صومعه برد بر كبران افكنى * وين را كشى از بتكده سر حلقهٔ مردان كنى * چون وچرا در كار تو عقل زبونرا كى رسد * فرمان ده مطلق توئى حكمى كه خواهى آن كنى (ولو شئنا) رفعه (لرفعناه) الى منازل الابرار من العلماء (بها) اى بسبب تلك الايات وملازمتها وقال بعضهم هى صحف ابراهيم عليه السلام وكان بلعم قد قرأها او الكلمات التى اشتملت على الاسم الاعظم (ولكنه اخلد الى الارض) اى مال الى الدنيا فلم نشأ رفعه لمباشرته لسبب نقيضه والاخلاد الى الشئ الميل اليه مع الاطمئنان وعبر عن الدنيا بالارض لان ما فيها من العقار والرباع كلها ارض وسائر متاعها مستخرج من الارض والاخلاد الى الارض كناية عن الاعراض عن ملازمة الآيات والعمل بمقتضاها والكناية ابلغ من التصريح (واتبع هواه) فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشير بقوله تعالى (فمثله) اى فصفته التى هى مثل فى الخسة والرذالة والمثل لفظ مشترك بين الوصف وبين ما يضرب مثلا والمراد ههنا الوصف كذا فى البحر (كمثل الكلب) اى كصفته فى اخس احواله وهو (ان تحمل عليه) اكر حمله كنى برو وبرانى اوراو الخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل فى اشاعة فظاعة حاله (يلهث) اللهث ادلاع اللسان اى اخراجه بالنفس الشديد (او تتركه يلهث) اى يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له فان فى الكلاب طبعا لا تقدر على نقض الهواء السخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء فكما ان الكلب دائم اللهث ضيق الحال فكذا هذا الكافر ان زجرته ووعظته لم ينزجر ولم يتعظ وان تركته لم يهتد ولم يعقل فهو متردد الى ما لا غاية ورآءه فى الخسة والدناءة فانظر حب الدنيا وشؤمها ماذا يجلب للعلماء خاصة وفى الحديث من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله تعالى الا بعدا والنعمة انما تسلب ممن لا يعرف قدرها وهو الكفور الذى لا يؤدى شكرها وكما ان الكلب لا يعرف الاكرام من الاهانة والرفعة والشرف من الحقارة وانما الكرامة كلها عنده فى كسرة يطعمها او عراق مائدة يرمى اليه سواء تقعده على سرير معك او فى التراب والقذر فكذا العبد السوء لا يعرف قدر الكرامة ويجهل حق النعمة فينسلخ عن لباس الفضل والكرم ويرتدى برداء القهر والمكر قال فى التأويلات النجمية فلا يغترن جاهل مفتون بان اتباع الهوى لا يضره فان الله تعالى حذر الانبياء عن اتباع الهوى واوعدهم عليه بالضلال كقوله يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله (قال الحافظ) مباش غره بعلم وعمل فقيه مدام * كه هيچكس ز قضاى خداى جان نبرد (ذلك) اى ذلك المثل السيئ (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) وهم اليهود وكما ان بلعم بعدما اوتى آيات الله انسلخ منها ومال الى الدنيا حتى صار كالكلب كذلك اليهود بعدما اوتوا التوراة المشتملة على نعت الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن المعجز وبشرى الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به انسلخوا مما اعتقدوا فى حقه وكذبوه وحرفوا اسمه (فاقصص القصص) پس بخوان برايشان اين خبررا والقصص مصدر سمى به المفعول كالسلب واللام للعهد (لعلهم يتفكرون) راجيا تفكرهم تفكرا يؤدى بهم الى الاتعاظ (ساء مثلا) ساء بمعنى بئس ومثلا تمييز من الفاعل المضمر فى ساء مفسر له (القوم) مخصوص بالذم بتقدير المضاف لوجوب التصادق بينه وبين الفاعل والتمييز اى ساء مثلا مثل القوم وبئس الوصف وصف القوم قال الحدادى وهذا السوء انما يرجع الى فعلهم لا الى نفس المثل كانه قال ساء فعلهم الذى جلب اليهم الوصف القبيح فاما المثل فهو من الله حكم وصواب (الذين كذبوا بآياتنا) بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها (وانفسهم كانوا يظلمون) اى ما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها (من يهد الله) اى يخلق فيه الاهتداء (فهو المهتدى) لا غير كائنا من كان وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية فى حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى كونها دواعى الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله (ومن يضلل) بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق الله فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها (فاولئك هم الخاسرون) اى الكاملون فى الخسران لا غير وفيه اشارة الى ان من

ادركته العناية ولحقته الهداية اليوم لم ينزل عن المراتب العلوية الى المدارك السفلية فهم الذين استقام رشاش النور الذى رش عليهم من نوره ومن خذله حتى اتبع هواه فاضله الهوى عن سبيل الله فهم الذين اخطأهم ذلك النور ولم يصبهم فوقعوا فى الضلالة [illegible] فى سفينة يخشى الغرق ولما قدم البشير على يعقوب عليه السلام قال على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة وقيل ما من كلمة احب الى الله تعالى ولا ابلغ عنده فى الشكر من ان يقول العبد الحمد لله الذى انعم علينا وهدانا الى الاسلام واياك ان تغفل عن الشكر وتغتر بما انت عليه فى الحال من الاسلام والمعرفة والتوفيق والعصمة فانه مع ذلك لا موضع للامن والغفلة فان الامور بالعواقب قال بعض العارفين ان بعض الانبياء عليهم السلام سأل الله تعالى عن امر بلعم وطرده بعد تلك الايات والكرامات فقال الله تعالى لم يشكرنى يوما من الايام على ما اعطيته ولو شكرنى على ذلك مرة لما سلبته فمن كان له جوهر نفيس يمكنه ان يأخذ فى ثمنه الف الف دينار فباعه بفلس اليس يكون ذلك خسرانا عظيما وغبنا فظيعا ودليلا بينا على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الرأى وقلة العقل فتيقظ حتى لا تذهب عنك الدنيا والاخرة وتنبه فان الامر خطير والعمر قصير وفى العمل تقصير والناقد بصير فان ختم الله بالخير اعمالنا واقال عثراتنا فذلك عليه يسير اللهم حقق رجاء عبدك الفقير (ولقد ذرأنا) اى وبالله قد خلقنا قال فى القاموس ذرأ كجعل خلق والشئ كثر ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين (لجهنم) اى لدخولها والتعذيب بها وهى سجن الله فى الاخرة سميت جهنم لبعد قعرها يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر وهى تحتوى على حرور وزمهرير فيها الحر والبرد على اقصى درجاتهما وبين اعلاها وقعرها خمس وسبعون مائة من السنين (كثيرا) كائنا (من الجن والانس) يعنى المصرين على الكفر فى علم الله تعالى فاللام فى لجهنم للعاقبة لان من علم الله ان يصر على الكفر باختياره فهو يصير من اهل النار والجن اجسام هوائية قادرة على التشكل باشكال مختلفة لها عقول وافهام وقدرة على الاعمال الشاقة وهى خلاف الانس سميت بذلك لاستجنانهم واستتارهم عن العيون يقال جنه الليل ستره والانس البشر كالانسان من انس الشئ ابصره وقدم الجن على الانس لانهم اكثر عددا واقدم خلقا ولان لفظ الانس اخف بمكان النون الخفيفة والسين المهموسة فكان الاثقل اولى باول الكلام من الاخف لنشاط المتكلم وراحته والاجماع على ان الجن متعبدون بهذه الشريعة على الخصوص وان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين ولا شك انهم مكلفون فى الامم الماضية كما هم مكلفون فى هذه الامة لقوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وجعل الفريقين انما هو باعتبار استعدادهم الكامل الفطرى للعبادة والسعادة والا لم يصح التكليف عليهم فان قلت ما الحكمة فى ان الله تعالى يجعل الكفار اكثر من المؤمنين قلت ليريهم انه مستغن عن طاعتهم وليظهر عز المؤمنين فيما بين ذلك لان الاشياء تعرف باضدادها والشئ اذا قل وجوده عز فان قلت ان رحمته غلبت غضبه فيقتضى الامر ان يكون اهل الرحمة اكثر من اهل الغضب واهل الغضب تسع وتسعون وتسعمائة من كل الف واحد يؤخذ للجنة قلت هذه الكثرة بالنسبة الى بنى آدم واما بالنسبة الى الملائكة واهل الجنة فكثير لان بنى آدم قليل بالنسبة الى الملائكة والحور والغلمان فيكون اهل الرحمة اكثر من اهل الغضب وقيل اكثر الكفار بشارة للاخيار بكثرة الفداء لانه ورد فى الخبر الصحيح ان كل مؤمن يأخذ كافرا بناصيته ويرميه الى النار فداء عن نفسه وفى الحديث ان الله لما ذرأ لجهنم ما ذرأ كان ولد الزنى ممن ذرأ لجهنم قال فى المقاصد حديث لا يدخل الجنة ولد زنية ان صح فمعناه اذا عمل بمثل عمل ابويه واتفقوا على انه لا يحمل على ظاهره وقيل فى تأويله ايضا ان المراد به من يواظب الزنى كما يقال للشهود بنو الصحف وللشجعان بنو الحرب ولاولاد المسلمين بنو الاسلام واتفق المشايخ من اهل الوصول ان ولد الزنى لا يكون اهلا للولاية الخاصة (لهم قلوب) فى محل النصب على انه صفة اخرى لكثيرا (لا يفقهون بها) فى محل الرفع على انه صفة لقلوب اى لا يعقلون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر فى دلائله والقلب كالمرآة يصدأ من الانكار والغفلة وجلاؤه التصديق والانابة (قال السعدى) غبار هوا چشم عقلت بدوخت * سموم هوا كشت عمرت بسوخت * بكن سرمهٔ غفلت از چشم پاك * كه فردا شوى سرمه در چشم خاك (ولهم اعين لا يبصرون بها) اى لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار * دو چشم از پى صنع بارى

نكوست * زعيب برادر فرو كير دوست (ولهم آذان لا يسمعون بها) الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر
كذركاه قرآن وپندست كوش * به بهتان وباطل شنيدن مكوش (اولئك) الموصوفون بالاوصاف
المذكورة (كالانعام) [illegible] للاعتبار والاسماع للتدبر او في ان مشاعرهم
وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها والانعام جمع نعم بالتحريك وقد يسكن عينه وهي الابل
والشاة او خاص بالابل كذا في القاموس (بل هم اضل) بل للاضراب وليس ابطالا بل هو انتقال من حكم وهو
التشبيه بالانعام الى حكم آخر وهو كونهم اضل من الانعام طريقا فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع
والمضار وتجهد في جلبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك وهي بمعزل من الخلود وهم يتركون النعيم
المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم
ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شئ اطوع لله من بني آدم دريغ آدمى زادهٔ پر محل * كه باشد چو
انعام بل هم اضل (اولئك هم الغافلون) عن امر الآخرة وما اعد فيها للعصاة وفي الانسان جهة روحانية وجهة
جسمانية وقد ركب فيه عقل وشهوة فان كان عقله غالبا على هواه كان افضل من الملائكة وان كان مغلوبا
للنفس والهوى كان اخس وارذل من البهائم (كما قيل في هذا المعنى) بهرهٔ از ملكست هست ونصيبى
از ديو * ترك ديوى كن وبكذر ز فضيلت ز ملك * واعلم ان الله تعالى خلق الخلق اطوارا فخلق طورا منها للقرب
والمحبة وهم اهل الله وخاصته لاظهار اللطف والجمال وكانوا به يسمعون كلامه وبه يبصرون جماله وبه يعرفون
كماله وخلق طورا منها للجنة ونعيمها لاظهار اللطف والرحمة فجعل لهم قلوبا يفقهون بها دلائل التوحيد والمعرفة
واعينا يبصرون بها آيات الحق وخلق طورا منها للنار وجحيمها وهم اهل النار لاظهار القهر والعزة اولئك
كالانعام لا يحبون الله ولا يطلبونه بل هم اضل لانه لم يكن للانعام استعداد المعرفة والطلب وانهم كانوا
مستعدين للمعرفة والطلب فابطلوا الاستعداد الفطرى للمعرفة والطلب بالركون الى شهوات الدنيا وزينتها
واتباع الهوى فباعوا الآخرة بالاولى والدين بالدنيا وتركوا طلب المولى فصاروا اضل من الانعام لافساد
الاستعداد اولئك هم الغافلون عن الله وكمالات اهل المعرفة وعزتهم كما قال في التأويلات النجمية قدس الله
سره (ولله الاسماء الحسنى) تأنيث الاحسن اى الاسماء التي هى احسن الاسماء واجلها لانها دالة على معانى
هى احسن المعانى واشرفها والمراد بها الالفاظ الدالة الموضوعة على المعانى المختلفة دل على ان الاسم غير
المسمى ولو كان هو المسمى لكان المسمى عدد الاسماء وهو محال قال الامام الغزالى الحق ان الاسم غير التسمية
وغير المسمى فان هذه ثلاثة اسماء متباينة غير مترادفة (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء واذكروه بها
وفي الحديث ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن
الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور
الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل
السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير
الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد
الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدئ المعيد المحيي المميت
الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الاحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر
الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال
والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى
الوارث الرشيد الصبور واستحسن المشايخ المتقدمون ان يبدأ اولا ويقول اللهم انى اسألك يا رحمن يا رحيم
الى آخره فيجيئ بجميع الاسماء بحرف النداء ثم يقول في آخر الكل ان تصلى على محمد وآله وان ترزقنى وجميع
من يتعلق بى بتمام نعمك ودوام عافيتك يا ارحم الراحمين كما في الاسرار المحمدية قال عبد الرحمن البسطامى
في ترويح القلوب ان العارفين يلاحظون في الاسماء آلة التعريف واصل الكلمة والملامية يطرحون منها
آلة التعريف لانها زائدة على اصل الكلمة ومن السر المكنون في الدعاء ان تأخذ حروف الاسماء التي تذكرها
مثل قولك الكبير المتعال ولا تأخذ الالف واللام بل تأخذ كبير متعال وتطرح لها من الاعداد بالجمل الكبير

فتذكر ذلك العدد في موضع خال من الاصوات بالشرائط المعتبرة عند اهل الخلوات لا تزيد على العدد
ولا تنقص منه فانه يستجاب لك للوقت وهو الكبريت الاحمر باذن الله تعالى فان الزيادة على العدد المطلوب
اسراف والنقص منه اخلال والعدد في الذكر بالاسماء كاسنان المفتاح لانها ان زادت او نقصت لا تفتح باب
الاجابة البتة فافهم السر وحسن الدر واعلم انه لما كانت المقامات اللدنية ثلاثا مقام الاسلام ومقام الايمان
ومقام الاحسان ومراتب الجنان المرتبة على الاحصاء لاهل الدين ثلاثا جنة الاعمال وجنة الميراث وجنة
الامتنان لا جرم كانت انواع الاحصاء ثلاثة التعلق في مقام الاسلام والتخلق في مقام الايمان والتحقق في مقام
الاحسان فاحصاؤها بالتعلق في مقام الاسلام هو ان يتطلب السالك آثار كل اسم منها في نفسه وبدنه
وجميع قواه واعضائه واجزائه وجزئياته في جميع حالاته وهيئاته النفسانية والجسمانية وفي جملة تطوراته وانواع
ظهوراته فيرى جميع ذلك من احكام هذه الاسماء وآثارها فيقابل كل اثر بما يليق به كمقابلة الانعام بالشكر
والبلاء بالصبر وغير ذلك فبمثل هذا الاحصاء يدخل جنة الاعمال التي هى محل ستر الاعراض الزائلة بالاعيان
الثابتة الباقية وهى التي اخبر عنها ابراهيم الخليل عليه السلام بانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله
واحصاؤها بالتخلق في مقام الايمان يكون بتطلع الروح الروحانية الى حقائق هذه الاسماء ومعانيها
ومفهوماتها والتخلق بكل اسم منها على نحو ما امر به من قوله عليه السلام تخلقوا باخلاق الله بحيث يكون
المتخلق هو عين ذلك الاسم اى ينفعل عنه ما ينفعل عن ذلك الاسم فبمثل هذا الاحصاء يدخل هذا المتخلق جنة
الميراث التي هى اعلى من الجنة الاولى بل هى باطنها المنزل منها بمنزلة عالم الملكوت من عالم الملك وهى المشار اليها
بقوله عليه السلام ما منكم من احد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا مات ودخل النار ورث منزله
اهل الجنة وان شئتم فاقرؤا اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون واحصاؤها بالتحقق
في مقام الاحسان يكون بالتقوى والانخلاع عما قام بك اوظهر فيك من الصور والمعانى المتسمة بسمة الحدوث
والاستتار بسبحات الحضرة الحقية والاحتجاب بسجف استارها واعيانها (كما قال)

تسترت عن دهرى بظل جناحه * بحيث ارى دهرى وليس يرانى
فلو تسأل الايام ما اسمى ما درت * واين مكانى ما درين مكانى

فبمثل هذا الاحصاء يدخل المتحقق جنة الامتنان التي هى محل سر غيب الغيب المشار اليها بقوله عليه
السلام ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واليها الاشارة ايضا بقوله تعالى ان المتقين في جنات
ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر قال ابن ملك من احصاها اى من اطاق القيام بحق هذه الاسماء وعمل
بمقتضاها بان وثق بالرزق اذا قال الرزاق وعلم ان الخير والشر من الله تعالى اذا قال الضار النافع فشكر
على المنفعة وصبر على المضرة وعلى هذا سائر الاسماء وقيل معناه من عقل معانيها وصدقها وقيل معناه من
عدها كلمة كلمة تبركا واخلاصا وقال البخارى المراد به حفظها وهذا هو الاظهر لانه جاء في الرواية الاخرى
من حفظها مكان من احصاها انتهى ولا يظن ان اسماء الله تعالى منحصرة في هذا المقدار بل هى اشهر الاسماء
ويجوز ان تتفاوت فضيلة اسماء الله تعالى بتفاوت معانيها كالجلال والشرف ويكون التسعة والتسعون منها
تجمع انواعا للمعانى المنبئة عن الجلال لا يجمع ذلك غيرها فتختص بزيادة شرف ويدل على ان اسماء الله تعالى
كثيرة قوله عليه السلام ما اصاب احداهم هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتى بيدك
ماض في حكمك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك
او استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى
الا اذهب الله عنه كل همه وحزنه وابدل مكانه فرحا وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول
اللهم انى اسألك بانك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال صلى الله
عليه وسلم دعا الله باسمه الاعظم الذى اذا سئل به اعطى واذا دعى به اجاب واعلم ان الاسم الله اعظم الاسماء
التسعة والتسعين لانه دال على الذات الجامعة لصفات الالهية كلها حتى لا يشذ منها شئ وسائر الاسماء
لا يدل آحادها الا على آحاد المعانى من علم او قدرة او فعل وغيره ولانه اخص الاسماء اذ لا يطلقه احد على غيره
لا حقيقة ولا مجازا وسائر الاسماء قد يسمى بها غيره كالقادر والعليم والرحيم وغيرها وقد جعل العلماء من خصائص

هذا الاسم انه ينسب جميع اسماء الحق اليه كما قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى قال حضرة شيخنا العلامه ابقاه الله بالسلامه فى بعض تحريراته واعلم ان الهوية الالهية السارية فى جميع المراتب تعينت اولا فى مرتبة الحياة تعين تلك المرتبة بالاولية الكبرى فتعينت نسبة عالم الغيب ثم فى مرتبة العلم تعينت تلك المرتبة ثانيا بالاخرية العظمى فتعينت نسبة عالم المعانى ثم فى مرتبة الارادة بصورة تلك المرتبة تعينت ثالثا بالظاهرية الاولى فتعينت نسبة عالم الارواح ثم فى مرتبة القدرة تعينت تلك المرتبة رابعا بالباطنية الاولى فتعينت نسبة عالم الشهادة هو الحى العليم المريد القدير وهو الاول والآخر والظاهر والباطن وبذلك السر يان ظهرت الحقائق الاربع التى هى امهات جميع الحقائق والاسماء الالهية الكلية التى هى تسعة وتسعون اوالف وواحد وتلك الحقائق الكلية تعينت من دوران تعين الامهات الاربع فى عوالمها الاربعة فبضرب الاربعة فى الاربعة كانت ستة عشر ثم باعتبار الظهور والبطون صارت اثنين وثلاثين ثم باعتبار احدية جمع الجميع كانت ثلاثا وثلاثين ثم باعتبار دوران تعينها بعالم السمع ومرتبة البصر ومرتبة الكلام فيها صارت تسعة وتسعين ثم باعتبار احدية جمع الجميع كانت مائة لذلك سن رسول الله عليه السلام فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين تسبيحة وثلاثا وثلاثين تحميدة وثلاثا وثلاثين تكبيرة ثم تم المائة بقوله لا آله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ثم كانت الفا باعتبار تعيناتها فى الحضرات الخمس من جهة الظهور والبطون حاصلة من ضرب المائة فى العشرة الكائنة من تلك الحضرات الخمس باعتبار ظواهرها وبواطنها ثم باعتبار احدية جمع الجميع كانت الفا وواحدا فامهات الاسماء والحقائق سبع وكلياتها تسع وتسعون اوالف وواحد وجزئيات تلك الاسماء الحسنى لاتعد ولاتحصى انتهى باختصار (وذروا الذين يلحدون فى اسمائه) الالحاد واللحد الميل والانحراف عن القصد اى واتركوا الذين يميلون فى شأنها عن الحق الى الباطل امابان يسموه تعالى بمالم يسم به نفسه ولم ينطق به كتاب سماوى ولا ورد فيه نص نبوى اوبما يوهم معنى فاسدا وان كان له محمل شرعى كما فى قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه فان ابا المكارم وان كان عبارة عن المستجمع لصفات الكمال الا انه يوهم معنى لايصح فى شأنه تعالى وكذا ابيض الوجه وان كان عبارة عن تقدس ذاته عن النقائص المكدرة الا انه يوهم معنى فاسدا فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا اسماؤه حقيقة واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن مانعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع الاسماء الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البعض روى ان رجلا من الصحابة دعا الله تعالى فى صلاته باسم الله وباسم الرحمن فقال رجل من المشركين اليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا الرجل يدعو ربين اثنين فانزل الله تعالى هذه الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله اوادعوا الرحمن رغما لانوف المشركين فان تعدد الاسم لايستلزم تعدد المسمى (سيجزون ما كانوا يعملون) اى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم فقوله وذروا الذين الخ معناه واتركوا تسمية الزائغين فيها بتقدير المضاف اذ لامعنى لترك نفس الملحدين وقال بعض العلماء المراد بالاسماء الحسنى الصفات العلى فان لفظ الاسم قديطلق على مايسمونه الذات من صفاتها العظام يقال طار اسمه فى الافاق اى انتشرت صفته ونعته فكانه قيل ولله الاوصاف قال فى التأويلات النجمية ولله الاسماء الحسنى يشير الى ان اسم الله له بمثابة اسم العلم للخلق وهو اسم ذاته تبارك وتعالى والباقى من الاسماء هو اسماء الصفات لانه قال ولله الاسماء الحسنى فاضاف الاسماء الى اسم الله واسماؤه كلها مشتقة من صفاته الا اسم الله فانه غير مشتق عندنا وعند الاكثرين لانه اسم الذات فكما ان ذاته تعالى غير مخلوق من شئ كذلك اسمه غير مشتق من شئ فان الاشياء مخلوقة فاسماء صفاته تعالى بعضها مشتق من الصفات الذاتية فهو غير مخلوق وبعضها مشتق من صفات الفعل فهو مخلوق لان صفات الذات كالحياة والسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة والارادة والبقاء قديمة غير مخلوقة وصفات الفعل مخلوقة تضاف اليه عند الايجاد فلما اوجد الخلق واعطاهم الرزق سمى خالقا ورازقا الا انه تعالى كان فى الازل قادرا على الخالقية والرازقية فقوله ولله الاسماء الحسنى اى الصفات الحسنى فادعوه بها اى فادعوا الله بكل اسم مشتق من صفة من صفاته بان تتصفوا وتتخلقوا بتلك الصفة فالاتصاف بها بالاعمال والنيات الصالحات كصفة الخالقية فان الاتصاف بها بان تكون منا كحته للتوالد

والتناسل

والتناسل بخلاف الخالق كما قيل لحكيم وهو يواقع زوجته ما تعمل قال ان تم فانسان والاتصاف بصفة الرازقية بان ينفق مارزقه الله على المحتاجين ولا يدخر منه شيأ وعلى هذا فقس البواقى واما التخلق بها فباالاحوال وذلك بتصفية مرءاة القلب ومراقبته عن التعلق بماسوى الله والتوجه اليه ليتجلى له بتلك الصفات فيتخلق بها وهذا تحقيق قوله كنت له سمعا وبصرا فبى يسمع وبى يبصر وذروا الذين يلحدون فى اسمائه اى يميلون فى صفاته اى لايتصفون بها او تسميته تعالى باسم لم يسم به نفسه ايضا من الالحاد كما يسمونه الفلاسفة بالعلة الاولى والموجب بالذات يعنون به انه تعالى غير مختار فى فعله وخلقه وايجاده تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومن وصفه تعالى بوصف او بصفة لم يرد بها النص فايضا الحاد سيجزون ما كانوا يعملون يعنى سيجزون الخذلان ليعملوا بالطبع والهوى ما كانوا يعملون بالالحاد فى الاسماء والصفات انتهى كلام التأويلات (ع) بجيده شود بپاى هركس من عملش (قال الحافظ) دهقان سالخورده چه خوش گفت با پسر * اى نور چشم من بجز از كشته ندروى (وممن خلقنا) اعلم ان الله تعالى كما جعل من قوم موسى ائمة هادين مهديين كما قال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون جعل من هذه الامة المرحومة ايضا كذلك فقال وممن خلقنا ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او تقديرا لموصوف وما بعده خبره اى وبعض من خلقنا اوو بعض ممن خلقنا (امة) اى طائفة كثيرة (يهدون) الناس ملتبسين (بالحق) اى محقين او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة (وبه) اى وبالحق (يعدلون) اى يحكمون فى الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها وعنه عليه الصلاة والسلام ان من امتى قوما على الحق حتى ينزل عيسى والمراد لايخلو الزمان منهم وفى الحديث لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الارض الله الله قال الشيخ الكبير صدر الدين القنوى قدس سره اكده بالتكرار ولاشك ان لايذكر الله ذكرا حقيقيا وخصوصا بهذا الاسم الاعظم الجامع المنعوت بجميع الاسماء الا الذى يعرف الحق بالمعرفة التامة واتم الخلق معرفة بالله فى كل عصر خليفة الله وهو كامل ذلك العصر فكان يقول صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة وفى الارض انسان كامل وهو المشار اليه بانه العمد المعنوى الماسك فان شئت قلت الممسك لاجله فاذا نتقل انشقت السماء وكورت الشمس وانكدرت النجوم ونشرت الصحف وسيرت الجبال وزلزلت الارض وجاءت القيامة انتهى كلامه فى الفكوك ورووا عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله فى الارض ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم وله اربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد ابدل الله مكانه من الثلاثة واذا مات من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة واذا مات من الخمسة ابدل الله مكانه من السبعة واذا مات من السبعة ابدل الله مكانه من الاربعين واذا مات من الاربعين ابدل الله مكانه من الثلثمائة واذا مات من الثلثمائة ابدل الله مكانه من العامة يدفع الله بهم البلاء عن هذه الامة والواحد المذكور فى هذا الحديث هو القطب وهو الغوث ومكانه ومكانته من الاولياء كالنقطة من الدائرة التى هى مركزها به يقع صلاح العالم ورووا عن ابى الدرداء انه قال ان لله عبادا يقال لهم الابدال لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدور والرحمة بجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم اربعون رجلا على مثل قلب ابراهيم لايموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشأ من يخلفه واعلم انهم لايسبون شيأ ولا يلعنونه ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم اطيب الناس خبرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا لاتدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم انما قلوبهم تصعد فى السقوف العلى ارتياحا الى الله تعالى فى استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون انتهى كلامه فى روض الرياحين للامام اليافعى رحمه الله تعالى واعلم ان اهل الحق انما نالوا ما نالوا بهدايتهم للناس وعدلهم فيما بين الخلق بعدما كانوا مهديين وعادلين فى انفسهم وروى عن عبد الله بن المبارك انه كان يتجر ويقول لولا خمسة ما اتجرت السفيانان وفضيل وابن السماك وابن علية ليصلهم فقدم سنة فقيل له قد ولى ابن علية القضاء فلم يأته ولم يصله بشئ فاتى اليه ابن علية فلم يرفع رأسه اليه ثم كتب اليه ابن المبارك

يا جاعل العلم له بازيا * يصطاد اموال المساكين

احتلت للدنيا ولذاتها * بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعدما * كنت دوآء للمجانين
اين رواياتك فى سردها * لترك ابواب السلاطين
ان قلت اكرهت فذا باطل * زل حمار العلم فى الطين

فلما وقف اسماعيل بن علية على الابيات ذهب الى الرشيد ولم يزل به الى ان استعفاه من القضاء فاعفاه ونعم ما قيل
ابو حنيفه قضا نكرد وبمرد * تو بميرى اكر قضا نكنى (وقيل)
اعدل تكن من صروف الدهر ممتنعا * فالصرف ممتنع للعدل فى عمر

والعدل من اسماء الله تعالى ومعناه العادل وهو الذى يصدر منه فعل العدل المضاد للجور والظلم وان يعرف العادل من لم يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله وحظ العبد من العدل لا يخفى واول ما عليه من العدل فى صفات نفسه هو ان يجعل الشهوة والغضب اسيرين تحت اشارة العقل والدين ومهما جعل العقل خادما للشهوة والغضب فقد ظلم نفسه هذا جملة عدله فى نفسه وتفصيله مراعاة حدود الشرع كله وعدله فى كل عضو ان يستعمله على الوجه الذى اذن الشرع فيه واما عدله فى اهله وذويه ثم فى رعيته ان كان من اهل الولاية فلا يخفى وربما ظن ان الظلم هو الايذآء والعدل هو ايصال النفع الى الناس وليس كذلك بل لو فتح الملك خزآئنه المشتملة على الاسلحة والكتب وفنون الاموال ولكن فرق الاموال على الاغنياء ووهب الاسلحة من العلماء وسلم اليهم القلاع ووهب الكتب من الاجناد واهل القتال وسلم اليهم المساجد والمدارس فقد نفع ولكنه قد ظلم وعدل عن العدل اذ وضع كل شئ فى غير موضعه اللائق به ولو آذى المريض بسقى الادوية والحجامة والفصد بالاجبار عليه وآذى الجناة بالعقوبة قتلا وقطعا وضربا كان عادلا لانه وضعها فى موضعها وحظ العبد دينا من هذا الوصف انه لا يعترض على الله تعالى فى تدبيره وحكمه وسائر افعاله وافق مراده او لم يوافق لان كل ذلك عدل وهو كما ينبغى وعلى ما ينبغى ولو لم يفعل ما فعله لحصل منه امر آخر هو اعظم ضررا مما حصل كما ان المريض لو لم يحتجم لتضرر ضررا يزيد على الم الحجامة وبهذا يكون الله تعالى عدلا والايمان يقطع الانكار والاعتراض ظاهرا وباطنا وتمامه ان لا يسب الدهر ولا ينسب الاشياء الى الفلك ولا يعترض عليه كما جرت به العادة بل يعلم ان كل ذلك اسباب مسخرة وانها رتبت ووجهت الى المسببات احسن ترتيب وتوجيه باقصى وجوه العدل واللطف كذا فى المقصد الاقصى فى شرح معانى اسماء الله الحسنى للامام الغزالى عليه رحمة الملك المتعالى (والذين كذبوا بآياتنا) اضافة الآيات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اى بآياتنا التى هى معيار الحق ومصداق الصدق والعدل (سنستدرجهم) اى سنقربهم البتة الى الهلاك على التدريج واصل الاستدراج اما الاستصعاد وهو النقل من سفل الى علو درجة درجة واما الاستنزال وهو النقل من علو الى سفل كذلك والانسب هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب (من حيث لا يعلمون) صفة لمصدر الفعل المذكور اى سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اكرام من الله تعالى وتقريب منه او لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان يتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزداد وا بطرا وانهماكا فى الغى الى ان تحق عليهم كلمة العذاب على افظع حال واشنعها مده خود را فريب از زنك وبو يم * كه هست از خنده من كريه آميز (قال الحافظ) بمهلتى كه سپهرت دهد زراه مرو * ترا كه كفت كه اين زال ترك دستان كفت (وأملى لهم) الاملاء اطالة مدة احدهم بابقائه على ما هو عليه وعدم الاستعجال فى مؤاخذته قال المولى ابو السعود عطف على سنستدرجهم غير داخل فى حكم السين لما ان الاملاء وهو عبارة عن الامهال والاطالة وليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل فى نفسه شيأ فشيأ بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج آثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير (ان كيدى متين) اى ان اخذى شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان قال سعدى چلبى المفتى الاولى ان يقول سماه كيدا لنزوله بهم من حيث لا يشعرون والكيد الاخذ بخفية وقال الحدادى الكيد هو الاضرار بالشئ من حيث لا يشعر به قال فى الحكم العطائية خف من وجود احسانه اليك ودوام اساءتك معه ان يكون ذلك استدراجا لك قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال سهل رضى الله عنه فى معنى هذه الاية

نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابو العباس ابن عطاء يعنى كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة وقال الشيخ ابو القاسم القشيرى رحمه الله الاستدراج تواتر المنة بغير خوف الفتنة الاستدراج انتشار الذكر دون خوف المكر الاستدراج التمكن من المنية والصرف عن البغية الاستدراج تعليل برجاء وتأميل بغير وفاء الاستدراج ظاهر مضبوط وسر بالاغيار منوط انتهى ومن وجوه الاستدراج ان يجهل المريد بنفسه ويحق ربه فيسيئ الادب باظهار دعوى او تورط فى بلوى فتؤخر العقوبة عنه امهالا له فيظنه اهمالا فيقول لو كان هذا سوء ادب لقطع الامداد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن من قطع المدد عنه من حيث لا يشعر الا منع المزيد لكان قطعا لان من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان وكان احمد بن حنبل رضى الله عنه يوصى بعض اصحابه ويقول خف من سطوة العدل وارج رقة الفضل ولا تأمن مكره ولو ادخلك الجنة وقع لابيك آدم ما وقع فان قلت ما الحكمة فى امهال الله العصاة فى الدنيا قلت ليرى العباد ان العفو والاحسان احب اليه من الاخذ والانتقام وليعلموا شفقته وبره وكرمه وان رحمته سبقت غضبه وامهاله تعالى من اخلاق كرمه وجوده وقيل يمهل من يشاء حكمة ليأخذ الظالم اخذ عزيز مقتدر ويعجل عقوبة من يشاء رحمة منه وتخفيفا بالنسبة الى عذاب الآخرة فعلى العاقل ان يخاف من المكر الالهى ويرى الفقر والانكسار نعمة واكراما فان الله تعالى يحب الفقرآء وهو عند المنكسرة قلوبهم وحال الدنيا ليس على القرار تسلب كما تهب وتهب كما تسلب ونعم ما قيل * زمانه به نيك وبد آبستن است * ستاره كهى دوست وكه دشمن است (اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة) روى انه عليه السلام كان كثيرا ما يحذر قريشا عقوبة الله تعالى ووقائعه النازلة فى الامم الماضية فقام ليلا على الصفا وجعل يدعوهم الى عبادة الله تعالى قبيلة قبيلة يا بنى فلان يا بنى فلان الى الصباح يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم لمجنون بات يصوت الى الصباح فنزلت والهمزة للانكار والتعجب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر وما اما استفهامية انكارية فى محل الرفع بالابتدآء والخبر بصاحبهم واما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجملة معلقة لفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار والجنة بناء نوع من الجنون ودخول من يدل على انه ليس به نوع من انواع الجنون والمعنى اكذبوا بالايات ولم يتفكروا فى اى شئ من جنون ما كائن بصاحبهم او فى انه ليس بصاحبهم شئ من جنة حتى يؤديهم التفكر فى ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الآيات فالتصريح بنفى الجنون للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من الايذان بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام عن شائبة الجنة وقد كانوا يسمونه قبل اظهار النبوة محمدا الامين صلى الله عليه وسلم (ان هو) اى ما هو عليه السلام (الا نذير مبين) اى مبالغ فى الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرأفة ومبالغة فى الاعذار (اولم ينظروا) الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اى اكذبوا بها ولم ينظروا نظر تأمل واستدلال (فى ملكوت السموات والارض) فيما تدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة فيعلموا انه لم يخلقهما عبثا ولم يترك عباده سدى قال بعضهم ملكوت السموات النجوم والشمس والقمر وملكوت الارض البحور والجبال والشجر والملكوت الملك العظيم من الملك كالرهبوت من الرهب زيدت التاء للمبالغة يقال له ملكوت العراق اى الملك الاعظم متعلق به (وما خلق الله) عطف على ملكوت اى وفيما خلق الله (من شئ) بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها اى من جليل ودقيق مما يقع عليه اسم الشئ من الاجناس التى لا يمكن حصرها اى ان كل فرد فرد من الموجودات محل للنظر والاعتبار والاستدلال على الصانع ووحدانيته كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشأن والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا فى ان الشأن عسى ان يكون الشأن قد اقترب اجلهم لعلهم يموتون عن قريب فما لهم لا يسارعون الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مجئ الموت ونزول العذاب * زان پيش كاجل

فرارسد تنك * وايام عنان ستاند ازچنك * برمركب فكرخويش نه زين * مردانه درآی دررہ دين (فبای حديث) هو فی اللغة الجديد وفی عرف العامة الكلام (بعده) ای بعد القرءآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فی البيان وليس بعده كتاب منزل ولا نبی مرسل وهو قطع لاحتمال ايمانهم ونفی له بالكلية والباء متعلقة بيؤمنون (من يضلل الله) هركرا كمراه كرداند خدای تعالی وبقرآن نكرود (فلا هادی له) پس هيچ راه نماينده نيست كه اورا براه آرد (ويذرهم) بالياء والرفع على الاستئناف ای وهو تعالى يتركهم (فی طغيانهم) فی مجاوزتهم الحد فی كفرهم (يعمهون) حال من مفعول يذرهم ای حال كونهم مترددين ومتحيرين فی القاموس العمه محركة التردد فی الضلال والتحير فی منازعة اوطريق او ان لا يعرف الحجة وفی الآية حث على التفكر ودلالة على ان العاقل لو تفكر بالعقل السليم من آفات الوهم والخيال والتقليد والهوى فی حال النبی صلى الله عليه وسلم واخلاقه وسيره فضلا عن معجزاته لتحقق عنده انه النبی الصادق وان ما يدعوه اليه كله حق وصدق وانه لينجو بهذا التفكر من النار كما اخبر الله تعالى عن حال اهل النار بقوله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فی اصحاب السعير وفی قوله تعالى اولم ينظروا الخ اشارة الى ان المكونات على نوعين نوع منها ما خلق من غير شیء وهو الملكوت الذی هو باطن الكون والكون به قائم وهو قائم بيد القدرة كقوله تعالى فسبحان الذی بيده ملكوت كل شیء ونوع منها ما خلق من شیء وهو الملك الذی هو ظاهر الكون فكان النظر الى الملك بحس البصر فالنظر الى الملكوت بالعقل والقلب فنظر ارباب العقول فيه يفيد رؤية الآيات والاستدلال بها الى معرفة الخالق واثبات الصانع ونظر اصحاب القلوب فيه يفيد شهود شواهد الغيب بالولوج ليصير ايمانه ايقانا بل عيانا كقوله وكذلك نری ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وهذه الاراءة سنة الهية قديمة للحق سبحانه يری بها كل من جعله نبيا او وليا ناسوت العالم وملكوته وجبروته ولاهوته سواء كان عالما صغيرا او عالما كبيرا ولا تزال تلك السنة باقية الى يوم القيامة ما دام لم ينقطع السير والسلوك الى الحق سبحانه فلولا ها النوع الانسان لكان كسائر الحيوان الا ان الله الرحمن من بها على نوع الانسان وسار وسلك بها من شاء من اهل عنايته الى قبل الملك المنان حتى ترقى عن جميع الاكوان ونال الشهود والعيان ووصل الى الحق المحسان واتاه كمال الايقان وتمام الاحسان ثم جاء نبيا او وليا لارشاد الاخوان فقام بالحكمة والبيان وبين الاسلام والايمان ودعا الى الله الحليم الحنان وبشر بالجنان وانذر بالنيران فمن اجاب نال اللطف والاحسان ومن لم يجب خسر خسرانا مبينا وقال عليه السلام عن عيسى لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالولوج لاصحاب القلوب والمشاهدة والنظر لارباب العقول والاستدلال كذا فی التأويلات النجمية مع مزج من كلام شيخنا العلامة احياه الله بالسلامه روزی امام ابو حنيفة رحمه الله در مسجد نشسته بود جماعتی از زنادقه درآمدند وقصد هلاك او كردند امام كفت يك سؤال را جواب دهيد بعد از ان تيغ ظلم را آب دهيد كفتند مسئله چيست كفت من سفينه ديدم پربار كران برروی دريا روان بی آنكه هيچ ملاحی محافظت ميكرد كفتند اين محالست زيرا كه كشتی بی ملاح بريك نسق رفتن محال باشد كفت سبحان الله سير جملهٔ افلاك وكواكب ونظام عالم علوی وسفلی از سير يك سفينه عجيبترست همه ساكت كشتند واكثر مسلمان شدند (قال الحافظ الشيرازی) در حشمت سليمان هركس كه شك نمايد * برعقل ودانش او خندند مرغ وماهی (يسألونك عن الساعة) ای عن القيامة وهی من الاسماء الغالبة فيها كالنجم فی الثريا وسميت القيامة ساعة لوقوعها بغتة او لكون الحساب الواقع فيها يتم وينقضی فی ساعة يسيرة لانه تعالى لا يشغله شان عن شأن او لانها على طولها عند الله تعالى كساعة من الساعات عند الخلق واصلها ساعة قيام الناس من الاجداث فلما غلبت تعينت فاستغنت عن الاضافة روی ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هی وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم انه تعالى قد استأثر بعلمها فنزلت (ايان مرساها) ايان ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام محله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر ای متى ارساؤها ای اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمی من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا فی الشیء الثقيل كما فی قوله تعالى والجبال ارساها ولما كان اثقل الاشياء على الخلق هو الساعة سمى الله تعالى وقوعها وثبوتها بالارساء ومحل الجملة النصب

بنزع الخافض فانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كانه قيل يسئلونك عن الساعة عن ايان مرساها (قل انما علمها) لم يقل انما علم وقت ارسائها لان المقصد الاصلی من السؤال نفسها باعتبار حلولها فی وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها ولذلك اضاف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها (عند ربی) خاصة قد استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا (لا يجليها) ای لا يظهر امرها من التجلية وهو اظهار الشیء والتجلی ظهوره (لوقتها) ای فی وقتها فاللام للتأقيت كاللام فی قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس (الا هو) والمعنى انه تعالى يخفيها على غيره اخفاء مستمرا الى وقت وقوعها ولا يظهرها الا فی ذلك الوقت الذی وقعت فيه بغتة بنفس الوقوع لا بالاخبار عنها لكون اخفائها ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كاخفاء الاجل الخاص الذی هو وقت الموت كتم الله تعالى وقت قيام الساعة عن الخلق ليصير المكلف مسارعا الى التوبة والطاعة فی جميع الاوقات فانه لو علم وقت قيام الساعة لتقاصر الخلق عنها واخروها وكذلك اخفى ليلة القدر ليجتهد المكلف فی العبادة فی ليالی الشهر كلها واخفى ساعة الاجابة من يوم الجمعة ليكون المكلف مجدا فی الدعاء فی جميع ساعاته (ثقلت فی السموات والارض) ای كبرت وشقت على اهلهما من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت على اهلها خوفا من شدائدها وما فيها من الاهوال ومن جملة اهوالها افناء من فی السموات والارض وهلاكهم وذلك ثقيل على القلوب (لا تاتيكم الا بغتة) الا فجأة على غفلة فتقوم والرجل يسقی ماشيته والرجل يصلح حوضه والرجل يقوم سلعته فی سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه والرجل يهوی لقمة فی فمه فما يدرك ان يضعها فی فمه (يسئلونك كانك حفی عنها) ای عالم بها من حفی عن الشیء اذا بالغ فی السؤال عنه ومن استقصى فی تعلم الشیء وبالغ فی السؤال عنه لزمه ان يستحكم علمه به ويعلمه باقصى ما يمكن ويكون ماهرا فی العلم فلذلك كنى بقوله تعالى كانك حفی عنها عن كونه عليه السلام عالما بها باقصى ما يمكن والتعدية بعن مع كونه بمعنى العالم وهو يتعدى بالباء لكونه متضمنا لمعنى بليغ فی السؤال عنها حتى احكمت علمها والجملة التشبيهية فی محل النصب على انها حال من الكاف ای يسئلونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفی عنها ای مبالغ فی العلم بها (قل انما علمها عند الله) الفائدة فی اعادته رد المعلومات كلها الى الله تعالى فيكون التكرار على وجه التأكيد والتمهيد للتعريض بجهلهم بقوله (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها رأسا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها فيسئلونك جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنها ذريعة الى القدح فی رسالتك (قل لا املك لنفسی نفعا ولا ضرا) ای جلب نفع ولا دفع ضر فمن لا يعلم ان نفعه فی ای الاشياء ومضرته فی ايها كيف يعلم وقت قيام الساعة واللام متعلق باملك قال سعدی چلبی المفتی والظاهر انه متعلق بنفعا ولا ضرا (الا ما شاء الله) ان املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكننی منه ويقدرنی عليه فالاستثناء متصل او لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ فی اظهار العجز عن علمها (ولو كنت اعلم الغيب) ای جنس الغيب (لاستكثرت من الخير) ای لجعلت المال والمنافع كثيرا على ان يكون بناء استفعل للتعدية كما فی نحو استذله (وما مسنی السوء) من كيد العدو والفقر والضر وغيرها (ان انا الا نذير وبشير) ای ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شأنی ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التی لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصی (لقوم يؤمنون) اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف ای نذير للكافرين ای الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون ای فی ای وقت كان ففيه ترغيب للكفرة فی احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان قال الحدادی فی تفسيره فی الآية دلالة على بطلان قول من يدعی العلم بمدة الدنيا ويستدل بما روی ان الدنيا سبعة آلاف سنة لانه لو كان كذلك كان وقت قيام الساعة معلوما ولما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار الى السبابة والوسطى فمعناه تقريب الوقت لا تحديده كما قال تعالى فقد جاء اشراطها ای مبعث النبی عليه السلام من اشراطها انتهى يقول الفقير رواية عمر الدنيا

وردت من طرق شتى صحاح لكنها لا تدل على التحديد حقيقة فلا يلزم ان يكون وقت قيام الساعة معلوما لاحد ايا من كان من ملك او بشر وقد ذهب بعض المشايخ الى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرف وقت الساعة باعلام الله تعالى وهو لا ينافى الحصر فى الاية كما لا يخفى وفى صحيح مسلم عن حذيفة قال اخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو كائن الى ان تقوم الساعة وفى الحديث ان لله ديكا جناحاه موشيان بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب وقوآئمه فى الارض السفلى ورأسه مثنى تحت العرش فاذا كان السحر الاعلى خفق بجناحيه ثم قال سبوح قدوس ربنا الله لا اله غيره فعند ذلك تضرب الديكة اجنحتها وتصيح فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى ضم جناحك وغض صوتك فيعلم اهل السموات والارض ان الساعة قد اقتربت ومن اشراط الساعة كثرة السبى والتسرى وذلك دليل على استعلاء الدين واستيلاء المسلمين الدال على التراجع والانحطاط اذا بلغ الامر كماله ومنها كون الغنم دولا يعنى اذا كان الاغنياء واصحاب المناصب يتداولون باموال الغنيمة ويمنعون عنها مستحقيها وكون الزكاة مغرما يعنى يشق عليهم اداء الزكاة ويعد ونها غرامة وكون الامانة مغنما يعنى اذا اتخذ الناس الامانات الموضوعة عندهم مغانم يغتنمونها ومن الامانة الفتوى والقضاء والامارة والوزارة وغيرها فاذا آتوها الى غير اهلها كما ترى فى زماننا فانتظر الساعة وفى رواية عن ابى هريرة لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعا ولا تقوم الساعة الا على شرار الخلق فان قيل قد ورد فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة قيل معناه الى قريب قيام الساعة لان قريب الشئ فى حكمه واعلم ان القيامة ثلاث حشر الاجساد والسوق الى المحشر للجزآء وهى القيامة الكبرى وموت جميع الخلائق وهى الوسطى ولا يعلم وقته يقينا الا الله تعالى وانما يعلم بالعلامات المنقولة عن الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا بعضا منها وموت كل احد وهى الصغرى وفى الحديث من مات فقد قامت قيامته وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر يوما احوال جهنم فقال واحد من الاصحاب رضى الله عنه ادع لى يا رسول الله ان ادخل فيها فتعجبوا من قوله فقال عليه السلام انه يريد ان يكون صاحب القيامة الكبرى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره نحن لا نعرف حقيقة مراده عليه السلام الا انا نوجهه بان يريد ان يشاهد القيامة الكبرى بان يصل الى مرتبة يتجلى فيها معنى قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه فان السالك اذا جاوز عن مرتبة الطبيعة والنفس والروح والسر يغيب عنه ماسوى الله تعالى فلا يرى له غير الله تعالى فاضمحلال ماسواه وفناؤه هو القيامة الكبرى وهذه مرتبة عظمى لا يصل اليها الا اهل العناية (قال الحافظ) عنقا شكار كس نشود دام بازچين * كانجا هميشه باد بدست است دام را * فعلى العاقل الاجتهاد وبذل المجهود ليترقى الى ما ترقى اليه اهل الخير والجود * بال بكشا وصفير از شجر طوبى زن * حيف باشد چو تو مرغى كه اسير قفسى * كاروان رفت وتو در راه كمين كاه بخواب * وه كه بس بيخبرى زين همه بانك جرسى ونعم ما قيل عاشق شو ارنه روزى كار جهان سر آيد * ناخوانده نقش مقصود از كارگاه هستى نسأل الله تعالى ان يوفقنا لما يحب ويرضى ويداوى هذه القلوب المرضى وهو المعين على كل حال وفى كل حين (هو) اى الله تعالى (الذى) اى العظيم الشأن الذى (خلقكم) جميعا وحده من غير ان يكون لغيره مدخل فى ذلك بوجه من الوجوه (من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام فكما ان النفوس خلقت من نفس واحدة هى نفس آدم فكذا الارواح خلقت من روح واحد هو روح محمد صلى الله عليه وسلم فكان هو ابا الارواح كما كان آدم ابا البشر لقوله عليه السلام انما انا لكم كالوالد لولده وقوله اول ما خلق الله روحى فان اول كل نوع هو المنشأ منه ذلك النوع من الحيوان والنبات كر بصورت من ز آدم زاده ام * من بمعنى جد جد افتاده ام (وجعل) انشأ (منها) اى من جنس تلك النفس الواحدة (زوجها) حوآء او من جسدها لما روى ان الله تعالى خلق حوآء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام والاول هو الانسب اذ الجنسية هى المؤدية الى الغاية الآتية لا الجزئية (ليسكن) تلك النفس والتذكير باعتبار المعنى يعنى آدم (اليها) اى الى الزوج وهى حوآء اى ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للازدواج (فلما تغشاها) لم يقل تغشتها باعتبار آدم ايضا والتغشى والتغشية التغطية بالفارسى چيزى بركسى پوشانيدن كنى به عن الجماع لان الرجل يغطى المرأة ويسترها حال الوقاع لاستعلائه عليها (حملت حملا

خفيفا) فى مبادى الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب فانتصاب حملا على المصدر به او حملت محمولا خفيفا وهو ما فى البطن من النطفة ونفس الجنين فانتصابه على المفعول به كقوله حملت زيدا وهو الظاهر والمشهور ان الحمل بالفتح ما كان فى البطن او على رأس الشجر وبالكسر ما كان على ظهر انسان او على الدابة (فمرت به) اى فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت ولم تكترث بحملها فمرت من المرور بمعنى الذهاب والمضى لا من المر بمعنى الاجتياز والوصول يقال مر عليه وبه يمر مرا اى اجتاز ومر يمر مرا ومرورا اى ذهب واستمر مثله والسين فيه للطلب التقديرى كما فى استخرجته (فلما اثقلت) اى صارت ذا ثقل بكبر الولد فى بطنها (دعوا الله) اى آدم وحوآء عليهما السلام لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا ماله فاهتما به وتضرعا اليه تعالى (ربهما) اى مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعاء ومتعلق الدعاء محذوف اى دعواه تعالى فى ان يؤتيهما ولدا صالحا ووعدا بمقابلته الشكر وقالا (لئن آتيتنا صالحا) اى ولدا سوى الاعضاء او صالحا فى امر الدين (لنكونن من الشاكرين) لك على هذه النعمة المجددة ووجه دعائهما بذلك ان آدم رأى حين اخذ الميثاق على ذريته ان منهم سوى الاعضاء وغير السوى وان منهم التقى وغير التقى فسألا ان يكون هذا الولد سوى الاعضاء وتقيا نقيا عن المعصية فلما اعطاهما صالحا شكرا الا انهما اليسا بحيث يعدان من انفسهما بذلك ثم لا يفعلان ذلك يقال ان حوآء كانت تلد فى كل بطن ذكرا وانثى ويقال ولدت لادم فى خمسمائة بطن الف ولد ثم شرع فى توبيخ المسلمين بقوله (فلما آتاهما صالحا) اى فلما اعطى اولادهما المشركين البالغين مبلغ الوالد ولدا صالحا سوى الاعضاء (جعلا) اى جعل هذان الابوان (له) اى لله تعالى (شركاء فيما آتاهما) بان سميا اولادهما بعبد العزى وعبد مناف ونحو ذلك وسجدا للاصنام شكرا على هذه النعمة والاظهر تقرير ابى السعود حيث قال فى تفسيره فلما آتاهما صالحا اى لما آتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا جعلا اى جعل اولادهما له تعالى شركاء فيما آتاهما اى آتى اولادهما من الاولاد ففى الكلام حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والالزم نسبتهما اى آدم وحوآء الى الشرك وهما بريئان منه بالاتفاق ويدل على الحذف المذكور صيغة الجمع فى قوله تعالى (فتعالى الله) پس بزركست خداى تعالى وپاك (عما يشركون) اى عن اشراكهم وهو تسميتهم المذكورة ولو كان المراد بالآية آدم وحوآء لقال عما يشركان (ايشركون) به تعالى (ما لا يخلق شيأ) اى لا يقدر على ان يخلق شيأ من الاشياء اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده (وهم يخلقون) عطف على ما لا يخلق يعنى الاصنام وايراد الضميرين بجمع العقلاء مبنى على اعتقاد الكفار فيها ما يعتقدونه فى العقلاء وكانوا يصورونها على صورة من يعقل ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفى الخالقية لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه فى حقها (ولا يستطيعون لهم) اى لعبدتهم اذا حزبهم امرهم (نصرا) اى نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة (ولا انفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث كما اذا اراد احد ان يكسرها او يلطخها بالالواث والارواث قال الحدادى وكانوا يلطخون افواه الاصنام بالخلوق والعسل وكان الذباب يجتمع عليها فلا تقدر على دفع الذباب عن انفسها (وان تدعوهم) ايها المشركون (الى الهدى) الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم (لا يتبعوكم) الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله (سوآء عليكم) ايها المشركون (ادعوتموهم) اى الاصنام (ام انتم صامتون) ساكتون اى مستوى عليكم فى عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم فانه لا يتغير حالكم فى الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية ولم يقل ام صمتم لرعاية رؤس الآى (ان الذين تدعون من دون الله) اى تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام وتسمونهم آلهة (عباد امثالكم) اى مماثلة لكم من حيث انها مملوكة لله تعالى مسخرة لامره عاجزة عن النفع والضر وقال الحدادى سماها عبادا لانهم صوروها على صورة الانسان (فادعوهم) فى جلب نفع وكشف ضر (فليستجيبوا لكم) صيغته صيغة الامر ومعناه التعجيز (ان كنتم صادقين) فى زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه (الهم) اى للاصنام (ارجل يمشون بها) حتى يمكن استجابتهم لكم والاستجابة من الهيا كل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها محرك حياة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شئ من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة ووصف الارجل بالمشى بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف (ام لهم ايد يبطشون بها) ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والبطش الاخذ بقوة والمعنى بل الهم ايد يأخذون بها ما يريدون اخذه وبل

للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه (ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها) قدم المشى لانه حالهم فى انفسهم والبطش حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله ام لهم اعين الخ مع ان الكل سوآء فى انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدى والارجل واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الآذان واظهر عينا واثرا ثم ان الكفار كانوا يخوفونه عليه السلام بآلهتهم قائلين نخاف ان يصيبكم بعض الهتنا بسوء فقال الله تعالى (قل ادعوا) ايها المشركون (شركاءكم) واستعينوا بهم فى عداوتى (ثم كيدون) فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهى انتم وشركاؤكم فالخطاب فى كيدون للاصنام وعبدتها (فلا تنظرون) فلا تمهلون ساعة فانى لاابالى بكم لوثوقى على ولاية الله وحفظه * اكرهر دو جهانم خصم كردند * نترسم جون نكهبانم تو باشى (ان ولى الله الذى نزل الكتاب) تعليل لعدم المبالاة المنفهم من السوق انفهاما جليا قوله ولى بثلاث يا آت الاولى ياء فعيل وهو ساكنة والثانية لام الفعل وهى مكسورة ادغمت فيها الياء الاولى والثالثة ياء الاضافة وهى مفتوحة والولى هنا بمعنى الناصر والحافظ اضيف الى ياء المتكلم والمعنى ان الذى يتولى نصرتى وحفظى هو الذى اكرمنى بتنزيل القرآن وايحائه الى وايحاء الكتاب اليه يستلزم رسالته لامحالة (وهو يتولى الصالحين) اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم لايخذلهم فضلا عن انبيائه (والذين تدعون) ياعبدة الاصنام (من دونه) اى متجاوزين الله تعالى ودعاءه ومضمون هذه الآية ذكر اولا لتقريع عبدة الاصنام وذكرهنا انما للتعليل عدم مبالاته بهم فلا تكرار (لا يستطيعون نصركم) فى امر من الامور (ولا انفسهم ينصرون) اذا نابتهم نائبة (وان تدعوهم) اى الاصنام (الى الهدى) الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم من الكيد وغيره (لا يسمعوا) اى دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا بخلاف التوجه الى روحانية الانبياء والاولياء وان كانوا مخلوقين فان الاستمداد منهم والتوسل بهم والانتساب اليهم من حيث انهم مظاهر الحق ومجالى انواره ومرآئى كمالاته وشفعاؤه فى الامور الظاهرة والباطنة له غايات جليلة وليس ذلك بشرك اصلا بل هو عين التوحيد ومطالعة الانوار من مطالعها ومكاشفة الاسرار من مصاحفها (قال الصائب) مشو بمرك زامداد اهل دل نوميد * كه خواب مردم آكاه عين بيداريست (وتراهم) الرؤية بصرية والخطاب لكل واحد من المشركين اى وترى الاصنام ايها الرائى رأى العين (ينظرون اليك) حال من المفعول اى يشبهون الناظرين اليك ويخيل اليك انهم يبصرونك لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها تصوير من قلب حدقته الى الشئ ينظر اليه (وهم لا يبصرون) حال من فاعل ينظرون اى والحال انهم غير قادرين على الابصار وهو بيان عجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وقيل ضمير الفاعل فى تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول للمشركين على ان التعليل قدتم عند قوله تعالى لا يسمعوا اى وترى المشركين يا محمد ينظرون اليك باعينهم وهم لا يبصرونك ببصائرهم اى كما انت عليه فهم غائبون عنك فى الحقيقة الا ان يقروا بالتوحيد وصدق الرسالة ذكر ان السطر الاول من خاتم سليمان عليه السلام كان بسم الله الرحمن الرحيم والسطر الثانى لا اله الا الله والسطر الثالث محمد رسول الله فلما ادخله جبريل فى اصبعه لم يقدر اصحابه ان يروه فتضرعوا فقال قولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فلما قالوه رأوه وسره انه احاطه المهابة فلما اشتغلوا بالتوحيد حصل لهم الاستعداد والقدرة وحكى ان السلطان محمود الغازى دخل على الشيخ الربانى ابى الحسن الخرقانى قدس سره لزيارته وجلس ساعة ثم قال ياشيخ ماتقول فى حق ابى يزيد البسطامى فقال الشيخ هو رجل من رآه اهتدى واتصل بسعادة لا تخفى فقال محمود وكيف ذلك وابو جهل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتصل بالسعادة ولم يتخلص من الشقاوة فقال الشيخ فى جوابه ان ابا جهل ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما رأى محمد بن عبد الله يتيم ابى طالب حتى لو كان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لخرج من الشقاوة ودخل فى السعادة ثم قال الشيخ ومصداق ذلك قول الله تعالى (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) فالنظر بعين الرأس لا يوجب هذه السعادة بل النظر بعين السر والقلب يورث ذلك فمن رأى ابا يزيد بهذه العين فاز بالسعادة * براى ديدن روى تو جشم ديكرم بايد * كه اين جشمى كه من دارم جمالت را نمى شايد * وفى الحديث طوبى لمن رآنى ولمن رأى من رآنى ولمن رأى من رأى من رآنى ولمن رأى من رأى من رأى من رآنى كما فى الرسالة

العلية للكاشفى (وفى المثنوى) كفت طوبى من رآنى مصطفى * والذى يبصر لمن وجهى رأى * جون جراغى نور شمعى را كشيد * هركه ديد آنرا يقين آن شمع ديد * همجنين تاصد جراغ ار نقل شد * ديدن آخر لقاى اصل شد * خواه نور از وابسين بستان بجان * هيج فرقى نيست خواه از شمع دان * وظهر من هنا ان رؤية الاولياء ايضا انما تفيد اذا كانت بالبصيرة ثم ان الرؤية تتناول ما فى اليقظة وما فى المنام قال بعضهم فى قوله عليه السلام من رآنى فقد رأى الحق من رآنى مطلقا اى سوآء كانت الرؤية فى اليقظة او فى المنام فقد رأى الرسول الحق وقال بعضهم من رآنى فى المنام فقد رأى الرؤيا الصادقة لا الرؤيا التى يلعب بها الشيطان قال الشيخ الاكمل فى شرح المشارق المنام الحق هو الذى يريه الملك الموكل على الرؤيا فان الله تعالى قد وكل بالرؤيا ملكا يضرب من الحكمة والامثال وقد اطلعه الله سبحانه على قصص ولد آدم من اللوح المحفوظ فهو ينسخ منها ويضرب لكل قصة مثلا فاذا نام يمثل له تلك الاشياء على طريق الحكمة لتكون بشارة له او نذارة او معاتبة ليكونوا على بصيرة من امرهم كذا قيل انتهى واعلم ان جميع الانبياء معصومون من ان يظهر شيطان بصورهم فى النوم واليقظة لئلا يشتبه الحق بالباطل يقول الفقير اصلحه الله القدير سمعت من حضرة شيخى المتفرد فى زمانه بعلمه وعرفانه ان الشيطان لا يتمثل ايضا بصور الكمل من الاولياء الكرام كقطب الوجود فى كل عصر فانه مظهر تام للهدى سار فى سره سر النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا فعلى العاقل ان يترك القيل والقال ويدع الاعتراض بالمقال والحال ويستسلم لامر الله الملك المتعال الى ان يبلغ مبلغ الرجال ويتخلص من مكر الشيطان البعيد عن ساحة العز والاجلال ويكون هاديا بعد كونه مهديا ان كان ذلك امرا مقضيا اللهم اهدنا الى رؤية الحق وارنا الاشياء كما هى وخلصنا عن الاشتغال بالمناهى والملاهى انك انت الجواد لكل صنف من العباد منك المبدأ واليك المعاد (خذ العفو) روى انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل ما الاخذ بالعفو فقال لا ادرى حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وان تحسن الى من اساء اليك * هركه زهرت دهد بدوده قند * وانكه از تو برد بدو پيوند * والعفو من اخلاقه تعالى قال سعيد بن هشام دخلت على عائشة فسألتها عن اخلاق النبى عليه السلام قالت اما تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله القرآن وانما ادبه بالقرآن بمثل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وبقوله واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وبقوله فاعف عنهم واصفح وغير ذلك من الآيات الدالة على مكارم اخلاقه (وامر بالعرف) بالجميل المستحسن من الافعال لانها قريبة من قبول الناس من غير نكير قال فى التيسير قالوا فى العرف تقوى الله وصلة الارحام وصون اللسان عن الكذب ونحوه وغض البصر عن المحارم وكف الجوارح عن المآثم (واعرض عن الجاهلين) ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغضض عما يسوءك منهم وذلك لانه ربما اقدم بعض الجاهلين عند الترغيب والترهيب على السفاهة والاذى والضحك والاستهزاء فلهذا السبب امر الله تعالى حبيبه فى آخر الآية بتحمل الاذى والحلم عمن جفا فظهر بهذا ان الآية مشتملة على مكارم الاخلاق فيما يتعلق بمعاملة الناس معه ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الاسواق ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح كذا فى الكواشى روى انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب فنزل قوله تعالى (واما) كلمتان ان التى هى للشرط وما التى هى صلة زآئدة (ينزغنك) النزغ والنخس الغرز يقال نزغه طعن فيه ونزغ بينهم افسد واغرى ووسوس ونخس الدابة غرز مؤخرها او جنبها بعود ونحوه (من الشيطان نزغ) اى نازغ كرجل عدل بمعنى عادل وشبهت وسوسته للناس واغرآؤه لهم على المعاصى بغرز السائق لما يسوقه والمعنى واما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اعترآء غضب او نحوه (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه تعالى من شره واعتصم (انه) تعالى (سميع) يسمع استعاذتك به قولا (عليم) يعلم تضرعك اليه قلبا فى ضمن القول او بدونه فيعصمك من شره قال فى البحر وختم بهاتين الصفتين لان الاستعاذة تكون باللسان لا تجدى الا باستحضار معناها فالمعنى سميع للاقوال عليم بما فى الضمائر واختلفوا هل المراد الشيطان او القرين فقط والظاهر انه فى حقنا القرين قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وفى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابليس اما نحن فلان الانسان لا يؤذيه من الشياطين

الاماقرن به ومابعده فلا يضره شيأ والعاقل لا يستعيذ ممن لا يؤذيه واما الرسول صلى الله عليه وسلم فان قرينه قد اسلم فلا يستعيذ منه فالاستعاذة حينئذ من غيره وغيره يتعين ان يكون ابليس اوا كابر جنوده لانه قد ورد فى الحديث ان عرش ابليس على البحر الاخضر وجنوده حوله واقربهم اليه اشدهم بأسا ويسأل كلا منهم عن عمله واغوائه ولا يمشى هو الا فى الامور العظام والظاهر ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهم المهمات عنده فلا يؤثر به غيره من ذريته كما ورد ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى فقلت اعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت العنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم اردت اخذه والله لولا دعوة اخينا سليمان لاصبح موثقا يلعب به ولدان اهل المدينة والدعوة قوله رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وانما لم يشده ولم يأخذه لان التسخير التام مختص بسليمان عليه السلام فان قلت لم لم يمنع ابليس عن النبى صلى الله عليه وسلم كما منع به السماء من الشياطين قلت ان الله تعالى جعل اكثر الاشياء كذلك يمنع بها ولا يمنع عنها الا ترى ان الليل يمنع النهار والنهار يمنع الليل ولا يمنع عنهما النور والظلمة وكذلك احياء الموتى لعيسى عليه السلام ولم يمنع عنه الموت وايضا لما منع الشياطين من السماء ظنوا انهم لا يقدرون على محمد صلى الله عليه وسلم فسلطهم عليه ثم عصمه منهم ليعلموا انه ليس بايديهم شئ وقال النيسابورى اراد ان يظهر لخلقه ان غيره مقهور وغير معصوم ولا قاهر الا الله تعالى وعن بعض العلماء ان الخطاب فى قوله واما ينزغنك وان كان للنبى عليه السلام الا ان المراد امته وتشريع الاستعاذة لهم يقول الفقير حفظه الله القدير يعضده ما قال بعض الاولياء من امته وهو ابو سليمان الدارانى قدس سره ما خلق الله خلقا اهون على من ابليس لولا ان الله امرنى ان اتعوذ منه ما تعوذت منه ابدا وما قال البعض الآخر حين قيل له كيف مجاهدتك للشيطان وما الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا الى الله فكفانا من دونه فاذا كان هذا حال الولى فما ظنك بحال النبى ويدل عليه ايضا كلمة ان الدالة على عدم الجزم واعلم ان الغضب لغير الله من نزغات الشيطان وانه بالاستعاذة يسكن روى انه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يخاصم اخاه قد احمر وجهه وانتفخت اوداجه من الغضب فقال عليه السلام انى لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال اعوذ بالله من الشيطان لذهب عنه ما يجده وفى الحديث ان الغضب من الشيطان وان الشيطان من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ (وفى المثنوى) چون زخشم آتش تودر دلها زدى * مايه نار جهنم آمدى * آتشت اينجا چو آدم سوز بود * آنچه ازوى زاد مرد افروز بود * آتش تو قصد مردم ميكند * نار كزوى زاد برمردم زند * آن سخنهاى چومار وكژدمت * مار وكژدم كشت وميكيرد دمت * خشم تو تخم سعير دوزخست * هين بكش اين دوزخت را كين فخست وفى الحديث لما اراد الله ان يخلق لابليس نسلا وزوجة القى عليه الغضب فطارت منه شظية من نار فخلق منها امرأته كذا فى حياة الحيوان والاشارة خذ العفو اى تخلق بخلق الله فان العفو من اخلاقه تبارك وتعالى وامر بالعرف اى بالمعروف وهو طلب الحق تعالى لانه معروف العارفين واعرض عن الجاهلين يعنى عن كل ما يدعوك الى غير الله وعمن يطلب ما سوى الله فان الجاهل هو الذى لا يعرف الله ولا يطلبه والعالم من يطلبه ويعرفه واما ينزغنك من الشيطان نزغ فى طلب غير الله فاستعذ بالله من غير الله بان تفر الى الله وتترك ما سواه انه سميع يسمع القول والاجابة لما تدعوه اليه عليم بما ينفعك ويضرك فيسمع ما ينفعك دون ما يضرك كذا فى التأويلات النجمية (ان الذين اتقوا) اى اتصفوا بوقاية انفسهم عما يضرها (اذا مسهم طائف من الشيطان) ادنى لمة منه وهى الوسوسة والمس والطائف اسم فاعل من طاف يطوف اذا دار حول الشئ كانها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم اومن طاف به الخيال يطيف طيفا اى الم فالطائف بمعنى الجائى والنازل وفى الصحاح طيف الخيال مجيئه فى النوم وطيف من الشيطان وطائف منه لمم منه والخيال فى الاصل اسم بمعنى التخيل وارتسام الصورة فى محل القوة المتخيلة ويطلق على نفس تلك الصورة وطيفه نزوله فى محل المتخيلة (تذكروا) اى ما امر الله به ونهى عنه وقال المولى ابو السعود اى الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه (فاذاهم) بسبب ذلك التذكر (مبصرون) مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها (واخوانهم) اى اخوان الشياطين وهم المنهمكون فى الغى المعرضون عن وقاية انفسهم عن المضار فضمير اخوانهم للشيطان والجمع لكون المراد به الجنس (يمدونهم فى الغى) اى يكون

الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه والغى الضلال (ثم لا يقصرون) اى لا يمسكون عن الاغواء حتى يردونهم بالكلية يقال اقصر عن الشئ اذا كف عنه وانتهى فعلى العاقل مباعدة اهل الطغيان ومجانبة وسوسة الشيطان حكى ان بعض الاولياء سأل الله تعالى ان يريه كيف يأتى الشيطان ويوسوس فاراه الحق تعالى هيكل الانسان فى صورة بلور وبين كتفيه خال اسود كالعش والوكر فجاء الخناس يتحسس من جميع جوانبه وهو فى صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء من بين الكتفين فادخل خرطومه قبل قلبه فوسوس اليه فذكر الله تعالى فخنس وراءه ولذلك سمى بالخناس لانه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر فى القلب ولهذا السر الالهى احتجم صلى الله تعالى عليه وسلم بين كتفيه وأمر بذلك ووصاه جبريل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لانه يجرى وسوسته مجرى الدم ولذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه عليه السلام اشارة الى عصمته عليه السلام من وسوسته لقوله عليه السلام اعاننى الله عليه فاسلم اى بالختم الالهى ايده به وخصه وشرفه وفضله بالعصمة الكلية فاسلم قرينه وما اسلم قرين آدم فوسوس اليه لذلك واعلم ان اصل الخواطر اثنان ما يكون بالقاء الملك وما يكون بالقاء الشيطان والفرق ان كل ما يكون سببا للخير بحيث يكون مأمون الغائلة اى الآفة فى العاقبة ولا يكون سريع الانتقال الى غيره ويحصل بعده توجه تام الى الحق ولذة عظيمة مرغبة فى العبادة فهو ملكى وبالعكس شيطانى قال بعضهم قد يلبس الشيطان ويرى الباطل فى صورة الحق فاجمع المشايخ على ان من كان قوته من الحرام لا يفرق بين الخواطر الملكية والشيطانية بل منهم من قال من كان قوته معلوما لا يفرق بينهما (وفى المثنوى) طفل جان از شير شيطان باز كن * بعد ازانش با ملك انباز كن * تا تو تاريك وملول وتيره * دانكه با ديو لعين همشيرة * لقمه كو نور افزود وجمال آن بود آورده از كسب حلال * چون زلقمه تو حسد بينى ودام * جهل وغفلت زايد آنرا دان حرام * زايد از لقمه حلال اندر دهان * ميل خدمت عزم رفتن آن جهان * قال حضرة شيخنا الفريد امده الله بالمزيد فى كتاب اللائحات البرقيات الملك الموكل بامر الله على قلوب اهل الحق يلقى اليهم الحق دائما فاذا مسهم طائف من الشيطان فيذكرهم بذلك الطائف الشيطانى فهم يتذكرون ويبصرون ويصحون والشيطان المتسلط بخذلان الله على صدور اهل الباطل يلقى اليهم الباطل دائما فاذا مسهم طائف من الرحمن فينسيهم ذلك فهم لا يتذكرون ولا يبصرون ولا يصحون فالشأن الرحمانى دائما اراءة الحق حقا والباطل باطلا والشأن الشيطانى اراءة الحق باطلا والباطل حقا وهذا هو السر والحكمة فى كون عباد الرحمن هادين ومهديين وعباد الشيطان ضالين ومضلين لان الاراءة الاولى هى الهداية بعينها والثانية هى الاضلال بعينه والاضلال لابد انه يستلزم الضلال كما ان الهداية لابد انها تستلزم الاهتداء انتهى كلامه قال فى التأويلات النجمية ان الذين اتقوا هم ارباب القلوب والتقوى من شأن القلب كما قال عليه السلام التقوى ههنا واشار الى صدره والتقوى نور يبصرون به الحق حقا والباطل باطلا فلذا قال اذا مسهم طائف من الشيطان اى اذا طاف حول القلب التقى النقى نوع طيف من عمل الشيطان يراه القلب بنور التقوى ويعرفه فيتذكر انه يفسده ويكدر صفاءه ويقسيه فيجتنبه ويحترز منه فذلك قوله تذكروا فاذاهم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى يعنى النفوس اخوان القلب فان النفس والقلب توأمان ولدا من ازدواج الروح والقالب فالقلب يمد النفس فى الطاعة ولولا ذلك ما صدر من القلب معصية لانه جبل على الاطمئنان بذكر الله وطاعته ثم لا يقصرون لا يسأم كل واحد منهما من فعله ولا يدع ما جبل عليه لئلا يأمن ارباب القلوب من كيد النفوس ابدا ولا يقنط ارباب النفوس المسرفين على انفسهم من رحمة الله من اصلاح احوال قلوبهم (واذا لم تأتهم) اى اهل مكة (بآية) من القرآن عند تراخى الوحى اوبآية مما اقترحوه كقولهم احى لنا فلانا الميت يكلمنا او يصدقك فيما تدعونا اليه ونحو ذلك (قالوا لولا اجتبيتها) اجتبى الشئ بمعنى جباه لنفسه اى جمعه فالمعنى هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا كسائر ما تقرؤه من القرآن فانهم يقولون كله افك اوهلا ميزتها واصطفيتها عن سائر مهماتك وطلبتها من الله تعالى فيكون الاجتباء بمعنى الاصطفاء (قل) ردا عليهم (انما اتبع) اى ما افعل الا الاتباع (ما يوحى الى من ربى) لست بمختلق للآيات ولست بمقترح لها (هذا) القرآن (بصائر من ربكم) بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب اخبر عن المفرد بالجمع لاشتماله على سور وآيات (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) اذهم المقتبسون

من انواره والمغتنمون من آثاره والجملة من تمام القول المأمور به وفى الآية اشارة الى انه كما ان النبى يتبع الوحى الالهى كذلك الولى يتبع الالهام الربانى فلا قدرة على تزكية النفوس الا بالوحى والالهام وايضا لولم يتبع الهدى لكان اهل هوى غير صالح للارشاد وخائنا والخائن لا يكون امينا على اسرار النبوة والولاية وعن بعض اهل العلم قال كنت بالمصطبة واذا برجلين يتكلمان فى الخلوة مع الله تعالى فلما ارادا ان ينصرفا قال احدهما للآخر تعال نجعل لهذا العلم ثمرة ولا يكون حجة علينا فقال له اعزم على ماشئت فقال عزمت على ان لا آكل ما للمخلوق فيه صنع قال فتبعتهما وقلت انا معكما فقالا على الشرط قلت على اى شرط شرطتما فصعدا جبل لكام ودلانى على كهف وقالا تعبد فيه فدخلت فيه وجعل كل واحد منهما يأتينى بما حتم الله تعالى وبقيت مدة ثم قلت الى متى اقيم ههنا اسير الى طرطوس وآكل من الحلال واعلم الناس العلم واقرأ القرءآن فخرجت ودخلت طرطوس واقمت بها سنة واذا انا برجل منهما قد وقف على وقال يافلان خنت فى عهدك ونقضت الميثاق اما انك لو صبرت كما صبرنا لوهب لك ما وهب لنا قلت ما الذى وهب لكما قال ثلاثة اشياء طى الارض من المشرق الى المغرب بقدم واحد والمشى على الماء والحجبة اذا شئنا ثم احتجب عنى فقلت بالذى وهب لكما هذا الحال الا ما ظهرت لى فقد شويت قلبى فظهر وقال سل فقلت هل لى الى ذلك الحال عودة فقال هيهات لا يؤمن الخائن (قال الحافظ) وفا مجوى زكس ورسخن نمى شنوى * بهرزه طالب سيمرغ وكيميا مياش * وفى الحكاية اشارة الى ان الله تعالى يمن على من يشاء حكى ان الشيخ جوهر المدفون فى عدن كان مملوكا فعتق وكان يبيع ويشترى فى السوق ويحضر مجالس الفقراء ويعتقدهم وهو امى فلما حضرت وفاة الشيخ الكبير سعد الحداد المدفون فى عدن قالت له الفقراء من يكون الشيخ بعدك قال الذى يقع على رأسه الطائر الاخضر فى اليوم الثالث من موتى عند ما يجتمع الفقراء فلما توفى اجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة ايام فلما كان اليوم الثالث وفرغوا من الذكر والقرءآن قعدوا ينتظرون ما وعدهم الشيخ واذا بطائر اخضر وقع قريبا منه فبقى كل واحد من كبار الفقراء يترجى ذلك ويتمناه فبينماهم كذلك فاذا بالطائر قد طار ووقع على رأس الشيخ جوهر ولم يكن يخطر له ولا لاحد من الفقراء ذلك فقام اليه الفقراء ليزفوه الى زاوية الشيخ وينزلوه منزلة المشيخة فبكى وقال كيف اصلح للمشيخة وانا رجل سوقى وانا لا اعرف طريق الفقراء وآدابهم وعلى تبعات وبينى وبين الناس معاملات فقالوا له هذا امر سماوى ولا بد لك منه والله يتولى تعليمك فقال امهلونى حتى امضى الى السوق وابرأ من حقوق الخلق فامهلوه فذهب الى دكانه ووفى كل ذى حق حقه ثم ترك السوق ولزم الزاوية ولازمه الفقراء فصار جوهرا كاسمه (قال الحافظ) طالب لعل وگهر نيست وگرنه خورشيد * همچنان در عمل معدن وكانست كه بود (وقال) گوهر پاك ببايد كه شود قابل فيض * ورنه هرسنگ وگلى لؤلؤ ومرجان نشود * ولما عظم سبحانه وتعالى شأن القرءآن بقوله هذا بصائر للناس اردفه بقوله (واذا قرئ القرءآن) الذى ذكرت شؤونه العظيمة (فاستمعوا له) استماع قبول وعمل بما فيه فان شأنه يوجب الاستماع مطلقا ولما فى الافتعال من التصرف والسعى والاعتمال فى ذلك الفعل فرقوا بين المستمع والسامع بان المستمع من كان قاصدا للسماع مصغيا اليه والسامع من اتفق سماعه من غير قصد اليه فكل مستمع سامع من غير عكس (وأنصتوا) اى واسكتوا فى خلال القرآءة وراءوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع والفرق بين الانصات والسكوت ان الانصات مأخوذ فى مفهومه الاستماع والسكوت فلا يتصرف معناه على السكوت بخلاف السكوت (لعلكم ترحمون) اى تفوزون بالرحمة التى هى اقصى ثمراته قال ابن عباس رضى الله عنه كان المسلمون قبل نزول هذه الآية يتكلمون فى الصلاة ويأمرون بحوائجهم ويأتى الرجل الجماعة وهم يصلون فيسألهم كم صليتم وكم بقى فيقولون كذا فانزل الله تعالى هذه الآية وامرهم بالانصات عند الصلاة بقرآءة القرآن لكونها اعظم اركانها استدل الامام ابو حنيفة بهذه الآية على ان انصات المقتدى واجب وان قرآءة الامام قرآءة المأموم فلا يقرأ خلف الامام سواء أسر الامام او جهر لانه تعالى اوجب عليه امرين الاستماع والانصات فاذا فات الاستماع بقى الانصات واجبا وجه الاستدلال ان المراد بالانصات المأمور به وان كان هو النهى عن الكلام لا عن القرآءة لكن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب على ان جماعة من المفسرين قالوا ان الآية نزلت فى الصلاة خاصة حين كانوا يقرؤن القرءآن خلفه عليه السلام وجعله الحدادى فى تفسيره

اصح قال فى الاشباه اسقط ابو حنيفة القرآءة عن المأموم بل منعه منها شفقة على الامام دفعا للتخليط عليه كما يشاهد بالجامع الازهر انتهى فقرآءة المأموم مكروهة كراهة التحريم وهو الاصح كما فى شرح المجمع لابن ملك قال على رضى الله عنه من قرأ خلف الامام فقد اخطأ الفطرة اى السنة يحكى ان جماعة من اهل السنة جاؤا الى ابى حنيفة رضى الله عنه ليناظروه فى القرآءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكننى مناظرة الجميع ففوضوا امر المناظرة الى اعلمكم لاناظره فاشاروا الى واحد فقال هذا اعلمكم فقالوا نعم قال والمناظرة معه مناظرة لكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا نعم قال وان ناظرته والزمته الحجة فقد لزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولنا فقال ابو حنيفة فنحن لما اخترنا الامام فى الصلاة كانت قرآءته قرآءة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالالزام قال الفقهاء المطلوب من القرآءة التدبر والتفكر والعمل به ولا يحصل ذلك الا بالاستماع والانصات فيجب على المؤتم ذلك وهو كالخطبة يوم الجمعة لما شرعت وعظا وتذكيرا اوجب الاستماع ليحصل فائدتها الا ان يخطب كل لنفسه بخلاف سائر الاركان لانها شرعت للخشوع ولا يحصل لهم الخشوع الا بالسجود معه والركوع اعلم ان ظاهر النظم الكريم يقتضى وجوب الاستماع والانصات عند قرآءة القرءآن فى الصلاة وغيرها وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة كما فى التفاسير قال الحدادى ولا يجب على القوم الانصات لقرآءة كل من يقرأ فى غير الصلاة وقال الحلبى رجل يكتب الفقه وبجنبه رجل يقرأ القرءآن ولا يمكن للكاتب الاستماع فالاثم على القارئ لقرآءته جهرا فى مواضع اشتغال الناس باعمالهم وعلى هذا لو قرأ على السطح فى الليل جهرا والناس نيام يأثم كذا فى الخلاصة صبى يقرأ فى البيت واهله مشغولون بالعمل يعذرون فى ترك الاستماع ان افتتحوا العمل قبل القرآءة والا فلا وكذا قرآءة الفقه عند قرآءة القرءآن ولو كان القارئ فى المكتب واحدا يجب على المارين الاستماع وان اكثر ويقع الخلل فى الاستماع لا يجب عليهم ويكره للقوم ان يقرؤا القرءآن جملة لتضمنها ترك الاستماع والانصات وقيل لا بأس به والاصل فيه ان الانصات والاستماع للقرءآن فرض كفاية على ما حققه الحلبى فى الشرح الكبير قال فى القنية ولا بأس باجتماعهم على قرآءة الاخلاص جهرا عند ختم القرءآن ولو قرأ واحد واستمع الباقون فهو اولى ورجل يكتب من الفقه او يكرر منه وغيره يقرأ القرءآن لا يلزمه الاستماع لان النبى عليه السلام دخل على اصحابه وهم فى المسجد حلقتان حلقة فى مذاكرة الفقه وحلقة فى قرآءة القرءآن وجلس فى حلقة مذاكرة الفقه ولو لزم الاستماع لما فعل ذلك وفيه اشارة الى فضيلة الفقه ومذاكرته * علم دين فقه است وتفسير وحديث * هركه خواند غير ازين كردد خبيث * قال فى نصاب الاحتساب قرآءة القرءآن فى القبور تكره عند ابى حنيفة وعند محمد لا تكره ومشايخنا اخذوا بقول محمد لكن لا يقرأ جهرا اذا كان اهل المصيبة مشتغلين بالناس فان القرآءة جهرا عند قوم مشاغيل مكروهة ثم اعلم انه يدخل فى الآية الخطبة لانها ملتبسة بقرآءة القرءآن فنعمل بظاهره فى حق قرآءة القرءآن وفى حق الخطبة بطريق الاحتياط اثباتا للحرمة بدليل فيه شبهة فيسمع الخطبة وينصت وان صلى الخطيب على النبى صلى الله عليه وسلم لان ذلك جزء من الخطبة فنعمل فيه ما نعمل فى الباقى الا اذا قرأ صلوا عليه فيصلى المستمع سرا اى فى نفسه وقلبه ولا يحرك لسانه لانه توجه عليه امران صلوا عليه وقوله انصتوا فيصلى فى نفسه وينصت بلسانه حتى يكون آتيا بهما واختلفوا فى البعيد عن المنبر والاحوط السكوت اقامة لفرض الانصات وان تعذر الاستماع ولان فيه تشبها بالمستمعين ولان صوت كلامه قد يبلغ الصفوف التى امامه فيشغلهم ويمنعهم عن استماع الخطبة قال فى التاتارخانية اذا شرع الخطيب فى الدعاء لا يجوز للقوم رفع الايادى ولا ان يكون بلسانه وكذا الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام باللسان جهرا فان فعلوا اثموا ويجوز بالقلب ويجب على العلماء منعهم فان لم يمنعوا اثموا وقال فى نصاب الاحتساب ولا يتكلم حال الخطبة وان كان امرا بمعروف او نهيا عن منكر ولو لم يتكلم لكن اشار بيده او بعينه حين رأى منكرا الصحيح انه لا بأس به وفى الحديث اذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت اى تكلمت بما لا ينبغى قال النووى فيه نهى عن جميع انواع الكلام لان قوله انصت اذا كان لغوا مع انه امر بمعروف فغيره من الكلام اولى وانما طريق النهى هنا الانكار بالاشارة وفى قوله والامام يخطب اشعار بان هذا النهى انما هو فى حال الخطبة وهو مذهب الشافعى وقال ابو حنيفة يجب الانصات بخروج

الامام لقوله عليه السلام (اذا خرج الامام فلا صلاة ولا كلام) اى مطلقا سواء خطب اولم يخطب والترجيح للمحرم وقالا لابأس بالكلام اذا خرج الامام قبل ان يخطب واذا فرغ قبل ان يشتغل بالصلاة لان التكلم بالاثم فيه انما كره للاستماع اذ الكلام يخل بفرض استماعها فيقصر على حال الخطبة اذ لا استماع قبلها وبعدها وفى القنية الكلام فى خطبة العيدين غير مكروه لان خطبة العيدين سنة فخطبة الجمعة شرط لصحة الصلاة بخلاف خطبة العيدين لقوله عليه السلام (يوم العيد من شاء منكم ان يخرج فليخرج) والحاصل انه اذا خرج الامام حرم كلام الناس والنافلة اما الفائتة فلا كراهة فى قضائها وقت الخطبة نص عليه فى النهاية وكذا التسبيح ونحوه جائز بالاتفاق قال فى الاشباه خرج الخطيب بعد شروعه متنفلا قطع على رأس الركعتين يعنى ان صلى ركعة ضم اليها اخرى وسلم كما فى الكافى وان كان شرع فى الشفع الثانى اتمه كما فى الاختيار ولو كان شرع فى سنة الجمعة يتمها اربعا على الصحيح كما فى الاشباه وغيره وعبارة الخروج واردة على عادة العرب لانهم يتخذون للامام مكانا خاليا تعظيما لشأنه فيخرج منه حين اراد الصعود الى المنبر واما القاطع عن الصلاة والكلام فى ديارنا فهو قيام الامام للصعود قال فى التأويلات النجمية الانصات شرط فى حسن الاستماع وحسن الاستماع شرط فى الاسماع والاشارة انصتوا بالسنتكم الظاهرة لتسمعوا باذانكم الظاهرة وانصتوا بالسنتكم الباطنة لتسمعوا باذانكم الباطنة لعلكم ترحمون بالاستماع بالسمع الحقيقى وهو قوله كنت له سمعا فبى يسمع فمن سمع القرآن بسمع بارئه فقد سمع من قارئه وهذا سر الرحمن علم القرآن (قال المولى الجامى)

عجب نبود كه ازقرآن نصيبت نيست جز حرفى * كه از خرشيد جز گرمى نبيند چشم نابينا

(واذكر) يا محمد (ربك) ويجوز ان يكون المراد جميع الخلق والذكر طرد الغفلة ولذا لا يكون فى الجنة لانها مقام الحضور الدائم (فى نفسك) وهو الذكر بالكلام الخفى فان الاخفاء ادخل فى الاخلاص واقرب من الاجابة وهذا الذكر يعم الاذكار كلها من القراءة والدعاء وغيرها كما قال فى الاسرار المحمدية ليس فضل الذكر منحصرا فى التهليل والتسبيح والتكبير والدعاء بل كل مطيع لله فى عمل فهو ذاكر (تضرعا) مصدر واقع موقع الحال من فاعل اذكر اى متضرعا ومتذللا والضراعة الخضوع والذل والاستكانة يقال تضرع الى الله اى ابتهل وتذلل والابتهال الاجتهاد فى الدعاء واخلاصه قال بعض العارفين بالله الصلاة افضل الحركات والصوم افضل السكنات والتضرع فى هيا كل العبادات تحل ماعقدته الافلاك الدائرات

لولم ترد نيل ماارجو واطلبه * من فضل جودك ماعلمتنى الطلبا

(وخيفة) بكسر الخاء اصلها خوفة قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ماقبلها اى وحال كونك خائفا قال ابن الشيخ وهذا الخوف يتناول خوف التقصير فى الاعمال وخوف الخاتمة وخوف السابقة فان مايكون فى الخاتمة ليس الا ماسبق به الحكم فى الفاتحة ولذلك قال عليه السلام جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة انتهى يقول الفقير هذا بالنسبة الى ان يكون المراد بالخطاب فى الآية هو الامة والا فالانبياء بل وكمل الاولياء آمنون به من خوف الخاتمة والفاتحة نعم لهم خوف لكن من نوع آخر يناسب مقامهم ولما كان اكمل احوال الانسان ان يظهر عزة ربوبية الله وذلة عبودية نفسه امر الله بالذكر ليتم المقصود الاول وقيده بالتضرع والخفية ليتم المقصود الثانى

اى خنك آنرا كه ذلت نفسه * واى آن كز سركشى شد چون كه او

(ودون الجهر من القول) صفة لمحذوف هو الحال اى ومتكلما كلاما هو دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر فمن ام فى صلاة الجهر ينبغى له ان لا يجهر جهرا شديدا بل يقتصر على قدر مايسمعه من خلفه قال فى الكشف لا يجهر فوق حاجة الناس والا فهو مسيء والفرق بين الكراهة والاساءة هو ان الكراهة افحش من الاساءة ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه يقرأ رافعا صوته فسأله فقال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان قال عليه السلام اخفض من صوتك قليلا واتى ابا بكر رضى الله عنه فوجده يقرأ خافضا صوته فسأل فقال قد اسمعت من ناجيت فقال عليه السلام ارفع من صوتك قليلا وقد جمع النووى بين الاحاديث الواردة فى استحباب الجهر بالذكر والواردة فى استحباب الاسرار به بان الاخفاء افضل حيث خاف الرياء او تأذى المصلون او النائمون والجهر افضل فى غير ذلك لان العمل فيه اكثر ولان فائدته تتعدى الى السامعين ولانه يوقظ قلب الذاكر ويجمع همه الى الفكر ويصرف سمعه اليه ويطرد النوم ويزيد فى النشاط

وبالجملة

وبالجملة ان المختار عند الاخيار ان المبالغة والاستقصاء فى رفع الصوت بالتكبير فى الصلاة ونحوه مكروه والحالة الوسطى بين الجهر والاخفاء مع التضرع والتذلل والاستكانة الخالية عن الرياء جائز غير مكروه باتفاق العلماء كذا فى انوار المشارق وقد سبق من شارح الكشاف ان الشيخ المرشد قد يأمر المبتدئ برفع الصوت لتنقلع من قلبه الخواطر الراسخة فيه (بالغدو والآصال) متعلق باذكر اى اذكره فى هذين الوقتين وهما البكرات والعشيات فان الغدو جمع غدوة وهى مابين صلاة الغداة وطلوع الشمس والآصال جمع اصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب والعشى والعشية من صلاة المغرب الى العتمة وخص هذان الوقتان لان فيهما تتغير احوال العالم تغيرا عجيبا يدل على ان المؤثر فيه هو الاله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة القاهرة فكل من شاهد هذه التغيرات ينبغى له ان يذكر المؤثر فيها بالتضرع والابتهال والخوف من تحويل حاله الى سوء الحال وقيل الغدو والآصال عبارتان عن الليل والنهار اكتفى عن ذكرهما بذكر طرفيهما والمراد بذكره تعالى فيهما المواظبة عليه بقدر الامكان (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله تعالى امر اولا بان يذكر ربه على وجه يستحضر فى نفسه معانى الاذكار التى يقولها بلسانه فان المراد بذكر الله فى نفسه ان يذكره تعالى عارفا بمعانى مايقول من الاذكار ثم اتبعه بقوله ولا تكن من الغافلين للدلالة على ان الانسان ينبغى له ان لا يغفل قلبه عن استحضار جلال الله تعالى وكبريائه وفى الحديث الا انبئكم بما هو خير لكم وافضل من ان تلقوا عدوكم فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم ذكر الله اى ماهو خير لكم مما ذكر ذكر الله سبحانه لان ثواب الغزو والشهادة فى سبيل الله حصول الجنة والذاكر جليس الحق تعالى كما قال انا جليس من ذكرنى والجليس لابد ان يكون مشهودا فالحق مشهود الذاكر وشهود الحق افضل من حصول الجنة لذلك كانت الرؤية بعد حصول الجنة وكمال تلك النعمة والذكر المطلوب من العبد ان يذكر الله باللسان ويكون حاضرا بقلبه وروحه وجميع قواه بحيث يكون بالكلية متوجها الى ربه فتنتفى الخواطر وتنقطع احاديث النفس عنه ثم اذا داوم عليه ينتقل الذكر من لسانه الى قلبه ولا يزال يذكر بذلك حتى يتجلى له الحق من وراء استار غيوبه فينور باطن العبد بحكم واشرقت الارض بنور ربها وبعده الى التجليات الصفاتية والاسمائية ثم الذاتية فيفنى العبد فى الحق فيذكر الحق نفسه بما يليق بجلاله وجماله فيكون الحق ذاكرا ومذكورا وذلك بارتفاع الثنوية وانكشاف الحقيقة الاحدية كذا فى شرح الفصوص لداود القيصرى فى الكلمة اليونسية

چون تجلى كرد اوصاف قديم * پس بسوزد وصف حادث راكليم

واعلم ان من اشتغل باسم من الاسماء وداوم فيه فلا ريب ان يحصل بينه وبين سر هذا الاسم المشتغل به وروحه بعناية الله تعالى وفضله مناسبة تا بقدر الاشتغال ومتى قويت تلك المناسبة وكملت بحسب قوة الاشتغال وكماله يحصل بينه وبين مدلوله من الاسماء الحقية بواسطة هذه المناسبة الحاصلة مناسبة بقدرها قوة وكمالا ومتى بلغت الى حد الكمال ايضا هذه المناسبة الثانية الحاصلة بينه وبين هذا الاسم بجود الحق سبحانه وعطائه يحصل بينه وبين مسماه الحق تعالى مناسبة بمقدار المناسبة الثانية من جهة القوة والكمال لان العبد بسبب هذه المناسبة يغلب قدسه على دنسه ويصير مناسبا لعالم القدس بقدر ارتفاع حكم الدنس فحينئذ يتجلى الحق سبحانه له من مرتبة ذلك الاسم بحسبها وبقدر استعداده ويفيض عليه ماشاء من العلوم والمعارف والاسرار الالهية والكونية حسبما يقتضيه الوقت ويسعه الموطن وتستدعيه القابلية فيطلع بعد ذلك على مالم يطلع عليه قبله فيحصل له العلم والمعرفة بعد الجهل والغفلة كذا فى حواشى تفسير الفاتحة لحضرة شيخنا الاجل امدنا الله بمدده الى حلول الاجل واتفق المشايخ والعلماء بالله على ان من لا ورد له لا وارد له وانقطاعه عن بعض ورده بسبب من الاسباب سوى السفر والمرض والهرم والموت علامة البعد من الله تعالى والخذلان فينبغى لمن كان له ورد ففاته ذلك ان يتداركه ويأتى به ولو بعد اسبوع ومن هنا تقضى الصوفية التهجد مع انه ليس من الفرائض والسر فى هذا ان المراد من الاوراد بل من سائر العبادات تغيير صفات الباطن وقمع رذائل القلب وآحاد الاعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وانما يترتب الاثر على المجموع واذا لم يكن يعقب العمل الواحد اثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب والتوالى انمحى الاثر الاول ايضا ولهذا السر قال صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله ادومها وان قل اى العمل قال ابن الملك وانما كان العمل الذى يداوم عليه احب لان النفس تألف به ويدوم بسببه الاقبال

على الله تعالى ولهذا ينكر اهل التصوف ترك الاوراد كما ينكرون ترك الفرآئض انتهى قال بعض العلماء بالله لا يستحقر الورد الا جهول يعنى بحق ربه وحظ نفسه ووجه وصوله اليهما ان الوارد يوجد فى الدار الاخرة على حسب الورد اذ جاء فى الحديث ان الله تعالى يقول ادخلوا الجنة برحمتى وتقاسموها باعمالكم والورد ينطوى بانطوآء هذه الدار فيفوت ثوابه بحسب فواته اذ هو مرتب عليه واولى ما يعتنى به عند العقلاء الاكياس ما لا يخلف وجوده اذ تذهب فائدته بذهابه فاذا تعللت نفسك بعدم طلب الثواب فقل لها الورد هو طالب ذكره منك اذ هو حق العبودية وان ركنت الى طلب العوض فقل والوارد انت تطلبينه منه لا من حظ نفسك واين ما هو طالبه منك من واجب حقه مما هو مطلبك منه من غرضك وحظك فطب نفسا بالعمل لمولاك وسلم له فيما به يتولاك فقد قالوا كن طالب الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة فان نفسك تهتز وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولأن تكون بحق ربك اولى لك من ان تكون بحظ نفسك (قال الحافظ) صحبت حور نخواهم كه بود عين قصور * باخيال تو اكر باد كرى پردازم * قال فى التأويلات النجمية واذكر ربك فى نفسك اى اذكره بالافعال والاخلاق والذات فى نفسك بان تبدل افعال نفسك بالاعمال التى امر الله بها وتبدل اخلاقها باخلاق الله وتفنى ذاتها فى ذات الله وهذا كما قال وان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وهو سر قوله فاذكرونى اذكركم الاترى ان الفراش لما ذكر الشمعة فى نفسه بافناء ذاته فى ذاتها كيف ذكرته الشمعة بابقائه ببقائها على ان تلك الحضرة منزهة عن المثل والمثال تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول التضرع من باب التكلف اى بداية هذا الذكر بتبديل افعال النفس باعمال الشريعة يكون بالتكلف ظاهرا ووسطه بالتخلق باخلاق الله وبآداب الطريقة يكون مخفيا باطنا ونهايته بافناء ذاتها فى ذاته بانوار الحقيقة يكون منهيا عن جهر القول بها وهذا حقيقة قوله عليه السلام افشاء سر الربوبية كفر بالغدو والآصال يشير الى غدو الازل وآصال الابد فان الذكر الحقيقى والمذكور الحقيقى هو الذاكر الحقيقى والذاكر والمذكور فى الحقيقة هو الله الازلى الابدى لانه تعالى قال فى الازل فاذكرونى اذكركم ففى الازل ذكرهم لما خاطبهم وكان هو الذاكر والمذكور على الحقيقة على انا نقول ما ذكره الا هو وهذا حقيقة قول يوسف بن حسين الرازى ما ذكر احد الله الا الله ولهذا قال تعالى ولا تكن من الغافلين الذين لا يعلمون ان الذاكر والمذكور هو الله فى الحقيقة انتهى ما فى التأويلات النجمية (ان الذين) قال الكاشفى آورده اند كه كفار مكه تعظيم ميكردند از سجده نمودن مر خدا را وتنفر نموده ميكفتند (انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) حق سبحانه وتعالى ميفرمايد اى محمد اكر كافران از سجود من سركشى ميكنند بدرستى آنانكه (عند ربك) اى الملائكة المقربين لديه قرب الشرف والمكانة لا قرب المسافة والمكان (لا يستكبرون) كردن نمى كشند (عن عبادته) بل يؤدونها حسبما امروا به (ويسبحونه) اى ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه (وله) تقديم الجار على الفعل للحصر (يسجدون) اى يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيأ وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قرآءتها واعلم ان السجدة نهاية الخضوع وانما شرعت فى موضع جبرا للنقصان كسجود السهو وفى موضع لمخالفة الكفار والموافقة للمسلمين (قال الكاشفى) سجدهٔ تلاوت چهارده موضع است درقرآن واختلاف در دو موضع است يكى در آخر سورهٔ حج بمذهب امام شافعى وامام احمد سجده هست وبمذهب امام اعظم نيست ودوم در سورهٔ ص بمذهب امام اعظم هست لان النبى عليه السلام قرأ سورة ص وسجد وبمذهب باقى ائمه نه لان المذكور فيها ركوع لا سجود واختلف فى موضع السجود فى فصلت فعند على رضى الله عنه هو قوله (ان كنتم اياه تعبدون) وبه اخذ الشافعى وعند عمر وابن مسعود رضى الله عنه هو قوله لا يسأمون فاخذنا به احتياطا فان تأخير السجدة لا يضر لا تقديمها ونزد امام اعظم سجدهٔ تلاوة بر خواننده وشنونده در نماز وغير نماز واجبست در حال واكر فوت شود قضا لازمست وبمذهب ائمهٔ ديكر سنت وقضا لازم نه ويكره تأخيرا لسجدة من غير ضرورة ويستحب ان يقوم القاعد فيكبر ويسبح تسبيح الصلاة ويكبر ويقوم ثم يقعد لكون الخرور فيه اكمل قوله تسبيح الصلاة اى يقول سبحان ربى الاعلى ثلاثا وهو الاصح وقيل يقول خضعت للرحمن فاغفر لى يا رحمن وقيل يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك وطاعتك وهو مختار صاحب الاسرار المحمدية وروى فيه عن نفسه سماع هاتف يأمره بالدعاء بذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى سجود التلاوة سجد وجهى للذى خلقه وصوره فاحسن

صورته

صورته وشق سمعه وبصره بحوله وقوته يقولها مرارا ثم يقول فتبارك الله احسن الخالقين اللهم اكتب لى بها عندك اجرا وضع عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلت من عبدك داود عليه السلام قال ابن فخر الدين الرومى ان قرأ سجدة سبحان ضم اليها ما ذكره سبحانه وتعالى عن الطائفة الساجدين واستحسن عنهم بقوله سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا وان قرأ آية التنزيل او الاعراف قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرأ الم السجدة قال اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة كتابك وان قرأ سجدة والنجم قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وكذا فى غيره قال المولى اخى چلبى وان لم يذكر فيها شيأ اجزأه لانها لا تكون اقوى من السجدة الصلاتية ويستحب للسامع ان يسجد مع التالى ولا يرفع رأسه قبله لانه بمنزلة امامه ويشترط نية السجود للتلاوة لا التعيين حتى لو كان عليه سجدات متعددة فعليه ان يسجد عددها وليس له ان يعين ان هذه السجدة لآية كذا وهذه لآية كذا ويستحب للتالى اخفاؤها اذا لم يكن السامع متهيئا للسجود تحرزا عن تأثيمه واذا كان متهيئا يستحب له ان يجهر حثا له على العبادة قال الامام الخبازى فى حواشى الهداية يستحب ان يصلى على النبى عليه السلام كلما ذكر ولا تستحب السجدة كلما تليت تلك الآية اذا كان المجلس واحدا والفرق ان الرسول عليه السلام محتاج والرب عز وجل غير محتاج قال الامام محمد بن العربى قدس سره فى روح القدس له اعلم ان لا شئ انكى على ابليس من بنى آدم فى جميع احواله فى صلاته من سجوده لانها خطيئته فكثرة السجود وتطويله يحزن الشيطان وليس الانسان بمعصوم من ابليس فى صلاته الا فى سجوده لانه حينئذ يذكر الشيطان معصيته فيحزن فاشتغل بنفسه عنك ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول يا ويلتى امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلى النار فالعبد فى سجوده معصوم من الشيطان غير معصوم من النفس فخواطر السجود كلها اما ربانية او ملكية او نفسية وليس للشيطان عليه من سبيل فاذا قام من سجوده غابت تلك الصفة عن ابليس فزال حزنه فاشتغل بك انتهى كلامه يقول الفقير فيه اشارة الى ان الشيطان انما ابى عن السجود لاستكباره فكل من استكبر عنه كالكفار كان الشيطان قرينه فى جميع احواله وكل من تواضع فسجد كالمؤمنين اعتزل عنه الشيطان فى تلك الحال لا فى جميع الاحوال الا ان يزكى نفسه عن رذيلة الكبر فحينئذ يتخلص فى جميع احواله ويكون من العباد المخلصين * زينت تو پس كمر بندكى * تاج تو در سجده سر افكندكى * شرم تو باداكه بيالا وپست * سجدهٔ طاعت بردش هرچه هست * تو كنى از سجدهٔ او سركشى * به كه ازين شيوه قدم دركشى * شيخ الاسلام فرموده سريكه درو سجود نيست سفچه ايست وكفى كه در وجود نه كفچه (ونعم ما قال) شرف نفس بجودست وكرامت بسجود * هر كه اين هر دو نداند عدمش به ز وجود * قال فى التأويلات النجمية ان الذين عند ربك يعنى الذين افنوا افعالهم واخلاقهم وذواتهم فى اوامر الله واخلاقه وذاته فابقوا عند انفسهم وانما بقوا ببقاء الله عنده لا يستكبرون عن عبادته لان الاستكبار من اخلاقهم وقد افنوها فى اخلاقه فما بقى لهم الاستكبار فكيف يستكبرون عن عبادته وقد افنوا افعالهم فى اوامر الله وهى عبادته فاعمالهم قائمة بالعبادة لا بالفعل وهم فى حال الفناء عن انفسهم والبقاء بالله يسبحونه اى ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وعن ان يكون هو العبد او العبد اياه بل هو هو كما كان فى الازل لم يكن شيأ مذكورا وله يسجدون فى الوجود والعدم من الازل والابد سجدوا له من الازل فى العدم منقادين مسخرين قابلين لاحكام القدرة فى الايجاد للوجود وسجدوا له الى الابد فى الوجود ببذل الموجود منقادين مسخرين قابلين لاحكام القدرة فى تصاريف الاعدام والايجاد والابقاء

تمت سورة الاعراف بالرحم والراف مع ما يتعلق بها من التفسير والتأويل على وجه عديل سوى من غير تطويل وذلك فى العشر الاول من صفر الخير المنتظم فى سلك شهور سنة احدى ومائة والف من هجرة من له العز والشرف ويتلوها سورة الانفال وقد حان الاغتنام بغنائمها بعون الله الملك العزيز القوى المتعال سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون وقيل مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسألونك عن الانفال) اى عن حكم الغنائم فالسؤال استفتائى ولهذا عدى بكلمة عن لا استعطائى كما يقال سألته درهما لان السؤال قد يكون لاقتضاء معنى فى نفس المسئول فيتعدى اذ ذاك بعن كما قال سلى ان جهلت الناس عنى وعنهمو وقد يكون لاقتضاء مال ونحوه فيتعدى اذ ذاك الى المفعولين كالمثال المذكور والنفل الزيادة وسميت الغنيمة به لانها عطية من الله زائدة على ماهو الاجر فى الجهاد من الثواب الاخروى وعلى ما اعطاه لسائر الامم لم يحل لهم الغنائم وكانت تنزل نار من السماء فتأكلها والنافلة من الصلاة مازاد على الفرض ويقال لولد الولد نافلة لانه زيادة على الولد ويطلق على مايشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه من الغنم روى ان المسلمين اختلفوا فى غنائم بدر وفى قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم والى اين تصرف ومن الذين يتولون قسمتها اهم المهاجرون ام الانصار ام هم جميعا فنزلت فضمير يسألون لاصحاب بدر لتعينهم حال نزول الآية فلا حاجة الى سبق الذكر صريحا والمعنى يستفتونك فى حكم الانفال (قل الانفال لله والرسول) اى امرها وحكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول كيفما امر به من غير ان يدخل فيه رأى احد قال الحدادى اضافة الغنائم الى الله على جهة التشريف لها واضافتها الى الرسول لانه كان بيان حكمها وتدبيرها اليه (فاتقوا الله) اى اذا كان امر الغنائم لله ورسوله فاتقوا الله تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى (واصلحوا ذات بينكم) ذات البين هى الاحوال التى تقع بين الناس كما ان ذات الصدور هى المضمرات الكائنة فيها وذات الاناء هى ماحل فيه من الطعام والشراب ولما كان ماحل فى الشئ ملابسا له قيل له انه صاحب محله وذوه مثل ان يقال اسقنى ذا انائك اى الماء الذى فيه اى واصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وذلك لان المقاتلة قالوا لنا الغنائم وارادوا ان لا يواسوا الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات قال عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله تعالى من ايدينا فجعله لرسوله فقسمه بين المسلمين على السواء (واطيعوا الله ورسوله) بتسليم امره ونهيه (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالاوامر الثلاثة والمراد بالايمان كماله فان اصل الايمان لا يتوقف على التحلى بمجموع تلك الامور كلها بل يتحقق بمجرد الطاعة بقبول ماحكم الله ورسوله به والاعتقاد بحقيته والمعنى ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلاث واعلم ان كثرة السؤال توجب الملال ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ووأد البنات والمنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ففى الحديث فوائد منها النهى عن عقوق الوالدين لانه من الكبائر وانما اقتصر على الام اكتفاء بذكر احدهما كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه اولان حقها اكثر وخدمتها اوفر وفيه نهى عن وأد البنات وهو فعل الجاهلية كان الواحد منهم اذا ولد له ابن تركه واذا ولد له بنت دفنها حية وانما حملهم على ذلك خوف الاملاق ودفع العار والانفة عن انفسهم واراد بالمنع الامتناع عن اداء ما يجب ويستحب وبهات الاقدام على اخذ مايكره ويحرم وفيه نهى عن المقاولة بلا ضرورة وقصد ثواب فانها تقسى القلوب وفيه نهى عن كثرة السؤال قال ابن مالك يجوز ان يراد به سؤال اموال الناس وان يراد به سؤال الانسان عما لا يعنيه وفيه نهى عن اضاعة المال وهى انفاقه فى المعاصى والاسراف به فى غيرها كالاسراف فى النفقة والبناء والملبوس والمفروش وتمويه الاوانى والسيوف بالذهب قال فى التأويلات النجمية فلما اكثروا السؤال قال عليه السلام ذرونى ما تركتكم فانه انما اهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم ومن كثرة سؤالهم قوله تعالى يسألونك عن الانفال وانما سألوا ليكون الانفال لهم فقال على خلاف ما تمنوا قل الانفال لله والرسول يعملان فيها ماشاءا لا كما شئتم انتم فأدبوا ولا تعترضوا على الله والرسول بطريق السؤال وتكونوا مستسلمين لاحكامهما فى دينكم ودنياكم ولا تحرصوا على الدنيا فلا تشوب اعمالكم الدينية بالاغراض الدنيوية فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم اى اتقوا بالله عن غير الله واصلحوا مابينكم من الاخلاق الرديئة والهمم الدنيئة وهى الحرص على الدنيا والحسد على الاخوان وغيرهما من الصفات الذميمة التى يحجب بها نور الايمان عن القلوب واطيعوا الله ورسوله بالتسليم لاحكامهما والائتمار باوامرهما والانتهاء عن نواهيهما ان كنتم مؤمنين تحقيقا لا تقليدا فان المؤمن الحقيقى هو الذى

كتب الله بقلم العناية فى قلبه الايمان وايده بروح منه فهو على نور من ربه (وفى المثنوى) بود كبرى در زمان بايزيد * كفت اورا يك مسلمان سعيد * كه چه باشد كر تو اسلام آورى * تا بيابى صد نجات وسرورى * كفت اين ايمان اكر هست اى مريد * آنكه دارد شيخ عالم بايزيد * من ندارم طاقت ان تاب آن * كان فزون آمد ز كوششهاى جان * كرچه در ايمان ودين ناموقنم * ليك در ايمان اوبس مؤمنم * مؤمن ايمان اويم در نهان * كرچه مهرم هست محكم در دهان * باز ايمان كر خود ايمان شماست * نى بدان ميلستم ونى مشتهاست * آنكه صد ميلش سوى ايمان بود * چون شمارا ديد زان فاتر شود * زانكه نامى بيند ومعنيش نى * چون بيابانرا مفازه كفتنى * اللهم اجعلنا متحققين بحقائق الايمان واوصلنا الى درجات العرفان والاحسان (انما المؤمنون) اى انما الكاملون فى الايمان المخلصون فيه (الذين اذا ذكر الله) عندهم (وجلت قلوبهم) من هيبة الجلال وتصور عظمة المولى الذى لا يزال وهذا الخوف لازم لاهل كمال الايمان سواء كان ملكا مقربا اونبيا مرسلا اومؤمنا تقيا نقيا وهذا بخلاف خوف العقاب فانه لا يحصل بمجرد ذكر الله بل بملاحظة المعصية وذكر عقاب الله انتقاما من العصاة واين من يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه ممن يفزع بمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك مايوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشأنه الجليل وتهيبا منه واعلم ان شأن نور الايمان ان يرق القلب ويصفيه عن كدورات صفات النفس وظلماتها ويلين قسوته فيلين الى ذكر الله ويجد شوقا الى الله وهذا حال اهل البدايات واما حال اهل النهايات الطمأنينة والسكون بالذكر ولما جاء قوم حديثوا عهد بالاسلام فسمعوا القرآن كانوا يبكون ويتأوهون فقال ابو بكر رضى الله عنه هكذا كنا فى بداية الاسلام ثم قست قلوبنا يشير بذلك الى نهايته فى الاطمئنان (واذا تليت) قرئت (عليهم آياته) اى آيات الله يعنى القرآن امرا ونهيا وغير ذلك (زادتهم) اى تلك الآيات والاسناد مجازى (ايمانا) اى يقينا وطمأنينة نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين قال الفاضل التفتازانى وتبعه المولى ابو السعود فى تفسيره ان نفس التصديق مما يقبل الزيادة والنقصان للفرق الظاهر بين يقين الانبياء وارباب المكاشفات وبين يقين الامة ولهذا قال امير المؤمنين على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ماقام عليه دليل واحد من التصديقات وما قامت عليه ادلة كثيرة (قال الكاشفى) در حقايق سلمى مذكورست كه ببركت تلاوت نور يقين در باطن ايشان ظاهر كردد وزيادتى طاعت برظاهر ايشان هويدا شود ودر بحر الحقايق فرموده كه ايمان حقيقى نوريست كه بقدر سعت روزنهٔ دل در وى مى تابد پس چون قرآن برارباب قلوب خوانند روزنهٔ دل ايشان ببركت قرآئت كشاده تر كردد ونور ايمان بيشتر در وى افتد پس در نور جمال مستغرق كردند (وعلى ربهم) مالكهم ومدبر امورهم خاصة (يتوكلون) يفوضون امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه قال فى التأويلات النجمية على ربهم يتوكلون لا على الدنيا واهلها فان من شاهد بنور الايمان جمال الحق وجلاله فقد استغرق فى بحر تجلى من شهود الحق بحيث لا يتفرغ لغيره ويرى الاشياء مضمحلة تحت سطوات جلاله فيكون توكلهم عليه لا على غيره * هركه او در بحر مستغرق شود * فارغ از كشتى وازز ورق شود * غرقهٔ دريا بجز دريا نديد * غير دريا هست بروى نابديد * ولما ذكر اولا من الاعمال الحسنة اعمال القلوب من الخشية والوجل عند ملاحظة عظمة الله تعالى وجلاله والاخلاص والتوكل عقب بافعال الجوارح التى هى العيار عليها كالصلاة والصدقة فقال (الذين يقيمون الصلاة) بوضوئها وركوعها وسجودها فى مواقيتها وهو مرفوع على انه نعت للموصول الاول (ومما رزقناهم) اعطيناهم من الاموال (ينفقون) فى طاعة الله وانما خص الله الصلاة والزكاة لعظم شانهما وتأكيد امرهما (اولئك) الجامعون لاعمال القلب والقالب (هم المؤمنون) ايمانا (حقا) لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه الاعمال الصالحة (لهم درجات) كائنة (عند ربهم) اى كرامة وزلفى وعلو مرتبة وقيل درجات عالية فى الجنة على قدر اعمالهم قال فى انوار المشارق الدرجة ان كانت بمعنى المرقاة فجمعها درج وان كانت بمعنى المرتبة والطبقة فجمعها درجات (ومغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) وروزى بزرك صافى باشد از كدا كتساب وخالى از خوف حساب لا ينتهى ولا ينقطع كارزاق الدنيا قال فى القاموس رزقا كريما كثيرا وقولا كريما سهلا لينا واكرمه وكرمه عظمه

ونزهه امام قشيرى قدس سره فرموده كه رزق كريم آنست كه مرزوق را از شهود رازق بازندارد
تو روزى ده بروزى وامان * ازبسبب بگذر مسبب بين عيان * از مسبب ميرسد هر خير وشر *
نيست ز اسباب ووسائط اى پدر * اصل بيند ديده چون اكمل بود * فرع بيند ديده چون احول بود *
قال فى المجالس المحمودية اعلم ان الصلاة اعظم الاعمال القالبية والصدقة خير العبادات المالية وروى ان فاطمة اعطت قميصها عليا ليشترى لها ما اشتهاه الحسن فباعه بستة دراهم فسأله سائل فاعطاه اياها فاستقبله رجل ومعه ناقة فاشتراها على المدة بستين دينارا ثم استقبله رجل فاشترى منه الناقة بستين دينارا وستة دراهم ثم طلب بائع الناقة ليدفع له ثمنها فلم يجده فعرض القصة على النبى عليه السلام فقال عليه السلام اما السائل فرضوان واما البائع فميكائيل واما المشترى فجبرآئيل وفى الحديث يأتى يوم القيامة اربعة على باب الجنة بغير حساب الحاج الذى حج البيت بغير افساد والشهيد الذى قتل فى المعركة والسخى الذى لم يلتمس بسخاوته رياء والعالم الذى عمل بعلمه فيتنازعون فى دخول الجنة اولا فيرسل الله جبرآئيل ليحكم بينهم بالعدل فيقول للشهيد ما فعلت فى الدنيا حتى تريد ان تدخل الجنة اولا فيقول قتلت فى المعركة لرضى الله تعالى فيقول ممن سمعت ان من قتل فى سبيل الله يدخل الجنة فيقول من العلماء فيقول احفظ الادب ولا تتقدم على معلمك ثم يسأل الحاج والسخى كذلك ثم يقول لهما احفظا الادب ولا تتقدما على معلمكما ثم يقول العالم الهى انت تعلم انى ما حصلت العلم الا بسخاوة السخى وانت لا تضيع اجر المحسنين فيقول الله صدق العالم يا رضوان افتح الباب وادخل السخى اولا وفى ذلك اشارة الى ان المراد بالعالم هو الذى يعمل بعلمه فان الانصاف من شأنه اذ الانصاف لا يحصل الا باصلاح النفس ولا يمكن ذلك الا بالعمل فلا يغتر اهل الهوى من علماء الظاهر بذلك فان كون العلم المجرد منجيا مذهب فاسد فان العالم الفاجر اشد عذابا من الجاهل بل العالم هو الذى يعمل بعلمه ويصل الى العرفان بتصفية القلب ولا شك ان كون المذكورين فى الآية مؤمنين حقا بسبب خدمتهم لله تعالى بانفسهم واموالهم وتجردهم عن العلائق البدنية والمالية وبقائهم مع الله تعالى وايثارهم له على جميع ماسواه حتى على انفسهم فمن آثر الحق على ماسواه فقد وصل الى اقصى مراداته فلا بد ان الله تعالى يدبر امره ويقضى حاجاته (كما اخرجك ربك) المراد باخراج الله تعالى اياه كونه سببا آمرا له بالخروج وداعيا اليه فان جبريل عليه السلام اتاه وامره بالخروج (من بيتك) فى المدينة (بالحق) حال من مفعول اخرجك اى اخرجك ملتبسا بالحق وهو اظهار دين الله وقهر اعداء الله والكاف فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال وهى قسمة غنائم بدر بين الغزاة على السواء من غير تفرقة بين الشبان القاتلين وبين الشيوخ الثابتين تحت الرايات كحال اخراجك يعنى ان حالهم فى كراهتهم لما رأيت فان فى طبع المقاتلة شيأ من الكراهة لهذه القسمة مع كونها حقا كحالهم فى كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) اى والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد قال سعدى چلبى المفتى الظاهر ان المراد هى الكراهة الطبيعية التى لا تدخل تحت القدرة والاختيار فلا يرد انها لا تليق بمنصب الصحابة رضى الله عنهم روى ان عير قريش اى قافلتهم اقبلت من الشأم وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وكان فى السنة الثانية من الهجرة فاخبر جبريل رسول الله باقبالها فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا سمعه ابو سفيان فاستأجر ضمضم ابن عمرو الغفارى فبعثه الى مكة وامره ان يأتى قريشا فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد اعترض لعيركم فادركوها فلما بلغ اهل مكة هذا الخبر نادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم واموالكم اى تداركوها ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت عاتكة اخت العباس بن عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا فقالت لاخيها انى رأيت عجبا كأن ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها اى رمى بها الى فوق فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس صديقا له يقال له عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وذكرها عتبة لابنته ففشا الحديث فقال ابو جهل للعباس يا ابا الفضل ما يرضى رجالكم ان يتنبأوا حتى تنبأت نساؤكم فخرج ابو جهل باهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب

الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فتتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اغضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى عليه السلام اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل يريد صلى الله عليه وسلم بذلك ان تلقى النفير وجهاد المشركين آثر عنده وانفع للمؤمنين من الظفر بالعير لما فى تلقى النفير من كسر شوكة المشركين واظهار الدين الحق على الاديان كلها فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عندما غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فاحسنا الكلام فى اتباع مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قام سيد الخزرج سعد بن عبادة فقال انظر فى امرك وامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنوا اسرآئيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فتبسم رسول الله ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار اى بينوا لى ما فى ضميركم فى حق نصرتى ومعاونتى فى هذه المعركة وذلك لان الانصار كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ان ينصروه ما دام فى المدينة واذا خرج منها لا يكون عليهم معاونة ونصرة فاراد عليه السلام ان يعاهدهم على النصرة فى تلك المعركة ايضا فقام سعد بن معاذ فقال فكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله تعالى يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى الآن انظر الى مصارع القوم فالمعنى اخرجك ربك من بيتك لان تترك التوجه الى العير وتؤثر عليه مقاتلة النفير فى حال كراهة فريق من اصحابك ما آثرته من محاربة النفير (يجادلونك فى الحق) الذى هو تلقى النفير لايثارهم عليه تلقى العير (بعد ما تبين) منصوب بيجادلونك وما مصدرية اى يخاصمونك بعد تبين الحق وظهوره لهم باعلامك انهم ينصرون اينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا ان الخروج لمقاتلة النفير لنستعد ونتأهب فمن قال ذلك انما قال كراهة لاخراجه عليه السلام من المدينة وكراهتهم القتال (كانما يساقون الى الموت) الكاف فى محل النصب على الحالية من الضمير فى لكارهون اى مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل (وهم ينظرون) حال من ضمير يساقون اى والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة وروى انهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ليس فيهم الا فارسان الزبير والمقداد ولهم سبعون بعيرا وست ادرع وثمانية اسياف وكان المشركون اكثر عددا وعددا بالاضعاف والاشارة ان الله تعالى اخرج المؤمنين الذين هم المؤمنون حقا عن اوطان البشرية الى مقام العندية بجذبات العناية كما اخرجك ربك من بيتك اى من وطن وجودك بالحق اى بمجيء الحق من تجلى صفات جماله وجلاله وان فريقا من المؤمنين لكارهون اى القلب والروح يعنى للفناء عند التجلى فان البقاء محبوب والفناء مكروه على كل ذى وجود يجادلونك اى الروح والقلب فى الحق اى مجيء الحق من بعد ما تبين مجيئه لكراهة الفناء كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون يعنى كانهم ينظرون الى الفناء ولا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الى الموت كذا فى التأويلات النجمية (وفى المثنوى)
شير دنيا جويد اشكارى وبرك * شير مولى جويد آزادى ومرك * چونكه اندر مرك بيند صد وجود *
همچو پروانه بسوزاند وجود * كل شئ هالك جز وجه او * چون نه در وجه اوهستى مجو *
هركه اندر وجه ما باشد فنا * كل شئ هالك نبود جزا * زانكه در الاست او از لا كذشت *
هركه در الاست او فانى نكشت * واعلم انه كما لا اعتراض على الانبياء فى وحيهم وعباراتهم كذلك لا اعتراض

على الاولياء فى الهامهم واشاراتهم وان السعادة فى العمل والاخذ با ياتهم والوجود وان كان محبوبا لاهل الوجود لكن الفناء محبوب لاهل الشهود فعلى السالك ان ينقطع عن جميع اللذات الدنيوية ويطهر نفسه عن لوث الاغراض الدنية ويكون الرسول وامره احب اليه من نفسه الى ان ينفذ عمره روى البخارى عن عبدالله بن هشام انه قال كنا مع النبى عليه السلام وهو آخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله انت احب الى من كل شئ الا نفسى فقال صلى الله عليه وسلم لا والذى نفس محمد بيده حتى اكون احب اليك من نفسك اى لايكون ايمانك كاملا حتى تؤثر رضاى على رضى نفسك وان كان فيه هلاكك فقال عمر الآن والله انت احب الى من نفسى فقال الآن ياعمر يعنى صار ايمانك كاملا قال ابن ملك والمراد من هذه المحبة محبة الاختيار لامحبة الطبع لان كل احد مجبول على حب نفسه اشد من غيرها انتهى قوله محبة الاختيار وهو ان يختار رضى النبى عليه السلام على رضى نفسه فالمراد هو الايثار كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فكما ان هذا الايثار لا يقتضى عدم احتياج المؤثر كذلك ايثار رضى الغير لا يستدعى ان تكون المحبة له اشد من كل وجه هذا ولكن فوق هذا كلام فان من فنى عن طبيعته ونفسه بل عن قالبه وقلبه فقد فنى عن محبتها ايضا وتخلص عن الاثنينية ووصل الى مقام المحبوبية الذى لاغاية وراءه رزقنا الله واياكم ذلك بفضله وكرمه (واذ يعدكم الله) اى اذكروا ايها المؤمنون وقت وعد الله تعالى اياكم (احدى الطائفتين) اى الفريقين احداهما ابوسفيان مع العير والاخرى ابوجهل مع النفير (انها لكم) بدل اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اى يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك على املاكهم وتتصرفون فيها كيف شئتم (وتودون) عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اى تحبون (ان غير ذات الشوكة تكون لكم) من الطائفتين لاذات الشوكة وهى النفير ورئيسهم ابوجهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هى العير اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا ورئيسهم ابوسفيان ولذلك يتمنونها والشوكة الحدة اى السلاح الذى له حدة كسنان الرمح والسيف ونصل السهم مستعار من واحدة الشوك والشوك نبت فى طرفه حدة كحدة الابرة (ويريد الله) عطف على تودون منتظم معه فى سلك التذكير اى اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين ووداتكم لادناهما وقوله تعالى (ان يحق الحق) اى يثبته ويعليه (بكلماته) بامره لكم بالقتال (ويقطع دابر الكافرين) اى اخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين (ليحق الحق ويبطل الباطل) اللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اى لهذه الغاية الجليلة وهى اظهار الدين الحق وابطال الكفر فعل ما فعل لا لشئ آخر وليس فيه تكرار اذ الاول مذكور لبيان تفاوت ما بين الارادتين ارادة الله وارادة المؤمنين والثانى لبيان الداعى الى حمل الرسول صلى الله عليه وسلم على اختيار التوجه الى ذات الشوكة ونصره عليها وقطع دابر المشركين ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل (ولو كره المجرمون) اى المشركون ذلك اى احقاق الحق وابطال الباطل (اذ تستغيثون ربكم) اى اذكروا وقت استغاثتكم وهى طلب الفوز والنصر والعون وذلك انهم لما علموا انه لابد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اى رب انصرنا على عدوك ياغياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابوبكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يانبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز ما وعدك فهذه الاستغاثة كانت من النبى عليه السلام ومن المؤمنين واسناد الفعل الى الجماعة لاينافى كونه من النبى عليه السلام لانه دعا وتضرع والمؤمنون كانوا يؤمنون (فاستجاب لكم) اى اجاب عطف على تستغيثون داخل معه فى حكم التذكير (انى) بانى (ممدكم بالف من الملائكة مردفين) اى جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم فالمراد رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم حتى صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف (وما جعله الله) عطف على مقدر اى فامدكم الله بانزال الملائكة عيانا وما جعل ذلك الامداد لشئ من الاشياء (الا بشرى لكم) اى الا للبشارة لكم بانكم تنصرون فهو استثناء مفرغ من اعم العلل (ولتطمئن به) اى

بالامداد (قلوبكم) فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وفى قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه ولو بعثهم الله بالمحاربة لكان يكفى ملك واحد فان جبريل اهلك بريشة واحدة من جناحه سبعا من مدائن قوم لوط واهلك بصيحة واحدة جميع بلاد ثمود قال الحدادى وهذا القول اقرب الى ظاهر الآية وقيل نزل جبرائيل فى خمسمائة من الملائكة على الميمنة وفيها ابوبكر رضى الله عنه ونزل ميكائيل فى خمسمائة فى الميسرة وفيها على بن ابى طالب رضى الله عنه فقاتلوا وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الاحزاب ويوم حنين وروى ان رجلا قال تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدى قبل ان يصل اليه سيفى (وما النصر) اى حقيقة النصر على الاطلاق (الا) كائن (من عند الله) من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب فان امداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط لاتأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها (ونعم ما قيل)

النصر ليس باجناد مجندة * لكنه بسعادات وتوفيق

(ان الله عزيز) لايغالب فى حكمه ولا ينازع فى قضيته (حكيم) يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة واعلم ان للملائكة امدادا فى كل جيش حق وان لم يكونوا مرئيين ومشاهدين بحسب ابصارنا وهم فى الحقيقة اشارة الى القوى الروحانية الغالبة فانها اذا ظهرت فى وجود المجاهد بالجهاد الاكبر لايقابلها شئ من القوى الانفسية الشريرة المغلوبة وكذا ما كان مظاهرها من كفار الظاهر وانما العمدة هى اليقين والاطمئنان روى ان بنى اسرائيل اعطوا السكينة وهى ريح ساكنة تخلع قلب العدو بصوتها رعبا اذا التقى الصفان وهى معجزة لانبيائهم وكرامة لملوكهم وللسكينة معنيان آخران احدهما شئ من لطائف صنع الحق يلقى على لسان محدث الحكمة كما يلقى الملك الوحى على قلوب الانبياء مع ترويح الاسرار وكشف السر وثانيهما ما انزل على قلب النبى عليه السلام وقلوب المؤمنين وهو شئ يجمع نورا وقوة وروحا يسكن اليه الخائف ويتسلى به الحزين وقد ورثه المجاهدون فى سبيل الله بعدهم الى قيام الساعة وانما لايظهر فى بعض الاحيان والوقائع لحكمة اخفاها الله عن الغافلين هر خلل كه اندر عمل بينى زنقصان دلست * رخنه كاندر قصر بينى از قصور قيصرست * وكل عصر على التنزل بالنسبة الى ما قبله ولهذا لايظهر النصر فى بعض السرايا بل يقال يا ايها الكفرة اقتلوا الفجرة قيل لعلى رضى الله عنه ما بال خلافة عثمان مع خلافتك كانت متكدرة بخلاف خلافة الشيخين قال كنت انا وعثمان من اعوانهما وانت وامثالك من اعواننا فعلى المجاهدين ان يستغيثوا بهم ويتضرعوا اليه كما تضرع الاصحاب رضى الله عنهم ومن يليهم لعل الله تعالى يظهر نصره دعاى ضعيفان اميدوار * زبازوى مردى به آيد بكار

الا ايها المرء الذى فى عسره اصبح * اذا اشتد بك الامر فلا تنس الم نشرح

واعلم ان اصدق المقال قول الله تعالى وقول رسوله وقد وعد وامد فعليك بقوة الايمان واليقين قال الشيخ محيى الدين ابن العربى قدس سره فى وصايا الفتوحات ولقد ابتلى عندنا رجل من اعيان الناس بالجذام نعوذ بالله منه وقال الاطباء باسرهم لما ابصروه وقد تمكنت العلة فيه ما لهذا المرض دواء فرآه شيخ من اهل الحديث يقال له سعد السعود وكان عنده ايمان بالحديث عظيم فقال له ياهذا لم لا تطيب نفسك فقال له الرجل ان الاطباء قالوا ليس لهذه العلة دواء فقال سعد السعود كذبت الاطباء والنبى عليه السلام احذق منهم وقد قال فى الحبة السوداء انها شفاء من كل داء وهذا الداء الذى نزل بك من جملة ذلك ثم قال على بالحبة السوداء والعسل فخلط هذا بهذا وطلى بهما بدنه كله ووجهه ورأسه الى رجليه والعقه من ذلك وتركه ساعة ثم انه غسل فانسلخ من جلده ونبت له جلد آخر ونبت ما كان قد سقط من شعره وبرئ وعاد الى ما كان عليه فى حال عافيته فتعجب الاطباء والناس من قوة ايمانه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رحمه الله يستعمل الحبة السوداء فى كل داء يصيبه حتى فى الرمد اذا رمدت عينه اكتحل بها فبرئ من ساعته انتهى كلام الشيخ فقد عرفت ان الاطمئنان وقوة الايمان يجلب للمرء ما يهواه بعناية الله الملك المنان لكنه قليل اهله خصوصا فى هذا الزمان والله المعين (اذ يغشيكم النعاس) قال جماعة من المفسرين لما امر الله النبى عليه السلام بالمسير الى الكفار سار بمن معه حتى اذا كان قريبا من بدر لقى رجلين فى الطريق فسألهما هل مرت بكما العير قالا نعم مرت بنا ليلا

وكان بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من المسلمين فاخذوا الرجلين وكان احدهما عبد العباس ابن عبد المطلب يقال له ابو رافع والآخر عبدا لعقبة بن ابى معيط يقال له اسلم كانا يسقيان الماء فدفع اسلم الى اصحابه يسألونه واخذ هو يسأل ابا رافع عمن خرج من اهل مكة فقال مابقى بها احد الا وقد خرج فقال عليه السلام تأت مكة اليوم بافلاذ كبدها ثم قال هل رجع منهم احد قال نعم ابى بن سريق فى ثلاثمائة من بنى زهرة وكان خرج لمكان العير فلما اقبلت العير رجع فسماه النبى عليه السلام الاخنس حين خنس بقومه ثم اقبل على اصحابه وهم يسألون اسلم وكان يقول لهم خرج فلان وفلان وابو بكر يضربه بالعصا ويقول له كذبت أتجبن الناس فقال عليه السلام (ان صدقكم ضربتموه وان كذبكم تركتموه) فعلموا ان رسول صلى الله عليه وسلم قد عرف امرهم فساروا حتى نزلوا فى كثيب اعفراى فى تل من الرمل الاحمر تسوخ فيه الاقدام اى تدخل وتغيب على غير ماء بالجانب الاقرب من المدينة من الوادى ونزل المشركون بجانبه الابعد من المدينة الاقرب الى مكة والوادى بينهما ثم باتوا ليلتهم تلك وناموا ثم استيقظوا وقد اجنب اكثرهم وغلب المشركون على ماء بدر وليس معهم ماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم اولياء الله وفيكم رسوله وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ماسبقكم المشركون الى الماء وغلبوكم عليه وما ينتظرون الا ان يضعفكم العطش فاذا قطع اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا فاشفقوا فانزل الله عليهم المطر ليلا حتى سال الوادى وامتلأ من الماء فاغتسل المسلمون وتوضؤا وشربوا وسقوا دوابهم وبنوا على عدوته اى جانبه حياضا واشتد الرمل وتلبدت بذلك ارضهم واوحل ارض عدوهم حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وتهيؤا للقتال من الغد فذلك قوله تعالى اذ يغشيكم النعاس اى اذكروا ايها المؤمنون وقت جعل الله النعاس وهو اول النوم قبل ان يثقل غاشيا لكم ومحيطا وملقى عليكم (امنة منه) منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اى يغشيكم النعاس فتنعسون امنا كائنا من الله تعالى لا كلالا واعياء فيتحد الفاعلان لان الامن فعل النعاس قال فى التأويلات النجمية يشير الى ان النعاس فى المعركة عند مواجهة العدو والامن منه بدل الخوف انما هو من تقليب الحال الى ضده بامر التكوين كما قال تعالى للنار يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فكانت كذلك قال للخوف كن امنا على محمد واصحابه فكان انتهى وعن ابن مسعود رضى الله عنه النعاس عند القتال امن من الله تعالى وهو فى الصلاة من الشيطان قال الحسن ان للشيطان ملعقة ومكحلة فلعقته الكذب ومكحلته النوم عند الذكر (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) اى بذلك الماء يعنى المطر من الحدث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) اى وسوسته وتخويفه اياكم من العطش ويقال اراد بالرجز الجنابة التى اصابتهم بالاحتلام فان الاحتلام مما يكون من رجز الشيطان اى تخييله ووسوسته ولذلك قال بعضهم من كتب اسم عمر على صدره لم يحتلم فان الشيطان كان يفر منه ويسلك فجا غير الفج الذى اقبل هو منه (وليربط على قلوبكم) الربط الشد والتقوية وعلى صلة والمعنى وليربط قلوبكم ويشدها ويقويها بجعلها واثقة بلطف الله تعالى وكرمه وجيء بكلمة على للايذان بان قلوبهم امتلأت من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها (ويثبت به) اى بذلك الماء (الاقدام) حتى لا تسوخ فى الرمل ويجوز ان يكون الضمير للربط فان الاقدام انما تثبت فى الحرب بقوة القلب وتمكن الصبر والجرآءة فيه * دلا در عاشقى ثابت قدم باش * كه در اين ره نباشد كار بى اجر * وبمثل الصدق والصبر وارتباط القلب وثبات الاقدام سادت الصحابة الكرام من عداهم الى يوم القيام ولا فضل لاحد على احد الا بالديانة والتقوى قال الزهرى قدمت على عبد الملك بن مروان قال من اين قدمت يا زهرى قلت من مكة قال فمن خلفت فيها يسود اهلها قال قلت عطاء بن رباح قال فمن العرب ام من الموالى قلت من الموالى قال بم سادهم قلت بالديانة والرواية قال ان اهل الديانة والرواية ينبغى ان يسودوا الناس قال فمن يسود اهل اليمن قلت طاوس بن كيسان قال فمن العرب ام من الموالى قلت من الموالى قال فبم سادهم قلت بما ساد به عطاء قال من كان كذلك ينبغى ان يسود الناس قال فمن يسود اهل مصر قلت يزيد بن ابى حبيب قال فمن العرب ام من الموالى قلت من الموالى فقال كما قال فى الاولين ثم قال فمن يسود اهل الشام قلت مكحول

الدمشقى فقال من العرب ام من الموالى قلت من الموالى عبد نوبى اعتقته امرأة من هذيل فقال كما قال ثم قال فمن يسود اهل الجزيرة قلت ميمون بن مهران قال فمن العرب ام من الموالى قلت من الموالى فقال كما قال ثم قال فمن يسود اهل خراسان قلت الضحاك بن مزاحم فقال من العرب ام من الموالى قلت من الموالى فقال كما قال ثم قال فمن يسود اهل البصرة قلت الحسن بن ابى الحسن قال من العرب ام من الموالى قلت من الموالى قال ويلك فمن يسود اهل الكوفة قلت ابراهيم النخعى قال من العرب ام من الموالى قلت من العرب قال ويلك يا زهرى فرجت عنى والله ليسودن الموالى على الاكابر حتى يخطب لها على المنابر وان العرب تحتها قال قلت يا امير المؤمنين انما هو امر الله ودينه فمن حفظه ساد ومن ضيعه سقط وفى الآية بيان نعمة الماء وان الخوف من العطش وكذا من الجوع من الشيطان ووسوسته فان المرء اذا كان قوى التوكل يستوى عنده الفقد والوجود والله تعالى من اسمه الخالق والرازق قالوا وللاسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة الى الماء ما ليس لغيره من السباع ولا يأكل من فريسة غيره واذا شبع من فريسة تركها ولم يعد اليها واذا امتلأ بالطعام ارتاض ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب فينبغى للمؤمن ان لا يكون ادون من الاسد فى هذه الصفات

على المرء ان يسعى لتحسين حاله * وليس عليه ان يساعده الدهر

والله تعالى قدس من الاعانة باعانته للمؤمنين فالمؤمن الكامل يساعد المؤمن حسب الطاقة وحكى ان فيروز ابن يزدجرد بن بهرام من آل ساسان لما ملك عدل وانصف ولما مضى سبع سنين من ملكه ولم ينزل من السماء مطر ارسل الى كل بلد بان يقسم طعام كل بلد بين الاغنياء والفقراء واذا مات فقير من الجوع قتل من الاغنياء رجلا بدلا منه (قال الحافظ) توانكرا دل درويش خود بدست آور * كه مخزن زر وكنج درم نخواهد ماند اللهم احفظنا من البخل والكسل الى حلول الاجل (اذ يوحى ربك الى الملائكة) الوحى القاء المعنى الى النفس من وجه خفى والمعنى اذكر يا محمد وقت ايحائه تعالى الى الملائكة (انى معكم) مفعول يوحى اى بالامداد والتوفيق فى امر التثبيت فليس القصد ازالة الخوف كما فى لا تحزن ان الله معنا اذ لا خوف للملائكة من الكفار حتى يقال لهم انى معكم فلا تخافوهم وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة انما هى من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الاصالة من تلك الحيثية كما فى امثال قوله تعالى ان الله مع الصابرين (فثبتوا الذين آمنوا) بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تقوى به قلوبهم والتثبيت عبارة عن الحمل على الثبات فى مواطن الحرب والجد فى مقاساة شدائد القتال (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) اى سأقذف فى قلوبهم المخافة من المؤمنين وهو تلقين للملائكة ما يثبتونهم به كانه قيل قولوا لهم قولى سألقى الخ (فاضربوا) ايها المؤمنون فلا دلالة فى الآية على قتال الملائكة (فوق الاعناق) اعاليها التى هى المذابح او الرؤس قال الحدادى وانما امر الله بضرب الاعناق لان اعلى جلدة العنق هو المقتل (واضربوا منهم كل بنان) البنان فى اللغة هو الاصابع وغيرها من الاعضاء التى بها يكون قوام الانسان وحياته والمقصود اضربوهم فى جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل الوجه ان يراد بها المدافعة والمقاتلة وكذا قال التفتازانى (ذلك) الضرب والقتل والعقاب واقع عليهم (بانهم) اى بسبب انهم (شاقوا الله ورسوله) اى خالفوا وغالبوا من لا سبيل الى مغالبته اصلا قال ابن الشيخ معنى شاقوا الله شاقوا اولياء الله واشتقاق المشاقة من الشق لما ان كلا من المشاقين فى شق خلاف شق الآخر كما ان المحادة ان يصير احدهما فى حد غير حد الآخر وفى الآية اشارة الى ان كل سعادة وشقاوة تحصل للعبد فى الدنيا والآخرة يكون للعبد فيه مدخل بالكسب (ومن يشاقق الله ورسوله) اى ومن يخالف اولياء الله ورسوله (فان الله شديد العقاب) له قال الحدادى اما اظهار التضعيف فى موضع الجزم فى قوله يشاقق الله فهو لغة اهل الحجاز وغيرهم يدغم احد الحرفين فى الآخر لاجتماعهما من جنس واحد كما قال تعالى فى سورة الحشر ومن يشاق الله بقاف واحدة (ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار) قوله ذلكم خبر مبتدأ محذوف وقوله وان الخ معطوف عليه وقوله فذوقوه اعتراض والضمير لما فى ضمن المشار اليه من العقاب والتقدير حكم الله ذلكم اى ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وانما قال فى عذاب الدنيا فذوقوه لان الذوق يتناول اليسير من الشئ فكل ما يلقى الكفار من ضرب او قتل او اسر او غيرها فى الدنيا فهو بالنسبة الى ما اعد لهم فى الآخرة

بمنزلة ذوق المطعوم بالنسبة الى اكله قال فى التأويلات النجمية فذوقوه اى ذوقوا العاجل منه صورة ومعنى
اما صورة فبالقتل والاسر والمصائب والمكروهات واما معنى فبالبعد والطرد عن الحضرة وتراكم الحجب
وموت القلب وعمى البصيرة وضعف الروح وقوة النفس واستيلاء صفاتها وغلبة هواها وما يبعده عن الحق
ويقربه الى الباطل وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال سوى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوفهم
وقدموا راياتهم فوضعوها مواضعها فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعيرله يدعو الله ويستغيث
فهبط جبريل عليه السلام فى خمسمائة على ميمنتهم وميكائيل عليه السلام على ميسرتهم فكان الملك يأتى
الرجل من المسلمين على صورة رجل ويقول له دنوت من عسكر المشركين فسمعتهم يقولون والله لئن حملوا علينا
لا نثبت لهم ابدا والقى الله فى قلوب الكفرة الرعب بعد قيامهم للصف فقال عتبة بن ربيعة يا محمد اخرج
الينا اكفاءنا من قريش نقاتلهم فقام اليهم بنوا عفراء من الانصار عوذ ومعوذ امهم عفراء وابوهم الحرث
فمشوا اليهم فقالوا لهم ارجعوا وارسلوا الينا اكفاءنا من بنى هاشم فخرج عليهم حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث
فقال على مشيت الى الوليد بن عتبة ومشى الى فضربته بالسيف اطرت يده ثم بركت عليه فقتلته فقام شيبة
ابن ربيعة الى عبيدة بن الحرث فاختلفا بضربتين ثم ضرب عبيدة ضربة اخرى فقطع ساق شيبة ثم قام حمزة
الى عتبة فقال انا اسد الله واسد رسوله ثم ضربه حمزة فقتله فقام ابو جهل فى اصحابه يحرضهم يقول لا يهولنكم
مالقى هؤلاء فانهم عجلوا فاستحقوا ثم حمل هو بنفسه ثم حمل المسلمون كلهم على المشركين فهزموهم باذن الله
تعالى وفى حق هؤلاء السادات ورد اطلع الله على اهل بدر يعنى نظر اليهم بنظر الرحمة والمغفرة فقال اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم المراد به اظهار العناية بهم واعلاء رتبتهم لا الترخيص لهم فى كل فعل كما يقال للمحبوب
اصنع ما شئت فعلى العاقل ان يقتفى باثرهم فى باب المجاهدة مطلقا (قال الحافظ) دروه نفس كزوسينه
ما بتنكدشد * تيرآهى بكشاييم وغزايى بكنيم وقال فى حق اهل الجزع ترسم كزين چمن نبرى آستين
كل * كزكلشنش تحمل خارى نميكنى * اللهم اجعلنا من الصابرين (ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم
الذين كفروا) لقيه اى رآه (زحفا) الزحف الدبيب يقال زحف الصبى زحفا من باب فتح اذا دب على استه
قليلا قليلا سمى به الجيش الدهم المتوجه الى العدو لانه لكثرته وتكاثفه يرى كانه يزحف وذلك لان الكل يرى
كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس اليه فى غاية البطئ وان كانت فى نفس الامر فى غاية السرعة
ونصبه على انه حال من مفعول لقيتم بمعنى زاحفين نحوكم والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل
(فلا تولوهم الادبار) فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم
فى العدد وتساووهم عدل عن لفظ الظهور الى لفظ الادبار تقبيحا لفعل الفار وتشنيعا لانهزامه والتولية جعل
الشئ يلى غيره وهو متعد الى مفعولين وولاه دبره اذا جعله اليه (ومن يولهم يومئذ دبره) اى ومن يجعل ظهره
اليهم وقت اللقاء والقتال فضلا عن الفرار فيومئذ هنا بمعنى حينئذ لان اليوم وان كان اسما لبياض النهار
اذا اطلق لكنه اذا قرن به فعل لا يمتد يراد به مطلق الوقت (الا متحرفا لقتال) اما بالتوجه الى قتال طائفة اخرى
اهم من هؤلاء واما بالفر للكر بان يخيل لعدوه انه منهزم ليغره ويخرجه من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده
او مع من فى المكمن من اصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها يقال انحرف وتحرف اذا مال من جانب
الى جانب آخر والحرف الطرف والجانب وانتصابه على الحالية والتقدير ومن يولهم ملتبسا بحال من الاحوال
اية حال كانت الا فى حال كذا (او متحيزا الى فئة) اى منحازا الى جماعة اخرى من المؤمنين قريبة او بعيدة لينضم
اليهم ثم يقاتل معهم العدو فالانهزام حرام الا فى هاتين الحالتين فان كل واحدة منهما ليست انهزاما فى الحقيقة
بل من قبيل التهيء والتقوى للحرب فمن ولى ظهره لغير احد هذين الغرضين (فقد باء) اى رجع (بغضب) عظيم
كائن (من الله) تعالى (ومأواه) فى الآخرة (جهنم) اى بدل ما اراد بفراره ان يأوى اليه من مأوى ينجيه من
القتل والمأوى المكان الذى يأوى اليه الانسان اى يأتيه (وبئس المصير) اى المرجع جهنم وهذا الوعيد وان
كان بحسب الظاهر متناولا لكل من يولى دبره وقت ملاقاة الكفار الا انه مخصوص بما اذا لم يزد العدو على
ضعف المسلمين لقوله تعالى فى آخر هذه السورة الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله قال ابن عباس رضى الله عنه من فر من ثلاثة

لم يفر

لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر اى ارتكب المحرم وهو كبيرة الفرار من الزحف (وفى المثنوى) اين چنين
هوشى كه ازموشى پريد * اندران صف تيغ چون خواهد كشيد * چالش است آن حمره خوردن
نيست اين * تا تو برمالى بخوردن آستين * كار هر نازك دلى نبود قتال * كه كريزد از خيالى چون
خيال * كار تركانست نى تركان برو * جاى تركان هست خانه خانه شو * وعد بعض العلماء الكبائر
الى سبعين منها الفرار من الجيش فى الغزو اذا كان مثلا او ضعفا وكل ما كان شنيعا بين المسلمين وفيه هتك
حرمة الله والدين فهى كبيرة تسقط العدالة فى الشهادة فعلى العاقل ان يقدم على الحرب بقلب جرئ ويعلم ان
الجبن لا يؤخر اجله وان الاقدام على القتال لا يعجل موته ويتشبه الغازى فى اوان المقاتلة باصناف من الخلق
فيكون كقلب الاسد لا يجبن ولا يفر كان الاسد مقدام غير جبان وكرار غير فرار وفى كبر النمر بالفارسية پلنك
لا يتواضع للعدو وفى شجاعة الدب يقاتل بجميع جوارحه وفى حملة الخنزير لا يولى دبره اذا حمل اى لا يعرض
وجهه عما توجه اليه وفى اغارة الذئب اذا يئس من وجه اغار من وجه آخر والاغارة بالفارسية يغما كردن
وفى حمل السلاح الثقيل كالنملة تحمل اضعاف وزن بدنها وفى الثبات كالحجر لا يزول عن مكانه وفى الصبر كالحمار
وفى الوفاء كالكلب لو دخل سيده النار يتبعه وفى التماس الفرصة والظفر كالديك ويكون فى الصف ساكنا
كالمصلى الخاشع ويكون فى متابعة امير العسكر كمتابعة المأموم امامه فى الصلاة اى لا يخالفه اصلا ويغطى
نفسه بالسلاح كتغطية البكر نفسها بالثياب اذا زفت اى ارسلت الى الزوج وفى تكثير قليل سلاحه وماله
كالمرآة اذا قل ماله وعبادته ويكون فى المكر والحيلة اذا هزمه العدو اى غلب عليه كالثعلب اذا اضطره الكلب
فان مدار الحرب على الخداع وفى التبختر والخيلاء بين الصفين كالعروس وفى الخفة فى تحريف القتال من جانب
الى آخر كالصبى وفى صياحه اذا صاح بالعدو كالرعد وهو اسم ملك على قول وفى سوء ظنه اى فى الحذر عما يهلكه
فى جميع احواله كالغراب الابقع وهو الذى فيه سواد وبياض وفى حراسته والاحتراز عن المكاره كالكركى
وهو طير معروف لازوردى اللون يشابه اللقلق فى الهيئة بالفارسية كلنك ومن الحيوان الذى لا يصلح
الا برئيس لان فى طبعه الحرس والتحارس بالنوبة والذى يحرس يهتف بصوت خفى كانه ينذر بانه حارس فاذا
قضى نوبته قام الذى كان نائما يحرس مكانه حتى يقضى كل ما يلزمه من الحراسة قال القزوينى والكركى لا يمشى
على الارض الا باحدى رجليه ويعلق الاخرى وان وضعها وضعها خفيفا مخافة ان تخسف به الارض كذا
فى حياة الحيوان والاشارة ايها القلوب المؤمنة اذا لقيتم كفار النفوس وصفاتها مجتمعين على قهر القلوب وصفاتها
فلا تنهزموا من سطوات النفوس وغلبات صفاتها بل اثبتوا بالصبر عند صدمات النفوس فان الصبر عند
الصدمة الاولى كما روى ان النبى عليه السلام اتى على امرأة تبكى على صبى ميت لها فقال اتقى الله واصبرى
فقالت وما تبالى على مصيبتى فلما ذهب عليه السلام قيل لها انه رسول الله فاخذها مصيبة مثل موت صبيها
فجاءت بابه تستعذره وتقول لم اعرفك يا رسول الله فقال عليه السلام الصبر عند الصدمة الاولى الصدم ضرب
الشئ الصلب بمثله والصدمة مرة منه يعنى الصبر المأجور عليه صاحبه ما كان عند فجأة المصيبة وحدتها
لانه اذا طالت الايام عليه صار الصبر يسيرا له ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة يعنى الا
قلبا ينحرف ليهيء اسباب القتال مع النفس او راجعا الى الاستمداد من الروح وصفاتها او الى ولاية الشيخ يستمد
منها الى الحضرة الربانية فى قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة والرياضة فقد باء بغضب من الله يعنى بطرد
وابعاد منه ومأواه جهنم وبئس المصير اى مرجعه جهنم البعد عن الحضرة ونار القطيعة وبئس المرجع والمعاد
(فلم تقتلوهم) اى ان افتخرتم بقتل الكفار يوم بدر فاعلموا انكم لم تقتلوهم بقوتكم وقدرتكم (ولكن الله قتلهم)
بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم روى انه لما طلعت قريش من العقنقل وهو الكثيب الذى
جاؤا منه الى الوادى قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسألك
ما وعدتنى فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلى رضى الله عنه اعطنى
من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه اى قبحت فما من المشركين احد الا اصاب
عينيه ومنخريه وفمه تراب فانهزموا واردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا من المعركة غالبين
غانمين اقبلوا على التفاخر يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت والظاهر ان قوله فلم تقتلوهم رجوع

الى بيان بقية قصة بدر والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم كما هو مختار المولى ابى السعود فى تفسيره (وما رميت) يا محمد حقيقة (اذ رميت) صورة والا لكان اثر الرمى من جنس آثار الافاعيل البشرية (ولكن الله رمى) اتى بما هو غاية الرمى فاوصل اجزاء تلك القبضة الى عيون جميع المشركين حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم فصورة الرمى صدرت منه عليه السلام الا ان اثرها انما صدر من الله تعالى اذ ليس فى وسع البشر ان يرمى كفا من الحصباء فى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين الا ويصيبها منه شئ واللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه كاطلاق المؤمن على المؤمن الكامل قال فى التأويلات النجمية ان الله نفى عن الصحابة القتل بالكلية واحاله الى نفسه لانه تعالى كان مسبب اسباب القتل من امداد الملائكة والقاء الرعب فى قلوب الكفار وتقوية قلوب المؤمنين وغير ذلك فالفعل يحال الى السبب كقولهم القلم يكتب مليحا والكاتب يكتب مليحا وهو المسبب للكتابة (قال فى المثنوى) هرچه خواهد آن مسبب آورد * قدرت مطلق سببها بردرد * از مسبب ميرسد هر خير وشر * نيست از اسباب ووسائط اى پدر * اين سببها بر نظرها پردهاست * كه نه هر ديدار صنعش را سزاست * ديده بايد سبب سوراخ كن * تا حجب را بركند از بيخ وبن * تا مسبب بيند اندر لامكان * هرزه داند جهد واكساب ودكان * والفرق فيما بين النبى عليه السلام وبين الصحابة رضى الله عنهم ان الله تعالى نفى القتل عن الصحابة بالكلية واحاله الى نفسه فجعلهم سببا للقتل وهو المسبب وما نفى الرمى عن النبى عليه السلام بالكلية بل اسند اليه الرمى ولكن نفى وجوده بالكلية فى الرمى واثبته لنفسه تعالى اى وما رميت بك اذ رميت ولكن رميت بالله وذلك فى مقام التجلى فاذا تجلى الله لعبد بصفة من صفاته يظهر على العبد منه فعلا يناسب تلك الصفة كما كان من حال عيسى عليه السلام لما تجلى الله له بصفة الاحياء كان يحيى الموتى باذنه اى به وهذا كقوله تعالى كنت له سمعا وبصرا الحديث فلما تجلى الله للنبى عليه السلام بصفة القدرة كان رمى به حين رمى وكان يده يد الله فى ذلك كما كشف القناع عن هذه الحقيقة فى قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم واعلم ان الله اسند القتل الى داود عليه السلام فى قوله وقتل داود جالوت وفرق كثير بين عبد اضيف فعله الى نفسه والعبد محل الآفات والحوادث وبين عبد اضيف فعله الى الله تعالى والله منزه عن الآفات والحوادث * ما رميت اذ رميت گفت حق * كار ما بر كارها دارد سبق * كر بپرانيم تيران نى زماست * ما كمان وتيراندازش خداست * تا نشد مغلوب كس اين سر نيافت * كر تو خواهى آن طرف بايد شتافت (وليبلى المؤمنين منه) اى ليعطيهم من عنده تعالى وينعم عليهم (بلاء حسنا) اى عطاء جميلا ونعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات غير مشوبة بمقاساة الشدائد والمكاره والبلاء يطلق على النعمة وعلى المحنة لان اصله الاختبار وهو كما يكون بالمحنة لاظهار الصبر يكون بالنعمة ايضا لاظهار الشكر والاختبار من الله تعالى اظهار ما علم كما علم لا تحصيل علم ما لم يعلم لانه تعالى منزه عنه واللام متعلقة بمحذوف مؤخر اى وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة والاجر العظيم فعل ما فعل لا لشئ غير ذلك مما لا يجديهم نفعا وما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة اى ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلى المؤمنين قال ابن الشيخ والظاهر ان بلاء اسم مصدر ليبلى اى ليبليهم ابلاء حسنا والمتبادر من عبارة القاضى انه حمله على نفس الشئ المبلو به على طريق اطلاق المصدر على المفعول حيث قال ولينعم عليهم نعمة عظيمة (قال الكاشفى) درحقائق سلمى از امام جعفر صادق رضى الله عنه نقل ميكند كه بلاء حسن آنست كه ايشانرا از نفوس ايشان فانى كرداند و بعد از فنا بهويت خود شان باقى سازد امام قشيرى كويد بلاء حسن آنست كه مبتلى مشاهده كند مبلى را در عين بلا * چو دانستى كه اين درد تو از كيست * ز رنج خويشتن مى باش خرم * كر او زهرت دهد بهتر ز شكر * ور او زخمت نهد بهتر كه مرهم (ان الله سميع) لاستغاثتهم ودعائهم (عليم) بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (وان الله موهن كيد الكافرين) معطوف على ذلكم اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم والايهان سست كردن والنعت موهون كذا فى تاج المصادر والوهن الضعف والكيد المكر والحيلة والحرب وفى الآية

اشارة الى ان التأثير من الله تعالى والعبد آلة فى البين فينبغى للمرء ان لا يعجب بنفسه وعمله ولذا قال الله تعالى فلم تقتلوهم واظهر منته عليهم والعجب استعظام العمل الصالح من غير ذكر التوفيق قال المسيح عليه السلام يا معشر الحواريين كم من سراج قد اطفأته الريح وكم من عابد قد افسده العجب واعلم ان الناس فى العجب ثلاثة اصناف صنف هم معجبون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله تعالى عليهم منة فى افعالهم وينكرون العون والتوفيق الخاص واللطف وتلك الشبهة استولت عليهم وصنف هم الذاكرون المنة بكل حال وهم المستقيمون لا يعجبون بشئ من الاعمال وذلك لبصيرة اكرموا بها وتأييد خصوا به والصنف الثالث المخلطون وهم عامة اهل السنة تارة يتنبهون فيذكرون منة الله تعالى وتارة يغفلون فيعجبون وذلك لمكان الغفلة العارضة والفترة فى الاجتهاد والنقص فى البصيرة فحق للعاقل ان يرى حقارة عمله وقلة مقداره من حيث هو وان يرى ان منة الله عليه اشرف من قدر عمله واعظم من جزائه وان يحذر على فعله من ان يقع على وجه لا يصلح لله تعالى ولا يقع منه موقع الرضى فيذهب عنه القيمة التى حصلت له ويعود الى ما كان فى الاصل من الثمن الحقير من دراهم او دوانق ومثاله ان العنقود من العنب او الاضبارة من الريحان يكون قيمته فى السوق دانقا فاذا اهداه واحد الى الملك دسيجة فوقع منه موقع الرضى يهب له على ذلك الف دينار فصار ما قيمته حبة بالف دينار فاذا لم يرضه الملك او رده عليه رجع الى قيمته الخسيسة من حبة او دانق فكذلك ما نحن فيه قال وهب كان فيمن قبلكم رجل عبد الله سبعين سنة يفطر من سبت الى سبت فطلب من الله حاجة فلم يقض فاقبل على نفسه وقال لو كان عندك خير قضيت حاجتك فانزل الله تعالى ملكا فقال يا ابن آدم ساعتك التى ازريت بنفسك خير من عبادتك التى مضت (ونعم ما قال الحافظ الشيرازى) در راه ما شكسته دلى ميخرند و بس * بازار خود فروشى از ان سوى ديكرست * اللهم اجعلنا من اهل التوفيق ومن السالكين بطريق التحقيق (ان تستفتحوا) الخطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج الى بدر تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر نا اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين وروى ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم انصر افضل الفريقين واحقهما بالنصر اللهم اينا اقطع للرحم وافسد للجماعة فاهلكه دعا على نفسه لغاية حماقته فاستجاب الله دعاءه حيث ضربه ابنا عفراء عوذ ومعاذ واجاز عليه ابن مسعود رضى الله عنه فالمعنى ان تستنصروا يا اهل مكة لاعلى الجندين (فقد جاءكم الفتح) حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم فى المجيء او فقد جاءكم الهزيمة والقهر والخزى فالتهكم فى نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله (وان تنتهوا) عن الكفر ومعاداة الرسول (فهو) اى الانتهاء (خير لكم) اى من الحراب الذى ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل الخيرية فى المفضل عليه هو التهكم (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصره (ولن تغنى) اى لن تدفع ابدا (عنكم فئتكم) اى جماعتكم التى تجمعونهم وتستغيثون بهم (شيأ) اى من الاغناء فنصب شيأ على المصدر او من المضار فنصبه على المفعولية (ولو كثرت) فئتكم فى العدد (وان الله مع المؤمنين) اى ولان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة فعل ذلك وفى الآية اشارة الى ان النجاة فى الايمان والاسلام والتسليم لامر الله الملك العلام وان غاية الباطل هو الزوال والاضمحلال وان ساعده الامهال (قال الحافظ) اسم اعظم بكند كار خود اى دل خوش باش * كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود * واعلم ان المحاربة مع الاولياء الكرام كالمحاربة مع الانبياء العظام وكل منهم منصور على اعدائه لان الله معهم وهو لا ينساهم ولا يتركهم بحال حكى ان دانيال عليه السلام طرح فى الجب والقيت عليه السباع فجعلت السباع تلحسه وتبصبص اليه فاتاه رسول فقال يا دانيال فقال من انت قال انا رسول ربك اليك ارسلنى اليك بطعام فقال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن امان

واصطد بها العنقاء فهى حبالة * واقتد بها الجوزاء فهى عنان

وحكى الماوردى فى كتاب ادب الدنيا والدين ان الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوما فى المصحف فخرج له قوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف وانشأ يقول

اتوعد كل جبار عنيد * فها انا ذا جبار عنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقنى الوليد

فلم يلبث اياما حتى قتل شر قتلة وصلب رأسه على قصره ثم على سور بلده جزم القاضى ابو بكر فى الاحكام فى سورة المائدة بتحريم اخذ الفأل فى المصحف ونقله القرافى عن الطرطوشى واقره واباحه ابن بطة من الحنابلة وقال بعضهم بكراهته كذا فى حياة الحيوان للامام الدميرى والاشارة فى الآية ان تستفتحوا ابواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ماسوى الله تعالى فى طلب التجلى فقد جاءكم الفتح بالتجلى فان الله تعالى متجلى فى ذاته ازلا وابدا فلا تغير له وانما التغير فى احوال الخلق فانهم عند انغلاق ابواب قلوبهم الى الله محرومون عن التجلى وعند انفتاح ابوابها محفوفون به وان تنتهوا اى عن غير الله فى طلب الله فهو خير لكم عما سواه وان تعودوا الى الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها وزخارفها والى ماسوى الله تعالى نعد الى خذلانكم الى انفسكم وهواها ودواعيها وغلبات صفاتها ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ اى تقوم لكم الدنيا والآخرة وما فيهما مقام شئ من مواهب الله والطافه ولو كثرت يعنى وان كثرت نعم الله من الدنيوية والاخروية فلا توازى شيأ مما انعم الله على اهل الله وخاصته وان الله باصناف الطافه مع المؤمنين بهذه المقامات وطالبيها ليبلغهم اليها بفضله ورحمته لا بحولهم وقوتهم كذا فى التأويلات النجمية (يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا) بحذف احدى التاءين اى لا تتولوا والتولى الاعراض وبالفارسية روى بكردانيدن (عنه) اى عن الرسول ولم يقل عنهما لان طاعة الله انما تكون بطاعة رسوله (وانتم تسمعون) اى والحال انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم وتصديق (ولا تكونوا) بمخالفة الامر والنهى (كالذين قالوا سمعنا) على جهة القبول (وهم لا يسمعون) للقبول وانما سمعوا به للرد والاعراض عنه كالكفار الذين قالوا سمعنا وعصينا وكالمنافقين الذين يدعون السماع والقبول بالسنتهم ويضمرون الكفر والتكذيب (قال فى المثنوى) نيت راچه خوانده چه ناخوانده * هست پاى او بكل درمانده

كرسرش جنبد بسير بادرو * تو بسر جنبانيش غره مشو * آن سرش كويد سمعنا اى صبا * پاى او كيد عصينا خلنا

(ان شر الدواب) اى شر مايدب على الارض فلفظ الدابة محمول على معناه اللغوى اوشر البهائم فهو محمول على معناه العرفى والبهيمة كل ذات اربع من حيوانات البر والبحر (عند الله) اى فى حكم قضائه (الصم) الذين لا يسمعون الحق (البكم) الذين لا ينطقون به (الذين لا يعقلون) الحق عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله وانما وصفهم بعدم العقل لان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدى بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية فى الشرية وسوء الحال (قال السعدى) بهائم خموشند وكويا بشر * پرا كنده كوى ازبهائم بتر * بنطق است وعقل آدمى زاده فاش * چو طوطى سخن كوى ونادان مباش

(ولو علم الله فيهم خيرا) شيأ من جنس الخير الذى من جملته صرف قواهم الى تحرى الحق واتباع الهدى (لاسمعهم) سماع تفهم وتدبر ولو قفوا على حقيقة الرسول واطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيأ من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم لذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة قال ابن الشيخ عبر عن عدم استقرار الخير فيهم بعدم علم الله تعالى بوجوده فيهم لان كل ماوقع واستقر يجب ان يعلم الله تعالى بحصوله ووجوده فعدم علم الله تعالى بوجود الشئ من لوازم عدمه فى نفسه فعبر باللازم عن الملزوم فقيل لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم مقام ان يقال لو كان فيهم خير لاسمعهم لكونه ابلغ فى الدلالة على انعدام الخير فيهم لان نفى لازم الشئ نفى لنفس ذلك الشئ ببينة فيكون ابلغ من نفى نفس ذلك الشئ (ولو اسمعهم) سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية (لتولوا) عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كان لم يسمعوه اصلا (وهم معرضون) اى لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم لعنادهم وفيه اشارة الى ان من قدر له الشقاوة فانه يتولى عن المتابعة فى اثناء السلوك ويعرض عن الله وطلبه ويقبل على الدنيا وزخارفها واعلم ان الانسان خلق فى احسن تقويم قابلا للتربية والترقى مستعدا لكمال لا يبلغه الملك المقرب فهو فى بدء الخلقة دون الملك وفوق الحيوان فبتربية الشريعة يصير فوق الملك فيكون خير البرية وبمخالفة الشريعة ومتابعة الهوى يصير دون الحيوان فيكون شر البرية فيؤول حال من يكون خيرا من الملك

الى ان يكون شر الدواب فعلى العاقل ان لا يخالف امر الرسول وشريعته فان الحيوان يستسلم لامره فكيف بالانسان حكى انه جاء رجل فى بعض اسفاره صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه كان لى حائط فيه عيشى وعيش عيالى ولى فيه ناضحان والناضح البعير الذى يستقى عليه فمنعانى انفسهما وحائطى وما فيه فلا نقدر ان ندنو منهما فنهض النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى اتى الحائط فقال لصاحبه افتح قال امرهما عظيم قال افتح فلما حرك الباب اتياه لهما جلبة فلما انفرج الباب نظرا الى النبى عليه السلام وبركا ثم سجدا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤسهما ثم دفعهما الى صاحبهما وقال استعملهما واحسن اليهما فقال القوم تسجد لك البهائم افلا تأذن لنا فى السجود لك فقال صلى الله عليه وسلم ان السجود ليس الا للحى القيوم ولو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها وكل ما امر به النبى عليه السلام اونهى عنه ففيه حكمة ومصلحة ولست بمأمور بالتفتيش عنها وانما يلزم عليك الاطاعة والانقياد فقط فلا ترض لنفسك ان تصدق ابن البيطار فيما ذكره فى العقاقير والاحجار فتبادر الى امتثال ما امر لك به ولا تصدق سيد البشر صلى الله عليه وسلم فيما يخبر عنه وتتوانى بحكم الكسل عن الاتيان بما امر به اوفعل وانت تحقق انه عليه السلام مكاشف من العالم بجميع الاسرار والحكم كما اخبر عن نفسه وقال فعلمت علم الاولين والآخرين ولما اخرجك الله من صلب آدم فى مقام الست رددت الى اسفل السافلين ثم منه دعيت لترتفع بسعيك وكسبك الى اعلى عليين حيث ما قدر لك على حسب قابليتك ولا يمكنك ذلك الا بامرين احدهما بمحبته صلى الله عليه وسلم وبان تؤثر حبه على نفسك واهلك ومالك والثانى بمتابعته صلى الله عليه وسلم فى جميع ما امر به ونهى عنه وبذلك تستحكم مناسبتك به وبكمال متابعتك يحصل لك الارتفاع الى اوج الكمال ومن علامات المحبة حب القرآن وحب تلاوته والا كان من المعرضين عن سلوك طريقته صلى الله عليه وسلم ومن تمام محبته ايثار الفقر والزهد فى الدنيا * كين جهان جيفه است ومردار ورخيص * برچنين مردارچون باشم حريص * اللهم اعصمنا من المهالك واجعلنا من السالكين الى خير المسالك (يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) اى اجيبوا الله ورسوله بان تطيعوهما (اذا دعاكم) اى الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تعالى ودعاؤه بامر الله فهو دعاء الله تعالى ولذا وحد الفعل (لما يحييكم) اللام بمعنى الى اى الذى يحييكم وهو انواع منها العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال

لا تعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

وقال جاهلى كان بعلم زنده نشد * ميتش دان ومسكنش مدفن * از جنازه نشان جمازه او * جامهاى تنش بجاى كفن * وفى الخبر ان الله تعالى ليحيي القلب الميت بالعلم كما يحيي الارض الميتة بوابل المطر والعلوم الدينية الشرعية هى التفسير والحديث والاصول والفقه والفرائض * علم دين فقه است وتفسير وحديث * هركه خواند غير ازين كردد خبيث * ومنها العقائد والاعمال فانها تورث الحياة الابدية فى النعيم الدائم ومنها الجهاد فانه سبب البقاء اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم كما فى قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة ومنها الشهادة فان الشهداء احياء عند ربهم سواء كانوا مقتولين بسيف الكفار اوبسيف الرياضات الشاقة والمجاهدات القوية * دانه مردن مرا شيرين شداست * بل هم احياء پى من امداست

اقتلونى يا ثقاتى لائما * ان فى قتلى حياتى دائما

فالموت هو الفناء عن الكل والحياة هو البقاء بنور الله تعالى (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) قال فى القاموس كل ما حجز بين شيئين فقد حال بينهما وهو تمثيل لغاية قربه من العبد وهو اقرب الى قلبه منه لان ما حال بينك وبين الشئ فهو اقرب الى الشئ منك وتنبيه على انه مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها قال على رضى الله عنه اللهم اغفر لى ما انت اعلم به منى اوحث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين القلب بالموت اوغيره من الآفات كانه قيل بادر الى تكميل النفوس وتصفية القلوب باجابة الرسول المبعوث من علام الغيوب قبل فوات الفرصة فانها قد تفوت بان يحدث الله اسبابا لا يتمكن العبد معها من تصريف القلب فيما يشاؤه من اصلاح امره فيموت غير مستجيب لله ورسوله

ويحتمل ان يكون المراد بالحيلولة تصوير تملكه تعالى على العبد قلبه وغلبته عليه فيفسخ عزآئمه ويغير نياته ومقاصده ولا يمكنه من امضائها على حسب ارادته فيحول بينه وبين الكفران اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وكان عليه السلام يقول كثيرا يامقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك ويبدل بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة المفوتة للفرصة در كشف الاسرار فرموده كه علما دلرا پايندو لمن كان له قلب اشارت بدانست وعرفا دلرا كم كنند يحول بين المرء وقلبه عبارت ازانست در بدايت ازدل ناچارست ودر نهايت حجاب ديدارست * زين پيش همى ديدمش اندر دل خويش * دل نيز حجاب بود برداشت زپيش * فالله تعالى يحول بتجلى صفاته بين المرء وقلبه يعنى اذا تجلى الله على قلب المرء يحول بسطوات انوار جماله وجلاله بين مرءآة قلبه وظلمة اوصافه (وانه) اى واعلموا ايضا ان الله تعالى (اليه) تعالى لا الى غيره (تحشرون) تبعثون وتجمعون فيجازيكم على حسب اعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا الى طاعة الله وطاعة رسوله وبالغوا فى الاستجابة لهما واعلم ان الاستجابة لله بالسرآئر وللرسول بالظواهر وايضا الاستجابة لله اجابة الارواح للشهود واستجابة القلوب للشواهد واجابة الاسرار للمشاهدة واجابة الخفى للفناء فى الله والاستجابة للرسول بالمتابعة فى الاقوال والاحوال والافعال وروى انه عليه السلام مر على ابى وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك عن اجابتى قال كنت اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف العلماء فى جواز قطع الصلاة لاجابة الداعى فقال بعضهم انه مختص باستجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز قطع الصلاة لاجابة غيره لان قطعها ابطال لها وابطال العمل حرام وقال بعضهم يجوز لكل مصل ان يقطع صلاته لامر لا يحتمل التأخير كما اذا خاف ان يسقط احد من سطح او تحرقه النار او يغرق فى الماء وجب عليه ان يقطع الصلاة وان كان فى الفريضة كذا فى غنية الفتاوى ويجيب فى صلاة النافلة دعاء امه دون ندآء ابيه اى يقطع الصلاة ويقول لبيك مثلا وذلك لان مشقة الام وتحملها التعب عن الولد اكثر ولذا ورد الجنة تحت اقدام الامهات معناه ان التواضع للامهات سبب دخول الجنة وقال بعض المشايخ الاب يقدم على الام فى الاحترام والام فى الخدمة حتى لو دخلا عليه يقوم للاب واجابة الدعوة من قبيل الخدمة غالبا قال الطحاوى مصلى النافلة اذا ناداه احد ابويه ان علم انه فى الصلاة وناداه لا بأس بان لا يجيبه وان لم يعلم يجيب واما مصلى الفريضة اذا دعاه احد ابويه فلا يجيب ما لم يفرغ من صلاته الا ان يستغيثه لشئ فان قطع الصلاة لا يجوز الا للضرورة وكذا الافطار فى صوم النفل فانه اذا الح عليه احد بالافطار يجوز قبل الزوال واما اذا كان بعده فلا يفطر الا اذا كان فى ترك الافطار عقوق الوالدين او احدهما كذا فى شرح التحفة والوقاية واما فى صوم القضاء فيكره الافطار مطلقا كذا فى الزاهدى ثم اعلم ان استجابة الرسول يدخل فيها بطريق الاشارة استجابة الاولياء العلماء الادباء الامناء لانهم الورثة وطريقتهم طريقة النبى عليه السلام ولابد لمن اراد الوصول الى الله تعالى من صحبة مرشد كامل عارف بالمقامات والمراتب وقبول ما دعا اليه سوآء كان محبوبا له اولا فان هذا ليس طريق العقل بل طريق الكشف والالهام * كردرسرت هواى وصال است حافظا * بايدكه خاك دركه اهل نظر شوى * واهل الطريقة ثلاثة عباد ومريدون وعارفون فطريق العباد كثرة الاعمال والتجنب من الزنى والضلال وطريق المريدين تخليص الباطن عن الشوآئب والتفور عن المشغلات وطريق العارفين تخليص القلب لله وبذل الدنيا والاخرة فى طلب رضاه اللهم اجعلنا من المستجيبين للدعوة الحقة واذقنا من حلاوة الاسرار المحققة آمين (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) قال الحدادى فى تفسيره نزلت فى عثمان وعلى رضى الله عنهما اخبر الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم بالفتنة التى تكون بسببهما انها ستكون بعدك تلقاها اصحابك تصيب الظالم والمظلوم ولا تكون للظلمة وحدهم خاصة ولكنها عامة فاخبر النبى عليه السلام بذلك اصحابه فكان بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم من الفتن بسبب على وعثمان رضى الله عنهما ما لا يخفى على احد انتهى والمعنى لا تختص اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل تعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد (واعلموا ان الله شديد العقاب) ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه وفيه

تحذير من شدة العقوبة لمن اهاج الفتن وفى الحديث الفتنة راتعة فى بلاد الله واضعة خطامها فالويل لمن اهاجها وفى بعض الاخبار الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها (قال السعدى) ازان همنشين تا توانى كريز كه مر فتنه خفته را كفت خيز قال القرطبى فان قيل قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وكل نفس بما كسبت رهينة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذا يوجب ان لا يؤاخذ احد بذنب غيره وانما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب فالجواب ان الناس اذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على من رأه ان يغيره فان سكت عليه فكلهم عاص هذا بفعله وهذا برضاه وقد جعل الله فى حكمه وحكمته الراضى بمنزلة العامل فانتظم فى العقوبة قاله ابن العربى انتهى قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوى قدس سره فى شرح الاربعين حديثا واحيانا تظهر سلطنة العمل الفاسد فيسرى حكمها فى حال ذى العمل الصالح فيتضرر بذلك وان لم يتعد الضرر الى اعماله والاشارة الى ذلك قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا الآية وليس هذا بمخالف للاصل المترجم عنه بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فان هذا الاثر لا يقع ولا يسرى بحكم ما به امتاز الصالح من الطالح بل بموجب ما به يثبت الاتحاد والاشتراك بينهما وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى لسان غلبته حكم ما به الامتياز وايضا ففعل الحق من حيث صدوره من جنابه وحدانى كلى شامل لا تخصيص فيه بل التخصيص من القوابل المتأثرة وهذا عام فى الشر والخير ففى الشر ما ذكر فى قوله تعالى واتقوا فتنة الآية وفى الخير ما اشار اليه عليه السلام فى الحديث المذكور فيه فى حق الذين يجتمعون لذكر الله وكون الحق يباهى بهم الملائكة ويقول اشهدكم انى قد غفرت لهم وقول بعض الملائكة ان فيهم فلانا ليس منهم وانما اتاهم لحاجة فيقول الحق سبحانه وتعالى وله قد غفرت هم القوم لا يشقى جليسهم فهذا اثر عموم الحكم من جهة الحق وكليته واثر صلاح الحال الفاسد بمجاورة ذى الحال والعمل الصالح والحضور معه فتذكر انتهى كلام القنوى (وفى المثنوى) اى خنك آن مرد كز خود رسته شد * در وجود زنده پيوسته شد * واى آن زنده كه با مرده نشست * مرده كشت وزندكى ازوى بجست * حق ذات پاك الله الصمد * كه بود به مار بد از يار بد * مار بد جانى ستاند از سليم * يار بد آرد سوى نار مقيم * والاشارة فى الآية واتقوا يا ايها الواصلون فتنة يعنى ابتلاء النفوس بشئ من حظوظها الدنيوية والاخروية لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يعنى لا تصيبن تلك الفتنة النفوس الظالمة فقط بل تصيب ظلمتها الارواح النورانية والقلوب الربانية فتجذبها من حظائر القدس ورياض الانس الى حضائض صفات الانس كما قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واعلموا ان الله شديد العقاب فيعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الى ما سواه كذا فى التأويلات النجمية (واذكروا) ايها المهاجرون (اذ انتم قليل) اى وقت كونكم قليلا فى العدد (مستضعفون) خبر ثان اى مقهورون تحت ايدى قريش (فى الارض) اى ارض مكة (تخافون) خبر ثالث (ان يتخطفكم الناس) التخطف الاخذ والاستلاب بسرعة وهم كانوا يخافون ان يخرجوا من مكة حذرا من ان يستلبهم كفار قريش ويذهبوا بهم (فآواكم) اى جعل لكم مأوى ترجعون اليه وهو المدينة دار الهجرة (وايدكم بنصره) على الكفار (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم التى لم تكن حلالا للامم السالفة (لعلكم تشكرون) هذه النعم قال الجنيد قدس سره كنت عند السرى وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى يا غلام ما الشكر فقلت ان لا تعصى الله بنعمه فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا ازال ابكى على هذه الكلمة واعلم ان الدولة العثمانية التى هى آخر الدول الاسلامية كانت على الضعف فى الاوآئل واهلها قليلون مستضعفون تحت ايدى فارس والروم حتى قواهم الله بالعدد والعدد ونصرهم على اعدآئهم فكانوا يستفتحون من مشارق الارض ومغاربها ويأوون الى الاماكن فى الاقطار الى ان آل الامر الى ما آل فكل ذلك نعم جسيمة وستعود هذه الحال الى ما كانت عليه فى الابتدآء فان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وما ذلك الا بالغرور والكفران وادعاء الاستحقاق من غير برهان (قال السعدى) ترا آنكه چشم ودهان داد وكوش * اكر عاقلى در خلافش مكوش * مكن كردن از شكر منعم مپيچ * كه روزى پسين سر برآرى بهيچ * ثم اعلم ان الروح والقلب فى بدء الخلقة وتعلقهما بالقالب وكذا صفاتهما مستضعفون من غلبات النفس لاعواز التربية بالبان آداب الطريقة وانعدام جريان احكام الشريعة عليهم

الى اوان البلوغ والتربية فى هذه المدة للنفس وصفاتها لاستحكام القالب لحمل اعباء تكاليف الشريعة وهما
اعنى الروح والقلب يخافون ان تستلبهم النفس وصفاتها ويغتالهم الشيطان واعوانه فآواكم الى حظائر
القدس وايدكم بنصره بالواردات الربانية ورزقكم من الطيبات اى من المواهب الطاهرة من لوث الحدوث
لعلكم تشكرون فتستحقون المزيد شكر نعمت نعمتت افزون كند * كفر نعمت از كفت بيرون كند *
والعمدة قلة الاكل وكثرة الشكر والطاعة ويقال اربع فى الطعام فريضة ان لا يأكل الامن الحلال وان يعلم
انه من الله تعالى وان يكون راضيا وان لا يعصى الله مادامت قوة ذلك الطعام فيه واربع سنة ان يسمى الله
فى الابتداء وان يحمد الله فى الانتهاء وان يغسل يديه قبل الطعام وبعده وان يثنى رجله اليسرى وينصب اليمنى
على الجلوس واربع آداب ان يأكل مما يليه وان يصغر اللقمة وان يضغها مضغا ناعما وان لا ينظر الى لقمة غيره
واثنان دواء ان يأكل ماسقط من المائدة وان يلعق القصعة واثنان مكروهان ان يشم الطعام وان ينفخ فيه
ولا يأكل حارا حتى يبرد فان اللذة فى الحار والبركة فى البارد فعلى العاقل الساعى فى طلب مرضاة الله تعالى
تحصيل القوت الحلال وكثرة شكر المنعم المفضال ولله على العبد نعم ظاهرة وباطنة والطاف جلية وخفية
(يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد
الامانة لتضمنه اياه فانك اذا خنت الرجل فقد ادخلت عليه النقصان روى انه عليه السلام حاصر بنى قريظة
احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا
من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر
وكان مناصحا لهم لان عياله وماله كانت فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ماترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى
حلقه بالذبح اى ان حكم سعد فيكم ان تقتلوا صبرا فلا تنزلوا على حكمه يقال فلان مقتول صبرا اذا صار
محبوسا على القتل حتى يقتل قال ابو لبابة فمازالت قدماى من مكانهما حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله
وذلك لانه عليه السلام ارادمنهم ان ينزلوا على حكم سعد ويرضوا بما حكم فيهم وهو صرفهم عنه فنزلت هذه
الآية فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب
الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله
لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه عليه السلام فحله فقال ان من تمام توبتى
ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزئك الثلث ان تتصدق به
(وتخونوا اماناتكم) فيما بينكم اى لا تخونوها فهو مجزوم معطوف على الاول (وانتم تعلمون) انكم تخونون
يعنى ان الخيانة توجد منكم عن عمد لا عن سهو ولما نهى عن الخيانة نبه على ان الداعى اليها انما هو حب المال
والاولاد الا يرى ان ابا لبابة انما حمله على مافعل ماله واهله وولده الذين كانوا فى بنى قريظة لانه انما ناصحهم
لاجلهم وخان المسلمين بسببهم فقال (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) الفتنة قد تطلق على الآفة
والبلاء وقد تطلق على الابتلاء والامتحان فالمعنى على الاول انما اموالكم واولادكم اسباب مؤدية الى الوقوع
فى الآفة التى هى ارتكاب المعصية فى الدنيا والوقوع فى عقاب الآخرة وعلى الثانى انها اسباب لوقوع العبد
فى محن الله تعالى واختباراته حيث يظهر من اتبع الهوى ممن آثر رضى المولى (وان الله عنده اجر عظيم)
لمن آثر رضى الله وراعى حدوده فيهم فانيطوا اى علقوا هممكم بما يؤديكم اليه ولا يحملنكم حبهما
على الخيانة احمد انطاكى فرموده كه حق سبحانه وتعالى مال وفرزند ازا فتنه كفت تا از فتنه بيكسو رويم
وما پيوسته فتنه را زيادت ميخواهيم جوان وپير كه در بند مال وفرزند ند * نه عاقلند كه طفلان
ناخردمندند * قال بعض السلف كل ماشغلك عن الله سبحانه من مال وولد فهو مشؤم عليك واما ما كان
من الدنيا يقرب من الله ويعين على عبادته فهو المحمود بكل لسان المحبوب لكل انسان (قال فى المثنوى)
چيست دنيا از خدا غافل بدن * نى قماش ونقره وميزان وزن * مال را كز بهر دين باشى حمول *
نعم مال صالح خواندش رسول * آب در كشتى هلاك كشتى است * آب اندر زير كشتى پشتى است *
چونكه مال وملك را از دل براند * زان سليمان خويش جز مسكين نخواند * وفى الحديث ان العبد
اذا قال لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله من عصى ربه فعلى العاقل ان لا يشتغل بسب الدنيا ولعنها بل يلوم

نفسه

نفسه ولعنها فى حب الدنيا قال ابو يزيد قدس سره جمعت فكرى واحضرت ضميرى ومثلت نفسى واقفا بين
يدى ربى فقال لى يا ابا يزيد باى شئ جئتنى قلت يارب بالزهد فى الدنيا قال يا ابا يزيد انما كان مقدار الدنيا عندى
جناح بعوضة ففيم زهدت منها فقلت الهى وسيدى استغفرك من هذه الحالة جئت بالتوكل عليك قال
يا ابا يزيد الم اكن ثقة فيما ضمنت لك حتى توكلت على قلت الهى وسيدى استغفرك من هاتين الحالتين جئتك
بالافتقار اليك فقال عند ذلك قبلناك فهذه حال العارفين بالله تعالى وفوا عهودهم فى طلبه فجعلهم
الله امناء لاسراره واعلم ان الخيانة على انواع فالفرائض والسنن اعمال ائتمن الله تعالى عليها عباده ليحافظوا
على ادائها فى اوقاتها برعاية حدودها وحقوقها فمن ضيعها فقد خان الله تعالى فيها والوجود وما يتبعه من
الاعضاء والقوى امانات والاهل والاولاد والاموال امانات والاماء والعبيد وسائر الخدام امانات والسلطنة
والوزارة والامارة والقضاء والفتوى وما يلحقها امانات وفى الحديث من قلد انسانا عملا وفى رعيته من هو
اولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين (قال السعدى) كسى را كه با خواجه تست جنگ *
بدستش چرا ميدهى چوب وسنگ * سگ آخر كه باشد كه خوانش نهند * بفرماى تا استخوانش دهند *
وفى الحديث انا ثالث الشريكين مالم يخن احدهما صاحبه فاذا خان خرجت من بينهما وجاء الشيطان
ففى كل ذلك يلزم العبد ان يكون امينا غير خائن والا فقد تعرض لسخط الله تعالى ونعوذ بالله منه قال ابن عباس
رضى الله عنه كلب امين خير من صاحب خؤون وكان للحرث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم وكان شديد المحبة
لهم فخرج فى بعض متنزهاته ومعه ندماؤه فتخلف منهم واحد فدخل على زوجته فاكلا وشربا ثم اضطجعا
فوثب الكلب عليهما فلما رجع الحرث الى منزله وجدهما قتيلين فعرف الامر (فانشد يقول)

ومازال يرعى ذمتى ويحوطنى * ويحفظ عرسى والخليل يخون
فيا عجبا للخل تحليل حرمتى * ويا عجبا للكلب كيف يصون

والاشارة فى الآية يا ايها الذين آمنوا اى يا ايها الارواح والقلوب المنورة بنور الايمان المستعدة بسعادات العرفان
لا تخونوا الله فيما آتاكم من المواهب فتحملوها شبكة الدنيا واصطيادا هلها والرسول بترك السنة والقيام بالبدعة
وتخونوا اماناتكم فالامانة هى محبة الله وخيانتها تبديلها بمحبة المخلوقات يشير الى ان ارباب القلوب واصحاب
السلوك اذا بلغوا الى اعلى مراتب الطاعات والقربات ثم التفتوا الى شئ من الدنيا وزينتها وخانوا الله بنوع
من التصنع وخانوا الرسول بالتبدع وترك التتبع بتعدى الخيانة وآفاتها الى الامانة التى هى المحبة فتسلب منهم
بالتدريج فيكون لهم ركونهم الى الدنيا وسكونهم الى جمع الاموال حرصا على الاولاد وانتم تعلمون انكم تبيعون
الدين بالدنيا والمولى بالاولى واعلموا انما اموالكم واولادكم التى تعرضون عن الله لها فتنة يختبركم الله بها لكى
يميز الموافق من المنافق والصديق من الزنديق فمن اعرض عن الدنيا ومافيها صدق فى طلب المولى وان الله عنده
اجر عظيم فمن ترك ماعنده فى طلب ماعند الله يجده عنده وان الله عنده اجر عظيم والعظيم هو الله فى الحقيقة
فيجد الله تعالى كذا فى التأويلات النجمية (يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله) اى فى كل ماتأتون وتذرون
(يجعل لكم) بسبب ذلك (فرقانا) هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق
والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين كما قال تعالى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان واراد به يوم عز المؤمنين
وخذلان الكافرين (ويكفر عنكم سيئاتكم) اى يسترها والفرق بين السيئة والخطيئة ان السيئة قد تقال فيما
يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ (ويغفر لكم) ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها
(والله ذو الفضل العظيم) اى عظيم الفضل على عباده وهو تعليل لما قبله وتنبيه على ان وعد الله لهم على
التقوى تفضل واحسان لا انه مما يوجب التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل وفى الآية امور الاول
التقوى وهو فى مرتبة الشريعة ما اشير اليه بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وفى مرتبة الحقيقة ما اشير
اليه بقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته متقى آنست كه حق سبحانه وتعالى را وقايه خود كرفته باشد در ذات
وصفات وافعال وفعل او در افعال حق فانى شده باشد وصفات او در صفات حق مستهلك كشته * كم شده چون
سايه در نور آفتاب * يا چو بوى كل در اجزاء كلاب * قال ابن المبارك سألت الثورى من الناس فقال
العلماء قلت من الاشراف قال المتقون قلت من الملوك قال الزهاد قلت من الغوغاء قال القصاص الذين

يستأكلون اموال الناس بالكلام قلت من السفلة قال الظلمة الثاني ان التقوى اسندت الى المخاطبين وجعل الفرقان الى الله تعالى فالله تعالى اذا اراد بالعبد خيرا اصطفاه لنفسه وجعل فى قلبه سراجا من نور قدسه يفرق به بين الحق والباطل والوجود والعدم والحدوث والقدم ويتبصر به عيوب نفسه كما حكى عن احمد بن عبد الله المقدسى قال صحبت ابراهيم بن ادهم فسألته عن بداية امره وما كان سبب انتقاله من الملك الفانى الى الملك الباقى فقال لى يا اخى كنت جالسا يوما فى اعلى قصر ملكى والخواص قيام على رأسى فاشرفت من الطاق فرأيت رجلا من الفقراء جالسا بفناء القصر وبيده رغيف يابس فبله بالماء واكله بالملح الجريش وانا انظر اليه الى ان فرغ من اكله ثم شرب شيأ من الماء وحمد الله تعالى واثنى عليه ونام فى فناء القصر فالهمنى الله سبحانه وتعالى الفكر فيه فقلت لبعض مماليكى اذا قام ذلك الفقير فائتنى به فلما استيقظ من نومه قال له الغلام يا فقير ان صاحب هذا القصر يريد ان يكلمك قال بسم الله وبالله وتوكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقام معه ودخل على فلما نظر الى سلم على فرددت عليه السلام وامرته بالجلوس فجلس فلما اطمأن قلت له يا فقير اكلت الرغيف وانت جائع فشبعت قال نعم قلت وشربت الماء على شهوة فرويت قال نعم قلت ثم نمت طيبا بلا هم ولا غم فاسترحت قال نعم فقلت فى نفسى وانا اعاتبها يا نفس ما اصنع بالدنيا والنفس تقنع بما رأيت وسمعت فعقدت التوبة مع الله تعالى فلما انصرم النهار واقبل الليل لبست مسحا من صوف وقلنسوة من صوف وخرجت حافيا سائحا الى الله تعالى وهذه احدى الروايتين فى بداية امره والثالث ان المغفرة فضل عظيم من الله تعالى فلا بد للمرء من حسن الظن بالله تعالى فانها ليست بمقطوعة قيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انى اعلمك خمس كلمات هن عماد الدين مالم تعلم ان قد زال ملكى فلا تترك طاعتى همه تخت وملكى پذيرد زوال * بجز ملك فرمانده لا يزال * ومالم تعلم ان خزآئنى قد نفدت فلا تهتم برزقك دردائرهٔ قسمت مانقطهٔ تسليم * لطف آنچه تو انديشى وحكم آنچه تو فرمايى * ومالم تعلم ان عدوك قدمات يعنى ابليس فلا تأمن مفاجأته ولا تدع محاربته بجا نبر برآريم ازين عاروننك * كه با او بصلحيم وباحق بجنك * ومالم تعلم انى قد غفرت لك فلا تعب المذنبين مكن بنامه سياهى ملامت من مست * كه آكه است كه تقدير برسرش چه نوشت * ومالم تدخل جنتى فلا تأمن مكرى * زاهدا ايمن مشو ازبازئ غيرت زنهار * كه رهٔ از صومعه تادير مغان اين همه نيست * فعلى العاقل ان يجتهد الى آخر العمر كى يكفر الله عنه سيئات وجوده الفانى ويستره بانوار جماله وجلاله والله ذو الفضل العظيم لمن تجاوز عما عنده راغبا فيما عند الله والفضل العظيم هو البقاء بالله بعد الفناء فيه كما فى التأويلات النجمية (واذ يمكر بك الذين كفروا) تذكير لمكر قريش حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم قال ابن اسحق لما رأوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة واصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج اصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا انهم قد نزلوا دارا واصابوا سعة فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا انه قد اجمع لحربهم فاجتمعوا له فى دار الندوة وهى الدار التى بناها قصى ابن كلاب بمكة وكانت قريش لا تقضى امرا الا فيها وسميت دار الندوة لانهم ينتدون فيها اى يجتمعون للمشاورة والندى والندوة والنادى مجلس القوم ومتحدثهم فان تفرق القوم عنه لا يسمى نديا كما لا يسمى الظرف كأسا اذا لم يكن فيه شراب فتشاوروا فى امر النبى عليه السلام منهم عتبة وشيبة ابنا ابى ربيعة وابو جهل وابو سفيان والنضر بن الحرث وابو البخترى بن هشام وابى بن خلف وزمعة بن الاسود وغيرهم من الرؤساء والاكابر فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ كبير عليه ثياب اطمار فجلس بينهم فقالوا مالك يا شيخ دخلت فى خلوتنا بغير اذننا فقال انا رجل من اهل نجد قدمت مكة فاراكم حسنة وجوهكم طيبة روائحكم فاحببت ان اسمع حديثكم فاقتبس منكم خيرا فدخلت وان كرهتم مجلسى خرجت وما جئتكم الا انى سمعت باجتماعكم فاردت ان احضر معكم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقالوا هذا رجل لا بأس عليكم منه فتكلموا فيما بينهم فبدأ عمرو بن هشام فقال اما انا فارى ان تأخذوا محمدا فتجعلوه فى بيت تسدون عليه بابه وتشدون عليه وثاقه وتجعلون له كوة تدخلون عليه طعامه وشرابه فيكون محبوسا عندكم الى ان يموت فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقالوا صدق والله الشيخ ثم تكلم ابو البخترى فقال ارى ان تحملوه على بعير فتشدوا وثاقه عليه ثم تخرجوه من ارضكم حتى يموت او يذهب حيث شاء فقال ابليس بئس الرأى تعمدون الى رجل افسد

جماعتكم

جماعتكم ومعه منكم طائفة فتخرجوه الى غيركم فيأتيهم فيفسد منهم ايضا جماعة بما يرون من حلاوة كلامه وطلاقة لسانه وتجتمع اليه العرب وتستمع الى حسن حديثه ثم ليأتينكم بهم فيخرجكم من دياركم ويقتل اشرافكم فقالوا صدق والله الشيخ فتكلم ابو جهل فقال ارى ان يجتمع من كل بطن منكم رجل ويأخذون السيوف فيضربونه جميعا ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يدرى قومه من يأخذونه ولا يقومون على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال ابليس صدق والله هذا الشاب وهو اجودكم رأيا القول قوله لا ارى غيره فتفرقوا على رأيه فنزل جبرآئيل عليه السلام فاخبر النبى بذلك وامره ان لا يبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه وامره بالهجرة الى المدينة فبيت عليا رضى الله عنه على مضجعه وخرج هو مع ابى بكر الصديق رضى الله عنه الى الغار والمكر حيلة وتدبير فى اهلاك احد وافساد امره بطريق الخفية بحيث لا يعلم المرء ذلك الا عند وقوعه والمعنى اذكر يا محمد وقت مكرهم بك (ليثبتوك) بالوثاق والحبس فان اثبات الشئ وتثبيته عبارة عن الزامه بموضع ومن شد فقد اثبت لانه لا يقدر على الحركة والمراد ما قال عمرو بن هشام (او يقتلوك) اى بسيوفهم المختلفة وهو ما قال ابو جهل (او يخرجوك) اى من مكة من بين اظهرهم الى غيرهم وهو ما قال ابو البخترى (ويمكرون ويمكر الله) اى يرد مكرهم عليهم والمكر وامثاله لا يسند اليه تعالى الا على طريق المقابلة والمشاكلة ولا يحسن ابتدآء لتضمنه معنى الحيلة والخدعة وهى لا تليق بعظمة الله تعالى (والله خير الماكرين) لا يعبأ بمكرهم عند مكره قال الحدادى لانه لا يمكر الا بحق وصواب ومكرهم باطل وظلم واعلم ان للخلق مكرا وللحق مكرا فمكر الخلق من الحيلة والعجز ومكر الخالق من الحكمة والقدرة فمكر الخلق مع مكر الحق باطل زاهق ومكر الحق حق ثابت (قال الحافظ) سحر با معجزه پهلو نزند ايمن باش * سامرى كيست كه دست از يد بيضا ببرد (وقال آخر) صعوه كو با عقاب سازد جنك * دهد از خون خود پرش رارنك * قال ابو العيناء كانت لى خصماء ظلمة فشكوتهم الى احمد بن ابى دؤاد وقلت قد تظاهروا وصاروا يدا واحدة فقال يد الله فوق ايديهم فقلت لهم مكر فقال ولا يحيق المكر السيء الا باهله فقلت هم كثير فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله هركرا اقبال باشد رهنمون * دشمنش كردد بزودى سرنكون * وجد فى وقائع الاسكندر مكتوبا بالذهب اذا كان الله هو غاية الغايات فالمعرفة به اجل العبادات واذا كان الموت حقا فالركون الى الدنيا غرور واذا كان القدر حقا فالحرص على الدنيا باطل واذا كان الغدر فى النفوس طبعا فالثقة بكل احد عجز واذا كان الله عدلا فى احكامه فعقوبات الخلق بما كسبت ايديهم ولما قصد ابو جهل اضرار النبى عليه السلام بالقتل قتله الله فى بدر وازال شره عن المسلمين وذلك عدل محض منه تعالى فانظر الى قريش حيث شاهدوا الآيات العظام من جهة النبى عليه السلام فما زادوا الا كفرا وعنادا وعداوة فهم اشد الناس فى ذلك ولو رآها اليوم واحد من الكفرة كراسة لولى امسك عن الاذى بل سارع الى التبجيل كما حكى ان بعض سلاطين الكفار استولى على بعض المسلمين بسفك دمائهم ونهب اموالهم واراد ان يقتل فقرآء بعض المشايخ فاجتمع به الشيخ ونهاه عن ذلك فقال لهم السلطان ان كنتم على الحق فاظهروا لى آية فاشار الشيخ الى بعر الجمال هناك فاذا هى جواهر تضىء واشار الى كيز ان الارض فارغة من الماء فتعلقت فى الهوآء وامتلأت ماء وافواهها منكسة الى الارض ولا يقطر منها قطرة فدهش السلطان من ذلك فقال له بعض جلسائه لا يكبر هذا فى عينك فانه سحر فقال له السلطان ارنى غير هذا فامر الشيخ بالنار وامر الفقرآء بالسماع فلما عمل فيهم الوجد دخل بهم الشيخ الى النار وكانت نارا عظيمة ثم خطف الشيخ ولد السلطان ودار به فى النار ثم غاب به ولم يدر اين ذهبا والسلطان حاضر فبقى متفحصا عن ولده فلما كان بعد ساعة ظهرا وفى احدى يدى ابن السلطان تفاحة وفى الاخرى رمانة فقال له السلطان اين كنت فقال كنت فى بستان فاخذت منه هاتين الحبتين وخرجت فتحير السلطان من ذلك فقال له جلساء السوء وهذا ايضا عمل بصنعة باطلة فقال السلطان عند ذلك كل ما تظهره لا اصدق به حتى تشرب من هذه الكأس واخرج له كأسا مملوءة سما تقتل القطرة منه فى الحال فامر الشيخ بالسماع حتى وصل اليه الحال فاخذ الكأس حينئذ وشرب جميع ما فيها فتمزقت ثيابه التى عليه فالقوا عليه ثيابا اخرى فتمزقت كذلك ثم اخرى مرارا عديدة ثم ترشح عرقا وبقيت الثياب بعد ذلك ولم تتقطع فاعتقده السلطان وعظمه وبجله ورجع عن ذلك القتل والافساد ولعله اسلم والله اعلم (واذا تتلى)

روى ان النضر بن الحارث من بنى عبد الدار كان يختلف تاجرا الى فارس والروم والحيرة فيسمع اخبار رستم
واسفنديار واحاديث العجم واشترى احاديث كليلة ودمنة وكان يمر باليهود والنصارى فيراهم يقرؤن التوراة
والانجيل ويركعون ويسجدون فجاء مكة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ويقرأ القرءآن فطفق يقعد
مع المستهزئين وهو منهم ويقرأ عليهم اساطير الاولين اى ماسطروه فى كتبهم من اخبار الامم الماضية واسمائهم
وكان يزعم انها مثل مايذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من قصص الاولين فقال تعالى واذا تتلى (عليهم)
اى على النضر ومتابعيه (آياتنا) القرءآنية (قالوا قد سمعنا) هذا الكلام (لو نشاء لقلنا مثل هذا) وهذا كما ترى
غاية المكابرة ونهاية العناد وكيف لا ولو استطاعوا شيأ من ذلك فما الذى كان يمنعهم من المشيئة وقد تحداهم
عشر سنين فما استطاعوا معارضته مع فرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا فى باب ما يتعلق بالفصاحة والبيان
فلما تحقق افحامهم دعتهم شدة المكابرة والعناد الى ان علقوا معارضته بمشيئتهم (ان) ما (هذا الا اساطير
الاولين) اى ماسطره الاولون من القصص جمع اسطورة وهى المسطورة المكتوبة وفى التأويلات النجمية قالوا
قد سمعنا وما سمعوا على الحقيقة فانها قرءآن يهدى الى الرشد كما سمعت الجن وانهم سمعوا اساطير الاولين ولهذا
قالوا ما قالوا فانهم يقدرون على ان يقولوا اساطير الاولين ولكن لا يقدرون على ان يقولوا مثل القرءآن
لان القرءآن كلام الله وصفته القديمة وما يقولون هو كلام المحدث المخلوق فلا يكون مثل القرءآن فى الصورة
والمعنى والحقيقة والاسرار والانوار ولا يقدر على مثله الخلائق كلهم كما قال قل لئن اجتمعت الانس والجن على
ان يأتوا بمثل هذا القرءآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (وفى المثنوى) چون كتاب الله
برآمد هم بران * اين چنين طعنه زدند آن كافران * كه اساطيرست وافسانه نژند * نيست
تعميقى وتحقيقى بلند * كودكان خرد فهمش ميكنند * نيست جز امر پسند وناپسند * ذكر
يوسف ذكر زلف پرخمش * ذكر يعقوب وزليخا وغمش * ظاهرست وهر كسى پى ميبرد *
كو بيانى كه كم شود دروى خرد * كفت اكر آسان نمايد اين بتو * اينچنين يك سوره كواى سخت رو *
جنيان وانسيان واهل كار * تو يكى آيت ازين آسان بيار (واذ قالوا) اى واذ كر وقت قول النضر ومتابعيه
روى انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال النبى صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال (اللهم)
بار خدايا (ان كان هذا) القرءآن (هو) ضمير فصل لا محل له من الاعراب (الحق) المنزل (من عندك) ومعنى الحق
بالفارسية راست ودرست (فامطر علينا حجارة) نازلة (من السماء) عقوبة علينا كما امطرتها على قوم لوط
واصحاب الفيل (او ائتنا بعذاب اليم) سواه مما عذب به الامم والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على
كونه باطلا وحاشاه قيل نزل فى النضر بن الحارث بضع عشرة آية فحاق به ماسأل من العذاب يوم بدر فانه عليه
السلام قتل يوم بدر ثلاثا من قريش صبرا وهم طعيمة بن عدى وعقبة بن ابى معيط والنضر بن الحارث وكان قد
اسره المقداد بن الاسود فانظر انه من غاية ضلالته وجهالته قال ما قال ولم يقل بدلا عنه اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك فاهدنا اليه ومتعنا به واجعله شفاء قلوبنا ونور به صدورنا وامثال هذا فكيف بمن يكون هذا حاله
ان يكون مثل القرءآن مقاله (وما كان الله) مريدا (ليعذبهم وانت فيهم) لان العذاب اذا نزل عم ولم يعذب امة
الا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها وفيه تعظيم للنبى عليه السلام وحفظ لحرمته وقد ارسله الله تعالى رحمة
للعالمين والرحمة والعذاب ضدان والضدان لا يجتمعان قيل ان الرسول عليه السلام هو الامان الاعظم ما عاش
ودامت سنته باقية والآية دليل على شرفه عليه السلام واحترامه عند الله حيث جعله سببا لامان العباد
وعدم نزول العذاب وفى ذلك ايماء الى ان الله تعالى يرفع عذاب قوم لاقترانهم باهل الصلاح والتقى قال حضرة
الشيخ الشهير بافتاده قدس سره جميع الانتظام بوجوده الشريف فانه مظهر الذات وطلسم العوالم حتى قيل
فى وجه عدم ارتحال جسده الشريف من الدنيا مع ان عيسى عليه السلام قد عرج الى السماء بجسده انه انما
بقى جسمه الطاهر هنا لاصلاح عالم الاجساد وانتظامه (قال الشيخ العطار قدس سره) خويشتن را خواجهٔ
عرصات كفت * انما انا رحمة مهداة كفت * رزقنا الله شفاعته (وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون) المراد استغفار من بقى فيهم من المؤمنين المستضعفين الذين لا يستطيعون المهاجرة عنهم وقيل
معناه وفى اصلابهم من يستغفره وقيل معناه وفيهم من يؤول امره الى الاستغفار من الكفر قال امير المؤمنين

على

على المرتضى رضى الله عنه كان فى الارض امانان فرفع احدهما وبقى الآخر فاما الذى رفع فهو رسول الله واما
الذى بقى فالاستغفار وقرأ بعده هذه الآية وفى نفائس المجالس المؤمن الصادق فى ايمانه لا يعذبه الله فى الآخرة
لان نبيه يكون فيهم يوم القيامة واقسم الله سبحانه ان لا يعذب امته مادام هو بينهم والصدق فى التوبة يؤدى
الى النجاة وهو الندم مع الاقلاع لا باللسان فقط واستغفار العوام من الذنوب واستغفار الخواص من رؤية
الاعمال دون رؤية المنة والفضل واستغفار الاكابر من رؤية شئ سوى الله * كفت حق امرزش از من مى
طلب * كان طلب مرغفور را شد سبب * از پى زهر كناه ار بشنوى * هست استغفار ترياق
قوى (وما لهم ان لا يعذبهم الله) اى اى شئ حصل لهم فى انتفاء العذاب عنهم يعنى لا حظ لهم فى ذلك
وهم معذبون لا محالة بعد زوال المانع والموجب لامهالهم وهما الامران المذكوران وكيف لا يعذبون (وهم)
اى والحال انهم (يصدون) يمنعون الرسول والمؤمنين (عن المسجد الحرام) اى عن طواف الكعبة
شرفها الله كما وقع عام الحديبية ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة وكانوا يقولون
نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فرد الله عليهم بقوله (وما كانوا اولياءه) اى مستحقين
ولاية امر المسجد الحرام مع شركهم (ان اولياؤه الا المتقون) من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره (ولكن
اكثرهم لا يعلمون) ان لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم
كما يراد بالقلة العدم وفى التأويلات ان اولياؤه الا المتقون فيه اشارة الى ان الولى هو المتقى بالله عما سواه ولكن
اكثرهم لا يعلمون اى ولكن الاكثرين من الاولياء لا يعلمون انهم اهل الولاية وبه يشير الى ان بعض الاولياء يجوز
ان يعلم انه ولى ولكن الاكثرين من الاولياء لا يعلمون انهم اولياء الله (وما كان صلاتهم) اى دعاء المشركين
(عند البيت) اى بيت الله وهو الكعبة (الا مكاء) صفيرا من مكا يمكو مكوا ومكاء اذا صفر وقال الحدادى المكاء
طائر ابيض يكون فى الحجاز يصفر فسمى تصويته باسمه (وتصدية) تصفيقا وهو تصويت اليدين بضرب احداهما
على الاخرى واصلها احداث الصدى وهو ما يسمع من رجع الصوت فى الامكنة الخالية الصلبة يقال صدى
يصدى تصدية وكان تقرب المشركين الى الله بالصفير والتصفيق يفعلونهما عند البيت مكان الدعاء والتسبيح
ويعدونهما نوعا من العبادة والدعاء لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كانت قريش يطوفون بالبيت
عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون فمساق الآية لتقرير استحقاقهم العذاب
وعدم ولايتهم المسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته وقال مقاتل كان النبى عليه السلام اذا صلى فى المسجد قام
رجلان من بنى عبد الدار عن يمينه ورجلان عن يساره فيصفرون كما يصفر المكاء ويصفقون بايديهم ليخلطوا
على النبى عليه السلام صلاته وقرآءته وكانوا يفعلون كذلك بصلاة من آمن به ويريدون انهم يصلون ايضا فالمراد
بالصلاة على هذا التقدير هى المأمور بها (فذوقوا العذاب) اى عذاب القتل والاسر يوم بدر وقيل اراد بهذا
انه يقال لهم يوم القيامة فذوقوا العذاب (بما كنتم تكفرون) اعتقادا وعملا فالكفر والمعصية سبب للوقوع
فى العذاب والتوبة والاستغفار وسيلة الى فيض الرحمة من الوهاب وهى صابون الاوزار فحيث لا توبة
ولا طهارة كان كل مسلم لا يصلح لان يلى امر مسجد القلب وانما يليق بولايته من كان فارغا من الشواغل
معرضا عن العلائق طاهرا من العيوب والله تعالى لا يعذب اولياءه بعد ادخالهم جنات التجليات العالية
والاذواق والحالات المتوالية فانهم تخلصوا عن الوجود المضاف الى النار المشابه للحطب وما بقى فيهم غير النور
الالهى المضيء فى بيت القلب الحقانى وانما يعذب بعدله من لم يستعد للرحمة او من خلط عملا صالحا بآخر سيئا
ليخلصه من ذلك اللوث فالاقتداء بالنبى عليه السلام وقبول ما جاء به من الاحكام والشرائع مؤد الى الخلاص
وسبب للتصفية فعليك بالاختيار والاجتناب فانهما فرضان وحقيقة التقوى عبارة عن كليهما وبالاحتماء
يصح المريض ومعالجة القلوب المرضى اولى من كل امر واهم من كل شئ للعبد العاقل وذلك بالتقوى واحياء
سنة خير الورى وفى الحديث من احيى سنتى فقد احيانى ومن احيانى فقد احبنى ومن احبنى كان معى فى الجنة
يوم القيامة وفى الحديث ايضا من حفظ سنتى اكرمه الله باربع خصال المحبة فى قلوب البررة والهيبة فى قلوب
الفجرة والسعة فى الرزق والثقة بالدين فلان فاتت صحبة الرسول فقد تيسرت صحبة سنته وصحبة من احب سنته
وذلك ماض الى يوم القيامة ولصحبة الكبار واقتران المتقين تأثير عظيم ولاستماع كلام الحق والرسول نفع تام ولكن

العمدة توفيق الله وهدايته نسأل الله تعالى ان يصحح اغراضنا ويكثر صالحات اعمالنا واعواضنا ويؤيدنا بنور الكتاب والسنة ويشرفنا بالمقامات العالية فى الجنة (ان الذين كفروا) انزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من اشراف قريش يطعم كل واحد منهم عسكر الكفار كل يوم عشر جزر وهو جمع جزور وهو البعير ذكرا كان اوانثى الا ان لفظه مؤنث تقول هذه الجزور وان اردت ذكرا (ينفقون اموالهم) على عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم (ليصدوا) اى يمنعوا الناس (عن سبيل الله) اى دين الله واتباع رسوله لانه طريق ثوابه والخلود فى جنته لمن سلكه على ما امر به واللام فى ليصدوا لام الصيرورة وهى لام العاقبة والمآل (فسينفقونها) بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم وهو انفاق بدر والثانى اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد بان يكون ينفقون للاستمرار التجددى ويكون السين فى قوله فسينفقونها للتأكيد لا للتسويف فيتحد الانفاقان الا ان مساق الاول لبيان غرضهم من الانفاق ومساق الثانى لبيان عاقبته (ثم تكون) تلك الاموال (عليهم حسرة) ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود ولما كانت عاقبة انفاقها حسرة فى قلوبهم جعلت ذوات الاموال كانها عين الحسرة للمبالغة قال الحدادى والحسرة مأخوذة من الكشف يقال حسر رأسه اذا كشفه والحاسر كاشف الرأس فيكون المعنى ثم يكشف لهم عن ذلك ما يكون حسرة عليهم (ثم يغلبون) آخر الامر وان كانت الحرب بينهم سجالا قبل ذلك (والذين كفروا) واصروا على الكفر (الى جهنم يحشرون) اى يساقون لا الى غيرها (ليميز الله) اللام متعلقة بيحشرون او يغلبون والميز بالفارسية جدا كردن (الخبيث) فريق الكفار (من الطيب) فريق المؤمنين (ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) اى يجمعهم ويضم بعضهم الى بعض حتى يتراكموا ويتزاحموا فالركم ليس عبارة عن الجمع مطلقا بل هو الجمع بين الاشياء بحيث يتراكب بعضها فوق بعض ومنه السحاب المركوم (فيجعله فى جهنم) كله (اولئك) الفريق الخبيث (هم الخاسرون) الكاملون فى الخسران لانهم خسروا اموالهم وانفسهم والاشارة ان الله تعالى خلق الروح نورانيا علويا وخلق النفس ظلمانية سفلية ثم اشرك بينهما وجعل رأس مالهما الاستعداد الفطرى القابل للترقى والكمال فى القربة والمعرفة والخسارة والنقصان فى التجرف فمن آمن وجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله وطلبه وبلغ مبلغ الرجال البالغين فقد ربح روحه ونفسه جميعا ومن آمن بالله ورسوله لكن وجد منه العصيان ومخالفة الشريعة فقد ربح روحه وخسر نفسه ومن لم يؤمن بالله ورسوله وكفر بهما فقد خسر روحه ونفسه جميعا قيل دخل على الشبلى قدس سره فى وقت وفاته وهو يقول يجوز يجوز فقيل له ما معنى قولك يجوز فقال خلق الله الروح والنفس واشرك بين الروح والنفس فعملا واتجرا سنين كثيرة فحوسبا فاذا هما قد خسرا وليس معهما ربح فقد عزما على الافتراق وانا اقول شركة لا ربح فيها يجوز ان يقع بين الشريكين افتراق (قال السعدى) كوس رحلت بكوفت دست اجل * اى دوچشم وداع سر بكنيد * اى كف ودست وساعد وبازوا * همه توديع يكدكر بكنيد * برمن افتاده مرك دشمن كام * آخراى دوستان حذر بكنيد * روز كارم بشد بنادانى * من نكردم شما حذر بكنيد * فعلى العاقل ان يجتهد قبل مجيء الفوت ويربح فى تجارته ببذل النفس والمال والطيب من الاموال ما يبذل فى طلب الله على الطالبين والخبيث ما يلتفت اليه الطالب من غير حاجة ضرورية فيشغله عن الله وطلبه فيكون قاطع طريقه ويروى ان الله تعالى يضم الاموال الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيها فى جهنم ويعذب اربابها كقوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وروى ان ابا سفيان استأجر ليوم احد الفين من العرب على محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب اى صار جيشا وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا وفى القاموس سبعة مثاقيل فانظر الى الكفار وجسارتهم على الانفاق لغرض فاسد وهو الصد عن سبيل الله واقل من القليل من المسلمين من يبذل ماله ولو قليلا لجذب القلوب والوصول الى رضى الله المحبوب فلا بد للمرء من قطع النفس عن مألوفها وهو حب المال ومن كلمات الجنيد قدس سره ما اخذنا التصوف عن القال والقيل لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رجل يا رسول الله اى الناس افضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال ثم من قال رجل معتزل فى شعب من

الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وفيه دليل على فضل العزلة وهى مستحبة عند فساد الزمان وتغير الاخوان وتغير الاحوال ووقوع الفتن وتراكم المحن كما فعله جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وقد كان النبى عليه السلام عند تقلب الاحوال واختلاف الرجال وكثرة القيل والقال يأمر بالاعتزال وبملازمة البيوت وكسر السيوف واتخاذها من العراجين والخشب قال الامام الغزالى ان السلف الصالح اجمعوا على التحذير من زمانهم واهله وآثروا العزلة وامروا بذلك وتواصوا بها ولا شك انهم كانوا ابصروا النصح وان الزمان لم يصر بعدهم خيرا مما كان بل ادهى وامر (قال الحافظ) تو عمر خواه وصبورى كه چرخ شعبده باز * هزار بازى ازين طرفه تر برانكيزد

ان دام هذا ولم يحدث له غير * لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

اللهم اجعلنا من الصابرين (قل للذين كفروا) اللام للتعليل اى لاجلهم والمراد ابو سفيان واصحابه (ان ينتهوا) عن معاداة الرسول بالدخول فى الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) من ذنوبهم قبل الاسلام (وان يعودوا) الى قتاله انتقمنا منهم واهلكناهم (فقد مضت سنة الاولين) الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وانشد بعضهم

يستوجب العفو الفتى اذا اعترف * ثم انتهى عما اتاه واقترف

لقوله قل للذين كفروا * ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

(وقاتلوهم) وكارزار كنيد اى مؤمنان باهل كفر (حتى) الى ان (لا تكون) توجد منهم (فتنة) اى شرك يعنى مشرك نماند از وثنى واهل كتاب (ويكون الدين كله لله) وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل (فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم (وان تولوا) اى اعرضوا عن قبول الحق (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم (نعم المولى) لا يضيع من تولاه (ونعم النصير) لا يغلب من نصره وفى الآية حث على الجهاد وفى الحديث موقف ساعة فى سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الاسود وعن معاذ بن جبل قال عهد الينا رسول الله فى خمس من فعل واحدة منهن كان ضامنا على الله تعالى من عاد مريضا او خرج مع جنازة او خرج غازيا فى سبيل الله او دخل على امام يريد بذلك تعزيره وتوقيره او قعد فى بيته فسلم وسلم الناس منه وعن ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حاجا فمات كتب الله له اجر الحاج الى يوم القيامة ومن خرج معتمرا فمات كتب الله له اجر المعتمر الى يوم القيامة ومن خرج غازيا فمات كتب الله له اجر الغازى الى يوم القيامة فعلى العاقل ان يجتهد فى احياء الدين بما امكن له من الاسباب ويتوقع النصرة الموعودة من رب الارباب ولا يلتفت الى مخلوق مثله فانهما سيان فى باب العجز خصوصا اذا كان استمداده من الفسقة كما يفعل ولاة الزمان فانه لا يجيء خير لاهل الخير من اهل الشر والعدوان ونعم ما قيل * دركار دين زمردم بى دين مدد مخواه * از ماه منخسف مطلب نور صبحكاه * ثم ان حقيقة النصرة ان ينصرك الله تعالى على نفسك التى هى اعدى عدوك بقهر هواها وقمع مشتهاها فان انفتاح باب الملك فى الانفس سبب وطريق لانفتاح باب الملك فى الآفاق وكذا الملكوت * دوستى نفس را بكذار وبكذر از هوس * همچو مردان طالب حق باش بى جو ياى نفس * والاشارة وقاتلوا كفار النفوس والهوى بسيف الصدق حتى لا تكون النفس والهوى آفة مانعة لكم عن الوصول الى عالم الحقيقة ويكون الدين لله ببذل الوجود وفقد الموجود لنيل الجود فان انتهوا اى النفوس عن معاملاتها وتبدلت عن اوصافها وطاوعت القلوب والارواح وصارت مأمورة مطمئنة تحت الاحكام فان الله بما يعملون فى عبوديته وصدق طلبه بصير لا يخفى عليه نقيرها وقطميرها فيجازيهم على قدر مساعيهم وان اعرضوا عن الحقوق واقبلوا الى الشهوات والحظوظ فاعلموا ايها القلوب والارواح ان الله مولاكم فى الهداية وناصركم على قهر النفوس وقمع الهوى نعم المولى الذى هو وليكم لتهتدوا به اليه ونعم النصير فى دفع ما يقطعكم عنه وناصركم فى الوصول اليه واعلم ان النور الذى هو حقائق ما يستفاد من معانى الاسماء والصفات جند القلب الذى يقابل النفس والهوى والشيطان ونحو ذلك كما ان الظلمة التى هى معانى ما يستفاد من الهوى والعوائد الرديئة جند النفس التى به تتقوى آثارها والقلب بينهما سجال فاذا اراد الله ان ينصر عبده

على ماطلب منه امده بجنود الانوار فكلما اعترته ظلمة قام الها نور فاذهبها وقطع عنه مواد الظلم والاغيار فلم يبق للهوى مجال ولا للشهوة والاخلاق الذميمة مقال ولا حال كذا فى التأويلات النجمية وفى شرح الحكم العطائية نسأل الله سبحانه ان يمدنا بما امد به اخياره ويفيض علينا من سجال فيضه انواره

(تم الجزؤ التاسع فى اواسط شهر ربيع الاول من سنة الف ومائة وواحدة ويتلوه الجزؤ العاشر وهو هذا)

(واعلموا) ايها المؤمنون (انما) حق ماهذه ان تكتب منفصلة عن ان لكونها موصولة كما فى قوله تعالى ان ما توعدون لآت لكنها كتبت متصلة اتباعا للرسم اى الذى (غنمتم) اخذتموه واصبتموه من الكفار قهرا وغلبة والغنم الفوز بالشئ واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا من كان قالوا اذا دخل الواحد والاثنان دار الحرب مغيرين بغير اذن الامام فاخذوا شيأ لم يخمس لان الغنيمة هو المأخوذ قهرا وغلبة لا اختلاسا وسرقة هذا عند ابى حنيفة ويخمس عند الشافعى (من شئ) حال من عائد الموصول اى ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضى المغنومة والآية نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (فان لله خمسه) مبتدأ خبره محذوف اى حكمه ثابت فيما شرعه الله وبينه لعباده ان خمسه لله او خبر مبتدأ محذوف اى فالحكم ان لله خمسه والخمس بالفارسية پنج يك (وللرسول ولذى القربى) اعاد اللام فى لذى القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم فى سهم النبى صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل واعلم انه عليه السلام هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان لعبد مناف اربعة بنين هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل وكان لهاشم ولدان عبد المطلب واسد وكان لعبد المطلب عشرة بنين منهم عبد الله وابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب والحارث وزبير فكلهم وما يتفرع منهم هاشميون لكونهم من اولاد هاشم وعبد مناف هو ابن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وكل من كان من ولد النضر فهو قريشى دون ولد كنانة ومن فوقه فقريش قبيلة ابوهم النضر وانما خص ذوو قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى هاشم وبنى المطلب لانهم لم يفارقوه عليه السلام فى جاهلية ولا فى اسلام فكانت قرابتهم قرابة كاملة وهى القرابة نسبا وتواصلا فى حال العسر واليسر فاعطوا الخمس واما بنو عبد شمس وبنو نوفل فمع مساواتهما بنى المطلب فى القرب حرموا الخمس لان قرابة نوفل بالتواصل والتناصر لم تنضم الى قرابتهم النسبية (واليتامى) جمع يتيم وهو الصغير المسلم الذى مات ابوه يصرف اليه سهم من الخمس اذا كان فقيرا (والمساكين) جمع مسكين وهو الذى اسكنه الضعف عن النهوض لحاجته اى اهل الفاقة والحاجة من المسلمين (وابن السبيل) اى المسافر البعيد عن ماله (قال الكاشفى) ومسافران مسلمانان يا قومى كه بر مسلمانان نزول كنند واعلم ان اللام فى الآية لام الاستحقاق لخمس الغنيمة فاقتضى الظاهر ان تكون المصارف ستة اقسام لكن الجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم وافتتاح الكلام باسمه تعالى على طريق التبرك لا لان لله نصيبا من الخمس فان الدنيا والآخرة كلها له سبحانه فلا يسدس خمس الغنيمة بان يصرف سهم منها الى الله تعالى بصرفه الى عمارة الكعبة ان كانت قريبة والا فالى مسجد كل بلدة ثبت فيها الخمس كما ذهب اليه البعض او يضمه الى سهم الرسول كما ذهب اليه الاخر وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط بوفاته لان الانبياء لا يورثون قال ابن الشيخ لانه عليه السلام لم يخلفه احد فى الرسالة فلا يخلفه فى سهمه هذا عند الامام الاعظم واما الشافعى فيصرف سهمه عليه السلام الى مصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وكذا سقط سهم ذوى القربى بوفاته عليه السلام فلا يعطى لهم لاجل قرابتهم بل يعطى لفقرهم وكان عليه السلام يعطيهم غنيهم وفقيرهم لقرابتهم لا لفقرهم حتى كان يعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله والحاصل ان ذوى القربى اسوة لسائر الفقراء اى يدخلون فيهم ويقدمون على غيرهم ولا يعطى اغنياؤهم وفى شرح الآثار عن ابى حنيفة ان الصدقات كلها اى فرضها ونفلها جائزة على بنى هاشم والحرمة كانت فى عهد النبى عليه السلام لوصول خمس الخمس اليهم فلما سقط ذلك بموته حلت لهم الصدقة قال الطحاوى وبالجواز نأخذ ولما سقط السهمان وهما سهم الرسول وسهم ذوى القربى

نخمس

نخمس الغنيمة اليوم يجعل ثلاثة اقسام ويصرف الى ثلاثة اصناف اليتامى والمساكين وابناء السبيل وتقسم الاخماس الاربعة بين الغانمين للفارس سهمان وللراجل سهم وفى حياة الحيوان ان الفيل يقاتل به وراكبه يرضخ له اكثر من راكب البغل وفى التحفة هذه الثلاثة مصارف الخمس عندنا لا على سبيل الاستحقاق حتى لو صرفت الى صنف واحد منهم جاز (ان كنتم آمنتم بالله) متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقطعوا اطماعكم منه واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية ووجه دلالته عليه انه تعالى انما امر بالعلم بهذا الحكم ليعمل به لان العلم بمثل هذا المعلوم ليس مما يقصد لنفسه بل انما يقصد للعمل به (وما انزلنا) اى وبما انزلناه (على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والنصر على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينتظم الكل انتظاما حقيقيا (يوم الفرقان) ظرف لانزلنا اى يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل بنصر المؤمنين وكبت الكافرين (يوم التقى الجمعان) اى المسلمون والكفار وهو بدل من الظرف الاول وآن روز جمعه بود هفدهم رمضان در سنه ثانيه از هجرت وهو اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال المشركين لاعلاء الحق والدين (والله على كل شئ قدير) فيقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم (اذ انتم) نازلون (بالعدوة الدنيا) اى فى شفير الوادى الادنى من المدينة وهو بدل ثان من يوم الفرقان (وهم) اى وعدوكم نازلون (بالعدوة القصوى) اى فى جانبها الابعد منها وهو الجانب الذى يلى مكة والعدوة شط الوادى اى جانبه وشفيره وسميت بذلك لانها عدت ما فى الوادى من ماء عن ان يتجاوز اى منعته والدنيا من دنا يدنو دنوا والقصوى من قصا المكان يقصو قصوا اذا بعد والقياس القصيا بقلب الواو ياء كالدنيا الا ان واوها بقيت على حالها كواو القود (والركب) جمع راكب مثل صحب وصاحب والراكب هو راكب البعير خاصة كما ان الفارس من على الفرس والمراد بالركب ههنا العير اى القافلة المقبلة المتوجهة من الشام او قوادها وهم ابو سفيان واصحابه وكانوا جميعا على البعير (اسفل منكم) اى نازل فى مكان اسفل من مكانكم وكانوا بقرب ساحل البحر بينهم وبين المسلمين ثلاثة اميال واسفل وان كان منصوبا على الظرفية واقعا موقع خبر المبتدأ الا انه فى الحقيقة صفة لظرف مكان محذوف والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وضعف حال المسلمين ولهذه الفائدة ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى فورد النظم على هذا الوجه الدال على القوة والضعف ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا (ولو تواعدتم) انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم (لاختلفتم فى الميعاد) در وعده خود را هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم (ولكن) ما اختلفتم وما تخلفتم عن القتال بل جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد (ليقضى الله) ليتم الله (امرا كان مفعولا) حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه جعل ما اقتضت الحكمة ان يفعل مفعولا لقوة ما يستدعى ان يفعل (ليهلك من هلك عن بينة) بدل من ليقضى قال سعدى چلبى المفتى الظاهر والله اعلم ان عن هنا بمعنى بعد كقوله تعالى عما قليل ليصبحن نادمين انتهى والمعنى ليكون هلاك من شارف الهلاك بعد مشاهدة بينة واضحة الدلالة على ان الدين المرضى عند الله تعالى هو الاسلام لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له عند الله تعالى معذرة وحجة فى عدم تحليه بحلية الاسلام (ويحيى من حى عن بينة) اى يعيش من يعيش عن حجة شاهدها حتى يقوى يقينه ويكمل ايمانه فان وقعة بدر كانت من الآيات الواضحة الدالة على حقية الاسلام فمن كفر بعد مشاهدتها كان مكابرا معاندا عادلا عن الحق الذى وضحت حقيته والمراد بمن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحياة قال سعدى چلبى المراد هو الاستمرار على الحياة بعد وقعة بدر فيظهر صحة اعتبار معنى المشارفة فى الحياة ايضا (وان الله لسميع عليم) اى بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين وصفى السميع والعليم لاشتمال كل واحد من الكفر والايمان على القول والاعتقاد نقلست كه حضرت پيغمبر صلى الله عليه وسلم در ان شب كه روز ش جنگ بدر واقع شده بود در واقعه ديد لشكر قريش را در غايت قلت وذلت تأويل فرمود كه دوستان غالب ودشمنان مغلوب خواهند شد مؤمنان بعد از استماع اين رؤيا وتعبير آن بغايت مسرور وفرحان شدند وحق سبحانه وتعالى تذكار آن نعمت ميفرمايد

ومينكويد (اذ يريكهم الله) اى اذكر يا محمد وقت اراءة الله المشركين اياك (فى منامك) مصدر ميمى بمعنى النوم (قليلا) حال من المفعول الثانى اى حال كونهم قليلا والاراءة بصرية تتعدى الى اثنين روى عن مجاهد انه قال ارى الله تعالى كفار قريش لنبيه صلى الله عليه وسلم فى منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقالوا رؤيا النبى حق والقوم قليل فكان ذلك سببا لقوة قلوبهم (ولو اراكهم كثيرا لفشلتم) اى لجبنتم وتأخرتم عن الصف قال الحدادى الفشل هو الضعف مع الوجل (ولتنازعتم فى الامر) اى امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار والتنازع ان يحاول كل واحد من الاثنين ان ينزع صاحبه عما هو عليه (ولكن الله سلم) اى انعم بالسلامة من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر (واذ يريكموهم) الضميران مفعولا يرى وفاعل الاراءة هو الله تعالى والمعنى بالفارسية وانرا ياد كنيد اى صحابه كه بنمود خداى تعالى دشمنانرا بشما (اذ التقيتم فى اعينكم) حال كونهم (قليلا) وانما قللهم فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين قال اراهم مأئة مع انهم كانوا الفا او تسعمائة وخمسين تثبيتا لهم وتقوية لقلوبهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم فانها وحى لا خلاف فيه اصلا (ويقللكم فى اعينهم) حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وهو مثل يضرب فى القلة اى قلتهم بحيث يشبعهم جزور واحد قللهم فى اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يبالغوا فى الاجتهاد والاستعداد والتأهب والحذر ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم قال فى التأويلات النجمية ويقللكم فى اعينهم لانهم ينظرون اليكم بالابصار الظاهرة لا يرون كثرة معنا كم وقوة قلوبكم ومددكم من الملائكة فانهم عمى البصائر والقلوب وانئلا يفروا من القتال كما فر ابليس لما رأى مدد الملائكة وهو قد جاء مع الكفار فى صورة سراقة فقالوا له اين تفر فقال لهم انى ارى ما لا ترون (ليقضى الله امرا كان مفعولا) كرره لاختلاف الفعل المعلل به وهو الجمع بين الفريقين على الحالة المذكورة فى الاول وتقليل كل واحد من الفريقين فى عين الآخر فى الثانى (والى الله ترجع الامور) كلها يصرفها كيف يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وفيه تنبيه على ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يكون وسيلة الى سعادة الآخرة ومؤديا الى مرضاة الرحمن وفى الايات اشارات منها ان اركان الاسلام خمسة وهى غنائم دينية لكن التوحيد اعلى من الكل ولذا كان خمسا راجعا الى الله تعالى وباقى الاخماس حظ الجوارح فعلى العاقل ان يحرز غنائم العبادات وما يتعلق بالمعارف والكمالات التى تتحقق بها السادات ليكون الروح والجوارح كلاهما محظوظين غير محرومين وفى التأويلات النجمية ما غنمتم عند رفع الحجب من انوار المشاهدات واسرار المكاشفات فلكم اربعة اخماس تعيشون بها مع الله وتكتمونها عن الاغيار * داند و پوشد بامر ذو الجلال * كه نباشد كشف راز حق حلال * ولا تنفقون اكثر من خمسها فى الله مخلصا وللرسول متابعا ولذى القربى يعنى الاخوان فى الله مواصلا واليتامى يعنى اهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال والمساكين يعنى الطالبين الصادقين اذا امسكوا بايدى الارادة اذيال ارشادكم وابن السبيل يعنى الصادر والوارد من اهل الصدق والارادة من اغيار جانب كل طائفة منهم على حسب صدقهم وارادتهم وطلبهم واستعدادهم واستحقاقهم مؤديا حقوقهم لله وفى الله وبالله فى متابعة رسول الله وقانون سيرته وسنته ومنها ان الله تعالى كما جمع بين الفريقين بحيث لو تركهم على حالهم لما اجتمعوا ليظهر عز الاسلام وذل الكفر كذلك جمع بين الارواح والنفوس فى هذه الهياكل والقوالب بحيث لو تركهما على حالهما وهما على تلك الضدية واختلاف الطبيعة لما اجتمعت ليحصل الارواح فى مقعد صدق والنفوس مع الملائكة المقربين كما قال فادخلى فى عبادى بعد ما كانت محبوسة فى سجن الدنيا والاجساد فى جنات النعيم واعلى عليين بعد ما كانت فى اسفل سافلين هذا بالنسبة الى السعداء المخلوقين للتحيات والقربات واما الاشقياء المذروؤن لجهنم فعلى خلاف ذلك وقد خلق الله الاستعداد للترقى والتنزل ولله على الناس الحجة البالغة (قال الكاشفى) در ترجمهٔ تفاسير كورست كه كوهر شب انكه فروز عقل راهمعنا نجه در حقهٔ سينهٔ دوستان مى سپارند در آستين دشمنان تردامن نيز مى نهند ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة يعنى بارقهٔ نور عقيل اكر از جانب عنايت وتوفيق لامع شود دوستان بدان مهتدى كردند واكر از طرف قهر وخذلان

استضاءت پذيرد سبب اختطاف ابصار بصائر دشمنان شود يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا * كرت صورت حال بد يا نكوست * نكاريدهٔ دست تقدير اوست * ومنها ان من سنة الله ان يرى النبى عليه السلام حقائق الاشياء حقا وصدقا وهو يخبر بها ثم يراها ارباب الصورة فى الظاهر بضدها ابتلاء واختبارا للمؤمن والمنافق فالمؤمن يثبت على ايمانه بتصديق النبى عليه السلام وتسليمه فى اقواله واعماله واحواله من غير اعتراض فيزيده الله ايمانا مع ايمانه والمنافق تزل قدمه وتشوش حاله بالاعتراض ويزيد نفاقه على النفاق وعماه على العمى والى الله ترجع الامور فحال المؤمن وامره يرجع الى رضاه وحال المنافق وامره يرجع الى سخطه والرضى والسخط من آثار لطفه وقهره يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد وقس على هذا الهامات الاولياء واحوالهم مع معتقديهم ومنكريهم فان الاختبار والابتلاء سنة قديمة وكم ترى من الصوفية من يزعم انه يحب فلانا ويعتقده وطريقته حقا فاذا جاء سطوة القهر باراءة ما هو غير ملائم لطبعه نكص على عقبيه واتخذه غرضا للطعنه وتشنيعه واين هو من المحبة وهو مقام عال يجتمع عنده اللطف والقهر والجمال والجلال فلا يتشوش صاحبه من الاحوال العارضة المرئية فى صورة التنزل والتدلى ولذا كثر ارباب الصورة وقل اصحاب المعنى ويكفى لكل مرشد كامل واحد ممن يلزم طريقته ويتبع هداه (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) اى حاربتم جماعة كافرة لان اللقاء مما غلب فى الحرب والقتال وهم ما كانوا يحاربون الا الكفار (فاثبتوا) وقت لقائهم وقتالهم ولا تنهزموا وفى الحديث لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا وانما نهى عن تمنى لقاء العدو لما فيه من صورة الاعجاب والوثوق بالقوة ولانه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو وتحقيرهم وهذا يخالف الاحتياط كما قالوا فى آداب المناظرة انه ينبغى ان لا يحسب المناظر الخصم حقيرا اى صغيرا ذليلا لان استحقار الخصم ربما يؤدى الى صدور الكلام الضعيف من المناظر لعدم المبالاة فيكون سببا لغلبة الخصم الضعيف عليه فيكون الضعيف قويا والقوى ضعيفا والشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم فعلى العاقل ان يسأل العفو والعافية فانه لا يدرى ما يفعل به * اول شكسته باش كه اوج سرير ملك * يوسف پس از مجاورت قعر چاه يافت (واذكروا الله كثيرا) اى فى تضاعيف القتال ومواطن الشدة بالتكبير والتهليل وغيرهما وادعوه بنصر المؤمنين وخذلان الكافرين كالذين قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (لعلكم تفلحون) اى تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغى ان لا يشغله شئ عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بالكلية فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه فى حال من الاحوال وعلى ان ذكر الله تعالى له تأثير عظيم فى دفع المضار وجلب المنافع * تو بهر حالى كه باشى روز وشب * يك نفس غافل مباش از ذكر رب * در خوشى ذكر تو شكر نعمتست * در بلاها التجا با حضرتست * قال بعض الحكماء ان لله جنة فى الدنيا من دخلها يطيب عيشه وهى مجالس الذكر وفى الحديث ان لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فاذا اتوا عليهم حفوا بهم ثم بعثوا رائدهم الى السماء الى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون ربنا اتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول الله تبارك وتعالى غشوهم رحمتى فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم قال فى انوار المشارق وكما يستحب الذكر يستحب الجلوس فى حلق اهله والعادة جرت فى حلق الذكر بالعلانية اذ لم يعرف فى كر الدهور حلقة ذكر اجتمع عليها قوم ذاكرون فى انفسهم فالذكر برفع الصوت اشد تأثيرا فى قمع الخواطر الراسخة على قلب المبتدى وايضا يغتنم الناس باظهار الدين بركة الذكر من السامعين فى الدور والبيوت ويشهد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته خصوصا فى مواضع الازدحام بين الغافلين من العوام لتنبيه الغافلين وتوفيق الفاسقين وفى بعض الفتاوى لو ذكر الله فى مجلس الفسق ناويا انهم يشتغلون بالفسق وانا اشتغل بالذكر فهو افضل كالذكر فى السوق افضل من الذكر فى غيره وحضور مجلس الذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس السوء وقد نهى عن ان يجلس الانسان مجلسا لا يذكر الله فيه ولا يصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويكون ذلك المجلس حسرة عليه يوم القيامة وفى الحديث من جلس مجلسا كثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر له ما كان فى مجلسه ذلك فعلى العاقل ان يكون رطب اللسان بالذكر والدعاء والاستغفار دائما خصوصا فى الاوقات المباركة روى

ان النبى عليه السلام بعث بعثا الى نجد فغنموا واسرعوا وقال رجل ما رأينا بعثا افضل غنيمة واسرع رجعة فقال النبى عليه السلام (الا ادلكم على قوم افضل غنيمة واسرع رجعة الذين شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله حتى تطلع الشمس ثم يصلون ركعتين ثم يرجعون الى اهاليهم وهى صلاة الاشراق وهو اول وقت الضحى وذلك بعد ان تطلع الشمس ويصلى ركعتين كانت كاجر حجة وعمرة تامة تامة تامة ذكر فى شرح المصابيح ان فى قوله ثم قعد يذكر الله تعالى دلالة على ان المستحب فى هذا الوقت انما هو ذكر الله تعالى لا القرآءة لان هذا وقت شريف وان للمواظبة للذكر فيه تأثيرا عظيما فى النفوس وقال فى المنية ناقلا عن جمع العلوم ومن وقت الفجر الى طلوع الشمس ذكر الله تعالى اولى من القرآءة ويؤيده ما ذكره فى القنية من ان الصلاة على النبى عليه السلام والدعاء والتسبيح افضل من قرآءة القرءآن فى الاوقات التى نهى عن الصلاة فيها وعن النبى صلى الله عليه وسلم (الا ادلكم على ساعة من ساعات الجنة الظل فيها ممدود والرزق فيها مقسوم والرحمة فيها مبسوطة والدعاء مستجاب قالوا بلى يا رسول الله قال ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس) قال على المرتضى رضى الله عنه مر النبى عليه السلام بعائشة رضى الله عنها قبل طلوع الشمس وهى نائمة فحركها برجله فقال قومى لتشاهدى رزق ربك ولا تكونى من الغافلين ان الله يقسم ارزاق العباد بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس واختلف فى ان التهليل والتسبيح ونحوهما بمجرد القلب افضل او باللسان مع حضور القلب احتج من رجح الاول بان عمل السر افضل واحتج من رجح الثانى بان العمل فيه اكثر فاقتضى زيادة والصحيح هو الثانى ذكره النووى فى شرح مسلم والذكر الكثير ما كان بصفاء القلب فصفاء القلب جنة العارف فى الدنيا فانه يجاوز بذكر الله تعالى عن جحيم النفس الامارة وهاويتها فيترقى الى نعيم الحضور قال ابو بكر الفرغانى كنت اسقط فى بعض الايام عن القافلة فقلت يا رب لو علمتنى الاسم الاعظم فدخل على رجلان وقال احدهما للآخر الاسم الاعظم ان تقول يا الله ففرحت به فقال ليس كما تقول بل بصدق اللجأ اى الالتجاء والاضطرار كما يقول من كان فى لجة البحر ليس ملجأ غير الله واعلم ان الجهاد من اعظم الطاعات ولذلك لا يجتمع غبار المجاهد مع دخان جهنم وبخطوة من المجاهد يغفر ذنب وباخرى تكتب حسنة ولكن ينبغى للمجاهد ان يصحح نيته ويثبت فى مواطن الحرب فان بثبات القلب والقدم يتبين اقدار الرجال كما كان للصديق رضى الله عنه حين صدمته الوجيعة بوفاة رسول الله حين قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حى لا يموت ويجتنب عن الظلم وارتكاب المعاصى فان الغلبة على الاعدآء بالقوة القدسية والتأييد الالهى لا بالقوة الجسمانية وكثرة العدد والعدد الا يرى الى الله تعالى كيف ايد المؤمنين بالملائكة فى غزوة بدر مع قلتهم وكثرة الكافرين فالذين جاهدوا فى سبيل الله بالتقى والصبر والثبات فقد غلبوا على الاعدآء ووصلوا الى الدرجات * كه شتاب چو صرصركه قرار چو كوه * كه نشيب كبوتركه فراز عقاب * واستعرض الاسكندر جنده فتقدم اليه رجل بفرس اعرج فامر باسقاطه فضحك الرجل فاستعظم ضحكه فى ذلك المقام فقال له ما اضحكك وقد اسقطتك قال التعجب منك قال كيف قال تحتك آلة الهرب وتحتى آلة الثبات ثم تسقطنى فاعجب بقوله واثبته ثم اعلم ان الفئة الباغية ظاهرة كالطائفة الكافرة والجماعة الفاجرة وباطنة كطائفة القوى النفسانية وجماعة النفس الامارة فكما ان المؤمن مأمور بالثبات عند ظهور الفئة الباغية الظاهرة فكذلك مأمور بالثبات عند ظهور الفئة الباغية الباطنة بالمجاهدات والجهاد مع الكفار جهاد اصغر والجهاد مع النفس جهاد اكبر والاكبر افضل من الاصغر ولذلك يكون القتيل فى الاكبر صديقا وفى الاصغر شهيدا فالصديق فوق الشهيد كما قال الله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدآء والخلاص عن ظلمات الخلقية والفوز بانوار الذكر الذى الاشتغال به من اكبر انواع الجهاد واسرع قدم فى الوصول الى رب العباد نسأل الله تعالى ان يحققنا بحقائق الذكر والتوحيد (واطيعوا الله ورسوله) فى كل ما تأتون وما تذرون خصوصا فى امر الجهاد وثبات القدم فى معركة القتال (ولا تنازعوا) باختلاف الآرآء كما فعلتم ببدر واحد (فتفشلوا) جواب للنهى يقال فشل اى كسل وضعف وتراخى وجبن (وتذهب ريحكم) بالنصب عطف على جواب النهى اى تذهب دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها فى تمشى امرها ونفاذه مشبهة بها فى هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى ويقال لها

ريح النصرة وروى انه حاصر المدينة قريش وغطفان وبنوا قريظة وبنوا النضير يوم الخندق فهبت ريح الصبا شديدا فقلعت خيامهم واراقت قدورهم وهربوا فقال عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والصبا بفتح الصاد وبالقصر ريح تهب من المشرق والدبور هى ما يقابل الصبا فى الهبوب يعنى الريح مأمورة تجيء تارة للنصرة وتارة للاهلاك (وفى المثنوى) جمله ذرات زمين وآسمان * لشكر حقند كاه امتحان * بادرا ديدى كه با عادان چه كرد * آبرا ديدى كه با طوفان چه كرد (واصبروا) على شدآئد الحرب وقتال المشركين ولا تولوهم الادبار (ان الله مع الصابرين) بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هى من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى انما هى من حيث الامداد والاعانة (ولا تكونوا) ايها المؤمنون (كالذين خرجوا من ديارهم) يعنى اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير اى القافلة المقبلة من الشأم (بطرا) مفعول له اى افتخارا باثر الاصول من الآباء والامهات واشرا وهو مقابلة النعمة بالتكبر والخيلاء (ورئاء الناس) ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابى سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم من اصحاب محمد ومن نهبهم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها اى اتوا بدرا ولكن سقوا كأس المنايا بدل كأس الخمور وناحت عليهم النوآئح مكان تغنى القيان فنهى المؤمنون ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بالتقوى والاخلاص لان النهى عن الشيء مستلزم للامر بضده (ويصدون عن سبيل الله) عطف على بطرا بتأويل المصدر اى وصدا ومنعا للناس عن دين الله المؤدى الى الجنة والثواب (والله بما يعملون محيط) فيجازيهم عليه وفيه تهديد على الاعمال القبيحة خصوصا ما ذكر فى هذه الآية من البطر والرئاء هو اظهار الجميل وابطان القبيح وهو من الصفات المذمومة للنفس وحكى عن بعض الصالحين انه قال كنت ليلة فى وقت السحر فى غرفة لى على الطريق اقرأ سورة طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدى فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيأ فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا ارى ثوابا ولا اراها اثبتت فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا انا قد سمعنا مناديا ينادى من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت فى منامى فقلت لم فعلتم ذلك فقال مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها وفى الحديث ان النار واهلها يعجون من اهل الرياء اى يتضرعون ويرفعون الصوت قيل يا رسول الله وكيف تعج النار قال من حر النار التى يعذبون بها فويل للمرآئى فى عمله ومن الرياء التزيى بزى القوم تصنعا ودوران البلاد تفرجا ليتباهى بذلك على الاخوان كما يفعله اكثر المتسمين بالصوفية فى هذا الزمان فان مقصودهم ليس التقليد بلباس القوم تبركا مع التحقق بمعانيهم فهم محرومون من انوار المعرفة واسرار الحقيقة خارجون عن دآئرة الطريقة (قال الحافظ) مدعى خواست كه آيد بتماشا كه راز * دست غيب آمد وبرسينهٔ نا محرم زد * فعلى العاقل اخلاص العمل وهو ارادة التقرب الى الله تعالى وتعظيم امره واجابة دعوته سوآء كان من العبادات المالية او البدنية وفى التاتارخانية لو افتتح الصلاة خالصا لله تعالى ثم دخل فى قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء انه لو خلا عن الناس لا يصلى ولو كان مع الناس يصلى فاما لو صلى مع الناس يحسنها ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب اصل الصلاة دون الاحسان ولا رياء فى الصوم الا ان يكون مراده من الرياضة اصفرار الوجه وهزال البدن ليظنه الناس رجلا صالحا متقيا مريدا للآخرة فانظر الى تعبه لاجل الناس ولو كان له عقل صحيح وذكر ثاقب لما فعل هذا وفى مثل هذا قالوا اخف حلما من عصفور وقال حسان ابن ثابت الانصارى

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم * جسم البغال واحلام العصافير

وما الدنيا حتى يطلبها العاقل بعمله ويضيع عمره الى حلول اجله وعن ابى الدردآء رضى الله عنه ان النبى عليه السلام مر بدمنة قوم فيها سخلة ميتة فقال ما لاهلها فيها حاجة قالوا يا نبى الله لو كان لاهلها فيها حاجة ما نبذوها قال فوالله الدنيا اهون على الله من هذه السخلة على اهلها (قال السعدى) وكر سيم اندوده باشد نحاس * توان خرج كردن بر ناشناس * منه آب زر جان من بر پشيز * كه صراف دانا نكيرد بچيز * چه قدر

آورد بندهٔ خود و پس * كه ز بر قباد ارداندام پس * نسأل الله تعالى ان يعصمنا من الزلل فى مسالك الدين ويوصلنا الى رضاه فى كل قول وعمل وهو المعين آمين بجاه النبى الامين (واذ زين لهم الشيطان اعمالهم) آورده اند كه چون قريش از مكه برون آمده بحوالى منزل بنى كنانه رسيدند بجهت كيفيت قديمى كه ميان ايشان بود انديشه ناك شده خواستند باز كردند ابليس بصورة سراقة بن مالك مهتر كنانه بود برآمد برايشان ملاقات نمود وكفت شمانيكو حمايتى ميكنيد برويد من ضامن كه از بنى كنانه ضرر بشما نرسد ومن نيز طريق رفاقه مرعى دارم پس ابليس باجمعى از شياطين همراه ايشان روى ببدر آوردند حق سبحانه وتعالى ازين قصه خبر ميدهد والمعنى واذكر يا محمد وقت تزيين الشيطان اعمال كفار مكة فى معاداة المؤمنين وغيرها ودر حقائق سلمى فرموده كه قوة ايشانرا بنظر ايشان در آورد تا اعتماد بدان كردند (وقال لاغالب لكم اليوم من الناس) فانكم كثير وهم قليل قوله لكم خبر لاغالب اى لاغالب كائن لكم واليوم منصوب بما تعلق به الخبر ومن الناس حال من الضمير فيه والمراد من الناس المؤمنون (وانى جار لكم) اى مجيركم من بنى كنانة ومعين لكم فمعنى الجار المجير الحافظ الذى يدفع عن صاحبه انواع الضرر كما يدفع الجار عن جاره تقول العرب انا جار لك من فلان اى حافظ لك من مضرته فلا يصل اليك منه مكروه وقال فى القاموس الجار المجاور والذى اجرته من ان يظلم والمجير واجاره انقذه (فلما تراءت الفئتان) اى تلاقى الفريقان يوم بدر (قال الكاشفى) پس آن هنكام كه بديدند هر دو كروه لشكر يكديكر را (نكص على عقبيه) رجع القهقرى وهو اصل معنى النكوص لان الغالب فيمن يفر عن موضع القتال ان يرجع قهقرى لخوفه من جهة العدو وقوله على عقبيه حال مؤكدة لان رجوع القهقرى انما يكون على العقبين واين عبارتست از هزيمت كردن بمكر وحيله آورده اند كه چون روز بدر ملائكه فرود آمدند ابليس ايشانرا ديده روى بفرار نهاد در ان محل دست بر دست حارث ابن هشام بود حارث كفت اى سراقه درچنين حال ما را فرو ميكذارى ابليس دست برسينهٔ او زد (وقال انى برىء منكم) من بيزارم از شما (انى ارى ما لا ترون) من نزول الملائكة للامداد فقال الحارث وما نرى الاجعاشيش اهل يثرب والجعشوش الرجل القصير (انى اخاف الله) من ان يصيبنى بمكروه من الملائكة او يهلكنى على ان يكون الوقت هو الوقت المعلوم الذى انظر اليه (والله شديد العقاب) لمن يخاف منه وقد صدق الكذاب انه يخاف من شدة عذاب الله فان عقابه لو وقع عليه لتلاشى ولذلك كان يفر من ظل عمر رضى الله عنه وماسلك فجا الا وسلك الشيطان فجا آخر لئلا يقع عليه عكس نور ولاية عمر فيحرقه وقد علم الشيطان انه من المعذبين المعاقبين وانما خوفه من الله من شدة عقابه لانه يعلم انه لانهاية لشدة عقابه والله قادر على ان يعاقبه بعقوبة اشد من الاخرى وفيه اشارة الى ان خوفه من الله يدل على انه غير منقطع الرجاء منه كذا فى التأويلات النجمية نقلست كه منهزمان بدر بعد از رجوع بمكه سراقه را پيغام دادند كه لشكر ما را تو منهزم ساختى سراقه سوكند ياد كرد كه تا هزيمت شما نشنيدم از عزيمت شما وقوف نيافتم پس همه را معلوم شد كه آن شيطان بوده كه خودرا بر صورت سراقه نموده فان قيل كيف يجوز ان يتمكن ابليس من ان يخلع صورة نفسه ويلبس صورة سراقة ولو كان قادرا على ان يجعل نفسه فى مثل صورة انسان لكان قادرا على ان يجعل غيره انسانا قيل اذا صحت هذه الرواية فالجواب ان الله خلق ابليس فى صورة سراقة والله تعالى قادر على خلق انسان فى مثل صورة سراقة ابتداء فكان قادرا على ان يصور ابليس فى مثل صورة سراقة كما فى تفسير الحدادى وقال القاضى ابو يعلى ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال فى الصور وانما يجوز ان يعلمهم الله تعالى كلمات وضربا من ضروب الافعال اذا فعله او تكلم بها نقله الله تعالى من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل على معنى انه قادر على قول اذا قاله او فعل اذا فعله نقله الله تعالى من صورته الى صورة اخرى بجرى العادة واما ان يصور نفسه فذاك محال لان انتقالها من صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء واذا انتقضت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل بالجملة فكيف ينقل نفسها قال والقول فى تشكيل الملائكة مثل ذلك والذى روى ان ابليس تصور فى صورة سراقة بن مالك وان جبريل تمثل فى صورة دحية وقوله تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا محمول على ما ذكرنا وهو انه اقدره الله تعالى على قول قاله فنقله الله تعالى من صورته الى صورة اخرى كذا فى آكام المرجان ونظر فيه والهى الاسكوبى بان من قال تمثل جبريل

عليه السلام وتصور ابليس عليه ما يستحق ليس مراده انهما احدثا تلك الصورة والمثال من قدرتهما نفسهما بل باقدار الله لهما على التصور والتمثل كيف شاآ فلا منافاة بين القولين غاية ما فى الباب ان العمل من طريق ما اقدره الله به من الاسباب المخصوصة انتهى يقول الفقير ان الملائكة والشياطين من قبيل الارواح اللطيفة وللارواح التصور بانواع الصور كما ان للاجسام التلون بالوان الالبسة وكل ذلك باقدار الله تعالى فى الحقيقة لكن هذا المعنى صعب المسلك فلا يهتدى الى دركها الا الانبياء والاولياء المكاشفون عن حقيقة الامر والله اعلم ثم ان من عادة الشيطان ان يقحم من اطاعه ورطة الهلاك ثم يتبرأ منه حكى ان عابدا عبد الله فى صومعته دهرا طويلا فولدت لملكهم ابنة فانف الملك ان يمسها الرجال فاخرجها الى صومعته واسكنها معه كيلا يعرف احد مكانها ويستخطبها منه فكبرت الابنة فحضر ابليس على صورة شيخ وخدعه بها حتى واقعها الزاهد واحبلها فلما ظهر بها الحبل رجع اليه فقال له انك زاهد وانها لو ولدت يظهر زناك فتصير فضيحة فاقتلها قبل الولادة واعلم والدها انها قد ماتت فيصدقك فتنجو من العذاب والشين فقتلها الزاهد فجاء الشيطان الى الملك فى زى العلماء فاخبره بصنع الزاهد بابنته من الاحبال والقتل وقال ان اردت ان تعرف حقيقة ما اخبرتك فانبش قبرها وشق بطنها فان خرج منها ولد فهو مصداق مقالتى وان لم يخرج فاقتلنى ففعل الملك ذلك فاذا الامر كما قال فاخذ الزاهد واركبه الابل وحمله الى بلده فصلبه فجاءه الشيطان وهو مصلوب فقال له انك زنيت بامرى وقتلت نفسا بامرى فآمن بى انجك من عذاب الملك فادركته الشقاوة فآمن به فهرب الشيطان منه ووقف من بعيد فقال الزاهد نجنى فقال الشيطان انى اخاف الله رب العالمين فعلى العاقل الحذر من كيده (وفى المثنوى) آدمى را دشمن پنهان بسيست * آدمى با حذر عاقل كسيست واعلم ان الشيطان اذا ظفر بالسالك يغره بالقوة والكمال والبلوغ الى مرتبة الرجال وانه لا يضره التصرف فى الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعه فى نفى الرياء والعجب كما هو طريقة اهل الملامة قال بعض ارباب الحقيقة يجوز ان تظهر لنفسك ما يوجب نفى دعواها من مباح مستبشع او مكروه لم يمنع دواء لعلة العجب لا محرما متفقا عليه انتهى فليكن هذا على ذكر منك فان صوفية الزمان قد تجاوزوا الحلال الى الحرام وتركوا العهود بينهم وبين المشايخ الكرام ولم يعرفوا ان السلامة فى الاخذ بالكتاب وسنة النبى عليه السلام والتأدب بآداب وضعها الخواص من الانام لمن يطلب الدخول الى حرم اسرار الله الملك العلام (قال الحافظ) در راه عشق وسوسهٔ اهرمن بسيست * هش دار وكوش دل بپيام سروش كن (اذ) منصوب باذكر (يقول المنافقون) من اهل المدينة من الاوس والخزرج (والذين فى قلوبهم مرض) من قريش كانوا قد اسلموا ولم يهاجروا والعدم قوة اسلامهم ومنع اقربائهم اياهم من الهجرة فلما خرجت قريش الى بدر اخرجوهم معهم كرها ولما رأوا قلة عدد المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا لاهل مكة (غر هؤلاء) يعنون المؤمنين (دينهم) اذ خرجوا مع قلة عددهم وعددهم لحرب قريش مع كثرتهم وشوكتهم ولم يشكوا بل قطعوا بان قريشا تغلبهم لانهم زهاء الالف والمؤمنون ثلثمائة وبضعة عشر فقال الله تعالى جوابا لهم (ومن) هركه (يتوكل على الله) اى ومن يسلم امره الى الله تعالى ويثق به وبقضائه (فان الله عزيز) غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان قل (حكيم) يفعل بحكمته البالغة ما تستبعده العقول وتحار فى فهمه الباب الفحول روى ان الحجاج بن يوسف سمع ملبيا يلبى حول البيت رافعا صوته بالتلبية وكان اذ ذاك بمكة فقال على بالرجل فاتى به اليه فقال ممن الرجل قال من المسلمين فقال ليس عن الاسلام سألتك قال فعم سألت قال سألتك عن البلد قال من اهل اليمن قال كيف تركت محمد بن يوسف يعنى اخاه قال تركته عظيما جسيما لباسا ركابا خراجا ولاجا قال ليس عن هذا سألتك قال فعم سألت قال سألتك عن سيرته قال تركته ظلوما غشوما مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق فقال له الحجاج ما حملك على هذا الكلام وانت تعلم مكانه منى قال الرجل اترى مكانه منك اعز منى بمكانى من الله وانا وافد بيته وزائر نبيه وقاضى دينه ومتبع دينه فسكت الحجاج ولم يحر جوابا وانصرف الرجل من غير اذن فتعلق باستار الكعبة وقال اللهم بك اعوذ وبك الوذ اللهم فرجك القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة فانظر الى هذا الرجل كيف اظهر الحق ولم يخف من المخلوق خصوصا من الحجاج الذى كان اظلم خلق الله فى زمانه حتى كسر الاعراض وسفك الدماء وفعل ما فعل الى حيث يضيق نطاق البيان عنه فلما توكل على الله واستجار به نصره الله

وهو بانفراده على الحجاج وهو مع جمعه لان الصحيح السالم وهو المؤمن غالب على السقيم المبتلى وهو المنافق والحجاج كان من منافقى هذه الامة واعلم ان مرض القلوب على نوعين نوع منه الشك فى الايمان والدين وحقيته فذلك مرض قلوب الكفار والمنافقين والثانى ميلها بالدنيا وشهواتها وملاحظة الحظوظ النفسانية وهو مرض قلوب المسلمين والاشارة فيه ان المعالجة لما يكون فى قلوب الكفار والمنافقين بالايمان والتصديق واليقين وان ماتوافى مرضهم فهم من الهالكين ومعالجة مرض قلوب المسلمين بالتوبة والاستغفار والزهد والطاعة والورع والتقوى وان ماتوافى مرضهم فهم من اهل النجاة من النار بعد العذاب وشفاعة الانبياء وربما يؤدى مرضهم بترك المعالجة والاحتماء الى الهلاك وهو الكفر الاترى الى حال بعض المسلمين من اهل سكة لما تركوا العلاج وانقطعوا عن الطبيب وهو النبى عليه السلام وما احتموا عن الغذاء المخالف وهو قولهم غر هؤلاء دينهم هلكوا مع الهالكين ظاهرا وباطنا فعلى العاقل تحصيل حسن الحال قبل حلول الاجل وهو انما يكون بصحبة واصل الى الله عز وجل والله تعالى يجود على الخلق عامة فكيف على العقلاء والعشاق (قال الحافظ) عاشق كه شدكه يار بحالش نظر نكرد * اى خواجه درد نيست وليكن طبيب هست * وقال آخر مكو اصحاب دل رفتند وشهر عشق شد خالى * جهان پر شمس تبريز است ومردى كو چو مولانا اللهم وفقنا لما تحب وترضى وسهل علينا مداواة هذه القلوب المرضى (ولو ترى) يا محمد حال الكفرة اى لو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان (اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) اى حين تقبض اعوان ملك الموت ارواح الكفار يدر فالملائكة فاعل يتوفى (يضربون) اى حال كون الملائكة يضربون بمقامع من حديد كلما ضربوا التهب النار منها (وجوههم) اى ما اقبل من اعضائهم (وادبارهم) اى ما ادبر منها (وذوقوا) اى يضربون ويقولون ذوقوا بعد السيف فى الدنيا (عذاب الحريق) اى العذاب المحرق الذى هو مقدمة عذاب الاخرة فهو فعيل بمعنى مفعل يقال حرقه بالنار واحرقه وحرّقه فاحترق وتحرق وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن حدود البيان اى لرأيت امرا فظيعا لا يكاد يوصف (ذلك) المذكور من الضرب والعذاب واقع (بما قدمت ايديكم) اى بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى فاليد عبارة عن النفس الدراكة عبر عنها باسم اغلب آلاتها فى اكتساب الافعال (وان الله ليس بظلام للعبيد) محله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبلها اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم فلا يجازى اهل الايمان بجهنم وعذابها وانما يجازى اهل الكفر والنفاق والارتداد بظلمهم على انفسهم وسر التعبير عن نفى التعذيب بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا عند اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر فى سورة آل عمران فان قلت ظلام اخص من ظالم لانه للمبالغة المقتضية للتكثير ولا يلزم من نفى الاخص نفى الاعم قلت المراد بكثرة الظلم كثرته باعتبار كثرة متعلقه فان لفظ العبيد يدل على الكثرة فيكون ما اصابهم من الظلم كثيرا نظرا الى كثرتهم فالمنفى عن كل واحد منهم اصل الظلم فالمعنى انه تعالى لا يظلم احدا من عبيده وايضا انه اذا نفى الظلم الكثير انتفى القليل لان الذى يظلم انما يظلم للانتفاع بالظلم فاذا ترك كثيره مع زيادة نفعه فى حق من يجوز عليه النفع والضر كان لقليله مع قلة نفعه اترك وايضا ان الظلام للنسبة كما فى بزاز وعطار اى لا ينسب اليه ظلم البتة (كدأب ال فرعون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى عادة كفار قريش فى كفرهم وعنادهم كعادة ال فرعون المشهورين بقباحة الاعمال واصل الدأب فى اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب فى كذا اى يداوم عليه ويواظب ويتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يداوم على عادته وآل الرجل الذين يرجعون اليه بأوكد الاسباب ولهذا يقال لقرابة الرجل آل الرجل ولا يقال لاصحابه آله والمقصود هنا كدأب فرعون وآله اى اتباعه (والذين من قبلهم) اى من قبل آل فرعون كقوم نوح وثمود وعاد وغيرهم من اهل الكفر والعناد (كفروا بآيات الله) تفسير للدأب والآيات هى دلائل التوحيد المنصوبة فى الانفس والآفاق او معجزات الانبياء على الاطلاق (فأخذهم الله بذنوبهم) اى عاقبهم الله تعالى بسبب كفرهم وسائر معاصيهم (ان الله قوى شديد العقاب) لا يغلبه فى دفعه شئ (ذلك) اى ترتيب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك (بان الله) اى بسبب انه تعالى (لم يك) فى حد ذاته واصله يكن فحذفت النون تخفيفا لشبهها بحرف اللين من حيث كونها حرف غنة فكما يحذف

حرف اللين حال الجزم حذفت النون الساكنة ايضا للتخفيف لكثرة استعمال فعل الكون ولم يحذف فى نحو لم يصن ولم يخن لقلة استعمالهما بالنسبة الى لم يكن وكثرة الاستعمال تستدعى التخفيف (مغيرا نعمة انعمها) اى لم ينبغ له سبحانه ولم يصح فى حكمته ان يكون بحيث يغير نعمة انعم بها (على قوم) من الاقوام اى نعمة كانت جلت او هانت (حتى يغيروا ما بانفسهم) من الاعمال والاحوال التى كانوا عليها وقت ملابستهم للنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة الاصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبى عليه السلام بالبينات غيروها الى اسوء منها واسخط حيث كذبوه عليه السلام وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال وقال الحدادى اطعمهم الله من جوع وآمنهم من خوف وارسل اليهم رسولا منهم وانزل عليهم كتابا بالسنتهم ثم انهم غيروا هذه النعم ولم يشكروها ولم يعرفوها من الله فغير الله ما بهم واهلكهم وعاقبهم ببدر (وان الله سميع عليم) اى وبسبب ان الله تعالى يسمع ويعلم جميع ما يأتون ويذرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها (كدأب آل فرعون) تكرير للتأكيد (والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم) وعطف قوله تعالى (واغرقنا آل فرعون) على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبرائيل على الملائكة (وكل) من غرقى القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) انفسهم بالكفر والمعاصى حيث عرضوها للهلاك او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق والاشارة ان فرعون وقومه اختصوا بالاستغراق فى بحر الهلاك عن غيرهم لادعاء فرعون الربوبية واقرار قومه وتصديقهم اياه بها وهذا غاية فساد جوهر الروحانية باستيلاء الصفات النفسانية وكل من كفر بالله وكذب بآياته كانوا ظالمى انفسهم لافساد استعدادهم وان لم يبلغوا فى الظلم والكفر ما بلغ فرعون وقومه فعليك بمحافظة الاستعداد الفطرى واكثار الشكر عليه واياك وشؤم المعاملات السيئة المؤدية الى الافساد والاهلاك ولا يحملك العناد على مخالفة الحق وعدم قبوله فانه لا ينبغى لاخد خصوصا للسلاك * كسى را كه پندار در سر بود * مپندار هر كز كه حق بشنود * قال الامام الغزالى قدس سره ان النعمة انما تسلب عمن لا يعرف قدرها واقنع فى هذا الباب بمثال ملك يكرم عبد اله فيخلع عليه خاصة ثيابه ويقربه منه ويجعله فوق سائر حجابه وخدامه وامره بملازمة بابه ثم امر ان يبنى له فى موضع آخر القصور وقد وضع له الاسرة وتصب له الموائد وتزين له الجوارى ويقام له الغلمان حتى اذا رجع من الخدمة اجلس هنالك ملكا مخدوما مكرما وما بين حال خدمته الى ملكه وولايته الاساعة من نهار او اقل فان ابصر هذا العبد بجانب باب الملك سائسا للدواب يأكل رغيفا او كلبا يمضغ عظما فجعل يشتغل عن خدمة الملك بنظره اليه واقباله عليه ولا يلتفت الى ماله من الخلع والكرامة فيسعى الى ذلك السائس ويمديده ويسأله كسرة من رغيفه او يزاحم الكلب على العظم ويعظمهما ويعظم ما هما فيه أليس الملك اذا نظر اليه على مثل هذه الحالة يقول هذا السفيه لم يعرف حق كرامتنا ولم يقدر اعزازنا اياه بخلعنا والتقرب الى حضرتنا مع صرفنا اليه من عنايتنا وامر ناله من الذخائر وضروب الايادى ما هذا الا ساقط عظيم الجهل قليل التمييز اسلبوه الخلع واطردوه عن بابنا فهذا حال العالم اذا مال الى الدنيا والعابد اذا اتبع الهوى فعليك ايها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف نعم الله تعالى عليك واحذر من ان تكون النعمة نقمة والولاء بلاء والعز ذلا والاقبال ادبارا واليمين يسارا فان الله تعالى غيور (وفى المثنوى) هر كه شد مر شاه را او جامه وار * هست خسران بهر شاهش اتجار * هر كه با سلطان شود او همنشين * بر درش شستن بود حيف وغبين * دست بوسش چون رسيد از پادشاه * گر گزيند بوس پا باشد گناه * گرچه سر بر پا نهادن خدمتست * پيش آن خدمت خطا وزلتست * شاه را غيرت بود بر هر كه او * بر گزيند بعد از انكه ديداو * والمقصود ان من عرف الله وعرف قدر نعمته عليه ترك الالتفات الى الدنيا بل الى الكونين فان الله اجل من كل شئ وذكره افضل من كل ذكر وكلام وحكى ان سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه والطير تظله والدواب من الوحوش والانعام والجن والانس وسائر الحيوانات عن يمينه ويساره فربعابد من

عباد بنی اسرآئیل فقال والله یا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظیما فسمع ذلك سلیمان فقال لتسبیحة فی صحیفة مؤمن خیر مما اعطی ابن داود فان ما اعطی ابن داود یذهب والتسبیحة تبقى فهذا ارشاد عظیم لمن اراد الآخرة وسعى لها سعیها وتوجه الى الحضرة العلیا فارغا عن شواغل الدنیا (ان شر الدواب) ای شر ما یدب على الارض ویتحرك من الحیوانات (عند الله) ای فی حكمه وقضائه (الذین كفروا) ای اصروا على الكفر ورسخوا فیه (فهم لا یؤمنون) فلا یتوقع منهم ایمان لكونهم من اهل الطبع وجعلوا شر الدواب لا شر الناس ایماء الى انهم بمعزل عن مجانستهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك هم شر من جمیع افرادها كما قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل دریغ آدمی زادهٔ پرمحل * كه باشد چو انعام بل هم اضل (الذین عاهدت منهم) بدل من الموصول الاول بدل البعض للبیان او للتخصیص ای الذین اخذت منهم عهدهم فمن لابتداء الغایة (ثم ینقضون عهدهم) الذی اخذته منهم عطف على عاهدت (فی كل مرة) من مرات المعاهدة (وهم لا یتقون) ای یستمرون على النقض والحال انهم لا یتقون سبة الغدر ولا یبالون فیه من العار والنار وهم یهود قریظة عاهدهم رسول الله صلى الله علیه وسلم على ان لا یعینوا علیه عدوا فنقضوا العهد واعانوا اهل مكة یوم بدر بالسلاح ثم قالوا نسینا واخطأنا ثم عاهدهم مرة اخرى فنكثوا ومالأوهم علیه یوم الخندق ای ساعدوا وعاونوا وذلك انهم لما رأوا غلبة المسلمین على المشركین یوم بدر قالوا انه هو النبی الموعود بعثه فی آخر الزمان فلا جرم یتم امره ولا یقدر احد على محاربته ثم انهم لما رأوا یوم احد ما وقع من نوع ضعف المسلمین شكوا وقد كان احترق كبدهم بنار الحسد من ظهور دینه وقوة امره فركب كعب بن اسد سید بنی قریظة مع اصحابه الى مكة ووافقوا المشركین على حرب رسول الله صلى الله علیه وسلم فادى ذلك الى غزوة الخندق وفیه ذم بطریق الاشارة للذین عاهدوا الله على ترك المعاصی والمنكرات ثم نقضوا العهد مرة بعد اخرى نه مارا در میان عهد وفا بودی * جفا كردی وبدعهدی نمودی * هنوزت ار صلحست بازآی * كزان محبوبتر باشی كه بودی (فاما تثقفنهم) ثقفه كسمعه صادفه او اخذه او ظفر به او ادركه كما فی القاموس واما مركبة من ان للشرط وما للتأكید ای فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن بهم (فی الحرب) ای فی تضاعیفها (فشرد) فرق قال الكاشفی پس پراكنده كردان ومتفرق ساز (بهم) ای بسبب قتلهم (من خلفهم) مفعول شرد ای من وراءهم من الكفرة من اعدائك والتشرید الطرد وتفریق الشمل وتبدید الجمع یعنی ان صادفت هؤلاء الناقضین فی الحرب افعل بهم واوقع فیهم من النكایة والقهر ما یضطرب به ویخاف منك امثالهم بحیث یذهب عنهم بالكلیة ما یخطر ببالهم من مناصبتك ای معاداتك ومحاربتك (لعلهم یذكرون) ای لعل المشردین وهم من خلفهم یتعظون بما شاهدوا مما نزل بالمنافقین فیرتدعون عن النقض او عن الكفر نرود مرغ سوی دانه فراز * چون دگر مرغ بیند اندر بند * پند گیر از مصائب دگران * تا نگیرند دیگران ز تو پند (واما تخافن) تعلمن فالخوف مستعار للعلم (من قوم) من المعاهدین (خیانة) نقض عهد فیما سیأتی بما لاح لك منهم من علامات الغدر (فانبذ الیهم) ای فاطرح الیهم عهدهم حال كونك (على سوآء) ای ثابتا على طریق سوی فی العداوة بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت ما بینك وبینهم من الوصلة فلا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كیلا یكون من قبلك شائبة خیانة اصلا فالجار متعلق بمحذوف وهو حال من النابذ او على استوآء فی العلم بنقض العهد بحیث یستوی فیه اقصاهم وادناهم فهو حال من المنبوذ الیهم او تستوی فیه انت وهم فهو حال من الجانبین (ان الله لا یحب الخائنین) تعلیل للامر بالنبذ على طریقة الاستئناف كانه قیل لم امرتنا بذلك ونهیتنا عن المحاربة قبل نبذ العهد فاجیب بذلك ویحتمل ان یكون طعنا على الخائنین الذین عاهدهم الرسول علیه السلام كانه قیل واما تعلمن من قوم خیانة فانبذ الیهم ثم قاتلهم ان الله لا یحب الخائنین وهم من جملتهم لما علمت حالهم واعلم ان النبذ انما یجب على الامام اذا ظهرت خیانة المعاهدین بامارات ظنیة واما اذا ظهر انهم نقضوا العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة الى نبذ العهد كما فعل رسول الله صلى الله علیه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم فی ذمة النبی علیه السلام ولما امر الله بنبذ العهد والتصریح به قبل المحاربة خطر بالبال ان یقال كیف نوقظ العدو ونعلمهم بطرح العهد الیهم قبل المحاربة مع انهم ان علموا ذلك اما ان یتأهبوا للقتال ویستجمعوا اقصى ما یمكن لهم من اسباب التقوی والغلبة او یفروا ویتخلصوا على

التقدیرین یفوت المقصود وهو الانتقام منهم اما یكفی لصحة المحاربة معهم بغیر نبذ العهد الیهم واعلامهم به ظهور امارات الخیانة منهم فازاح الله تعالى هذا المحذور بقوله (ولا یحسبن) ای لا یظن (الذین كفروا) وهو فاعل والمفعول الاول محذوف ای انفسهم حذف هربا من تكرار ذكرهم (سبقوا) مفعول ثان ای فاتوا وافلتوا من ان یظفر بهم ویدخل فیه من لم یظفر به یوم بدر وغیره من معارك القتال من الذین آذوه علیه السلام وبالغوا فی عصیانه (انهم لا یعجزون) تعلیل للنهی على سبیل الاستئناف المبنی على تقدیر السؤال ای لا یفوتون ولا یجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم على ان همزة اعجز لوجود المفعول على فاعلیة اصل الفعل وهو العجز كما تقول ابخلته اذا وجدته بخیلا یقال اعجزه الشیء اذا فاته واعجزت الرجل اذا وجدته عاجزا وفی الآیة تهدید للنفوس التی اجترأت على المعاصی وهی فی الحقیقة مجترئة على الله تعالى وعن السری السقطی رضی الله عنه قال كنت یوما اتكلم بجامع المدینة فوقف على شاب حسن الشباب فاخر الثیاب ومعه اصحابه فسمعنی اقول فی وعظی عجبا للضعیف یعصی قویا فتغیر لونه وانصرف فلما كان الغد جلست فی مجلسی واذا به قد اقبل فسلم وصلى ركعتین وقال یا سری سمعتك بالامس تقول عجبا للضعیف كیف یعصی قویا فما معناه قلت لا اقوى من الله ولا اضعف من العبد وهو یعصیه گرچه شاطر بود خروس بجنگ * چه زند پیش بازروئین چنگ * فنهض وخرج ثم اقبل من الغد وعلیه ثوبان ابیضان ولیس معه احد فقال یا سری كیف الطریق الى الله فقلت ان اردت العبادة فعلیك بصیام النهار وقیام اللیل وان اردت الله فاترك كل شیء سواه تصل الیه ولیس الا المساجد والخراب والمقابر فقام وهو یقول والله لا سلكت الا اصعب الطرق وولى خارجا فلما كان بعد ایام اقبل الی غلمان كثیرة فقالوا ما فعل احمد بن یزید الكاتب فقلت لا اعرف الا رجلا جاءنی من صفته كذا وكذا وجرى لی معه كذا وكذا ولا اعلم حاله فقالوا بالله علیك متى عرفت حاله فعرفنا ودلنا على داره فبقیت سنة لا اعرف حاله ولا اعرف له خبرا فبینا انا ذات لیلة بعد العشاء الاخیرة جالس فی بیتی اذا بطارق یطرق الباب فاذنت له فی الدخول فاذا بالفتى علیه قطعة من كساء فی وسطه واخرى على عاتقه ومعه زنبیل فیه نوى فقبل بین عینی وقال یا سری اعتقك الله من النار كما اعتقتنی من رق الدنیا فاومأت الى صاحبی ان امض الى اهله فاخبرهم فمضى فاذا زوجته قد جاءت ومعها ولده وغلمانه فدخلت والقت الولد فی حجره وعلیه حلی وحلل وقالت له یا سیدی ارملتنی وانت حی وایتمت ولدك وانت حی قال السری فنظر الی فقال یا سری ما هذا وفاء ثم اقبل علیها وقال والله انك لثمرة فؤادی وحبیبة قلبی وان هذا ولدی لاعز الخلق علی غیر ان هذا السری اخبرنی ان من اراد الله قطع كل ما سواه ثم نزع ما على الصبی وقال ضع هذا فی الاكباد الجائعة والاجساد العاریة وقطع قطعة من كسائه فلف فیها الصبی فقالت المرأة لا ارى ولدی فی هذه الحالة وانتزعته منه فحین رآها قد اشتغلت به نهض وقال ضیعتم علی لیلتی بینی وبینكم الله وولى خارجا وضجت الدار بالبكاء فقالت ان عاد یا سری وسمعت له خبرا فاعلمنی فقلت ان شاء الله فلما كان بعد ایام اتتنی عجوز فقالت یا سری بالشونیزیة غلام یسألك الحضور فمضیت فاذا به مطروح تحت رأسه لبنة فسلمت علیه ففتح عینیه وقال یا سری ترى یغفر تلك الجنایات فقلت نعم قال یغفر لمثلی قلت نعم قال انا غریق قلت هو منجی الغرقى قال علی مظالم فقلت فی الخبر انه یؤتى بالتائب یوم القیامة ومعه خصومه فیقال لهم خلوا عنه فان الله تعالى یعوضكم فقال یا سری معی دراهم من لقط النوى اذا انا مت فاشتر ما احتاج الیه وكفنی ولا تعلم اهلی لئلا یغیروا كفنی بحرام فجلست عنده قلیلا ففتح عینیه وقال لمثل هذا فلیعمل العاملون ثم مات فاخذت الدراهم فاشتریت ما یحتاج الیه ثم سرت نحوه فاذا الناس یهرعون فقلت ما الخبر فقیل مات ولی من اولیاء الله نرید ان نصلی علیه فجئت فغسلته ودفناه فلما كان بعد مدة وفد اهله یستعلمون خبره فاخبرتهم بموته فاقبلت امرأته باكیة فاخبرتها بحاله فسألتنی ان اریها قبره قلت اخاف ان تغیروا اكفانه قالت لا والله فاریتها القبر فبكت وامرت باحضار شاهدین فاحضرا فاعتقت جواریها ووقفت عقارها وتصدقت بمالها ولزمت قبره حتى ماتت رحمة الله علیهما فدای دوست نكردیم عمر ومال دریغ * كه كار عشق ز ما این قدر نمی آید (واعدوا) وآماده سازید ای مؤمنان (لهم) ای لقتال الكفار وهیئوا الحرابهم (ما استطعتم) ای ما استطعتموه حال كونه (من قوة) من كل ما یتقوى به فی الحرب كائنا ما كان من خیل وسلاح وقسی وغیرها والحصر المستفاد من تعریف الطرفین فی قوله علیه السلام الا ان القوة الرمی من قبیل حصر الكمال لان الرمی اكمل افراد

مايتقوى به فى الحرب روى ان سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه رمى يوم احد الف سهم ما منها سهم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال فداك ابى وامى يا سعد كره بعض العلماء تفدية المسلم بابويه المسلمين قالوا انما فداه عليه السلام بابويه لانهما كانا كافرين قال النووى الصحيح انه جائز مطلقا لانه ليس فيه حقيقة الفداء وانما هو تلطف فى الكلام واعلام بمحبته وفى الحديث فضيلة الرمى والدعاء لمن فعل خيرا وجاء فى الحديث ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه الذى يحتسب فى صنعته الخير والمهدى له والرامى به وفى الحديث من شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة ومن رمى بسهم فى سبيل الله فبلغ العدو اولم يبلغ كان له كعتق رقبة مؤمنة كانت له فداء من النار عضوا بعضو وفى الحديث من مشى بين الغرضين كان له بكل خطوة حسنة والغرض بفتح الغين المعجمة والراء بعدهما الضاد المعجمة هو ما يقصده الرماة بالاصابة وفى الحديث كل شئ ليس من ذكر الله تعالى فهو لهو الا اربع خصال مشى الرجل بين الغرضين وتأديب فرسه وملاعبة اهله وتعليم السباحة رمى برسه كونه است رمى ظاهر به تير وكمان ورمى باطن به تير آه درصبحكاه از كمان خضوع ورمى سهام حظوظ از دل وتوجه بحق وفراغت از ماسوى (قال الحافظ) نيست برلوح دلم جز الف قامت دوست * چه كنم حرف دكر ياد نداد استادم * واعلم ان صاحب المجاهدة الباطنة يتقوى على قتال النفس وهواها بذكر الله تعالى فهو القوة فى حقه (ومن رباط الخيل) فعال بمعنى مفعول كلباس بمعنى ملبوس فرباط الخيل بمعنى خيل مربوطة كما قيل جرد قطيفة بمعنى قطيفة جرد اضيف العام الى الخاص للبيان اوالتخصيص كخاتم فضة وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ويقال ان الجن لا تدخل بيتا فيه فرس ولا سلاح وفى الحديث من نقى شعيرا لفرسه ثم جاءه به حتى يعلقه كتب الله له بكل شعيرة حسنة والفرس يرى المنامات كبنى آدم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الفرس يقول اذا التقت الفئتان سبوح قدوس رب الملائكة والروح ولذلك كان لهم فى الغنيمة سهمان وفى الحديث عليكم باناث الخيل فان ظهورها حرز وبطونها كنز وفى الحديث من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا به وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات قال موسى للخضر اى الدواب احب اليك قال الفرس والحمار والبعير لان الفرس مركب اولى العزم من الرسل والبعير مركب هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام والحمار مركب عيسى وعزير عليهما السلام وكيف لا احب شيأ احياه الله تعالى بعد موته قبل الحشر واعلم ان الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهو ما اتخذ فى سبيل الله وقتل عليه اعداء الله وفرس للانسان وهو ما يلتمس بطنه وهو ستر من الفقر وفرس للشيطان وهو ما يقامر عليه ويراهن (ترهبون به) حال من فاعل اعدوا اى حال كونكم مرهبين مخوفين بالاعداد (عدو الله وعدوكم) وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد فى العداوة وفيه اشارة الى ان المجاهد الباطنى يرهب بالذكر والمراقبة اعدى العدو وهو النفس والشيطان (وآخرين من دونهم) اى ترهبون به ايضا عدوا آخرين من غيرهم من الكفرة كاليهود والمنافقين والفرس ومنهم كفار الجن فان صهيل الفرس يخوفهم (لا تعلمونهم) العلم بمعنى المعرفة لتعديته الى مفعول واحد ومتعلق المعرفة هو الذات اى لا تعرفونهم باعيانهم ولو كان النسب كالعلم لكان المعنى لا تعرفونهم من حيث كونهم اعداء (الله يعلمهم) اى يعرفهم لا غيره تعالى فان قلت المعرفة تستدعى سبق الجهل فلا يجوز اسنادها الى الله تعالى قلت المراد بالمعرفة فى حقه تعالى مجرد تعلق علمه بالذوات دون النسب مع قطع النظر عن كونها مجهولة قبل تعلقه بها ودلت الآية على ان الانسان لا يعرف كل عدو له آدمى را دشمن پنهان بسيست * آدمى باحذر عاقل كسيست (وما) شرطية (تنفقوا من شئ) لاعداد العتاد قل اوجل (فى سبيل الله) الذى اوضحه الجهاد (يوف اليكم) اى يجزاؤه كاملا (وانتم لا تظلمون) بترك الاثابة اوبنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه تعالى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بفرس يجعل كل خطوة منه اقصى بصره فسار وسار معه جبريل عليه السلام فاتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصد واعاد كما كان فقال يا جبريل

من

من هؤلاء قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما انفقوا من شئ فهو يخلفه وفى الحديث من اعان مجاهدا فى سبيل الله اوغارما فى عسرته اومكاتبا فى رقبته اظله الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله (قال الحافظ) احوال كنج قارون كايام داد بر باد * با غنچه باز كوييد تا زر نهان ندارد (وقال ايضا) چه دوزخى چه بهشتى چه آدمى چه ملك * بمذهب همه كفر طريقتست امساك (وان جنحوا) الجنوح الميل ومنه الجناح لان الطائر يميل به الى اى جهة شاء ويعدى باللام والى اى مال الكفار (للسلم) للصلح والاستسلام بوقوع الرهبة فى قلوبهم بمشاهدة ما لكم من الاستعداد واعتاد العتاد (فاجنح لها) اى للسلم والتأنيث لحمله على نقيضه الذى هو الحرب وهى مؤنثة اولكونه بمعنى المسالمة اى المصالحة (وتوكل على الله) اى لا تخف من ابطانهم مكرهم فى الصلح فان الله يعصمك (انه هو السميع) فيسمع ما يقولون فى خلواتهم من مقالات الخداع (العليم) فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم فى نحرهم والآية عامة لاهل الكتاب وغيرهم والامر فى قوله فاجنح للاباحة والامر فيه مفوض لرأى الامام وليس يجب عليه ان يقاتلهم ابدا ولا ان يسعفهم الى الصلح عند طلبهم ذلك ابدا بل يبنى الامر على ما فيه صلاح المسلمين فاذا كان للمسلمين قوة ينبغى ان يصالحهم وينبغى ان يحاربهم حتى يسلموا اويعطوا الجزية وان رأى المصلحة فى المصالحة ومال اليها لا يجوز ان يصالحهم سنة كاملة الا اذا كانت القوة والغلبة للمشركين فحينئذ جاز له ان يصالحهم عشر سنين ولا تجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام فعل كذلك ثم انهم نقضوا العهد قبل تمام المدة وكان ذلك سببا لفتح مكة (وان يريدوا) اى الذين يطلبون منك الصلح (ان يخدعوك) باظهار الصلح لتكف عنهم (فان حسبك الله) فان محسبك الله وكافيك من شرورهم وناصرك عليهم يقال احسبنى فلان اى اعطانى حتى اقول حسبى (هو الذى ايدك بنصره) اى قواك بامداد من عنده بلا واسطة سبب معلوم مشاهد (وبالمؤمنين) من المهاجرين والانصار ثم انه تعالى بين كيف ايده بالمؤمنين فقال (والف بين قلوبهم) وپيوند افكند بدوستى ميان دلهاى ايشان مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان وكان اذا لطم رجل من قبيلة لطمة قاتل عنه قبيلته حتى يدركوا ثاره فكان دأبهم الخصومة الدائمة والمحاربة لا تتوقع بينهم الالفة والاتفاق ابدا فصاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة هذا من ابهر معجزاته عليه السلام (قال الكاشفى) اوس وخزرج صد وبيست سال درميان ايشان تعصب وستيزه بود همواره بقتل وغارت هم اشتغال مى نمودند حق تعالى ببركت تو دلهاى ايشانرا الفت داد * يك حرف صوفيانه بكويم اجازتست * اى نور ديده صلح به از جنك آورى (لو انفقت ما فى الارض جميعا) اى لتأليف ما بينهم (ما الفت بين قلوبهم) اى تناهت عداوتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم جميع ما فى الارض من الاموال والذخائر لم يقدر على التأليف والاصلاح (ولكن الله الف بينهم) قلبا وقالبا بقدرته الباهرة فانه المالك للقلوب فيقلبها كيف يشاء (انه عزيز) كامل القدرة والغلبة لا يستعصى عليه شئ مما يريده (حكيم) يعلم كيفية تسخير ما يريده واعلم ان التودد والتألف والموافقة مع الاخوان من ائتلاف الارواح وفى الحديث المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وفى الحديث مثل المؤمنين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وما التقى المؤمنان الا استفاد احدهما من صاحبه خيرا وقال ابو ادريس الخولانى لمعاذ انى احبك فى الله فقال ابشر ثم ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال المتحابون فى الله قيل لو تحاب الناس وتعاطوا المحبة لاستغنوا بها عن العدالة فالعدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة وقيل طاعة المحبة افضل من طاعة الرهبة فان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية مؤثرة من البعض فى البعض لانهم لما تحابوا فى الله تواصوا بمحاسن الاخلاق ووقع القبول لوجود المحبة فانتفع لذلك المريد بالشيخ والاخ بالاخ ولهذا المعنى امر الله تعالى باجتماع الناس فى كل يوم خمس مرات فى المساجد اهل كل درب وكل محلة وفى الجامع فى الاسبوع مرة اهل كل بلد وانضمام اهل السواد الى البلدان فى الاعياد فى جميع

السنة مرتين واهل الاقطار من البلد ان فى العمر مرة للحج كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الالفة والمودة بين المؤمنين وفى الحديث الان مثل المؤمنين فى توادهم وتحابهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمى (قال السعدى) بنى آدم اعضاى يكديكرند * كه در آفرينش زيك جوهرند * چو عضوى بدرد آورد روزكار * دكر عضوها را نماند قرار * والتألف والتودد يؤكد الصحبة والصحبة مع الاخيار مؤثرة جدا بل مجرد النظر الى اهل الصلاح يؤثر صلاحا والنظر فى الصور يؤثر اخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه كدوام النظر الى المحزون يحزن ودوام النظر الى المسرور يسر وقد قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة لها تأثير فى الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف والزروع تنقى من انواع العروق فى الارض والنبات لموضع الافساد بالمقارنة واذا كانت المقارنة مؤثرة فى هذه الاشياء ففى الصور الشريفة البشرية اكثر تأثيرا وقيل سمى الانسان انسانا لانه يأنس بما يراه من خير او شر والتألف والتودد مستجلبان للمزيد وانما العزلة والوحدة تحمد بالنسبة الى اراذل الناس واهل الشر فاما اهل العلم والصفاء والوفاء والاخلاق الحميدة فتغتنم مقارنتهم والاستئناس بهم استئناس بالله تعالى كمحبتهم من محبة الله تعالى والجامع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع فالصوفى مع غير الجنس كائن بائن ومع الجنس كائن معاين والمؤمن مرءاة المؤمن اذا التقى مع اخيه يستكشف من وراء اقواله واعماله واحواله تجليات الهية وتعريفات وتلويحات من الله الكريم خفية غابت عن الاغيار وادركها اهل الانوار كذا فى عوارف المعارف يقول الفقير اصلحه الله القدير سمعت من بعض العلماء المتورعين والمشايخ المتزهدين ممن له زوجتان متباغضتان انه قال قرأت هذه الآية وهى قوله تعالى هو الذى ايدك الى آخرها على ماء فى كوز ونفخت فيه ثم اشربته اياهما فوقع التودد والالفة بينهما باذن الله تعالى وزال التباغض والتنافر الى الآن (يا ايها النبى) المخبر عن الله تعالى المرتفع شأنه (حسبك الله) اى كافيك فى جميع امورك (ومن اتبعك من المؤمنين) الواو بمعنى مع اى كفاك وكفى اتباعك ناصرا كقولك حسبك وزيدا درهم او عطف على اسم الله تعالى اى كفاك الله والمؤمنون والكافى الحقيقى هو الله تعالى واسناد الكفاية الى المؤمنين لكونهم اسبابا ظاهرة لكفاية الله تعالى والآية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر قبل القتال تقوية للحضرة النبوية وتسلية للصحابة رضى الله عنهم فالمراد بالمؤمنين الانصار وقال ابن عباس رضى الله عنه نزلت فى اسلام عمر رضى الله عنه فتكون الآية مكية كتبت فى سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم روى انه اسلم مع النبى عليه السلام ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضى الله عنه فكمل الله الاربعين باسلامه فنزلت وكان صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم اعز الاسلام وفى رواية ايد الاسلام باحد الرجلين اما بابى جهل بن هشام واما بعمر بن الخطاب وكان دعاؤه بذلك يوم الاربعاء فاسلم عمر رضى الله عنه يوم الخميس وكان وقتئذ ابن ست وعشرين سنة وسبقه حمزة بن عبد المطلب بالاسلام بثلاثة ايام او بثلاثة اشهر وروى انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون قام ابو جهل بن هشام وكان يكنى فى الجاهلية بابى الحكم لانهم يزعمون انه عالم ذو حكمة ثم كناه النبى عليه السلام بابى جهل وغلبت عليه كنيته وكان خال عمر لان ام عمر اخت ابى جهل لان ام عمر بنت هشام بن المغيرة والد ابى جهل فابو جهل خال عمر او لان ام عمر بنت عم ابى جهل وعصبة الام اخوال الابن فلما قام خطب فقال يا معشر قريش ان محمدا قد شتم آلهتكم وسفه احلامكم وزعم انكم واباءكم والهتكم فى النار فهل من رجل يقتل محمدا وله على مائة ناقة حمراء وسوداء والف اوقية من فضة فقام عمر بن الخطاب وقال اتضمن ذلك يا ابا الحكم فقال نعم يا عمر فاخذ عمر بيد ابى جهل ودخلا الكعبة وكان عندها صنم عظيم يسمونه هبل فتحالفا عنده واشهدا على انفسهما هبل فانهم كانوا اذا ارادوا امرا من سفر او حرب او سلم او نكاح لم يفعلوا شيأ حتى يستأمروا هبل ويشهدوه عليهم وتلك الاصنام التى كانت له حوله وكانت الف صنم وخمسمائة صنم ثم خرج عمر متقلدا سيفه متنكبا كنانته اى واضعا لها فى منكبه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبى عليه السلام مختفيا مع المؤمنين فى دار الارقم رضى الله عنه تحت الصفا يعبدون الله تعالى فيها ويقرؤن القرءآن فلما اتى الى البيت الذى هم فيه قرع الباب فنظر اليه رجل من خلال الباب فرأه متوشحا سيفه فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال

يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا سيفه ولم يرد الا سفك الدم وهتك العرض فقال حمزة فأذن له فان جاء يريد خيرا بذلناه له وان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه فاذن له فى الدخول فلما رآه النبى عليه السلام قال ما انت منتهى يا عمر حتى ينزل الله بك قارعة ثم اخذ بساعده او بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وانتهره فارتعد عمر هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس فقال اعرض على الاسلام الذى تدعو اليه فقال النبى عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرف مكة وضرب النبى عليه السلام صدر عمر بيده حين اسلم ثلاث مرات وهو يقول اللهم اخرج ما فى صدر عمر من غل وابدله ايمانا ونزل جبرائيل عليه السلام فقال يا محمد لقد استبشر اهل السماء باسلام عمر ولما اسلم قال المشركون لقد انتصف القوم منا وقيل له رضى الله عنه ما تسمية النبى عليه السلام لك بالفاروق قال لما اسلمت والنبى عليه السلام واصحابه مختفون قلت يا رسول الله السنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى فقلت ففيم الاختفاء والذى بعثك بالحق ما يبقى مجلس كنت اجلس فيه بالكفر الا ظهرت فيه الاسلام غير هائب ولا خائف والله لا نعبد الله سرا بعد اليوم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون وعمر رضى الله عنه امامهم معه سيف ينادى لا اله الا الله محمد رسول الله حتى دخل المسجد ثم صاح مسمعا لقريش كل من تحرك منكم لامكنن سيفى منه ثم تقدم امام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف والمسلمون ثم صلوا حول الكعبة وقرؤا القرءآن جهرا وكانوا قبل ذلك لا يقدرون على الصلاة عند الكعبة ولا يجهرون بالقرءآن فسماه النبى عليه السلام الفاروق لانه فرق الله به الحق والباطل وجاء بسند حسن ان اول من جهر بالاسلام عمر بن الخطاب وكان عمر شديدا من حيث مظهريته للاسم الحق وجاء ما ترك الحق لعمر من صديق

لما لزمت النصح والتحقيقا * لم يترك الى فى الوجود صديقا

قال اسماعيل بن حماد بن ابى حنيفة كان لنا جار طحان رافضى ملعون وكان له بغلان سمى احدهما ابا بكر والآخر عمر فرمحه ذات ليلة احد البغلين فقتله فاخبر جدى ابو حنيفة فقال انظروا فانى اخال ان البغل الذى اسمه عمر هو الذى رمحه فنظروا فكان كما قال واستأذن عمر رضى الله عنه فى العمرة فاذن له عليه السلام وقال يا اخى لا تنسنا من دعائك قال ما احب ان لى بقوله يا اخى ما طلعت عليه الشمس وجاء اول من يصافحه الحق عز وجل عمر بن الخطاب واول من يسلم عليه وجاء لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب وجاء ان الله تعالى ايدنى باربعة وزراء اثنين من اهل السماء جبرائيل وميكائيل عليهما السلام واثنين من اهل الارض ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فكانا بمنزلة الوزيرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يشاورهما فى الامور كلها وفيهما نزل وشاورهم فى الامر وجاء انه كان فيما مضى قبلكم من الامم محدثون المحدث بفتح الدال المشددة هو الذى يلقى فى نفسه الشئ فيخبر به فراسة ويكون كما قال وكانه حدثه الملأ الاعلى وهذه منزلة جليلة من منازل الاولياء فانه ان كان فى امتى هذه فهو عمر بن الخطاب لم يرد النبى عليه السلام بقوله ان كان فى امتى التردد فى ذلك فان امته افضل الامم فاذا وجد فى غيرها محدثون ففيها اولى بل اراد به التأكيد لفضل عمر كما يقال ان يكن لى صديق فهو فلان يريد بذلك اختصاصه بكمال الصداقة لا نفى سائر الاصدقاء وقد قيل فى فضيلة عمر

له فضائل لا تخفى على احد * الا على احد لا يعرف القمرا

وجاء انه يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك والفج طريق واسع وفيه دليل على علو درجة عمر رضى الله عنه حيث لا يقدر الشيطان ان يسلك طريقا فيه عمر والطريق واسع وكيف يتصور ان يجرى منه مجرى الدم كما يجرى فى سائر الخلق وفيه تنبيه على صلابته فى الدين واستمرار حاله على الحق المحض وكان نقش خاتم ابى بكر نعم القادر الله وكان نقش خاتم عمر كفى بالموت واعظا يا عمر وكان نقش خاتم عثمان آمنت بالله مخلصا وكان نقش خاتم على رضى الله عنه الملك لله وكان نقش خاتم عبيدة بن الجراح الحمد لله هذا هو النقش الظاهر المضاف الى البدن واما نقش الوجود نفسه (فقد قيل) كرت صورت حال بد يا نكوست * نكاريدهٔ دست تقدير اوست (وقيل) نقش مستورى ومستى نه بدست من وتست * آنچه سلطان ازل كفت بكن آن كردم * نسأل الله تعالى ان يحفظ نقش ايماننا فى لوح القلب من مس

يد الشك والريب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب واجعلنا من اهل
الايقان الذين قلت فيهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان فما نقشه قبضة جلالك لا يطرأ عليه محو من جلالك
وان تطاول الزمان وامتد عمر الانسان (يا ايها النبى) يا رفيع القدر (حرض المؤمنين على القتال) اى بالغ
فى حثهم على قتال الكفار ورغبهم فيه بوعد الثواب او التنفيل عليه والتحريض على الشئ ان يحث الانسان غيره
ويحمله على شئ حتى يعلم منه انه ان تخلف عنه كان حارضا اى قريبا من الهلاك فتكون الآية اشارة الى ان
المؤمنين لو تخلفوا عن القتال بعد حث النبى عليه السلام اياهم على القتال لكانوا حارضين مشرفين على الهلاك
والحث انما يكون بعد الاقدام بنفسه ليقتدى القوم به ولهذا كان النبى عليه السلام اذا اشتد الحرب اقرب الى
العدو منهم كما قال على رضى الله عنه كنا اذا احمر البأس واتقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فما يكون احد اقرب الى العدو منه قال السلطان سليم فاتح مصر گر لشكر عدو بود از قاف تا بقاف * بالله
كه هيچ روى غم نتابم از مصاف * چون آفتاب ظلمت كفر از جهان برم * كاهى چو صبح تيغ برون آرم
از غلاف * وفى الآية بيان فضيلة الجهاد والا لما وقع الترغيب عليه وفى الحديث ما جميع اعمال العباد عند
المجاهدين فى سبيل الله الا كمثل خطاف اخذ بمنقاره من ماء البحر (ان يكن منكم) ايها المؤمنون (عشرون
صابرون) فى معارك القتال (يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا) بيان للالف وهذا
القيد معتبر فى المائتين ايضا كما ان قيد الصبر معتبر فى كل من المقامين (بانهم قوم لا يفقهون) متعلق بيغلبوا اى
بسبب انهم قوم جهلة بالله وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لامر الله واعلاء لكلمته وابتغاء
لمرضاته وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع الشهوات وخطوات الشيطان واثارة ثائرة البغى والعدوان
فيستحقون القهر والخذلان وهذا القول وعد كريم منه تعالى متضمن لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته
لهم وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة فى ثلاثين راكبا فلقى ابا جهل فى ثلاثمائة راكب فهزمهم فثقل
عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ الله هذا الحكم بقوله (الآن خفف الله عنكم) ففرض على الواحد
ان يثبت لرجلين قال ابن عباس رضى الله عنهما من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر اى ارتكب المحرم
وهو كبيرة الفرار من الزحف قال الحدادى وهذا اذا كان للواحد المسلم من السلاح والقوة ما لكل واحد من
الرجلين الكافرين كان فارا واما اذا لم يكن لم يثبت حكم الفرار (وعلم ان فيكم ضعفا) اى ضعف البدن قال
التفتازانى تقييد التخفيف بقوله الآن ظاهر الاستقامة لكن فى تقييد العلم به اشكال لتوهم انتفاء العلم بالحادث
قبل وقوعه والجواب ان العلم متعلق به ابدا اما قبل الوقوع فبانه سيقع وحال الوقوع بانه يقع وبعد الوقوع بانه وقع
وقال الحدادى وعلم فى الازل ان فى الواحد منكم ضعفا عن قتال العشرة والمائة عن قتال الالف (فان يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله) بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق
ايضا ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا (والله مع الصابرين) بالنصر والتأييد فكيف لا يغلبون وما يشعر به كلمة
مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر دلت الآية على ان من صبر ظفر فان الصبر
مطية الظفر صبر وظفر هر دو دوستان قديمند صبر كن اى دل كه بعد از ان ظفر آيد از چمن صبر رخ متاب كه روزى
باغ شود سبز وشاخ گل ببر آيد قال السلطان سليم الاول * سليمى خصم سينه دل چه داند اين حالت * كه از ظهور
الهيست فتح لشكر ما * قال فى التأويلات النجمية فى قوله تعالى باذن الله يعنى الغلبة والظفر ليس من قوتكم
لانكم ضعفاء وانما هو بحكم الله الازلى ونصره واما الاقوياء وهم محمد عليه الصلاة والسلام والذين معه اشداء
على الكفار لقوة توكلهم ويقينهم وفقه قلوبهم لا يفر واحد منهم من مائة من العدو كما كان حال النبى عليه السلام
ومن معه من اهل القوة على ما قال ابن عباس بن عبد المطلب شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
حنين فلم افارقه ورسول الله على بغلة بيضاء فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق النبى عليه
السلام يركض بغلته قبل الكفار وانا آخذ بلجام بغلته اكفها ارادة ان لا يسرع وابو سفيان آخذ بركاب رسول
الله فلما كان رسول الله ومن معه صابرين اولى قوة لم يفروا مع القوم (قال السلطان سليم) سيمرغ جان ما كه
بميدانست از دو كون * منت خداى را كه بجان رام مصطفاست * وفى ترجمة وصايا الفتوحات المكية آدمى
از جهت انسانيت مخلوقست بر هلع وبددلى واما از روى ايمان مخلوقست بر قوت وشجاعت واقدام ودر روايت

امده است

امده است از بعضى از صحابه رسول الله عليه السلام رسول او را خبر داده بود كه تو والى شوى در مصر وحكم
كنى وقتى قلعه را حصار كرده بودند وآن صحابى نيز در ميان بود سائر اصحاب را گفت مرا در كفهٔ منجنيق نهيد
وسوى كفار در قلعه اندازيد چون من آنجا رسم قتال كنم ودر حصار بگشايم چون از سبب اين جرأت
پرسيدند گفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرا خبر داده است كه در مصر والى شوم وهنوز نشدم يقين
ميدانم كه نميرم تا والى نشوم فهم كن كه قوت ايمان اينست والا از روى عرف معلومست كه چون كسى را در
كفهٔ منجنيق نهند وبيندازند حال او چه باشد پس دل مؤمن قوى ترين دلهاست ألا انما الانسان غمد لقلبه
ولا خير فى غمد اذا لم يكن نصل وجاء فى دعاء النبى عليه السلام اللهم انى اعوذ بك من الشك فى الحق بعد اليقين
واعوذ بك من الشيطان الرجيم واعوذ بك من شر يوم الدين قال بعضهم العمل سعى الاركان الى الله والنية سعى
القلوب الى الله تعالى والقلب ملك والاركان جنوده ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك (ما كان)
ما صح وما استقام (لنبى) من الانبياء عليهم السلام (ان يكون له اسرى) اى يثبت له فكان هذه تامة واسرى
جمع اسير كجرحى جمع جريح واسارى جمع الجمع روى انه عليه السلام اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس
وعقيل بن ابى طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر هم قومك واهلك استبقهم لعل الله يهديهم الى الاسلام وخذ
منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك من ديارك وقاتلوك فاضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر
مكنى من فلان لنسيب له ومكن عليا من عقيل وحمزة من العباس فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى
تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه بان قال لهم ان شئتم قتلتموهم
وان شئتم اطلقتموهم بان تأخذوا من كل اسير عشرين اوقية والاوقية اربعون درهما فى الدراهم وستة دنانير
فى الدينار الا ان يستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء ويدخل منا الجنة سبعون وفى لفظ ويستشهد
منا عدتهم فاستشهدوا يوم احد بسبب قولهم هذا واخذهم الفداء فنزلت الآية فى فداء اسارى بدر فدخل عمر
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرنى فان اجد بكاء بكيت
والا تباكيت فقال ابكى على اصحابك فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة
قريبة منه قال فى السيرة الحلبية اسرى بدر منهم من فدى ومنهم من خلى سبيله من غير فداء وهو ابو العاص
ووهب بن عمير ومنهم من مات ومنهم من قتل وهو النضر بن الحارث وعقبة بن ابى معيط (حتى يثخن فى الارض)
يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى اهله وحتى لانتهاء الغاية فدل الكلام
على ان له ان يقدم على الاسر والشد بعد حصول الاثخان وهو مشتق من الثخانة وهى الغلظة والكثافة
فى الاجسام ثم استعير فى كثرة القتل والمبالغة فيه لان الامام اذا بالغ فى القتل يكون العدو كشئ ثقيل يثبت
فى مكانه ولا يقدر على الحركة يقال اثخنه المرض اذا اضعفه واثقله وسلب اقتداره على الحركة (تريدون عرض
الدنيا) استئناف مسوق للعتاب اى تريدون حطامها باخذكم الفداء وسمى المال عرضا لقلة لبثه فمنافع الدنيا
وما يتعلق بها لا ثبات لها ولا دوام فصارت كانها تعرض ثم تزول والخطاب لهم لا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم واجلة اصحابه فان مراد ابى بكر كان اعزاز الدين وهداية الاسارى وفيه اشارة الى ان اخذ الفداء من اسارى
المشركين ما كان شيمة للنبى عليه السلام ولا لسائر الانبياء فانه رغبة فى الدنيا ومن شيمة النبى عليه السلام انه
قال مالى وللدنيا كين جهان جيفه است ومردار ورخيص * بر چنين مردار چون باشم حريص *
وانما رغب فيها بعضهم بعد ان شاورهم بامر الله تعالى اذ امره بقوله وشاورهم فى الامر (والله يريد الآخرة)
يريد لكم ثواب الآخرة الذى لا مقدار عنده للدنيا وما فيها قال سعدى چلبى المفتى لعل المراد والله اعلم والله يرضى
فاطلق الارادة على الرضى على سبيل المشاكلة فلا يرد ان الآية تدل على عدم وقوع مراد الله تعالى خلاف
مذهب اهل السنة (والله عزيز) يغلب اولياؤه على اعدائه (حكيم) يعلم بما يليق بكل حال ويخصها به كما امر
بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخيرهم بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء
لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين قال بعضهم دلت الآية على ان الانبياء مجتهدون لان العتاب الذى

فيها الا يكون فيما صدر عن وحى ولا فيما كان صوابا وانه قد يكون خطأ ولكن لا يترك عليه بل ينبهون على
الصواب (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم من الله سبق اثباته فى اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ فى
اجتهاده وان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهى وفى التأويلات النجمية لولا كتاب الله سبق باستبقاء
هؤلاء الاسارى ليؤمن بعضهم ويؤمن اولاد بعضهم وذراريهم (لمسكم) اى لاصابكم (فيما اخذتم) اى لاجل
ما اخذتم من الفدآء (عذاب عظيم) لا يقادر قدره روى انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر
وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان وفيه دليل على انه لم يكن احد من المؤمنين ممن حضر بدرا الا احب
اخذ الفدآء غيرهما قال عبد الله بن عمر ما نزل بالناس امر فقال الناس وقال عمر الا نزل القرآن على نحو ما قال
عمر وفى الحديث ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وقد وافق الوحى فى مواضع منها ما فى هذه القصة ومنها انه
قال يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمعن على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغيرة فقال لهن عمر عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن (فكلوا
مما غنمتم) روى انهم امسكوا عن الغنائم فقال تعالى قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتموه از آنچه غنيمت
كرفته‌ايد وفديه ازان جمله است (حلالا) حال من المغنوم وفائدته ازاحة ما وقع فى نفوسهم من حل المغنوم بسبب
تلك المعاتبة فان من سمع العتاب المذكور وقع فى قلبه اشتباه فى امر حله (طيبا) الطيب المستلذ ووصف
الحلال بذلك على التشبيه فان المستلذ ما لا يكون فيه كراهية فى الطبع وكذا الحلال ما لا يكون فيه كراهية فى
الدين (واتقوا الله) اى فى مخالفة امره ونهيه (ان الله غفور رحيم) فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفدآء
قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه (قال الكاشفى) رحيم مهربانست كه غنيمت بر شما
حلال كرده وبر امم ديكر حرام بوده كما قال ابن عباس رضى الله عنه كانت الغنائم حراما على الانبياء فكانوا اذا
اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت تنزل نار من السماء فتأكله ولله تعالى عنايات لهذه الامة لا تحصى روى عن
النبى عليه السلام انه قال لآدم ليلة المعراج انت خير الناس لان الله تعالى قد فعل معك ستة اشياء خلقك بيده
واكرمك بالعلم واسجد لك ملائكته ولعن من لم يسجد لك وكرمك بامرأة منك حوآء واباح لك الجنة بحذافيرها
فقال لا بل انت خير الناس لانه اعطاك ستة اشياء لم يعطها احدا غيرك جعل شيطانك مسلما وقهر عدوك
واعطاك زوجة مثل عائشة تكون سيدة نساء الجنة واحيى جميع الانبياء لاجلك وجعلك مطلعا على سر آثر
امتك وعامل امتك بستة اشياء اولها اخرجنى من الجنة بمعصية واحدة ولا يخرج امتك من المسجد بالمعصية
ونزع منى الحلة ولم ينزع الستر من امتك وفرق عنى زوجتى ولا يفرق عن امتك ازواجهم ونقص من قامتى
ولا ينقص من قامتهم وفضحنى بقوله وعصى آدم وستر على امتك وبكيت مائتى سنة حتى غفر لى ويغفر لامتك
بعذر واحد (قال السعدى) محالست اگر سر برين در نهى * كه باز آيدت دست حاجت تهى * بضاعت
نياوردم الا اميد * خدايا ز عفوم مكن نا اميد * وينبغى للمؤمن ان يأخذ الحذر فان عتاب الله تعالى اذا كان
بهذه المرتبة فى صورة الخطأ فى الامور الاجتهادية فما ظنك فى عتابه بل بعقابه فى الامور العمدية المخالفة
لكتاب الله تعالى الا ترى ان الهدهد لما خالف سليمان فى الغيبة استحق التهديد والزجر والعقوبة فانك ان خالفت
امر سلطانك تستحق العقوبة فان انت واظبت على الخدمة والطاعة اقت عذرك وفى القصة بيان لزوم البكاء
عند وقوع الخطأ لان النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضى الله عنه بكيا قيل ان النار تقرب يوم القيامة فيشفع
النبى صلى الله عليه وسلم بالانصراف فلا تنصرف حتى يأتى جبريل بقدح من الماء ويقول اضرب به على وجهها
فيضرب به فتفر النار فيقول يا جبرائيل من اين هذا الماء فيقول انه من دموع العصاة (وفى المثنوى) تا نگريد ابر كى
خندد چمن * تا نگريد طفل كى جوشد لبن * طفل يك روزه همى داند طريق * كه بگريم تا رسد دايه
شفيق * تو نمى دانى كه دايهٔ دايگان * كم دهد بى گريه شير او رايگان * چون بر آرند از پشيمانى انين *
عرش لرزد از انين المذنبين (يا ايها النبى) من الالقاب المشرفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى يا ايها المخبر عن
الله وعن احكامه (قل لمن فى ايديكم من الاسرى) جمع اسير روى انها نزلت فى العباس بن عبد المطلب عم النبى
عليه السلام وكان اسر يوم بدر وكان احد العشرة الذين ضمنوا اطعام من خرج من مكة لحماية العير وكان يوم
بدر نوبته وكان خرج بعشرين اوقية من ذهب ليطعم بها الكفار فوقع القتال قبل ان يطعم بها وبقيت العشرون

اوقية معه فاخذت منه فى الحرب فكلم النبى عليه السلام فى ان يحتسب العشرين اوقية من فدآئه فابى وقال
اما شئ خرجت تستعين به علينا فلا اتركه لك فكلفه ان يفدى نفسه بمائة اوقية زآئدا على فدآء غيره لقطع
الرحم وكلفه ان يفدى ايضا ابنى اخويه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث كل واحد باربعين اوقية فقال
يا محمد تركتنى اى صيرتنى اتكفف قريشا ما بقيت والتكفف هو ان يمد كفه يسأل الناس يعنى غنم المسلمون
مالى وما بقى لى شئ حتى افدى نفسى وابنى اخوى فقال فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل يعنى زوجته
وقت خروجك من مكة وقلت لها انى لا ادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله
والفضل وقثم وهم ابناؤه فقال العباس وما يدريك قال اخبرنى به ربى قال اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك
رسول الله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد كنت مرتابا فى امرك فاما اذ
اخبرتنى بذلك فلا ريب والآية وان نزلت فى حق العباس خاصة الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب اى
قل للعباس وعقيل وغيرهما من الاسارى (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) ايمانا واخلاصا هذا الشك بالنسبة الينا
كما فى قوله عليه السلام ان كنت تعلم فى دعاء الاستخارة فان معناه ان تعلق علمك وارادتك فلما كان تعلق هذا
العلم مشكوكا بالنسبة الى العبد عبر عن هذا المعنى بما ترى هكذا سمعته من حضرة شيخنا العلامة ابقاه الله
بالسلامة (يؤتكم خيرا مما اخذ منكم) من الفدآء (ويغفر لكم والله غفور رحيم) قال العباس فابدلنى الله خيرا
مما اخذ منى لى الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب اى يتجر فى عشرين الف درهم واعطانى سقاية زمزم
ما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة انجز لى احد الوعدين وانا ارجو ان ينجز لى الوعد الثانى اى انتظر المغفرة
من ربى فانه لا خلاف فى وعد الكريم خلاف وعده محالست كز كريم آيد * لئيم اگر نكند وعده وفا شايد
المغفرة (وان يريدوا) يعنى الاسرى (خيانتك) اى نقض ما عاهدوك عليه من الاسلام بالارتداد على دين
آبائهم (فقد خانوا الله من قبل) بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فى الازل (فامكن منهم) اى
اقدرك عليهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فيمكنك منهم ايضا يقال مكنه من الشئ وامكنه منه اى اقدره
عليه فتمكن منه (والله عليم) فيعلم ما فى نياتهم وما يستحقونه من العقاب بر وعلم يك ذره پوشيده نيست *
كه پيدا و پنهان بنزدش يكيست (حكيم) يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة وفى بعض الروايات
ان العباس كان قد اسلم قبل وقعة بدر ولكن لم يظهر اسلامه لانه كان له ديون متفرقة فى قريش وكان يخشى ان
اظهر اسلامه ضاعت عندهم وانما كلفه النبى عليه السلام الفدآء لانه كان عليه ظاهر الاله ولما كان يوم فتح
مكة وقهرهم الاسلام اظهر اسلامه ولم يظهر النبى عليه السلام اسلام العباس رفقا به كيلا يضيع ماله عند
قريش وكان قد استأذن النبى عليه السلام فى الهجرة فكتب اليه يا عم اقم مكانك الذى انت فيه فان الله تعالى
يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة فكان كذلك وفى الآية بيان قدرة الله تعالى وان مريد الخلاص عن يد قهره
فى الدنيا والآخرة لا يجد اليه سبيلا الا بالايمان والاخلاص فهو القادر القوى الخالق وما سواه العاجز الضعيف
المخلوق وفى الخبر ان النبى عليه السلام قال ان الله تعالى قال قل للقوى لا يعجبنك قوتك فان اعجبتك قوتك ادفع
الموت عن نفسك وقل للعالم لا يعجبنك علمك فان اعجبك فاخبرنى متى اجلك وقل للغنى لا يعجبنك غناك فان
اعجبك فاطعم خلقى غدآء واحدا وفى الآية اشارة الى ان النفوس المأسورة التى امرت فى الجهاد الاكبر عند
استيلاء سلطان الذكر عليها والظفر بها ان اطمأنت الى ذكر الله والعبودية والانقياد تحت احكامه يؤتها الله نعيم
الجنة ودرجاتها وهى خير من شهوات الدنيا ونعيمها وزينتها فان الدنيا ونعيمها فانية والجنة ونعيمها باقية وخيانة
النفس التجاوز عن حد الشريعة والطريقة يقال ان متابعة سبعة اصناف اورثت سبعة اشياء الاول ان متابعة
النفس اورثت الندامة كما قال تعالى فى قتل قابيل هابيل فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من النادمين
والثانى ان متابعة الهوى اورثت البعد كما قال لبلعام واتبع هواه فمثله كمثل الكلب يعنى فى البعد والخساسة
والثالث ان متابعة الشهوات اورثت الكفر كما قال تعالى واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا يعنى الكفر
والرابع ان متابعة فرعون اورثت الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة كما قال تعالى واتبعوا امر فرعون الى
قوله فاوردهم النار والخامس ان متابعة القادة الضالة اورثت الحسرة كما قال اذ تبرأ الذين اتبعوا الى قوله
كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار والسادس ان محبة النبى عليه السلام اورثت

المحبة كما قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله والسابع ان متابعة الشيطان اورثت
جهنم كما قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين
(ان الذين امنوا) بالله تعالى وبمحمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن (وهاجروا) اوطانهم وهى مكة حبا لله
ولرسوله (وجاهدوا باموالهم) بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج (وانفسهم) بمباشرة
القتال واقتحام المعارك والخوض فى المهالك ولعل تقديم الاموال على الانفس لان المجاهدة بالاموال اكثر
وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا تتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال هكذا فى تفسير الارشاد يقول
الفقير اصلحه الله القدير وجه التقديم عندى ان المال من توابع النفس والوجود وتوابعها اقدم منها فى البذل
وفى الاية اسلوب الترقى من الادنى الى الاعلى ولذا قال سادات الصوفية قدس الله اسرارهم بذل المال فى مقابلة
توحيد الافعال وبذل الوجود فى مقابلة توحيد ذات المعبود (فى سبيل الله) متعلق بجاهدوا وقيد لنوعى الجهاد
والمراد بسبيل الله الطريق الموصل الى ثوابه وجناته ودرجاته وقرباته وهو انما يكون موصلا بالاخلاص فبذل
المال والنفس بطريق الرياء لا يوصل الى رضى الله ذى العظمة والكبرياء اللهم اجعلنا من الذين فى سبيلك
لا فى سبيل غيرك قال الشيخ المغربى قدس سره كل توحيد نرويد ز زمينى كه درو * خارشرك وحسد وكبر وريا
وكين است (والذين آووا) النبى والمهاجرين معه اى اعطوهم المأوى وانزلوهم ديارهم بالمدينة والايواء الضم
(ونصروا) اى نصروهم على اعدائهم واعانوهم بالسيف على الكفار فالاول فى حق المهاجرين والثانى فى حق
الانصار والانصار كالعلم للقبيلتين الاوس والخزرج ولهذا جازت النسبة الى لفظ الجمع حيث قالوا الانصارى
نسبة الى الانصار وسموا الانصار لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وواحد الانصار نصير كشريف
واشراف قال السلطان سليم الاول شاهنشه ان كدا كه بود خاك راه او * ازاد بنده كه كرفتار مصطفاست *
آن سينه شادكز غم او ساخت دل حزين * وآن جان عزيز كز پى ايثار مصطفاست (اولئك) الموصوفون
بما ذكر من النعوت الفاضلة (بعضهم اولياء بعض) فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة
والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اى اولى بميراث بعض من الاجانب
والحاصل ان التوارث فى الابتداء بالهجرة والنصرة لا بمجرد القرابة فكان المهاجر يرثه اخوه الانصارى
اذا لم يكن بالمدينة ولى مهاجرى ولا توارث بينه وبين قريبه المسلم غير المهاجرى واستمر امرهم كذلك الى
ان فتحت مكة فسقطت فرضية الهجرة ثم توارثوا بالقرابة فالاولياء جمع ولى كصديق واصدقاء والولى من الولى
بمعنى القرب والدنو فكانه قيل بعضهم اقرباء بعض لا قرابة بينهم وبين من لم يؤمن ولا بين من آمن ولم يهاجر
كما قال تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا) كسائر المؤمنين (ما لكم من ولايتهم من شئ) اى من توليهم
فى الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم (حتى يهاجروا) ولما بين تعالى ان حكم المؤمن الذى لم يهاجر
انقطاع الولاية بينه وبين المؤمنين وتوهم انه يجب ان يتحقق بينهم التقاطع التام لتحققه بينه وبين الكفار ازال هذا
الوهم بقوله (وان استنصروكم فى الدين) اى ان طلب منكم المؤمنون الذين لم يهاجروا النصرة (فعليكم النصر)
اى فوجب عليكم نصرهم على من يعاديهم فى الدين (الا على قوم) منهم (بينكم وبينهم ميثاق) اى الا اذا كان
من يعاديهم ويحاربهم من الكفار بينهم وبينكم عهد موثق فحينئذ يجب عليكم الوفاء بالعهد وترك المحاربة
معهم ولا يلزمكم نصر الذين آمنوا ولم يهاجروا عليهم بل الاصلاح بينهم على وجه غير القتال (والله بما
تعملون بصير) فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) آخر فى الميراث
منطوق الاية اثبات الموالاة بين الكفار والكفار ليسوا بمخاطبين بفروع الايمان فالمراد منه بطريق المفهوم
المخالف نهى المسلمين عن موالاتهم وموارثتهم وايجاب المباعدة بينهم ان وجد بينهم قرابة نسبية لان الموالاة
بين الكفار مبنية على التناسب فى الكفر كما انها بين المؤمنين مبنية على التناسب فى الايمان فكما لا مناسبة
بين الكفر والايمان من حيث ان الاول ظلمة والثانى نور فكذا لا مناسبة بين اهلهما فان الكافر عدو الله
والمؤمن ولى الله فوجب التقاطع وازالة الوصلة من غير الجنس (قال الحافظ) نخست موعظه پير صحبت
اين پندست * كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد (الا) اى ان لا (تفعلوه) اى ما امرتم به من التواصل
بينكم وتولى بعضكم بعضا حتى فى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار (تكن) تامة (فتنة فى الارض)

اى

اى تحصل فتنة عظيمة فيها وهى ضعف الايمان وظهور الكفر (وفساد كبير) فى الدارين وفيه اشارة الى مساعدة
طالب النصرة باى وجه كان فان تركها يؤدى الى الخسران وارتفاع الامان وفى الحديث انصر اخاك ظالما
او مظلوما ونصرة الظالم بنهيه عن الظلم وفى فتاوى قاضى خان اذا وقع النفير من قبل الروم فعلى كل من يقدر
على القتال ان يخرج الى الغزو اذا ملك الزاد والراحلة ولا يجوز له التخلف الا بعذر بين انتهى وكما انه لا كلام
فى فضيلة الاعانة والامداد كذلك لا كلام فى الهجرة الى ما يقوم به دين المرء من البلاد روى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما رأى ما نزل بالمسلمين من توالى الاذى عليهم من كفار قريش مع عدم قدرته على انقاذهم
مما هم فيه قال لهم تفرقوا فى الارض فان الله سيجمعكم قالوا الى اين نذهب قال ههنا واشار بيده الى جهة
الحبشة وفى رواية قال لهم اخرجوا الى ارض الحبشة فان بها ملكا عظيما لا يظلم عنده احد وهى ارض صدق
حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه يقول الفقير اصلحه الله سمعت من حضرة شيخى العلامة ابقاه الله
بالسلامة انه قال لو كان لى مال لهاجرت من قسطنطينية الى ارض الهند لانه لا فائدة فى الاقامة مع سلطان
لا غيرة له اصلا من جهة الدين ثم ذكر تورع سلطان الهند وهذا الكلام مطابق للشريعة والطريقة وقد قال
بعض الكبار ان الاولياء لا يقيمون فى بلاد الظلم وجاء فى الحديث من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا
من الارض استوجب له الجنة وكان رفيق ابيه خليل الله ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام فهاجر الى
الحبشة ناس من مخافة الفتنة وفرارا الى الله تعالى بدينهم منهم من هاجر الى الله باهله ومنهم من هاجر
بنفسه وهى الهجرة الاولى فمن آمن بان طلب الله تعالى حق واجب هاجر من غير الله فهاجر من افعاله القبيحة
الطبيعية الى الافعال الحسنة الشرعية ومن الاوصاف الذميمة الى الاخلاق الحميدة ومن الوجود المجازى
الى الوجود الحقيقى وبذل ماله ونفسه فى طلب الحق وترك كل باطل هو غير الحق قال السيد البخارى قدس سره
هست تاج عارفان اندر جهان از چار ترك * ترك دنيا ترك عقبا ترك هستى ترك ترك وفى الحديث كان
فيما كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل
تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على رجل
عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا
فان بها اناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا انصف
الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه
الى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا
ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو لها فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التى اراد فقبضته ملائكة
الرحمة وفى رواية فاوحى الله الى هذه ان تباعدى والى هذه ان تقربى فان قلت الظاهر من الحديث انه قبلت توبة
ذلك الرجل وهذا مخالف لما ثبت فى الشرع من ان حقوق العباد لا تسقط بالتوبة قلنا اذا تاب ظالم لغيره
وقبل الله توبته يغفر له ذنب مخالفة امر الله وما بقى عليه من حق العبد فهو فى مشيئة الله ان شاء ارضى خصمه
وان شاء اخذ حقه منه والحديث من القسم الاول وعلى تقدير الارضاء لا يكون ساقطا ايضا لاخذه عوضه
من الله وفى الحديث استحباب ان يفارق التائب موضع الذنب والمساعدين ويستبدل منهم صحبة اهل
الصلاح اللهم اجعلنا من المهاجرين والحقنا بعبادك الصالحين (والذين آمنوا) بجميع ما يجب ان يؤمن به
اجمالا وتفصيلا (وهاجروا) اوطانهم تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبا لمرضاة الله (وجاهدوا)
الكفار والمجاهدة والجهاد با كسى كارزار كردن در راه خداى (فى سبيل الله) هو دين الاسلام والاخلاص
الموصلان الى الجنة ودرجاتها (والذين آووا) اى ضموا المؤمنين الى انفسهم فى مساكنهم ومنازلهم
وواسوهم يقال اويت منزلى واليه او يا نزلته بنفسى وسكنته واويته وآويته انزلته والمأوى المكان فالايواء
بالفارسية جايكاه دادن (ونصروا) اى اعانوهم على اعدائهم فالموصول الاول عبارة عن المهاجرين الاولين
والثانى عن الانصار كما سبق (اولئك هم المؤمنون) ايمانا (حقا) لانهم حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من
الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق فالاية الاولى مذكورة لبيان حكمهم وهو انهم يتوارثون ويتولى
بعضهم بعضا فى الميراث وهذه الاية مذكورة لبيان ان الكاملين فى الايمان منهم هم المهاجرون الاولون

والانصار لاغيرهم فلا تكرار (لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) اى واسع كثير يطعمهم الله تعالى فى الجنة طعاما يصير كالمسك رشحا ولا يستحيل فى اجوافهم نجوا وهو ما يخرج من البطن من ريح او غائط ثم الحق بهم فى الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال (والذين آمنوا من بعد) اى من بعد الهجرة الاولى (وهاجروا) بعد هجرتكم (وجاهدوا معكم) فى بعض مغازيكم (فاولئك منكم) اى من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم الله بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا فى الايمان والهجرة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والانصار فكان المهاجر يرثه اخوه الانصارى دون قريبه الغير المهاجر وان كان مسلما فنسخ الله تعالى ذلك الحكم بقوله (واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) آخر منهم فى التوارث من الاجانب (فى كتاب الله) اى فى حكمه (ان الله بكل شئ عليم) ومن جملته ما فى تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة نه دراحكام اوست چون وچرا * نه درافعال اوچكونه وچند اعلم ان المهاجرين الاولين من حيث انهم اسسوا قاعدة الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الانصار يدل عليه قوله عليه السلام لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار فان المراد منه اكرام الانصار بان لا رتبة بعد الهجرة اعلى من نصرة الدين والمهاجرون على طبقات منهم من هاجر معه عليه السلام او بعد هجرته قبل صلح الحديبية وهو فى سنة من الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة وهم اهل الهجرة الثانية ومنهم ذو هجرتين هجرة الى الحبشة وهجرة الى المدينة وكانت الهجرة الى المدينة بعد ان هاجر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضا على المؤمن المستطيع ليكون فى سعة امر دينه ولينصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اعلاء كلمة الله فلما فتح مكة اعلمهم بان الهجرة المفروضة قد انقطعت وانه ليس لاحد بعد ذلك ان ينال فضيلة الهجرة وان ينازع المهاجرين فى مراتبهم واما الهجرة التى تكون من المسلم لصلاح دينه الى مكة اوالى غيرها فانها باقية ابد الدهر غير منقطعة وفى الحديث لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد دينى وفى الحديث من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ومن مات باحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة وروى الامام فى الاحياء ان النبى عليه السلام لما عاد الى مكة استقبل الكعبة وقال انك خير ارض الله واحب بلاد الله الى ولولا انى اخرجت منك ما خرجت فما هو محبوب للنبى عليه السلام محبوب لامته ايضا فالاقامة بمكة مع الوفاء بحق المقام افضل كيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة وللقاصر عن القيام بحق الموضع ترك الاقامة فان بعض العلماء كرهها لمثله حكى ان عمر بن عبد العزيز وامثاله من الامراء كان يضرب فسطاطين فسطاطا فى الحل وفسطاطا فى الحرم فاذا اراد ان يصلى او يعمل شيأ من الطاعات دخل فسطاط الحرم رعاية لفضل المسجد الحرام واذا اراد ان يأكل او يتكلم او غير ذلك خرج الى فسطاط الحل ومقدار الحرم من قبل المشرق ستة اميال ومن الجانب الثانى اثنا عشر ميلا ومن الجانب الثالث ثمانية عشر ميلا ومن الجانب الرابع اربعة وعشرون ميلا هكذا قال الفقيه ابو جعفر وكما ان للاماكن الشريفة والبقاع المنيفة قدرا وحرمة عند الله تعالى وعند الناس فكذا القلوب الصافية لاهل الكمالات الوافية بل خطرها اعظم مسجدى كان دردرون اولياست * خانهٔ خاص حقست آنجا خداست * نيست مسجد جز درون سروران * آن مجازست اين حقيقت اى جوان وفى قوله تعالى فاولئك منكم اشارة الى ان كل سالك صادق سلك طريق الحق من المتأخرين على قدر الايمان والهجرة والجهاد الحقيقى فهو من المتقدمين لانه ليس عند الله صباح ولا مساء فالواصلون كلهم كنفس واحدة وهم متبرؤن عن الزمان والمكان استوى عندهم الامس واليوم والغد والقرب والبعد والعلو والسفل ولهذا قال عليه السلام امتى كالمطر لا يدرى اولهم خير ام آخرهم وعد المتأخرين من اخوانه وقال واشوقاه الى لقاء اخوانى هذا وكان الحسن اذا قرأ سورة الانفال قال طوبى لجيش قائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبارزهم اسد الله وجهادهم طاعة الله ومددهم ملائكة الله وثوابهم رضوان الله نسأل الله تعالى ان يوفقنا لصالحات الاعمال وحسنات الاقوال والاحوال وان يجعلنا مشغولين بطاعة الله فى كل آن وحال

تمت سورة الانفال بفضل الله المتعال فى اواخر شهر ربيع الاخر من شهور سنة الف ومائة وواحد

سورة التوبة مائة وثلاثون آية وهى مدنية

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

انما تركت التسمية اول براءة لعدم المناسبة بين الرحمة التى تدل عليها البسملة والتبرى الذى يدل عليه اول براءة ورده فى الفتوحات بانها جاءت فى اوائل السور المبدوءة بويل قال واين الرحمة من الويل وقال فى التأويلات النجمية الحكمة فى ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فى اول سورة براءة وكتابتها فى سورة النمل ليعلم انها آية مكررة فى القرآن واكثر ما انزلت فى اوائل السور لتكون فاصلة بين السورتين ولتكون كل صورة متوجة بتاج اسم الله تعالى وصفة جماله وجلاله فحيث نزلت كتبت وحيث لم تنزل لم تكتب فلما لم تنزل فى اول براءة ما كتبت فى اولها ونزلت فى اول النمل واثنائها فكتبت فى الموضعين جميعا اه در ترجمهٔ اسباب نزول از بستان فقيه ابو الليث نقل ميكند كه ثقات مشايخ بعنعنه از ذى النورين رضى الله عنه روايت كرد كه كاتب خاتمهٔ يسألونك عن الانفال وفاتحهٔ براءة من الله من بودم حضرت مصطفى عليه الصلاة والسلام ميان اين دو سوره املاء بسم الله نفرمودند كذا فى تفسير الكاشفى وهو مؤيد لكلام التأويلات وقال حضرة الشيخ الاكبر والمسك الاذفر قدس سره الاطهر اعلم ان بسملة سورة براءة هى التى فى سورة النمل فان الحق سبحانه اذا وهب شيأ لم يرجع فيه ولا يرده الى العدم فلما خرجت رحمة براءة وهى البسملة حكم التبرى من اهلها برفع الرحمة الاختصاصية عنهم فوقف الملك بها لا يدرى اين يضعها فان كل امة من الامم الانسانية اخذت رحمتها بايمانها قال تعالى اعطوا هذه البسملة للبهائم التى آمنت بسليمان عليه السلام وهى لا يلزمها ايمان الا برسولها فلما عرفت قدر سليمان وآمنت به اعطيت من الرحمة الانسانية حظا وهو بسم الله الرحمن الرحيم الذى سلب من المشركين فلما وسعت الرحمة الرحمانية كل شئ فى الوجود الكونى اقيمت الباء فى براءة مقامها لانها من حروف آية الرحمة والامان لان كل شئ فى الوجود الكونى لا يخلو من رحمة الله عامة او خاصة انتهى واعلم ان الاستعاذة واجبة على كل من شرع فى قراءة القرآن سواء بدأ من اوائل السور او من اجزائها مطلقا وان اراد بها افتتاح الكتب والدرس كما يقرأ التلميذ على الاستاذ لا يتعوذ ثم ان البسملة لابد منها فى اول الفاتحة مطلقا وفى اول كل سورة ابتدئت بها سوى براءة فانها لا تسمية فى اولها اجماعا والقارئ مخير فى التسمية وعدمها فيما بين اجزاء السور سوى اجزاء براءة فانه لا بسملة فى اجزائها ايضا كذا فى شرح الشاطبية للجعبرى (براءة من الله ورسوله) اى هذه براءة مبتدأة من جهة الله ورسوله واصلة (الى الذين عاهدتم) ايها المسلمون (من المشركين) فمن لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية متعلقان بمحذوف كما تقول هذا كتاب من فلان الى فلان اى واصل منه اليه وليست كلمة من صلة براءة كما فى قولك برئت من فلان والبراءة من الله انقطاع العصمة ونقض العهد ولم يذكر ما تعلق به البراءة كما فى ان الله برئ من المشركين اكتفاء بما فى حيز الصلة واحترازا عن تكرير لفظة من ولما كانت المعاهدة غير واجبة بل مباحة مأذونة وكان الاتفاق للعهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب اليهم مع ان مباشرة امرها انما تتصور من المسلمين لا من الله تعالى وان كانت باذن الله تعالى بخلاف البراءة فانها واجبة اوجبها الله تعالى وامر منوط بجناب الله تعالى كسائر الاوامر غير متوقفة على رأى المخاطبين والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين فانه منبوذ اليهم والعهد العقد الموثق باليمين وقد كانوا عاهدوا مشركى العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله واتفاق الرسول فنكثوا الا بنى ضمرة وبنى كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر كما قال تعالى (فسيحوا) اى فقولوا لهم سيحوا وسيروا (فى الارض اربعة اشهر) مقبلين مدبرين آمنين من القتال غير خائفين من النهب والغارة والسيح والسياحة الذهاب فى الارض والسير فيها بسهولة على مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس فى سيروا ونظائره وزيادة فى الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشأنهم للحرب او تحصين الاهل والمال او تحصيل الحرب او غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها والمراد بالاشهر الاربعة هى الاشهر الحرم التى علق القتال بانسلاخها هى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان السورة نزلت فى شوال سنة تسع من الهجرة بعد فتح مكة فانه كان فى السنة الثامنة منها امر وابان لا يتعرضوا للكفار بتلك المدة صيانة للاشهر الحرم عن القتال فيها

ثم نسخ وجوبها ليتفكروا ويعلموا ان ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او السيف فيصير ذلك حاملا لهم على الاسلام ولئلا ينسبوا المسلمين الى الخيانة ونقض العهد على غفلة المعاهدين وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى سنة الفتح عتاب بن اسيد الوقوف بالناس فى الموسم واجتمع فى تلك السنة فى الوقوف المسلمون والمشركون فلما كانت سنة تسع بعث ابا بكر رضى الله عنه اميرا على الموسم فلما خرج منطلقا نحو مكة اتبعه عليا رضى الله عنه راكب العضباء ليقرأ هذه السورة على اهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها سيدهم او واحد من رهطه وعترته فبعث عليا ازاحة للعلة لئلا يقولوا هذا خلاف ما نعرفه فينا فى العهد والنقض فلما دنا على سمع ابو بكر الرغاء وهو صوت ذوات الحوافر فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية من اول هذه السورة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده وقال الحدادى كان الحج فى السنة التى قرأ على رضى الله عنه فيها هذه السورة فى العاشر من ذى القعدة ثم صار الحج فى السنة الثانية فى ذى الحجة وكان السبب فى تقديم الحج فى سنة العهد ما كان يفعله بنوا كنانة فى النسيء وهو التأخير انتهى فعلى هذا ان المراد بالاشهر الاربعة من عشر ذى القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول كما ذهب اليه البعض (واعلموا انكم) بسياحتكم فى اقطار الارض فى العرض والطول وان ركبتم متن كل صعب وذلول (غير معجزى الله) اى لا تفوتونه بالهرب والتحصين قال فى ربيع الابرار غير معجزى الله سابقى الله وكل معجز فى القرءآن سابق بلغة كنانة (وان الله) اى واعلموا انه تعالى (مخزى الكافرين) اى مذلكم فى الدنيا بالقتل والاسر وفى الآخرة بالعذاب والاخلاص لكم من الافتضاح والاخزاء هو الاذلال بما فيه فضيحة وعار قال القشيرى قطع لهم مدة على وجه المهلة على انهم ان اقلعوا عن الضلال وجدوا فى المآل ما فقدوا من الوصال وان ابوا الا التمادى فى الحرمة والجريمة انقطع ما بينهم وبينه من العصمة ثم ختم الآية بما معناه ان اصررتم على قبيح آثاركم مشيتم الى هلاككم بقدمكم وسعيتم فى عاجلكم فى اراقة دمكم وحصلتم فى اجلكم على ندمكم فما خسرتم الا فى صفقتكم

تبدلت وتبدلنا واخسرنا * من ابتغى عوضا يسعى فلم يجد

ففى الآية دعوة الى الصلح والايمان بعد الحراب والكفران فمن كفر وعصى فقد خاصم ربه فجاء الندم فى تأخيره التوبة والاستغفار وعدم مبالاته بمباغتة قهر الملك الجبار قال بعض العرفاء ان شئت ان تصير من الابدال فحوّل خلقك الى بعض خلق الاطفال ففيهم خمس خصال لو كانت فى الكبار لكانوا ابدالا الا يهتمون للرزق (قال الصائب) فكر آب ودانه در كنج قفس بى حاصلست * زير چرخ انديشهٔ روزى چرا باشد مرا * ولا يشكون من خالقهم اذا مرضوا حافظ ازجور تو حاشالله بنالد روزى * كه ازان روز كه دربند توأم دلشادم ويأكلون الطعام مجتمعين اكر خواهى كه يابى ملك ودولت * بخور شاها بدرويشان نعمت * واذا تخاصموا تسارعوا الى الصلح قال السلطان سليم الاوّل خواهى كه كنج عشق كنى لوح سينه را * ازدل بشوى آينه سان كرد كينه را * واذا خافوا جرت عيونهم بالدموع (وفى المثنوى) سوز مهر كريهٔ ابر جهان * چون همى دارد جهانرا خوش دهان * آفتاب عقل رادر سوز دار * چشم را چون ابر اشك افروز دار * چشم كريان بايدت چون طفل خرد * كم خور آن نانرا كه نان آب تو برد * واشارت الآية الكريمة الى النفوس المتمردة المشركة التى اتخذت الهوى الها وعبدت صنم الدنيا فهادنها الروح والقلب فى اوان الطفولية وعاهداها على ان لا يجاهداها ولا يقاتلاها الى حد البلوغ وهى ايضا لا تتعرض لهما الى استكمال القالب واستواء القوى البشرية التى بها تحمل حمل الامانة واعباء اركان الشريعة وظهور كمال العقل الذى به يستعد لقبول الدعوة واجابتها وبه يعرف الرسل ومعجزاتهم وبه يثبت الصانع ويرى تعبده واجبا

لاداء شكر نعمة الله وان الله ورسوله بريء من تلك المعاهدة بعد البلوغ فانه اوان نقض عهد النفوس مع القلوب والارواح لان النفس قبل البلوغ كانت تتصرف فى المأكول والمشروب والملبوس لتربية القالب ودفع الحاجة الماسة غالبا وذلك لم يكن مضرا جدا للقلب والروح فاما بعد البلوغ فزادت فى تلك التربية بالمأكول والمشروب والملبوس الضرورى لاجل الشهوة ولما ظهرت الشهوة شملت آفتها المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح واشتعلت نيرانها يوما فيوما وفيها مرض القلب والروح وبعثت الانبياء لدفع هذا المرض وعلاجه كما قال عليه السلام بعثت لدفع العادات وترك الشهوات وفى قوله فسيحوا فى الارض اربعة اشهر اشارة الى ان للنفوس فى ارض البشرية سيرا وسياحة لتكميل الاوصاف الاربعة من النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية التى تتولد بازدواج الروح العلوى الروحانى المفرد والقالب السفلى المركب من العناصر الاربعة فالنباتية تولد الماء والحيوانية تولد الريح والشيطانية تولد النار والانسانية تولد التراب فلتكميل هذه الصفات ارخت ازمة النفوس فى مراتع الدنيا ونعيمها الى البلاغة ثم قال واعلموا يعنى نفوس اهل السعادة انكم غير معجزى الله اى لا تعجزونه ان ينزعكم عن المراتع الدنيوية ويمتعكم بالمنافع الاخروية وان الله مخزى الكافرين يعنى مهلك اهل الشقاوة فى تيه الغفلات والشهوات كذا فى التأويلات النجمية (واذان من الله ورسوله) الاذان بمعنى الايذان كالعطاء بمعنى الاعطاء اى هذا اعلام واصل منهما (الى الناس) كافة المؤمنين والكافرين ناكثين اوغيرهم فالاذان عام والبراءة خاصة بالناكثين من المعاهدين والجملة عطف على قوله براءة (يوم الحج الاكبر) منصوب بما يتعلق به الى الناس وفيه قولان احدهما انه يوم العيد فانه يتم فيه اركان الحج كطواف الزيارة وغيره ويتم فيه معظم افعاله كالنحر والرمى وغيرهما واعلام البراءة كان فيه وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وروى ان عليا رضى الله عنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء الى الجبانة فجاء رجل فاخذ بلجامها وسأله عن يوم الحج الاكبر فقال هو يومك هذا خل سبيلها والثانى انه يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة حصر النبى عليه السلام افعال الحج فى الوقوف بعرفة لانه معظم افعاله من حيث ان من ادرك الوقوف بعرفة فقد ادرك الحج ومن فاته الوقوف فاته الحج ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر ولاجتماع المسلمين والمشركين فى ذلك اليوم وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله وبعده فعظم ذلك اليوم فى قلوب جميع الطوائف والملل وورد ان الوقفة يوم الجمعة تعدل سبعين حجة وهو الحج الاكبر (ان الله) اى بان الله والباء صلة الاذان حذفت تخفيفا (بريء من المشركين) اى من عهدهم الذى نقضوه فالمراد بالمشركين المعاهدون الناكثون (ورسوله) قال المفسرون هو مرفوع معطوف على المستكن فى بريء او منصوب على ان الواو بمعنى مع اى بريء معه منهم او مجرور على القسم ولا تكرير فى ذكر بريء لان قوله براءة اخبار بثبوت البراءة وهذا اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين كما قال اولا الى الذين عاهدتم (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو) اى فالتوبة (خير لكم) فى الدارين من الاقامة على الكفر والغدر (وان توليتم) اى اعرضتم عن التوبة (فاعلموا انكم غير معجزى الله) غير سابقين ولا فائتين اى لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا فى الدنيا وبالفارسية شمانه عاجز كنند كانيد خدايرا يعنى توانيدكه ازوكريزيد يابا وستيزيد (وبشر الذين كفروا بعذاب اليم) فى الآخرة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر التبشير مقام الانذار تهكم بهم وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال كنت مع على رضى الله عنه حين بعثه رسول الله بالبراءة الى مكة فقيل لابى هريرة بماذا كنتم تنادون قال كنا ننادى انه لا يدخل الجنة الا مؤمن ولا يحجن هذا البيت بعد هذا العام مشرك ولا عريان ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله الى اربعة اشهر فاذا مضت اربعة اشهر فان الله بريء من عهد المشركين ورسوله (الا الذين عاهدتم من المشركين) استدراك اى استثناء منقطع من النبذ السابق الذى اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين فى المسارعة الى قتلهم بل اتموا اليهم عهدهم (ثم) للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادى المدة (لم ينقصوكم شيأ) من شروط العهد ولم ينكثوا وينقص يتعدى الى اثنين فكم مفعول اوّل وشيأ مفعول ثان والى واحد فشيأ منصوب على المصدرية اى شيأ من النقصان (قال الكاشفى) پس ايشان

كم نكردند چيزى از عهدهاء شما يعنى نشكستند پيمان شمارا (ولم يظاهروا) لم يعاونوا (عليكم احدا) من اعدائكم كما عدت بنوا بكر على خزاعة حلفاء النبى عليه السلام فظاهرتهم قريش بالسلاح (فاتموا اليهم عهدهم) عدى اتموا بالى لتضمنه معنى فادوا اى فادوه اليهم تاما كاملا (الى مدتهم) ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضى الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم روى ان بنى ضمرة وهم حى من بنى كنانة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عند البيت وكان بقى لهم من عهدهم تسعة اشهر فاتم عليه السلام اليهم عهدهم (ان الله يحب المتقين) تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفى والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا (قال الحافظ) وفا وعهد نكو باشد ار بياموزى * وگرنه هركه تو بينى ستمگرى داند قال الشيخ نصراباذى للمتقى علامات اربع حفظ الحدود وبذل المجهود والوفاء بالعهود والقناعة بالموجود قيل فى الترجمة متقى را بود چهار نشان * حفظ احكام شرع اول آن * ثانيا آنچه دسترس باشد * برفقيران وبى كسان باشد * عهد را با وفا كند پيوند * هرچه باشد بدان شود خرسند واعلم ان الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الوصال والحج الاصغر يوم الوصول الى كعبة القلب وزيارة كعبة الوصال وطوافها حرام على مشركى الصفات الناسوتية لانها تميل الى غير الله وتركن الى ماسواه فلا تطوف الناسوتية حول كعبة اللاهوتية الابعد فنائها وفناؤها انما يكون بالجذبات الالهية فاذا تداركت العناية الازلية العبد يخاطب يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك اما فى حال الحياة واما فى وقت الوفاة ولكل اجل كتاب اماترى الى سحرة فرعون كيف قالوا انا الى ربنا لمنقلبون وفى حديث المعراج ثم ذهبت الى الجنة فرأيت رضوان خازنها فلما رآنى فرح بى ورحب بى وادخلنى الجنة وارانى فيها من العجائب مما وعد الله فيها الاوليائه مالا عين رأت ولا اذن سمعت ورأيت فيها درجات اصحابى ورأيت فيها الانهار والعيون وسمعت فيها صوتا وهو يقول آمنا برب العالمين فقلت ما هذا الصوت يا رضوان قال هم سحرة فرعون وسمعت صوتا آخر وهو يقول لبيك اللهم فقلت من هو قال ارواح الحجاج وسمعت التكبير فقال هؤلاء الغزاة فسمعت التسبيح فقال هؤلاء الانبياء ورأيت قصور الصالحين ثم بلغت الى سدرة المنتهى وسميت المنتهى لان علم الخلائق ينتهى اليها ثم تخلف عنى جبريل فقلت له اتتركنى وحيدا فقال يا اكرم الخلق على الله ما جاوز هذا المكان احد قبلك ولا يجاوز بعدك فاذا انادانى ربى فقال لى ادن منى يا محمد فلم ازل ادنو وهو يقول ادن الف كرة حتى قربت منه كما قال تعالى فكان قاب قوسين او ادنى وما من مرة ادنو من ربى الا قضى لى فيها حاجة ثم وقفت فقطرت على لسانى قطرة كانت احلى من العسل وابرد من الثلج فعلمت علم الاولين والآخرين وقال لى يا محمد قد جعلت الاسلام حلوا فى قلوب امتك حتى احبوه وجعلت الكفر مرا فى قلوبهم حتى ابغضوه يقول الفقير ومنه يعرف ان الله تعالى جعل الكفر حلوا فى قلوب امة الدعوة حتى احبوه وجعل الايمان مرا فى قلوبهم حتى ابغضوه فحب الايمان من الجذبة الالهية والعناية الازلية وبه اتقى المؤمن من الكفر ثم من العصيان ثم من الجهل ثم من رؤية ماسوى الله والميل اليه فيا اهل الايمان ادركتكم العناية العامة ويا اهل العرفان جذبتكم الهداية الخاصة فقوموا واشكروا الله تعالى على ما انعم عليكم واوصله من كمال كرمه اليكم وقد نص على انه يحب المتقين فتارة تكون محبا وهو محبوب وتارة تكون محبوبا وهو محب ومقام المحبوبية اعلى المقامات ولو كان فوقه ما هو اعلى منه لما قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حبيب الله فعليك ايها العاقل بالرجوع الى المولى قبل تمام المدة وهو حلول الاجل وقبل ان تكتنفك الموانع من الجبن والكسل وطريق الاختيار مقبولة دون طريق الاضطرار فان اقبلت فلك سعادة الوقت وان اعرضت فلك الشقاوة والمقت نسأل الله تعالى ان يهدينا الى طريق الرضى ويقيل عثرتنا فيما مضى آمين (فاذا انسلخ) اى انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده (الاشهر الحرم) وانفصلت عما كانت مشتملة عليه ساترة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه ووصفت الاشهر بالحرم وهى جمع حرام لان الله تعالى حرم فيها القتال وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم التى ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها لا الاشهر الدائرة فى كل سنة وهى رجب

وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان نظم الآية يقتضى توالى الاشهر المذكورة وهذه ليست كذلك لان ثلاثة منها سرد وواحد فرد (فاقتلوا المشركين) الناكثين ابد الاباد فهذه الآية ناسخة لكل آية فى القرآن فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على ايذائهم على وفق ما اجمع عليه جمهور العلماء (حيث وجدتموهم) ادركتموهم فى حل او حرم (وخذوهم) اى ائسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم) الحصر المنع والمراد اما حبسهم ومنعهم عن التبسط والتقلب فى البلاد او منعهم عن المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) اى كل ممر ومجتاز يجتازون منه فى اسفارهم وانتصابه على انه ظرف لاقعدوا اى ارصدوهم فى كل مكان يرصد فيه وارقبوهم حتى لايمروا به وهذا امر لتضييق السبيل عليهم فليس معناه حقيقة القعود (قال الكاشفى) بسته كردانيد برايشان راهها تا منتشر نشوند در بلاد وقرى (فان تابوا) عن الشرك بالايمان حسبما اضطروا بما ذكر من القتل والاسر والحصر (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما عن بقية العبادات لكونهما رئيسى العبادات البدنية والمالية (فخلوا سبيلهم) فدعوهم وشأنهم لاتتعرضوا لهم بشئ مما ذكر قال القاضى فى تفسيره فيه دليل على ان تاركى الصلاة ومانعى الزكاة لايخلى سبيلهم انتهى وعن ابى حنيفة رحمه الله ان من ترك الصلاة ثلاثة ايام فقد استحق القتل قال الفقهاء الكافر اذا اكره على الاسلام فاجرى كلمة الاسلام على لسانه يكون مسلما فاذا عاد الى الكفر لايقتل ويجبر على الاسلام كما فى هدية المهديين للمولى اخى چلبى وفيه ايضا كافر لم يقر بالاسلام الا انه اذا صلى مع المسلمين بجماعة يحكم باسلامه وبلا جماعة لا وان صام او حج او ادى الزكاة لا يحكم باسلامه فى ظاهر الرواية وفى اخرى انه ان حج على الوجه الذى يفعله المسلمون فى الاتيان بجميع الاحكام والتلبية وشهود كل المناسك يصير مسلما (ان الله غفور رحيم) تعليل للامر بتخلية السبيل اى خلوهم فان الله يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر لان الايمان يجب ما قبله اى يقطعه كالحج ويثيبهم بايمانهم وطاعتهم واعلم ان الله تعالى امر فى هذه الآية بالجهاد وهو اربعة انواع جهاد الاولياء بالقلب بتحليته بالاخلاق الحميدة وجهاد الزهاد بالنفس بتزكيتها عن الاوصاف الرذيلة وجهاد العلماء باظهار الحق خصوصا عند سلطان جائر وامام ظالم وجهاد الغزاة ببذل الروح بهر روز مرك اين دم مرده باش * تا شوى با عشق سرمد خواجه تاش * كشته ومرده به پيشت اى قمر * به كه شاه زندكان جاى دكر فالقتل اما قتل النفوس المشركة بالسيف الظاهر واما قتل النفوس العاصية بالسيف الباطن وقتلها فى نهيها عن هواها ومنعها عن مشتهاها واستعمالها على خلاف طبعها وضد طبيعتها قيل للحسين بن على رضى الله عنه اى الجهاد افضل قال مجاهدتك هواك ووصى رجل ولده فقال يا بنى اعص هواك والنساء واصنع ما شئت وقوله تعالى حيث وجدتموهم يشير الى قتلها فى الطاعة والمعصية فقتلها فى الطاعة بملازمتها ومداومتها عليها وفطامها عن مشاربها فيها واعجابها وتخليصها اياها قال فى القصيدة الشهيرة بالبردة

وراعها وهى فى الاعمال سائمة * وان هى استحلت المرعى فلا تسم

اى راع النفس فى اشتغالها بالاعمال عما هو مفسد ومنقص للكمال من الرياء والعجب والغفلة والضلال وان عدت النفس بعض التطوعات حلوا واعتادت به والفته فاجتهد فى ان تقطع نفسك عنه واشتغل بما هو اشق عليها الا ان اعتبار العبادة بما هو بامتيازها من العادة فان تابوا ورجعوا الى الله اى رجعت النفوس عن هواها الى طلب الحق تعالى واقاموا الصلاة وداومت على العبودية والتوجه الى الحق وآتوا الزكاة اى تزكت عن اوصافها الذميمة فخلوا سبيلهم عن مقاساة الشدائد بالرياضات والمجاهدات ليعملوا بالشريعة بعد الوصول الى الحقيقة فان النهاية هى الرجوع الى البداية كما فى التأويلات النجمية يقول الفقير ظهر من هذا ان السالك وان بلغ الى غاية المراتب ونهاية المطالب فهو متقيد فى اطلاقه بمرتبة الشريعة والعمل باحكامها بحيث لو انخلع عن الاحكام والاداب كان ملحدا سيئ الادب مطرودا عن الباب مهجورا عن حريم قرب رب الارباب فالشريعة الشريفة محك لكل سالك مبتدى ولكل واصل منتهى يظهر بها صدق الطلب وخدمة الشكر وفى الكتب الكلامية ولا يصل العبد ما دام عاقلا بالغا الى حيث يسقط الامر والنهى لعموم الخطابات الواردة فى التكاليف واجماع المجتهدين على ذلك اللهم اجعلنا من المتقيدين بوثاق عبوديتك والمراعين لحقوق ربوبيتك

(وان احد) رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل (من المشركين) الذين امرتك بقتلهم (استجارك) اى طلب منك الامان والجوار بعد انسلاخ الاشهر الحرم (فاجره) فآمنه ولا تسارع الى قتله (حتى يسمع) اى الى ان يسمع او ليسمع (كلام الله) اى القرءآن فيما له وما عليه من الثواب والعقاب استدل الاشعرى بهذه الاية الى انه يجوز ان يسمع الكلام القديم الذى هو صفة الله تعالى ومنعه الشيخ ابو منصور فمعنى حتى يسمع كلام الله يسمع ما يدل عليه كما يقال سمعت علم فلان فان حقيقة العلم لا تسمع بل سمعت خبرا دالا على علمه وكما يقال انظر الى قدرته تعالى اى الى ما يدل على قدرته تعالى والتفصيل فى كتب الكلام (ثم ابلغه) بعد استماعه له ان لم يؤمن (مأمنه) اى مسكنه الذى يأمن فيه وهو دار قومه وبعد ذلك ان باو مقاتله فأى (ذلك) يعنى الامر بالاجارة وابلاغ المأمن (بانهم) اى بسبب انهم (قوم لا يعلمون) ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلابد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا ومن ههنا قال الفقهاء حربى اسلم فى دار الحرب ولا يعلم بالشرآئع من الصوم والصلاة ونحوهما ثم دخل دار الاسلام لم يكن عليه قضاؤها ولا يعاقب عليه اذا مات ولو اسلم فى دار الاسلام ولم يعلم بالشرآئع يلزمه القضاء واعلم كما ان الكفار قوم لا يعلمون احكام الله فكذا النفس وصفاتها قوم لا يعلمون الله والطافه فلا يقبلون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها فيرغبون فيها وقد امهل الله تعالى بفضله ليرجع العبد اليه والى طاعته روى انه كان فى بنى اسرآئيل شاب قد عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر فى المرءآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال الهى اطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك تقبلنى فسمع هاتفا من ورآء البيت ولم ير شخصا وهو يقول احببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك وينبغى للعبد ان يسارع الى التوبة والاستغفار فان توبة الشاب احسن من توبة الشيخ فان الشاب ترك الشهوة مع قوة الداعى اليها والشيخ قد ضعفت شهوته وقل داعيه فلا يستويان (قال السعدى) قحبهٔ پير از نابكارى چه كند توبه نكند لانه لا رغبة فى مجامعتها فانها تؤدى الى موت الفجأة وشحنهٔ معزول از مردم آزارى لانه لا ولاية له على الناس جوان كوشه نشين شير مرد راه خداست * كه پير خود نتواند ز كوشهٔ برخاست

شيخ كبير له ذنوب * تعجز عن حملها المطايا

قد بيضت شعره الليالى * وسودت قلبه الخطايا

يا من يأتى عليه عام بعد عام وقد غرق فى بحر الخطايا وهام يا من يشاهد الايات والعبر كلما توالت عليه الاعوام والشهور ويسمع الآيات والسور ولا ينتفع بما يسمع ولا بما يرى من عظائم الامور ما الحيلة فيمن سبق عليه الشقاء فى الكتاب المسطور فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اللهم اجعلنا من المتلذذين بحسن خطابك والمستسعدين بقرب جنابك والمتصفين بمعرفة آيات صفاتك والواصلين الى اسرار ذاتك انك انت الفياض (كيف) فى محل النصب على التشبيه بالحال والظرف والاستفهام انكارى لا بمعنى انكار الواقع كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله بل بمعنى انكار الوقوع (يكون) من الكون التام (للمشركين) هم الناكثون والمعنى على اى حال يوجد لهم (عهد) معتد به (عند الله وعند رسوله) يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى تمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا اى مستنكر مستبعد ان يكون لهم عهد يجب الوفاء به (الا الذين) استدراك من النفى المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين اى لكن الذين (عاهدتم) يعنى بنى ضمرة وبنى كنانة (عند المسجد الحرام) نزديك مسجد حرام يعنى در حديبية كه قريبست بمكهٔ معظمه والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها او الاشعار بسبب وكادتها ومحل الموصول الرفع على الابتدآء خبره قوله تعالى (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) والفاء لتضمنه معنى الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف اى فاستقيموا لهم بوفاء اجلهم مدة استقامتهم لكم فى وفاء العهد فلم ينقضوه كما نقض غيرهم واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اى اى زمان استقاموا لكم فى عهدهم فاستقيموا لهم بالوفاء او مرفوعة على الابتدآء والعائد محذوف اى اى زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه (ان الله يحب المتقين) لنقض العهد تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان المحافظة على العهد من لوازم التقوى وفى الحديث لكل غادر لوآء يوم

القيامة

القيامة يعرف به بقدر غدرته قال فى شرح الشهاب المراد باللوآء التشهير يعنى يفتضح الغدار يوم القيامة بقدر غدره (وفى المثنوى) سوى لطف بى وفايان هين مرو * كان پل ويران بود نيكو شنو * نقض ميثاق وعهود از احمقيست * حفظ ايمان ووفا كار تقيست (كيف) يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله عليه الصلاة والسلام (وان يظهروا عليكم) اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم (لا يرقبوا فيكم) اى لا يراعوا فى شأنكم واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل فى مطلق الرعاية (الا) اى حلفا او قرابة وقيل الال اسم عبرى بمعنى الاله قال الازهرى ايل من اسماء الله تعالى بالعبرانية فجاز ان يكون معرب ال اى لا يراعوا حق الله تعالى (ولا ذمة) اى عهدا حقا يعاقب على اغفاله واضاعته مع ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق يعنى ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروطة بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها (يرضونكم بافواههم) استئناف بيانى كانه قيل باى وجه لا يراعون الحلف او القرابة فكيف يقدمون على عدم المراعاة فاجيب بانهم يرضونكم بافواههم حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون لكم بالايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالأيمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضاء للافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق فى قلوبهم (وتأبى قلوبهم) ما تتفوه به افواههم يعنى ان السنتهم تخالف قلوبهم لما فى بواطنهم من الضغائن ينافى ما اظهروه بالسنتهم من وعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد فهم انما يقولون كلاما حلوا مكرا وخديعة وفى الحديث المكر والخديعة فى النار يعنى اربابهما وفى الحديث اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع وهى جمع بلقعة وهى الارض القفر التى لا شئ فيها وامرأة بلقعة اذا كانت خالية من كل خير والمعنى يفتقر الحالف ويذهب ماله وجاهه فينبغى للعاقل ان لا يجعل عادته ان يحلف فى كل صغير وكبير فانه ربما يحلف كاذبا فيستحق العقوبة وورد ان البياع الحلاف اذا كان كاذبا فى يمينه يكون ثمن ما باعه اشد حرمة من لحم الخنزير (واكثرهم) اى اكثر المشركين (فاسقون) خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون فى الكفر ليست لهم عقيدة تمنعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما فى بعض الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء والاحدوثة ما يتحدث الناس فى حقه من المثالب والمعايب يقول الفقير ذكر عند حضرة شيخى العلامة ابقاه الله بالسلامة مروءة بعض اهل الذمة فقال انه من آثار السعادة الازلية ويرجى ان ذلك يدعوه الى الايمان والتوحيد ويصير عاقبته الى النجاة والفلاح (وفى المثنوى) من نديدم درجهان جست وجو * هيچ اهليت به از خوى نكو * در بى خو باش وباخوش خو نشين * چون نديدى روغن كل را ببين * پس بدانكه صورت خوب ونكو * باخصال بد نيرزد يك طسو * ور بود صورت حقير وناپذير * چونكه خلقش نيك شد درپاش مير * وقد اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا بوصية جامعة لمحاسن الاخلاق فقال يا معاذ اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه فى القرءآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح واياك ان تسب حكيما او تكذب صادقا او تطيع آثما او تعصى اماما عادلا او تفسد ارضا اوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك ادب الله عباده ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب كذا فى العوارف اعلم ان النفس خلقت من السفليات وجبلت ميالة الى الدنيا وشهواتها ولذاتها والى الجفاء والغدر والرياء والنفاق وقد عاهدها الله يوم الميثاق على الصدق والاخلاص فهى ما دامت حية باقية على صفاتها الذميمة لا يمكنها العبودية الخالصة من شوب الطمع فى المقاصد الدنيوية والاخروية فاذا تنورت بالانوار المنعكسة من تجلى صفات الجمال والجلال لمرءآة القلب تفنى عن اوصافها المخلوقة وتبقى بالانوار الخالقية فيثبتها الله بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فتسلم من نقض العهد والمسجد الحرام اشارة الى مقام الوصول الذى هو حرام على اهل الدنيا والآخرة وهو مقام اهل الله وخاصته نسأل الله الوصول الى هذا المقام المكين والدخول فى هذا الحرم الامين قال بعضهم

الزم الصدق والتقى * واترك العجب والريا * واغلب النفس فى الهوى * ترزق السؤل والمنى

فعلى العاقل المجاهدة مع النفس ورعاية العهود والحقوق ومجانبة الفسوق والعقوق قال الشبلى قدس سره عقدت وقتا ان لا آكل الا من الحلال فكنت ادور فى البرارى فرأيت شجرة تين فمددت يدى اليها لآكل فنادتنى الشجرة احفظ عليك عقدك لا تأكل منى فانى ليهودى يقول الفقير فى هذه الحكاية شيئان الاول ظهور الكرامة وهو تكلم الشجرة والثانى تذكير الله تعالى اياه عقده وذلك بسبب صدقه فى ارادته واخلاصه فى طلبه فمن اراد ان يصل الى هذه الرتبة فليحافظ وقته وليراقب فان فى المراقبة حصول المطالب عصمنا الله واياكم من تجاوز الحد والخروج عن الطريق وشرفنا بالوقوف فى حد الحق والثبات فى طريق التحقيق (اشتروا بآيات الله) يعنى المشركين الناقضين تركوا الايات الآمرة بالايفاء بالعهود والاستقامة فى كل امر واخذوا بدلها (ثمنا قليلا) اى شيأ حقيرا من حطام الدنيا وهواهو آؤهم وشهواتهم التى اتبعوها (فصدوا) اى عدلوا واعرضوا من صد صدودا فيكون لازما اومنعوا وصرفوا غيرهم من صده عن الامر صدا فيكون متعديا (عن سبيله) اى دينه الموصل اليه اوسبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه ويحصرونهم (انهم ساء ما كانوا يعملون) اى بئس العمل عملهم المستمر فما المصدرية مع ما فى حيزها فى محل الرفع على انها فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وقيل ان اباسفيان بن حرب جمع الاعراب واطعمهم ليصدهم بذلك عن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليحملهم على نقض العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله فنقضوه بسبب تلك الأكلة ففاعل اشتروا الاعراب والثمن القليل هو ما اطعمهم ابوسفيان يقول الفقير هذا جارى الى الآن فان بعض اهل الهوى والظلم يضيف بعض اهل الطمع والمداهنة ممن يعد من اعيان القوم ليشهدوا له عند السلطان او القاضى بالحق والعدل فيشترون بآيات الله ثمنا قليلا هو الضيافة لهم (لا يرقبون) اى لا يراعون ولا يحفظون (فى مؤمن) اى فى شأنه وحقه (الا) اى حلفا اوحق قرابة (ولا ذمة) اى عهدا هذا نعى عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار (واولئك) الموصوفون بما عد من الصفات السيئة (هم المعتدون) المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة (فان تابوا) عن الكفر وسائر العظائم (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) اى التزموا اقامتهما واعتقدوا فرضيتهما (فاخوانكم) اى فهم اخوانكم (فى الدين) متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اى لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان ومتى لم توجد هذه الثلاثة لا تحصل الاخوة فى الدين ولا عصمة الدماء والاموال (ونفصل الآيات) اى نبين الآيات المتعلقة باحوال المشركين الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتى الكفر والايمان (لقوم يعلمون) اى ما فيها من الاحكام ويتفكرون فيها ويحافظون عليها (وان نكثوا) عطف على قوله تعالى فان تابوا اى وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا (ايمانهم من بعد عهدهم) الموثق بها واظهروا ما فى ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل (وطعنوا فى دينكم) عابوه وقدحوا فيه بتصريح التكذيب وتقبيح الاحكام (فقاتلوا) پس بكشيد (ائمة الكفر) اى فقاتلوهم فوضع الظاهر موضع الضمير للاشارة الى علة وجوب مقاتلتهم اى للايذان بانهم صاروا بذلك ذوى رياسة وتقدم فى الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بائمتهم رؤساؤهم كابى سفيان والحرث بن هشام وابى جهل بن هشام وسهل بن عمرو وعكرمة بن ابى جهل واشباههم وتخصيصهم بالذكر ليس لنفى الحكم عما عداهم بل لان قتلهم اهم من حيث انهم هم المعتدون فى الشرارة ويدعون اتباعهم الى الافعال الباطلة كأنه قيل فقاتلوا من نكث الوفاء بالعهود لا سيما ائمتهم والرؤساء منهم واصل ائمة اءممة جمع امام نحو مثال وامثلة (انهم لا ايمان لهم) اى على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم فالمراد بالايمان المثبتة لهم بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم ما اظهروه من الايمان وبالمنفية ما هو ايمان على الحقيقة فانهم اذا لم يراعوها فلا وجود لها فى الحقيقة ولا اعتبار بها الان ما لم يترتب عليه احكامه ولوازمه فهو فى حكم المعدوم وهو تعليل لاستمرار القتال المأمور به المستفاد من سياق الكلام كأنه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا الانهم لا ايمان لهم حتى تعقدوا معهم عقدا آخر (لعلهم ينتهون) متعلق بقوله فقاتلوا اى قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اى ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التى يرتكبونها لا ايصال الاذية كما هو ديدن المؤذين والاذية هو المكروه اليسير اقول فيه اشارة الى ان الفاعل ينبغى ان يكون له غرض صحيح شرعى فى فعله كدفع المضرة فى قتل القملة والنملة واشباههما لا الارادة التشفى والانتقام وايصال الاذى والآلام للقرض اولغيره وليكن هذا على ذكر من

الصوفية المحتاطين فى كل الامور والساعين فى طريق الفناء الى يوم ينفخ فى الصور قال الحدادى فى الآية بيان ان اهل العهد متى خالفوا شيأ مما عاهدوهم عليه فقد نقضوا العهد واما اذا طعن واحد منهم فى الاسلام فان كان شرط فى عهودهم ان لا يذكروا كتاب الله ولا يذكروا محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز ولا يفتنوا مسلما عن دينه ولا يقطعوا عليه طريقا ولا يعينوا اهل الحرب بدلالة على المسلمين فانهم اذا فعلوا ذلك فقد برئت منهم ذمة الله وذمة رسول الله فان فعلوا شيأ من هذه الاشياء حل دمهم وان كان لم يشرط ذلك عليهم فى عهودهم وطعنوا فى القرآن وشتموا النبى عليه الصلاة والسلام ففيه خلاف من الفقهاء قال اصحابنا يعزرون ولا يقتلون واستدلوا بما روى انس بن مالك ان امرأة يهودية اتت النبى عليه السلام بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها وقيل له انقتلها فقال لا ولحديث عائشة رضى الله عنها فان الله عز وجل يحب الرفق فى امره كله فقالت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا فقال بلى قد قلت عليكم ولم يقتلهم النبى عليه السلام بذلك وذهب مالك الى ان من شتم النبى عليه السلام من اليهود والنصارى قتل الا ان يسلم انتهى ما فى تفسير الحدادى قال ابن الشيخ فى الآية دليل على ان الذمى اذا طعن فى الاسلام اى عابه وازدراه جاز قتله لانه عوهد على ان لا يطعن فى الدين فاذا طعن فقد خرج عن الذمة وعند ابى حنيفة يستتاب الذمى بطعنه فى الدين ولا ينقض عهده بمجرد طعنه ما لم يصرح بالنكث انتهى قال المولى اخى چلبى فى هدية المهديين الذمى اذا صرح بسبه عليه السلام اوعرض او استخف بقدره اووصفه بغير الوجه الذى كفر به فلا خلاف عند الشافعى فى قتله ان لم يسلم لانه لم يعط له الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا ان اباحنيفة والثورى واتباعهما من اهل الكوفة قالوا لا يقتل لان ما هو عليه من الشرك اعظم لكن يعزر ويؤدب وقيل لا يسقط اسلام الذمى الساب قتله لانه حق النبى عليه السلام وجب عليه لهتكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به عليه السلام فلم يكن رجوعه الى الاسلام مسقطا له كما لم يسقط سائر حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل اوقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فلأن لا نقبل توبة الكافر اولى كما فى الاسرار والحاوى فالمختار ان من صدر منه ما يدل على تخفيفه عليه السلام بعمد وقصد من عامة المسلمين يجب قتله ولا تقبل توبته بمعنى الخلاص عن القتل وان اتى بكلمتى الشهادة والرجوع والتوبة لكن لو مات بعد التوبة اوقتل حدا مات ميتة الاسلام فى غسله وصلاته ودفنه ولو اصر على السب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن بل تستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار والفرق بين من سب الرسول وبين من سب الله على مشهور القول باستتابته ان النبى عليه السلام بشر والبشر من جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والبارى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحقهم المعرة بجنسه واعلم انه قد اجتمعت الامة على ان الاستخفاف بنبينا وباى نبى كان من الانبياء كفر سواء فعله فاعل ذلك استحلالا ام فعله معتقدا بحرمته ليس بين العلماء خلاف فى ذلك والقصد للسب وعدم القصد سواء اذ لا يعذر احد فى الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان اذا كان عقله فى فطرته سليما فمن قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اسود اويتيم ابى طالب اوزعم ان زهده لم يكن قصدا بل لكمال فقره ولو قدر على الطيبات لاكلها ونحو ذلك يكفر وكذا من عيره برعاية الغنم اوالسهو اوالنسيان اوالسحر اوبالميل الى نسائه اوقال لشعره شعير بطريق الاهانة وان اراد بالتصغير التعظيم لا يكفر ومن قال جن النبى ساعة يكفر ومن قال اغمى عليه لا يكفر وحكى عن ابى يوسف انه كان جالسا مع هرون الرشيد على المائدة فروى عن النبى عليه السلام انه كان يحب القرع فقال حاجب من حجابه انا لا احبه فقال لهرون انه كفر وان تاب واسلم فبها والا فاضرب عنقه فتاب واستغفر حتى امن من القتل ذكره فى الظهيرية قالوا هذا اذا قال ذلك على وجه الاهانة اما بدونها فلا كما فى الخانية ولو قال رجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكل يلحس اصابعه الثلاث فقال الآخر اين بى ادبيست فهذا كفر والحاصل انه اذا استخف سنة او حديثا من احاديثه عليه السلام يكفر ولو قال لو كانت الصلاة زائدة على الاوقات الخمسة اوالزكاة على خمسة دراهم اوالصوم على شهر لا افعل منها شيأ يكفر ولو قال لآخر صل فقال الآخر ان الصلاة عمل شديد الثقل يكفر ولو صلى رجل فى رمضان لا فى غيره فقال اين خود بسيارست يكفر ولو ترك الصلاة متعمدا ولم ينو القضاء ولم يخف عقاب الله فانه يكفر ولو قال عند مجيء شهر رمضان آمد آن ماه كران اوجاء الضيف الثقيل يكفر ومن

اشارات الآيات ان الطعن فى الدين هو الانكار على مذهب السلوك والطلب وائمة الكفر هم النفوس كما ان ائمة الايمان هم القلوب والارواح والنفوس لاوفاء لهم بالعهد على طلب الحق تعالى وترك ما سواه فلابد من جهادهم حق جهادهم كى ينتهوا عن طبيعتهم وعما جبلوا عليه من الامارية بالسوء (الاتقاتلون قوما) آيا كارزار نميكنيد با كروهى كه (نكثوا) بشكنند (ايمانهم) التى حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة (قال الكاشفى) ديكر از عهدها ميان پيغمبر وقريش آن بود كه حلفا يكديكر را نرنجانند وبر قتال ايشان با يكديكر مظاهره نكنند قريش بنى بكر را كه حلفاء ايشان بودند بسلاح ومرد مدد دادند با بنى خزاعه كه حلفاى رسول بودند جنك كردند (وهموا) وقصد كردند مشركان (باخراج الرسول) حين تشاوروا فى امره بدار الندوة فيكون نعيا عليهم جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة (وهم بدأوكم) اى بدأوا نقض العهد بالمعاداة والمقاتلة (اول مرة) لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم (أتخشونهم) اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم (فالله احق ان تخشوه) فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره وقوله فالله مبتدأ خبره احق وان تخشوه بدل من الله اى خشية احق من خشيتهم فان تخشوه فى موضع رفع ويجوز ان يكون فى موضع نصب اوجر على الخلاف اذا حذف حرف الجر وتقديره بان تخشوه اى احق من غيره بان تخشوه (ان كنتم مؤمنين) فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قال فى التأويلات النجمية اتخشون فوات حظوظ النفس فى اجتهادها وخشية فوات حقوق الله والوصول اليه اولى ان كنتم مؤمنين بالوصول اليه (قاتلوهم) كارزار كنيد با مشركان (يعذبهم الله بايديكم) يعنى بشمشيرهاى شما مقتول شوند (ويخزهم) ورسوا سازدشان بمقهوريت ومغلوبيت (وينصركم عليهم) اى يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب (ويشف) شفا بخشد (صدور قوم مؤمنين) ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضى الله عنهما هم بطن من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عليه السلام ابشروا فان الفرج قريب (قال الحافظ) آنكه پيرانه سرم صحبت يوسف بنواخت * اجر صبريست كه در كلبهٔ احزان كردم (ويذهب) وببرد خداى تعالى بنصرت شما بركفار (غيظ قلوبهم) اندوه دلهاء آنانرا كه بواسطهٔ اذاء كفار ملول بودند ولقد انجز الله ما وعدهم به على اجمل ما يكون (ويتوب الله على من يشاء) كلام مستأنف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم مثل ابى سفيان وعكرمة بن ابى جهل وسهل بن عمرو وغيرهم (والله عليم) بما كان وما سيكون (حكيم) لا يفعل ولا يأمر الا على وفق الحكمة (ام حسبتم) آيا مى پنداريد اى مؤمنان وام منقطعة والمعنى بل احسبتم ومعنى بل الاضراب عن امرهم بالقتال الى توبيخهم على الحسبان (ان تتركوا) مهملين غير مأمورين بالجهاد (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) اى والحال انه لم يتبين الخلص وهم الذين جاهدوا من غيرهم وفائدة التعبير عن عدم التبين بعدم علم الله تعالى ان المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب قال الحدادى وكان الله تعالى قد علم قبل امرهم بالقتال من لا يقاتل ممن يقاتل ولكنه يعلم ذلك غيبا واراد العلم الذى يجازى عليه وهو علم المشاهدة لانه يجازيهم على عملهم لا على علمه فيهم انتهى وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين (ولم يتخذوا) عطف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة اى ولما يعلم الله الذين لم يتخذوا (من دون الله) متعلق بالاتخاذ ان ابقى على حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير (ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) اى بطانة وصاحب سر وهو الذى تطلعه على ما فى ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج وهو الدخول قال ابو عبيدة كل شئ ادخلته فى شئ وليس منه فهو وليجة تكون للواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد (والله خبير بما تعملون) اى بجميع اعمالكم لا يخفى عليه شئ منها فيعلم غرضكم من الجهاد هل فيه اخلاص اوهو مشوب بالعلل كاحراز الغنيمة اوجلب الثناء او نحو ذلك (قال السعدى) منه آب زرجان من برپشيز * كه صراف دانا نكيرد بچيز * زراندود كانرا باتش برند * پديد آيد آنكه كه مس يا زرند * وفى الآية حث على الجهاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرباط يوم فى سبيل الله محتسبا من غير شهر رمضان افضل عند الله واعظم اجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم

فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من شهر رمضان افضل عند الله واعظم اجرا من عبادة الفى سنة صيامها وقيامها فان رده الله الى اهله سالما لم يكتب عليه سيئة الف سنة ويكتب له الحسنات ويجرى له اجر الرباط الى يوم القيامة وفى الحديث من آمن بالله وبرسوله واقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد فى سبيل الله او جلس فى ارضه التى ولد فيها قالوا أفلا نبشر الناس قال ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة وفى الحديث المجاهد من جاهد نفسه لله تعالى جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون اعداءكم اشجع الناس اقهرهم لهواه كم عاقل اسير هواه عليه امير عبد الشهوات اذل من عبد الرق ان المرآة لا تريك خدوش وجهك مع صداها وكذلك نفسك لا تريك عيوب نفسك مع هواها وفى الآية بيان ان المؤمن المخلص يجتنب عن الكافر والمنافق ولا يتخذهما صاحبى سر روى عن شداد بن اوس وعبادة بن الصامت قالا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال هل فيكم غريب يعنى اهل كتاب قلنا لا يا رسول الله فامر بغلق الباب فقال ارفعوا ايديكم فقولوا لا اله الا الله فرفعنا ايدينا ساعة ثم وضع رسول الله يده ثم قال الحمد لله اللهم انك بعثتنى بهذه الكلمة وامرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة انك لا تخلف الميعاد ثم قال ابشروا فان الله قد غفر لكم اقول هذا التلقين تلقين خاص قد توارثه الخواص من لدنه عليه السلام الى هذا اليوم ولم يطلعوا عليه العوام ولم يفشوا اسرارهم الى الاجانب فان ذلك من الخيانة وكذا ولاية المؤمن للكافر ومحبته له من الخيانة وما الاختلاط الامن محبة الكفر والعياذ بالله تعالى من ذلك (ما كان للمشركين) نزلت الآية فى جماعة من رؤساء قريش اسروا يوم بدر فيهم العباس عم النبى عليه السلام فاقبل عليهم نفر من اصحاب رسول الله فعيروهم بالشرك وجعل على رضى الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع رحمه وعون المشركين عليه واغلظ القول له فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال له على وهل لكم من محاسن قال نعم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحاج فقال الله تعالى ردا ما كان للمشركين اى ما صح وما استقام على معنى نفى الوجود والتحقق لا نفى الجواز كما فى قوله تعالى اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى ما وقع وما تحقق لهم (ان يعمروا) عمارة معتدا بها (مساجد الله) اى المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامرها اولان كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حاله بخلاف سائر المساجد اذ ليس فى نواحيها اختلاف الجهة قيل لعكرمة لم تقرأ مساجد وانما هو مسجد واحد قال ان الصفا والمروة من شعائر الله اى شيأ من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذى هو افضل افراد الجنس على ان تعريف الجمع بالاضافة للجنس فالآية على هذا الوجه كناية عن عمارة المسجد على وجه آكد من التصريح بذلك ذكر فى القنية ان اعظم المساجد حرمة المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد الشوارع فانها اخف مرتبة حتى لا يعتكف فيها اذا لم يكن لها امام معلوم ومؤذن ثم مساجد البيوت فانه لا يجوز الاعتكاف فيها الا للنساء انتهى وهذه المساجد هى المساجد المجازية واما المساجد الحقيقية فهى القلوب الطاهرة عن لوث الشرك مطلقا (كما قال من قال) مسجدى كان درد رون اولياست * خانهٔ خاص حقست آنجا خداست * نيست مسجد جز درون سروران * آن مجازست اين حقيقت اى جوان * ولهذا يعبر عن هدم المسجد بهدم قلب المؤمن (شاهدين على انفسهم بالكفر) اى باظهار آثار الشرك من نصب الاوثان حول البيت للعبادة فان ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن وقال السدى شهادتهم على انفسهم بالكفر ان اليهودى لو قيل له ما انت قال يهودى ويقول النصرانى هو نصرانى ويقول المجوسى هو مجوسى اوقولهم نعبد الاصنام ليقربونا الى الله زلفى وهو حال من الضمير فى يعمروا اى محال ان يكون ما سموه عمارة عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة فى شئ (اولئك) الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر (حبطت) تباه وباطل شده است بواسطهٔ كفر (اعمالهم) التى يفتخرون بها وان كانت من جنس طاعة المسلمين (وفى النار هم خالدون) لكفرهم ومعاصيهم قال القاضى عياض انعقد الاجماع على ان الكفار لا تنفعهم اعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم

ولا بتخفيف عذاب لكن بعضهم يكون اشد عذابا من بعض بحسب جرآئمهم وذكر الامام الفقيه ابو بكر البيهقى يجوز ان يراد بما ورد فى الآيات والاخبار فى بطلان خيرات الكفار انهم لا يتخلصون بها عن النار ولكن يخفف عنهم ما يستوجبونه بجنايات ارتكبوها سوى الكفر ووافقه المازرى قال الواحدى دلت الآية على ان الكفار ممنوعون من عمارة مسجد المسلمين ولو اوصى لم تقبل وصيته وهو مجمع عليه بين الحنفية ويمنع من دخول المساجد فان دخل بغير اذن مسلم استحق التعزير وان دخل باذنه لم يعزر والاولى تعظيم المساجد ومنعها منهم (انما يعمر مساجد الله) شامل للمسجد الحرام وغيره (من آمن بالله) وحده والايمان بالرسول داخل فى الايمان بالله لما علم من تقارنهما وعدم انفكاك احدهما عن الآخر فى مثل الشهادة والاذان والاقامة (واليوم الآخر) بما فيه من البعث والحساب والجزاء (واقام الصلاة) مع الجماعة واكثر المشايخ على انها واجبة وفى الحديث صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا والجماعة فى التراويح افضل وكل ما شرع فيه الجماعة فالمسجد فيه افضل فثواب المصلين فى البيت بالجماعة دون ثواب المصلين فى المسجد بالجماعة (وآتى الزكاة) اى الصدقة المفروضة عن طيب نفس وقرن الزكاة بالصلاة فى الذكر لما ان احداهما لا تقبل الا بالاخرى اى انما تستقيم عمارتها ممن جمع هذه الكمالات العلمية والعملية (ولم يخش) فى امور الدين (الا الله) فعمل بموجب امره ونهيه غير آخذه فى الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلى من الامور المخوفة كالظلمة والسباع المهلكة والدواهى العظيمة فهو لا يقدح فى الخشية من الله اذ الخشية من الله ارادة ناشئة من تصور عظمة الله واحاطة علمه بجميع المعلومات وكمال قدرته على مجازاة الاعمال مطلقا وهذا الخوف الجبلى لا يدخل تحت القصد والارادة (فعسى اولئك) پس آن كروه شايد (ان يكونوا من المهتدين) الى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز اهتدآئهم مع ما بهم من الصفات السنية فى معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتدآء والانتفاع باعمالهم التى يحسبون انهم لها محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فان المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دآئرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم * جايى كه شير مردان درمعرض عتابند * وروباه سيرتانرا آنجا چه تاب باشد * وديكر منع مومنانست از اغترار باعمال خويش وبران اعتماد نمودن كما قال الحدادى كلمة عسى من الله واجبة والفائدة فى ذكرها فى آخر هذه الآية ليكون الانسان على حذر من فعل ما يحبط ثواب عمله * هركه بعمل مغرورست ازفيض ازل مهجورست * مباش غره بعلم وعمل كه شد ابليس * بدين سبب زدربار كاه عزت دور * واعلم ان عمارة المساجد تعم انواعا منها البناء وتجديد ما انهدم منها وفى الحديث سبع يجرى للعبد اجرهن وهو فى قبره بعد موته من تعلم علما او كرى نهرا او حفر بئرا او غرس نخلا او بنى مسجدا او ورث مصحفا او ترك ولدا يستغفر له بعد موته وفى الحديث من بنى مسجدا لله تعالى اعطاه الله بكل شبر او بكل ذراع اربعين الف الف مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ فى الجنة فى كل مدينة الف الف بيت فى كل بيت الف الف سرير على كل سرير زوجة من الحور العين فى كل بيت اربعون الف مائدة على كل مائدة اربعون الف قصعة فى كل قصعة اربعون الف الف من طعام ويعطى الله له من القوة حتى يأتى على تلك الازواج وعلى ذلك الطعام والشراب ذكره الزندوستى فى الروضة فان خرب المسجد وتعطل او خربت المحلة ولا يصلى فيه احد صار المسجد ميراثا لورثة البانى عند محمد وقال ابو يوسف هو على حاله مسجد وان تعطل ولو ارادوا ان يجعلوا المسجد مستغلا والمستغل مسجدا لم يجز يقول الفقير من الناس من جعل المسجد اصطبل الدواب او مطمورة الغلة او نحوه وكذا الكتاب ونحوه من محال العلم والعبادات وقد شاهدناه فى ديار الروم والعياذ بالله تعالى قال على رضى الله عنه ست من المروءة ثلاث فى الحضر وثلاث فى السفر فاما اللاتى فى الحضر فتلاوة كتاب الله وعمارة مسجد الله واتخاذ الاخوان فى الله واما اللاتى فى السفر فبذل الزاد وحسن الخلق والمزاح فى غير معاصى الله ذكره الخطيب فى الروضة ومنها تهيئتها اى كنسها وتنظيفها قال الحسن مهور الحور العين كنس المساجد وعمارتها وفى الحديث نظفوا افنيتكم ولا تشبهوا باليهود بجمع الاكباء اى الكناسات فى دورها وفى الحديث غسل الاناء وطهارة الفناء يورثان الغنى فاذا كان الامر فى طهارة الفناء وهو فناء البيت والدكان ونحوهما هكذا فما ظنك فى تنظيف

المسجد والكتاب ونحوهما ومنها تزيينها بالفرش قال بعضهم اول من فرش الحصير فى المساجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت قبل ذلك مفروشة بالحصى وهو بالفارسية سنك ريزه اى فى زمنه صلى الله عليه وسلم وذلك ان المطر جاء ذات ليلة فاصبحت الارض مبتلة فجعل الرجل يأتى بالحصباء فى ثوبه فيبسطها تحته ليصلى عليها فلما قضى رسول الله الصلاة قال ما احسن هذا البساط ثم امر ان يحصب جميع المسجد فمات قبل ذلك فحصبه عمر رضى الله عنه وفى الاحياء اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات فى عصر الصحابة اذ من عد المعروف فى زماننا فرش المساجد بالبسط الرقيقة وقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة كانوا لا يرون ان يكون بينهم وبين الارض حائل انتهى قال الفقهاء يستحب له ان يصلى على الارض بلا حائل او ما تنبته كالحصير والبوريا لانه اقرب الى التواضع وفيه خروج عن خلاف الامام مالك فان عنده يكره السجود على ما ليس من جنس الارض ولا بأس بان يصلى على اللبود وسائر الفرش اذا كان المفروش رقيقا بحيث يجد الساجد تمكنه من الارض وقد روى انه عليه السلام سجد على فروة مدبوغة ولا بأس بتبييض المسجد بالجص او بالتراب الابيض ذكر ان الوليد بن عبد الملك انفق على عمارة مسجد دمشق فى تزيينه مثل خراج الشام ثلاث مرات وروى ان سليمان بن داود عليهما السلام بنى مسجد بيت المقدس وبالغ فى تزيينه حتى نصب الكبريت الاحمر على رأس القبة وكان ذلك اعز ما يوجد فى ذلك الوقت وكان يضيء من ميل وكانت الغزالات يغزلن فى ضوئه من مسافة اثنى عشر ميلا وكان على حاله حتى خربه بخت نصر ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية الى ارض بابل وحمل مائة الف وسبعين عجلة ومنها تعليق القناديل فى المساجد واسراج المصابيح والشموع وفى الحديث من علق قنديلا صلى عليه سبعون الف ملك حتى ينكسر ذلك القنديل كما فى الكشف وقال انس رضى الله عنه من اسرج فى مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام فى ذلك المسجد ضوؤه وكان سليمان عليه السلام امر باتخاذ الف وسبعمائة قنديل من الذهب فى سلاسل الفضة ذكر ان مسجد النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا جاءت العتمة يوقد فيه سعف النخل فلما قدم تميم الدارى المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل بسوارى المسجد واوقدت فقال صلى الله عليه وسلم نورت مسجدنا نور الله عليك اما والله لو كان لى بنت لانكحتها هذا وفى كلام بعضهم اول من جعل فى المسجد المصابيح عمر بن الخطاب ويوافقه قول بعضهم والمستحب من بدع الافعال تعليق القناديل فيها يعنى المساجد واول من فعل ذلك عمر بن الخطاب فانه لما جمع الناس على ابى بن كعب رضى الله عنه فى صلاة التراويح علق القناديل فلما رآها على كرم الله وجهه تزهر قال نورت مسجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب ولعل المراد تعليق ذلك بكثرة فلا يخالف ما تقدم عن تميم الدارى وعن بعضهم قال امرنى المأمون ان اكتب بالاستكثار من المصابيح فى المساجد فلم ادر ما اكتب لانه شئ لم اسبق اليه فاريت فى المنام اكتب فان فيه انسا للمتهجدين ونفيا لبيوت الله تعالى عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك قال بعضهم لكن زيادة الوقود كالواقع ليلة النصف من شعبان ويقال لها ليلة الوقود ينبغى ان يكون ذلك كتزيين المساجد ونقشها وقد كرهه بعضهم والله اعلم الكل من انسان العيون فى سيرة النبى المأمون قال الشيخ عبد الغنى النابلسى فى كشف النور عن اصحاب القبور ما خلاصته ان البدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشرع تسمى سنة فبناء القباب على قبور العلماء والاولياء والصلحاء ووضع الستور والعمائم والثياب على قبورهم امر جائز اذا كان القصد بذلك التعظيم فى اعين العامة حتى لا يحتقروا صاحب هذا القبر وكذا ايقاد القناديل والشمع عند قبور الاولياء والصلحاء من باب التعظيم والاجلال ايضا للاولياء فالمقصد فيها مقصد حسن ونذر الزيت والشمع للاولياء يوقد عند قبورهم تعظيما لهم ومحبة فيهم جائز ايضا لا ينبغى النهى عنه ومنها الدخول والقعود فيها والمكث والعبادة والذكر ودراسة العلوم ونحو ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما الا ادلكم على ما هو خير لكم من الجهاد قالوا بلى قال ان تبنوا مسجدا فيتعلم فيه القرءآن والفقه فى الدين او السنة كما فى الاسرار المحمدية ومنها صيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويقال حديث الدنيا فى المسجد وفى مجالس العلم وعند الميت وفى المقابر وعند الاذان وعند تلاوة القرءآن يحبط ثواب عمل ثلاثين سنة وفى الحديث قال الله تعالى ان بيوتى فى ارضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زآئره قال

الامام القشيرى قدس سره عمارة المساجد التى هى مواقف العبودية لاتتأتى الا بتخريب اوطان البشرية فالعابد يعمر المسجد بتخريب اوطان شهوته والزاهد يعمره بتخريب اوطان ملاحظته ولكل منهم صنف مخصوص وكذلك رتبهم بالايمان مختلفة فايمان من حيث البرهان وايمان من حيث البيان وايمان من حيث العيان وشتان مابينهم انتهى كلامه نسأل الله الغفار ان يجعلنا من العمار والزوار (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) روى ان المشركين قالوا القيام على السقاية وعمارة المسجد الحرام خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفتخرون بالحرم ويستكبرون به من اجل انهم اهله وعماره فانزل الله هذه الآية (قال الكاشفى) آورده اندكه بعض از اهل حرم درجاهليت زمرهٔ حاج رانبيذ زبيب باعسل وسويق ميدادند ودرزمان حضرت صلى الله عليه وسلم منصب سقايت بعباس تعلق داشت ومتصدئ عمارهٔ مسجد الحرام شيبة بن طلحة بود روزى اين هردو بامرتضى على بمقام مفاخرت درآمده عباس بسقايت وشيبه بعمارت مباهات نمودند على باسلام وجهاد مفتخرمى بود حق سبحانه وتعالى بتصديق على آيت فرستاد وروى النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله فقال رجل ما ابالى ان لا اعمل بعد ان اسقى الحاج وقال آخر ما ابالى ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد فى سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضى الله عنه وقال لاترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم استفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله هذه الآية والمعنى اجعلتم ايها المشركون او المؤمنون المؤثرون للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام فى الفضيلة وعلو الدرجة (كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله) السقاية والعمارة مصدران لايتصور تشبيههما بالجثث فلابد من تقدير مضاف فى احد الجانبين اى اجعلتم اهلهما كمن آمن او اجعلتموها كايمان من آمن فان السقاية والعمارة وان كانتا فى انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله تعالى (لايستوون عند الله) اى لايساوى الفريق الاول الثانى من حيث اتصاف كل واحد منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوى بين الوصفين الاولين وبين الاخرين لان المدار فى التفاوت بين الموصوفين (والله لايهدى القوم الظالمين) اى الكفرة الظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون فى الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب (الذين آمنوا) استئناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم (وهاجروا) من اوطانهم الى رسول الله (وجاهدوا فى سبيل الله) العدو فى طاعة الله (باموالهم) ببذل كردن مالها خود بمجاهدان وتهيهٔ اسباب قتال ايشان (وانفسهم) درباختن نفسهاء خود درمعارك حرب اى هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجليلة (اعظم درجة عند الله) اى اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ماعداها من الكمالات التى من جملتها السقاية والعمارة قال الحدادى وانما قال اعظم وان لم يكن للكفار درجة عند الله لانهم كانوا يعتقدون ان لهم درجة عند الله وهذا كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا (واولئك) المنعوتون بتلك النعوت (هم الفائزون) المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كأن فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثانى فهو لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد (يبشرهم ربهم) فى الدنيا على السنة الرسل (برحمة) عظيمة (منه) هى النجاة من العذاب فى الآخرة (ورضوان) خشنودى كامل ازيشان (وجنات) اى بساتين عالية (لهم فيها) اى فى تلك الجنات (نعيم مقيم) نعم لانفاد لها (خالدين فيها) اى فى الجنات (ابدا) تأكيد للخلود لزيادة توضيح المراد اذ قد يراد به المكث الطويل (ان الله عنده اجر عظيم) اى ثواب كثير فى الجنة لاقدر عنده لأجور الدنيا دركشف الاسرار فرموده كه رحمت براى عاصيانست ورضوان براى مطيعان وجنت براى كافهٔ مؤمنان رحمت راتقديم كرد تا اهل عصيان رقم ناامیدى برصفحات احوال خودنكشندكه هرچند گناه عظيم بود رحمت ازان اعظم است * كنه مابرون زحد وشمار * عفوت افزونتر از گناه همه * قطرهٔ زاب رحمت توبس است * شستن نامهٔ سياه همه * اعلم كما ان الكفار بالكفر الجلى لايساوون المؤمنين فى اعمالهم وطاعاتهم كذلك المشركون بالشرك الخفى لايساوون المخلصين فى احوالهم ومقاماتهم فالزهد والتصوف والتعرف والتعبد المشوبة بالرياء والهوى

والاغراض لاثمرة لها عند اهل الطلب لانها خدمة فاسدة كبذر فاسد * دنيا دارى وآخرت مى طلبى * اين نازبخانهٔ پدرباید كرد * قيل لاتطمع فى المنزلة عند الله وانت تريد المنزلة عند الناس وفرقوا بين الخادم والمتخادم بان المتخادم من كانت خدمته مشوبة بهواه فلايراعى واجب الخدمة فى طرفى الرضى والغضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى وبحب المحمدة والثناء من الخلق والخادم من ليس كذلك قال السرى الزهد ترك حظوظ النفس من جميع مافى الدنيا ويجمع هذه الحظوظ المالية والجاهية حب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء وجاء فى الاثر لايزال لا اله الا الله يدفع عن العباد سخط الله مالم يبالوا بما نقص من دنياهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين روى ان عابدا من بنى اسرائيل راودته ملكة عن نفسه فقال اجعلوا الى ماء فى الخلاء اتنظف به ثم صعد اعلى موضع فى القصر فرمى بنفسه فاوحى الله تعالى الى ملك الهواء ان الزم عبدى قال فلزمه ووضعه على الارض وضعا رفيقا فقيل لابليس الا اغويته قال ليس لى سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله فهذا هو الجهاد فى الله وثمرته الخلاص من الهلاك مطلقا قال العلماء بالله ينبغى للمريد ان يكون له فى كل شئ نية لله تعالى حتى فى اكله وشربه وملبوسه فلايلبس الا لله ولايأكل الا لله ولاينام الا لله وقد ورد فى الخبر من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك الاذفر ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة فالمريد ينبغى ان يتفقد جميع اقواله وافعاله ولايسامح نفسه ان تتحرك بحركة او تتكلم بكلمة الا لله تعالى وفى الاخير من الآيات اشارة الى من جاهد النفس وبذل الوجود والموجود جميعا فانه اعظم قربة فى مقام العندية من النفوس المتمردة ومن وصل الى مقام العندية فالله يعظم اجره اى يجده فى مقام العندية فافهم واسأل ولاتغفل عن حقيقة الحال (ياايها الذين آمنوا) سبب نزولها انه لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بالهجرة الى المدينة كان من الناس من يتعلق به زوجته وولده واقاربه فيقولون ننشدك الله ان لاتروح وتدعنا الى غير شئ فنضيع بعدك فيرق لهم ويدع الهجرة فقال الله تعالى ايها المؤمنون (لاتتخذوا آباءكم واخوانكم) الكفرة بمكة (اولياء) يعنى اين گروه بدوستى مگيريد (ان استحبوا الكفر) اى اختاروه (على الايمان) عدى استحب بعلى لتضمنه معنى اختار وحرص (ومن يتولهم منكم) وهركرا ازشما ايشانرا دوست دارد يعنى اين عمل ازيشان پسندد ومن للجنس لاللتبعيض (فاولئك) المتولون (هم الظالمون) بوضعهم الموالاة فى غير موضعها كأن ظلم غيرهم كلاظلم عند ظلمهم قال الامام الصحيح ان هذه السورة انما نزلت بعد فتح مكة فكيف يمكن حمل هذه الآية على ايجاب الهجرة والحال ان الهجرة انما كانت واجبة قبل فتح مكة والاقرب ان تكون هذه الآية محمولة على ايجاب التبرى من اقربائهم المشركين وترك الموالاة معهم باتخاذهم بطانة واصدقاء بحيث يفشون اليهم اسرارهم ويؤثرون المقام بين اظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام ويدل عليه قوله تعالى ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون اى المشركون مثلهم قال الحدادى انما جعلوا ظالمين لموالاة الكفار لان الراضى بالكفر يكون كافرا (قال الكاشفى) چواين آيت آمد متخلفان ازهجرت گفتند كه حالا مادرميان قبائل وعشائرخوديم وبمعاملات وتجارات اشتغال نموده اوقات ميگذرانيم چون عزيمت هجرت كنيم بالضروره قطع پدر وفرزند بايد كرد تجارت ازدست برود بى كسى وبى مالى بمانيم آيت ديگر آمد كه (قل) يامحمد للذين تركوا الهجرة (ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم) اى اقرباؤكم من المعاشرة وهى المخالطة (واموال اقترفتموها) اى اكتسبتموها واصبتموها بمكة وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين (وتجارة) اى امتعة اشتريتموها للتجارة والربح (تخشون كسادها) بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة فى ايام الموسم (ومساكن ترضونها) اى منازل تعجبكم الاقامة فيها لكمال نزاهتها من الدور والبساتين (احب اليكم من الله ورسوله) اى من طاعة الله وطاعة رسوله بالهجرة الى المدينة (وجهاد فى سبيله) اى واحب اليكم من الجهاد فى طاعة الله والمراد الحب الاختيارى المستتبع لاثره الذى هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلى الذى لايخلو عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة (فتربصوا) اى انتظروا جواب للشرط (حتى يأتى الله) تا بيارد خداى تعالى (بامره) هى عقوبة عاجلة او آجلة وهو وعيد لمن آثر حظوظ نفسه على مصلحة دينه (والله لايهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن

الطاعة فى موالاة المشركين اى لا يرشدهم الى ما هو خير لهم وفى الآية الكريمة وعيد شديد لا يتخلص عنه الا اقل قليل فانك لو تتبعت اخوان زماننا من الزهاد الورعين لوجدتهم يتحيرون ويتحزنون بفوات احقر شئ من الامور الدنيوية ولا يبالون بفوات اجل حظ من الحظوظ الدينية فان محصول الآية ان من آثر هذه المشتهيات الدنيوية على طاعة الرحمن فليستعد لنزول عقوبة آجلة او عاجلة ولينظر ان ما آثره من الحظوظ العاجلة هل يخلص من الاهوال والدواهى النازلة اللهم عفوك وغفرانك يا ارحم الراحمين (قال الكاشفى) اى عزيز مرد بايد كه ابراهيم وار روى از كون بكرداند فانهم عدو لى الا رب العالمين مال را بذل مهمان وفرزند را قصد قربان وخود را فداى آتش سوزان كند تا در روى دعوئ دوستى صادق باشد * انكس كه ترا شناخت جانرا چه كند * فرزند وعيال وخانرا چه كند * آورده نماند كه حضرت صلى الله عليه وسلم فرموده است كه لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ماله وولده والناس اجمعين قال ابن ملك المراد به نفى كمال الايمان وبالحب الحب الاختيارى مثلا لو امر رسول الله مؤمنا بان يقاتل الكافر حتى يكون شهيدا او امر بقتل ابويه واولاده الكافرين لاحب ان يختار ذلك لعلمه ان السلامة فى امتثال امره عليه السلام وان لا يختر كما ان المريض ينفر بطبعه عن الدواء ولكن يميل اليه ويفعله لظنه ان صلاحه فيه كيف ونبينا عليه السلام اعطف علينا منا ومن آبائنا واولادنا لانه عليه السلام يسعى لنا لا لغرض قال القاضى ومن محبته عليه السلام نصرة سنته والذب اى المنع والدفع عن شريعته از حضرت شيخ الاسلام قدس سره منقولست كه احمد ابن يحيى دمشقى روزى پيش مادر وپدر نشسته بود وقصهٔ قربان اسماعيل از قرآن بديشان ميخواند كفتند آى احمد از پيش ما برخيز وترا دركار خدا كرديم برخاست وكفت الهى اكنون جز ترا ندارم رو بكعبه نهاد بعد از ان كه بيست وچهار موقف ايستاده بود قصد زيارت والدين كرد چون بدمشق آمد وبدر سراى خود رسيد در بجنبانيد مادر آواز داد كه من على الباب انا احمد ابنك مادرش كفت پيش ازين ما را فرزندى بود اورا كار خدا كرديم احمد ومحمود را باما چه كار * ما هرچه داشتيم فداى تو كرده ايم * جانرا اسير بند هواى تو كرده ايم * ما كرده ايم ترك خود وهر دو كون نيز * ونيها كه كرده ايم براى تو كرده ايم * وهذا لما ان المهاجرين كانوا يكرهون الموت فى بلدة هاجروا منها وتركوها لله تعالى لئلا ينقص ثواب الهجرة اذ فى العود نقض العمل الا ان يكون لضرورة دون اختيار قال فى التأويلات اصل الدين هو محبة الله تعالى وان صرف استعداد محبة الله فى هذه الاشياء المذكورة فيه فسق وهو الخروج من محبة الخالق الى محبة المخلوق وان من آثر محبة المخلوق على محبة الخالق فقد ابطل الاستعداد الفطرى لقبول الفيض الالهى واستوجب الحرمان وادركه القهر والخذلان فتربصوا حتى يأتى الله بامره اى بقهره والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن حسن الاستعداد يعنى لا يهديهم الى حضرة جلاله وقبول فيض جماله بعد ابطال حسن الاستعداد وعن بشر بن الحارث رضى الله عنه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا بشر أتدرى لم رفعك الله تعالى على اقرانك قلت لا يا رسول الله قال باتباعك لسنتى وخدمتك الصالحين ونصحك لاخوانك ومحبتك لاصحابى واهل بيتى هو الذى بلغك منازل الابرار اقول المحبة الخالصة باب عظيم لا يفتح الا لاهل القلب السليم وتأثيرها غريب وامرها عجيب نسأل الله تعالى سبحانه ان يجعلنا من الذين آثروا حب الله وحب رسوله على حب ما سواهما امين (لقد نصركم الله) اى بالله قد اعانكم يا اصحاب محمد على عدوكم واعلاكم عليهم مع ضعفكم وقلة عددكم وعددكم (فى مواطن كثيرة) من الحروب وهى مواقعها ومقاماتها جمع موطن وهو كل موضع اقام به الانسان لامر والمراد بها واقعات بدر والاحزاب وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة (ويوم حنين) عطف على محل فى مواطن بحذف المضاف فى احدهما اى وموطن يوم حنين ليكون من عطف المكان على المكان او فى ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ليكون من عطف الزمان على الزمان واضيف اليوم الى حنين لوقوع الحرب يومئذ بها فيوم حنين هى غزوة حنين ويقال لها غزوة هوازن ويقال لها غزوة اوطاس باسم الموضع الذى كانت به الموافعة فى اخر الامر وحنين واد بين مكة والطائف (اذ اعجبتكم كثرتكم) چون بشكفت آورد شما را اى سرتكم كثرة عددكم ووفور عددكم والاعجاب هو السرور بالتعجب وهو بدل من يوم حنين وكانت الواقعة فى حنين بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة آلاف منهم ممن شهد

فتح مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وهم اهل مكة سموا بذلك لانه عليه السلام اطلقهم يوم فتح مكة عنوة ولم يقيدهم بالاسار وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف سوى الجم الغفير من امداد سائر العرب روى انه عليه السلام فتح مكة فى اواخر رمضان وقد بقيت منه ثلاثة ايام وقيل فتحها لثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان ومكث فيها الى ان دخل شوال فغدا يوم السبت السادس منه خارجا الى غزوة حنين واستعمل على مكة عتاب بن اسيد يصلى بهم ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقه وحين فتحت مكة اطاعه عليه السلام قبائل العرب الا هوازن وثقيفا فان اهلهما كانوا طغاة مردة فخافوا ان يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وظنوا انه عليه السلام يدعوهم الى الاسلام فثقل ذلك عليهم فحشدوا وبغوا وقالوا ان محمدا لاقى قوما لا يحسنون القتال فاجمعوا امرهم على ذلك فاخرجوا معهم اموالهم ونساءهم وابناءهم ورآءهم فحملوا النساء فوق الابل ورآء صفوف الرجال ثم جاؤا بالابل والغنم والذرارى ورآء ذلك كى يقاتل كل منهم عن اهله وماله ولا يفر احد بزعمهم فساروا كذلك حتى نزلوا باوطاس وقد كان عليه السلام بعث اليهم عينا ليتجسس عن حالهم وهو عبد الله بن ابى حدرد من بنى سليم فوصل اليهم فسمع مالك بن عوف امير هوازن يقول لاصحابه انتم اليوم اربعة آلاف رجل فاذا القيتم العدو فاحملوا عليهم حملة رجل واحد واكسروا جفون سيوفكم فوالله لا تضربون باربعة آلاف سيف شيأ الا فرج فاقبل العين الى النبى عليه السلام فاخبره بما سمع من مقالتهم فقال سلمة بن سلامة الوقش الانصارى يا رسول الله لن نغلب اليوم من قلة معناه بالفارسية ما امروز از قلت لشكر مغلوب نخواهيم شد فساءت رسول الله كلمته وقيل ان هذه الكلمة قالها ابو بكر رضى الله عنه وقيل قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام صاحب التفسير الكبير وهو بعيد لانه عليه السلام كان فى اكثر الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا واسبابها قال ابن الشيخ فى حواشيه الظاهر ان القول بها لا ينافى التوكل على الله ولا يستلزم الاعتماد على الاسباب الظاهرة فان قوله لن نغلب اليوم من قلة نفى للقلة واعجاب بالكثرة والمعنى ان وقعت مغلوبية فلامر آخر غير القلة فركب صلى الله عليه وسلم بغلته دلدل ولبس درع داود عليه السلام التى لبسها حين قتل جالوت ووضع الالوية والرايات مع المهاجرين والانصار فلما كان بحنين وانحدروا فى الوادى وذلك عند غبش الصبح يوم الثلاثاء خرج عليهم القوم وكانوا كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه وكانوا رماة فاقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذرارى فاكب المسلمون فتنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا وحملوا عليهم فادركت المسلمين كلمة الاعجاب اى لحقهم شوم كلمة الاعجاب فانكشفوا ولم يقوموا لهم مقدار حلب شاة وذلك قوله تعالى (فلم تغن عنكم شيأ) پس دفع نكرد از شما ان كثرت شما والاغناء اعطاء ما تدفع به الحاجة اى لم تعطكم تلك الكثرة مما تدفعون به حاجتكم شيأ من الاغناء (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) اى رحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اى لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه (قال الشاعر)

كأن بلاد الله وهى عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

اى حبالة صيد (ثم وليتم) الكفار ظهوركم (مدبرين) اى منهزمين لا تلوون على احد يقال ولى هاربا اى ادبر فالادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال روى انه بلغ فلهم اى منهزمهم مكة وسر بذلك قوم من اهل مكة واظهروا الشماتة حتى قال اخو صفوان بن امية لامه الا قد ابطل الله السحر اليوم فقال له صفوان وهو يومئذ مشرك اسكت فض الله فاك اى اسقط اسنانك والله لان يربنى من الربوبية اى يملكنى ويدبر امرى رجل من قريش احب الى من ان يربنى رجل من هوازن ولما انهزموا بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وليس معه الا عمه العباس آخذ بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن حرب بن عبد المطلب آخذ بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين ويقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وهذا ليس بشعر لانه لم يقع عن قصد وانما قال انا ابن عبد المطلب ولم يقل انا ابن عبد الله لان العرب كانت تنسبه صلى الله عليه وسلم الى جده عبد المطلب لشهرته ولموت عبد الله فى حياته فليس من الافتخار بالآباء الذى هو من عمل الجاهلية وقال الخطابى انه عليه السلام انما قال انا ابن عبد المطلب لا على سبيل الافتخار ولكن ذكرهم عليه السلام بذلك رؤيا رآها عبد المطلب ايام حياته وكانت القصة مشهورة عندهم فعرفهم بها واذكرهم اياها وهى احدى دلائل نبوته عليه السلام وقصة الرؤيا

على ما فى عقد الدرر واللآلى ان عبد المطلب جد النبى عليه السلام بينما هو نائم فى الحجر انتبه مذعورا قال العباس فتبعته وانا يومئذ غلام اعقل ما يقال فاتى كهنة قريش فقال رأيت كان سلسلة من فضة خرجت من ظهرى ولها اربعة اطراف طرف قد بلغ مشارق الارض وطرف قد بلغ مغاربها وطرف قد بلغ عنان السماء وطرف قد جاوز الثرى فبينما انا انظر عادت شجرة خضراء لها نور فبينما انا كذلك قام على شيخان فقلت لاحدهما من انت قال انا نوح نبى رب العالمين وقلت للآخر من انت قال ابراهيم خليل رب العالمين ثم انتبهت قالوا ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك نبى يؤمن به اهل السموات واهل الارض وذات السلسلة على كثرة اتباعه وانصاره لتداخل حلق السلسلة ورجوعها شجرة يدل على ثبات امره وعلو ذكره وسيهلك من لم يؤمن به كما هلك قوم نوح وستظهر به ملة ابراهيم والى هذا وقعت اشارة النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب كأنه يقول انا ابن صاحب تلك الرؤيا مفتخرا بها لما فيها من علم نبوته وعلو كلمته انتهى روى انه عليه السلام كان يحمل على الكفار فيفرقون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته حيث لم يخف اسمه فى تلك الحال ولم يخف الكفار على نفسه وما ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتنى بما وعدتنى وقال للعباس وكان صيتا جهورى الصوت صح بالناس يروى من شدة صوته انه اغير يوما على مكة فنادى واصباحاه فاسقطت كل حامل سمعت صوته وكان صوته يسمع من ثمانية اميال فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة وهم اهل بيعة الرضوان يا اصحاب سورة البقرة وهم المذكورون فى قوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون وكانوا يحفظون سورة البقرة ويقولون من حفظ سورة البقرة وآل عمران فقد جد فينا فكروا عنقا واحدا اى جماعة واحدة يعنى دفعة وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى (ثم انزل الله سكينته على رسوله) اى رحمته التى تسكن بسببها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه السلام قبل ذلك ايضا (وعلى المؤمنين) شامل للمنهزمين وغيرهم فعاد المنهزمون وظفروا (وانزل جنودا لم تروها) اى بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم البياض على خيول بلق وكان يراهم الكفار دون المؤمنين فنظر النبى عليه السلام الى قتال المشركين فقال هذا حين حمى الوطيس والوطيس حجارة توقد العرب تحتها النار يشوون عليها اللحم وهو فى الاصل التنور وهذه من الكلمات التى لم تسمع الا منه صلى الله عليه وسلم وحمى الوطيس كناية عن شدة الحرب ثم نزل عن بغلته وقيل لم ينزل بل قال يا عباس ناولنى من الحصباء او انخفضت بغلته حتى كادت بطنها تمس الارض ثم قبض قبضة من تراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت به عيناه ثم قال عليه السلام انهزموا ورب الكعبة وهو اعظم من انقلاب العصا حية لان ابتلاعها لحبالهم وعصيهم لم يقهر العدو ولم يشتت شمله بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى بخلاف هذا الحصى فانه اهلك العدو وشتت شمله وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان فقال له جبريل عليه السلام لقد لقنت الكلمات التى لقنها الله موسى يوم فلق البحر واختلفوا فى عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر الفا وفى قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك والقاء الرعب فى قلوب المشركين (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر والسبى (وذلك) اى ما فعل بهم مما ذكر (جزاء الكافرين) فى الدنيا ولما هزم الله المشركين بوادى حنين ولوا مدبرين والفوا اوطاس وبها عيالهم واموالهم فبعث رسول الله رجلا من الاشعريين يقال له ابو عامر وامره على جيش الى اوطاس فسار اليهم فاقتتلوا وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيالهم وهرب اميرهم مالك بن عوف فاتى الطائف وتحصن بها واخذوا اهله وماله فيمن اخذ وقتل امير المؤمنين ابو عامر ثم انه عليه السلام اتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم فاتى الجعرانة وهو موضع بين مكة والطائف سمى المحل باسم امرأة وهى ربطة بنت سعد وكانت تلقب بالجعرانة وهى المرادة فى قوله تعالى كالتى نقضت غزلها فاحرم منها بعمرة بعد ان قام بها ثلاث عشرة ليلة وقال اعتمر منها سبعون نبيا وقسم بها غنائم حنين واوطاس وكان السبى ستة آلاف

رأس والابل اربعة وعشرين الفا والغنم اكثر من اربعين الفا واربعة آلاف اوقية فضة وتألف اناسا فجعل يعطى الرجل الخمسين والمائة من الابل ولما قسم ما بقى خص كل رجل اربع من الابل واربعون شاة فقال طائفة من الانصار يا للعجب ان اسيافنا تقطر من دمائهم وغنائمنا ترد عليهم فبلغ ذلك النبى عليه السلام فجمعهم فقال يا معشر الانصار ما هذا الذى بلغنى عنكم فقالوا هو الذى بلغك وكانوا لا يكذبون فقال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى وكنتم اذلة فاعزكم الله بى وكنتم وكنتم اما ترضون ان ينقلب الناس بالشاء والابل وتنقلبون برسول الله الى بيوتكم فقالوا بلى رضينا يا رسول الله والله ما قلنا ذلك الا محبة لله ولرسوله فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم (ثم يتوب الله من بعد ذلك) از پس اين جنك (على من يشاء) ان يتوب عليه منهم لحكمة تقتضيه اى يوفقه للاسلام (والله غفور) يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصى (رحيم) يتفضل عليهم ويثيبهم روى ان ناسا منهم جاؤا رسول الله وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبى اهلونا واولادنا واخذت اموالنا فقال عليه السلام ان عندى ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ هو جمع حسب وهو ما يعد من المفاخر كنوا بهذا القول عن اختيار ما سبى منهم من الذرارى والنسوان على استرجاع الاموال فان ترك الذرارى والنسوان فى ذل الاسر واختيار استرجاع الاموال عليها يفضى الى الطعن فى احسابهم وينافى المروءة فقام النبى عليه السلام فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده سبى وطابت نفسه ان يرد فشأنه اى فليلزم شأنه وليفعل ما طاب له ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال عليه السلام انا لا ندرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا ثم قال صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ما فعل مالك بن عوف قالوا يا رسول الله هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف فقال صلى الله عليه وسلم اخبروه انه ان اتانى مسلما رددت عليه اهله وماله واعطيته مائة من الابل فلما بلغه هذا الخبر نزل من الحصن مستخفيا خوفا ان تحبسه ثقيف اذا علموا الحال وركب فرسه وركضه حتى اتى الدهناء محلا معروفا فركب راحلته ولحق برسول الله فادركه بالجعرانة واسلم فرد عليه اهله وماله واستعمله عليه السلام على من اسلم من هوازن وكان مالك بن عوف بعد ذلك ممن افتتح عامة الشأم ثم فى القصة اشارات منها ان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الواقعة كانوا فى غاية الكثرة والقوة فلما اعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين فلما تضرعوا فى حال الانهزام الى الله تعالى قواهم حتى هزموا عسكر الكفار وذلك يدل على ان الانسان متى اعتمد على الدنيا فاته الدين ومتى اطاع الله ورجح الدين على الدنيا آتاه الله الدين والدنيا على احسن الوجوه وكما ان اكثر الاسباب الصورية وان كان مدار الفتح الصورى لكنه فى الحقيقة لا يحصل الا بمحض فضل الله فكذا كثرة الاعمال والطاعات وان كانت سببا للفتح المعنوى لكنه فى الحقيقة ايضا لا يحصل الا بخصوص هداية الله تعالى فلا بد من العجز والافتقار والتضرع الى الله الغفار (قال الحافظ) تكيه بر تقوى ودانش در طريقت كافريست * راهرو كر صد هنر دارد توكل بايدش * ومنها ان المؤمن لا يخرج من الايمان وان عمل الكبيرة لانهم قد ارتكبوا الكبيرة حيث هربوا وكان عددهم اكثر من عدد المشركين فسماهم الله تعالى مؤمنين فى قوله ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وذلك لان حقيقة الايمان هو التصديق القلبى فلا يخرج المؤمن عن الاتصاف به الا بما ينافيه ومجرد الاقدام على الكبيرة لغلبة شهوة او غيرة جاهلية او عار او كسل او خوف خصوصا اذا اقترن به خوف العقاب ورجاء العفو والعزم على التوبة لا ينافيه (قال الحافظ) بپوش دامن عفوى بزلت من مست * كه آب روى شريعت بدين قدر نرود * (وقال السعدى) پرده از روى لطف كو بردار * كه اشقيارا اميد مغفرتست * ومنها انه صلى الله عليه وسلم لم ينهزم قط فى موطن من المواطن واما ما روى عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه مررت برسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما فانهزما حال من سلمة لا من النبى عليه السلام قال القاضى عبد الله بن المرابط من قال ان نبى الله عليه السلام هزم فى بعض غزواته يستتاب فان تاب فيها ونعمت والا قتل فانه نسب اليه ما لا يليق بمنصبه والحق به نقصا وذلك لا يجوز عليه اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقد اعطاه الله تعالى

من الشجاعة ورباطة الجاش مالم يعط احدا من العالمين فكيف يتصور الانهزام فى حقه شاهى وملائكه سپاهست * خلق تو عظيم وحق كواهست * ومنها ان ذا القعدة شهر شريف ينبغى ان يعرف قدره ويجاهد المرء فيه نفسه وهو الثلاثون يوما التى واعد الله فيها موسى عليه السلام وامره ان يصومها حتى يجيء بعدها الى طور المناجاة والمكالمات والمشاهدات قال كعب الاحبار رضى الله عنه اختار الله الزمان فاحبه اليه الاشهر الحرم وذو القعدة من الاشهر الحرم بلا خلاف وسمى ذا القعدة لقعودهم فيه عن القتال وعن قتادة قال سألت انسا كم اعتمر النبى عليه السلام قال اربعا عمرة الحديبية فى ذى القعدة حيث صده المشركون وعمرة من العام القابل حيث صالحهم وعمرة الجعرانة اذ قسم غنيمة اراها حنين قلت كم حج قال واحدة ومعناه بعد الهجرة الى المدينة فانه صلى الله عليه وسلم قد حج قبلها كما فى عقد الدرر واللآلى وكذا قال صاحب الروضة وفى السنة التاسعة حج ابو بكر رضى الله عنه بالناس وفى العاشرة كانت حجة الوداع ولم يحج النبى عليه السلام بعد الهجرة سواها وحج قبل النبوة وبعدها حجات لم يتفق على عددها واعتمر بعد الهجرة اربع عمر وفى هذه السنة مات ابراهيم ابن النبى عليه السلام وفى الحادية عشرة فاته صلى الله عليه وسلم انتهى اللهم اختم لنا بالخير واجعل لنا فى رياض انسك مبوأ ومنزلا وفى حظائر قدسك مستقرا ومقاما وموئلا (يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس) النجس بفتحتين مصدر بمعنى النجاسة وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم عين النجاسة يجب الاجتناب عنهم والتبرى منهم وقطع مودتهم قال الحدادى سمى المشرك نجسا لان الشرك يجرى مجرى القذر فى انه يجب تجنبه كما يجب تجنب النجاسات اولانهم لا يتطهرون من الجنابة والحدث ولا يجتنبون عن النجاسة الحقيقية فهم ملابسون لها غالبا فحكم عليهم بانهم نجس بمعنى ذوى نجاسة حكمية وحقيقية فى اعضائهم الظاهرة اوانهم نجس بمعنى ذوى نجاسة فى باطنهم حيث تنجسوا بالشرك والاعتقاد الباطل فعلى هذا يحتمل ان يكون نجس صفة مشبهة كحسن فيجوز تركه تقديرا المضاف (فلا يقربوا المسجد الحرام) الفاء سببية اى فلا يقربوه بسبب انهم عين النجاسة فضلا عن ان يدخلوه فان نهيهم عن اقترابه للمبالغة فى نهيهم عن دخوله قال فى التبيان اى لا يدخلوا الحرم كله وحدود الحرم من جهة المدينة على ثلاثة اميال ومن طريق العراق على سبعة اميال ومن طريق الجعرانة على تسعة اميال ومن طريق الطائف على تسعة اميال ومن طريق جدة على عشرة اميال انتهى (بعد عامهم هذا) وهو السنة التاسعة من الهجرة التى حج فيها ابو بكر رضى الله عنه اميرا وكانت حجة الوداع فى السنة العاشرة هذا هو الظاهر الذى عليه الامام الشافعى واما على مذهب الامام الاعظم فالمراد من الاية المنع من الدخول حاجا ومعتمرا فالمعنى لا يحجوا ولا يعتمروا بعد هذا العام ويدل عليه قول على رضى الله عنه حين نادى ببرآءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك فلا يمنع المشرك عنده من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد قال فى الاشباه فى احكام الذمى ولا يمنع من دخول المسجد جنبا بخلاف المسلم ولا يتوقف دخوله على اذن مسلم عندنا ولو كان المسجد الحرام ثم قال فى احكام الحرم ولا يسكن فيه كافر وله الدخول فيه انتهى يقول الفقير لعل الحكمة فى ان الجنب المسلم يمنع من دخول المسجد دون الجنب الكافر ان ما هو عليه الكافر من الشرك والخبث القلبى والجنابة المعنوية اعظم من حدثه الصورى فلا فائدة فى منعه نعم اذا كان عليه نجاسة حقيقية يمنع لانا مأمورون بتطهير المساجد عن القاذورات ولذا قالوا بحرمة ادخال الصبيان والمجانين فى المساجد حيث غلب تنجيسهم والا فيكره كما فى الاشباه هذا فلما منعوا من قربان المسجد الحرام قال اناس من تجار بكر ابن وائل وغيرهم من المشركين بعد قرآءة على هذه الاية ستعلمون يا اهل مكة اذا فعلتم هذا ماذا تلقون من الشدة ومن اين تأكلون اما والله لنقطعن سبلكم ولا نحمل اليكم شيأ فوقع ذلك فى انفس اهل مكة وشق عليهم والقى الشيطان فى قلوب المسلمين الحزن وقال لهم من اين تعيشون وقد نفى المشركون وانقطعت عنكم الميرة فقال المسلمون قد كنا نصيب من تجاراتهم فالآن تنقطع عنا الاسواق والتجارات ويذهب عنا الذى كنا نصيب فيها فانزل الله تعالى قوله (وان خفتم عيلة) اى فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارزاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه او من تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليكم مدرارا اكثر من خيرهم وميرهم ووفق اهل تبالة وجرش واسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض (ان شاء) ان يغنيكم

قيده بالمشيئة مع ان التقييد بها ينافى ما هو المقصود من الآية وهو ازالة خوفهم من العيلة لفوائد الفائدة الاولى ان لا يتعلق القلب بتحقق الموعود بل يتعلق بكرم من وعد به ويتضرع اليه فى نيل جميع المهمات ودفع جميع الآفات والبليات والثانية التنبيه على ان الاغناء الموعود ليس يجب على الله تعالى بل هو متفضل فى ذلك لا يتفضل به الا عن مشيئته وارادته والثالثة التنبيه على ان الموعود ليس بموعود بالنسبة الى جميع الاشخاص ولا بالنسبة الى جميع الامكنة والازمان (ان الله عليم) بمصالحكم (حكيم) فيما يعطى ويمنع (قال الكاشفى) حكم كننده است بتحقيق آمال ايشان اكر درى دربندد ديكرى بكشايد كمان مدارا كرضايعم تو بكذارى * كه ضايعم نكذارد مسبب الاسباب * براى من دراحسان اكر تو دربندى * درى دكر بكشايد مفتح الابواب * روى عن الشيخ ابى يعقوب البصرى رضى الله عنه قال جعت مرة فى الحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتنى نفسى ان اخرج الى الوادى لعلى اجد شيأ ايسكن به ضعفى فخرجت فوجدت سلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة وكان قائلا يقول لى جعت عشرة ايام فآخرها يكون حظك سلجمة مطروحة متغيرة فرميت بها فدخلت المسجد فقعدت فاذا برجل جاء فجلس بين يدى ووضع قمطرة وقال هذه لك قلت كيف خصصتنى بها فقال اعلم انا كنا فى البحر منذ عشرة ايام فاشرفت السفينة على الغرق فنذر كل واحد منا نذرا ان خلصنا الله ان يتصدق بشئ ونذرت انا ان خلصنى الله ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصرى من المجاورين وانت اول من لقيته قلت افتحها فاذا فيها كعك سميذ مصرى ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقى الى صبيانك هدية منى اليهم وقد قبلتها ثم قلت فى نفسى رزقك يسير اليك منذ عشرة ايام وانت تطلبه من الوادى (قال الصائب) فكر آب ودانه دركنج قفس بى حاصلست * زير چرخ انديشهٔ روزى چرا باشد مرا * وفى الآية اشارة الى ان الله تعالى قد رفع قلم التكاليف عن الانسان الى ان يبلغ استكمال القالب ففى تلك المدة كانت النفس وصفاتها يطفن حول كعبة القالب مستمدة من القوى العقلية والروحانية وبهذا يظفرن بمشتهياتهن من الدنيا ونعيمها حتى صار تعبد الدنيا دأبهن والاشراك بالله طبعهن وبذلك تكامل القالب واستوت اوصاف البشرية الحيوانية عند ظهور الشهوة بالبلوغ ثم اجرى الله عليهم قلم التكاليف ونهى القالب عن اتباع النفوس وامره بقتالها ونهاها عن تطوافها الا لا تنجس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس والاوصاف الذميمة فلما منعت النفس عن تطوافها بحوالى القالب خاف القالب من فوات حظوظه من الشهوات بتبعية النفس فاغناه الله عن تلك الحظوظ بما يفتح عليه من فضل مواهبه من الواردات الربانية والشواهد والكشوف الرحمانية وفى قوله ان شاء اشارة الى ان ما عند الله لا ينال الا بمشيئة الله كذا فى التأويلات النجمية (قال الحافظ) سكندر را نمى بخشند آبى * بزور وزر ميسر نيست اين كار (قاتلوا) بكشيدى اى مؤمنان وكارزار كنيد (الذين) باآنكه (لا يؤمنون بالله) كما ينبغى فان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فايمانهم بالله كلا ايمان (ولا باليوم الآخر) كما ينبغى فان اليهود ذهبوا الى نفى الاكل والشرب فى الجنة والنصارى الى اثبات المعاد الروحانى فعلمهم باحوال الآخرة كلا علم فكذا ايمانهم المبنى عليه ليس بايمان والمؤمن الكامل هو الذى يصف الله تعالى بما يليق به فيوحده وينزهه ويثبت المعاد الجسمانى والروحانى كليهما والنعيم الصورى والمعنوى ايضا فان لكل من الجسم والروح حظا من النعيم يليق بحاله ويناسب لمقامه (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) اى ما ثبت تحريمه بالوحى المتلو وهو الكتاب او غير المتلو وهو السنة وذلك مثل الدم والميتة ولحم الخنزير والخمر ونظائرها (ولا يدينون دين الحق) يجوز ان يكون مصدر يدينون وان يكون مفعولا به ويدينون بمعنى يعتقدون ويقبلون والحق صفة مشبهة بمعنى الثابت واضافة الدين اليه من قبيل اضافة الموصوف الى صفته واصل الكلام ولا يدينون الدين الحق وهو دين الاسلام فانه دين ثابت نسخ جميع ما سواه من الاديان وعن قتادة ان الحق هو الله تعالى والمعنى ولا يدينون دين الله الذى هو الاسلام فان الدين عند الله الاسلام (من الذين اوتوا الكتاب) من التوراة والانجيل وهو بيان للذين لا يؤمنون (حتى) للغاية (يعطوا) اى يقبلوا ان يعطوا فان غاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله (الجزية) فعلة من جزى دينه اذا قضاه سمى ما يعطيه المعاهد مما تقرر عليه بمقتضى عهده جزية لوجوب قضائه عليه اولانها تجزى عن الذمى اى تقضى

وتكفى عن القتل فانه اذا قبلها يسقط عنه القتل (عن يد) حال من الضمير فى يعطوا اى عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه اوعن يد مطيعة غير ممتنعة اى منقادين مطيعين فاذا احتيج فى اخذها منهم الى الجبر والاكراه لايبقى عقد الذمة بل يعود حكم القتل والقتال فالاعطاء عن يد كناية عن الانقياد والطوع يقال اعطى فلان بيده اذا استسلم وانقاد وعلاقة المجاز ان من ابى وامتنع لايعطى بيده بخلاف المطيع اوعن غنى ولذلك قيل لم تجب الجزية على الفقير العاجز عن الكسب اوعن انعام عليه فان ابقاء مهجتهم بمابذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم اوعن يد قاهرة مستولية عليهم وهى يد الآخذ فعن سببية كما فى قولك يسمنون عن الاكل والشرب اى يبلغون الى غاية السمن وحسن الهيئة بسبب الاكل والشرب (وهم صاغرون) اى اذلاء وذلك بان يأتى بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه اى بجيبه ويجر ويقال له اد الجزية ياذمى اوياعدوالله وان كانوا يؤدونها واعلم ان الكفار ثلاثة انواع نوع منهم يقاتلون حتى يسلموا اذلا يقبل منهم الا الاسلام وهم مشركوا العرب والمرتدون امامشركوا العرب فلان النبى عليه السلام بعث منهم فظهرت المعجزات لديهم فكفرهم يكون افحش واما المرتدون فلانهم عدلوا عن دين الحق بعد اطلاعهم على محاسنه فيكون كفرهم اقبح فالعقوبة على قدر الجناية وفى وضع الجزية تخفيف لهم فلم يستحقوه ونوع آخر يقاتلون حتى يسلموا اويعطوا الجزية وهم اليهود والنصارى والمجوس اما اليهود والنصارى فبهذه الاية واما المجوس فبقوله عليه السلام سنوابهم سنة اهل الكتاب غيرنا كحى نسائهم وآكلى ذبائحهم والنوع الثالث منهم الكفرة الذين ليسوا مجوسا ولا اهل كتاب ولامن مشركى العرب كعبدة الاوثان من الترك والهند ذهب ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله الى جواز اخذ الجزية منهم لجواز اجتماع الدينين فى غير جزيرة العرب وهم من غير العرب ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهما فى كل شهر درهم هذا اذا كان فى اكثر الحول صحيحا اما اذا كان فى اكثره اونصفه مريضا فلا جزية عليه وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما فى كل شهر درهمان وعلى الغنى ثمانية واربعون درهما فى كل شهر اربعة دراهم ولاشئ على فقير عاجز عن الكسب ولاعلى شيخ فان اوزمن اومقعد اواعمى اوصبى اوامرأة اوراهب لايخالط الناس وانما لم توضع عليهم الجزية لان الجزية شرعت زجرا عن الكفر وحملا له على الاسلام فيجرى مجرى القتل فمن لايعاقب بالقتل وهم هؤلاء لايؤاخذ بالجزية لان الجزية خلف من القتال وهم ليسوا باهله فاذا حصل الزاجر فى حق المقاتلة وهم الاصل انزجر التبع قال الحدادى اما طعن الملحدة كيف يجوز اقرار الكفار على كفرهم باداء الجزية بدلا من الاسلام فالجواب انه لايجوز ان يكون اخذ الجزية منهم رضى بكفرهم وانما الجزية عقوبة لهم على اقامتهم على الكفر واذا جاز امهالهم بغير الجزية للاستدعاء الى الايمان كان امهالهم بالجزية اولى انتهى فعلى الولاة والمتسلمين ان لايتعدوا ماحد الله تعالى فى كتابه فان الظلم لايجوز مطلقا ويعود وباله على الظالم بل يسير الى غيره ايضا وفى الحديث خمس بخمس اذا اكل الربا كان الخسف والزلزلة واذا جار الحكام قحط المطر واذا ظهر الزنى كثر الموت واذا منعت الزكاة هلكت الماشية واذا تعدى على اهل الذمة كانت الدولة لهم كذا فى الاسرار المحمدية لابن فخر الدين الرومى جمله دانند اين اكر تو نكروى * هرچه مى كاريش روزى بدروى * يقول الفقير رأينا من السنة الرابعة والتسعين بعد الالف الى هذا الآن وهى السنة الحادية بعد المائة والالف من استيلاء الكفار على البلاد الرومية وعلى البحر الاسود والابيض مالم يره احد قبلنا ولايدرى احد ماذا يكون غدا والامر بيد الله تعالى وذلك بسبب الظلم المفرط على اهل الاسلام واهل الذمة السيما كنتين فى تلك الديا رفعاد الصغار والذل من الكفار الى المسلمين الكاذبين فصاروا هم صاغرين والعياذ بالله تعالى وليس الخبر كالمعاينة نسأل الله تعالى اللحوق باهل الحق والدخول فى الارض المقدسة ثم ان مماحرم الله على اهل الحق الدنيا ومحبتها فان حب الدنيا رأس كل خطيئة والكفار لماقصروا انظارهم على الدنيا واخذ وها بدلا من الاخرة وضعت عليهم الجزية ويجزية النفس الامارة معاملاتها على خلاف طبعها لتكون صاغرة ذليلة تحت احكام الشرع وآداب الطريقة فلابد من جهادها وتذليلها ليعود العز والدولة الى طرف الروح (وفى المثنوى) آنچه درفرعون بود اندرتوهست * ليك ازدرها ت محبوس چهست * آتشت راهيزم فرعون نيست * زانكه چون فرعون اورا

عون نيست * فهذه حال النفس فلابد من قهرها الى ان تفنى عن دعواها واسناد العز اليها وعند ذلك تكون فانية مطمئنة مستسلمة لامر الله منقادة مسخرة تحت حكمه (وقالت اليهود عزير ابن الله) يقرأ بالتنوين على ان عزير مبتدأ وابن خبره ولم يحذف التنوين ايذانا بان الاول مبتدأ وان ما بعده خبره وليس بصفة وعزير بن شرحيا از نسل يعقوبست از سبط لاوى وبچهارده پشت بهرون بن عمران ميرسد وهو قول قدماءهم ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولاعبرة بانكار اليهود وفى البحر وتذم طائفة اوتمدح بصدورما يناسب ذلك من بعضهم روى ان بخت نصر البابلى لما ظهر على بنى اسرائيل قتل علماءهم ولم يبق فيهم احد يعرف التوراة وكان عزير اذذاك صغيرا فاستصغره فلم يقتله وذهب به الى بابل مع جملة من اخذه من سبايا بنى اسرائيل فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل بدير هرقل على شط دجلة فطاف فى القرية فلم ير فيها احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق فلمارأى خراب القرية وهلاكها قال أنى يحيى هذه الله بعدموتها قالها تعجبا لاشكا فى البعث فالقى الله تعالى عليه النوم ونزع منه الروح وبقى ميتا مائة عام وامات حماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله تعالى عنه العيون فلم يره احد ثم انه تعالى احياه بعدما اماته مائة سنة واحيى حماره ايضا فركب حماره حتى اتى محلته فانكره الناس وانكرهو ايضا الناس ومنازله فتتبع اهله وقومه فوجد ابناله شيخا ابن مائة سنة وثمانى عشرة سنة وبنوا بنيه شيوخ فوجد من دونهم عجوزا عمياء مقعدة اتى عليها مائة وعشرون سنة كانت امة لهم وقد كان خرج عزير عنهم وهى بنت عشرين سنة فقال لهم انا عزير كان الله اماتنى مائة سنة ثم بعثنى قالت العجوز ان عزيرا كان مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع الله يرد الى بصرى حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحت واخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله تعالى فاطلق رجلها فقامت صحيحة فنظرت فقالت اشهد انك عزير وقال ابنه كان لابى شامة مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير قال السدى والكلبى لما رجع عزير الى قومه وقد احرق بخت نصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق فبكى عزير على التوراة فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة فى صدره فقال لبنى اسرائيل ياقوم ان الله بعثنى اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه ثم ان رجلا قال ان ابى حدثنى عن جدى ان التوراة جعلت فى خابية ودفنت فى كرم كذا فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها حرفا فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة فى قلب رجل الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود المتقدمون عزير ابن الله (وقالت النصارى المسيح ابن الله) هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب اولان يفعل ما فعله من ابرآء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها (ذلك) اشارة الى ماصدر عنهم من العظيمتين (قولهم بافواههم) اى ليس فيه برهان ولاحجة وانما هو قول بالفم فقط كالمهمل قال الحدادى معناه انهم لايتجاوزون فى هذا القول عن العبارة الى المعنى اذلا برهان لهم لانهم يعترفون ان الله لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون ان له ولدا (يضاهئون) اى يضاهى ويشابه قولهم فى الكفر والشناعة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا (قول الذين كفروا من قبل) اى من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله (قاتلهم الله) دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك فهو من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللازم لتعذر ارادة الحقيقة ويجوز ان يكون تعجبا من شناعة قولهم من قطع النظر عن العلاقة المصححة للانتقال من المعنى الاصلى الى المعنى المراد (أنى يؤفكون) كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انه لاسبيل اليه اصلا والاستفهام بطريق التعجب (اتخذوا) اى اليهود (احبارهم) اى علماءهم جمع حبر بالكسر وهو افصح وسمى العالم حبرا لكثرة كتابته بالحبر اولتحبيره المعانى اوبالبيان الحسن وغلب فى علماء اليهود من اولاد هرون (ورهبانهم) اى اتخذوا النصارى علماءهم جمع راهب وهو الذى تمكنت الرهبة والخشية فى قلبه وظهرت آثارها فى وجهه ولسانه وهيئته وغلب فى عباد النصارى واصحاب الصوامع منهم (اربابا من دون الله) اى كالارباب فهو من باب التشبيه البليغ والمعنى اطاعوا علماءهم وعبادهم فيما امروهم به طاعة العبيد للارباب فحرموا مااحل الله وحللوا ماحرم الله وفى الحديث ان محرم الحلال كمحلل الحرام اى ان عقوبة محرم الحلال

كعقو به بتحليل الحرام وذلك كفر محض وشاله ان من اعتقدان اللبن حرام يكون كمن اعتقدان الخمر حلال ومن اعتقدان لحم الغنم حرام يكون كمن اعتقدان لحم الخنزير حلال (والمسيح ابن مريم) عطف على رهبانهم اى اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وجمع اليهود والنصارى فى ضمير اتخذوا الامن اللبس (وما امروا) اى والحال ان اولئك الكفرة ما امروا فى التوراة والانجيل وبادئ العقل (الاليعبدوا الها واحدا) عظيم الشأن هو الله تعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة واما اطاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهى فى الحقيقة اطاعة الله تعالى (لا اله الا هو) صفة ثانية لالها (سبحانه عما يشركون) ما مصدرية اى تنزيها له عن الاشراك به فى العبادة والطاعة (يريدون) اى يريد اهل الكتابين (ان يطفئوا) يخمدوا (نور الله) اى يردوا القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرائع التى من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة (بافواههم) باقاويلهم الباطلة الخارجة منها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه واصل تستند اليه حسبما حكى عنهم (ويأبى الله الا ان يتم نوره) انما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفى اى لا يريد الله شيأ من الاشياء الا اتمام نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام (ولو كره الكافرون) جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة كلتاهما فى موقع الحال اى لا يريد الله الا اتمام نوره ولو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوا اى على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى فى الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشئ اذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه اولى

چراغى راكه ايزد برفروزد * كسى كش پف كند سبلت بسوزد *

(هو الذى) اى الذى لا يريد شيأ الا اتمام نوره ودينه هو الذى (ارسل رسوله) ملتبسا (بالهدى) اى القرآن الذى هو هدى للمتقين (ودين الحق) اى الدين الحق وهو دين الاسلام (ليظهره) اى ليغلب الرسول (على الدين كله) اى على اهل الاديان كلهم فالمضاف محذوف او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة واللام فى ليظهره لاثبات السبب الموجب للارسال فهذه اللام لام الحكمة والسبب شرعا ولام العلة عقلا لان افعال الله تعالى ليست بمعللة بالاغراض عند الاشاعرة لكنها مستتبعة لغايات جليلة فنزل ترتب الغاية على ما هى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له (ولو كره المشركون) ذلك الاظهار ووصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله قال ابن الشيخ وغلبة دين الحق على سائر الاديان تكون على التزايد ابدا وتتم عند نزول عيسى عليه السلام لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى نزول عيسى ويهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام وقيل ذلك عند خروج المهدى فانه حينئذ لا يبقى احد الا دخل فى الاسلام والتزم اداء الخراج وفى الحديث لا يزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولا مهدى الا عيسى ابن مريم ومعناه لا يكون احد صاحب المهدى الا عيسى ابن مريم فانه ينزل لنصرته وصحبته والمهدى الذى من عترة النبى عليه السلام امام عادل ليس بنبى ولا رسول والفرق بينهما ان عيسى هو المهدى المرسل الموحى اليه والمهدى ليس بنبى موحى اليه وايضا ان عيسى خاتم الولاية المطلقة والمهدى خاتم الخلافة المطلقة وكل منهما يخدم هذا الدين الذى هو خير الاديان واحبها الى الله تعالى. وعن بعض الروم قال كان سبب اسلامى انه غزانا المسلمون فكنت اسا برجيشهم فوجدت غزاة فى الساقة فاسرت نحو عشرة نفر من جماتهم على البغال بعدان قيدتهم وجعلت مع كل واحد منهم رجلا موكلا به فرأيت فى بعض الايام رجلا من الاسرى يصلى فقلت للموكل به فى ذلك فقال لى انه فى كل وقت صلاة يدفع الى دينارا فقلت وهل معه شئ قال لا ولكنه اذا فرغ من صلاته ضرب بيده الى الارض ودفع لى ذلك فلما كان من الغد لبست ثوبا خلقا وركبت فرسا دونا وسرت مع الموكل لاتعرف صحة ذلك فلما دنا وقت صلاة الظهر اومى الى ان يدفع لى دينارا حتى اتركه يصلى فاشرت اليه انى لا آخذ الا دينارين فاومى برأسه نعم فلما فرغ من صلاته رأيته قد ضرب بيده الى الارض فدفع الى منها دينارين فلما كان وقت العصر اشار كالمرة الاولى فاشرت اليه انى لا آخذ الا خمسة دنانير فاشار الى بالاجابة فلما فرغ من صلاته فعل كفعله الاول فدفع الى خمسة دنانير فلما كان وقت المغرب اشار كذلك فقلت لا آخذ الا عشرة فاجابنى فلما صلى فعل كما تقدم فدفع الى عشرة

فلما

فلما نزلنا واصبحنا دعوت به وسألته عن خبره وخيرته فى رجوعه الى بلاد الاسلام فاختار الرجوع فاركبته بغلا ودفعت له زادا وحملته بنفسى على البغل فقال اماتك الله تعالى على احب الاديان اليه فوقع فى قلبى من ذلك الوقت الاسلام فعلى المؤمن المخلص ان يعظم الرسول الذى ارسله الله بهذا الدين الحق وقد عظمه الله ورفع ذكره وكتب اسمه على صفحات الكون قال بعض الشيوخ دخلت بلاد الهند فوصلت الى مدينة رأيت فيها شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسرت خرجت منها ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة هندية واهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا الغيث ويتضرعون عندها فحدثت بهذا الحديث ابا يعقوب الصياد فقال لى ما استعظم هذا كنت بالايلة فاصطدت سمكة مكتوب على اذنها اليمنى لا اله الا الله وعلى اليسرى محمد رسول الله فقذفت بها الى الماء وانما قذف بها احتراما لها لما عليها من اسم الله تعالى واسم رسوله عليه السلام

شهباز هواى قاب قوسين * پرشد زتو آشيان كونين

وفى الحديث لا تجعلونى كقدح الراكب اى لا تنسونى فى حالة الشدة والرخاء ولا تتركونى كصنيع الراكب مع قدحه المعلق فى مؤخر رحله اذا احتاج اليه من العطش استعمله واذا لم يحتج اليه تركه وقيل لا تجعلونى فى آخر الدعاء فان الاولى ان يذكر اسمه الشريف اولا وآخرا ويجعل الدعاء له عنوان الادعية *

هرچند شد آخرين مقدم * شد برهمه نور تو مقدم

جعلنا الله واياكم من خدام عتبة بابه والمتقربين بكل وسيلة الى عالى جنابه (يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار) اى علماء اليهود وهم من ولد هرون (والرهبان) وهم اصحاب الصوامع من النصارى جمع راهب وقد سبق (ليأكلون اموال الناس بالباطل) يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها ويوهمون الناس انهم حذاق مهرة فى تأويل الآية وبيان مراد الله تعالى منها يقول الفقير وهكذا يفعل المفتون الماجنون والقضاة الجائرون فى هذا الزمان يفتون على مراد المستفتى طمعا لماله ويقضون بمرجوح الاقوال بل على خلاف الشرع ويرون ان لهم فى ذلك سندا قويا قاتلهم الله وانما عبر عن الاخذ بالاكل مع ان المذموم منهم مجرد اخذها بالباطل اى بطريق الارتشاء سواء اكلوا ما اخذوه اولم يأكلوا ايذانا على ان الاكل معظم الغرض من الاخذ (ويصدون) اى يمنعون الناس (عن سبيل الله) عن دين الاسلام او يعرضون عنه بانفسهم باكلهم الاموال بالباطل (والذين يكنزون الذهب والفضة) اى يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر والكنز فى كلام العرب هو الجمع وكل شئ جمع بعضه الى بعض فهو مكنوز يقال هذا جسم مكتنز الاجزاء اذا كان مجتمع الاجزاء وسمى الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى وسميت فضة لانها تنفض اى تتفرق ولا تبقى وحسبك بالاسمين دلالة على فنائهما وانه لا بقاء لهما يقال لما اخرج آدم عليه السلام من الجنة بكى له كل شئ فيها الا شجرة العود والذهب والفضة فقال الله تعالى لو كان فى قلوبكم رأفة لبكيتم من خوفى ولكن من قساقلبه احرقته بالنار وعزتى وجلالى لا يصاغ منكم حلقة ولا دينار ولا درهم ولا سوار الابه وقد النار وانت يا شجرة العود لا تبرحى فى النار والاحزان الى يوم القيامة ثم المراد بالموصول ما يعم الكثير من الاحبار والرهبان وغيرهم من المسلمين الكانزين الغير المنفقين وهو مبتدأ خبره فبشرهم (ولا ينفقونها فى سبيل الله) اى لا ينفقون منها اى لا يؤدون زكاتها ولا يخرجون حق الله منها فحذف من واريد اثباتها بدليل قوله تعالى فى آية اخرى خذ من اموالهم صدقة وقال عليه السلام فى مائتى درهم خمسة دراهم وفى عشرين مثقالا من الذهب نصف مثقال ولو كان الواجب انفاق جميع المال لم يكن لهذا التقدير وجه كما فى تفسير الحدادى وانما قيل ولا ينفقونها مع ان المذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة وقيل الضمير يعود على الاموال او على الكنوز المدلول عليها بالفعل او على الفضة لكونها اقرب فاكتفى ببيان احدهما عن بيان الآخر ليعلم بذلك كقوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وكذا الكلام فى قوله عليها الآتى (فبشرهم بعذاب اليم) وضع الوعيد لهم بالعذاب موضع البشارة بالتنعم لغيرهم (يوم) منصوب بعذاب (يحمى عليها فى نار جهنم) يقال حميت النار اى اشتدت حرارتها اى يوم توقد النار الحامية اى الشديدة الحرارة على تلك الدنانير والدراهم وعليها فى موضع رفع لقيامه مقام الفاعل (فتكوى) پس داغ كرده شود (بها) بدان دينارها ودرمهاء سوزان (جباههم وجنوبهم وظهورهم) وانما تكوى هذه الاعضاء دون غيرها لان الغنى اذا رأى الفقير الطالب للزكاة كان يعبس جبهته

واذا بالغ فى السؤال يعرض عنه بجنبه واذا بالغ بقوم من موضعه ويولى ظهره ولم يعطه شيأ غالبا اولان مقصود
الكانز من جمع المال لما كان طلب الوجاهة بالغنى تعلق الكى باعلى وجهه وهو الجبهة ولما قصد به ايضا التنعم
بالمطاعم الشهية التى ينتفخ بسببها جنباه وبالملابس البهية التى يلقيها على ظهره تعلق الكى بالجنوب والظهور
ايضا (هذا ما كنزتم) اى يقال لهم حين الكى فى ذلك اليوم هذا ما جمعتم فى دار الدنيا (لانفسكم) اى لمنفعتها
فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها (فذوقوا ما كنتم تكنزون) اى وبال كنزكم فما مصدرية والمضاف محذوف
لان المعنى المصدرى ليس بمذوق وانما يذاق وباله وعذابه وانما اذاقوه فى الاخرة لانهم فى الدنيا فى منام الغفلة
عن الآخرة والنائم لايذوق الم الكى فى النوم وانما يذوقه عند الانتباه والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا هردمان
غافلند ازعقبى * همه كويا بخفتكان مانند * ضر رغفلتى كه مى ورزند * جون بميرند آنكهى
دانند * در امالى ظهير الدين لواحى مذكوراست كه اكر ديكران خزينهٔ مال كنند توخزينهٔ اعمال كن
واكر ديكران كنوز اعراض فانيه جويند تورموز اسرار باقيه جوى * يكدزم كان دهى بدرويشى *
بهتراز كنجهاء مدخرست * زانجه دارى تمتعى بردار * كان دكر روزى كسى دكرست وفى الحديث مامن
صاحب كنز لايؤدى زكاته الا احمى عليها فى نار جهنم فتجعل صفايح فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره حتى
يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وما
من صاحب ابل لايؤدى زكاتها الا بطح لها بقاع قرقر تستن عليه بقوائمها واخفافها اى ترفع يديها وتطرحهما
معا على صاحبها كلما مضى عليه آخرها رد عليه اولها حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين الف
سنة ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وما من صاحب غنم لايؤدى زكاتها الا بطح لها بقاع قرقر تطؤه
باظلافها وتنطحه بقرونها ليس فيها جماء ولا منكسر قرنها كلما مضى عليه آخرها رد عليه اولها حتى يقضى
الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار واعلم ان الزكاة شكر
لنعمة المال كما ان الصوم والصلاة والحج شكر لنعمة الاعضاء ولذا صارت صلاة الضحى شكرا لنعمة ثلثمائة وستين
مفصلا فى البدن وهى اى الزكاة تمليك خمسة دراهم فى مائتين للفقير المسلم لله تعالى ولرضاه فالتمليك رجاء
للعوض ليس بزكاة وعائل يتيم لو اطعمه عن زكاته صح خلافا لمحمد لوجود الركن وهو التمليك وهذا اذا سلم
الطعام اليه واما اذا لم يدفع اليه فلا يجوز لعدم التمليك وهذا ايضا اذا لم يستخدمه فلو دفع شيأ من زكاته الى
خادمه الغير المملوك رجاء للعوض وهو خدمته له لم يكن لله تعالى وهذا غافل عنه اكثر الناس ولو انفق على
اقاربه بنية الزكاة جاز الا اذا حكم عليه بنفقتهم قالوا الافضل فى صرف الزكاة ان يصرفها الى اخوته ثم اعمامه
ثم اخواله ثم ذوى الارحام ثم جيرانه ثم اهل سكنه ثم اهل مصره والفرق بين الزكاة وصدقة الفطر انه لايجوز
دفع الزكاة لذمى بخلاف صدقة الفطر ولا وقت لها ولصدقة الفطر وقت محدود يأثم بالتأخير عن اليوم الاول
قال الفقهاء افتراض الزكاة عمرى وقيل فورى وعليه الفتوى فيأثم بتأخيرها وترد شهادته اى رجل يستحب له
اخفاؤها فقل الخائف من الظلمة حتى لايعلموا كثرة ماله اى رجل غنى عند الامام فلا تحل له فقير عند محمد فتحل له
فقل من له دور يستغلها ولا يملك نصابا فان كان له دار لاتكون للسكنى ولا للتجارة وقيمتها تبلغ النصاب يجب بها
صدقة الفطر دون الزكاة ولو اشترى زعفرانا ليجعله على كعك التجارة لازكاة فيه ولو كان سمسما وجبت والفرق
ان الاول مستهلك دون الثانى والملح والحطب للطباخ والحرض والصابون للقصار والشب والقرظ للدباغ
كالزعفران والعصفر والزعفران للصباغ كالسمسم كذا فى الاشباه ثم المعتبر فى الذهب والفضة الوزن وجوبا
واداء لا الذى يروج بين الناس من ضرب الامير وجاز دفع القيمة فى زكاة وكفارة غير الاعتاق وعشر ونذر
واذا قال الناذر على ان اتصدق اليوم بهذا الدرهم على هذا الفقير فتصدق غدا بدرهم آخر على غيره يجزئه عندنا
ولا تؤخذ الزكاة من تركته بغير وصية وان اوصى اعتبرت من الثلث والمريض اذا خاف من ورثته يخرجها سرا
عنهم (ان عدة الشهور) العدة مصدر بمعنى العدد اى ان عدد الشهور التى تتعلق بها الاحكام الشرعية من الحج
والعمرة والصوم والزكاة والاعياد وغيرها وهى الشهور العربية القمرية التى تعتبر من الهلال الى الهلال
وهى تكون مرة ثلاثين يوما ومرة تسعة وعشرين ومدة السنة القمرية ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وثلث يوم
دون الشهور الرومية والفارسية التى تكون تارة ثلاثين يوما وتارة احدا وثلاثين ومدة السنة الشمسية ثلثمائة

وخمسة

وخمسة وستون يوما وربع يوم وللشمس اثنا عشر برجا تسير فى كلها فى سنة والقمر فى كل شهر وهى حمل
ثور جوزاء سرطان اسد سنبلة ميزان عقرب قوس جدى دلو حوت واصطلحوا على ان جعلوا
ابتداء السنة الشمسية من حين حلول مركز الشمس نقطة رأس الحمل الى عودها الى تلك النقطة لان الشمس
اذا حلت هنالك ظهر فى النبات قوة ونشو ونماء وتغير الزمان من رثاثة الشتاء الى نضارة الربيع واعتدل الزمان
فى كيفيتى الحر والبرد ولما كانت السنة عند العرب عبارة عن اثنى عشر شهرا من الشهور القمرية وكانت السنة
القمرية اقل من السنة الشمسية بمقدار وبسبب ذلك النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل كان
الحج والصوم والفطر يقع تارة فى الصيف واخرى فى الشتاء ولما كانت عند سائر الطوائف عبارة عن مدة
تدور فيها الشمس دورة تامة كانت اعيادهم وصومهم تقع فى موسم واحد ابدا (عند الله) اى فى حكمه
وهو ظرف لقوله عدة (اثنا عشر) خبر لان (شهرا) تمييز مؤكد كما فى قولك عندى من الدنانير عشرون دينارا
(فى كتاب الله) صفة لاثنا عشر والتقدير اثنا عشر شهرا مثبتة فى كتابه وهو اللوح المحفوظ وانما قال فى كتاب الله
لان كثيرا من الاشياء توصف بانها عند الله ولا يقال انها فى كتاب الله (يوم خلق السموات والارض) ظرف
منصوب بما تعلق به قوله فى كتاب الله اى مثبتة فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض اى منذ خلق الاجرام
اللطيفة والكثيفة وانما قال ذلك لان الله تعالى اجرى الشمس والقمر فى السموات يوم خلق السموات
والارض فبلغ عدد الشهور اثنا عشر من غير زيادة اولها المحرم وآخرها ذو الحجة وانما خصت باثنى عشر لانهم
كانوا ربما جعلوها ثلاثة عشر وذلك انهم كانوا يؤخرون الحج فى كل عامين من شهر الى آخر ويجعلون الشهر الذى
انسأوا فيه اى اخروا ملغى فتكون تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ويكون العام الثانى على ما كان عليه الاول
سوى ان الشهر الملغى فى الاول لايكون فى العام الثانى وعلى هذا تمام الدورة فيستدير حجهم فى كل خمس
وعشرين سنة الى الشهر الذى بدئ منه ولذا اخرج الحساب من ايديهم وربما يحجون فى بعض السنة فى شهر
ويحجون من قابل فى غيره الى ان كان العام الذى حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصادف حجهم ذا الحجة
فوقف بعرفة يوم التاسع واعلمهم ببطلان النسيء كما سيجيء وهذه الشهور قد نظمها بعضهم بقوله * جون محرم
بكذرد آيد بنزد تو صفر * پس ربيعين وجمادين ورجب آيد بنز بازشعبانست وماه صوم وعيد وذى القعد *
بعد از ان ذى الحجه نام ماهها آيد بسر اما المحرم فسمى بذلك لانهم كانوا يحرمون القتال فيه حتى ان احدهم
كان يظفر بقاتل ابيه او ابنه فلا يكلمه ولا يتعرض له واما صفر فسمى بذلك لخلوهم من الطعام وخلو منازلهم
من الزاد ولذلك كانوا يطلبون الميرة فيه ويرحلون لذلك يقال صفر السقاء اذا لم يكن فيه شئ والصفر الخالى
من كل شئ كذا فى التبيان وقال فى شرح التقويم سمى بذلك لخلوه عن التحريم الذى كان فى المحرم واما الربيعان
فسميا بذلك لان العرب كانت تربع فيهما لكثرة الخصب فيهما والربيع عند العرب اثنان ربيع الشهور وربيع
الازمنة اما ربيع الشهور فهو شهران بعد صفر اى ربيع الاول وربيع الآخر بتنوين ربيع على ان الاول
صفته وكذا الآخر والاضافة غلط واما ربيع الازمنة فهو ايضا اثنان الربيع الاول وهو الذى تأتى فيه الكمأة
والنور ويسمونه ربيع الكلأ والربيع الثانى وهو الفصل الذى تدرك فيه الثمار فربيعا الشهور لايقال فيهما
الاشهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر ليمتازا عن الربيعين فى الازمنة واما الجماديان فسميا بذلك لان الماء
كان يجمد فيهما لشدة البرد فيهما كذا فى التبيان وقال فى شرح التقويم جمادى الاولى بضم الجيم وفتح الدال
فعالى من الجمد بضم الجيم والميم وسكون الميم لغة فيه وهو المكان الصلب المرتفع الخشن وانما سمى بذلك لان
الزمان فى اول وضع هذا الاسم كان حارا والامكنة فى الصلابة والارتفاع والخشونة من تأثير الحرارة وجمادى
الآخرة تالية للشهر المتقدم فى المعنى المذكور قال ابن الكمال جمادى الاولى والآخرة فعالى كحبارى والدال
مهملة والعوام يستعملونها بالمعجمة المكسورة ويصفونها بالاول فيكون فيها ثلاث تحريفات قلب المهملة معجمة
والفتحة كسرة والتأنيث تذكيرا وكذا جمادى الآخرة يقولون جمادى الآخر بلا تاء والصحيح الآخرة بالتاء
او الاخرى وهما معرفتان من اسماء الشهور فادخال اللام فى وصفهما صحيح وكذا ربيع الاول وربيع الاخر
فى الشهور واما ربيع الازمنة فالربيع الاول باللام انتهى واما رجب فسمى بذلك لان العرب فى الجاهلية
كانوا يعظمونه ويتركون فيه القتال والمحاربة يقال رجبته بالكسر اى عظمته والترجيب التعظيم وكانوا

يسمونه رجب مضر وهو اسم قبيلة لكونهم اشد تعظيما له من بقية العرب ولذلك قال عليه السلام فيه رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان وانما وصف رجب بقوله الذى للتأكيد او لبيان ان رجب الحرام هو الذى بينهما لا ما كانوا يسمونه رجب على حساب النسيء او يسمون رجب وشعبان رجبين فيغلبون رجب عليه وربما يقال شعبانان تغليبا له على رجب واما شعبان فسمى بذلك لانهم كانوا يتفرقون ويتشعبون من التشعيب وهو التفريق واما رمضان فسمى بذلك لشدة الحر الذى كان يكون فيه حتى ترمض الفصال كما قيل للشهر الذى يحج فيه ذو الحجة قال فى شرح التقويم الرمض شدة وقع الشمس على الرمل وغيره وسبب تسمية هذا الشهر بهذا الاسم ان العرب كانت تسمى الشهور بلوازم الازمنة التى كانت الشهور واقعة فيها وكانت اللوازم وقت التسمية ههنا رمض الحر اى شدته انتهى وقيل سمى رمضان لانه ترمض فيه الذنوب رمضا اى تغفر وكان مجاهد يكره ان يقول رمضان ويقول لعله اسم من اسماء الله فالوجه ان يقال شهر رمضان لما روى لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله تعالى على ما فى التيسير قال فى التلويح العلم هو شهر رمضان بالاضافة ورمضان محمول على الحذف للتخفيف ذكره فى الكشاف وذلك لانه لو كان رمضان علما لكان شهر رمضان بمنزلة انسان زيد ولا يخفى قبحه ولهذا كثر فى كلام العرب شهر رمضان ولم يسمع شهر رجب وشهر شعبان على الاضافة انتهى قال المولى حسن چلبى قد يمنع القبح بان الاضافة البيانية شائعة عرفا فلا مجال لاستقباحها بعد ان تكون مطردة انتهى واما شوال فسمى بذلك لانه يشول الذنوب اى يرفعها او يذهبها لانه من شال يشول اذا رفع الشئ ومن ذلك قولهم شالت الناقة بذنبها اى رفعته اذا طلبت الضراب كذا فى التبيان وقال فى شرح التقويم هو من الشول وهو الخفة من الحرارة فى العمل والخدمة وانما سمى بذلك لخروج الانسان فيه عن مخالفة النفس الامارة وقمع شهواتها اللذين كانا فى الانسان فى رمضان باطلاق طوع الملذات والمشتهيات فعند خروجه عن ذلك كان يجد خفة فى نفسه ويستريح واما ذو القعدة فسمى بذلك لانهم كانوا يقعدون فيه لكثرة الخصب فيه او يقعدون عن القتال قال فى شرح التقويم انما سمى هذا الشهر بهذا الاسم لانه زمان يحصل فيه قعود مكة والقعدة بفتح القاف وسكون العين المهملة قال ابن ملك قولهم ذو القعدة وذو الحجة يجوز فيهما فتح القاف والحاء وكسرهما لكن المشهور فى القعدة الفتح وفى الحجة الكسر واما ذو الحجة فسمى بذلك لانهم كانوا يحجون فيه وقال فى كتاب عقد الدرر واللآلى فى فضائل الايام والشهور والليالى تكلم بعض اهل العلم على معانى اسماء الشهور فقال كانت العرب اذا رأوا السادات تركوا العادات وحرموا الغارات قالوا المحرم واذا مرضت ابدانهم وضعفت اركانهم واصفرت الوانهم قالوا صفر واذا نبتت الرياحين واخضرت البساتين قالوا ربيعين واذا قلت الثمار وبرد الهوآء وانجمد الماء قالوا جمادين واذا ماجت البحار وجرت الانهار ورجبت الاشجار قالوا رجب واذا تشعبت القبائل وانقطعت الوسائل قالوا شعبان واذا احر الفضاء ورمضت الرمضاء قالوا رمضان واذا ارتفع التراب وكثر الذباب وشالت الابل الاذناب قالوا شوال واذا رأوا التجار قعدوا وامن الاسفار والمماليك والاحرار قالوا ذو القعدة واذا قصدوا الحج من كل فج ووج وكثر العج والثج قالوا ذو الحجة انتهى (منها) اى من تلك الشهور الاثنى عشر (اربعة حرم) واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والحرم بضمتين جمع الحرام اى اربعة اشهر حرم يحرم فيها القتال جعلت انفس الاشهر حرما لكونها ازمنة لحرمة ما حل فيها من القتال وهو من قبيل اسناد الحكم الى ظرفه اسنادا مجازيا واجزآء الزمان وان كانت متشابهة فى الحقيقة الا انه تعالى له ان يميز بعض الامور المتشابهة لمزيد حرمة لم يجعلها فى البعض الآخر كما ميز يوم الجمعة ويوم عرفة بحرمة لم يجعلها فى سائر الايام حيث خصهما بعبادة مخصوصة تميزا بها عن سائر الايام وكذا ميز شهر رمضان عن سائر الشهور بمزية حرمة لم يجعلها لسائر الشهور وميز بعض ساعات الليل والنهار بان جعلها اوقاتا لوجوب الصلاة فيها وكما ميز الاماكن والبلدان وفضلها على سائرها كالبلد الحرام والمسجد الحرام فخص الله تعالى بعض الاوقات وبعض الاماكن بمزيد التعظيم والاحترام فلا بعد فى تخصيص بعض الاشهر بمزيد الحرمة بان جعل انتهاك المحارم فيها اشد واعظم من انتهاكها فى سائر الاشهر ويضاعف فيها السيئات بتكثير عقوباتها ويضاعف فيها الحسنات بتكثير مثوباتها وفى اسئلة الحكم فضل الاشهر والايام والاوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والامم بعضها على بعض

لتبادر

لتبادر النفوس وتسارع القلوب الى ادراكها واحترامها وتتشوق الارواح الى احيائها بالتعبد فيها ويرغب الخلق فى فضائلها واما تضاعف الحسنات فى بعضها فمن المواهب اللدنية والاختصاصات الربانية وفى الاسرار المحمدية ان الله تعالى اذا احب عبدا استعمله فى الاوقات الفاضلات بفواضل الاعمال الصالحات واذا مقته والعياذ بالله شتت همه واستعمله بسيء الاعمال واوجع فى عقوبته واشد لمقته بحرمان بركة الوقت وانتهاك حرمته فليبذل المريد كل وسعه حتى لا يغفل عنها اى عن الاوقات الفاضلة فانها موسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل عن فضائل الاوقات لم ينجح دع التكاسل تغنم فقد جرى مثل * كه زاد راهروان چستيست وچالاكى واتفق اهل العلم على افضلية شهر رمضان لانه انزل فيه القرءآن ثم شهر ربيع الاول لانه مولد حبيب الرحمن ثم رجب لانه فرد اشهر الحرم ثم شعبان لانه شهر حبيب الرحمن مقسم الاعمال والآجال بين شهرين عظيمين رجب ورمضان ففيه فضل الجوارين العظيمين ليس لغيره ثم ذو الحجة لانه موطن الحج والعشر التى تعادل كل ليلة منها ليلة القدر ثم المحرم شهر الانبياء عليهم السلام ورأس السنة واحد الاشهر الحرم ثم الاقرب الى افضل الاشهر من وجوه (ذلك) اى تحريم الاشهر الاربعة المعينة هو (الدين القيم) المستقيم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما حتى احدثت النسيء فغيروا (فلا تظلموا فيهن انفسكم) بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن قال فى التبيان قال فى الاثنى عشر منها فوحد الضمير لانه للكثرة وقال فى الاربعة فيهن فجمع الضمير لانه للقلة وسببه ان الضمير فى القلة للمؤنث يرجع بالهاء والنون وفى الكثرة يرجع بالهاء والالف للفرق بين القلة والكثرة والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وخلال الاحرام يعنى ان هذه الاشهر الاربعة خصت بالنهى عن ظلم النفس فيها مع ان الظلم حرام فى كل وقت لبيان ان الظلم فيها اغلظ كانه قيل فلا تظلموا فيهن خصوصا انفسكم (وقاتلوا المشركين كافة) مصدر كف فان مصدر الثلاثى قد يجيء على فاعلة نحو عافية ومعناه معنى كل وجميع وهو منصوب على الحال اما من الفاعل وهو الواو فالمعنى قاتلوا جميعا المشركين اى مجتمعين على قتالهم متعاونين متناصرين ومن التعاون الدعاء بالنصرة اذ هو سلاح معنوى كما ان السيف سلاح صورى فمن تأخر ودعا فقلبه مجتمع بمن اقدم وغزا اذ التفرق الصورى لا يقدح فى الاجتماع المعنوى (كما قال الحافظ) درراه عشق مرحلهٔ قرب وبعد نيست * مى بينمت عيان ودعا مى فرستمت (كما يقاتلونكم كافة) كذلك اى مجتمعين واما من المفعول فالمعنى قاتلوا المشركين جميعا اى بكليتهم ولا تتركوا القتال مع بعضهم كما انهم يستحلون قتال جميعكم واما منهما معا نحو ضرب زيد عمرا قائمين فان المصدر عام للتثنية والجمع فجميع المؤمنين يقاتل جميع الكافرين ويجوز ان يكون منصوبا على الظرف اى فى الحل والحرم وفى جميع الازمان فى الاشهر الحرم وفى غيرها والى الابد فان الجهاد مستمر الى آخر الزمان (واعلموا ان الله مع المتقين) اى معكم بالنصر والامداد فيما تباشرون من القتال وانما وضع المظهر موضعه مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار فى النصر كذا فى الارشاد وقال القاضى هى بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقويهم فان السلاح والدعاء لا ينفذان الا بالتقوى على مراتبها فكلمة التقوى هى كلمة الشهادة وبها يتقى المؤمن نفسه وماله وعياله من التعرض فى الدنيا ومن العذاب فى العقبى ثم انها اذا قارنت بشرآئطها الظاهرة والباطنة يحصل تقوى القلب وهو التخلى عن الاوصاف الذميمة ثم يحصل تقوى السر وهو التخلى عما سوى الله فمن كان لله كان الله له بالنصرة والامداد واعلم ان السيف سيفان سيف ظاهر وهو سيف الجهاد الصورى وسيف باطن وهو سيف الجهاد المعنوى فبالاول تقطع عروق الكفرة الظاهرة الباغية وبالثانى عروق القوى الباطنة الطاغية والاول بيد مظهر الاسم الظاهر وهو السلطان وجنوده والثانى بيد مظهر الاسم الباطن وهو القطب وجنوده فنسأل الله تعالى ان ينصر سلطاننا بالاسم الممد والناصر والمعين ويخذل اعدآءنا بالاسم المنتقم والقهار وذى الجلال وقد قال السعدى دعاء ضعيفان اميدوار * زبازوى مردى به آيد بكار ففى الآية حث على المجاهدة مع الاعدآء وفى الحديث القتل فى سبيل الله ممحصة اى مطهرة غاسلة من الذنوب يقال محمص الاناء اذا جعل فيه الماء وحركه ومضمضه كذلك عن الاصمعى كذا فى تاج المصادر وفى الحديث ان ابواب الجنة تحت ظلال السيوف يعنى كون المجاهد فى القتال

بحيث يعلوه سيوف الاعدآء سبب للجنة حتى كأن ابوابها حاضرة معه او المراد بالسيوف سيوف المجاهد هذا
كناية عن الدنو من العدو فى الضراب لانه اذا دنا منه كان تحت ظل سيفه حين رفعه ليضربه وانما ذكر السيوف
لانها اكثر سلاح العرب ومن التقوى الاحتراز عن الرياء والسمعة فى حضور معارك الحروب ومحافل الدعاء
قال خسرو دهلوى غازئ رسمى كه بغارت رود ✻ هست چو حاجى كه تجارت رود ✻ آنكه غزا خوانى
وجوبى رضا ✻ كرغرضى هست نباشد غزا ✻ روبغزا دل غرض آلوده واى ✻ جهد خود است
اين نه جهاد خداى والاشارة ان عدة الشهور اى تعديد عدة الشهور عند الله فى الازل اثنا عشر شهرا
فى كتاب الله فى علم الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم يعنى اقتضت الحكمة الالهية الازلية ان
يكون من الشهور يوم خلق السموات والارض منها اربعة اشهر حرم اى يعظم انتهاك المحارم فيها باشد مما يعظم
فى غيرها بل هى اشهر الطاعات والعبادات محرومة فيها الشواغل الدنيوية والحظوظ النفسانية على الطلاب
وفيه اشارة الى ان ايام الطالب واوقات عمره ينبغى ان تصرف جملتها فى الطلب فان لم يتيسر له ذلك فثلثها
والا فنصفها وان لم يكن فيحرم صرف ثلثها فى غير الطلب ولا يفلح من نقص من صرف الثلث شيأ فى الطلب
اذ لابد له من صرف بعض عمره فى تهيئ معاشه ومعاش اهله وعياله ومن استغنى عن هذا المانع فيحرم عليه
صرف لحظة من عمره فى غير الطلب وتوابعه كما قال ذلك الدين القيم اى المستقيم يعنى من صرف شيأ من عمره
فى شئ غير طلب الحق ما استقام دينه بل فيه اعوجاج بقدر ذلك فافهم جدا ثم قال فلا تظلموا فيهن انفسكم اى
فى ثلث العمر لان الاربعة هى ثلث الاثنى عشر يعنى ان صرفتم شيأ من ثلث اعماركم المحرم فى شئ من المصالح
الدنيوية فقد ظلمتم انفسكم باستيلائها على القلوب والارواح عند غلبات صفاتها لانه مهما يكون صرف
اكثر العمر فى الدنيا ومصالحها واستيفاء الحظوظ النفسانية تكون النفس غالبة على القلب والروح
فتخالفهما وتنازعهما بجميع صفاتها الذميمة وتميل الى الدنيا وشهواتها وتعبد هواها فتكون مشركة
بالله فلهذا قال وقاتلوا المشركين كافة اى قلوبكم وصفاتها وارواحكم وصفاتها كما يقاتلونكم كافة اى
النفوس وصفاتها جميعا ومقاتلة النفوس بمخالفتها وردعها عن هواها وكسر صفاتها ومنعها عن شهواتها
وشغلها بالطاعات والعبادات واستعمالها فى المعاملات الروحانية والقلبية وجملتها التزكية عن الاوصاف الذميمة
والتحلية بالاخلاق الحميدة ثم قال واعلموا ان الله مع المتقين وهم القلوب والارواح المتقية عن الشرك يعنى
عن الالتفات لغير الله ولو لم يكن الله معهم بالنصر والتوفيق لما اتقوا وانما اتقوا بالله عما سواه كذا فى التأويلات
النجمية (انما النسيء) مصدر نسأه اى اخره كمس مسيسا كانت العرب اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه
وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد (قال الكاشفى) آورده اندكه
طباع اهل جاهليت بقتل وغارت مستأنس شده بود ودر ماههاء حرام قتال نميكردند وچون سه ماه متصل
حرام بود بتنك آمده كفتند ماسه ماه بى دربى بى تاراج وغارات تحمل نداريم قلس كنانى صوتى برانكيخت
ودر موسم ندا كردكه يا معشر العرب خداى شمارا درين محرم حلال كردانيد وحرمت اورا تأخير كرد بماه
صفر مردمان قول اوراقبول نمودند بازسال ديكر منادى فرمودكه خداى تعالى درين سال محرم حرام
ساخت وصفر حلال كردوكاه بودى كه در اثناء محاورات بايشان ماه حرام نوشتى وحرمت اورا تأخير كردندى
بماهى بعدازوواورا حلال داشتندى ودر سالى چهار ماه حرام ميداشتند اما اختصاص اشهر حرم فروكذشتند
بمجرد عدد را اعتبار كردندى واين عمل را نسيء مى كفتند حق سبحانه وتعالى فرمود انما النسيء اى انما تأخير
حرمة شهر الى شهر آخر (زيادة) افزونيست (فى الكفر) لانه تحليل ما حرمه الله وتحريم ما حلله فهو كفر آخر
مضموم الى كفرهم وبدعة زائدة على بدع سائر الكفار (يضل) على بناء المفعول من اضل (به) بدين عمل وهو
النسيء (الذين كفروا) والمضل هو الله تعالى اى يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه او الرؤساء
فالموصول عبارة عن الاتباع اى الاتباع يضلون به باضلال الرؤساء او الشيطان فانه مظهر الاسم المضل يقول
الفقير سمعت من حضرة شيخنا العلامه ابقاه الله بالسلامه ان الشيطان والنفس والجلال امر واحد فى الحقيقة
لكن الاول بحسب الشريعة والثانى بحسب الطريقة والثالث بحسب الحقيقة فلكل مقام تعبير لا يناسب تعبير
مقام الآخر (يحلونه) اى الشهر المؤخر فالضمير الى النسيء المدلول عليه بالنسيء (عاما) من الاعوام ويحرمون

مكانه

مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام (ويحرمونه) اى يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم
باعتبار احلالهم له فى العام الماضى (عاما) آخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض من اغراضهم (ليواطئوا) المواطأة
عبارة عن الموافقة والاجتماع على حكم اى ليوافقوا (قال الكاشفى) تاموافق سازند وتمام كنند (عدة
ما حرم الله) اى عدد ما حرمه من الاشهر الاربعة فانهم كانوا يقولون الاشهر الحرم اربعة وقد حرمنا اربعة اشهر
(فيحلوا ما حرم الله) اى يتوصلوا بهذه الحيلة الى احلال الشهر الذى حرمه الله بخصوصه من الاشهر المعينة
فهم وان راعوا احد الواجبين وهو نفس العدد الا انهم تركوا الواجب الآخر وهو رعاية حكم خصوص الشهر
(زين لهم سوء اعمالهم) اى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس والمزين هو الله تعالى فى الحقيقة
او الشيطان او النفس على تفاوت المراتب (والله لا يهدى القوم الكافرين) هداية موصلة الى المطلوب البتة
وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد اعرضوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا فى تيه الضلال در ينابيع
آورده كه جاهلان عرب درسالى چهار ماه حرام ميداشتند وخلق را ازدست وزبان خود ايمن ميداشتند
مؤمنان مؤدب بدان نسق آوردندكه در همه ماهها ضرر خودسالم دارند وايذا وآزار خلق بزبان ودست
فروكذارندكه مجازات اضرار همان اضرارست ومكافات آزار آزار ✻ آزار دل خلق مجوبى سببى ✻
تا برنكشند ديار بى نيمشبى ✻ برمال وجمال خويشتن تكيه مكن ✻ كانرا بشبى برندواين را بتبى ✻
يقول الفقير سامحه الله القدير بلغت مسامحات الناس فى هذا الزمان الى حيث تساوت عندهم الاشهر الحرم
وغيرها اما ترى اليوم فى شهر رمضان الذى جعله الله شهر هذه الامة المرحومة وفضله على سائر الشهور كيف
لا يبالون من ارتكاب المحرمات فيه وامسكوا عنها فى النهار بسبب نوم او غيره من الموانع البشرية واكبوا عليها
فى الليالى فوا اسفا على غربة هذا الدين وزوال انوار اليقين ومن الله التوفيق الى الاعمال المرضية خصوصا
فى الاوقات الفاضلة نهارا او ليالى ثم ان النسيء المذكور وقعت اليه الاشارة فى قوله عليه السلام لا عدوى
ولا هامة ولا صفر اما العدوى فهو اسم من الاعدآء كالدعوى من الادعاء وهو مجاوزة العلة من صاحبها الى
غيره وكانت العرب فى الجاهلية تعتقد ان الامراض تعدى بطبعها من غير اعتقاد تقدير الله لذلك فالمعنى ليس
نفى سراية العلة فان السراية والتعدية واقعة بل اضافتها الى العلة من غير ان يكون ذلك بفعل الله تعالى
ويدل عليه قوله عليه السلام لا يورد ممرض على مصح والممرض صاحب الابل المريضة والمصح صاحب الابل
الصحيحة والمراد النهى عن ايراد الابل المريضة على الصحيحة وهو من باب اجتناب الاسباب التى هى سبب البلاء
اذا كان فى عافية منه فكما انه مأمور ان لا يلقى نفسه فى الماء او فى النار او يدخل تحت ما اشرف على الانهدام
ونحوه مما جرت به العادة بانه يهلك او يؤذى فكذلك مأمور بالاجتناب عن مقاربة المريض كالمجذوم
والقدوم على بلد الطاعون فان هذه كلها اسباب المرض والتلف والله تعالى هو خالق الاسباب ومسبباتها
ففى الامر بالاجتناب صيانة للمؤمن الضعيف يقينه لئلا يعتقد التأثير من الاسباب اى عند وقوع البلاء
او يعتقد ان السراية كانت بالطبع لا بقضاء الله تعالى وقدره واما اذا قوى التوكل على الله والايمان بقضائه
وقدره فيجوز مباشرة بعض هذه الاسباب كما ورد ان النبى عليه السلام اكل مع مجذوم وقال بسم الله ثقة بالله
توكلت على الله ونظيره ما روى عن خالد بن الوليد وعمر رضى الله عنهما من شرب السم وانما لم يؤثر فيهما لانهما
انما شرباه فى مقام الحقيقة لا ببشريتهما وانما اثر فى النبى عليه السلام بعد تنزله الى حالة البشرية وذلك ان ارشاده
عليه السلام وان كان فى عالم التنزل غير ان تنزله كان من مرتبة الروح وهى اعدل المراتب ولم يؤثر فيه حتى
مضى عليه اثنتا عشرة سنة فلما احتضر تنزل الى ادنى المراتب لان الموت انما يجرى على البشرية فلما تنزل الى تلك
المرتبة اثر فيه فليفهم هذا المقام فانه من مزالق الاقدام واما قوله ولا هامة بالتخفيف ففيه تأويلان احدهما
ان العرب كانت تتشاءم بالهامة وهى الطير المعروف من طير الليل وقيل هى البومة كانت اذا سقطت على دار
احدهم قالوا نعت اليه نفسه او بعض اهله هذا تفسير مالك بن انس والثانى ان العرب كانت تعتقد ان روح
القتيل الذى لم يؤخذ بثاره تصير هامة فتنشر جناحيها عند قبره وتصيح اسقونى اسقونى من دم قاتلى فاذا اخذ
بثاره طارت وقيل كانوا يزعمون ان عظام الميت اذا بليت تصير هامة ويسمونها الصدى بالفارسية كوف
وتخرج من القبور وتتردد وتأتى الميت باخبار اهله وهذا تفسير اكثر العلماء وهو المشهور ويجوز ان يكون المراد

النوعين وانه عليه السلام نهى عنهما جميعا وفى فتاوى قاضى خان اذا صاحت الهامة فقال احد يموت رجل قال
بعضهم يكون ذلك كفرا وكذا لو رجع فقال ارجع لصياح العقعق كفر عند بعضهم واما قوله ولا صفر ففيه تأويلان
ايضا الاول ان الجاهلية كانت تعتقدان فى الجوف حية يقال لها الصفر تعض كبد الانسان عضا اذا جاع
والثانى ان المراد تأخيرهم تحريم المحرم الى صفر وهو النسيء الذى كانوا يفعلونه ويجوز ان يكون المراد هذا
والاول جميعا وان الصفرين جميعا باطلان لا اصل لهما وقيل كانوا يتشاءمون بصفر فنفاه النبى عليه السلام
بقوله ولا صفر يحكى ان بعض الاعراب اراد السفر فى اول السنة فقال ان سافرت فى المحرم كنت جديرا ان احرم
وان رحلت فى صفر خشيت على يدى ان تصفر فاخر السفر الى شهر ربيع الاول فلما سافر مرض ولم يحظ بطائل
فقال ظننته من ربيع الرياض فاذا هو من ربيع الامراض وكانت وقعة صفين بين على ومعاوية غرة صفر
سنة سبع وثلاثين قيل لذلك احترز عن صفر قال فى روضة الاخبار ذهب الجمهور الى ان القعود فى صفر اولى من
الحركة عن النبى عليه السلام من بشرنى بخروج صفر ابشره بالجنة انتهى يقول الفقير هذا الحديث لا يدل على
مدعاه وهو اولوية القعود فى صفر فان النبى عليه السلام انما قال كذلك شغفا بشهر ولادته ووفاته وحبا لدخوله
فان الانبياء والاولياء يستبشرون بالموت لكونه تحفة لهم وينتظرون زمانه اذ ليس انتقالهم الا الى جوار الله
تعالى وفى الحديث لا تسافروا فى محاق الشهر ولا اذا كان القمر فى العقرب وكان على يكره التزوج والسفر
اذا نزل القمر فى العقرب وهو اسناد صحيح قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى ان نحوسة الايام قد ارتفعت
عن المؤمنين بشرف نبينا عليه السلام واما ما نقل عن على من انه عد سبعة ايام فى كل شهر نحسا فعلى تقدير صحة
النقل محمول على نحوسة النفس والطبيعة فليست السعادة والشقاوة الا سعادتهما وشقاوتهما فاذا تخلصا عن
الشقاوة لم يبق نحوسة انتهى قال فى عقد الدرر واللآلى وكثير من الجهال يتشاءم من صفر وربما ينهى عن السفر
والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهى عنها وكذا التشاؤم بيوم من الايام كيوم الاربعاء وايام العجائز فى آخر
الشتاء وكذا تشاؤم اهل الجاهلية بشوال فى النكاح فيه خاصة وقد قيل ان طاعونا وقع فى شوال فى سنة من
السنين فمات فيه كثير من العرآئس فتشاءم بذلك اهل الجاهلية وقد ورد الشرع بابطاله قالت عائشة رضى الله
عنها تزوجنى رسول الله فى شوال وبنى بى فى شوال فاى نسائه كان احظى عنده منى فتخصيص الشؤم بزمان
دون زمان كصفر او غيره غير صحيح وانما الزمان كله خلق الله تعالى وفيه تقع اعمال بنى آدم فكل زمان اشتغل فيه
المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه وكل زمان اشتغل فيه بمعصية الله فهو مشؤم عليه فالشؤم
فى الحقيقة هو المعصية كما قال ابن مسعود رضى الله عنه ان كان الشؤم فى شيء ففيما بين اللحيين يعنى اللسان وفى
الحديث الشؤم فى ثلاث فى المرأة والدار والفرس وتفسيره ان شؤم المرأة اذا كانت غير ولود وشؤم الدار جار السوء
فان المرء يتأذى به كما جاء فى الحديث ادفنوا امواتكم وسط قوم صالحين فان الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى
الحى بجار السوء وشؤم الفرس اذا لم يغز عليه فى سبيل الله فان الخيل ثلاثة فرس للرحمن وفرس للانسان وفرس
للشيطان فاما الذى للرحمن فما اتخذ فى سبيل الله وقوتل عليه اعدآؤه واما الذى للانسان فهو الذى يرتبطها
يلتمس بطنها فهو ستر من الفقر واما الذى للشيطان فهو ما روهن عليه وقومر (يا ايها الذين آمنوا) شروع
فى بيان غزوة تبوك وهى ارض بين الشام والمدينة ويقال لها غزوة العسرة ويقال لها الفاضحة لانها اظهرت
حال كثير من المنافقين وروى انه عليه السلام لما فتح مكة وغزا هوازن وثقيفا بحنين واوطاس وحاصر الطائف
وفتحها واتى الجعرانة واحرم بها للعمرة واعتمر ثم اتى المدينة فامر بالخروج الى غزوة الروم قبل الشأم وذلك فى شهر
رجب سنة تسع بلغه عليه السلام ان الروم قد جمعت له جموعا كثيرة بالشأم وانهم قدموا مقدماتهم الى البلقاء
المحل المعروف وقيل للروم بنو الاصفر لانهم ولد روم بن العيص بن اسحق نبى الله عليه الصلاة والسلام وكان
يسمى الاصفر لصفرة به فقد ذكر العلماء باخبار القدماء ان العيص تزوج بنت عمه اسمعيل فولدت له الروم وكان به
صفرة فقيل له الاصفر وقيل الصفرة كانت بابيه العيص وكان ذلك فى زمان عسرة من الناس وجدب فى البلاد
وشدة من الحر حين طابت ثمار المدينة واينعت واستكملت ظلالها وطالت المسافة بينهم وبين العدو فشق عليهم
الخروج فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ايها المؤمنون (ما لكم) استفهام فى اللفظ وانكار وتوبيخ فى المعنى
(اذا قيل لكم) من طرف رسول الله الآمر بامر الله (انفروا فى سبيل الله) بيرون رويد در راه خداى تعالى

وجهاد كنيد ومعناه بالعربية اخرجوا الى الغزو يقال نفر القوم ينفرون نفرا ونفيرا اذا خرجوا الى مكان
مصلحة توجب الخروج والقوم الذين يخرجون يقال لهم النفير واستنفر الامام الناس لجهاد العدو اى
طلب منهم الخروج الى الغزو وحثهم عليه (اثاقلتم) اصله تثاقلتم وهو ماض لفظا مضارع معنى لانه حال من
ما لكم (الى الارض) متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد والمعنى اى سبب وغرض حصل لكم واستقر
اذا قيل لكم ذلك كنتم متثاقلين اى مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قريب وكرهتم مشاق السفر والجهاد
المستتبعة للراحة الخالدة فالارض هى الدنيا وشهواتها وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم (ارضيتم)
باستفهام التوبيخ آيا راضى شديد وخوشدل كشتيد (بالحياة الدنيا) ولذاتها من الثمار والظلال (من الآخرة)
اى بدل الآخرة ونعيمها فكلمة من بمعنى البدل كما فى قوله تعالى جعلنا منكم ملائكة اى بدلكم (فما متاع الحياة
الدنيا) اى فما التمتع بها وبلذآئذها (فى الآخرة) اى فى جنب الآخرة (الا قليل) اى مستحقر لا يعتد به لان متاع
الدنيا فان معيوب ومتاع الآخرة باق مرغوب روى انه عليه السلام قال والله ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل
احدكم اصبعه هذه فى اليم فلينظر بم يرجع (الا) كلمتان ان للشرط ولا للنفى اى ان لم (تنفروا) تخرجوا الى الغزو
(يعذبكم) اى الله تعالى (عذابا اليما) وجيعا الابدانكم وقلوبكم اى يهلككم بسبب فظيع كقحط وظهور عدو
(ويستبدل) بكم بعد اهلاككم (قوما غيركم) اى قوما مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم
ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس (ولا تضروه) اى الله تعالى بترك الجهاد (شيأ) اى لا يقدح تثاقلكم
فى نصرة دينه اصلا فانه الغنى عن كل شيء فى كل شيء (والله على كل شيء قدير) فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم
آخرين واعلم ان البطالة تقسى القلب كما جاء فى الحديث ز براى دنيا بشغل معاد مشغول باش ديا بشغل معاش
از وجه مباح تا در شغل دين فضل وثواب مى ستاند ودر شغل معاش خانه را آبادان مى دارد پس چون نه باين
شغل مشغول شود ونه باآن بى كار ماند واز بى كارى سياه دل وسخت طبع شود فلا بد من الحركة فان البركات
فى الحركات الحضرية والسفرية والسفر على نوعين سفر الدنيا وسفر الآخرة وفى كليهما مشقة وان كان الثانى اشق
وفى الحديث السفر قطعة من العذاب بعض مشايخ كفته اندكه اكرنه آنستى كه لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
نشايد كردانيدن من كفتمى السفر قطعة من السقر وپيغمبر عليه السلام سفر را پارهٔ از دوزخ كفت از هر آن كفت
زيرا كه در هر آن رنج تن باشد رنج دل نبود ودر سفر رنج دل وتن باشد وحجاج كفتى كه اكر نه شادى بخانه آمدن بودى
كه مسافر چون بخانه رسد همه رنج سفر فراموش كند من هر دمانرا نكشتمى بسفر عذاب دادمى ومن سفر
الدين الخروج الى الغزو وفى الحديث لغدوة فى سبيل الله وهو الذهاب فى اول النهار او روحة وهو الذهاب
فى آخره خير من الدنيا وما فيها يعنى ان فضل الغدوة والروحة فى سبيل الله وثوابهما خير من نعيم الدنيا باسرها
لانه زائل ونعيم الآخرة باق وحق الجهاد ان ينوى نصرة الدين بقهر اعداء الله وبذل النفوس فى رضاه تعالى
ويكثر ذكره تعالى ويكف عن ذكر النساء والاولاد والاموال والموطن فهو يفتره فالجهاد بهذا الوجه افضل
الاعمال على مرتضى رضى الله عنه * كويد كه معصيت غازيان زيان ندارد وطاعت سخن چينان
سود ندارد ودعاى مخنث نشنوند ونماز خمر خواره نپذيرند * فعلى المرء ان يغتنم ايام حياته ويجتهد
فى تحصيل مرضاة ربه وفى الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ شبه النبى عليه السلام
المكلف بالتاجر والصحة والفراغ برأس المال لانهما من اسباب الارواح ومقدمات نيل النجاح فمن عامل الله
تعالى بامتثال اوامره يربح كما قال تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ومن عامل الشيطان باتباعه يضيع رأس ماله ولا ينفعه ندم بآله
وفى امتثال امر الله عاقبة حميدة اذ رب شيء تكرهه النفس كالجهاد وهو عند الله محبوب فبترك الراحة واختيار
المشقة ينال العبد امانيه الدنيوية والاخروية والتوفيق اليه من الله تعالى وايس كل احد من لا يبالى انتقاص
دنياه اذا كان التكامل فى طرف دينه (قال الحافظ) خامه را طاقت پروانهٔ پر سوختنه نيست *
نازكانرا نرسد شيوهٔ جان افشانى * ثم اعلم كما ان الله تعالى يستبدل بذوات ذواتا اخر كذلك يستبدل بصفات
صفات اخر فالذاهب خلف مشتهياته والتابع لهواه فى كل حركاته وسكناته يهلك فى وادى الطبيعة والنفس
ولا يصل الى مقامات رجال عالم القدس والانس ولا يتفق له معهم الصحبة فى مقالهم ومقامهم وحالهم اذ بينهما

بون بعيد من حيث ان صفاته صفات النفس واحواله احوال الطبيعة وصفاتهم صفات الروح واخلاقهم اخلاق الله ولذا يحشر كثير من الناس فى صورة صفاته الغالبة المذمومة الا ان يتداركه الله تعالى بفضله ويكسوه كسوة الوجود الانسانى على الحقيقة (الا تنصروه) ان لم تنصروا محمدا فى غزوة تبوك (فقد نصره الله) فسينصره الله كما نصره (اذ اخرجه الذين كفروا) اى تسببوا لخروجه بان هموا بقتله والا فهو عليه السلام انما خرج باذن الله تعالى وامره لا باخراج الكفرة اياه (ثانى اثنين) حال من ضميره عليه السلام اى احد اثنين من غير اعتبار كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة والاثنان ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ هما فى الغار) بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب فى اعلى ثور وثور جبل فى يمنى مكة على مسيرساعة وقال فى التبيان على فرسخين او نحوهما وفى القاموس ويقال له ثور اطحل واسم الجبل اطحل نزله ثور بن عبد مناة فنسب اليه وفى انسان العيون وانما قيل للجبل ذلك لانه على صورة الثور الذى يحرث عليه وتحرير القصة انه لما ابتلى المسلمون باذى الكفار اذن صلى الله عليه وسلم لهم فى الهجرة وقال انى رأيت دار هجرتكم ذات نخيل بين لابتين وهما الحرتان وقال انى لارجو ان يؤذن لى فى الهجرة اليها فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بابى انت قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه عند هجرته فلم يتخلف الا هو وعلى وصهيب ومن كان محبوسا او مريضا او عاجزا عن الخروج فابتاع ابو بكر بعد هذا المقال النبوى راحلتين بثمانمائة درهم فحبسهما فى داره يعلفهما الخبط اعداد الذلك والخبط محركة ورق ينفض بالمخابط ويجفف ويطحن ويخلط بدقيق او غيره ويوخف بالماء فتوجره الابل اى تأكله فكانتا عنده قريبا من ثلاثة اشهر لان الهجرة كانت فى ذى الحجة ومهاجرته عليه السلام كانت فى ربيع الاول ولما رأت قريش قوة امر رسول الله حيث بايعه الاوس والخزرج وصار له انصار فى القبائل والاقطار خافوا من ان يخرج ويجمع الناس على حربهم وقد وقعوا فيما خافوا منه ولو كان بعد حين ونعم ما قيل * اذا ادبر الامر كان العطب فى الحيلة * فاجتمعوا فى دار الندوة ليتشاوروا فى امره عليه السلام ودار الندوة هى اول دار بنيت بمكة كانت منزل قصى بن كلاب وكانت جهة الحجر عند مقام الحنفى الآن وكان لها باب للمسجد وقيل لها دار الندوة لاجتماع الندوة وهى الجماعة فيها وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة لانه اجتمع فيه اشراف بنى عبد شمس وبنى نوفل وبنى عبد الدار وبنى اسد وبنى مخزوم وغيرهم ممن لا يعد من قريش ولم يتخلف من اهل الرأى والحجى احد وكانت مشاورتهم فى يوم السبت فقد سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت فقال يوم مكر وخديعة قالوا ولم يا رسول الله قال ان قريشا ارادوا ان يمكروا فيه وجاء اليهم ابليس فى صورة شيخ نجدى وقال انا من اهل نجد وانما قال ذلك لان قريشا قالوا لا يدخلن معكم فى المشاورة احد من اهل تهامة لان هواهم كان مع محمد فعند ذلك قالوا هو من اهل نجد لا من مكة فلا يضركم حضوره معكم وعند المشورة قال بعضهم بالحبس وبعضهم بالنفى كما بين فى تفسير قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا فى سورة الانفال فمنعه ابليس واتفقت آراؤهم على قول ابى جهل وهو ان يخرجوا اليه من كل قبيلة من قريش شابا جليدا اى قويا بسيف صارم ويقتلوه فيفرق دمه فى القبائل بحيث لا يقدر بنو اعبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضون بالدية واستحسن الشيخ النجدى هذا الرأى وتفرقوا عن تراض فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فاخبره بمكر قريش وامره بمفارقة مضجعه تلك الليلة فلما علم ما يكون منهم قال لعلى رضى الله عنه نم على فراشى واتشح بردائى هذا الحضرمى فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم وكان عليه السلام يشهد العيدين فى ذلك الرداء وكان طوله اربعة اذرع وعرضه ذراعين وشبرا وهل كان اخضر او احمر يدل للثانى قول جابر رضى الله عنه كان يلبس رداء احمر فى العيدين والجمعة وفى سيرة الحافظ الدمياطى وارتد بردائى هذا الاحمر والحضرمى منسوب الى حضرموت التى هى القبيلة او البلدة باليمن كان عليه السلام يتسجى بذلك البرد عند نومه وانما امر عليا رضى الله عنه ان يضطجع على فراشه ليمنعهم سواد على عن طلبه حتى يبلغ هو وصاحبه الى ما امره الله ان يبلغا اليه فلما مضى عتمة من الليل اى الثلث الاول منه اجتمعوا على باب رسول الله وكانوا مائة فجعلوا يتطلعون من شق الباب ويرصدون متى ينام فيثبون عليه فيقتلونه فخرج عليه السلام عليهم وهم ببابه وقرأ قوله تعالى يس والقرءآن الحكيم الى قوله فاغشيناهم فهم

لا يبصرون فاخذ الله ابصارهم عنه عليه السلام فلم يبصروه حتى خرج من بينهم وعن النبى عليه السلام انه ذكر فى فضل يس انها اذا قرأها خائف أمن او جائع شبع او عارى كسى او عاطش سقى او سقيم شفى وعند خروجه عليه السلام اخذ حفنة من تراب فذرها عليهم فاتاهم آت فقال ما تنتظرون قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك رجلا منكم الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فاترون ما بكم فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب فدخلوا على على فقالوا له يا على اين محمد فقال لا ادرى اين ذهب وكان قد انطلق الى بيت ابى بكر باشارة جبرائيل عليه السلام فلما دخل عليه قال قد اذن لى فى الخروج فقال ابو بكر الصحبة يا رسول الله بابى انت اى اسألك الصحبة قال نعم فبكى ابو بكر سرورا ولله در القائل

وردالكتاب من الحبيب بانه * سيزورنى فاستعبرت اجفانى

هجم السرور على حتى انه * من فرط ما قد سرنى ابكانى

ياعين صار الدمع عندك عادة * تبكين من فرح ومن احزان

قال ابو بكر فخذ بابى انت احدى راحلتى هاتين فانى اعددتهما للخروج فقال عليه السلام نعم بالثمن وذلك لتكون هجرته عليه السلام الى الله بنفسه وماله والا فقد انفق ابو بكر رضى الله عنه على رسول الله اكثر ماله فعن عائشة رضى الله عنها اربعين الف درهم وفى رواية اربعين الف دينار وهى الناقة القصوى او الجدعاء وقد عاشت بعده عليه السلام وماتت فى خلافة ابى بكر واما ناقته عليه السلام العضباء فقد جاء ان ابنته فاطمة رضى الله عنها تحشر عليها ثم استأجر رسول الله وابو بكر رجلا من بنى الديل وهو عبد الله بن اريقط ليدلهما على الطريق للمدينة وكان على دين قريش فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار جبل ثور بعد ثلاث ليال ان يأتى بالراحلتين صباح الليلة الثالثة فمكث عليه السلام فى بيت ابى بكر الى الليلة القابلة فخرجا الى طرف الغار وجعل ابو بكر يمشى مرة امام النبى ومرة خلفه فسأله رسول الله عن ذلك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك لا كون فداءك فمشى عليه السلام ليلته على اطراف اصابعه اى لئلا يظهر اثر رجليه على الارض حتى حفيت رجلاه فلما رآهما ابو بكر قد حفيتا حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله وفى رواية كانت قدما رسول الله قد قطرتا دما ويشبه ان يكون ذلك من خشونة الجبل والا فبعد المكان لا يحتمل ذلك ولعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة ويدل عليه قوله فمشى ليلته او انه عليه السلام ذهب الى جبل حنين فناداه اهبط عنى فانى اخاف ان تقتل على ظهرى فاعذب فناداه جبل ثور الى يا رسول الله وكان الغار معروفا بالهوام فلما اراد رسول الله دخوله قال له ابو بكر مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الغار فدخل واستبرأه وجعل يسد الجحرة بثيابه خشية ان يخرج منها شئ يؤذيه اى رسول الله فبقى جحر وكان فيه حية فوضع رضى الله عنه عقبه عليه ثم دخل رسول الله فجعلت تلك الحية تلسعه وصارت دموعه تنحدر فتفل رسول الله على محل اللدغة فذهب ما يجده وقال بعضهم والسر فى اتخاذ رافضة العجم اللباد المفضض على رؤسهم تعظيما للحية التى لدغت ابا بكر فى الغار وذلك لانهم يزعمون ان ذلك على صورة تلك الحية ولما دخل رسول الله وابو بكر الغار امر الله شجرة وهى التى يقال لها القتاد وقيل ام غيلان فنبتت فى وجه الغار فسترته بفروعها ويقال انه عليه السلام دعا تلك الليلة الشجرة وكانت امام الغار فاقبلت حتى وقفت على باب الغار وانها كانت مثل قامة الانسان وقال الحدادى وكان عليه السلام مر على ثمامة وهى شجرة صغيرة ضعيفة فامر ابا بكر ان يأخذها معه فلما صار الى باب الغار امره ان يجعلها على باب الغار وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها نسجا متراكما بعضه على بعض كنسج اربع سنين كما قال فى القصيدة البردية

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم

اى ظنوا ان الحمام ما وكر وما باض على باب الغار الذى فيه خير البرية وظنوا ان العنكبوت لم تنسج ولم تحم اى لم تطف من حام حوله اى طاف ودار فهو من قبيل علفتها تبنا وماء باردا (وقال المولى الجامى) شد دوسه تارى كه عنكبوت تنيد * بردران غار پرده دار محمد * وقد نسج العنكبوت ايضا على نبى الله داود عليه السلام لما طلبه جالوت ونسج ايضا على عورة سيدنا زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب وهو اخو الامام محمد الباقر وعم جعفر الصادق وقد كان يوسف بن عمر الثقفى امير العراقين من قبل هشام بن عبد

الملك صلبه عريانا للخروج عليه وذلك فى سنة ست وعشرين ومائة واقام مصلوبا اربع سنين وقيل خمس سنين
فلم تر عورته وقيل بطنه الشريف ارتخى على عورته فغطاها ولا مانع من وجود الامرين وكانوا عند صلبه
وجهوه الى غير القبلة فدارت خشبته التى عليها الى ان صار وجهه الى القبلة ثم احرقوا خشبته وجسده رضى
الله عنه قال العلماء ويكفى للعنكبوت شرفا نسجها على الغار ونهى النبى عليه السلام يومئذ عن قتل العنكبوت
وقال انها جند من جنود الله تعالى (قال فى المثنوى) جمله ذرات زمين وآسمان * لشكر حقند كاه
امتحان * واما قوله عليه السلام العنكبوت شيطان فاقتلوه وفى لفظ العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه
فان صح فلعله صدر قبل وقعة الغار فهو منسوخ وعن على طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه
فى البيوت يورث الفقر وهذا لا يقدح فى شرفها وذكر فى حياة الحيوان ان ما تنسجه العنكبوت يخرج من خارج
جلدها لا من جوفها ومن خواصها انها اذا وضع نسجها على الجراحة الطرية فى ظاهر البدن حفظها بلا ورم
ويقطع سيلان الدم اذا وضع عليه والعنكبوت التى تنسج على الكنيف اذا علقت على المحموم يبرأ قاله ابن زهير
وامر الله تعالى الحمامتين الوحشيتين فوقفتا بفم الغار وباضتا وبارك عليه السلام على الحمامتين وانحدرتا فى الحرم
وهل حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين ام لا ففيه اختلاف والظاهر انها ليست من نسلهما لانه روى فى قصة
نوح عليه السلام انه بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الارض فوقعت بوادى الحرم فاذا الماء قد نضب
من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها ثم جاءته فمسح عنقها وطوقها طوقا ووهب لها الحمرة
فى رجليها واسكنها الحرم ودعا له بالبركة وذكر ان حمام مكة اظلته عليه السلام يوم فتحها فدعا لها بالبركة وكان
المسيح عليه السلام يقول لاصحابه ان استطعتم ان تكونوا بلهاء فى الله مثل الحمام فافعلوا وكان يقال انه ليس شئ
ابله من الحمام انك تأخذ فرخه من تحته فتذبحه ثم يعود الى مكانه ذلك فيفرخ فيه ومن طبعه انه يطلب وكره
ولو ارسل من الف فرسخ يحمل الاخبار ويأتى بها من المسافة البعيدة فى المدة القريبة كما قال فى المغرب الحمام
بارض العراق والشام تشترى باثمان غالية وترسل من الغايات البعيدة بكتب الاخبار فتؤديها وتعود بالاجوبة
قال الجاحظ لولا الحمام الهدى لما عرف بالبصرة ما حدث بالكوفة فى بياض يوم واحد واليه الاشارة فى اشعار
البلغاء (كما قال المولى جلال الدين قدس سره فى المثنوى) رقعه كر بر پر مرغى دوختى * پر مرغ از تف رقعه
سوختى (وقال السلطان سليم الاول يعنى فاتح مصر) مرغ چشمم من كه پروازش بجز سوى تو نيست *
بسته ام از اشك صد جا نامهٔ شوقش ببال * وقال فى حياة الحيوان اتخاذ الحمام للبيض والفراخ وللانس
ولحمل الكتب جائز بلا كراهة واما اللعب بها والتطيير والمسابقة فقيل يجوز لانه يحتاج اليها فى الحرب لنقل
الاخبار والاصح كراهيته فان قامر بالحمام ردت شهادته ولما فقد المشركون رسول الله شق عليهم ذلك وخافوا
وطلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة اى الذين يقفون الاثر فى كل وجه ليقفوا اثره فوجد الذى ذهب
الى جبل ثور وهو علقمة بن كرز اسلم عام الفتح اثره انتهى الى الغار فقال ههنا انقطع الاثر ولا ادرى اخذ يمينا
ام شمالا ام صعد الجبل وكان عليه السلام شثن الكفين والقدمين يقال شثنت كفه شثنا وشثونة خشنت
وغلظت فهو شثن الاصابع بالفتح كذا فى القاموس فاقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم فلما انتهوا
الى فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما اربكم اى حاجتكم الى الغار ان عليه لعنكبوتا
كان قبل ميلاد محمد ولو دخل لما نسج ذلك العنكبوت وتكسر البيض وعند ما حاموا حول الغار حزن ابو بكر
رضى الله عنه خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (اذ يقول) بدل ثانى او ظرف ثانى
والقائل هو رسول الله صلى عليه وسلم (لصاحبه) وهو ابو بكر الصديق رضى الله عنه ولذلك قالوا من انكر صحبة
ابى بكر فقد كفر لانكاره كلام الله تعالى وكذا الروافض اذا كانوا يسبون الشيخين اى ابا بكر وعمر رضى الله
عنهما او يلعنونهما يكفرون واذا كانوا يفضلون عليا عليهما يكونون مبتدعين والمبتدع صاحب الكبيرة والبدعة
الكبيرة كما فى هدية المهديين وعن ابى بكر رضى الله عنه انه قال لجماعة ايكم يقرأ سورة التوبة قال رجل انا
اقرأ فلما بلغ الى قوله اذ يقول لصاحبه الآية بكى رضى الله عنه وقال انا والله صاحبه (لا تحزن) ولم يقل لا تخف
لان حزنه على رسول الله بغفلة عن حزنه على نفسه وهذا النهى تأنيس وتبشير له كما فى قوله تعالى له عليه السلام
ولا يحزنك قولهم وبه يرد ما زعمته الرافضة ان ذلك كان غضبا من ابى بكر وذما له لان حزنه ان كان طاعة فالنبى

عليه السلام لا ينهى عن الطاعة فلم يبق الا انه معصية كذا فى انسان العيون (ان الله معنا) بالعون والعصمة
والمراد بالمعية الولاية التى لا تحوم حولها شائبة من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد
ما فيه من المتبوعية فى الامر المباشر وتأمل الفرق بين قوله عليه السلام ان الله معنا وبين قول موسى عليه
السلام ان معى ربى كيف تجده دقيقا والله الهادى روى ان المشركين لما طلعوا فوق الغار وعلوا على رؤسهما
اشفق ابو بكر على رسول الله عليه السلام فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار
فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وذكر ان ابا بكر لما قال للنبى عليه السلام لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا
قال له النبى عليه السلام لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق الى الغار فاذا هو قد انفرج من الجانب
الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة
وفى الآية دلالة على علو طبقة الصديق وسابقة صحبته وهو ثانى رسول الله فى عالم الارواح حين خرج من العدم
وثانيه حين خرج مهاجرا وثانيه فى الغار وثانيه فى الخلافة وثانيه فى القبر بعد وفاته وثانيه فى انشقاق الارض
عنه يوم البعث وثانيه فى دخول الجنة كما قال عليه السلام اما انك يا ابا بكر اول من يدخل الجنة من امتى
وقال ايضا الا ابشرك قال بلى بابى انت وامى قال ان الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة ويتجلى لك خاصة
وروى ان ابا بكر عطش فى الغار فقال عليه السلام اذهب الى صدر الغار فاشرب فانطلق ابو بكر الى صدر الغار
فوجد ماء احلى من العسل وابيض من اللبن وازكى رائحة من المسك فشرب منه فقال عليه السلام ان الله
امر الملك الموكل بانهار الجنة ان يخرق نهرا من جنة الفردوس الى صدر الغار لتشرب يا ابا بكر قال ابو بكر
يا رسول الله ولى عند الله هذه المنزلة فقال عليه السلام نعم وافضل والذى بعثنى بالحق نبيا لا يدخل الجنة
مبغضك ولو كان عمله عمل سبعين نبيا (فانزل الله سكينته) امنته التى تسكن عندها القلوب (وقال الكاشفى)
رحمت خود را كه سبب آرامش است (عليه) اى على النبى عليه السلام فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة
الخوف اصلا او على صاحبه وهو الاظهر اذ هو المنزعج وكان رسول الله ساكنا وعلى طمأنينة من امره واليه
اشار الشيخ فريد الدين العطار قدس سره خواجهٔ اول كه اول يار اوست * ثانى اثنين اذ هما فى الغار اوست *
چون سكينه شد ز حق منزل برو * كشت مشكلهاء عالم حل برو * وقال سعدى چلبى المفتى فى حواشيه
بل الاول هو الاظهر المناسب للمقام وانزال السكينة لا يلزم ان يكون لرفع الانزعاج بل قد يكون لدفعه
كما سبق فى قصة حنين والفاء للتعقيب الذكرى انتهى وفى مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما (وايده)
اى قوى النبى عليه السلام (بجنود لم تروها) وهم الملائكة النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين ليعينوه
على العدو والجملة معطوفة على نصره الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعنى جعل الله الشرك مقهورا
مغلوبا ابدا الى يوم القيامة او دعوتهم الى الكفر يعنى دعوت كفر را كه از ايشان صادر مى شد خوار وبيمقدار
ساخت (وكلمة الله) اى التوحيد او الدعوة الى الاسلام وهى بالرفع على الابتداء (هى) ضمير فصل لدفع توهم
انه قد يفوق غير كلمة الله (العليا) الى يوم القيامة وهو خبر المبتدا وجعل الله ذلك بان اخرج رسوله من بين
الكفرة وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطف على كلمة الذين وهو ضعيف لانه يشعر بان كلمة الله كانت سفلى
ثم صارت عليا وليس كذلك بل هى عالية فى نفسها ابدا وفى مناظرات المكى لو قال احد وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى وكلمة الله وقطع ولم يقل وكلمة الله هى العليا كان كافرا ان كان عمدا (والله عزيز) وخداى تعالى
غالبست عزيز كند اهل توحيد را (حكيم) فى امره وتدبيره وحكمه (قال الكاشفى) داناست خوار سازد اهل
كفر را مقصود از ايراد قصهٔ غار در اثناء غزوهٔ تبوك آنست كه اكر شما اى كارهان جهاد يارى نكنيد پيغمبر
مرا من او را يارى كنم چنانچه دران محل كه با او يك كس بيش نبود تمام صناديد قريش بقصد او برخاستند
من يارى كردم واز ميان دشمنش بسلامت بيرون آوردم پس مفتاح نصرت بقبضهٔ منست وما النصر
الا من عند الله يارى از وى جون از خيل وسپاه * راز با من كوى نى با مير وشاه * هر كرا يارى كنم برتر شود *
هر كرا دور افكنم ابتر شود * وتمام القصة انه لما انصرف قريش من الغار وايسوا منهما ارسلوا الاهل السواحل
ان من اسر او قتل احدهما كان له مائة ناقة وفى رواية مائتان ومكثا فى الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله
ابن ابى بكر وهو غلام يعرف يأتيهما حين يختلط الظلام ويخبرهما بما وعاه من اخبار اهل مكة ويدلج

من عندهما بفجر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فى بيته وكان عامر بن فهيرة مولى ابى بكر يرعى لابى بكر اغناما له
نهاره ثم يروح عليهما فيحلبها لهما وكانت اسماء بنت ابى بكر تأتيهما اذا امست بطعامهما وشرابهما فلما طلع
صبح الليلة الثالثة اتى الدليل بالراحلتين فركباهما وانطلقا نحو المدينة وانطلق معهما عامر بن فهيرة رديفا
لابى بكر وانزل الله عليه وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا
نصيرا قال زيد بن اسلم جعل الله له مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار رضى الله
عنهم ولما خرج من مكة التفت اليها وبكى وقال انى لاخرج منك وانى لاعلم انك احب بلاد الله واكرمها على الله
ولولا ان اهلك اخرجونى ما خرجت وهو يدل على ان مكة افضل من سائر البلاد وفى الحديث من صبر على
حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام والحسنة فيها بمائة الف حسنة والكلام فى غير
ما ضم اعضاءه الشريفة من ارض المدينة والافذ الافضل بقاع الارض بالاجماع حتى من العرش والكرسى
ذكر ان الطوفان موج تلك التربة المكرمة عن محل الكعبة حتى ارساها بالمدينة فهى من جملة ارض مكة ولما سمع
سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى ان الكفار جعلوا فيهما ان قتلا او اسرا مائة ناقة ركب خلفهما حتى ادركهما
فى طريق الساحل فصاح وقال يا محمد من يمنعك منى اليوم فقال عليه السلام يمنعنى الجبار الواحد القهار
ونزل جبرائيل وقال يا محمد ان الله يقول لك قد جعلت الارض مطيعة لك فأمرها بما شئت فقال عليه السلام
يا ارض خذيه فاخذت ارجل جواده الى الركب فقال يا محمد الامان فقال عليه السلام يا ارض اطلقيه فاطلقته
يقال عاهد سبع مرات ثم نكث العهد وكلما نكث تغوص قوائم فرسه فى الارض وفى السابعة تاب توبة صدق
ورجع الى مكة وصار لا يرى واحدا من طلابه عليه السلام الارده يقول اختبرت الطريق فلم ار احدا وقصة
نزوله المدينة مذكورة فى السير (انفروا) اى اخرجوا ايها المؤمنون مع النبى عليه السلام الى غزوة تبوك
قال فى تاج المصادر النفير والنفور بسفر بيرون شدن (خفافا وثقالا) جمع خفيف وثقيل اى حال كونكم شبانا
وشيوخا اوفقراء واغنياء اوركبانا ومشاة اواصحاء ومرضى اوعزبا ومتأهلين اوخفافا مسرعين خارجين ساعة
استماع النفير وثقالا بعد التروية فيه والاستعداد له اومقلين من السلاح ومكثرين منه اونشاطا وغير نشاط
اى خفت عليكم الحركة اوثقلت اومشاغيل وغير مشاغيل اومهازيل وسمانا اواقوياء وضعفاء يا غريبان
وكدخدايان كما فى الكاشفى وهذا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقى قال المولى
ابو السعود اى على اى حال كان من يسر اوعسر باى سبب كان من الصحة والمرض اوالغنى والفقر اوقلة العيال
وكثرتهم اوغير ذلك مما ينتظمه مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة فى الجملة وعن ابن ام مكتوم
أعلى ان انفر فقال عليه السلام نعم فرجع الى اهله فلبس سلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله تعالى ليس على
الاعمى حرج وعن ابن عباس رضى الله عنه نسخت بقوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية سلمى
ميكويد سبك روحان بارتكاب طاعات وكرانان از مباشرت مخالفات امام قشيرى ميفرمايدكه خفاف
آنانندكه از بند شهود ماسوى آزادند وثقال ايشانندكه بقيد تعلقات مقيدانند وفى بحر الحقائق انفروا ايها
الطلاب فى طلب الحق خفافا مجردين عن علائق الاولاد والاهالى منقطعين عن عوائق الاموال والاملاك
وثقالا متمولين ومتأهلين وايضا خفافا مجذوبين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية يعنى خفاف مجذوبانند
از كشش عنايت براه سلوك وثقال سالكانند بپرورش متوجه جذبهٔ حقانى شده هرد وطائفه درراهند
اما يكى ببال كشش مى پرد بمى مشاهدهٔ ماسوى راطى ميكند* مرد عارف جون بدان پرمى پرد * دردمى
ازنه فلك مى بكذرد * سير زاهد دردمى يك روزه راه * سير عارف هر زمان تا تخت شاه (وجاهدوا) وجهاد
كنيد والجهاد فى الاصطلاح قتال الكفار لتقوية الدين كما فى شرح الترغيب المنذرى وهو المراد بما فى خالصة
الحقائق نقلا عن اهل الحكمة الجهاد بذل المجهود وقتال المتمردين حملا لهم على الاسلام ومنعا لهم عن عبادة
الاصنام واعلم ان الجهاد لا ينافى كونه عليه السلام نبى الرحمة وذلك انه مأمور بالجهاد مع من خالفه من الامم
بالسيف ليرتدعوا عن الكفر وقد كان عذاب الامم المتقدمة عند مخالفة انبيائهم بالهلاك والاستئصال
فاما هذه الامة فلم يعاجلوا بذلك كرامة لنبيهم عليه السلام ولكن يجاهدوا بالسيف وله بقية بخلاف العذاب
المنزل فقد روى ان قوما من العرب قالوا يا رسول الله افننا السيف فقال ذلك ابقى لآخركم كذا فى ابكار الافكار

(باموالكم) بما لهاء خودكه تهيهٔ زاد وسلاح كنيد (وانفسكم) وبنفسهاء خودكه مباشر كارزار كرديد فهو
ايجاب للجهاد بهما ان امكن وباحدهما عند امكانه واعوازالآخر حتى ان من ساعده النفس والمال يجاهد بهما
ومن ساعده المال دون النفس يغزى مكانه من حاله على عكس حاله وفى التأويلات النجمية وانما قدم انفاق
المال فى طلب الحق على بذل النفس لان بذل النفس مع بقاء الصفات الذميمة غير معتبر وهى الحرص على
الدنيا والبخل بها فاشار بانفاق المال الى ترك الدنيا وفى الحديث تعس عبد الدينار وعبد الدرهم قوله تعس بفتح
العين وكسرها عثر او هلك اولزمه الشر اوسقط لوجهه اى انكب وهو دعاء عليه اى اتعسه الله وانما دعا عليه
السلام على عبد الدينار والدرهم لانه حرص على تحصيل المال من الحرام والحلال وبخل بالانفاق فى سبيل
الملك الخلاق فوقف على متاع الدنيا الفانى وترك العمل لنعيم الآخرة الباقى (قال السلطان ولد قدس سره)
بكذار جهان راكه جهان ان تونيست * وين دم كه همى زنى بفرمان تونيست * كرمال جهان جمع
كنى شاد مشو * ورتكيه بجان كنى جان آن تونيست (فى سبيل الله) هذا اللفظ عام يقع على كل عمل
خالص لله تعالى سلك به طريق التقرب الى الله تعالى باداء الفرائض والنوافل وانواع الطاعات واذا اطلق فهو
فى الغالب واقع على الجهاد حتى صار لكثرة الاستعمال كانه مقصور عليه كما فى شرح الترغيب يقول الفقير
فمعنى فى سبيل الله اى فى الطريق الموصل الى الجنة والقربة والرضى وهو ان لا يكون بهوى وغرض وان كان
حصول الجنة كما فى المفاتيح حكى انه كتب واحد الى يوسف بن اسباط وهو من متقدمى الصوفية ان نفسى
تنازعنى الى الغزو فما تقول فيه فكتب فى الجواب لأن ترد نفسك عن هواها خير من ان تقتل اوتقتل فى المعركة
وحكى انه لما دنا قتيبة بن مسلم من بلدة بخارى ليفتحها فانتهى الى جيحون اخذ الكفار السفن حتى لا يعبر
جيش المسلمين عليها فقال قتيبة اللهم ان كنت تعلم انى ما خرجت الا للجهاد فى سبيلك ولاعزاز دينك ولوجهك
فلا تغرقنى فى هذا البحر وان خرجت لغير هذا فاغرقنى فى هذا البحر ثم ارسل دابته فى جيحون فعبره مع اصحابه
باذن الله تعالى روى ان بعضهم رأى ابليس فى صورة شخص يعرفه وهو ناحل الجسم مصفر اللون باكى العين
محقوقف الظهر فقال له ما الذى انحل جسمك قال صهيل الخيل فى سبيل الله ولو كان فى سبيلى لكان احب الى
فقال له فما الذى غير لونك فقال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية لكان احب الى قال
فما الذى ابكى عينك قال خروج الحاج اليه لا بتجارة اقول قد قصدوه اخاف ان لا يخيبهم فيحزننى ذلك
وفى الصحيحين عن ابى سعيد برفعه قيل يا رسول الله اى الناس افضل فقال رسول الله مؤمن مجاهد بنفسه وماله
قالوا ثم من قال مؤمن فى شعب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره (ذلكم) اى ما ذكر من النفير والجهاد
(خير لكم) من القعود وترك الامداد فان قيل ما معنى كون الجهاد خيرا من تركه والحال انه لا خير فى تركه اجيب
بان معناه ان ما يستفاد من الجهاد من ثواب الآخرة خير مما يستفيده القاعد عنه من الراحة وسعة العيش
والتنعم بهما كما قال فى البحر الخيرية فى الدنيا بغلبة العدو ووراثة الارض وفى الآخرة بالثواب ورضوان الله
تعالى قال سعدى چلبى وفى الترك خير دنيوى فيه الراحة (ان كنتم تعلمون) الخير علمتم انه خير لان فيه استجلاب
خير الدنيا وخير الآخرة وفى خلافه مفاسد ظاهرة وفى بحر الحقائق ترك الدنيا وبذل النفس خير لكم فى طلب الحق
من المال والنفس ان كنتم تعلمون قدر طلب الحق وعزة السير اليه فان الحاصل من المال والنفس الوزر والوبال
والحاصل من الطلب الوصول والوصال انتهى قال فى زبدة التفاسير عن انس رضى الله عنه ان ابا طلحة
رضى الله عنه قرأ سورة براءة فاتى على هذه الآية انفروا خفافا وثقالا فقال اى بنى جهزونى فقال بنوه
رحمك الله قد غزوت مع النبى عليه السلام حتى مات ومع ابى بكر وعمر رضى الله عنهما حتى ماتا فنحن نغزو عنك
فقال لا جهزونى فغزا البحر فمات فى البحر فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها الا بعد سبعة ايام فدفنوه فيها ولم يتغير
يقول الفقير وذلك لان اجساد الانبياء والاولياء والشهداء لا تبلى ولا تتغير لما ان الله تعالى قد نقى ابدانهم من
العفونة الموجبة للتفسخ وبركة الروح المقدس الى البدن كالاكسير ثم ان الناس صنفان ارباب رخصة واصحاب
عزيمة ولله در اصحاب العزيمة فى مسابقتهم ومسارعتهم فعليك بطريقتهم وسيرتهم وهذه الآية الكريمة متعلقة
بمرتبة النفس واصلاحها فان النفس مجبولة على حب المال وفى بذله تزكيتها عن هذه الرذيلة فمن علم ان الغنى
والفقر من الله تعالى وآمن بالقدر ايمانا عيانيا هان عليه البذل ولم يبق عنده مقدار للمال كما ان من علم ان الموت

بالاجل وان المرء لا يموت قبل حلول ذلك الاجل لا يفر من محاربة العدو وحفظ المال وامساكه انما يحسن لاجل الانفاق وقت الحاجة والافكنزه مذموم كونيدكه نافع مولاى عبد الله بن عمر رضى الله عنه كه استاد امام شافعى بود دروقت مردن كفت اين جايكه رابكنيد بكندند بيست هزار درم درسبوى بديد امد كفت آنكاه كه ازجنازهٔ من بازآمده باشيد بدرويش دهيد اورا كفتند يا شيخ چون تو كسى درم نهد كفت بحق اين وقت تنك كه زكوة وى بركردن من نيست وهركز عيالان خود رابسختى نداشتم لكن هركاه كه مرا آرزوبى بودى آنچه بدان آرزوبايستى دادن درسبو افكندمى تااكر مرا سختى پيش آمد بدرسفلهٔ نبايد رفتن كذا فى شرح الشهاب وفى هذه الحكاية امور الاول ان من كان اماما للناس ومقتدى فى الدين لا ينبغى له ان يدخر ويكنز المال طمعا وحرصا لان الناس على دين ملوكهم (وقد قيل) شيخ چون مائل بمال آيد مريد اومباش مائل دينار هركز مالك ديد اونيست والثانى ان من غلبت عليه شهوته فمنع طبيعته عن مقتضاها بامساك ماله عن الصرف لها رجاء بذله لخير منه فقد جاهد مع نفسه وطبيعته اما مع نفسه فلانه ما كنز المال لاجل الكنز بل لاجل البذل لانفع شئ فى وقت ما واما مع طبيعته فلانه منعها من مقتضاها وواضها ومثل هذا هو الجهاد الاكبر والثالث ان عرض الاحتياج على اللئيم ملوم مذموم شرعا وطريقة ولذا من جاع واحتاج فكتمه عن الناس واقبل الى الله تعالى كان على الله ان يفتح له رزق سنة والشكاية من الحبيب الى الحبيب عين التوحيد والى غيره شرك تعلق به الوعيد فعلى العاقل ان يختار طريق اصحاب الصفة فانهم كانوا مع الحق وفى معاونته دائما يبذل اموالهم ان منحوا وانفسهم ان منعوا الان ما لا يدرك كله لا يترك كله فكل مأمور بمقدار طاقته وليست الطاعة الا بقدر الطاقة هذا هو اللائح بالبال والله اعلم بحقيقة الحال نسأل الله سبحانه ان يوفقنا البذل المجهود وترك ملاحظة المقصود ويوصلنا الى جنابه انه هو المروم والمقصود (لو كان) اورده اندكه چون حضرت صلى الله عليه وسلم مردانرا بغزوهٔ تبوك اشارت فرمود ايشان سه فرقه شدند جمعى مسارعت نمودند وفرمانرا بسمع اطاعت شنودند وآن اكابر مهاجر وانصار بودند وبعضى ضعفاء مؤمنانرا كران امد فرمان خدا وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم برهواى نفس اختيار كردند وبرخى دستورى اقامت وتخلف طلبيدند وانها منافقان بودند ودرشان ايشان نازل شدكه لو كان يا محمد ما دعوتهم اليه فاسم كان محذوف دل عليه ما قبله (عرضا قريبا) العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اى غنما سهل المأخذ قريب المنال (وسفرا قاصدا) ذا قصد وتوسط بين القريب والبعيد ففاعل بمعنى ذى كلابن وتامر بمعنى ذى لبن وذى تمر وسمى السفر سفرا لانه يسفر اى يكشف عن اخلاق الرجال (لاتبعوك) فى الخروج طمعا فى المال وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط (ولكن بعدت عليهم الشقة) اى المسافة الشاقة التى تقطع بمشقة (وسيحلفون بالله) السين للاستقبال اى سيحلف المتخلفون عن الغزو اذا رجعت اليهم من غزوة تبوك وقد صنع كما اخبر فهو من جملة المعجزات النبوية (لو استطعنا) اى قائلين لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا (لخرجنا معكم) اى الى الغزاة فقوله بالله متعلق بسيحلفون وقوله لخرجنا ساد مسد جوابى القسم والشرط جميعا لان قولهم لو استطعنا فى قوة بالله لو استطعنا فيكون بالله قسما (يهلكون انفسهم) بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع جمع بلقع وبلقعة وهى الارض القفر التى لا شئ بها والمرأة البلقعة الخالية من الخير يعنى من حلف عمدا كذبا لاجل الدنيا وزيادة المال وبقاء الجاه فقد تعرض لزوال ما فى يده من المال والجاه وبزواله يفتقر وتخرب داره من البركة وفى الحديث اليمين الكاذبة منفقة للسلعة) اى سبب لنفاقها ورواجها فى ظن الحالف (ممحقة للكسب) اى سبب لمحق بركة المكسوب وذهابها اما بتلف يلحقه فى ماله او بانفاقه فى غير ما يعود نفعه اليه فى العاجل او ثوابه فى الآجل او بقى عنده وحرم نفعه او ورثه من لا يحمده (والله يعلم انهم لكاذبون) اى فى مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقيق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا (عفا الله عنك لم اذنت لهم) لام لم ولام لهم متعلقتان بالاذن لاختلافهما فى المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستأذنين اى لاى سبب اذنت لهم فى التخلف حين اعتلوا بعللهم واعلم ان قوله تعالى لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك دل على ان قوما تخلفوا عن اتباعه عليه السلام لان لولا نتفاء الجواب لانتفاء الشرط وقوله عفا الله

عنك لم أذنت لهم دل على ان ذلك التخلف كان باذن رسول الله والعفو يستدعى سبق الخطأ وهذا الخطأ ليس من قبيل الذنب بل من ترك الاولى والافضل الذى هو التأنى والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال فقوله عفا خبر يعنى دركذارنيد خداى از تو وقوله لم أذنت لهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى وانما قدم الله العفو على العتاب تصديقا وتحقيقا لقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله لم أذنت لهم ما كان على وجه العتاب حقيقة بل كان على اظهار لطفه به وكمال رأفته فى حقه كما فى التأويلات النجمية قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطأ واساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئسما فعلت كما فى الارشاد ويجوز ان يكون انشاء كما قال الكاشفى فى تفسيره عفا الله عنك دعاء است حق سبحانه وتعالى پيغمبر خود را ميفرمايدكه عفو كناد از تو خداى وعادت مردم مى باشدكه دعا كند كسى را بعفو ورحمت ومغفرت بى وقوع خطايى ازوى چنانچه مثلا يكى تشنه را آب دهد او در جواب ميكويد غفر الله يا در جواب عاطس ميكويد يرحمك الله انتهى اقول واقد اصاب فى تفسيره واجاد فى تقريره فان خطأ النبى عليه السلام وسهوه ونسيانه ليس من قبيل خطأ الامة وسهوهم ونسيانهم فالاولى للمتأدب ان يسكت عما يشين بحاله او لا يليق بكماله (حتى يتبين لك الذين صدقوا) اى فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا (وتعلم الكاذبين) فى ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى والافضل وحتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام تقديره لم سارعت الى الاذن لهم وهلا اخرتهم وتأنيت الى ان يتبين الامر وينجلى او ليتبين كما هو قضية الجزم فحتى بمعنى الى او بمعنى اللام ولا يجوز ان يتعلق باذنت لان ذلك يوجب ان يكون اذن لهم الى هذه الغاية او لاجل التبين وهذا لا يعاتب عليه واعلم ان الآية الاولى اشارت الى ان من كان مطلوبه الدنيا وزينتها يجد له مساعدا ومصاحبا كثيرا ومن كان مطلوبه الحق والوصول اليه لا يجد له مرافقا وموافقا الا اقل من القليل لصعوبة الانقطاع عن الحظوظ والامانى (وفى المثنوى)

حفت الجنه بمكروهاتنا ❊ حفت النيران من شهواتنا

يعنى جعلت الجنة محفوفة بالاشياء التى كانت مكروهة لنا وجعلت النار محاطة بالامور التى كانت محبوبة لنا واتيان الحظوظ اسهل من تركها ولذا ترى الرجل يدخل النار بالف درهم ولا يدخل الجنة بدرهم واحد والآية الاخيرة افادت التحرى والتأنى فى الامور وفى حديث انس رضى الله عنه ان رجلا قال للنبى اوصنى فقال النبى عليه السلام خذ الامر بالتدبر فان رأيت فى عاقبته خيرا فامضه وان خفت غيا فامسك والعجلة صفة من صفات الشيطان روى انه لما رأى خلقة آدم من الطين قبل ان ينفخ فيه الروح عجل فى امره وقال وعزة ربى ان جعل هذا خيرا وفضله على فلا اطيعه وان جعلنى خيرا منه لاهلكنه فلما نفخ فيه الروح وامر الملائكة وابليس بالسجود له عجل ابليس بالاباء لاظهار العداوة والسعى وهلاكه على ما عزم عليه اولا ولم يتأن وينظر فى امره واما التأنى فمن اوصاف الرحمن ولذا خلق السموات والارض فى ستة ايام وان كان قادرا على ان يخلقها فى مقدار طرفة عين فعلى العاقل العمل بالتأنى والافضل والجهاد الى آخر العمر وحلول الاجل كيلا يكون من المتخلفين قال شقيق ان الله تعالى اظهر هذا الدين وجعل عزه فى الجهاد فمن اخذ منه حظه فى زمانه كان كمن شاهده كله وشارك من مضى قبله من الغزاة ومن تبطأ عنه فى زمانه فقد شارك المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اثمهم وعارهم والتبطؤ والتخلف انما هو من الكسل الطبيعى البدنى ومن كان له حظ روحانى يجد فى نفسه المسارعة الى الخيرات (وفى المثنوى) هركرانى وكسل خود از تنست ❊ جان زخفت جمله در پريدنست ❊ اللهم اعصمنا من الكسل فى باب الدين واعنا انك انت المعين (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر) فى (ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم) وان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا عن ان يستأذنوك فى التخلف وحيث استأذنك هؤلاء فى التخلف كان مظنة للتأنى فى امرهم بل دليلا على نفاقهم وعلة عدم الاستئذان الايمان كما ان علة الاستئذان عدم الايمان بناء على قاعدة ان تعليق الحكم بالوصف يشعر بعلية الوصف له (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالانتظام فى زمرة المتقين وعدة لهم باجزال الثواب واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى (انما يستأذنك) فى التخلف (الذين لا يؤمنون بالله

والیوم الآخر) قال فی التبیان کان الاستئذان فی ذلک الوقت علامة النفاق قیل کانوا تسعة وثلاثین رجلا
(وارتابت قلوبهم) عطف علی الصلة والماضی للدلالة علی تحقق الریب والریب شک مع اضطراب القلب ودل
علی ان الشاک المرتاب غیر مؤمن (فهم) حال کونهم (فی ریبهم) وشکهم المستقر فی قلوبهم (یترددون) ای
یتحیرون فان التردد دیدن المتحیر کما ان الثبات دیدن المستبصر (ولو ارادوا الخروج) یدل علی ان بعضهم قالوا عند
الاعتذار کنا نرید الخروج لکن لم نتهیأ له وقد قرب الرحیل بحیث لا یمکننا فکذبهم الله وقال لو ارادوا الخروج
معک الی العدو فی غزوة تبوک (لاعدوا له) ای للخروج فی وقته (عدة) ای اهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغیر
ذلک مما لا بد منه للسفر (ولکن کره الله انبعاثهم) ولکن ما ارادوه لما انه تعالی کره نهوضهم للخروج لما فیه
من المفاسد الآتیة والانبعاث برانگیخته شدن کما فی التاج فلکن للاستدراک من المقدم وفی حواشی سعدی
چلبی الظاهر ان لکن ههنا للتأکید انتهی (فثبطهم) ای حبسهم بالجبن والکسل فتثبطوا عنه ولم یستعدوا له
والتثبیط صرف الانسان عن الفعل الذی یهم به (وقیل اقعدوا مع القاعدین) الذین شأنهم القعود وملازمة
البیوت وهم الزمنی والمرضی والعمیان والنساء والصبیان ففیه ذم لهم وظاهره یخالف قوله تعالی انفروا خفافا
وثقالا فلذا حملوه علی التمثیل بان یشبه القاء الله تعالی فی قلوبهم کراهة الخروج بامر آمر امرهم بالقعود ثم بین
سر کراهته تعالی لانبعاثهم فقال (لو خرجوا فیکم) درمیان شما ای مخالطین لکم (ما زادوکم) ای ما اورثوکم
شیأ من الاشیاء (الا خبالا) ای فسادا وشرا کالتجبین وتهویل امر الکفار والسعی للمؤمنین بالنمیمة وافساد
ذات البین واغراء بعضهم علی بعض وتحسین الامر لبعضهم وتقبیحه للبعض الآخر لیتخلفوا وتفترق کلمتهم
فهو استثناء مفرغ من اعم العام الذی هو الشیء فلا یلزم ان یکون فی اصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم
خبال وفساد ویزید المنافقون ذلک الفساد بخروجهم فیما بینهم لان الزیادة المستثناة انما هی الزیادة بالنسبة
الی اعم العام لا بالنسبة الی ما کان فیهم من القبایح والمنکرات وفی البحر قد کان فی هذه الغزوة منافقون
کثیر ولهم لا شک خبال فلو خرج هؤلاء لالتأموا فزاد الخبال انتهی (ولا وضعوا خلالکم) ای لسعوا بینکم
واسرعوا بالقاء ما یهیج العداوة او ما یؤدی الی الانهزام والایضاع تهییج المرکوب وحمله علی الاسراع من قولهم
وضع البعیر وضعا اذا اسرع واوضعته انا اذا حملته علی الاسراع والمعنی لاوضعوا رکائبهم بینکم علی حذف
المفعول والمراد به المبالغة فی الاسراع بالنمائم لان الراکب اسرع من الماشی والخلال جمع خلل وهو الفرجة
بین الشیئین وهو بمعنی بینکم منصوب علی انه ظرف لاوضعوا (یبغونکم الفتنة) حال من فاعل اوضعوا ای حال
کونهم باغین ای طالبین الفتنة لکم وهی افتراق الکلمة (وفیکم) ودرمیان شما (سماعون لهم) ای نمامون
یسمعون حدیثکم لاجل نقله الیهم فاللام للتعلیل او فیکم قوم ضعفة یسمعون للمنافقین ای یطیعونهم فاللام
لتقویة العمل لکون العامل فرعا کقوله تعالی فعال لما یرید (والله علیم بالظالمین) علما محیطا بضمائرهم
وظواهرهم وما فعلوا فیما مضی وما یأتی منهم فیما سیأتی وهو شامل للفریقین السماعین والقاعدین (لقد ابتغوا)
ای طلب هؤلاء المنافقون (الفتنة) تشتیت شملک وتفریق اصحابک عنک (من قبل) ای قبل غزوة تبوک یعنی یوم
احد فان ابی انصرف یوم احد مع ثلثمائة من اصحابه وبقی النبی علیه السلام مع سبعمائة من خلص المؤمنین وقد
تخلف بمن معه عن تبوک ایضا بعد ما خرج النبی علیه السلام الی ذی جدة اسفل من ثنیة الوداع وکذا ابتغوا
الفتنة فی حرب الخندق حیث قالوا یا اهل یثرب لا مقام لکم فارجعوا وفی لیلة العقبة ایضا حیث القوا شیأ بین
قوائم ناقة رسول الله صلی الله علیه وسلم باللیل حتی تنفر وتلقی النبی علیه السلام عن ظهرها وایضا وقف
اثنا عشر رجلا من المنافقین علی ثنیة الوداع لیلة العقبة لیفتکوا به علیه السلام فاخبره الله بذلک وسلمه منهم
والفتک ان یأتی الرجل صاحبه وهو غار غافل حتی یشد علیه فیقتله (وقلبوا لک الامور) تقلیب الامر تصریفه
من وجه الی وجه وتردیده لاجل التدبیر والاجتهاد فی المکر والحیلة یقال للرجل المتصرف فی وجوه الحیل
حول قلب ای اجتهدوا ودبروا لک الحیل والمکاید وردوا الآراء فی ابطال امرک (حتی جاء الحق) ای النصر
والتأیید الالهی (وظهر امر الله) غلب دینه وعلا شرفه (وهم کارهون) والحال انهم کارهون لذلک ای علی
رغم منهم و (قال الکاشفی) وایشان ناخواهان نصرت ودولت ترا اما چون خدای تعالی می خواهد کراهت
ایشانرا اثری نیست چون ترا اندر حریم قرب خود ره داده شاه * از نفیر پرده داروطعن دربان غم مخور *

انظر الی ما فی هذه الآیات من تقبیح حال المنافقین وتسلیة رسول الله والمؤمنین وبیان کون العاقبة للمتقین
ولن یزال الناس مختلطا مخلصهم بمنافقهم من ذلک الوقت الی هذا الحین لکن من کان له نیة صادقة صالحة
یختار فراق اهل الهوی والریاء اجمعین لان صحبة غیر الجنس لا تزید الا تشویشا وتفرقة فی باب الدین وکسلا فی
عزیمة اهل الیقین فاجهد ان لا تری الاضداد ولا تجاورهم فکیف ان تعاشرهم وتخالطهم یا مسکین
(وفی المثنوی) چون ببندی تو سر کوزهٔ تهی * درمیان حوض ویا جوئی تهی * تا قیامت آن فرود
آید بیست * که دلش خالیست در وی باد هست * میل بادش چون سوی بالا بود * ظرف خود را
هم سوی بالا کشد * باز آن جانها که جنس انبیاست * سوی ایشان کش کشان چون سایه هاست *
جان هامان جاذب قبطی شده * جان موسی جاذب سبطی شده * معدهٔ خر که کشد در اجتذاب *
معدهٔ آدم جذوب کندم آب * ثم فی قوله تعالی ولا وضعوا خلالکم یبغونکم الفتنة وفیکم سماعون لهم
ذم للنمام والغیبة وهی کشف ما یکره کشفه یقال ان ثلث عذاب القبر من الغیبة قال عبد الله بن المبارک
ولد الزنی لا یکتم الحدیث قال الامام الغزالی اشار به الی ان کل من لم یکتم الحدیث ومشی بالنمیمة دل علی انه ولد
الزنی وفی حدیث المعراج قلت لمالک ارنی جهنم فقال لا تطیق علی ذلک فقلت مثل سم الخیاط فقال انظر فنظرت
فرأیت قوما علی صورة القردة قال هم القتاتون ای النمامون وفرق بعضهم بین القتات والنمام بان النمام هو الذی
یتحدث مع القوم والقتات هو الذی یتسمع علی القوم وهم لا یعلمون ثم ینم کذا فی شرح المصابیح روی ان الحسن
البصری جاء الیه رجل بالنمیمة وقال ان فلانا وقع فیک فقال له الحسن متی قال قال الیوم قال این رأیته قال
فی منزله قال ما کنت تصنع فی منزله قال کانت له ضیافة قال ماذا اکلت فی منزله قال کیت وکیت حتی عدد
ثمانیة الوان من الطعام فقال الحسن یا هذا قد وسع بطنک ثمانیة الوان من الطعام اما وسع حدیثا واحدا قم من
عندی یا فاسق وفیه اشارة الی ان النمام ینبغی ان یبغض ولا یوثق بصداقته وذکر ان حکیما من الحکماء زاره بعض
اخوانه واخبره بخبر عن غیره فقال له الحکیم قد ابطأت فی الزیارة واتیتنی بثلاث جنایات بغضت الی اخی
وشغلت قلبی الفارغ واتهمت نفسک الامینة کذا فی الروضة والاحیاء وهذا عادة الاخوان خصوصا فی هذا
الزمان سامحهم الله الملک الدیان فعلی العاقل حفظ اللسان وحفظ الجوارح من مساوی الکلام وانواع
الآثام فان السمع والبصر والفؤاد کل اولئک کان عنه مسئولا (ومنهم) ای من المنافقین (من یقول) لک یا محمد
(ائذن لی) فی القعود عن غزوة تبوک (ولا تفتنی) من فتنه یفتنه اوقعه فی الفتنة کفتنه وافتنه یلزم ویتعدی
کما قال فی تاج المصادر الفتون والفتن دو فتنه افکندن وفتنه شدن والمعنی لا توقعنی فی الفتنة وهی المعصیة
والاثم یرید انی متخلف لا محالة اذنت او لم تأذن فأذن لی حتی لا اقع فی المعصیة بالمخالفة او لا تلقنی فی الهلکة
فانی ان خرجت معک هلک مالی وعیالی لعدم من یقوم بمصالحهم (ألا) بدانکه (فی الفتنة) ای فی عینها ونفسها
واکمل افرادها (سقطوا) لا فی شیء مغایر لها وهی فتنة التخلف ومخالفة الرسول وظهور النفاق یعنی انهم
وقعوا فیما زعموا انهم محترزون عنه فالفتنة هی التی سقطوا فیها الا ما احترزوا عنه من کونهم مأمورین بالخروج
الی غزوة تبوک (وان جهنم لمحیطة بالکافرین) معطوف علی الجملة السابقة داخل تحت التنبیه ای جامعة
للمنافقین وغیرهم من الکفار یوم القیامة من کل جانب ای انهم یدخلون جهنم لا محالة لان الشیء اذا کان محیطا
بالانسان فانه لا یفوته کما فی الحدادی او جامعة لهم الآن لاحاطة اسبابها من الکفر والمعاصی وقیل تلک
المبادی المتشکلة بصور الاعمال والاخلاق هی النار بعینها ولکن لا یظهر ذلک فی هذه النشأة وانما یظهر عند
تشکلها بصورها الحقیقیة فی النشأة الآخرة وقس علیها الاعمال والاخلاق المرضیة الا تری ان دم الشهید
یتشکل بصورة المسک فلا یفوح منه الا المسک کما ورد فی الشرع وقال بعضهم هذه الآیة نزلت فی جد بن قیس
من المنافقین دعاه النبی علیه السلام الی الخروج الی العدو وحرضه علی الجهاد فقال له یا جد بن قیس هل لک
فی جلاد بنی الاصفر یعنی طوال القد منهم فان الجلاد من النخل هی الکبار الصلاب (تتخذ منهم سراری ووصفاء
فقال جد ائذن لی فی القعود ولا تفتنی بذکر نساء الروم فانه قد علمت الانصار انی رجل مولع بالنساء ای مفرط
فی التعلق بهن فاخشی ان ظفرت ببنات الاصفر ان لا اصبر عنهن فاواقعهن قبل القسمة فاقع فی الفتنة والاثم
فلما سمع النبی علیه السلام قوله اعرض عنه وقال اذنت لک ولم یقبل الله تعالی عذر جد وبین انه قد وقع فی الفتنة

بمخالفة النبي عليه السلام والمراد بنى الاصفر الروم وهم جيل من ولد روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام والوجه فى تسمية الروم بنى الاصفر ان ملوك الروم انقضوا فى الزمان الاول فبقيت منهم امرأة فتنافسوا فى الملك حتى وقع بينهم شر عظيم فاتفقوا على ان يملكوا اول من اشرف عليهم فجلسوا مجلسا لذلك واقبل رجل من اليمن معه عبد له حبشى يريد الروم فابق العبد فاشرف عليهم فقالوا انظروا فى اى شئ وقعتم فزوجوه تلك المرأة فولدت غلاما فسموه الاصفر فخاصمهم المولى فقال صدق انا عبده فارضوه فلذلك قيل للروم بنوا الاصفر لصفرة لون هذا الولد لكونه مولدا بين الحبشى والمرأة البيضاء وفى الروض قيل لهم بنوا الاصفر لان عيصو بن اسحق كان به صفرة وهو جدهم وقيل ان الروم بن عيصو هو الاصفر وهو ابوهم وامه نسمة بنت اسماعيل عليه السلام وليس كل الروم من ولد بنى الاصفر فان الروم الاول فيما زعموا من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام انتهى وقيل قيل لهم بنوا الاصفر لان جدهم روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم تزوج بنت ملك الحبشة فجاء لون ولده بين البياض والسواد فقيل له الاصفر وقيل لاولاده بنوا الاصفر وقيل لان جيشا من الحبشة غلب على ناحيتهم فى وقت فوطئ نساءهم فولدت اولادا صفرا بين سواد الحبشة وبياض الروم حكى عن بعض العارفين انه رأى النبي عليه السلام فى المنام فقال يارسول الله انى اريد ان اتوجه الى الروم فقال عليه السلام الروم لايدخله المعصوم فاختلج فى صدره ان فى الروم العلماء والصلحاء والاولياء اكثر من ان يحصى ثم تتبع فوجد ان المراد من المعصوم الانبياء واما هؤلاء فيسمون المحفوظين الكل من انوار المشارق وثبت فى الصحيح انه لايبقى مسلم وقت قيام الساعة لكن يكون الروم وهو قوم معروف اكثر الكفرة فى ذلك الوقت كما كانوا اليوم اكثرهم ثم ان القعود عن الغزو من بخل الرجل وهو من اذم الصفات قال ابراهيم بن ادهم اياك والبخل قيل وما البخل قال اما البخل عند اهل الدنيا فهو ان يكون الرجل شحيحا بماله واما الذى عند اهل الاخرة فهو الذى يبخل بنفسه عن الله تعالى الا وان العبد اذا جاد بنفسه لله تعالى اورث قلبه الهدى والتقى واعطاه السكينة والوقار والعلم الراجح والعقل الكامل فعلى العاقل الجود بماله ونفسه فى الجهاد الاصغر والاكبر حتى ينال الرضى من الله تعالى والجود من امدح الصفات وحكى عن ابى جهيم بن حذيفة قال انطلقت يوم تبوك اطلب عمى ومعى ماء اردت ان اسقيه ان كان به رمق فرأيته ومسحت وجهه فقلت له اسقيك الماء فاشار برأسه نعم فاذا رجل يقول آه من العطش فاومى برأسه ان اذهب اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك قال نعم فلما دنوت منه سمعت صوتا يقول آه من العطش فاشار الى ان اذهب به اليه فذهبت فاذا هو ميت فرجعت بالماء الى هشام فاذا هو ميت فرجعت الى عمى فاذا هو ميت كذا فى خالصة الحقائق (قال الحافظ الشيرازى) فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ ＊ كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد (قال السعدى) اكر كنج قارون بچنك آورى ＊ نماند مكر آنچه بخشى برى (ان تصبك) فى بعض غزواتك (حسنة) ظفر وغنيمة كيوم بدر (تسؤهم) تلك الحسنة اى تورثهم يعنى المنافقين مساءة وحزنا لفرط حسدهم وعداوتهم لك (وان تصبك) فى بعضها (مصيبة) جراحة وشدة كيوم احد او قتل وهزيمة على ان يكون المراد بالخطاب المؤمنين كما يدل عليه مابعد الآية من ايراد ضمائر المتكلم مع الغير والا فمن قال ان النبي عليه السلام هزم فى بعض غزواته يستتاب فان تاب فيها ونعمت والا قتل لانه نقص ولا يجوز ذلك عليه خاصة اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته كما فى هدية المهديين نقلا عن القاضى عبد الله بن المرابط (يقولوا قد اخذنا امرنا) احتياط كار خود را (من قبل) اى من قبل اصابة المصيبة يعنى دور انديشى كرديم وبدين حرب نرفتيم (ويتولوا) اى يدبروا عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم (وهم فرحون) بما صنعوا من الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والجملة حال من الضمير فى يقولوا او يتولوا الا من الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا (قل) بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد (لن يصيبنا) ابدا (الا ما كتب الله) فى اللوح المحفوظ (لنا) اللام للتعليل اى لاجلنا من خير وشر وشدة ورخاء لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وامور العباد لاتجرى الا على تدبير قد احكم وابرم (هو مولانا) ناصرنا ومتولى امورنا (وعلى الله) وحده وهو من تمام الكلام المأمور به ويجوز ان يكون ابتداء كلام من الله تعالى (فليتوكل المؤمنون) التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والرضى بما فعله وان كان ذلك بعد ترتيب المبادى العالية والمعنى ان حق العبد ان يتوكل على مولاه ويبتغى رضوانه ويعتقد انه لن يصيبه شئ من الاشياء

الا

الا ما قدر له بيرما كفت خطا بر قلم صنع نرفت ＊ آفرين بر نظر پاك خطا پوشش باد ＊ وفى الحديث ان العبد لايبلغ حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه (قل) للمنافقين (هل تربصون بنا) التربص التمكث مع انتظار مجيئ شئ خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى التائين محذوفة اذ الاصل تتربصون والمعنى ما تنتظرون بنا (الا احدى الحسنيين) اى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما من حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم فى الجواب الاول وكشف لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة والمعنى فما تفرحون الا بما نلنا مما هو احسن العواقب وحرمانكم من ذلك فاين انتم من التيقظ والعمل بالحزم كما زعمتم وفى الحديث يضمن الله لمن خرج فى سبيله لايخرج الا ايمانا بالله وتصديقا برسوله ان يدخله الجنة او يرجعه الى منزله الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة دوات اكر مدد دهد دامنش آروم بكف ＊ كر بكشد زهى طرب وربكشد زهى شرف (ونحن نتربص بكم) احدى السوأيين من العواقب (ان يصيبكم الله) اينكه برساند خداى تعالى بشما (بعذاب من عنده) كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة من الصيحة والرجفة والخسف وكون لعذاب من عند الله عبارة عن عدم كونه بايدى العباد (او) بعذاب (بايدينا) وهو القتل بسبب الكفر (فتربصوا) الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا (انا معكم متربصون) ما هو عاقبتكم فاذا التقى كل منا ومنكم ما يتربصه لاتشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوؤكم وفى الحديث مثل المؤمن مثل السنبلة تحركها الريح فتقوم مرة وتقع اخرى ومثل الكافر مثل الارزة لاتزال قائمة حتى تنقعر اى تنقلع يقال قعر الشجرة قلعها من اصلها فانقعرت والارزة شجر يشبه الصنوبر يكون بالشام وبلاد الارمن وقيل هو شجر الصنوبر يعنى مؤمن را عيش خوش نبود شادى باغم ونعمت باشدت ودرستى با بيمارى وچنين بسيار بماند وكافر تن درست ودل خوش بود ولكن بيك كرت بسر اند رآيد وهلاك شود وفى الحديث من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة يعنى ان الولى وهو المؤمن المطيع ينصر الله تعالى فيكون الله ناصره فمن عادى من كان الله ناصره فقد بارز بمحاربة الله وكل كافر ومنافق فهو مهين الاولياء واهانتهم بذر محصوله الهلاك والاستئصال قصة عاد وثمود از بهر چيست ＊ تابدانى كه انبيا را ناز كيست ＊ اين نشان خسف وقذف وصاعقه ＊ شد بيان عز نفس ناطقه ＊ جمله حيوانرا پى انسان بكش ＊ جمله انسانرا بكش از بهر هش ＊ هش چه باشد عقل كل هوشمند ＊ هوش جزئى هش بود اما نژند ＊ وقد ذم الله المنافقين بتغيير الحال وعدم مواطأة الحال بالمقال وفى الحديث لايستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وفى الحديث طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره وفى الحديث من شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه آخر ومن كان ذا وجهين فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار كما فى ابكار الافكار (قل) جوابا لجد بن قيس من المنافقين وهو قد استأذن فى التخلف عن غزوة تبوك وقال اعينك بمالى (انفقوا) ايها المنافقون اموالكم فى سبيل الله حال كونكم (طوعا) اى طائعين من قبل انفسكم (او كرها) او كارهين مخافة القتل كما فى الحدادى وقال فى الارشاد طوعا اى من غير الزام من جهته عليه السلام ولا رغبة من جهتكم او هو فرضى لتوسيع الدائرة انتهى اى فلا يخالفه قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون كما سيأتى (لن يتقبل منكم) يحتمل ان يكون المراد منه انه عليه السلام لايقبله منهم بل يرد عليهم ما يبذلونه او انه تعالى لايقبله منهم ولا يثيبهم عليه قوله انفقوا امر فى معنى الخبر اى انفقتم وذلك لان قوله لن يتقبل منكم يأبى عن حمله على معناه الظاهر اذ لاوجه لان يؤمر بشئ ثم يخبر بانه عبث لايجدى نفعا بوجه ما روى انه لما اعتذر من الخروج لامه ولده عبد الله رضى الله عنه وقال له والله لايمنعك الا النفاق وسينزل الله فيك قرآنا فاخذ نعله وضرب به وجه ولده فلما نزلت الآية قال له الم اقل لك فقال له اسكت يالكع فوالله لانت اشد على من محمد ثم علل رد انفاقهم بقوله (انكم كنتم قوما فاسقين) اى كافرين فالمراد بالفسق ما هو الكامل منه لا الذى هو دون الكفر كما قال الكاشفى بدرستى كه شما هستيد كروهى بيرون رفتكان از دائرة اسلام ونفقة كافر قبول نيست فالتعليل هنا بالفسق وفيما بعده بالكفر حيث قال الا انهم كفروا بالله واحد روى انه تاب من النفاق وحسنت توبته ومات فى خلافة عثمان رضى الله عنه (وما منعهم ان تقبل

منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله و برسوله) استثناء من اعم الاشياء اى ما منعهم من قبول نفقاتهم منهم شئ من الاشياء الا كفرهم فالمستثنى المفرغ مرفوع المحل على انه فاعل منع وقوله ان تقبل مفعوله الثانى بنزع الخافض او بنفسه فانه يقال منعت الشئ ومنعت فلانا حقه ومنعته من حقه وقال ابو البقاء ان تقبل فى موضع نصب بدلا من المفعول فى منعهم (ولا يأتون الصلاة) ونمى آيند بنماز جماعت وهو معطوف على كفروا (الا وهم كسالى) اى لا يأتونها فى حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين (قال الكاشفى) مكر ايشان كاهلان شده بنماز مى آيند بكسالت وكراهت نه بصدق وارادت والكسالى جمع كسلان كما يقال سكارى وسكران قال البغوى كيف ذكر الكسل فى الصلاة ولا صلاة لهم اصلا قيل الذم واقع على الكفر الذى يبعث على الكسل فان الكفر مكسل والايمان منشط (ولا ينفقون الا وهم كارهون) قال ابن الشيخ الرغبة والنشاط فى اداء العبادات متفرعة على رجاء الثواب بها وخوف العقاب على تركها المتفرعين على الايمان بما جاء به النبى عليه السلام من عند الله والمنافق لا يؤمن بذلك فلا يرجو ثواب الاخرة ولا يخاف عقابها فيكون كسلان فى اتيان الصلاة وكارها للانفاق لزعمه انهما اتعاب للبدن وتضييع للمال بلا فائدة وفيه ذم الكسل قيل من دام كسله خاب امله قال ابو بكر الخوارزمى

لا تصحب الكسلان فى حالاته * كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

(وفى المثنوى) كر هزاران طالبند و يك ملول * از رسالت باز مى ماند رسول * كى رسانند آن امانت را بتو * تا نباشى پيششان راكع دوتو (فلا تعجبك) الاعجاب استحسان على وجه التعجب من حسنه (قال الكاشفى) پس بايد كه ترا بشكفت نيارد خطاب بآن حضرتست ومراد امت اند مؤمنانرا ميفرمايد كه متعجب نكرداند شمارا (اموالهم) اى اموال المنافقين (ولا اولادهم) فان ذلك وبال عليهم واستدراج لهم كما قال (انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) ضميرها راجع الى الاموال دون الاولاد والمعنى ليعذبهم بالتعب فى جمعها والوجل فى حفظها والكره فى انفاقها ويجوز ان يرجع اليهما معا بناء على ان الاولاد ايضا اسباب للتعذيب الدنيوى من حيث انهم ان عاشوا يبتلى اصولهم بمتاعب تربيتهم وتحصيل اسباب معاشهم من المآكل والمشارب والملابس وان ماتوا يبتلى اصولهم بحسرة فراقهم فان من احب شيأ كان تألمه على فراقه شديدا يقول الفقير ان قلت ان المؤمن والكافر يشتركان فى هذا التعب والحسرة فما معنى تخصيص الكافر اى المنافق قلت نعم الا ان المؤمن اخف حالا لايمانه وامله ثواب الاخرة وصبره على الشدائد فيكون التعذيب بتربية الاولاد وحسرة فراقهم كلا تعذيب بالنسبة اليه (وتزهق) اصل الزهوق خروج الشئ بصعوبة (انفسهم وهم كافرون) اى فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة نه مال ايشانرا دست كيرد ونه فرزند بفرياد رسد وفى ارادة الله زهوق انفسهم على الكفر اينالوا وباله اشارة الى جواز الرضى بكفر الغير وموته عليه اذا كان شريرا مؤذيا لينتقم الله منه اى من غير استحسان واستجازة كما قال الفقهاء اذا دعا على ظالم اماتك الله على الكفر او قال سلب الله عنك الايمان او دعا عليه بالفارسية خدا جان تو بكافرى بستاند فهذا لا يكون كفرا اذا كان لا يستحسنه ولا يستجيزه ولكن تمنى ان يسلب الله الايمان عنه حتى ينتقم الله منه على ظلمه وايذائه الخلق واعلم ان الطاعة فى العبودية بثلاثة انواع بالمال والبدن والقلب اما بالمال فهو الانفاق فى سبيل الله وفى الحديث من جهز غازيا ولو بسلك ابرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن جهز غازيا ولو بدرهم اعطاه الله سبعين درجة فى الجنة من الدر والياقوت وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بفرس يجعل كل خطوة منه اقصى بصره فسار ومعه جبريل فاتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا اعاد كما كان فقال يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما انفقتم من شئ فهو يخلفه واما بالبدن فهو القيام بالاوامر والنواهى والسنن والآداب المستحسنة المستحبة واما بالقلب فهو الايمان والصدق والاخلاص فى النية فالطاعة بالمال والبدن لا تقبل عند عوز طاعة القلب كطاعة المنافقين وطاعة القلب عند عوز الطاعة بالمال والبدن مقبولة لقوله عليه السلام نية المؤمن ابلغ من عمله فالقربة لا تقبل

الا على حقيقة الايمان وهو شرط اقامة الطاعات المالية والبدنية وفى الحديث ان اعطاء هذا المال فتنة وامساكه فتنة وذلك لان انفاقه على طريق الرياء او بالمنة والاذى فتنة وكذا امساكه اذ فى الامساك ملامة وذلالة بل ضلالة وفى الحديث ان لكل امة فتنة وان فتنة امتى المال حقيقة فتنه آنست كه هر چيزى كه آن مرورا از دين ورشد مشغول دارد انرا كه از توفيق محرومست وانرا كه موافقيست اكر پادشاه دنيا شود آن پادشاهى اورا از دين مشغول ندارد (وفى المثنوى) چيست دنيا از خدا غافل بدن * نى قماش ونقره وميزان وزن * مال را كز بهر دين باشى حمول * نعم مال صالح خواندش رسول * آب در كشتى هلاك كشتى است * آب اندر زير كشتى پشتى است * چونكه مال وملك را از دل براند * زان سليمان خويش جز مسكين نخواند * ومعاويه زنى را پرسيد كه على را ديدهٔ كفت بلى كفت چه كونه مردى بود على كفت لم يبطره الملك ولم تعجبه النعمة وعمر بن الخطاب رضى الله عنه كويد كه هر كه مال اورا نفريبد هيچ جادويى وديوى اورا نفريبد ومردى پيغمبر را صلى الله عليه وسلم كفت مرا چارهٔ بياموز كه ديو مرا نفريبد كفت دوستى مال در دل مدار وبا هيچ زن نامحرم خالى مباش كذا فى شرح الشهاب * مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم * كه پيش از تو بودست وبعد از تو هم (ويحلفون) اى المنافقون (بالله) يحتمل ان يتعلق بيحلفون ويحتمل ان يكون من كلامهم (انهم لمنكم) اى لمن جملة المسلمين (وما هم منكم) لكفر قلوبهم (ولكنهم قوم يفرقون) اى يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤكدونه بالايمان الفاجرة يقال فرق كفرح اى فزع والفرق بفتحتين الفزع (لو يجدون) اكر بيابيد وايثار صيغة الاستقبال فى الشرط وان كان المعنى على المضى لافادة استمرار عدم الوجدان (ملجأ) اى مكانا حصينا يلجأون اليه من رأس جبل او قلعة او جزيرة مفعل من لجأ اليه يلجأ اى انضم اليه ليتحصن به (او مغارات) هى الكهوف الكائنة فى الجبال الرفيعة اى غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم جمع مغارة وهى مفعلة اسم للموضع الذى يغور فيه الانسان اى يغيب ويستتر (او مدخلا) هو السرب الكائن تحت الارض كالبئر اى نفقا يندسون فيه وينجحرون او قوما يدخلونهم الدخول فيما بينهم يحفظونهم منكم كما فى الحدادى وهو مفتعل من الدخول اصله مدتخل قال ابن الشيخ عطف المغارات والمدخل على الملجأ من قبيل عطف الخاص على العام لتحقيق عجزهم عن الظفر بما يتحصنون فيه فان الملجأ هو المهرب الذى يلتجئ اليه الانسان ويتحصن به من اى نوع كان (لولوا) اى اصرفوا وجوههم واقبلوا (اليه) اى الى احد ما ذكر (وهم يجمحون) اى يسرعون اسراعا لا يردهم شئ كالفرس الجموح لئلا يجتمعوا معكم ويتبعدوا عنكم والجموح النفور باسراع يقال فرس جموح اذا لم يرده لجام والمعنى انهم وان كانوا يحلفون لكم انهم منكم الا انهم كاذبون فى ذلك وانما يحلفون خوفا من القتل لتعذر خروجهم من بلادهم ولو استطاعوا لتركوا دورهم واموالهم والالتجاء الى بعض الحصون او الغيران التى فى الجبال او السروب التى تحت الارض لفعلوه تسترا عنكم واستكراها لرؤيتكم ولقائكم وفيه بيان لكمال عتوهم وطغيانهم واشارة الى ان المنافق يصعب عليه صحبة المخلص فان الجنس الى الجنس لا الى خلافه (قال السعدى فى كتاب الكلستان) طوطى را با زاغى هم قفس كردند از قبح مشاهده ومجاهده بروى كفت اين چه طلعت مكروهست وهيأت ممقوت ومنظر ملعون وشمائل ناموزون يا غراب البين يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين على الصباح بروى تو هر كه برخيزد * صباح روز سلامت بروى مسا باشد * بد اخترى چو تو در صحبت تو بايستى * ولى چنانكه توئى در جهان كجا باشد * عجبتر انكه غراب هم از مجاورت طوطى بجان آمده بود لا حول كنان از كردش كيتى همى ناليد ودستهاى تغابن بر يكديكر همى ماليد وميكفت اين چه بخت نكونست وطالع دون وايام بوقلمون لايق قدر من آنستى كه با زاغى در ديوار باغى خرامان همى رفتمى * پارسا را بس اين قدر زندان * كه بود هم طويلهٔ رندان * تا چه كنه كرده ام روز كارم بعقوبت آن در سلك صحبت چنين ابلهى خود رأى وناجنس ويافه دراى بچنين بند بلا كرده است * كس نيايد بپاى ديوارى * كه بران صورتت نكار كنند * كر ترا در بهشت باشد جاى * ديكران دوزخ اختيار كنند * اين مثل از كه آوردم تا بدانى كه صد چندانكه دانا را از نادان نفرتست نادانرا از دانا وحشتست قيل اضيق السجون معاشرة الاضداد وقال الاصمعى دخلت على الخليل وهو جالس على الحصير الصغير فاشار الى بالجلوس فقلت اضيق

عليك فقال منه ان الدنيا باسرها لا تسع متباغضين وان شبرا يسع المتحابين قال بعضهم الصديق الموافق خير من الشقيق المخالف فعلى العاقل ان يراعى جانب الآفاق والانفس بقدر الامكان ويجتهد فى اصلاح الظاهر والباطن فى كل زمان ويجانب الاعداء وان ادعوا انهم من جملة الاخوان ومن الاعداء النفس وصفاتها وهى تدعى انها على سيرة الروح والقلب والسر وسجيتها وليست كذلك لان منشأ هذه عالم الامر والارواح ومنشأ تلك عالم الخلق والاشباح فلا بد من اصلاحها وازالة اخلاقها الرديئة لتكون لائقة بصحبة الروح ويحصل بسببها انواع الذوق والفتوح (ومنهم) اى من المنافقين (من يلمزك) اى يعيبك فان اللمز والهمز العيب واللامز كالهامز واللماز واللمزة كالهماز والهمزة بمعنى العياب وقيل اللامز هو من يعيبك فى وجهك والهامز من يعيبك بالغيب (فى الصدقات) اى فى شأن الزكاة ويطعن عليك فى قسمتها جمع صدقة من الصدق يسمى بها عطية يراد بها المثوبة لا التكرمة لان بها يظهر صدقه فى العبودية كما فى الكرمانى والآية نزلت فى ابى الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل (فان اعطوا منها) بيان لفساد لمزهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اى ان اعطوا من تلك الصدقات قدر ما يريدون (رضوا) بما اعطوه وما وقع من القسمة واستحسنوها (وان لم يعطوا منها) ذلك المقدار بل اقل مما طمعوا (اذا هم يسخطون) اى يفاجئون السخط دلت اذا الفجائية على انهم اذا لم يعطوا فاجأ سخطهم ولم يمكن تأخره لما جبلوا عليه امن محبة الدنيا والشره فى تحصيلها وفى التأويلات النجمية النفاق تزيين الظاهر باركان الاسلام وتعطيل الباطن عن انوار الايمان والقلب المعطل عن نور الايمان يكون حزينا بظلمة الكفر بحب الدنيا فلا يرضى الا بوجدان الدنيا ويسخط بفقدها (قال السعدى) نكند دوست زينهار از دوست * دل نهادم بر آنچه خاطر اوست * كر بلطفم بنزد خود خواند * ور بقهرم براند او داند (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) اى ما اعطاهم الرسول من الصدقات طيبى النفوس به وان قل وذكر الله تعالى للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه السلام كان بامره سبحانه فلا اعتراض عليه لكون المأمور به موافقا للحكمة والصواب (وقالوا حسبنا الله) اى كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا فان جميع ما اصابنا انما هو تفضل منه سواء كان لكسبنا مدخل فيه اولم يكن (سيؤتينا الله من فضله) صدقة اخرى (ورسوله) فيعطينا منها اكثر مما اعطانا اليوم (انا الى الله راغبون) ان يغنينا من فضله والآية باسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره ولتذهب فيه النفس كل مذهب ممكن اى لكان خيرا لهم * زيرا كه رضا بقسمت سبب بهجت است وجزع دران موجب محنت سلمى از ابراهيم ادهم نقل ميكند كه هر كاه كه بمقادير خرسند شد از غم وملال باز رست * رضا بداده بده وز جبين كره بكشا * كه برمن وتو در اختيار نكشادست * ودرين معنى فرموده است * بشنو اين نكته كه خود را زغم آزاده كنى * خون خورى كر طلب روزى ننهاده كنى * يقال اذا كان القدر حقا كان السخط حمقا ولما قدم سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه مكة بعد ما كف بصره وقيل له انت مجاب الدعوة لم لا تسأل رد بصرك قال قضاء الله تعالى احب الى من بصرى قيل لحكيم ما السبب فى قبض الكف عند الولادة وفتحه عند الموت فانشد

ومقبوض كف المرء عند ولادة * دليل على الحرص المركب فى الحى
ومبسوط كف المرء عند وفاته * يقول انظروا انى خرجت بلا شئ

حكى ان شابا تاب على يدى ابى يزيد البسطامى قدس سره فسأله ابو يزيد عن حاله فقال نبشت عن الف فلم أر وجوههم الى القبلة الا رجلين فقال ابو يزيد مساكين اولئك تهمة الرزق حولت وجوههم عن القبلة فعلى العاقل التوكل على الله والاعتماد بوعده فان الله كاف لعبده ومن وجد الله فقد ما دونه لان فقدان الله فى وجدان ماسواه ووجدانه فى فقدان ماسواه ومن وجده يرضى به ويقول سيؤتينا الله من فضله ما نحتاج اليه فى كمال الدين ونظام الدنيا انا الى الله راغبون لا الى الدنيا والعقبى وما فيهما غير المولى روى ان عيسى عليه السلام مر بقوم يذكرون الله تعالى فقال لهم ما الذى حملكم عليه قالوا الرغبة فى ثواب الله فقال اصبتم ومر على قوم آخرين يذكرون الله تعالى فقال لهم ما الذى حملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله تعالى فقال اصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بذكر الله فسألهم عن سببه فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة فى الثواب

بل

بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بالالفاظ الدالة على صفات قدسه وعزته فقال انتم المتحققون وفى هذا المعنى (قال الحافظ) بدرم روضهٔ جنت بدو كندم بفروخت * ناخلف باشم اكر من بجوى نفروشم (انما الصدقات) اى جنس الزكوات المشتملة على الانواع المختلفة من النقدين وغيرهما سميت الزكاة صدقة لدلالتها على صدق العبد فى العبودية كما فى الكافى وذكر فى الزاهدى ان تركيبها يدل على قوة فى الشئ قولا وفعلا وسمى بها ما يتصدق به لان بقوته يرد البلاء وقيل لان اول عامل بعثه صلى الله عليه وسلم لجمع الزكاة رجل من بنى صدق بكسر الدال وهم قوم من كندة والنسبة اليهم صدفى بالفتح فاشتقت الصدقة من اسمهم (للفقراء والمساكين) اى مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية الآتية لا تتجاوزهم الى غيرهم من المنافقين والفقير من له شئ دون نصاب والمسكين من لا شئ له وهو المروى عن ابى حنيفة وقيل بالعكس وفائدة الخلاف تظهر فى الوصية للفقير او المسكين (والعاملين عليها) الساعين فى جمعها وتحصيلها فيعطى العامل مما فى يده من مال الزكاة بقدر عمله فقيرا كان او غنيا او هاشميا فلو ضاع ذلك المال لم يعط شيأ وكذا لو اعطى المالك بنفسه زكاته الى الامام لا يستحق العامل شيأ وفى التبيين لو استغرقت كفاية الزكاة لا يزاد على النصف لان التنصيف عين الانصاف (والمؤلفة قلوبهم) وهم طائفة مخصوصة من العرب لهم قوة واتباع كثيرة منهم مسلم ومنهم كافر قد اعطوا من الصدقة تقويا على الاسلام او تحريضا عليه او خوفا من شرهم (وفى الرقاب) اى وللصرف فى فك الرقاب اى فى تخليصها من الرق بان يعان المكاتبون بشئ منها على اداء بدل كتابتهم لا للرقاب فان المكاتب لا يستحق المال ولا يملكه بل يملكه مولاه وكذا مال المديون يملكه الدائن فالعدول عن اللام للدلالة على ان استحقاق الاربعة الاخيرة ليس لذواتهم اى لكونهم مكاتبا ومديونا ومجاهدا ومسافرا حتى يتصرفوا فى الصدقة كيف شاؤا كالاربعة الاول بل لجهة استحقاقهم كفك الرقبة من الرق وتخليص الذمة من مطالبة من له الحق والاحتياج الى ما يتمكن به من الجهاد وقطع المسافة ووجه الدلالة ان فى قد تستعمل لبيان السبب كما يقال عذب فلان فى سرقة لقمة اى بسببها والمراد مكاتب غيره ولو غنيا فيعطى ما عجز عنه فيؤدى الى عتقه والرقاب جمع رقبة وهى يعبر بها عن الجملة وتجعل اسما للمملوكة (والغارمين) اى الذين تدينوا لانفسهم فى غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم والغارم والغريم وان كان يطلق كل واحد منهما على من له الدين الا ان المراد بالغارم فى الآية الذى عليه الدين فان المديون قسمان الاول من اذان لنفسه فى غير معصية فيعطى له من الزكاة ما يفى بدينه بشرط ان لا يكون له من المال ما يفى بدينه وان كان له ذلك فلا يعطى والثانى من اذان فى المعروف واصلاح ذات البين فانه يعطى من مال الزكاة ما يقضى به دينه وان كان غنيا واما من اذان فى معصية او فساد فانه لا يعطى له شئ منها وعن مجاهد ان الغارم من احترق بيته او ذهب السيل بماله او اذان على عياله (وفى سبيل الله) اى فقراء الغزاة عند ابى يوسف وهم الذين عجزوا عن اللحوق بجيش الاسلام لفقرهم اى لهلاك النفقة او الدابة او غيرهما فتحل لهم الصدقة وان كانوا كاسبين اذ الكسب يقعدهم عن الجهاد فى سبيل الله وسبيل وان عم كل طاعة الا انه خص بالغزو اذا اطلق وعند محمد هو الحجيج المنقطع بهم (وابن السبيل) اى المسافر الكثير السير المنقطع عن ماله سمى به لملازمته الطريق فكل من يريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع به المسافة يعطى من الصدقة قدر ما يقطع به تلك المسافة سواء كان له فى البلد المنتقل اليه مال اولم يكن وهو متناول للمقيم الذى له مال فى غير وطنه فينبغى ان يكون بمنزلة ابن السبيل وللدائن الذى مديونه مقر لكنه معسر فهو كابن السبيل كما فى المحيط (فريضة من الله) مصدر لما دل عليه صدر الآية لان قوله تعالى انما الصدقات للفقراء فى قوة ان يقال فرض الله لهم الصدقات فريضة (قال الكاشفى) حق سبحانه وتعالى براى اين جماعت فرض كرده است زكات را فريضه فرض كردنى من الله ثابت از نزديك خداى تعالى (والله عليم) باحوال الناس ومراتب استحقاقهم (حكيم) لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التى من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها * حق تعالى چون در قسمت كشاد * هر كسى را هر چه مى بايست داد * نيست واقع اندر ان قسمت غلط * بنده را خواهى رضا خواهى سخط * واعلم ان سهم المؤلفة قلوبهم ساقط باجماع الصحابة لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعز الله واعلى كلمته استغنى عن ذلك كما قال

عمر رضى الله عنه فى زمن خلافة ابى بكر رضى الله عنه الاسلام اعز من ان يرشى عليه فان ثبتم على الاسلام بغير رشوة فبها والا فبيننا وبينكم السيف فبقيت المصارف السبعة على حالها فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر عن صنف منهم بل لو صرف الى شخص واحد منهم جاز فان اللام فى للفقرآء لبيان انهم مصارف لا يخرج عنهم كما يقال الخلافة لبنى العباس وميراث فلان لقرابته اى ليست الخلافة لغيرهم لا انها بينهم بالسوية فاللام لام الاختصاص لا التمليك لعدم جواز التمليك للمجهول قال مشايخنا من اراد ان يتصدق بدرهم يشترى فقيرا واحدا ويعطيه ولا يشترى به فلوسا ويفرقها على المساكين كما فى المحيط وكذلك الافضل فى الفطر ان يؤدى صدقة نفسه وعياله الى واحد كما فعله ابن مسعود كما فى التمرتاشى وكره دفع نصاب او اكثر الى فقير غير مديون اما اذا كان مديونا او صاحب عيال او اذا فرق عليهم لم يخص كلا منهم نصاب فلا يكره كما فى الاشباه وقوله كره اى جاز مع الكراهة اما الجواز فلان الاداء يلاقى الفقر لان الزكاة انما تتم بالتمليك وحالة التمليك المدفوع اليه فقير وانما يصير غنيا بعد تمام التمليك فيتأخر الغنى عن التمليك ضرورة فيجوز واما الكراهة فلان الانتفاع به صادف حال الغنى ولو صادف حال الفقر لكان اكمل وندب دفع ما يغنى عن السؤال يومه لقوله عليه السلام اغنوهم عن المسئلة والسؤال ذل فكان فيه صيانة المسلم عن الوقوع فيه ولا يسأل من له قوت يومه لان فى السؤال ذلا ولا يحل للمسلم ان يذل نفسه وبغير الاحتياج تكدى والتكدى حرام ثم اعلم ان الاوصاف التى عبر بها عن الاوصاف المذكورة وان كانت تعم المسلم والكافر الا ان الاحاديث خصتها بالمسلم منهم وقال ابو حفص لا يصرف الى من لا يصلى الا احيانا والتصدق على الفقير العالم افضل من الجاهل وصدقة التطوع يجوز صرفها الى المذكورين وغيرهم من المسلم والذمى والى بناء المساجد والقناطر وتكفين الميت وقضاء دينه ونحوها لعدم اشتراط التمليك فى التطوع وان اريد صرف الفرض الى هذه الوجوه صرف الى الفقير ثم يؤمر بالصرف اليها فيثاب المزكى والفقير ولو قضى دين حى اى من مال الزكاة وان كان بامره جاز كانه تصدق على المديون فيكون القابض كالوكيل له فى قبض الصدقة وان كان بغير امره يكون متبرعا فلا يجوز من زكاة ماله ولا تصرف الزكاة الى مجنون وصبى غير مراهق الا اذا قبض لهما من يجوز له قبضهما كالاب والوصى وغيرهما وتصرف الى مراهق يعقل الاخذ كما فى المحيط قال فى مجمع الفتاوى جملة ما فى بيت المال اربعة اقسام الصدقات وما ينضم اليها تصرف الى ما قال الله تعالى انما الصدقات للفقرآء والمساكين الآية والثانى الغنائم تصرف الى اليتامى والمساكين وابن السبيل والثالث الجزية والخراج تصرف الى ما فيه صلاح دار الاسلام والمسلمين نحو سد الثغور والمقاتلة وعطياتهم وسلاحهم وكراعهم ويصرف الى امن الطريق والى اصلاح القناطر وكرى الانهار والى ارزاق الولاة والقضاة والائمة والمؤذنين والقرآء والمحتسبين والمفتين والمعلمين والرابع ما اخذ من تركة الميت اذا مات بلا وارث او الباقى من فرض الزوج او الزوجة اذا لم يترك سواه يصرف الى نفقة المرضى وادويتهم وعلاجهم ان كانوا فقرآء والى نفقة من هو عاجز عن الكسب انتهى والاشارة انما الصدقات اى صدقات الله كما قال عليه السلام ما من يوم وليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة يتصدق بها على من يشاء من عباده والفقرآء هم الاغنياء بالله الفانون عن غيره الباقون به وهذا حقيقة قوله عليه السلام الفقرآء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة وهو سر ما قال الواسطى الفقير لا يحتاج الى الله وذلك لانه غنى به والغنى بالشئ لا يحتاج اليه والمساكين وهم الذين لهم بقية اوصاف الوجود لهم سفينة القلب فى بحر الطلب وقد خرقها خضر المحبة وكان ورآءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا والعاملين عليها وهم ارباب الاعمال كما كان الفقرآء والمساكين اصحاب الاحوال والمؤلفة قلوبهم وهم الذين تتألف قلوبهم بذكر الله الى الله المتقربون اليه بالتباعد عما سواه وفى الرقاب وهم المكاتبون قلوبهم عن رق الموجودات تحريا للعبودية لموجدها والمكاتب عبد ما بقى عليه درهم والغارمين وهم الذين استقرضوا من مراتب المكونات اوصافها وطبائعها وخواصها وهم محبوسون فى سجن الوجود بقروضهم وانهم فى استخلاص ذممهم عن القروض بردها فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص من حبس الوجود وفى سبيل الله وهم الغزاة المجاهدون فى الجهاد الاكبر وهو الجهاد مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل وهم المسافرون عن اوطان الطبيعة والبشرية السائرون الى الله على اقدام الشريعة والطريقة بسفارة الانبياء والاولياء فريضة من الله اى هذا السير والجهاد ورد القرض والحرية عن رق

الموجودات

الموجودات وتألف القلوب الى الله واستعمال اعمال الشريعة والتمسكن والافتقار الى الله طلبا للاستغناء به امر واجب على العباد من الله وهذه الصدقات من المواهب الربانية والالطاف الالهية للطالبين الصادقين امر اوجبه الله تعالى فى ذمة كرمه لهم كما قال تعالى ألا من طلبنى وجدنى والله عليم بطالبيه حكيم فيما يعاونهم على الطلب للوجدان كما قال تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا كذا فى التأويلات النجمية فعلى السالك الفناء عن اوصاف الموجودات والحرية عن رق الكائنات وعرض الافتقار الى هذه النفحات والصدقات (ومنهم) اى من المنافقين كالجلاس بن سويد واحزابه (الذين يؤذون النبى) بان يقولوا فى حقه ما يتأذى به الانسان (ويقولون) اذا قيل لهم من قبل بعضهم لا تفعلوا هذا الفعل فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فتفتضحوا (هو) اى النبى عليه السلام (اذن) يسمع كل ما قيل له يعنى انا نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة اى صاحبها وانما سموه اذنا مبالغة فى وصفه باستماعه كل ما يقال وتصديقه اياه حتى صار بذلك كانه نفس الاذن السامعة يريدون بذلك انه ليس له ذكاء ولا بعد غور بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع فيسمع كلام المبلغ اولا فيتأذى منه ثم اذا وقع الانكار او الحلف والاعتذار يقبله ايضا صدقا كان او كذبا وانما قالوه لانه عليه السلام كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فظن اولئك انه عليه السلام انما يفعله لقلة فطنته وقصور شهامته (قل) هو (اذن خير لكم) من اضافة الموصوف الى صفته كرجل صدق والمعنى نعم انه اذن لكنه نعم الاذن فان من يسمع العذر ويقبله خير ممن لا يقبله لانه انما ينشأ من الكرم وحسن الخلق سلم الله تعالى قول المنافقين فى حقه عليه السلام انه اذن الا انه حمل ذلك القول على ما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة (يؤمن بالله) تفسير لكونه اذن خير لهم اى يقربه لما قام عنده من الادلة الموجبة له فيسمع جميع ما جاء من عنده ويقبله وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى (ويؤمن للمؤمنين) اى يسلم لهم قولهم ويصدقهم فيما اخبروا به لما علم من خلوصهم وصدقهم ولا شك ان ما اخبر به المؤمنون الخلص يكون حقا فاستمعه وقبله يكون اذن خير واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وهو ايمان الامان من الخلود فى النار الذى هو نقيض الكفر بالله فانه يعدى بالباء حملا للنقيض على النقيض فيقال آمن بالله ويؤمنون بالغيب وبين الايمان بمعنى التصديق والتسليم والقبول فانه يعدى باللام مثل وما انت بمؤمن لنا اى بمصدق (ورحمة) عطف على اذن خير اى وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة (للذين آمنوا منكم) اى للذين اظهروا الايمان منكم وهم المنافقون حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم فى ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم (قال الكاشفى) يعنى نه انست كه بقول شما دانا نيست صدق وكذب شما را ميداند اما پرده از روى كار شما بر نميدارد واز روى رحمت با شما رفق مينمايد فالواجب على المؤمن الاقتدآء بالرسول المختار فى التحفظ عن كشف الاسرار والتحقق بالاسم الستار (والذين يؤذون رسول الله) بالقول او الفعل (لهم عذاب اليم) عذابى دردناك در آخرت بسبب ايذائه فانه قد تبين انه عليه السلام خير ورحمة لهم فاذاه مقابلة لاحسانه بالاساءة فيكون مستوجبا للعذاب الشديد وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم يأتون المؤمنين فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم فقال تعالى (يحلفون بالله لكم) ايها المؤمنون انهم ما قالوا ما نقل اليكم مما يورث اذية النبى عليه السلام (ليرضوكم) بذلك (والله ورسوله احق ان يرضوه) بالتوبة وترك الطعن والعيب والمبالغة فى باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما قبول عذرهم وعدم تكذيبهم فهو ستر عيوبهم لا عن رضى بما فعلوا وضمير يرضوه الى الله فافراده للايذان بان رضاه عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه وهما متلازمان فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر لعدم انفكاك الآخر او الى الرسول فان الكلام فى ايذائه وارضائه وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ارضاء الرسول ارضاء الله فاكتفى بذكر ارضائه عليه السلام عن ذكر ارضائه تعالى كما فى قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اكتفى بذكر حكم الرسول للتنبيه على ان حكم الرسول حكم الله او الى الله والرسول باستعارته لاسم الاشارة الذى يشار به الى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور ولا يقال اى حاجة الى الاستعارة بعد التأويل لانا نقول لولا الاستعارة لم يتسن التأويل لما ان الضمير لا يتعرض الا لذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه التى من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة قال

الحدادى لم يقل يرضوهما لانه يكره الجمع بين ذكر اسم الله وذكر اسم رسوله فى كناية واحدة كما روى ان رجلا قام خطيبا عند النبى عليه السلام فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال عليه السلام بئس الخطيب انت هلا قلت ومن يعص الله ورسوله قال فى ابكار الافكار انما اراد بذلك تعليم الادب فى المنطق وكراهة الجمع بين اسم الله واسم غيره تحت حرف الكناية لانه يتضمن نوعا من التسوية (قال السعدى) متكلم را تا كسى عيب نكيرد سخنش صلاح نپذيرد مشو غره بر حسن كفتار خويش * بتحسين نادان وپندار خويش وفى الحديث لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابى وهذا ارشاد الى الادب لان الواو للجمع والتشريك وثم للعطف مع الترتيب والتراخى فارشدهم عليه السلام الى تقديم مشيئة الله على مشيئة من سواه ومن هذا قال النخعى يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز اعوذ بالله ثم بك ويقال لولا الله ثم فلان لفعلت كذا ولا يقال لولا الله وفلان وانما يقال من يطع الله ورسوله لان الله تعبد العباد بان فرض طاعة رسول الله فاذا اطيع رسول الله فقد اطيع الله بطاعة رسوله (ان كانوا مؤمنين) اى صادقين فيما اظهروه من الايمان فليرضوا الله ورسوله بالطاعة واخلاص الايمان فانهما احق بالارضاء (الم يعلموا) اى اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من العظمة مع علمهم بسوء عاقبتهم (انه) اى الشان (من) شرطية معناها بالفارسية هركس كه (يحادد الله ورسوله) خلاف كند با خداى تعالى وبا رسول او واز حد در كذراند والمحادة با كسى حرب يا خلاف كردن * كما فى تاج المصادر مفاعلة من الحد وهو الطرف والنهاية وكل واحد من المتخالفين والمتعاندين فى حد غير حد صاحبه (فان له) بالفتح على انه مبتدأ حذف خبره اى فحق ان له (نار جهنم خالدا فيها ذلك) العذاب الخالد (الخزى العظيم) الخزى الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهى ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤس الاشهاد بظهورها ولحوق العذاب الخاص بهم واعلم ان كل نبى اوذى بما لا يحيط به نطاق البيان وكان النبى عليه السلام اشدهم فى ذلك كما قال ما اوذى نبى مثل ما اوذيت ولما كانت الاذية بسبب التصفية كان المعنى ما صفى نبى مثل ما صفيت واما قوله عليه السلام حين قسم غنائم الطائف فقال بعض المنافقين بعدم العدل من يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله رحمة الله على اخى موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر فيحتمل ان يكون بالنسبة الى ذلك الوقت وقد زاد اذاه الى آخر العمر كمية واشتد كيفية هذا هو اللائح بالبال فاذا كان الانبياء عليهم السلام مبتلين بالاذية والنفى عن البلد والقتل فاظنك بالاولياء الكرام وهم احوج منهم الى التصفية لان قدم الانبياء اغلب وبواطنهم انور وسرائرهم اصفى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره وانما كان الحسن مسموما والحسين مذبوحا رضى الله عنهما بسبب ان كمال تعينهما كان بالشهادة وكان النبى عليه السلام قادرا على تخليصهما بالشفاعة من الله تعالى ولكنه رأى كمالهما فى مرتبتهما راجحا على الخلاص حتى انه عليه السلام دفع قارورتين لواحدة من الازواج المطهرة وقال اذا اصفر ما فى احداهما يكون الحسن شهيدا بالسم واذا احمر ما فى الاخرى يكون الحسين شهيدا بالذبح فكان كذلك فعلى العاقل الاطاعة والتسليم وتحمل الاذى من كل منافق لئيم فان الله تعالى مع المؤمن المتقى اينما كان فاذا كان الله معه وكاشف عن ذلك هان عليه الابتلاء لمشاهدته المبتلى على كل حال فى فرح وترح (وفى المثنوى) هر كجا باشد شه ما را بساط * هست صحرا كر بود سم الخياط هر كجا كه يوسفى باشد چو ماه * جنتست اوكرچه باشد قعر چاه (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم) اى على المؤمنين (سورة تنبئهم) اى تخبر تلك السورة المؤمنين (بما فى قلوبهم) اى قلوب المنافقين من الشرك والنفاق فتفضحهم وتهتك عليهم استارهم فالضميران الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالى بالتفكك عند ظهور الامر ويجوز ان تكون الضمائر كلها للمنافقين فالمعنى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم اى فى شأنهم فان ما نزل فى حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبيئها اياهم مع انها معلومة لهم وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال فان قلت كيف يحذر المنافقون نزول الوحى الكاشف عن نفاقهم مع انهم ينكرون نبوته عليه السلام فيكف يجوزون نزول الوحى عليه قلت ان بعض المنافقين كانوا يعلمون النبوة

لكنهم كانوا يكفرون عند اهل الشرك عنادا وحسدا وبعضهم كانوا شاكين مترددين فى امره صلى الله عليه وسلم والشاك يجوز نزول الوحى فيخاف ان ينزل عليه ما يفضحه وقال ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله يذكر كل شىء ويقول انه بطريق الوحى فيكذبونه ويستهزئون به بان يقولوا فيما بينهم على وجه الاستهزاء به عليه السلام انا نحذر ونخاف ان ينزل عليه ما يفضحنا ولذلك قيل (قل استهزئوا) اى افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد يعنى استهزا مكنيد كه جزا خواهيد يافت وجزا آنست كه براى تفضيح شما (ان الله مخرج) اى من القوة الى الفعل او من الكمون الى البروز (ما تحذرون) اى ما تحذرونه من انزال السورة او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ومن هذا سميت هذه السورة الفاضحة لانها فضحت المنافقين وتسمى ايضا الحافرة لانها حفرت عن قلوب المنافقين (ولئن سألتهم) عما قالوا بطريق الاستهزاء (ليقولن انما كنا نخوض) فى الكلام ونتحدث كما يفعل الركب بقطع الطريق بالحديث (ونلعب) كما يلعب الصبيان روى انه عليه السلام كان يسير فى غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول عليه السلام ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح حصون الشأم وقصوره وهيهات هيهات يحسب محمد ان قتال بنى الاصفر معه اللعب والله لكأنهم يعنى الصحابة غدا مفرقون فى الجبال فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبى الله لا والله ما كنا فى شىء من امرك ولا من امر اصحابك انما كنا نخوض ونلعب فلما انكروا ما هم فيه من الاستهزاء والتخفيف امر الله تعالى رسوله فقال (قل) يا محمد على طريق التوبيخ غير ملتفت الى اعتذارهم (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) عقب حرف التقرير بالمستهزأ به اشارة الى تحقق الاستهزاء وثبوته فانه فرق بين ان يقال تستهزئ بالله وبين ان يقال ابالله تستهزئ فان الاول يقتضى الانكار على ملابسة الاستهزاء والثانى يقتضى الانكار على ايقاع الاستهزاء فى الله (لا تعتذروا) لا تشتغلوا بالاعتذار فانه معلوم الكذب بين البطلان والاعتذار عبارة عن محو اثر الذنب قال فى التبيان اصل الاعتذار القطع يقال اعتذرت اليه اى قطعت ما فى قلبه من الموجدة (قد كفرتم) الكفر باذى الرسول والطعن فيه (بعد ايمانكم) اى بعد اظهاركم له فانهم قط لم يكونوا مؤمنين ولكن كانوا منافقين (ان نعف) اكر عفو كنيم (عن طائفة منكم) لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الاذية والاستهزاء (نعذب طائفة بانهم) اى بسبب انهم (كانوا مجرمين) مصرين على الاجرام وهم غير التائبين او مباشرين له وهم غير التائبين او مباشرين له وهم غير المجتنبين واعتذر النبى عليه السلام لمن قال الا تقتلهم لظهور كفرهم بقوله اكره ان تقول العرب قاتل اصحابه بل يكفيناهم الله بالدبيلة اى بالداهية وفى الآيات اشارات الاولى ان المنافقين وان اعتقدوا نزول الوحى على النبى عليه السلام واعتقدوا نبوته لكن لم ينفعهم مجرد الاعتقاد والاقرار باللسان فى ثبوت الايمان مع ادنى شك داخلهم ولم ينفعهم الحذر مع القدر وهذا تحقيق قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد وفى هدية المهديين من قال آمنت بجميع الانبياء ولا اعلم أآدم نبى ام لا يكفر ومن لم يعرف ان سيدنا محمدا عليه السلام خاتم الرسل لا نسخ لدينه الى يوم القيامة لا يكون مؤمنا والثانية ان اظهار اللطف والرحمة بلا سبب محتمل ولكن اظهار القهر والفرق لا يكون الا بسبب جرم من المجرمين كما قال بانهم كانوا مجرمين (وفى المثنوى) چونكه بد كردى بترس ايمن مباش * زانكه تخمست وبروياند خداش * چند كاهى او بپوشاند كه تا * آيدت زان بد پشيمان وحيا * بارها پوشد پى اظهار فضل * باز كيرد از پى اظهار عدل * تاكه اين هر دو صفت ظاهر شود * آن مبشر كردد اين منذر شود والثالثة ان الاستهزاء بالله وبرسوله وبالآيات القرآنية كفر والاستهزاء استحقار الغير بذكر عيوبه على وجه يضحك قولا او فعلا وقد يكون الاستهزاء بالاشارة والايماء وبالضحك على كلامه اذا تخبط فيه او غلط او على صنعته ونحو ذلك وهو حرام بالاجماع معدود من الكبائر عند البعض كما قال علاء الدين التركستانى فى منظومته العادة لكبائر الذنوب وهى سبعون

ويل لمن من الانام يسخر * مقامه يوم الجزاء سقر

وفى الحديث ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم فى الآخرة باب من الجنة فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم هلم فيجيء بغمه وكربه فاذا جاء اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان احدهم ليفتح له الباب من ابواب الجنة فيقال له هلم فما يأتيه من الاياس وفى الحديث ثلاثة لا يستخف بهم

الامنافق ذوالشيبة فى الاسلام وذوالعلم وامام مقسط كما فى الترغيب والترهيب للامام المنذرى وانما خص هذه
الثلاثة لان اوصافهم راجعة الى اوصاف الله تعالى فذو الشيبة حصل له كبر السن والبارى له الكبرياء والعالم
اتصف بصفة العلم والامام المقسط اتصف بصفة العدل وهما من صفات الله تعالى ايضا فمن اجلال الله تعالى
واكرامه اجلال هذه الثلاثة واكرامهم ومن استخفافه استخفافهم وفى الحديث ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم
افتقر وعالما بين الاقوام الجهال لايعرفون حقه كفت پيغمبر كه بااين سه كروه * رحم آريد دستكيريد
ازكوه * انكه او بعد ازعزيزى خوارشد * وان توانكر هم كه بى دينار شد * وان سوم ان عالمى
كاندرجهان * مبتلا كردميان ابلهان * زانكه ازعزت بخوارى آمدن * همچو قطع عضو
باشد ازبدن * عضو كردد مرده كرتن وابريد * نوبريده جنبد اما نى مديد * ومن تعظيم الرسول
تعظيم اولاده قيل ركب زيد بن ثابت رضى الله عنه فدنا ابن عباس رضى الله عنه ليأخذ ركابه فقال لايا ابن عم
رسول الله فقال هكذا امرنا ان نفعل بكبرائنا فقال زيد ارنى يدك فاخرجها اليه فقبلها فقال هكذا امرنا
ان نفعل باهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اولاده المعنوية من اقتدى به قولا وفعلا وحالا فتعظيمه
تعظيم الرسول وتحقيره تحقيره فعليك التعظيم والتبجيل (المنافقون) مردان منافق كه سيصد نفر بودند
(والمنافقات) وزنان منافقه كه صد وهفتاد بودند (بعضهم من بعض) اى متشابهون فى النفاق والبعد عن
الايمان كابعاض الشئ الواحد بالشخص (يأمرون بالمنكر) اى بالكفر والمعاصى (وينهون عن المعروف) اى
عن الايمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون ماسبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين (ويقبضون
ايديهم) اى عن الانفاق فى سبيل الله وعن الصدقة وعن كل خير فان قبض اليد كناية عن الشح اوعن رفعها
للدعاء والمناجاة كما فى الكاشفى (نسوا الله) صاروا غافلين عن ذكره وتركوا امره حتى صار كالمنسى عندهم
ذكر الملزوم وهو النسيان واريد اللازم وهو الترك لان النسيان ليس من الافعال الاختيارية فلا يذم عليه
(فنسيهم) فتركهم من لطفه وفضله لامن قهره وتعذيبه وفسر النسيان ايضا بالمعنى المجازى الذى هو الترك لانه
محال فى حقه تعالى (ان المنافقين هم الفاسقون) الكاملون فى التمرد والفسق الذى هو الخروج عن الطاعة
والانسلاخ عن كل خير (وعد الله المنافقين والمنافقات) الوعد يستعمل فى الخير بمعنى الاخبار بايصال المنفعة
قبل وقوعها وفى الشر بمعنى الاخبار بايصال المضرة قبل وقوعها يقال وعدته خيرا ووعدته شرا فاذا اسقط الخير
والشر قالوا فى الخير الوعد والعدة وفى الشر الايعاد والوعيد وقد اوعده ويوعده اى وعد العقاب (والكفار) اى
المجاهرين (نار جهنم) وهى من اسماء النار تقول العرب للبئر البعيدة القعر جهنام فيجوز ان يكون جهنم
مأخوذة من هذا اللفظ لبعد قعرها روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوتا هاله فاتاه جبريل فقال
عليه السلام ماهذا الصوت ياجبرائيل قال هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاما فهذا حين بلغت
قعرها فاحب الله ان يسمعك صوتها فما رؤى رسول الله ضاحكا ملئ فيه حتى قبضه الله (خالدين فيها) اى مقدرا
خلودهم فيها (هى حسبهم) عقابا وجزاء ولا شئ ابلغ من تلك العقوبة ولا يمكن الزيادة عليها (ولعنهم الله) اى
ابعدهم من رحمته واهانهم وهو بيان لبعض ماتضمنه الخلود فى النار فان النار المخلد فيها مع كونها كافية
فى الايلام تتضمن شدائد اخر من اللعن والاهانة وغيرهما (ولهم عذاب مقيم) لاينقطع والمراد به ماوعدوه وهو
الخلود فى نار جهنم ذكر بعده تأكيدا له لان الخلود والدوام بمعنى واحد (كالذين من قبلكم) اى انتم ايها
المنافقون مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة (كانوا اشد منكم قوة) يعنى بتن ازشما قوى تر بودند (واكثر
اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم) اى تمتعوا بنصيبهم من ملاذ الدنيا سمى النصيب خلاقا لانه مشتق من الخلق
بمعنى التقدير ونصيب كل واحد هو الخير المقدر له (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم)
الكاف فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى استمتاعا كاستمتاعهم وليس فى الاية تكرار لان قوله
فاستمتعوا بخلاقهم ذم للاولين بالاشتغال بالحظوظ الفانية وذمهم بذلك تمهيد لذم المخاطبين بسلوكهم سبيل
الاولين وتشبيه حالهم بحالهم (وخضتم) اى دخلتم فى الباطل وشرعتم فيه (كالذى) اى كالفوج الذى
(خاضوا) ويجوز ان يكون اصله الذين حذفت النون تخفيفا (اولئك) الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة
من المشبهين والمشبه بهم والخطاب لرسول الله اولكل من يصلح للخطاب (حبطت اعمالهم) التى كانوا

يستحقون

يستحقون بها الاجور لوقارنت الايمان مثل الانفاق فى وجوه الخير وصلة الرحم وغير ذلك اى ضاعت وبطلت
بالكلية ولم يترتب عليها اثر (فى الدنيا والآخرة) اما فى الآخرة فظاهر واما فى الدنيا فلان مايترتب على اعمالهم
فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون ليس ترتيبه عليها على طريق المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج (واولئك)
الموصوفون بحبوط الاعمال فى الدارين (هم الخاسرون) الكاملون فى الخسران فى الدارين الجامعون
لمباديه واسبابه طرا فانه قد ذهبت رؤس اموالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولوانها ذهبت فيما لايضرهم
ولا ينفعهم لكفى به خسرانا (قال السعدى) قيامت كه بازار مينونهند * منازل باعمال نيكو نهند *
بضاعت بچندانكه آرى برى * اكر مفلسى شرمسارى برى * كه بازار چندانكه آكنده تر * تهى
دست رادل پراكنده تر (الم يأتهم) اى المنافقين (نبأ الذين من قبلهم) اى خبرهم الذى له شأن وهو مافعلوا
ومافعل بهم الاستفهام للتقرير والتحذير اى قد اتاهم خبر الامم السالفة وسمعوه فليحذروا من الوقوع فيما وقعوا
(قوم نوح) اغرقوا بالطوفان وهو بدل من الذين (وعاد) اهلكوا بريح صرصر (وثمود) اهلكوا بالرجفة والصيحة
(وقوم ابراهيم) اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه بالهدم (واصحاب مدين) اى واهل مدين وهم قوم شعيب
اهلكوا بالنار يوم الظلة ومدين وهو مدين بن ابراهيم نسبت القرية اليه (والمؤتفكات) الظاهر انه عطف على
مدين وهى قريات قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل (اتتهم)
اى جميع من تقدم من المهلكين (رسلهم بالبينات) اى بالحجج والبراهين فكذبوهم فاهلكهم الله (فما كان الله
ليظلمهم) اى لم يكن من عادته مايشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث
عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب (قال الصائب) چرا زغير شكايت كنم كه همچو حباب * هميشه
خانه خراب هواى خويشتنم * فعلى العاقل ان لايغتر بالقوة والاولاد والاموال فان كلها فى معرض
الزوال (قال الحافظ) بيال وپر مرو ازره كه تير پرتابى * هوا كرفت زمانى ولى بخاك نشست *
يعنى لاتغتر بقدرتك وقوتك البدنية والدنيوية ولاتخرج بسببها عن الصراط المستقيم فان حالك مشابه لحال
السهم المنزل فانه وان علا على الهواء زمانا لكنه سقط على الارض فآخر كل علو هو السفل وآخر كل قدرة هو
العجز فلا بد من تدارك الامر بالتوبة والاستغفار قبل نزول مانزل بالقوم الاشرار قال بعض الصالحين خرجت
الى السوق ومعى جارية حبشية فاجلستها فى مكان وقلت لها لاتبرحى حتى اعود اليك فذهبت ثم عدت الى
المكان فلم اجدها فيه فانصرفت الى منزلى وانا شديد الغضب عليها فجاءتنى وقالت لى يامولاى لاتعجل على فانك
اجلستنى بين قوم لايذكرون الله تعالى فخشيت ان ينزل بهم خسف وانا معهم فقلت ان هذه امة قد رفع عنها
الخسف اكراما لنبيها محمد صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفع عنها خسف المكان لم ارفع عنها خسف القلوب يامن
خسف بمعرفته وقلبه وهو فى غفلته من بلائه وكربه بادر الى حميتك ودوائك قبل موتك وفنائك وعن عائشة
رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والناس حوله ايها الناس استحيوا من الله حق
الحياء فقال رجل يارسول الله انا لنستحيى من الله فقال من كان منكم مستحييا فلا يبيتن ليلة الا واجله بين عينيه
وليحفظ البطن وماوعى والرأس وماحوى وليذكر الموت والبلى وليترك زينة الدنيا قال الله تعالى لموسى
وهرون عليهما السلام ولوشاء ان ازينكما بزينة علم فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكنى
ازوى عنكما وكذلك افعل باوليائى وليس ذلك لهوانهم على ولكن ليستكملوا حظهم من كرامتى * مكو
جاهى ازسلطنت بيش نيست * كه ايمن تر ازملك درويش نيست * فقد تقرر حال اهل الدنيا وحال
اهل الآخرة فالعاقل يعتبر ويتبصر الى ان يموت ويقبر (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) اى بعضهم
على دين بعض فى الحق اى متفقون فى التوحيد وبعضهم معين بعض فى امر دينهم ودنياهم وبعضهم موصل بعض
الى الدرجات العالية بسبب التربية وتزكية النفس وهم المرشدون فى طريق الله تعالى (يأمرون بالمعروف)
اى جنس المعروف الشامل لكل خير ومنه الايمان والطاعة ويهيج بعضهم بعضا فى طلب الله وهو المعروف
الحقيقى كما قال فاحببت ان اعرف (وينهون عن المنكر) اى جنس المنكر المنتظم لكل شر ومنه الكفر والمعاصى
التى تقطع العبد عن الله من الدنيا وغيرها (ويقيمون الصلاة) فلا يزالون يذكرون الله تعالى ويدعون مراقبة القلب

وحضوره مع الله بحيث لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وهم ارباب المكاشفة واصحاب القلوب وهذا بمقابلة ماسبق من قوله نسوا الله (ويؤتون الزكاة) بمقابلة قوله تعالى ويقبضون ايديهم فهم يؤدون الزكاة الواجبة بل ينفقون مافضل عن كفافهم الضرورى ويطهرون انفسهم عن محبة الدنيا بالانفاق (ويطيعون الله ورسوله) اى فى كل امر ونهى وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة قال فى التأويلات النجمية يشير الى الاخلاص فى معاملتهم فان المنافقين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ولكن لا يطيعون الله ورسوله فى ذلك وانما يطيعون النفس والهوى رعاية لمصالح دنياهم (اولئك) الموصوفون بهذه الاوصاف الكريمة (سيرحمهم الله) اى يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة وينجيهم من العذاب الاليم سوآء كان عذاب النار او عذاب البعد من الملك الجبار بالادخال الى الجنة والايصال الى القربة والوصلة وعن بعض اهل الاشارة سيرحمهم الله فى خمسة مواضع عند الموت وسكراته يهونون عليهم سكرات الموت ويحفظ ايمانهم من الشيطان وفى القبر وظلماته ينور قبورهم ويحفظهم من عذاب القبر وعند قرآءة الكتاب وحسراته يؤتيهم كتابهم بيمينهم ويمحو سيئاتهم من كتابهم كيلا يتحسروا على سيئاتهم وعند الميزان وندماته يثقل موازينهم وعند الوقوف بين يدى الله وسؤالاته يسهل عليهم جوابهم ولا يؤاخذهم بعيوبهم وفى الحديث من صلى صلاة الفجر هان عليه الموت وغصته ومن صلى صلاة الظهر هان عليه القبر وضمته ومن صلى صلاة العصر هان عليه سؤال منكر ونكير وهيبته ومن صلى صلاة المغرب هان عليه الميزان وخفته ومن صلى صلاة العشاء هان عليه الصراط ودقته (ان الله عزيز) تعليل للوعداى قوى قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدآئه ذو النعمة لمن يطيعه (حكيم) بنى احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النعمة والنقمة الى مستحقيها من اهل الطاعة واهل المعصية حكم للمؤمنين بالجنة فى مقابلة تصديقهم واقرارهم وللمحسنين بالوصلة فى مقابلة طلبهم فى جميع الحال رضى الله وتركهم ماسواه وحكم للكافرين والمنافقين بالنار لانكارهم وتكذيبهم الانبياء وعبادتهم للاوثان والاصنام (وعد الله المؤمنين والمؤمنات) اى وعدهم وعدا شاملا لكل واحد منهم على اختلاف طبقاتهم فى مراتب الفضل كيفا وكما والوعد عبارة عن الاخبار بايصال المنفعة قبل وقوعها (جنات) جمع جنة وهى الحديقة ذات النخل والشجر (تجرى من تحتها) اى اشجارها وغرفها (الانهار) انهار الماء والعسل والخمر واللبن (خالدين فيها) اى مقدرا خلودهم ودوامهم فيها فكل واحد من المؤمنين فائز بهذه الجنات لا محالة (ومساكن طيبة) اى وعد بعض الخواص الكمل منهم منازل تستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش فى الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر (فى جنات عدن) هى ابهى اماكن الجنات واسناها عن النبى عليه السلام عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاث النبيون والصديقون والشهدآء طوبى لمن دخلها روى ان الله تعالى خلق جنة عدن بيده من غير واسطة وجعلها له كالقلعة للملك وجعل فيها الكثيب مقام تجلى الحق سبحانه وفيها مقام الوسيلة مقام المصطفى صلى الله عليه وسلم وغرس شجرة طوبى بيده فى جنة عدن واطالها حتى علت فروعها سور جنة عدن ونزلت مظللة على سائر الجنات كلها واودع فى اكمامها ثمر الاحلى والحلل لباس اهل الجنة وزينتهم زائدة فى الحسن والبهاء لها اختصاص فضل لكونها خلقها الله بيده وهى اجمع الحقائق الجنانية نعمة واتمها بركة فانها اصل لجميع اشجار الجنة كآدم عليه السلام لما ظهر منه من البنين وما فى الجنة نهر الا وهو يجرى من اصل تلك الشجرة وهى محمدية المقام وهى فى دار النبى عليه السلام يقال عدن بالمكان اذا اقام به ومنه المعدن لمستقر الجواهر (ورضوان من الله) اى وشئ يسير من رضوانه تعالى (اكبر) واعظم من الجنان ونعيمها لانه مبدأ جميع السعادات ومنشأ تمام الكمالات محققان راه وعارفان آگاه را در گاه و بیگاه جز رضاى حضرت الله مطلوبى نيست * يكى مى خواهد از تو جنت وحور * يكى خواهد كه از دوزخ شود دور * وليكن ما نخواهيم اين وآن جست * مراد ما همين خشنودئ تست * چو تو خشنود گشتى در دو عالم * همين مقصود بس والله اعلم (قال الحافظ) صحبت حور نخواهم كه بود عين قصور * با خيال تو اگر با دگرى پردازم روى انه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون مالنا لا نرضى قد اعطيتنا مالم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واى شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا (ذلك) المذكور من النعيم والرضى

هو

(هو الفوز العظيم) دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شئ من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها شربة ماء قال يحيى بن معاذ الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والآخرة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال ايضا فى الدنيا جنة من دخلها لم يشتق الى الجنة قيل وما هى قال معرفة الله تعالى وهى الجنة المعنوية قال ابو يزيد البسطامى حلاوة المعرفة الالهية خير من جنة الفردوس واعلى عليين لو فتحوا الى ابواب الجنان الثمان واعطونى الدنيا والآخرة لم تعدل انينا وقت السحر فعلى العاقل الاجتهاد والتوجه الى الحضرة العليا والاعراض عن الدنيا والفوز بالمطلب الاعلى والمقصد الاسنى نسأل الله الدخول الى حرم الوصول (يا ايها النبى) اعلم ان الله تعالى خاطب الانبياء عليهم السلام باسمائهم الشريفة مثل يا آدم ويا نوح ويا موسى ويا عيسى وخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم بالالقاب الشريفة مثل يا ايها النبى ويا ايها الرسول وذلك يدل على علو جنابه عليه السلام مع ان كثرة الالقاب والاسماء تدل على شرف المسمى ايضا قال ابو الليث فى آخر سورة النور عند قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اى لا تدعوا محمدا صلى الله عليه وسلم باسمه ولكن وقروه وعظموه وقولوا يا رسول الله ويا نبى الله ويا ابا القاسم وفى الآية بيان توقير معلم الخير فامر الله تعالى بتوقيره وتعظيمه وفيه معرفة حق الاستاذ وفيه معرفة حق اهل الفضل اه اقول ولذا يطلق على اهل الارشاد عند ذكرهم الفاظ دالة على تعظيمهم على اى لغة كانت لانه اذا ورد النهى عن التصريح باسماء الآباء الصورية لكونه سوء ادب فما ظنك بتصريح اسماء الآباء المعنوية والمعنى يا ايها المبلغ عن الله او المخبر او يا صاحب علو المكانة والزلفى لان لفظ النبى ينبئ عن الانباء والارتفاع (جاهد الكفار) اى المجاهرين منهم بالسيف والجهاد عبارة عن بذل الجهد فى صرف المبطلين عن المنكر وارشادهم الى الحق (والمنافقين) بالحجة واقامة الحدود فانهم كانوا كثيرى التعاطى للاسباب الموجبة للحدود ولا تجوز المحاربة معهم بالسيف لان شريعتنا تحكم بالظاهر وهم يظهرون الاسلام وينكرون الكفر (واغلظ عليهم) اى على الفريقين جميعا فى ذلك واعنف بهم ولا ترفق * هست نرمى آتش جان سمور * وزدرشتى ميبرد جان خارپشت قال عطاء نسخت هذه الآية كل شئ من العفو والصفح لان لكل وقت حكما (ومأواهم جهنم) جملة مستأنفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله (وبئس المصير) اى بئس الموضع موضعهم الذى يصيرون اليه ويرجعون والفرق بين المرجع والمصير ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع وفى الحديث (اوصيك بتقوى الله فانه رأس امرك) يعنى اصل الطاعة وهو الخوف من الله تعالى فان المرء لا يميل الى الطاعة ولا يرغب عن المعصية الا بالتقوى فاذا غرس شجرة التقوى فى القلب تميل اطراف الانسان الى جانب الحسنات ولا يقدم على ارتكاب السيئات (وعليك بالجهاد فانه رهبانية امتى) الرهبانية الخصال المنسوبة الى الرهبان من التعبد فى الصوامع والغيران وترك اكل اللحم والطيبات ولبس الخشن من الثياب فقد افاد النبى عليه السلام ان الثواب الذى يحصل للامم السالفة بالرهبانية يحصل لهذه الامة المرحومة بالغزو وان لم يترهبوا بل رب آكل ما يشتهيه خير من صائم نبت حب الدنيا فيه (قال السعدى) خورنده كه خيرى بر آيد زدست * به از صائم الدهر دنيا پرست قال الاوزاعى خمس كان عليها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لزوم الجماعة واتباع السنة وعمارة المسجد وتلاوة القرآن والجهاد فى سبيل الله وفى الحديث افضل رجال امتى الذين يجاهدون فى سبيل الله وافضل نساء امتى اللاتى لا يخرجن من البيوت الا بامر لا بد لهن منه وفى الحديث اتقوا اذى المجاهدين فى سبيل الله فان الله تعالى يغضب لهم كما يغضب للرسل ويستجيب لهم كما يستجيب للرسل وفى الحديث اذا اخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم دل هذا على ان ترك الجهاد والاعراض عنه والسكون الى الدنيا خروج من الدين وكفى بهذا اثما وذنبا مبينا وفى الآية اشارة الى القلب الذى له نبأ من مقام الانبياء بأمره بالجهاد مع كفار النفس وصفاتها وهذا مقام المشايخ يجاهدون مع نفوسهم او نفوس مريدهم كما قال عليه السلام الشيخ فى قومه كالنبى فى امته (قال فى المثنوى) گفت پيغمبر كه شيخى رفته پيش * چون نبى باشد ميان قوم خويش * فامر بالجهاد مع كافر النفس وصفاتها بسيف الصدق لجهاد النفوس بمنعها عن شهواتها واستعمالها فى عمل الشريعة على خلاف

الطبيعة والنفوس بعضها كفار لم يسلموا اى لم يستسلموا للمشايخ فى تربيتها بجهادها بالدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبعضها منافقون وهم الذين ادعوا الارادة والاستسلام للمشايخ فى الظاهر ولم يعرفوا بما عاهدوا عليه فجهادها بالزامها مقاساة شدائد الرياضات فى التزكية على قانونها ممتثلة اوامر الشيخ ونواهيه ولو يرى عليها الاباء والامتناع فلا ينفعها الا التشديد والغلاظة كما قال تعالى واغلظ عليهم فالواجب ان يبالغ فى مخالفتها ومؤاخذتها فى احكام الطريقة فان فاءت الى امر الله فهو المراد والا استوجبت لما خلقت له ومأواهم جهنم اى مرجعهم جهنم البعد ونار القطيعة وبئس المصير مرجعهم كذا فى التأويلات النجمية فعلى السالك ان يجاهد مع هواه اولا فان السلطان يلزم عليه ان يحارب البغاة الذين فى مملكته ثم الذين وراءهم من الكفار نسأل الله تعالى ان يقوينا وينصرنا على القوم الكافرين اينما كانوا (يحلفون بالله ما قالوا) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عليه السلام فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصارى للجلاس اجل والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمير فبلغ ذلك رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل قبل ان يتفرقوا بهذه الآية وصيغة الجمع فى قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل (ولقد قالوا كلمة الكفر) هى ما حكى آنفا (وكفروا بعد اسلامهم) اى واظهروا ما فى قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام (وهموا بما لم ينالوا) الهم بالشئ فى اللغة مقاربته دون الوقوع فيه اى قصدوا الى ما لم يصلوا الى ذلك من قتل الرسول وذلك ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه عليه السلام من تبوك على ان يفتكوا به فى العقبة التى هى بين تبوك والمدينة فقالوا اذا اخذ فى العقبة دفعناه عن راحلته الى الوادى فاخبر الله تعالى رسوله بذلك فلما وصل الجيش الى العقبة نادى منادى رسول الله ان رسول الله يريد ان يسلك العقبة فلا يسلكها احد واسلكوا بطن الوادى فانه اسهل لكم واوسع فسلك الناس بطن الوادى وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة فلما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا وسلكوا العقبة وامر عليه السلام عمار بن ياسر رضى الله عنه ان يأخذ بزمام الناقة يقودها وامر حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ان يسوقها من خلفها فبينماهما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فرجع اليهم ومعه محجن فجعل يضرب به وجوه رواحلهم وقال اليكم اليكم يا اعداء الله اى تمنعوا عن رسول الله وتنحوا فهربوا وفى رواية انه عليه السلام خرج بهم فولوا مدبرين فعلموا انه عليه السلام اطلع على مكرهم فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فرجع حذيفة يضرب الناقة فقال عليه السلام هل عرفت احدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم ملثمين والليلة مظلمة فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء اليه اسيد بن حضير رضى الله عنه فقال يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان اسهل من سلوك العقبة فقال اتدرى ما اراد المنافقون وذكر له القصة فقال يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن ان يقتل الرجل الذى هم بهذا فان احببت بين باسمائهم والذى بعثك بالحق لا ابرح حتى آتيك برؤسهم فقال انى اكره ان يقول الناس ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا اظهره الله بهم اقبل عليهم يقتلهم فقال يا رسول الله هؤلاء ليسوا باصحاب فقال عليه السلام أليس يظهرون الشهادة ودعا عليهم رسول الله فقال اللهم ارمهم بالدبيلة وهى سراج من نار يظهر بين اكتافهم حتى ينجم من صدورهم وفى لفظ شهاب من نار يقع على نياط قلب احدهم فيهلكه (وما نقموا) قال فى القاموس نقم الامر كرهه اى وما كرهوا وما عابوا وما انكروا شيأ من الاشياء (الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله) سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى غاية ما يكون من شدة العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم اى استغنوا وكثرت اموالهم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى (قال سعدى چلبى) يجوز ان يكون زيادة الالفين شنقا اى تكرما لانهم كانوا يعطون الدية ويتكرمون بزيادة عليها ويسمونها شنقا انتهى وهذا الكلام من قبيل قولهم مالى عندك ذنب الا احسانى اليك اى ان كان ثمة ذنب فهذا هو تهكم بهم وتوبيخ

وقيل

وقيل الضمير فى اغناهم للمؤمنين اى غاظهم اغناؤه للمؤمنين كذا قال ابن عبد السلام (فان يتوبوا) عما هم عليه من الكفر والنفاق (يك) ذلك التوب (خيرا لهم) فى الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جلاس يا رسول الله لقد عرض الله على التوبة والله لقد قلت وصدق عامر بن قيس فتاب جلاس وحسنت توبته (وان يتولوا) اى استمروا على ما كانوا عليه من التولى والاعراض عن الدين (يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا) بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات (والآخرة) بالنار وغيرها من افانين العقاب (وما لهم فى الارض) مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما نفى بقوله تعالى (من ولى) دوستى كه دست كيرد (ولا نصير) ونه يارى كه عذاب ايشان بازدارد اى ينقذهم من العذاب بالشفاعة والمدافعة فالعاصى لا ينجو من العذاب وان كان سلطانا ذا منعة الا بالاستغفار من الذنوب واخلاص التوحيد والتوجه الى علام الغيوب حكى عن محمد بن جعفر انه قال كنت مع الخليفة فى زورق فقال الخليفة انا واحد وربى واحد فقلت له اسكت يا امير المؤمنين لو قلت ما قلت مرة اخرى لنغرق جميعا قال لم قلت لانك لست بواحد انما انت اثنان الروح والجسد من الاثنين من الاب والام فى الاثنين الليل والنهار بالاثنين بالطعام والشراب مع الاثنين الفقر والعجز والواحد هو الله الذى لا اله الا هو وقال حكيم لاصحاب الجنة ثلاثة اشياء يدخلون بها الجنة قول لا اله الا الله محمد رسول الله والاستغفار من الذنوب والندم عليها وتحميد الله تعالى فى الدنيا وان اول ما يقولون اذا دخلوا الجنة الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن اى حزن القبر والكتاب والنيران ان ربنا لغفور للذنوب والمعصية شكور لقليل العمل والطاعة وفى الحديث امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله (قال المولى الجامى) دلت آيينه خداى نماست * روى آيينه تو تيره چراست * صيقلى وار صيقلى ميزن * باشد آيينه آت شود روشن * صيقل آن اكرنه آكاه * نيست جز لا اله الا الله * وفى قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اشارة الى احوال بعض المريدين عند استيلاء النفوس وغلبة هواها وظفر الشيطان بهم ان ينكروا على مشايخهم ويقولوا فى حقهم كلمة الكفر اى كلمة الانكار والاعتراض ويعرضوا عنهم بقلوبهم بعد الارادة والاستسلام فاذا وقف المشايخ على احوال ضمائرهم وخلل الارادة فى سرائرهم يحلفون بالله انهم ما قالوا وما انكروا وهموا بما لم ينالوا يعنى وهم بعضهم ان يثبت لنفسه مرتبة الشيخوخة قبل اوانها ويظهر الدعوة الى نفسه وان لم ينلها وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله اى وما انكروا على الشيخ وخرجوا من امره الا ان الشيخ غنى بلبان فضل الله عن حلمة الولاية ليروا آثار الرشد على انفسهم فلم يحتملوا لضيق حوصلة الهمة فزين لهم الشيطان سوء اعمالهم فاصمهم بذلك واعمى ابصارهم فان يتوبوا يرجعوا الى ولاية الشيخ بطريق الالتجاء يك خيرا لهم بان يتخلصوا من غيرة الولاية وردها فانها مهلكة ويتمسكوا بحبل الارادة فانها منجية وان يتولوا اى يعرضوا عن ولاية الشيخ يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والآخرة بعد ان رد الولاية فان مرتد الطريقة اعظم ذنبا من مرتد الشريعة قال الجنيد لو اقبل صديق على الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله فاما عذابه فى الدنيا فبسلب الصدق والرد عن باب الطلب وارخاء الحجاب وذله وتقوية الهوى وتبديل الاخلاص بالرياء والحرص على الدنيا وطلب الرفعة والجاه واما عذابه فى الآخرة فباشتعال نيران الحسرة والندامة على قلبه المعذب بنار القطيعة وهى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير يشير الى ان من ابتلى برد ولاية شيخ كامل ولو امتلأت الارض بالمشايخ وارباب الولاية وهو متمسك بذيل ارادتهم غير ان شيخه رده لا يمكن لاحدهم اعانته واخراجه من ورطة الرد الا ما شاء الله كما فى التأويلات النجمية (ومنهم) اى من المنافقين (من عاهد الله) المعاهدة المعاقدة واليمين (لئن آتانا) اى الله تعالى (من فضله) از فضل خود مالى (لنصدقن) اى لنؤتين الزكاة وغيرها من الصدقات واصله لنتصدقن ادغمت التاء فى الصاد والمتصدق معطى الصدقة وسميت صدقة لدلالتها على صدق العبد فى العبودية (ولنكونن من الصالحين) قال ابن عباس رضى الله عنه يريد الحج نزلت فى ثعلبة ابن حاطب الانصارى كان ملازما لمسجد رسول الله ليلا ونهارا وكان يلقب لذلك حمامة المسجد وكانت جبهته كركبة البعير من كثرة السجود على الارض والحجارة المحماة بالشمس ثم جعل يخرج من المسجد كما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفجر بالجماعة من غير لبث واشتغال بالدعاء فقال له عليه السلام يوما ما لك صرت تعمل

عمل المنافقين بتعجيل الخروج فقال يا رسول الله انى فى غاية الفقر بحيث لى ولامرأتى ثوب واحد وهو الذى على وانا اصلى فيه وهى عريانة فى البيت ثم اعود اليها فانزعه وهى تلبسه فتصلى فيه فادع الله ان يرزقنى مالا فقال عليه السلام ويحك يا ثعلبة وهى كلمة عذاب وقيل كلمة شفقة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال عليه السلام اما ترضى ان تكون مثل نبى الله فو الذى نفسى بيده لو شئت ان تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت واشار الى علم الكيمياء ولكن اعرف ان الدنيا حظ من لا حظ له وبها يغتر من لا عقل له فراجعه وقال يا رسول الله والذى بعثك بالحق نبيا لو دعوت الله ان يرزقنى مالا لاؤدين كل ذى حق حقه فقال عليه السلام اللهم ارزق ثعلبة مالا ثلاث مرات فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها ازقة المدينة فنزل واديا حتى فاتته الجماعة لا يصلى بالجماعة الا الظهر والعصر ثم نمت وكثرت فتنحى مكانا بعيدا حتى انقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه وادى اى وادى واحد بل يسعه اودية وصحارى فخرج بعيدا فقال عليه السلام يا ويح ثعلبة فلما نزل قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة استعمل النبى عليه السلام رجلين على الصدقات رجلا من الانصار ورجلا من بنى سليم وكتب لهما الصدقة واسنانها وامرهما ان يأخذاها من الناس فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الفرائض فقال ماهذه الاجزية ماهذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيى وذلك قوله تعالى (فلما آتاهم) الله تعالى المال (من فضله) وكرمه (بخلوا به) اى منعوا حق الله منه (وتولوا) اى اعرضوا عن طاعة الله والعهد معه (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الاعراض فلما رجعا قال لهما رسول الله قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فركب عمر رضى الله عنه راحلته ومضى الى ثعلبة وقال ويحك يا ثعلبة هلكت قد انزل الله فيك كذا وكذا فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعنى ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه لا لانه تاب عن النفاق بل للحوق العار من عدم قبول زكاته مع المسلمين فقال عليه السلام هذا اى عدم قبول صدقتك عملك اى جزاء عملك اراد قوله هذه جزية امرتك فلم تعطنى فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابى بكر رضى الله عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضى الله عنه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى خلافة عثمان رضى الله عنه قال الحدادى لم يقبل منه عثمان صدقته انتهى (فاعقبهم) اى جعل الله عاقبة فعلهم ذلك فالمعنى على تقدير المضاف اى اعقب فعلهم (نفاقا) راسخا (فى قلوبهم) وسوء اعتقاد يقال اعقبه الله خيرا اى صير عاقبة امره ذلك خيرا ويقال اكلت سمكة واعقبتنى سقما اى صيرت تلك الاكلة او السمكة عاقبة امرى سقما (الى يوم يلقونه) اى الى يوم موتهم الذى يلقون الله عنده دل على تأبيد نفاقهم وان البخل ومنع حق الله تعالى مما اعطاه اياه يؤدى الى ان يموت وهو منافق ولا يثبت له حكم الاسلام ابدا نعوذ بالله كابليس ترك له امرا واحدا فطرده عن بابه وضرب وجهه بعبادته ثمانين الف سنة ولعنه الى يوم الدين واعدله عذابا اليما ابد الآبدين (قال الحافظ) زاهد ايمن مشو از بازى غيرت زنهار * كه ره از صومعه تا دير مغان اين همه نيست (بما اخلفوا الله ما وعدوه) بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح (وبما كانوا يكذبون) اى بكونهم مستمرين على الكذب فى جميع المقالات التى من جملتها وعدهم المذكور (الم يعلموا) اى من عاهد الله والاستفهام للتقرير اى قد علموا (ان الله يعلم سرهم) اى ما اسروه فى انفسهم من العزم على الاخلاف ولم يتكلموا به سرا ولا جهرا (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من تسمية الزكاة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه والتناجى بايكديكر راز كردن يقال نجاه نجوى وناجاه مناجاة ساره والنجو السر كالنجى (وان الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه شئ من الاشياء فكيف يجترئون على ما هم عليه من النفاق والعزم على الاخلاف مكن انديشهٔ عصيان چو ميدانى كه ميداند * مبين در روى اين آن چو ميدانى كه مى بيند * وفى الآيات اشارات منها ان من نذر نذرا فيه قربة نحو ان يقول ان رزقنى الله الف درهم فعلى ان اتصدق بخمسمائة لزمه الوفاء به ومن نذر ما ليس بقربة او بمعصية كقوله نذرت ان ادخل الدار او قال لله على ان اقتل فلانا اليوم فحنث يلزمه الكفارة وهى عتق رقبة او اطعام عشرة مساكين او كسوتهم فالواجب واحد من هذه الثلاثة والعبد مخير فيه فان عجز عن احد هذه الاشياء الثلاثة صام ثلاثة ايام متتابعات وان علق النذر بشرط يريد وجوده نحو ان يقول ان قدم فلان او ان قدمت من سفرى او ان شفى

الله مريضى او قضى دينى فلله على صيام وصدقة او ان ملكت عبدا او هذا العبد فعلى ان اعتقه يلزمه الوفاء بما نذر لانه نذر بصيغته وليس فيه معنى اليمين وان علقه بشرط لا يريد وجوده كقوله ان كلمت فلانا او دخلت الدار فعلى صوم سنة يجزئه كفارة يمين والمنذور اذا كان له اصل فى الفروض اى واجب من جنسه لزم الناذر كالصوم والصلاة والصدقة والاعتكاف وما لا اصل له فى الفروض فلا يلزم الناذر كعيادة المريض وتشييع الجنازة ودخول المسجد وبناء القنطرة والرباط والسقاية وقراءة القرآن ونحوها والاصل فيه ان ايجاب العبد معتبر بايجاب الله تعالى تحصيلا للمصلحة المعلقة بالنذر والنذر الغير المعلق لا يختص بزمان ومكان ودرهم وفقير بخلاف المعلق فلو قال الناذر على ان اتصدق فى هذا اليوم بهذا الدرهم على هذا الفقير فتصدق غدا بدرهم آخر على غيره اجزأه عندنا ولا يجزئه عند زفر واعلم ان المساجد الثلاثة المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى لكونها ابنية الانبياء عليهم السلام لها فضيلة تامة ولهذا قال الفقهاء لو نذر ان يصلى فى احد هذه الثلاثة تعين بخلاف سائر المساجد فان من نذر ان يصلى فى احدها له ان يصلى فى الآخر ومنها ان النفاق عبارة عن الكذب وخلف الوعد والخيانة الى ما ائتمن كما ان الايمان عبارة عن الصدق وملازمة الطاعة لان الله تعالى خلق الصدق فظهر من ظله الايمان وخلق الكذب فظهر من ظله الكفر والنفاق وفى الحديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان يعنى من يحدث عالما بانه كذب وتعهد عازما على عدم الوفاء وينتظر الامانة للخيانة ولعل هذا يكون فى حق من اعتاد بهذه الخصال لا فى حق من ندرت منه كما هو مذهب البخارى وبعض العلماء ومذهب الجمهور على ان هذه الخصال خصال المنافقين وصاحبها شبيه لهم فاطلاق اسم المنافق عليه على سبيل التجوز تغليظا كما ان الله تعالى قال ومن كفر مكان ومن لم يحج لكمال قبحه قال صاحب التحفة ليس الغرض ان آية المنافق محصورة فى الثلاث بل من ابطن خلاف ما اظهر فهو من المنافقين واعلم ان المنافقين صنفان صنف معلنوا الاسلام ومسروه فى بدء الامر وذلك لغلبة صفات النفاق وقوتها فى النفس وصنف معلنوا الاسلام ومسروه فى بدء الامر الى ان استعملوا هذه الصفات المستكنة فى النفس فيظهر بالفعل كما كان بالقوة وذلك لضعفها فى النفس فيعقبهم النفاق الى الابد بالشكوك الواقعة فى قلوبهم وهم عن هذا النوع من النفاق غافلون وهم يصومون ويصلون ويزعمون انهم مسلمون قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل امة بمنافقيها وجئنا بالحجاج فضلناهم يقول الفقير سامحه الله القدير هذا الكلام بالنسبة الى ذلك الوقت ولو انه رأى وزراء آل عثمان ووكلاءهم فى هذا الزمان لوجدهم ارجح من كل منافق لانه بلغ نفاقهم الى حيث اخذوا الرشوة من الكفار ليسامحوهم فى مقاتلتهم ومحاربتهم خذلهم الله ودمرهم ومنها ذم البخل والحرص على الدنيا وفى الحديث ثلاثة لا يحبهم الله ورسوله وهم فى لعنة الله والملائكة والناس اجمعين البخيل والمتكبر والاكول وفى الحديث ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التى فرضت لنا عليهم فيقول الله تعالى بعزتى وجلالى لابعدنهم ولاقربنكم (قال الحافظ) كنج قارون كه فرو ميرود از قهر هنوز * خوانده باشى كه هم از غيرت درويشانست * وفى الحديث ما جبل ولى لله الا على السخاء واجود الاجواد هو الله تعالى الا ترى انه كيف خلع خلعة الوجود على عامة الكائنات مجانا وانعم عليهم انواع النعم الظاهرة والباطنة اى حيث منعوا الخلق عن المهالك كالشهوات لا بخلا بل شوقا الى اللذات الباقية (الذين) رفع على الذم اى المنافقون هم الذين (يلمزون) قال فى القاموس اللمز العيب والاشارة بالعين ونحوها اى يعيبون ويغتابون (المطوعين) اى المتطوعين المتنفلين (من المؤمنين) حال من المطوعين (فى الصدقات) متعلق بيلمزون روى ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم حين اراد الخروج الى غزوة تبوك يحث الناس على الانفاق والاعانة فى تجهيز العسكر فكان اول من جاء بالصدقة ابو بكر الصديق رضى الله عنه جاء بجميع ماله اربعة آلاف درهم فقال له رسول الله هل ابقيت لاهلك شيأ قال ابقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنصف ماله فقال له عليه السلام هل ابقيت لاهلك شيأ قال النصف الثانى فقال ما بينكما ما بين كلاميكما ومنه يعرف فضل ابى بكر على عمر رضى الله عنه وانفق عثمان بن عفان رضى الله عنه نفقة عظيمة لم ينفق احد مثلها فانه جهز عشرة آلاف انفق عليها عشرة آلاف دينار وصب فى حجر النبى عليه السلام الف دينار واعطى ثلاثمائة بعير باحلاسها واقتابها وخمسين فرسا وعند ذلك قال صلى الله

عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض وفى الحديث سألت ربى ان لا يدخل النار من صاهرته اوصاهرنى وقد كان عليه السلام زوج بنته رقية من عثمان فماتت بعدما خرج رسول الله الى بدر فلما رجع من بدر زوجه ام كلثوم ولذا سمى عثمان بذى النورين ولما ماتت ام كلثوم قال عليه السلام لو كان عندى ثالثة لزوجتكها وجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه باربعة آلاف درهم فقال عليه السلام بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت فبارك الله له حتى بلغ ماله حين مات وطلق احدى نسائه الى ان صالحوها عن ربع ثمنها على ثمانين الف درهم ونيف فكان ثمن ماله اكثر من ثلثمائة الف وعشرين الفا وفى رواية جاء باربعين اوقية من ذهب ومن ثمة قيل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف كانا خزانتين من خزآئن الله فى الارض ينفقان فى طاعة الله تعالى وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر والوسق ستون صاعا بصاع النبى عليه السلام وهو اربعة امداد وكل مد رطل وثلث رطل بالبغدادى عند ابى يوسف والشافعى والرطل مائة وثلاثون درهما وعند ابى حنيفة كل مد رطلان وبعثت النساء بكل ما يقدرن عليه من حليهن وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع من تمر وقال يارسول الله بت ليلتى كلها اجر بالجرير على صاعين اما احدهما فامسكته لعيالى واما الآخر فاقرضته ربى فامره رسول الله ان ينثره فى الصدقات فطعن فيهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة وان ابا عقيل جاء ليذكر بنفسه ويعطى من الصدقة باكثر مما جاء به وان الله لغنى عن صاع ابى عقيل فانزل الله هذه الآية (والذين لا يجدون الا جهدهم) عطف على المطوعين اى ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم من الصدقة قال الحدادى عابوا المكثر بالرياء والمقل بالاقلال يقال الجهد بالفتح المشقة والجهد بالضم الطاقة وقيل الجهد فى العمل والجهد فى القوة (فيسخرون منهم) عطف على يلمزون اى يستهزئون بهم والمراد بهم الفريق الاخير كابى عقيل (سخر الله منهم) اى جازاهم على سخريتهم فيكون تسمية جزآء السخرية سخرية من قبيل المشاكلة لوقوعه فى صحبة قوله فيسخرون منهم (ولهم) اى ثابت لهم (عذاب اليم) على كفرهم ونفاقهم

اى كه دارد نفاق اندر دل * خار بادش خليده اندر حلق *
هركه سازد نفاق پيشهٔ خويش * خوار كردد بنزد خالق وخلق *

قال الحدادى ولما نزلت هذه الآية اتى المنافقون الى رسول الله وقالوا يارسول الله استغفر لنا فكان عليه السلام يستغفر لقوم منهم على ظاهر الاسلام من غير علم منه بنفاقهم وكان اذا مات احد منهم يسألون رسول الله الدعاء والاستغفار لميتهم فكان يستغفر لهم على انهم مسلمون فاعلمه الله انهم منافقون واخبر ان استغفاره لا ينفعهم فذلك قوله تعالى (استغفر لهم اولا تستغفر لهم) خرج الكلام مخرج الامر ومعناه الشرط اى ان شئت استغفر لهم وان شئت لا تستغفر فالامران متساويان فى عدم النفع الذى هو المغفرة والرحمة (ان تستغفر لهم سبعين مرة) قوله مرة انتصب على المصدر اى سبعين استغفارة او على الظرف اى سبعين وقتا وتخصيص السبعين بالذكر لتأكيد نفى المغفرة لان الشئ اذا بولغ فى وصفه اكد بالسبع والسبعين وهذا كما يقول القائل لو سألتنى حاجتك سبعين مرة لم اقضها لا يريد انه اذا زاد على السبعين قضى حاجته فالمراد التكثير لا التحديد (فلن يغفر الله لهم ذلك) اى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة فى الاستغفار ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل (بانهم) اى بسبب انهم (كفروا بالله ورسوله) اى كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق فى قوله تعالى (والله لا يهدى القوم الفاسقين) فان الفسق فى كل شئ عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اى لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التى عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهى متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وفيه اشارة الى ان استغفار النبى عليه السلام لاحد من غير استغفاره لنفسه لا ينفعه فاليأس من المغفرة وعدم قبول استغفاره ليس لبخل من الله ولا لقصور فى النبى عليه السلام بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها كما قال المولى جلال الدين فى شرح الهياكل المحال لا يدخل تحت قدرة قادر ولا يلزم من ذلك النقص فى القادر بل النقص فى المحال حيث لا يصلح لتعلق القدرة انتهى ومنه يعرف معنى قول العرفى الشيرازى

ذات تو قادر ست بايجاد هر محال * الا بافريدن چون تو يگانهٔ *

وفى عبارته سوء ادب كما لا يخفى واعلم ان من كفرهم وفسقهم سخريتهم فى امر الصدقات ولو كان لهم ايمان واصلاح لبالغوا فى الانفاق وجدوا فى البذل كالمخلصين

وفى التأويلات

وفى التأويلات النجمية قلب المؤمن منور بالايمان وروحه متوجه الى الحق تعالى فالحق يؤيد روحه بتأييد نظر العناية وتوفيق العبودية فيسطع من الروح نور روحانى مؤيد بنور ربانى فتنبعث منه الخواطر الرحمانية الداعية الى الله تعالى باعمال موجبة للقربة من الفرآئض والنوافل فتارة تكون الاعمال بدنية كالصوم والصلاة وتارة تكون تلك الاعمال مالية كالزكاة والصدقة فيتطوع بالصدقة فضلا عن الزكاة وفى الحديث ان النافلة هدية المؤمن الى ربه فليحسن احدكم هديته وليطيبها وقلب المنافق مظلم بظلمات صفات النفس لعدم نور الايمان وروحه متوجه الى الدنيا وزخارفها بتبعية النفس الامارة بالسوء مطرود بالخذلان لان قرينه الشيطان فيتأثير الخذلان ومقارنة الشيطان يصعد من النفس ظلمة نفسانية تمنع القلب من قبول الدعوة واجابة الرسل واتباع الاوامر واجتناب النواهى بالصدق وتنبعث منه الخواطر الظلمانية النفسانية وبذلك يمتنع عن اداء الفرآئض فضلا عن النوافل والتطوعات ويهزأ بمن يفعل ذلك روى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فاراه اياها فى المنام فلما رأى عظمتها غشى عليه فلما افاق قال الهى من الذى يقدر ان يملأ كفتها من الحسنات فقال يا داود انى اذا رضيت عن عبدى املأها بتمرة وروى ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية جميلة فقال للنخاس اترضى فى ثمنها بدرهم اودرهمين قال لا قال فاذهب فان الله يرضى فى الحور العين بالفلس والفلسين (قال السعدى)

بدنيا توانى كه عقبى خرى * بخر جان من ورنه حسرت خورى *

واعلم ان النوافل مقبولة بعد اداء الفرآئض والا فهى من علامات اهل الهوى (فرح المخلفون) المخلف ما يتركه الانسان خلفه والمتخلف الذى تأخر بنفسه والمراد المنافقون الذين خلفهم النبى عليه السلام بالمدينة حين الخروج الى غزوة تبوك بالاذن لهم فى القعود عند استئذانهم (بمقعدهم) مصدر ميمى بمعنى القعود متعلق بفرح اى بقعودهم وتخلفهم عن الغزو (خلاف رسول الله) ظرف للمصدر اى خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا فالخلاف بمعنى خلف كما فى قوله تعالى واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا يقال اقام زيد خلاف القوم اى تخلف عنهم بعد ذهابهم ظعن اولم يظعن ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة اى فرحوا لاجل مخالفتهم اياه عليه السلام بان مضى هو للجهاد وتخلفوا عنه (وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله) ايثارا للدعة والخفض اى الراحة وسعة العيش على طاعة الله مع ما فى قلوبهم من الكفر والنفاق وفى ذكر الكراهة بعد الفرح الدال عليها تعريض بالمؤمنين الذين بذلوا اموالهم وانفسهم فى سبيل الله وآثروا تحصيل رضاه تعالى وفى قوله كرهوا مقابلة معنوية مع فرح لان الفرح من ثمرات المحبة (وقالوا) اى قال بعضهم لبعض تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او قالوا للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا لهم عن المعروف فقد جمعوا ثلاث خصال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهة الجهاد ونهى الغير عن ذلك (لا تنفروا) اى لا تخرجوا (فى الحر) فانه لا تستطاع شدته وكانوا دعوا الى غزوة تبوك فى وقت نضج الرطب وهو اشد ما يكون من الحر وقول عروة بن الزبير ان خروجه عليه السلام لتبوك كان فى زمن الخريف لا ينافى وجود الحر فى ذلك الزمن لان اوآئل الخريف وهو الميزان يكون فيه الحر وكان ممن تخلف عن مسيره معه صلى الله عليه وسلم ابو خيثمة ولما سار عليه السلام اياما دخل ابو خيثمة على اهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشتين لهما فى حائط قد رشت كل منهما عريشتها وبردت فيها ماء وهيأت طعاما فلما دخل نظر الى امرأتيه وما صنعتا فقال رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحر وابو خيثمة فى ظل وبارد ماء وطعام مهيأ وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا ادخل عريش واحدة منكما حتى الحق برسول الله فهيئا الى زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحلها واخذ سيفه ورمحه ثم خرج فى طلب رسول الله حتى ادركه (قال الحافظ)

ملول همرهان بودن طريق كاردانى نيست * بكش دشوارئ منزل بياد عهد آسانى

(وقال)

مقام عيش ميسر نمى‌شود بى رنج * بلى بحكم بلا بسته‌اند حكم الست

(وقال)

من ازديار حبيبم نه ازديار غريب * مهيمنا بعزيزان خود رسان باشم

(قل) ردا عليهم وتجهيلا (نار جهنم اشد حرا) من هذا الحر وقد آثرتموها بهذه المخالفة فمالكم لا تحذرونها (لو كانوا يفقهون) اى يعلمون انها كذلك لما خالفوا وفى الحديث ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من اجزآء جهنم وبيانه انه لو جمع حطب الدنيا فاوقد كله حتى صار نارا لكان الجزء الواحد من اجزآء نار جهنم الذى هو من سبعين جزأ اشد من حر نار الدنيا وفى الخبر لما اهبط

آدم عليه السلام مضى جبرائيل الى مالك واخذ منه جمرة لآدم فلما تناولها احرقت كفه فقال ماهذه يا جبرائيل قال جمرة من جهنم غسلتها سبعين مرة ثم آتيتها اليك فالق عليها الحطب واخبز وكل ثم بكى آدم وقال كيف تقوى اولادي على حرها فقال له جبرائيل ليس لها على اولادك المطيعين من سبيل كما ورد فى الحديث تقول جهنم للمؤمن جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى ومن كان مع الله لا يحرقه شئ ألا ترى الى حال النبى عليه السلام ليلة المعراج كيف تجاوز عن كرة الاثير ولم يحترق منه شعره وكانت النار بردا وسلاما على ابراهيم عليه السلام (فليضحكوا) ضحكا (قليلا) فى الدنيا وهو اشارة الى مدة العمر وعمر الدنيا قليل فكيف عمر من فى الدنيا فانه اقل من القليل (وليبكوا) بكاء (كثيرا) فى الآخرة فى النار (جزاء) مفعول له للفعل الثانى اى ليبكوا جزاء (بما كانوا يكسبون) من فنون المعاصى وهذا لفظه امر ومعناه خبر اى يضحكون قليلا ويبكون دائما وانما اخرج فى صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به يروى ان اهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وفى الحديث يرسل الله البكاء على اهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى ترى وجوههم كهيئة الاخدود ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان تكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام يعنى فردا ايشانرا غمى باشد بى فرح واندوهى بى سرور فيكون وقت الضحك والبكاء فى الآخرة ويجوز ان يكون وقتهما فى الدنيا اى هم لما هم عليه من الخطر مع رسول الله وسوء الحال بحيث ينبغى ان يكون ضحكهم قليلا وبكاؤهم من اجل ذلك كثيرا نحو قوله عليه السلام لامته لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا قال ابن عمر رضى الله عنهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فوقف وسلم عليهم فقال اكثروا ذكر هادم اللذات قلنا وما هادم اللذات قال الموت (قال الصائب) بر غفلت سياه دلان خنده ميزند * غافل مشو زخنده دندان نماى صبح * ومر الحسن البصرى بشاب وهو يضحك فقال له يا بنى هل مررت على الصراط فقال لا فقال هل تدرى الى الجنة تصير ام الى النار فقال لا فقال ففيم هذا الضحك فما رؤى الفتى بعد ذلك يضحك قيل لما فارق موسى الخضر عليهما السلام قال اياك واللجاجة ولا تكن مشاء الا لحاجة ولا ضحاكا من غير عجب كان وابك على خطيئتك يا ابن عمران قال محمد بن واسع اذا رأيت رجلا فى الجنة يبكى الست تتعجب من بكائه قال بلى قال فالذى يضحك فى الدنيا ولا يدرى الى ما يصير هو اعجب منه وعن وهب بن منبه انه قال ان زكريا عليه السلام فقد ابنه يحيى عليه السلام فوجده مضطجعا على قبر يبكى فقال يا بنى ما هذا البكاء قال اخبرتنى امى ان جبريل اخبرك ان بين الجنة والنار مفازة ذات لهب لا يطفى حرها الا الدمع فقال زكريا ابك يا بنى ابك وعن كعب الاحبار انه قال ان العبد لا يبكى حتى يبعث الله اليه ملكا فيمسح كبده بجناحه فاذا فعل ذلك بكى وعن انس قال ثلاثة اعين لا تمسها النار عين فقئت فى سبيل الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله وعين دمعت من خشية الله وفى الحديث لأن ادمع دمعة من خشية الله احب الى من ان اتصدق بالف دينار وفى التوراة يا ابن آدم اذا دمعت عيناك فلا تمسح الدموع بثوبك ولكن امسحها بكفك فانها رحمة قال العلماء البكاء على عشرة انواع بكاء فرح وبكاء حزن وبكاء رحمة وبكاء خوف لما يحصل وبكاء كذب كبكاء النائحة لانها تبكى لشجو غيرها وجاء تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة ودرع من جرب وضعت يدها على رأسها تقول واويلاه وتنبح كما ينبح الكلب وبكاء موافقة بان يرى جماعة يبكون فيبكى مع عدم علمه بالسبب وبكاء المحبة والشوق وبكاء الجزع من حصول الم لا يحتمله وبكاء الجور والضعف وبكاء النفاق وهو ان تدمع العين والقلب قاس واما التباكى فهو تكلف البكاء وهو نوعان محمود ومذموم والاول ما يكون لاستجلاب رقة القلب والثانى ما يكون لاجل الرياء والسمعة كما فى انسان العيون والحاصل ان طالب الآخرة ينبغى له تقليل الضحك وتكثير البكاء ولا يغفل عن الموت واقاء الجزاء فانه كم ضاحك وكفنه عند القصار (قال الحافظ) ديدى آن قهقهه كبك خرامان حافظ * كه زسر پنجه شاهين قضا غافل بود (فان رجعك الله) من الرجع المتعدى دون الرجوع اللازم يقول رجع رجوعا اى انصرف ورجع الشئ عن الشئ اى صرفه ورده كارجعه والمعنى فان ردك الله من غزوة تبوك (الى طائفة منهم) الطائفة من الشئ القطعة منه وضمير منهم الى المنافقين المتخلفين فى المدينة دون المتخلفين مطلقا منافقا كان او مخلصا فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقى من المنافقين لان منهم من مات

ومنهم من غاب عن البلد ومنهم من تاب ومنهم من لم يستأذن وعن قتادة انهم كانوا اثنى عشر رجلا قيل فيهم ما قيل (فاستأذنوك للخروج) معك الى غزوة اخرى بعد غزوتك هذه وهى تبوك (فقل لن تخرجوا معى ابدا) اى لا تأذن لهم بحال وهو اخبار فى معنى النهى للمبالغة وكذا قوله (ولن تقاتلوا معى عدوا) من الاعداء (انكم) تعليل لما سلف اى لانكم (رضيتم بالقعود) اى عن الغزو وفرحتم بذلك (اول مرة) هى الخرجة الى غزوة تبوك وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هى كبرى امرأة اولى مرة (فاقعدوا) من بعد (مع الخالفين) اى المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما العدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان ففى الخالفين تغليب الذكور على الاناث فان قيل كانت اعمال المنافقين من الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد مقبولة عند النبى عليه السلام وان لم تكن مقبولة عند الله تعالى فكان النبى عليه السلام يقول نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فما الحكمة فى ان الله تعالى امر النبى عليه السلام بان لا يقبل من المتخلفين اعمالهم من الخروج معه والقتال مع العدو وغير ذلك قلنا ان الحكمة فى ذلك والله اعلم ان المنافقين لما كانوا يظهرون الاسلام والائتمار باوامر النبى عليه السلام مع ما كانوا يضمرون من الكفر والنفاق كانت اعمالهم مقبولة عند النبى عليه السلام وسرائرهم موكولة الى الله تعالى طمعا فى انابتهم ورجوعهم من النفاق الى الوفاق فلما اظهروا ما اضمروا ردت اليهم اعمالهم فكان الحكم بالظاهر ايضا فافهم قال العلماء اخرجهم الله تعالى من ديوان الغزاة ومحا اساميهم من دفتر المجاهدين وابعد محالهم من محفل صحبة النبى صلى الله عليه وسلم عقوبة لهم على تخلفهم لما فيه من الاهانة واظهار نفاقهم وبيان انهم ليسوا ممن يتقوى به الدين ويعز الاسلام كالمؤمنين الخلص نسأل الله تعالى صحبة الدين وصحبة اهل الدين الى يوم الدين روى ان زيد بن حارثة كان لخديجة اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله فجاء ابوه يريد شراءه منه فقال عليه السلام ان رضى بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرقبة مع صحبة احب الخلق الى الحق احب الى من الحرية مع مفارقته فقال عليه السلام اذا اختارنا اخترناه فاعتقه وزوجه ام ايمن وبعدها زينب بنت جحش (قال الحافظ) كداى درجانان بسلطنت مفروش * كسى زساية اين در بآفتاب رود * والمنافقون لما لم يكن لهم استعداد لهذه الصحبة الشريفة فارقوه عليه السلام فى السفر والحضر لان كل امرئ يصبو الى من يجانس وقدم ناس الى مكة وقالوا قدمنا الى بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم فى يومين قيل كيف قالوا الحق خيارنا بخياركم وشرارنا بشراركم فالف كل شكله (قيل)

واذا الرجال توسلوا بوسيلة * فوسيلتى حبى لآل محمد

(قال الكاشفى) جهاد كار مردان مرد مبارزان ميدان نبردست ازهر تردامنى اين كار نيايد ونامردى درد مبارزت معركة مجاهدت رانشايد * يار وهمچون زنان رنكى وبويى پيش كير * ياچو مردان اندراى وكوى درميدان فكن (قال السعدى) ندهد هوشمند روشن راى * بفرومايه كارهاى خطير * بوريا باف اكرچه بافنده است * نبرندش بكاركاه حرير * ومن بلاغات الزمخشرى لا تصلح الامور الا باولى الالباب والارحاء لا تدور الا على الاقطاب جمع قطب وهو وتد الرحى (ولا تصل) يا محمد (على احد منهم) اى من المنافقين وهو صفة لاحد (مات) صفة اخرى ويجوز ان يكون منهم حالا من الضمير فى مات كذا فى تفسير ابى البقاء (ابدا) ظرف للنهى اى لا تدع ولا تستغفر لهم ابدا وهو الاظهر وقيل منصوب بمات على ان يكون المعنى لا تصل على احد منهم ميت مات ابدا بان مات على الكفر فان من مات على الكفر ميت ابدا وان احياءه للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحى وكان حذيفة رضى الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يوما انى مسر اليك سرا فلا تذكرنه انى نهيت ان اصلى على فلان وفلان وعد جماعة من المنافقين ولما توفى رسول الله كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته اذا مات الرجل ممن يظن انه من اولئك اخذ بيد حذيفة فناداه الى الصلاة عليه فان مشى معه حذيفة صلى عليه عمر وان انتزع يده من يده ترك الصلاة عليه (ولا تقم على قبره) اى ولا تقف عند قبره للدفن او للزيارة والدعاء وكان النبى عليه السلام اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له (انهم كفروا بالله ورسوله) تعليل للنهى على ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل فى حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله وبرسوله مدة حياتهم (قال الحافظ)

باآب زمزم وكوثر سفيد نتوان كرد * كليم بخت كسى راكه بافته اندسياه (وقال السعدى) توان پاك كردن زژنك آيينه * وليكن نيايد زسنك آيينه (وماتوا وهم فاسقون) اى متمردون فى الكفر خارجون عن حدوده روى عن ابن عباس ان رئيس المنافقين عبدالله بن ابى بن سلول دعا رسول الله عليه السلام فى مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويصلى عليه اذا مات ويقوم على قبره ثم انه ارسل اليه عليه السلام يطلب منه قميصه ليكفن فيه فارسل اليه القميص الفوقانى فرده فطلب الذى يلى جلده فقال عمر رضى الله عنه تعطى قميصك للرجس النجس فقال عليه السلام ان قميصى لايغنى عنه من الله شيأ وارجو من الله تعالى ان يدخل به الف فى الاسلام وذلك ان المنافقين كانوا لايفارقون ابن ابى فلما رأوه يطلب منه عليه السلام قميصه يتبرك به ويرجوان ينفعه القميص فى دفع عذاب الله وجلب رحمته وفضله اسلم الف من الخزرج وانما قال عليه السلام ان قميصى لايغنى لعدم الاساس الذى هو الايمان ومثله انما يؤثر عند صلاح المحل ويدل عليه قوله عليه السلام ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فان الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحى بجار السوء ومايروى الارض المقدسة لاتقدس احدا انما يقدس المرء عمله وقد ثبت ان عبدالله بن انيس رضى الله عنه لماقتل سفيان بن خالد الهذلى ووضع بين يديه عليه السلام دفع اليه عصا كانت بيده وقال تخصر بهذه فى الجنة اى توكأ عليها فكانت تلك العصا عنده فلما حضرته الوفاة اوصى اهله ان يجعلوها بين جلده وكفنه ففعلوا وثبت انه عليه السلام حلق رأسه الشريف معمر بن عبد الله فاعطى نصف شعر رأسه لابى طلحة وفرق النصف الآخر بين الاصحاب شعرة وشعرتين فكانوا يتبركون بها وينصرون ماداموا حاملين لها ولذا قال فى الاسرار المحمدية لووضع شعر رسول الله اوعصاه اوسوطه على قبر عاص لنجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب وان كان فى دار انسان اوبلدة لايصيب سكانها بلاء ببركته وان لم يشعروا به ومن هذا القبيل ماء زمزم والكفن المبلول به وبطانة استار الكعبة والتكفن بها وكتابة القرآن على القراطيس والوضع فى ايدى الموتى انتهى اقول ان قلت قد ثبت ان فى خزانة السلاطين خصوصا فى خزانة آل عثمان شيأ مما يتبرك به من خرقة النبى عليه السلام وغيرها ورأيناهم قد لاينصرون ومعهم شئ من لوآئه عليه السلام ويصيب بلدتهم آفات كثيرة قلت ذلك لهتكهم الحرمة الاترى ان مكة والمدينة كان لايدخلهما طاعون فلما هتك السكان حرمتهما دخلهما والله الغفور فلمامات ابن ابى انطلق ابنه وكان مؤمنا صالحا الى النبى عليه السلام ودعاه الى جنازة ابيه فقال له عليه السلام مااسمك قال الحباب بن عبدالله فقال عليه السلام انت عبدالله بن عبدالله ان الحباب هو الشيطان اى اسمه كما فى القاموس ثم قال صل عليه وادفنه فقال ان لم تصل عليه يارسول الله لايصلى عليه مسلم انشدك الله ان لاتشمت بى الاعدآء فاجابه عليه السلام تسلية له ومراعاة لجانبه فقام ليصلى عليه فجاء عمر رضى الله عنه فقام بين رسول الله وبين القبلة لئلا يصلى عليه وقال اتصلى على عدو الله القائل يوم كذا وكذا وكذا وعدا يامه الخبيثة فنزلت الاية واخذ جبرآئيل عليه السلام بثوبه وقال لاتصل على احد منهم مات ابدا فاعرض عن الصلاة عليه وهذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضى الله عنه فان الوحى كان ينزل على وفق قوله فى آيات كثيرة منها هذه الاية وهو منصب عال ودرجة رفيعة له فى الدين فلذا قال عليه السلام فى حقه لولم ابعث لبعثت نبيا ياعمر وقال انه كان فيما مضى قبلكم من الامم محدثون فانه ان كان فى امتى هذه فانه عمر بن الخطاب رضى الله عنه والمحدث بفتح الدال المشددة هو الذى يلقى فى نفسه الشئ فيخبر به فراسة وهى الاصابة فى النظر ويكون كما قال وكانه حدثه الملأ الاعلى وهذه منزلة جليلة من منازل الاولياء ولم يرد النبى عليه السلام بقوله ان كان فى امتى التردد فى ذلك لان امته افضل الامم واذا وجد فى غيرها محدثون ففيها اولى بل اراد به التأكيد لفضل عمر كما يقال ان يكن لى صديق فهو فلان يراد به اختصاصه بكمال الصداقة لانفى سائر الاصدقاء وقد قيل فى فضيلة عمر رضى الله عنه

له فضائل لاتخفى على احد * الا على احد لايعرف القمرا

كذا فى شرح المشارق لابن ملك فان قيل كيف يجوز ان يقال انه عليه السلام رغب فى ان يصلى عليه بعد ان علم انه كافر مات على الكفر وان صلاته عليه دعاء له بالمغفرة وقد منعه الله من ان يستغفر للمشركين واعلمه انه لايغفر للكفار ورواية الصلاة عليه ودفع قميصه اليه توجب اعزازه وهو مأمور باهانة الكفار فالجواب ان الخبيث

لماطلب منه ان يرسل اليه قميصه الذى يمس جلده الشريف ليدفن فيه غلب على ظنه انه قد تاب عن نفاقه وآمن لان ذلك الوقت وقت توبة الفاجر وايمان الكافر فلما رأى منه اظهار الاسلام وشاهد منه هذه الامارات الدالة على اسلامه غلب على ظنه انه صار مسلما فرغب فى ان يصلى عليه فلما اتى جبريل واخبره بانه مات على كفره ونفاقه امتنع من الصلاة عليه وقيل نزلت الآية بعد ماصلى ولبث يسيرا فماصلى بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره واما دفع القميص اليه فذكروا فيه وجوها منها ان العباس عم النبى عليه السلام لما اخذ اسيرا يوم بدر ولم يجدوا له قميصا يساوى قده وكان رجلا طويلا كساه عبدالله قميصه فهو عليه السلام انما دفع اليه قميصه مكافأة لاحسانه ذلك لا لاعزازه ومنها انه تعالى امره ان لايرد سائلا حيث قال واما السائل فلا تنهر فالضنة بالقميص بعدم ارساله سيما وقد سئل فيه مخل بالكرم ومنها انه لعله اوحى اليه انك ان دفعت اليه قميصك صار ذلك حاملا لدخول الف نفر من المنافقين فى الاسلام ففعل ذلك بناء عليه والله اعلم بحقيقة الحال وما علينا الا القبول وطى المقال وهو الهادى الى طريق التحقيق (ولا تعجبك) الاعجاب شكفتى نمودن وخوش آمدن خطاب بآن حضرتست ومراد امت اند يعنى درعجب نداردشمارا (اموالهم واولادهم) الضمير للمنافقين (قال الكاشفى) مالهاء منافقان اكرچه بسيارست وفرزندان ايشان كه قوى وباقتدارند وتقديم الاموال فى امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لابد منه لكل احد من الآباء والامهات والاولاد فى كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو واولاده فى ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع واما لانها اقدم فى الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية (انما يريد الله) بما متعهم به من الاموال والاولاد (ان يعذبهم بها فى الدنيا) بسبب جمع مال ومحافظت آن پيوسته دررنج باشند وبراى رونق احوال اولاد وتهيه اسباب ايشان همواره محنت ومشقت كشند (وتزهق انفسهم) الزهوق برآمدن جان اى تخرج ويموتوا (وهم كافرون) اى كافرون بسبب اشتغالهم بالتمتع بها والالهاء عن النظر والتدبر فى العواقب * درويشى ميكفت اغنيا اشقى الاشقيا اند مال دنيا جمع ميكنند بانواع پريشانى وزحمت ونكاه ميدارند باصناف بليت ومشقت وميكذارند بصد هزار حسرت * دراول چو خواهى كنى جمع مال * بسى رنج برخويش بايد كماشت * پس ازبهر آن تابماند بجاى * شب وروز مى بايدت پاس داشت * وزين جمله آن حال مشكلترست * كه آخر بحسرت بيايد كذشت * واعلم ان هذه الآية مرت فى هذه السورة الكريمة مع التغاير فى بعض الالفاظ فالتكرير لتأكيد النصيحة بها والاعتناء بشأنها تنبيها على ان هذه النصيحة مما لاينبغى ان يذهل السامع عنها وان الناصح لابد له ان يرجع اليها فى اثناء كلامه دآئما ولاسيما اذا تباعد احد الكلامين عن الآخر بناء على ان الابصار طامحة اى مرتفعة ناظرة الى الاموال والاولاد وان النفوس مغتبطة اى متمنية لهما حريصة عليهما والاموال والاولاد وان كانت نعمة فى حق المؤمنين فانها نقمة فى حق المنافقين لكونها شاغلة لقلوبهم عن الله وطلبه واشد عذاب القلوب من الحجاب ومن عذب بالحجاب فقد حرم من الايمان كما قال تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون اى مستورو القلوب بحجاب حب الاموال والاولاد كما فى التأويلات النجمية وفى الحديث الدنيا محفوفة باللذات والشهوات فلا تلهينكم شهوات الدنيا ولذاتها عن الآخرة فانه لادنيا لمن لاآخرة له ولا آخرة لمن لادنيا له يعمل فيها بطاعة الله تعالى يعنى ان المؤمن يتزود لآخرته بالعبادات المالية (واذا انزلت سورة) من القرآن (ان آمنوا بالله) ان مصدرية حذف منها الجار اى بان آمنوا بالله (وجاهدوا مع رسوله) لاعزاز دينه واعلاء كلمته (استأذنك اولوا الطول منهم) اى ذووا الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا ومالا من المنافقين قال الحدادى الطول فى الحقيقة هو الفضل الذى يتمكن به من مطاولة الاعداء قال الرازى فى سورة النساء اصل هذه الكلمة من الطول الذى هو خلاف القصر لانه اذا كان طويلا ففيه كمال وزيادة كما انه اذا كان قصيرا ففيه قصور ونقصان وسمى الغنى ايضا طولا لانه ينال به من المرادات مالا ينال عند الفقر كما انه ينال بالطول مالا ينال بالقصر انتهى (وقالوا ذرنا) دعنا (نكن مع القاعدين) اى الذين قعدوا عن الغزو لمابهم من عذر (رضوا) اى المنافقون (بان يكونوا مع الخوالف) اى مع النساء المتخلفات فى البيوت والحى بعد ازواجهن

جمع خالفة فالتاء للتأنيث وقد يقال الخالفة الذى لا خير فيه فالتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية لا للتأنيث ولعل الوجه فى تسمية من لا خير فيه من الرجال خالفة كونه غير مجيب الى مادعى اليه من المهمات (وطبع على قلوبهم) ومهر نهاده شده بر دلهاء ايشان قال الحدادى معنى الطبع فى اللغة جعل الشئ كالطابع نحو طبع الدينار والدرهم قال فى المصادر والتركيب يدل على نهاية ينتهى اليها الشئ حتى يختم عندها ويقاس على هذا طبع الانسان وطبيعته وطباعه اى سجيته التى جبل عليها وخص القلب بالختم لانه محل الفهم ولذا قال (فهم لا يفقهون) ما فى الايمان بالله وطاعته فى اوامره ونواهيه وموافقة الرسول والجهاد من السعادة وما فى اضداد ذلك من الشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه) بالله وبما جاء من عنده تعالى اى آمنوا كما آمن هو عليه السلام اذ لا شك ان زمان ايمان المؤمنين ما كان مقارنا لزمان ايمان الرسول فهو كقوله تعالى واسلمت مع سليمان اى اسلام سليمان اى اسلمت كما اسلم سليمان (جاهدوا باموالهم وانفسهم) لكن لم يختل امر الجهاد بتخلفهم لانه قد جاهد من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا (واولئك) وآن كروه (لهم) بواسطة نعوتهم المذكورة (الخيرات) اى منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى العقبى ويجوز ان يكون معناه الزوجات الحسان فى الجنة وهن الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة بتخفيف خيرة وخيرات العابدين هى الحسنات فهى متعلقة باعمالهم وخيرات العارفين مواهب الحق تعالى فهى متعلقة باحوالهم (واولئك هم المفلحون) اى الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قريب (اعد الله لهم) اى هيأ لهم فى الآخرة (جنات) جمع جنة وهى البستان الذى فيه اشجار مثمرة (تجرى من تحتها) اى من اسافل ارضها او من تحت اشجارها او من تحت القصور والغرف لا تحت الارض (الانهار) جمع نهر وهو مسيل الماء سمى به لسعته وضيائه وفى الحديث فى الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر ثم تشتق الانهار منها بعد وقيل النهر واحد ويجرى فيه الخمر والماء والعسل واللبن لا يخالط بعضها بعضا وقال بعضهم الجارى واحد ويختلف باختلاف الامنية (خالدين فيها) اى مقدرا خلودهم فى تلك الجنات الموصوفة (ذلك) اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه فازوا بالجنة ونعيمها ونجوا من النار وجحيمها وفى الحديث من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وفى الخبر من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة فقد اشترط فى هذا القول الاخلاص ولا يكون الاخلاص الا بمنعه من الذنوب والافليس بخالص ويخاف ان يكون ذلك القول عنده عارية والعارية تسترد منه والاخلاص من صفات القلب وتحليته بالاوصاف الحميدة انما هى بعد تزكية النفس عن الرذائل قال فى التأويلات النجمية الخلاص عن حجب النفس وصفاتها هو الفوز العظيم لان عظم الفوز على قدر عظم الحجب ولا حجاب اعظم من حجاب النفس والفوز عنها يكون فوزا عظيما انتهى (وفى المثنوى) جمله قرآن شرح خبث نفسهاست * بنكر اندر مصحف آن خبثت بجاست * هين مرو اندر پى نفس چو زاغ * كو بكورستان بردنى سوى باغ * نفس اكرچه زيركست وخرده دان * قبله اش دنياست اورا مرده دان * وفى الحديث ان فى الجنة مائة درجة) المراد بالمائة هنا الكثرة وبالدرجة المرقاة (اعدها الله للمجاهدين فى سبيله) وهم الغزاة او الحجاج او الذين جاهدوا انفسهم لمرضاة ربهم (كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والارض) وهذا التفاوت يجوز ان يكون صوريا وان يكون معنويا فيكون المراد من الدرجة المرتبة فالاقرب الى الله تعالى يكون ارفع درجة ممن دونه (فان سألتم الله فاسألوه الفردوس) وهو بستان فى الجنة جامع لانواع الثمر (فانه اوسط الجنة) يعنى اشرفها (واعلى الجنة) قيل فيه دلالة على ان السموات كرية فان الاوسط لا يكون اعلى الا اذا كان كريا وان الجنة فوق السموات تحت العرش قال الامام الطيبى النكتة فى الجمع بين الاوسط والاعلى انه اراد باحدهما الحسى وبالآخر المعنوى واقول يحتمل ان يكونا حسيين لان كونهما احسن وازين مما يحس (وفوقه عرش الرحمن) هذا يدل على انه فوق جميع الجنان (ومنه تفجر) اصله تتفجر فحذف احدى التائين (انهار الجنة) وهى اربعة مذكورة فى قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى المراد منها اصول انهار الجنة كذا فى شرح المشارق لابن ملك نسأل الله سبحانه الرفيق الاعلى والنظر الى وجهه الابهى وجماله الاسنى (وجاء

المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) من عذر فى الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له فالمعذر اسم فاعل من باب التفعيل او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين فيكون اسم فاعل من باب الافتعال والاعتذار قد يكون بالكذب وقد يكون بالصدق وذلك لان الاعتذار عبارة عن الاتيان بما هو فى صورة العذر سواء كان للمعتذر عذر حقيقة او لم يكن والاعراب سكان البوادى من العرب لا واحد له والعرب خلاف العجم وهم سكان الامصار او عام والعربة ناحية قرب المدينة واقامت قريش بعربة فنسبت العرب اليها وهى باحة العرب وباحة دار ابى الفصاحة اسمعيل عليه السلام كما فى القاموس والمراد بالمعذرين اسد وغطفان واستأذنوا فى التخلف حين الخروج الى غزوة تبوك معتذرين بالجهد اى ضيق العيش وكثرة العيال او رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طى على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنينى الله عنكم واختلفوا فى انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة والظاهر الثانى ويدل عليه كلام القاموس حيث قال قوله تعالى وجاء المعذرون بتشديد الذال المكسورة هم المعتذرون الذين لهم عذر وقد يكون المعذر غير محق فالمعنى المقصرون بغير عذر انتهى اقول وعلى كل حال لا يثبت النفاق اذ المقصر وهو المعتذر للفتور والكسل لا يكون كافرا وان كان مذموما وقد اضطرب كلام المفسرين هنالك فعليك بضبط المبنى واخذ المعنى (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيبوا ولم يعتذروا ولم يستأذنوا فى القعود فظهر انهم كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان والطاعة قال فى انسان العيون وجاء المعذرون وهم الضعفاء والمقلون من الاعراب ليؤذن لهم فى التخلف فاذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة وجرأة على الله ورسوله وقد عناهم الله بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله انتهى (سيصيب الذين كفروا منهم) اى من الاعراب او من المعذرين وعلى كل تقدير فمن تبعيضية لا بيانية اذ ليس كلهم كفرة وقد علم الله تعالى ان بعض الاعراب سيؤمن وان بعض المعذرين يعتذر لكسله لا لكفره (عذاب اليم) بالقتل والاسر فى الدنيا والنار فى الآخرة قال فى التأويلات النجمية الخلق ثلاث طبقات الاولى المعذرون وهم المقصرون المعترفون بتقصيرهم وذنوبهم التائبون عن ذنوبهم المتداركون بالرحمة والمغفرة والثانية القاعدون وهم الكاذبون الكذابون الذين لم يؤمنوا بالله ورسوله من الكافرين والمنافقين المتداركون بالخذلان والعذاب الاليم كما قال وقعد الذين الآية والثالثة المؤمنون المخلصون الصادقون الناصحون ولكن فيهم اهل العذر واليه الاشارة بقوله تعالى (ليس على الضعفاء) نيست بر ناتوانان وعاجزان كالهرمى والزمنى جمع هرم بكسر الراء وهو كبير السن وجمع زمن وهو المقعد (ولا على المرضى) ونه بر بيماران ومعلول جمع مريض (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) لفقرهم كمزينة وجهينة وبنى عذرة (حرج) اثم فى التخلف والتأخر عن الغزو ثم انه تعالى شرط فى انتفاء الحرج عنهم شرطا معينا فقال (اذا نصحوا لله ورسوله) قال ابو البقاء العامل فيه معنى الكلام اى لا يخرجون حينئذ والنصح اخلاص العمل من الغش يقال نصح الشئ اذا خلص ونصح له فى القول اذا كلمه بما هو خير محض له والناصح الخالص وفى الحديث الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة) ذكرها ثلاث مرات قيل هذا الكلام مدار الاسلام لان النصيحة هى ارادة الخير معناه عماد الدين النصيحة كما يقال الحج عرفة اى عماده (قالوا لمن يا رسول الله قال لله) معنى نصيحته تعالى الايمان به واخلاص العمل فيما امر به (ولرسوله) نصيحته تصديقه بكل ما علم مجيئه به واحياء طريقه (ولكتابه) نصيحته الاعتقاد بانه كلام الله والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه وفى الحقيقة هذه النصائح راجعة الى العبد (ولائمة المسلمين) نصيحتهم اطاعتهم فى المعروف وتنبيههم عند الغفلة (وعامتهم) نصيحة عامة المسلمين دفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم بقدر الوسع كذا فى شرح المشارق لابن ملك فمعنى الآية ان المتخلفين من اصحاب الاعذار لا اثم عليهم فى تخلفهم اذا اخلصوا الايمان لله ولرسوله وامتثلوا امرهما فى جميع الامور ومعظمها ان لا يفشوا ما سمعوه من الاراجيف فى حق الغزاة وان لا يثيروا الفتن وان يسعوا فى ايصال الخير الى المجاهدين ويقوموا باصلاح مهمات بيوتهم ويسعوا فى ايصال الاخبار السارة من بيوتهم اليهم (ما على المحسنين من سبيل) استئناف مقرر لمضمون ما سبق اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن زائدة لعموم النفى ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله فى سلك

المحسنين وقد اشتهران تعليق الحكم على الوصف المناسب يشعر بعلية الوصف له (والله غفور رحيم) يشير الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر فان الانسان محل التقصير والعجز فلا يسعه الا العفو (وفى المثنوى) شمس هم معدهٔ زمين را كرم كرد * تازمين باقى حدثها بخورد * جزو خاكى كشت ورست ازوى نبات * هكذا يمحوا الاله السيئات * اى كه من زشتم خصالم جمله زشت * چون شوم كل چون مرا او خاركشت * نوبهار حسن كل ده خاررا * زينت طاوس ده آن ماررا (ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم) عطف على المحسنين اى ليس شئ ثابتا على المحسنين ولا على الذين اذا ما اتوك چون بيامدند بسوى تو ودرخواست كردند لتحملهم تا ايشانرا ستورى دهى ويا خود بحرب برى وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن الخنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عميرة وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل وعليه بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فنغزو معك فقال عليه السلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو امقرن كمحدث وكانوا سبعة اخوة كلهم صحبوا النبى عليه السلام وليس فى الصحابة سبعة اخوة غيرهم كذا فى تفسير القرطبى (قلت لا اجد ما احملكم عليه) حال من الكاف فى اتوك باضمار قد اى اذا ما اتوك قائلا لا اجد وما عامة لما سألوه عليه السلام وغيره مما يحمل عليه عادة من النفقة والظهر وفى ايثار لا اجد على ليس عندى من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كانه عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده (تولوا) جواب اذا كشتند از پيش تو (واعينهم تفيض) اى تسيل بشدة (من الدمع) از اشك يعنى اشك از ديدهاء ايشان ميريخت واسناد الفيض الى العين مجازى كسال الميزاب والاصل يفيض دمعها عدل الى هذه الصورة للدلالة على المبالغة فى فيضان الدمع كان العين كلها دمع فياض (حزنا) نصب على العلية والعامل تفيض لا يقال فاعل الفيض مغاير لفاعل الحزن فكيف نصب لانا نقول ان الحزن يجوز اسناده الى العين مجازا فيقال عين حزينة وعين مسرورة (الا يجدوا) ان مصدرية بتقدير لام متعلقة بحزنا اى لئلا يجدوا (ما ينفقون) فى شراء ما يحتاجون اليه اذلم يجدوه عندك (قال الكاشفى) ابن عمر وعباس رضى الله عنهم ايشانرا زاد وتوشه ومركب داده همراه بردند (انما السبيل) بالمعاتبة (على الذين يستأذنونك) فى التخلف (وهم اغنياء) واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم (رضوا) استئناف تعليل لما سبق كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا (بان يكونوا مع الخوالف) اى النساء رضى بالدناءة وايثار اللدعة (وطبع الله على قلوبهم) ومهر نهاد خداى تعالى از خذلان حتى غفلوا عن وخامة العاقبة (فهم) بسبب ذلك (لا يعلمون) ابدا غائلة مارضوا به وما يستتبعه آجلا كما لم يعلموا بخساسة شأنه آجلا قال ارسطو الارتقاء الى السودد صعب والانحطاط الى الدناءة سهل وسئل عيسى عليه السلام اى الناس اشرف فقبض قبضتين من تراب ثم قال اى هذين اشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب واكرمهم عند الله اتقاهم فالعلو والشرف فى التقوى واختيار المجاهدة على الراحة والحزن والبكاء على الفرح والسرور وفى الحديث اقرب الناس الى الله يوم القيامة من طال حزنه وعطشه وجوعه وقال حكيم الدنيا سوق الآخرة والعقل قائد الخير والمال رداء التكبر والهوى مركب المعاصى والحزن مقدمة السرور (قال الصائب) هر محنتى مقدمهٔ راحتى بود * شد همزبان حق چوزبان كليم سوخت وقد ذم الله تعالى اهل النفاق بالفرح والاستهزاء ومدح اهل الاخلاص بالحزن والبكاء وادى ضحك اولئك الى البكاء الكثير وبكاء هؤلاء الى الضحك الوفير (وفى المثنوى) تانكريد ابركى خندد چمن * تانكريد طفل كى جوشد لبن * هر كجا آب روان سبزه بود * هر كجا اشك روان رحمت بود * باش چون دولاب نالان چشم تر * تازصحن جان بررويد خضر * ثم ان الله تعالى انما يمنع المرء عن مراده ليستعد له وليزداد شوقه الا ترى الى النبى عليه السلام كيف قال لا اجد ما احملكم عليه عزة وترفعا واستغناء ودلالا كما قال تعالى لموسى عليه السلام عند سؤاله بقوله رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى ليزيد بهذا المنع والتعزز شوق موسى عليه السلام فكان منع النبى عليه السلام عنهم من هذا القبيل فزادهم الشوق والحرص على الغزو فلما غلب الشوق وزاد الطلب اعطوا امأمولهم واجيب سؤلهم كما سبق وهذه حال الصورة وقس عليها حال المعنى فكما ان الفرخ فى عالم الصورة لا يقدر على الطيران قبل نبات الجناح وهو من

الشعر

الشعر فكذا العاشق لا يقدر على الطيران فى عالم المعنى قبل وجود الجناح وهو من العلم والعمل والشوق الى المولى والتوجه الى الحضرة العليا وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جعفر بن ابى طالب ملكا يطير فى الجنة ذا جناحين يطير بهما حيث شاء مخضوبة قوادمه بالدماء قال الامام المنذرى وكان جعفر قد ذهبت يداه فى سبيل الله يوم موته فابدله الله بهما جناحين فمن اجل ذا سمى جعفر الطيار قال السهيلى ما ينبغى الوقوف اليه فى معنى الجناحين انهما ليسا كما سبق الى الوهم على مثل جناحى الطائر وريشه لان الصورة الآدمية اشرف الصور واكملها وفى قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته تشريف لها عظيم وحاشى الله من التشبيه والتمثيل ولكنها عبارة عن صورة ملكية وقوة روحانية اعطيها جعفر كما اعطيتها الملائكة وقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام واضمم يدك الى جناحك فعبر عن العضد بالجناح توسعا وليس ثمة طيران فكيف بمن اعطى القوة على الطيرانية مع الملائكة اخلق به اذن بوصف الجناح مع كمال الصورة الآدميه وتمام الجوارح البشريه وقد قال اهل العلم فى اجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من اجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة واحتجوا بقوله تعالى اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع فكيف تكون كاجنحة الطير على هذا ولم ير طائر له ثلاثة اجنحة ولا اربعة كيف بستمائة جناح كما جاء فى صفة جبريل فدل على انها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر ولا ورد ايضا فى بيانها خبر فيجب علينا الايمان بها ولا يفيدنا اعمال الفكر فى كيفيتها علما وكل امرئ قريب من معاينة ذلك فاما ان يكون من الذين تنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون واما ان يكون من الذين تقول لهم الملائكة وهم باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون كذا فى فتح القريب والله يهدى كل مريب

(تم الجزؤ العاشر فى اليوم الثانى من ذى الحجة المنتظم فى سلك شهور سنة احدى ومائة والف وذلك فى دار الواقعة ببلدة بروسة حماها الله والحمد لله تعالى)

(الجزؤ الحادى عشر من الثلاثين وهو قوله تعالى)

(يعتذرون) اى يعتذر المنافقون (اليكم) فى التخلف وكانوا بضعة وثمانين رجلا والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والآية نزلت قبل وقوع الاعتذار ولذا (قال الكاشفى) القاء اعتذار خواهند كرد منافقان بسوى شما (اذا رجعتم) من غزوة تبوك منتهين (اليهم) وانما لم يقل الى المدينة ايذانا بان مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر بالاعتذار قبل الرجوع اليها (قل) يا محمد والتخصيص لما ان الجواب من وظيفته عليه السلام (لا تعتذروا) اى لا تفعلوا الاعتذار لانه (لن نؤمن لكم) لن نصدقكم فى اعتذاركم لانه (قد نبأنا الله من اخباركم) اى اعلمنا بالوحى بعض اخباركم المنافية للتصديق وهو ما فى ضمائركم من الشر والفساد (وفى المثنوى) ازمنافق عذر رد آمد نه خوب * زانكه در لب بود آن نى درقلوب * كذب چون خس باشد ودل چون دهان * خس نكردد در دهان هركز نهان (وسيرى الله عملكم) فيما سيأتى (ورسوله) اتتوبون عن الكفر والنفاق ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة (ثم تردون) يوم القيامة (الى عالم الغيب) وهو ما غاب عن العباد (والشهادة) وهو ما علمه العباد (فينبئكم) عند ردكم اليه ووقوفكم بين يديه (بما كنتم تعملون) اى بما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وايثارها عليها للايذان بانهم ما كانوا عالمين فى الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ حين يرونها على صورها الحقيقية (سيحلفون بالله لكم) تأكيدا لمعاذيرهم الكاذبة القائلين والله ما قدرنا على الخروج ولو قدرنا عليه لما تخلفنا (اذا انقلبتم) اى انصرفتم من الغزو (اليهم) وهم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما (لتعرضوا عنهم) اعراض صفح وهو الاعراض عن الذنب وتركوا لومهم وتعنيفهم (فاعرضوا عنهم) لكن لا اعراض رضى كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب ومقت وتحقير (انهم رجس) اى كالنتن الذى يجب الاجتناب عنه وفيهم رجس روحانى وقال فى التبيان اى نجس وعملهم قبيح لا يتطهرون بالتقريع (ومأواهم) اى مصيرهم (جهنم) من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعى الاجتناب وموجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب (جزاء) اى يجزون جزاء (بما كانوا يكسبون) فى الدنيا من فنون السيئات (يحلفون) به تعالى (لكم) براى شما (لترضوا عنهم) بحلفهم الكاذبة ولتستديموا

عليهم ما كنتم تفعلون بهم (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) المتمردين فى الكفر فان رضاكم
لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه والمقصود من الاية نهى المخاطبين
عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه وآكده فان الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد
يصدر عن المؤمن كما فى الارشاد روى ان النبى عليه السلام حين قدم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم وفيه
اشارة الى هجر المنافق والمصر على ذنبه الى ان يتوب قال محمد الباقر رضى الله عنه اوصانى ابى زين العابدين رضى
الله عنه فقال لا تصحبن خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم فى الطريق لا تصحبن فاسقا فانه يبيعك باكلة فما دونها قلت
يا ابت وما دونها قال يطمع فيها ثم لا ينالها ولا تصحبن البخيل فانه يقطع بك احوج ما تكون اليه ولا تصحبن كذابا
فانه بمنزلة السراب يبعد عنك القريب ويقرب منك البعيد ولا تصحبن احمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك وقد قيل
عدو عاقل خير من صديق احمق ولا تصحبن قاطع رحم فانى وجدته ملعونا فى كتاب الله تعالى فى ثلاثة مواضع
ثم فى الآيات بيان ان الاعتذار الباطل مردود على صاحبه وان كان قبول العذر من اخلاق الكرام فى نفس
الامر (وفى المثنوى) عذر احمق بدتر از جرمش بود * عذر نادان زهر هر دانش بود * وبيان ان اليمين
الكاذبة لترويج عذره وغرضه باطلة ومذمومة بل رب يمين صادقة لا يتجاسر عليها من هو بصدد التقوى حذرا
من ابتذال اسم الله تعالى فلابد من ضبط اللسان وفى الحديث لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع
ما لا بأس به حذرا مما به بأس وبيان ان المنافقين رجس اى جعلوا على طينة خبيثة غير طيبة ولذا كسبوا
بخباثة تلك الطينة اعمالا خبيثة واوصافا ذميمة وبها صاروا مستحقين للنار مطلقا اى صورية وهى نار جهنم
ومعنوية وهى نار القطيعة والهجران من الله تعالى ومن الرسول عليه السلام والمؤمنين اجمعين شبلى ديد زنى
را كه مى كريد وميكويد ياويلاه من فراق ولدى شبلى كريست وكفت ياويلاه من فراق الاخدان زن
كفت چرا چنين ميكويى شبلى كفت تو كريه ميكنى بر مخلوقى كه هر آينه فانى خواهد شد من چرا كريه نكنم
بر فراق خالقى كه باقى باشد * فرزند ويار چونكه بميرند عاقبت * اى دوست دل مبند بجز حى لا يموت *
فعلى العاشق المهجور ان يبكى من الم الفراق ويبالغ فى الوجد والاشتياق لعل الله تعالى يزيل البين من البين
ويجعله بعد غمه وهمه قرير العين ويرضى عنه كما رضى عن الابرار والمقربين ولا يسخط عليه الى ابد الآبدين
(الاعراب) جمع اعرابى كما ان العرب جمع عربى والمجوس جمع مجوسى واليهود جمع يهودى بحذف ياء النسبة
فى الجمع والفرق بين العرب والاعراب ان العرب صنف خاص من بنى آدم سواء سكن البوادى ام القرى واما
الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادى فالعرب اعم وقيل العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى
والاعراب اهل البدو فيكونان متباينين اى اصحاب البدو (اشد كفرا ونفاقا) من اهل الحضر لان اهل البدو تشبه
الوحوش من حيث انهم مجبولون على الامتناع عن الطاعة والانقياد ولان استيلاء الهوى الحار اليابس عليهم
يزيدهم قساوة لقلوبهم وهى تستتبع التكبر والفخر والطيش عن الحق ولان من لم يدخل تحت تأدب مؤدب
ولم يخالط اهل العلم والمعرفة ولم يستمع كتاب الله ومواعظ رسوله كيف يكون مساويا لمن اصبح وامسى
فى صحبة اهل العلم والحكمة مستمعا لمواعظ الكتاب والسنة ولذا ورد فى الحديث اهل الكفور اهل القبور الكفور
جمع كفر وهى القرية لسترها الناس والمعنى ان سكان القرى بمنزلة الموتى لا يشاهدون الامصار والجمع
وفى الفردوس الاعلى يريد بها القرى البعيدة عن الامصار ومجتمع اهل العلم لكون الجهل عليهم اغلب وهم الى
البدع اسرع (قال فى المثنوى) ده مرو ده مرد را احمق كند * عقل را بى نور وبى رونق كند * قول
پيغمبر شنواى مجتبى * كور عقل آمد وطن در روستا * وان شئت ان تعرف الفرق بين اهل الحضر والبادية
فقابل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية قال فى الارشاد هذا من باب وصف الجنس بوصف بعض افراده
كما فى قوله تعالى وكان الانسان كفورا اذ ليس كل الاعراب كما ذكر على ما ستحيط به خبرا (قال الكاشفى) مراد
بنو تميم وبنو اسد وغطفان واعراب حوالئ مدينه اند نه تمام اهل باديه بلكه اين جمع مخصوص (واجدر ان
لا يعلموا) اى احق واولى ان لا يعلموا (حدود ما انزل الله على رسوله) اى حدود العبادات والشرائع المنزلة من
الله تعالى على رسوله فرائضها وسننها وذلك لكونهم ابعد عن استماع القرآن والسنن ولذلك تكره امامة الاعرابى
فى الصلاة كما فى الحدادى قال العلماء اذا كان الامام يرتكب المكروهات فى الصلاة كره الاقتداء به وينبغى

للناظر

للناظر وولى الامر عزله كما فى فتح القريب (والله عليم) باحوال كل من اهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب به
مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب قال فى التأويلات النجمية ان فى عالم الانسان بدوا وهو نفسه وحضرا
وهو قلبه كما ان فى عالم الصورة بدوا وحضرا والاعراب اشارة الى النفس وهواها وهو الكفر والنفاق لها ذاتى
كما ان الايمان للقلب ذاتى من فطرة الله التى فطر الناس عليها فيحتمل ان يصير القلب كافرا بسراية صفة النفس
اليه فيتلون بلون النفس (وفى المثنوى) اندك اندك آب را دزدد هوا * وين چنين دزدد هم احمق از شما *
كرمى ات را دزدد وسردى دهد * همچنان كوزى كه خود سنكى نهد * كما يحتمل ان تصير النفس مؤمنة لسراية
صفة القلب فتتلون بلون القلب مكوز نهارا صل عود چو پست * بين دو دش چه مستثنى وخوبست *
يعنى بسبب مجاورة كلاب وذلك مشهور والنفس تكون اشد كفرا ونفاقا من القلب وان كان كافرا كما ان القلب
يكون اشد ايمانا من النفس وان كانت مؤمنة واجدر يعنى النفس وصفاتها اولى من القلب ان لا يعلموا حدود
ما انزل الله على رسوله اى من الواردات النازلة على الارواح فان الروح بمثابة الرسول فى عالم الصورة والله عليم
حكيم فى ان يجعل بعض النفس الكافرة مؤمنة وبعض القلب المؤمن كافرا (ومن الاعراب) اى ومن جنس
الاعراب الذى نعت بنعت بعض افراده (من يتخذ ما ينفق) من المال اى يعد ما يصرفه فى سبيل الله ويتصدق به
صورة (مغرما) مصدر بمعنى الغرامة والغرم وهو ما ينوب الانسان فى ماله من ضرر لغير جناية ومن لا يؤمن
بالله واليوم الآخر ولا يرجو على انفاقه فى سبيل الله ثوابا ولا يخاف على تركه عقابا فلا جرم يعد ما انفقه غرامة
وضياع مال بلا فائدة وانما ينفق رياء او تقية (ويتربص بكم الدوائر) والتربص الانتظار والدوائر جمع دائرة
وهى ما يدور وحول الانسان من المصائب والآفات ومعنى تربص الدوائر انتظار المصائب بان تنقلب دولة
المسلمين بموت الرسول صلى الله عليه وسلم وغلبة الكفار عليهم فيتخلصوا من الانفاق بقول الفقير وهذا النفاق
موجود الآن الا ترى الى بعض المتسمين بسمة الاسلام كيف يتمنى ظهور الكفار ليتخلص من الانفاق والتكاليف
السلطانية ولذا لا يتصدق الا كرها خلصه الله وايانا من كيد النفس والشيطان وجعله الله وايانا من المحققين
بحقيقة الايمان (عليهم دائرة السوء) برايشان باد كردش روز كار بد ايشان منقلب شود فهو دعاء عليهم
بنحو ما ارادوا بالمؤمنين والسوء بالفتح مصدر ساءه نقيض سره ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة
ذاتا كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها وهى من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت فى الاصل
بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها (والله سميع) لما يقولون عند الانفاق مما لا خير فيه (عليم) بما يضمرونه
من الامور الفاسدة التى من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر (ومن الاعراب) اى من جنسهم على الاطلاق كما فى
الارشاد من اسد وجهينة وغفار واسلم كما فى التبيان (من يؤمن بالله واليوم الآخر) قال فى الروضة سمع اعرابى
قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا فانقبض ثم سمع ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله
اكبر هجانا الله ثم مدحنا (ويتخذ ما ينفق) اى ينفقه فى سبيل الله (قربات) اى سبب قربات وذرائع اليها وهى
ثانى مفعولى يتخذ (عند الله) صفتها قال الحدادى اى يتخذ نفقته فى الجهاد تقربا الى الله تعالى فى طلب المنزلة
عنده والثواب والجمع باعتبار انواع القربات او افرادها وفيه اشارة الى الحديث القدسى من تقرب الى شبرا
تقربت اليه ذراعا (وصلوات الرسول) اى وسائل اليها وسببها فانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير
والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق وهو من يأخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق اى معطى الصدقة عند
اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلى عليه كما فعله عليه السلام حين قال اللهم صل على آل ابى اوفى فان ذلك منصبه
فله ان يتفضل به على من يشاء (الا) كلمة تنبيه (انها) اى النفقة المدلول عليها بما ينفق والتأنيث باعتبار الخبر
(قربة) عظيمة (لهم) اى سيقربهم الله بهذا الانفاق اذا فعلوه وهو شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة
ما اعتقدوه من كون ما ينفقونه فى سبيل الله سبب قربات وتصديق لرجائهم (سيدخلهم الله فى رحمته) وعد لهم
باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة والسين لتحقيق الوعد لانها فى الاثبات بمنزلة لن فى النفى (وقال
الكاشفى) زود باشد كه در آرد خداى تعالى ايشانرا در بهشت خود كه محل نزول رحمتست (ان الله غفور)
آمرزنده است مر متصدقانرا (رحيم) مهربانست بر متقربان واعلم ان فضل الصدقة والانفاق لا يخفى
على احد حكى انه وقع القحط فى بنى اسرائيل فدخل فقير سكة من السكك وكان فيها بيت غنى فقال تصدقوا

على لاجل الله فاخرجت اليه بنت الغنى خبزا حارا فاستقبله الغنى فقال من دفع اليك هذا الخبز فقال ابنة من
هذا البيت فدخل وقطع يد ابنته اليمنى فحول الله حاله فافتقر ومات فقيرا ثم ان شابا غنيا استحسن الابنة لكونها
حسناء فتزوجها وادخلها داره فلما جن الليل احضرت مائدة فمدت اليد اليسرى فقال الغنى سمعت ان الفقراء
يكونون قليل الادب فقال مد يدك اليمنى فمدت اليسرى ثانيا وثالثا فهتف بالبنت هاتف اخرجي يدك اليمنى
فالرب الذى اعطيت الخبز لاجله رد عليك يدك اليمنى فاخرجت يدها اليمنى بامر الله تعالى وا كات كذا فى روضة
العلماء ففى الحكاية ان من آتاه الله تعالى نعمة فلم يؤد شكرها عوقب بزوالها الاترى الى بلعم لم يشكر نعمة
الاسلام فقبضه الله على ملة الكفر كما فى منهاج العابدين فان من طلب رضى الله تعالى فى كل فعل وترك جبر
الله كسوره وان الاكل باليسرى خلاف الادب فان الشيطان يأكل بيساره الا ان يكون معذورا بسبب من
الاسباب (وفى المثنوى) كفت پيغمبر كه دائم بهر پند * دو فرشته خوش منادى ميكنند * كاى
خدايا منفقانرا سير دار * هر درمشان را عوض ده صد هزار * اى خدايا ممسكانرا در جهان * تو
مده الا زيان اندر زيان * آن درم دادن سخى را لايق است * جان سپردن خود سخاى عاشق است * نان
دهى از بهر حق نانت دهند * جان دهى از بهر حق جانت دهند * هركه كارد كردد انبارش تهى *
ليكش اندر مزرعه باشد بهى * وانكه در انبار ماند وصرفه كرد * اسپش وموش وحوادثهاش خورد
قيل ما منع مال من حق الاذهب فى باطل اضعافه قال على رضى الله عنه فرض فى اموال الاغنياء اقوات
الفقراء فما جاع فقير الا بما منع غنى والله سائلهم عن ذلك (والسابقون الاولون من المهاجرين) والمراد قدماء
الصحابة وهم الذين سبقوا الى الايمان وصلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا وكان اول من اسلم خديجة رضى الله عنها
وعليه الجمهور (والانصار) اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين
آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة معصب بن عمير كما سيأتى وانما مدح السابقين لان السابق امام للتالى والفضل
للمتقدم (والذين اتبعوهم باحسان) اى ملتبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من
الفريقين وقيل المراد بهم جميع الصحابة من المهاجرين والانصار فانهم سابقون الى الاسلام بالنسبة الى سائر
المسلمين فمن بيانية والتابعون هم اهل الايمان الى يوم القيامة (رضى الله عنهم) خبر للمبتدأ اى رضى عنهم بقبول
طاعتهم وارتضاء اعمالهم (ورضوا عنه) بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية (واعد لهم) وآماده كرد خداى
تعالى مر ايشانرا (جنات تجرى تحتها الانهار) بستانها كه ميرود در زير درختان آن جويها القراء
يقرؤن تحتها الانهار فى هذا الموضع بغير من الا ابن كثير فانه يقرأ من تحتها كما هو فى سائر المواضع (خالدين فيها)
مقدرا خلودهم فى تلك الجنات (ابدا) من غير انتهاء فهو لاستغراق المستقبل كما ان الازل لاستغراق الماضى
ولا استعمالهما فى طول الزمانين جدا قد يضافان الى جمعهما فيقال ابد الآباد وازل الآزال واما السرمد
فلاستغراق الماضى والمضارع (ذلك) اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل
الكرامة العظمى (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه واعلم انه عليه السلام اوحى اليه وهو ابن اربعين سنة
فى مكة فبايعه جماعة من الناس فعدا عليهم كفار قريش فظلموهم ليردوهم الى ما كانوا عليه فامرهم النبى عليه
السلام بالهجرة الى ارض الحبشة وملكها وهو النجاشى فخرجوا نحوا من ثمانين رجلا من رجب من السنة
الخامسة من النبوة وهذه هى الهجرة الاولى ثم بايعه فى كل واحدة من العقبتين جمع من الانصار وكانت بيعة
العقبة الاولى فى سنة احدى عشرة من النبوة وبيعة العقبة الثانية فى السنة الثانية عشرة ولما انصرف اهل
العقبة الثانية الى المدينة بعث عليه السلام معهم مصعب بن عمير ليفقه اهلها ويعلمهم القرآن فاسلم خلق كثير
منهم وسمى اهل المدينة انصارا مع ان المهاجرين ايضا نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم نصروه عليه
السلام والذين هاجروا اليهم من المؤمنين لما جاؤهم فآووهم ونصروهم ثم اجتمعوا جميعا على نصرته صلى الله
عليه وسلم فى الغزوات ثم هاجر عليه السلام الى المدينة فى السنة الرابعة عشرة من النبوة وهى الهجرة الثانية
واما تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة فهو وقع يوم الثلاثاء من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من
مقامه بالمدينة وفى هذه السنة وقعت غزوة بدر الكبرى فى شهر رمضان فى تاسع عشره وكانت غزوة الحديبية
فى سنة ست من الهجرة وفيها وقعت بيعة الرضوان قيل اجمع اصحابنا على ان افضل هذه الامة الخلفاء الاربعة

ثم الستة الباقون الى تمام العشرة ثم البدريون ثم اصحاب احد ثم اهل بيعة الرضوان بالحديبية وفى السابقون
وجوه اخر السابقون اى الذين سبقت لهم العناية الازلية كما قال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الاولون فى سبق العناية لهم وايضا والسابقون فى الخروج من العدم الاولون عند الخروج وهم اهل الصف
الاول فى عالم الارواح اذ كانت الارواح صفوفا كالجنود المجندة وايضا السابقون فى الخروج من صلب آدم
عند اخذ ذرات ذرياته من صلبهم الاولون عند استماع خطاب ربهم وايضا السابقون الاولون عند تخمير طينة
آدم بيده اربعين صباحا بمماسة ذراتهم بيد القدرة وباستكمال تصرف القدرة فى كمال الاربعين وايضا
السابقون عند رجوعهم بقدم السلوك الى حضرة الربوبية على اقرانهم الاولون بالوصول الى سرادقات الجلال
واعلم ان هذا السبق مخصوص بالنبى عليه السلام وامته كما اخبر بقوله نحن الآخرون السابقون اى
الآخرون خروجا فى الصورة السابقون دخولا فى المعنى قال فى فتح القريب نحن الآخرون فى الزمان والوجود
واعطاء الكتاب والاولون يوم القيامة اى بالفضل ودخول الجنة وفصل القضاء فتدخل هذه الامة الجنة قبل
سائر الامم انتهى فالسبق اما بالقدم واما بالهمم والثانى هو المرجح المقدم يحكى عن ابى القاسم الجنيد قدس سره
قال كنت ابكر الجامع فاسمع قد سبقت يا ابا القاسم فاقدم الوقت فى الجمعة الثانية فاسمع قد سبقت يا ابا القاسم
فلم ازل كذلك حتى اصلى الصبح فى الجامع فسمعت قد سبقت يا ابا القاسم فسألت الله ان يعرفنى من يسبقنى مع
بكورى فهتف بى هاتف من زاوية المحراب الذى سبقك هو الذى يخرج آخر الناس فصليت الجمعة ثم جلست
الى العصر فصليت جماعة ثم جلست الى ان خرج الناس وفى آخرهم شيخ هم اى كبير فتعلقت به فقلت له يا شيخ
متى تحضر الجماعة قال وقت الزوال قلت فباى شئ تسبقنى فقد دللت عليك فقال يا ابا القاسم انا اذا اخرجت
من الجامع نويت ان بقيت الى يوم مثله حضرت الجامع قال فعرفت ان السبق بالهمم لا بالقدم (قال فى
المثنوى) اول فكر آخر آمد در عمل * خاصه فكرى كو بود وصف ازل * دل بكعبه ميرود
در هر زمان * جسم طبعى دل بكير د زامتنان * اين دراز وكوتهى مر جسم راست * چه دراز
وكوته آنجا كه خداست * چون خدا مر جسم را تبديل كرد * رفتنش بى فرسخ وبى ميل كرد (وممن
حولكم) خبر مقدم لقوله منافقون اى حول بلدتكم يعنى المدينة (من الاعراب) من اهل البوادى وقد سبق
الفرق بينه وبين العرب (منافقون) وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن اهل
المدينة) قوم (مردوا على النفاق) خو كرده اند واقامت على نموده بر نفاق نادر منافقى ماهر شده اند والمرود على
الشئ التمرن عليه والمهارة فيه باعتياده والمدينة اذا اطلقت اريد بها دار الهجرة التى فيها بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومنبره وقبره من مدن بالمكان اذا اقام به فتكون الميم اصلية والجمع مدن بضم الدال واسكانها
ومدآئن بالهمزة او من دان اذا اطاع والدين الطاعة فتكون الميم زآئدة والجمع مداين بلا همز كمعايش بالياء
ولها اسماء كثيرة منها طابة وطيبة بفتح الطاء وسكون الياء لخلوها من الشرك او لطيبها بساكنيها لامنهم ودعتهم
او لطيب عيشها فيها او لكونها طاهرة التربة او من النفاق وفى الحديث تنفى الناس اى شرارهم كما ينفى الكير
خبث الحديد وفى الحديث ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها تدخل بلا اعوج والمراد
بالمدينة جميع الشأم فانها من الشأم خص المدينة بالذكر لشرفها فعلى هذا تكون المدينة شامية كما ذهب اليه
ابن ملك قال النووى ليست شامية ولا يمانية بل هى حجازية وقال الشافعى مكة والمدينة يمانيتان (لا تعلمهم)
بيان لقوله مردوا على النفاق اى بلغوا من المهارة فى النفاق الى حيث خفى نفاقهم عليك مع كمال فطنتك وقوة
فراستك فالمراد لا تعرف حالهم ونفاقهم (نحن نعلمهم) منافقين ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك
لم يقدروا ان يلبسوا علينا (سنعذبهم) السين للتأكيد (مرتين) روى انه عليه السلام قام خطيبا يوم الجمعة
فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول
والعذاب الثانى عذاب القبر وفى بعض الآثار ان المنافق يسأل اربعين يوما فلا يقدر على الجواب ويجوز
ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما فى قوله تعالى فارجع البصر كرتين اى كرة بعد اخرى (ثم يردون) يوم
القيامة (الى عذاب عظيم) هو عذاب النار وبحقيقت عذاب عظيم بعد ايشان است از درگاه عزت ومحجوبيت
ايشان از نور لقا ورؤيت وهيچ عذابى از نكبت حرمان ومشقت هجران بزرگتر نيست * از فراق تلخ ميكويى سخن

*هرچه خواهی كن وليكن اين مكن * تلخ تراز زهر هجران هيچ نيست * درفراقت غير بيچا پيچ نيست * صد
هزاران مرك تلخ ازشوق تو * نيست مانند فراق روى تو * جور دوران وهران رنجى كه هست * سهلتر از بعد حق
وغفلت ست * ازفراق اين خاكها شوره شود * جمله ذوقها ازفراق غوره شود (وآخرون) اى ومن اهل المدينة
قوم آخرون (اعترفوا) اقروا (بذنوبهم) التى هى تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار
المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى
المسجد عند ما بلغهم ما نزل فى المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره فدخل المسجد اولا فصلى
ركعتين حسب عادته الكريمة ورآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله واقسموا ان
لا يطلقوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقهم فقال عليه السلام وانا اقسم ان لا احلهم حتى أؤمر فيهم
فنزلت فاطلقهم واعذرهم (خلطوا عملا صالحا) هو ماسبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازى
السابقة وما لحق من الاعتراف بذنوبهم فى التخلف عن هذه المرة وتذممهم وندامتهم على ذلك (وآخر سيئا) هو
ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا وآخرا فيدخل فيه التخلف من غزوة تبوك وتبديل الواو بالباء حيث لم يقل
بآخر يؤذن بكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به وهو ابلغ فان قولك خلطت الماء باللبن يقتضى ايراد الماء على
اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما
بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به قال الحدادى يقال خرجوا الى الجهاد مرة وتخلفوا مرة
فجمعوا بين العمل الصالح والعمل السيء كما يقال خلط الدنانير والدراهم اى جمعهما وخلط الماء واللبن
اى احدهما بالآخر (عسى الله ان يتوب عليهم) ان يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم (ان الله غفور
رحيم) يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها
للاطماع الذى هو من اكرم الاكرمين ايجاب واى ايجاب قال الحدادى وانما ذكر لفظ عسى ليكون الانسان
بين الطمع والاشفاق فيكون ابعد من الاتكال والاهمال چون بدئ كاهرا دانى * كشدت جانب پشيمانى *
ورندانى كاهرا كه بدست * آن نشان شقاوت ابدست * اعلم ان بعض النفوس منافق وبعضها
كافر وبعضها مؤمن فالمنافق منها كالصفة الحيوانية من الشهوات فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب
على النفس بسياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهرا لا حقيقة لانها لا تتبدل بالكلية بحيث تنزع عنها الشهوة
بل تكون مغلوبة والكافر منها كالصفة البهيمية فى طلب الاغتذاء من طلب المأكول والمشروب فانها لا تتبدل
بضدها وهو الاستغناء عن الاكل والشرب لحاجة الجسد الى الغذاء بدل ما يتحلل من الجسد والمؤمن منها
كالصفة السبعية والشيطانية من الغضب والكبر والعداوة والخيانة فانها تحتمل ان تتبدل باضدادها من الحلم
والتواضع والمحبة والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور الاسلام وترشح نور الايمان على القلب وانشراح
الصدر بنور ربها وهذه الصفات وغيرها من صفات النفس اذا لم تتبدل بالكلية اولم تكن مغلوبة بانوار صفات
القلب ففيها بعض النفاق كما جعل النبى عليه السلام الكذب والخيانة وخلف الوعد والغدر من النفاق فقال اربع
من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا وعد اخلف واذا عاهد
غدر ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها فعلى العاقل ان يجتهد باحكام الشريعة
وآداب الطريقة الى ان يحصل الخلاص من النفاق بالكلية ثم ان الاعتراف بالخطيئة ميراث للمؤمن من ابيه
آدم عليه السلام روى انه بكى على ذنبه مائتى سنة حتى قبل الله توبته وغفر ذنبه ولذا قالوا ينبغى للتائب ان يكثر
البكاء والتذلل عند التوبة ويصلى على النبى عليه السلام فانه شفيع لكل نبى وولى ولذا توسل به آدم الى الله
تعالى حيث قال الهى بحق محمد ان تغفر لى ويستغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات ومعنى الاستغفار سؤال العبد
ربه ان يغفر له ذنوبه ومعنى مغفرته لذنوب عباده ان يسترها عليهم بفضله ولا يكشف امورهم لخلقه ولا يهتك
سترهم ومن شرط التوبة ان لا يتعمد ذنبا فان وقع منه بسهو او خطأ فهو معفو عنه بفضل الله تعالى (قال
الحافظ) جايى كه برق عصيان برادم صفى زد * مارا چكونه زيبد دعوى بى كناهى (خذ) يا محمد (من
اموالهم) اى من اموال هؤلاء المتخلفين المعترفين بذنوبهم (صدقة) حال كونك (تطهرهم) اى عما تلطخوا به
من اوصاف التخلف (وتزكيهم بها) اى تنمى بتلك الصدقة واخذها حسناتهم وترفعهم الى مراتب المخلصين

روى

روى انه لما حلهم النبى عليه السلام من وثاقهم وتاب الله عليهم راحوا الى منازلهم وجاؤا باموالهم كلها وقالوا
يا رسول الله هذه اموالنا خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا فكره النبى عليه السلام ذلك فنزلت هذه الآية
فاخذ رسول الله ثلث اموالهم لتتكمل به توبتهم ويكون جاريا مجرى الكفارة لتخلفهم فهذه الصدقة ليست
الصدقة المفروضة فانها لا تؤخذ هكذا وقيل هذا كلام مبتدأ نزل لايجاب اخذ الزكاة من الاغنياء عليه وان
لم يتقدم ذكرهم كقوله انا انزلناه فى ليلة القدر لدلالة الحال على ذلك والمعنى خذ من اموال اغنياء المسلمين
صدقة اى زكاة وسميت بها لدلالتها على صدق العبد فى العبودية واليه ذهب اكثر الفقهاء قال فى الاختيار
من امتنع عن اداء الزكاة اخذها الامام كرها ووضعها موضعها لقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة وفى الاشباه
المعتمد فى المذهب عدم الاخذ كرها قال فى المحيط ومن امتنع من اداء الزكاة فالساعى لا يأخذ منه كرها
ولو اخذ لا يقع عن الزكاة لكونها بلا اختيار ولكن يجبره بالحبس ليؤدى بنفسه انتهى قال فى المبسوط
وما يأخذه ظلمة زماننا من الصدقات والعشور والجزية والخراج والجبايات والمصادرات فالاصح ان يسقط جميع
ذلك عن ارباب الاموال اذا نووا عند الدفع التصدق عليهم وقيل علم من يأخذه بما يأخذ شرط فالاحوط
ان يعاد (وصل عليهم) اى ادع لهم بالخير والبركة واستغفر لهم (ان صلاتك سكن لهم) تسكن اليها نفوسهم
وتطمئن بها قلوبهم فهو فعل بمعنى مفعول كالنقض بمعنى المنقوض (والله سميع) باعترافهم (عليم) بندامتهم
قال فى الكافى الصلاة على الميت مشروعة بقوله تعالى وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله عليه السلام
صلوا على كل بر وفاجر روى ان آدم عليه السلام لما توفى اتى بحنوط وكفن من الجنة ونزلت الملائكة فغسلته
وكفنته فى وتر من الثياب وحنطوه وتقدم ملك منهم فصلى عليه وصلت الملائكة خلفه وفى رواية قال ولده شيث
لجبريل عليه السلام صل عليه فقال له جبريل تقدم انت فصل على ابيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة ثم اقبروه
ثم الحدوه ونصبوا اللبن عليه وابنه شيث الذى هو وصيه معهم فلما فرغوا قالوا له هكذا فاصنع بولدك واخوتك
فانها سنتكم ومنه يعلم ان الغسل والتكفين والصلاة والدفن واللحد من الشرائع القديمة وقال بعضهم صلاة
الجنازة من خصائص هذه الامة ولا منافاة لانه لا يلزم من كونها من الشرائع القديمة ان تكون معروفة لقريش
اذ لو كانت كذلك لفعلوا ذلك وفى كلام بعضهم كانوا فى الجاهلية يغسلون موتاهم وكانوا يكفنونهم ويصلون
عليهم وهو ان يقوم ولى الميت بعد ان يوضع على سريره فيذكر محاسنه كلها ويثنى ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن
روى ان النبى عليه السلام لما قدم المدينة وجد البراء بن معرور رضى الله عنه قد مات فذهب رسول الله واصحابه
فصلى على قبره وكبر فى صلاته اربعا فصلاة الجنازة فرضت فى السنة الاولى من الهجرة على ما قالوا ومن انكر
فرضية صلاة الجنازة كفر كما فى القنية وههنا ابحاث الاول ان غسل الميت شريعة ماضية والنية لا تشترط
لصحة الصلاة عليه وتحصيل طهارته وانما هى شرط لاسقاط الفرض عن ذمة المكلفين اى بغسله فان غسل
الميت فرض كفاية فاذا تركوا النية فى الغسل يسقط الفرض عن ذمة الغاسل وغيره فينبغى ان يقول نويت الغسل
لله تعالى وانما يغسل الميت لانه يتنجس بالموت كسائر الحيوانات الدموية الا انه يطهر بالغسل كرامة له ولو وجد
ميت فى الماء فلابد من غسله لان الخطاب بالغسل توجه لبنى آدم ولم يوجد منهم فعل وقيل ان الميت اذا
فارقته الروح وارتاح من شدة النزع انزل فوجب على الاحياء غسله كما فى اسئلة الحكم يقول الفقير فيه نظر
لانه انما يجب الاغتسال بالمنى اذا كان بشهوة عند الحنفية ولم يوجد فى الميت اللهم الا ان يحمل على مذهب
الشافعى فان المنى عنده كيفما كان يوجب الاغتسال حتى لو حمل حملا ثقيلا فخرج منه المنى يجب عنده وينبغى
ان يكون المغسول مسلما تام البدن او اكثره وفى حكمه النصف مع الرأس فلا يغسل الكافر والنصف بلا رأس
وان يكون الغاسل يحل له النظر الى المغسول فلو ماتت امرأة فى السفر يممها ذو رحم محرم منها وان لم يوجد
لف اجنبى على يده خرقة ثم يممها وان ماتت امة يممها اجنبى بغير ثوب وكذا لو مات رجل بين النساء يممته ذات
رحم محرم منه او امته بغير ثوب ولو مات غير المشتهى او المشتهاة غسله الرجل والمرأة وعن ابى يوسف ان
الرضيعة يغسلها ذو الرحم وكره غيره ولا يغسل زوجته وتغسل زوجها الا اذا ارتفعت الزوجية بوجه ويستحب
ان يكون الغاسل اقرب الى الميت فان لم يعلم فاهل الورع والامانة وان يوضع الميت عند الغسل بموضع خال من
الناس مستور عنهم لا يدخله الا الغاسل ومن يعينه كما فى السيرة الحلبية ولو اختلط موتى المسلمين وموتى الكفار

فمن كانت عليه علامة المسلمين صلى عليه ومن كانت عليه علامة الكفار ترك ومن لم يكن عليه علامة والمسلمون اكثر غسلوا وكفنوا وصلى عليهم وينوون بالصلاة والدعاء للمسلمين دون الكفار ويدفنون فى مقابر المسلمين وان كان الفريقان سوآء او كانت الكفار اكثر لم يصل عليهم ويغسلون ويكفنون ويدفنون فى مقابر المشركين ومن استهل بعد الولادة غسل وسمى وصلى عليه والا غسل فى المختار وادرج فى خرقة ولا يصلى عليه ولو مات لمسلم قريب كافر غسله غسل النجاسة ولفه فى خرقة والقاه فى حفرة او دفعه الى اهل دينه قال القهستانى لا يجب غسل كافر اصلا وانما يباح غسل كافر غير حربى له ولى مسلم كما فى الجلابى والشهيد لا يغسل ويغسل الشهيد الجنب عنده خلافا لهما واذا انقطع الحيض والنفاس فاستشهدت فعلى هذا الخلاف واذا استشهدت قبل الانقطاع تغسل على الاصح ولو مات بغير قتل ولو فى المعركة غسل ولو قتل برجم او قصاص او تعزير او افتراس سبع او سقوط بناء او غرق او طاق او نحوها غسل بلا خلاف كما لو قتل لبغى او قطع طريق غسل فى رواية ولا يصلى عليه فى ظاهر الرواية وعند ابى حنيفة فى الصلاة على المصلوب روايتان ولو قتل نفسه خطأ يصلى عليه بلا خلاف ولو تعمد فالاصح لا يصلى عليه لانه لا توبة له والصلاة شفاعة والثانى ان الصلاة على الميت فرض كفاية عند العامة ووقتها وقت حضوره ولذا قدمت على سنة المغرب كما فى الخزانة وفى الحديث اسرعوا بالجنازة واهل مكة فى غفلة عن هذا فانهم غالبا يجيئون بالميت بعيد الظهر او وقت التسبيح فى السحر وقد يكون مات قبل هذا الوقت بكثير فيضعونه عند باب الكعبة حتى يصلى العصر او الصبح ثم يصلى عليه كما فى المقاصد الحسنة بقول الفقير واهل كل بلدة فى غفلة عن هذا فى هذا الزمان سامحهم الله تعالى وتجوز صلاة الجنازة حين طلوع الشمس واستوآئها وغروبها بلا كراهة ان حضرت فى هذه الاوقات وان حضرت قبلها اخرت ويقوم الامام حذآء الصدر لانه محل العلم ونور الايمان ويكبر ويثنى اى يقول الامام والمؤتم والمنفرد سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وقوله وجل ثناؤك لم يذكر فى الاحاديث المشهورة فلم يأت به مصلى الفرض ولا بأس للمتنفل باتيانه لان النفل مبنى على التوسيع فيجوز فيه ما لا يجوز فى الفرض قال الحلبى الاولى تركه الا فى صلاة الجنازة ثم يكبر ويصلى على النبى عليه السلام بما يحضره كما فى الجلابى او بما يصلى به فى الفرض كما فى المستصفى فيقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد والمعنى اللهم صل على محمد صلاة كاملة كما دل عليه الاطلاق وقوله وعلى آل محمد من عطف الجملة اى وصل على آله مثل الصلاة على ابراهيم وآله فلا يشكل بوجوب كون المشبه به اقوى كما هو المشهور كما فى القهستانى ثم يكبر ويدعو للميت او لكل مسلم ولو حيا ويسن الدعاء المعروف اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وانثانا اللهم من احييته منا فاحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان وخص هذا الميت بالرحمة والغفران والروضة والرضوان اللهم ان كان محسنا فزد فى احسانه وان كان مسيئا فتجاوز عنه برحمتك يا ارحم الراحمين كما فى عيون الحقائق وفى الصبى والمجنون لا يستغفر لهما لعدم ذنبهما بل يقول اللهم اجعله لنا فرطا واجعله لنا اجرا وذخرا واجعله لنا شافعا مشفعا اى مقبول الشفاعة ومن لم يحسن قال اللهم اغفر لى ولوالدى ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات برحمتك يا ارحم الراحمين وروى انه صلى الله عليه وسلم لما ادرج فى اكفانه ووضع على سريره ثم وضع على شفير قبره المنور وذلك يوم الثلاثاء دخل عليه ابو بكر رضى الله عنه مع نفر من المهاجرين والانصار بقدر ما يسع البيت وذلك بعد ما بويع له بالخلافة وصلى على النبى عليه السلام باربع تكبيرات وضمن صلاته هذا الدعاء وهو اللهم انا نشهد انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما انزل الله عليه ونصح لامته وجاهد فى سبيل الله حتى اعز الله دينه وتمت كلمته فاجعلنا الهنا ممن تبع القول الذى انزل معه واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به فانه كان بالمؤمنين رؤفا رحيما لا نبتغى بالايمان به بدلا ولا نشترى به ثمنا ابدا وانما خصوا هذا الدعاء بالذكر لانه الذى يليق به صلى الله عليه وسلم ومن ثمة استشاروا كيف يدعون له فاشير بمثل ذلك ثم يكبر ويسلم تسليمتين عن يمين وشمال بنية من ثمة الا الميت غير رافع صوته مثل سائر الصلوات ويسن خفض الثانية ويرسل بعد الرابعة يديه لانه ليس بعدها ذكر والركن هو التكبيرات الاربع واما الثناء والصلاة والدعاء والسلام فسنن كما فى الجلابى ولا يرفع يديه

الا فى التكبير الاول لانه شرع بين كل تكبيرتين ذكر مقدر فاذا فرغ منه علم انه جاء اوان الآخر قال فى الاشباه لو قرأ الفاتحة فى صلاته على الجنازة ان قصد الثناء والدعاء لم يكره وان قصد القرآءة كره انتهى واذا ادرك الامام فى الصلاة وقد سبق ببعض تكبيراتها ينتظر تكبيرة اخرى فيتابع الامام فيها ثم يأتى بما سبق بعد سلام الامام متواليا وعند ابى يوسف والشافعى لا ينتظر بل يكبر ويشرع معه واما اذا ادرك بعد الرابعة لا يكبر عندهما لفوات الصلاة عليه ويكبر عند ابى يوسف فاذا سلم الامام قضى ثلاث تكبيرات ولو كان حاضرا وقت التحريمة ولم يكبر مع الامام للافتتاح فهو لا ينتظر تكبير الامام بل يشرع ويكبر ولو اجتمعت الجنائز يصلى عليهم دفعة واحدة كذا فى المحيط والصلاة على الكبير افضل من الصلاة على الصغير كما فى المضمرات والثالث ما الحكمة فى عدم فرض الركوع والسجود فى صلاة الجنازة قيل لان صلاة الجنازة دعاء وثناء واستشفاع للميت والركوع والسجود خاص بالتعبد لله تعالى من غير واسطة اختص به الملة المحمدية لان السجدة كانت تجوز لتعظيم المخلوق فى الملة السابقة ونحن نهينا عن الركوع والسجود لغير الله تعالى وقيل لان الميت اعترض بين المصلى وبين الله تعالى فلو امر بالركوع والسجود لتوهم الاعدآء والجهلة انه للميت كما توهم الشيطان من سجود الملائكة انه لآدم عليه السلام فابى حسدا او عصى جهلا وان كان ساجدا متعبدا قبل ذلك فافتتن بجهله وحسده باحتجابه عن المسجود له فى الحقيقة انه الحق وقالب آدم بمنزلة المحراب (قال الجامى) اى آنكه بقبله بتان روست ترا * برمغز چرا حجاب شد پوست ترا * دل در پى اين وآن نه نيكوست ترا * يكدل دارى بس ست يك دوست ترا (وقال غيره) از ان محراب ابرو رومكردان * اكر در مسجدى ور در خراباتى * والرابع انه يستحب جعل الصفوف فى الصلاة على الميت ثلاثة وفى الحديث ما من مسلم يموت فيصلى عليه امة يبلغون ثلاثة صفوف الا غفر الله له قال الطبرانى فى معجمه الامة اربعون الى المائة وجاء التصريح بالعدد فى حديث مسلم وهو ما من مسلم يصلى عليه اربعون الا شفعوا فيه اما سر تثليث الصفوف فلان ذلك من باب التوسع فى الرجاء كانهم يقولون جئنا لك ثلاثة صفوف شافعين فلا تردنا خائبين وهذا مثل تكثير الخطى الى المساجد فانه يستحب تقصير الخطى فى المشى الى المسجد لانه يكتب له بكل خطوة حسنة ويحط عنه سيئة ويرفع له درجة فهو من باب التوسع فى الرجاء واذا استحب جعل الصفوف ثلاثة فالظاهر انهم فى الفضيلة سوآء ولا مزية حينئذ للصف المقدم لانهم مأمورون بالتأخر وقال الحلبى افضل صفوف الجنازة آخرها بخلاف سائر الصلوات فان الصف الاول اعلم بحال الامام فتكون متابعته اكثر وثوابه اوفر وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى عليه السلام انه قال اول زمرة تدخل المسجد هم اهل الصف الاول وان صلوا فى نواحى المسجد كما فى خالصة الحقائق واما سر الاربعين فلانه لم يجتمع قط اربعون الا وفيهم عبد صالح كما فى اسئلة الحكم وتحصل الشفاعة باقل الامرين من الثلاثة الصفوف والاربعين كما فى فتح القريب والمستحب هو الاول كما سبق والخامس ان فى الدعاء والاستغفار نفعا للميت ويصل ثواب جميع القرب اليه بدنيا كان او ماليا كالصدقة والعتق والصلاة والصيام والحج والقرآءة واجمع المسلمون على ان قضاء الدين يسقط عن ذمة الميت التبعة وينفعه ذلك حتى ولو كان من اجنبى او من غير تركته واجمعوا على ان الحى اذا كان له على الميت حق من الحقوق فاحله منه ينفعه ويبرأ منه كما يسقط من ذمة الحى قال ابن الملك اعلم ان جعل الانسان ثواب عمله لغيره صلاة كان او صدقة او غيرهما جائز عند اهل السنة خلافا للمعتزلة لهم ان الثواب هو الجنة ولا قدرة للانسان على تمليكها ولنا انه عليه السلام ضحى بكبشين املحين احدهما لنفسه والآخر عن امته المؤمنين فالاعتراض على الشارع باطل اذ العبادة انواع بدنية محضة كالصلاة فالنيابة لا تجوز فيها لان الغرض منها وهو اتعاب النفس الامارة لا يحصل ونوع منها مالية محضة كالزكاة فالنيابة فيها تجوز لان الغرض منها وهو اغناء الفقير يحصل بالنيابة لكن لا تؤخذ من تركته بغير وصية ونوع منها مركبة منهما كالحج فمن حيث انه متعلق بالبدن لا تجوز فيه النيابة عند الاختيار ومن حيث انه متعلق بالمال جاز فيه النيابة عند الاضطرار وهو العجز الدآئم من ادآئه هذا فى الحج الفرض واما فى النفل فالنيابة جائزة مع القدرة لان فى النفل سعة قال فى فوآئد الفتاوى الاولى ان يوصى باسقاط صلاة عمره بعد البلوغ وان صلاها بغير ترك لاحتمال الفساد او النقصان فى اركانها انتهى واذا اوصى رجل ان يطعم عنه وليه الصلاة الفائتة بعد موته فالوصية جائزة ووجب تنفيذها من ثلث ماله

يعطى عن كل مكتوبة نصف صاع من الحنطة وفى صوم النذر كذلك ولا يجوز ان يصوم عنه الولى كما لا تجوز صلاته له لقوله عليه السلام لا يصوم احد ولا يصلى احد عن احد قال القهستانى والقياس انه لا يجوز الفداء عن الصلاة واليه ذهب البلخى كما فى قاضى خان والاستحسان ان يجوز الفداء عنهما اما فى الصوم فلورود النص واما فى الصلاة فلعموم الفضل ولذا قال محمد انه يجزى بها ان شاء الله تعالى وينبغى ان يفدى قبل الدفن وان جاز بعده وقال فى الاشباه اذا اراد الفدية عن صوم ابيه او صلاته وهو فقير يعطى منوين من الحنطة فقيرا ثم يستوهبه ثم يعطيه وهكذا وذلك بعد ان يسقط من عمره اثنتى عشرة سنة ويسقط من عمرها تسعة لان اقل مدة بلوغ الرجل اثنتا عشرة سنة ومدة بلوغ المرأة تسع سنين كما ذكره فى الوقاية فى آخر كتاب الحجر ومما ينبغى ان يعلم ان المعتبر فى الطعام للصلاة قدر الطعام دون عدد المساكين حتى لو اعطى مسكينا واحدا فى يوم واحدا كثر من نصف صاع من البر يجوز ولا يجوز ذلك فى كفارة الصوم والظهار لان المعتبر فيهما عدد المساكين كذا فى شرح النقاية وكره دفع نصاب او اكثر الى فقير غير مديون لان الانتفاع به صادف حال الغنى ولو صادف حال الفقر لكان اكمل فلو كان مديونا او صاحب عيال لا يكره لانه لا يكون به غنيا (الم يعلموا) الاستفهام للتقرير اى الم يعلم اولئك التائبون (ان الله هو يقبل التوبة) الصحيحة الخالصة (عن عباده) المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح منه كلمة عن قال الحدادى قبول التوبة ايجاب الثواب عليها (ويأخذ الصدقات) اى جنس الصدقات صدقاتهم وصدقات غيرهم اراد به اخذ النبى عليه السلام والائمة بعده لان اخذهم لا يكون الا بامر الله وكان الله هو الآخذ قال البيضاوى يقبلها قبول من يأخذ شيأ ليؤدى بدله ففيه استعارة تبعية لان الآخذ حقيقة هو الرسول عليه السلام لا من عينه لاخذها والصدقات جمع صدقة تطلق على الواجب والتطوع وغلب على افواه العامة تسمية الواجب من الماشية صدقة ومن النبات عشرا ومن النقود زكاة كما فى فتح القريب (وان الله هو التواب) اى المتجاوز عمن تاب وهو الذى يرجع بالانعام على كل مذنب رجع الى التزام الطاعة وفى التأويلات النجمية هو التواب هو الموفق للتوبة بلطفه وكرمه ولولا توفيقه ما تاب مذنب قط كما لا يتوب ابليس لعدم التوفيق (وفى المثنوى) جز عنايت كه كشايد چشم را * جز محبت كه نشاند خشم را * جهد بى توفيق خود كس را مباد * درجهان والله اعلم بالرشاد (الرحيم) من مات على التوبة ورحمة الله على العباد ارادة الانعام عليهم ومنع الضرر عنهم ويجوز ان يرجع ضمير الم يعلموا الى غير التائبين من المؤمنين فالآية اذا ترغيب للعصاة فى التوبة والصدقة (وقل) لهم بعد ما بان لهم شأن التوبة (اعملوا) ما شئتم من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب (فسيرى الله عملكم) فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتأكيد للترغيب والترهيب والسين للتأكيد (ورسوله والمؤمنون) فى الخبر لو ان رجلا عمل فى صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى انه تعالى لا يخفى عليه عملهم كما رأيتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقى فالامر ظاهر وان اريد بها ما آلها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوى من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها (وستردون) اى بعد الموت (الى عالم الغيب والشهادة) قدم الغيب على الشهادة لسعة عالمه وزيادة خطره وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيب ما يسترونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحدة على ابلغ وجه وآكده لا لايهام ان علمه تعالى بما يسرون اقدم منه بما يعلنون كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شئ وتحققه فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة قال فى التأويلات النجمية وستردون باقدام اعمالكم الى الله الذى هو عالم بما غاب عنكم وغبتم عنه فاما ما غاب فهو نتايج اعمالكم من الخير والشر وجزاؤها فانها ان لم تغب عنكم زدتم فى الخير وما عملتم شرا واما ما غبتم عنه فهو التقدير الازلى والحكمة فيما جرى به القلم من اعمال الخير والشر وعالم بما تشاهده العيون والقلوب فى الملك والملكوت (فينبئكم) عقيب الرد الذى هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيامة (بما كنتم تعملون) قبل ذلك فى الدنيا والمراد بالتنبئة الاظهار لما بينهما من الملابسة فى انهما سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اى يظهر لهم على رؤس الاشهاد ويعلمهم اى شئ شنيع كانوا يعملونه

فى الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء انتهى فعلى العاقل ان يسعى فى طريق الاعمال الصالحة ويجتنب عن ارتكاب الافعال الفاضحة كيلا يفتضح عند الله وعند الرسول وكافة المؤمنين قال فى التأويلات النجمية ان لعمل المحسن وخلوصه نورا يصعد الى السموات بقدر قوة صدقه واخلاصه فالله تعالى يراه بنور الوهيته وروح الرسول عليه السلام يراه بنور نبوته وارواح المؤمنين يرونه بنور ايمانهم فاستعلاء ذلك بصفائه وضوئه يكون على قدر علو همة المحسن وخلوص نيته وصفاء طويته وان لعمل المسيء ظلمة تصعد الى السموات بقدر قوة غفلته وخباثة نفسه فالله تعالى يراها وروح رسوله وارواح المؤمنين وفى الحديث تصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصوم وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات السبع حتى يقطعون به الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يدى الرب جل جلاله ويشهدون بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدى وانا الرقيب على ما فى نفسه انه لم يردنى بهذا العمل ولا اخلصه لى وانا اعلم بما اراد بعمله غر الادميين وغركم ولم يغرنى وانا علام الغيوب المطلع على ما فى القلوب لا تخفى على خافية ولا تعزب عنى عازبة علمى بما كان كعلمى بما لم يكن وعلمى بما مضى كعلمى بما بقى وعلمى بالاولين كعلمى بالآخرين اعلم السر واخفى فكيف يغرنى عبدى بعمله وانما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وانا علام الغيوب عليه لعنتى وتقول الملائكة السبعة والثلاثة الآلاف المشيعون يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا فيقول اهل السماء عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين (قال السعدى) وكر سيم اندوده باشد نحاس * توان خرج كردن برنا شناس * منه آب زرجان من بر پشيز * كه صراف دانا نكيرد بچيز * اعلم ان الاقلام كتبت على الالواح احوال العالم كلها من السرائر والظواهر ثم سلمت الالواح للخزنة وجعلت لكل شئ خزائن ووكلت عليها حوافظ وكوالئ كما قال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه فتستنسخ السفرة من الخزنة والحفظة من السفرة فللاعمال كلها مخازن تقسم منها وتنتهى اليها وغاية خزائن الاعمال الصالحة سدرة المنتهى فعلم من هذا ان الحفظة مطلعون على اعمال العباد قلبية كانت او قالبية ليسوا بمطلعين على المقبول منها وغير المقبول الا بعد العرض والرفع فكل عمل مضبوط مجزى به فان اخفاه العبد عن الخلق لا يقدر على اخفائه عن الله تعالى وعن الملائكة (قال السعدى) دربسته بروى خود بمردم * تا عيب نكسترند ما را * دربسته چه سود عالم الغيب * داناى نهان واشكارا (وآخرون) عطف على آخرون قبله اى ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين (مرجون) قرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص مرجون بالواو على ان يكون اصله مرجيون بالياء والباقون مرجؤون بالهمزة يقال ارجيته وارجأته بالياء والهمزة اذا اخرته والنسبة الى المهموز مرجئ كمرجع لا مرج كمعط والى غيره مرجى بياء مشددة عقيب الجيم وهم المرجئة بالهمزة والمرجية بالياء مخففة كما فى القاموس والمرجئة قوم لا يقطعون على اهل الكبائر بشئ من عفو او عقوبة بل يرجئون الحكم فى ذلك اى يؤخرونه الى يوم القيامة كما فى المغرب والمعنى مؤخرون (لامر الله) فى شأنهم اى حتى ينزل الله فيهم ما يريد (اما يعذبهم) ان بقوا على ما هم عليه من الحال وهو عدم المسارعة الى التوبة والاعتذار دون النفاق فانهم كانوا مخلصين (واما يتوب عليهم) ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة فى محل النصب على الحالية اى منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم فان قلت اما للشك والله تعالى منزه عنه اذ هو عالم بما يصير اليه امرهم قلت الترديد راجع الى العباد والمعنى ليكن امرهم عندكم بين الخوف والرجاء وقال ابو البقاء اذا كانت اما للشك جاز ان يليها الاسم وجاز ان يليها الفعل فان كانت للتخيير وقع الفعل بعدها وكانت معه ان كقوله اما ان تلقى (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فيما فعل بهم من الارجاء وغيره والآية نزلت فى ثلاثة نفر من المتخلفين وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العمرى وهلال بن امية كانوا من اهل بدر ومياسير ومع ذلك تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال كعب بن مالك انا افره اهل المدينة جملا فمتى شئت لحقت العسكر فتأخر اياما وايس بعدها من اللحوق بهم فندم على ما صنعه وكذلك صاحباه ولكن لم يفعلوا ما فعله ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السوارى واظهار الغم والجزع فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية ونهى الناس ان يجالسوهم او يؤاكلوهم او يشاربوهم وامرهم باعتزال نسائهم وارسالهن الى اهاليهن فجاءت امرأة هلال تسأل ان تأتيه

بطعامه فانه شيخ كبير فاذن لها فى ذلك خاصة وجاء رسول من الشام الى كعب برغبه فى اللحاق بهم فقال كعب بلغ من خطيئتى الى ان طمع فىّ المشركون قال فضاقت علىّ الارض بما رحبت وبكى هلال ابن امية حتى خيف على بصره فجعل ناس يقولون هلكوا اذلم ينزل الله لهم عذرا وآخرون يقولون عسى الله ان يغفرلهم فصاروا عندهم مرجئين لامر الله اما يعذبهم واما يرحمهم حتى نزلت توبتهم بعد مامضى خمسون يوما بقوله لقد تاب الله على النبى الى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية اخرالله تعالى امرهم مدة ثم بين توبتهم على اجمل الوجوه حيث قرن توبتهم بتوبته تعالى على النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار وعلم منه ان الهجران للتربية جائز ولوفوق ثلاثة ايام الاترى الى الاصحاب كيف قطعوا اسلامهم وكلامهم من اولئك الثلاثة الى ان بلغ الكتاب اجله وان اخلاص النية وتفويض الامور الى الله تعالى سبب لرحمة الله تعالى وان البكاء ايضا مدار لقبول التوبة واخلاص الحال فلابد من الاستغفار والبكاء على الاوزار حكى عن بعض اصحاب فتح الموصلى قدس سره قال دخلت يوما على فتح فوجدته يبكى وقد خالطت دموعه صفرة فقلت له بالله عليك ياسيدى هل بكيت الدم فقال والله لولا انك اقسمت علىّ بالله عزوجل ما اخبرتك بكيت الدمع وبكيت الدم فقلت على م بكيت الدمع قال على تخلفى عن الله تعالى قلت فعلى م بكيت الدم قال على الدموع ان لاتصح لى اى لاتقبل منى قال فلما توفى رأيته فى المنام فقلت مافعل الله بك قال غفرلى وقربنى ربى وقال يافتح بكيت كل هذا البكاء على ماذا فقلت يارب على تخلفى عن حقك قال والدم لم بكيته قلت يارب على الدموع ان لاتصح لى قال يافتح فما اردت بهذا كله وعزتى وجلالى لقد صعد الىّ حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ومافيها خطيئة فهذه حال اكابر اولياء الله تعالى يسيئون الظن بانفسهم ويجتهدون فى الله وان علموا العفو والمغفرة ووقف الفضيل فى بعض حجاته ولم ينطق بشئ فلما غربت الشمس قال واسوأتاه وان عفوت يقول الفقير وهذا كلام حق فان من الفضاحة العصيان ومن الفضاحة ايضا بقاء اثره الدنيوى بعد الغفران الاترى ان عتقاء جهنم لايستريحون يوم القيامة وان دخلوا الجنة الى ان يمحوالله تعالى ما كتب على جباههم من الاثر (قال الحافظ)

هرچندكه هجران ثمروصل برآرد * دهقان ازل كاشكه اين تخم نكشتى (وقال السعدى)

بسانام نيكوى پنجاه سال * كه يك نام زشتش كند پايمال *

وفى الاية اشارة الى ان الحكمة الالهية اقتضت اقدام بعض النفوس على الذنوب وتأخير توبتهم وهم مترددون بين الخوف والرجاء ولهم فيما بين ذلك تربية ليطيروا بجناحى الخوف والرجاء الى ان يصلوا الى مقام القبض والبسط الى ان يبلغوا سرادقات الانس والهيبة ثم ليطيروا بجناحى الانس والهيبة الى قاب قوسى السير والتجلى اوادنى الوحدة والله عليم بتربية عباده حكيم بمن يصلح للقرب والقبول وبمن يصلح للبعد والرد كذا فى التأويلات النجمية (والذين اتخذوا مسجدا) اى ومن المتخلفين عن غزوة تبوك المنافقون الذين اتخذوا مسجد قبا وهى بضم القاف ويذكر ويقصر قرية قرب المدينة على نصف فرسخ منها كما فى التبيان اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة وقدم قبا نزل فى بنى عمرو بن عوف وهم بطن من الاوس على كلثوم بن الهدم وكان شيخ بنى عمرو بن عوف وهل كان اسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم الى قبا او بعده فقيه اختلاف فلما نزل وذلك فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول قال عمار بن ياسر رضى الله عنه مالرسول الله بد من ان يجعل له مكان يستظل به اذا استيقظ ويصلى فيه فجمع حجارة فاسس رسول الله مسجدا واستتم بنيانه عمار فعمار اول من بنى مسجدا لعموم المسلمين وكان مسجد قبا اول مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه جماعة ظاهرين اى آمنين وبعد تحوله عليه السلام الى المدينة وذلك فى يوم الجمعة بعد ان لبث فى قبا بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس اوبضع عشرة ليلة وهو المنقول عن البخارى اواربعة عشر يوما وهو المنقول عن مسلم كان يأتيه يوم السبت ماشيا وراكبا ويصلى فيه ثم ينصرف وفى الحديث من توضأ واسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قبا فصلى فيه له اجر عمرة كما فى السيرة الحلبية فهذا المسجد وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار بمعاونة بنى عمرو بن عوف خالصا لله تعالى كما عليه الاكثرون وفى الحديث من بنى مسجدا لايريد به رياء ولاسمعة بنى الله له بيتا فى الجنة قال القرطبى هذه المسألة ليست على ظاهرها من كل الوجوه وانما معناه بنى له بثوابه بناء اشرف واعظم وارفع لان اجور الاعمال متضاعفة وان الحسنة بعشر امثالها وهذا كما قال فى التمرة انها تزداد حتى تكون مثل الجبل

ولكن

ولكن هذا التضعيف انما هو بحسب ما يقترن بالفعل من الاخلاص فان بنى على غير الاخلاص اوعلى وجه غير مرضى فلا ثواب له ولا يعبأ الله به وان كان فى ظاهر الشرع له حكم المساجد من الاحترام والتعظيم وغير ذلك وكذا الربط والخوانق والقناطر والطاهر وكل بناء فهو مشروط بذلك قاله فى شرح الالمام قال النووى يدخل فى هذا الحديث من عمر مسجدا او قد استهدم واذا اشترك جماعة فى عمارة مسجد فهل يحصل لكل منهم بيت فى الجنة كما لواعتق جماعة عبدا اشتركا بينهم فانهم يعتقون من النار ويجوزون العقبة لقوله تعالى وما ادراك ما العقبة فك رقبة وقد فسر النبى عليه السلام فك الرقبة بعتق البعض والقياس الحاق المساجد بالعتق لان فيه ترغيبا وحملا للناس على انشاء المساجد وعمارتها وهل يمكن الكافر من بناء المسجد فذهب بعضهم الى ان الصحيح جوازه لقوله عليه السلام ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر كما فى تفسير البغوى قال الواحدى عند قوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله دلت الآية على ان الكفار ممنوعون من عمارة مسجد المسلمين ولو اوصى لم تقبل وصيته انتهى قال سعدى چلبى المفتى عدم قبول وصيته مجمع عليه بين اصحابنا الحنفية انتهى ولا يصير الكافر ببناء المسجد مسلما وان عظمه حتى يأتى بالشهادتين بخلاف المسلم اذا اتى كنيسة واعتقد تعظيمها فانه يكفر لان الكفر يحصل بمجرد النية والاسلام لايحصل الا بالتلفظ بالشهادتين كما فى فتح القريب يقول الفقير سامحه الله القدير علم منه ان بعض القبط فى الديار الرومية ممن اظهر الاسلام رأيناهم يصلون ويصومون كصلاة المخلصين وصيامهم ثم انهم يدخلون كنائس النصارى فى مواسمهم فهم مرتدون بذلك ولاتصح الصلاة على موتاهم ان ماتوا على تلك الحالة لانه لاشك فى تعظيمهم الكنائس وموافقتهم النصارى فى افعالهم فى ايامهم ولياليهم المعهودة فلا نتوقف فى كفرهم واما تلفظهم بالشهادة فهو بحسب العادة ولا يغنى عنهم ذلك شيأ فى اعتقادهم وبعض المعاصرين من العلماء يتوقفون فى كفرهم جهلا العياذ بالله تعالى ثم نرجع ونقول ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا ذلك المسجد حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا أنصلى فى مربط حمار لامرأة عمرو وذلك لانه كانت امرأته تربط فيه حمارها وقيل كان مكان مسجد قبا محلا يجفف فيه التمر لكلثوم ابن هدم رضى الله عنهما فبنوا مسجدا آخر فى قبا على قصد الفساد وتفريق جماعة المؤمنين وان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام وفى الحدادى انهم بنوه باذن النبى عليه السلام اقول هذا يخالف سوق القصة كما لايخفى وبعيد ان يأذن رسول الله قبل اشارة الله فى ذلك وقصة ابى عامر الراهب انه كان من اشراف قبيلة الخزرج تنصر فى الجاهلية وترهب ولبس المسوح وكان ماهرا فى علم التوراة والانجيل (قال الكاشفى) وپيوسته نعت وصفت سيد عالم براهل مدينه مى خواند چون آن حضرت بمدينه هجرت فرمود اهل آن خطه شيفتهٔ جمال وكمال وى شدند وازصحبت ابوعامر برميدند وپرواى اونكردند * باوجود لب جان بخش تواى آب حيات * حيف آيد سخن ازچشمهٔ حيوان كفتن * فحسده وعاداه لانه زالت به عليه السلام رياسته وقال له لااجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك فلم يزل يقاتل معه عليه السلام الى ان تقاتل معه يوم هوازن فلما انهزمت هوازن خرج الى الشام (قال الكاشفى) بنزد هرقل كه ملك روم بود رفت ومى خواست ازروم عسكر ولشكرساز كرده بجنك مسلمانان آيد نامه نوشت بمنافقان چون ثعلبة بن حاطب وامثال او كه شما درمقابلهٔ قبادر محلهٔ خويش براى من مسجدى بسازيد كه چون من بمدينه آيم آنجا بافادهٔ علم اشتغال نمايم ايشان مسجدى ساختند وحضرت پيغمبر چون عازم غزوهٔ تبوك شده بانيان مسجد آمده كفتند يارسول الله ما براى ضعيفان وبيماركان وبارنكى وتاريكى مسجدى ساخته ايم والتماس داريم كه دران مسجد نماز كزارى وغرض ايشان آن بودكه بواسطهٔ نماز آن حضرت مهم خودرا استحكام دهند چنانچه درمثنوى هست * مسجد اصحاب مسجد رانواز * تامهى تاشب دمى باما بساز * تاشود شب ازجمالت همچو روز * اى جمالت آفتاب جان فروز * اى دريغا كان سخن ازدل بدى * تامراد آن نوحاصل شدى * قال فى السيرة الحلبية كانوا يجتمعون فيه ويعيبون النبى عليه السلام ويستهزؤن به فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر وحال شغل ولوقدمنا لاتيناكم فصلينا لكم فيه فلما رجع من تبوك اتوه فسألوه اتيان مسجدهم فدعا عليه السلام بقميصه ليلبسه ويأتيهم فانزل الله هذه الآية فقال والذين اتخذوا مسجدا (ضرارا) مفعول له اى مضارة للمؤمنين (قال الكاشفى) براى ضرر مؤمنان وستيزهٔ ايشان (وكفرا) وتقوية للكفر الذى

يضمرونه (وتفريقا بين المؤمنين) الذين كانوا يجتمعون فى مسجد قبا فانهم ارادوا ببنائهم المسجد صرف بعض
الجماعة اليه وتفريق كلمة المؤمنين (وارصادا) اى ترقبا وانتظارا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) اى من قبل
اتخاذ هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب اى لاجله حتى يجيء فيصلى فيه ويظهر على رسول الله وقد سبق حضوره
فى الوقائع كلها فمن متعلق بحارب او باتخذوا اى اتخذوا مسجدا من قبل ان يظهر هؤلاء النفاق بالتخلف
(وليحلفن) والله لا يحلفن فهو جواب قسم مقدر (قال الكاشفى) وهر آيينه سوكند ميخورند چون كسى كويد
چرا اين مزكت ساختيد (ان) نافية (اردنا) اى ما اردنا ببنائه هذا المسجد (الا الحسنى) الا الخصلة الحسنى وهى
الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى حلفهم ذلك ولما نزلت هذه الآية واعلمه
الله بخبرهم وما هموا به دعا اى رسول الله الوحشى قاتل حمزة وجماعة معه فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد
الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا سراعا واخذوا سعفا من النخل واشعلوا فيه النار وذلك بين المغرب
والعشاء وهدموه الى الارض وامر النبى عليه السلام ان يتخذ كناسة يلقى فيها القمامة والجيف ثم بعد زمان
اعطاه صلى الله عليه وسلم ثابت بن ارقم يجعله بيتا فلم يولد فى ذلك البيت مولود قط وحفر فيه بقعة فخرج منها
الدخان ومات ابو عامر بالشام وحيدا غريبا وذلك انه عليه السلام لما قدم المدينة اقبل اليه ابو عامر فقال ما هذا
الذى جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر وانا عليها فقال عليه السلام انك لست عليها قال بلى
ولكنك ادخلت فى الحنيفية ما ليس فيها فقال عليه السلام ما فعلت ذلك ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال ابو
عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال عليه السلام آمين فسماه ابا عامر الفاسق مكان الراهب
فمات كافرا بقنسرين وهى بكسر القاف وتشديد النون المفتوحة او المكسورة اسم بلدة فى الشام ومع هذه
الخباثة كان له ولد صالح يقال له ابو حنظلة استشهد يوم احد فغسلته الملائكة عليهم السلام (قال السعدى)
هنر بنماى اكر دارى نه كوهر ✻ كل از خارست وابراهيم از آزر ✻ وفى الآية اشارة الى ان اهل الطبيعة اتخذوا
مزبلة النفس مسجدا ضرارا لارباب الحقيقة وكفرا باحوالهم كما انهم اتخذوا بستان القلب مسجدا يذكرون
الله فيه ويطلبونه وهذا وصف مدعى الطلب الكذابين فى دعواهم المتشبهين بزى ارباب الصدق والطلب
وتفريقا بين المؤمنين الطالبين الصادقين باظهار الدعوى من غير المعنى اى يفرقون بين الاخوان فى الله
فى طلب انواع الحيل تارة بطلب صحبة معهم ومرافقتهم فى الاسفار وتارة بذكر البلدان وكثرة النعم فيها وطيب
هوائها وكرم اهلها وارادتهم لهذه الطائفة ليزعجوهم عن خدمة المشايخ وصحبة الاخوان وارصادا لمن حارب
الله ورسوله من قبل ليوقعوهم فى بلاء صحبة الاباحية من مدعى الفقر والمعرفة وهم يحاربون الله بترك دينه
وشريعته ورسوله بترك متابعته واحياء سنته وليحلفن لهم ان اردنا الا الحسنى فيما دعوناكم اليه والله يشهد
انهم لكاذبون فيما يدعون ويحلفون كذا فى التأويلات النجمية (لا تقم) يا محمد للصلاة (فيه) اى فى مسجد هؤلاء
المنافقين (ابدا) قال سعدى المفتى اى لا تصل فيه عبر بالقيام عن الصلاة كما فى قولهم فلان يقوم الليل ومنه
الحديث الصحيح من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه (لمسجد) مسجد قبا واللام للابتداء
او القسم (اسس) التأسيس احكام أس البناء وهو اصله يعنى اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه
ايام مقامه بقبا (على التقوى) قال فى التبيان اى بنيت حدوده ورفعت قواعده على طاعة الله وفى الحدادى
لوجه الله وعلى ههنا للمصاحبة بمعنى مع كما فى قوله تعالى وآتى المال على حبه كما فى حواشى سعدى المفتى
(من اول يوم) من ايام وجوده وتأسيسه متعلق باسس وكلمة من الجارة اذا كانت للابتداء تجر المكان كثيرا
كما فى قولك جئت من البصرة وقد تجر الزمان ايضا عند الكوفيين كما فى هذه الاية فالمعنى منذ اول يوم بنى لان
منذ لابتداء الغاية فى الزمان تقول ما رأيته منذ شهر وقال الرضى من فى الآية بمعنى فى وذلك كثير
فى الظروف ويقال اراد بالمسجد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والاول اشهر واوفق للقصة
اذ المسجد بقبا فالموازنة بينهما اولى من الموازنة بين ما بقبا وما بالمدينة قال الحدادى لا يمتنع ان يكون المراد
بالمسجد الذى اسس على التقوى كلا المسجدين مسجد النبى عليه السلام ومسجد قبا (احق ان تقوم فيه)
اى اولى ان تصلى فيه فان قيل لم قال الله تعالى احق ان تقوم فيه مع ان المفاسد الاربع المذكورة بقوله ضرارا
وكفرا وتفريقا وارصادا تمنع جواز قيامه فى الآخر والجواب ان الكلام مبنى على النزول والمعنى لو فرضنا

جواز

جواز القيام فى مسجد الضرار لكان القيام فى مسجد التقوى احق واولى لكونه على قاعدة محكمة فكيف
والقيام فيه باطل لكونه مبنيا لاغراض فاسدة ويجوز ان يقال احق ليس للتفضيل بل بمعنى حقيق كما قال
المولى ابو السعود والمراد بكونه احق كونه حقيقا به اذ لا استحقاق فى مسجد الضرار رأسا وانما عبر عنه
بصيغة التفضيل لفضله وكماله فى نفسه او الافضلية فى الاستحقاق المتناول ما يكون باعتبار زعم البانى ومن
يتابعه فى الاعتقاد وهو الانسب بما سيأتى (فيه) اى فى المسجد المؤسس على التقوى (رجال) يعنى الانصار
جملة مستأنفة مبينة لاحقيته لقيامه عليه السلام فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل
(يحبون ان يتطهروا) من الانجاس والاخباث مطلقا بدنية كانت او عملية كالمعاصى والخصال الذميمة
(والله يحب المطهرين) اى يرضى عن المتطهرين ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه روى ان هذه الآية لما
نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس
فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال
عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال
عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم فما الذى تصنعون عند
الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا فيه رجال يحبون ان يتطهروا
وفى كلام بعضهم اول من استنجى بالماء ابراهيم عليه السلام والاستنجاء مسح موضع النجو اى ما خرج من
البطن وهو فى الاصل اعم منه ومن غسله كما فى المغرب فيطهر موضع النجو بثلاثة امدار فان لم يجد فبالاحجار
فان لم يجد فبكفه ولا يستنجى بما سوى الثلاثة لانه يورث الفقر والمقصود التنقية فلو حصل بالواحد كفاه
ولو لم يحصل بالثلاثة زاد ولا يستنجى من النوم والريح فانه بدعة وليس على المستحاضة استنجاء لكل صلاة
بلا بول وغائط كما فى النوازل واستعمال المنشفة ادب وذلك قبل ان يقوم وبعد الغسل ليزول اثر الماء المستعمل
بالكلية وكان الانصار يتبعون الماء اثر البول ايضا وعن بعضهم ان المراد التطهر من الجنابة فلا ينامون عليها
وفى الحديث (ثلاثة لا تقربهم الملائكة) المراد بالملائكة ههنا هم الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الحفظة
فانهم لا يفارقونه على حال من الاحوال وقال بعض العلماء المراد بالملائكة غير الحفظة وغير ملائكة الموت
وقيل اراد لا تحضره الملائكة بخير (جيفة الكافر) المراد بها ذاته حيا وميتا لان الكافر نجس بعيد من الرحمة
فى الحياة وبعد الموت (والمتضمخ) بالضاد والخاء المعجمتين اى المتلطخ المتدهن بالخلوق بفتح الخاء المعجمة طيب
معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من انواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة وقال ابو عبيدة عند
العرب هو الزعفران وحده ووجه النهى عن الخلوق لما فيه من الرعونة والتشبه بالنساء والنهى عن الخلوق
مختص بالرجال دون النساء كما فى المفاتيح (والجنب) الجنابة لغة البعد وسمى الانسان جنبا لانه نهى ان يقرب
مواضع الصلاة ما لم يتطهر وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل (الا ان يتوضأ) وهذا فى حق كل من اخر الغسل لغير
عذر او لعذر واذا امكنه الوضوء فلم يتوضأ وقيل لم يرد بالجنب من اصابته جنابة فاخر الاغتسال ولكنه الجنب
الذى يتهاون بالغسل ويتخذ تركه عادة لان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينام وهو جنب ويطوف على نسائه
بغسل واحد وفى الشرعة وينام بعد الوطئ نومة خفيفة فانه اروح للنفس لكن السنة فيه ان يتوضأ اولا وضوءه
للصلاة ثم ينام كما فى شرح ابن السيد على قال فى فتح القريب المراد به الوضوء الشرعى بلا خلاف وفى رواية شعبة
اغسل ذكرك ثم توضأ وارقد هذا هو الصحيح يعنى الامر بغسل الذكر ثم الوضوء ومن نام ولم يتوضأ فليستغفر الله
تعالى ولو اراد العود اى من غير نوم فليتوضأ اى ليتنظف بغسل الذكر واليدين فليس المراد بالوضوء الشرعى
المشهور كما ذهب اليه المالكية كما فى شرح المشارق والوضوء يطلق على غسل اليدين كما فى قوله عليه السلام
الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر واذا توضأ وضوءه للصلاة واراد ان ينام فهل الاولى ان ينوى رفع الحدث الاصغر
او ينوى سنة العود او رفع الجنابة او ما اصابه من الاعضاء المغسولة الظاهر الاول ليكون عبادة مستقلة ومخففة
للحدث بزوال احد الحدثين كذا فى فتح القريب وفيه ايضا اختلف فى علة الوضوء فقيل لانه يخفف الحدث
وقيل ليبيت على احدى الطهارتين خشية ان يموت فى نومه ذلك لان الملائكة لا تدخل بيتا فيه جنب فيزول
ذلك بالوضوء ومذهب الشافعى ومالك استحباب الوضوء للجنب قبل النوم لانه عليه السلام كان يفعل ذلك

وعن بعض المالكية لاتسقط العدالة بتركه لاختلاف العلماء فيه وقال بعضهم فى الآية يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم وروى ان جابرا قال استأذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن هذه قيل ام ملدم فامر بها عليه السلام الى اهل قبا فلقوا منها ما لا يعلمه الا الله فشكوا اليه عليه السلام فقال ان شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا او تفعل ذلك قال نعم قالوا فدعها وقد جاء ان حمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوما كان له برآءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وعن عائشة رضى الله عنها لما قدمت المدينة اخذتها الحمى فسبتها فقال عليه السلام لاتسبيها فانها مأمورة ولكن ان شئت علمتك كلمات اذا قلتهن اذهبها الله تعالى عنك قالت علمنى قال قولى اللهم ارحم جلدى الرقيق وعظمى الدقيق من شدة الحريق يا ام ملدم ان كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعى الرأس ولا تنتنى الفم ولا تأكلى اللحم ولا تشربى الدم وتحولى عنى الى من اتخذ مع الله الها آخر فقالتها فذهبت عنها ولما استوخم المهاجرون هوآء المدينة ولم يوافق امزجتهم فرض كثير منهم وضعفوا وتشوقوا الى مكة المكرمة ولذا نظر عليه السلام يوما الى السماء لانها قبلة الدعاء وقال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة وبارك لنا فى مدها وصاعها وصححها لنا ثم انقل وباءها الى مهيعة اى الجحفة وهى قرية قريبة من رابغ محل احرام من يجئ من جهة مصر حاجا وكان سكانها اذ ذاك يهودا ودعاؤه عليه السلام ان يحبب اليهم المدينة انما هو لما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه ومن ثم جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها انها سألت رجلا بحضور النبى عليه السلام قدم المدينة من مكة فقالت له كيف تركت مكة فذكر لها من اوصافها الحسنة ما غرغرت منه عينا رسول الله عليه السلام وقال لا تشوقها يا فلان فتنهاى را انجمن بيند اشود از سوز من ✱ چون مرا در خاطر آيد مسكن يوما واى دوست ✱ وفى اسئلة الحكم ان الختان للتطهر لانه يوجب المحبة الالهية كما قال تعالى والله يحب المطهرين فيحصل الاحتراز والتطهر من البول بالختان قال الفقهاء الاقلف يجب عليه ايصال الماء الى القلفة اذ لا حرج فيه وفى الحديث اتقوا البول فان عامة عذاب القبر من البول فانه اول ما يحاسب به العبد فى القبر كما فى الترغيب اعلم ان مسجد المنافقين اشارة الى مزبلة النفس والمسجد المؤسس على التقوى اشارة الى مسجد القلب وهو قد اسس على العبودية والطاعة والاقرار بالوحدانية من اول يوم الميثاق عند خطاب الست بربكم وجوابه قالوا بلى واهله متطهرون عن الصفات الذميمة والاخلاق اللئيمة بل عن دنس الوجود ولوث الحدوث والله يحب المتطهرين الفانين عن وجودهم الباقين بالله ولولا محبته اياهم ما وفقهم للتطهير فتطهيرهم مطلقا اثر من آثار محبة الله اياهم (قال الحافظ) طهارت ار نه بخون جكر كند عاشق ✱ بقول مفتى عشقش درست نيست نماز (وفى المثنوى) روى ناشسته نبيند روى حور ✱ لا صلاة كفت الا بالطهور ✱ وهو بالفتح مصدر بمعنى التطهير ومنه مفتاح الصلاة الطهور واسم لما يتطهر به كذا فى المغرب (أفمن اسس بنيانه) جملة مستأنفة مبينة لخيرية الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة الاستفهام للانكار والفاء للعطف على مقدر والتأسيس احكام اس البناء وهو اصله والبنيان مصدر كالغفران اريد به المفعول اى المبنى والمعنى ابعد ما علم حالهم فمن اسس بنيان مسجده اذ الكلام فيه ويؤيده اسس على التقوى (وقال الكاشفى) آيا هر كس كه اساس افكند بناى دين خودرا (على تقوى من الله) المراد بالتقوى درجتها الثانية التى هى التقوى عن كل ما يؤثم من فعل او ترك فيكون غير منصرف كحبلى فلا تنوين فيه اذا قرئ بالتنوين على ان يكون الفه للالحاق كالف ارطى (ورضوان) وطلب مرضاته بالاشتغال بالطاعة (خير) اطلاق خير على معتقد اصحاب مسجد الضرار من اعتقاد الاشتراك فى الخيرية (ام من اسس بنيانه) والمعنى اى الفريقين خير واحق بالمصاحبة والصلاة معهم من اسس بناء مسجده مريدا به تقوى الله وطاعته وهم اهل مسجد قبا ام من اسس بنيان مسجده على النفاق والكفر وتفريق المؤمنين وارصاد كافر شأنه كيد المسلمين وتوهين امر الدين وترك الاظهار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا واختلافهما وصفا واضافة (على شفا جرف هار) شفا الشئ بالقصر طرفه وشفيره وتثنيته شفوان والجرف بالضم والاسكان وهما لغتان الارض التى جرفت السيول اصلها اى حفرته واكلته والهار المتصدع المشرف على السقوط يقال هار الجرف يهور ويهير اذا انشق من خلفه وهو ثابت بعد مكانه فهو هائر فهار مقلوب هائر نقلت لامه الى مكان العين كما فعل فى شاك اصله شائك

فصار

فصار هارى فاعل كقاضى قال ابو البقاء اصله هاور او هاير ثم اخرت عين الكلمة فصارت بعد الراء وقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ثم حذفت لسكونها وسكون التنوين فوزنه بعد القلب فالع وبعد الحذف فال وعين الكلمة واو او ياء يقال تهور البناء وتهير (فانهار به فى نار جهنم) يقال هار البناء هدمه فانهار والانهيار ريهيده شدن كما فى تاج المصادر وفاعل انهار ضمير البنيان وضمير به للمؤسس البانى اى تساقط بنيانه وتناثر به اى بصاحبه فى النار قال قتادة ذكر لنا انه حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار قال الحدادى كما ان من بنى على جانب نهر صفته ما ذكرنا انهار بناؤه فى الماء فكذلك بناء اهل النفاق مسجد الشقاق كبناء على جرف جهنم يهور باهله فيها (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى لانفسهم او الواضعين للاشياء فى غير موضعها اى لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موصلا لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه والظلم فى الحقيقة وضع عبادة الدنيا ومحبتها والحرص فى طلبها فى موضع عبادة الله تعالى ومحبته والصدق فى طلبه (لا يزال بنيانهم الذى بنوا) البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذى صلته فعله للايذان بكيفية بنائهم له وتأسيسه على اوهن قاعدة واوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم اى لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما (ريبة فى قلوبهم) اى سبب ريبة وشك فى الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم فى مجمع على حياله يظهرون فيه ما فى قلوبهم من آثار الشرك والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون فى ذلك ويلقى بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا فى الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ به ما كان فى قلوبهم من الشر والفساد وتضاعفت آثاره واحكامه (الا ان تقطع) من التفعل بحذف احدى التائين اى الا ان تتقطع (قلوبهم) قطعا وتتفرق اجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات او اعم الاحوال محله النصب على الظرفية اى لا يزال بنيانهم ريبة فى كل وقت من الاوقات او كل حال من الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنها واما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم الى الموت ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او فى القبور بالبلى او فى النار (والله عليم) وخداى تعالى داناست بتأسيس بنا وايشان كه بچه نيت بوده (حكيم) فيما حكم وامر من هدم مسجدهم واظهار نفاقهم اعلم ان فى الآيتين المذكورتين اشارات منها ان صفاء الطوية وحسن الاعتقاد كالاساس فى باب الاعمال فكما ان البناء لا يقوم على الماء بل يقوم على الارض الصلبة كذلك الاعمال لا تقوم الا على محكم الاعتقاد وهو الباعث على اخلاص العمل الذى هو ارادة التقرب الى الله تعالى وتعظيم امره واجابة دعوته وضده النفاق وهو التقرب الى الخلق من دون الله تعالى واما الاخلاص طلب الاجر فهو ارادة نفع الآخرة بعمل الخير وضده الرياء وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الآخرة سوآء اراده من الله او من الناس لان الاعتبار فى الرياء بالمراد لا بالمراد منه فعلى العاقل ان يجعل اساس دينه على الاعتقاد الصحيح والاخلاص والتقوى حتى يكون كشجرة اصلها ثابت وفرعها فى السماء ومنها ان المنافقين بنوا مسجدا للصلاة صورة فهم انما بنوا متحدثا لهم حقيقة ومحلا لقاذورات اقوالهم وافعالهم ولذا كان حريا بالقاء الجيف فيه بعد الهدم فتمتعوا قليلا ثم وقعوا فى النار جميعا كما قال تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم فكما ان من جالسهم فى مجالسهم القذرة العذرة شقى شقاوة حقيقية كذلك من جالس الصديقين والعارفين فى مجالسهم المطهرة وانديتهم المقدسة سعد سعادة ابدية وتطهر طهارة اصلية وقد قال عليه السلام انهم القوم لا يشقى بهم جليسهم فالمراد سامع من جالس لان المجالسة والسماع ينتجان عن المحبة قال عليه السلام المرء مع من احب وهنا سر صوفى يريد صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة فى الدنيا بالطاعة والادب الشرعى وفى الاخرة بالمعاينة والقرب المشهدى ومنها انهم ارادوا ببنيانهم مكرا وخديعة وغفلوا عن مكر الله تعالى بهم ولذا افتضحوا مكر حق سرچشمه اين مكرهاست ✱ قلب بين اصبعين كبرياست ✱ آنكه سازد در دلت مكر وقياس ✱ آتشى راند زدن اندر پلاس ✱ ومنها ان من كانت شقاوته اصلية ازلية فهو لا يزداد بما ابتلاه الله تعالى به الا ضلالا وغيظا وانكارا والعاقل يختار فضوح الدنيا لانه اهون من فضوح الآخرة ازين هلاك مينديش وباش مردانه ✱ كه اين هلاك بود موجب خلاص ونجات ومنها ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذب الناس عن النار وعن الوقوع فيها ولذا هدم مسجد الضرار اذ لو تركه على حاله
لعاد الضرر على العامة بنزول البلية وهى نار معنى ولا فتتن به بعض الناس والفتنة الدينية سبب للنار حقيقة
فاهل الفساد والشر لا يقرون على ماهم عليه بل ينكر عليهم اشد الانكار بهتك اعراضهم واخراجهم من
مساكنهم ان مست الحاجة الى الاخراج وكذا هدم بيوتهم ومنازلهم ذكر فى فتاوى ابى الليث رجل بنى رباطا
للمسلمين على ان يكون فى يده مادام حيا فليس لاحد ان يخرجه من يده مالم يظهر منه امر يستوجب الاخراج
من يده كشرب الخمر فيه وما اشبه ذلك من الفسق الذى ليس فيه رضى الله لان شروط الوقف يجب اعتبارها
ولا يجوز تركها الا للضرورة وقال فى نصاب الاحتساب فاذا كان الخانقاه يخرج من يد بانيه لفسقه فكيف
يترك فى الخانقاه فاسق او مبتدع مثل الحيدرية الذين يلبسون الحديد لان الحديد حلية اهل النار سوآء اتخذ
خاتما او حلقة فى اليد او فى الاذن او فى العنق او غير ذلك ومثل الجوالقية الذين يلبسون الجوالق والكساء الغليظ
ويحلقون اللحية وكلاهما منكر فاما الاول فلانه لباس شهرة وقد نهى عنه واما الثانى فلانه من فعل الافرنج
وفيه تغيير خلق الله تعالى والتشبه بالنساء ومثل القلندرية الذين يقصون الشعور حتى الحاجب والاهداب
وفيهم (يقول الحافظ) قلندرى نه بريشست وموى ويا ابرو * حساب راه قلندر بدانكه موى بموست
* كذشتن ازسر مو در قلندرى سهلست * جو حافظ آنكه زسر بكذرد قلندر اوست * وقس عليهم
سائر فرق اهل البدعة وفى الحديث لقد هممت ان آمر رجلا يصلى بالناس وانظر الى اقوام يتخلفون عن
الجماعة فاحرق بيوتهم وهذا يدل على جواز احراق بيت الذى يتخلف عن الجماعة لان الهم على المعصية لا يجوز
من الرسول عليه السلام لانه معصية فاذا علم جواز احراق البيت على ترك السنة المؤكدة فما ظنك فى احراق
البيت على ترك الواجب والفرض عصمنا الله واياكم من الاقوال والافعال المنكرة (ان الله اشترى) روى ان
الانصار لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسا او اربعة وسبعون من اهل
المدينة قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترطت لربى ان تعبدوه
ولا تشركوا به شيأ واشترطت لنفسى ان تمنعونى ما تمنعون منه انفسكم واموالكم قال فاذا فعلنا ذلك فمالنا
قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل اى لا نفسخه ولا ننقضه * آن بيع راكه روز ازل باتو كرده ايم
* اصلا دران حديث اقاله نميرود * فنزلت ان الله اشترى (من المؤمنين) لا من المنافقين والكافرين
فانهم غير مستعدين لهذه المبايعة قال الحسن اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن فوالله ما على
وجه الارض مؤمن الا وقد دخل فى هذه البيعة وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها بالمعاوضة المالية قال ابن ملك
فى شرح المشارق المبايعة من جهة الرسول عليه السلام هو الوعد بالثواب ومن جهة الآخر التزام طاعته
(انفسهم) نفسهاى ايشانرا كه مباشر جهاد شوند * فالمراد بالنفس هو البدن الذى هو المركب والآلة
فى اكتساب الكمالات للروح المجرد الانسانى (واموالهم) ومالهاى ايشانرا كه درراه نفقه كنند فالمال
هو الذى هو وسيلة الى رعاية مصالح هذا المركب (بان لهم الجنة) بآنكه مر ايشانرا باشد بهشت * اى
باستحقاقهم الجنة فى مقابلتها وهو متعلق باشترى ودخلت الباء هنا على المتروك على ما هو الاصل فى باء
المقابلة والعوض ولم يقل بالجنة مبالغة تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم
المختصة بهم فان قيل كيف يشترى احد ملكه بملكه والعبد وماله لمولاه قيل انما ذكر على وجه التحريض فى الغزو
يعنى اى بنده از تو بذل كردن نفس ومال وازمن عطا دادن بهشت بى زوال ففيه تلطف للمؤمنين
فى الدعاء الى الطاعة البدنية والمالية وتأكيد للجزاء كما قال تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فذكر
الصدقة بلفظ القرض للتحريض على ذلك والترغيب فيه اذ القرض يوجب رد المثل لا محالة وكان الله تعالى
عامل عباده معاملة من هو غير مالك فالاشترآء استعارة عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التى
بذلوها فى سبيله واثابته اياهم بمقابلتها الجنة فالله تعالى بمنزلة المشترى والمؤمن بمنزلة البائع وبدنه وامواله بمنزلة
المبيع الذى هو العمدة فى العقد والجنة بمنزلة الثمن الذى هو الوسيلة وانما لم يجعل الامر على العكس بان يقال
ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد فى العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون
فى مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بانفسهم واموالهم وعن جعفر الصادق

رضى

رضى الله عنه انه كان يقول يا ابن آدم اعرف قدر نفسك فان الله عرفك قدرك لم يرض ان يكون لك ثمن غير
الجنة (وفى المثنوى) خويش رانشناخت مسكين آدمى * از فزونى آمد وشد در كمى * خويشتن را
آدمى ارزان فروخت * بود اطلس خويش را بر دلق دوخت (قال الكاشفى) نفس مايهٔ شر وشور ست
ومال سبب طغيان وغرور اين دو ناقص معيوب رادر راه خدا كن وبهشت باقى مرغوب رابستان * سنك
بنداز وكهر مى ستان * خاك زمين مى ده وزر مى ستان * در عوض فانى خور وحقير * نعمت پاكيزهٔ باقى
بكير * وفى التفسير الكبير حكى فى الخبر ان الشيطان يخاصم ربه بهذه الآية ويحتج بالمسألة الشرعية فى البيع
اذا اشترى المشترى متاعا معيوبا يرده الى البائع يقول يا رب انت اشتريت نفوسهم واموالهم فنفوسهم واموالهم
كلها معيوبة ردها لى عبادك بشرعك وعدلك يكونوا معى حيث اكون فيقول الله تعالى انت جاهل بشرعى
وعدلى وفضلى اذا اشترى المشترى متاعا بكل عيب فيه بفضله وكرمه لا يجوز رده فى شرعى فى مذهب من
المذاهب فيخسأ الشيطان خاطرا بدا مخذولا (وفى المثنوى) كالهٔ كه هيچ خلقش ننكرد * از خلاقت
آن كريم آنرا خرد * هيچ قلبى پيش حق مردود نيست * زانكه قصدش از خريدن سود نيست *
پس حق سبحانه وتعالى مارا خريده وبعيوب ما دانا اميد است كه از دركاه كرم رد نكند ودر نفحات الانس از ابوذر
بوزجانى نقل ميكند كه * تو بعلم ازل مرا ديدى * ديدى آنكه بعيب بخريدى * تو بعلم آن ومن
بعيب همان * زدمكن آنچه خود پسنديدى (يقاتلون فى سبيل الله) استئناف لبيان البيع الذى
يستدعيه الاشترآء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون فى سبيل الله يعنى
درراه خدا وطلب رضاى او وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله تعالى وتعريض لهما للهلاك
وقال الحدادى فيه بيان الغرض لاجل اشترآئهم وهو ان يقاتلوا العدو فى طاعة الله انتهى اقول هل الافعال
الالهية معللة بالاغراض اولا ففيه اختلاف بين العلماء فانكره الاشاعرة واثبته اكثر الفقهاء لان الفعل الخالى
عن الغرض عبث والعبث من الحكيم محال وتمامه فى التفاسير عند قوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون (فيقتلون) پس كاهى مى كشند دشمنانرا فهم الغزاة فلهم الجنة (ويقتلون) وكاهى كشته
ميشوند در دست ايشان فهم الشهدآء فلهم الجنة قال فى الارشاد هو بيان لكون القتل فى سبيل الله بذلا
للنفس وان المقاتل فى سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد فى الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع
بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل
سوآء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجدت
المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم توجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير
السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما فى كونهما مصداقا لكون
القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبنى للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة فى الباب وايذانا بعدم مبالاتهم
بالموت فى سبيل الله بل بكونه احب اليهم من السلامة واختار الحسن هذه القرآءة لانه اذا قرئ هكذا كان
تسليم النفس الى الشرآء اقرب وانما يستحق البائع تسليم الثمن اليه بتسليم المبيع وانشد الاصمعى لجعفر رضى
الله عنه

اثامن بالنفس النفيسة ربها * وليس لها فى الخلق كلهم ثمن
بها نشترى الجنات ان انا بعتها * بشئ سواها ان ذلكم غبن
اذا ذهبت نفسى بشئ اصيبه * فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن

وانشد ابو على الكوفى

من يشترى قبة فى عدن عالية * فى ظل طوبى رفيعات مبانيها
دلالها المصطفى والله بائعها * ممن اراد وجبريل مناديها

واعلم ان من بذل نفسه وماله فى طلب الجنة فله الجنة وهذا هو الجهاد الاصغر ومن بذل قلبه وروحه فى طلب
الله فله رب الجنة وهذا هو الجهاد الاكبر لان طريق التصفية وتبديل الاخلاق اصعب من مقاتلة الاعداء
الظاهرة فالقتل اما قتل العدو الظاهر واما قتل العدو الباطن وهو النفس وهواها (وعدا) مصدر مؤكد

لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا اذ الجنة يستحيل وجودها فى الدنيا فمضمون الجملة السابقة ناصب له قال سعدى المفتى لان معنى اشترى بان لهم الجنة وعدهم الله على الجهاد فى سبيله (عليه) حال من قوله (حقا) لانه لو تأخر عنه لكان صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالا واصله وعدا حقا اى ثابتا مستقرا عليه تعالى (قال الكاشفى) حقا ثابت وباقى كه خلاف نيست در آن (فى التوراة والانجيل والقرآن) متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اى وعدا مثبتا مذكورا فى التوراة والانجيل كما هو مثبت مذكور فى القرآن يعنى ان الوعد بالجنة للمقاتلين فى سبيل الله من هذه الامة مذكور فى كتب الله المنزلة وجوز تعلقه باشترى فيدل على ان اهل التوراة والانجيل ايضا مأمورون بالقتال موعودون بالجنة (ومن اوفى بعهده من الله) من استفهام بمعنى الانكار واوفى افعل تفضيل وقوله من الله صلته اى لا يكون احد وافيا بالوعد والعهد وفاء الله بعهده ووعده لانه تعالى قادر على الوفاء وغيره عاجز عنه الا بتوفيقه اياه كما فى التأويلات النجمية (فاستبشروا) الاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد والفاء لترتيب الاستبشار على ما قبله اى فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل (ببيعكم) مع ان الابتهاج به باعتبار ادآئه الى الجنة لان المراد ترغيبهم فى الجهاد الذى عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشرآء لان ذلك من قبل الله لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم قال الحدادى ببيعكم انفسكم من الله فانه لا مشترى ارفع من الله ولا ثمن اعلى من الجنة وقوله تعالى (الذى بايعتم به) انكه مبايعه كرديد بآن لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفانى بالباقى ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى (وذلك) اى الجنة التى جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم (هو الفوز العظيم) الذى لا فوز اعظم منه قال الحدادى اى النجاة العظيمة والثواب الوافر لانه نيل الجنة الباقية بالنفس الفانية ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذى امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا فى نفسه واعلم ان الخلق كلهم ملك لله وعبيد * وان الله يفعل فى ملكه وعبيده ما يريد * لا يسأل عما يفعل وهم يسألون * ولا يقال لم لم يرد ولم لا يكون * ومع هذا فقد اشترى من المؤمنين انفسهم لنفاستها لديه احسانا منه * ثم اعلم ان الاجل محكوم ومحتوم * وان الرزق مقسوم ومعلوم * وان من اخطأ لا يصيب * وان سهم المنية لكل احد مصيب * وان كل نفس ذائقة الموت * وان ما قدر ازلا لا يخشى من الفوت * وان الجنة تحت ظلال السيوف * وان الرى الاعظم فى شرب كؤوس الحتوف * وان من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار * ومن انفق دينارا كتب بسبعمائة دينار وفى رواية بسبعمائة الف دينار * وان الشهدآء حقا عند الله من الاحياء وان ارواحهم فى جوف طيور خضر تتبوأ من الجنة حيث تشاء * وان الشهيد يغفر له جميع ذنوبه وخطاياه * وانه يشفع فى سبعين من اهل بيته واولاده * وانه آمن يوم القيامة من الفزع الاكبر * وانه لا يجد كرب الموت ولا هول المحشر * وانه لا يحس بالم القتل * وان الطاعم النائم فى الجهاد افضل من الصائم القائم فى سواه * ومن حرس فى سبيل الله لا تبصر النار عيناه * وان المرابط يجرى له اجر عمله الصالح الى يوم قيامه * وان الف يوم لا تساوى يوما من ايامه * وان رزقه يجرى عليه كالشهيد ابدا لا يقطع * وان رباط يوم خير من الدنيا وما فيها * وانه يأمن من فتنة القبر وعذابه * وان الله يكرمه فى القيامة بحسن مآبه * الى غير ذلك واذا كان الامر كذلك * فيتعين على كل عاقل التعرض لهذه الرتبة وصرف عمره فى طلبها والتشمير للجهاد * عن ساق الاجتهاد * والنفير الى ذوى العناد * من كل العباد * وتجهيز الجيوش والسرايا * وبذل الصلات والعطايا * واقراض الاموال لمن يضاعفها ويزكيها * ودفع سلع النفوس من غير مماطلة لمشتريها * وان ينفر فى سبيل الله خفافا وثقالا * ويتوجه الى جهاد اعدآء الله ركبانا ورجالا * حتى يخرجوا الى الاسلام من اديانهم * او يعطوا الجزية صغرة بايمانهم * او تستلب نفوسهم من ابدانهم * وتجتذب رؤسهم من تيجانهم * فجموع ذوى الالحاد مكسرة * وان كانت بالتعداد مكثرة * وجيوش اولى العناد مدبرة مدمرة * وان كانت بعقولهم مقدمة مدبرة * وعزمات رجال الضلال مؤنثة مصغرة * وان كانت ذواتهم مذكرة مكبرة * الا ترى ان الله تعالى جعل كل مسلم يغلب منهم اثنين * وللذكر من العقل مثل حظ الانثيين * فوجب علينا ان نطير اليهم ونغير عليهم رجالا وفرسانا * ونجهد فى خلاص اسير ومكروب * واغتنام كل خطير ومحبوب *

ونبيد بايدى الجلاد حماة الشرك وانصاره * ونصول بالنصول الحداد على دعاة الكفر انهتك استاره * ونتطهر بدماء المشركين والكفار * من ارجاس الذنوب وانجاس الاوزار * هنالك فتحت من الجنة ابوابها * وارتفعت فرشها ووضعت اكوابها * وبرزت الحور العين عربها واترابها * وقام للجلاد على قدم الاجتهاد خطابها * فضربوا ببيض المشرفية فوق الاعناق * واستعذبوا من المنية مر المذاق * وباعوا الحياة الفانية بالعيش الباق * فوردوا من مورد الشهادة موردا لم يظمؤوا بعده ابدا * وربحت تجارتهم فكانوا اسعد السعدا * اولئك فى صفقة بيعهم هم الرابحون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون * اليك اللهم نمد اكف الضراعة ان تجعلنا منهم * وان لا تحيد بنا عند قيام الساعة عنهم * وان ترزقنا من فضلك شهادة ترضيك عنا * وتغفر الذنب الذى انقض الظهر وعنى * وتقبل نفوسنا اذ عرضناها رحمة منك وتفضلا ومنا * وحاشى كرمك ان نؤوب بالخيبة مما رجوناه واملنا * وانت ارحم الراحمين * وعن الشيخ عبد الواحد بن زيد قدس سره قال بينما نحن ذات يوم فى مجلسنا هذا قد تهيأنا للخروج الى الغزو وقد امرت اصحابى بقرآءة آيتين فقرأ رجل فى مجلسنا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة اذ قام غلام فى مقدار خمس عشرة سنة او نحو ذلك وقد مات ابوه وورثه مالا كثيرا فقال يا عبد الواحد بن زيد ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فقلت نعم حبيبى فقال انى اشهدك انى قد بعت نفسى ومالى بان لى الجنة فقلت له ان حد السيف اشد من ذلك وانت صبى وانى اخاف عليك ان لا تصبر وتعجز عن ذلك فقال يا عبد الواحد ابايع الله بالجنة ثم اعجز اشهد الله انى قد بايعته او كما قال رضى الله عنه قال عبد الواحد فتقاصرت الينا انفسنا وقلنا صبى يعقل ونحن لا نعقل فخرج من ماله كله وتصدق به الا فرسه وسلاحه ونفقته فلما كان يوم الخروج كان اول من طلع علينا فقال السلام عليك يا عبد الواحد فقلت وعليك السلام ربح البيع ان شاء الله ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا اذا نمنا حتى اذا انتهينا الى دار الروم فبينما نحن كذلك اذا به قد اقبل وهو ينادى واشوقاه الى العيناء المرضية فقال اصحابى لعله وسوس هذا الغلام واختلط عقله فقلت حبيبى وما هذه العيناء المرضية فقال انى قد غفوت غفوة فرأيت كانه قد اتانى آت فقال لى اذهب الى العيناء المرضية فهجم بى على روضة فيها بحر من ماء غير آسن واذا على شاطئ النهر جوار عليهن من الحلل ما لا اقدر ان اصفه فلما رأيننى استبشرن بى وقلن هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن افيكن العيناء المرضية فقلن لا نحن خدمها واماؤها امض امامك فمضيت امامى فاذا انا بنهر من لبن لم يتغير طعمه فى روضة فيها من كل زينة فيها جوار لما رأيتهن افتتنت بحسنهن وجمالهن فلما رأيننى استبشرن وقلن والله هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن افيكن العيناء المرضية فقلن وعليك السلام يا ولى الله نحن خدمها واماؤها فتقدم امامك فتقدمت فاذا انا بنهر من خمر وعلى شط الوادى جوار انسيننى من خلفت فقلت السلام عليكن افيكن العيناء المرضية قلن لا نحن خدمها واماؤها امض امامك فمضيت فاذا انا بنهر آخر من عسل مصفى امامى فوصلت الى خيمة من درة بيضاء وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلى والحلل ما لا اقدر ان اصفه فلما رأتنى استبشرت بى ونادت من الخيمة ايتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم قال فدنوت من الخيمة ودخلت فاذا هى قاعدة على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت فلما رأيتها افتتنت بها وهى تقول مرحبا بك يا ولى الله قد دنا لك القدوم علينا فذهبت لاعانقها فقالت مهلا فانه لم يأن لك ان تعانقنى لان فيك روح الحياة وانت تفطر الليلة عندنا ان شاء الله تعالى فانتبهت يا عبد الواحد ولا صبر لى عنها قال عبد الواحد فما انقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدو فحمل الغلام فعددت تسعة من العدو قتلهم وكان هو العاشر فمررت به وهو يتشحط فى دمه وهو يضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا ولله در القائل

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها * يمسى ويصبح مغرورا وغرارا
هلا تركت من الدنيا معانقة * حتى تعانق فى الفردوس ابكارا
ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها * فينبغى لك ان لا تأمن النارا

(التائبون) قال الزجاج هو مبتدأ خبره مضمر والمعنى التائبون الى آخر الآية من اهل الجنة كالمجاهدين فيما قبل هذه الآية فيكون الوعد بالجنة حاصلا للمجاهدين وغيرهم من المؤمنين وان لم يجاهدوا اذا كانوا غير

معاندين ولا قاصدين لترك الجهاد والمراد التائبون عن الشرك والنفاق وكل معصية صغيرة كانت او كبيرة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد يراد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة والرحمة وهى واجبة على الفور ويتقدمها معرفة الذنب المرجوع عنه انه ذنب وعلامة قبولها اربعة اشياء ان ينقطع عن الفاسقين ويتصل بالصالحين بالتردد الى مجالسهم الشريفة اينما كانوا وان يقبل على جميع الطاعات اذ الرجوع اذا صح من القلب ترى الاعضاء تنقاد لما خلقت له كالشجرة اذا صلح اصلها اثمر فرعها وان يذهب عنه فرح الدنيا اذ المقبل على الله لا يفرح بشئ مما سواه وكان عليه السلام متواصل الاحزان دائم الفكر وان يرى نفسه فارغا عما ضمن الله له يعنى الرزق مشتغلا بما امر الله تعالى قال الله تعالى يا ابن آدم خلقتك من تراب ثم من نطفة ولم يعيينى خلقك من العدم افيعيينى رغيف اسوقه لك فى حين وجودك فاذا وجدت هذه العلامات وجب على الناس ان يحبوه فان الله قد احبه ويدعوا له ان يثبته الله على التوبة ولا يعيروه بذنوبه ويجالسوه ويكرموه وليحذر التائب من نقض العهد والرجوع الى المعصية. يحيى بن معاذ كفت يك كناه بعد از توبه قبيحترست از هفتاد كناه بيش از توبه. قال القشيرى قدس سره التائبون اصناف فمن راجع يرجع من زلته الى طاعته ومن راجع يرجع عن شهود نفسه الى شهود لطفه ومن راجع يرجع عن الاحسان بنفسه وابناء جنسه الى الاستغراق بحقائق ربه (العابدون) الذين عبدوا الله تعالى مخلصين له. عبادت باحسان بيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست. والعبادة عبارة عن الاتيان بفعل يشعر بتعظيم الله تعالى. كويند امام اعظم رحمه الله بيست سال بوضوء شب نماز روز كزارد وهركز پهلو برزمين ننهاد وجامه خواب نداشت وسر برهنه ننشت وپاى دراز نكرد. وفى الحديث ان ابغض الخلق الى الله الصحيح الفارغ وقال القشيرى قدس سره العابدون الخاضعون لله بكل وجه الذين لا يسترقهم كرائم الدنيا ولا يستعبدهم عظائم العقبى فلا يكون العبد عبد الله على الحقيقة الا بعد تجرده عن كل حادث (الحامدون) اى المثنون عليه بالآئه الشاكرون له على نعمائه المادحون له بصفاته واسمائه وعمم بعضهم الحمد فاوجبه على النعم الدينية والدنيوية وكذا على الشدائد والمصائب فى الدنيا فى اهل او نفس او مال لانها نعم بالحقيقة بدليل انها تعرض العبد لمثوبات جزيلة حتى ما يقاسيه الاطفال عند الموت من الكرب الشديد ترجع فائدته الى الولى الصابر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله على ما ساء وسر كما فى منهاج العابدين ومما ينبغى ان يعلم ان التوفيق للتوحيد نعمة عظيمة من الله تعالى فليقل المؤمن دائما الحمد لله على دين الاسلام وتوفيق الايمان قال مجاهد فى تفسير قوله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين يعنى بالشاكرين على التوحيد فاذا عرفت هذا فلا يغرنك قول من قال ان نفس الدين وكذا الاسلام والايمان ليس بنعمة فكيف يحمد عليه وقال القشيرى الحامدون هم الذين لا اعتراض لهم على ما يحصل بقدرته ولا انقباض لهم عما يجب من طاعته (السائحون) عن ابن عباس رضى الله عنه كل ما ذكر فى القرءآن من السياحة فهو الصيام وفى الحديث سياحة امتى الصوم قال الشاعر. تراه يصلى ليله ونهاره * يظل كثيرا لذكر الله سائحا اى صائما وشبه الصوم بالسياحة لانه عائق عن الشهوات كالسائح لا يتوسع فى استيفاء ما يميل اليه طبعه لان الصوم رياضة نفسانية يتوسل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت كما ان السائح يصل الى ما لم يعرفه ولم يره وقال بعض العرفاء النكتة ان السياح يسيح فى الارض فاى بلد استطاب المقام فيه اقام واذا لم يستطب خرج منه الى بلد آخر فكذا الصائم اذا دخل الجنة يقال له ادخل من اى باب شئت واى غرفة وقصر استطبتها فانزلها فيسيح فى قصور الجنة ومنازلها اين ما شاء كالسياح فى الارض وقال الحسن السائحون الذين صاموا عن الحلال وامسكوا عن الحرام وههنا والله اقوام رأيناهم يصومون عن الحلال ولا يمسكون عن الحرام والله ساخط عليهم وقال القشيرى هم الصائمون عن شهود غير الله المكتفون من الله بالله وقال فى التأويلات النجمية السائحون السائرون الى الله بترك ما شغلهم عنه وقال عطاء المراد الغزاة فى سبيل الله يقطعون المنازل والمراحل الى ان يصلوا ديار الكفرة فيجاهدوهم وقال عكرمة هم طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد ورحل جابر رضى الله عنه من المدينة الى مصر لحديث واحد ولذا لا يعد احد كاملا الا بعد رحلته ولا يصل الى مقصوده الا بعد هجرته وقالوا كل من لم يكن له استاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف عن قلبه القناع فهو فى هذا الشأن سبط لا اب له دعى لا نسب له (الراكعون الساجدون) فى الصلاة وانما كنى بالركوع والسجود عن الصلاة لكون جهة العبادة

اظهر فيهما بالنسبة الى باقى اركان الصلاة فان هيئتى القيام والقعود قد يؤتى بهما على وفق العادة بخلاف الركوع والسجود فانهما ليسا من الهيئات الطبيعية الموافقة للعادة فلا يؤتى بهما الا على سبيل العبادة فكان لهما مزيد اختصاص بالصلاة وقال القشيرى الراكعون الخاضعون لله فى جميع الاحوال بخمودهم تحت سلطان التجلى وفى الخبر ان الله اذا تجلى لشئ خضع له والساجدون بنفوسهم فى الظاهر على بساط العبودية وبقلوبهم فى الباطن عند شهود الربوبية وقال فى التأويلات النجمية الراكعون الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الى القيام بوجوده الساجدون الساقطون عن هم على عتبة الوحدة بلاهم. چون تجلى كرد اوصاف قديم * پس بسوزد وصف حادث را كليم. (الآمرون بالمعروف) اى بالايمان والطاعة (والناهون عن المنكر) اى عن الشرك والمعاصى وقال الحدادى المعروف هو السنة والمنكر هو البدعة قال ابن ملك عند قوله عليه السلام وكل بدعة ضلالة يعنى كل خصلة جديدة اتى بها ولم يفعلها النبى عليه السلام ضلالة لان الضلالة ترك الطريق المستقيم والذهاب الى غيره والطريق المستقيم الشريعة خص من هذا الحكم البدعة الحسنة كما قال عمر رضى الله عنه فى التراويح نعمت البدعة قال العلماء البدعة خمسة واجبة كنظم الدلائل لرد شبه الملاحدة وغيرهم ومندوبة كتصنيف الكتب وبناء المدارس ونحوها ومباحة كالبسط فى الوان الاطعمة وغيرها ومكروهة وحرام وهما ظاهران انتهى يقول الفقير البناء اما للدرس العلم الظاهر واما للتعليم علم الباطن فاذا كان بناء المدارس من البدعة الحسنة فليكن بناء الخانقاه منها ايضا بل بناء الخانقاه اشرف لشرف معلومه فمن قال انه ليس فى مكة والمدينة خانقاه فما هذه الخوانق فى البلاد الرومية وغيرها ونهى عن الخانقاه والتردد اليه لجمعية الذكر واصلاح الحال بالخلوة والرياضة فانما قاله من جهله وحماقته ونهى عن ضلالته وشقاوته فهو ليس بآمر بالمعروف ولا ناه عن المنكر بل بالعكس كما لا يخفى ولقد كثر امثال هذا المنكر الطاعن فى هذا الزمان مع انهم لا حجة لهم ولا برهان والله المستعان وقال القشيرى الآمرون والناهون هم الذين يدعون الخلق الى الله تعالى ويحذرونهم عن غير الله يتواصون بالاقبال على الله وترك الاشتغال بغير الله ثم انه انما تخللت الواو الجامعة بين الآمرون والناهون للدلالة على انهما فى حكم خصلة واحدة لا يعتبر احدهما بدون الآخر وعلى هذا فثامن الاوصاف هو قوله والحافظون وواوه واو الثمانية وقيل الصفة الثامنة هى قوله والناهون وواوه واو الثمانية وذلك ان العرب اذا ذكروا اسماء العدد على سبيل التعداد يقولون واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة ثم يدخلون الواو على الثمانية ويقولون وثمانية تسعة عشرة للايذان بان الاعداد قد تمت بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام وان الثامن ابتداء تعداد آخر قال القرطبى هى لغة فصيحة لبعض العرب وعليها قوله ثيبات وابكارا وقوله وثامنهم كلبهم وقوله وفتحت ابوابها لان ابواب الجنة ثمانية واليه ذهب الحريرى فى درة الغواص وغيره من العلماء وقال النسفى فى تفسيره المسمى بالتيسير لا اصل لهذا القول عند المحققين فليس فى هذا العدد ما يوجب ذلك والاستعمال على الاطراد كذلك قال الله تعالى الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر بغير واو وقال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين الآية بغير واو فى الثامنة (والحافظون لحدود الله) اى فيما بينه وبينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه وقال القشيرى هم الواقفون حيث وقفهم الله الذين يتحركون اذا حركهم ويسكنون اذا سكنهم ويحفظون مع الله انفاسهم ثم انه لما كانت التكاليف الشرعية غير منحصرة فيما ذكر بل لها اصناف واقسام كثيرة لا يمكن تفصيلها وتبيينها الا فى مجلدات ذكر الله تعالى سائر اقسام التكاليف على سبيل الاجمال بقوله والحافظون لحدود الله والفقهاء ظنوا ان الذى ذكروه فى بيان التكاليف واف وليس كذلك لان افعال المكلفين قسمان افعال الجوارح وافعال القلوب وكتب الفقه مشتملة على شرح اقسام التكاليف المتعلقة باعمال الجوارح واما التكاليف المتعلقة باعمال القلوب فليس فى كتبهم منها الا القليل نادرا وبعض مباحثها مدققون فى الكتب الكلامية والبعض الآخر منها فصله الامام الغزالى وامثاله فى علم الاخلاق ومجموعها مندرج فى قوله تعالى والحافظون لحدود الله. شيخ احمد غزالى برادرش امام محمد غزالى كفت جملهٔ علم را بدو كلمه آورده ام التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال الحدادى وهذه الصفة من اتم ما يكون من المبالغة فى وصف العباد بطاعة الله والقيام باوامره والانتهاء عن زواجره لان الله تعالى بين حدوده فى الامر والنهى وفيما ندب اليه فرغب اليه

او خير فيه وبين ما هو الاولى فى مجرى موافقة الله تعالى فاذا قام العبد بفرائض الله تعالى وانتهى الى ما اراد الله
منه كان من الحافظين لحدود الله كما روى عن خلف بن ايوب انه امر امرأته ان تمسك عن ارضاع ولده فى بعض
الليل وقال قد تمت له السنتان فقيل له لو تركتها حتى ترضعه هذه الليلة قال فاين قوله تعالى والحافظون لحدود
الله (وبشر المؤمنين) يعنى هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان
ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل
عن احاطة الافهام وتعبير الكلام واعلى ذلك رؤية الله تعالى فى دار السلام واعلم ان كل عمل له جزاء مخصوص
يناسبه كالصوم مثلا جزاؤه الاكل والشرب كما قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية وقس على
هذا باقى الاعمال واجتهد فى تحصيل حسن الحال وفقنا الله واياكم الى اسباب مرضاته (ما كان للنبى والذين
آمنوا) بالله وحده اى ما صح لهم وما استقام فى حكم الله تعالى وحكمته (ان يستغفروا) اى يطلبوا المغفرة
(للمشركين) به سبحانه (ولو كانوا) اى المشركون (اولى قربى) اى ذوى قرابة لهم (من بعد ما تبين لهم) اى ظهر
للنبى عليه السلام والمؤمنين (انهم) اى المشركين (اصحاب الجحيم) اى اهل النار بان ماتوا على الكفر اونزل الوحى
بانهم يموتون على ذلك روى لما مرض ابو طالب وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد مضى عشر سنين من بعثته
عليه السلام وبلغ قريشا اشتداد مرضه قال بعضهم لبعض ان حمزة وعمر قد اسلما وقد فشا امر محمد فى قبائل
قريش كلها فانطلقوا بنا الى ابى طالب فليأخذ لنا على ابن اخيه وليعطه منا فانا والله ما نأمن ان يسلبوا امرنا
وفى رواية انا نخاف ان يموت هذا الشيخ فيكون منا شئ اى قتل محمد فتعيرنا العرب ويقولون تركوه حتى اذا مات
عمه تناولوه فمشى اليه اشرافهم منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وامية بن خلف وابو سفيان فانه اسلم ليلة
الفتح فارسلوا رجلا فاستأذن لهم على ابى طالب فقال هؤلاء اشراف قومك يستأذنون عليك قال ادخلهم
فدخلوا عليه فقالوا يا ابا طالب انت سيدنا وكبيرنا وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذى بيننا وبين
ابن اخيك فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه ليدعنا ودينا وندعه ودينه فبعث اليه عليه السلام ابو طالب فجاء
ولما دخل عليه السلام على ابى طالب وكان بين ابى طالب وبين القوم فرجة تسع الجالس فخشى ابو جهل ان
يجلس النبى عليه السلام فى تلك الفرجة فيكون ارق منه وثب لعنه الله فجلس فيها فلم يجد عليه السلام
مجلسا قريبا الى ابى طالب فجلس عند الباب فقال ابو طالب لرسول الله عليه السلام يا ابن اخى هؤلاء اشراف
قومك اعطهم ما سألوك فقد انصفوك سألوا ان تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك فقال عليه السلام ارأيتكم
ان اعطيتكم ما سألتم فهل تعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب ويدين لكم بها العجم اى يطيع ويخضع فقال
ابو جهل نعطيكها وعشر امثالها فما هى قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا بايديهم
ثم قالوا اسلنا يا محمد غير هذه الكلمة فقال لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى ما سألتكم غيرها ثم قال بعضهم
لبعض والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيأ مما تريدون فامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بيننا وبينه
ثم تفرقوا وعند ذلك قال عليه السلام اى عم فانت فقلها اشهد لك بها عند الله فقال والله يا ابن اخى لولا مخافة
العار عليك وعلى بنى ابيك من بعدى وان تظن قريش انى انما قلتها خوفا من الموت لقلتها فلما ابى عن كلمة التوحيد
قال عليه السلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه وذلك لغلبة همته على مغفرته لانه كان يحفظه عليه السلام
وينصره ولما مات نالت قريش من رسول الله من الاذى ما لم تكن تطمع فيه فى حياة ابى طالب حتى ان بعض
سفهاء قريش نثر على رأس النبى عليه السلام التراب فدخل بيته والتراب على رأسه فقام اليه بعض بناته
وجعلت تزيله عن رأسه وتبكى ورسول الله يقول لها لا تبكى يا بنية فان الله مانع اباك فبقى عليه السلام
يستغفر لابى طالب من ذلك الوقت الى وقت نزول هذه الآية وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سأل عن ابويه ايهما اقرب به عهدا فقيل له امك آمنة فقال هل تعلمون موضع قبرها لعلى
آتيه فاستغفر لها فان ابراهيم عليه السلام استغفر لابويه فقال المسلمون ونحن ايضا نستغفر لابائنا واهلينا
فانطلق رسول الله وذلك فى سنة الفتح فانتهى الى قبر امه فى الابواء منزل بين مكة والمدينة وذلك انه عليه السلام
ولد بعد ان توفى ابوه عبد الله ودفن بالمدينة لما انه قد خرج اليها لحاجة فادركه الموت هناك وكان عليه السلام
مع امه آمنة فلما بلغ ست سنين خرجت آمنة الى اخوالها بالمدينة تزورهم ثم رجعت به الى مكة فلما كانت

بالابواء توفيت هناك وقيل دفنت بالحجون ويمكن الجمع بينهما بانها دفنت اولا بالابواء ثم نقلت من ذلك المحل
الى مكة كما فى السيرة الحلبية فلما جلس عليه السلام عند قبر امه ناجى طويلا ثم بكى بكاء شديدا فبكينا لبكائه فقلنا
يا رسول الله ما الذى ابكاك قال استأذنت ربى فى زيارة قبر امى فاذن لى فاستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى
وانزل على الآيتين آية ما كان للنبى وآية وما كان استغفار ابراهيم قال بعضهم لا مانع من تكرر سبب النزول
فيجوز ان تنزل الآيتان لما استغفر لامه ولما استغفر لعمه يقول الفقير سامحه القدير فيه بعد لانه ان سبق النزول
لاستغفار امه فكيف يبقى النبى عليه السلام على استغفار عمه وقد ثبت ان هذه السورة الكريمة من آخر القرآن
نزولا وكذا العكس ومن ادعى الفرق بين الاستغفارين فعليه البيان (وما كان استغفار ابراهيم لابيه) بقوله
واغفر لابى اى بان توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين (الا عن موعدة)
استثناء مفرغ من اعم العلل اى لم يكن استغفاره لابيه آزر ناشئا عن شئ من الاشياء الا عن موعدة (وعدها)
ابراهيم (اياه) اى اباه بقوله لاستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربى بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره
(فلما تبين له) اى لابراهيم بان اوحى اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بان مات على الكفر والاول هو
الانسب بقوله (انه عدو لله) فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت (تبرأ منه) اى تنزه عن الاستغفار له وتجانب
كل التجانب (ان ابراهيم لاواه) الكثير التأوه وهو ان يقول الرجل عند التضجر والتوجع آه من كذا او يقول آوه
بالمد والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء لتطويل الصوت بالشكاية والاواه الخاشع المتضرع وقيل انه كلما ذكر
تقصيرا او ذكر له شئ من شدائد الآخرة كان يتأوه اشفاقا واستعظاما كما قال كعب الاواه هو الذى اذا ذكرت
عنده النار قال آه وقيل معناه الموقن بلغة الحبشة الا ان من قال لا يجوز ان يكون فى القرآن شئ غير عربى قال
هذا موافق للعربية بلغة الحبشة والملائم انه كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب لانه ذكر فى معرض التعليل
لاستغفاره لابيه المشرك والمعنى انه مترحم متعطف وافر طرحمته ورأفته كان يتعطف لابيه الكافر (حليم)
صبور على الاذية ولذلك كان يحلم على ابيه ويتحمل اذاه ويستغفر له مع صعوبة خلقه وغلظ قلبه وقوله لارجمنك
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استغفر لعمه وهو مشرك كما استغفر ابراهيم عليه السلام لابيه المشرك
ثم نهى عن الاستغفار للكافر نزلت هذه الآية لبيان عذر من استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع عنه وهو
قوله تعالى (وما كان الله ليضل قوما) اى ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجرى عليهم
احكامه (بعد اذ هداهم) للاسلام (حتى يبين لهم) بالوحى صريحا او دلالة (ما يتقون) اى يجب اتقاؤه من
محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به وفيه
دليل على ان العاقل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل (ان الله بكل شئ عليم) اى انه تعالى عليم بجميع
الاشياء التى من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل فى معرفته فبين لهم ذلك كما فعل ههنا (ان الله له
ملك السموات والارض) من غير شريك له فيه * واحداندر ملك اورايارنى * بند كانش راجز اوسالارنى *
نيست خلقش رادكر كس مالكى * شركتش دعوى كند جز هالكى (يحيى ويميت) اى يحيى الاموات ويميت
الاحياء اى يوجد الحياة والموت فى الارض والاجساد وقلوب الامم (وما لكم من دون الله) اى حال كونكم
متجاوزين ولايته ونصرته (من ولى ولا نصير) لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وضمن
ذلك التبرى منهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى امره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة
الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم ويتبرؤا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه بقى
ههنا ان الجم الغفير من العلماء ذهبوا الى ان النبى عليه السلام مر على عقبة الحجون فى حجة الوداع فسأل الله
ان يحيى امه فاحياها فآمنت به وردها الله تعالى اى روحها قال فى انسان العيون لا يقال على ثبوت هذا الخبر
وصحته التى صرح بها غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا الى من طعن فيه كيف ينفع الايمان بعد الموت ولا يعترض
لانا نقول هذا من جملة خصوصياته صلى الله عليه وسلم وفى كلام القرطبى قد احيى الله تعالى على يده جماعة من
الموتى فاذا ثبت ذلك فما يمتنع ايمان ابويه بعد احيائهما ويكون زيادة فى كرامته وفضيلته ولو لم يكن احياء ابويه
نافعا لايمانهما وتصديقهما لما احييا كما ان رد الشمس لو لم يكن نافعا فى بقاء الوقت لم ترد والله اعلم انتهى يقول
الفقير قد اشبعنا الكلام فى ايمان ابوى النبى عليه السلام وكذا ايمان عمه ابى طالب وجده عبد المطلب بعد

الاحياء فى سورة البقرة عند قوله تعالى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم فارجع اليه وجاء ان عبد المطلب رفض
فى آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله وتؤثر عنه سنن جاء القرءآن باكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر
والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهى عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنى وان لا يطوف بالبيت
عريان كذا فى كلام سبط ابن الجوزى وقال فى ابكار الافكار فى مشكل الاخبار ان عبد المطلب قد كان يتعبد
فى كثير من احواله بشريعة ابراهيم عليه السلام ويتمسك بسنن اسمعيل عليه السلام ولم ينكر نبوة محمد عليه
السلام اذ لم يكن قد بعث فى ايامه ولا يقطع بكفر من مات فى زمن الفترة فلم يكن حكمه حكم الكفار المشركين
الذين شهد النبى عليه السلام بانهم فحم فى جهنم انتهى قال فى السيرة الحلبية منع الاستغفار لامه عليه السلام
انما يأتى على القول بان من بدل دينه اوغيره اوعبد الاصنام من اهل الفترة معذب وهو قول ضعيف مبنى على
وجوب الايمان والتوحيد بالعقل والذى عليه اكثر اهل السنة والجماعة ان لا يجب ذلك الا بارسال الرسل
ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسمعيل عليه السلام وان اسمعيل انتهت رسالته بموته كبقية
الرسل لان ثبوت الرسالة بعد الموت من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم وان اهل الفترة من العرب
لا تعذيب عليهم وان غيروا اوبدلوا اوعبدوا الاصنام والاحاديث الواردة بتعذيب من ذكر اومن بدل اوغير
اوعبد الاصنام مؤولة اوخرجت مخرج الزجر للحمل على الاسلام ثم رأيت بعضهم رجح ان التكليف بوجوب
الايمان بالله تعالى وتوحيده اى بعدم عبادة الاصنام يكفى فيه وجود رسول دعا الى ذلك وان لم يكن الرسول
مرسلا لذلك الشخص بان لم يدرك زمنه حيث بلغه انه دعا الى ذلك اوامكنه علم ذلك وان التكليف بغير ذلك من
الفروع لابد فيه من ان يكون ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص قد بلغته دعوته وعلى هذا فمن لم يدرك زمن
نبينا صلى الله عليه وسلم ولا زمن من قبله من الرسل معذب على الاشراك بالله بعبادته الاصنام لانه على فرض
ان لا تبلغه دعوة احد من الرسل السابقين الى الايمان بالله وتوحيده ولكنه كان متمكنا من علم ذلك فهو تعذيب
بعد بعث الرسل لا قبله وحينئذ لا يشكل ما اخرجه الطبرانى فى الاوسط بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بعث الله نبيا الى قوم ثم قبضه الا جعل بعده فترة يملأ من تلك
الفترة جهنم ولعل المراد المبالغة فى الكثرة والا فقد اخرج الشيخان عن انس رضى الله عنه عن النبى عليه السلام
انه قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيرتد بعضها الى بعض وتقول
قط قط اى حسبى بعزتك وكرمك واما بالنسبة لغير الايمان والتوحيد من الفروع فلا تعذيب على تلك الفروع
لعدم بعثة رسول اليهم فاهل الفترة وان كانوا مقرين بالله الا انهم اشركوا بعبادة الاصنام فقد حكى الله عنهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ووجه التفرقة بين الايمان والتوحيد وغير ذلك ان الشرائع بالنسبة
للايمان بالله والتوحيد كالشريعة الواحدة لاتفاق جميع الشرائع عليه هذا وقد جاء انهم اى اهل الفترة يمتحنون
يوم القيامة فقد اخرج البزار عن ثوبان ان النبى عليه السلام قال اذا كان يوم القيامة جاء اهل الجاهلية يحملون
اوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل الينا رسولا ولم يأتنا لك امر ولو ارسلت الينا رسولا لكنا
اطوع عبادك فيقول لهم ربهم ارأيتم ان امرتكم بامر ان تطيعونى فيقولون نعم فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيرسل
اليهم ان ادخلوا النار فينطلقون حتى اذا رأوها فرقوا فرجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع ان ندخلها
فيقول ادخلوها داخرين فقال النبى عليه السلام لو دخلوها اول مرة كانت عليهم بردا وسلاما قال الحافظ ابن
حجر فالظن بآله صلى الله عليه وسلم يعنى الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون عند الامتحان اكراما للنبى عليه
السلام لتقر عينه ونرجوان يدخل عبد المطلب الجنة فى جماعة من يدخلها طائعا الا ابا طالب فانه ادرك
البعثة ولم يؤمن به بعد ان طلب منه الايمان انتهى كلامه ولعله لم يذهب الى مسئلة الاحياء ولذا قال ما قال
فى حق ابى طالب * نا اميدم مكن از سابقهٔ لطف ازل * تو چه دانى كه پس پرده كه خوبست وكه
زشت (لقد تاب الله على النبى) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو العفو عن اذنه للمنافقين فى التخلف عنه
وهذا الاذن وان صدر عنه عليه السلام وحده الا انه اسند الى الكل لان فعل البعض يسند الى الكل لوقوعه
فيما بينهم كما يقال بنو افلان قتلوا زيدا وهذا الذنب من قبيل الزلة لان الانبياء معصومون عن الكبائر والصغائر
عندنا لا ان ركوب الذنوب مما يسقط حشمة من يرتكبها وتعظيمه من قلوب المؤمنين والانبياء يجب

ان يكونوا مهابين موقرين ولذا عصموا من الامراض المنفرة كالجذام وغيره فليس معنى الزلة انهم زلوا عن الحق
الى الباطل ولكن معناها انهم زلوا عن الافضل الى الفاضل وانهم يعاتبون به لجلال قدرهم ومكانتهم من الله
تعالى كما قال ابو سعيد الخراز قدس سره حسنات الابرار سيئات المقربين وقال السلمى ذكر توبة النبى عليه
السلام لتكون مقدمة لتوبة الامة وتوبة التابع انما تقبل التصحيح بالمقدمة وقال فى التأويلات النجمية التوبة
فضل من الله ورحمة مخصوصة به اينعم بذلك على عباده فكل نعمة وفضل يوصله الله الى عباده يكون
عبوره على ولاية النبوة فمنها يفيض على المهاجرين والانصار وجميع الامة فلهذا قال لقد تاب الله على النبى
(والمهاجرين والانصار) يدل عليه قوله عليه السلام ما صب الله فى صدرى شيأ الا وصببته فى صدر ابى بكر
رضى الله عنه والانصار جمع نصير كشريف واشراف او جمع ناصر كصاحب واصحاب وهم عبارة عن الصحابة
الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل المدينة وهو اسم اسلامى سمى الله تعالى به الاوس والخزرج
ولم يكونوا يدعون بالانصار قبل نصرتهم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قبل نزول القرءآن بذلك
وحبهم واجب وهو علامة الايمان وفى الحديث آية المؤمن حب الانصار وحب الانصار آية الايمان وآية النفاق
بغض الانصار كذا فى فتح القريب والمهاجرون افضل من الانصار كما يدل عليه قوله عليه السلام لولا الهجرة
لكنت امرأ من الانصار قال ابن الملك المراد منه اكرام الانصار فانه لا رتبة بعد الهجرة اعلى من نصرة الدين انتهى
وباقى الكلام سبق عند قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية فارجع الى تفسيرها
(الذين اتبعوه) اى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره (فى ساعة العسرة) اى وهو
الزمان الذى وقع فيه غزوة تبوك فانه قد اصابتهم فيها مشقة عظيمة من شدة الحر وقلة المركب حتى كانت العشرة
تعتقب على بعير واحد ومن قلة الزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها
الماء المتغير ومن قلة الماء حتى شربوا الفظ وهو ماء الكرش عن عمر رضى الله عنه خرجنا فى قيظ شديد واصابنا
فيه عطش شديد حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه (قال الكاشفى) وبرطوبات اجواف وامعاء آن
دهن ترميسا ختند * ولذلك سميت غزوة العسرة وسمى من جاهد فيها بجيش العسرة وهذه صفة مدح
لاصحاب النبى عليه السلام باتباعهم اياه فى وقت الشدة ومع ذلك فقد كانوا محتاجين الى التوبة فما ظنك بغيرهم
ممن لم يقاس ما قاسوه (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) اى يميل قلوب طائفة منهم عن الثبات مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان هموا ان ينصرفوا فى غير وقت الانصراف من غير ان يؤذن لهم فى ذلك لشدائد
اصابتهم فى تلك الغزوة لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما ظهر على قلوبهم فتاب الله عليهم وفى كاد ضمير
الشأن وجملة يزيغ فى محل النصب على انها خبر كاد وخبر كاد اذا كان جملة لابد ان يكون فيه ضمير يعود على
اسمها الا اذا كان اسمها ضمير الشان فحينئذ لا يجب ان يكون فيه ضمير يعود الى اسمها (ثم تاب عليهم) اى تجاوز
عن ذنبهم الذى فرط منهم وهو تكرير للتأكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة
(قال الحافظ) مكن زغصه شكايت كه در طريق طلب * براحتى نرسيد آنكه زحمتى نكشيد (انه) اى
الله تعالى (رؤف رحيم) استئناف تعليل فان صفة الرأفة والرحمة من دواعى التوبة والعفو ويجوز كون
الاول عبارة عن ازالة الضرر والثانى عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والآخر للواحق ومن
كمال رحمته ارسال حبيبه واظهار معجزاته روى انهم شكوا للنبى عليه السلام عسرة الماء فى غزوة تبوك فقال
ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ان الله تعالى عودك فى الدعاء خيرا فادع الله لنا قال اتحب ذلك قال نعم فرفع
عليه السلام يديه فلم يرجعهما حتى ارسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون اليه وتلك
السحابة لم تتجاوز العسكر وروى انهم نزلوا يوما فى غزوة تبوك على غير ماء بفلاة من الارض وقد كادت اعناق
الخيل والركاب تتقطع عطشا فدعا عليه السلام وقال اين صاحب الميضأة قيل هو ذا يا رسول الله قال جئنى
بميضأتك فجاء بها وفيها شئ من ماء فوضع اصابعه الشريفة عليها فنبع الماء بين اصابعه العشر واقبل الناس
واستقوا وفاض الماء حتى رووا وروّوا خيلهم وركابهم وكان فى العسكر من الخيل اثنا عشر الف فرس ومن
الابل خمسة عشر الف بعير والناس ثلاثون الفا وفى رواية سبعون قال السلطان سليم الاول من الخواقين
العثمانية * كوثر نمى زچشمهٔ احسان رحمتش * آب حيات قطرهٔ از جام مصطفاست * روى انهم

لما اصابهم فى غزوة تبوك مجاعة قالوا يارسول الله لو اذنت لنا نحرنا نواضحنا وادهنا فقال عمر رضى الله عنه
يارسول الله ان فعلت فنى الظهر ولكن ادعهم بفضل ازوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله ان يجعلها
فى ذلك فقال عليه السلام نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل ازوادهم فجعل الرجل يأتى بكف من ذرة ويجيء
الآخر بكف من تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شئ يسير فدعا عليه السلام بالبركة
ثم قال خذوا فى اوعيتكم فاخذوا حتى ماتركوا فى العسكر وعاء الاملؤه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال
صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله لايلقى الله بهما عبد غير شاك الا وقاه الله النار (قال
الشيخ المغربى قدس سره) كل توحيد نروید ززمینى كه درو * خارشرك وحسد وكبر وريا وكين است *
والاشارة فى الاية لقد تاب الله على النبى اى نبى الروح بمنزلة النبى يأخذ بالهام الحق حقائق الدين ويبلغها الى
امته من القلب والنفس والجوارح والاعضاء فالمعنى افاض الله على نبى الروح ومهاجرى صفاته الذين هاجروا
معه من مكة الروحانية الى المدينة الجسدانية والانصار من القلب والنفس وصفاتها وهم ساكنوا مدينة الجسد
فيوضات الرحمة الذين اتبعوا الروح ساعة رجوعه الى عالم العلو بالعسرة اذهم نشأوا فى عالم السفل يعسر عليهم
السير الى عالم العلو من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق من النفس وصفاتها وهواها فان ميلها طبعا الى عالم السفل
ثم تاب عليهم بافاضة الفيض الربانى لتعليهم عن طبعهم انه بهم رؤف رحيم ليجعلهم باكسير الشريعة قابلين
للرجوع الى عالم الحقيقة كذا فى التأويلات النجمية (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) اى وتاب الله على الثلاثة الذين
اخر امرهم ولم يقطع فى شأنهم بشئ الى ان نزل فيهم الوحى وهم كعب بن مالك الشاعر ومرارة بن الربيع العنبرى
وهلال بن امية الانصارى يجمعهم حروف كلمة مكه وآخر اسماء آبائهم عكه (حتى اذا ضاقت عليهم الارض)
غاية للتخفيف اى اخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض (بما رحبت) اى برحبها وسعتها لاعراض الناس حتى
عن المكالمة معهم ولو بالسلام ورده وكانوا يخافون ان يموتوا فلا يصلى النبى عليه السلام ولا المؤمنون على
جنازتهم وهو مثل لشدة الحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار (وضاقت عليهم انفسهم) اى امتلأت
قلوبهم بفرط الوحشة والغم بحيث لم يبق فيها مايسع شيأ من الراحة والانس والسرور عبر عن الراحة
والسرور بضمير عليهم حيث قيل ضاقت عليهم تنبيها على ان انتفاء الراحة والسرور بمنزلة انتفاء ذواتهم (وظنوا
ان لا ملجأ من الله الا اليه) اى علموا وايقنوا ان لا ملاذ ولا خلاص من سخطه تعالى الا الى استغفاره فظنوا
بمعنى علموا الا انه تعالى ذكر هذا الوصف فى معرض المدح والثناء وذا لا يكون الا مع علمهم بذلك وقوله ان مخففة
من الثقيلة واسمها ضمير شأن مقدر ولا مع مافى حيزها خبر ان ومن الله خبر لا وان مع مافى حيزها ساد مساد
مفعولى ظنوا والا استثناء من العام المحذوف اى وعلموا ان الشان لا التجاء من سخط الله الى احد الا اليه قال
بعض المتقدمين من تظاهرت عليه النعم فليكثر الحمد لله ولمن كثرت همومه فليكثر الاستغفار واعلم ان من توغل
فى بحر التوحيد بحيث لا يرى فى الوجود الا الله لم يلتجئ الا الى الله فالفرار ليس الا اليه على كل حال واما المظاهر
او المحال فليست الا اسبابا (وفى المثنوى) كرچه سايه عكس شخص است اى پسر * هيچ از سايه
نتانى خورد بر * هين زسايه شخص رامى كن طلب * درمسبب روكذركن از سبب (ثم تاب عليهم)
اى وفقهم للتوبة (ليتوبوا) ليرجعوا عن المعصية واعلم ان ههنا امورا ثلاثة التوفيق للتوبة وهو مادل عليه
قوله ثم تاب ونفس التوبة وهو مادل عليه قوله ليتوبوا وقبول الله تعالى اياها وهو مادل عليه قوله وعلى
الثلاثة وانما عطف الامر الاول على الثالث بكلمة ثم لكونه اصل الجميع مقدما على الامر الثالث بمرتبتين
فتكون كلمة ثم للتراخى الرتبى ويجوز ان يكون المعنى ثم تاب عليهم اى انزل قبول توبتهم ليتوبوا اى ليصيروا من
جملة التوابين ويعدوا منهم فتكون كلمة ثم على اصل معناها لان انزال القبول متفرع على نفس القبول المذكور
بقوله وعلى الثلاثة (ان الله هو التواب الرحيم) اى المبالغ فى قبول التوبة لمن تاب وان عاد فى اليوم مائة مرة
المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم لافانين العقاب * كر لطف تو يارى نمايد زنخست * هم توبه
شكسته است وهم پيمان سست * چون توبه باميد پذيرفتن تست * تا تو نپذيرى نبود توبه درست *
روى ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عليه
السلام عن الحسن انه قال بلغنى انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفنى

الاظلك وانتظار ثمارك اذهب فانت فى سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه مابطأنى ولاخلفنى
الا الضن بك فلا جرم والله انى لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فركب ولحق ولم يكن
لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفسى ماخلفنى الا حب الحياة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق
برسول الله صلى الله عليه وسلم فتأبط زاده ولحق به عليه السلام وعن ابى ذر الغفارى ان بعيره ابطأه فحمل
متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا * راه نزديك وبماندم سخت دير * سيركشتم
زين سوارى سير سير * فقال صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال عليه السلام
رحم الله ابا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده ومنهم من بقى ولم يلحق به عليه السلام منهم الثلاثة
وكان كعب شهد بيعة العقبة وهلال ومرارة شهدا بدرا قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم جئته
وسلمت عليه فرد على كالمغضب بعد ما ذكرنى وقال ياليت شعرى ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه
والنظر فى عطفيه قال ما اعلم الا فضلا واسلاما وقال ما خلفك عنى الم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت ما خلفنى
عنك عذر وانما تخلفت بمجرد الكسل وقلة الاهتمام فقال عليه السلام قم عنى حتى يقضى الله فيك وكذا
قال لصاحبيه ونهى عن كلامهم فاجتنبهم الناس ولم يكلمهم احد من قريب ولا بعيد فاما الرجلان فمكثا
فى بيوتهما يبكيان واما كعب فكان يحضر الصلاة مع المسلمين ويطوف فى الاسواق فلا يكلمه احد منهم قال كعب
وبينا انا امشى بسوق المدينة اذا انبطى من انباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلنى على كعب
ابن مالك فطفق اى جعل الناس يشيرون له حتى اذا جاءنى دفع الى كتابا من ملك غسان الى وهو الحارث بن ابى
شمر وكان الكتاب ملفوفا فى قطعة من الحرير فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنى ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله
بدار هوان ولا بضيعة ذل فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأته وهذا ايضا من البلاء فتيممت اى قصدت به التنور
فسجرته به اى القيته فيه والانباط قوم يسكنون البطايح بين العراقين قال حتى اذا مضت اربعون
ليلة جاءنى رسول من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان تعتزل
امرأتك فقلت اطلقها ام ماذا قال لا بل اعتزلها ولا تقربها وارسل الى صاحبى وهما هلال ومرارة بمثل ذلك
فقلت لامرأتى الحقى باهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر فجاءت امرأة هلال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يارسول الله ان هلالا شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه فقال عليه السلام
لا ولكن لا يقربك وقالت والله انه مابه حركة الى شئ والله مازال يبكى منذ كان من امره ما كان الى يومه
هذا فمضى بعد ذلك عشر ليال حتى كملت خمسون ليلة من حين النهى عن الكلام قال كعب فلما كان صلاة
الفجر صبح تلك الليلة سمعت صوتا من ذروة جبل سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر

ابشروا يا قوم اذ جاء الفرج * افرحوا يا قوم قد زال الحرج

مى دمد در كوش هر غمكين بشير * خيز اى مدبر ره اقبال كير * اى درين حبس ودرين كند وشبش *
هين كه تا كس نشنود رستى خمش * چون كنى خامش كنون اى يار من * كز بن هر مو برآمد طبل
زن * فخررت ساجدا وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعلم بتوبة الله علينا فلما جاءنى الرجل الذى
سمعت صوته يبشرنى وهو حمزة بن عمرو الاوسى نزعت ثوبى فكسوته اياهما ببشراه والله ما املك غيرهما يومئذ
بعيد نيست كه صد جان بمژده بستاند * برين بشارت دولت كه عن قريب آمد * واستعرت من ابن عمى
ابى قتادة ثوبين فلبستهما وكان المبشر لهلال بن امية اسعد بن سعد ولمرارة بن ربيع سلكان بن سلامة قال كعب
انزل الله توبتنا على نبيه حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة رضى الله
عنها وكانت ام سلمة محسنة فى شأنى معينة فى امرى فقال عليه السلام يا ام سلمة تيب على كعب قالت افلا ارسل
اليه فابشره قال اذا يحطم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
الفجر اعلم بتوبة الله علينا قال فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانى الناس فوجا فوجا يهنئوننى
بالتوبة يقولون ليهنئك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحوله
الناس فقام الى طلحة بن عبد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره
ولا انساها لطلحة وذلك لانه عليه السلام كان آخى بينهما حين قدم المدينة قال فلما سلمت على رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور وكان عليه السلام اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر قال السلطان سليم
الاول من السلاطين العثمانية * كرآ كهى زمعى والشمس والضحى * تعريف ماه روى دلاراى
مصطفاست * بنكر بچرخ وكوكبه اشكر نجوم * كا نها فروغ كوهر والاى مصطفاست * فلما
جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم قال ابشر يا كعب بخير يوم مامر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وهى
لقد تاب الله الى قوله وكونوا مع الصادقين فقلت يا رسول الله ان من توبتى ان انخلع من مالى صدقة الى الله
والى رسوله قال امسك عليك بعض مالك فهو خير لك وعن ابى بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال
ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه * توبه كردم
حقيقت باخدا * نشكنم تا جان شدن از تن جدا واعلم ان فى قصة هؤلاء الثلاثة اشارة الى ان الهجران بين
المسلمين اذا كان فيه صلاح لدين المهجور لا يحرم هجره حتى يزول ذلك وتظهر توبته وكذا اذا كان المهجور
مذموم الحال لبدعة او فسق او نحوهما فانه لا يحرم الهجران الى ظهور التوبة لانه لحق الله لما كان فى جانب
الدين فيجوز فوق ثلاثة ايام ولا يجوز الزيادة على الثلاثة فيما كان بينهم من الامور الدنيوية وحظوظ النفس
وانما عفى عنه فى الثلاثة لان الآدمى مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك فعفى عن الهجر فى الثلاثة
ليذهب ذلك العارض فعلى العاقل ان يسارع الى تحصيل الاخوة فى الله ويجتنب عن التحاسد والتباغض
والتدابر * هيچ رحمى نه برادر ببرادر دارد * هيچ شوقى نه پدر را بپسر مى بينم * دختران را همه جنكست
وجدل با مادر * پسران را همه بدخواه پدر مى بينم (يا ايها الذين آمنوا) قولا وتصديقا (اتقوا الله)
فيما لا يرضاه (وكونوا مع الصادقين) فى كل شأن من الشؤون اى القائلين بالحق العاملين به ومع الصادقين
فى معنى من الصادقين او فى الصادقين لان مع للمصاحبة وفى للوعاء ومن للتبعيض فاذا كانوا فى جهتهم فهم
على المعانى الثلاثة اى كونوا فى جملة الصادقين ومصاحبين لهم او لبعضهم وفى الاية دليل على فضل الصدق وعلو
درجته وحث عليه قال بعض اهل المعرفة من لم يؤد الفرض الدائم لم يقبل منه الفرض الموقت قيل ما الفرض
الدائم قال الصدق * از كجا افتى بكم وكاستى * از همه غم برستى اكر راستى * راستى خويش نهان
كس نكرد * بر سخن راست زيان كس نكرد * وفى الحديث التجار يحشرون يوم القيامة فجارا الا من
اتقى وبر وصدق الفجار جمع فاجر وهو المنبعث فى المعاصى والمحارم سماهم فجارا لما فى البيع والشراء من الايمان
الكاذبة والغبن والتدليس والربا الذى لا يتحاشاه احدهم ولذا قال فى تمام الحديث الا من اتقى اى الكذب
وبر فى يمينه اى صدق وصدق فى حديثه وقيل الا من خاف الله فلا يترك اوامره ولا يفعل المناهى وبر اى احسن
فلا يؤذى احدا ولا يوصل ضررا الى احد وصدق فى ثمن المتاع فلم ينفق سلعته بالحلف الكاذب مثل ان يقول
للمشترى اشتريت هذا بمائة درهم والله ولم يشتره بها بل اقل منها وبالحلف الكاذب يمحق الله البركة من الثمن
وفى الحديث ان اطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا ائتمنوا لم يخونوا واذا وعدوا
لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا واذا باعوا لم يمدحوا واذا كان عليهم لم يمطلوا واذا كان لهم لم يعسروا فالصدق فى كل
الاحوال ممدوح وصاحبه محمود فى الدنيا والآخرة * دانى ز چه روسر وروان سرسبزست * پيوسته
چرا بوستيان سرسبزست * چون مذهب اوست راستى در همه وقت * بر طرف چمن هميشه زان سر
سبزست ثم ان مطل العارفين فى الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية قال احمد بن الحوارى قلت
لابى سليمان الدارانى قدس سرهما انى قد غبطت بنى اسرآئيل قال باى شئ قلت بثمانمائة سنة من العمر حتى
يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالاوتار قال ما ظننت الا وقد جئت بشئ والله ما يريد منا ان تيبس جلودنا
على عظامنا ولا يريد منا الا صدق النية فيما عنده هذا اذا صدق فى عشرة ايام نال ما ناله ذلك فى عمره الطويل
انتهى فرب عمر اتسعت آماده وقلت امداده كاعمار بنى اسرآئيل اذ كان الواحد منهم يعيش الفا ونحوها
ولم يحصل له شئ مما تحصل لهذه الامة مع كثرة اعمارها ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده كعمر من فتح
عليه من هذه الامة فوصل الى عناية الله بلمحة كما قال الامام الغزالى قدس سره فى منهاج العابدين منهم من
يقطع هذه العقبات فى سبعين سنة ومنهم من يقطعها فى عشرين سنة ومنهم من يقطعها فى عشر سنين ومنهم من
تحصل له فى سنة ومنهم من يقطعها فى شهر بل فى جمعة بل فى ساعة كسحرة موسى حكى ان رابعة البصرية كانت

امة

امة كبيرة يطاف بها فى سوق البصرة لا يرغب فيها احد لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم
فاعتقها فاختارت هذا الطريق فاقبلت على العبادة فاتمت لها سنة حتى زارها علماء البصرة وقرأوها العظم
منزلتها وفى التأويلات النجمية كونوا مع الصادقين الذين صدقوا يوم الميثاق فيما اجابوا الله عند خطاب الست
بربكم قالوا بلى وصدقوا الله على ما عاهدوه عليه الا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيأ من مقاصد الدنيا والآخرة
ويتجردوا عن كل حادث حتى عن الجسم (وفى المثنوى) جوهر صدقت خفى شد در دروغ * همچو طعم
روغن اندر طعم دوغ * آن دروغت اين تن فانى بود * راستت آن جان ربانى بود * يقول الفقير
اصلحه الله القدير كتب الى حضرة الشيخ قدس سره فى بعض مكاتيبه الشريفة وقال عليكم بالصدق مطلقا نية
وعملا وهو يرجع الى الاخلاص جدا بان لا يكون للعبد اصلا باعث فى الحركات والسكنات الا الله تعالى فان
مازجه شوب من حظوظ النفس بطل الصدق ويجوز ان يسمى كاذبا ودرجاته لا نهاية لها وقد يكون للعبد
صدق فى بعض الامور دون بعض فان كان صادقا فى الجميع فهو الصديق حقا والصادق والمخلص بالكسر من
باب واحد وهو التخلص عن شوائب الصفات النفسانية مطلقا والصديق والمخلص بالفتح من باب واحد وهو
التخلص ايضا عن شوائب الغيرية والثانى اوسع فلكل واحد احاطة فكل صديق ومخلص بالفتح صادق
ومخلص بالكسر من غير عكس ثم ذيل كلاما طويلا يتضمن تأويل سورة الانشراح رزقنا الله ذوق كلامه
والحقنا به فى مقامه ثم الصادقون هم المرشدون الى طريق الوصول فاذا كان السالك فى جملة احبابهم ومن
زمرة الخدام فى عتبة بابهم فقد بلغ بصحبتهم وتربيتهم وقوة ولايتهم الى مراتب فى السير الى الله وترك ما سواه قال
حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر ان لم تجر افعالك على مراد غيرك لم يصح لك انتقال عن هواك
ولو جاهدت نفسك عمرك فاذا وجدت من يحصل فى نفسك حرمته فاخدمه وكن ميتا بين يديه يصرفك كيف
يشاء لا تدبير لك فى نفسك معه تعش سعيدا مبادرا الامتثال ما يأمرك به وينهاك عنه فان امرك بالحرفة فاحترف
عن امره لا عن هواك وان امرك بالقعود فقعدت عن امره لا عن هواك فهو اعرف بمصالحك منك فاسع يا بنى
فى طلب شيخ يرشدك ويعصم خواطرك حتى تكمل ذاتك بالوجود الالهى وحينئذ تدبر نفسك بالوجود
الكشفى الاعتصامى كذا فى مواقع النجوم (وفى المثنوى) چون كزيدى پير نازك دل مباش * سست
وريزيده چو آب وكل مباش * چون كرفتى پير هن تسليم شو * همچو موسى زير حكم خضر رو *
شيخ را كه پيشوا ورهبرست * كر مريدى امتحان كرد او خرست * نسأل الله تعالى ان يحفظنا من زيغ
الاعتقاد ويثبتنا فى طريق اهل الرشاد (ما كان لاهل المدينة) اى ما صح وما استقام لهم والمدينة علم بالغلبة
لدار الهجرة كالنجم للثريا اذا اطلقت فهى المرادة وان اريد غيرها قيد والنسبة اليها مدنى ولغيرها من المدن
مدينى للفرق بينهما كما فى انسان العيون قال الامام النووى لا يعرف فى البلاد اكثر اسماء منها ومن مكة وفى كلام
بعضهم لها نحو مائة اسم منها دار الاخيار ودار الابرار ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح والبارة وطابة
وطيبة لاطيب العيش بها ولان للعطر الطيب بها رائحة لا توجد فى غيرها وترابها شفاء من الجذام ومن
البرص بل ومن كل داء وعجوتها شفاء من السم وقد خص الله تعالى مكة والمدينة بانهما لا يخلوان من اهل العلم
والفضل والدين الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وهى اى المدينة تخرب قبل يوم القيامة
باربعين عاما ويموت اهلها من الجوع (ومن حولهم من الاعراب) باديه نشينان كمزينة وجهينة واشجع
وغفار واضرابهم (قال الكاشفى) وتخصيص اهالى مدينه وحوالى بجهت قرب بوده ومعرفت ايشان بخروج
آن حضرت عليه السلام بطرف تبوك (ان يتخلفوا عن رسول الله) عند توجهه الى الغزو واذا استنفرهم
واستنهضهم كما فى حواشى ابن الشيخ وهذا نهى ورد بلفظ النفى للتأكيد (ولا) ان (يرغبوا بانفسهم عن نفسه)
الباء للتعدية فقولك رغبت عنه معناه اعرضت عنه فعدى بالباء فاذا قلت رغبت بنفسى عنه كانك قلت
جعلت نفسى راغبة عنه فالمعنى اللغوى فى الآية ولا يجعلوا انفسهم راغبة ومعرضة عن نفسه عليه السلام
وحاصل المعنى لا يصرفوا انفسهم عن نفسه الكريمة اى عما التى فيه نفسه من شدآئد الغزو واهوالها
ولا يصونوها عما لا يصون عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده فانه لا ينبغى ان يختاروا لانفسهم الخفض والدعة
ورغد العيش ورسول الله فى الحر والمشقة قال الحدادى لا ينبغى ان يكونوا بانفسهم آثر واشفق عن نفس محمد

صلى الله عليه وسلم بل عليهم ان يجعلوا انفسهم وقاية للنبى عليه السلام لما وجب له من الحقوق عليهم بدعائه لهم الى الايمان حتى اهتدوا به ونجوا من النار (ذلك) اى وجوب المتابعة فان النهى عن التخلف امر بضده الذى هو الامر بالمتابعة والمشايعة (بانهم) اى بسبب انهم اذا كانوا معه عليه السلام (لا يصيبهم ظمأ) اى عطش يسير (ولا نصب) ولا تعب تما فى ابدانهم (ولا مخمصة) اى مجاعة تما (فى سبيل الله) واعلاء كلمته (ولا يطأون) ولا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم (موطئا) دوسا فهو مصدر كالموعد او مكانا على ان يكون مفعولا (يغيظ الكفار) بخشم آرد كافرانرا اى لا يبلغون موضعا من اراضى الكفار من سهل او جبل يغيظ قلوبهم مجاوزة ذلك الموضع فان الانسان يغيظه ان يطأ ارضه غيره والغيظ انقباض الطبع برؤية ما يسوءه والغضب قوة طلب الانتقام (ولا ينالون) ونيابند فان النيل بالفارسية يافتن (من عدو) من قبلهم (نيلا) بمعنى المنيل على ان يكون مفعولا به اى آفة محنة كالقتل والاسر والهزيمة والخوف (الا كتب لهم به) اى بكل واحد من الامور المعدودة قوله الا كتب فى محل النصب على انه حال من ظمأ وما عطف عليه اى لا يصيبهم ظمأ ولا كذا ولا كذا فى حال من الاحوال الا فى حال كونه مكتوبا لهم بذلك (عمل صالح) وحسنة مقبولة اى استوجبوا به الثواب الجزيل (وقال الكاشفى) يعنى بهر يك از اينها كه بديشان رسد مستحق ثواب شوند ابن عباس كويد بهر ترسى كه از دشمن بدل ايشان رسد هفتاد درجه مى نويسند * هذا ما عليه عامة التفاسير وقال ابن الشيخ فى حواشيه يقال نال منه اذا ازراه ونقصه وصرح بنيل شئ مما يتأذى الكفار من نيله وهذا المعنى غير المعنى الاول كما لا يخفى (ان الله لا يضيع اجر المحسنين) على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما فى حق الكفار فلانه سعى فى تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون * سفيهانرا بود تأديب نافع * جنونرا شربت چوب ست دافع * واما فى حق المؤمنين فلانه صيانة لهم من سطوة الكفار واستيلائهم (ولا ينفقون) فى الجهاد (نفقة صغيرة) نفقه اندك ولو تمرة او علاقة سوط او نعل فرس (ولا كبيرة) ونه نفقه بزرك مثل ما انفق عثمان وعبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنهما فى جيش العسرة وقد سبق عند قوله تعالى الذين يلمزون المطوعين الآية فى هذه السورة (ولا يقطعون) اى لا يجتازون فى مسيرهم الى ارض الكفار مقبلين ومدبرين (واديا) من الاودية وهو فى الاصل كل منفرج من الجبال والآكام ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى يدى اذا سال ثم شاع فى الارض على الاطلاق (الا كتب لهم) اى اثبت لهم فى صحائفهم ذلك الذى فعلوه من الانفاق والقطع (ليجزيهم الله) بذلك متعلق بكتب (احسن ما كانوا يعملون) مفعول ثان ليجزيهم وما مصدرية اى ليجزيهم جزاء احسن اعمالهم بحذف المضاف فان نفس العمل لا يكون جزاء در ينابيع فرموده كه اكر غازى را هزار طاعت باشد ويكى از همه نيكوتر بود حق تعالى از ثواب عظيم دهد ونهصد ونود ونه بطفيل آن قبول كند وهر يك را برابر آن ثوابى ارزانى دارد تا كرم او بنسبت مجاهدان برهمه ظاهر شود ففى الجهاد فضائل لا توجد فى غيره وهو حرفة النبى عليه السلام وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال مر رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذب فاعجبته فقال لو اعتزلت الناس فاقمت فى هذا الشعب ولن افعل حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله فقال لا تفعل فان مقام احدكم فى سبيل الله افضل من صلاته سبعين عاما الا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا فى سبيل الله من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة قوله فواق ناقة وهو ما بين رفع يدك عن ضرعها وقت الحلبة ووضعها وقيل هو ما بين الحلبتين وفى الحديث دلالة على ان الجهاد والتصدى له افضل من العزلة للعبادة وقال فى فتح القريب يا هذا ليت شعرى من يقوم مقام هذا الصحابى فى عزلته وعبادته وطيب مطعمه ومع هذا قال النبى عليه السلام لا تفعل وارشده الى الجهاد فكيف لواحد منا ان يتركه مع اعمال لا يوثق بها مع قلتها وخطايا لا ينجى معها لكثرتها وجوارح لا تزال مطلقة فيما منعت منه ونفوس جامحة الا عما نهيت عنه ونيات لا يتحقق اخلاصها وتبعات لا يرجى بغير العناية خلاصها (قال الحافظ) كارى كنيم ورنه خجالت برآورد * روزى كه رخت جان بجهان دكر كشيم * واعلم ان المتخلف بعذر اذا كانت نيته خالصة يشارك المجاهد فى الاجر والثواب كما روى انه عليه السلام لما رجع من غزوة تبوك قال ان اقواما خلفناهم بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر يعنى يشاركونا

فى استحقاق الثواب لكونهم معنا بنية وانما تخلفوا عنا للعذر ولولاه لكانوا معنا ذواتا قال ابن الملك ولا يظن منه التساوى فى الثواب لان الله قال فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما انتهى يقول الفقير اصلحه الله القدير هذه الآية مطلقة ساكتة عن بيان العذر وعدمه وقد قيدها الحديث المذكور ولا بعد فى ان يشترك المجاهد والمتخلف لعذر فى الثواب بل تأثير الهمة اشد ورب نية خير من عمل ولهذا شواهد لا تخفى على اولى الالباب والاشارة ما كان لاهل المدينة مدينة القلب واهلها النفس والهوى ومن حولهم من الاعراب اعراب الصفات النفسانية والقلبية ان يتخلفوا عن رسول الله عن رسول الروح اذ هو راجع الى الله وسائر اليه ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اى عن بذل وجودهم عند بذل وجوده بالفناء فى الله ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ من ماء الشهوات ولا نصب من انواع المجاهدات ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا فى سبيل الله فى طلب الله ولا يطأون موطئا مقاما من مقامات الفناء يغيظ الكفار كفار النفس والهوى ولا ينالون من عدو عدو الشيطان والدنيا والنفس نيلا اى بلاء ومحنة وفقرا وفاقة وجهدا وهما وحزنا وغير ذلك من اسباب الفناء الا كتب لهم به عمل صالح من البقاء بالله بقدر الفناء فى الله ان الله لا يضيع اجر المحسنين الفانين فى الله فيبقيهم بالله ليعبدوه على المشاهدة لان الاحسان ان تعبد الله كانك تراه ولا ينفقون نفقة من بذل الوجود صغيرة ولا كبيرة الصغيرة بذل وجود الصفات والكبيرة بذل وجود الذات فى صفات الله تعالى وذاته ولا يقطعون واديا من اودية الدنيا والآخرة والنفس والهوى والقلب والروح الا كتب لهم بقطع كل واحد من هذه الاودية قربة ومنزلة ودرجة كما قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ليجزيهم الله بالبقاء والفناء عن انفسهم احسن ما كانوا يعملون اى احسن مقام كانوا يعملون العبودية فى طلبه لان طلبهم على قدر معرفتهم ومطمح نظرهم وجزاؤه يضيق عنه نطاق عقولهم وفهومهم كما قال اعددت لعبادى الصالحين الحديث كما فى التأويلات النجمية (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) اللام لتأكيد النفى اى ما صح وما استقام لهم ان ينفروا اى يخرجوا جميعا نحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش (فلولا نفر) پس چرا بيرون نرود فلولا تحضيضية مثل هلا وحرف التحضيض اذا دخل على الماضى يفيد التوبيخ على ترك الفعل والتوبيخ انما يكون على ترك الواجب فعلم منه ان الفعل واجب وان قوله فلولا نفر معناه الامر بالنفير وايجابه (من كل فرقة منهم طائفة) اى من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ودلت الآية على الفرق بين الفرقة والطائفة بان الفرقة اكثر من الطائفة لان القياس ان ينتزع القليل من الكثير والطائفة تتناول الواحد فما فوقه (ليتفقهوا فى الدين) ليتكلفوا الفقاهة فى الدين ويتجشموا امشاق تحصيلها والفقه معرفة احكام الدين (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وذكر الانذار دون التبشير لانه اهم والتخلية بالمعجمة اقدم من التحلية بالمهملة (لعلهم يحذرون) ارادة ان يحذروا قومهم عما ينذرون منه وفى الآية دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغى ان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على الناس بالتصدر والترأس والتبسط فى البلاد بالملابس والمراكب والعبيد والاماء كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان فينبغى ان يطلب المتعلم رضى الله والدار الآخرة وازالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال واحياء الدين وابقاء الاسلام فان بقاء الاسلام بالعلم ولا يصح الزهد والتقوى بالجهل * علم آمد دليل آكاهى * جهل برهان نقص وكمراهى * پيش ارباب دانش وعرفان * كى بود اين تمام وآن نقصان * وينبغى لطالب العلم ان ينوى به الشكر على نعمة العقل وصحة البدن وسلامة الحواس عملا بقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون وينبغى لطالب العلم ان يختار الاستاذ الاعلم والاورع والاسن بعد التأمل التام كما اختار ابو حنيفة رضى الله عنه حمادا قال دخلت البصرة فظننت ان لا اسأل عن شئ الا اجبت عنه فسألونى عن اشياء لم يكن عندى جوابها فجعلت على نفسى ان لا افارق حمادا فصحبته عشرين سنة وما صليت قط الا ودعوت لشيخى حماد مع والدى ففى انفاس الاساتذة الصالحين ودعوات الرجال الكاملين تأثيرات عجيبة كما حكى ان ابا ابى حنيفة ثابتا اهدى الفالوذج لعلى بن ابى طالب يوم النيروز ويوم المهرجان فدعا له ولاولاده بالبركة وكان ثابت يقول انا فى بركة دعوة صدرت من على رضى الله عنه حتى كان يفتخر اولاده العلماء بذلك فاذا وجد الطالب الاستاذ العالم العامل

فعليه ان يختار من كل علم احسنه وانفعه فى الآخرة فيبدأ بفرض العين وهو علم مايجب من اعتقاد وفعل وترك ظاهرا وباطنا ويقال له علم الحال اى العلم المحتاج اليه فى الحال قال العز بن عبد السلام العلم الذى هو فرض لازم ثلاثة انواع الاول علم التوحيد فالذى يتعين عليك منه مقدار ماتعرف به اصول الدين فيجب عليك اولا ان تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لاتعرفه باسمائه وصفات ذاته ومايجب له ومايستحيل فى نعته فربما تعتقد شيأ فى صفاته يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا والنوع الثانى علم السر وهو مايتعلق بالقلب ومساعيه فيفترض على المؤمن علم احوال القلب من التوكل والانابة والخشية والرضى فانه واقع فى جميع الاحوال واجتناب الحرص والغضب والكبر والحسد والعجب والرياء وغير ذلك وهو المراد بقوله عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة اذ لو اريد بالعلم فيه التوحيد فهو حاصل ولو اريد به الصلاة فيجوز ان يتأهلها شخص وقت الضحى ويموت قبل الظهر فلا يستقيم العموم المستفاد من لفظ كل واما غيرهما فلا يظهر فلم يبق الا المعاملة القلبية اذ فرضية علمها متحققة فى كل زمان ومكان فى كل شخص والنوع الثالث علم الشريعة وهو مايجب عليك فعله من الواجبات الشرعية فيجب عليك علمه لتؤديه على جهة الشرع كما امرت به وكذا علم كل مايلزمك تركه من المناهى الشرعية لتتركه وذلك شامل للعبادات والمعاملات فكل من اشتغل بالبيع والشراء وايضا بالحرفة فيجب عليه علم التحرز عن الحرام فى معاملاته وفيما يكتسبه فى حرفته واما حفظ مايقع فى بعض الاحايين ففرض على سبيل الكفاية والعلوم الشرعية خمسة الكلام والتفسير والحديث والفقه واصول الفقه قال فى عين المعانى المراد بقوله ليتفقهوا فى الدين علم الآخرة لاختصاصه بالانذار والحذر به وعلم الآخرة يشمل علم المعاملة وعلم المكاشفة اما المعاملة وهو العلم المقرب اليه تعالى والمبعد منه ويدخل فيه اعمال الجوارح واعمال القلوب واما علم المكاشفة فهو المراد فيما ورد فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى اذ غيره تبع للعمل اثبوته شرطا له فاذا فرغ علما وعملا ساغ ان يشرع فى فروض الكفاية كالتفسير والاخبار والفتاوى غير متجاوز الى نوادر المسائل ولا مستغرق مشتغل عن المقصود وهو العمل ويجوز ان يتعلم من علم النجوم قدر مايعرف به القبلة واوقات الصلاة ويتعلم من علم الطب قدر مايمكن بمعرفة تداوى الامراض قال فى الاشباه تعلم العلم يكون فرض عين وهو بقدر مايحتاج اليه لدينه وفرض كفاية وهو مازاد عليه لنفع غيره ومندوبا وهو التبحر فى الفقه وعلم القلب وحراما وهو علم الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل وعلوم الطبايعيين والسحر ودخل فى الفلسفة المنطق ومن هذا القسم علم الحروف والموسيقى ومكروها وهو اشعار المولدين من الغزل والبطالة ومباحا كاشعارهم التى لاسخف فيها قال على الحناوى لم ار فى كتب اصحابنا القول بتحريم المنطق ولا يبعد ان يكون وجهه ان يضيع العمر وايضا ان من اشتغل به يميل الى الفلسفة غالبا فكان المنع منه من قبيل سد الذرآئع والافليس فى المنطق ماينافى الشرع انتهى قال القهستانى ذكر فى المهمات للاسنوى لايستنجى بما كتب عليه علم محترم كالنحو واحترز بالمحترم عن غيره من الحكميات مثل المنطق انتهى قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى مواقع النجوم ولا يكثر مما لايحتاج اليه فان التكثير مما لاحاجة فيه سبب فى تضييع الوقت المعلى هواهم وذلك انه من لم يعول ان يلقى نفسه فى درجة الفتيا فى الدين لان فى البلد من ينوب عنه فى ذلك حتى لايتعين عليه طلب الاحكام كلها فى حق الغير طلب فضول العلم انتهى فعلى العاقل ان يتعلم قدر الحاجة ويشتغل بالعمل وفى الحديث من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذى نفسى بيده مامن متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة فى الجنة ويمشى على الارض والارض تستغفر له ويمسى ويصبح مغفورا له وشهدت لهم الملائكة بانه من عتقاء الله من النار وفى نشر العلم والارشاد به فضائل ايضا قال عليه السلام لمعاذ ابن جبل رضى الله عنه حين بعثه الى اليمن لان يهدى الله بك رجلا خير لك مما تطلع عليه الشمس والعلماء ورثة الانبياء فكما انهم اشتغلوا بالابلاغ والارشاد كذلك ورثتهم فكل مرشد من الورثة ينبغى ان يكون غرضه اقامة جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه بتكثير اتباعه وقد قال انى مكاثر بكم الامم قال فى العوارف الصوفية اخذوا حظا من علم الدراسة فافادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما علموا افادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء فى علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زآئدة هى علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه

فى الدين قال الله تعالى فلولا نفر الاية فصار الانذار مستفادا من الفقه والانذار احياء المنذر بماء العلم والاحياء رتبة الفقيه فى الدين فصار الفقه فى الدين من اكمل الرتب واعلاها وهو علم العالم الزاهد فى الدنيا المتقى الذى يبلغ رتبة الانذار بعلمه فورد الهدى والعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا وانتقل من قلبه الى القلوب ومن نفسه الى النفوس ولايدرك المرء هذا العلم بالتمنى بل بالجد والطلب الاترى الى الجنيد قيل له بم نلت مانلت فقال بجلوسى تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة واشار الى درجة فى داره

هر كنج سعادت كه خداداد بحافظ * ازيمن دعاى شب وورد سحرى بود

وفى الاية تحريض للمؤمنين على الخروج من الاوطان لطلب العلم النافع ورحل جابر من المدينة الى مصر لحديث واحد ولذا لم يعد احد كاملا الا بعد رحلته ولا وصل مقصده الا بعد هجرته وقيل

سافر تجد عوضا عمن تفارقه * وانصب فان اكتساب المجد فى النصب

فالاسد لولا فراق الخيس مافرست * والسهم لولا فراق القوس لم يصب

(سعدى) جفا نبرده چه دانى تو قدر يار * تحصيل كام دل بتكاپوى خوشترست *

قال فى التأويلات النجمية الاشارة فى الآية ان الله تعالى يندب خواص عباده الى رحلة الصورة والمعنى فاما رحلة الصورة ففى طلب اهل الكمال الكاملين المتكملين الواصلين الموصلين كما ندب موسى الى الرحلة فى طلب الخضر عليهما السلام واما رحلة المعنى فكما كان حال ابراهيم عليه السلام قال انى ذاهب الى ربى فهو السير من القالب وصفاته الى القلب وصفاته ومن القلب الى الروح وصفاته ومن الروح الى التخلق باخلاق الله بقدم فناء اوصافه وهو السير الى الله ومن اخلاق الله الى ذات الله بقدم فناء ذاته بتجلى صفات الله وهو السير بالله ومن انانيته الى هويته ومن هويته الى الوهيته الى ابد الآباد وهو السير بالله من الله الى الله تعالى وتقدس انتهى باختصار (ياايها الذين آمنوا) اقروا بالله وبوحدانيته وصدقوا بحضرة صاحب الرسالة وحقانيته (قاتلوا الذين) كارزار كنيد آنانكه (يلونكم) الولى القرب والدنو (من الكفار) اى قاتلوا من نحوكم ويقربكم من العدو وجاهدوا الاقرب فالاقرب ولاتدعوا الاقرب وتقصدوا الابعد فيقصد الاقرب بلادكم واهاليكم واولادكم وفيه انهم اذا امنوا الاقرب كان لهم محاربة الابعد واعلم ان القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ولذا حارب عليه السلام قومه اولا ثم انتقل الى غزو سائر العرب ثم انتقل عنهم الى غزو الشأم وكذا الصحابة رضى الله عنهم لما فرغوا من امر الشأم دخلوا العراق وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم مالم يضطر بهم اهل ناحية اخرى وقد وقع امر الدعوة ايضا على هذا الترتيب فانه عليه السلام امر اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح لتأكد حقه واختلفوا فى افضل الاعمال بعد الفرآئض فقال الشافعى رضى الله عنه الصلاة افضل اعمال البدن وتطوعها افضل التطوع وقال احمد لا اعلم شيأ بعد الفرآئض افضل من الجهاد لانه كان حرفة النبى عليه السلام وقال ابو حنيفة ومالك لاشئ بعد فروض الاعيان من اعمال البر افضل من العلم لان الاعمال تبتنى عليه ثم الجهاد وبلغ من علم ابى حنيفة رحمه الله الى ان سمع فى المنام انا عند علم ابى حنيفة بعد ماقيل اين اطلبك يارسول الله وفى الحديث اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم واهل الجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ماجاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ماجاءت به الرسل والجهاد سبب البقاء اذ لو تركه الناس لغلبهم العدو وقتلهم وفيه الحياة الدآئمة فى الآخرة لان سبب الشهادة التى تورث تلك الحياة والشهدآء احياء غير اموات (وفى المثنوى) پس زيادتها درون نقصهاست * مر شهيدانرا حيات اندر فناست (وليجدوا فيكم غلظة) اى شدة وصبرا على القتال قال فى القاموس الغلظة مثلثة ضد الرقة وهذا الكلام من باب لاارينك ههنا فانه وان كان على صورة نهى المتكلم نفسه عن رؤية المخاطب ههنا الا ان المراد نهى المخاطب عن ان يحضر ههنا فكذا الاية فانها على صورة امر الكفار بان يجدوا من المؤمنين غلظة لكن المعنى على امر المؤمنين بان يعاملوا الكفار بالغلظة والخشونة على طريق الكناية حيث ذكر اللازم واريد الملزوم (وفى المثنوى) هر پيمبر سخت رو بد در جهان * يكسواره كفت بر جيش شهان * رو نكردانيد از ترس وغمى * يك تنه تنها بزد بر عالمى * كوه نندان كر بز ونيست از حساب * اينهشان كى بترسد ان قصاب * قيل للاسكندر فى عسكر دارا الف الف مقاتل

فقيل ان القصاب لا تهوله كثرة الاغنام والعرب تقول الشجاعة وقاية والجبن مقتلة فاعتبروا بان من يقتل مدبرا اكثر ممن يقتل مقبلا (قال السعدى) آنكه جنك آرد بخون خويش بازى ميكند * روز ميدان وانكه بكريزد بخون لشكرى (ونعم ماقيل) زهرهٔ مردان ندارى چون زنان درخانه باش * وربعيدان ميروى از تيرباران بر مكرد * واعلم ان السلاطين والوزرآء والوكلاء بالنسبة الى العسكر كالقلب بالنسبة الى الاعضاء فكما ان القلب اذا اصلح صلح الجسد كله فكذا الرئيس اذا ثبت واظهر الشجاعة ثبت الجيش كله بهرام كفت هر آنكه سر تاج دارد بايد كه دل از سر بر دارد هر آنكه پاى نهد در نكارخانهٔ ملك يقين كه مال وسر وهرچه هست در بازد (واعلموا ان الله مع المتقين) بالحراسة والاعانة والمراد بالمعية الولاية الدائمة وادخل مع على المتقين مع اختصاصه بالمتبوع لكونهم المباشرين للقتال ووضع المظهر موضع المضمر اى معكم اشارة الى علة النصرة وهى التقوى كانه قيل واعلموا ان نصرة الله معكم بسبب تقواكم بالتوحيد والاسلام والايمان والطاعة عن الاشراك والكفر والنفاق والعصيان فى مرتبة الشريعة وبالله عن جميع ماسوى الله فى مرتبة الحقيقة لامع الكفار المشركين المنافقين العاصين وان اعطاهم لوازم القتال مكرا واستدراجا كما اعطاكم اياها كرما واحسانا وبقدر تقواكم بالحق عن الخلق يسخر الله لكم الخلق وبقدر تسخيركم لله قواكم النفسانية يسخر الله لكم الكفار وبقدر تسخيركم لله قواكم الروحانية يسخر الله لكم المؤمنين قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى مواقع النجوم اعلم يا بنى ان الله جل ثناؤه لما اراد ان يرقى عبده الخصوصى الى المقامات العلية قرب منه اعدآءه حتى يعظم جهاده لهم ويشتغل بمحاربتهم اولا قبل محاربة غيرهم من الاعدآء الذين هم منه ابعد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين الآية وحظ الصوفى وكل موفق من هذه الآية ان ينظر فيها الى نفسه الامارة بالسوء التى تحمله على كل محظور ومكروه وتعدل به عن كل واجب ومندوب للمخالفة التى جبلها الله عليها وهى اقرب الكفار والاعدآء اليه فاذا جاهدها وقتلها او اسرها فحينئذ يصح له ان ينظر فى الاغيار على حسب ماتقتضيه مقامه وتعطيه منزلته فالنفس اشد الاعدآء شكيمة واقواهم عزيمة فجهادها هو الجهاد الاكبر ومعنى الجهاد مخالفة هواها وتبديل صفاتها وحملها على طاعة الله (وفى المثنوى) اى شهان كشتيم ما خصم برون * ماند از وخصم بتر در اندرون * قد رجعنا من جهاد الاصغريم * اين زمان اندر جهاد اكبريم * سهل شيرآن دانكه صفها بشكند * شير آن را دانكه خودرا بشكند * وللنفس سيفان ماضيان تقطع بهما رقاب صناديد الرجال وعظمائهم وهما شهوتا البطن والفرج وشهوة البطن اقوى واشد من شهوة الفرج لانه ليس لها ايضا سيد الا من سلطان شهوة البطن * زان ندارى ميوهٔ مائند بيد * كاب رو بردى بى نان سپيد * فامتلى وعاشر من بطن ملئ بالحلال هذا اذا كان القوت حلالا فكيف اذا كان حراما فالطعام والاكثار منه قاطع عن الطريق وعن عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوّعوا بطونكم وعطشوا اكبادكم لعل قلوبكم ترى الله تعالى وكذا الكلام وكذا التأذى باذى الانام فعليه بالصبر وان لا يجدهم مؤذين لانه موحد فيستوى عنده المسيىء والمحسن فى حقه بل ينبغى ان يرى المسيىء محسنا وكذا المنام قال بعض العلماء من سهر اربعين ليلة خالصا كوشف بملكوت السموات ايقظنا الله واياكم من رقدة الغفلة انه مجيب الدعوة (واذا ما) كلمة ما صلة مؤكدة لارتباط الجزآء بالشرط (انزلت سورة) من سور القرءآن وعددها مائة واربع عشرة بالاجماع والسورة طائفة من كلامه تعالى (فمنهم) اى المنافقين (من يقول) لاخوانه انكارا واستهزآء (أيكم) مبتدأ ومابعده خبره (زادته هذه) السورة (ايمانا) مفعول زادته وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين وفيه اشارة الى ان الاستهزآء من علامات النفاق وامارات الانكار ثم اجاب الله تعالى عن انكارهم واستهزآئهم من يعتقد زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحى والعمل به فقال (فاما الذين آمنوا) بالله تعالى وبما جاء من عنده (فزادتهم ايمانا) هذا بحسب المتعلق وهو مخصوص بزمان النبى عليه السلام واما الآن فالمذهب على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وانما تتفاوت درجاته قوة وضعفا فانه ليس من يعرف الشيء اجمالا كمن يعرفه تفصيلا كما ان من رأى الشيء من بعيد ليس كمن يراه من قريب فصورة الايمان هو التصديق القلبى اجمالا وتفصيلا وحقيقته الاحسان الذى هو ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وحقيقة الاحسان مرتبة كنت سمعه وبصره التى هى قرب النوافل وفوقهما مرتبة قرب الفرآئض

المشار

المشار اليه بقوله سمع الله لمن حمده والحاصل ان من اعتقد الكعبة اذا رآها من بعيد قوى يقينه ثم اذا قرب منها كمل ثم اذا دخل ازداد الكمال ولا تفاوت فى اصل الاعتقاد (وهم يستبشرون) بنزولها وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية (واما الذين فى قلوبهم مرض) اى كفر وسوء عقيدة قال الحدادى سمى الله النفاق مرضا لان الحيرة فى القلب مرض القلب كما ان الوجع فى البدن مرض البدن يقول الفقير كل منهما مؤدى الى الهلاك اما المرض الظاهر فالى هلاك الجسم واما المرض الباطن فالى هلاك الروح فلابد من معالجة كل منهما بحسب مايليق به (فزادتهم رجسا الى رجسهم) اى كفرا بها مضموما الى الكفر وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك والفرق بين الرجس والنجس ان الرجس اكثر ما يستعمل فيما يستقذر عقلا والنجس اكثر ما يستعمل فيما يستقذر طبعا (وماتوا وهم كافرون) اى واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه بين الله تعالى ان بنزول سورة من السماء حصل للمؤمنين امران زيادة الايمان والاستبشار وحصل للمنافقين امران مقابلان لهما زيادة الرجس والموت على الكفر وفى الحديث ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين يعنى ان من آمن بالقرءآن وعظم شأنه وعمل به يرفع الله درجته فى الآخرة ويرزقه عزة وشرفا ومن لم يؤمن به اولم يعمل به اولم يعظم شأنه خذله الله فى الدنيا والآخرة (اولا يرون) الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اى لا ينظر المنافقون ولا يرون (انهم يفتنون فى كل عام) من الاعوام بالفارسية در هر سالى (مرة او مرتين) والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور اى يبتلون باصناف البليات من المرض والشدة وغير ذلك مما يذكر الذنوب والوقوف بين يدى رب العزة فيؤدى الى الايمان به تعالى (ثم لا يتوبون) عطف على لا يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ (ولا هم يذكرون) والمعنى اولا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولاهم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة قال فى التأويلات النجمية هذه الفتنة موجبة لانتباه القلب الحى وقلوبهم ميتة والقلب الميت لا يرجع الى الله ولا يؤثر فيه نصح الناصحين كما قال انك لا تسمع الموتى وقال لينذر من كان حيا (وفى المثنوى) وربكوئى عيب خود بارى خمش * از نمايش از دغل خود را مكش * كر تو نقدى يافتى مكشا دهان * هست در ره سنكهاى امتحان * كفت يزدان از ولادت تا بحين * يفتنون كل عام مرتين * امتحان بر امتحانست اى پدر * هين بكمتر امتحان خود را مخر * ماهيانرا بحر نكذارد برون * خاكيانرا بحر نكذارد درون (واذا ما انزلت سورة) بيان لاحوالهم عند نزولها فى محفل تبليغ الوحى كما ان الاول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه (نظر بعضهم الى بعض) المراد بالنظر النظر المخصوص الدال على الطعن فى تلك السورة والاستهزآء بها اى تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية (هل يراكم من احد) اى قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لينصرفوا من المسجد والمجلس مظهرين انهم لا يضطربون عند استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون (ثم انصرفوا) عطف على نظر بعضهم والتراخى باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد من المؤمنين اى انصرفوا جميعا عن محفل الوحى خوفا من الافتضاح والمعنى يقول بعضهم لبعض هل يراكم من احد من المؤمنين ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم اقاموا فيه وثبتوا حتى يفرغ عليه السلام من خطبته ثم انصرفوا (صرف الله قلوبهم) اى عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية (بانهم) اى بسبب انهم (قوم لا يفقهون) لسوء الفهم او لعدم التدبر وفى التأويلات النجمية ليس فقه القلب فان فقه القلب من امارات حياة القلب وهو نور يهتدى به الى الحق كما ان الجهل ظلمة يقيم عندها ولا يدرى ماذا يفعل اللهم اجعلنا من المتدبرين والمتذكرين والمعتبرين قال بعض العلماء اصحاب القلوب من الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهائم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها وصنف اجسادهم اجساد بنى آدم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف فى ظل الله تعالى يوم لا ظل الا ظله وعن ابى بكر الوراق رحمه الله انه قال للقلب ستة اشياء حياة وموت وصحة وسقم ويقظة ونوم فحياته الهدى وموته الضلالة وصحته الصفاء وعلته العلاقة ويقظته الذكر ونومه الغفلة (وفى المثنوى) هر صباحى چون سليمان آمدى * خاضع اندر مسجد اقصى شدى * نو كياهى رسته ديدى اندرو * پس بكفتى نام ونفعى خود بكو * تو چه دارويى وچه نامت چيست * تو زيان كه ونفعت بر كيست * پس بكفتى هر كياهى فعل ونام * كه من آنرا جانم واين را حمام *

پس سليمان ديد اندر كوشهٔ * نوكياهى رست همچون خوشهٔ * كفت نامت چيست بركوبى دهان *
نام من خروب اى شاه جهان * كفت فعلت چيست وازتوچه رود * كفت من رستم مكان ويران شود *
من كه خروبم خراب منزلم * من خرابى مسجدو آب وكلم * پس سليمان آن زمان دانست زود *
كه اجل آمد سفرخواهد نمود * كفت تا من هستم اين مسجد يقين * درخلل نايدز آفات زمين *
پس خرابى مسجد ما بيكمان * نبود الابعد مرك ما بدان * مسجدست آن دل كه جسمش ساجدست *
يار بدخروب هرجا مسجدست * يار بد چون رست درتومهراو * هين ازو بكريز وكم كن كفت وكو *
بركن ازبيخش كه كرسر برزند * مرترا ومسجدت رابركند (لقد جاءكم) يحتمل ان يكون الخطاب
للعرب والعجم جميعا فالمعنى بالله قد جاءكم ايها الناس (رسول) اى رسول عظيم الشان والرسول انسان
بعثه الله تعالى الى الخلق لتبليغ الاحكام (من انفسكم) اى من جنسكم آدمى مثلكم لا من الملائكة وغيرهم
وذلك لئلا ينفروا عنه ويمتنعوا من متابعته ويقولوا لا طاقة لنا بمتابعته لانه ليس من جنسنا يؤيده قوله تعالى
قل انما انا بشر مثلكم وقوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اذ لفظ المؤمنين عام
لكل مؤمن من كل صنف فيكون معنى من انفسهم اى من جنسهم لان الملك وكذا الجن لعدم جنسيته ولكونه
غير مدرك بالحواس الخمس لا ينتفع به فاحتاج الى واسطة جنسية ذى جهتين جهة التجرد لتمكن الاستفاضة
من جانب القدس وجهة التعلق لتمكن الافاضة الى جانب الخلق وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ومنه يظهر
انه لكمال لطافته يمكن ان يستفيض منه الجن ايضا لكونهم اجساما لطيفة ولذا دعاهم دعوة البشر مشعله
افروزشب خاكيان * شمع سرا پردهٔ افلاكيان ويحتمل ان يكون الخطاب للعرب خاصة فالمعنى بالله قد جاءكم ايتها
العرب رسول عربى مثلكم وعلى لغتكم وذلك اقرب الى الالفة وابعد من اللجاجة واسرع الى فهم الحجة
فان الارشاد لا يحصل الا بمعرفة اللسان حكى ان اربعة نفر عجمى وعربى وتركى ورومى وجدوا فى طريق
درهما فاختلفوا فيه ولم يعرف ولم يفهم واحد منهم مراد الاخر فسأل منهم رجل آخر يعرف الالسنة فقال
للعربى ايش تريد وللعجمى چه ميخواهى مثلا وعلم ان مراد الكل ان يأخذوا بذلك الدرهم عنبا فاخذ العارف
الدرهم منهم واشترى لهم عنبا فارتفع الخلاف من بينهم وقرئ من انفسكم بفتح الفاء اى من اشرفكم وافضلكم
من النفاسة وبالفارسية عزيزترين وشئ نفيس اى خطير وذلك لان محمدا صلى الله عليه وسلم بن عبد المطلب
ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب وفى كلاب يجتمع نسب ابيه وامه لان امه امنة بنت وهب ابن عبد
مناف بن زهرة بن كلاب وبنوا هاشم افضل القبائل الى اسماعيل عليه السلام من جهة الخصال الحميدة
وكلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر واجمع النسابون على ان قريشا انما تفرقت عن فهر فهو جماع
قريش وانما سمى فهر قريشا لانه كان يقرش اى يفتش عن حاجة المحتاج فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون
اهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم فسموا بذلك قريشا والرفادة اطعام الحاج ايام الموسم حتى يتفرقوا
فان قريشا كانت على زمن قصى تخرج من اموالها فى كل موسم فتدفعه الى قصى فيصنع به طعاما للحاج
يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد حتى قام بها ولده عبد مناف ثم بعد عبد مناف ولده هاشم ثم بعد هاشم
ولده عبد المطلب ثم ولده ابو طالب وقيل ولده العباس ثم استمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء
بعده ثم استمر ذلك فى الخلفاء الى ان انقرضت الخلافة من بغداد ثم من مصر وعن انس بن مالك رضى الله عنه
حب قريش ايمان وبغضهم كفر وفى الحديث عالم قريش يملأ طباق الارض علما وعن الامام احمد رحمه الله هذا
العالم هو الشافعى لانه لم ينتشر فى طباق الارض من علم علماء قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم
الامام الشافعى ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف وهو الجد التاسع للشافعى
رحمه الله وفى الحديث انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلها نكاح وذلك لانه
لا يجيء من الزنى ولى فكيف نبى والاشارة فيه الى نفاسة جوهره فى اصل الخلقة لانه اول جوهر خلقه الله
تعالى وعن ابى هريرة انه عليه السلام سأل جبريل عليه السلام فقال يا جبريل كم عمرك من السنين فقال
يا رسول الله لست اعلم غير ان فى الحجاب الرابع نجم يطلع فى كل سبعين الف سنة مرة رأيته اثنين وسبعين الف
مرة فقال عليه السلام يا جبريل وعزة ربى انا ذلك الكوكب ولما خلق الله آدم جعل نور جبينه فى ظهره فكان

يلمع فى جبينه ثم انتقل الى ولده شيث الذى هو وصيه والثالث من ولده وكانت حواء تلد ذكرا وانثى معا ولم تلد
ولدا منفردا الا شيث كرامة لهذا النور ثم انتقل الى واحد بعد واحد من اولاده الى ان وصل الى عبد المطلب
ثم الى ابنه عبد الله ثم الى آمنة وكان عليه السلام علة غائية لوجود كل كون فوجوده الشريف وعنصره
اللطيف افضل الموجودات الكونية وروحه المطهر امثل الارواح القدسية وقبيلته افضل القبائل ولسانه خير
الالسنة وكتابه خير الكتب الالهية وآله واصحابه خير الآل وخير الاصحاب وزمان ولادته خير الازمان وروضته
المنورة اعلى الاماكن مطلقا والماء الذى نبع من اصابعه الشريفة افضل المياه مطلقا ثم بعده الافضل ماء
زمزم لانه غسل منه صدره عليه السلام ليلة المعراج ولو كان ماء افضل منه لم يغسل به صدره عليه السلام
ثم ان فى قوله لقد جاءكم اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم هدية عظيمة من الله تعالى وتحفة جسيمة ولا يعرض
عن هدية الله تعالى الا الكافرون والمنافقون قال حضرة الشيخ العطار قدس سره * خويشتن را خواجهٔ
عرصات كفت * انما انا رحمة مهداة كفت (عزيز عليه ماعنتم) العزيز الغالب الشديد وكلمة
ما مصدرية والعنت الوقوع فى امر شاق واشق الامور دخول النار والجملة من الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر
صفة رسول والمعنى شاق شديد عليه عنتكم اى ما يلحقكم من المشقة والالم بترك الايمان فهو يخاف عليكم سوء
العاقبة والوقوع فى العذاب وهذا من نتايج ما سلف من المجانسة (قال الكاشفى) وبعضى برلفظ عزيز وقف
كرده اند آنرا صفة رسول دانند ومعنى عليه ماعنتم برين فرود آرند كه بروست آنچه بكنيد از كناه يعنى اعتذار
آن بروبست درروز قيامت بشفاعت تدارك آن خواهد نمود ودرين معنى كفته اند * نماند بعصيان كسى
دركرو * كه دارد چنين سيدى پيش رو * اكر دفترت از كنه پاك نيست * چو او عذر خواهد بود
باك نيست (حريص عليكم) اى على ايمانكم وصلاح احوالكم اذ من البين انه عليه السلام ليس حريصا
على ذواتهم والحرص شدة الطلب للشئ مع اجتهاد فيه كما فى تفسير الحدادى (بالمؤمنين) متعلق بقوله (رؤف
رحيم) قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة مع ان مقام المدح يقتضى الترقى من الفاضل
الى الافضل محافظة على الفواصل وقدم بالمؤمنين على متعلقه وهو رؤف ليفيد الاختصاص اى لا رأفة
ولا رحمة الا بالمؤمنين واما الكفار فليس له عليهم رأفة ولا رحمة قال فى التأويلات النجمية بالمؤمنين رؤف رحيم
لتربيتهم فى الدين المتين بالرفق كما قال عليه السلام ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه بالرفق وبالرحمة يعفو عنهم
سيئاتهم كما امره الله تعالى بقوله فاعف عنهم واصفح وفى قوله بالمؤمنين رؤف رحيم فى حق نبيه عليه السلام
وفى قوله لنفسه تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم دقيقة لطيفة شريفة وهى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما كان
مخلوقا كانت رأفته ورحمته مخلوقة فصارت مخصوصة بالمؤمنين لضعف الخلقة وان الله تعالى لما كان خالقا
كانت رأفته ورحمته قديمة فكانت عامة للناس لقوة خالقيته كما قال ورحمتى وسعت كل شئ فمن تداركته الرأفة
والرحمة الخالقية من الناس كان قابلا للرأفة والرحمة النبوية لانها كانت من نتايج الرأفة والرحمة الخالقية كما
قال فبما رحمة من الله لنت لهم انتهى كلام التأويلات قال بعض الحكماء ان الله تعالى خلق محمدا اى روحه وجعل
له صورة روحانية كهيئته فى الدنيا فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء واذنيه من العبرة ولسانه من الذكر
وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضى وصدره من الاخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة وكفيه
من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة الا ترى انه تفل فى بئر رومة فى المدينة وكان ماؤها
زعاقا فصار عذبا ولما اكمله بهذه الصفات ارسله الى هذه الامة روى انه لما مات ابو طالب ونالت قريش من النبى
عليه السلام ما لم تكن نالته منه فى حياته خرج الى الطائف وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقى من قريش
من قرابته وعترته خصوصا من عمه ابى لهب وزوجته ام جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب
يقولون له انت الذى جعلت الآلهة الها واحدا فجعل ابو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول اتقتلون رجلا
ان يقول ربى الله وكان خروجه فى شوال سنة عشرة من النبوة وحده وقيل معه مولاه زيد بن حارثة رضى الله
عنه يلتمس من ثقيف الاسلام ورجاء ان يسلموا وان يناصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه
وكان ثقيف اخواله عليه السلام فلما انتهى الى الطائف عمد الى اشراف ثقيف وكانوا اخوة ثلاثة فجلس اليهم
وكلمهم فيما جاءهم به فقال احدهم هو يقطع ثياب الكعبة ولا يسرقها وقال آخر ما وجد الله احدا يرسله غيرك

وقال له الثالث والله لا اكلمك ابدا لئن كنت رسولا من عند الله كما تقول لانت اعظم خطرا اى قدرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى ان اكلمك فقام عليه السلام من عندهم مأيوسا وقال لهم اكتموا على وكره ان يبلغ قومه ذلك فيشتد اجترائهم عليه وقالوا له عليه السلام اخرج من بلدنا وسلطوا عليه سفهاءهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر عليه السلام بين الصفين دقوا رجليه بالحجارة حتى ادموهما وشجوا رأس زيد فلما خلص ورجلاه يسيلان دما عمد الى بستان فاستظل فى شجرة كرم ودعا بقوله اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى ان لم يكن لك غضب على فلا ابالى ثم انطلق عليه السلام وهو مهموم حتى اتى بقرن الثعالب وهو ميقات اهل نجد او اليمن وبينه وبين مكة يوم وليلة فارسل الله تعالى جبريل ومعه ملك الجبال فقال ان شئت اطبقت على ثقيف هذين الجبلين فقال عليه السلام بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيأ وعند ذلك قال له عليه السلام ملك الجبال انت كما سماك ربك رؤف رحيم (وفى المثنوى) بند كان حق رحيم وبرد بار * خوى حق دارند در اصلاح كار * مهربان بى رشوتان يارى كران * در مقام سخت ودر روز كران * اى سليمان درميان زاغ وباز * حلم حق شو با همه مرغان بساز * اى دو صد بلقيس حلمت را زبون * كه اهد قومى انهم لا يعلمون * صد هزاران كيميا حق آفريد * كيميايى همچو صبر آدم نديد * نسأل الله سبحانه ان يلحقنا باهل الحلم والكرم ويزكينا من سوء الاخلاق والشيم (فان تولوا) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى ان اعرضوا عن الايمان بك وقبول نصحك ولم يتبعوك (فقل حسبى الله) كافينى فانه يكفيك معرتهم اى المساءة التى تلحقك من قبلهم ويعينك عليهم وفيه اشارة الى ان تبليغ الرسالة من النبى عليه السلام كان موجبا القربة الى الله وقبوله اياه فلما بلغ رسالته فقد حصل على القبول من الله وقربته ان قبلوا وان اعرضوا (لا اله الا هو) كالدليل على ما قبله يقول الفقير اصلحه الله القدير هذه الكلمة الطيبة فى حكم لا اله الا الله لان الضمير عائد الى المذكور من لفظ الجلالة وكون هو ضمير الا ينافى كونه اسما لان المضمرات من قبيل الاسماء فاشتهر بين الصوفية السالكين من الذكر به بناء على كونه اسما ولما كان وجود الكون موهوما ووجود الحق محققا معلوما صح ان يشار به الى الله تعالى سيما اطلق لعدم المزاحم فى الحقيقة والذكر به مناسب للمبتدئ لكونه فى حال الغيبة فاذا ترقى الترقى الكلى فلا يشار به اى بهو الا الى الهوية المطلقة نسأل الله التوفيق للوصول الى مراتب التحقيق (عليه توكلت) اى وثقت فلا ارجو ولا اخاف الا منه والتوكل اعتماد القلب على الله وسكونه وعدم اضطرابه لتعلقه بالله تعالى (وهو رب العرش العظيم) پروردكار عرش بزرك مراد ملك عظيم است يا عرش كه قبلهٔ دعا ومكان ملائكه باشد اشارة بكمال قدرت وحفظ حق تعالى راست يعنى ان خدايى كه عرش را بدان همه عظمت كه هشت هزار ركن دارد وبروايتى سيصد هزار قاعده وازقاعده تا قاعده سيصد هزار سال راه همه آن مملو از حافات وصافات بقدرت كامله نكاه ميدارد قادرست كه مرا از شر حاسدان در پناه آرد كه حافظ بندكان وناصر سرافكندكان اوست از وخواه يارى كه يارى ده اوست * بدو التجا كن كه اينها از وست * كسى را كه او آورد در پناه * چه غم دارد از فتنهٔ كينه خواه * قال الحدادى رب العرش العظيم اى خالق السرير العظيم الذى هو اعظم من السموات والارض وانما خص العرش بذلك لانه اذا كان رب العرش العظيم مع عظمته كان رب ما دونه فى العظم وقيل انما خص العرش تشريفا للعرش وتعظيما لشأنه واعلم ان العناصر والافلاك مرتبة فالارض ثم الماء ثم الهواء ثم النار ثم فلك القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشترى ثم فلك زحل ثم فلك الثوابت ثم فلك الافلاك ويسمى الفلك الاعظم وهو محيط بجميع الاجسام من الفلكيات والعناصر ليس وراءه شئ لا خلاء ولا ملاء وكل محيط من الافلاك والعناصر يماس المحاط الذى يليه فى الترتيب المذكور لاستحالة الخلاء وجملة هذه الاجرام من الافلاك والعناصر وما فيها يطلق عليها اسم العالم قال بعض اهل التحقيق خلق الله العرش لاظهار شرف محمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وهو مقام تحت العرش ولان العرش معدن كتاب الابرار لقوله تعالى ان كتاب الابرار لفى عليين وايضا العرش مرآة الملائكة يرون الآدميين واحوالهم منه كى يشهدوا عليهم يوم القيامة فان عالم المثال والتمثال فى العرش كالاطلس

فى الكرسى قال حضرة شيخنا قدس سره فى الرسالة العرفانية التى صنفها فى تسع وثمانين بعد الالف العرش العظيم هو الانسان الكبير والعرش الكريم هو الانسان الصغير فظاهر العرش العظيم والانسان الكبير على التبدل والتغير وباطنهما على الدوام والثبات وباطن العرش الكريم والانسان الصغير على التبدل والتغير وظاهرهما على الدوام والثبات انتهى اجمالا يقول الفقير المباهى بالانتساب الى ذلك السيد الخطير اعلى مراده رضى الله عنه ان باطن العرش العظيم هو العرش المحيط الذى يقال له الملكوت وظاهره ما تحته من الاجرام ويقال له عالم الكون والفساد فظاهر العرش لكونه عالم الكون والفساد على التبدل والتغير وباطنه وهو العرش نفسه على حاله بخلاف العرش الكريم الذى هو الانسان فان ظاهره من اول عمره الى آخره على الثبات وباطنه على التغير لان قلبه لا يخلو عن الافكار والتقلبات والله تعالى رب العرش العظيم ورب العرش الكريم فى الظاهر والباطن والاول والآخر هذا وقد ذكر فى فضائل هاتين الآيتين اللتين احداهما لقد جاءكم الآية والاخرى فان تولوا الآية ان ابا بكر بن مجاهد المقرى رحمه الله اتى اليه ابو بكر الشبلى قدس سره فدخل عليه فى مسجده فقام اليه فتحدث اصحاب ابن مجاهد بحديثهما وقالوا انت لم تقم لعلى بن عيسى الوزير وتقوم للشبلى فقال الا اقوم لمن يعظمه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى يا ابا بكر اذا كان فى غد فسيدخل عليك رجل من اهل الجنة فاذا دخل فاكرمه قال ابن مجاهد فلما كان بعد ذلك بليلتين رأيت النبى عليه السلام فقال لى يا ابا بكر اكرمك الله كما اكرمت رجلا من اهل الجنة قلت يا رسول الله بم استحق الشبلى هذا منك فقال هذا رجل يصلى خمس صلوات يذكرنى اثر كل صلاة ويقرأ لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة وذلك منذ ثمانين سنة افلا اكرم من فعل هذا كذا فى عقد الدرر واللآلى وفيه ايضا حكى عن بعض الصالحين انه حصل له ضيق شديد فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له يا فلان لا تغتم ولا تحزن اذا كان الغد ادخل على على بن عيسى الوزير فاقرئه منى السلام وقل له بعلامة انك صليت على عند قبرى اربعة آلاف مرة يدفع لك مائة دينار عينا فلما اصبح ذهب اليه وقص عليه الرؤيا فاغرورقت عينا على بن عيسى بالدموع وقال صدق الله ورسوله وصدقت انت يا رجل هذا شئ ما كان علم به الا الله ورسوله يا غلام هات الكيس فاحضره بين يديه فاخرج منه ثلثمائة دينار وقال هذه المائة التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه المائة الاخرى بشارة وهذه المائة الاخرى هدية لك فخرج الرجل من عنده ومعه ثلثمائة دينار وقد زال همه وغمه ومن الله على الوزير المذكور فترك الوزارة وعلو الرياسة وظلم السلطنة وعظمة الجبابرة وذهب الى مكة وجاور فيها ببركة ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وتخصيصه بارسال ذلك الرجل لما سبق له فى علم الله تعالى بما يؤول امره اليه من الخير وحسن الخاتمة * خدايا بحق بنى فاطمه * كه بر قول ايمان كنم خاتمه * وعن ابى رضى الله عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن على الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا على ومعهما سبعون الف صف من الملائكة واعلم ان الاحاديث التى ذكرها صاحب الكشاف فى اواخر السورة وتبعه القاضى البيضاوى والمولى ابو السعود رحمهم الله من اجلة المفسرين قد اكثر العلماء القول فيها فمن مثبت ومن ناف بناء على زعم وضعها كالامام الصغانى وغيره واللائح لهذا العبد الفقير سامحه الله القدير ان تلك الاحاديث لا تخلو اما ان تكون صحيحة قوية او سقيمة ضعيفة او مكذوبة موضوعة فان كانت صحيحة قوية فلا كلام فيها وان كانت ضعيفة الاسانيد فقد اتفق المحدثون على ان الحديث الضعيف يجوز العمل به فى الترغيب والترهيب فقط كما فى الاذكار للنووى وانسان العيون لعلى بن برهان الدين الحلبى والاسرار المحمدية لابن فخر الدين الرومى وغيرها وان كانت موضوعة فقد ذكر الحاكم وغيره ان رجلا من الزهاد انتدب فى وضع الاحاديث فى فضل القرآن وسوره فقيل له لم فعلت هذا فقال رأيت الناس زهدوا فى القرآن فاحببت ان ارغبهم فيه فقيل له ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار اى فليتخذ يقال تبوأ الدار اتخذها مباءة اى مسكنا ومنزلا ولفظه امر ومعناه خبر يعنى فان الله بوأه مقعده اى موضع قعوده منها فقال انا ما كذبت عليه انما كذبت له كما فى شرح الترغيب والترهيب المسمى بفتح القريب اراد ان الكذب عليه يؤدى الى هدم قواعد الاسلام وافساد الشريعة والاحكام وليس كذلك الكذب له فانه للحث على اتباع

شريعته واقتفاء اثره فى طريقته قال الشيخ عزالدين بن عبد السلام الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود
محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب حرام فان امكن التوصل اليه بالكذب دون الصدق
فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان ذلك المقصود واجبا فهذا ضابطه
انتهى (قال الشيخ سعدى) خردمندان كفته اند دروغ مصلحت آميزبه از راست فتنه انكيز (وقال اللطيفى)
دروغى كه جان وذات خوش كند * به ازراستى كان مشوش كند * وبالجملة المرء مخير فى هذا الباب
فان شاء عمل بتلك الاحاديث بناء على حسن الظن بالاكابر حيث اثبتوها فى كتبهم خصوصا فى صحف التفاسير
الجليلة وظاهر انهم لايضعون حرفا الابعد التصفح الكثير وان شاء ترك العمل بها وحرم من منافع جمة
ولامحاجة معه وربما يتفق المحدثون على صحة بعض الاحاديث ولاصحة له فى نفس الامر فان الانسان مركب
من السهو والنسيان وحقيقة العلم عند الله الملك المنان ولذا قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر قد
يظهر من الخليفة الآخذ الحكم من الله ما يخالف حديثا ما فى الحكم فيتخيل انه من الاجتهاد وليس كذلك
وانما هذا الامام لم يثبت عنده من جهة الكشف ذلك الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم ولو ثبت الحكم به وان كان
طريق الاسناد العدل عن العدل فالعدل ليس بمعصوم من الوهم الذى هو مبدأ السهو والنسيان ولا من النقل
على المعنى الذى هو مبدأ التأويلات والتحريفات فمثل هذا يقع من الخليفة اليوم انتهى فهذا كلام حق بلا مرية
وليس وراء عبادان قرية بقى ههنا شئ وهو ان بعض المتقدمين جعل القرءآن اثلاثا فالثلث الاول ينتهى عند
قوله فى سورة التوبة وقعد الذين كذبوا الله ورسوله والثلث الثانى عند قوله فى سورة العنكبوت الا بالتى
هى احسن وعند العامة الثلث الاول ينتهى عند قوله تعالى وطبع الله على قلوبهم فهم لايعلمون وهو منتهى
الجزء العاشر ولعل الاول قول تحقيقى والثانى تقريبى والله اعلم بالصواب يقول الفقير سمى الذبيح اسماعيل حقى
شرفه الله سبحانه باعالى التجليات والترقى وغفر ذنب وجوده وجاوزبه عن انيائه واحسن الى آبائه وامهاته
واعقابه وذرياته قد كنت اصمم حين ما باشرت هذا الامر الخطير النبيه وهو هذا الجمع المسمى بالالهام الذى
لاشك فيه بروح البيان فى تفسير القرءآن ان اطويه فى مجلد او مجلدين ان ساعدنى الحين الى الحين فلما جاء بحمد
الله بعض منه بما حواه من فنون المعرفة كبير الحجم والمقدار رأيت ان اجعله اثلاثا فختمت
الدفتر الاول عند تمام سورة التوبة الجليلة الآثار وذلك فى احدى البلاد الثلاث المسماة
ببروسة المحروسه فى الدار المشروطة لى المشهورة بدار السيد محمد سبزى
المدرس المأنوسه يوم الاحد وهو العشر العاشر من الثلث الاول
من السدس الثانى من النصف الاول من العشر الثانى
من العشر الاول من العقد الثانى من الالف الثانى
من الهجرة النبوية فلله الحمد على نعمة الاتمام
ولرسوله افضل الصلاة والسلام
ولآله واصحابه كمل
التحيات والاكرام

حمد لله روز يكشنبه وهم ماه صفر * چون نختستين دفترازروح البيان فارغ شدم
حقيا تاريخ وى كردم بحرف جوهرى * حاليا ازجلد اول فارغ البال آمدم

تم

(يقول رئيس تصحيح الطباعه * صن اللهم من شين طباعه)

حمدا لمن له الحمد فى الاولى والآخره * وشكرا لما اولى من الانعم الفاخره * وصلاة وسلاما على خاتم رسله الكرام
* وعلى اله وصحبه بدور التمام * وبعد فلما ان من الله عزوجل * بكمال طبع هذا الجزء الاول * من كتاب
التفسير الجليل الشان * المسمى بروح البيان * للفاضل الكامل * العالم العامل * المنتهى الى اعلى
درجات الترقى * ابى الفدا اسماعيل الملقب بحقى * روح الله روحه * ونور ضريحه * وكنت قد نزهت
فى روض حدائق حسنه الحدق * وضممت قوام غصنه المورق الى آخر الورق * وفزت من وصله * بفرعه
واصله * مع كونى لم آل جهدا فى تعليل مزاج طبعه وتصحيحه * منذ عنيت بعلاج تهذيبه وتنقيحه * حتى
جاء بديع المثال * سالما من النقص والاعتلال * مصونا عن شوائب التحريف والغلطات * محفوظا من معايب
التصحيف والسقطات * حسن الوضع * جميل الطبع * قد بهرت بدائعه قلائد الجمان * وانتظمت
فرائده عقدا لجيد الزمان * عن لى ان انبه على ما كان من المحاسن فيه * لتعتنى طلابه بالمبادرة
الى ارتشاف جريال فيه * فقلت واجدت * وانشأت مؤرخا وانشدت

ان هذا التفسير فرد الزمان * لايحاكيه مذ تفرد ثانى
هو درة زها يتيما وأنى * للتفاسير زهو يتم الجمان
يا له مفردا اتى بفريد * فيه تبيان نظم آى المثانى
جل عن مشبه له و نظير * وعلا شانه على كل شان
رق طبعا وراق معناه وضعا * وارتقى فى الكمال اعلى مكان
قال اذ قيل كم تأكيف تزهو * بمعالى من الفوا للمعانى
ان تكن قد زهت بحق سواها * فبحق ازهو وذا الكشف انى
ولقد قلت للتفاسير طرا * اذحكاه منهن قاص ودانى
انت مثل الاجساد وهى جماد * وهو روح والروح ذو الحيوان
لو تحلى الاجساد اذا رخوه * لتحلت بكنز روح البيان

٩٤ ٢١٤ ٧٩ ٨٦٨

١٢٥٥

وكان تمام طبعه وتمثيله * وتعديل مزاج صحته وتعليله * فى دار الطباعة الباهره * الكائنة
ببولاق مصر القاهره * لثمان خلون من شهر رمضان المعظم * المنسلك فى سلك
عقد الشهور المنظم * من سنة خمس وخمسين ومائتين بعد الالف *
من هجرة سيدنا محمد الموصوف باكمل وصف * صلى الله
وسلم عليه وعلى آله * واصحابه
المكملين بكماله

تم